منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب

زهر الأكم في الأمثال والحكم

للحسن اليوسي

*

الجزء الأول

حققه

الدكتور محمد حجي و الدكتور محمد الأخضر

الشركة الجديدة
دار الثقافة
34.32 شارع فكتور هيكو
الهاتف 26.53.46 — 26.23.75
ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)

الطبعة الأولى 1401 — 1981

حقوق الطبع محفوظة

زهر الأكم
في الأمثال والحكم

تقديم

تحدثنا عن الحسن اليوسي في كتابينا **الزاوية الدلائية** (1) **والحياة الأدبية بالمغرب على عهد الدولة العلوية** (2)، وعرفنا به فيهما كعالم مغربي يمثل المشاركة في عصره ويؤلف عشرات الكتب في مختلف ميادين المعرفة عقائد وفقها وأصولا وحديثا ومنطقا وبلاغة ولغة وأدبا.

ولعل مما يميز اليوسي في التأليف اقتحامه مواضيع طريفة لا صلة لها بالشروح والحواشي التي طغت على مؤلفي عصر الانحطاط، ومحاولته الرجوع إلى ينابيع الثقافة الاسلامية في عهودها المزدهرة الأولى يستقي منها بجهده الشخصي، ويضيف إليها من فكره وكده ما يغني التراث العربي الاسلامي ويجدده ويحببه الى النفوس، فكان من ذلك كتبه **المحاضرات، والقانون، وزهر الأكم في الأمثال والحكم.**

يرجع عهد اشتغال المسلمين بالأمثال الى العصر العباسي الأول مع الأصمعي وخلف الأحمر وعمرو بن العلاء وغيرهم من الرواة في تلك الحركة الرائدة لجمع اللغة وتدوينها، فرويت الأمثال ضمن أيام العرب وأشعارها، وأخبار فرسانها وأجوادها وأقيالها وصعاليكها. ثم أخذ اللغويون يفردون الأمثال بالتأليف في القرون التالية، واشتهر من بين ذلك كتاب **مجمع الأمثال** لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني المتوفى عام 518 / 1124 . وقد اشار الميداني في مقدمة كتابه الى صعوبة التأليف في هذا الموضوع، ورجوعه هو إلى نحو خمسين كتابا مما كتبه من تقدمه من اللغويين.

ويجيء اليوسي في القرن الهجري الحادي عشر الذي خمدت فيه جذوة الدراسات اللغوية وطال العهد بها، لا سيما في أقصى الغرب الاسلامي ليؤلف كتابا في الأمثال يفوق

---

1) صفحات 97-108
2) صفحات 122-136

ـ لوتم ـ كتاب الميداني وغيره من المتقدمين . يشتمل **زهر الأكم** ـ في تصميمه ـ على ستة وستين بابا مقسمة قسمين أو سمطين، في السمط الأول الأمثال وما يلتحق بها، في مقدمة وخاتمة وأربعة وثلاثين بابا، تسعة وعشرون بابا في الأمثال مرتبة على حروف المعجم، والأبواب الخمسة التالية في الأمثال التركيبية، والأعيان، والأمثال القرآنية، والحديثية، والتشبيهات الشعرية. ويحتوي السمط الثاني على الحكم وما يلتحق بها في اثنين وثلاثين بابا، تسعة وعشرون في الحكم المرتبة على حروف المعجم، وفي الأبواب الثلاثة الأخيرة طائفة من الحكم المجموعة، والنوادر، والأوليات.

ويشاء القدر ألا يمهل اليوسي ليحقق غرضه كاملا من الكتاب، فيموت وهو لم يكتُبْ منه غير المقدمة والخاتمة وأربعة عشر بابا من السمط الأول، غير أن المقدمة وحدها تدل دلالة قاطعة على ضلاعة اليوسي اللغوية، وقوة عارضته وسعة تفكيره. وفيها يعجب القارىء عندما يعرف أن اليوسي ألف كتابه هذا وهو لم يطلع على أي كتاب من كتُب المتقدمين في الأمثال، وانما رجع الى قريحته وحصيلته اللغوية الخاصة. يؤكد هذه الدعوى، فضلا عن مروءة اليوسي وعدالته، مقارنة ما كتبه في **زهر الأكم** بما كتبه الميداني في **مجمع الأمثال**، فشتان بين مُشرِّق ومُغرِّب ! بل حتى الأمثال القليلة التي توارد عليها المؤلفان معا يختلف أسلوبهما في طريقة شرحها والتعليق عليها.

وقد قمنا بمقارنة [3] ـ على سبيل المثال ـ بين ما كتبه الميداني واليوسي عن المثل : « آنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ وَعُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ » فاستخلصنا الملاحظات التالية :

ـ نسب المؤلفان معا المثل الى الحباب بن المنذر خطيب الأنصار يوم السقيفة، إلا أن اليوسي بيَّن الاطار التاريخي للمثل بتلخيص حادث السقيفة واختلاف المهاجرين والأنصار. ثم لم يقتصر على لفظ المثل ـ كما فعل الميداني ـ بل أتى بكلام الحباب كاملا : « آنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ، وَعُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ، مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُم أَمِيرٌ » ليظهر وجه الافتخار والدعوى.

ـ أورد اليوسي معاني متعددة للجذل ـ بدل المعنى الوحيد عند الميداني ـ وذكر

---

3) انظر بحثنا : « الحسن اليوسي اللغوي » في مجلة المناهل، العدد 15، يوليوز 1979، ص. 211 ـ 229.

جموعه مستشهدا ببيت امرىء القيس، وقول الراجز، وقصة الأصمعي مع الاعرابي أبي الزيابل، وشارحا ما غمض فيها.

- أتى اليوسي بمادة (رجب) مبينا معانيها الأصلية والفرعية، مستشهدا بالقطعتين اللتين رواهما الأصمعي عن العامري، وقد ورد في أولاهما : « وَادٍ مُرَجَّب » وفي الثانية : كَأَنَّ فُضُولَ الرَّقْمِ.... عُذُوقُ » مبينا كذلك اختلاف معاني العذق باختلاف فتح أوله أو كسره، في حين اقتصر الميداني على معنى اجمالي للكلمتين معا.

ولم يفت اليوسي هنا أن ينبه الى ما اشتهر عند القدامى من تشبيه البرود الملونة بالنخيل المونع، مستشهداً بابيات امرىء القيس، قبل أن ينتقل للكلام عن ترجيب النخل وطرقه المختلفة عند العرب.

- افترض اليوسي لتصغير كلمتي المثل أحد احتمالين : التعظيم على مذهب الكوفيين، أو التقريب على مذهب غيرهم، في حين جزم الميداني أن التصغير للتكبير.

- بين الميداني مضرب المثل في الأخير بجملة واحدة : « يريد أنه رجل يستشفى برأيه وعقله » وهو بيان مبتور لا ينطبق إلا على الشطر الأول من المثل. في حين أتى اليوسي بفقرة كاملة تتساوق فيها العبارات المسجعات المتكاملات، لتستوعب الشروح الضافية السابقة وتلخصها.

وقلنا في الأخير اننا لم نقصد الى التنقيص من قدر أبي الفضل الميداني أو غيره، وانما قصدنا الى بيان أصالة الحسن اليوسي في فن سبقه الميداني الى التأليف فيه بستة قرون، وسبقه غير الميداني فيه بسبعة أو ثمانية أو تسعة قرون، ومع ذلك كتب اليوسي ما كتب في الأمثال، أواخر القرن الهجري الحادي عشر، ابتكارا على غير مثال سابق، بل ودون أن يطلع على أي كتاب في الأمثال، وكأن زهر الأكم ألف في عصر ازدهار العلوم العربية أيام العباسيين، اذ المصادر مصادر ذلك العصر، والأسلوب متين سليم، والتفكير حر مبدع لا يعرف قيود التقليد والترديد.

وهناك الصبغة المغربية في زهر الأكم، تتمثل فيما اختاره اليوسي من أشعار المغاربة والاندلسيين، كقول مالك بن المرحل :

لاَ تُخَالِفْ مَالِكًا فِي رَأْيِهِ فَبِهِ يَأْخُذُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ

وفي الأمثال المغربية المتداولة في عصره التي أورد عددا غير قليل منها عند المناسبات في ثنايا الأبواب، لكنه (فصّحها) ولم يذكرها بلسان العامة، واضطر بسبب ذلك الى تغيير بعض ألفاظ هذه الأمثال ليستقيم تركيبها الفصيح، ولم يحتفظ باللفظ العامي الا نادرا كالسباط مثلا في قولهم :

(امْشِ بالنَّعْلَيْنِ حتَّى تَجِدَ السُّبَّاط)[3م]

في باب الباء لدى ذكر المثل العربي : يُبْلَغُ الخَضْمُ بِالقَضْمِ.

بقي أن نشير الى بعض مآخذ الكتاب، وهي في الواقع نتيجة حتمية لعدم تمكن اليوسي من اتمام عمله ومراجعة ما كتب بالتهذيب والترتيب. وأكثر ما يظهر ذلك في مجموعات الأمثال الشعرية التي لم يرتبها ترتيبا دقيقا داخل الأبواب، ولم ينبه في الغالب الى موطن المثل عندما تتعدد الأبيات، علما بأن بعضها يبلغ العشرة والعشرات، الى ترك بياضات لم يسودها، وتكرار أبيات ومقطعات لم ينتبه اليها الا نادرا.

3م) اثبت أخونا محمد بن شريفة في كتاب أمثال العوام في الأندلس (القسم الأول، ص. 191-194) نحو أربعين مثلا عاميا استخرجها من كتاب زهر الأكم، وحاول أن يبرر ندرة الأمثال المغربية - نسبيا - عند اليوسي.

مخطوطات زهر الأكم وطريقتنا في التحقيق :

اطّلعنا في الخزانة العامة وفي المكتبة الملكية بالرباط على ستة عشر مخطوطا[4] من كتاب زهر الأكم، واعتمدنا في التخريج والمقابلة أربعة من مخطوطات الخزانة العامة : عدد 178 جـ. ورمزنا اليه بحرف أ، وعدد 596 جـ ورمزنا اليه بحرف ب، وعدد 1001 د ورمزنا اليه بحرف جـ وعدد 210 ق ورمزنا له بحرف د. واذا ما اختلفت النسخ اخترنا مابدا لنا صوابا دون أن نشير في الهامش الى ما ألغينا الا اذا كان له وجه، ووضعنا الكلمات والجمل أو الفقرات والأبيات الناقصة في احدى النسخ بين قوسين ونبهنا على ذلك في الهامش أيضا.

وقد قسمنا الكتاب ثلاثة أجزاء كما قسمه المؤلف أو بعض النساخ القريبين من عصره.

---

4) هي المخطوطات التالية :

1 ـ مخطوط خ. ع(= الخزانة العامة بالرباط) عدد 178جـ، وهو في جزئين، ينتهي الأول بنهاية باب التاء، ويبتدىء الثاني بباب الذال المعجمة، ففيه بتر خمسة أبواب (الثاء الى الدال) وذكر الناسخ في الأخير أنه نقل من خط المؤلف.

2 ـ مخطوط خ. ع عدد 596 جـ بخط مغربي دقيق، تام انتسخ عام 1134.

3 ـ مخطوط خ. ع عدد 1001 د، جيد الخط ناقص ينتهي أثناء باب الدال بقصيدة دالية لليوسي.

4 ـ مخطوط خ. ع عدد 210 ق، تام ذو خط مدمج، قابله بأصله أصل المؤلف العالمُ الفاسي الشهير محمد بن قاسم ابن زاكور المتوفى عام 1120، وكتب ذلك بخطه في الاخير.

5 ـ مخطوط خ. ع عدد 844 جـ، ناقص ينتهي أثناء باب الدال كالمخطوط رقم 3، كتبه أحد تلاميذ المؤلف.

6 ـ مخطوط خ. ع. 388ق ، ناقص يبتديء من باب الحاء وينتهي أثناء باب الصاد بنقص ورقة أو ورقتين من الأخير.

7 ـ مخطوط م. م (= المكتبة الملكية بالرباط) عدد 788، تام جيد الخط كتب من نسخة عن خط المؤلف عام 1158.

8 ـ مخطوط م. م عدد 798، تام جيد الخط مذهب، دون تاريخ.

9 ـ مخطوط م. م عدد 937، تام دقيق الخط، دون تاريخ.

10 ـ مخطوط م. م عدد 2377، تام جيد الخط ومذهب، دون تاريخ.

11 ـ مخطوط م. م عدد 2591، تام جيد الخط الا أن الأرضة أكلته أو كادت.

12 ـ مخطوط م. م عدد 66/586 (الزيدانية) تام بخط دقيق جميل مذهب، انتسخ من خط المؤلف عام 1122.

13 ـ مخطوط م. م عدد 2845 (الجزء الأول فقط) ينتهي أثناء باب الثاء، خط عادي دون تاريخ.

14 ـ مخطوط م. م عدد 680، ناقص ينتهي اثناء باب الدال مثل المخطوط رقم 3.

15 ـ مخطوط م. م عدد 5719 (الجزء الأول فقط) ينتهي بباب التاء، خط عادي دون تاريخ.

16 ـ مخطوط م. م عدد 1861 (الجزء الثاني فقط) يبتدىء أثناء باب الحاء، انتسخ من خط المؤلف عام 1132.

ينتهي الجزء الأول بباب التاء المثناة، ويبتدىء الثاني بباب الثاء المثلثة، ويبتدىء الثالث بباب الذال المعجمة لينقطع أثناء باب الصاد ببيتي طرفة :

كُنْتُ فِيكُمْ كَالْمُغَطِّي رَأْسَهُ فَانْجَلَى الْيَوْمَ قِنَاعِي وَخُمُرْ

سَادِرًا أَحْسِبُ غَيِّي رَشَدًا فَتَنَاهَيْتُ وقَدْ صَابَتْ بِقُرْ

وهو ما اتفقت عليه جميع النسخ المخطوطة التامة وكتبت : (هنا انتهى ما وجد في الأصل بخط المؤلف).

ولم نشأ أن نثقل الهوامش بالشروح اللغوية مكتفين بتوثيق الكلمات الصعبة وضبطها بالشكل التام، والتزمنا شكل الآيات القرآنية، والاحاديث النبوية، والأمثال والحكم والأبيات الشعرية، والمفردات اللغوية وأعلام الأشخاص والقبائل والأماكن، ليقرأها القارىء قراءة سليمة، ويبقى المجال فسيحا أمام الدارس للتنقيب عن المادة اللغوية والأدبية في مظانها لتتم الفائدة المرجوة.

وإننا إذ ننشر اليوم هذا الكتاب نرمي الى غايتين اثنتين، تُحقّق إحداهما رغبة اليوسي الذي كتب زهر الأكم ((لينتفع به المتصرف ويتضلع منه الكاتب والشاعر وغيرهما)) [5]، وتهدف الثانية الى التعريف بانتاج عالم مغربي أسهم باضافة لبنات في صرح اللغة العربية المشيد، بهذا البلد السعيد. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الرباط في فاتح رمضان 5/1399 غشت 1979

المحققان

5) خاتمة مقدمة زهر الأكم، ص. 40.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

سبحان اللهِ المُتَعالِي عن الأشْباه والأمْثَال، والحمدُ لله ذي الفضلِ العظيمِ والكرمِ المُنْثَالِ، ولا إلَه إلا اللّهُ المتوحِّدُ بالكِبرياء والأثَال، واللهُ أكبر أنْ يتطاولَ الى سَمِيٍّ جلالهِ خيالٌ أو مثال. ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العلي العظيم، نحمده على ما أسْدَى مِن جزيل الرغائب، وأجْدَى من جميل المواهب، وسَنَّى من جليل المآرب، وأسْنَى من كَميلِ المراتب، وأوْلَى من الجميل العميم. ونشكره على أفئدةٍ بنور الايمان هَدَاهَا، وألْسِنةٍ أطال في شَأوِ البيانِ مَدَاهَا، وبصائرَ أسَامَ سَرْحَها إلى مراتعِ العِبَرِ وحَدَاها، وانْتَجَع بها مَواقِعَ غيثِ الفِكَرِ وجَدَاهَا ؛ حتى أصبحتْ نَشْوَى مِنْ كُؤُوسِ العِرْفَانِ تَهِيم، وتجلُو بِلَوامِعِ التِّبْيَان كلَّ ليلٍ بَهِيم. ونُصَلِّي على نبيه محمَّد المختار المُقْتَعِد حقًّا ذِرْوَةَ الكمالِ والفَخَار، والمُرتَدِي بِرِدَاءِ الاجلال والاكبار، والمُبْتَعَثِ مِنْ أطْيَبِ عُنْصُرٍ وأكرم نجَار، في حَسَبٍ حسيب وشرف قديم. الذي أنار بطلْعَتِهِ الغرّاءِ عَلَمَ المُهْتَدين، وسَمَكَ بِعِزَّتِهِ القَعْسَاءِ مَنَارَ الدّين، وثلَّ بِشِرعَتِهِ البيضاءِ عُرُوشَ الجاحدين والحائدين، واسْتَأصَلَ بِشَوكَتِهِ الشَّوكاءِ شَأفَةَ العادين والمُعَادِين، وجعله صِفْوَةَ الصَّفْوة، ونُخْبَةَ النُّخْبَة، وسِرَّ السِّرّ، وخُلاصةَ الخُلاصة، ومُصَاصَةَ المُصَاصَة، ولُبَابَ اللُّبَاب، وخِيَارَ الخِيَار، وصَمِيم الصّمِيم. صلَّى اللهُ عليه صلاةً تلُوحُ في أفُق مكانَتِهِ العلياءِ قَمَرًا، وتَفُوحُ على طَلْعَتِهِ الغرّاءِ عَنْبَرًا، وتَنْهَمِلُ في جناب مَجَادَتِهِ الفيحاءِ كَوْثَرًا، وتَخْضَلُّ في رَوْضَةِ جَمَالِهِ الغَنَّاءِ زَهَرًا، ما هبَّ نسيم، وذهَبَ ذُو رَسِيم. وعلى آله الأمَاثِل، بُدُورِ المَحَافِل، وصُدُورِ الجَحَافِلِ، ويَنَابيعِ الفَضَائِلِ والفَواضِلِ، وأعْلامِ الدِّينِ القَويم، والصِّراطِ المُسْتَقِيمِ، مَا بَدَا عَلَى وجَنَاتِ الوَرْدِ تَخْجِيل، مِنْ رشَفَاتِ النَّسِيمِ البَلِيل، واصْفَرَّ رَوْعَةً وجْهُ الأصِيل، مِنْ

لَحَظاتِ طَرْفِ اللَّيْلِ الكحيل، وأَسْفَرَ الصَّبَاحُ عن ثَغْرٍ بَسِيم، ومَنْظرٍ وسيم.

أمَّا بعدُ، فان العِلمَ أنفسُ عِلْقٍ يُقْتَنَى، وأحلى ثَمَرٍ يُجْتَنَى ؛ وأعدلُ محجَّة، وأقومُ حُجَّة، وأحصنُ جُنَّة، وأضواً بَدْرٍ في دُجُنَّة ؛ وأرْبحُ مَتْجَرٍ يُثَابَرُ عليه، وأنْجَعُ مَرْعَى يُنْتَجَعُ إليه ؛ وآرْجَى بارقٍ يُشْتَام، وأفضلُ جنابٍ يُعْتَام ؛ وأنْوَرُ نُورٍ يُستَضَاءُ به في الظُّلُمات، وأمْنَعُ وزَرٍ يُعْتَصَمُ به في الأزَمات ؛ وأوثقُ عُرْوةٍ يَسْتَمْسِكُ بها ذَوُو البَصَائِر، وأعظمُ عُدَّةٍ تُعْقَدُ عليها الخَنَاصِر ؛ وأقوى مَطِيَّةٍ تُرْكَب، وأتمُّ سِلاَحٍ يُنْتَكَب ؛ وأطيبُ نَسمَةٍ تُسْتَنْشَق، وأجملُ محبوب يُعْلَق ؛ وأبْهَى زينةٍ يَتَحَلَّى بها المُتَحَلُّون، وأرفعُ مِنَصَّةٍ يتجلَّى عليها المُتَجَلُّون.

فإنَّ العِلْمَ غِذاءُ العقل، وبه يعرف الحَكم العَدْل ؛ وإنَّ الْخِصِّيصَى التي بها شرفُ الانسان إنما هي العلمُ ؛ فإن المرءَ لَوْ بَلَغَ فِي كمالِ الجسمِ أَطْوَرَيْه، لا يكونُ إنسانًا إلاَّ بأَصْغَرَيْه :

لولا العقولُ لكان أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنى الى شَرَفٍ مِنَ الانسانِ[1]

وما امتاز اللِّسنُ الذَّكِيُّ عن العَيِيِّ إلا بِرَجَاحَةِ الْجَنَان، وفَصَاحة اللِّسان ؛ فإن الخليق للأفكار، عند افْتِراعِها المَعَانِيَ الأبْكار؛ والجديرَ لِلألسنة عند اقتطافها أزاهيرَ البَيَان، واهْتِصَارِها أَفانِينَ التِّبْيان، أن يتميَّز فيها الْفَائِقُ من المَائِق، والسَّابِقُ من السَّائِق ؛ وعند السِّيَاق في ميدانها الوَثِيم، أنْ يَتَجَلَّى المُجَلِّي عن التَّلطِيم، وعند مُزَاوَلةِ الْغَرَضِ المُعْضِل، أَنْ يُعْرَفَ المُقَرْطِسُ مِنَ المُخْضِل. وعند انْتِيَاش مَضارِبِ الأفهام، أن يَمْتَازَ الصَّارِمُ عن الكَهَام ؛ وعند اقتباس حِكمةٍ تُسْتَشْعَر، أن يَشْرُفَ المُورِي عن الأدْعَر ؛ وعند اقتسام مزايا الفضل الْفَسِيح، أن يَفُوزَ المُعَلَّى دُونَ السَّفِيح ؛ وعند اسْتِفْتَاح المَغَالق، وتَغَشِّي المَضَائِق، أنْ يُعْلَمَ المُجْحِم مِنَ المُحْجِم، والهَصُورُ مِنَ

1) هذا البيت لابي الطيب المتنبي من قصيدة مدح بها سيف الدولة، مطلعها
الرأيُ قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحلُّ الثاني

الْحَصُور. فلا جَرَمَ كان من أجلّ العلومِ وأفْخرِها، وأحقّها بالاعتناء به وأجدرها، علمُ الأدب، والتَّضَلُّع مِن كلام العرب، إذ به تَنْحَلُّ عُقْلَةُ اللسان، وتُزَاحُ رَوْعَةُ الجَنَان. وهو لسانُ نبيِّنا نُخْبَةِ الْعَالَمِ، وصِفْوَةِ وَلَدِ آدَم، وكتابِه الذي أخْرَسَ بِهِ مَصَاقِعَ الْبَيَان، مِنْ بُلَغَاء عَدْنَان وقَحْطان، حتَّى عَدَلُوا عَنِ الْمُجَادَلَةِ الى الطِّعَان، وعن الْمُعَارَضَةِ إلى الاذْعَان. صلى الله وسلم عليه وعلى آله ما لَمَعَ بَارِق، وَطَلَعَ شَارِق. فهو لَعَمْرِي أجلُّ الكلام، وأشرفُ ما اعْتَوَرَتْهُ الألْسِنةُ والأفْهَام، وأبْهَى بَدْرٍ يُسْتَجْلَى وَعَرُوس، وأسْنَى أثرٍ يُسْتَبْقَى في ميادينِ الطُّرُوس. لا سِيَّمَا عِلْمُ أمْثَالِها الَّتِي هِيَ زِمَامُ كلِّ مَعْنَى، ومَنَاطُ كُلِّ مَبْنَى، ومَنَارُ كلِّ مَرْمَى، ومِصْبَاحُ كُلِّ ظَلْمَا. وبها يَرْتَاضُ كُلُّ جَمُوح، ويُصْبِحُ الْمُنْبَهِمُ ذَا وُضُوح. وبها يعودُ الْغائِبُ مَشْهُودا بَلِ الْمَعْدُومُ مَوْجُودا.

وكان الأقدمون بهذا الفنِّ مُعْتَنِين، ولِنَوَادِرِه مُلْتَقِّنِين، ومُدوِّنين، يَرِدُون مَوَارِدَها، ويَقْتَنِصُونَ شَوَارِدَها ؛ ويقتطفون أزهارها النَّضِرَة، ويَتَنَسَّمُون نسماتِها الْعَطِرة ؛ ويَرْتَشِفُون ثُغُورَها، ويقتبِسُون نُورَها ؛ وَيَشِيمُونَ لَمَحَاتِ تلك الْبَوَارِق، ويَشِمُونَ بِدُرَرِهَا[2] صفحات المَهَارِق. فلما طال العهدُ بِأَزْمَان العرب، وقَضَى مَنْ تَنَاسَى أَيَّامَها كُلَّ أرَب، تَغَلَّبَتِ العُجْمَةُ على الألسنةِ والطِّباع، فَخَلَتْ مِنْ قَطِينِهَا هاتِيكَ الرِّبَاع، وأصْبَحَتْ حَدِيثًا مَهْجُورا، كَأَنْ لَمْ تَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورا، وعادَتْ أيّامُها مَحْضَ أوْهام، فكأنها وكأنهم أحلام، وتقلص ضافي بُرْدها، وتكدر صافي وردها، وذهبت المعارف والعوارف، وتقلّصَ ظِلُّها الوارف ؛ وأمست رباعُ الأدبِ قَفْرا، ورَاحةُ الخَواطِرِ منهُ صِفْرا.

وكانت نفسٌ تَشُوقُنِي الى هذا الفن ومَآثِرِه، وتُنَازِعُنِي الى تَتَبُّعِ دَاثِرِه. فكنتُ أشْتَاقُ أن أرى في هذا موضوعا، وأُصادِفَ كتابًا مجموعا، مما عُنِيَ به الأقْدَمُون، واقْتَفَى أثَرَهُمْ فِيهِ المُتَأَخِّرُون. فلم يسمح بذلك الدهرُ العقيم، ولم يُظْفِرْ بشيءٍ منه الْجَدُّ السَّقِيم. ولما لم أذُقْ مِنْ ذلك لَمَاقًا، ولم يَزْدَدِ

2) في نسخة (أ) بدورها ؛ وفي (ب) بدررها.

القلبُ إلاّ اشتياقا، طَفِقْتُ أجُولُ في عَرَصَاتِ كُتُبِ الأدب، وكُلٌّ ما له مَاسَّةٌ بِكلام العرب. ولم أزل أتتبَّعُ ظِلالَها، وأشْتَفُّ بِلالَهَا، وأرْعَاها قُنَنًا وَوِهَادا، وآنْتَجِعُها فَتُوحًا وَعِهَادا ؛ وأحْتَلِبُها شَصَائِصَ وَشَكَارَى، وأعتنِقُها عُونًا وأبْكَارًا، حتى التقطتُ مِنْ ثَمِينِ جَوْهَرِهَا، واقْتَطَفْتُ مِنْ يَنِيعِ زَهْرِها، ما يَشْفِي الْعَلِيل، ويَنْقَعُ الْغَلِيل، ويَمِيسُ مَيْسَ الْغُصْنِ الْمَرُوح، ويَسْرِي في الجسوم مَسْرَى الرُّوح. فلما امتلأ بحمد الله من ذلك الوِطَاب، وعاد الْبَلَحُ إلى الارْطَاب، هَمَمْتُ أنْ أجْمَعَ ما عَلِقَ في هذا الوقت بخاطري، مما تَرَقَّى اليه نَظَرِي ونَاظِرِي، في كِنٍّ يُؤْوِيه، ومَجْمُوعٍ يَحْوِيه، حِذَارًا من النِّسْيَان، عند تطاوُل الزمَّان. فألَّفْتُ هذا المجموعَ في الأمْثَال، وأوْدَعْتُه كُلَّ دُمْيَةٍ وتِمْثَال. ثم رأيت أن أضُمَّ إليها من الحِكَم جملةً مما انْتَهَيْتُ إلَيْهِ،ووَقَفْتُ عند تَطْوَافِي عَلَيْه، وتَتْمِيمًا للفائدة، وتكميلاً لِلْعَائِدة، مع قُرْبِ ما بَيْن النَّوْعَيْنِ جدا، كما ستقف عليه عند التعرُّض لهما فصلاً وحدا. فجاء بحمد الله كتابًا مُمْتِعا، لِلآذَانِ الصُّمِّ مُسْمِعا:

جَمَعْتُ بِهِ والْجَفْنُ مُغْضٍ عَلَى الْقَذَى
وبالْخَلَدِ الْبَلْبَالُ أصْبَحَ ذا خُلْدِ

مَحَاسِنَ تُزْرِي بالنَّسِيمِ إذا سَرَى
فَحَيَّى محيا السَّوْسَنِ الْغَضِّ وَالْوَرْدِ

وتُزْرِي بَهَاءً بِالْمَطِيرِ مِنْ الرُّبَى
وبِالْعَذْبِ للصَّادِي وبالْكَاعِبِ الرَّادِ

لآلِيءُ ما غَوَّاصُهَا بِمُصَاذِفٍ
لها صَدَفًا في مُلْتَقَى أبْحُرِ الْهِنْدِ

ولا حُلِّيَتْ يومًا بها جِيدُ غَادَةٍ
ولا فُصِّلَتْ بِالْعَسْجَدِ الصِّرْدِ في عِقْدِ

فَرَائِدُ ما مِنْهُنَّ إلاَّ خَرِيدَةٌ
أعَزُّ عَلَى الْمَرْتَادِ في الأبْلَقِ الْفَرْدِ(5)

---

3) في نسخة (أ) : تمين بتاء مثناة، وهو تصحيف.
4) في نسخة (ب) : طوفاني بدل تطوافي.
5) في نسخة (أ) : بالأبلق أو مالأبلق.

ومع هذا فإنّي أعتذرُ لذوي النفوس الوقّادة، والصيارفةِ النّقّادة، مِن تقصيرٍ فيه، وخَلَلٍ لم يَتّفِقْ تَلافِيه. وكيف لا يُعْذَرُ ذو بَالٍ مُتَقَسِّم، ووبَالٍ مُتَكَسِّم، وشَخْص لا يَبِينُ لِمُتَوَسِّم، مكْلُومٌ بِفَاغِرٍ من الخُطُوبِ مُتَبَسِّمٍ، يَرْمُقُ الْعَيْشَ بَرْضًا، ويَقْطَعُ بَسِيطَ الْحَيْرةِ طُولاً وعَرْضًا، لا يترجّى مَد دًا، إلا كان كَمَدًا. ولا يَغْتَبِقُ إلاّ عَبْرَة، ولا يَعْتَنِقُ إلاّ زَفْرَة، ولاَ يَعُدُّ إلاّ ذُنُوبَ الدّهْرِ، ولا يُعِدُّ إلاّ ذَنُوبَ نَهْرٍ، في فِتَنٍ تَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وقَلْبِه، وتُذْهِل غَيْلاَنَ عن حِبِّه، ودَهْرٍ حَالَ دُونَ الْقَرِيض، بِالْشَّجَى والجريض، وَرَدٍّ الأوْجِ إلى الْحَضِيض ، ولم يَجْعَلْ بُدًّا من مُصَادَقَةِ الْبَغِيض، وأعَادَ الصُّورَ أعْقَابًا، والنَّوَاصِيَ أذْنَابًا، وكَدَّرَ كُلَّ صَفْو، وأوْرَثَ كُلَّ شَجْو، وخَلَّفَ مِنْ بَنِيهِ كَجِلْدِ الأجْرَب، وَزُبَانَى[6] العقرب، لا يَتَجَرَّعُون إلاّ عَلاَقِم، ولا يَلْتَمِسُون إلاّ أرَاقِم ؛ أمَّا أذْنَابُها فَرَعَاع، وشَرٌّ شَعَاع، وفِتْنَةٌ وِرْدُها قُعَاع، وظُلْمَةٌ ليس بها مِنْ شُعَاع ؛ وأمَّا ذُرَاهَا فلا تَعْدُو رضيعًا تبكِي المَخَاضُ الجُرْبُ لِمُصَابِه[7]، وتَشْكُو الصُّفْرُ والبِيضُ يدَ الضَّيَاع لِصِفْرٍ وِطَابِه، وخليعًا يَذْهَبُ دَهْرُه ما بين الرُّخّ والرَّخَّة، والفَخّ والفَخَّة، وكِلاَ النوعَيْن قد أنْزَلَهُما أسْوَدُ العَيْنِ طَرَفَه، وتَضَمَّنَهما القَمَران المُشْتَبِهَانِ في بيت طَرَفة.

وكان الأدبُ وسائر العلوم قديمًا انما يُحْيِي غِرَاسَها، ويُسْنِي مِرَاسَها، ويُطَيِّبُ أنْفَاسَها، ويُحبِّبُ نِفَاسَها الْفَضْل، الْهَام، والْعَدْلُ الحَام. فأما الْيَومَ فلا نَدى يَسْتَثْمِرُ الابْداع، ولا انتصاف يَتَلاَفَى الانْصِدَاع. فأيُّ عِلْمٍ يُرْتَجَى، مِمَنْ زَوَالُ الرَّوْعِ عِنْدَه مُنْتَهَى الرَّجَا ؟ قَنُوعٌ مِنَ الْغَنِيمةِ بالاياب، ومِنَ الايرَاب، بِنُفَاضَةِ الْجِراب، ومِنَ الشَّراب، بلَمْحَةِ السَّراب. وكيف يُمْكِنُ لمثلي أن يجْمَعَ بَيْنَ كلمتَيْن، فضلاً عن فَصْلَيْن ؟ لكن لَمَّا لَمْ يَكُنِ التَّجَزُّعُ عند حلولِ الأقْدار، من شِيَمِ الأحرار، قَبَضْتُ على أحَرَّ مِنْ جَمْر،

---

6) في نسخة (أ) : وزبانيق، وهو تصحيف.

7) الرضيع هنا : اللئيم. وقد فسر اليوسي عبارة بكاء المخاض الجرب في المحاضرات (ص. 55) لما اورد ضمن اشعار المعاني عند العرب :

سَتَبْكِي الْمَخَاضُ الْجُرْبُ إنْ مَاتَ هَيْثَمٌ وكلُّ النِّسَاءِ غَيْرَهُنَّ جُمُود

أي أنه كان يستحييها بخلا ولا ينحرها للضيفان، فهي تبكي عليه ولا يبكي عليه أحد من الناس إذ لا خير فيه.

وتجلّدتُ على مَابِي مِن ضُمْر، وثَنَيْتُ الضُّلُوعَ على أذَاهَا، وأغْضَيْتُ الجُفونَ على قَذَاها. فَجَمَعْتُ هذه الأحْرُفَ علَى حِينِ لَمْ يَبْقَ مِنَ العِلْمِ إلاّ رَسْمُه، ومن التَّحقِيقِ إلاّ اسْمُه، مِنْ غَيْرِ كَبِير عُدَّةٍ أعْتَمِدُ عَلَيْهَا، وآرْجِعُ عِنْدَ الْمُعْوِصَاتِ إلَيْهَا، ولا وجودِ مُصَنَّفٍ في هَذَا الفَنِّ أهْتَدِي بِمَنَارِه، وأسْتَضِيءُ بِضَوْءِ نَهَارِه، وإنَّمَا اقْتَدَحْتُ الْفِكْرَ السَّادِرَ، فاقْتَرَحْتُ نوادِرَ، جمعتُها من كلِّ أوْب، وحَدَرْتُها مِن كُلِّ صَوْب. ولا أكادُ مع ذلك أجِدُ مَثَلاً مِنْها مُتَكَلَّمًا عَلَيْهِ، ومُنَبَّهًا فيه على ما يُحْتَاجُ إلَيْه ؛ وإنَّمَا يُذْكَرُ جُلُّهَا مُجَرَّدا، فَألْتَقِطُهُ مُفْرَدا. ثُمَّ أتَحَمَّلُ أعْبَاءَ شَرْحِ ألْفَاظِهِ وَمَعَانِيه، وأتَكَلَّفُ مِنْ دَوَاوِينِ الْعَرَبِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إحْضَارَ شَوَاهِدِهِ وَمَبَانِيه . فَكُنْتُ في ذَلِكَ شِبْهَ الْوَاضِعِ وإنْ سُبِقْتَ، وَالْمُخْتَرِعِ وإنْ نَقَلْتَ. وأضَفْتُ إلى ذَلِك مِنْ نَفَائِسِ النَّوَادِرِ دُرَرًا، ومِنْ نكَتِ الْفَوَائِدِ غُرَرًا. وجَمَعْتُ فِيهِ مِنْ شِعْرِ الأقْدَمِينَ والمُحْدَثِينَ عُيُونا، وقَضَيْتُ مِنْ غَرِيبِهِ دُيُونا، وما ذَكَرْتُ شِعْرًا إلاّ اخْتَرْتُه، ولاَ ألْمَمْتُ بِمَنْزَعٍ إلاّ حَرَّرْتُه، ولا دَفَعْتُ إلَى مُبْهَمٍ إلاّ أوْضَحْتُه، ولاَ افْتَتَحْتُ بَابًا إلاّ أتْمَمْتُه ، مع جُمْلَةٍ وَافِرَةٍ مِن عِلْمِ اللُّغَة، تَكُونُ لِلْمُقْتَصِرِ عَلَيْهِ كِفَايَةً وبُلْغَة، لَوْلاَ أنِّي رُمْتُ بَذْلاً عَلَى تَقْتِير، وإنْبَاضًا بِلاَ تَوْتِير. فَإنْ جَاءَ وفْقَ الْغَرَض، وقَضَى الْحَقَّ الْمُفْتَرَض، فَلِلَّهِ تَعَالَى الْمِنَّة، ومِنْهُ الْحَوْلُ والْمُنَّة ؛ وإنِ اتَّفَقَ خَلَل، وفَرَطَ زَلَل، فَمِنْ نَفْسِي الغيبة، وجهالتي الريبة، وفِطْنَتِي الْخَامِدَة، وقَرِيحَتِي الْجَامِدَة. فإنّ مِثْلِي لَيْسَ يَكُونُ أهْلاً لِلتَّعَلُّمِ فضلاً عنِ التَّعْلِيم :

وَلَكِنَّ البلادَ إذَا اقْشَعَرَّتْ وصَوَّح نَبْتُهَا رُعِيِ الْهَشِيمُ

ولما تمَّ ما أرَدْتُه بِحَمْدِ ذِي الْمَنِّ والْفَضْل، وبَرَزَ مِنَ الْقُوَّةِ إلَى الْفِعْل، سَمَّيْتُه زَهْرَ الأكَم، في الأمْثَالِ والْحِكَم. وَجَعَلْتُهُ سِمْطَيْن :

السِّمْطُ الأوَّلُ فِي الأمْثَالِ ومَا يَلْتَحِقُ بِهَا، وفيه مقدّمة، وخاتمة، وأربعة" وثلاثون بابًا تسعة" وعشرون منها في الأمثال العربية وما يلتحق بها على حروف المعجم، الباب المُوفِي ثَلاثِينَ في الأمْثَالِ التَّرْكِيبِيَّة، الحادي والثلاثون في الأعْيَان، الثَّاني والثَّلاثون في الأمثال القرآنية، الثالث والثلاثون في الأمثال الحديثيَّة، الرابع والثلاثون في التَّشْبِيهات الشعرية .

السِّمْطُ الثَّانِي في الحِكَمِ وما يلتحقُ بها، وفيه اثنان وثلاثون بابًا : تسعة وعشرون في الحِكَم على حروف المعجم ؛ الباب المُوفِي ثلاثين في حِكَمٍ مجموعة، والحادي والثلاثون في النَّوَادِر، الثاني والثلاثون في الأوَّلِيَّات . فكان مجموعُ ذلك ستة" وستين بابًا . واللَّهَ أسْأَلُ أن يجعله عنده دخيرة" وحَسَنَة، وأنْ يَجْعَلَنا مِنَ الذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أحْسَنَه، وأن لا يَجْعَلَنَا مِمَّنْ أدْلَى بِحَبْلِ الغُرُورِ حتّى حَان، وسَقَطَ العَشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَان، وأعُوذُ بِوَجْهِهِ الكَرِيمِ مِمَّنْ إذا رَأى قَبِيحًا فَارَ بَطَرُه، فَشَمِتَ بالمَسَاوِي وأشْمَتَ؛ وإذا رَأى جَمِيلاً ثَارَ حَسَدُه، فَصَمَتَ عَنِ المَحَاسِنِ وأصْمَتَ . وأعوذُ بِهِ مِن إطْرَاءِ المُدَاجِن، ومَغْثِ المُشَاحِن، وأعُوذُ بِهِ ممَّنْ يَتَعَرَّفُ الحَقَّ بِالرِّجَالِ، أوْ يُحَدِّدُ فَضْلَ اللَّهِ بالآجَال، إنَّهُ ولِيُّ ذَلِكَ والقَادِرُ عَلَيْه، وهُوَ حَسْبِي ونِعْمَ الوَكِيل .

السِّمْطُ الأوّل

في الأمثال وما يلتحق بها

الكلام في المقدمات، وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : في معنى الْمَثَلِ وَالْحِكْمَة. أما الأول وهو الْمَثَلُ بفتحتين يَرِدُ على ثلاثة أَضْرُبٍ :

الأوّل : الشَّبَهُ، يقال : « هذا مَثَلُ ذلك » أي شَبَهُهُ ؛ ويقال أيضا : « هو مِثْلُه بكسر فسكون، ومَثِيلُه، كما يقال شَبَه وَشِبْه وَشَبِيه.» فاذا قيل : « هو مُثَيْلُهُ، وهم أُمَيْثَالُهم بالتصغير » فقد أُريد أنَّ الْمُشَبَّه حقير، كما أن هذا حقير. ومن هذا قولهم : مُسْتَرَادٌ لِمِثْلِهِ، أي مِثْلُه يُطلَبُ ويُشَحُّ عليه. ومنه الأمثل من الناس وهو الأفضل ، لأن معناه الأشبه بالأفاضل والأقرب الى الخير، وأماثل القوم خِيَارُهُم. قال تعالى : **إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً. وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى**، أي التي هي أشبه بالحق والفضيلة، وهي تأنيث أمثل ـ وتقول : مَثَّلْتُ الشيء بالشيء اذا شبّهته به تمثيلا وتَمْثَالا بفتح التاء، كالتَّسيار والتَّطواف. وأما التِّمثال بالكسر فالصورة المصوَّرة، جمعُها تماثيل. يقال : مَثَّلَهُ لَهُ أي صَوَّرَهُ له حتى كأنه ينظر إليه. وتَمَثَّل تصور. قال تعالى : **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا.** وتَمَاثَلَ الشَّيْئَان : تَشَابها. ومَثَلُ الشَّيْءِ : مقداره. وقولهم : مَثَلْتُ بفلان مُثْلَةً، ومَثَّلْتُ به تَمْثِيلاً : أيْ نَكَّلْتُ به وأوقعت به عقوبة، من هذا، لأن معناه أنه جعله مِثَالاً يَرْتَدِعُ به الغيرُ.

الضرب الثاني : الصِّفَة. قال تعالى : **مَثَلُ الْجَنَّةِ التِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**، أي صفتها ونحو هذا، وهو كثير في القرآن. وقال تعالى : **لِلَّذِين لا يُومِنُونَ بِالآخِرة مَثَلُ السَوْءِ ولِلَّهِ الْمَثَلُ الأعْلَى**، أي لهم الصفات الذميمة وله الصفات العُلَى. ويقال في هذا المعنى أيضا : مثال.

الضرب الثالث : الْقَوْلُ السَّائِرُ الْمُشَبَّهُ مَضْرِبُهُ بِمَوْرِدِهِ، وعلى هذا الوجه ما ضَرَبَ اللَّهُ تعالى من الأمثال في القرآن. قال تعالى : وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاس الآية. وعلى هذا شاع إطلاق اسم المثل اذا أطلق.

وقال الراغب : المَثَل يقال على وجهين : أحدهما بمعنى المِثْل، نحو شَبَه وشِبْه، ونَقَض ونِقْض، قال بعضهم : وقد يعبَّر بهما عن وصف الشيء، نحو قوله تعالى مَثَلُ الْجَنَّة الآية. والثاني عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني، أيّ معنى كان، وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة. وذلك أن النِّدَّ يقال فيما شاركه في الجوهرية ؛ والشَّكْل يقال فيما شاركه في المساحة ؛ والشِّبْه يقال فيما يشاركه في الكيفية فقط ؛ والمُسَاوِي يقال فيما يشاركه في الكميّة فقط. والمِثْل عامّ في جميع ذلك. ولهذا إنما أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ انتهى.

وقد ذكر غيره أن المماثلة هي المساواة من كل وجه، والمشابهة في أكثر الوجوه. والمناظرة هي المساواة من كل في شيء من الوجوه ولو في واحد، فيكون كل واحد من هذه الألفاظ الثلاثة أعمَّ مما قبله. وكل ذلك مخالف لما في متون اللغة من تفسير المثل بالشبه، والعكس كما أوردناه قبل، ومخالف لظاهر صنيع البلغاء في باب التشبيه، حيث قسموا أوجه الشبه الى ما يرجع الى الشكل، وما يرجع الى المقدار، وما يرجع الى الكيفية، وغير ذلك، وسموا كل ذلك تشبيها وهو من الشبه، والأمر في هذا قريب. اذا عرفت هذا فاعلم أن مقصودنا من المثل بالذات في هذا الكتاب هو ثالث الأقسام السابقة وهو المثل السائر.

وللناس في تعريفه عبارات. فقيل ما مرَّ من أنه القولُ السائرُ الْمُشَبَهُ مَضْرِبُه بِمَوْرِدِه ؛ وقيل هو قول مركب مشهور شُبِّه مَضْرِبُه بِمَوْرِدِه، وهما بمعنى. فقَيْدُ السائر والمشهور يُخرج ما لم يَشْتَهِرْ وَيَسِرْ من الأقوال كلها. وقيل تشبيهُ الْمَضْرِبِ أي المحلّ الذي ضُرِب فيه الآن بالْمَوْرِد أي المحل الذي وَرَدَ فيه أوّلاً يُخْرِجُ ما اشتهر ولم يَقَعْ فيه هذا التشبيهُ ككثير من الحِكَمِ والأوامر والنواهي الشرعية مثلا. وقيل الْمَثَلُ هو الحُجَّة، وهو صحيح لأنه يُحْتَجُّ بِهِ كما سيتبين في فائدته.

وقال المرزوقي : الْمَثَلُ جملةٌ من القول مُقْتَضَبَةٌ من أصْلِها أو مُرْسَلِها بذاتها، تَتَّسِمُ بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه الى كل ما يصح

قصدُه بها من غير تَـغَـيُّرٍ يلحقها في لفظها، وعَـمَّا يُـوجبه الظاهر الى أشباهه من المعاني. ولذلك تضرب وإن جُـهِلت أسبابُها التي خرجت عليها، واستجيز من الحذف ومُـضَـارِع ضرورات الشعر فيها ما يُـسْـتَـجَـازُ في سائر الكلام.

وقال الراغب : الْـمَـثَـلُ عبارةٌ عن قول في شيءٍ يُـشْـبِـهُ قولاً في شيء آخرَ بينهما مشابهةٌ لِـيُـبَـيِّـنَ أحدُهما الآخرَ ويُـصَـوِّرَه، نحو قولهم : « الصَّـيْـفَ ضَـيَّـعْـتِ اللَّبـنَ » فـإنّ هذا القول يشبه قولك :« أهْـمَـلْـتَ وقتَ الامْـكَـانِ أمْـرَك.»

قلت : وتلخيص القول في هذا المقام أن المَـثَـلَ هو قولٌ يَـرِدُ أوّلاً لسبب خاص، ثم يتعداه الى أشباهه فيُـسْـتَـعْـمَـلُ فيها شائعا ذائعا على وجه تشبيهها بالْـمَـوْرِد الأول ؛ غير أن الاستعمال على وجهين :

أحدهما أن يكون على وجه التشبيه الصريح، سواء صُرِّحَ بالأداة كقولهم :« كَـمُـجِـير أمّ عامر.» وقولهم :« كالْـحَـادِي ولَـيْـسَ لَـهُ بَـعِـير.» أوْ لَـمْ يُـصَـرَّحْ كقولهم : « تَـرَكْـتُـه تَـرْكَ الصَّـبِـيِّ ظِـلَّه.» وهو كثير.

الثاني ان لا يكون على وجه التشبيه الصريح كقولهم : « الصَّـيْـفَ ضَـيَّـعتِ اللَّبـنَ.» ؛ وقولهم :« هَـانَ عَـلَـى الأمْـلَـسَ مَـالاَقَـى الدَّبِـر » ونحو ذلك، وهو أكثر من الأول.

أما الوجه الأول فهو تشبيه من التشبيهات، إلا أنه سَـارَ وذَاعَ في بابه فَـعُـدَّ مثلا سائرًا لِـمَـا عَـرَفْـتَ من أن التشبيه كلَّه تمثيل. ومِـنْ ثَـمَّ تجد قدماء اللغويين وأهل العربية يطلقون الْـمَـثَـلَ على الْـمَـجَـاز[1]، ويقيدون ما كان سائرًا منه بالمثل السائر أو بأنه من أمثال العرب ليفهم ذلك.

وأما الوجه الثاني فهو في مَـوْرِدِه لا تَـشْـبِـيهَ فيه، ولكن يُـستعمل في مَـضَـارِبِـه على وجه تشبيهها بالْـمَـوْرِد من غير تصريح (بالتشبيه)[2]، بل على أن يستعار اللفظ المستعمل في المورد الأول للشيء الشبيه بذلك. فقول القائل أوّلاً للمرأة التي طلَّقها : « الصيفَ ضيعتِ اللَّبن » لا يريد تشبيها أصلاً ؛ وإنما أراد أنّـك فَـرَّطْـتِ في اللبن

---

1) في جـ المجاوزة وصحح في طرته : مجاز.
2) سقط من جـ

وتسببت في ضياعه عند زمن الصيف، إذ كنت تطلبين فراقي. ثم إنك أنت اليوم إذا رأيت أحداً فرط في حاجة زمن إمكانها، ثم جعل يطلبها وقد أدبرت، ساغ لك أن تشبه هيئته بهيئة مَن ترك اللبن أو محله في وقت، ثم جعل يطلبه في وقت آخر، فتقول له لأجل هذه المشابهة : « الصَّيْفَ ضَيَّعْتَ اللَّبَنَ.» أي حالتُك هذه حالةُ التي قيل لها : « الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ » ولأجل هذا المعنى وهذا التقدير، تَنْقُلُ لفظ الْمَثَلِ كما قيل أولاً من غير تغيير، حتى إنك في هذا المثل بعينه تكسر التاء في ضيعت وان كنت تخاطب ذكرا. وهكذا سائر الأمثال، وهذا يُسمى عند الأدباء استعارة تمثيليّة، ويُسمى التمثيل على سبيل الاستعارة، وهي أحد قسمي الاستعارة التصريحية التي هي أن تُشَبِّه شيئًا بشيء، ثم تنقلَ لفظَ المشبَّهِ بِهِ [3] وتطلقه على المشبه لأجل هذا التشبيه إطلاقًا كانه وضع له من غير تصريح بالتشبيه ولا بالمشبّه به على وجه يشعر بالتشبيه ؛ غير أن لفظ المشبه به قد يكون مفردا كلفظ الأسد الذي تنقله من السبع الموضوع هو له أولاً الى الرجل الشبيه به في الجرأة. وقد يكون مركبا كلفظ « الصيف ضيعت اللبن » الذي تنقله من هيئة من ضيّع اللبن الى هيئة من ضيّع حاجةً من الحوائج. وهي الاستعارة في التركيب والتمثيلُ على سبيل الاستعارة. والأمثال الداخلة في الوجه الثاني كلها من هذا النمط. وقد سمعت تقرير ذلك وعرفت وجه عدم تغييرها، اذ كما ان المفرد اذا نُقل على وجه الاستعارة لا سبيل الى تغييره، كذلك المركب.

فان قيل : فقد ظهر في الوجه الثاني ان للمثل موردا ومضربًا، وان الثاني يُشَبَّهُ بالأول [4] ؛ وأما في الوجه الأول فانما ذلك مجرد تشبيه سائر يشترك فيه الناس كلهم، فَأنَّى يكون به مورد خاص ؟ وفي معناه [نحو][5] قولهم :« أعَزُّ مِن مُخِّ الْبَعُوض »، و « أكْفَرُ مِنْ حِمَار »، ونحو ذلك وهو كثير، فكيف يُعْقَلُ في هذا كله ما ذكر في تعريف المثل من تشبيه المضرب بالمورد حتى يشمله التعريف ؟

قلنا : لا يلزم من كونه تشبيها أن لا يسبق إليه ناطق (ينطق به أولاً في شيء من

---

3) في ج زيادة ولا المشبه، وهو تحريف.
4) في ج سقطت الباء : يشبه الأول.
5) زيادة في ج

الأشياء، بل لا مرية في أنه لا بد أن يتقدم إليه أحد) [6] ينطق به بادىء بدء كما تقول : ان قولهم كَحَاطِبِ لَيْلٍ أولُ من قاله أكْثَمُ بْنُ صَيْفِي، وقولهم : أمْنَعُ مِنْ عُقَابِ الْجَوِّ أول من قاله عَدِيُّ بنُ نَصْرٍ اللَّخْمِيّ في الزَّبَّاء.» وهكذا غيرهما، سواء علمنا نحن ذلك أم لا، لأن هذا شأن الوجه الثاني أيضا. فاذا قاله الأول في شيء كان ذلك (مَوْرِدَه فتُشَبَّهُ به مَضاربُه، ولا فرق إلاّ في أن) [7] التشبيه في هذا صريح دون القسم الثاني. **وهاهنا نظر في أمرين :**

أحدهما أنا قد بينا في الوجه الثاني، وهو التمثيل على سبيل الاستعارة أن التشبيه فيه وقع بين هيئتين، وعلى ذلك قررها علماء البيان. ونحن ها هنا [8] اذا قلنا مثلا فيمن أحسن الى من لا يَشْكُرُ أو يَضُرُّ : هو كَمُجْبِرِ أمِّ عَامِرٍ، فظاهر اللفظ أنه تشبيه هذا الشخص بذلك الشخص، لا الصورة بالصورة، وإن كان يصحُّ أن يقال : المراد أن حالة هذا الشخص كحالة المجير على تقدير المضاف ؛ لكنا في غنى عن هذا التقدير.

الثاني : ان المُشَبَّه به هنا مثلاً أو بِحَالَتِهِ هو مُجِير أمِّ عامر حقيقةً أعني الشخص الذي أجارها فَبَقَرَتْ بَطْنَه وهو عنصر المَثَلِ ومادَّتُه. لكنّ لفظ المثل انما وقع بعد ذلك بأن رُئِيَ شخصٌ شبيهٌ به فقيل : هو كَمُجِيرِ أمِّ عَامِرٍ، ثُمّ سَارَ وشَاع. فإن جَعَلْنا الذي صدرَ فِيهِ هذا التشبيهُ أوّلَ صُدُورِهِ مَوْرِداً، فليس هو الذي تُشبَّه سائرُ المَضَارِبِ بِهِ، بَلْ هَذا المَوْرِدُ بِعَيْنِهِ وكلُّ مَا بَعْدَه مُشَبَّهاتٌ بِالْمُجِيرِ الحَقِيقِي. وان جعلنا المورد هو العنصر الأول، فهو لم يقع عليه لفظ المثل حتى يُنْقَلَ منه الى شيء آخر ويقالَ إنه شُبِّه بما ورد فيه أولاً، وانما وقع بعده. على أن لِقائل أن يقول أيضا : يصح أن يكون الناس في هذا مثلا سمعوا حديث مجير أم عامر، فجعلوا يُشَبِّهُون كلَّهم. فمن الجائز أن يَرَى ذلك جماعةٌ أو يسمعوه، ثم يُشَبِّهَ كلُّ واحد على حِدَةٍ من غير أن يكون لذلك سابقٌ مخصوصٌ يُتَّبَعُ ويُجْعَلُ مكانُ تَشْبِيهِهِ مَوْرِداً. وهكذا كلّ ما يُشْبِهُ هذا المَثَلَ. فقد علِمْتَ بهذا أنَّ هذا الوَجْهَ مُخَالِفٌ للوجه [الثاني][9]، وأنَّ في التعاريف السابقة ما فيها إلا

---

6) ما بين قوسين سقط من ب.
7) ما بين قوسين سقط من ب
8) في ج زيادة : (لم يقع اللفظ) ولا معنى لها.
9) سقط من ج.

على تسامح أو على أنها دائرة على الوجه الثاني فقط دون الأول، وهو بَعِيدٌ إلاّ أن يَكُونَ ثَمَّ اصطلاحٌ.

وأعلم ان المثل بهذا المعنى الثالث ما خوذٌ من المعنى الأول وهو الشبه، لأنه تمثيل، إلا أنه سائر. وقيل من المثال وهو المقدار كما سبق، لأنه يجعل مقياسا لغيره. وهو راجع الى ذلك أيضا. وقيل انما سمي مثلاً لانه مَاثِلٌ لخاطر الانسان أبدًا يَتَأَسَّى به ويعظ ويأمر ويزجر. والماثل : الشاخص المنتصب من قولهم : طَلَلٌ مَاثِلٌ، أي شاخص. وقد يقال : رسْمٌ مَاثِلٌ أي دارس، وهو من الأضداد. اذا عرفت هذا كله وعرفت معنى استعمال لفظ المَثَل في المَضْرِبِ تشبيهًا بِالمَوْرِد، فاعلم أن ذلك هو معنى ضَرْبِ المثل. يقال : ضرب الشيءَ مثلاً، وضَرَبَ بِهِ، وتَمَثَّلَه، وتَمَثَّلَ بِهِ ؛ وهو معنى قول بعضهم : ضَرْبُ المَثَلِ اعْتِبارُ الشيءِ بغيره وتَمْثِيلُه به. وفسَّر المفسرون ضَرْبَ المَثَلِ الواقعَ في قوله تعالى : **إنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِى أنْ يَضْرِبَ مَثَلاً** الآية، وقوله : **وتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا للنّاس** الآية، بالتَّبْيين والجَعْل والوصف.

وفي **الكشّاف** : ضَرْبُ المِثَالِ : اعتمادُه وصُنْعُه.

وقال الراغب : الضَّرْبُ : إيقاعُ شيءٍ على شيء. وبِتصَوُّرِ اختلافِ الضَّرْبِ خُولف بين تفاسيرها، كضَرْبِ الشيءِ باليد والعصا والسيف ونحوها، وضَرْبِ الأرضِ بِالمَطَر، وضربِ الدِّرهمِ اعتبارًا بضربِه بالمِطْرَقَة، وقيل له الطبعُ اعتبارًا بتأثير السكة فيه. وبذلك شبه السَّجِيَّة فقيل لها الضريبةُ والطبيعةُ، والضَّرْبُ في الأرض الذهابُ فيها وهو ضربُها بالأرْجُل، وضَرَبَ الفَحْلُ النَّاقَةَ تشبيهًا بالضرب بالمطرقة، كقولك : طَرَقَها تشبيهًا بالطَّرْقِ بالمطرقة، وضَرَبَ الخَيْمَةَ لِضَرْبِ أوْتَادِها بالمِطرقة. وتشبيهًا بضرب الخيمة قال تعالى : **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ**، أي الْتَحَفَتْهُمُ الذِّلَّةُ التِحافَ الخَيْمَةِ بِمَنْ ضُرِبَتْ عليه. ومنه اسْتُعِير **فَضَرَبْنَا عَلَى آذانِهم في الْكَهْفِ**، وضَرْبُ اللَّبَنِ بعضِه ببعض بالخَلْط، وضَرْبُ المَثَلِ مِنْ ضَرْبِ الدِّراهم وهو ذِكْرُ شيءٍ أثَرُهُ يَظْهَرُ في غيره. قال الله تعالى : **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكًا** انتهى [10].

---

10) تصرف اليوسي بالحذف في هذا النص الذي نقله من كتاب **المفردات في غريب القرآن** للراغب الاصفهاني. انظر النص بتمامه في كتاب المفردات ، ص. 294 ـ 295.

وقيل : ضَرْبُ المَثَلِ ماخوذٌ من الضَّرِيب أي المثيل [له]. تقول : هو ضَرِيبُه، وهما من ضَرْبٍ واحد، لأنه يُجْعَلُ لِلْأوّل مَثَلٌ. وقيل : مِنْ ضَرْبِ الطينِ على الجدار، وقيل : من ضرب الخاتم ونحوه، لأن التطبيق واقع بين المَثَلِ وَمَضْرِبِهِ كما في الخاتم على الطابع.

وأما الأمر الثاني وهو الْحِكْمَةُ، فللناس في معناها أقوالٌ عدة. واعلم أولاً أن الحكمة هي فِعْلَة من الحُكْم أو الاحْكَام. أما الحكم فيرد بمعنيين : أحدهما القضاء ؛ يقال : حَكَمَ الشَّارِعُ أو القاضي بكذا حُكمًا بضم فسكون ؛ الثاني العِلْم ؛ يقال : حكم حكما وحكمة. وأما الاحكام فيكون أيضا بمعنيين : أحدُهما الاتقان ؛ يقال : أحكم فلانٌ كذا إحكامًا إذا أتْقَنَه ؛ الثاني المنع ؛ يقال : أحكمتُ السفيهَ وحَكَمْتُه أيضًا أي منعته وأخذت على يده. قال جرير :

أبَنِي حَنِيفَةَ أحْكِمُوا سُفَهَاءَكُم
إنِّي أخَافُ عَلَيْكُمُ أنْ أغْضَبَا

وأحْكَمْتُ الفَرَسَ وحَكَمْتُه جعلت له حَكَمَةً. والحَكَمة بفتحتين ما أحاط بِحَنَكَي الْفَرَس وعلى أنفِه من اللجام. وفيها العذاران. قال زهير :

القائد الخَيْلِ مَنْكوبًا دَوَابِرُها[11]
قَدْ أحْكِمَتْ حَكَمَاتِ القِدِّ والأبَقَا

والقَدُّ الْجِلْدُ، والأبَقُ شِبْهُ الْكَتَّانِ. ويقال : هو القَنَّبُ وكانت تُصْنَعُ منه الْحَكَمَاتُ عند العرب، لأن غرضهم الشِّدَّةُ والشجاعة لا الزينة. إذاعرفت هذا فقيل : الحِكمة هي العمل، وقيل : الاتقان، وقيل : العدل، والحِلْم، والنبوءة، والقرآن، والانجيل. وقيل : كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح. قال عياض في قوله صلى الله عليه وسلم : **الْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**، الحكمة عند العرب كل ما مَنَعَ من الجهل، وبذلك سُمِّيَ الحاكمُ لمنعهِ الظالمَ. ومنه في الحديث : إنَّ مِنَ **الشِّعْرِ**

1/1) في النسختين معا : دوائرها. والتصحيح من ديوان زهير بشرح ثعلب. والدوابر : مآخير الحوافر، يريد أن حوافرها تآكلت من كثرة السير.

لحكمة، أي ما يمنع من الجهل وينفع وينهى عنه. والحكم والحكمة بمعنى واحد. وقد قيل ذلك في قوله : وآتَيْنَاه الْحُكْمَ صَبِيًّا. وقيل : حِكْمَةً أي عدلا يدعو الى الخير والرشد ومحامد الأخلاق. وقيل الحكمة إصابة القول من غير نبوءة. وقيل ذلك في قوله : اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ. وقيل : الحكمة العلم بالدين. وقيل : العلم بالقرآن وقيل : الفقه. وقيل : الخشية. وقيل : الفهم عن الله في أمره ونهيه. وهذا كله يصح في معنى قوله : الحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ وقوله : عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ لا سيما مع قوله : الفقه يمان. وقد قيل : الحكمة النبوءة. وقيل هذا في قوله : يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاء انتهى.

وقال ابن عطية : اختلف الناس في الحكمة في هذه الآية، فقال ابن عباس : المعرفة بالقرآن فقهه وناسخه ومنسوخه ومُحْكَمِه ومُتَشَابِهِه وغَرِيبِه. وقال قتادة : الحكمة الفقه في القرآن. وقال مجاهد : الحكمة الاصابة في القول والفعل. وقال ابن زيد، وأبوه زيد ابن أسلم : الحكمة العقل في الدين. وقال مالك : الحكمة المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له. وروى عنه ابن القاسم أنه قال : الحكمة التفكر في أمرالله والاتباع له. وقال أيضا : الحكمة العقل في الدين والعمل. وقال الربيع : الحكمة الخشية. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ خَشْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى » وقال ابراهيم : الحكمة الفهم. وقال الحسن : هي الورع. انتهى. وقال النووي : الحكمة فيها أقوال كثيرة مضطربة، اقتصر كل من قائليها على مقتضى صفة الحكمة. وقد صفا لنا منها أنها عبارة عن العمل المتصف بالإحكام، المشتمل على المعرفة بالله تعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به، [12] والصد عن اتباع الهوى والباطل ؛ والحكيمُ من له ذلك. وقد تطلق الحكمة على القرآن، وهو مشتمل على ذلك. وقد يطلق على العلم فقط، وعلى المعرفة فقط، ونحو ذلك. انتهى. وقال بعضهم : أصح ما قيل في الحكمة أنها وضع الشيء في محله، أو الفهم في كتاب الله. انتهى. وردَّ الغزالي الحكمة الى العقل. قال في كتاب تهذيب النفس من **الاحياء** أمهات الاخلاق وأصولها أربعة : الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل قال : ونعني بالحكمة حالا للنفس بها تدرك الصواب من الخطإ في جميع الأفعال الاختيارية. **وقال الراغب : الحكمة إصابة الحق** بالقول والفعل. فالحكمة من الله تعالى

12) في ب : والعلم به.

معرفة الأشياء، وإيجادها على غاية الاحكام ؛ ومن الانسان معرفة الموجودات، وفعل الخيرات. وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله **ولَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**، ونبه على جملتها بما وصفه بها. فإذا قيل في الله هو حكيم، فمعناه بخلاف معناه اذا وصف به. ومن هذا الوجه قال : **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**. واذا وُصِف به القرآن، فَلِتضمنه معنى الحكمة، نحو : **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**. وقيل : الحكيم المُحْكَم، نحو **أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**. وكلاهما صحيح، فانه مُحْكَمٌ ومفيد لِلْحكم، ففيه المعنيان.انتهى.

والعبارات عنها كثيرة، ولا حاجة الى التطويل بها، فان مرجعها شيء واحد ؛ وإنما سبب الاختلاف كثرة اللوازم والخواص، فعبّر كل عنها بما حضره من خواصها. نعم، ربما يظهر من بعض العبارات السوابق ان الاختلاف حقيقي كالقول بأنها إصابة القول من غير نبوءة، مع القول بأنها النبوءة، ونحوه. لكن جلّ ما تقدم حائم على الاصابة في الأقوال والأفعال والفهوم. وفعلها حَكُمَ بالضم ؛ يقال : حَكُمَ الرجل كشَرُفَ، فهو حكيم قال النَّمِرُ بْنُ تَوْلَب :

وأبْغِضْ بَغِيضَكَ بُغْضًا رُوَيْدًا إذا أنْتَ حَاوَلْتَ أنْ تَحْكُمَا[13]

أي أن تكون حكيما. وقال النابغة :

أحكُمْ كحُكمِ فَتاةِ الحيِّ إذْ نَظَرَتْ إلَى حَمَامِ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ

يقول : أصِبْ في أمري ولا تخطىء كإصابة الزرقاء في عَدِّ الحمام، ولا تَقْبَلْ قَولَ مَنْ يسعى إليك في. وقيل : أراد الحكم بمعنى القضاء. وفعله بالفتح كما مرَّ. والحكم أعمّ من الحكمة، كما قال الراغب : فكل حكمة حكم، وليس كل حكم حكمة. **قلت** : وهو صحيح في الحكمة الخبرية. وقد علمت أن الحكمة تكون في الأعمال والأخلاق أيضا كما سنبينه. فبهذا تكون أخص من وجه لا مطلقا. وتقدمت الاشارة الى الخلاف في اشتقاق الحكمة أيضا فقيل : من الاحْكَام وهو الاتقان ؛ وقيل : من المنع كمامر أخذًا من حَكَمَة اللجام. وتقدَّم اللفظان معا وهو فائدة تقديمنا لشرح المادة. والكل محتمل، والأقرب المنع.

---

13) النمر بن تولب صحابي مخضرم. وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

سَلاَ عَنْ تَذَكُّرِهِ تُكْتَمَا وكَانَ رَهِينًا بِهَا مُغْرَمَا

وتُكْتَم : اسم محبوبته. وقبل البيت الذي استشهد به اليوسي :

وأحْبِبْ حَبِيبَكَ حُبًّا رُوَيْدًا فَلَيْسَ يَعُودُكَ أن تَصْرِمَا

ولا يبعد ان يكون الاحكام الذي هو الاتقان من المنع أيضا، كأن المُحْكَمَ قد مُنع من الاختلال والفساد، وأبْعِدَ عن مظانّ العيب والاعتراض. وتقدم أن الـحُكْم الذي هو القضاء هو أيضا منعٌ للظالم، فصارت المادة كلها من المنع، والله أعلم. فإذا تتبّعنا متفرقات المعاني المقولة في الحكمة على مامرَّ وجمعناها، تلخّص من ذلك أنها تتعلق بالقلوب وبالجوارح من الأيدي والألسنة. أما في القلوب، فعلى معنى الاصابة في اعتقاداتها وتصورها للأشياء وفي أخلاقها من الحلم، والعفو، والعفّة، والعدل، ونحو ذلك. وأما في الأيدي فعلى معنى الاصابة في أفعالها وإتقان صنائعها ؛ وكذا غيرها من الأعضاء بالجري على السنن في أفعالها، وكذا القصود. وأما في الألسنة فعلى معنى الاصابة في التعبير عن المعاني بإصابة المحز وتطبيق المفصل. غير أنا نقول : لابد في هذا كله عند إطلاق لفظ الحكمة ولفظ الحكيم عند أهل كل عرف من اعتبار دقة في ذلك، ولطافة، ونوع غرابة، وعظم فائدة، باعتبار أهل ذلك العرف، حتى يكون المعنى بالاصابة المذكورة إصابة خاصة لا مطلق الاصابة، للقطع بأنا لا نسمي اليوم من قال الله واحد ومحمد رسوله صلى الله عليه وسلم حكيما وان كان في غاية الاصابة ؛ ولا من بنى بناء معتادا، أوصاغ صياغة معتادة. وقد نبه على هذا المعنى بعضهم في قوله صلى الله عليه وسلم الكَلِمَةُ الحِكمَةُ ضالَّةُ المومِنِ. فقال : المراد بالكلمة الجملة المفيدة، والحكمة التي أحكمت مبانيها بالعلم والعقل، وتدل على معنى فيه دقة. انتهى. ولأجل هذا يقال : أنزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء في الجسد : قلوب اليونان، وألسنة العرب، وأيدي أهل الصين. وما ذلك الا لاختصاص اليونان بمزية التبحر في علم الأشياء ومعرفة القوانين واتقان البراهين، واختصاص أهل الصين بمزية عمل الصنائع العجيبة وإتقان الأعمال الغريبة ؛ واختصاص العرب بمزية إبانة المعاني العجيبة، والأمثال والمواعظ المفيدة، في أشعارها وخطبها. ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً. ودخل العجاج على عبد الملك بن مروان فقال : ياعجاج، بلغني أنك لا تقدر على الهجاء. فقال : يا أمير المؤمنين، من قدر على تشييد الأبنية أمكنه خراب الأخبية. قال : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عِزّا يمنعنا من أن نُظْلَم، وإن لنا حِلْمًا يمنعنا من أن نَظْلِم، فَعَلاَمَ الْهِجَاءُ ؟ فقال عبد الملك :

لَكَلِمَاتُكَ أشعرُ من شعرك ؛ فأنَّى لك عزّ يمنعك من أن تُظْلَم ؟ قال : الأدب البارع، والفهم الناصع. قال : فما الحلم الذي يمنعك من أن تَظْلِم ؟ قال : الأدب المستطرف، والطبع التالد. قال : ياعجاج، لقد أصبحت حكيما. قال : وما يمنعني وأنا نجيّ أمير المؤمنين ؟. انتهى.

وستسمع إن شاء الله من كلام حكماء العرب ما تقضي منه الأرب. والكلام المذكور هو أيضا مصداق ما مرَّ من تعلق الحكمة بالقلوب والألسنة وسائر الجوارح، والله الموفق.

وقد اتضح من هذا الفرق بين المَثَل والحِكْمة، وذلك فيما يحضر فكري الآن من ثلاثة أمور : أحدها أن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال، والمثل خاص بالأقوال. ثانيها أن المثل وقع فيه التشبيه كما مرَّ، دون الحكمة. ثالثها أن المقصود من المثل الاحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والاعلام والوعظ. ويرد على الأول أنه فرق بحسب أعمّيَّة المورد، ولا مساس له بالحقيقة. فلم يفد الا أن الحكمة الفعلية تُباين المثل ولا نزاع فيه، وليس بمفيد في الأقوال اذا تنوزع فيها أن شيئا منها حكمة أو مثل. على أنه قد يكون التمثيل بالفعل أيضا كتصوير شكل المثلث لمن لا يعرفه. ومن ثم يعد من جملة الرسوم المعرفات للأشياء التعريف بالمثال. ويرد على الثاني أنه ان عُنِي تشبيه المَضْرِبِ بِالمَوْرِد حقيقة، فقد مرَّ أن نوعا كبيرا من الأمثال لا يجري فيه ذلك على ما ينبغي ؛ وإن عُنِي مطلق التشبيه، فهو واقع في الحكم كثيرا، كقولهم : مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ كان كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاء. على أنه قد عدّ من الأمثال مالا تشبيه فيه أصلا بوجه كقولهم : مَنْ قَرَعَ الْبَابَ وَلَجَّ وَلَجَ. وقولهم : « الرَّباح مَعَ السَّمَاح » ونحو ذلك. ويرد على الثالث أن الاحتجاج صحيح في الحكم أيضا، بل جلّها قضايا كلّيات وقوانينُ تُورَدُ بحيث تصلح في كل أمر أن تكون حجة فيه محذوفا إحدى مُقَدَّمَتَيْها. فاذا قلنا : مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ. أمكن أن نقول : إن فلانا فسدت بطانته، وهو المقدمة الباقية، فيعلم أن فلانا هو كمن غص بالماء. وهذا الاستدلال هو الكاشف عن الصواب والخطأ في الأنظار والعلوم، وهو معنى الحكمة بالحقيقة ؛ وانما قلنا جل الحكم قضايا، لأن ذلك هو

الصريح، وقد يكون منها غير ذلك، كالأوامر والنواهي ؛ لكنها تتخذ قضايا بحسب اللزوم. فالحِكَم كلها تصلح للاحتجاج، وهي بصدده كالأمثال ؛ على أن الأمثال ليست كلها بصدد الاحتجاج، بل هي بالاصالة للتصوير ؛ وانما تصلح للاحتجاج عندما يراد بها التصديق من مدح، أو ذمّ، أو تزيين، أو تشويه، أو إظهار رغبة في شيء، أو عدم مبالاة، أو نحو ذلك على ما ستقف عليه قريبا إن شاء الله.

ويجاب عنها، أما أولا فبأن القصد الفرقُ بين المثل والحكمة مطلقا أعمّ من الموردي والحقيقي، وهذا كاف في الأول وليس مقتصرا عليه حتى يعدّ قاصرا. وأما ثانيا فبأنا نعني تشبيها خاصا لا مطلقا، أما في الوجه الثاني من الأمثال فهو تشبيه الْمَضْرِبِ بِالْمَوْرِدِ كما مرّ. وأما في الأول فلا يخفى ان لم يكن فيها ذلك على وجهه أن فيها تشبيها بعنصر خاص معين هو سبب جريان ذلك الكلام ووقوع ذلك التشبيه على ما تقدم توضيحه، وليس ذلك بمنظور في الحكم. وأما ثالثا فبأن الاحتجاج في المثل واقع بالفعل حيثما أطلق على سبيل الخصوص، والحكمة انما تراد عامّة على وجه الصلاح للاحتجاج بها في الخصوصيات لا على الفعل، فالاحتجاج خلاف الاحتجاج. نعم، يبقى من الامثال ما لم يقَع فيه تشبيه لا صريحا ولا مقدرا. والحق أن من الأمثال مالا يشتبه بالحكمة في وِرْدٍ ولاَ صَدَرٍ، نحو : الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ، ومن الحكم مالا يشتبه بالمثل ككثير من الحكم الانشائية، ويبقى وراء ذلك وسط يتجاول فيه الفريقان كالمثُل السابقة. فإن كثيرا منها قد يعدّ مثلا تارة، وحكمة تارة، ولا فرق فيما يظهر الا بالحيثية، وهي أنها إن سيقت مُلاَحَظًا فيها التشبيهُ فمثل ؛ وإن سيقت مُلاحَظًا فيه التنبيه أو الوعظ أو إثبات قانون أو فائدة ينتفع بها الناس في معاشهم أو معادهم فحكمة. وهذا معروف بالاستقراء، وشاهده الذوق بعد معرفة أن مرجع الحكمة الاصابة، ومرجع المثل التشبيه كما مرّ، حتى إن من يضرب للناس أمثالا غريبة ينتفعون بها يصح أن يقال إنه حكيم لأنه مصيب في ذلك المثل الذي ضربه، وهكذا يقال في التمثيل الفعلي السابق. فإن من صوّر صورة المسدس مثلا عدّ منه ذلك تمثيلا من حيث التشبيه، وحكمة من حيث الاصابة والاتقان، ولا تَنَافِي بين الغرضَيْن. ومن وسع نطاق هذا الاعتبار أمكنه في كل مثل وحكمة هذا المقدار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

أما الأول وهو المثل، فلا يخفى على ذي مَيْزٍ ولا يشتبه على ذي لُبّ ما جعل الله تعالى فيه من الحكمة، وأودع فيه من الفائدة، وناط به من الحاجة ؛ فإن ضَرْبَ المَثَلِ يُوَضِّح المُنْتَبَهم، ويفتح المُنْغَلِق، وبه يُصَوَّرُ المَعْنَى في الذهن، ويُكْشَفُ المُعَمَّى عند اللبس، وبه يقع الأمر في النفس حُسْنَ مَوْقِع، وتَقْبَلُه فَضْلَ قَبُول، وتطمئنُّ به اطمئنانًا، وبه يقعُ إقْنَاعُ الخصم وقطعُ تَشَوُّفِ المُعْتَرِض. وهذا كله معروف بالضرورة، شائع في الخاص والعام، ومتداول في العلوم كلها منقولِها ومعقولِها، وفي المحاورات والمخاطبات، حتى شاع من كلام [عامة][1] المتعلمين والمعلمين قولُهم : **بِأَمْثَالِهَا تُعْرَفُ** أو **تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاء**[2]. **وسرُّ ذلك ان المثل يُصَوِّرُ المعقولَ بصورة المحسوس، وقد يُصَوِّرُ المعدومَ بصورة الموجود، والغائبَ بصورة المشاهَدِ الحاضِرِ، فيستعين العقل على إدراك ذلك بالحواس، فيتقوَّى الادراكُ ويَتَّضِحُ المُدْرَكُ. وتحقيق ذلك أن العقول، وإن كانت تدرك المعلومات، لكنها غير مستقلة بنفسها غالبا في إدراك جميعِها ولاجُلِّها استقلالا صرفا لا سيّما القاصرة. وذلك أن العقول إنما تستقلّ بإدراك أوائل الضروريّات التي توجد في غرائزها ولا تدري لها سببًا غير اختراع الفاعل المختار. وما سوى ذلك فالعقول فيها إما مفتقرة" الى الحواس، كالمعلومات التجريبية التي موادها محسوسة باحدى الحواس ؛ وإما مستعينة بها ضربًا من الاستعانة على طريق التمْثيل والتقرير ونحوه. وذلك في غير ذلك. وقد ذهب قوم من الأوائل الى حصر العلوم في المحسوسات، وعَكَسَ آخرون، ونحن لا نقول شيئا من ذلك، وليس هذا محل تقرير المقالتَيْن ولا ردّهما، ولكنا نشير الى ما نحن بصدده نوع إشارة فنقول :**

إن الادراك، سواء قلنا انه يكون بالعقل وبالحواس الخمس معا، أو قلنا انه بالعقل فقط

---

1) سقطت كلمة (عامة) من ب.
2) من الشائع أيضا قولهم : بالمثال، يَتَّضِحُ المَقَال.

بواسطة الحواس، لا يخفى أنّ ما كان من قبل الحواس الخمس هو أظهر وأسهل، ولذا شاركت فيه الحيواناتُ العُجْمُ الانسان، وأنّ ما لم يكن من ذلك بنوع تعلق اصلا أخفى وأصعب وأسرف،وبمزية الاختصاص به كان الانسان أشرف. فكل ما يدركه بحسب العادة الجارية استقراءً، إما شيء وصل اليه من طرق الحواس، فيقع له فيه بعد تَأدٍّيه إليه منها نوعٌ من التصور ونوع من التصرف بالتحليل والتركيب ؛ وإما شيءٌ لم يَتَأدَّ اليه بالحواس، وهو إما شيء يجِده عند نفسه أولا كعلمه بأن الموجود لا يكون معدومًا، وأن الشيء الواحد لا يكون زمانا واحدا في مكانَيْن، ونحو ذلك ؛ وإما شيء يجد نظيره عنده بنوع من التشابه، أو يتأدى اليه نظيره من الحواس، كعلمنا بأن لله علمًا وقدرة وحلما وغضبا، لما علمنا في أنفسنا من علم وحلم وغضب، وان كان الحادث خلاف القديم، لكن بينهما ضرب من التشابه ؛ ولولا ما علمناه بالوجدان من ذلك ما قدرنا أن نثبت نظيره في جانب الباري، كما قال تعالى : وفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُون. وقال صلى الله عليه وصلم : مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّه. الاّ أن يخرق الله تعالى العادة في العقل فانه مستعد لكل معلوم، وهكذا سائر الصفات. وكإدراكنا بَحْرًا من زِئْبِق، وجبلاً من ياقوت، فانه لم يتأدّ الى العقل قط من الحواس لعدم وجوده ولا وجود نظيره عنده كالأول ؛ ولكن تأدى اليه نظيره من الحواس، وذلك أنه تأدى إليه البحار من الماء والجبال من الأرض ؛ وهو يعلم أن بحر الماء مثلا متركب من القطرات المائية ؛ فإذا أدرك قطرات الزئبق بمشاهدة الحواس جَوَّزَ أن تتركب وتجتمع اجتماع قطرات الماء، وتَصَوَّر من ذلك بحرًا ؛ وكذا في أحجار الياقوت التي يراها، وما تُصَوِّرُه القوة الوهمية من أشياء لا حقيقة لها إنما ذلك من هذا القبيل، فإنها تستند الى الحواس فَتُصَوِّرُ أشياء على سبيل ما تَأدَّى إليها منها، الا أنها تُحِيلُ ذلك حيثُ لا مَحَلّ، كما تُصَوِّرُ للغول أنيابا وأظفارا. فقد علم ان العقل غير واصل في العادة الى غائبٍ صِرْفٍ من الأمور النظرية ؛ وإنما مَرْجِعُ إدراكه المحسوسُ هو أو نظيرُه بالحس الظاهر أو الباطن أو ما مادَّتُه ذلك. وكثيرًا ما يقع له الغلط في البابين لاشتباه الوهم أو لاشتباه الحس حتى فَرَّ الفَارُّونَ الى حصر العلوم في المحسوسات حذارا من الوهم والالتباس الواقع بسببه، وفرّ الآخرون الى حصرها في المعقولات حِذَارًا من اشتباه الحس،

وهما النوعان المذكوران آنفا، وقد بيّن ذلك في محله. والحق حصول العلم من الجانبين، إلا أن الانسان في مبدإ فطرته ليس عنده غالبا إلا العقل الْهَيُولاَئِيّ الغريزي، وهو في إدراكاته الفعلية شبيه بالبهيمة من حيث إنه إنما يدرك غالبا الأمور المحسوسة، فلا يزال يربو عقله وينمو إدراكه، وكلما ازداد العقل نموا ازدادت النفس من أَلْفة[3] المحسوسات والاستئناس بها والركون اليها أزيد من ذلك وأكثر، كأنها هي السابقة وهي أظهر. فاذا كمل إدراكه شيئًا مّا بحيث أدرك الضروريات واستعدّ للنظريات وصار له عقل بالملكة، كانت النفس إذ ذاك محيطة بمعظم المحسوسات، قوية الاستئناس بها، متمكنة من الألفة بها. فان كان صاحبها [مع] ذلك من العوام التاركين للعلوم والمعارف، وهم الأكثر، فقد اندفع في المحسوسات وأهمل عقله وخاض بنفسه في مألوفاتها، وصار شبيها بالبهائم في أنه لا يدرك [إلا][4] هذه المحسوسات التي تدركها ؛ وإنما يفوقها بضرب من التصرف ضعيف فيها. فمتى ذُكِر لهذا شيءٌ مِمَّا وراء ما يشاهِد ولم يكن من الضروريات الأوائل الحاصلة له وما أشبهها، احتاج غالبا الى أن يُضْرَبَ له مَثَلٌ بشيء مما يشاهد، ويُصَوَّر له بصورته إما فهمًا وإما اطمئنانا واستئناسًا. وان كان من الخواص الخائضين في العلوم وإدراك المعقولات، فقد علمت مما مرَّ أن العقل عادة إنما يدرك بنفسه الضروريات، وما سوى ذلك إنما يدركه بواسطة تأدٍّيهِ أو تَأَدٍّي نَظِيره إليه من الحواس الظاهرة أو الباطنة. ومع ذلك، فالمُتأدّي إليه انما هو أمر جزئي بالضرورة، فمتى حاول جنسا من ذلك لم يكن الجنس بنفسه من حيث إنه جنس متأديًا بشيء منها، فاحتاج الى أن يُمَثَّلَ بصورة من ذلك الجنس فيدركها لأنها هي التي كانت تتأدى إليه ليقيس عليها غيرها، وبذلك يمكنه أن يدرك القاعدة والقانون، وهو الذي نعني بالجنس في هذا المحل حيث أدرك مادته الا أن يكون له من لطف الادراك وقوة الذكاء ما يستحضرُ به تلك الصُّوَرَ ويَنْتَزِعُ منها مراده من غير أن يُصَوَّرَ منها شيءٌ مخصوص، فهذا يستغني عن التمثيل، وقليل ماهم. ومع ذلك فالنفس قد قلنا إنها قوية الاستئناس بالمحسوسات لوضوحها وسبقها :

3) في أ : القات بدل ألفة
4) سقطت من ب.

أتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أنْ أعْرِفَ الْهَوَى
فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

فاذا خِيض بها في شيء من غير ذلك حنَّت الى مألوفها حنين الثَّكْلَى وقالت :

مَا الْحُبُّ إلاَّ لِلْحَبِيبِ الأوَّلِ[5]

واسْتَصْعَبَتْ ذَلِك وخَلَأَتْ[6] دُونَه، فاحْتِيجَ الى أن يُصَوَّرَ لها ذلك بصُور شيء مما كانت تَألَفُه لِتَسْتَأْنِسَ به وتَطْمَئِنّ. والاستئناس بالمألوف مركوز في جِبِلَّة النفوس، حتى إنه ورد في حديث الاسراء أن النبي صلى الله عليه وسلم لما زُجَّ به في النور وفارقه جبريل أسْمَعه الله تعالى كلام صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه تأنيسًا له به في ذلك المقام الهائل. وهذه حكمة ربانية تعجز العقول عن الاحاطة بها وحدها، فكيف بِمَلَكُوت السماوات والأرض ؟ فتبارك الله أحسن الخالقين ! ثم انه كلما عرف الانسان ضربا من العلوم ومارسه ألفته نفسه واستأنست به ؛ فإذا ارتحل عنه الى منزلة أخرى حنّت النفس الى الأولى المألوفة أيضا، فاحتيج الى أن يُضْرَبَ لهامَثَلٌ بشيء مما ألفته أو نَظِيرِه لتستأنس به وتطمئن إليه حتى لا يختص التمثيل بالمحسوسات الصرفة، وهكذا أبدا. فقد تبين بهذه الكلمات الاحتياجُ الى التمثيل ووجهُ الاحتياج، وأنَّه لا غنى عنه لعامّ ولا خاصّ ؛ غير أن الاحتياج قد يكون ضروريا، وذلك عند العجز عن الوصول الى المطلوب بدونه، وقد[7] يكون تحسينيًا، وذلك عند الاحتياج الى الاستعانة به والاستئناس والاطمئنان. هذا الأصل، وقد يكون الاحتياج لأغراض أُخَرَ ستأتي.

هذا ما ألهمني الله تعالى في هذا المقام على سبيل الاجمال، وأما بسطُه كُلَّ البَسْطِ فلا يسعه الوقت، وفيما ذكرناه كفاية، اذ ليس من الغرض الاكثار اذا فهم المقصود وأدرك المراد. فقد ظهر بهذا عِظم فائدة التمثيل، وبذلك تبين فضله. وقد ضرب الله تعالى الحكيم في القرآن ضروبا من الأمثال للخلق، وقال تعالى : **إنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** الآية. (وقال تعالى :

---

5) هذا عجز بيت لأبي تمام، وصدره :
نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى

6) الخَلأ للنوق كالالحاح للجمال والحران للدواب. يقال خَلَأَت النَاقة وألَحَّ الجمل وحَرن الفرس. وفي حديث الحُدَيْبِيَّة أنه بركت به راحلته فقالوا : خَلَأَتِ القَصْواء، فقال ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبسهاحابس الفيل.

7) جاء في أ : (وبدونه قد يكون) وهو تحريف.

وتِلكَ الأمْثالُ نَضْرِبُها للنّاسِ الآية)[8] فعدّها منّة على الناس لما فيها من عظيم الفوائد. وقال تعالى : وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ وتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأمْثَالَ إشارة الى أنه لا التباس ولا إشكال بعد ضرب المثل ومع ذلك لم يعتبروا. وضرب النبي صلى الله عليه وسلم الأمثال الكثيرة للناس، وسيأتي من جميع ذلك ما فيه غُنْيَةٌ في محله إن شاء الله تعالى. ولم يزل الى الآن المدرسون وشيوخ التعليم والتربية يضربون الأمثال في كل أمْرٍ أمْرٍ، وكذا غيرُهم. وكتب عمر رضي الله عنه الى الأنصار : عَلِّمُوا أوْلادَكُم العَوْمَ والْفُرُوسَةَ، ورَوُّوهُمْ ماسَار مِنَ المَثَلِ وما حَسُنَ من الشِّعر. فهذا حَضٌّ على تعلّم الأمثالِ خصوصا السائرة، فانها أقطعُ للنزاع والشَّغَب، وحَضٌّ على تعلم الشعر. ولما بعث سعدُ بنُ أبِي وَقّاصٍ رضي الله عنه رُسُله الى رُسْتُم صاحب جيوش فارس أيام القَادِسِيَّة فرجعوا ، وبعث إليه آخرين يدعونه الى الاسلام أو الجزية، قال لهم رُسْتُم : إني قد كلَّمتُ منكم نفرًا، ولو أنَّهم فَهِمُوا عنِّي لرجوتُ أن تفهموا، والأمثال أوضحُ من كثير من الكلام ؛ وسأضْرِبُ لكم مَثَلَكم : انكم كنتم في بلاء وجهد وجوع، فأتيتم بلادنا فلم نمنعكم، فلما أكلتم طعامنا وشربتم شرابنا وأظلكم ظلُّنا وصفتم ذلك لقومكم فأتيتم بهم. فَمَثَلُكُم في ذلك ومَثَلُنا كمثل رجلٍ له كَرْمٌ فرأى فيه ثعلبًا فقال : وما ثعلب ؟ فانطلق الثعلب فدعا الثعالب الى ذلك الكرم، فلما اجتمعت عليه سدَّ عليها صاحبُ الكرم مَدْخَلَها فَقَتَلَها. وقال لهم أيضا : مَثَلُكُم كَمَثَلِ جُرْدَانٍ أُلِفَتْ جَرَّةً فيها حَبٌّ وفي الجرة ثَقْبٌ، فدخل الأول فأقام فيها، وجعلت الأخَرُ تَنْقُلُ وتَخْرُجُ وتُكلِّمه في الخروج فيأبى عليها، حتى اذا انْتَهَى سِمَنُ الذِي في الْجَرَّة فاشتاق الى أهله ليُرِيَهم حُسْنَ حَالِه، ضاق عليه المَخْرَجُ فلم يقدر على الخروج منها، فَشَكَا الغَلَقَ الى أصحابه وسألهم المَخْرَجَ فقالوا : لست بخارج حتى تعود الى حالتك الأولى. فكَفَّ وجَوَّعَ نَفْسَهُ وبقي في الجَرَّةِ حتى أتاه صاحبها فقتله. وقال لهم أيضا : لم يَخْلُقِ اللهُ خلقًا أوْلَعَ من ذباب مَا خَلاكُمْ يا معشر

8) سقط ما بين قوسين من ب.

العرب ! ترون الهلاك ويُدَلِّيكُمْ فيه الطمع. ومَثَلُكُمْ في هذا مَثَلُ الذباب إذا رأى العسل طار وقال : مَنْ يُوَصِّلُنِي اليه وله درهمان ؟ حتى يَدْخُلَه لا يُنَهْنِهُهُ أحدٌ إلاّ عصاه. فلما دخله غَرِقَ ونَشِبَ وقال : مَنْ يُخرجُني وله أربعة دراهم؟. وضرب لهم أمثالا أخرى على هذا النمط، فلما فرغ تكلم أصحابُ سعد رضي الله عنهم بما جاؤوا به من الاعْذَار والانْذار. ثم قالوا : وأما ما ضَرَبتم لنا من الأمثال فإنكم ضربتم للرجال وللأمور الجسام وللجد الهزل. ولكنا سنضرب لكم مثلكم : إن مَثَلَكم مَثَلُ رجل غرس أرضا واختار لها الشّجر والحَبَّ، وأجرى لها الأنهار، وزيّنها بالقصور، وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها، ويقيمون على جناتها. فَخَلَفَه الفلاّحون في القصور بما لا يُحِبّ، وفي الجِنان بمثل ذلك، فَأَطَالَ نَظرَتَهُم. فلما لم يستجيبوا من تلقاء أنفسهم اسْتَعْتَبَهُم فَكَابَرُوه، فدعا إليهم غيرهم فأخْرَجَهم منها ؛ فان ذهبوا عنها تخطَّفَهُمُ النَّاس، وإن أقاموا صاروا خَوَلاً لهم يَمْلِكُونهم ويَسومُونَهم الخَسْفَ أبدا.

ولما عظم أمر المسلمين، وَوَلِيَ يَزْدَجَرْدُ على فارس، وهاله أمر المسلمين، بعث الى رُسْتُمَ المتقدمِ ذِكْرُه فقال له : إنك أنت اليوم رجلُ أهل فارس، وقد رأيتَ ما نزل بهم ؛ وإني أريد أن أوجهك في هذا الوجه فأنت لها. فأظهر له رستم أن قد قبِل منه وأثنى عليه. فقال له الملك : قد أحببت ان أنظر فيما لديك لأعلم ما عندك ؛ فَصِفْ لي العرب وفِعْلَهم، وصِفْ لي العجم وما يَلْقَوْنَ منهم ، فقال له رُسْتُم : صفةُ ذبابٍ صادفتْ غِرَّةً من رِعَاءٍ فَأَفْسَدَتْ فقال : ليس كذلك، إنما سألتك رجاء أن تعرف صفتهم فأُقَوِّيَك لتعمل على ذلك فلم تُصِبْ، فافهم عني انما مَثَلُهم ومَثَلُ أهل فارس كمثل عُقابٍ أوْفَتْ على مَرْقَبٍ عند جبل تأْوِي في ذُراه الطيورُ تبيت في أوكارها. فلما أصبحت الطير أبصرت العقابَ ترقبها فخافتها فلم تنهض وطمعت العقاب فلم تَرِمْ، وجعلت كلما شَدَّ منها طائرٌ انقضت عليه العقاب فاختطفته حتى أفْنَتْها. فلو نهضت بجميعها نهضةً واحدة لَنَجَتْ وأشَدُّ شيءٍ [يكون] في ذلك أن تَنْجُوَ كلُّها إلا واحداً. فهذا مثلُهم ومثلُ الأعاجم، فاعمل على قدر ذلك.

وكان لبعض الملوك وزيران أحدهما كان يأمر ببَذْلِ الأموال لاجتلاب قلوب الرجال،

ويقول إنّهم أنفعُ وأعْوَدُ عليك من المال. فقام الآخر ونهاه عن ذلك وقال : أمْسِكْ مَالَك، فهو خير لك، ومتى كان عندك المال واحتجت الى الرجال وجدتهم. فقال له الملك لابد لهذا من آية ؛ فَمَثِّلْ لي مثلا يتضح به ما تذكره، فإن الأمثال بها تنكشف الأشياء . فقال الوزير : علي بإناء من عسل . فجيء به فقال : خمرّوه. ثم قال للملك : هل ترى هنا من نحل ؟ قال : لا فأتى بإناء العسل، فلم يلبث أن جاءت النحل من كل أوب. فقال : هكذا الرجال على المال ! فقام الوزير الآخر وقال : خَمِّروا الاناء الى الليل. فلما كان الظلام أخرج الاناء، فما تحركت نحلة أصلا ولا وقعت عليه. وهذه تشبه قصة الهِرَرَةِ والشَّمْع، وستأتيك قريبًا في الأمثال، وتَتَبُّعُ الحكايات يُخْرِجُ عن الغرض ؛ وإنما ذكرنا ما تقدم تنبيهًا على شدة اعتناء الناس بالتمثيل وعِظَم فائدته. وكان الحكماء الأولون مَثَّلُوا الدنيا بطائر رأسُه المشرق وجناحاه اليمن والشام وذنَبُه المغرب، فَبَيَّنُوا بهذا المثل دناءة المغرب وخِسَّتَه، لأن أخس ما في الطائر ذنبُه. فلما خرج اليونان الى الجزيرة واستخرجوا فيها المياه وغرسوا الأشجار وبَنَوا القصور حتى عادت الجزيرة أحسن ما يكونُ قالوا : رجع الطائر طاووسًا ! لشرف ذنب الطاووس. ومَنْ تأمل ما جعل الله تعالى فيما يراه النائم من أمْثَلَةِ الأشياء، قَضَى العَجَبَ من حكمة الله تعالى وما أودعه في عالم المثال، وهو بحر عميق ليس من غرضنا ولسنا من رجالِ الخَوْضِ فيه، وما ذكرناه في الأمثال من حيث هي وستاتيك زيادة في الأمثال الشعرية في الفصل الذي بعد هذا ان شاء الله. وما ذكرناه أيضا هو فائدة التمثيل الأصلية، لأن مَرْجِعَ الغرضِ من التمثيل تشبيهُ الخَفِيّ بالجَلِيّ، والغائب بالشاهد، وفائدتُه العظمى التبيينُ والتوضيح كما مرّ. وقد يَرِدُ لأغراض أخرى غير ذلك، كالمدح أو الذم أو التزيين أو التشويه أو غير ذلك مما قُرِّرَ في علم الأدب ؛ لكن مرجع الجميع الى الفائدة الأولى وهي التبيين والتوضيح. فإنّا إذا مثّلنا أحدًا بالبحر قصدنا الى مدحه بالكرم، أو بالأسد قصدنا الى مدحه بالشجاعة. فالقصد الأصلي بيانُ هذه الخصوصيةِ التي يبلغ بها هذه الدرجة المخصوصة من الجود والجرأة لأنّها هي المُلْتَبِسَةُ علينا ؛ لكن قد يُتَنَاسى هذا المعنى الأصلي، ويُفْهَمُ أن التمثيل سِيقَ للمدح والذم حتى كأنه لا توضيح هنالك أصلا، ومثله في النعت. وأما سَوْقُ التمثيل لبيان الامكان أو بيان المقدار فلا إشكال أنه من المعنى الأصلي.

وهذا كله في التمثيل من حيث هو في الجملة. وأما الأمثال السائرة التي نحن بصددها فتكون هي أيضا في الجملة للبيان والتوضيح، لكن لمقاصد كثيرة وضروب من الأغراض لا تكاد تنحصر ؛ وستُتْلَى عليك في هذا الكتاب. وأمثال القرآن كذلك بعد دلالتها على توضيح المراد وتقريبه وتصويره للعقل تكون لمقاصد كثيرة من مدح وذم ودلالة على تفاوت في الثواب، وعلى إحباط عمل وتذكير ووعظ وحَثٍّ وزجْرٍ واعتبار وغير ذلك مما يُسْرَدُ على سمعك فيها ان شاء الله تعالى. وكذا أمثال الحديث النبوي، وستأتي ان شاء الله تعالى، والله الموفق.

وأما الثاني وهو الحكمة، فلا يَخْفَى أيضا فائدتُها وفضلها. وقد أثْنِي عليها في الكتاب والسنة. قال الله تعالى : يُوتِي الْحَكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُوتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا. وقال : وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وفَصْلَ الخِطَابِ. وقال : وآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا. ونحو ذلك من الآي. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُومِنِ[9] ويروي : الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ كُلِّ حَكِيمٍ. فَإذا وَجَدَهَا فَهُو أحَقُّ بِهَا. وقال صلى الله عليه وسلم : كَلِمَةٌ مِنَ الحِكْمَةِ يَتَعَلَّمُهَا الرَّجُلُ خَيرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا ومَا فِيهَا. وغير ذلك من الأحاديث والآثار التي يطول ذكرها. وقد أطْبَقَ العقلاءُ على مدحها والاعتناء بها، وليس الغرضُ إلاّ بيانَ فضلِها وفائدتها فقط، وكيف يَحْسُن منا ذلك وهي عين الفائدة والفضل ؟ :

وكَيْفَ يَصِحُّ في الأذْهَانِ شَيءٌ إذَا احْتَاجَ النَّهَارُ الى دلِيلِ[10]

وإنما الغرض بيان ما هو الممدوح من مَصْدُوقِ اسم الحكمة، فإن الغلط قد وقع في هذا لكثير من العقلاء من جهة شمول لفظ الحكمة لأمور كثيرة بحسب كل عُرْفٍ واصطلاحٍ، بعضُ تلك الأمور ممدوحٌ دون بعض، فكان كل من يَحْصُلُ له شيء منها يجعله من مصدوقات الحكمة الممدوحة، فَيَتَمَدَّحُ بما انتحله ويُثني عليه ويُضيف ما ورد من

---

9) رواه بهذا اللفظ كل من الترمذي في باب العلم، وابن ماجه في باب الزهد.

10) هذا البيت مشهور لأبي الطيب المتنبي، لكن بلفظ : وليس يصح...ولعل اليوسي حوّره عمدا لينسجم مع سياق كلامه : وكيف يحسن منا ذلك... وكيف يصح في الأذهان....

الثناء عليها إلى نفسه . فرأينا أن نشير إلى هذا المَقَام بِضَرب من الاشارة قريب يَتَمَيَّزُ به الطّيبُ من الخبيث ويُعْرَفُ به الفائزُ من المغرور . وبسط ذلك يستدعي موضوعا على حِدَة، فَلْنَقْتَصِرْ منه على لَمْحَةِ بَرْقٍ فنقول :

قد عرفت فيما مرّ من تعريف الحكمة أن فيها أقوالا كثيرة مَرْجِعُها فيما أوردناه من كلام السلف ضربان : خاصّ وعامّ . فالخاصُّ القولُ بأنها النبوءة والقرآن أو علمُ القرآن، أو الفهم أو الخشيةُ لله تعالى أو فهمُ القرآن أو العمل به والاتباع له، أو إصابةُ القول من غير نبوءةٍ ونحو هذا مما تقدم . والعامُّ القولُ بأنها الاصابةُ في القول والفعل ونحوه . فأما إذا فسرناها بالوجه الخاصّ وقلنا هي النبوءة، أو القرآن، أو العلم به، أو فهمه والاتباع له، أو الخشية، فلا خفاء في مدحها والثناء عليها في هذا المعنى وما أشبهه من كل ما يُسْتَرْضَى به اللهُ تعالى ويُتَقَرَّبُ به إليه كالعقل والعدل والحلم ؛ إلا أنه لابد في ذلك من تحقيق الحقيقة وحفظ الحَيْثِيَّة وهو تحقّق الاصابة، إذ ذلك هو الحكمة ومَنَاطُ التَّقَرُّبِ المذكور . فاما ما يَنْتَحِلُه المُتَنَبِّىءُ الكاذب من النبوءة، وما يَنْتَحِلُه المُلْحِدُ من فهم كتاب الله تعالى والبِدْعِيُّ مِنَ الاتّباع، فكل ذلك قد يُسَمِّيه صاحبُه حكمةً ويسمّي نفسَه به حكيما، وليس من الممدوح بل ذلك مذموم غايةَ الذم، وليس ذلك بنبوءة ولا فهم لكتاب الله إلا في تسميته، فقط، وكذا ما أشبه هذا

وإن قلنا هي إصابة القول من غير نبوءة ونحو ذلك، فحكمه بعد . وأما إذا فسرناها بالمعنى العامّ، فقد علمت أنها مُتَنَاوِلَةٌ لجميع الاصابات في الأقوال والأفعال والاعتقادات، ودخل في ذلك ما تقدم وغيرهُ . ومجموع ذلك ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الحِكَمُ القَوْلِيَّةُ، وهي كلها محمودة من حَيْثُ ذَاتُها بِقَيْد أن تَكُون حكمةً في نفس الأمر، وإلا فقد يُظَنُّ ما ليس بحكمة حكمةً، إذ قد يعدّ من الحكمة ما دلّ على إيثار العاجلة على الآجِلَة أو اتباعِ الهوى، أو على العدوان والعُلُوّ في الأرض وسفك الدماء، وعلى اكتساب النبوءة برياضة النفس وطول المجاهدة وبلوغ كمال المعرفة وكمال النفس بذلك من غير تقييد بقانون الشرع، وعلى إيثار انقطاع الناس إلى الله تعالى بالاعراض عن نبيهم وعدم الالتفات إليه أصلا، توهما أن ذلك هو اللائق بتوحيد الباري والتَّعَبُّدِ له ونحو ذلك ؛ فكل ذلك وما أشبهه هَوَسٌ باطلٌ ليس من الحكمة في

وِرْدٍ ولا صَدَرٍ، فان الحكمة مَرْجِعُها الاصابة كما ذكرنا قبل . ومن هذا النمط ما دوَّنه حكماءُ الفلاسفة في العلم الالهي من فنون الفلسفة من الهَوَسِ والأباطيل، والاعتقادات الزائغة والحجج الواهية، وكذا ما لنظرائهم من الطبيعيين وأشباههم من فِرَقِ المعتزلة وطوائف المُبْتَدِعَة الضالّين المُضِلّين . وقد كان للفلاسفة في غير الالَهيَّات حِكَمٌ تُقْتَبَسُ سراجًا منيرًا،وتُورَدُ زُلالاً نَميرًا، فلما خاضوا في العلم الالهي لم يَهْتَدُوا غالبا الى الحق فيه، ولم يؤذن لهم في الدخول الى ذلك الجَنَابِ النَّزِيهِ . ومَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .ثم ان هذه الحكم القولية، وإن قلنا إنها محمودة، فهي تختلف شرفًا وفضلا بحسب جلالتها وما دلَّتْ عليه درجاتٍ كثيرة لا تكاد تنحصر. هذا بحسب ذاتها، وأما قائلها الذي صدرت منه فغيرُ واجبٍ أن يكون محمودًا دائما ولا أن يُعدَّ حكيما، بل قد يكون محمودا، وذلك إذا علم ما يقول وعمل به وتخلق به ولم يُكذِّب فعلُه وخُلُقه قولَه، وقد يكون مذموما، وذلك إذا كان بخلاف ذلك بحيث يكون من علماء اللسان التَّرثَارينَ المُتَفَيْهِقِينَ، حتى إنَّ المتكلمين بالحِكَم الشرعية من علماء الظاهر الذين تُخالف أفعالُهم وأخلاقُهم أقوالَهم، ونحوهم من الوُعَّاظ والقُصَّاص في غاية الذم . ومِنْ ثَمَّ قيل فيما مرّ : الحكمة هي الفهم في القرآن والعمل به والاتباع له . وقد تصدر الحكمة ممن هو عن مقتضاها خَالٍ وعن فضلها بمَعْزِلٍ . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ . كما مرّ . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم : العِلْمُ ضَالَّةُ المُؤمِنِ حَيْثُ وجَدَهُ أخَذَهُ[11] وقال : خُذُوا الحِكْمَةَ مِمَّنْ سَمِعْتُمُوهَا، فَإنَّهُ قَدْ يَقُولُ الحِكْمَةَ غَيْرُ الحَكِيمِ، وتَكُونُ الرَّمْيَةُ مِنْ غَيْرِ الرَّامِي . فأشار صلى الله عليه وسلم بذلك الى أنه ينبغي للعاقل أن لا يَبْرح مُتَتَبِّعًا للحكمة طالبًا لها، كما يطلب الرجلُ ضَالَّتَهُ ويَنْشُدُها ؛ فان الحكمة هي ضالةُ العاقل لأنها غِذاء عقله، فهي أكبر الحاجات وأعظم المطلوبات . وفي

11) في أ زيادة (من) قبل حيث، وهو تحريف.

الحديث تأديب الطالب المتعلم وتنبيهه على أنه لا يَأنَفُ من أخذ الحكمة حيثما وجدها، وأنه يقبلُها من كل مَنْ سمِعها منه شريفا كان أو مشروفا عالما أو جاهلا بَرّا أو فاجرا ؛ ولا يستكبرُ عن أحد أن يتعلم منه كان فوقه أو دونه . فإنّ طالب الضّالّةِ إذا وجدها فهو لا محالة يأخذها ولا يلتفت الى خِسّة الآتي بها ولا شرفه، ولو ترك ضَالّتَه ومطلوبَه الذي كان يَنْشُدُه لخسة من جاء بها كان أحمق . وقد رُوي أن الحجاج خطب فقال : إنّ الله تعالى أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مَؤُنَة الدنيا، فَلَيْتَهُ كفانا مؤونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا ! فقال الحسن : ضَالّةُ مُؤمِنٍ عند فاسقٍ فَلْنَأْخُذْها . وخطب خَازِمُ بْنُ خُزَيْمة فقال : إنّ يومًا أسْكَرَ الكبار، وشَيَّبَ الصغار، لَيومٌ عسير، شَرُّهُ مستطير . فقال سُفْيَانُ الثّوْرِيُّ : حكمةٌ من جَوفِ خَرِب، ثم أخرج ألواحًا فكتبها . ولهذا ورد : أشَدُّ النّاسِ عَذَابًا يومَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللّهُ بِعِلْمِهِ . ورُوِي أنّ رجلا في بني إسرائيل حكيمًا ألّفَ ثلاثمائة كتاب في الحكمة واشتهر فرأى ان له عند الله منزلة، فأوحى الله الى نبي ذلك الوقت أن قل لفلان : مَلَأْتَ الدُّنْيَا نِفَاقًا.

القسم الثاني في الحِكَمِ الفعليّة بناء على إطلاق الحكمة عليها كما مرّ، وهي على تفصيل : فما كان منها خدمةً لله تعالى وقياما بوظائف تكاليفه كلّها من فعل الواجبات وأنواع القُربَات، فهو كلّه محمود. وهذا النوع إنما يُعَدُّ حكمةً بحسب ما انضم إليه من الفهم في كتاب الله تعالى كما مرّ، فهو جزء منها . وما يرجع إلى إتقان الصنائع العجيبة والحرف المهمة، فهذا كله محمود عادة، وأما شرعًا فإنما يُحْمَدُ إذا كان مُقَرِّبًا إلى الله تعالى مباشرةً أو بواسطة أو وسائط، على حكم التفصيل في سائر المباحات . ووراء هذين القسمين قسمان آخران :

أحدهما تدبير الذهب والفضة ومعالجة تبديل الأشياء وصناعة الاكْسِير، وهذا النوع هو المعروف عند كثير من الأوائل بالحِكْمَة، وهو محمود عندهم غاية ومن أجَلّ علومهم، وإطلاق الحكمة عليه من حيث الاصابةُ والاتقانُ مع الغرابة واللطافة . وللمتكلمين في ذلك كلام وبحث في أن ذلك ممكن أم لا، وفي أنه بعد إمكانه واقع أم لا . فهي أربعة مباحث قُرِّرَتْ في محلها وليس من غرضنا التعرض لها، غير أنا نقول جريا على ما نحن بصدده :

إن قلنا إن ذلك محال أو غير موجود، فالاشتغال به غير محمود لاعادة ولاشرعا، بل هو في غاية الذم لأنه تضييع للعمر بلا طائل وهوس وجنون. وإن قلنا إنه يوجد ويقع، فلا نشك بالاستقراء أنه في غاية القلة والندور، وأنه لا يقع عليه الا الفرد من الناس في الدهور. وقد اعترف أهل هذا العلم أنه أخطأ الناس طريقته ولم يعثروا على التحقيق فيه فضاع وبقي اسما بلا مسمى، فنقول : انه ينبغي أن يكون مذموما على هذا الوجه أيضا كأنه تضييع للعمر غالبا بلا طائل، وعدول عن الأسباب المنصوبة[1] للخلق في الاكتساب الى سبب نادر قليل الجدوى مع كثرة الايْنِ والتعب، مُنْبِتٍ في القلب من الحرص والطمع ما تُنْبِتُه الدِّيَمُ في الأرض الأريضَةِ، ولا دَاءَ على القلب شَرٌّ من الحرص والطمع ! نعم، لو عثر على شيء صحيح منه بلا تَعَمُّل حرام ولا انْجرارِ طمع واتُّخِذَ سببًا، كان من جملة المباحات والتَحَقَ بِحُكْمِ الصنائع السابقة.

ثانيهما خِفَّةُ اليَدِ والاحْتِيَالُ بِالشَّعْبَذَةِ وأنواع النَّيْرُوجات، فإن كثيرا من هذا النوع قد يُسمى حكمة أيضا لما فيه من الغرابة، وهو ليس بممدوح في الجملة لا شرعا ولا عادة عند العقول السليمة. نعم، فيه تفصيل من جهة الحرمة والاباحة يطول بنا التعرض له، وليس كلامنا بالقصد في الفقهيات.

الثّالث الحِكَمُ القَلْبِيَّة، وهي إذا عممنا فيها وتوسعنا ضربان : ما يرجع الى الأخلاق كالحلم والعدل والزهد والعفة والصمت ونحوها، وهذا النوع كله محمود شرعا وعادة، لأن من يطلق الحكمة في هذا الضرب أخذا مما مر إنما يطلقها على المحمود من الأخلاق لا على مُطْلَقِ الخُلُقِ حتى يدخل المذموم. وفي الحديث : **الصَّمْتُ حُكْمٌ وقَلِيلٌ فَاعِلُه**. وقد يُذَمُّ بعضُ هذه الأخلاق المحمودة عند غَوْغَاءِ الناس العُمْيِ البَصَائِرِ، كالصَّمْتِ عند المُتَشَدِّقِين الثَّرْثَارِين والعَفَافِ عند المَجَّانِينَ الفاسقين ونحو ذلك. ولا عبرة بهذا الذم، وهو في الحقيقة ذَمٌّ للمذموم لا للمحمود، إلا أنه يقع الخطأ للذَّامِّ والغلط. وذلك أن الصمت مثلا ليس بمحمود دائما، بل في محل يليق به، فقد يَرَى الجاهلُ محلَّ الصمت غَيْرَ مَحَلٍّ له، بل محلا للكلام فيَذُمُّ الصمتَ وقَصْدُه ذَمُّ الصمت المذموم، ولو عرف أنَّ ذلك مَحَلُّه ما ذَمَّهُ وما يرجع الى

1) في ب : المنسوبة

الاعتقادات وهو كلُّه أيضا محمود، لأن الحكمة هنا أيضا إنما تطلق فيما كان عِلْمًا إذ هو محلّ الاصابة، والعِلْمُ كلُّه في نفسه محمود، أعني وصول النفس الى شيء، لأن ذلك كمال النفس. وقد يَعْرِضُ للعِلْمِ الذَّمُّ من جهة المعلوم، ولِلْعَالِمِ الذَّمُّ من جهة مخالفة عَمَلِه لِعِلْمِهِ وعدم جَرْيِهِ على مُوجِبِهِ كما قلنا في اللسان، أو من عدم طائل يعود به عليه مع إضاعة العمر النفيس فيه، أو من الاشتغال به عَمَّا هو أوْلَى منه وجوبًا أو ندبا أو نحو ذلك. ثم العلم يتفاوت بعد ذلك في الشرف بحسب شَرَفِ مَعْلُومِهِ وثَمَرَتِهِ. وهذا النوع هو الحكمة حقيقة، وكل ما تقدم من الأفعال والأقوال إنما هو مظهرها وعنوانها عند التحقيق، **والله يَقُولُ الحَقَّ وهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.**

الفصل الثالث : في فضل الشعر

ذكرنا في هذا الفصل شيئا مما ورد في فضل الشِّعْر، لأنا قد أوردنا في هذا الكتاب جملة وافرة من الشعر ؛ فَرُبَّ جاهلٍ أو جافي الطَّبْعِ أو مُتَنَسِّكٍ[1] نُسُكًا أعجميًّا يَذُمُّ الشِّعْرَ فيسري ذمُّه الى ما في الكتاب ثم الى الكتاب، فرأينا أن نُنَبِّهَ على شيء من فضله، ونحن عند التحقيق في غِنىً عن ذلك، بعد ذكر فَضْلِ المَثَلِ والحِكْمَة، لأن جلّ ما أوردناه في الكتاب من هذين النوعين، وما سوى ذلك إمَّا توابعُ وتَتِمَّات، وإما شواهدُ من كلام العرب مما اشترك في جَلْبِها استشهادًا كُلُّ ذي علم ؛ ولكنا نذكر ذلك تقوية.

اعلم أن الكلام العربي هو أشرف الكلام وأجلّه، كما وقع في الحديث : إنَّ سَيِّدَ الكلامِ الكلامُ العَرَبِيُّ، وسَيِّدَ الانبِياءِ مُحَمَّدٌ، وسَيِّدَ الكُتُبِ القُرآنُ. و [في] الحديث أيضا : القُرآنُ عَرَبِيٌّ، وكَلامُ أهْلِ الجَنَّةِ عَرَبِيٌّ. واعلم أن كلام العرب نوعان : منثور ومنظوم، وكان كلّه في أصله نثرا. فلما احتاجت العرب الى ذكر أيامها وأعرافها، وتخليد مكارمها ومآثرها، توهموا أعاريض الشعر وأوزانه، وجعلوه آلةً لذلك وعونًا على حفظ ما ذكر وإبقائه، لسهولته على الطبع وميله إليه دون المنثور. ومن ثم يقال ان ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثرُ مما تكلمت به من المنظوم، ومع ذلك لم يُحْفَظْ من المنثور عُشْرُه، ولم يَضِعْ من المنظوم عُشْرُه : فكان للشعر بهذا فضلٌ على النثر.

1) في أ (منتسك)، وفي ب (متمسك).

ومما ورد في فضله قول النبي صلى الله عليه وسلم : إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَة، وتقدم تفسير الحكمة. وروي عنه صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال : إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا، وإنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحُكْمًا، أي كلاما نافعا يَمْنَعُ من الجهل والسفه. قيل أراد به المواعظ والأمثال التي يُنتفع بها، وقد تقدَّم أن الحُكْمَ بِمَعْنَى الحِكْمة. وقيل الحُكْمُ هنا بمعنى القضاء، بمعنى أنه يُنَفَّذُ أمْرُهُ ويُتَّبعُ ما يَقْضِي به ويُسَلَّمُ له فيما حَكَمَ به كما يكون ذلك في حُكْمِ الحَاكِمِ ؛ ولذلك وضَعَ أقْوامًا ورفَعَ آخَرِين. ومِمَّنْ وضَعَهُم بَنُو نُمَيْر، إذ هجاهم جرير، وكانوا إحدى جَمَرَاتِ العرب قبل ذلك ؛ وبنو العَجْلاَن، إذ هجاهم النجاشي، وكانوا قبل ذلك يفتخرون بهذه التسمية، لأن أباهم سُمِّي بذلك لتعجيله القِرَى للضيف، والرَّبِيعُ بنُ زِيَاد العَبْسِي، إذ هجاه لبيد، وكان قبل ذلك أحد نُدَمَاءِ النُّعْمان بْنِ المُنْذِر، وكان لا يواكل غيره إذا حضر. ومِمَّنْ رَفَعَهُ بَنُو أنْفِ النَّاقَة، حيث مدحهم الحُطَيْئَةُ فَقَلَبَ هذا اللقب الذي كان يُخزَوْنَ بِهِ مدحًا وفخرا ؛ وعبد العزيز بْنُ حَنْتَم المعروفُ بالمُحَلَّق، حيث مدحه الأعشى وكان قبل ذلك خاملاً ؛ وهَرِمُ بْنُ سِنَان، حيث مدحه زهير فشَرُفَ بذلك على أخيه خَارِجَةَ بْنِ سِنَان، وكان خارجة قبل ذلك أنْبَهَ منه وان كانا معًا سيدَيْن ؛ وغير هؤلاء. وتفصيل هذه الوقائع يطول بنا في هذا المحل، وهي مشهورة وسياتي كثير منها. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الشِّعْرُ كَلاَمٌ مِنْ كَلاَمِ العَرَبِ جَزْلٌ تَتَكَلَّمُ بِهِ في بَوَادِيهَا وتَسْلُكُ بِهِ الضَّغَائِن[2] ورُوِي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم بَنَى لحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ في المسجد مِنْبَرًا يُنْشِدُ عليه الشعر. ورُوِي أن عمرَ رضي الله عنه ـ مرَّ بحسان وهو يُنْشِدُ الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرُغَاءً كَرُغَاءِ البَكْرِ ؟ فقال حسان : دعني عنك ياعمر، فوالله إنك لَتَعْلَمُ لقد كنت أنْشِدُ في هذا المسجد مَنْ هُو خَيْرٌ منك، فما يُغَيِّرُ عليَّ ذلك. فقال عمر : صدقت !.

ويحكى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل في عمرة القضاء وعبد الله بْنُ رَوَاحَةَ

2) ورد هذا الحديث في عمدة ابن رشيق، ج1، ص. 28.

يمشي بين يديه وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ اليَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ويُذْهِلُ الخَلِيل عَنْ خَلِيلِهِ.

فقال له عمر - رضي الله عنه - : **يا ابْنَ رَوَاحَةَ ! بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وفِي حَرَمِ اللَّهِ تَقُولُ الشِّعْرَ ؟** فقال صلى الله عليه وسلم : **خَلِّ عَنْهُ يَاعُمَرُ ! فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ وقْعِ النَّبْلِ.** ولما هجت قريشٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي الله عنه : **اهْجُهُمْ ومَعَكَ جِبْرِيلُ رُوحُ القُدُسِ فَلَهِجَاؤُكَ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وقْعِ السِّهَامِ، فِي غَبَشِ الظَّلاَمِ !** وقال عمر رضي الله عنه : **مِنْ أَفْضَلِ مَا أُعْطِيَتْهُ العَرَبُ الابْيَاتُ يُقَدِّمُهَا الرَّجُلُ أَمَامَ حَاجَتِهِ فَيَسْتَعْطِفُ بِهَا الكَرِيمَ ويَسْتَنْزِلُ بِهَا اللَّئِيمَ.** وقال أيضا : **تَعَلَّمُوا الشِّعْرَ، فَإِنَّ فِيهِ مَحَاسِنَ تُبْتَغَى ومَسَاوِىء تُتَّقَى.** وكتب الى أبي موسى الأشعري : **مُرْ مَنْ قِبَلَكَ يَتَعَلَّمِ الشِّعْرَ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مَعَالِي الأَخْلاَقِ وصَوَابِ الرَّأْيِ ومَعْرِفَةِ الأَنْسَاب.** وقال معاوية - رضي الله عنه - : **يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ تَأْدِيبُ ولَدِهِ، والشِّعْرُ أَعْلَى مَرَاتِبِ الأَدَبِ** وقال : **رَوُّوا أَولاَدَكُمُ الشِّعْرَ واجْعَلُوهُ أكبر هَمِّكُمُ وأَكْثَرَ آدَابِكُمْ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي لَيْلَةَ الهَرِيرِ بِصِفِّين، وقَدْ أُتِيتُ بِفَرَسٍ وَوَضَعْتُ رِجْلِي فِي رِكَابِهِ لِأَفِرَّ مِنْ شِدَّةِ البَلاَءِ، فَمَا حَمَلَنِي عَلَى الثَّبَاتِ إِلاَّ ذِكْرُ أَبْيَاتِ عَمْرِو بْنِ الاطْنَابَة :**

أَبَتْ لِي هِمَّتِي وأَبَى بَلاَئِي وأَخْذِي الحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
وإِقْحَامِي عَلَى المَكْرُوهِ نَفْسِي وضَرْبِي هَامَةَ البَطَلِ المُشِيحِ
وقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وجَاشَتْ مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
لِأَدْفَعَ عَنْ مَآثِرَ صَالِحَاتٍ وأَحْمِيَ بَعْدُ عَنْ عِرْضٍ صَحِيح

وقال بعضهم : كنا عند عمَّارٍ بِصِفِّين، وعنده شاعر يُنْشِدُه، فقال رجل : أَيُقَالُ فيكم الشعرُ وأنتم أصحابُ محمدٍ وأصحاب بَدْرٍ ؟ فقال له عمَّار : إن شِئْتَ فَاسْمَعْ، وإنْ شِئْتَ فاذْهَبْ. إنَّا لَمَّا هَجَانَا المُشْرِكُونَ قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : قولوا لهم كما قالوا لكم،فكنا نعلمه الاماء بالمدينة. وكان ابن عباس يقول: إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب. وقال ايضا : إذا أعيتكم العربية في القرآن فالتمسوها في الشعر، فإنه ديوان العرب. وكان كلما سئل عن حرف من القرآن أو من حديث رسولهالله صلى الله عليه وسلم أنشد عليه شعراً. وقيل لِسَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ إن قومًا بالعراق يكرهون الشعر، فقال : نَسَكُوا نُسُكًا عجميًا ! وسئل ابنُ سِيرِينَ في المسجد عن رواية الشعر في شهر رمضان أنَّها تَنْقُضُ الوضوء فقال :

نُبِّئْتُ أنَّ فَتاةً كُنْتُ أخْطُبُها عُرْقوبُها مِثْلُ شَهرِ الصوْمِ في الطول

ثم قام فأمَّ الناس. وقيل بل أنشد :

لقَدْ أصبَحتْ عِرْسُ الفرَزْدَقِ ناشِزًا ولو رَضِيَتْ رُمْحَ اسْتِهِ لاَسْتَقَرَّتِ

وسُئِل ابن عباس هل الشِّعْرُ مِنْ رَفَثِ القَوْل، فأنشد :

وهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا[3]

وقال إنَّما الرَّفَثُ عِنْدَ النِّسَاءِ، ثم أحْرَمَ للصلاة. وكان أبو السَّائِبِ المَخْزُومِيُّ يقول أمَا واللَّهِ لو كان الشعرُ مُحَرَّمًا لَوَرَدْنَا الرَّحْبَةَ كلَّ يوم مرارًا، يعني الرَّحْبَةَ التي تُقَام فيها الحدود. وقال عبد الملك لبنيه عَلَيْكُم بِالأدَبَ، فإنَّكم إن احْتَجْتُم إليه كان لكم مالاً، وإن اسْتَغْنَيْتُم عنه كان لكم جَمَالا. وكانت عائشة أمُّ المؤمنين، وابن عباس، وعمر، رَضي الله عنهم أجمعين مِنْ رواية الشعر بالمحلِّ الذي لا يُدْرَك، حتى حُكِيَ عن عائشة أنها قالت : رَوَيْتُ لِلَبِيد اثني عشر ألف بيت خِلافَ ما رَوَيْتُ لغيره. وكذا غيرُ هؤلاء من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومَا مِنْ أهل البيت النبوي إلاَّ مَنْ قال الشعر، غيرَ النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا الخلفاءُ الأربعة. وقد ذكر المعتنون بهذا الشأن ما ثبت عن كلّ منهم من الشعر ؛ والتَّعَرُّضُ لذلك يطول بنا، وليس من غرضنا نحن في هذا الكتاب إلا مُجَرَّدُ التنبيه ؛ وما تقدم كافٍ في مدح الشعر وإباحته والردِّ على مُنْكِرِيه.

3) في كتاب **الفائق** للزمخشري، ج 3، ص. 215

« كان ـ ابن عباس ـ محرمًا فأخذ بذنب ناقة من الركاب وهو يقول :

وهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا

فقال له : يا ابن عباس أتقول الرفث وأنت محرم ؟ فقال انما الرفث ما روجع به النساء...أراد ان الرفث المنهي عنه ما خوطبت به المرأة، فأما إذا تكلم بشيء ولا امرأة ثَمَّ تسمع فلا رفث ».

وقد يحتج ذامُّهُ بقوله صلى الله عليه وسلم : لأن يَمْتَلِىء جَوْفُ أحَدِكُمْ قَيْحًا حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ مِنْ أنْ يَمْتَلِىء شِعْرًا. ومَحْمِلُ هذا الحديث عند العلماء أربعة أوجه :

أحدها أن المراد بهذا الشعر المذكور هنا الشعرُ الذي هُجِيَ به النبي صلى الله عليه وسلم. وقد وقع في رواية : شِعْرٌ هُجِيتُ [بِهِ]، بهذه الزيادة. وروي أن أبا هريرة، لما رَوَى الحَدِيثَ المذكور قالت عائشة - رضي الله عنها - لَمْ يَحْفَظْ، إنَّما قَالَ شِعْرًا هُجِيتُ بِهِ. ولاشك أن هذا النوع من الشعر لو كان شَطْرَ بَيْتٍ لكان كُفْرًا، فكيف إذا امتلأ الجوف به ؟!.

ثانيها أنه ورد لأقوام كانوا في غاية الاقبال على الشعر، فجاء على وجه المبالغة زجرا لهم لِيُقْبِلُوا على القرآن والذكر والعبادة.

ثالثها أنه في حق من أُولِعَ به حتى شَغَلَهُ عن الذكر والقرآن والعبادة، لأن ذلك هو معنى الامتلاء. وأما إذا كان الغالب عليه القرآن والذكر. فليس جوفه ممتلئًا.

رابعها أنه في الشعر المذموم دون الممدوح، وسَنُبَيِّنُهُ.

وقوله صلى الله عليه وسلم : إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا، للعلماء في هذا الحديث وجهان : أحدهما أنه وَرَدَ مَوْرِدَ الذَّمِّ فشبهه بعمل السحر لغَلَبَتِهِ على القلوب وجَلْبِهِ إياها، وتَزْيِينِهِ الباطلَ وتحسينِهِ القبيحَ وتقبيحِهِ الحَسَنَ. ويكتسب به صاحبُه من الاثم ما يكتسِبُ الساحرُ بعمله[4] كما قال صلى الله عليه وسلم : ولَعَلَّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكُونَ ألْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ؛ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيءٍ مِنْ حَقِّ أخِيهِ فَإنَّمَا أقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ. ثانيهما أنه وَرَدَ مَوْرِدَ الْمَدْحِ بمعنى أنه تُمَالُ به القلوبُ، ويُسْتَرْضَى به الساخطُ، ويُسْتَنْزَلُ به الصَّعْبُ. ويَشْهَدُ لهذا قولهُ في نفس الحديث : إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً. وهذا قولُ أكثر أهل العلم والأدب، لأن الله تعالى مدح البيان، وهو شاملٌ للشعر والنثر . وقال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله حاجته فأحْسَنَ في سؤاله : هَذَا والله السِّحرُ الحلالُ ! وقضى حاجته . وأما قوله تعالى : والشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمُ الغَاوُون الآية، فالمراد بها المشركون المشتغلون بالاذاية للنبي صلى الله عليه وسلم وهجائه . وأما الشعراء

4) في أ : بعلمه.

المؤمنون كحسّان وكعب وابن رواحة وغيرهم فليسوا بداخلين . ولذلك استثناهم الله تعالى فقال : **إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا، أي لم يشغلهم الشعر عن الذكر، وانتصروا من بعد ما ظلموا، أي بهجوهم الكفار الهاجين للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين ظلما، كما قال الله تعالى : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلاّ من ظلم** . والآية المذكورة هي فصلُ الخطابِ فيما مرّ . نعم، قال ابن عطية : يدخُل في الآية كلُّ مُخلّطٍ يهجو أو يمدح شهوةً ويقذفُ المُحصنات ويقولُ الزُّورَ، كما يدخُل في الاستثناء كلُّ مَنْ كانَ بخلافِه.

فقد بانَ بهذا فضلُ الشعر وأنْ لا باس به أصلاً، غير أنه ليس على إطلاقه وأنّ الشعر كلّه محمودٌ ومرْضيٌّ، فانّ هذا خطأ وغلط، بل هو على تفصيل . فما كان متضمنًا للثناء على الله تعالى، أو لمدح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، أو الانبياء والملائكة وكل من يجب تعظيمه وتوقيره والثناء عليه في الدنيا والترغيب في الآخرة، فهو مندوبٌ إليه مُرَغَّبٌ فيه ؛ وما كان متضمنا للتنبيه والوعظ والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة ونحو هذا فكذلك أيضا ؛ وما كان متضمنا للهجو وإيذاء كُلٌ مَنْ عِرْضُهُ مَعْصُومٌ فهو حرام . ويتفاوتُ في القبح والشدة بحسب المُؤْذَى، حتى ينتهي الى الكفر كما في حق الأنبياء، وما كان خاليا عن هذين الأمرين فهو من المباح في الجملة، إلا أنه إن اشتمل على وصف الهَذَرِ والخذَى والمجون التي تحرك دواعي الشهوة والغواية، فهو قد يَحْرُمُ وقد يُكْرَهُ وقد يُباح بحسب حال القائل والمُخاطَبِ . وتحقيق ذلك أن الشعر كلامٌ كالنثر، فكل ما يُستَقْبَحُ في النثر يستقبح في الشعر.

فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **إنما الشِّعْرُ كَلامٌ مُؤَلَّفٌ، فما وافقَ الحقَّ منهُ فهوَ حسَنٌ، ومالَمْ يُوافِقِ الحقَّ فلا خيرَ فيه** . وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **إنّما الشِّعْرُ كَلامٌ، فمِنَ الكَلامِ خبيثٌ وطيّبٌ** . وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : الشِّعْرُ كَلامٌ فيهِ حَسَنٌ وقَبيحٌ، فَخُذِ الحَسَنَ وَدَعِ القَبيحَ . وقال ابن سيرين : الشِّعْرُ كَلامٌ عُقِدَ بِالقَوافِي، فَما حَسُنَ فِي الكَلامِ حَسُنَ فِي الشِّعْرِ، وكذلك ما قَبُحَ مِنْهُ

هذا، مع أن الشعر قد حَسُنَتْ فيه أشياء لم تَحْسُنْ في النثر، وذلك مما يفضّلُه به الأدباء ؛ منها الكذب الذي وقع الاجماع على حِرْمَتِهِ فإنه جائز في الشعر، إلا أن في المبالغة والايغال تفصيلا مذكورا في علم الأدب . وأفضل الأمور الصدق وما قرب منه ؛ ومنها تزكيةُ الانسانِ نَفْسَهُ ومَدْحُهُ إياها، ومَدْحُ الانسانِ بحضرته، ومَدْحُ المحرَّمات من الخمر والنساء الأجانب ونحو ذلك ؛ ومنها خطاب الممدوح مثلا باسمه وبكاف الخطاب مما يكون في النثر استنقاصا، ونحو هذا . وقصيدة كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ رضي الله عنه اللاَّمِيَّةُ مُتَكَفِّلَةٌ بأكثرها، وقد أنشدها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه، بل أثابه بُرْدَتَه، فاشتراها منه معاوية بثلاثين أو عشرين ألف درهم، وبقيت يتوارثها الخلفاء ويلبسونها في الجُمَع والأعياد تبركًا بها . وقيل إنه أعطاه مع البردة مائة من الابل ويحكى أن الاحوص قال يخاطب عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه إذ توقف عن إعطاء الشعراء :

وقَبْلَكَ مَا أعْطَى هُنَيْدَةَ جِلَّةً
على الشِّعْرِ كَعْبًا مِنْ سَدِيسٍ وبَازِلِ
رَسُولُ الاله المُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ
عَلَيْهِ السَّلاَمُ بالضُّحَى والاصَائِلِ

وبالجملة، ففي كل كلام ينطق به اللسانُ شعرا أو نثرا، إنشاء أو حكاية، فوائدُ وآفاتٌ فصلها علماء الشعر وحرَّروها، فمن ظفر بالفائدة وسَلِمَ عن الآفات فهو الذي ينبغي له أن يتكلم إما وجوبا أو ندبا بحسب الفائدة ؛ ومَنْ لم يظفر بالفائدة ووقع في الآفة أو تَوَقَّعَهَا فهو الذي لا ينبغي له أن يتكلم إما تحريما أو كراهة بحسب الآفة . ومَنْ تعارضتا عنده فهو الذي ينبغي له أن يُرَجِّحَ أحد الجانبَيْن وإلا كَفَّ، فإنَّ دَرْءَ المَفْسَدَةِ أهمُّ، ومَنْ عَدِمَهُمَا معًا فهُوَ الذي يباح له الكلام، ولَذِكْرُ اللَّهِ أكْبَرُ، واللَّهُ يقول الحَقَّ وهُوَ يَهْدِي السَّبِيل .

الفصل الرابع : في الأمثال الشِّعْريَّة

اعلم أنَّا لما ذكرنا حكم الشعر عمومًا كما مرّ، أردنا أن نُرْدِفَه بما كان منه مَثَلاً خصوصًا . وهذا النوع داخل فيما للذي قبله وداخلٌ أيضا فيما للمثل مطلقا، وقد فرغنا قبلُ مِنْ شرحه وفضله ؛ غير أن هذا النوع له خصوصية كلام وبيان تَعَلَّقَ الغرضُ بذكره، وجعلنا الكلام في هذا الفصل في أربعة أمور بها يتم الغرضُ إن شاء الله تعالى :

الأول في التَمثُّل بالشعر ومَا ورد فيه يقال : تَمَثَّلَ بِالبَيْتِ إذا أنْشَدَه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتَمَثَّلُ بقول طرفة : وياتيكَ بِالأخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ ؛ إلاّ أنه يقول وياتيك من لم تزوده بالاخبار. ولذلك قال ابوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ : اشهد أنك رسول الله ، لقوله تعالى : **ومَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ** . وأما غير النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتابعين فَتَمَثُّلُهُم بالشعر شائع ذائع لا يُحْصَى، وهو دليلُ ما تقدَّمَ في الفصل قبل هذا . ومما تمثل به أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وهو على المنبر قول الغنوى :

جَزَى اللّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حينَ أزْلَقَتْ ... بِنَا رِجْلُنَا في الوَاطِئِينَ وَزَلَّتِ

أبَوْا أن يَمَلُّونَا وَلَوْ أنَّ أُمَّنَا ... تُلاقِي الذي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ

هُمُ أنْزَلُونَا في ظِلاَلِ بُيُوتِهِمْ ... ظِلاَلَ بُيُوتٍ أدْفَأَتْ وأكَنَّتِ

وأراد بذلك ما فعل، بهم الأنصار من الاحسان . وأما عمر ـ رضي الله عنه ـ فكان لا ينزل به أمر إلا تمثل فيه بشعر، وكذا عائشة ـ رضي الله عنها ـ . ومما تمثلت به قولُ لَبِيد :

ذَهَبَ الذينَ يُعاشُ في أكْنَافِهِمْ ... وبَقِيتُ في خَلْفٍ كَجِلْدِ الأجْرَبِ

ورأت النبي صلى الله عليه وسلم يومًا يَعْرَقُ جبينُه وهو في عمل، وجعل عَرَقُهُ يتلألأ نوراً، فقالت له : **لو رآك أبُو كَبِيرٍ الهُذَلِي لَعَلِمَ أنَّكَ أحَقُّ بِشِعْرِهِ فقال لها : ومَا يَقولُ يَاعَائِشَةُ أبُو كَبِير ؟ قالت : يقول :**

ومُبَرَّإٍ مِنْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ ... وفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وداءٍ مُغْيِلِ[5]

5) هذه رواية ديوان الهذليين الذي أورد القصيدة كاملة (القسم الأول، ص . 88ـ100) وفي بعض نسخ حماسة أبي تمام : (معضل) بدل مغيل.

وإذا نَظَرْتَ الى أسِرَّةِ وجْهِهِ بَرِقَتْ كَبَرْقِ العَارِضِ المُتَهَلِّلِ

فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام إليها فقبَّل ما بين عينيها وقال : جَزَاكِ اللّهُ يا عائشة خَيْرًا . مَا سُرِرْتُ بَشَيْءٍ كَسُرُورِي بِكِ ! ومما تَمَثَّلَتْ به فاطمةُ - رضي الله عنها - يوم تُوُفِّيَ أبوها عليه الصلاة والسلام قول فاطمة[5م]

قَدْ كُنْتَ لِي جَبَلاً ألوذُ بِظِلِّهِ فَتَرَكْتَنِي أضْحَى بِأجْرَدَ ضَاحِ
قَدْ كُنْتُ ذاتَ حَمِيَّةٍ ما عِشْتَ لي أمْشِي البِرَازَ وكُنْتَ أنْتَ جَنَاحِي
فَاليَوْمَ أخْضَعُ لِلذَّلِيلَ وأتَّقِي مِنْهُ وأدْفَعُ ظَالِمِي بِالرَّاحِ
وإذَا دعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَنًا لَهَا يَوْمًا على فَنَنٍ دَعَوْتُ صَبَاحِ
وأغُضُّ مِنْ بَصَرِي وأعْلَمُ أنَّهُ قَدْ بَانَ حَدُّ فَوَارِسِي ورِمَاحِي

ومما تمثل به عليٌّ - كرم الله وجهه - وهو على المنبر، معنِّفًا للقوم في تقديمهم أبا موسى الأشعري في التحكيم بعدما حذَّرهم منه قولُ دُرَيْدبْنِ الصِّمَّة :

أمَرْتُهُمُ أمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى
فَلَمْ يَسْتَبينوا الرُّشْدَ إلا ضُحى الغَدِ

ومما تمثل به معاوية - رضي الله عنه - قولُ قَيْسِ بن زُهير :

أظُنُّ الحِلْمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي وقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الحَلِيمُ

وسياتي في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ما يكفي ويشفي في هذا النحو ؛ وإنما نبهنا

5م) هي فاطمة بنت الأحْجَم الخُزاعية. والشعر منسوب إليها في حماسة أبي تمام، 1 : 377، وأمالي القالي، 2 : 1 - 2.

على لَمْحَةٍ قليلة يزداد بها الناظر بصيرة على ما ذكرنا في المثل الأول. ولو تتبعنا ما تَمَثَّلَ به الصحابةُ في الوقائع، والتابعون وهَلُمَّ جَرّا لكان وحده موضوعا.

الثاني في المثل الشعري وأقسامه . أعلم أن المثل معروف الحقيقة مما قدمنا فيه، وهو يكون نثرا تارة، وذلك أكْثَرُهُ، وقد يكون نظما. فان المثل، وإن كان سائرا، لكنه إذا نُظم كان أسْيَرَ[6] له وأسهل على اللسان وأحسن، ثم إنه قد يقع بيتا كاملا، وقد يقع نِصْفَ بيت أو رُبُعَه أو نحوَ ذلك من الأجزاء . وسئل حَمَّادٌ الرَّاوِيَةُ بِأيِ شيء فَضَّلَ النابغة، فقال : إن النابعة إن تَمَثَّلْتَ بِبَيْتٍ من شعره اكتفيت، مثل قوله :

حَلَفْتُ فَلَمْ أتْرُكْ لِنَفْسكَ ريبَةً ولَيْسَ وراء اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ

بل لو تَمَثَّلْتَ بنصف بيت من شعره اكتفيت به، وهو قوله : ولَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ، بل لو تَمَثَّلْتَ بِرُبُعِ بيتٍ من شعره اكتفيت به، وهو قوله : أيُّ الرِّجَالِ **المُهَذَّبُ** . ومن ورود المثَلِ بيْتًا مستقلا قولُ طرفة مثلا :

لَعَمْرُكَ إنَّ المَوْتَ ما أخْطَا الفَتى لَكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياهُ بِاليَدِ

وقول أبي الطيب :

ومِنْ نَكَدِ الدُّنيا عَلى المَرءِ أنْ يَرى عَدُوًّا لَهُ ما مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

وهو كثير . ومن وروده نصفَ بيت الشطرُ الثاني من قول الحَمَاسِيِّ مثلا :

عَلَيْكَ بِالقَصْدِ فِيما أنْتَ فاعِلُهُ إنَّ التَّخلُّقَ يَأتِي دونَهُ الخُلُقُ

ومن وروده رُبُعًا الرُّبُعُ الأخيرُ من قوله :

ولاَ يُواتيكَ فِيما نابَ مِنْ حَدَثٍ إلاَّ أخو ثِقَةٍ فانْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ

والتمثيل بهذا أحسن من التمثيل بقول النابغة السابق، لأن ذلك ليس بربع إلا على التقريب.

---

6) في ب : أيسر.

واعلم أنه قد لا يتم المثل الا على بيتَيْن، كقول الأول :

إذَا المالُ لَمْ يوجِبْ عَلَيْكَ عَطاءَهُ
صَنيعةُ تَقْوى أو صَديقٌ تُوافِقُه[7]
بَخِلْتَ، وبَعْضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ
ولَمْ يَبْتَذِلْكَ المالَ إلاَّ حَقائِقُهُ[8]

وقد لا يتم إلا على أكثر، كقول بعض الأدباء :

لَصَيْدُ الكُخْمِ فِي البَحْرِ وصَيْدُ الأُسْدِ فِي البَرِّ
وقَضْمُ الثَّلْجِ فِي القَرِّ ونَقْلُ الصَّخْرِ فِي الحَرِّ
وإقْدامٌ عَلَى المَوْتِ وتَحْويلٌ الَى القَبْرِ
لأَشْهَى فِي طِلابِ العِزِّ مِمَّنْ عَاشَ فِي الفَقْرِ

وقد يكون في البيت الواحد مثلان أو ثلاثة أو أربعة و أكثر . فمن الأول قول امرىء القيس :

التَّلهُ أنْجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ
وَ[البِرُّ] خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ

ومن الثاني قول ضابىء بن الحارث :

وفي الشَّكِّ تفريطٌ وفي الحَزمِ قُوَّةٌ ويُخطيءُ في الحَرسِ الفتى ويُصيبُ[9]

---

7) (توافقه) هي رواية الحصري وحده في زهر الآداب (2 : 832) وفي الروايات الأخرى كلها : توامقه.
8) البيتان لكثير عزة من قصيدة تشتمل على أربعة عشر بيتا . وهي في ديوانه الذي جمعه الدكتور احسان عباس . اتفقت جميع الروايات : الجاحظ في الحيوان (3 : 465)، والشريف المرتضى في الأمالي (ج2، ص . 261)، وابن عبد ربه في العقد الفريد (6: 175 ـ 176)، والحصري في زهر الآداب وكذلك صحاح الجوهري، وأساس البلاغة للزمخشري في مادة فلذ، على رواية صدر هذا البيت هكذا : منعت وبعض المنع حزم.....
(ولم يبتذلك) التي وردت في الشطر الثاني عند اليوسي في النسختين معالم ترد عند غيره ممن ذكر قبل، وإنما ورد عند البعض (ولم يفتلتك) وعند البعض الآخر (ولم يفتلذك). ومعناهما : انتزعه وأخذه منك .
9) الحَرْس : الدهر . وقد تكون هذه الكلمة حرّفت عن الحدس الذي هو أظهر .

ومن الثالث قول الأول :

فالْهَمُّ فَضْلٌ وطولُ العَيش منقطعٌ والرِّزقُ مُنْقَسِمٌ ورَوحُ الله مُنْتَظَر

ومما فيه خمسة قول بعض الأدباء :

خَاطِرْ تُفِدْ وَارْتَدْ تَجِدْ واكْرُمْ تَسُدْ

وانْقُدْ تَقُدْ واصْغُرْ تُعَدَّ الأكْبَرَا

ومما فيه ستة قول ابن رشيق :

خُذِ العَفْوَ وأْبَ الضَّيْمَ واجْتَنِبِ الأذَى

وأغْضِ تسُدْ وارْفُقْ تنَلْ واسْخُ تُحْمَدِ

الثالث فيما ينبغي له ويستحسن، وهو ثلاثة أشياء :

أحدها أن يكون مُتَّزِنًا قائمًا بنفسه غير محتاج الى غيره، وذلك إما أن يكون بيتًا مستقلا، كقول طرفة السابق، وكقول السموأل :

إذَا المَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ

فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

ونحوه وهو كثير. وإمَّا أن يكون جزءا من البيت مستقلا كقول الحَمَاسيِّ السابق، وكقول جميل بن عبد الله :

أرَى كُلَّ عُودٍ نَابِتًا فِي أرُومَةٍ أبَى مَنْبَتُ العِيدَانِ أنْ يَتَغَيَّرَا

فان الشطر الثاني مَثَلٌ مستقل بالوزن والمعنى، وكذا الأول، أمَّا إن كان جزءًا محتاجًا غير مستقل، كقول النابغة المذكور :

ولَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخًا لاَ تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ

فإن قوله : أيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ مَثَلٌ، إلا أنه محتاج في الوزن الى ما قبله. وكذا قول الحماسي :

وإنْ أبَيْتُمْ فَإنَّا مَعْشَرٌ أنُفٌ لا نُطْعَمُ الخَسْفَ إن السُّمَّ مشْروبُ

فإن قوله : إنَّ السُّمَّ مَشْرُوبُ مَثَلٌ، وليس بمستقلّ، فهو كله غير مستحسن. ووجهه فيما يظهرلي ما تقدم من أن المَثَلَ إنما نظم ليكون أيْسَرَ وأشْهَرَ . فإذا كان بيتا مستقلا حسن إنشادُه من غير حشو هنالك ولا التباس ؛ وإن كان شطرا تامّ الوزن، حسن أيضا إنشادُه (وحده)[10] من غير حشو ولا فساد في النظم ولا خروج عن حكم الشعر ؛ وإن كان جزءًا غير تام الوزن فهو إن أنشد البيتُ المُحْتَوِي عليه كُلُّه كان ما زاد على المثل حشوًا مع وقوع الالتباس تارة فيما أريد من البيت اذا لم يتعين المقصود، كما في قول النابعة : أيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ، فإنه (مَثَلٌ)[11] وباقي البيت أيضا مَثَلٌ، وقد لا يُدْرَى أيُّهما المرادُ بعينه، وإن كانا يرجعان الى مقصود واحد. وأكثر الأبيات يصح التمثيل بها فيقع الالتباس . وإن لم يُنْشَد البيتُ كلُّه، بل اقتُصر على المثل وحده صار نثرًا وبطلت فائدة نظمه . أما ما لا يتمّ من الأمثال في بيتين أو أكثر كما مر، فهو من التام الوزن دون المعنى، وهو عيب التضمين . ويتقوى العيبُ بكون التضمين بين مبتدأ وخبر، وفعل وفاعل، ونحو ذلك . ويَسْهُلُ بكونه بين الشرط والجزاء، أو القسم والجواب ونحوه . وتفصيله مذكور في علم القوافي.

ثانيها أن يكون سالما عن التكلف سلسا، تستلذّه الأسماع ليكون أوقَعَ له في النفس وأعْوَنَ على الشيوع : فإن الشعر إذا كان مُتَكَلَّفًا كان المنثور أحسن منه . وقد يكون التكلف بالاكثار من الأمثال في البيت الواحد أو في القصيدة، فان تعاطي الجمع بين أربعة أمثال في البيت لا يخلو عن تكلف، فضلا عن الخمسة والستة، وكذا في القصيدة . ولذلك قال ابن رشيق في عمدته : وهذه الأشياء في الشعر إنما هي نبذةٌ تُستحسن، ونُكَتٌ تُسْتَطْرف، مع القلة وفي الندرة ؛ فأمَّا إذا كَثُرتْ فهي دالَّةٌ على الكُلْفة . فلا يجب للشعر أن يكون مثلا كله وحكمة، كشعر صالح بن عبد القدُّوس : فقد قعد به عن أصحابه وهو يَقْدُمُهم في الصناعة، لإكثاره من ذلك . وكذا لا يجب أن يكون استعارة وبديعا كشعر أبي تمام ثم قال : وإنما هرب الحُذّاق عن هذه الأشياء لما تدعو إليه من

10) سقط من أ .
11) سقط أيضًا من أ .

التكلف [12] لا سيما إن كان في الطبع أيْسَرُ شيءٍ من الضَّعْفِ والتَّخلف . وأشدّ ما تكلّفه الشاعر صعوبةُ التشبيه، لما يحتاج إليه من شاهد العقل، واقتضاء العيان . ولا ينبغي للشعر أن يكون أيضا خاليا مغسولا من هذه الحلى فارغا ككثير من شعر أشجع وأشباهه.

ثالثها أن يكون مُتَحَرّىً فيه الصدقُ وحسن الاصابة . وهذا لا يختص بالمثل الشعري، فإن المثلَ كلَّه أفضلُه أصدقُه وأحكمه وأوجزه ؛ وإنما اشْتُرِطَتِ الوجَازةُ احترازاً عن التكلف والاملال : فإن قوة البشر غالبا قاصرة عن إيراد الأمثال الطوال من غير تكلف ولا موجب إملال ؛ ومِنْ ثَمَّ وردت في القرآن الذي هو درجة الاعجاز قصاراً وطوالا، وحَسُنَتْ كلُّها لانتفاء المانع . فمن القصار قوله تعالى : **كَمَثَلِ الحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً** ونحوه، ومن الطوال قوله تعالى : **إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ** الآية ؛ وقوله تعالى : **مَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ (أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيَاحُ** الآية، **والذِينَ كَفَرُوا**)[13] **أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ** الآية، ونحو ذلك وهو كثير . وكذا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وقَعَتْ قصاراً وطوالاً وحسنت لصدورها عن المصطفى الذي هو أفصح مَنْ نَطَقَ بالضاد صلى الله عليه وسلم . فمن قصارها قوله صلى الله عليه وسلم : **النَّاسُ كَأَسْنَانِ المُشْطِ**، وقوله : **المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**، ونحو ذلك . ومن طوالها قوله : **مَثَلُ البَخِيلِ والمُنَافِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ** الحديث ؛ وقوله : **وإنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ لَمَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ إلا آكِلَةَ الخَضِرِ أَكَلَتْ حَتَّى إذا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا** الحديث[14] وسياتي الجميع في موضعه مستوفىً مشروحًا إن شاء الله تعالى .

الرابع في معنى السائر . اعلم أنه يقال : مثل سائر، سواء كان شعراً أو غيره، وهو من السَّيْر في الأرض استعمل في ذهاب المثل وشيوعه في أسماع الناس . ويقال أيضا : مثلٌ شارد وشَرُود، وهو من شُرُود البعير وهو نُفُوره، واستعمل في شيوع المثل لأن المثل إذا شاع لا يستطاع ردّه ولا يمكن إخماده كما لا يستطاع ردُّ الصعب الشَّرُود من الابل . ولذلك قال زهير يخاطب بَنِي الصَّيْداء، حيث ذهب الحارث بن ورقاء بإبله وغلامه يسار :

---

12) في ب : التكاليف.

13) ما بين قوسين سقط من نسخة ب.

14) أورد ابن الأثير هذا الحديث في أكثر من موضع من النهاية، بحذف لام (لما يقتل)، وزيادة (فإنها) بين الخضر وأكلت،

فَأَبْلِغْ إنْ عَرَضْتَ بِهِمْ رَسولاً بَنِي الصَّيْداءِ إنْ نَفَعَ الجِوارُ
بأنَّ الشِّعْرَ لَيْسَ لَهُ مَرَدٌّ إذَا وَرَدَ المِيَاهَ بِهِ التِّجَارُ

وقال أيضـا :

أولَى لَهُمْ ثُمَّ أولَى أن تُصيبَهُمُ منِّي فَواقِرُ لا تُبْقي ولا تَذَرُ
وأن يُعَلَّك رُكْبَانُ الحجيجِ بِهِم بكُلِّ قافيةٍ شَنْعَاءَ تَشْتَهِرُ

قال ابن رشيق : وزعم قوم أن الشَّرود ما لم يكن له نظير كالشّاذّ والنادر.فأمَّا قولُ أبي تمام، وكان إمام الصنعة ورئيسها :

لا تُنْكِروا ضَربي له مَن دونَه مثلاً شَرودًا في النَّدى والبَّاسِ

حين عِيبَ عليه قولُه في ابن المعتصم :

إقْدامُ عمْرٍو في سَماحَةِ حاتمٍ في حِلْم أحْنَفَ في ذكَاءِ إياسِ

فإنه يشهد للقول الأول، لأن المَثَلَ بعمرو وحاتم مضروبٌ قديما، وليس بِمَثَلٍ لا نظير له كما زعم الآخر .

خاتـمـة[1]

في اصطلاح الكتاب

اعلم أني رتّبت ما ذكرته من الأمثال على حروف المعجم، جاعلا الباب الأوّل حروف الكلمة، فإن اشتمل المثل على كلمات اعتبرت [أوّلَها] كلِمةً، ثم أول هذه الكلمة حرفًا، ثم عند سرد أمثال كل باب أعتبر هذا الترتيب أيضا في جمعها وتقديم بعضها على بعض، والمعتبر من جميع ذلك أولُ الحروف الأصليـَة دون الزائدة، إلا أن يكون لها مُسَوِّغٌ يَخْرطُها في سِلْك الأصْلِيـّة . فإن كان الحرفُ مما ينبني عليه التركيب كَلاَ وَمَا النـّافِيـَتَيْن، وفي والباء الجارّتَيْن، اعتبر أيضا . فإذا فرغت من الأمثال ذكرت شيئا مما يجري مجرى المثل وجعلته ملتحقًا به، ثم ذكرت بعض ما يحضر فكري من الأمثال الوقتية من غير تكلف ولا كبير تأمل ولا مراجعة، ثم شرعت في الشعر فذكرت ماهو من الشعر مَثَلٌ أو يَحْسُنُ التـّمَثُّلُ به في أمر من الأمور من شعر المتقدمين والمتأخرين، وليس في وسْعِ أحد اليومَ استقصاؤه ولا بلوغ جلّه، لكن أذكر من ذلك مقدارا يكون كفاية لمبتغيه، مع التجافي عن جانبي الاخلال والاملال، فإن كِلاَ طَرَفَيْ قَصْدِ الأمور ذميم . واعلم أني ربما أذكر شيئا من أمثال المولـّدين ومن بعدهم، أو شيئا مما يُتَمَثـّلُ به في وقتنا من ألفاظ الحديث وغيره . ولا أقتصر على أمثال العرب ولا على ماعُدَّ مثلا بالصراحة . وإذا عثرتُ على ما يحسن إيراده أوردتُه غيرَ مبال بقائله ولا بتصحيح السند والرواية، فإن الكتاب ليس موضوعًا لِلْعَزْوِ الصِّرْفِ والحكايات المجردة، بل موضوعٌ لينتفع به الأديب ويستعين به المتصرف ويتضلّع منه الكاتب والشاعر وغيرهما إن شاء الله تعالى . ولاَ حَرَجَ عَلَى مَنْ لَعِقَ العَسَلَ، انْ لا يسل . وهذا حين أشرع في المقصود، مستعينا بالفتاح الخبير الودود .

---

1) سقط هذا العنوان من أ.
وفي نسخة ب : (الفصل الخامس) بدل خاتمة . وفي ج : (الفصل الرابع في أحكام الكتاب)

بـاب الألـــف

أبَـى الحَـقِـينُ العِـذْرَة .

الاباية : الامتناع . يقال : أبَـى الشيء يـَأبَـاه ويأبـِيه إباءً وإباءة بكسر أولهما، إذا كرهه . والحَـقِـين : اللبن المحقون في السِّقاء . تقول : حَـقَـنْـتُ الـّلبنَ في السِّقَـاء إذا صَـبَـبْـتَـه فيه وجعلت حليبه على رائبه . واسم السِّقاء : المِـحْـقَـنُ على مثال مِـنْـبَـر[1] . واسم اللبن : الحَـقين . قال زهير يصف الخيل :

ويُـرجِـعُـهَـا إذا نَـحنُ انـْقَـلَـبْـنَـا نَـسيفُ البَـقْـلِ والـّلبَـنُ الحَـقِـينُ

يقول إنه يرجعها إلى ما كانت عليه من السِّـمَـنِ ما تَـنْـسُـفُـه من البَـقْـل وتَـأكُـلُـه، وما نسقيها من اللبن المحقون . والعِـذْرَة : العُـذْر . قال النابغة يخاطب النعمان :

ها إنَّ ذي عِـذْرَةٌ إلاَّ تَـكُـن نَـفَـعَـتْ فإنَّ صاحبَـهـا مُـشارِكُ النَّـكَـدِ

ومعنى المثل أن العُـذْرَ باطل مع وجود اللبن . وسيأتي شيء من هذا في قولهم : أهْـونُ مَـظْـلُـوم سقاء مروب، إن شاء الله تعالى .

أَتَـى الأبَـدَ،عَـلَـى لُـبَـد .

الاتيان : المجيء . يقال : أتاه أتْـيًـا وإتْـيانَـةً وإتْـيَـانًـا وأُتِيّاً ،كما يقال مَـأتَـى ومَـأتَـاة، إذا جاءه ؛ وأتَـى فلانٌ هذا الامر إذا فعله ؛ وأتى الدهرُ على فلان إذا أهلكهُ،وهو المقصود هنا . والأبَـد بفتحتَـيْـن : الدهر . يقال : أبَـدٌ أبِـيـدٌ، كما يقال : دهْـرٌ داهِـرٌ . ولُـبَـد : بضم ففتح آخر نسور لقمان بن عاد [وبهلاكه هلك لقمان][2]، وقصـّته مشهورة، وتلخيصها : أن عاداً لما بعث الله إليهم نبيـّهم هودًا، على نبينا وعليه الصلاة والسلام فدعاهم، كذّبوه وعَـتَـوا واستكبروا ولم يؤمنوا، فاحْـتَـبَـسَ عنهم القَـطْـرُ ثلاثَ سنين حتى جهدوا فأوفدوا وفدًا إلى البيت الحرام يستسقون لهم، فيهم لقمان بن عاد، ورأسهم رجل يقال له قَـيْـل . فانطلق الوفد حتى أتوا على معاوية بن بكر فنزلوا عليه وهو خارج الحرم، وهم أخواله وأصهاره . فمكثوا عنده شهرًا يكرمهم، يشربون الخمر وتغنيهم قَـيْـنَـتَـان له يقال لهما الجرادتان . فلما طال مُـقامُـهم عنده تَـذكَّـرَ ما نزل بقومهم من البلاء، فشق عليه مُـقَـامُـهم وتركهُـم ما بعثهم فيه قومهم وقال : هَـلَـكَ أصْـهاري وأخوالي، والله ما أدري ما أصنع ! إن أمرتهم بالخروج ظنّوا بي أني ضَـاقَ بِـي مُـقامُـهم عندي فقال شعرا وأعطاه الجرادتين وأمرهما أن تغنياهم به، وهو :

1) حرف منبر في النسختين (قنبر) والتصحيح من القاموس.
2) زيادة في ج.

ألا يا قَيْلُ ويْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ لَعَلَّ اللّهَ يُصْبِحنا غَمَاما
فَيَسْقِي أرْضَ عَادٍ إنَّ عَادا قَدْ أمْسَوا لا يُبِينُون الكَلَاما
وإنَّ الوَحْشَ تَأْتِيهِمْ جِهَارا فَلا تَخْشَى لِعَادِيٍّ سِهَاما
وأنْتُمْ هاهُنا فيما اشْتَهَيْتُمْ نهاركُمُ وليلَكُمُ التماما
فَقُبِّحَ وفْدُكُم مِنْ وفْدِ قَوْمٍ ولاَ لُقُّوا التَّحِيَّةَ والسَّلَاما

فلما غنتاهم بالشعر قال بعضهم لبعض : إنما بعثكم قومُكم لما نزل بهم، فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لهم. وفيهم رجل يقال له يزيد بن سعد أو مرثَد بن سعد ممَّن آمن بهود. فقال لهم : والله لا تُسْقَوْنَ حتى تطيعوا نبيكم ! وأظهر حينئذ إيمانه وقال في ذلك شعرا، فلم يجيبوه الى ما قال، وقالوا لمعاوية بن بكر : احبس عنا يزيد لا يدخل معنا مكة وهو على دين هود . فانطلقوا حتى دخلوا مكة، وخرج يزيد وراءهم، فأدركهم قبل أن يدعوا بشيء، فقال : اللهم لا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفدُ عاد، فقام قَيْل وقال : اللهم إن كان هود صادقا فاسقنا فقد هلكنا ! فأنشأ الله تعالى سحائب ثلاثا : بيضاء وحمراء وسوداء، ونودي من السحاب : يا قيل، اختر لنفسك ولقومك ! قال : قد اخترت السوداء لأنها أكثر السحاب ماء . فنودي : اخترت رمَادا رِمْدِدا، لا يُبْقي من آل عاد أحدا . فساق الله السحابة السوداء بما فيها من النقمة الى عاد، وأرسلها عليهم سَبْعَ لَيالٍ وثَمَانِيَةَ أيام، فلم تَدَعْ منهم أحدا إلا هلك . واعتزل هود عليه السلام ومَن معه الى حديقة، فكانوا لا يصيبهم منها الا نسيم يلين الجلود وتَلَذُّه الانْفُسُ . وكان الوفد لما دعوا بمكة خُيِّروا فاختار قَيْلٌ أن يصيبه ما أصاب قومه فاقتلعتْه الريح فأهلكته . وسأل لقمانُ أن يُعَمَّرَ فخُيِّر بين عُمُرِ سبعِ بعراتٍ سُمْرٍ، من أظْب عُفْرٍ، في جَبَلٍ وَعْرٍ، لا يَمَسُّهَا القَطْر، وبين سبعة أنْسُرٍ كُلَّما هَلَكَ نَسْرٌ خَلَفَ بعده نسر. فاختار النسور، فكان يأخذ فرخ النسر حين يخرج من البيضة، فيُغَذِّيه حتى إذا هلك أخذ آخر، حتى بقي السابع وهو لُبَد . فكان يُغَذِّيه حتى هرم ولم يستطع النهوض، فأيقن حينئذ لقمان بالموت، فهلكا جميعا. وذكرت الشعراء هذا النسر في أشعارها كثيرا، قال النابغة :

أمْسَتْ خَلاءً وأمْسى أهْلُها احْتَمَلوا أخْنى عَلَيها الذي أخْنى على لُبَدِ[3]

3) في أ : (أجنى) بدل أخنى، وهو تصحيف.

وسيأتي تتمة الكلام عليه في حرف الهاء، إن شاء الله تعالى .

يضرب هذا المثل عند التأسي والاعتبار، والتعزي والاستبصار . وهو من الأمثال الحكمية.

أتَتْكَ بِحَائِنٍ رِجْلاَهُ .

الاتيان : تقدّم . والحَائِنُ : الهالك . يقال حَانَ الرجلُ يَحِينُ حَيْنًا كباع بيعًا إذا هلك، فهو حائن . وأحانه الله : أهلكه .

يضرب هذا المثل فيمن سعى إلى مضرته وطلب هلاكه وجرى إلى حتفه . قاله عَبِيد بن الأبرص . وسببه أن المُنْذِرَ بنَ مَاءِ السَّمَاءِ، أو النعمان على خلاف بينهم، كان قسم دهره يومَيْن : يوم نعيم، ويوم بؤس . فكان كلّ من لقيه في يوم النعيم أجزل صلته، ومن لقيه يوم البؤس قتله . فبينما هو في يوم من أيام بؤسه إذ طلع عليه عَبِيدُ بْنُ الأبْرَصِ . فقال له الملك : ألاَ كَانَ الذَّبْحُ لغيرك ؟ فقال عَبِيد : أتَتْكَ بِحَائِنٍ رِجْلاَهُ : قال الملك : أو أجلٌ بَلَغَ أنَاه، ثم قال له : أنْشِدْني يا عَبِيد، فقد كان يعجبنا شعرك . فقال عَبِيد : حَالَ الجَرِيض، دُونَ القَرِيض، وبَلَغَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْن . قال : أنشدني :

أقْفَرَ مِنْ أهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالقُطَبِيَّاتُ فَالذَّنُوبُ

وهو من شعر عَبِيد . فقال عَبِيد :

أقْفَرَ مِنْ أهْلِهِ عَبِيدُ فَاليَوْمَ لاَ يُبْدِي ولاَ يُعِيدُ

فقال : أنشدني هَبِلَتْك أمُّك ! قال : المَنَايَا عَلَى الحَوَايا . فقال بعض القوم : أنْشِدِ المَلِكَ هَبِلَتْك أمُّك ! فقال : لاَ يُرَحِّلُ رَحْلَكَ مَنْ لَيْسَ مَعَكَ[4].

وقال له آخر : ما أشدَّ جَزَعَك على الموت ! فقال :

لا غَرْوَ مِنْ عِيشَةٍ نَافِدَهْ وَهَلْ غَيْرُ مَامِيتَةٍ وَاحِدَهْ

فَأبْلِغْ بَنِيَّ وأعْمَامَهُم بِأنَّ المَنَايَا هِيَ الرَّاصِدَهْ

---

4) أورده الميداني في **مجمع الأمثال** بصيغة : لا يُرَحِّلَنَّ رَحْلَكَ مَن لَيْسَ مَعَكَ، وقال إنه يروى أيضا بصيغة النفي : لا يُرَحِّلُ.....

فَلاَ تَجْزَعُوا لِحِمَامِ دَنَا
فَلِلْمَوْتِ مَاتَلِدُ الوَالِدَه

فقال له الملك : لا بدّ من الموت، ولو لقيني أبي في هذا اليوم لم أجد بدا من أن أذبحه . فأمّا إذ كنت لها وكانت لك فاختر مني ثلاث خصال : من الاكْحَل، وإنْ شِئْت من الأبْجَل، وإن شئت من الوريد . فقال عَبِيد : ثلاثُ خصال مَقَادُها شَرٌّ مَقَاد، وحاديها شرٌّ ماحادٍ، ولا خَير فيها لمُرتاد، فإن كنتَ لا محالةَ فاعلاً فاسْقِني الخمَر حتّى إذا ذَهِلَتْ لها ذَواهِلي، ومَاتَتْ لها مَفَاصِلِي، فشَأْنُك ومَا تُرِيد ! فسقاه، فلما أخذت فيه الحُمَيَّا وقُرِّبَ للذَّبْح أنشد يقول :

وخَيَّرَنِي ذو البُؤْسِ فِي يَومِ بُؤْسِهِ
ثَلاَثًا أرَى فِي كُلِّهَا المَوْتَ قَدْ بَرَقْ
كَمَا خُيِّرَتْ عَادٌ مِنْ الدَّهْرِ مَرَّةً
سَحَائِبَ مَا فِيهَا لِذِي خِيَرةٍ أنَقْ
سَحَائِبَ رِيحٍ لَمْ تُوكَّلْ بِبَلْدَةٍ
فَتَتْرُكَهَا إلاَّ كَمَا لَيْلَةِ الطَّلَقْ

فأمَر به فَذُبِح . وفي هذه القصة أمثالٌ يأتي شرحُ كل منها في محله إن شاء الله تعالى . ولما دخل عبد الله بن زياد الكوفة، وسمع به مسلم بن عقيل بن أبي طالب، تحوَّل الى هانىء بن عُرْوَة المُرَادِي، فوضع ابنُ زياد الرَّصَدَ على مسلم حتى علم بموضعه، فبعث محمد بْنَ الأشْعَثِ الى هانىء فجاءه به من هنالك . فلما نظر إليه ابن زياد قال : أتَتْكَ بِحَائِنٍ رِجْلاَهُ ! ثم قال :

أرِيدُ حَيَاتَهُ ويُرِيدُ قَتْلِي
عَذِيرِكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ

والقصة مشهورة في قتل الحسين رضي الله عنه، وسنُلِمُّ بباقيها بعد إن شاء الله تعالى .

أتَيْتُهُ صَكَّةَ عُمَيّ

الاتيان مرٌّ والصَّكُّ : الضرب الشديد . والصَّكَك : اضطراب الركبتين والعرقوبين .

يقال : صَكَّ، يَصُكُّ، صَكّاً، كما يقال ملّ، مَلَلاً . فهو أصَكُّ ومِصَكّ . واصْطَكّ أيضا اصْطِكَاكاً[5] وعُمَيّ : بتشديد الياء على مثال سُمَيّ، اسم رجل من العمالقة كان أغار على قوم ظهرا فصكّهم واستأصلهم، فبقي مثلا لكل من جاء ذلك الوقت، وهو وقت الهاجرة وشدة الحرّ. وقيل هو رجل كان يفتي في الحجر، فجاء في ركب، ونزلوا منزلا في يوم حارّ . فقال لهم : من جاءت عليه الساعة من غد وهو حرام، بقي حراما الى قابل فوثبوا حتى وافوا البيت من مسيرة ليلتين جادين . وقيل عُمَيّ اسم للحرّ بعينه . وقيل المراد به الظبي، لأنه يصدر في الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك الأعمى، فصُغّر الأعمى تصغير الترخيم، فقيل فيه عُميّ، كما قالوا في تصغير أدْرَد، وأسْوَد، وأزْهَر : دُرَيد، وسُوَيد، وزُهَير.

أتَتْهُمْ فَالِيَةُ الأفَاعِي.

الاتيان مرّ . وفَالِيَة الافاعِي : خنفساء رقطاء . قال العبدي في شاعر من بني حميس:

ألاَ يَنْهَى سَرَاةُ بَنِي حُمَيْسٍ
شُوَيْعِرَهَا فُوَيْلِيَةَ الافَاعِي

فَصَغَّرها كما صَغَّر الشاعر تحقيراً له . وهذه الخنفساء تألف العقارب والحيات في جُحرها ؛ فإذا خرجت أو رؤيت في موضع عُلِم أن هناك العقارب والحيات، فيضرب المثل لأول شرّ ينتظر بعده شرّ منه .

يَأتِيكِ كُلُّ غَدٍ بِمَا فِيهِ.

الغد معروف، وأصله غدو، ثم خُفّف بحذف لامه، وقد يؤتى به على أصله قال لبيد .

ومَا النَّاسُ إلاّ كالدِّيَارِ وأهْلُهَا
بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا وغَدْواً بَلاَقِعُ

وهذا المثل من أمثالهم المشهورة، يعنون به : « المقادير كلها في علم الله تعالى قد قدرت،

---

5) في لسان العرب : الصَّكَّةُ : شدة الهاجرة، يقال لَقِيتُهُ صَكَّةَ عُمَيّ وصَكَّةَ أعمى، وهو أشد الهاجرة حرّا. وفي الحديث :

كان يُسْتَظَلُّ بِظِلِّ جَفْنَةَ عبدِ اللهِ بن جُدْعَانَ صَكَّةَ عُمَيّ، يريد في الهاجرة.

والأحداث بأصنافها قد فصّلت وقسّطت، وكلٌّ ما هو واقع منها فهو لا محالة كائن، وما قُضِيَ أن يبرز منها فهو بارز حتى يُعايَنَ ، فكل غد فهو يأتيك بما فيه من خير وشر، ويسر وعسر، وفرح وترح.

إحْدى حُظَيّاتِ لُقْمَانَ

الاحْدَى : تأنيث الاحَد بمعنى الواحد . والحُظَيّة تصغير حَظْوة، بفتح الحاء المهملة وسكون الظاء المشالة، وهي سهم صغير قدر ذراع . وفي الصحاح انه إذا لم يكن فيه نصل فهو حُظَيّة بالتصغير . وتطلق الحَظْوة أيضا على كل قضيب ثابت في أصل شجرة . ولُقْمَان : هو ابن عاد . وحُظَيّاتُه : سهامُه ومراميه . يضرب لمن عُرف بِالشَّرارَة ثم جاءت منه هَنَةٌ صالحة . وذكروا في أصل ذلك أن لقمان تزوج امرأة كانت طلقها رجل يقال له عمرو، فكانت تكثر أن تقول : لا فتى إلاّ عمرو ! فإذا سمع منها لقمانُ ذلك اغتاظ فقال : واللهِ لَأقْتُلَنَّ عَمْراً ! فنهته المرأة عن ذلك وقالت له : والله لئن تَعَرَّضْتَ له لَيَقْتُلَنَّك ! فذهب لقمان حتى صعد سَمُرَةً عند مُسْتَقَى عمرو لابله، واتخذ فيها عشا، وترصد عمراً ليُصيبَ منه غِرَّةً . فإذا بعمرو أورد إبله، [فتجرد وأكب على البئر يسقي إبله][6] فرماه لقمان من فوقه بسهم وأصاب ظهره. فقال عمرو: حَسّ[6م] إحدى حُظَيّاتِ لقمان، فانتزعه ورفع رأسه الى السَّمُرَةِ فإذا لقمان، فقال له : انزل فنزل . فأراد قتله فتبسم لقمان فقال : أضاحكٌ أنت ؟ قال : والله ما أضحك إلا من نفسي، أمَا أني قد نُهِيتُ عمَّا ترى قال : ومن نهاك ؟ قال : فلانة . قال : فإن وهبتُك لها لَتُعْلِمَنَّها بذلك، قال : نعم ! فخلّى سبيله . فأتاها لقمان فقال : لا فتى إلا عمرو، فقالت : لقد لقيته، قال نعم، لقد كان كذا وكذا وأراد قتلي ثم وهبني لك، فقالت لا فتى إلا عمرو، قال : صدقت .

الأخْذُ سَلَجَان، والقَضَاءُ لِيّان

الأخْذُ : التناول . تقول : أخذت الشيء أخْذاً، وتقول خُذْ يافلان بحذف فاء الكلمة . وأصله أأْخُذ، فلما استُثْقِل الجمع بين همزتين حذفتا، ولم تبدل الثانية حرف مدّ ولو

---

6) سقط ما بين قوسين من ب .

6م) في صحاح الجوهري : حَسٌّ : كلمة يقولها الانسان إذا أصابه غفلةٌ ما مَضَّهُ أو أحرقه كالجمرة . ويقال أيضا : حَسٌّ بَسٌّ ! ومن أمثال العامة في المغرب : « فعل الشيء حَسٌّ مَسٌّ » أي على حين غفلة من الناس.

أدخل على الفعل الواو أو الفاء . وكذا الأمْرُ مِن أكَلَ وأمَرَ ؛ إلا أن الآخر إذا دخل عليه العاطف جاز ردّ فائه . والسَّلَجَان : الابتلاع يقال : سَلِجَ اللقمة بالكسر يَسْلَجُهَا سَلْجانًا وسَلَجانًا إذا ابتلعها . والسِّلِّجَان بكسرتَيْن مشدّد اللاّم : الحلقوم . وطعام سَلِيجٌ وسَلَجْلَج وسُلَجْلِج : طيب، يُتَسَلَّجُ[7] ، أي يُبْتَلَعُ . واستعمل حسان رضي الله عنه السلجج في السيف الماضي الذي يَقْطَعُ الضريبة بسهولة، حيث قال يوم بدر :

زين الندى معاود يوم الوغى
ضرب الكماة بكل أبيض سلجج

ولَوَيْتُ أمري عنه لَيًّا ولَيَّانًا : طويتُه، ولَوَيْتُه بِدَيْنِه لَيًّا ولِيَّانًا بكسرهما : مَطَلْتُه . وفي الخبر : لَيُّ الواجِدِ يُحِلُّ عِرْضَه . وقال ذو الرمّة :

تُرِيدِينَ لِيَّانِي وأنْتِ مَلِيَّةٌ
وأُحْسِنُ يَاذَاتَ الوشَاحِ التَّقَاضِيَا[8]

وقضاء الدين والحق معروف . **ومعنى المثل** أن الأخذ سهل ينساغ في الحلق بسهولة، والقضاء بخلاف ذلك . فإذا أخذ الرجل الدَّيْنَ أكله غير مبال ؛ فإذا حان القضاء تصعَّب الأمر وتلوّى . وقد يقال في هذا المثل أيضا : **الأكلُ سَلَجَان، والقضاء لِيَّان**، ولا فرق بين الأكل والأخذ في المقصد، فالمعنى واحد.

الأخْذُ سُرَّيْط، والقَضَاءُ ضُرَّيْط

الأخذ مَرّ . والسُّرَّيط الاستراط . يقال : سَرَطَ اللقمة يَسْرُطُها، كدخَل يَدْخُل، وسَرِطَها يَسْرَطُها، كفَهِم يَفْهَم، سَرْطًا إذا ابتلعها . والمِسْرط بكسر الميم وفتحها الحلقوم . والضراط معروف . يقال : ضرط بالكسر يضرَط ضَرْطًا، وضَرِطًا كَكَتِف، وضَرِيطًا وضُراطًا بالضم اذا فعل ذلك . وأضْرَطَهُ وضَرَّطَهُ تضريطًا : عمل به ما يضرط منه ؛ وأضرط به : عمل بفيه كالضارط وهزىء به

ومعنى المثل أنه يأخذ الديْن فيسترطه ويبتلعه سهلا ؛ فإذا طالبه صاحبه بالقضاء

7) في النسختين معا : يَنْسَلِح
8) ورد البيت في لسان العرب هكذا : تُطِيلِينَ لَيَّانِي

أضرط به كما في الذي قبله . ويقال هنا سُرَّيْط و ضُرَّيْط، بضم أولهما وتشديد الراء ؛ وسُرَّيْطَى وضُرَّيْطَى كذلك مع الألف المقصورة ؛ وسِرِّيط وضِرِّيط وسِرِّيطَى وضِرِّيطَى على مثال خلِّيفى ؛ وسُرَيْطَاء وضُرَيْطَاء، مضمومتَيْن مخفَّفتَيْن، والكل واحد . وقد يقال : **الأخَذُ سُرَّيْط، والعَطَاء ضُرَّيْطُ ولا فرق بين القضاء والعطاء فالمعنى واحد .**

اتَّخِذَ فُلانٌ حِمَارًا لِلْحَاجَات

الاتخاذ التصيير . والحاجات : جمع حاجة ؛ وتجمع أيضا على حَاج وحِوَج وحوائج، وهذا الأخير على خلاف القياس، كأنه جمع حائجة . وكان بعض اللغويين ينكره ويقول انه مولّد . وقال آخرون هو عربي وإن كان خلاف القياس، وأنشدوا :

نَهَارُ المَرْءِ أمثَل حِينَ يَقْضِي حَوَائِجَهُ مِنَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ

يضرب هذا المثل فيمن يُمْتَهَنُ في الأمور كالحمار.

اتَّخَذَ اللَّيْلَ جَمَلاً

الاتخاذ مرَّ، والليل معروف، وكذا الجمل من الابل . يضرب هذا المثل لمن سرى الليل أجمع، إما لأنه بات ساريا مستيقظا عارفا بجميع ما مرَّ عليه من أجزاء الليل كان مصاحبا لليل حقيقة، غير تارك له ولا غافل عنه بالنوم، ولا مفارق له كمصاحبة الراكب لراحلته، وإما لأنه صار الليل له سببًا في وصوله الى (مآربه وبلوغه الى مرغوبه حين سَرَاه، كما أن الجمل يكون سببا في وصوله)[9] الى مطلوبه حين يركبه ؛ وإما لأن الدُّلْجَةَ تُعين على السير وتقطع المسافة البعيدة كما في الحديث فأشبهت الجمل لأنه أقوى على السير، وأبقى على الأيْر، وأقطع للفلوات، وأنجح في بلوغ الحاجات . قال حبيب :

جَعَلَ الدُّجى جَمَلاً وَوَدَّعَ راضِيًا بِالهَوْنِ يَتَّخِذُ القعُودَ قعُودا

ويحكى أن عبد الله بنَ سَعْد لما افتتح افريقية وقتل ملكها جَرْجِير، بعث بالفتح الى عثمان رضي الله عنه مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما . فلما بلغ ابنُ الزبير قام في الناس خطيبا فقال : الحمدُ لله الذي ألَّفَ بَيْنَنَا بَعْدَ الفُرْقَة، وجعلنا مُتَحَابِّين بعد البِغْضَة، الحمد لله الذي لا تُجْحَدُ نَعْمَاؤُه، ولا يَزُولُ مُلْكُه ؛ لَهُ الحمدُ

9) ما بين قوسين سقط من ب.

كما حَمِدَ نفْسَه وكَمَا هُوَ أهْلُه ؛ ابْتَعَثَ مُحَمَّداً صلّى الله عليه وسلّم فاخْتَارَه بِعِلْمِهِ وائْتَمَنَهُ عَلَى وحْيِهِ ؛ فاختار له من الناس أعوانًا قَذَفَ في قلوبهم تَصْدِيقَه فَآمَنُوا بِه وعَزَّرُوه وَوَقَّرُوه ونَصَرُوه وجَاهَدُوا في اللّهِ حَقَّ جِهَادِه، فَاسْتَشْهَدَ اللّهُ منهم مَنِ اسْتَشْهَد على المِنْهَاج الوَاضِح، والبَيْعِ الرَّابِح، وبَقِيَ منهم مَنْ بَقِيَ لاَ تَأخُذُهُم في الله لَوْمَةُ لائِم . أيُّها الناس ـ رحمكم الله ـ إنا خرجنا لِلْوجْهِ الذي قد عَلِمْتُم، فَكُنَّا مَعَ خَيْرِ وال وُلِّي فَحَمِد، وقَسَم فَعَدَل، لَم نَفْقِدْ مِنْ بِرِّ أمِير المُؤمِنين شَيْئًا . كان يَسِيرُبنا البَرِيدَيْن يُخَفِّضُ بِنَا في الظَّهَائر، ويَتَّخِذُ التَّلِيْل جَمَلاً . يُعَجِّلُ الرَّحْلَ مِنَ المَنْزِلِ القَفْر، ويُطِيلُ التَّلبَاثَ في المَنْزِلِ المُخْصِبِ الرَّحْب . فَلَمْ نَزَلْ عَلَى أحْسَنِ حَالَةٍ يَتَعَرَّفُها قَوْمٌ مِنْ رَبِّهِم حتى انتهى الى افريقيَّة فنزل منها بحيثُ يُسْمَعُ صَهِيلُ الخَيْل، ورُغَاءُ الابل، وقَعْقَعَةُ السلاح . فأقام أيامًا يُجِمُّ كُرَاعَه ويُصْلِحُ سِلاَحَه، ثم دعاهم الى الاسلامِ والدخول فيه، فَبَعُدوا منه، وسألهم الجِزْيَةَ عن صَغَارٍ والصُّلْحَ، فكانت هذه أبعد، فأقام فيهم ثَلاَثَ عَشْرَةَ ليلةً يتأنَّى بهم وتَخْتَلِفُ رُسُلُه إليهم. فلمَّا يَئِسَ منهم قام خطيبًا، فحمِد اللهَ وأثْنَى عليه، ثم ذكَرَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلَّم فأكثر الصَّلاَةَ عليه، ثم ذكَرَ فَضْلَ الجهاد وما لِصَاحِبِهِ إذا صَبَرَ واحْتَسَب . ثُمَّ نَاهَدَ لِعَدُوِّه فَقَاتَلَهُم أشَدَّ القِتال يَوْمَهُ ذلك، وصَبَرَ الفريقان جميعًا وكانت بيننا وبينهم قَتْلَى كثيرةٌ، واستشهد الله رجالاً من المسلمين، فبِتْنَا وبَاتُوا، للمسلمين بالقرآن دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحل، وباتَ المشركون في مَلاَهِيهِم وخُمُورهم. فلما أصْبَحْنَا أخَذْنَا مَصَافَّنا التي كنا عليها بالأمس، وزَحَفَ بعضُنا الى بعض، فَأفْرَغَ اللهُ علينا الصَّبْر، ثم أنزلَ علينا النَّصْر، ففتحناها من آخر النهار، فأصَبْنا غنائمَ كثيرة، فبلغ فيها الخُمُسُ خمسين مائة ألف دينار . وتركتُ المسلمين قد قَرَّت اعْيُنُهُم وقد أغناهم النَّفْلُ ووسِعَهُم الحَقّ وأنا رسولُهم الى أمير المؤمنين والى المسلمين، أُبَشِّرُه وإياهم بما فتح اللهُ من البلاد وأذَلَّ من الشِّرْك، فَاحْمَدُوا اللهَ على آلائِه، وما أحَلَّ بِأعْدَائِه، من بأسه الذي لا يُرَدُّ

عن القَوْمِ المجرمين . وزعموا أنه لما فرغ من الخطبة نهض إليه أبوه الزبير فقبَّل بين عينيه وقال [له] : يابني، إذا نَكَحْتَ امرأةً فانْكِحْها على شبهِ أبيها أو أخيها تَأْتِكَ بِأحَدِهما، والله ما زِلْتَ تنطِقُ بلسان أبي بكر الصِّدِّيقِ حتى صَمَتَّ.

أخَذَهُمْ مَا قَدُمَ ومَا حَدُثَ :

الأخذ مرَّ . وقَدُمَ الشيء بالضم فهو قديم : ضدّ الحادث؛ وحَدَثَ بالفتح يَحْدُثُ، كنصَرَ ينصُر، فهو حادث . فإذا قُرِنَ حدث بقدم كما في هذا [المثل][10] ضُمَّت دال حَدُثَ للمزاوجة كما قيل : لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، وارْجِعْنَ مَا زُورَات غَيْرَ مَا جُورَات والقياس في الأول تَلَوْت، وفي الثاني مَوْزورَات[11] ؛ وكما قيل : هَنَانِي الطعامُ ومَرَانِي، والقياس أمْرَانِي ؛ وكذا يقال في غير المزاوجة بالهمز ؛ وكما قال صلى الله عليه وسلم في دعائه : **اللَّهُمَّ** ربَّ **السَّمَاوَاتِ ومَا أظْلَلْن، ورَبَّ الأرضين ومَا أقْلَلْن، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ ومَا أضْلَلْن**، والقياس : ومَنْ أضلّوا، فعبَّر بما وبالنون للمزاوجة.

يُضرب هذا المثل لمن يستولي عليه الهمّ، وكأنهم يريدون أنه اجتمع عليه قديمُه وحديثُه، والله أعلم.

خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أعْطَاكَ :

الأخذ مرَّ وجِذْع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة: اسم رجل، وهو جِذْعُ بْنُ عَمْرو الغَسَّاني . وكانت غسَّان تؤدّي الى ملك سَلِيح، وهي قبيلة باليمن، دينارَيْن من كل رجل . وكان قابض ذلك سَبْطَةُ بنُ المنذر السَّلِيحِي . فجاء مرة يسأل الدينارَيْن، فدخل جِذْعٌ منزلَه واشتمل بسيفه وخرج فضرب به سبطةَ حتى برد وقال له : خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أعْطَاكَ ! وقيل أنه أعطى بعض الملوك سيفَه رهنا فلم يأخذ، فضربه حتى قتله، وقال ذلك، فذهب مثلا يضرب في اغتنام ما يجود به البخيل.

خُذْ مِنَ الرَّضْفَةِ مَا عَلَيْهَا :

الرَّضْفَة، بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة : واحدة الرَّضْف، وهي حجارة محماة يُوغَرُ عليها اللبن ويُشوى عليها . وهذا المثل من معنى الذي قبله، والله أعلم.

---

10) سقط من ب

11) في النسختين : مزارات، وهو تحريف.

خُذْهُ وَلَوْ بِقُرْطَيْ مَارِيَة

القُرْط، بضم فسكون : ما يُعلق في شحمة الأذن من الحلي، والجمع قِرطَة، كما يقال دُرْج ودِرَجَة ؛ وقِراط كما يقال رُمْح ورِماح . وقرّطْتُ الجارية تقريطًا : ألبستُها إياه، فتقرّطت هي . قال اعرابي يخاطبُ امرأته :

قرَّطَكِ اللّهُ عَلَى العَيْنَيْنِ
عَقَارِبًا سُودًا وَأرْقَمَيْنِ

ومَارِيَة، بالراء والياء المخفّفة على وزن صَاحِبَة : امرأة من غسّان، وهي مَارِيَةُ بنتُ أرْقَمَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عمرو بن جَفْنَة بن عَوْف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو المعروف بمزيقياء بن عامر[12] . وكان لها قرطان كان فيهما مائتا دينار . وقيل جوهر قُوِّم بأربعين ألف دينار . وقيل كان فيهما دُرَّتان كبيضتَي الحمامة لم يَرَ الناس مثلهما . فأهدتهما الى الكعبة، فَضُرِبَ بهما المثل . وقيل : خُذْهُ ولَوْ بِقُرْطَيْ مَارِيَةَ، أي على كل حال . ومارية هذه هي الواقعة في قول حسان رضي الله عنه :

لِلّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ
يَوْمًا بِجِلّقَ فِي الزَّمَانِ الأوَّلِ
أوْلاَدُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أبِيهِمُ
قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ

وابنها المذكور هو الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر بن أبي شمر . وأولادُه يزيد بن الحارث وابنُه عمرو، وهو الذي مدحه النابغة الذبياني بقوله في قصيدته البائية المعروفة :

عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ
لِوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ
حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ
وَلاَ عِلْمَ إلاَّ حُسْنُ ظَنٍّ بِصَاحِبِ
لَئِنْ كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجِلّقٍ
وَقَبْرٍ بِصَيْدَاءَ الذِي عِنْدَ حَارِدِ

12) في أعلام الزركلي نقلا عن نهاية الأرب للقلقشندي : حارثة بن عمرو بن مزيقياء الأسدي من قحطان : جدّ جاهليّ يمانيّ

وَلِلْحارِثِ الجَفْنِيِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ
لَيَلْتَمِسَنْ بِالجَيْشِ دارَ المُحارِبِ
وثِقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إذْ قِيلَ فَدْغَزَا
كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيرُ أشَائِبِ
بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا وعَمْرُو بْنُ عامِرٍ
أولَئِكَ قَوْمٌ بَأْسُهُمْ غَيْرُ كاذِبِ

ولشعر حسَّان قصَّة ظريفة مع جبلة بن الايهم ستذكر بعدُ في باب الأعيان إن شاء الله تعالى . وقيل هي مارية بنت ظالم، وقيل هي أم ولد جفنة، والله أعلم . وقد عرف مضرب المثل مما مرّ.

آخِرُ البَزِّ عَلَى القَلُوص.

الآخر بالمدّ و كسر الخاء : ضدّ الأول ؛ والبَزُّ : أمتعة البزّاز من الثياب، والبَزّ أيضا : السلاح ؛ والقَلُوص من النوق : الفَتِيَّةُ بمنزلة الشابة من النساء . وهذا المثل قاله الزَّبَّان الذُهْلِي، وكان ابنه عمرو بن الزَّبَّان بينه وبين قوم تِرَةٌ، فذهب عمرو يوماً هو وإخوته لأمر فرآهم خَوْتَعَةُ الغُفَيْلِيِّ، فدلّ عليهم أصحابهم، فأتوهم وهم قعودٌ يتغذون . فقال لهم عمرو : لا تشبو الحرب بيننا وبينكم ! فقالوا : كلا ! بل نقتلك ونقتل إخوتك قال : فإن كنتم فاعلين، فأطلقوا هؤلاء الذين لم يلتبسوا بالحروب، فإن وراءهم طالبا أطْلَبَ مني، يعني أباهم، فقتلوهم وجعلوا رؤوسهم في مخلاة وعلقوها في عنق ناقة لهم يقال لها الدُهَيْم . فجاءت الناقة والزَّبَّانُ جالس أمام بيته فبركت، فقامت الجارية فجسَّت المخلاة فقالت : أصاب بنوك بَيْضَ النعام فأدخلت يدها فأخرجت رأس عمرو ثم رؤوس إخوته . فأخذها الزَّبَّان وغسلها ووضعها على تُرْس فقال : آخِرُ البَزِّ عَلَى القَلُوصِ، فذهبت مثلا، أي هذا آخر عهدي بهم فلا ألقاهم بعدها . ثم شب الحرب بينه وبين بني عقلية حتى أبارهم، فقالت العرب : أشْأَمُ مِنْ خَوْتَعَةَ، وأشْأَمُ مِنَ الدُهَيْم، وأثْقَلُ مِنْ حِمْلِ الدُهَيْم . وستاتي هذه الأمثال كلها في مواضعها إن شاء الله تعالى . وكان هذا المثل هو الذي أشار إليه حبيب بقوله :

وهرجامًـا بَـطِشْت به فقُلنـا خِيَارُ البَزِّ جَاءَ عَلى القَعُودِ

آخِرُهَا أقَلُّهَا شِرْبًا.

الآخر تقدّم . والأقلّ : ضدّ الأكثر . والشِّرْب، بكسر الشين المعجمة : الحظ من الماء . **وأصل هذا المثل في الابل، فإن أواخرها وروداً تَرِدُ وقد نَزَفَ الحَوْضُ ولم يبق فيه إلا قليل من الماء، فيكون ما تناله من الماء شيئا قليلا، فيُضرب المثل لمن كان كذلك في الأمور والحظوظ كلها.**

أخُوكَ أمِ الذِّئْبُ ؟

الأخ معروف، وكذلك الذئب . والأخ والذئب على طرفَيْ نقيض، فإن الأخ شأنه الوفاق والايناس والاعانة والاحسان، والذئب شأنه الاذاية والمعاداة . **فيضرب المثل** عند سؤالك أحداً أهو صديق أم عدوّ، وهو مثل مشهور.

أخُوكَ البَكْرِيُّ ولا تَأمَنُهُ !

هذا المثل مشهور وقديم، يُضرب في استعمال الحذر وسوء الظن، ورد في الخبر عن عبد الله بن عمرو بن الفوعاء الخزاعي عن أبيه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أراد أن يبعثني بمال الى أبي سفيان يقسمه في قريش بعد الفتح، فقال : التمس صاحبا . قال : فجاءني عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيّ، وهو أحد بني ضَمْرَةَ بن بكر بن عبد مناف، فقال : بلغني أنك تريد الخروج وتلتمس صاحبا . فقال : قلتُ أجل ! قال : فأنا لك صاحب . قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : قد وجدت صاحبا . قال . فقال : من ؟ قلت : عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِي . قال : إذا هبطت بلاد قومه فاحذره فإنه قد قال القائل : أخُوكَ البَكْرِيُّ ولاَ تَأْمَنُهُ ! فخرجنا حتى إذا كنت بالأبْواءِ قال : إني أريد حاجة الى قومي بِوَدّانَ فالبث لي، قلت راشدا . فلما ولّى ذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم، فشددت على بعيري وأوضَعتُهُ حتى كنت بالأصافر إذا هو يعارضني في رهط . قال : وأوضَعْتُ فسبقته . فلما رآني فُتُّه انصرفوا، وجاءني فقال : كانت لي الى قومي حاجة . قال . قلت : أجل ! ومضينا حتى قدمنا مكة، فدفعت المال الى أبي سفيان . انتهى. والبكري صفة أخوك، والخبر محذوف تقديره محذورٌ أو مخوفٌ أو نحو ذلك .

والمعنى انه اخوكَ شقيقك وأنت تحذره ولا تأمنه، فكيف بغيره ؟ والبكري، إن كان نسبته الى القبيلة، فهو بفتح الباء الموحدة . واستظهر بعضهم أن يكون بكسرها، وكأنه يرى أنه من بكر الأولاد . يقال : امرأة بكر للتي ولدت بطنا واحدا، وبكرها ولدها الأول . والذكر والانثى فيه سواء قال :

يابِكْرَ بِكْرَيْنِ ويا خِلْبَ الكَبِدْ أصْبَحْتَ مِنِّي كَذِرَاعٍ مِنْ عَضُدْ

وهو بكسر الباء، إلا أنه يوصف به، ولا يحتاج الى ياء النسبة . وعلى الاحتمال الأول يصح أن يكون البكري هو الخبر، ولا تقدير .

إذَا دَخَلْتَ أرْضَ الحُصَيْبِ فَهَرْوِلْ !

الدخول معروف، وكذلك الأرض . والحُصَيْب، بالحاء والصاد المهملتَيْن مصغّرا : موضع باليمن . والهرولة : الاسراع، أو بَيْن المشي والجري . والحصيب فاقت نساؤه حسنا وجمالا، وأحسب لذلك أمر بالهرولة عند دخوله حِذَاراً من فتنتهن . فإن كان الأمر كذلك، حسن أن يضرب المثل فيما يشبه ذلك من الحذر وطلب السلامة، والله أعلم.

إذَا رَغِبَ المَلِكُ عَنِ العَدْلِ، رَغِبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الطَّاعَةِ.

هذا المثل مصنوع فيما يظهر، وهو ظاهر المعنى، وسياتي في الحكم بسط هذا المعنى واستيفاؤه من كلام الحكماء، إن شاء الله تعالى.

إذَا آرْجَحَنَّ شَاصِيًا فَارْفَعْ يَدَا :

يقال ارْجَحَنَّ ازْجِحْنَانًا إذا مال . وشَصَا بَصَرُ الرجل يَشْصُو شَصْواً : ارتفع، وأشْصَاه صاحبُه : رفعه . أي : إذا مال ساقطا، ورفع رجليْه، فارفع يدك عنه ولا تضربه والمعنى : إذا خضع لك فاكفف عنه وارفق به، لأن القدرة تذهب الحفيظة.

إذَا سَمِعْتَ بِسُرَى القَيْنِ فَاعْلَمْ أنَّهُ مُصْبِحٌ.

السماع معروف والسُّرى على وزن هُدى . يقال : سَرَى يَسْرِي سُرى، ومَسْرى، وسَرِيَّة، وأسْرى إذا مشى عامة الليل . والقَيْن : الحَدَّاد، وجمعه اقيان . والقين أيضا : العبد، وجمعه قِيَان والاصباح : الدخول في الصباح

يضرب هذا المثل في الكذب والاخْلافِ حيث يُعرف كذِبُ الرجل فَيُرَدُّ صِدْقُه .

وأصله أن قينـًا كان باليمن، فكان اذا كسد في موضع أخبرهم أنه سيخرج غدا ليستعملوه ثم لا يخرج، فضربوا به المثل . وسياتي تمام القصة في حرف الدال، إن شاء الله تعالى.

إذَا اشْتَرَيْتَ فَاذْكُرِ السُّوقَ.

ألفاظه ظاهرة . وهو من أمثال العرب المشهورة . يريدون به أنك إذا اشتريت سلعة فاذكر الصحّة واطلبها، وتبصر العيوب وتجنبها، فإنك ستحتاج فيما اشتريته الى أن تقيمه في السوق يوما لتبيعه إن احتجت الى ثمنه . فتذكر ذلك اليوم فإنك إن اشتريت جيدا بعت جيدا . وفي معناه قول العامة اليوم : كَمَا تَشْتَرِي تَبِيع.

إذَا طَلَبْتَ البَاطِلَ أنْجَحَ بِكَ.

الباطل معروف : والنجاح والنُّجْحُ : الظَّفَرُ بالحاجة . يقال : نجحت حاجته وأنجح هو : صار ذَا نُجْح . ويقال : أنْجَحَ بك إذا غلبك ؛ فإذا غلبتَه فقد أنْجحْتَ به . وكانت فتاة من العرب تزوجت شيخا، فكان يقعد لينتعل فتقول : يا حبذا المنتعلون قياما، فسمعها يوما فحاول أن ينتعل قائما فضرط، فقالت : إذَا طَلَبْتَ البَاطِلَ أنْجَحَ بك، أي ظفر بك ولم تظفر أنت بشيء، فسار مثلا يضرب عند الظلم في أداء الباطل.

إذَا عَزَّ أخُوكَ فَهُنْ.

العِزّ خلاف الذلّ ؛ يقال : عزّ الرجل يعِزّ إذا قوي وامتنع بعد ذِلّة ؛ وعزَّ عليَّ أن تفعل كذا، وعزّ عليَّ هذا الأمر : أي اشتدّ . وهُنْ يُروى بضمّ الهاء وكسرها : فالضم من هان يَهُون هَوانا إذا ذلّ وخضع . ومعنى المثل عليه إذا عزَّ أخوك، أي عظم وتقوى، فاخضع له أنت تسلم من شره . والكسر من هان يهين إذا لان . والمعنى : إذا اشتد أخوك وتصعّب، فَلِنْ أنت . هكذا ذكر بعض الناس، وهو صحيح من جهة المعنى ؛ لكن ما ذكر من كسر الهاء، إنما يصح إن وجدت مادة ه يـ ن . والمعروف في اللغة إنما هو مادة ه و ن ؛ إلا أنه إذا أريد الذلّة والخضوع، قيل الهُون بضم الهاء، والهَوان والمهانة ؛ وإذا أريد اللين والسكينة، قيل : الهَوْن بفتح الهاء . قال تعالى : والذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرْضِ هَوْنا . ويقال رجل هيِّن وهَيْن كميِّت وميْت، وليس يائيا بل واويا، فوقع القلب: ويقال : هوَّن الله الأمر، إذا سهَّله . ومما يوافق المعنى الأول قول ابن أحمر :

وقـــارعة من الأيـــام لولا سبيلهـم لراحت عنك حينـــا
دببت لها الضراء وقلت أبغي إذا عزَّ ابْن عمّك أن تهونا

وهو محتمل للمعنى الثاني أيضا . ومن الصريح في الثاني قول الآخر:

بُنيَّ إذا ما سامَك الذُّلَّ قادرٌ عَزِيزٌ فَلِنْ فَالّلينُ أوْلَى وأحْرَزُ
ولاَ تَسْمُ فِي كُلِّ الأمُورِ تَعَزُّزاً فَقَد يورِثُ الذُّلَّ الطَّوِيلَ التَّعَزُّزُ

والمثل للهذيل بن هبيرة . وسببه أنه أغار على ضَبَّة فغنم وأقبل بالغنائم . فقال أصحابه: اقسمها بيننا . فقال : أخاف أن يدرككم الطلب، فأبوا . فعند ذلك قال : إذَا عَزَّ أخُوكَ فَهُنْ، ونزل فقسمها.

إذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ.

الاستحياء الانقباض والحِشْمة ؛ يقال : حِيِيَ منه بالكسر يَحْيَى حَياءً بالمدّ، واستَحْيَى، وهو حِيِيٌّ كَغَنِيٍّ : ذو حياء ؛ وقد يقال : اسْتَحَى يَسْتحِي . قال الشاعر :

تَقُولُ ياشَيْخُ أمَا تَسْتَحِي في شُربِكَ الخَمْرَ على المَكْبَرِ؟!

وهذا الكلام يُتمثل به، وليس من الأمثال . وفي الخبر : **مِمَّا أدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأولَى إذا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ** . وفُسِّر بمعنيين :

أحدهما ظاهر، وهو المشهور : إذا لم تستحي من العيب ولم تخش عاراً ولا لوماً مما تفعل، فافعل ما تحدثك به نفسك، حسنا أم لا . ولفظه أمرٌ، ومعناه الخبر على وجه التوبيخ والتهديد، كأنه قيل : إذا لم يكن فيك حياء، فأنت صانع ما شئت من خير وشر . وفيه إشعار بأن الرادع للانسان عن السوء هو الحياء ؛ فإذا انخلع عنه كان كالمأمور بارتكاب كل محذور، وتعاطي كل قبيح وسيّئة، كما قال الحماسي :

إذَا لَم تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ولَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلاَ وَاللَّهِ ما في الْعَيْشِ خَيْرٌ ولاَ الدُّنْيَا إذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ

وقال أبو دلف العجلي :

إذَا لَمْ تَصُنْ عِرْضًا ولمْ تَخْشَ خَالِقًا

وَتَسْتَحْيِ مَخْلُوقًا فَمَا شِئْتَ فَاصْنَعِ

وقد أكثر الشعراء من هذا النحو .

ثانيهما أن يحمل الأمر على بابه، أي إذا كنت في فعلك آمنا أن تستحي لجريك على السنن وليس من الأفعال التي يُسْتَحْيَ منها، فافعل ؛ وإلا فلا . وهذا قانون كلّيّ، وهو مثل ما في الحكمة : إيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ.

إذَا نَزَلَ بِكَ الشَّرُّ فَاقْعُدْ.

هذا مثل مشهور معناه : إذا رأيت شرا مقبلا، وهولاً حاصلا، وفتنة ثائرة، فتربَّص وتأنَّ، واحْلُم ولا تسارع، ولا تستهدف ولا تستشرف. وفي الحديث في ذكر الفتنة : من يَسْتَشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْه .

إذَا نَزَلَ القَضَاءُ عَمِيَ البَصَرُ :

هذا يُتمثل به أيضا . والمعنى أن ما قضى الله تعالى فهو كائن، وما قدره فهو واقع، لا يُنجِي منه حذَرَ الحذِر، ولا نظر البصير . يحكى أن نافعا سأل ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ فقال له : سليمان عليه السلام، مع ما خوله الله تعالى من الملك، كيف عُنِي بالهدهد مع صغره ؟ يعني حيث تفقد الطير فسأل عن الهدهد وقال : لَأُعَذِّبَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . فقال ابن عباس : إنّه احتاج الى الماء والهدهد كانت له الأرض كالزجاج فقال نافع : قف يا وقاف ! كيف يبصر الماء من تحت الأرض، ولا يرى الفخّ إذا غطي له بقدر أصبع من التراب ؟ فقال ابن عباس : إذَا نَزَلَ القَضَاءُ عَمِيَ البَصَرُ . وقال أبو عمر الزاهد في هذا المعنى :

إذا أرَادَ اللّهُ امْرَأً بِامْرِءٍ ... وكَانَ ذَا عَقْلٍ وَرَأْيٍ وبَصَرْ

وحِيلَةٍ يَفْعَلُهَا فِي دفْعِ مَا ... يَأْتِي بِهِ مَحْتُومُ أسْبَابِ القَدَرْ

غَطَّى عَلَيْهِ سَمْعَهُ وعَقْلَهُ ... وسَلَّهُ مِنْ ذِهْنِهِ سَلَّ الشَّعَرْ

حتَّى إذا نَفَّذَ فيهِ حُكْمَهُ ... رَدَّ عليهِ عَقْلَهُ ليَعْتَبِرْ

وهو معنى ما في الحديث : إذَا أرَادَ اللَّهُ إنْفَاذَ قَضَائِهِ وقَدَرِهِ سَلَبَ عُقُولَ الرِّجَال الحديث .

إذَا لِمْ تَغْلِبْ فَاخْلِبْ.

الخِلاَبَة : الخِدَاع، والمثل ظاهر المعنى .

مَأرَبٌ لاَ حَفَاوَةٌ :

المَأرَبُ : الحاجة، والجمع مآرب وفي التنزيل : ولِيَ فِيهَا مَآرِبُ أخْرَى . وكذا المأربة مثلث الراء . والحفاوة : الاهتمام والاهتبال بالشيء، يقال . حفِيتُ بالرجل بالكسر، فأنا به حَفِيٌّ، أي اهتممت به وبالغت في الالطاف به والسؤال عن حاله . قال تعالى : سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ إنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً .وقال الحَمَاسِيُّ :

فَلَمَّا أتَيْنا السَّفْحَ منْ بَطنِ حائلٍ

بِحَيْثُ تَنَاصَى طَلْحُهَا وسَيَالُها

دَعَوْا لِنِزَارٍ وانْتَمَيْنَا لِطَيِّءٍ

كأَسْدِ الشَّرَى إقْدَامُهَا ونِزَالُها

فَلَمَّا التَقَيْنَا بَيَّنَ السَّيْفُ بَيْنَنَا

لِسَائِلةٍ عَنَّا حَفِيٌّ سُؤَالُهَا

يضرب هذا المثل للرجل يتملقك لا رغبة فيك ولا اهتماما بأمرك، ولكن لغرض يطلبه منك وحاجة ينالها عندك . ومأرب يصح أن يكون مبتدأ يقدّر خبره، أي بك مأرب لا حفاوة، وأن يكون خبراً يقدّم مبتدؤه، أي باعثك وحاملك على الدنوّ مني والتملق لي مأرب لا حفاوة.

فإن قلت :هل يصح أن ينصب أو يقال إنه يقال إنه مرفوع عن منصوب في الأصل، كما قيل في : سلام وحنان، وصبر جميل ؟

قلت : لو كان منصوبا لكان معناه تقصد أو ترتاد مأربا، وحينئذ لا يحسن العطف بهذا التقدير في حفاوة كما لا يخفى، ويحتاج الى تقدير آخر كأنه قيل ترتاد مأربا ولا تحفي حفاوة، وفيه بعض التكلف، وإن كان يمكن تقدير فعل أعمّ كالملابسة.

آكَلُ مِنْ أرَضَة.

الأكل معروف . والأرَضَة بفتحتَيْن والضاد المعجمة : دُوَيْبَّةٌ صغيرة تأكل الخشب . وفي قصة الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم أن الله بعث عليها الأرَضَةَ فأكلت كل ما فيها من جور وظلم وقطيعة رحم، وبقي ما كان فيها من ذكر . ويضربون المثل بالأرضة في كثرة الأكل وقوته . وينسب الى القاضي عبد الوهاب :

يَا أهْلَ مِصْرٍ رَأيْتُ أيْدِيَكُمْ
عَنْ بَسْطِهَا بِالنَّوالِ مُنْقَبِضَة
لَمَّا عَدِمْتُ النَّوَالَ عِنْدَكُمُ
أكَلْتُ كُتْبِي كَأنَّنِي أرَضَة

آكَلُ مِنْ سُوسٍ.

الأكل مرّ. والسوس : الدود المعروف يقع في الصوف والطعام. قال امرؤ القيس[12م]

آلَيْتُ حَبَّ العِرَاقِ الدَّهْرَ أطْعَمُهُ
والحَبُّ يَاكُلُهُ فِي القَرْيَةِ السُّوسُ

يضرب به المثل أيضا في كثرة الأكل . قيل لخالد بن صفوان : كيف ابنك ؟ فقال : سيد فتيان قومه ظرفا وأدبا . فقيل له : كم رزقه ؟ قال : درهم . فقيل : أيرتفع منه ثلاثون درهما في شهر وأنت تستغل ثلاثين ألفا ؟ قال : الثلاثون أسرع في هلاك المال من السوس . ولهذا قالوا : العِيَالُ سُوسُ المَال كما سياتي

يَأكُلُكَ الأسَدُ ولاَ يَأكُلُكَ الكَلْبُ.

هذا فيما يظهر مثل مولّد يضرب عند اختيار المرء صولة العزيز وعقوبة الكبير على صولة الذليل وعقوبة الحقير، فإن صولة الذليل أشدّ على النفس كما قيل : لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي والمثل قد وقع في كلام الأمير شمس الدين قراسنقر، وذلك أن شمس الدين [بن] السلعوس كان يكرهه. فلما حضر الملك الأشرف الى دمشق، وبلّغ قراسنقر كراهية الوزير وعمله عليه، بادر بهدية عظيمة وتقدمة حسنة الى الملك، وأحضر ذلك بنفسه، فقال

12م) الصواب : المُتَلَمِّس، والبيت من قصيدة له واردة في جمهرة أشعار العرب، ومختارات ابن الشجري، والشعر والشعراء وغيرها.

له السلطان : لأي شيء هذا ؟ قال : بلغني أن ابن السلعوس يعمل عليّ ويغير خاطر مولانا السلطان . وقد جئت أنا بنفسي يأكلني السبع ولا يأكلني الكلب . وفي هذا قال الصابىء في أبي الورد البغدادي :

ومِنْ عَجَبِ الأيَّامِ أنَّ صُرُوفَها
تُسَوِّي امْرءاً مِثْلِي بِمِثْلِ أبِي الوَرْدِ
فَيا لَيْتَهَا اخْتَارَتْ نَظِيراً وأنَّهُ
رَمَانِي بِشَنْعَاءِ الدَّوَاهِي عَلَى عَمْدِ
فَكَمْ بَيْنَ مَعْقُورِ الكِلاَبِ وإنْ نَجَا
ذَلِيلاً ومَقْتُولِ الضَّرَاغِمَةِ الأُسْدِ

ونحو قول المُثَقِّب العَبْدي :

فَإنْ أكُ مَأْكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ
وإلاَّ فَدَارِكْنِي ولَمَّا أُمَزَّقِ

ويحكى أن العُجَيْرَ السلُولِيَّ هجا قوما من بني حنيفة، فأقاموا عليه البينة عند نافع بن عَلْقَمة الكناني، فأمر به أن يقام عليه الحدّ في ملإ من الناس . فهرب العُجَيْرُ ليلا حتى أتى نافعًا فقعد له متنكراً حتى خرج من المسجد، ثم تعلق به فقال :

إلَيْكَ سَبَقْنَا السَّوْطَ والسِّجْنَ تَحْتَنَا
حُبالى يسامين الظلام ولُقَّحُ
الى نَافِعٍ لاَ نِرْتَجِي مَا أصَابَنَا
تَحُومُ عَلَيْنَا السَّانِحَاتُ وتَبْرَحُ
فَإنْ أكَ مَجْلُوداً فَكُنْ أنْتَ جَالِدِي
وإنْ أكُ مَذْبُوحًا فَكُنْ أنْتَ تَذْبَحُ

فقال له : انْجُ لنفسك، فإنّي سَأُرْضِي خُصومَك، فبعث إليهم وأرضاهم . وهذا المثل باق اليوم في ألسنة العوام يقولون : مَنْ أكَلَهُ السَّبُعُ خَيْرٌ مِمَّنْ أكَلَهُ الذِّئْبُ.

آلَفُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ.

يقال أَلِفَ فلانٌ كذا، بكسر اللام، يَأْلَفُه إِلْفا بكسر الهمزة وفتحها فهو آلف، وهي آلفة، وهم أُلاَّفٌ، وهنَّ آلِفَاتٌ وأَوَالِف . والأُلْفة بضمّ الهمزة : اسمٌ من الائتلاف . إِلْفُك بكسر الهمزة : الذي تألفه كما يقال : حِبٌّ وخِدْنٌ . والحمام على مثال سحاب : اسم جنس، واحده حمامة للذكر والأنثى . وقد يقال للواحد حمام، قاله في الصحاح وأنشد عليه قوله الشاعر :

حَمَامَا أَيْكَةٍ وقَعَا فَطَارَا[13]

وقول الآخر :

وذَكَّرَنِي الصِّبَا بَعْدَ التَّنَائِي حَمَامَةُ أَيْكَةٍ تَدْعُو حَمَاما

قلت : والأول محتمل لأن يكون تثنية جماعتين كما قال الآخر :

هُمَا سَيِّدَانَا يَزْعُمَانِ وإِنَّمَا يَسُودَانِنَا إِنْ أَيْسَرَتْ غَنَمَاهَا

فثَنَّى الغنم وهو اسم جمع، وهذه التثنية لا تختص بالمفرد، بل هي جارية في أسماء الجموع، وجموع التكسير أيضا، كما علم في محله، فلا دليل فيها على المفرد . والثاني يحتمل أن يكون الحمام فيه اسم جنس، لا يقال مقابلته بالحمامة عاضد للإفراد، فهو ظاهر في المراد، لأنا نقول ذلك لو سلم أن الحمامة أريد بها الانثى ليكون المقابل ذكرا . لكنا نقول إنها للفرد من الجنس كما مرّ، ومقابل الفرد من حيث هو الجنس . والحَمَامُ قال في الصحاح : ذوات الأطواق من نحو الفَوَاخِتِ والقمَارى وسَاقُ حُرٍّ والقَطَا وأشباه ذلك . قال : وهي عند العامّة الدواجن فقط، وأنشد على الأول لحميد بن ثور :

ومَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ إِلاَّ حَمَامَةٌ

دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ تَرْحَةً وتَرَنُّمَا

قال : والحمامة هاهنا قمرية [قال] وقال الأصمعي في قول النابغة:

احْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ

الَى حَمَامِ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ

هذه زرقاء اليمامة نظرت الى قطا . قلت : وبه جزم شارح ديوان النابغة عن أبي حاتم، وَأَنَّ

13) ورد هذا الشطر في لسان العرب هكذا : حَمَامَيْ قَفْرَةٍ وقَعَا فَطَارَا.

هذه المرأة كانت لها قطاة . فمر بها سرب من القطا فقالت ذلك . وأراد النابغة بالحمام ذلك القطا . ومكة البلدة الحرام ووصف حمامها بالألفة لأنه محترم لا يتعرض له أحد بمكروه ولا أذى، كما قال العجاج :

ورَبِّ هَـذَا البَلَـدِ المُحَـرَّمِ ، قَـوَاطِنًا مَكَّةَ مِنْ وُرْقِ الحَمِ[14]

أي الحمام، فرخم للضرورة فلما كان آمنا كان ثابت الجأش غير نفور من الناس نفور الصيد، كما قال النابغة :

والمؤمِنِ العائـذاتِ الطَّيْرَ يَمْسَحُها ، رُكْبانُ مَكَّةَ بَيْنَ الغَيْلِ وَالسَّعْدِ

وأراد بالعائذات هذه الطير، ولذا أتى بالطير بدلا منها . والمؤمن هو الله تعالى، وهو لفظ اسم الفاعل متعدّ الى مفعولَيْن بهمزة النقل، والواو للقسم، والمفعول الثاني محذوف أي : أقسم بالله تعالى الذي أمَّنَ الطيرَ العائذاتِ أن تُصَادَ أو أن تُؤْخَذ . وقوله : يمسحها ركبانُ مكة، أي يمسحون عليها ولا يهيجونها لألفتها لهم واستئناسها بهم . والغَيل بفتح المعجمة وقيل بكسرها، والسعد أجَمَتان بين مكة ومِنىً . وقيل : الغَيل بفتح الغين الماء الجاري على وجه الأرض . وهو هنا ماء يخرج من أصل أبي قُبَيْس .

وأعلم أن هذه الصيغة وهي قولنا أفْعَلُ من كذا، مستعملة في باب المثل عند إرادة منتهى التشبيه وأقصاه، كما يقال : **أعزُّ مِنَ الأبْلَقِ العقوق، وأجْوَدُ مِنْ حَاتِم، وأعْيَى مِنْ بَاقِل**، ونحو ذلك . وإنما يتم ذلك ببلوغ المضروب به غاية ذلك المعنى . لكن هذا أمر إضافي موكول الى نظر القائل واعتباره وحكم خياله . فأيُّما شيء اسْتَعْظَمَ درجتَه ساغ له أن يَضْرِبَ به المثل . ولذا يصحّ له أن يضرب المثل بالحمام في الألفة، وإن كان غير الحمام أبلغ فيها وأحقّ، لكنه لم يلتفت الى الغير فاستعظمها في الحمام إذ ليست الألفة من شأن الطير، فهي مستغربة، والاستغراب زائد الاستعظام كما قالوا : **أجْرَأُ مِنْ خَاصِي الأسد** . وافهم مثل هذا في كل ما يرد في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب.

---

14) في لسان العرب :

ورَبِّ هَـذَا البَلَـدِ المُحَـرَّمِ ، والقَاطِنَاتِ البَيْتِ غَيْرِ الرُّيَّمِ
قواطنًا مَكَّةَ مِنْ وُرْقِ الحَمِي

آلَفُ مِنْ غُرَابِ عُقْدَة.

الأَلْفَةُ مرّت، والغُرَاب معروف، جمعه غِرْبَان وأغْرِبَة . وعُقْدَة، بضم العين المهملة، وسكون القاف : موضع . وهي أيضا المكان المخصب الكثير الشجر أو النخل . وإنما وصف غراب عقدة بالألفة لأنه لا يطير لكثرة الشجر . إلا أن عقدة، إن جعلت مكانا بعينه، لم تُصْرَف ؛ وإن جعلت اسمًا للمكان المُخْصِب مطلقًا صُرِفْتَ . وهما جاريان هنا معا كما يقتضيه كلام القاموس، وسياتي في قولهم : عَيْشٌ لاَ يَطِيرُ غُرَابُه زيادة بيان لهذا المحل إن شاء الله تعالى .

إلَيْكَ يُسَاقُ الحَدِيثُ.

السَّوْقُ معروف . يقال : ساق الماشية يَسُوقُها سَوْقا وسِيَاقا وسِيَاقَةً، واسْتَاقَها . ثم يُستعمل السَّوْقُ في الكلام والحديث، لأنه يُؤتى به كما يُؤتى بالماشية . وهذا المثل يضرب عند الاساءة في السؤال والاستعجال به قبل أوانه . وله قصة مذكورة عندهم، وقد نظمه بَشَّارٌ وبيَّن معناه فقال :

ومَرَّتْ فَقُلْتُ مَتَى نَلْتَقِي ... فَهَشَّ اشْتِيَاقًا إلَيْهَا الخَبِيث

وكَادَ يُمَزِّقُ سِرْبَالَهُ ... فَقُلْتُ إلَيْكَ يُسَاقُ الحَدِيث

وقال الآخر :

لا تَعجَبُوا لسُؤَال رُكْبَان الحِمَى ... فَإلَيْكُمُ هَذا الحَدِيثُ يُسَاقُ

أمْرَ مُبْكِيَاتِكَ لاَ أمْرَ مُضْحِكَاتِكَ.

الأمر معروف . والمبكيات والمضحكيات : المُورِثَاتُ بكاءً أوْ ضَحِكًا . وكانت فتاة من العرب لها خالات وعمات . فكانت إذا زارت عماتها ألهيْنَها، وإذا زارت خالاتها أبكيْنَها . فقالت لأبيها : إنَّ عماتِي يُلْهِيْنَنِي، وخالاتِي يُبْكِينَنِي إذ زُرْتُهُنَّ، فقال لها أبوها : أمْرَ مُبْكِيَاتِكِ لاَ أمْرَ مُضْحِكَاتِكِ، فذهبت مثلا يُضرب عند الحذر والتحذير من الهوى والأمر باجتنابه.

والمعنى : أطع من يدلّك على رشادك، ويبصرك بصلاح معاشك ومعادك، وينبّهك من رقدة الغفلة والغرّة، ويفطمك عن مراضع الهوى المضرة، وإن كان ذلك يبكيك، ويثقل على نفسك ويؤذيك ؛ ولا تطع من يأمرك بما تهوى، ويحسن لك ما يشينك في العاجلة والعقبى، وان كان ذلك يضحكك ويلهيك، ويؤنسك ويسليك .

الأمُورُ مَخْلُوجَةٌ ولَيْسَتْ بِسُلْكَى.

الأمور جمع أمر، وهو الشأن والحال والشيء الواقع : والخبج : الجذب والنزع ؛ والمَخْلُوجَة : المجذوبة ؛ والمَخْلُوجَة أيضا : الطَّعْنَةُ المُعْوَجَّةُ عن يمين وشمال ؛ والسُّلْكَى، بضمّ الأول وألف مقصورة : الطَّعْنَةُ المستقيمة تِلْقَاءَ الوجه . قال امرؤ القيس :

نَطْعَنُهُم سُلْكَى ومَخْلُوجَةً كَرَّكَ لأمَيْنِ عَلَى نَابِلِ

ثم إنهم جعلوهما في الأمور، وجعلوا المخْلُوجَةَ والسُّلْكَى مثلاً في الأمور باعتبار اعوجاجها واستقامتها فقالوا : الأمور مخلوجةٌ وليست بسلكى، أي هي معوجة وليست بمستقيمة، وأصله في الطعن . قيل : وأول من نطق بهذا المثل الحارث بن عُباد، وذلك أن جَساس بْنَ مُرَّة، لما قتل كُلَيْبًا على ما سيأتي خبره، قام مُهَلْهِل بنُ ربيعة بثأر أخيه كُلَيْب، وكان ممَّن قتل بُجَيْرُ بْنُ الحارث المذكور أو ابن أخته في قصَّة ستأتي . وفيه يقول مهلهل :

وإنِّي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَات بُجَيْرًا في دَمٍ مِثْلِ العَبِير
هَتَكْتُ بِهِ بُيُوتَ بَنِي عُبَادٍ وبَعْضُ الشَّرِّ أشْفَى لِلصُّدورِ[15]

فلما بلغ الحارثَ بنَ عُباد مقتلُ بُجَيْر قال : نِعْمَ القَتِيلُ قَتِيلُ أصْلَحَ اللهُ بِهِ بين بني وائل وبَاءَ بِكُلَيْبٍ ! فقيل له : إن مهلهلا لما قتله قال له : بُؤْبِشِسْعِ نَعْلِ كليب ! فعند ذلك غضب الحارث وقال : **الأمُورُ مَخْلُوجَةٌ ولَيْسَتْ بِسُلْكَى**، وقال :

قَرِّبَا مِربَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عَن حِيَالِ
قَرِّبَا مِرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي إنَّ بَيْعَ الكِرامِ بِالشِّسْعِ غَالِ[16]

---

15) رواية الاغاني : وبَعْضُ الغَشْمِ أشْفَى لِلصُّدُور . والغشم : الظلم
16) في الأغاني بدل هذا البيت :
لا بُجَيْرٌ أغْنَى قَتِيلاً ولاَ رَهْطُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلاَلِ

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ وإنِّي بِجَمْرِهَا اليَوْمَ صَالِ

وهي قصيدة . ونهض لحرب تَغْلِب حتى أبارهم . وفرّ مُهَلْهِل حتى هلك غريب الدار كما سيأتي . وقلب أبو عبيد هذا المثل فأورده هكذا : **الأمُورُ سُلْكَى ولَيْسَتْ بِمَخْلُوجَة**، والصواب العكس، كما أورده غيره وهو الذي قدّمنا، لأن الأمور في قضية الحارث ليست بسُلْكَى، وهلم جرا . وقول امرىء القيس **كَرَكٌ لأمَيْن عَلَى نَابِلِ**، فيه كلام يُبين (بَعْدُ) في تشبيهات امرىء القيس إن شاء الله تعالى.

تَأمِيرُ الأرَاذِلِ، تَدْمِيرُ الأفَاضِلِ.

التَّأْمِير : تولية الامارة : وأرَاذِلُ الناس : سُفَلُهم، والتَّدْمِيرُ، بالدال المهملة : الاهلاك . وأفَاضِلُ الناس : خيارهم.

ومعنى المثل ظاهر، وهو فيما أظن مصنوع موجود في بعض تآليف البلغاء المصنوعة .

الأمْرُ أشَدُّ مِنْ ذَلِكَ.

قد يُتَمَثَّلُ به، وهو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكر المحشر وأن الناس يحشرون حفاة عراة، فقيل له : وكيف ينظر بعضهم الى بعض ؟ فقال ذلك . والحديث معروف مشهور .

آمَنُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ.

الأمن ضدّ الخوف ؛ والحمام ومكة تقدما . وأمن الحمام في مكة أنه لا يتعرض له ولا يصاد ولا يقتل . ولذلك قال النابغة :

والمُؤمِنِ العائِذاتِ الطَّيْرَ يَمْسَحُها رُكْبانُ مَكَّةَ بَيْنَ الغَيلِ والسَّعَدِ

وقال عمرو بن الحارث بن مُضَاض الجُرْهُمِي من قصيدة :

فَسَحَّتْ دموعُ العَينِ تَبكي لِبَلدَةٍ بِهَا حَرَمٌ أمْنٌ وفِيهَا المَشَاعِرُ

وتَبكي لِبَيتٍ لَيسَ يُؤذَى حَمامُهُ تَظَلُّ بِهِ أمْنًا وفِيهِ العَصَافِرُ

وفِيهِ وُحُوشٌ لا تُرَامُ أنِيسَةً إذَا خَرَجَتْ مِنْهُ فَلَيْسَتْ تُغَادِرُ

وهذا الشعر قاله عندما نَفَتْهُم خُزَاعَةُ وأخرجوهم الى اليمن من مكة، فجعل يتذكر مكة ويحزن ويبكي لفراقها . وتقدم شيء من معنى هذا المثل.

أمَّا الدِّينُ فَلاَ دِين.

يُتَمَثَّلُ به كثيرا، وهو من كلام مُسَيْلِمة الحنفي الكذَّاب لعنه الله تعالى . وذلك أنه، لما غزاهم سَيفُ الله خالدُ بن الوليد رضي الله عنه في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، التقوا فاقتتلوا قتالا شديدا . فلما اشتدّ القتال آخراً على مُسَيْلِمَة وأصحابه بني حنيفة وعظُم عليهم الأمر وأيقنوا بالهلاك والدمار، قال له بعض أصحابه : أيْنَ مَا كنت تَعِدنا يا أبا ثُمَامَةَ من النصر ؟ فقال عند ذلك : **أمَّا الدِّينُ فَلاَ دِينَ، ولَكِنْ قَاتِلُوا عَلَى أحْسَابِكُم.** فجعلوا يتندَّمون ويسبُّونه، وقتل في ذلك اليوم، لعنه الله . والقصَّة مشهورة ومعروفة في السِّيَرِ لا حاجة الى سردها .

أنَا بِالقُوسِ، وَأنْتَ بِالقَرَقُوسِ، مَتَى نَجْتَمِعُ ؟

القُوس بضمّ القاف : صومعة الراهب . قال الشاعر يذكر امرأة : لاَ سْتَفْتَنَتْنِي وذَا المِسْحَيْنِ في القُوسِ[17] . والقَرَقُوس، على مثال قَرَبُوس : القاع الصلب من الأرض، وبين المكانَيْن بَوْنٌ بعيد . **فيضرب** عند التباعد في الأمكنة أو الخلال أو الشيم، كما قيل :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ
فَعَزٌّ الفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلاَ
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إلَيْهَا الصُّعُودَ
ولَنْ تَسْتَطِيعَ إلَيْكَ النُّزُولاَ

أنَا ابْنُ بَجْدَتِهَا.

يقال بَجَدَ بالمكان يَبْجُد بُجُوداً إذا أقام به . والبجْدَةُ بفتح الباء الموحدة وضمّها مع سكون الجيم، وبضمّهما معا : أصل الشيء ودخلة الأمر وباطنه، فيقال عند فلان بَجْدَةُ هذا الأمر أي عِلْمُه، وهو ابنُ بَجْدَتِها أي العالم .

---

17) هذا عجز بيت لجرير، وصدرُه : لاَ وَصْلَ إذْ صَرَفَتْ هِنْدٌ ولَوْ وقَفَتْ.

قال أبو العلاء المعري :

إذَا أسْكَتَ المُحتَجُّ كُلَّ مُنَاظِرٍ

فَعِنْدَ ابْنِ نَصْرٍ بَجْدَةٌ بِحَوَاب

وقال صَفِيُّ الدِّين الحِلِّيُّ رحمه الله تعالى :

لاَ لَقَّبَتْنِي المَعَالِي بِابْنِ بَجْدَتِهَا

يَوْمَ الفَخَارِ ولاَ بَرَّ التُّقَى قَسَمِي

ويقال أيضا للدليل الهادي . ويقال أيضا : هو عالم بِبَجْدَةِ أمرك وبَجْدِ أمْرِك، أي بداخلته . وقيل إنما قيل : أنَا ابْنُ بَجْدَتِهَا، وهُوَ ابْنُ بَجْدَتِها من البُجُود وهو الاقامة، لأن المقيم بالمكان عالم به . يقال : هُوَ ابْنُ بَجْدَةِ هَذَا البَلَد أي العالم بأمره لإقامته به . وقيل أصله من قولهم : فُلاَنٌ مِنْ أهْلِ البَجْدِ أي من أهل البادية وهم العلماء باللسان على ما وضع به.

أنَا تَئِقٌ وأنْتَ مَئِقٌ فَكَيْفَ نَتَّفِقُ ؟

التَّئِقُ : المُمْتَلِيء غضبا . وأصله في الإناء يقال : تَئِقَ الاناءُ يَتْأقُ إذا امتلأ وأتْأقْتُهُ أنَا مَلأتُهُ . ويقال : التَّئِقُ السريع الى الشرّ . ويقال : هو الحديد قال الشاعر[18] يصف كلبا :

أصْمَعُ الكَعْبَيْنِ مَهْضُومُ الحَشَا

سَرْطَمُ اللَّحْيَيْنِ مَعَّاجٌ تَئِقْ

وقال الآخر يصف فرسًا :

ضَافِي السَّبِيبِ أسِيلُ الخَدِّ مُشْتَرِفٌ

حَابِي الضُّلُوعِ شَدِيدٌ أسْرُهُ تَئِقُ

والمَئِقُ : الباكي يأخذه شبه الفواق عند البكاء والنشيج . يقال : مَئِق الرجل والصبيُّ يَمْأَق مَأقًا ومَأقَةً بالتحريك وامْتَأق . قال رؤبة.

كَأنَّمَا عَوْلَتُهَا بَعْدَ التَّأقْ

عَوْلَةُ ثَكْلَى وَلْوَلَتْ بَعْدَ المَأقْ

18) هو عدي بن زيد.

وشأن التَّئِق النزوعُ الى الشرّ لغصبه، وشأن المئِق ضِيقُ الصدر عن الاحتمال، فلا يجتمعان . فيضرب للمتخالفين خلقا.

أنَـا جُـذَيْـلُـهَـا المُـحَـكَّـكُ وعُـذَيْـقُـهَـا المُـرَجَّـبُ.

لما قُبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار الى سَعْدِ بْنِ عُبَادَة في سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَة، فأتاهم أبو بكر وعُمَرُ وغيرُهما من المهاجرينَ - رضي الله تعالى عن الجميع - فتكلم أبو بكر، والقصَّة مشهورة . وتكلم رجل من الأنصار، وفي رواية وهو الحُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ فقال : أنَا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ وعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ، منا أميرٌ ومنكم أمير . والجُذَيْل تصغير جِذْل بكسر الجيم وتُفتح، وبالذال المعجمة الساكنة . والجِذْل : ما عَظُم من أصول الشجر أو أصلُ الشجرِ وغيرها بعد ذهاب الفرع . والجمع أجذال وجذول وجذولة . قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ عَلَى لَبَّاتِهَا جَمْرَ مُصْطَلِي

أصَابَ غَضًا جَزْلاً وكُفَّ بِأجْذَالِ[19]

والجِذْلُ أيْضًا : عودٌ يُنصَبُ لِلْجَرْبَى لِتَحْتَكَّ به، وهو المقصود هنا . ويقال : هو عود ينصب في مَبْرَكِ الابل تَحْتَكُّ به لتزيل ما عليها من قراد وكل ما لزق بها فتستشفى بذلك، ويكون كالتمرغ للدابة . قال الراجز :

لاقَتْ عَلَى المَاءِ جُذَيْلاً واتِدا

ويُضرب مثلا للرجُل فيقال : هو جِذْلُ مُحَاكَّةٍ وجِذْلُ حِكَاكٍ . قال الأصمعي : قلت لأعرابي : ألَكَ بَنون ؟ قال : نعم، وخالِقِهم لم تَقُمْ على مِثْلِهم مُنْجِبَة . قلت : صِفْهُم لي . قال : جَهْمٌ وما جَهْم ! يُنْضي الوهْم، ويَصُدُّ الدَّهْم، ويَفْرِي الصُّفوف، ويُعِلُّ السيوف . قلت : ثم من ؟ قال : غَشَمْشَم وما غَشَمْشَمَ ! ماله مَقْسَم، وقِرْنُه مُجَرْجَم، جِذْلُ حِكاك، ومِدْرَهُ لِكاك . قلت : ثم مَنْ ؟ قال : عَشْرَب وما عَشْرَب ! لَيثٌ مُحَرَّب، وسَمامٌ مُقَشَّب ؛ ذِكْرُه باهِر، وخَصْمُه عاثِر ؛ وفِنَاؤُه رِحَاب، ودَاعِيهِ مُجَاب . قلت : فصِفْ لِي نَفْسَك . قال : ليث أبو رَيابِل، ركَّابُ مَعاضِل، عَسَّافُ مَجاهل ؛ حَمَّالُ أعْباء، نَهَّاض بِبَزْلاَء.

19) في ديوان امرىء القيس (مصطل) بدل مصطلي

قوله : يُنضِي الوَهْم أي يُهْزِلُ الوهم، وهو الجمل الضخم من قوّته ؛ ويَصُدُّ الدَّهْم أي يَكُفّ الدَّهْم، وهو العدد الكثير من العدوّ . ويَفْري الصفوف أي يشقُّها في القتال مُقْدِمًا . ويُعِلّ السيوف أي يُوردها دِمَاءَ الأقران مرةً ثانية من العَلَل في الشرب.

وقوله : قِرْنُه مُجَرْجَم أي مُبَارزُه مُجَرْجَم أي مَصْرُوع ؛ وجِذْل حِكَاك أي يُسْتَشْفَى به في الأمور كالجِذْلِ المنصوب الذي تَسْتَشْفِي به الابِلُ الجَرْبَى والمِدْرَهُ : لسانُ القوم . واللِّكَاك : الزِّحَام . والليثُ المُحَرَّب : المُغْضَب، وهو أشد ما يكون ؛ والمُقَشَّب : المخلوط . والباهر : الغالب . والرَّيَابِل جمع رِيبَال يُهْمَزُ ولا يُهْمَز، وهو الأسد . والمعاضل : الدواهي ؛ والعسَّاف : الركَّاب الطريق على غير هداية . والمجاهل : الفلوات ؛ والأعباء : الاثقال ؛ والبَزْلاءُ : الرأي الجيِّد، وهو مثل سيأتي . وأما العُذَيْق فهو تصغير عَذْق، وهو بالفتح : النخلةُ بِحِمْلها، وبالكسر القِنْوُ منها . والمقصود هنا الأول . والمرجَّب : المعظَّم . يقال : رجَّبته ترجيبا : عظَّمته . ومنه رَجَب لتعظيمهم إياه . ويقال : إن فلانا لَمُرجَّب أي عظيم . وحدَّث الأصمعي قال : مررت في بلاد بني عامر بحلة في غائط يطؤهم الطريق، فسمعت رجلا يُنشِد في ظل خيمته له ويقول :

أحقًا عِبَادَ اللهِ أنْ لَسْتُ نَاظِرًا
إلَى قرقرى يومًا وأعْلاَمِهَا الغُبْرِ
كَأنَّ فُؤادِي كُلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ
جَنَاحُ غُرَابٍ رَام نَهْضًا الَى وَكْرِ
إذَا رَحَلَتْ نَحْوَ اليَمَامَةِ رِفْقَةٌ
دَعَاكَ الهَوَى واهْتَاجَ قَلْبُكَ لِلذِّكْرِ
فَيا رَاكِبَ الوَجْنَاءِ أُبْتَ مُسَلَّمًا
ولاَزِلْتَ مِنْ رَيْبِ الحَوادِثِ في سِتْرِ
إذَا مَا أتَيْتَ العُرْضَ فَاهْتِفْ بِجَوِّهِ
سُقِيتَ عَلَى شَحْطِ النَّوَى سَبَلَ القَطْرِ

فَإنَّكَ مِنْ وَادِ الَيَّ مُرَجَّبِ وإن كُنْتَ لاَ تَزدَارُ إلاَّ عَلى عُفْرِ

قال فلما رآني مُصغيًا إليه أشار اليَّ فاستأنسني وأنزلني ووضع طعاما فقلت : أنا الى غير هذا احْوَجُ، قال : ماذا ؟ قلتُ : تُنْشِدُنِي، قال : أفْعَل . فلما أصبت من الطعام قلت : الوَعْد، فأنشدني :

لَقَدَ طَرقَتْ أمُّ الخَشِيفِ وإنَّهَا إذا صَرعَ القَومَ الكَرَى لَطَرُوقُ

فَيَا كَبِداً يَحمَى عَلَيهَا وإنَّهَا مَخافَةَ هَيضَاتِ النَّوى لَخَفوقُ

أقَامَ فريقٌ مِن أنَاسٍ يَوَدُّهُم بِذاتِ الغَضَا قَلْبِي وبَانَ فَرِيقُ

لحاجة محزون يَظل وقلبه رهين ببيضات الحجال صديقُ

تَحَمَّلْنَ ان هَبَّتْ لَهُنَّ عَشِيَّةٌ جَنُوبٌ وان لاحَتْ لَهُنَّ بُرُوقُ

كأنَّ فُضولَ الرَّقْمِ حين جَعَلْنَها غديا عَلَى أدْمِ الجِمَالِ عُذُوقُ

وفِيهنَّ منْ بُختِ النِّساءِ رِبَحْلَةٌ تَكادُ بِهَا غُرُّ السَّحَابِ تَرُوقُ

هِجانٌ فأمَّا الدِّعْصُ مِن أخْرياتِها فَوَعْثٌ وأمَّا خَصْرُها فَدَقِيقُ

فقوله : فإنَّكَ مِنْ وادٍ اليَّ مُرَجَّبٍ أي معظَّم . وقوله في القطعة الثانية :

كأنَّ فُضولَ الرَّقمِ حِين جَعَلْنَها غديا عَلى أدْمِ الجِمَالِ عُذُوقُ

أي نخلات، جمع عَذْق وهو النخلة كما ذكرنا قبل، أو قِنْوَانُها، وهو تشبيه مشهور عند القدماء، يشبهون الحمول والبرود المرقومة فيها بالنخيل إذا أينع ثمرُها فاحمرَّ واصفرَّ . قال امرؤ القيس :

أو المُكرعَات مِن نَخِيلِ ابْن يامِنٍ دُوينَ الصَّفا اللاَّئِي يَلِين المُشَقَّرا

سَوامِقَ جَبَّارٍ أثِيتٍ فُرُوعُهُ وعَالَيْن قِنْوانًا مِن البُسْرِ أحمَرا

وقال أيضا :

عَلَونَ بأنطَاكِيَّةٍ فَوقَ عِقْمَةٍ كَجِرمَةِ نَخْلٍ أو كَجَنَّةِ يَثْرِبِ

والترجيب في النخل أن يجعل للنخلة دكان تعتمد عليه أو تدعَّم بشيء إذا كثر حملها لئلا تنكسر. ويُسمى ذلك الدكان الرُّجْبَة بضمّ الراء . وقيل أن يغرز الشوك حولها حتى لا يوصل إليها . وقيل أن تُضَمَّ قِنْوانُها الى سَعَفَاتها وتُشَدَّ بِالخُوص حتى لا

ينفضها الريح فيقال : نَخْلَةٌ مُرَجَّبَة، وعِذْقٌ مَرَجَّب . ويقال : نخلة رجِيبَة بتخفيف الجيم وتشديدها.

وينشد بهما قول الشاعر : [20]

لَيْسَت بِسَنْهاءٍ ولا رُجَّبِيَّةٍ ولكِنْ عَرايا في السِّنِ الجَوائح

ولا يرجَّب من النخل إلا الكريمة . واعلم أن التصغير في كل من الجُذَيْل والعُذَيْق للتعظيم على ما أثبت الكوفيون من ورود التصغير للتعظيم كقول لبيد :

فُوَيْق جُبَيْل شَامِخٍ لَن تَنالَهُ بِهِمَّتِهِ حَتَّى تكلّ وتَعْمَلا

وقيل للتقريب كما في بُنَيٍّ وأُخَيٍّ . وقد تحصل في معنى الكلام بجملته أنه يقول : أنا الذي يُرجع إليه في النائبات، ويُتمسَّك بذيله في المُلِمّات، ويُستند الى عقله في الحوادث المُدْلَهِمَّات، ويُستشفى بفضل رأيه في المُعضلات المعوصات، كالجُذيل الذي تَسْتَشْفِي بالاحتكاك به الابل ؛ وأنالي أيضا عشيرةٌ يحفظوني ويؤووني، وعصبة ينصروني ويمنعوني، كالنخلة الممتنعة برجبتها، الكريمة على أهلها إذ لا يُرَجَّب من النخل إلا الكرام كما مرّ . وقد علم اشتمال الكلام على مثلَيْن وليس مثلا واحدا ؛ إلا أنهما يقرن بينهما كثير . وفي مقامات البديع قوله : حَتَّى إذا مال الكلامُ بنا مَيْلَه، وجرَّ الجدالُ بيننا ذَيْلَه، قال : أصَبْتُم عُذَيْقَهُ، ووافَيْتُم جُذَيْلة الخ . وقيل معنى أنا جُذَيْلُها المحكَّك : أنا صاحب رهان . والمحكَّك المعاود لها، كما قال الراجز :

جِذْلُ رِهَانٍ في ذِرَاعَيْهِ حَدَب[21]

أي السير ويقال أيضا. رجل مُحَكَّك : أي مُجَرِّبٌ للأمور بصير بخيرها وسرّها . وهو مدح في الرجال، ذمّ في النساء قال الحماسي :

لا تنْكِحَنَّ الدَّهْرَ مَا عِشْت أيِّمًا مُجَرِّبَةً قَدْ مُلَّ مِنْها ومَلَّتِ

ويقال أيضا : أنا جُحَيْرُها المُأرَّبُ، وعُذَيْقُها المُجَرَّب . والجحير تصغير جحر وهو الغار ؛ والمُأرَّب المقور الململم، ومعناه واضح من الذي قبله.

---

20) هو سويد بن صامت.

21) في لسان العرب : وإنه لجِذْلُ رِهان أي صاحب رهان ؛ عن ابن الاعرابي، وأنشد :

هَلْ لَكَ في أجْوادِ ما قادَ العَرَب هَل لَكَ في الخَالِصِ غَيْرِ المَؤْتَشَب

جِذْلُ رِهَانٍ في ذراعَيْه حَدَب أزَلَّ إن قِيدَ، وإنْ قَامَ نَصَب

يقول : إذا قام رأيته مُشْرِفَ العنق والرأس.

أنـا كَـلِـف، وأنْـتَ صَـلِـف، فَـكَـيْـفَ نَـأْتَـلِـف ؟

الكَـلَـفُ بفتحتَـين العشق والولوع بالشيء . يقال : كَلِف الرجل بكذا يكلَف به بالكسر في الماضي، فهو كَـلِـف كَـكَـتِـف . والصَّـلَـفُ بفتحتَـيْـن : عدم الحظوة . يقال : صَلِفت المرأة بالكسر إذا لم تكن لها مكانة عند زوجها ولا قدر وأبغضها، فهي صَلِفَـة وهنَّ صلائف . قال القطامي يذكر امرأة :

لَـهَـا رَوْضَـةٌ في القَـلْـبِ لَـمْ تَـرْعَ مِـثْـلَـهَـا

فَـرُوكٌ ولا المُسْتَـعْـبِـراتُ الصَّلائِـفُ

ويقال للمرأة : أصْـلَـفَ اللّهُ رُفْـغَـكِ أي بغَّضكِ الى زوجك . والصَّـلَـفُ أيضا التكلمُ بما يكرهه صاحبُـك، والتمدُّحُ بما ليس عندك، ومجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا.

وهذا المثل يضرب أيضا للمتباينين في الأخلاق كالذي تقدَّم.

أنـا أتَـلَـوَّصُ قَـبْـلَ أنْ أُرْمَـى.

التَّـلَـوّص بالصاد المهملة : التلوي والتقلب، وألاصَـه : أداره . والرمي معروف . وأعلم أن العقلاء من حكماء الفلاسفة والعرب وضعوا حكما كثيرة وأمثالا جمَّة على ألسنة الجمادات والحيوانات العجماوات باعتبار حالها تعليمًا للناس وارشادًا لهم الى مصالحهم معاشًا ومعادًا، وذلك من قبيل التمثيل الذي ذكرناه من قبل . وسيأتي في هذا الكتاب إن شاء الله كثير من هذا النوع، فكان من ذلك أن قالوا : إن الغراب وصَّى ابنَـه فقال له : يابُـنَـيَّ، إذا رُمِيتَ فَـتَـلَـوَّصْ، أي انحرف لئلا تُصاب فقال : يا أبَـتِ، أنَـا أتَـلَـوَّصُ قبل أنْ أُرْمَـى يضرب في التحرز من الشيء وأخذ الحذر منه قبل كَـيْـنُـونَـتِـه.

أنـا مِـنْ هَـذَا الأمْـرِ فَـالِـجُ بْـنُ خَـلاَوَة.

فَـالِـج بالفاء والجيم، على صيغة فاعل : اسم رجل من أشجع، وهو فالج بن خلاوة بفتح الخاء المعجمة بن سُـبَـيْـع بن بَـكْـر بن أشْـجَـع . وكان فالج هذا قيل له يومَ الرَّقَـم إذْ قَـتَـلَ أنَـيْـسٌ الاسْرَى : أتَـنْـصُرُ أنَـيْـسًا ؟ فقال : إنِّي منه بريء . ويَـوْمُ الرَّقَـم يومٌ من أيامهم، فُـقِـد فيه فرسُ عامِر بن الطُّفَـيْـل، فبقي لكل خَـلِـيٍّ من أمر مُـتَـبَـرَّىءٍ منه أن يقول : أنا منه فَـالِـجُ بْـنُ خَـلاَوَة أي أنا منه خلاءٌ بريء بمنزلة ذلك الرجل.

أنـَا مِـنْ هـَذَا الأمْـرِ كـَحـَاقـِنِ الإهـَالـَةِ.

الحقن : الحبس . يقال : حقـَن اللبنَ في السِّقاء إذا جمعه وخلط حليبه برائبه كما مرَّ، وحقـَن البول : أمسكه، وحقـَن دمـَه : منعه من القتل . وكلُّ شيء أمسكتـَه وحبستـَه فقد حقـَنـْتـَه . والاهالة : الوَدَكُ، وهو الشحم أو ما أذيب منه، أو الزيت وما يـُؤْتـَدَمُ به، فيقال : أنـَا مِـنْ هـَذَا الأمْـرِ كـَحـَاقـِنِ الاهـَالـَة، أي عالمٌ به خبير بحاله، لأنه لا يحقن الاهالة في السِّقاء إلا مَنْ يعلمُ أنها بردتْ لئلا يحترق السقاء بها.

أنـَا النـَّذِيرُ العـُرْيـَانُ.

الانذار : الابلاغ مع تخويف، والاسم النـُّذُر. قال تعالى : فـَكـَيـْفَ كـَانَ عـَذَابـِي ونـُذُر . والنذير فعيل بمعنى مُفـْعـِل أي مُنـْذِر . ويكون النذير أيضا بمعنى الانذار، والقصد هنا الأول . والعريان معروف . يقال : عرِيَ الرجل بالكسر يـَعـْرَى عـَرَاءً فهو عـُرْيان بضمّ العين وعارٍ ؛ وجمع العريان عـُرْيـَانـُونَ، وجمع العاري عـُراة . وهذا المثل ورد بهذا اللفظ في الحديث من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مثل قديم للعرب يقال عند الانذار بقرب العدوّ مع المبالغة في الانذار . وأصله أن النـَّذِير الجادّ المـُغـَوِّث يـَتـَعـَرَّى من ثوبه فيمسكه بيده ويشير به ويـَلـْمـَعُ لتسبِقَ رؤيةُ الثوبِ سماعَ صوتـِه، وإنما ذلك عند قرب العدوّ وهجومهم، فكان مثلا عند الجدّ والتشمير في الانذار بكل أمر هائل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لقومه : أرَأيـْتـُمْ لـَوْ أخْـبـَرْتـُكـُمْ أنَّ بـِالوَادِي خـَيـْلاً تـُصـَبِّحـُكـُم أكـُنـْتـُم مـُصـَدِّقـِيَ ؟ فقالوا : ما جـَرَّبـْنـَا عـَلـَيـْكَ مِـنْ كـَذِب . فقال : فإنـِّي نـَذِيرٌ لـَكـُمْ بـَيـْنَ يـَدَيْ عـَذَابٍ شـَدِيد، أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وقال صاحب الروض[22] في قوله تعالى : يـَا أيـُّها المـُدَّثـِّرُ إن وجه ارتباطه مع قوله تعالى : قـُمْ فـَأنـْذِرْ أن الانذار من أوصافه صلى الله عليه وسلم التي وصف بها نفسه بقوله : أنـَا النـَّذِيرُ العـُرْيـَانُ . ومعلوم أن الانذار على هذا الشعار مخالفٌ للتـَّدَثـُّرِ بالثياب، فكان فيه من التطابق والالتئام مالا يخفى . وهو حسن ظاهر . ويقال أصلُ المثل في رجل من خـَثـْعـَم أخذه العدوُّ وسلبوه ثيابه وقطعوا يده . فجاء قومـَه منذراً على تلك

22) يقصد الروض الأنـُف للامام السهيلي.

الحال . ويقال إنه في يوم ذي الخَلَصَة حمل عليه عَوْفُ بنُ عامر فقطع يده ويد امرأته والله أعلم .

أنْت شَوْلَةُ النَّاصِحَةُ

شَوْلَة بفتح الشين المعجمة فسكون : أمةٌ كانت لِعَدْوَانَ، وكانت رَعْنَاءَ حمقاء، فكانت تَنْصَحُ لمواليها فتعودُ نصيحتُها شرًّا عليهم ووبالا لحمقها . فضُرِبَ بها المثلُ لكل ناصح أحمق يقال له : أنْتَ شَوْلَةُ النَّاصِحَةُ، أي بمنزلة تلك الأمة.

أنْت صاحِبَةُ النَّعَامَةِ.

النعامة واحدة النَّعَام المعروف . وصاحبة النعامة امرأة من العرب وجَدَتْ ذات يوم نعامةً غَصَّتْ بِصُعْرُور، وهو صَمْغَة، فأخذتها وربطتها بخمارها الى شجرة، وقد منعتها الغُصَّةُ أن تهرب . فذهبت المرأة الى الحي فهتفت بهم وجعلت تقول : من كان يحفّنا ويرفّنا فليترك، أي مَنْ كان يُحسن إلينا ويلطف بنا فليقطع ذلك عنا . ثم قَوَّضَتْ خيمتَها لتحمل على النعامة . فجاءت إليها فوجدتها قد أساغت غُصَّتَها وفرَّت فبقيت المرأة لا هي بالنعامة ظَفِرت، ولا بنصيبها من الناس تَمسَّكت، فيُضرَب بها المثلُ ويقال : أنت صاحبةُ النعامة، أو كصاحبة النعامة عند التشنيع على من وَثِقَ بغير ثِقَةٍ واغترَّ بغير طائل . وفي معنى هذه القصَّة ما تحكي العامة اليوم في الخرافات أن رجلاً وجد أرنبًا في فلاة قد نامت فجاء يشتدّ حتى انتهى الى الحيّ فصاح بهم : ألا إنَّا قد قطعنا التَّذْوِيقَ فيما بيننا، وهو ما يتهاداه الجيران فيما بينهم من نحو الفاكهة واللحم واللبن، وجعل يقول : قد قطعناه، حتى أسمع الناسَ ذلك وأسمعوه مثله . فرجع فوجد الأرنب قد هبَّت من نومها وذهبت .

أنْتِ غَيْرَى نَغِرَةٌ

يقال : غار الرجل على امرأته يغار غَيْرًا وغَيْرة بالفتح وغارًا، فهو غَيُور وهم غُيُرٌ، وهُو غَيْران وهم غَيارى وغُيارى، ورجلٌ مِغْيار، وقوم مَغَايِير ؛ وغارت المرأة تغار، فهي غَيُورٌ وغَيرَى، وهنَّ غَيَارى : والنَّغِرَةُ : التي تَغْلِي من الغَيْرة كما تَنْغَرُ القِدْرُ أي تَغْلِي . يقال : نغِر الرجلُ بالكسرة إذا اعتاظ وغلِي جوفُه من

الغيظ، فهو نَـغِـر وهي نَـغِـرَة . فيقال هذا عند اشتداد الغيرة . ويحكى أن امرأة جاءت عليا كرم الله وجهه فذكرت أن زوجها يطأ جاريتها، فقال : إن كُـنْـتِ صادقة رجمناه، وإن كنت كاذبة جلدناك، فقالت : رُدُّوني الى أهلي غَـيْـرَى نَـغِـرَة ً !

قيل : وأول من نطق بهذا المثل عمرو بن المنذر الذي يقال له عمرو بن أمامة، وهو الذي قتلته مراد ٌ في قضيب، وذلك أن أباه المنذر بن امرىء القيس كان تزوج هند بنت الحارث ابن آكِـلِ المُـرَار الكندي، فولدت له عمراً، وهو الذي يقال له عمرو بن هند، والمنذر بن المنذر، وملك بن المنذر، وقابوس بن المنذر، وكان ملك أصغرهم . فلما كبرت هند عند أبيهم المنذر أعجبته بنت أخيها أُمَامة بنتُ سَلَـمَةَ بنِ الحارث، فطلَّق هنداً وتزوج أمامة فولدت له أمامة عمرو بن المنذر الذي يقال له عمرو بن أمامة . ثم إن المنذر جعل الأمر من بعده لابنه عمرو بن هند، ثم لقابوس، ثم للمنذر، ولم يجعل لعمرو بن أمامة شيئا . فكان ذلك سبب وقوع الشرّ بينه وبين إخوته لأبيه . فتملك عمرو بن هند الخَـوَرْنَـقَ والسَّـدِير، وجعل لأخيه قابوس البدو، فغضب عمرو بن أمامة وذهب نحو اليمن يطلب النصرة على إخوته، وقال في ذلك يخاطب عمرو بن هند :

ألا بْـنِ أُمِّكَ مَابَـدَا ... ولكَ الخَوَرْنَقُ وَالسَّدِير
فلأَمْنَـعَنَّ مَنابِتَ الضَّمْرِ ... اَنِ إذْ مَـنَـعَ الـقُـصور
بِكَتائِبٍ تَرْدِي كَما تَرْ ... دِي إلَى الجِيفِ النُّسُور
إنَّا بَنِي العَلاَّتِ تقضى ... دُونَ شَاهِدِنَـا الأُمُـور

والضَّمْرَان بفتح الضاد : نبت من نبات البادية ؛ والرَّدَيَان : الجريُ يقال : رَدتِ الخيلُ تَـرْدِي إذا جَرَت ؛ وأبناء العَلاَّت : أبناء أمهات شتَّى ؛ وأبناء الأعيان : أبناء أمٍّ واحدة . ثم إن عمرو بن أمامة لحق باليمن وتبعه ناس من قَـيْـسِ عَـيْـلاَن وغيرهم، فأتى ملكها يطلب منه جنداً ليقاتل أخاه على نصيبه من الملك . فقال له الملك : من أحببت، فاختار مراداً، فسيَّرهم الملك معه . فلما انتهوا معه الى وادٍ يقال له قَـضِيب تَـلاَومَـتْ مراد ٌ فيما بينها وقالوا : كيف تتركون أموالكم وعشائركم وبلادكم وتتبعون هذا الأنكر ؟ فقام

هُبَيْرَةُ بنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وهو سيد مراد إذ ذاك، فتمارض وشرب مَاءَ الرُّفَةِ وهي شجرة هناك، فاصفرَّ لونه. فبلغ عمراً أن هُبَيْرة مريض، فبعث إليه طبيبا، فجاءه الطبيب وقد شرب المَغْرة وجعل يَمُجُّها لما دخل عليه الطبيب. فأحمى الطبيب مَكَاوِيَه وجعلها على بطنه، فقال له : أصبت موضع الداء ! وجعل يكويه حتى كَشَحَ بَطْنَه بالنار، وهو يريه أنه لا يَجِدُ مَسَّها، وبذلك سمي صُبَيْرة المَكْشُوح. فرجع الطبيب الى عمرو وقال : وجدته مريضًا ورأيته لا يُحِسّ بالنار. فلما اطمأن عمرو بن أمامة صار إليه المكشوح (في قومه) من تلك الليلة وثأر به. فلم يشعر حتى أحاطوا به، وكان عمرو تلك الليلة مع بعض حظاياه . فلما سمعتْ أمُّ ولده الغَسَّانِيَّةُ جَلَبَة الخيل قالت : أيْ عمرو، أُتِيتَ ! وقالت : سَالَ قَضِيبٌ حَدِيدا، أو جاءتك مرادٌ وفُودا، فذهبت مثلا . فقال لها عمرو : أنْتِ غَيْرَى نَغِرَة، أي إنك إنّما قلت ذلك غيرةً منكِ عليَّ، فذهبت مثلا . ومرّ به قطيع من القطا فقالت : يا عمرو أُتِيت ! لَوْ تُرِكَ القَطَا لَنَامَ، فذهبت مثلا . فلما انتهوا إليه وثاروا إليه، ثار إلى سيفه فخرج عليهم وهو يقول :

لقد عَرَفْتُ الموتَ قبلَ ذوْقِهِ إنَّ الجبانَ حَتْفُهُ من فوْقِهِ
كلُّ امرىءٍ مُقاتلٌ عن طَوقِهِ كالثَّوْرِ يحْمِي، جِلْدهُ بروَقِهِ

فزعموا أنه لقيه غلام من مراد يقال له الجُعَيْد أو تَمِيم بنُ الجُعَيد، وقد كان عمرو قال فيه : نِعْمَ وَصِيفُ المَلِكِ هذا ! فقال الغلام :

أيَّ وصِيفَ مَلِكٍ تَرَانِي؟ أمَا تَرَانِي رَابِطَ الجَنَانِ؟
أفْلِيهِ بِالسَّيْفِ إذا اسْتَفْلانِي أُجِيبُهُ لَبَّيْكَ إذْ دَعَانِي
رَوَّيْتُ مِنْهُ عَلَقًا سِنَانِي

ثم ضربه فقتله، فتفرق عنه الناس، ورجعت مرادٌ الى اليمن فأقبل الغلام الذي قتله بالغسّانية وبابنيه وهما غلامان، فبلغ الى عمرو بن هند، فقال له : أيها الملك، إني سترت عورتك، وقتلت عدوّك . فقال له عمرو : إن لك لخباء[23] أنت له أهل . اضرموا له نارا واقذفوه فيها ! فقال الغلام : أيها الملك إني كريم، فلْيَطْرَحْني فيها كريم فإن لي حسبا

23) في أ : (لحباء) بالحاء المهملة

فأمر عمرو بن هند ابنه وابن أخيه أن يتوليا ذلك، فانطلقا به . فلما دَنَوا من النار، مَسَحَ شِراكَ نَعْلِهِ فقالا : ما دعاك الى مسح نعلك، وأنت مطروح في النار ؟ فقال : أحببت ألا أدخل النار إلا وأنا نظيف . ثم قال :

الخيـــــرُ لا يأتي بِهِ حُـــــبُّهُ
والشَّـرُّ لا يَنْفَـعُ مِنهُ الجَـزَعُ

ثم قذف بنفسه وبهما معًا، فاحترقوا جميعا. وفي ذلك يقول طرفة ينعى عمرو بن أمامة الى أخيه :

أعَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ما تَرَى رَأْيَ مَعْشَرٍ
أفَاتُوا أبَا حَسَّانَ جَارًا مُجَاوِرَا
فإنَّ مُرادًا قَدْ أصَابُوا جَرِيمَةً
جِهَارًا وأضْحَى جَمْعُهُمْ لَكَ وَاتِرَا
دعَا دَعْوَةً إذْ شَكَّتِ النَّبْلُ صَدْرَهُ
أُمَامَةَ واسْتَعْدَى هُنَاكَ مَعَاشِرَا
فَلَوْ أنَّهُ نَادَى مِنْ الحِصْنِ عُصْبَةً
لألْقَوا عَلَيْهِ بِالصَّعِيدِ الشَّرَاشِرَا
ولَوْ خَطَرَتْ أبْنَاءُ قُرَّانَ حَوْلَهُ
لَأضْحَى عَلَى مَا كَانَ يَطْلُبُ قَادِرَا
ولَوْ شَهِدَتْهُ تَغْلِبٌ بِنْتُ وائِلٍ
لَكَانُوا لَهُ عِزًّا عَزِيزًا ونَاصِرَا
ولَكِنْ دَعَامِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ عُصْبَةً
يَسُوفُونَ فِي أعْلَى الحِجَازِ البَرَائِرَا
ألاَ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا ومَيِّتًا
بِبَطْنِ قَضِيبٍ عَارِفًا ومُنَاكِرَا
يُقَسِّمُ فِيهِمْ مَالَهُ وقَطِينَهُ
فِيَامًا عَلَيْهِ بالمَآلِي حَوَاسِرَا

أنِفْتُ لَهُ عَلَى عَدَاوَةٍ بَيْنَنَا وقلتُ قتيلٌ ما قتيل بحائرا

قوله : أفاتوا أبا حسان، أي أهلكوه، وهو عمرو بن أمامة . وقوله : اسْتَعْدى أي اسْتَنْصَرَ ؛ والحِصْن : ثَعْلَبَةُ بن غُكَابَة : والشَّرَاشر : المحبة . يقال : ألْقَى عليه شَرَاشِرَه إذا أحبَّه ؛ وأبناءُ قُرَّان من بني حنيفة، أي أهلُ قُرَّان، وهي قريةٌ باليمامة والبَرائر جمع بَريرة، وهي ثَمَر الأرَاكِ ؛ ويَسُوفُون : يَشَمُّون، ومنه المَسَافة، لأن الدليل ربما تحيَّر فشمَّ التراب ليعلم أعَلَى قَصْدٍ هو أم على جور . يقول إنهم قوم ضعاف ليس لهم طعامٌ إلا الأراك . ويُروى : يسوفون، أي يبتلعون ؛ والمآلي جمع مِئْلاَة، وهي خرقة تكون مع النائحة ؛ وبحائر : اسم لمراد.

إنْ جَرْجَرَ العَوْدُ فَزِدْهُ وقْراً.

الجَرْجَرَةُ : صوتٌ يردّده البعير في حنجرته، وذلك عند تشكّيه من الحمل وضجره وتضرره . قال الراجز :

جَرْجَرَ لمَّا عَضَّهُ الكَلُّوبُ

وقال الآخر : جَرْجَرَ في حَنْجَرَةٍ كَالجُبِّ.

والعَوْد : المُسِنُّ من الابل . قال امرؤ القيس :

وإنِّي زَعِيمٌ إنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكًا بِسَيْرٍ تَرى مِنْهُ الفُرانِقَ أزْوَرَا

عَلَى لاَحِبٍ لاَ يُهْتَدى بِمَنَارِه إذَا سافَهُ العَودُ النُّباطِيُّ جَرْجَرَا

يقول إن هذا الطريق إذا اشمَّه العَودُ من الابل ضجَّ منه، فكيف بغيره . والزيادة معروفة . والوقْر بالكسر : الحمل . ويُروى : إنْ جَرْجَرَ فَزِدْهُ ثِقَلاً، والثِّقَل معروف . والمعنى : إن ضجَّ بعيرك وتشكى من ثِقَل حمله، فزده ثقلا آخر ولا تلتفت الى ضجره.

يضرب عند الأمر بالالحاح في سؤال البخيل، وهو ظاهر.

إنْ ذَهَبَ عَيْرٌ فَعَيْرٌ في الرَّهَطِ.

الذهاب معروف . والعَيْرُ بفتح العين المهملة : الحمار ؛ وعَيْرُ القوم : سيدُهم، وهو المقصود هنا . والمعنى ظاهر.

الإيناسُ قَبْلَ الابْسَاس.

الأنْسُ ضدّ الوحْشَة ؛ وأنَسْتُ الرجل تَأنِيسًا، وآنَسْتُه إيناسًا .

والابْسَاسُ عند الحَلْبِ أن يقال للناقة : بس، [بس][24] وهو صُوَيْتٌ للراعي يقول لها ذلك لِتَدُرَّ للحالب، فيقال : أبَسَّ بِالنَّاقة يُبِسُّ إبْساسًا فهو مُبِسّ . قال الشاعر :

فَلَحَى اللَّهُ طَالِبَ الصُّلْحِ مِنَّا مَا أصَابَ المُبِسّ بِالدَّهْمَاء

وناقةٌ بَسُوس : لا تَدُرُّ إلا على الابْسَاس

والمعنى أن الناقة لا ينبغي أن يُبَسَّ بها حتى تُؤَنَّس قبل ذلك ويُتَلَطَّفَ لها، فيضرب في أن الانسان ينبغي ألاّ يكلّف امرأً أو يسأل حاجة حتى يتقدم إليه بتأنيسٍ ماليّ أو فعليّ أو قولي . قال الشاعر :

ولَقدْ رفَقْتُ فما حَظِيتُ بِطَائلٍ لاَ يَنْفَعُ الابْسَاسُ بِالاينَاسِ !

ودخل العَتَّابِيّ على الرَّشِيد فقال له : تَكَلَّمْ يا عَتَّابِيّ ! فقال : الاينَاسُ قَبْلَ الابْسَاسِ ! لا يُمدحُ المرء بأولِ صوابه، ولا يُذَمُّ بأول خَطَئِه[25] لأنَّه بين كلامٍ زَوَّرَه، وعَيٍّ حَصَرَه . انتهى.

إنْ أعْيَى فَزَوِّدْهُ نَوْطًا.

الاعْيَاءُ : الكَلاَلُ في المَشْيِ . يقال : أعْيَى المَاشِي إعياءً إذا كلَّ، وعَيِيَ الرجلُ بأمره على مثال رَضِيَ، ويُدْغَم : إذا لم يَهْتَدِ لوجهه أو عجز عنه ولم يُطِقْ إحكامه . وعَيِيَ أيضًا في منطقه إذا حَصِرَ . والنَّوْطُ بفتح النون وسكون الواو : جُلَّةٌ صَغِيرةٌ يُجعل فيها التَّمرُ وتُعَلَّقُ على البَعير . قال النابغة الذّبياني يصف قطاة :

حذَّاءُ مُدبِرةً سَكَّاءُ مُقْبِلَةً للْماءِ في النَّحْرِ مِنها نَوْطَةٌ عَجَبُ

وأصل النَّوْطَة من النَّوْط، وهو التعليق . يقال : نُطْتُ الشيءَ بالشيء، أي علّقته به.

والمعنى أن بعيرك إذا أعيى، فزد عليه تعليقًا آخر . وهذا المثل هو كالذي تقدم : إنْ جَرْجَرَ فَرِدْهُ ثِقَلاً معنىً ومَضْرِبًا.

---

24) لم يكرر في ب.
25) في ب : (خطابه) بدل خطئه

أنـفُـكَ مِـنْـكَ وإنْ كـانَ أجْـدَعَ.

الأنف معروف ؛ والجَـدْعُ بالدال المهملة : القَـطْع في الأنف . تقول : جدعت الرجل فهو أجدع، وهو ذو جَـدَع بفتحتين.

والمعنى أن أنفك منك، فلا يمكنك مفارقته ومباعدته وإن كان به عيب وشين . فيضرب في استعطافك صاحبك على ذوي قرابتك، وحثّك إياه على وصلهم وتحمل ما بهم وأن يلمهم على شعثهم، ولا يصارمهم كما لا يصارم أنفَه المتصل به.

قيل : وأول من نطق بهذا المثل قُـنْـفُـذ بن جَـعْـوَنَـة المَـازِنِـي، وذلك أن الرَّبِـيع بن كعب المازني دفع الى أخيه كُـمَـيْـش فرسًا من عِـتَـاق الخيل ليأتي به أهله . وكان كميش أحمق وأنـوَك . وكان عندهم رجل من بني مالك يقال له قُـرَادُ بْـنُ جَـرْم قدِم عليهم لِـيُـصيب منهم غِـرَّةً، وكان داهية [فمكث] فيهم لا يعرفون نسبه . فلما رأى كميشًا ركب الفرس، ركب هو ناقته ثم عارضه فقال له : يا كميش، هل لك في عَـانَـةٍ لَـمْ تَـرَ مِـثْـلَـها ومعها عَـيْـرٌ من ذهب، أمَّا الأتان فتروح بها على أهلك، فتفرح بها صدورُهم، وتمتلىء قدورُهم، وتشبع خصورهم، وأمَّا العَـيْـرُ فلا افْـتِـقَـارَ بعده . فقال كُـمَـيش : فكيف لنا به ؟ فقال له قُـرَادٌ : أنا لك به، ليس يُـدْرَكُ إلا على فرسك . قال : فَـدُونَـكَـهُ ! قال : نعم ! وأمْـسِـكْ أنتَ على راحلتي وانتظرني في هذا المكان . وركب قرادٌ الفرس . فلما توارى عنه أنشأ يقول :

ضَـيَّـعْـتَ في العَـيْـرِ ضَـلالاً مُـهْـرِكا فَـسَـوْفَ تَـأتِـي بِـالهَـوانِ أهْـلَـكَـا
وقَـبْـل هَـذا مَـا خَـدَعْـتُ الانْـوَكَـا

وبقي كميش هناك ينتظره حتى أمسى، فانصرف الى أهله وقال في نفسه : إن سألني أخي عن الفرس قلت له تَـحَـوَّل ناقة فلما قدم على أخيه قال له : أين الفرس ؟ فقال : تَـحَـوَّل ناقة. فعلم أخوه أنه قد خُـدِع وجعل يضربه . فقال عند ذلك قُـنْـفُـذ بنُ جَـعْـوَنَـة له : الْـه عَـمَّا فاتك، فَـإنَّ أنفَـكَ مِـنْـكَ وإنْ كَـانَ أجْـدَعَ ! وأتى قرادٌ أهلَـه بالفرس وقال في ذلك :

رأيْـتُ كُـميشًا نوكُـهُ لِـيَ نافعُ ولَـمْ أرَ نَـوكًا قَـبْـل ذلِـك يَـنْـفَـعُ
وقُـلْـتُ لَـه أمْـسِـك قَـلوصي ولا تَـرِمْ خِـداعًا لَـه منِّي وذو الكَـيد يخْـدعُ

26) في أ : ضليلا

فأَصْبحَ يَرْمي الخافِقَينِ بِطَرْفِه وأصْبحَ تَحتي ذو أفانينَ جُرْشُعُ[27]

ومثلُ هذا المثل قولهم : مِنْكَ رَبَضُكَ وإنْ كَانَ سَمَاراً[28]، وسيأتي بيانه في محله إن شاء الله تعالى .

إنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لاَ قَيْتَ إعْصَاراً.

الريح معروفة جمعه رياح وأرواح . قال :

إذا هَبَّتِ الأرْواحُ مِنْ نَحْو جانبٍ بِهِ أهْلُ مَيٍّ هاجَ قَلْبِي هُبُوبُها

ويقال أيضا أرياح . والاعْصَار بكسر الهمزة : ريحٌ تُثير غباراً يرتفع الى السماء عموداً، أو ريح تهبّ بشدة فيما بين السماء والأرض . قال تعالى : **فَأَصَابَهَا إعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ**، وجمعه أعاصير . قال الشاعر :

وبيْنَما المَرءُ في الاحياءِ مُغتَبطٌ إذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفوهُ الأعَاصِيرُ

وقال حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ يَرْثِي زِيَاداً، وقد مات بالكوفة ودفن بالثَّوِيَّة :

صَلَّى الالَهُ عَلى قَبْرٍ وطَهَّرَهُ عِنْد الثَّوِيّةِ يَسْفي فَوْقَهُ المُورُ

زَفَتْ إلَيهِ قُرَيْشٌ نَعْشَ سَيِّدِها فَثَمَّ كُلُّ التُّقى والبِرِّ مَقْبورُ[29]

أبا المُغِيرَةِ والدُّنْيا مُفَجِّعَةٌ وإنَّ مَنْ غَرَّتِ الدُّنْيا لَمَغْرُورُ

قَدْ كانَ عِندكَ بِالمَعروفِ مَعرفةٌ[30]

وكَانَ عِنْدَكَ لِلنَّكْرَاءِ تَنْكِيرُ

وكُنْتَ تُغْشَى وتُعْطِي المَالَ مِنْ سَعَةٍ

إنْ كَانَ بَيْتُكَ أضْحَى وهْوَ مَهْجُورُ[31]

---

27) حرفت جرشع فكتبت بالخاء في ب

28) المعروف هو تقديم ربضك على منك.

29) أورد الحصري في زهر الآداب هذا البيت هكذا :

تُهْدِي إلَيْهِ قُرَيْشٌ نَعْشَ سَيِّدِهَا فَثَمَّ حَلَّ النَّدَى والعِزُّ والخَيرُ

30) في زهر الآداب : قَدْ كَان عِنْدَكَ لِلْمَعْرُوفِ عَارِفَةٌ

31) رواية زهر الاداب :

وكُنْتَ تُغْشَى فَتُعْطِي المَالَ مِنْ سَعَةٍ فَالآنَ بَابُكَ أمْسَى وهْوَ مَهْجُورُ

وبعده :

ولاَ تَلِينُ إذا عُوسِرْتَ مُعْتَسِراً وكَانَ أمْرَكَ مَايُوسِرْتَ مَيْسُورُ

لَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ مُذْ غَيَّبْتَ فِتْنَتَهُم ولَمْ يُجَلْ ظَلاَمًا عَنْهُمُ نُورُ

انظر زهر الاداب، 2 : 914 وما بعدها.

النَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُم

كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الأَعَاصِيرُ

والمعنى إن كُنتَ مثل الريح في الشدة والقُوَّة، فقد لا قَيْتَ من هو مثلُ الاعصار الذي هو أشدُّ الريح وأقواها .

يُضرَب للرجل يكون صَلْبًا جَلْدًا فيصادف من هو أقوى منه وأشدّ، وهو ظاهر.

إن كُنْتَ ذَا طِبٍّ فَطِبَّ لِعَيْنَيْكَ

الطِّبُّ مثلثة الطاء : علاجُ الجسم . والطِّبُّ أيضا : الرِّفْق والسحر . ولفظ طبّ في المثل كذلك مثلّث الطاء في الموضعين، والمعنى ظاهر . وفي نحوه قيل :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ

هَلاَّ لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ

إنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ اللَّهِ يُمْضِهِ.

يُتَمَثَّلُ به كثيرا، وهو من كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم . قال لعائشة : **أُرِيتُكِ أَوْ رَأَيْتُكِ فِي المَنَامِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَقِيلَ لي هذه زَوجُك، فقُلْتُ إنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ**[32]، أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم.

إنْ لاَ حَظِيَّةً فَلاَ أَلِيَّةً[33]

الحُظْوَةُ : المَكَانَةُ كما [مرّ] يقال : حَظِيَتِ المرأة عند زوجها بالكسر تَحْظَى حُظْوَةً وحِظَةً فهي حَظِيَّة وهنّ حَظَايا ضدّ صَلِفَتْ . والأَلْوُ : التَّقْصِيرُ . يقال : أَلاَ في هذا الأمر يألُو أَلْوًا وأَلُوًا وأَلِيًا، وائْتَلَى إذَا قَصَّر فيه وأبْطَأ، فهو آلٍ ومُئْتَلٍ . قال امرؤ القيس :

ومَا المَرْءُ مَادَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ

بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ الخُطُوبِ ولا آلِ

يُضْرب هذا المثل في مداراة الناس والتودّد اليهم . والمعنى أنك إن أخْطَأْتَكَ

---

32) ورد هذا الحديث في نهاية ابن الأثير بلفظ : قَالَ لَهَا رَأَيْتُكِ يَحْمِلُكَ المَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ.
33) ورد هذا المثل في لسان العرب بادغام النون في اللام : إلاَّ

الحُظوة فيما تريد، فلا تَأْلُ جُهْداً ولا تزلْ مجتهدا متوددا للناس حتى تستدرك ما فاتك مما تطلب . وأصله في المرأة أنها إن لم تحظ عند زوجها فلا ينبغي لها أن تقصّر في طلب الحظوة حتى تنالها.

قيل : وأصله أن رجلا كانت لا تحظى عنده امرأة، فتزوج امرأة فلم تأل جهداً في أن تحظى عنده، فلم يقنعه ذلك وطلقها، فقالت ذلك أي : إنْ لَمْ أحْظَ عِنْدَه فإنّي لَمْ أقَصّر، فصار مثلا في كل من اجتهد في أمر لينال وتعذر وهو لم يقصّر في طلبه والسعي فيه.

وأعلم أنه يقال في المثل بالنصب والرفع بحسب تقدير المحذوف، فَمَنْ نصب فمعناه باعتبار الأصل إنْ لا أكنْ عندك أيها البعلُ حظية فلا أكون أليّة في الحظوة بتحسين خَلْقِي وخُلُقي حتى أدركَها . ومنْ رَفَعَ فَلَهُ وجهان : أحدهما أن تكون الحظيّةُ مصدراً لا وصفًا . والمعنى إنْ أخْطأتني الحظوةُ عندك فلا أكون أليّة في طلبها أو فلا يقعُ مني ألْوٌ وتقصير . الثاني أن تكون الحظِيّةُ وصفا على بابها الا أنها راجعة الى غير القائلة، والمعنى : إن لا تكن لك في الناس حَظِيّةٌ تحظى عندك فأ نا لا أكون أليّة في طلبها حتى أنالَها منك، أو نحو هذا من التقادير التي يصح بها المعنى، كما يجري في نحو : إنْ خَيْراً فَخَيْر، وإنْ سَيْفًا فَسَيْف . وقد قُرِّرَ في النحو ما فيه من التقادير وما هو الأرجح منها وهو معروف.

إنْ لاَ أكُنْ صَنَعًا فَإنّي أعْتَثِمُ.

الصَّنَع : الحاذق الماهر . يقال : رجل صَنِيع وصِنْع بكسر فسكون، وصَنَع بفتحتَيْن، ويُروى بهما قول أبي ذُؤَيْب :

وعَلَيْهِما مَسْرودَتانِ قَضاهُما داوُدُ أوْ صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ

وقال حسَّان رضي الله عنه في الأخير :

أهْدى لهُمْ مِدْحَتي[34] قَلْبٌ يوازِرُهُ فيمَا أحَبَّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ

ويقال : امرأة صَنَاعٌ، على مثال رَزَان، ضدُّ الخرقاء . قال امرؤ القيس :

وعَيْنٌ كَمِرْآةِ الصَّنَاعِ تُدِيرُهَا بِمَحْجِرِهَا مِن النَّصِيفِ المُنَقَّبِ

34) في ديوان حسان ولسان العرب : مِدْحِي

والعَثْمُ : الانْجِبَارُ الفَاسِدُ . يقال : عَثَمَ العَظْمُ المكسورُ، بالتاء المثلثة المفتوحة، أي انجبر على غير استواء ؛ وعَثَمْتُهُ أنا لازمٌ ومُتَعَدٍّ ؛ وعَثَمَتِ المرأة المَزَادَةَ : خَرَزَتْها خَرْزاً غيرَ مُحْكَم ؛ وأعْثَمَتْها أيضا . فمعنى المثل : إنْ لم أكنْ حاذقًا ماهرا في هذا الأمر فإني أعملُ بقدر طاقتي ومعرفتي.

لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ.

يُتمثل به وهو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

إنَّ البُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ.

البُغَاثُ، مثلث الباء الموحَّدة في أوله بعدها غين معجمة فثاء مثلثة : طيرٌ أغبر ؛ ويطلق على شِرار الطير كلها، ومالا يصيد منها . قال الشاعر :

إذا كَرَّ فِيهِم كَرَّةً أفْرَجوا لَهُ ... فِرارَ بُغَاثِ الطَّيْرِ صادَفْنَ أجدلا

وقال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّة :

وتَرى الفَوارِسَ مِنْ مَخافَة رُمْحه ... مِثْلَ البُغاثِ خَشينَ وقعَ الأجدلِ

وقال الحماسي :

بُغاثُ الطَّيْرِ أكْثَرُهَا فِراخًا ... وأمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ

وسيأتي تمام هذا الشعر في محله . واسْتَنْسَرَ : صار نسرا، والنسر : الطائر المعروف . وسُمي نسراً لأنه يَنْسُر اللحم .

ومعنى المَثَلِ أن الضعيف من الناس إذا حلّ بأرضنا ووقع في جوارنا عزَّ بنا وتقوَّى، كما أن البُغَاثَ الذي هو ضِعاف الطير إذا عاد نسراً فقد تقوَّى . وقيل معناه : ان الضعيف يَسْتضعِفُنا وتظهر قوتُه علينا، وعلى هذا إذا أريد الافتخار قيل : إنَّ البُغاثَ بِأرْضِنَا لاَ يَسْتَنْسِرِ .

ولشعر دُرَيْدٍ المذكور قصَّةٌ عجيبة رأيت أن أذكرها، وهي أن دريدا خرج في فوارس من قومه بني جُشَم بن بكر حتى إذا كانوا بوادٍ لبني كنانة رُفع لهم رجل في ناحية الوادي معه ظعينة . فلما رآه دريد قال لفارس من أصحابه : دونَكَه فَصِحْ به : خلّ الظعينة وانج بنفسك ! فَلَحِقه الفارسُ فصاح به وألحَّ عليه، فلما أبى أن ينكفَّ عنه

ألقى زمام الراحلة وقال للظعينة :

سِيري عَلى رسْلِكِ سَيْرَ الآمِنِ سَيْرَ رَدَاحٍ ذَاتِ جَأشٍ سَاكِنِ
إنَّ انْثِنائِي دُونَ قِرْنِي شائني أبْلى بلائي واخْبري وعـاينِي

ثم حمل على الفارس فطعنه طعنة جعلته كأمْسِ الدَّابِرِ، وأخذ فرسه وأعطاه الظعينة . فبعث دريدٌ فارسا آخر لينظر ما فعل صاحبه، فلما انتهى إليه فرآه صريعا صاح على الرجل فتصامم عنه فظن أن لم يسمع فغشيه . فألقى الرجلُ زمام الراحلة الى الظعينة ورجع إليه وهو يقول :

خَلِّ سَبيلَ الحُرَّةِ المَنِيعَهْ إنَّكَ لاقٍ دُونَهَا رَبِيعَهْ
فِي كَفِّه خطية مُطِيعَهْ أوْلاَ فَخُذْهَا طَعْنَةً سَرِيعَهْ
والطَّعْنُ مِنِّي في الْوَغَى شَرِيعَهْ

ثم حمل عليه فصرعه . فلما أبطأ الأمر على دريد بعث فارسا ثالثا لينظر ما صنعا، فلما انتهى إليهما رآهما صريعَيْن، ونظر إليه يقود ظعينته ويجرّ رُمْحَه فقال له : خلّ سبيل الظعينة ! فقال الرجل للظعينة : اقصدي قصد البيوت ! ثم أقبل على الفارس فقال :

مَاذَا تُرِيدُ مِنْ شَتِيمٍ عابِسْ، أَلَمْ تَرَ الفارِسَ بَعْدَ الفارِسْ
أرْدَاهُمَا عَامِلُ رُمْحٍ يَابِسْ

ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رمحه . ثم إن دريداً ارتاب وظن أن الفوارس قتلوا الرجل وذهبوا بالظعينة، فجاء حتى لحق بالرجل وقد دنا من الحي، ووجد أصحابه صرعى فقال له : أيها الرجل، إن مثلك لا يُقتل، ولا أرى معك رمحا، والخيل ثائرة بأصحابها . فخذ رمحي هذا، فإني منصرفٌ الى أصحابي فَمُثَبِّطُهم عنك . فرجع دريدٌ الى أصحابه وقال لهم : إن صاحب الظعينة قد حماها وقد قتل أصحابكم وانتزع رمحي ولا مطمع لكم فيه، فانصرفوا، فقال دريد بنُ الصمَّة :

ما إنْ رَأيْتُ ولا سَمِعتُ بِمِثلِهِ حامِي الظَّعِينَةِ فَارِسًا لمْ يُقتَلِ
أرْدَى فَوارِسَ لَمْ يَكُونُوا نُهْزَةً ثُمَّ اسْتَمَرَّ كَأنَّهُ لِم يَفْعَلِ
مُتَهَلِّلاً تَبدو أسِرَّةُ وجهِهِ مِثلَ الحُسامِ جَلتْهُ كَفُّ الصَّيقَلِ

يُزْجي ظَعِينَتَهُ ويَسحبُ ذيلَهُ مُتَوجِّهًا يُمْنَاهُ نحْوَ المَنْزِلِ
وتَرَى الفَوارِسَ منْ مَخَافَةِ رمحِهِ مِثْلَ البُغاثِ خَشِينَ وقعَ الأجدَلِ
يَا لَيتَ شِعرِي مَن أبوهُ وأمُّهُ ياصاحِ مَن يَكُ مِثْلُهُ لا يُجْهَلِ

وقال صاحب الظعينة في ذلك، وهو ربيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ، أحد بني فراس بن كنانة :

إن كانَ يَنْفَعُكَ اليَقينُ فَسائِلِي عَنِّي الظَّعِينَةَ يوم وادي الأخْرَمِ
إذ هي لأول من أتاها نهبة لولاَ طِعَانُ رَبِيعَةَ بْنِ مُكَدَّمِ
إذْ قَال لِي أدْنَى الفَوارِسِ ميتَةً خَلِّ الظَّعينَةَ طائِعًا لا تَنْدَمِ
فصرفْتُ راحِلَةَ الظَّعينَةِ نَحْوَهُ عَمداً لِيَعْلَمَ بَعْضَ ما لمْ يَعلَمِ
وهَتَكْتُ بِالرُّمحِ الطَّويلِ إهَابَهُ فَهَوى صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ ولِلْفَمِ
ومَنَحْتُ آخَرَ بَعْدَهُ جَيَّاشَةً نَجْلاَءَ فَارِغَةً كَشِدقِ الأضْجَمِ
ولَقَدَ شَفَعْتُهُمَا بِآخرِ ثَالِثًا وأبى الفِرارَ لي الغَداةَ تَكَرُّمِي

ثم لم تلبث كِنانة أن أغارت على بني جُشَم، فقتلوا وأسروا دريد بن الصمَّة، فأخفى نفسه. فبينما هو عندهم محبوس إذ جاءته نسوة يتهادين نحوه، فصاحت احداهن وقالت : هَلَكْتُم وأهْلَكْتُم . ماذا جرَّ عليها قومُها ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعةَ رمحَه يوم الظعينة ! فألقت عليه رداءها وقالت : يال فِراس ! أنا له جارة . فسألوه من هو فقال : أنا دريدُ بنُ الصِّمَّة، فمن صاحبي ؟ قالوا : ربيعةُ بنُ مُكَدَّم . قال : فما فَعَل ؟ قالوا : قتلته سليم، قال : فما فَعَلَتِ الظعينة ؟ قالت المرأة أنا هي، وأنا امرأته . فحبسه القوم ووامروا أنفسهم . فقال بعضهم : لا ينبغي أن تُكْفَرَ نعمةُ دريدٍ على صاحبنا . وقال آخرون : والله لا يخرج من أيدينا إلا برضى المُخَارِقِ الذي أسَره . فلما أمست المرأة، وهي رَيْطَة بنت جذل الطعان، رفعت عقيرتها وقالت :

سَنَجزِي دُرَيدا عَن رَيِيعةَ نِعمة وكُلُّ امرىءٍ يُجْزَى بِمَا كَان قَدَّما
فَإن كَان خَيْرًا كانَ خَيرا جَزَاؤُهُ وإن كانَ شَرًّا كان شَرًّا مُذمَّما
سَنَجزِيهِ نُعمى لم تَكن بصغيرة بإعطائِهِ الرُّمحَ الطَّويلَ المُقوَّما
فَقَد أدركَتْ كَفَّاهُ فِينَا جَزَاءَهُ وأهلٌ بأن يُجْزَى الذي كانَ أنعَمَا
فَلاَ تُكْفِرُوهُ حَقَّ نُعماهُ فيكُمُ ولا تَركَبوا تِلكَ التِّي تَملأُ الفَما

فَلَو كان حَيًّا لم يَضِق بِثَوابِهِ ذِراعًا غَنِيًّا كان أو كان مُعْدِمَا
فَفُكُّوا دُرَيْدًا من إسار مُخارقٍ ولا تَجْعَلوا البُؤْسَى الى الشَّر سلما

فلما أصبحوا أطلقوه، فكَسَتْهُ وجهَّزته ولحق بقومه . ولم يزل كافًّا عن غَزو بني فراسٍ حتى هلك . قلت : وفي بني فراس هؤلاء يقول علي كرم الله وجهه مخاطبا لأهل العراق إذ تخاذلوا عنه : ياليت لي من بني فراس واحدا بعشرة منكم صرف الدينار بالدرهم ! .

ولربيعة المذكور قصةٌ أخرى في حماية الظُّعُنِ تأتي في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

إنَّ البَكْرِيَّ لَيَحَسُّ السَّعْدِيَّ.

البَكْرِيُّ منسوب الى بَكْر، وفي العرب بَكْرُ بنُ وائِل، وبَنُو بَكْر بنِ عَبْد مَنَاة، والنسبة إليهما بكريّ، وكذا النسبة الى أبي بكر . وفي العرب أيضا بنو أبي بكر بن كلاب، والنسبة إليهم بَكْراوِيّ . والسَّعْدِيُّ منسوب الى سَعْد، وفي العرب سعود كثيرة : سَعْدُ تَمِيم، وسعدُ هُذَيْم، وسَعْدُ قَيْس، وسَعْدُ بكر، كما قال طرفة :

رأيتُ سُعودًا من شُعوبٍ كَثِيرةٍ فَلَم تَرعَينِي مثلَ سَعد بن مالِك
أبَرَّ وأوفَى ذِمَّةً يَعْقِدونَها وخيرا إذا سَاوى الذُّرى بالحَوارِكِ

يريد سعدَ بنَ مَالِكِ بن ضُبَيْعَةَ . والحِسّ : الرِّقَّة ؛ تقول : حَسَسْتُ لفلان، بفتح السين وكسرها، حَسًّا وحِسًّا، إذا رَقَقْتَ له . قال القُطَامِي :

أخوكَ الذي لا تَملكُ الحِسَّ نَفسهُ وتَرفَضُّ عندَ المُحفِظاتِ الكتائِف

والكَتائِفُ : الاحْقَاد . قال الكميت :

هَلْ مَن بَكَى الدَّارَ رَاجٍ أن تَحِسَّ لَهُ
أوْ يُبْكِيَ الدَّارَ مَاءُ العَبْرَةِ الخَضِلُ ؟

وفي الصحاح : قال أبُوا الجَرَّاح العُقَيْلِي : ما رأيت عُقَيْلِيًّا إلا حَسَسْتُ له، أي رَقَقْت .

إنَّ تَحْتَ طِرِّيقَتِهِ لَعِنْداوَةً.

الطِّرِّيقَةُ، بالتشديد على مثال سكين: الرَّخاوة واللين؛ ورجُلٌ مَطْرُوقٌ: فيه رخاوة .

قال ابن أحمر :

ولا تَحْلَيْ بِمَطْروقٍ إذا ما سرى في القَومِ أصْبَحَ مُسْتَكينا

والعِنْداوَةُ : الصُّعوبَةُ، من العنود، وهو رد الحق و الحَيْدودَةُ عن الطريق، وبعير عانِدٌ : يحيدُ عن الطريق .

والمعنى أن سكونه ورخاوَتَه قد يكون معه أحيانًا عُسرٌ وشراسَة.

إنَّ الجَوادَ عَيْنُهُ فَرارُهُ.

الجواد : العتيق من الخيل الكثير الجري، سُمِّي به لأنه يَجُودُ بِنَفْسِه . والعَيْنُ تُطْلَقُ على الباصرة، وعلى شخص الشيء وهو المراد هنا ؛ والفُرارُ : أن تفتح فَا الدَّابَّةِ لِتَعْلَمَ سِنَّها . يقال : فرَّها فرَّ وفِرارًا، مُثلَّث الفاء، إذا فَتَحَ فاها لذلك . ومن قول الحجاج : ولَقَدْ فُرِرْتُ عَنْ ذَكَاء، وفُتِّشْتُ عَنْ تَجْرِبَة، أي فُرِرْتُ فوُجِدْتُ تامَّ السنّ . فإن الذَّكَاءُ يُطْلَقُ على السِّنّ، وهو أحد ما يفسَّر به قولُ زهير :

يُفَضِّلُهُ إذا اجْتَهَدا عَلَيْها[35] تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ والذَّكَاءُ

ومنه المثل الآتي : جَرْيِ المُذَكِّيَاتِ غِلاَبٌ . والى هذا المعنى أشار أبو بكر بنُ دُرَيْدٍ رحمه الله بقوله :

وفَرَّ عَنْ تَجْرِبَةٍ نابِي فَقُلْ في بازِلٍ راضَ الخُطوبَ فَامْتَطى

وكتب الحَسَنُ بنُ سَهْلٍ الى القاضي محمد بن سَمَاعَة : أمَّا بَعْد، فَأنِّي احْتَجْتُ لِبَعْضِ أمُورِي الى رجُلٍ جَامِعٍ لِخِصَالِ الخَيْرِ، ذِي عِفَّةٍ ونَزَاهَةِ طُعْمَةٍ، قَدْ هَذَّبَتْهُ الآدَابُ وأحْكَمَتْهُ التَّجارِبُ، لَيْسَ بِظَنِينٍ في رأيِه ولا بِمَطْعُونٍ في حَسَبِه ؛ إن أؤْتُمِنَ على الأسْرارِ قام بها، وإن قُلِّدَ مُهِمًّا من الأمور أجْزأ فيه ؛ لَهُ سِنٌ[36] مع أدبَ ولِسان، تُقْعِدُهُ الرَّزَانَةُ ويُسَكِّنُهُ الحِلْم، قَدْ فُرَّ عَنْ ذَكَاءٍ وفِطْنَة، وعَضَّ على قَارِحَةٍ من الكَمَال، تَكْفِيهِ اللَّحْظَةُ، وتُرْشِدُه السَّكْتَة ؛ قد أبْصَرَ خِدمَةَ المُلوكِ وأحْكَمَها، وقام بأمورهم فَحُمِدَ فيها ؛ لَهُ أنَاةُ الوُزَرَاء، وصَوْلَةُ الأمراء، وتَواضُعُ العلماء، وفَهْمُ الفُقهاء، وجوابُ الحُكماء، لاَ يَبِيعُ نَصِيبَ يَوْمِهِ بِحِرْمَانِ غَدِهِ، يكادُ يَسْتَرِقُّ قلوبَ الرجالِ بحلاوةِ لسانه، وحُسْنِ بيانِه . دلائِلُ الفضلِ عليه لائحة، وأمَارَاتُ العِلم لَهُ شاهِدَة ؛ مُضْطَلِعًا بما اسْتُنْهِضَ، مُسْتَقِلاً بِمَا حُمِّل.

35) في لسان العرب : يُفَضِّلُهُ إذا اجْتَهَدُوا عَلَيْهِ

36) في أ : ليس له سن...، وهو تحريف.

وقد آثَرْتُك بِطَلَبِه، وحَبَوْتُك بارْتِيادِه، ثِقةً بِفَضْلِ اخْتِيارِك، ومعرفةً بِحُسْنِ تَأتِّيك . فكتب إليه القاضي : إنِّي عازمٌ أن أرغَبَ الى الله عزَّ وجلَّ حَوْلاً كاملا في ارتياد مثلِ هذه الصفة وأفرِس الرُّسُلَ الثِّقات في الآفاق لالتماسه . وأرجو أن يَمُنَّ اللهُ بالاجابة فأفوزَ لديْك بقضاءِ حاجتك، والسلام . ويصحّ أن يراد بالذكاء أيضا في كل ما مرَّ معناه الذي هو الفطنة وحدّة الفؤاد . وعلى كل حال فذلك مَثَلٌ للكشف والاختبار، وأصله في الدواب.

ومعنى المثل المذكور أن الجواد إذا نَظَرَ إليه العارفُ المعرب عرفه من غير احتياج إلى فَرِّهِ واختباره، وكان نظره الى عينه، أي شخصه، فُراراً له، أي قائماً مقام الفُرَار، فيقال : فلانٌ عينُه فرارُه لهذا المعنى .

ويُضْرَبُ لكل من يَدُلُّ ظاهرُه على باطنه لكل معانيه . قال الشاعر :

تُعْرَفُ من عَيْنِهِ نَجَابَتُهُ كَأنَّهُ بِالذَّكاءِ مُكْتَحِلُ

وقال الراجز في صفة الذئب :

أطْلَسُ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ في فَمِهِ شَفْرَتُهُ ونَارُهُ

هُوَ الخَبِيثُ عَيْنُهُ فُرَارُهُ

إنَّ الحَذَرَ لاَ يُغْنِي مِنَ القَدَرِ.

الحَذَرُ : التحرُّزُ من الشيء، وهو ظاهر . والقَدَرُ : ما كتبه الله تعالى وقدَّره من الكائنات . ومعلوم أن ما قضى الله بوقوعه فلا دافع له، وهذا من الأمثال الحكميَّة . قال هَانِىءُ بْنُ قَبِيصَةَ الشَّيْبَانيّ لقومه يحرّضهم يومَ ذي قَار وهو يوم مشهور من أيامهم : يا معشر بكر ! هالكٌ معذور، خيرٌ من ناجٍ فَرور . إنَّ الحَذَرَ، لا يُغني من القَدَرِ، وإنَّ الصَّبْرَ مِنْ أسْبَاب الظَّفَر . المَنِيَّة، ولا الدَّنِيَّة . اسْتِقْبَالُ المَوْتِ خيرٌ من اسْتِدْبارِه . الطَّعْنُ في ثُغَرِ النُّحُور، أكْرَمُ منه في الأعْجَازِ والظُّهُور . يالَبكر ! قاتِلوا، فلما لِلْمَنَايا مِن بُدّ ! ويُحكَى أنّ أمير المؤمنِين عليًّا كرَّم الله وجهه كان إذا حمِي وطِيسُ الحرب أنشد :

أيَّ يَومَيَّ من المَوتِ أفِرْ يَومَ لا يُقْدرُ أمْ يَومَ قُدِرْ

يومَ لاَ يُقْدَرُ لاَ أرْهَبُهُ ومِنْ المَقْدُور لايَنْجُو الحَذِرْ

ثم يَحْمِلُ ويَغْشَى لَظَاهَا.

إن دُون الظُّلْمَةِ خَرْطَ قَتَادٍ هو بر (كذا)[37] ـ بياض بالاصل ـ

إنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْثَأُ الغَضَبَ.

الرَّثِيئَةُ : لَبَنٌ مَخْلُوطٌ . يقال : ارْتَثَأَ اللّبنُ بالثاء المثلثة والهمز إذا خَثَرَ ؛ ورثَأْتُ اللبنَ إذا حَلَبْتَه على حامِضٍ فَخَثَرَ ؛ والاسم : الرَّثيئة .والفَثْءُ : التَّسْكِين ؛ يقال : فَثَأْتُ القِدْرَ بالثاء المثلثة إذا أسْكَنْتَ غَلَيَانَها : قال :

تَفورُ عَلَيْنا قِدرُهم فَنُدِيمُها ونَفثَؤُها عَنَّا إذا حَمْؤُها غَلاَ[38]

وقال الحماسي :

فَنَفلُ شَوكَتَها ونَفْثَأُ حَمْيها حَتَّى يَبوخَ وحَمْيُنا لمْ يَبْرُدِ

وتقول : فَثَأْتُ الرَّجُلَ إذا كَسَرْتَه عنك بقولٍ أو غيره وسَكَّنْتَ غَضَبَه . وفَثَأْتُ الخبز، ويقال أيضا بالتاء المُثَنّاةِ، وهي فعل تامٌ في هذا المعنى غير مخصوص بالنفي، كما أثبته ابن مالك وغيره . والغَضَب معروف، وهو حركة للنفس، مبدأها إرادة الانتقام . غضِب : بالكسر، يغضَب، فهو غَضْبَان . والمعنى أنَّ شُرْبَ الرَّثِيئَةِ كاسِرٌ للغضب مُسَكِّنٌ له نافع .

يُضْرَبُ في اصطناع المعروف مطلقًا وفِعْلِ اليسيرِ من البِرِّ فإنه نافع.

وأصله أن رجلا كان غَضِبَ على قوم، وكان مع غَضَبه جائعًا، فَسَقَوْهُ رَثِيئَةً، فسَكَنَ غضبُه وكفَّ عنهم . وفي الرَّثِيئَةِ يُحكَى أن عمرو بن مَعْد يكَرِب قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين، أ افرام بنو مخزوم ؟ قال . وما ذاك ؟ قال : تَضَيَّفْتُ حالدَ بنَ الوليد فَأَتَى بقَوْسٍ وكَعْبٍ وثَوْر . قال : إن في ذلك لَشُبْعَة . قال : لِي أوْلَك ؟ قال : لي ولك . فقال عمرو : حِلاً يَاأمِيرَ المُؤمِنين فِيمَا تَقُول . إني لَآكل الجَذَعَ من الابل أنْتَقِيهِ عَظْمًا عَظْمًا، وأشْرَبُ التِّبْنَ من اللَّبَنِ رَثِيئَةً وصَرِيفًا . أراد بالقَوْس البقيَّةَ من التَّمْر تبقى،

37) المثل المشهور هو : دُونَ ذَلِكَ خَرْطُ القَتَاد . ولعل المؤلف كان يريد أن يربط هذا المثل بالبيت الذي أورده لسان العرب :

إنَّ دُونَ الذي هَمَمْتَ بِهِ مِثْلَ خَرطِ القَتَادِ فِي الظُّلْمَة

38) هذا البيت ينسب الى الجعدي والى الكميت . وورد آخره في لسان العرب هكذا : إذَا حَمْيُهَا غَلاَ .

وبالكَعْبِ القطعةَ من السَّمْن، وبالثَّوْرِ القِطْعَةَ من الأقِطِ، وبالتِّبْنِ القَدَحَ العَظِيمَ، وبالرَّثِيئَة ما صُبَّ كما مرَّ، وبالصَّرِيفِ ما انْصُرِفَ به عن الضَّرْعِ حَارّاً . وقولُه حِلاَّ هي كلمة تقولُها العرب في الأمر تكرهه بمعنى : كَلاَّ . ومنه قول الأحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ حين دخل على المُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ يُكلِّمه في رجل وجَدَ عليه، فقال مُصْعَبٌ : بَلِّغْنِي عنه الثِّقة، فقال الأحنف : حِلاَّ أيُّها الأمير، إن الثِّقة لا يُبَلِّغُ ! ويروى هذا المثل : إنَّ الرَّثِيئَةَ مِمَّا يَفْتَأُ الغَضَبَ، على أنه موزون كشطر بيت من البسيط . وقد جعل الشَّنْتَمَرِيُّ في **شرح الحَمَاسة** هذا المثلَ حديثًا، وهو غريب والله أعلم .

إنَّ الرِّقِينَ تُغَطِّي أفْنَ الأفِينِ[39]

الرِّقُون : جَمْعُ رِقَةٍ، وهي الفِضَّة ؛ يقال : وُرْق، مسكَّن الراء، مثلَّث الواو ؛ ووَرِق، بفتح فكسر، وبفتحتَيْن، وجمع الكلّ أوْرَاق . ويقال : رِقَة، بحذف الفاء، كعِدَة . ومنه الحديث : **في الرِّقَةِ رُبُعُ العُشْرِ** . وجمع الرِّقَة : رِقُون، وهو شاذّ، لأن هذا الجمعَ إنما يَشِيعُ وراءَ بَابِهِ في المحذوف اللاّم، كسِنِينَ وعِضِينَ وعِزِين . أمَّا المحذوف الفاء كعِدَة وجِدَة ودِيَة فلا، غير أنه ورد فيه ألفاظٌ على وجه النُّدُور، كرِقِينَ في جمع الرِّقَة، على ما مرَّ ؛ وإزِينَ، في جمع الإزَة، وهي حفرةٌ تحفر ويُسْتَوْقَدُ فيها ؛ ولِدِينَ، في جمع اللِّدَة، وهو مَساوِيكُ في السِّنّ ؛ وحِشِينَ، في جمع الحِشَة، وهي الأرضُ الموحشة . والتَّغْطِيَةُ : السِّتْرُ . والأفْنُ : ضَعْفُ الرأي ؛ يقال : أفِنَ الرَّجُلُ، بالكسر، أفَنًا محرَّكا ومسكَّنا . قال قيسُ بنُ عاصم المِنْقَرِي [رحمه الله تعالى] :[40]

إنَّي امْرُؤٌ لا يَعْتَرِي حَسَبِي دَنَسٌ يُفَنِّدُهُ ولاَ أفْنُ
مِن مِنْقَرٍ في بَيْتِ مَكْرُمَة والفَرْعُ يَنْبُتُ حَوْلَه الغُصْنُ

وقد أفَنَهُ اللهُ يَأْفِنُه، فهو مَأْفُون وأفِين . وقال الشاعر :

---

39) ورد هذا المثل في **لسان العرب** هكذا : إنّ الرِّقِين تُعَفِّي عَلَى أفْنِ الأفِين . وقال ثعلب : وجْدَانُ الرِّقِين يُغَطِّي أفْنَ الأفِين .

40) سقطت من أ .ومعلوم أن هذا الشاعر صحابي .

وقد تزْدَري العَينُ الفَتى وهْوَ عاقلٌ ويُؤْفنُ بَعْضُ القَوْمِ وهوَ جَريمُ

ومعنى المثل أنَّ وجْدَانَ المالِ يُحَلِّي المرءَ بِحلْيَةِ الكمال، ويستُر ما فيه من ذميم الخصال، ويُحبِّبُه الى قلوب الرجال، حتى يَرَوْهُ بعين التوقير والاجلال، وإن كان من أحْمَقِ الحَمْقَى وأجهل الجُهَّال، كما قال حسَّان بنُ ثابت رضي الله عنه وأحْسَنَ :

رُبَّ حِلْمٍ أضاعَهُ عَدَمُ المالِ وجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ

وقال الآخر :

والناسُ اعيُنُهمْ الى سلَفِ الفَتى لا يَسْألُونَ عَنِ الحِجَى والأولَقِ

وقال أعرابيٌّ مرَّ بأهله :

سَأُعْمِلُ نَصَّ العِيسِ حَتَّى يَكُفَّنِي
غِنَى المَالِ يَوْمًا أوْ غِنَى الحَدَثَانِ
فَلَلْمَوتُ خَيْرٌ مِنْ حَياةٍ يُرَى بِهَا
عَلَى المَرْءِ ذي العَلْيَاءِ مَسٌّ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّمْ يُلْغَ حُكْمُ مَقالِهِ[41]
وإنْ لمْ يَقُلْ قَالُوا عَديمُ بَيانِ
كأنَّ الغِنَى في أهْلِهِ بُورك الغِنَى[42]
بِغَيْرِ لِسَانٍ ناطِقٌ بِلِسَانِ

وقال أبو الطيب :

فَلاَ مَجْدَ في الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
ولاَ مَالَ في الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُه

ويقالِ : المَرْءُ بِنَشَبِهِ وسيأتي في أثناء الكتاب جملةٌ نافعة من هذا المعنى ومن ثناء الشعراء على الثروة والغنى .

إنَّ السَّقْطَ يُحْرِقُ الحَرَجَةَ .

السَّقْطُ ما يَسْقُطُ بَيْنَ الزَّنْدَيْنِ قَبْلَ اسْتِحْكَامِ الوَرْيِ، وتُثَلَّثُ سينه والاحراق والتَّحريق معروف . والحَرجَةُ بفتحتَيْن : الشَّجرُ الكثير المُلْتَفُّ، جمعه حَرَج وحِرَاج وأحْراج . قال العَجَّاج :

41) في زهر الآداب : حُكْمُ كَلاَمِهِ
42) رواية زهر الآداب : كَأنَّ الفَتَى في أهْلِهِ بُورِكَ الفَتَى.

عَايَـنَ حَيًّـا كَالحِـرَاجِ نَعَـمُهْ
يَكُـونُ أقْصَى شَلِّهِ مُحْرَنْجِـمُهْ

وهذا المثل وقع في حكاية للأصمعي قال : بينما [أنا] بحمى ضَرِيَّةَ إذْ وقَفَ عَلَيَّ غلامٌ من بني أسد في أطمار ما ظننته يجمع بين كلمتين . فقلت : ما اسمك ؟ قال : حُرَيْقِيص . فقلت : أما كفى أهْلَكَ أن يُسَمُّوك حُرْقُوصًا حتى صَغَّرُوا اسمك ؟ فقال : إن السَّقْطَ يُحْرِقُ الحَرَجَةَ . فعجبت من جوابه فقلت : أتُنْشِدُنا شيئًا من أشعار قومك ؟ قال : نعم، أنْشِدُك لِمَرَّارِنَا

قلت : افعل . قال :

سَكَنُوا شُبَيْثًا والاحَصَّ وأصْبَحُوا
نَـزَلَتْ مَنَازِلَهُـم بَنُـو ذُبْيَـانِ

وإذا يُقَـالُ أُتِيتُـمُ لَـمْ يَبْرَحُـوا
حَتَّى تُقِيمَ الخَيْلُ سُوقَ طِعَانِ

وإذا فُلاَنٌ ماتَ عَـنْ أكْـرُومَةٍ
رَفَعُـوا مَعَـاوِزَ فَقْـدِهِ بِفُلاَنِ

قال . فكادت الأرض تَسبُوخ بي لحسن إنشادِه وجَوْدَةِ الشعر . فأنْشدتُ الرشيد هذه الأبيات فقال : يا أصْمَعِيُّ، وَدِدْتُ لو رأيتُ هذا الغلامَ فكنت أبلِغُه أعلى المراتب ! ومعنى المثل أن الأمر الصغير قد يصير الى أعظم، والرجل المُسْتَحْقَر قد يُغْنِي غَنَاء المُسْتَعْظَم، بل الواحد قد يقومُ مَقَامَ الجَمِّ . ومن هذا قول القائل :

لاَ تَحْقِرَنَّ صَغِيراً في تَقَلُّبِهِ
إنَّ البَعُوضَةَ تُدْمِي مُقْلَةَ الأسَدِ

ولِلشَّرَارَةِ نَارٌ حِينَ تُضْرِمُهَا
ورُبَّما أضْرَمَتْ نَاراً عَلَى بَلَدِ

وقول الآخر :

أرَى خَلَلَ الرَّمَادِ ومِيضَ نَارٍ
ويُوشِكُ أنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ

فَإنَّ النَّارَ بِالزَّنْدَيْنَ تُورَى وإنَّ الحَرْبَ أوَّلُهَا الكَلاَمُ

وقول المسكين : ولَقَدْ رَأيْتُ الشَّرَّ بَيْنَ الحَيِّ يَبْدَؤُهُ صِغارُه.

وقول أبي العلاء :

وقَد يَنْمى كبيرٌ مِن صَغِيرٍ ويَنْبُتُ مِن نَوَى القَسْبِ النُّلبانُ

وقد بيَّن هذا المعنى من قديم عَدِيُّ بنُ زَيْد حيث يقول :

شَطَّ وصْلُ الذِي تُرِيدينَ مِنِّي وصَغِيرُ الأمُورِ يُجْنِي الكَبِيرَا

وبعد هذا البيت :

إن لِلدَّهْرِ غِرَّةً فاحْذَرنْها لا تَبِيتَنَّ قَدْ أمِنْتَ الدُّهورَا

قَد يَنامُ الفَتى صَحِيحًا فيردَى ولَقدْ باتَ آمِنًا مَسْرُورَا

أيُّهَا المُبْتَغِي سَبِيلَ غِنَاهُ الزَمِ البِرَّ في الفُؤَادِ ضَمِيرَا

لا أرَى المَوْتَ يَسبِقُ المَوتَ شَيء نَغَّصَ المَوتُ ذَا الغِنَى والفقِيرَا

ووقع في شعر مَرَّارٍ السابقِ شُبَيْثٌ والاحَصُّ وهما موضعان، والمَعَاوِزُ وهي الخُلْفَانُ، يريد أنَّهم كلَّما مات منهم كريمٌ خَلَفَهُ كريم يَسُدُّ مَسَدَّه . ومثلُه قول الحماسيّ السَّمَوْءَلِ بْنِ عَادِيا :

إذا سَيِّدٌ مِنَّا خَلاَ قَامَ سَيِّدٌ قَوَّولٌ لَما قالَ الكِرامُ فَعُولُ

وقول الحماسيّ الآخر :

ولَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أبَدًا إلاَّ اجْتَلَيْنا غُلامًا سَيِّدًا فِينا

وقول أبي الطَّمَحَان :

إذا ماتَ مِنَّا سَيِّدٌ قامَ صاحِبُه

ونحوه كثير في أشعارهم . والمقصود من ذلك كله أنَّ السؤدد في القوم شائع، والكرم كثير ذائع، فكلمَّا فُقِدَ من السادات مفقود، فغيرُه موجود .

إنَّ الشَّفِيقَ بِسُوءِ الظَّنِّ مُولَعٌ .

الشَّفَقُ بفتحتَيْن : الخوفُ وحرصُ النّاصح على صلاح المَنْصُوح . يقال : أشفقت عليه شَفَقًا وإشفاقا، فأنا شَفِيق ومُشْفِق . قال خَلَفُ بن خليفة :[43]

43) نسبه في لسان العرب الى إسحاق بن خلف، وقيل هو لابن المُعَلَّى (مادة شفق).

تَهوى حَياتِي وأهوَى مَوتَها شَفقا والمَوْتُ أكرَمُ نَزّالٍ عَلى الحُرَمِ

ولا يقال : شَفَقْت عليه . وجَوّزه بعض اللغويّين . والظَّنُّ الراجحُ من طَرَفَيِ التَّرَدُّدِ في الشيء . وقد يطلق على الاعتقاد مطلقا . والمُولَع بالشيء : المُغْرَى به ؛ يقال : ولِع به بالكسر، ولَعًا بفتحتَيْن، ووَلُوعًا مفتوح الأول ؛ وأوْلَعْتُه أنا وأُولِع به، فهو مُولَع . ومعنى المثل أنّ كلّ من تُشْفِقُ عليه فأنت تَتَخوَّفُ عليه الأحداث، حتى إن كلّ شيء ذُكر أو سُمع أو رُئي تَخْشَى أن يكون قد وقع به، كما قال الحماسي دُرَيْد بن الصِّمَّة :

تَنادَوْا فَقالوا ارْدَتِ الخَيلُ فارسًا فَقُلتُ أعبْدُ اللّه ذَالِكُمُ الردِي

وعبد الله هو ابنُ الصمَّة أخُو دريد . فكان دريد لما سمع قولَ الفوارس قد صُرِع فارس ظنَّه دريدٌ أخاه من شفقته عليه . وقد قيل إنه ظنه أخاه لما علم من إقدامه وجرأته . وسوء الظَّنّ عند الشَّفَقِ أمرٌ معروف مشاهد في الناس، لا سيما الضعفاء كالنساء، حتى إنه متى ذُكر هلاك في جيش غائب أو مسافرين، كان كل من له هنالك من يُشفق عليه يتصوَّر ذلك الهلاك فيه شفقة، وهو أول ما يسبق الى وهمه .

وممَّا يشبه هذا ما وقع لإياس بن معاوية رحمه الله : نظر الى نسوة ثلاث، وقد فَزِعْنَ من شيء، فقال : هذه بِكْرٌ، وهذه ظِئْرٌ، وهذه حُبْلَى . فسُئلن عن ذلك فوُجِدَ الأمر كما قال . فقيل له : بِمَ عرفت ذلك ؟ قال : إنهنّ لما فزِعن وضعت كلُّ واحدةٍ يدها على أهمّ المواضع عندها . فوضعت البكر على فرجها، والظئر على ثدييها، والحُبْلَى على بطنها . فانظر في هذه القصَّة كيف جعلت كل واحدة تظنّ الشرَّ نازلاً بالمحلّ الذي لها مزيد إشفاق عليه !

إنَّ الشَّقْرَاءَ لَمْ يَعْدُ شَرُّهَا رِجْلَيْهَا .

الشَّقْرَاءُ : فرسٌ جَمَحَتْ بصاحبها فأتت على وادٍ وهمَّت أن تَثِبَه، فقصرت ووقعت، فانْدَقَّت عنقُها وسَلِمَ صَاحِبُها . فسُئل عنها فقال : إنَّ الشَّقْرَاءَ لَمْ يَعْدُ شرُّهَا رِجْلَيْهَا، أي لم يتجاوزها الى غيرها . ويقال فرس رمحت ابنَها فقتلته . والمعنى أن الشرَّ لم يتجاوز ما كان برجلها، فيضرب في نحو هذا من الشيء النازل

ولم يتعدّ . وكان عُتْبَةُ بنُ جعفر بنِ كلاب أجار رجلا من بني أسَد فقتله رجلٌ من بني كلاب، فقال بِشْرُ بنُ أبي حازم الأسَدِيّ يهجو عُتْبَة :

فَأصبَحتَ كَالشَّقراءِ لم يَعْدُ شَرُّها

سَنَابِكَ رِجْلَيْهَا وعِرْضُكَ أوفَرُ

وفي الشَّقْرَاءِ كلام آخر يأتي إن شاء الله تعالى .

إنَّ الشَّقِيَّ وافِدُ البَراجِمِ.

الشَّقَاءُ : العُسْرُ والشِّدَّةُ، يُمَدُّ ويُقْصَر . يقال : شَقِيَ الرجلُ بالكسر، يَشْقَى، شَقَاوَةً بفتح الشين وكسرها، وشَقًا، وشَقَاءً، وشَقْوَةً بالفتح والكسر أيضا، فهو شَقِيٌّ . والوافِدُ : القادم ؛ يقال وفَدَ عَلَيَّ يَفِدُ، أي قَدِم، فهو وافِد، وهم وفْدٌ، وأوْفَادٌ، ووُفُود . ومن الأول قوله تعالى : يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ الى الرَّحْمَانِ وفْداً . والمفسرون يقولون : وفْداً، أي رُكْبانًا، لأن الوُفُود سَرَاةُ النّاس . والبَراجِم : قومٌ من أولاد حَنْظَلَةَ بنِ مَالِك بنِ عَمرو بنِ تَمِيم .

المَثَلُ لعمرو بن هِنْدٍ، وهو عَمْرو بنُ المُنْذِرِ بنِ امْرىء القيس بن عمرو بن عَدِيٍّ اللَّخْمِيٌّ بنِ أختِ جَذِيمَةِ الأبْرَشِ، ملكِ الحِيرَةِ . وكان سبب ذلك أن أخاه أسْعَد بنَ المُنْذر كان في بني دارِمٍ مسترضعًا في حجر زُرَارَةَ بْنِ عُدُس الدّارِمِي، ويقال في حجر حاجِبِ بنِ زُرَارَة . فلما شبَّ، خرج يوما يتصيَّد، فعَبِثَ كما تَعْبَثُ الملوكُ لما انصرف من صيده وبه نبيذ، فرماه رجلٌ من بني دارِمٍ بسهم فقتله . وقيل مرَّت به ناقةٌ كَوْمَاءُ فَعَبِثَ بها ورَمَى ضَرْعَها، فشد عليه ربُّها سُوَيْد، أحَدُ بني عبد الله بن دارِم فقتله، ثم هرب فلحق بمكة وحالف قريشًا . وكان زُرَارَةُ بنُ عُدُس (من خواصِّ عمرو بن هند . وكان عمرو قبل ذلك قد غزا قومًا من العرب ومعه زُرارة)[44] فأخفق . فلما انتهى عند رجوعه الى جبل طَيِّءٍ، قال له زُرَارة : أيها الملك ! إنَّ رجوعَ مِثْلِك إذا [غزا] بغير شيء لَعَظِيمٌ، وها هي طَيِّءٌ بِجَنْبِك . فمال عليهم ابن هند فقتل وأسَر . فَاضْطَغَنَتْ طيِّءٌ من ذلك على زُرَارة وجعلوا يتربصون به فرصة، فلمَّا بلغهم أن دارِمًا قتلت أسْعَدَ، وكَتَمَ عمرو بن هند ذلك في نفسه،

44) ما بين قوسين سقط من أ.

قال عَمْرو بنُ مِلْقَطٍ الطّائيّ يُنبّه عمراً للنهوض [إلى ثأره]، ويُغْريه بقتل زُرَارة :

مَنْ مُبْلِغٌ عَمْراً بأنَّ المَرْءَ لَمْ يُخْلَقْ صُبَارَهْ ؟
هَا إنَّ عِجْزَةَ أمِّهِ بِالسَّفْحِ أسْفَلَ مِنْ أُوَارَهْ
تَسْفِي الرِّيَاحُ خِلاَلَ كَشْحَيْهِ وقَدْ سَلَبُوا إزَارَهْ
فَاقْتُلْ زُرَارَةَ لاَ أرَى فِي القَوْمِ أوْفَى مِنْ زُرَارَهْ !

فوافي هذا الشعرُ عمراً وزُرَارةُ عنده . فقال له عمرو : ما يقول هذا ؟ فقال : كَذَب، قد علمت عداوتهم لي فيك . قال : صدقت ! فلما أمسى زُرارة، هرب ولَحِق بقومه . فغزاهم عمرو بن هند وحلف لَيَحْرِقَنَّ منهم مائةً بِأخِيه . فلما نَزَلَ بِأُوَارَةَ، وقد نُذِرُوا به، تفرقوا عنه هربا . فتتبَّعَهم حتى قبض تسعة وتسعين منهم وحرقهم بالنار . فأراد أن يكمل العِدَّة بعجوز منهم . فلما أمر بها قالت : ألا فَتى يَفْدِي هذه العجوزَ بنفسه ؟ ثم قالت : هيهات ! صار الفتيانُ حُمَمًا . ومرَّ وافدُ البَراجِم، فاشْتَمَّ رائحة الشِّواء ولم يشعر بالأمر، فظنَّ أن الملك قد اتخذ طعاما . فأقبل نحوه تَخُبُّ به راحلتُه لينال منه، حتى وقف على عمرو فقال له : من أنت ؟ قال : أبَيْتَ اللَّعْن ! أنا وافِدُ البَراجِمِ . فقال عمرو : إنَّ الشَّقِيَّ وافِدُ البَراجِمِ . فذهبتْ مثلاً . ثم أمَرَ به فقُذِف في النار .

يُضْرَبُ هذا المثلُ في الانسان يَجْلُبُ الحَيْنَ على نفسه، وهو من باب قولهم : بَحَثَ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ، وسيأتي . وبهذه الواقعة سُمِّيَ عمرو بن هند مُحَرِّقًا لتحريقه بني تميم . وقيل إنما سمي مُحَرِّقًا لعُتُوّه وفساده في الأرض، فكأنه حرقها . وقيل لتحريقه نَخْلَ مَلْهَمٍ، وهو موضعٌ بِالبَحْرَيْن، ويُسمَّى أيضا مضرط الحجارة، لشدة وطأته . وكان جدّه امرؤ القيس أيضا، فيما يزعمون، يسمى مُحَرِّقًا، وإياه يعني الأسود بن يَعْفُر بقوله :

ماذَا أؤَمِّلُ بَعدَ آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكوا مَنازِلَهمْ وبَعدَ إيَادِ
أرضَ الخَوَرنَقِ والسَّدِيرِ ويارِقٍ والقَصرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِن سِنْدادِ
جَرَتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ دِيارِهِم فكأنَّهُم كانوا على مِيعادِ

وفي هذه القصَّة يقول الأعشى :

ويَكونُ في الشَّرَفِ المُوَازِي مِنْقَراً وبَنِي زُرَارَهْ

أبْنَـــاءُ قَـــوْمٍ قُتِّلُـــوا يَـــوْمَ القُصَيْـــبَةِ والأوَارَهْ
(فَجَـــرَوْا عَلَى مَاعُـــوِّدُوا ولِـــكُلِّ عَـــادَاتٍ أمَـــارَهْ)[45]
والعُـــودُ يُعْصَـــرُ مَـــاؤُهُ ولِـــكُلِّ عِيـــدَانٍ عُصَـــارَهْ

وقال جرير يُعَيِّرُ الفرزدق :

اينَ الذينَ بِنارِ عَمْرٍو حُرِّقوا؟ أم أينَ أسعَدُ فيكمُ المُستَرضَعُ؟

وقال أيضـا :

وأخْزاكُمُ رَبِّي كَما قَد خَزيتُم وأدْرَكَ عَمَّاراً شَقِيُّ البَرَاجِمِ

وبها عُيِّرَتْ بنو تميم بِحُبِّ الطعام . قال أحدُ بَنِي كِلاب :

ألاَ أبلِغ لَدَيكَ بَنِي تَمِيمٍ بِآيَةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

وقال الآخـر :

إذَا مَا ماتَ مَيْتٌ مِن تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أنْ يَعِيشَ فَجِيءْ بِزادِ
بِخُبزٍ أو بِلَحمٍ أو بِتَمْرٍ أوِ الشَّيءِ المُلفَّفِ فِي البِجادِ
تَرَاهُ يُنَقِّبُ البَطحاءَ طُرًّا لِيأكُلَ رَأسَ لُقمَانَ بْنِ عَادِ !

ودخل بعض أذكياء بني تميم، ويقال هو الأحْنَف، على بعض ملوك قريش، ويقال هو معاوية رضي الله عنه، فقال له الملك : ما الشيءُ المُلَفَّفُ في البِجَاد ؟ قال السَّخِينةُ، يا أمير المؤمنين . أراد الملكُ أن يُعَيِّره بالطعام، وأشار الى الشِّعْر السابق، وأراد التميميُّ تعييرَه بالسَّخِينَة، وهي طعام، وكانت قريش تُعَيَّرُ بها . ويُشْبِهُ هذه القصَّةَ في تميم أيضا ما يُحْكَى أنَّ اعرابيا وقف على الفرزدق (فقال له الفرزدق)[46]: ممَّن أنت ؟ فقال : من فقعس . قال : كيف تركت القَنَان ؟ قال : تركته يساير لَصَافِ . أراد الفرزدق قول الشاعر :

ضَمِنَ القَنانُ لِفَقعَسٍ سَوْءاتِها إنَّ القَنانَ بِفَقْعَسٍ لَمُعَمَّرُ

وأراد الفَقْعَسِيُّ بقوله يُسَايِر لَصافِ قول الآخر :

---

45) سقط هذا البيت من أ.
46) سقط من ب.

وإذا تَسُرُّكَ مِن تَمِيمٍ خَصلَةٌ فَلَما يَسُوءُك مِن تَمِيمٍ أكْثَرُ
قَد كُنتُ أحْسِبُهم أسودَ خَفِيَّة فإذا لَصَافِ تَبِيضُ فِيها الحُمَّرُ
أكَلَت أُسَيدٌ والهُجَيمُ ودارمٌ أيرَ الحمارِ وخُصيَتَيهِ العَنبَرُ[47]
ذَهَبَت فَشِيشَةُ بالاباعِرِ حَولَنا سَرقًا فَصَبَّ عَلى فَشيشَةَ أبجَرُ

والقَنَانُ، بفتح القاف، جبلٌ لبني أسد، وهو الواقع في قول زهير :

جَعَلنَ القَنَانَ عن يَمينٍ وحَزنَهُ ومَن بِالقَنانِ من مُحِلٍّ ومُحرِمِ

ولِصاف، بكسر اللام وبفتحتها، مُعْرَبًا ومَبْنِيًّا على الكسر، جبلٌ لتميم، وهو الواقع في قول النابغة :

بِمُصطَحِباتٍ من لَصافٍ وثَبرَةٍ يَزُرنَ إلالاً سَيرُهُنَّ التَّدافُعُ

ونحوه ما حكى الجاحظ قال : دخل رجل من مُحَارِبٍ على عبد الله بن يزيد الهلالي، وهو عامل على أرمِينِيَّة، وقد بات بقرب غدير فيه ضفادع . فقال عبد الله : ما تَرَكَتْنَا أشياخُ مُحَارِبٍ ننامُ في هذه الليلة لشدة أصواتها . فقال المحاربيّ : أصلح الله الأمير ! إنها أضَلَّت برقعًا لها، فهي في بغائه . أراد الهلالي قولَ الأخطل :

تَنِقٌ بلا شيء شيوخُ مُحَارِبٍ وما خِلتُها كانَت تَريشُ ولا تَبري
ضَفادِعُ في ظَلماءِ لَيلٍ تَجاوبَت فَدلٌ عَلَيها صَوتُها حَيَّة البَحر

وأراد المحاربي قول الشاعر :

لِكُلٍّ هَلالِيٍّ مِن اللُّؤمِ بُرقُعٌ ولابْنِ هِلالٍ بُرقُعٌ وقَمِيصُ

وممَّا يشبه هذا في الذكاء والفِطْنَة ما حُكي عن بعض الناس أنه قال : قعدت على جِسْرِ بغداد، فمرَّت امرأة بارعة الجمال، فائقة الكمال، من الرُّصَافةِ الى الجانب الغربي . فاستقبلها شابٌ ذهب نحو الرصافة، فقال الشاب : رحم الله عليَّ بن الجَهْم . فقالت المرأة : رحم الله أبا العلاء المعري . ولم يَقِفْ واجدٌ منهما، بل [مرَّ] كلٌّ لحاجته،

---

47) أورد في لسان العرب (مادة خصي) هذين البيتين منسوبين الى أبي المهوّس الأسدي هكذا :

قَد كُنتُ أحسِبُكم أسود خَفِيَّةٍ فإذا لَصاف تَبِيصُ فيها الحُمَّرُ
عَضَّت أُسَيدُ جَدلَ أيرِ أبيهمُ يومَ النِّسار وخُصيَتيهِ العَنبَرُ

مُشَرِّقًا ومُغَرِّبًا قال : فتبعت المرأة، فقلت لها : إن لم تقولي ما قلتما . فضحتك فقالت: أراد الشاب قول علي بن الجهم :

عُيُونُ المَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ والجِسْرِ
جَلَبْنَ الهَوَى مِنْ حَيْثُ أدرِي ولاَ أدْرِي

وأردت أنا قول أبي العلاء المعرّي :

فَيَا دَارَهَا بالحَزْنِ إنَّ مَزَارَهَا
قَرِيبٌ ولَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أهْوَالُ

فانصرفت وتركتها . وبعضهم ينكر في قصّة عمرو بن هند التّحريق، ويقول إنه قَتل تسعة وتسعين وكمّل العدة بِوافِدِ البَراجِم، ويُنشد قول جرير : أين الذين بنار عَمْرٍو قُتِّلُوا ؟ وفي القصّة اختلافٌ وطُرُق، وسنعيدها في الباء إن شاء الله تعالى على وجه آخر للحاجة إليها هناك .

إنَّ العَصَا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ .

العَصَا معروفة . والقَرْعُ : الضَّرْب . والحِلْمُ : العقل .

ومعنى المثل أنّ الحليم إذا نُبِّهَ انْتَبَه . واختُلف في أول من قُرِعَتْ له العصا : فقيل عامر بن حُمَمَة[48]، وقيل عَمْرُو بْنُ مَالِك، وقيل قَيْسُ بْنُ خَالِد، وقيل عَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ العَدوَانِي وهو الأشهر، وكان حَكَمًا من حكّام العرب . فلما كبِر، قيل وأتَى عليه ثلاثمائة سنة أنكر من عقله شيئا، وكانت له بنت حكيمة، فكان إذا قعد للناس وصّاها أن تَقْرَعَ له المِجَنَّ بالعصا إذا زلّ في كلامه ليرجع . قال المُتَلَمِّس :

لِذِي الحِلْمِ قَبْلَ اليَوْمِ مَاتُقْرَعُ العَصا
ومَا عُلِّمَ الانْسَانُ إلاَّ لِيَعْلَمَا

وأراد بذي الحلم عامرًا، وهو كنيته فيما يزعمون . وقال الحماسيّ الحَرِثُ بْنُ وعلة الجرميّ :

48) حُرِّف في أ الى صمصمة .

قَـوْمِي هُـمُ قَتَلُـوا أمَيْـمَ أخِي
فَـإذَا رَمَـيْتُ يُصِيـبُنِي سَهْـمِي
فَلَئِـنْ عَفَـوْتُ لأعْفُـوَنْ جَلَلاً
ولَئِـنْ سَطَـوْتُ لأوهِنَـنْ عَظْـمِي
لاَ تَأمَنَـنْ قَوْمًـا ظَلَمْتَهُـمُ
وبَدَأتَهُـمْ بِالشَّتْـمِ والرَّغْـم
إنْ يَأبِـرُوا نَـخْلاً لِغَيْرِهِـم
والشَّيْءُ تَحْقِـرُهُ وقَـدْ يَنْـمِي
وزَعَمْتُـمُ أنْ لاَحُلُـومَ لَنَـا
إنَّ العَصَـا قُـرِعَتْ لِـذِي الحِلْـمِ
وَوطِئْتَنَـا وطْئًـا عَلَى حَنَـقٍ
وطْءَ المُقَيَّـدِ نَـابِتَ الهَـرْمِ
وتَرَكْتَنَـا لَحْمًـا عَلَى وضَـمٍ
لَوْ كُنْتَ تَسْتَبْقِي مِنْ اللَّحْمِ

قيل : وعامرٌ هذا أولُ من جَلَس على المنبر وتكلّم . وفيه يقول الأسْودُ بن يَعْفُر :

ولَقَدْ عَلِمْتُ لَوَ انَّ عِلْمِي نَافِعٌ
أنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الأعْـدَادِ

وإليه أشار ذُوالاصْبَع العَدْوانِيّ بقوله :

عَذِيرَ الحَيِّ مِنْ عَـدْوانَ كَانُـوا حَـيَّةَ الأرْضِ
بَغَى بَعْضُهُمْ ظُلْمًا فَلَمْ يَـرْعَ عَلَى بَـعْضِ[49]
ومِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ والمُوفُـونَ بِالقَـرْضِ
ومنهُـم مَـن يُجيزُ النَّاسَ بالسُّنَّـة والفَـرْضِ
ومِنْهُـم حَكَـمٌ يَقْضِي فَلاَ يُنْقَضُ مَـا يَقْضِي

يعني عامر بنَ الظَّرِبِ، وسيأتي له مزيدُ خبر .

49) رواه في لسان العرب هكذا :
بَغَى بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ فَلَمْ يَرْعَوا عَلَى بَعْضِ

إنَّ فُلاَنًا بَاقِعَةٌ .

البَاقِعَةُ : الرجل الداهية ؛ وأصْلُه البقع في الأرض، وهو الذهاب فيها وحُلولُ بِقَاعِها . يقال : ما أدري أين بَقَعَ، اي ذهب . فالبَاقِعَة هو الذي جال بقاع الأرض وعرف خيرها وشرَّها، فاستُعمل في الداهية الذكيّ الذي لا يفوته شيء . ويقال البَاقِعَة هو الطائرُ يَرِدُ البِقَاع وهي الأمكنة يَسْتَنْقِع فيها الماءُ، ويحيد عن المشارع والمياه المحصورة خوف أن يُحتال عليه فيُصاد . فضُرب مثلا للرجل الحِذر المحتال .

إنَّهُ لَحِبْلٌ مِن أحْبالِهَا .

الحِبْلُ بكسر الحاء، وتُفْتَح، الداهيةُ من الدواهي، جمعه حبول . قال كثير :

فَلاَ تَعْجَلِي يَاعَزَّ أنْ تَتَبَيَّنِي
بِنُصْحٍ أتَى الواشُونَ أم بِحُبُولِ

ويقال للرجل هو حِبْلٌ مِنْ أحْبَالها، إذا كان داهيةً كالمثل الذي قبله، أو كان قائما على المال رفيقا بسياسته .

إنَّهُ لَذُو بَزْلاَء .

البَزْلاَءُ : الرأي الجيّد ؛ وهو إمَّا مأخوذٌ من البُزُول، يقال بَزَلَ نَابُ البعِير إذا انشقَّ وطلَع ؛ وبَزَلْتُ الشَّيْءَ : شَقَقْتُه فَتَبَزَّل . فالبَزْلاَءُ : الرأي الذي يَنْشَقّ عن الصواب . ويقال : رجل بازلٌ إذا احتنك، تشبيهًا بِالبَازِل من الابل . وقال الراعي :

مِنْ أمْرِ ذِي بَدَوَاتٍ لا يَزَالُ لَهُ
بَزْلاَءُ يَعْيَى بِهَا الجَثَّامَةُ التُّلبَدُ

وإمَّا من البَزْلاَءِ وهي الداهِيَة العظيمة . ومنه قولهم : **فُلاَنٌ نَهَّاضٌ بِبِزْلاَء** إذا كان مطيقًا للشدائد .

إنَّهُ لَيُسِرُّ حَسْوًا في ارْتِغَاءٍ.

الاسْرَارُ ضدُّ الاعلان ؛ والحَسْوُ : الشُّرْبُ ؛ يقال : حسا اللبن والماء والمرق وغير ذلك إذا شَربه ؛ واسم ما يُحسى : الحَسْو، والحَسَى، مقصورًا وممدوداً ، والحَسُوُّ على

مِثال عَدُوّ، والحَسِيَّة . ورَغْوَةُ اللّبن، مثلثة الراء، ورُغاوتُه، ورُغايتُه، بضمّ الراءيْن، ويُكسران : زَبَدُهُ الطّافِي فَوقَه . قال نَضْلَةُ السُّلَمِي في يوم غَوْل، وكان حقيراً دميما، وكان ذا بأس ونجدة :

أَلَمْ تَسَلِ الفَوارِسَ يَوْمَ غَوْلٍ
بِنَضْلَةَ وهْوَ مَوْتُورٌ مُشِيحُ ؟
رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وهْوَ حُرٌّ
ويَنْفَعُ أهْلَهُ الرَّجُلُ القَبِيحُ
فَشَدَّ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ صَلْتاً
كَمَا عَضَّ الشَّبَا الفَرسُ الجَمُوحُ
فَأطْلَقَ غُلَّ صَاحِبِهِ وأرْدَى
قَتِيلاً مِنْهُمُ ونَجَا جَرِيحُ
ولَمْ يَخْشَوا مصالته عَلَيْهِم
وتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ

والصريح : الخالص، ويسمَّى المَحْض، كما قال طرفة :

ويَشْرَبُ حَتَّى يَغْمُرَ المَحْضُ قَلْبَهُ
وإنْ أعْطَهُ أتْرُكْ لِقَلْبِيَ مَجْثَمَا

وكما قال الآخر : فقل جعل يستق في لبن محض (كذا) . ويقال : ارتَغَى الرَّغْوَة إذا أخذها بفِيه واحْتَسَاها .

ومعنى المثل أنه يَحْسُو اللَّبَنَ، وهو يُظْهِرُ أنه يُزيل الرَّغْوَةَ بفيه لِيُصْلِحَهُ لَك .

يُضْرَبُ لمن يُرِيكَ أنَّهُ يُعِينُك وهو يجرّ النفع لنفسه . وكذا كلُّ من يريد امراً وهو يظهر غيره . وقيل للشَّعْبي : إنَّ رجلا قَبَّل أُمَّ امْرأته . فقال : يُسِرُّ حَسْواً في ارتِغَاء، وقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ امرأتُه.

إنَّهُ لَسَاكِنُ الرِّيحِ .

مثلٌ للرَّجُلِ الوادِعِ، وهو في الأصل إمَّا مُشَبَّهٌ بِزَمَنٍ قد سَكَنَتْ ريحُه

وهَدَأتْ زَعازعُه، فَوَرَدَ مَوْرِدَ التَّمثيل ؛ وإمَّا مشبَّهٌ بالريح الساكنة عن الاضطراب، وهو ضَرْبٌ من التَّجْريد.

إنَّهُ لَشَرَّابٌ بِأنْقُعٍ .

الشَّرَّابُ : الشَّارِبُ بكثرة ؛ والانْقُع : جمع نَقْع، بفتح فسكون، وهو يطلق على الغبار، ويطلق على محْبِس الماء المستنقع، وعلى الارض الحرة الطين، يُسْتَنْقَعُ فيها الماءُ . فيُضرب هذا لمَنْ جرَّب الأمورَ وعَاوَدَ خَيْرَها وشرَّها، أو للداهي المُنْكَر .

قيل : وأصلُه في الدليل، وهو أنه إذا كان بصيراً بالفَلَوات حَذَفَ في الطريق وعلم أينَ يسلُك الى الأنْقُعِ حتى يَرِدَها . والانْقُعُ هنا : المياه المُسْتَنْقَعَةُ، أو مَحَالُّها بحسب ما فيها من الماء . فصار مثلا لكل بصير بالأمور يصل منها الى مراده .

وقيل أصلُه أن الطائر إذا كان حذراً مُنْكَراً، لم يَرِدِ المياهَ التي يَرِدُها الناس، مخافة الأشْرَاك التي تنصب بحضرتها، وإنما يَرِدُ الأنْقَاعَ التي في الفَلَوَات، أي المياهَ المُسْتَنْقَعة . وحكى البكريّ بسنده عن رياح بن زيد قال : سألت ابْنَ جَرير عن آية، وقلتُ إن مَعْمَراً أخبرني بكذا، فقال : إنَّ مَعْمَراً شَرِبَ العِلْمَ بِأنْقُعٍ (قال) . قال عبد الرزاق : الأنْقُع : الصَّفَا الذي يُصيبُهُ الغَيْثُ، فيكون ههنا ماءٌ وههنا ماء .

إنَّهُ لَصِلُّ أصْلاَلٍ .

الصِّلُّ، بكسر الصاد المهملة : الحَيَّة الخبيثة، لا تَنْفَع فيها الرُّقَى ولا يبل سليمها . قال الشاعر :

والحَيَّةُ الصِّلُّ لا تَغُرُّكَ هَدْأتُهُ
فَكَمْ سَلِيمٍ ومَوْقوذٍ لِنُكْرته !

وقال صاحب تأبّط شرّا يرثيه :

مُطْرِقٌ يَرْشَحُ مَوْتًا كَمَا أطْرَقَ
أفْعَى يَنْفُثُ السُّمَّ صِلُّ[50]

[وجمعه أصلال] فضرب للرجل الداهي المنكر في الخصومات وغيرها، كأنه قيل إنه لحيَّة الحيَّات . قال الشاعر :

---

50) هذا البيت من قصيدة نسبها أبو تمام في الحماسة (ا: 342) الى تأبط شرا نفسه، وجعل (سُمًّا) بدل (مَوتًا)

مَا ذَا رُزِئْنَا بِهِ مِن حَيَّةٍ ذَكَرٍ
نَضْنَاضَةٍ بِالرَّزَايَا صِلٌّ أَصْلاَلِ ؟

إِنَّهُ لَضَعِيفُ العَصَا .

مثل للقليل الضربِ لِلابِل . قال الراعي :

ضَعِيفُ العَصَا بَادِي العُرُوقِ تَرَى لَه
عَلَيْهَا إِذا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ أَصْبُعَا

إِنَّهُ لَضِلٌّ أَضْلاَلٍ .

مثل للدَّاهِي على نحو ما مرَّ آنفًا في الصاد، إلا أنه يقال هنالك : صِلٌّ أصلاَلٍ، بالصاد المهملة وبكسرها لا غير ؛ ويقال هنا : ضِلٌّ أَضْلاَلٍ، بالضَّاد المعجمة مكسورة ومضمومة .

ومعناه أنه يُضِلّ خَصْمَه وقِرْنَه فلا يهتدي ولا يعرف من حيثُ يأتيه ولا يتجه معه الى وجه يخلّصه منه . والضَّلاَلُ ضدّ الرَّشَاد . قيل : وأصله قولهم : أَرْضٌ ضِلٌّ، إذا كانت تُضَلِّلُ صاحبَها . وأمَّا قولهم : إنه ضِلٌّ بْنُ ضِلّ . بكسر الضادَيْن وضمّهما، فمعناه أنه مُنْهَمِكٌ في الضلال، أو أنه لا يُعْرَفُ له أصل، أو أنه لا خَيْرَ فيه . ويقال للباطل : ضُلٌّ بِتَضْلاَلٍ . قال عَمْرُو بْنُ شَاسٍ الاسَدي :

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى لاَتَ حِينَ اذِّكَارِهَا
وقد حُنِيَ الأَصْلاَبُ ضُلٌّ بِتَضْلاَلِ[51]

وقيل في قول امرىء القيس :

نَوَاعِمَ يُتْبِعْنَ الهَوَى سُبُلَ الرَّدَى
يَقُلْنَ لأَهْلِ الحِلْمِ ضُلاَّ بِتَضْلاَلِ

إنه دعاءٌ بالضلال، أي أي إذا رأين أهل الحِلْم قلن لهم : أضلَّكم الله، ودعون عليهم إذ لا يَتْبَعُون اللَّهو، وهو البَيِّنُ . قيل : وأنكر أبو عبيدةَ ضمَّ الضاد في قولهم : ضُلاَّ بتَضْلاَل، وقال : لم أسمع الضَّمَّ الا في ضُلٌّ بن ضُلّ.

51) ورد في لسان العرب : وقَدْ حُنِيَ الأَضْلاَعُ....

إنَّهُ لَعِضٌّ

العِضُّ بكسر العين المهملة وبضاد معجمة، يضرب للرجل الداهي المنْكَرُ البَليغ . قال القَطَامِي :

أحَاديثُ مِنْ أنْبَاء عَادٍ وجُرْهُمٍ
يُثَوِّرُهَا العِضَّانِ زَيْدٌ ودَغْفَلُ

ويروي : أحَاديثُ من عادٍ وجُرْهُمٍ ضِلَّةٍ . ومعنى ضِلَّة : لا يُهتدى إليها، كما قالت السُّلَكَةُ أمُّ السُّلَيْك :

لَيتَ شِعري ضِلَّةٌ أيُّ شَيْءٍ قَتَلَك

ومعنى يُثَوِّرُها : يُحَرِّكها من مكانها، ويُثيرها من مظانّها . ويروي : يُنَوِّرها بالنون، أي يكشفها ويُبيّن ما استتر منها من النّور الكاشف للظلمة . وزيدٌ المذكورُ أحد بني هلال ابن ربيعة، وكان من أعلم الناس . ودغْفَلٌ مِنْ بَني ذُهْلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ نَسَّابَةٌ .

قيل : وأصلُ المثل من العَضِّ على النَّواجِذ . يقال : عضَّ الرجلُ على نواجذه إذا صَبَرَ على الأمر . قال عليّ كرم الله وجهه يُحرِّض الناس يوم صِفِّين : عَضُّوا على النَّواجِذِ من الأضراس ! فإنه أنْبَى لِلسّيوف على الهام . وقال الحَارِثُ بْنُ وعْلَة :

الآنَ لَمَّا ابيَضَّ مَسرُبَتِي وعَضَضتُ مِن نابِي عَلَى جِذمِ

والنواجذ بالذال المعجمة : أواخرُ الأضراس، واحدها نَاجِذ . والعرب تسمي النّاجذ ضِرْسَ الحِلْمِ، لأنه يَنْبُتُ بعد البلوغ وكمال العقل . قال النَّمرُ بن تَوْلَب :

عَلَى أنَّها قالَتْ عَشِيَّةَ زُرتُها ألَم يَنبُت لِذا حِلْمُه بَعدي (؟)

ورجلٌ مُنَجَّذ، أي مُجَرَّبٌ أحْكَمته الأمور . قال سُحَيْمُ بْنُ وثِيلٍ :

أخُو خَمسينَ مُجتمِعٌ أشُدِّي ونجَّذَنِي مُداورَةُ الشُّؤُونِ

ويقال : إنه لَعِضُّ مَال، أي شديدُ القيام عليه، وعِضُّ سَفَر، أي قويٌّ عليه، وعِضَاضُ عَيْشٍ، أي صبورٌ على الشِّدَّة، وغَلَقٌ عِضٌّ : لاَ يَكَادُ يَنْفَتِحُ . والعِضُّ أيضا : ما صغُر من شَجَر الشَّوْك، كالشبرق والقتاد الأصغر ؛ يقال : بلد ذو عضّ، وإبلٌ عَاضَّةٌ : تَرْعَاه ؛ وأهلُها مُعِضُّون . فيصحّ أن يكون أصل المثل من هذا [أيضا].

إنَّهُ لَلَيِّنُ العَصَا .

مَثَلٌ للرَّفِيقِ الحَسَنِ السِّيَاسة لِمَا وُلِيَ . قال الشاعر : [52]

عَلَيهِ شَرِيبٌ وادِعٌ لَيِّنُ العَصا يُساجِلُها جُمَّاتِهِ وتُساجِلُه

إنَّهُ لَنِقَابٌ .

مَثَلٌ للرجل العالم الفهم الخبير بغوامض الأمور . قال أوسُ بنُ حَجر :

كَرِيمٌ، جَوادٌ، أخُو مَأقِطٍ، نِقابٌ يُحَدِّثُ بِالغَائِبِ

قيل : وأصله من التنقيب في البلاد وتجريب الأمور . ونحوه قولهم في مَثَلٍ آخر لمجرب الأمور : فلان قد رَكِبَ ظَهْرَ البَرِّ والبَحْرِ، وعَرَفَ حَالَتَيِ الخَيْرِ والشَّرِّ، وذاقَ طَعْمَيِ الحُلْوِ والمُرِّ . وقال الحكماء : لا ينال أحدٌ الحكمة حتى ينسى الشهوات، ويُجَرِّبَ الفَلَوَات، ويُحالف الأسفار، وينتاب القفار، ويَصِلَ الليلةَ باليوم، ويعتاضَ السَّهَرَ من النوم . وقالوا : النَّظَرُ كالسَّيف، والتَّجَارِبُ كَالمِسَنِّ . وقالوا : مِرآةُ العَواقِبِ، في يَدِ ذِي التَّجَارِبِ . وقال أبو تمَّام يصف بالتَّنقِيب والتجريب :

سَلِي هَل عَمَرتُ القَفر وهي سَباسب
وغَادرْتُ ربْعِي مِن رِكَابِي سَباسِبا
وغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ
وشَرَّقْتُ حَتى قَدْ نَسِيتُ المَغَارِبَا

وقال أيضا :

خَلِيفَةُ الخِضْرِ مَنْ يَرْبَعْ عَلَى وطَنٍ
فِي بَلْدَةٍ فَظُهُورُ العِيسِ أوطَانِي
بِالشَّامِ قَوْمِي وبَغْدَادُ المُنَى وأنا
بِالرَّقْمَتَيْنِ وبِالفُسْطَاطِ إخْوانِي
أحِبَّةٌ جَاوَرَتْ آدَابُهُمْ أدَبِي
فَهُمْ وإنْ فُرِّقُوا فِي الأرْضِ جِيرَانِي

وقول أوس المذكور يُحَدِّثُ بِالغَائِبِ هو من شأن النِّقاب . والمعنى أنه ذو ذكاء قويٍّ وفراسة وظنٍّ مصيب، كما قالوا : فُلانٌ الْمَعِيٌّ وقال الشاعر :

52) هو مَعْن بن أوْس المُزَنِي

الأَلْمَعِيُّ الذي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنْ قَدْ رَأى وقَدْ سَمِعَا

وقال الآخر :

بَصِيرٌ بِأَعْقابِ الأُمُور إذا التَوتْ كَأَنَّ لَهُ في اليَومِ عَينًا على غَد

وقال ابن الرومي :

كَمَالٌ وإفْضالٌ وبَأسٌ ونَجدةٌ وظَنٌّ يُرِيهِ الغَيبَ لارجمُ راجِمِ

وقال آخر :

تَجاوزْتَ مِقدارَ الشَّجاعَةِ والنُّهى الى (قَولِ) قومٍ أنتَ بِالغيبِ عالِمِ

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : من لم ينتفع بِظَنِّه، لم ينتفع بِيَقينه .

وقال عبد الملك بن مروان : ما فرَّق بين عمر وعثمان إلا اختلافُ الظنّ : ظَنَّ عمرُ فأصاب فتحفَّظ، وظنّ عثمانُ فأخطأ فأهمل .

إنَّهُ لَنَكِدُ الحَظِيرَةِ .

النَّكَدُ : الشدَّةُ والقِلَّة ؛ يقال : نَكِدَ عَيْشُ القوم إذا اشتدَّ، ونَكِدَ ماءُ البئر إذا قلَّ، وناقةٌ نَكُود : قليلة الدَّرِّ، ورَجُلٌ نَكِدٌ : عَسِير ؛ والحَظِيرَة، والحِظَار، بالظاء المشالة : ما يُجْعَل للماشية ويحاط بالشجر ونحوه لِتَأوِيَ إليه ويمنعَها من الحرّ والبرد، لأنها من الحَظْر وهو المنع .

يُضرب هذا المثل للرجل القليل الخير وللبخيل مع السعة، فكأنَّ ضِيقَ حظيرته كناية عن ضيق خيره وقلَّة فضله، كما يقال في المثل الآخر من هذا المعنى : فُلاَنٌ ضَيِّقُ العَطَنِ، وإنما العَطَنُ مَبْرَكُ الابل (عند الماء) ؛ لكن جعل كناية عمَّا مرَّ . ويقال في ضدّه : فلانٌ رَحْبُ الفِنَاء، وسَابِغُ الذَّيْل، وغَمْرُ الرِّدَاء، ونحو ذلك . وقال أبو عُبَيْد القاسم بنُ سَلاَم : أراه سمَّى أمواله حظيرة لأنه حَظَرَهَا عنده ومَنَعَها، وهي فعِيلةٌ بمعنى مفعولة . وهو بعيد عن صَنِيعِ الكلام وأسلوب العرب في هذا النحو كما قرَّرناه.

إنَّهُ لَهِتْرُ أهْتَارٍ .

الهِتْرُ بكسر الهاء وسكون المثناة الفوقية : العجب والداهية، فيقال : فلان هِتْرُ أهْتَار

ويضرب مثلاً للرجل الداهي، كما تقدم في قولهم : صِلٌّ أصْلاَلٍ . قال أوس بْنُ حَجَر في الهِتْر بمعنى العجب :

أَلَمَّ خَيَالٌ مَوهِنًا مِن تُمَاضِرَا
هُدُوًّا ولَم يَطْرُقْ مِن اللَّيْلِ بَاكِرَا
وكَانَ إذَا مَا التَمَّ مِنْهَا بِحَاجَةٍ
يُرَاجِعُ هِتْراً مِنْ تُمَاضِرَ هَاتِرَا

وعن ابن الأعرابي : الهُتْرُ والهِتْرُ، (بالضمّ والكسر : ذهابُ العقل . وفي الصَّحَاح : الهِتْر : العجب والداهية، والهِتْرُ) :[53] السَّقَطُ مِنَ الكَلام، يقال : هِتْرٌ هَاتِرٌ، وهو توكيد . ومنه بيت أوس المذكور عنده .

إنَّهُ لَوَاقِعُ الطَّائِرِ .

مثلٌ للرجل الساكن الأمر . وهو في الأصل إمَّا مُشَبَّهٌ بالبعير يقع عليه الطائر وينزع ما عليه من القُرَاد، فيسكن البعير استلذاذاً لذلك ولا يتحرك لئلا يَنْفِرِ الطائر فيطير عنه، كما يقال في المثل الآتي : كأنَّ عَلَى رأسِهِ الطَّيْر ؛ وإمَّا مشبَّهٌ بالطائر الواقع في سكونه على ضَرْبٍ من التَّجْرِيدِ، كما مرَّ في سَاكِنِ الرِّيح .

إنَّكَ لاَ تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ العِنَبَ .

يقال : جَنَى الثَّمَرَةَ، واجْتَنَاها، وتَجَنَّاها . وكُلُّ ما يُجْنَى من الثَّمَرِ فهو جَنًى بالفتح والقصر وجَنَاة ؛ والشَّوْكُ، بفتح الشين المعجمة، معروف ؛ الواحدة : شَوْكَة ؛ وشَجَرَةٌ شَاكَةٌ وشَوكَةٌ وشَائِكَةٌ : ذاتُ شَوْك : والعِنَبُ معروف .

ومعنى المثل أن الشَّرَّ لا تَسْتَحْصِلُ منه خيراً، والفسادَ لا تكتسِبُ به صلاحًا، كما أن العِنَبَ ليس بخارج من الشَّوْك . فإذا أو قَعْتَ شَرًّا أو ظلمت أحداً فقد غرست شوكًا، ولا تحصده إلا شوكًا . وفي الحكمة : مَنْ يَزْرَعْ خَيْراً يَحْصُدْ غِبْطَة، ومَن يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدْ نَدَامة . وما أحسن قَولَ صالِح بن عبد القدُّوس ناظمًا لهذا المثل بعينه :

إذَا وتَرتَ امرَءاً فاحْذَرْ عَداوتَه مَن يَزرعِ الشَّوكَ لا يَحصُدْ به عنَبا

53) ما بين قوسين سقط من أ

إنَّ العَدُوَّ وإنْ أبْدَى مُجَامَلَةً إذا رآى مِنْك يَومًا فُرصَةً وثَبَا

والمَثَلُ لأكْثَمَ بنِ صَيْفِي حكيم العرب .

إنَّكُم لَتَكْثُرونَ عِندَ الفَزَعِ، وتَقِلُّونَ عِندَ الطَّمَعِ .

هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم، قاله للأنصار يَصِفُهُم بذلك . والفَزَعُ يكون على وجهَيْن : أحدهما الذُعْرُ والجَزَع، وهو الكثير الاستعمال، والآخر الاستنجادُ والاستصراخ، ومنه قول سَلاَمَةَ بْنِ جَنْدَل :

كُنَّا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ كانَ الصُّراخُ لَه فَزَعَ الظَّنابِيب

أي : إذا أتَ مستغيث كانت إغاثتُه الجِدَّ في نصرته . يقال : قَزَعَ ظُنْبُوبه في هذا الأمر إذا جدَّ فيه . والظُّنْبُوب : مُقَدَّم عظم الساق . ويشتق من هذا المعنى أن يكون فَزِعَ بمعنى أغَاث . قال هُبَيْرَةُ اليَربُوعِيُّ، الملقَّب بالكَلْحَبَة :

فَقُلْتُ لِكَاسٍ ألْجِمِيهَا فإنَّما حَلَلْتُ الكَثِيبَ من زَرودٍ لأفْزَعا

أي لأغِيثَ . وكَاسٌ اسمُ جاريته . والطَّمَعُ معروف.

ومعنى الكلام المذكور وصفُ الانْصَارِ رضي الله عنهم بالشجاعة والاقدام، وبذل النفوس في نصرة الاسلام، وتجشم المضائق في ذلك والعظائم، والتسارع الى المكارم مع الزهد التام، ورفع الهِمَّةِ عن الحطام . وهو معنى قوله : وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ، أي عند وجود الطمع في الناس لسبب من أسبابه . ويصحّ أن يراد بالطمع المالُ المطموع فيه، أي : تقلّون عند حضور الأموال واقتسامها وانتهابها، والقلّة على بابها، أو للنَّفْيِ وهو أبلغ . وناهيك بهذا الكلام مدحًا وثناء، وبالأنصار رفعةً وسناءً ! ومثلُ هذا المعنى قول عنترة :

يُخبِرِكِ مَن شَهِدَ الوقِيعَةَ أنَّني أغشى الوغى وأعِفُّ عند المَطعم[54]

ومن هذا المعنى قول المهاجرين في الأنصار : إنهم يَكْفُونَنَا المَؤُونة، ويشاركوننا في المهنا . ومن باب المشاركة في الشدَّة قول أبي بكر الخُوَارِزْمِي :

أرَاك إذا أيسَرتَ خَيَّمتَ عِندنا لِزامًا وإن أعسَرتَ زُرتَ لِمامَا

فَما أنتَ إلاَّ البَدرُ إن قَلَّ ضَوءُهُ أغَبَّ وإن زَاد الضِّياءُ أقَاما

54) المشهور : عِنْد المَغْنَمِ، وهو الانسب لما قيل في الأنصار.

وأصله قول الأول :

فَتى كانَ يُدنيه الغِنى من صَديقه
إذا مَا هو اسْتَغْنَى، ويُبْعِدُه الفَقْرُ

وتَمَثَّل بهذا البيت عليٌّ كرم الله وجهه في طلحة حين رآه مقتولاً يوم الجَمَل . وورد في ضدّ هذه الصفة، وهو المشاركة في الرفاهية والخذلان في الشدائد أمثالٌ كثيرة من الشعر، كقول الشاعر :

إذَا ما عُلُوا قَالُوا : أبُونَا وأمُّنَا.
ولَيْسَ لَهُمْ عَالِينَ أمٌّ ولا أبُ

وقول الآخر :

مَوالِينَا إذَا افْتَقَرُوا إلَيْنَا
وإنْ أثْرَوْا فَلَيْسَ لَنَا مَوالِي

وقول الآخر :

أبُو رَاشِدٍ مَولاَيَ مَاطُلَّ حَقُّهُ
فَإنْ كَانَتِ الأخْرَى فَمَولَى بَنِي سَهْمِ.

إنَّ لِلَّهِ جُنُوداً مِنْهَا العَسَلُ .

الجُنُود جمع جُنْد، بضمّ فسكون، وهو العسكر . ويطلق على الأعوان وعلى المدينة، يقال : الشام خمسة أجْنَاد، ويراد مدُنُها الخَمْس ؛ وعلى الصِّنف من الخَلْقِ على حِدَة . والعسل معروف . وهذا الكلام وقع لمعاوية، رحمه الله، لما بعث عمرو بن العاصى أميرا على مصر، وفيها محمد بن أبى بكر أميرا عن عليّ، كرم الله وجهه . فاقتتلا، فقُتل محمد بن أبي بكر واستولى عمرو على مصر . فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليًّا، كرم الله وجهه، فأنفذ الى مصر الأشْتَر النخعيّ في جيش، فزعموا أنه لما سمعه معاوية دسّ الى دِهْقَانٍ كان بالعريش أن يقتل الأشتر، وجعل للدِّهْقَانِ أن يُتْرَكَ له خراجُ عشرين سنة . فسأل الدِّهقانُ أيُّ الشراب أحبُّ الى الأشتر، فقيل له العسل، فأتاه بعسل مسموم . فما استقرَّ في جوفه إلاّ وقد تَلِف . فبلغ معاوية ذلك فقال : إنَّ لِلَّهِ جُنُوداً مِنْهَا

العَسَلُ . (ولا أدري أهو أبُو عُذْرِه أم كان مسبوقًا . وظاهر كلام صاحب **القاموس** أن الجند في هذا المثل أريد به المعنى الأخير من معانيه السابقة، وليس بظاهر، إذ لا معنى لأن يقال في هذا أريد به المعنى الأخير من معانيه السابقة، والقصة أن لله أصنافا من الخلق منها العسل،)[55] وإنما القصد أنه أعوانٌ، لا سيما وكلامه يُحْكَى تارة بلفظ : إن لِلّهِ جُنْدًا في العَسَل، وبهذه العبارة رأيته في **تأريخ المسعودي**، والله أعلم .

إنَّ فِي المَرْنَعَةِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَقْنَعَة .

يقال : رَنَعَ لَوْنُ الرَّجُلِ رُنُوعًا إذا تَغَيَّر وذَبُلَ ؛ ورنَعَتِ الدابَّةُ الذُّبَابَ : طَرَدَتْه ؛ ورنِع بالكسر يرنَع : إذا لعِب . والمَرنَعَة على وزن مَرْحَلَة : السَّعَةُ والدَّعَةُ، وتُطلَق أيضا على الرَّوْضة، وعلى الأصوات في اللعب، وعلى القطعة من الطعام ومن الشراب ومن الصيد . ويقال للحمقاء إذا أثْرَت : وقَعْتِ في مَرْنَعَةٍ فَعِيشِي، أي : وقعتِ في خِصْب . والمَقْنَعَة : الغِنَى، وهي من القَناعة، أي : في المرنعة لكلِ أحد ما يَقْنَعُ به ويستكفي . والمعنى ظاهر .[56]

إنَّ فِي مِضٍّ لَمَطْمَعًا .

مِضٌّ بكسر الميم وكسر الضاد المعجمة المثقلة : كلمةٌ تستعمل بمعنى لا . قال : سألت هل وصل، فقالت : مِضٌّ، وهي حكاية صوت الشفتين يكون معه نوع استهزاء، وهي مع ذلك مُطمِعَةٌ في الاجابة . ومن ثمَّ قالوا : **إنَّ في مِضٍّ لَمَطْمَعًا . ويشبه أن يُضرب عند التحريض على طلب الشيء وتَرجِّيه ما دامت مَخَائِلُ بُلُوغِه وإن ضَعُفَت .**

إنَّ اللّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ .

هو كلام النبي صلَّى الله عليه وسلم قاله في شأن قُزْمَانَ بْنِ الحَارث لما أعْجَبَ المسلمين قتالُه وغَنَاؤُه، ثم جُرِحَ وآلمته الجراحة، فاستعجل وقتل نفسه . وقد كان صلَّى الله عليه وسلم أخبرهم قبل ذلك أنه من أهل النار، وهو معنى ما في خبر آخر : **إنَّ اللّهَ يُؤَيِّدُ هَذا الدِّينَ بأقْوامٍ لا خَلاقَ لَهُم** . وإنما ذلك لأن كلّ من دخل في

---

55) ما بين قوسين سقط من ب.
56) ورد في لسان العرب : إنَّ فِي مِضٍّ وبِضٍّ لَمَطْمَعًا

سواد المسلمين فهو قد يجاهد العدوّ ويدافع عن المسلمين ويَقْصِمُ ظهور الكافرين، حتى يتأيد الدين بتعزز المؤمنين، ويضعف الكُفْرُ بذلّ الكافرين، طلبًا لإعلاء كلمة الله تعالى، وابتغاءً لمرضاته، فنفع (وانتفع . وقد يفعل ذلك لغير إعلاء كلمة الله أو يُحْبِطُ العملَ بوجه من الوجوه، فَنَفَع)[57] ولم ينتفع، عياذاً بالله تعالى ! وما ذكره الشارع، صلوات الله وسلامه عليه، غيرُ مُخْتَصٍّ بالجهاد، بل في كلّ وجه من وجوه التأييد كسياسة الأمّة، والحكم بين الناس، وتعليم العلم، وقبض الأموال وتفريقها، وبناء المساجد والأسوار والقناطر، ونحو ذلك ممّا لا ينحصر . وذلك واقع لا محالة، كما أخبر به صلّى الله عليه وسلّم . وسيأتي تشبيهُ العَالِمِ غيرِ العامِلِ بالمصباح يضيء للناس وهو يحترق، نسأل الله الكريم، ربَّ العرش العظيم، أن يَقِيَنا شرَّ هذه الورطة، ويَقِينَا شرَّ أنْفُسِنا وشرَّ كلّ ذي شرّ !

إنَّ اللّهَ لَنْ يَرفَعَ شيئًا مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ وضَعَهُ .

هو كلام النبي صلّى الله عليه وسلّم أيضا قاله في شأن ناقته، وكانت لا تُسْبَق . فجاء أعرابيٌّ على قَعود فسبقها . فشقَّ ذلك على المسلمين، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم ما ذُكِر . وكلّ ذلك في الصحيح .

إنَّ الُّلهَى تَفْتَحُ اللَّهَى .

الُّلهَى الأولُ بضمّ اللام جمع لُهْوَة بضمّ اللام، وتفتح أيضا، وهي العَطِيَّةُ أو أفضلُ العطايا ؛ وكذا الُّلهْيَة، وتطلقُ على الألف من الدنانير والدراهم . قال النابغة :

عِظَامُ الُّلهَى أولاَدُ عُذرَةَ إنَّهُم لَهَا مِيمُ يَسْتَلْهُونَهَا بِالحَنَاجر[58]

وقال الحماسيّ :

لَعمري لَئِنْ أعْمَرتُمُ السِّجْنَ خَالِداً وأوْطَأتُمُوهُ وِطْأةَ المُتَثَاقِلِ
لَقَد كَانَ يُروِي المَشْرَفِيَّ بِكَفِّهِ ويُعْطِي الُّلهَى في كُلِّ حَقٍّ وبَاطِلِ

والُّلهْوَةُ أيضا ما يرميه الطاحن بيده في فم الرَّحَى، وكان هذا هو الأصل . واللَّهَى الثاني بفتح اللام جمع لَهَاة، على مثال قَنَاة، وهي الُّلحْمَةُ المُشْرِفة على الحَلْق، والجمع بإسقاط الهاء، وقد مدَّه الشاعر ضرورة في قوله :

---

57) ما بين قوسين سقط من أ.

58) ورد هذا البيت في لسان العرب (مادة لها) هكذا :
عِظَامُ الُّلهَا أبنَاءُ ابْنَاءِ عُذرَةٍ لَهَا مِيمُ يَسْتَلْهُونَهَا بِالجَرَاجِر

يَالَكَ مِنْ تَمْرٍ ومِنْ شِيشَاءِ يَنْشَبُ في المَسْعَلِ والثَّلهَاءِ !

ومعنى المثل أن الاحسان، وتَوارُدَ العطايا الحِسَان، يُطْلِقُ اللسان، بالثناء والشُّكْران . وهذا المثل وقع في كلام الكُميت، قيل له : لِمَ صارت أشعارك في بني أميَّة أطْيَبَ منها في بني هاشم ؟ فقال : إنَّ التُّلهَى تفْتَحُ التَّلهَى ! ومن أظرف ما اتفق في هذا ما حكى شمس الدين بنُ خَلِّكان أن المعتمدَ بن عبَّاد الأندلسيّ ذكر يوما قولَ أبي الطيب :

إذَا ظَفِرَتْ مِنْكَ العُيونُ بِنَظْرَةٍ أثَابَ بِهَا مُعْيِي المَطِيِّ وَرَازِمُهْ

فجعل يردّده استحسانًا له، وفي الحضرة عبدُ الجليل بنُ وهْبُون، فقال ارتجالا :

لَئِنْ جادَ شِعرُ ابْنِ الحُسَينِ فإنَّما تُجيدُ العَطايا والتُّلهى تَفتَحُ التَّلهى
تَنَبَّأ عُجبًا بِالقَريضِ ولَو دَرَى بِأنَّك تَرْوِي شِعْرَهُ لَتَألَّهَا

إنَّمَا يَجْزِي الفَتَى لَيْسَ الجَمَلُ .

يضرب هذا المثل في المكافأة . وهو للبيد بن ربيعة في شعر له يقول فيه :

فَإذَا أقْرِضْتَ قَرضًا فَاجْزِهِ إنَّما يَجْزِي الفَتَى لَيْسَ الجَمَلْ
وإذا رُمتَ رَحِيلاً فَارْتَحِلْ واعْصِ مايَأْمُرُ تَوخيمُ الكَسَلْ
واكْذِبِ النَّفْسَ إذَا حَدَّثْتَهَا إنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالأمَلْ

وهذه كلّها أمثال .

إنَّمَا سُمِّيتَ هَانِئًا لِتَهْنَأَ .

التسمية معروفة . وهَانِىء اسم رجل، والهَنْءُ : الاعطاء ؛ يقال : هَنَأْتُه هَنْئًا إذا أعْطَيْتَه وَرَفَدْتَه، والاسم الهِنْءُ بالكسر ، قيل : وبالفتح أيضا، وهو العطاء ويقال : هَنَأَهُ شهرًا أو شهرين إذا عاله، هَنْئًا وهَنَاءَةً . قال الشاعر :

هَنَأْتُهُم حَتَّى أعَانَ عَلَيْهِمُ سَوامي السِّماكِ ذِي السلاح السَّواجِم

يضرب هذا المثل في الحضّ على البذل والافضال . وعن الكسائي : وسمعت أعرابيا يقول : إنَّما سُمِّيتَ هَانِئًا لِتَهْنَأ، أي لِتَعُولَ وتَكْفِي .

قلت : وينبغي أن يضرب عند تحويض كلّ ذي وصف، أو لقب أو حرفة على فعل ما

يوجبه ذلك الوصف، إمَّا حقيقةً كالقاضي للقضاء بين الناس، والمحتسب للاحتساب، والمعلم للتعليم، والصائغ للصياغة ونحو ذلك ؛ وإمَّا على الاشتقاق فقط، كالافضال لمن اسمه فَضْل، والحَرْث لمن اسمه حارث، والهِنْءُ لمن اسمه هانىء، فإن ذلك هو أصل المثل . فيقال للذي تسمَّى بالقاضي وتأبى عن الحكم : إنَّما سميّت هانئا لتهنأ، أي قيل لك قاض لتقضي بين الناس، ونحو هذا .

إنَّمَا اشْتَرَيْتُ الغَنَمَ حِذَارَ العَازِبَةِ .

الاشتراء والغنم معروفان ؛ والعَازِبةُ : الابل، والعُزُوب بالزاي في الأصل : الذَّهَابُ والبُعْد . وعَزَبَت الماشيةُ، وعَزَبَ بها ربُّها : بَعُدَ بها في المرْعَى ولَمْ تَرُحْ . ورجل عزيب : بعُد عن أهله وماله . والعَزِيب من الابل والشاء : ما يبعُد عن أهله في المَرْعَى . وكان لرجل إبلٌ فباعها واشترى غنمًا لئلا تَعْزُب ثم عَزَبَتْ غَنَمُه فقال : إنَّما اشْتَرَيْتُ الغَنَمَ حِذَارَ العَازِبَة، فذهبت مثلا . ومَضْرِبُه واضحٌ من هذا .

إنَّمَا القَرْمُ مِنَ الأفِيلِ .

القَرْمُ بِالفَتْح : الفَحْلُ من الابل، وكذا الأقْرَمُ : والأفِيلُ، على مثال أمِير : الفَصِيلُ وابْنُ المَخَاضِ فما فوقه ؛ والجمع إفَال، على مثال جِبَال . قال زهير :

فَأَصْبَحَ يُجْرِي فيهِمُ مِن تِلادِكُم مَغَانِمَ شَتَّى مِن إفَالٍ مُزَنَّمِ

وقال الآخر :

فَإني لاَ تَبْكِي عَلَيَّ إفَالُها إذا شَبِعَتْ مِن رَوضِ أوطَانِها بَقْلاَ

والمعنى أن الجمل إنما يكون قَرْمًا بعد ما يكونُ صغيراً أفِيلاً . فيضرب في أن الأمر الكبير يَنْشَأُ عن الأمر الصغير، على نحوما مرَّ في **أنَّ السَّقَطَ يُحْرِقُ الحَرَجَةَ**، وما يأتي في قولهم : **العَصَا مِنَ العُصَيَّةِ، ونحوه كثير** .

إنَّمَا هُوَ كَبَارِحِ الأرْوَى .

البَارِحُ من الظِّباء والطير وغيرها : ما ولاَكَ مَيَاسِرَه، وهو أن يمرّ من مَيْمَنَتِكَ الى مَيْسَرَتك . يقال : بَرَح الظبي ونحوه، بفتح الراء، بُروحًا، فهو بارح ؛ وعكسه : السَّانح. والعرب تَتيمَّنُ بالسانح، وتَتشاءمُ بِالبارح. وسنذكر ما في ذلك بعده إن

شاء الله تعالى . والأرْوَى، بفتح الهمزة والواو مقصوراً، جمع أَرْوِيَّة، بضمّ الهمزة وكسرها مع تشديد الياء، أو اسمُ جمعٍ لها، والأَرْوِيَّةُ : أُنْثَى الأوْعَال . ويضرب هذا المثل للأمر النادر القليل، لأن الأرْوَى مَسَاكِنُها قُنَنُ الجِبال . فلا يُوجَدُ منها بارحٌ في الدهر إلا نادراً، ولا سانحٌ.

إنَّ مَعَ اليَوْم غَداً.

يضرب في تَنَقُّل الحالات، وتَبَدُّل الساعات . وذلك لأن الخير والشرَّ لما كانا متقابلين، وكان زَمَانَاهُما في علم الله تعالى مقسَّطَيْن مقدَّرين، عُلِمَ أن الشرَّ متى حدث في زمنٍ فللخير زمانٌ يقابله يَحْدُثُ فيه، فعبَّر عن هذين الزمنين باليوم والغد، لما بين اليوم والغد من التقابل، بل كالذي بين الزمنين . فإذا وقع بك شرّ فذلك يوم الشرّ، وللخير زمانٌ يُتَرَقَّبُ هو عند ذلك اليوم، فتقول تَسَلِّيًا : إنَّ مَعَ اليَوْمِ غَداً . وكذا في العكس، كما قيل :

يامَن يَخافُ أنْ يَكونَ ما يَكون سَرمَدا
أما سمِعْتَ قولَهُم إنَّ مَعَ اليومِ غدا ؟

وقال عليُّ بنُ الجَهْمْ لما حبسه المُتَوَكِّلُ :

صَبْراً فَإنَّ اليَومَ يَتْبَعُهُ غَد ويَدُ الخَلِيفَة لا تُطاولُها يَدُ
ولكلّ خير معقب ولربَّما أجلى لك المكروه عما يُحمد
لا يُؤيِسَنَّكَ مِن تَفَرُّجِ كُربَةٍ خَطْبٌ رَماكَ به الزَّمانُ الأنْكَدُ
كَم [مِن] عَلِيلٍ قَد تَخَطَّاهُ الرَّدَى فَنَجا، وماتَ طَبِيبُهُ والعُوَّدُ !

وقال مَعْنُ بْنُ أوْسٍ المُزَنِيّ :

وإنِّي أخوكَ الدَّائِمُ العَهْدِ لم أخن وإنْ زَالَ خَصْمٌ أو نَبابِكَ مَنزِلُ[59]
وإنْ سُؤْتَنِي يَوماً صَبَرْتُ الى غَدٍ لِيُعْقِبَ يوماً آخَرٌ مِنْكَ أوَّلُ[60]

ولما خرج المتوكّلُ العبَّاسيّ الى دمشق، ركب يوما الى رُصَافَةِ هشام بن عبدْ الملك بن مروان، فنظر الى قصورها . ثم خرج فرأى ديْرا هنالك قديما حسن البناء بين مزارع وأشجار

---

59) ورد عجز هذا البيت في **الحماسة** (2 : 8) هكذا : إن أبْزَاكَ خَصْمٌ أو نَبا بِكَ مَنْزِلُ وأبزاه : قهره وبطش به.
وورد في **زهر الآداب** (2 : 816) هكذا : إذا نَابَ خَطْبٌ أو نَبَابِكَ مَنْزِلُ

60) في **الحماسة وزهر الآداب** معا : لِيُعْقِبَ يوماً آخَرٌ مِنْكَ مُقْبِلُ

ورياض وأنهار، فدخله . فبينما هو يطوف به إذ رأى رقعة بصدره . فأمر بها فأزيلت وأوتي بها، فإذا فيها :

يَا مَنْزِلاً بِالدَّيْرِ أصْبَحَ خَالِيًا ... تَلاَعَبَ فِيهِ شَمْأَلٌ ودَبُورُ
كَأَنَّكَ لَمْ يَسْكُنْكَ بِيضٌ نَواعم ... ولَم يتَبَخْتَرْ في فِنَائِكَ حُورُ
وأبْنَاءُ أمْلاكٍ غَوَاشِمِ سَادَةٌ ... صَغِيرُهُمُ عِنْد الأنامِ كَبِيرُ
إذَا لَبِسوا ادراعَهُم، فَعَوابِسٌ ... وإنْ لَبِسُوا تِيجَانَهُمْ فَبُدُورُ
عَلَى أنَّهُمْ يَوْمَ اللِّقاءِ ضَرَاغِمٌ ... وأيْدِيهِمُ يَومَ العَطَاءِ بُحُورُ
لَيالِي هِشامٌ بِالرُّصافَةِ قاطِنٌ ... وفِيكَ ابْنُهُ يادَيْرُ وهْوَ أمِيرُ
إذ الدَّهْرُ غَضٌّ والخِلافَةُ لَدنَةٌ ... وعَيْشُ بَنِي مَروَانَ فِيكَ نَضِيرُ
ورَوضُكَ مُرتادٌ ولَونُكَ مُزْهِرٌ ... وعَيْشُ بَنِي مَروَانَ فِيكَ قَرِيرُ
بَلَى ! فَسَقاكَ اللَّهُ صَوبَ غَمامةٍ ... عَلَيْكَ لَها بَعْدَ الرَّواحِ بُكُورُ
تَذَكَّرتُ قَومِي خَالِيًا فَبَكَيْتُهم ... بِشَجْوٍ، ومِثْلِي بالبُكَاءِ جَدِيرُ
فَعزَّيْتُ نَفسِي وهيَ نَفسٌ إذا جرى ... لَها ذِكْرُ قَوْمِي أنَّةٌ وزَفِيرُ
لَعَلَّ زَمانًا جا عَلَيهِم فَلَم يَكُن ... لَهُم بِالَّذِي تَهوَى النُّفوسُ يَدُورُ
فَيَفرَحُ مَحْزُونٌ ويَنْعَمُ بائِسٌ ... ويُطلَقُ مِن ضِيقِ الوثاقِ أسِيرُ
رُوَيْدَكَ إنَّ اليَومَ يَتْبعُهُ غَدٌ ... وإنَّ صُرُوفَ الدَّائِراتِ تَدُورُ

فلمَّا قرأها المتوكل ارتاع وتطيَّر وقال : أعوذ بالله من شرّ أقداره ! واستدعى صاحب الدير وسأله عن أمر الرقعة، فقال : لا علم لي بها ! ويذكر أنه رجع حينئذ الى بغداد، فلم يلبث إلا أياما قلائل حتَّى قتله ابنُه المُنْتَصِر، رحمه الله تعالى . وقال الحَمَاسِيُّ :

عَسَى سائِلٌ ذُو حاجَةٍ إنْ مَنَعتَهُ ... مِن اليَوم سُؤْلاً أنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ

والشعر في هذا المعنى كثير .

إنَّ مَنْ بِالنَّجَفِ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ لَقَرِيبٌ .

النَّجَفُ، بفتحتين : الموضع المرتفع لا يعلوه الماء . والنَّجَفُ هنا : موضع بقرب الكوفة . وكان قوم من أهل الكوفة فروا من الطاعون الى هذا الموضع، فقال شُرَيْحٍ : إنَّ

مَنْ بِالنَّجَفِ مِنْ ذِي قُدرَةٍ لَقَرِيب . يضرب مثلا للأحداث والأقدار، وأن لا مَلْجَأَ منها لِدَيَّار .

إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً.

هذا من كلامه صلَّى الله عليه وسلَّم، وتقدَّم شرحه في فضل الشعر . وسببه أن بني تميم وفدوا على النبي صلَّى الله عليه وسلَّم الزِّبْرِقَانُ بْنُ بَدر وعَمْرُو بنُ الأهْتَم، فسأل النبي صلَّى الله عليه وسلَّم عمراً يوما عن الزِّبْرقَان بحضوره فقال : مطاع في أدنيه، شَديدُ العَارِضَةِ في قَوْمِه، مَانِعٌ لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِه . فقال الزِّبْرقَان : يا رسول الله، إنه لَيَعْلَمُ مني أكثر من ذلك ولكنه حسدني . فقال عمرو : أما والله [إنَّه] لزمن المروءة، ضَيِّقُ العَطَن، لَئِيمُ الخَال، أحْمَقُ الولد. ثم قال : والله ، يا رسول الله ما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى، ولكني [رجل] رضيتُ فقلتُ أحسن ما علمت، وغَضِبْتُ فقلتُ أقبح ما علمت . فقال صلَّى الله عليه وسلَّم : إن من البيان لَسِحْراً ! وقد بيَّن ابن الأهتم بكلامه المذكور وجه الأمر في باب المدح والذمّ : فإن العرب كثيراً ما يمدحون الشيء ثم يَذُمُّونَه بعينه، حتى يكاد العقل يحكم بتناقض كلامهم، وتَهَافُتِ مَقَالِهم . وليس فيه مناقضة، وإنما ذلك لاختلاف النظر، كما قال عمرو المذكور .

وبيان ذلك أن جميع الكائنات التي هي بصدد التغيرات والآفات لا تخلو عن صفة كمال يَتَجَلَّى الله بها فيها بالوصف الجمالي، وصفةِ نقصان يتجلى الله تعالى بها فيها بالوصف الجلالي . فكلّ مخلوق مشتملٌ على محاسن ومساوىء، إمَّا تحقيقا، كرجل يكون جواداً وحكيما وهو جبان أو شرِّيرٌ أو قبيح المنظر؛ وإمَّا بوجه واعتبار، وذلك ايضا : إمَّا تحقيقًا لاختلاف النظر بحسب تَعَدُّدِ المُوجِبِ وتَبَايُنِه، إمَّا عادة وشرعًا، كسفك الدماء ظلمًا يُمْدَحُ عادةً ويُذَمّ شرعًا ؛ وكالصمت والتعفّف يكون غالبًا بالعكس، أو عادة وعادة، ككثير من أوصاف الخِلْقَة وأنواع الزينة والملابس والمراكب ونحو ذلك ممَّا تختلف فيه العادات استحسانا واستقباحا، وقد يختلف الأمر بحسب المكان والزمان والأقران والأحوال، وذلك أمر لا ينحصر. وإمَّا تخييلاً، وذلك إمَّا بحسب التشبيه كالورد يحسُنُ عندما يُشبَّه بالخدود النواضر، ويَقْبُح عندما يشبَّه بسُرْمِ البغل؛ وإما بحسب النظر

والاعتماد على شبهة كالعسل، بعد كونه حسنا يقبح من حيث إنه قَيْءُ زُنْبُور ؛ وكبذل المال جوداً وسخاءً بعد كونه حسنًا يقبح من حيث إنه إتلافٌ للأموال وإضاعة لها وإفقارٌ مُحْوِجٌ الى التذلّل بالسؤال . وهذا تخييل أدّى قومًا من البخلاء الى التصريح بالثناءعلى البخل الذي أجمع العقلاء على ذمّه . وألّف سَهْلُ بْنُ هَارُونَ منهم في ذلك تأليفا، وقال قائلهم :

يارُبَّ جودٍ جَرَّ فَقْرَ امْرِىءٍ فَقامَ في النَّاسِ مَقامَ الدَّلِيل
فَاشْدُدْ عَلَى مَالِكَ واسْتَبْقِهِ فَالبُخْلُ خَيْرٌ مِن سُؤال البَخِيل

وقد عرفت بهذه الجملة أنه يمكنك أن تمدح الشيء وتذمّه بحسب اختلاف اعتباراته، من غير تهافت في الكلام ولا تناقض : فإنّ التناقض غير لازم، إلاّ لو أردت حُسْنًا وقُبْحًا، ومدحًا وذمًّا على محلّ واحد باعتبار واحد، لكن توارده على محلَّيْن ؛ أو باعتبارين كما بيَّنا . والتفطُّنُ لهذه المحالّ واستخراج هذه الاعتبارات الدقيقة هو مَرْمَى البُلَغَاء، ومَجَالُ فرسان الشعراء والخطباء، وهو مَحَطُّ البيان والسحر الحلال، كما وقع في القصّة السابقة : فليس الكلام بمجرد الجمع والتلفيق، ولا الشعر بمجرد الوزن والتقفية، كما قيل :

إذَا كُنتَ لاَ تدري سِوى الوزنِ وحْدَه فَقُلْ أنا وزّانٌ وما أنا شاعِرُ

وهذا كلام ليس من غرضنا، ولكن الحديث شجون . وسنذكر بعدُ ما للشعراء في مدح الشيب والهرم وذمّه، ومدح طول الليل وذمّه، ونحو ذلك . ولنذكر الآن بعض ما ورد ممّا يدلّ على ما ذكرنا، زيادة على القصّة المذكورة . قال مَسْلَمَةُ بنُ عبدِ الملك لأخيه هشام : كيف تطمع في الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان؟ فقال : لأني حليم وأني عفيف . وقالت للحُصَيْن بن المُنْذِر امرأتُه : كيف سُدْتَ وأنت دَمِيمٌ بخيل ؟ فقال : لأني سديدُ الرأي شديد الاقدام .

وصعد خالد بن عبد الله القَسْرِيُّ مِنْبَرَ مَكّة أميراً للوليد بن عبد الملك، فأثنى على الحجاج خيرا . فلمّا كانت الجمعة الثانية، وقد مات الوليد، ورد عليه كتابُ سليمان يأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه وإظهار البراءة منه . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن إبليس كان يظهر من طاعة الله عزّ وجلّ ما كانت الملائكة ترى له بها فضلا، وكان الله [قد] علم من غشه ما خفي عن ملائكته . فلمّا أراد فضيحته ابتلاه بالسجود لآدم،

فظهر لهم ما خفي عنهم فلعنوه . وإن الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنّا نرى له بها فضلا، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين على غشه أو نحوه[61] فالعنوه لعنه الله ! ثم نزل . وكان العباس بن علي عمُّ المنصور يأخذ الكأس بيده ثم يقول لها : أمّا المالَ فَتُتْلِفِين، وأمّا المُروءَةَ فَتُخْلِقِين، وأمّا الدِّينَ فتُفْسِدِين . ويسكت ساعة ثم يقول : أمّا النَّفْسَ فتُسْخِين، وأمّا القَلْبَ فَتُشَجِّعِين، وأمّا الهَمَّ فَتَطْرُدِين ؛ أتُراكِ مِنّي تُفْلِتين ؟ ثم يَشْرَبُها .

ويحكى أن عيسى عليه الصلاة والسلام ما عاب شيئا قطّ، فمرَّ يوما بكلب ميت فقال أصحابه : مَا أنْتَنَ رِيحَه ! فقال عيسى عليه السلام : ما أحْسَنَ بَيَاضَ أسْنَانِه ! وكتب يَزِيدُ بن مُعَاوية في كتاب له الى عُبَيْدِ اللّه بن زِيَاد، حين ولاّهُ محاربة الحُسَيْن رضي الله عنه وأرضاه وأرْغَمَ أنُوفَ واتِرِيه، وكان قبل ذلك سيّء الاعتقاد فيه : أمّا بعد، فإن الممدوح مَسْبُوبٌ يوماً، وإن المَسْبُوبَ ممدوحٌ يوما . وما ورد من هذا المعنى كثير، فلنقتصر لئلا نطيل.

إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً .

تقدَّم هذا أيضا في فضل الشعر مبَيَّنًا . وقد حُكِي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الأحبار : ياكعب، هل تَجِدُ للشعراء ذكراً في التَّوْرَاة ؟ فقال كعب : أجدُ في التوراة قوماً من ولد إسماعيل أنا جيلُهم في صدورهم، ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال، لا نعلمهم إلا العرب .

إنَّ مِنَ الشَّرِّ خِياراً .

يضرب عند تفاوت ما بين الشَّرَّيْن حتى يكون الأدنى خيراً بالقياس الى الأعلى . وهو قريب من قولهم : بَعْضُ الشَّرِّ أهْوَنُ مِن بَعْض . وسيأتي .

إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ .

قد يُتَمَثَّل به . وهو من كلام النبي صلّى الله عليه وسلّم حين شُكِيَ إليه تطويلُ أصحابه بالناس في الصلاة، فقيل له : ما كدنا ندرك الصلاة ممّا يُطَوِّلُ بنا فلان، فغضب وقال ذلك وقال : فَمَنْ صَلّى مِنْكُم بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإنَّ فِيهم الضَّعِيفَ والمَرِيضَ وذَا الحَاجَة، أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم . والحديث في الصحيح .

---

61) في ب : أو نحو هذا

إنَّ الهَدَايَا عَلَى مِقْدار مُهْدِيهَا .

وهو موجود في شعر وهو :

جَاءَتْ سُلَيْمانَ يومَ العَرضِ هُدهُدَةٌ
أهْدَتْ إلَيهِ جَراداً كانَ في فِيها

وأنشَدَتْ بِلِسانِ الحَالِ قَائِلَةً:

إنَّ الهَدايَا عَلى مِقْدارِ مُهْدِيها
لَو كانَ يُهْدَى الى الانْسانِ قِيمته
لَكانَ يُهْدَى لَكَ الدُّنْيا وما فِيها

وهذه القصَّة تذكر في حرف الميم إن شاء الله تعالى . والمثل ظاهر المعنى .

أهْلُ مَكَّةَ أعْرَفُ بِشِعَابِهَا .

مكَّة معروفة، زادها الله شرفا . والشِّعابُ جمع شِعْب، وهو من الأرض بكسر الشين، ومن الناس بفتحها . وهذا مثل مشهور شائع الاستعمال، يضرب للمباشر للشيء والمخالط له أنه أخْبَرُ يه وأبْصَرُ بحاله وأعرف، كقول القائل : وصَاحِبُ البَيْتِ أدرَى بالَّذِي فِيهِ

أيْنَمَا أذْهَبْ ألْقَ سَعْداً .

قاله الأضْبَطُ بْنُ قُرَيْعٍ السَّعْدِيُّ، وكان غَاضَبَ قومَه سَعْدَ بنَ مَنَاةَ بن تميم، فتجوَّل في القبائل . فلما لم يجد منهم من يَحْمَدُ عِشْرَتَه، رجع وقال : أيْنَمَا أذهَبْ ألقَ سَعْداً، (أي) أينما ذهبت من الأرض ألْقَ قومًا ألْقَى منهم مثلَ الذي لَقِيتُ من سعد . ومَضْرِبُ المثل واضح، وسيأتي أيضا.

أيُّ دَاءٍ أدْوَى مِنَ البُخْلِ ؟.

الدَّاءُ : المرض . يقال : داء الرجل يداء دوءاً وداءً وادوا، فهو داء ومديء، وأدأته أيضا : أصبته بمرض، لازمٌ متعد والبخل معروف . وهذا من كلام النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، قَدمَ عليه نَفَرٌ من الأنصار فقال : من سَيِّدُكم ؟ قالوا الجَدُّ بنُ قَيْس، على بُخْلٍ فِيه . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : وأيُّ دَاءٍ أدوى من البخل ؟ بل سيِّدكم الأغرُّ الأبيض عَمرُو بن الجَمُوح . فقال شاعرهم في ذلك :

وقالَ رَسولُ اللّهِ والحَقُّ قَولُهُ
لِمَن قالَ منّا منْ تَعُدُّون سَيِّدَا
فَقُلْنا لَه : جدُّ بنُ قَيْسٍ على التَّتِي
نُبَخِّلُهُ فِيها وإنْ كانَ أسْوَدَا :
فَتىً ما تَخَطَّى خُطوةً لِدَنِيَّةٍ
ولاَ مَدَّ في يَوم الى سوءَةٍ يَدا.
فَسَوَّدَ عَمْرَو بْنَ الجَمُوحِ لِجُودِه
وحُقَّ لِعَمْرو بالنَّدَى أن يُسَوَّدَا :
إذا جَاءه السُّؤَّالُ أنْهَبَ مالَهُ
وقالَ خُذُوهُ إنَّهُ عَائِدٌ غَدَا.
فَلَو كُنتَ، باجَدُّ بنُ قَيسٍ على التَّتِي
عَلى مِثْلِها عَمرٌ لَكُنتَ المُسَوَّدَا !

إيَّاك أعْنِي، واسْمَعِي يَا جَارة !.

هذا مثل مشهور الاستعمال عند التعريض بإظهارك شيئا وأنت تريد شيئا، وهو لنَهْشَل بن مَالِكٍ الفَزَارِي في شعر له . وسببه أنه خرج يريد النُّعْمَانَ بن المُنْذِرِ. فمرَّ ببعض أحياء طَيِّءٍ، فسأل من سَيِّدُ الحيِّ، فدُلّ على حَارِثَةَ بْنِ لأمٍ الطَّائِيِّ، فقصد رَحْلَه، فلم يُصِبْه حاضراً . فقالت له أخت حارثة : انزل على الرحب والسعة حتى يَلْحَقَ حارثة . فأنزلته وأكرمت مثواه، وأحسنت قِراه . ثم إنه رآها وقد خرجت من خباء الى خباء . فرأى جمالا باهرا، وحسنا فاتنا . وكانت عَقِيلةَ قومها، وسيِّدة نساءِ حَيِّها . فوقعت من قلبه كلَّ مَوقِعٍ، وجعل يقول :

يا أُخْتَ خَيْرِ البَدْوِ والحَضارَه.
كَيْفَ تَرَيْنَ في فَتَى فَزَارَهْ ؟
أصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَهْ
إيَّاكِ أعْنِي واسْمَعِي يَا جَارَة !

فعرفت أنه يريدها، فقالت : ما هذا بِقول ذي عقلٍ أريب، ولا رأي مصيب، ولا أنف نجيب .

أقِم ما أقَمْتَ مكرما، وارتحل إذا ارتحلت مسلما ! فاستحيى وقال : واسَوْأتَاه ! فقالت : صدقت ! وارتحل وأتى النعمان، فأكرمه وحياه فلمَّا رجع، نزل على أخيها حارثة، وتبعت نفسه الجارية، وكان جميلا محبوبا . فأرسلت إليه الجارية : إن كانت لك حاجة فاخطبني الى أخي، فإني سريعة الى ذلك . فخطبها وتزوَّجها، فسار بها الى أهله.

وممَّا يُنْسَجُ على هذا النَّمَط، ويُسْلَكُ في هذا السَّفَط، قولُهم :

أخَذَ فُلاَنٌ رُمَيْحَ أبِي سَعْد إذا اتكأ على العصا هَرِمًا . وأبو سَعْد قيل هو لقمان الحكيم، وقيل هو كنيةُ الكِبَر والهَرَم . وقيل مَرثَد بن سعيد أحد وفْدِ عَادٍ، وقد تقدَّم . وقولهم : **أخَذَ بِلَغَبِ رقَبَتِهِ**، بفتحتين، إذا أدركه . وقولهم :

أخَذَهُ بِحَذَافِيرِهِ، أي بأجمعه . ويقال بِحَذَامِيره، وبأجْمُعِه، وجَرَامِيزِهِ وجَذَامِيره، وبرَبَّانِه، بفتح الراء وضمِّها، وبصَنَابَتِه وسَنَابَتِه، وبِجُلْمَتِه وجَلْمَتِه، وبزَغْبَرِه وزِغْبَرِه، وبزَوْبَره، وأنشدوا :

وإنْ قَالَ غاو مِنْ تَنُوخَ قَصِيدَةً
بِها حَرَبٌ عُدَّتْ عَليَّ بِزَوبَرَا

وبِزَابَرِه وبِصُبْرَتِهِ، وأصْبَارِهِ وبِزَأبَجِهِ وزأمَجِهِ، وبأصِيلَتِهِ، وبِطَلِيقَتِهِ، وبِأزْمَلِهِ . فهذه كلها معناها واحد . ويقال معنى : بِرُبَّانِه وبحداثته : بأوَّله وابتدائه. وقال :

وإنَّمَا العَيْشُ بِرُبَّانِهِ وآنْتَ من أفنانِهِ مُفْتَقِرْ

وقولهم :

إذَا وجَدَتِ الظِّبَاءُ المَاءَ فَلا عَبَاب، وإنْ لَم تَجِدهُ فَلا أبَاب، أي إن وجَدَتْه لم تَعُبَّ فيه، وإن لم تَجِده لم تَؤُبَّ إلَيه، أي لم تَتَهَيَّأْ لطلبه . وقولهم :

إذَا بَلَغَ الرَّجُلُ السِّتِّينَ، فَإيَّاهُ وإيَّا الشَّوَابِّ ! وقولهم : أكَلَ فُلاَنٌ رَوْقَهُ إذا أسنَّ . والمعنى أنه أكَلَ شبابَه وأفناه . يقال : فَعَلَهُ في رَوْقِ شبابِه ورَيْقِه، أي أوَّلِه . وكأنه ماخوذ من رَوْقِ البيت ورِوَاقِه، وهي الشُّقَّةُ في مُقَدَّمه . وقولهم :

إنَّكَ بِمَحَشٍّ صِدقٍ فَلا تَبْرَحْهُ ! أي أنك بموضع الخير فالتزمه ! والمَحَشُّ، بالحاء المهملة والشين المعجمة، على مثال مَرَدٍّ : الموضعُ الكثير الحشيش وقولهم :

إنَّهُ أحد الأحدِينَ، وواحِدُ الأحَدِيـن، وإحْدَى الإحَد،[62] أي لا مِثْلَ له، وهو أبلغ المدح . وقولُهم :

إنَّهُ ابْنُ إحداها[63] أي كريم الآباء والأمَّهات . وقولهم :

إنْ كذبْتَ فَحَلَبْتَ قَاعِداً، أي ذهبت إبلك، فحلبت الغنم . وقولهم :

إنْ كذبْتَ فَشَرِبْتَ غَبُوقًا بارداً، أي ذهبت الماشية فشربت الماء . وقولهم :

إنَّ فُلاَنًا لَتَدِبُّ عَقَارِبُهُ، أي يعترض أعْرَاضَ الناس . وقولهم :

إنَّهُ لَفِي حُورٍ وبُورٍ، بضمّ الحاء المهملة والباء الموحَّدة، أي في ضلال أو في غير صنعة . وقولهم :

إنَّهُ لَوَابِصَةُ سَمْعٍ، أي يَثِقُ بِكلّ ما يسمع . وقولهم

إنَّمَا فُلاَنٌ هَامَةُ اليَوْمِ أو غَدٍ، إذا كان مسنّا، أي يموت في يومه أو غده . والهامة : طائر يخرج من رأس الميت . يزعمون أنه إذا قتل القتيل خرج من رأسه طائر، فلا يزال يصيح : اسقوني ! حتى يقتل قاتله، كما قيل :

باعَمْرُو، إلاَّ تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصَتِي
أضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُولُ الهَامةُ : اسْقُونِي !

وقال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة فيما نحن فيه :

وهَوَّن وجْدِي إنَّما هُوَ فَارِطٌ
إمَامِي وإنِّي هَامَةُ اليَوْمِ أو غَدِ

وقال كُثَيِّر :

فإن تَسْلُ عَنْكَ النَّفْسُ أو تَدَعِ الهَوى
فَبِاليَأْسِ تَسْلُو عَنْكَ لاَ بِالتَّجَلُّدِ
وكلّ خَلِيلٍ زَارَنِي فَهْوَ قَائِلٌ[64]
مِن أجْلِكَ هَذَا هَامَةُ اليَومِ أو غد

---

62) في لسان العرب : إحْدَى الاحَد : الأمر المنكر الكبير . قال :
بِعُكَاظٍ فَعَلُوا احْدَى الاحَد

63) كذا في القاموس . وفي نسخة ب : أحَدَيْها.

64) في أ : وكلُّ خليلٍ رَاءَنِي ....وفي لسان العرب : وكلُّ خليلٍ رَانِيءٍ

وكانه اعتبر هنا المعنى المقصود فقط دون السنّ . وتمثل بهذين البيتين يزيد حين ماتت جاريته حُبَابة في قصّة مشهورة .

ومن الأمثال العاميّة في هذا الباب قولهم : **إذَا أرَادَ اللّهُ إهْلاكَ النَّمْلَةِ جَعَلَ لَهَا أجْنِحَةً تَطِيرُ بِهَا**، يضرب للمتسبب سببا يعطب به، لأن الطير يصيدها إذا طارت . والى هذا المثل أشار أبُو العَتَاهِيَّة بقوله :

وإذَا اسْتَوَتْ لِلنَّملِ أجْنِحَةٌ
حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطبُهْ

وكان الرشيد كثيرا ما يتمثّل به عند نُكْبَة البرامكة . وقولهم

إذَا امْتَلأتِ القِرْبَةُ تَرَشَّحَتْ. يضرب للرجل تَكْثُرُ ذَاتُ يَدِهِ، فلا بدّ أن يُنَالَ شيءٌ ممَّا عنده . وقول أبي محمد : **أنَا عِرْبِيد، وأنْتَ رِعْدِيد، وبَيْنَنَا بَوْنٌ بَعِيد** . والعَرْبَدَةُ : سوء الخلق ؛ والعِرْبِيدُ، والمُعَرْبِد : المُوذِي نديمَه عند السُّكْر . والرِّعْدِيد، الجَبَان الفزّاع . والبَوْنُ : الفضل والمقدار . وقولهم :

إنْ لَمْ تَجِدُوا نَاراً فَاقْلُوا قَلِيَّةً ! يضرب لِمَن اسْتَحْمَقَ فَطَلَبَ امراً حيث المَظِنَّةُ عَدَمُه . وقولهم :

الآنَ يَمُدُّ أبُو حَنِيفَةَ رِجْلَهُ ! زعموا أن الامام أبا حنيفة، رحمه الله، كان به ذات مرّة ألمٌ في رجله، فكان يمدّها في المجلس بين يدي أصحابه . ثم إنه يوما حضر مَجْلِسَه رجلٌ ذو هيئة كثّ اللحية لا يعرفه، فتوهّمه فقيها وقبض رجله استحياء وصبر على ذلك مدّة، والرجل لا يتكلم بشيء ولا يتبيّن أمره . ثم إنه اختبره بشيء فبان له منه خلاف الظنّ، فمدّ رجله وقال ذلك .

هذا ما تيسّر إيراده في هذا الباب من منثور الأمثال، بحمد ذي المنّ والافضال . وقد كنت أردت أن أقتبس الأمثال المضروبة في الشعر وأجلبها، وأودع كل باب من هذا الكتاب جملة وافرة منها، مشروحة مع التنبيه على شجرتها، وأصل ثمرتها . ثم بدا لي أن ذلك بحر لا يُدرك غوره، ومنزع لا ينال طوره . فرأيت أن أقتصر على إيراد الأمثال النثريّة، وإردافها بالأمثال الشعريّة، متضمّنة لما ضرب فيها إلا أن يكون شيء قد انتزع قبل فأذكره . ورأيت

أن أنبه في هذا الباب خصوصا على بعض ذلك ليقيس عليه من أحبّ استعماله مستَغْنِيًا بذلك عن إعادة مثله في كل باب، فأقول :

أبَى مَنْبِتُ العِيدَانِ أنْ يَتَغَيَّرِ .

أخَذْنَاه من قول جَمِيل بن عبد الله بن مَعْمَرٍ العُذْرِيّ :

بَنو الصَّالِحِين الصَّالَحونَ ومَن يَكن لآباءِ صِدقٍ يَلقَهُم حَيثُ سَيَّرا
أرَى كُلَّ عودٍ نابِتا في أرُومَةٍ أبَى مَنْبِتُ العِيدان أن يتَغَيَّرا

وقبل هذين البيتين يخاطب الحَجَّاج :

أبوك حُبابٌ سارقُ الضَّيفِ رحلَه وجَدِّيَ يا حجَّاج فارسُ شمَّرَا

وشمَّر : اسم فرس أنثى، وآباءُ الصِّدق : آباءُ الخير والصلاح والكرم . ومعنى سيَّر أكثر السير . والمعنى أن من كان كريم الأصل، رفيع الحسب، جرى على ذلك حيثما ذهب، وكيفما انقلب . والأرومَة، بفتح الهمز، وتُضَمّ، الأصلُ . قال زهير :

صبَحنا الخزرجيَّة مرهفات أبار ذوي أرومتها ذوُوها

والجمع أرُومٌ . قال أيضا :

لَهُ في الذَّاهِبِينَ أرُومُ صِدقٍ وكانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أرُومُ

وقوله : أبَى مَنْبِتُ العِيدَانِ إلخ : يريد أنّ الناس أصولٌ مختلفة، وأعراقٌ متباينة، كما في الحديث : الناس معادن، وكل أحد باق على أصله : فمن كان من أصلِ كَرَمٍ لم يتحوَّل منه، ومن كان من أصلِ لُؤْمٍ لم ينحرف عنه وجَعَلَ النَّاسَ أعْوادًا وأعْراقَها منابت على طريق التمثيل.

إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يَهْواهُ زَوَّارُ.

طلع رجلٌ من حَجِيجِ المَغْرب الى عرفة، فلقي شيخا كبيراً، فقال له الشيخ : مِنْ أينِ أنت ؟ قال : من المغرب . قال : كم بينكم وبين هذا البيت ؟ قال : نحو ستة أشهر فقال الشيخ : أتحجون كل عام ؟ قال : لا . فقال : الشيخ لو كنا منكم لم يفتنا الحج أبدا . فقال له الرجل : وممَّن أنت ؟ قال : من كذا البلد، بعيد بمسيرة عام أو نحوه وأنشد :

زُر مَن تُحِبُّ وإن شطَّتْ بِك الدَّار وحالَ مِن دُونِه سَهْلٌ وأوْعارُ
لا يَمْنَعَنَّك بُعدٌ عَن زيارتِه إنَّ المَحِبَّ لِمن يَهْواه زَوَّارُ

والـهَـوى : العِشق في الخير والشرّ . يقال : هَـويـَه بالكسر يـَهْـواه هَـوىً، مقصور . والزَّوَّار : الكثير الزيارة . وكان بِـشْرُ بنُ مَروانَ شديدا على العصاة، وكان إذا ظفر بالعاصي أقامه على كرسيّ وسمَّر كفَّيه بالمسامير في الحائط، ثم نزع الكرسي من تحته، فيبقى معلقًا يضطرب حتى يموت . وكان فتى من بني عِجْل مع المُهَلَّبِ بْنِ صُفْرة في حروب الأزارقة، وكان عاشقًا لابنة عمّ له . فكتبت إليه تستزيره فكتب إليها :

لَو لا مَخافَةُ بِشْرٍ أو عُقوبَتِه ... وأنْ يُشدَّ عَلى كفَّيَّ مِسْمارُ
إذاً لَعَطَّلتُ ثَغْري ثُمَّ زُرتُكمُ ... إنَّ المُحِبَّ إذا ما اشْتاقَ زَوَّارُ

فكتبت إليه :

لَيسَ المُحِبُّ الذي يَخشى العقاب ولو ... كانَتْ عُقوبتَهُ في إلفِهِ النَّارُ
بَل المُحِبُّ الذي لا شَيءَ ينفَعُه ... أو تَستَقِرَّ ومَن يَهوَى بِهِ الدَّارُ

فلما قرأ كتابها عطَّل ثَغْره وجاءها وهو يقول :

أسْتَغْفِرُ اللّهَ إذ أخشَى الأمِير ولم ... أخشَ الذي أنا مِنْه غَير مُنْتصر
فَشأنُ بِشْرٍ بِلَحمِي فليُعْذِّبه ... أو يَعْفُ عفْوَ أميرٍ خَير مُقتَدرِ
فما أُبالِي إذا امْسَيتِ رَاضِيَةً ... يا هِندُ ما نيلَ مِن شَعري ومن بَشَري !

فلم يلبث أن وُشِي به الى بِشْرٍ فأُتي به فقال : يا فاسق، عطلتَ ثغرك، هلمّ الكرسي ! فقال : أعزَّ الله الأمير ! إن لي عذراً فقال : وما عذرك ؟ فأنشده الأبيات، فرقَّ له وكتب الى المهلَّب أن يُثَبِّته في أصحابه.

إنَّ الحُرَّ حُرٌّ

أخذناه من قول الشاعر :

عَرَضْتُ نَصِيحةً مِنِّي ليَحْيَى ... فقال غَشَشْتَنِي والنُّصْحُ مُرُّ
ومالِي أن أكُونَ أعِيبُ يَحْيَى ... ويَحْيَى طاهِرُ الأثوابِ بَرُّ
ولكنْ قَد أتانا أنَّ يَحْيَى ... يُقَالُ عليهِ في نقْعاءَ شَرُّ
فَقُلْتُ لَهُ : تجنَّب كُلَّ شَيءٍ ... يُعابُ عَلَيك إنَّ الحُرَّ حُرُّ

والشاعر هو مُخَيِّس بنُ أرطَأة الأعرَج يخاطب رجلا من بني حَنِيفَة يسمَّى يحيى كان

يأتي امرأة في قرية من قرى اليَمَامَة، وهي التي سمّاها في الشعر . وقوله إنّ الحُرَّ حُرٌّ، أي أن الحرَّ باقٍ على ما عهد في الأحرار من الهمم العليّة، والأخلاق الزكيّة، ومجانبة الرّيَب، والحِذْرِ من سوء المُنْقَلَب .

ومثلُه قول أبي النجم : **أنَا أبُو النَّجْمِ وشِعْرِي شِعْرِي**، أي شعري هو ذلك المعروف بجزالته وفصاحته وسلاسته.

وكذلك قولهم : **النَّاسُ النَّاسُ** أي هم على ما عُهِد فيهم.

ومثل ذلك قول العامّة : الحُرُّ لا يكونُ إلاّ حُرّاً، والرَّجُلُ لا يكونُ إلاّ رجُلاً، والعَبْدُ لا يكونُ إلاّ عَبْداً . ونحو هذا يضربونه عند تقصير الانسان عن بعض ما يحقّ له أو تعاطيه مالا ينبغي له.

وقوله **تَجنَّبْ كلَّ شيءٍ يُعابُ عليك**، هذا من حفظ المروءة . قيل للأحنف بن قيس: بم بَلَغْتَ ما بلغْتَ ؟ فقال : لو عاب الناسُ الماءَ ما شربتُه . وقيل لعبد الملك بن مروان، وقد بالغ في الثناء على المُصْعَبِ بن الزُّبَير رضي الله عنه يوم قتله : أكان المصعبُ يَشْرَبُ الطِّلا ؟ فقال : لو عِيبَ شُرْبُ الماءِ ما شربه . ووصف عمرو بن العاصي بعض الأشراف فقال : إنه آخذٌ بثلاث، تاركٌ لثلاث : آخذٌ بقلوب الرجال إذا حدَّث، ويحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيْسَرِ الأمْرَيْن عليه إذا خُولِف ؛ تاركٌ لِلْمِرَاء، تاركٌ لمقاربة اللئيم، تارك لما يُعْتذرُ منه . وقال أعرابي يوصي صديقًا له: دَعْ ما يَسْبِقُ الى القلوب إنكارُه، وإن كان عندك اعتذارُه : فليس من حكى عندك نُكراً، تُوسعه فيك عُذْراً. وهذا كما قال الأوّل :

قَد قِيل ما قِيل إن صِدقًا وان كَذبًا، فما اعتِذارُكَ من قَولٍ إذا قِيلاَ ؟

إنَّ الحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ .

أخذناه من قول الحَمَاسِيّ :

بَيضاءُ آنسَةُ الحَديثِ كأنَّها قَمرٌ توسَّطَ جُنحَ لَيلٍ مُبْرِدِ

مَوسومَةٌ بِالحُسنِ ذَاتُ حَواسِدٍ إنَّ الحِسانَ مَظِنَّة لِلحُسَّدِ

الحِسَانُ جمع حَسْناء . يقال : جارية حسناء وحَسَنَة وحُسَّانة على مثال رُمَّانة، فهنّ حِسَان وحُسَّانَات، ورجل حاسِن وحَسَن . وحُسَيْن وحُسَان بضمّ الحاء مع

تشديد السين وتخفيفها، فهم حسان، وحسانون . ومَظنَّة الشيء بكسر الظاء : موضعٌ يُظَنُّ فيه وجودُه . والحُسَّدُ جمع حاسد وحاسدة . والمعنى أن الحسناء مَظِنَّةٌ لأن تُحْسَدَ على حُسنها . وكذا كلّ مَن له فضيلةٌ مّا أو مَزيَّة مّا، فهو مظنَّة لأن يُحْسَد، كما يقال : كلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ . ومن ثَمَّ يُتَمدَّحُ بكثرة الحُسَّاد، ويُذمُّ بقلَّتهم لأنَّ وجود الحُسَّاد كنايةٌ عن وجود الفضل والنعمة كما قيل :

حَسَدوا مُروءَتَنا فضُلَّ سَعيُهم ... ولِكُلِّ بيتِ مُرُوءةٍ أعداءُ

وقال الآخر :

إنْ يَحْسُدوني فإنّي غيرُ لائمِهِم ... قَبلِي من النَّاس أهلُ الفضل قد حسدوا

فدامَ لِي ولهم ما بِي وما بِهم ... وماتَ أكْثرُنا غيْظا بما يَجِدُ

أنا الذي يَجِدونِي في صُدورهِم ... لا أرتَقِي صَدرا منها ولاَ أرِد

وقال أبو الأسود أو غيره :

حَسَدوا الفَتَى إذ لم ينالوا سَعيَهُ ... فالقَومُ أعداءٌ له وخُصُومُ

كَضَرائِرِ الحَسناءِ قُلنَ لِوجْهِها ... حَسَداً وبُغضًا إنَّهُ لَدَمِيمُ

وقال عمَّار بن عقيل بن بلال بن جرير :

ما ضَرَّنِي حَسدُ اللِّئام ولم يَزلْ ... ذو الفَضْلِ يَحسُدهُ ذوُو النُّقصان

وقال بشَّار :

لا عشْتُ خِلْوا من الحُسَّاد إنَّهمُ ... أعزُّ فَقدا من الثَّائِي أحَبُّونِي

أبقَى لِي اللهُ حُسَّادي برَغمِهِم ... حتَّى يَموتوا بداءٍ غَير مكْنون[65]

وقال محمود :

أعطَيتُ كلَّ النَّاس منِّيَ الرِّضَى ... إلاَّ الحَسودَ فإنَّه أعيَانِي

لاَ أنَّ لِي ذَنْبًا لديه عَلِمتُه ... إلاَّ تَظاهُر نِعمَة الرَّحْمانِ

وقال ابن أبي الطاهر :

ولَم يَزلْ ذُو النَّقْص مِن نِقصِه ... يَحْسُد ذا الفَضْلِ على فَضْله

وقال الآخر :

ونِعْمَةُ اللهِ مَقْرُونٌ بها الحَسَدُ

65) سقط هذا البيت من أ

وقال الآخـــر :

ولَـنْ تَـرى لِـلِـئَـامِ النَّاسِ حُسَّادَا

إنَّ التَّخَـلُّقَ يَـأتِـي دُونَـهُ الخلُـقُ .

أخذناه من قول الحماسي :

عَـلَـيكَ بـا لقَـصْدِ فيما أنتَ فاعلُه إنَّ التَّخلُّق يأتِي دونَه الخُـلُـق

والخُـلُـق بضمّ الخاء واللام، وتسكّن : السجيَّة والطبع ؛ وتَـخلَّق الرجلُ بغير خُـلُـقه : تكلَّف ذلك . والمعنى أن السجايا لا تزول، والخلائق القديمة لا تَـحُول، كما قيل :

يُـرامُ مِـن القَـلْبِ نِـسْيانُـكم وتَـأبَـى الطِّـباعُ على النَّـاقِـل

ومن كلام العامَّة : تَـنْـتَـقِـلُ الجِـبَـال ولا تَـنْـتَـقِـلُ الطِّـبَـاع : فمتى تخلَّق الانسان بغير خُـلُـقِـه، وتكلَّف ما ليس في طَـوقِـه، لقي العَـناء الشديد، أو افْـتَـضَـح غير بعيد، كما قال حسَّان :

إنَّ الـخَـلائِـقَ فاعلَـم شَـرُّها البِـدع

وسيأتي إتمام هذا المعنى في قولهم : الطَّـبْـعُ امْـلَـكُ في حرف الطاء، إن شاء الله تعالى .

إنَّ السُّمَّ مَـشْـرُوب .

أخذناه من قول الحماسي عبد الله بن عَـنَـمَةَ الضَّبِّيّ :

ما إن تَـرى السِّيدُ زيداً في نُـفوسِـهم كما تَـراهُ بَـنـو زَيـد ومَـرهـوبُ

إن تَـسألوا الحَـقَّ نُـعطِ الحَـقَّ سائِـلهُ والدِّرعُ مُـحقَـبَـة والسَّيفُ مَـقرُوبُ

وإنْ أبَـيْـتُـم فإنَّا مَـعْـشَـرٌ أنُـفٌ لا نَـطْـعَـمُ الخَـسْـفَ إنَّ السُّمَّ مشروبُ

فازجُـر حِـمارَكَ لا يرتَـع بروضَـتِـنا إذا يُـردُّ وقَـيدُ العَـير مَـكْـروبُ

السِّيد بالكسر : قبيلةٌ من ضَـبَّـة ؛ وزيد ومرهوب : حيَّان من ذُهْـل بن شيبان . يقول : إنكم لا تَـعْـظُـمون في نفوسنا كما يعظُـم بعضُـكم في نفوس بعض ؛ فإن طلبتم الحق أعطيناه، وكان السلم بيننا حتى تكون الدرع مُـحْـقَـبَـة، أي مجعولة في الحقائب وهو مؤخَّـر الرحال، وتكون السيوف مقروبة أي مجعولة في قربها لعدم الحاجة الى استلالها . وقوله:

أنُفٌ جمع أنُوف . والخسف : الظلم والذلّ . والمعنى : انّنا نمتنع أن تلمسنا يد الظالم، ونعاف أن نطعم الهوان والضيم، ويهون علينا في نيل العزّة والارتفاع، تجشّمُ غَمَرات الدفاع، واصطلاءُ جحيم القِراع، حتى نشرب سموم الموت المُنْقَعة، بأطراف الأسِنّةُ المُشْرعة . وضَرَب الطَّعْمَ لنيل الهوان، وشُرْبَ السمّ للموت والألم مَثَلا.

إنَّ الكَرِيمَ إذا خَادعْتَهُ انْخَدَع .

هذا في شعر لم أثبته الآن . وقد تمثّل بهذا المثل الرشيد، وذلك أنه كان سخط على حُمَيْد الطُّوسِيّ، فدعا له بالنِّطْع والسَّيْف لتُضْرَبَ عُنُقُه . فلمّا أخِذ من بين يديه لتُضرب عنقُه بَكَى، فقال له الرشيد : ما يُبكيك ؟ أجزعًا من الموت ؟ قال : لا، ولكن بكيت أن أخرج من الدنيا، وأمير المؤمنين عليّ ساخط . فضحك الرشيد وأنشد : إنَّ الكريمَ إذا خَادعْتَه انْخَدع، ثم وهبه للحسن بن قَحطَبَة .

إنَّ لَيْتًا وإنَّ لَوًا عَنَاءُ .

أخذناه من قول الحماسي :

إنَّما مُتُّ غَيرَ أنِّي حَيٌّ ... يوم بَانَتْ بِوُدِّها الحسناءُ
مِنْ بنِي عامرٍ لَها شَطْرُ قَلبِي ... قِسمَةٌ مِثْلَ ما يُشَقُّ الرِّدَاءُ
أشْرِبَتْ لَونَ صُفْرةٍ في بياضٍ ... وهْيَ في ذَاكَ لَدنَةٌ غَيدَاءُ
كُلُّ عَيْنٍ مَتَى تَرَاها مِنَ النَّاسِ إلَيْهَا مديمة حولاءُ
لَيتَ شِعرِي وأينَ مِنِّيَ ليتٌ ... إنَّ لَيتًا وإنَّ لَوًا عَنَاءُ

وأراد باللَّيْتِ التَّمنِّي، وجعله اسمه، كقوله : لَيْتَ، وهَلْ يَنْفَعُ شَيْئًا لَيْتُ ؟ ولو هنا هي التي تكون للتَّمنِّي، نحو : لو تَأتِينا فَتُحَدِّثَنا . وجعله اسما كقوله :

أَلامُ عَلى لَوٍّ ولَو كُنتُ عالمًا ... بأذنابِ لَوٍّ لَم تَفُتنِي أوَائِلُهْ

والعَنَاءُ : المشَقَّة والتعب . يريد أن مَا ذَكَرَ بَعِيدُ المَطْلَبِ، فتمنِّيه مشقَّةٌ وتعب . وللبيتين الأولين قصَّة ظريفة، وهي أنه كان فيما يزعمون لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قاضٍ يميل الى سماع القِيان، فسمع يومًا قَيْنَةً تُغَنِّي بالبيتين الأوَّلين من هذا الشعر، فَطَرِب لذلك طربا شديدا وقام من مجلسه وأخذ نعليه وعلَّقهما في أذنيه وجعل يقول : أهْدُونِي، فإني هَدِيَّة ! فبلغ ذلك عمر رضي الله

عنه فعزله. فلما بلغه العزل، قال : لِمَ عَزَلْتَنِي ؟ امرأتُهُ طالق لو سمعها لقال : ارْكبُوني فإني مَطِيَّة ! فلما بلغ خبره عمر أمر أن يُؤتى به مع الجارية . فلمَّا جلسا بين يديه، قال له : مُرها أن تُغني بذلك الغناء ! فلمَّا غنَّت، اضطرب عمر لذلك اضطرابا شديدا، ودخلته الأرْيَحِيَّةُ، واستعاد الصوت منها مرارا، وبكى وقال للقاضي : قد قَارَبْت يَمْنَيْك، وردَّه إلى قضائه .

أيُّ الرِّجَال المُهَذَّبُ ؟

أخذناه من قول النابغة يعتذر للنعمان :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ عَلى شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبِ ؟

والتهذيب : التصفية والتنقيح ؛ والرجل المهذب : المطهر الاخلاق. والاستفهام للنفي، أي لا رجل يكون أبدًا حسن الفعال، طاهر الخلال، محمود الخصال، إلاَّ مَنْ عُصِم، كقول الآخر :

مَنْ ذَا الذي مَا سَاءَ قَطّ ؟ وَمَنْ لَهُ الحُسْنَى فَقَطّ ؟

وإذ قد أتينا في هذا البيان على ما تيسر من الأمثال النثرية، فلْنُلِمَّ بشيء من الأمثال الشعرية، أو ما يكون جاريا على منهاجها، وماضيا على ادراجها، قال الحماسي أمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ الثَّقَفِيّ يمدح عبد الله بن جَدْعَانَ القُرشي التَّيْميّ :

أأذْكُرُ حاجَتي أمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ ؟ إنَّ شيمَتَكَ الحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بالحُقُوقِ وأنتَ فَرْعٌ لَكَ الحَسَبُ المُهَذَّبُ والسَّنَاءُ
وأرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَنَتْهَا بَنُو تَيْمٍ وأنْتَ لَهَا سَمَاءُ
خَلِيلٌ لا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الخُلُقِ الكَرِيمِ وَ لاَ مَسَاءُ
إذا أثْنَى عَلَيْكَ المَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِن تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً ومَجْدًا إذا ما الكلْبُ أجْحَرَهُ الشِّتَاءُ

والذي يُتَمَثَّلُ به كثيرا منه هو قوله : أأذْكُرُ حَاجَتِي... البيت، وقوله : « خليل لا يغيِّره... البيت، مع الذي بعده، وقد يقرن بينهما . والمَضْرِبُ واضح . وكثيرا مّا

ينشد السادات الصوفيَّة : كَريمٌ ما يُغيِّرُهُ صَبَاحٌ، إلخ، يتمثَّلون بذلك عند التنبيه على أن التعرض لمواهب المولى جلَّت كلمته، ومزيدِ مِنَحِه الجميلة، ومِنَنِه الجزيلة، بطريق الثناء والشكر والذكر وكثرة التحميد والتبجيل، والتَّعَبُّدِ والمجاهدة، أبْلَغُ من التعرض لذلك بمجرَّد الدعاء طلبًا لنيل حاجة . ولهذا ورد في كلام الشارع صلوات الله وسلامه عليه : **أفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلّه !** وقال تعالى : **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُم. وهذا مقام يُبَيَّنُ في محلّه . وقال أبو نواس الحسن بن هانىء:**

دعْ عَنكَ لَومِي فإنَّ اللَّومَ إغراءُ ودَاوِنِي بالتّي كانتْ هِيَ الدَّاءُ
صَفْرَاءُ لا تَنزِلُ الاحزانُ ساحتَها لو مسَّها حَجرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ

حتى قال :

لِتِلكَ أبكِي ولا أبكِيَ لمنزلَةٍ كانت تَحُلُّ بها هِندٌ وأسماءُ
فقُل لِمن يدَّعِي في الحُبِّ مَعرفةً **عَرفتَ شيئًا وغابت عَنكَ أشياءُ**

والذي يُتَمَثَّل به منها كثيرا الشطر الأول والأخير . أمَّا الأول فقد أخذه ابنُ قَلاقِسَ فقال :

فَدعي الملامَةَ في التَّصابي واعلَمِي أنَّ المَلامَةَ رُبَّما تُغرِينِي

وأكثر الشعراءُ في هذا النحو، وكلّهم مُقْتبِسون منه، حائمون عليه . فمن ذلك قولُ ابن شَرَف :

قُلْ لِلعَذولِ : لَو اطَّلعتَ على الذي عاينْتُه لعناك ما يَعنِينِي
أتُصدُّنِي أمْ للغَرام تَرُدُّني وتَلومنِي في الحُبِّ أم تغرِينِي ؟
دعْنِي، فَلَستُ مُعاقَبًا بِجنايتِي إذ لَيسَ دينُك لِي ولاَ لَكَ دينِي

وقول الآخر :

وما عذُولِي ناهيًا عنكُمُ لكِنَّهُ بِالصَّدْ ـر أمَّارُ
قال : اسلُهُمْ إن لم تُطقْ هجرهم قُلتُ له : النَّارُ ولاَ العَارُ

وقول الآخر :

يَقُولُ لِي العاذِلُ في لومِهِ وقَـــولُهُ زُورٌ وبُهتـــانُ :
ما وجْهُ مَن أحبَبتهُ قِبلَةٌ قُلتُ : ولاَ قَـوْلُكَ قُـرآنُ

وقـول الآخـر :

يا عاذِلِي لَيسَ مثلِي مَن تُفنِّدُهُ ولَيسَ مِثلُكَ مأمونًا على عَذَلِي
ما دمْت خِلواً فما تَنفَكُّ مَتَّهمًا إعشَقْ وقَولُكَ مقبولٌ عليَّ ولِي

وقـوله :

مَن مُنصِفِي مِن عاذلٍ جاهِلٍ يَخونُ بِاللَّومِ لِمن لا يَخونْ ؟
إن قُلتُ : ما نُصحُكَ إلاَّ أذىً قالَ : وما عِشقُك إلاَّ جُنونْ

وقـــوله :

إنَّ قومًا يلْحونَ في حُبِّ سُعدَى لا يَكادُون يفْقَهونَ حَديثًا
سَمِعوا وصْفَها ولا موا عَلَيها أخذوا طيِّبًا وأعْطوا خَبِيثًا

وقول الآخـر :

أسْرفْتَ في اللَّومِ ولم تَقتَصِر وزدْتَ فِي لومِكَ ياذَا العَذُولْ
قَد رضِيَت نفْسي بِمَحبوبِها وإنَّما المَولَى كَثِير الفُضُولْ

وقـول الآخـر :

تَعَرَّض لي اللاَّحي وجاءَ يَزورُني وزخْرفَ لِي زُورَ الكَلامِ بِمَيْنِهِ
وقال : اسْلُ عن هَذَا وعُد عن غَرامِهِ فَقُلت له : هَذا الفُضولُ بِعَينِهِ

وقـول الآخـر :

زعَمـوا أنَّنِي هويتُ سِواكُـمْ كَذَبوا، ما عَرفْتُ إلاَّ هَواكُمْ
قَدْ عَلِمتُم بِصِدقِ مُرسَلِ دَمْعِي فَسَلوه إن كان قَلبي سِوَاكُم
قال لي عاذِلِي : مَتى تُبْصِرُ الرُّشْدَ وتَسْلُو ؟ فَقُلْتُ : يَومَ عَمَاكُم

وقول ابن سَنَاءِ المُلْك :

أيـا عاذِلِي فِـيه لمَّـا رآهُ لَئِنْ كُنْتَ أعْمَى فَإنِّي أصَمْ
وهَبكَ أبا ذَرٍّ هَذا المَلاَم فَإنِّي أبُو جَهْلِ ذَاكَ الصَّمَمْ

وقولــه أيضا :

وصَفْتُكَ واللاّحي يُعانِد بالعَذلِ فَكُنتُ أبا ذرٍّ وكانَ أبا جَهْلِ
لَهُ شاهِدا زُورٍ مِن النَّهْيِ والنُّهَى عَلَيكَ ومِن عينيكِ لي شاهِدا عَدلِ

وقــول آخر :

وبي عاذِلٌ يُغرِي الى الجَهلِ لم يخَل بِأنِّيَ في دعوَى الغَرامِ أبو ذرٍّ

والمراد بهذا الصِّدقُ في الهوى . ومن هذا النمط قول الآخر :

وشادنٍ مُبتَسمٍ عَن حَبَبْ مُوَرَّدِ الخَدِّ مَلِيحِ الشَّنَبْ
يَلُومُني العَاذِلُ في حُبِّهِ وما دَرَى شَعبانُ أنِّي رَجَبْ

وذلك لأن شَعْبَان عند العرب يُسمَّى العَاذِل، ورجب يُسَمَّى الأصَمّ. وممَّا نحن فيه قول الآخر :

إذا ما نَهى النَّاهِي فَلجَّ بِيَ الهَوى أصاخَت الى الواشِي فَلجَّ بها الهَجْرُ

أشار بالشطر الأول الى أن العذل يُغريه. وقول البوصيري :

مَحَضْتَني النُّصحَ لكن لَستُ أسمعُه إنَّ المُحبَّ عن العُذّال في صَمَمِ

ويَقْرُبُ منه قولُ عفيف الدّين التِّلمسانيّ :

ولي عَلى عاذِلي حُقوق هَوَى عَليهِ شُكرِي بِبعضِها يَجِبُ
لامَ فَلَمَّا رآهُ هَامَ بِهِ فَكُنْتُ في عِشْقِهِ أنا السَّبَبُ

وقــول الآخر :

أبصَرَهُ عَاذِلِي عَلَيْهِ ولَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا رآهُ
فَقَال لِي : لَو هَوِيتَ هَذَا ما لامَكَ النَّاسُ في هَوَاهُ
قُلْ لي إلى مَن عَدلْتَ عَنهُ فَلَيس أهْلَ الهَوَى سِوَاهُ
فَظَلَّ مِن حَيثُ لَيسَ يَدْرِي يَأمُرُ بِالحُبِّ مَنْ نَهَاهُ

ومن ذلك قول حفص العليمي :

أقولُ لِحِلْمي لا تَزَعْني عَن الصِّبا ولِلشَّيبِ لا تُذعِرْ عَليَّ الغَوانِيا
طَلَبتُ الهَوى العُذرِيَّ حتَّى وجدتُه وصَيَّرتُ في نجدٍ به ما كفانيا

وقــول الخُزاعي :

هُدِّدتُ بالسُّلطانِ فِيكَ وإنَّمَا أخْشَى صُدودَكَ لاَ مِن السُّلطانِ

وقول أبي الشِّيصِ :

أجِدُ المَلامَةَ في هَواكَ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلُمْني اللُّوَّمُ

وأما بيته الأخير، فَيُنْشِدهُ المتمثلون اليوم :

قُلْ لِلَّذي يَدَّعي علمًا ومعرفَةً عَرَفْتَ شيْئًا وغَابَتْ عَنْكَ أشْياءُ

عجيبة : حكي أن المُفَضَّل الضَّبِيَّ قال له الرشيد ـ دُلَّني على بيت أوَّله أكْثَمُ ابن صَيْفِيّ في أصالة الرأي وجودة الموعظة، وآخرها بُقْراط في معرفة الدواء . فقال : يا أمير المومنين، لقد هَوَّلْتَ عليَّ . فقال : هذا قول أبي نواس : دَعْ عنك لومي. وسأل حامدُ بنُ العباس عليَّ بن عيسى الوزير، فقال له : ما دواءُ الثَّمِلِ، وقد عَلِقَ به ؟ فأعرض عنه الوزير وقال : ما لنا وهذه المسألة ؟ فخجل حامد، وإذا بقاضي القضاة أبي عمر قَدْ وَرَدَ عليهم، فلما قعد سأله حامد عن ذلك، فقال القاضي : قال الله تعالى : وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسْتَعِينُوا عَلَى كُلِّ صَنْعَةٍ بِصَالِحِي أهْلِهَا، والأعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية، وقد قال في ذلك :

وكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وأخْرى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

ثم تلاه أبو نواس فقال في ذلك :

دَعْ عنْكَ لَومي فَإنَّ اللَّومَ إغْراءُ وَداوِني بالَّتي مِنها بِيَ الدَّاءُ

فأشرق وجه حامدٍ حينئذ وقال للوزير : ما ضرَّك يا بارد لو أجبتَ ببعض ما أجاب به قاضي القضاة، وقد استظهر في الجواب بقول الله تعالى، وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبَيَّنَ الفُتْيا وأدَّى المعنى وتَبَرَّأَ من العُهْدة ؟ فكان خَجَلُ الوزير من حامد بهذا الكلام أكْثَرَ من حامد منه لمَّا ابْتَدَأهُ بالمسألة .

قلت : وهذا الكلام من القاضي كان على مجاراة أهل هذه الصناعة، وتبيان ما ثبت في نفس الأمر من بعض منافع الخمر، ولم يتعرض للحكم الشرعي من حِرْمَةِ التداوي بها،

لعلمه أن السائل يعرف ذلك، وإلا فكان الواجب أن يستدرك عقب كلامه بما ذكر النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم فِيمَنْ تَدَاوَى بالحرام، والله أعلم.

واعلم أن التَّصَامُمَ عن العُذَّال قد تقدم في كلام الشعراء كثيرا قبل أبي نواس، كقول زهير في الجُود :

وأبْيَضَ فَيَّاضٍ يَداهُ غَمامَةٌ ... عَلى مُعْتَفيه ما تَغِبُّ نَوافِلُه
بَكرتُ عَليهِ غُدوةً فَرَأيْتُهُ ... قُعوداً لَديْهِ بالصَّريمِ عَواذِلُهْ
يُفَدِّينَه طوراً وطَوراً يَلُمنَهُ ... وأعْيَى فما يَدرينَ أين مَخاتلُهْ
فَأقصَرنَ مِنهُ عن كَريمٍ مُرزَّءٍ ... عَزومٍ عَلى الأمْرِ الذي هُو فاعِلُهْ

غير أن أبا نواس لم يكتف بكون العَذْلِ ضائعًا، حتى جعله ناجعًا، في عكس المطلوب، ونقيض المرغوب . ولم يحضرني الآن أسْبَق بهذا أم لا . وقال الشاعر :

ألقاهُ في البَحرِ مَكتُوفًا وقَالَ له : إيَّاكَ، إيَّاكَ أن تَبْتَلَّ بِالمَاءِ !

وهو مثل مشهور يضرب عند إلزام الشخصِ تَرْكَ ما لا مَحِيصَ له عنه عند وجود سببه، أو ارتكابَ مالا قدرة له عليه. ومنه التكاليف الشرعيَّة عندنا مَعْشَرَ الأشاعِرة عند النظر الى التحقيق وباطن الأمر، إلاَّ أنَّا نُجَوِّزُ في حقِّ المَلِكِ الحقِّ تعالى أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد من غير قُبْحٍ في شيء [من ذلك]، بل حُسْنٍ جار على وفق الاختيار، وتَصَرُّفِ مَن له الاقتدار، ولا سيما بحسب الظاهر . ويقرب من هذا المعنى قولُ بعض الشعراء في امرأة :

سَكتُّ فقالت : قَد سَكتَّ عن الخَنَا ... فَقُلتُ فقالت ما دَعَاكَ الى النُّطقِ ؟
فَأومَأتُ هَل مِن حالةٍ بين ذا وذا ؟ ... فقالت : وذا الايماءُ أيضًا من الحُمقِ
فَلم أرَلي إذ حلَّتِ الغَربَ راحةٌ ... مِن الشَّرِّ إلاَّ في المَسير الى الشَّرقِ
فلمَّا أتيتُ الشَّرقَ الفيتُها بِهِ ... وقَد قَعدتْ بي مِنه في أضيقِ الطُّرقِ

فَيَا قَومُ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْرِفُونَها ؟

وقال الآخر :

مَن غَصَّ دَاوى بشُرب الماء غُصَّته ... فكيف يَصنَعُ من قَد غَصَّ بالماءِ؟

ومَضْرِبهُ واضح . وفي معناه قول الأوّل :[66]

لَو بِغَير الماءِ حَلقي شَرِقٌ ... كُنتُ كالغَصّانِ بالماءِ اعتِصاري

وقول الآخر :

الى الماء يَسعى مَن يَغَصُّ بأكْلِه ... فَقُل : أين يَسْعى من يَغصُّ بماءِ ؟

وقول الآخر :

فكيف نُجيزُ غُصَّتنا بشَيءٍ ... ونحنُ نَغَصُّ بالماءِ الشَّرُوبِ ؟

وقول الآخر :

فَلو كان هذا الحُكمُ في غير مُلكِكُم ... لَبؤْتَ بِه أو غَصَّ بالماءِ شاربُهْ

وقول الآخر :

مُصاحَبَةُ المُنى خَطَرٌ وجَهلٌ ... وكَم شَرَقٍ تَولَّد مِن زُلالِ !

وقول ابن حَبُوس :

مَضَى الكُرماءُ صانوا ماءَ وجْهِي ... بِمَا بَذلوهُ عَن ذُلِّ السُّؤالِ

وها أنا بعدكُم في النّاسِ أبْغِي ... كَريمًا يَشتري شُكري بِمالِ

أرَى الاكْدارَ يَشرقُ شَاربُوهَا ... فَوا شَرَقِي مِنَ المَاءِ الزُّلالِ !

وقول الآخر :

إنّي لأذكُرُكُمْ وقَد بَلَغَ الظَّما ... مِنّي فَأشرقُ بالزُّلالِ البارِدِ

وأقولُ لَيتَ أحِبَّتي عايَنْتُهُمْ ... قَبْلَ المماتِ ولَو بِيَومٍ واحِدِ !

وقول الآخر :

قَد كُنتَ عُدَّتي الَّتي أسْطوبِها ... ويدِي إذا اشْتَدَّ الزَّمانُ وساعِدِي

فَرُمِيتُ مِنكَ بِضدِّ ما أمَّلتُهُ ... والمَرءُ يَشْرقُ بالزُّلالِ البارِدِ

وقول الآخر :

كُنتُ من مِحنَتي أفِرُّ إلَيْهِمْ ... فَهُم مِحْنتي فَأينَ الفِرارُ ؟

وقول ابن سَنَاءِ المُلك :

أموتُ غَرامًا حين أحرمُ وصل مَن ... هَويتُ وأحْيا فَرحةً حينَ أُرزَقُ

---

66) هو عديّ بن زيد.

وإنَّ الفتى يحْيا بما قَد يُميتُهُ فبِالماءِ يَحيا وهْو بالماءِ يَشْرقُ

وقــول البُحْتُرِيّ :

تَداويْتُ مِن لَيلى بِليلى فما اشتفى بماءِ الرُّبى من باتَ بالماءِ يشْرقُ

وهو مخالف لما قبله باعتبار : فإنَّ الأول ناظرٌ الى جنس الماء، وأنه يكون سببا للحياة والموت باعْتباري مسَاغِهِ والشَّرَقِ به، وتنظيرُ الأحبَّةِ بذلك باعتبار وصالهم وفِراقهم صحيح. والثاني ناظرٌ الى من وقع له الشَّرَقُ [بالماء]، وأنه لا ينتفع بالماء، لما مرَّ في الأناشيد وهو صحيح، ولكن التنظير خطأٌ، إلا أن يريد الاخبار عمَّا وقع له هو من حصول الوحشة ممَّن يترقَّب منه الأنس، ولم يلاحظ ما قال ابن ذَرِيح :

تداويْتُ من لَيلى بلَيلى من الهَوَى كما يتَداوَى شاربُ الخَمْرِ بالخَمرِ

أخذه من قول الأعشى السابق :

وكأسٍ شَربْتُ على لَذَّةٍ وأخْرَى تَداويْتُ مِنها بِهَا

وهذا كلُّهُ وفْقُ قول ابن سَنَاءِ المُلْك . وقال الآخر :

يا قَومُ قَلبي عِند زَهْرَاءِ يَسْمَعُه السّامِعُ والرائي

لاَ تَدعُني إلاَّ بِيا عَبْدَها فَإنَّهُ أشْرَفُ أسْمَاءِ

يتمثَّل بالبيت الثاني . وقد تمثَّل به العلماء في قصَّة تخيير النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بَيْنَ أنْ يكون نبيًّا ملكًا أو نبيًّا عَبْدًا، واختياره أن يكون عبداً، وهو أشرف الأمرين وأجل، فإنَّ الاضافة الى الشريف تفيد شرفًا . وأيُّ شرفٍ ومجدٍ وعظمة وجلال وراءَ عظمةِ مالك الملوك الحقِّ تعالى ! وأيُّ منزلةٍ أعظمُ من الانتساب إليه ؟ وقال الآخر :

سِهام اللَّيلِ لا تُخْطِي ولَكِنْ لَها أمَدٌ ولِلأمَدِ انْقِضَاءُ

وقبله :

أتَهزَأُ بالدُّعاءِ وتَزدَريه ؟ تَأمَّلْ فِيك ما صنَعَ الدُّعَاءُ !

وتمثَّل صاحب التَّشَوُّفِ بهذا الشعر، حين ذكر أن أبا الفضل ابنَ النَّحْوِيّ دخل فاسًا، فلمَّا ظهر أصابت القاضي ابن دَبُّوسٍ منه غيرةٌ وآذاه . فلما أزمع أبو الفضل الخروج، قطع تلك الليلة التي يخرج في صبيحتها بسجدة دعا في آخرها وقال : اللَّهُمَّ عليكَ بِابْنِ دبوس ! فأصبح القاضي مَيِّتًا . وقال الآخر، وهو معنى رشيقٌ، وكان عُتِبَ

على الصَّمْت :

قالتِ الضِّفْـــدَعُ قَـــوْلاً ... فَسَـــرِتْهُ الحُكَمَـــاءُ
في فَمي ماءٌ، وهَل يَنْطِقُ ... مَنْ فِي فِيهِ مَاءُ ؟ !

وقال ذُو الرُّمَّة :

أمَّا النَّبِيذُ فَلاَ يَذْعَرَكَ شارِبُهُ ... واحْفَظ ثِيابَكَ ممَّنْ يشرَبُ الماءَ
قَومٌ يُورُّونَ عمَّا في صدورهِمْ ... حتى إذا استحكموا كانوا همُ الدَّاءَ
يُشمِّرونَ الى انصافَ سوقهم ... هُمُ اللصوصُ وقَد يُدعَونَ قُرَّاءَ

ولهذا الشعر قصَّة، وهي أن ذا الرُّمَّةِ اجتمع هو وإسحاقُ بن سُويْد العَدوي في مجلس . فأُتِيَا بطعام فَطَعِمَا، وأُتِيَا بنبيذٍ فشرب ذُو الرُّمَّة وأبَى إسحاق أن يَشرب . فقال ذو الرُّمَّة : أمَّا النَّبِيذُ فَلاَ يِذْعَرْكَ شَارِبُهُ الأبيات . وقال إسحاق مجيبا له :

أمَّا النَّبِيذ فَقد يُزْرِي بشَارِبِه ... ولَن تَرى شاربًا أزْرَى به الماءُ
الماءُ فيه حياةُ النَّاس كلِّهِم ... وفي النَّبيذِ إذا عاقَرتَهُ الدَّاءُ
يُقال هذا نَبِيذِيٌّ يُعاقِرُهُ ... فيه عَنِ البِرِّ والخيراتِ إبْطاءُ
وفيه إن قِيلَ مَهْلاً عن مصمَّمة ... وفيهِ عندَ ركوبِ الاثْمِ إغضاءُ

ومِثْلُ قول ابن الرومي قولُ الآخر ويُنسَبُ لابن الرومي في الفقهاء :

أذِيابًـــا بَـــدَتْ لَنَـــا ... فِي ثِيَـــابٍ مُلَـــوَّنَهْ
أحَلالاً وجَدتُـــــــمُ ... أكْلَنَـــا فِي المُـــدَوَّنَهْ

وقوله أيضا :

ألا إنَّما الدُّنيا كجيفَة مَيتَةٍ ... وطُلاَّبُها مِثلُ الكِلاب المواسِ
وأعْظَمُهم ذَمًّا لها وأشدُّهم ... لَها شَغَفًا قَومٌ طوالُ القَلانِسِ

ومثلُ قول إسحاق بن سويد في النَّبيذيين قول الآخر :

بَلَوتُ النَّبِيذِيِّين في كُلِّ بَلدةٍ ... فَلَيسَ لأصحابِ النَّبِيذِ حفاظُ
إذا أخَذوها ثمَّ اغْنَوكَ بالمُنى ... وإن فَقَدوها فالوجوه غِلاظُ
عكاظِيَّةٌ لا قَدَّس الله رُوحَها ... وما ذكرتْ في الصَّالحينَ عُكاظُ

وسيأتي كلٌّ من الأمرَيْن مُسْتَوفىً إن شاء الله . وقال الآخر :

إذا انقَطَعَ الرَّجا مِن كلِّ حَيٍّ فَفي التَّلهِ الكِفايَةُ والرَّجَاءُ
سَيُغنيني الذي أغناكَ عَنِّي فَلا فَقرٌ يَدُومُ ولاَ غِنَاءُ

وقد جمع بين قصر الممدود، وهو الرجاء، وبين مَدِّ المقصور، وهو الغناء بكسر الأوّل ضدّ الفقر .

وقال عَديّ بن الرّقاع :

وإذا نَظَرتُ الى أميرِي زادَني ضَنًّا بِهِ نَظَرِي الى الفُقَرَاءِ[67]
بَل ما رأيْتُ جِبالَ أرضٍ تَستَوِي فيما عسيت ولا نُجُومَ سَماءِ
كالغَيْمِ فيه وابلٌ مُتتتَابِعٌ غَدقٌ وآخر لا يَجُودُ بماءِ
والحُرُّ يُورِثُ مَجْدَهُ أبْنَاءَهُ ويَمُوتُ آخَرُ وهْوَ في الأحْياءِ

ومثل البيت الأول قولُ الحَمَاسيّ :

ولمَّا أبى إلاَّ جماحًا فُؤَادُهُ ولم يَسلُ عن لَيلى بمالٍ ولا أهلِ
تَسَلَّى بأخرى غيرها فإذَا الّتي تَسَلَّى بها تُغري بليلى ولا تُسلي

وقال الآخر :

لم ألقَ بعدهُم حيًّا فَأخْبرهُم إلاَّ يَزيدهم حُبًّا اليَّ هُمُ

وقال الحماسيّ عَدِيُّ بنُ الرِّعْلاَء :

لَيسَ مَن مات فاستَراحَ بِمَيتٍ إنَّما المَيتُ ميِّتُ الأحْياءِ
إنَّما المَيتُ من يَعيشُ كئيبًا كاسفًا بالُه قَلِيل الرَّجَاءِ

وقال الآخر :

يومًا بِحُزْوَى ويومًا بالعَقِيقِ وبالعُذَيْبِ يومًا ويومًا بالخليصاء

وقال الحماسي قَيسُ بْنُ الخَطِيمِ الأنْصاريّ:

وما بَعْضُ الاقامَةِ في دِيارٍ يُهانُ بها الفَتى إلاَّ عَناءُ
وبَعْضُ خَلائِقِ الأقْوامِ داءٌ كَداءِ البَطنِ لَيسَ لَه دَواءُ
يُريدُ المَرءُ أن يُعطَى مُناهُ ويأبَى اللهُ إلاّ ما يَشَاءُ
وكُلُّ شَديدةٍ نَزلَتْ بِقَومٍ سَياتي بَعد شِدَّتِها رَخَاءُ

67) في ب : الأمراء بدل الفقراء

فلا يُعطى الحريصُ غِنىً لحِرْصٍ وقد ينمى على الجودِ الثراءُ
غَنيُّ النَّفسِ ما عمِرتْ غَنيٌّ وفَقرُ النَّفسِ ما عَمِرتْ شَقاءُ
وليس بنافِعٍ ذا البُخْلِ مالٌ ولا مُزرٍ بصاحِبه السَّخاءُ
وبَعضُ الدّاءِ مُلتَمسٌ شِفاهُ ودَاءُ النَّوكِ لَيْس لَهُ شِفاءُ

وقال الآخر من شعراء الحماسة :

وأعرِضُ عَن مَطاعِمِ قد أراها وأتركُها وفي بَطْنِي انْطِوَاءُ
فَلا وأبِيكَ ما في العَيْشِ خَيْرٌ ولا الدُّنْيا إذا ذهَبَ الحَياءُ
يَعيشُ المَرءُ ما اسْتَحْيَى بخيرٍ ويبْقَى العودُ ما بَقِيَ اللِّحَاءُ

وقلتُ أنا في أمْرٍ حَدَثَ :

تَعَلَّم أنَّ شَرَّ الأصْدقَاءِ صَديقٌ لا يَدُومُ علَى الاخَاءِ
مَتَى ما تَلْقَهُ أرضَاكَ بِشْراً ولَيسَ إذا تغيَّبَ ذَا وفَاءَ
لَعَمرُكَ ما الوِدَادُ سِوَى وِدَادٍ يَدُومُ على التَّدَانِي والتَّنَائِي
وفي الأتْرَابِ والتَّرِبِ المُجَلِّي أخَاك وفي المَسَرَّةِ والبَلاءِ
وليسَ أخوكَ من يُبْدِي وِدَاداً بوجهِكَ طاوِيًا مكنُونَ دَاء
فإن أدبَرتَ أتْبَعَكَ أعتِضاضًا بِنابَيه وعَادَ مِن العِدَاء

(بياض بالأصل)

وقال الآخر :

إنَّ الذي، وهو مُثْرٍ، لا يَجودُ حَرِ بفاقَةٍ تَعْتَرِيهِ بَعدَ إثْرَاءِ

قوله : وهْوَ مُثْرٍ، جملة حالية فصَلَ بها بين الموصول وصلته، وذلك قليل ؛ والمُثْرِي : الغَنِي . وقال الحماسي قَيْسٌ بنُ الخَطِيمِ الانصاريّ:

وكُنتُ أمرءاً لا أسْمَعُ الدَّهرَ سُبَّةً أُسَبُّ بها إلاَّ كَشَفتُ غِطاءَها
متى يأتِ هذا الموتُ لا تُلف حاجةٌ لِنَفسيَ إلاَّ قد قَضيتُ قضاءَها

يريد : إلا قد قَضَيتُها قَضاءً، فأوقَع القَلْبَ كما ترى . وقال الآخر :

أقولُ لمُقلَتي لمَّا التَقَيْنَا وقَد شَرِقَتْ مآقِيها بماءِ :
خُذنَّ اليَومَ مِن نَظَرِي بِحَظٍّ فَسَوفَ تُوكَّلِينَ الي البُكَاءِ

ومثله قول الآخر :

تَرفَّقْ بِدمعِكَ فاسْتَبْقِهِ فَبَيْنَ يَدَيْكَ بُكاءٌ طَوِيل

وقال البُحْتَرِيُّ بنُ المُغِيرَة بنِ أبي صُفْرة، وكان المُهَلَّبُ بنُ أبي صُفْرَة قد استعمل يزيد على حرب خُراسان، والمُغِيرَةَ على خَراجِها، ولم يُولِّه هو شيئًا . فكتب إليه :

إقْرَأ السَّلامَ على الأمِيرِ وقُلْ لَهُ : إنَّ المُقامَ عَلى الهَوانِ بَلاءُ

أصْلُ الغُدُوِّ إلى الرَّواحِ وإنَّما أذُنِي وأُذنُ الأبعَدِين سَواءُ

أجفَى ويُدعَى مَن ورائِي جالسًا ما بِالكرامَةِ والهَوانِ خَفاءُ

فلمَّا بلغ المُهَلَّبَ ذلك وجَد عليه وألزمه بيتَه، فكتب إليه :

جَفَانِي الأميرُ والمُغِيرةُ قد جَفا وأمْسى يَزيدُ لي قَدِ ازورَّ جانِبُه

وكلُّهُمُ قد نالَ شِبْعًا لِبَطْنِهِ وشِبْعُ الفتى لُؤمٌ إذا جاع صاحبه

فَيا عَمِّ مَهلاً واتَّخِذني لِنوبَةٍ تُلمُّ فإنَّ الدَّهر جَمٌّ نَوائبه

أنا السيفُ إلاَّ أنَّ للسَّيفِ نبوةً ومِثلي لا تَنبو عَليكَ مضاربُهْ

فرضِيَ عنه وعَزَل المغيرة وولاَّه . وقال خالدٌ الكاتب :

أعان طرفي على جِسمي وأحشائي بنَظرةٍ وقَفت جِسمِي عَلى داءِ

وكُنتُ غِرًّا بما يجني على بَدنِي لا عِلم لي أنَّ بَعضِي بعضُ أدواءِ

وأخذه من قول ابراهيم بنِ المَهْدِي :

إذا كلَّمَتني بالعُيون الفَواتِرِ رددتُ عليها بالدُّموعِ البَوادِرِ

فلم يعلم الواشونَ ما كان بيننا وقد قضيَت حاجاتُنا بالضَّمائِرِ

أقاتِلَتِي ظلمًا بأسهُم لحظها أما حكمٌ يقضي على طرف جائر ؟

فلو كان للعُشَّاق قاضٍ من الهوى إذًا لقضى بين الفؤاد وناظِرِي

ومثله قول الآخر :

واللَّه يا طرفي الجاني على بدني لتطفئنَّ بدمعِي لوعة الحزَن

أولى محن حتى يحجُبوا سكني فلا يَراهُ ولو أدرجْتُ في كفنِي

ولهذا الشعر قصَّة طريفة : حُكِي عن بعض المغنين قال، قدم عليَّ فتى حسن الوجه

عليه أثر السُّقْم وقال : لي عندك حاجة ! قلت : وما هي ؟ فأخرج ثلاثمائة دينار وقال : اقبلها مني واصنع لي لحنًا في بيتين وغنِّني بهما . فقلت : نعم ! حبًا وكرامة فأنشد البيتين المذكورين . قال : فصنعت لحنًا شجيا ثم غنيته إياه . فأُغمي عليه حتى ظننته قد مات، ثم أفاق وكأنَّما نُشِر من قبر . فقال : أعد عليَّ ! فنَاشَدتُه الله في نفسه وقلت : أخشى والله أن تموت . فقال : ليت ذلك [قد كان] فأستريح ! وجعل يتضرع لي حتى رحمته فأعدت الصوت . فصعق صعقة ظننت أن نفسه زهقت فيها . فجعلت أنضح وجهه بالماء . فلما أفاق وضعت دنانيره بين يديه وقلت : انصرف عني فإني لا أحب أن أُشرك في دمك . فقال : لا حاجة لي بها، ولك عندي مثلها . وأخرج ثلاثمائة أخرى وقال : أعد عليَّ الصوت مرة أخرى، وأنا أنصرف عنك . قال : فشرهت نفسي إلى الدنانير وقلت : أفعل على ثلاثة شروط . قال : وما هي ؟ قال : الأول أن تأكل من الطعام ما تتقوى به ؛ والثاني أن تشرب أقداحًا من النبيذ تمسك قلبك، والثالث أن تحدثني بقصَّتك فلعلَّ ذلك ينفعك . فقال : نعم . فدعوت بالطعام فأصاب منه، ودعوت بالشراب فشرب أقداحا وأنا أُغنيه ما يحضرني . فلما رأيت النبيذ شَدَّ قلبه غنَّيت الصوت، فطرب وأعدته عليه مرارا حتى رضي وسكن . فقلت : حدثني . فقال . أنا رجل من أهل المدينة، خرجت متنزها، وقد سال العقيق مع أصحاب لي . فخرج فتيات لمثل ما خرجنا إليه . فنظرت إلى فتاة منهنَّ كأنها غصن بان، فعلِقْتُها من وقتي وأطلت النظر إليها، وأبصرت هي ذلك مني . فلمَّا تفرَّق الناس وجدت بقلبي جرحا ولم أعرف لها ولا لصواحبها خبرا . فمرضت لذلك حتى يئس مني أهلي . فَخَلَتْ بِي ظِئْرِي وسألتني عن ضُرِّي وضمِنَتْ لي كتمان السر والسعي فيما يصلح . فأخبرتها خبري، فقالت : لا بأس عليك سيعود المطر ويسيل العقيق فتخرج معك . فإذا رأيتها عرِّفتني بها، فلا أفارقها حتى تقف على موضعها وأوصلك إليها وأسعى في تزوّجها . فسكنت نفسي لقولها، ولم نلبث أن جاء المطر وسال العقيق . فخرجت مع أصحابي ومعي ظِئْرِي، وجلسنا مَجْلِسَنا الأولَ بعينه، وإذا بالنسوة وفيهنَّ صاحبتي . فأومأت الى ظئري حتى عرفَتْها وقلت لها : انطلقي وقولي : يقول لك الفتى : والله لقد أحسن الذي يقول :

رمَتْني بسهْمٍ أقْصَدَ القَلبَ وانثَنَت وقد غادرت جُرحًا به ونُدُوبَا

فمضت وقالت لها ذلك . فقالت : قولي له : لقد أحسن القائلُ وأحسن الذي يقول :

بنا مِثْل ما تشكو فصبراً لَعلَّنا نرى فرجًا يشْفي الفُؤادَ قريبا

قال : فلمَّا انصرفنا، تبعتْها حتى عرفتْ مكانها، فتلطَّفت حتى جمعت بيننا على مخالسة، فظهر ما بيننا فحُجِبَتْ عني ولم أقدر على لقائها . فبلغ ذلك أبي فخطبها من أبيها فقال : لو كان هذا قبل اشتهار حديثها لاسْعَفْتُه ؛ وأمَّا الآن فلا أحَقِّقُ مقالة الناس فيها بتزويجها منه . فيئست منها ومن نفسي، فخرجت هائما حتى بلغتك . قال المغني المذكور : ثم إني حضرت مجلس جعفر بن يحيى، فغنَّيْتُه بشعر الفتى، فقال : ويحك ! ما هذا الصوت وما قصَّته ؟ فقلت : قصَّته أظرف منه . ثم حدثته بحديث الفتى، فأمر بإحضاره وسأله، فأعاد عليه الحديث كما حدثته، فقال له : أنا ضامن لك تزويجها، فطابت نفسه . ثم ركب جعفر الى الرشيد وحدثه الحديث . فاستظرفه وأمر بإحضارنا جميعا، وسأل الفتى عن حديثه فحدثه وقال لي : غنِّ الصوت فغنَّيته وطرب له وشرب عليه، وأمر بالكتب الى عامل الحجاز بإشخاص الرجل وأهله وولده مكرمين . فلمَّا حضروا عنده أعطى الرجل ألف دينار وأمره بتزويج الجارية من الفتى، وأعطى الفتى ألفي دينار، وأمر لي بألف دينار.

وقال أبو تمام حبيبُ بْنُ أوْسٍ الطَّائِيُّ، من قصيدة :

أنظُر وإيَّاك الهوى لا تُمكِنَنْ شَيطانَه من مُقلَةٍ شَوسَاءِ

وقال أيضا، من هذه القصيدة، يخاطب خالد بن يزيد :

لَو سِرتُ لالتَقَتِ الضُّلوع على أسىً كلف قليل السِّلمِ للأحشَاءِ

ولجفَّ نوَارُ الكَلام وقَلَّمَا يَبْقى بَهاءُ الغَرسِ بعد المَاءِ

وقال أيضا، من أخرى :

لا تسقِني ماءَ المَلامِ فإنَّني صبٌّ قَد استَعْذبتُ ماءَ بُكائِي

وفي إضافة الماء للملام، غرابةٌ أوجبت بعض الهُجنَة والبرودة [في الكلام] ويحكى أنه عِيبَ عليه ذلك حتى تحدث أن بعض عصريِّيه أرسل إليه أن ابْعَثْ اليَّ بشربةٍ من ماء الملام. فقال : حتى تبعث اليَّ بريشةٍ من جناح الذلّ. وهذه خطيئة أبشع من الأولى،

فإن الاستعارة في جناح الذلّ مأنوسةُ الاستعمال قديمًا وحديثا، ومُدْرَكٌ حُسْنُها وفصاحتها بالذوق دون ماء الملام . وقد وقع له في هذه القصيدة نفسها ما يقرب من هذا، حيث قال :

رأْيٌ لو استسقيتَ ماءَ نَصيحةٍ لجعلته رأيًا من الآراءِ

غير أن هذا، وإن كان غريبا، يُحسِّنه أن الرأي والنصيحة تحيا بهما النفوس كما تحيا بالماء الأبدان، ولا كذلك الملام . وقال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي:

عَذلُ العَواذِلِ حَولَ قَلْبي التّائهِ وهَوى الأحِبَّة منه في سَوداءِهِ

وتقدم هذا المنزع وما فيه قبل . وقال أيضا :

أنا صخْرةُ الوادي إذا ما زوحمت فإذا انطَلقْتُ فإنّني الجَوزاءُ
وإذا خَفيتُ على الغَبيّ فعاذرٌ ألاّ تَراني مُقْلةٌ عَمْياءُ

وقال الآخر :

إنّ الحديثَ جانبٌ من القِرَى ثُم المَنامُ بَعدَ ذاكَ في الذُرَى

وقال الآخر :

إذا القَومُ قالُوا من فَتىً لعظِيمةٍ فما كُلُّهم يُدعى ولكنّه الفَتَى

وقال الآخر :

ضاعَ سعْيي وخِبتُ خابَت أعاديكَ ومن يَبتَغي لَكَ الأسواءَ
واحتَملتُ الحرمانَ والنّقصَ والابعادَ والذُلّ والعنا والجَفاءَ
وتحمّلتُ واصطبرتُ فلم يُبْقِ على عُودِيَ الزّمانُ لِحاءَ
أعَلى هَذِهِ المُصيبةِ صَبْرٌ لا ولَوْ كُنْتُ صَخْرةً صَمّاءَ

ومثله في التشكي قول الآخر :

أسجْنًا وقَيداً واشتياقًا وغُربَةً ونأيَ حَبيبٍ ؟ إنّ ذاكَ عَظيمُ !
وإنّ امْرءاً تَبْقى مواثِيقُ عَقدِهِ على مِثلِ ما لاقَيتُه لكَريمُ

وقول الآخر :

ولقد أردْتُ الصَّبرَ عنْكَ فَعاقَنِي ... عِلقٌ بقَلبِي من هواكَ قَديمُ
يبْقَى على حَدَثِ الزَّمانِ وريبِهِ ... وعلى جَفائِكَ إنَّهُ لكَريمُ

وقال الآخر :

قال لي : كَيفَ أنتَ ؟ قُلتُ : عليلُ ... سهَرٌ دائمٌ وحُزنٌ طَويلُ

وقال الآخر :

وإذا ما الصَّديقُ صار عَدُوّاً ... كان في الشَّرِّ أكْبَرَ الأعداءِ[68]

وقال الآخر :

لا تُعِدَنَّ لِلزَّمانِ صَديقًا ... وأعِدَّ الزَّمانَ للأصْدِقاءِ

ومثله قول الآخر :

ليسَ بِالمُنكَرِ انقِلابُ صَديقٍ ... رُبَّما غصَّ شاربٌ بالشَّرابِ
لا تُصيِّعْ مَودَّةً مِن صَديقٍ ... فانقِلابُ الصَّديقِ شرُّ انقِلابِ

وقول منصور الفقيه :

احذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً ... واحْذَرْ صَديقَكَ ألْفَ مَرَّهْ
فَلَرُبَّمَا انقَلَبَ الصَّديقُ ... فكان أعْرَفَ بِالمَضَرَّهْ

وقوله :

إحْذَرْ مَوَدَّةَ مَاذِقٍ ... مَزَجَ المَرارَةَ بالحَلاوَهْ
يُحْصِي الذُّنوبَ عَلَيْك ... أيّامَ الصَّداقةِ لِلْعَداوَهْ

وقول الآخر :

كُنْ مِن صَديقِكَ خائفًا ... فَلَرُبَّما حالَ الصَّديقُ فصار غَيْرَ صديقِ

وقول ابن الرّومي :

عَدُوُّك مِن صَديقِكَ مُستَفادٌ ... فأقْلِل ما اسْتَطَعتَ من الصِّحاب
فإنَّ الدَّاءَ أكثَرَ ما تَراهُ ... يَكونُ مِن الطَّعام أوِ الشَّرابِ

وقول الآخر :

دار الصَّديقَ إذا استشاطَ تَغيُّظًا ... فالغَيظُ يُخْرِجُ كامِنَ الأحْقَادِ

---

68) في ب : كان في الضُّرِّ...

وقول ابن الخالدي(69)

وأخٍ رخُصتُ عليه حتّى مَلّني ... والشّيءُ مَملولٌ إذا ما يَرخُصُ
ما في زمانِك ما يَعِزُّ وجودهُ ... إنْ رُمتَهُ إلاّ صديقٌ مُخلِصُ

وقول منصور أيضا :

إذا تَخَلّفْتَ عن صَديقٍ ... ولم يُعاتِبْكَ في التّخَلُّفْ
فلا تَعُدْ بَعْدَها إلَيْهِ ... فإنّما وُدُّهُ تَكَلُّفْ

وقول الأنصاري :

ألا رُبَّ مَن تَدعو صديقًا ولو تَرَى ... مقالتَهُ بالغَيبِ ساءَكَ ما يفْري
لسانٌ لهُ كالشّهدِ مادُمتَ حاضِراً ... وبالغَيبِ مطرُورٌ على ثُغرةِ النّحْرِ

وقول أبي الطيب :

ومِن نَكَد الدُّنيا على المرْءِ أن يَرَى ... عَدُوًّا لَهُ ما مِن صَداقتِه بُدُّ

وما يحكى أنّ كسرى قال يومًا لمَرازِبَتِهِ : من أي شيءٍ أنتم أشدُّ حِذْراً ؟ قالوا : من العدوّ الفاجر، والصديق الغادر. وقول موسى بن جعفر : اتّقِ العَدُوَّ وكُنْ من الصديق على حِذْرٍ، فإنّ القلوب سُمّيت قلوبًا لتقلّبها . وسيأتي كثير من هذا النمط بعد إن شاء الله تعالى . وقال أبو الطيب :

وهَبْني قُلتُ هذا الصُّبْحُ لَيلٌ ... أيَعْمَى العالِمونَ عَنِ الضِّياءِ ؟

وقال أيضا مادحا :

وإذا مُدحْتَ فلا لِتكسِبَ رِفْعَةً ... للشّاكرينَ على الالَهِ ثَنَاءُ
وإذا مُطِرتَ فلا لأنّكَ مُجْدِبٌ ... يُسْقَى الخَصِيبُ وتُمطرُ الدّأماءُ

والدّأماء : البحر . وقال أيضا :

إنّما التّهنِئاتُ للْأكْفاءِ ... ولِمَن يَدّنِي من البُعَدَاءِ
وأنا مِنكَ لاَ يُهَنِّىءُ عُضْوٌ ... بالمَسرّاتِ سائِرَ الأعْضَاءِ

وقال أيضا من هذه القصيدة يمدح كافورا وكان أسود :

إنّما الجِلدُ مَلْبَسٌ وابْيِضَاضُ ... النّفسِ خَيرٌ من ابْيِضاضِ القَباءِ

وقال [أيضا] :

وما كُلُّ مَن قال قَولاً وفَى ... ولا كُلُّ مَن سِيمَ خَسفًا أبَى

---

69) في ب : أبي الخالدي

وقال :

ولا بُـدَّ لِلقَلْبِ مِـنْ آلَةٍ ورأيٍ يُصَدِّعُ صُمَّ الصَّفَا

وقال :

فكـانَ على قُربِنَـا بَينَنَـا مَهَامِهُ مِـن جَهْلِهِ والعَمَى

وقال :

وماذا بِمِصْرٍ من المُضْحِكَاتِ ولَـكنَّهُ ضَـحِكٌ كالبُكَـا

وقال :

ومَـنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَـدرَهُ رآى غَيْرُهُ مِنْهُ ما لاَ يَرَى

وقال الحماسي مُحْرِزٌ الضَّبِّيّ يهجو بَنِي عَدِيّ بن جُنْدُب، من أبيات :

وإنِّي لَرَاجِيكُم على بُطْءِ سَعْيِكُم كما في بُطونِ الحَامِلاَتِ رجَاءُ

أُخَبِّرُ مَن لا قَيتُ أنْ قَدْ وفَيتُمُ ولَوشِئتُ قال المُخْبَرونَ أساءُوا[70]

وقال القاسم بن حَنْبَل في بني سِنَان :

لَهُم شَمْسُ النَّهار إذا اسْتَقَلَّت ونُـورٌ ما يُغيِّـرُه العَمَـاءُ

هُمُ حَلوا مِن الشَّرفِ المُعَلَّى ومِن حُسنِ العَشيرةِ حَيثُ شَاءُوا

بُناةُ مَكارمٍ وأُسَـاةُ كِلْـمٍ دِماؤُهُمُ مِن الكَلَبِ الشِّفاءُ

وإنَّما قال ذلك لما يزعمون من أنَّ من أصابه الكَلَبُ، وهو شبه جنون يصيب من عضَّه الكلْب، ثُمَّ سُقِيَ دَمَ ملكٍ أو شريف بَرِىء . ومثله قول زهير :

وإنْ يُقْتَلُو فَيُشْتَفَى بِدمائِهم وكانوا قَديمًا مِن مَناياهُمُ القَتلُ

وقول الآخر :

أحلامُكُم لِسَقامِ الجَهلِ شَافِيةٌ كما دِماؤُكُمُ مِـنَ الكَلَبِ

وقال الحُسَيْنُ بْنُ مَطَيْرٍ الأسَدِيّ يصف بَرْقًا وسحابا :

مُسْتَضْحِكٌ بلوامِعٍ مُسْتَعبِرٌ بمدامِـعٍ لم تمرها الأقْـذَاءُ

فَلَهُ بِلا حُزْنٍ ولا بِمَسَرَّةٍ ضحِكٌ يُراوحُ بَيننَا وبُكَاءُ

---

70) في الحماسة (ص.192) : قَال المُنْبَؤُنَ أساؤا وفيها أيضا تقديم هذا البيت على الذي قبله مفصولا بينهما ببيت آخر.

كَثُرتْ كَكَثْرةِ ودقِهِ أطْباؤُهُ فإذا تَحَلَّبَ فاضَتِ الأطْباءُ
وكأن عارضها حريق يلتقي أشَبٌ عَلَيْهِ وعَرْفَجٌ وألاءُ
لو كانَ مِن لُجَجِ السَّواحِلِ ماؤُهُ لَم يَبقَ في لُجَجِ السَّواحِلِ ماءُ

وللعرب فَمَنْ بَعْدَهم في وصف السحاب والبرق والرعد إكثارٌ وإطناب لا يأتي عليه الحصر، ولكنا نذكر جملة من مستحسن ذلك، وممَّا كان منه حسن أن يتمثَّل به . فمن ذلك قول امرىء القيس :

أصَاحِ تَرَى بَرقًا أرَاك ومِيضَه كَلَمْعِ اليَدين في حَبيٍّ مُكَلَّلِ
يُضيءُ سَنَاهُ أو مَصابِيحُ رَاهِبٍ أمال السَّلِيط في الذُّبال المَفَتَّلِ[71]

وقوله :

أعِنِّي على بَرقٍ أراهُ ومِيضِ يُضِيءُ حَبيًّا في شماريخَ بِيضِ
ويَهْداً تاراتٍ سَناهُ وتارَةً ينوءُ كتَغْتابِ الكَسيرِ المَهِيضِ
وتَخْرُجُ منه لامعاتٌ كأنَّها أكُفٌّ تَلقَّى الفَوزَ عِند المُفِيضِ

وقوله :

ديمةٌ هَطلاءُ فيها وطَفٌ طَبَّقَ الأرضَ تحَرّى وتَدِرْ
تُخرِجُ الودَّ إذا ما أشجذَتْ وتُواريهِ إذا ما تَسْتَكِرْ

وهي قطعة أبيات في هذا . وأشْجَذَتْ : أقْلَعَتْ . وقوله :

يُساجِلُ التَّوءَمَ اليَشْكُرِي وأواخِرُ الانْصَافِ لِلتَّوْءَمِ

[وقوله] :

أحارِ تَرَى بُرِيقًا هَبَّ وهْنًا كنَارِ مَجوسَ تَستَعِرُ استِعارا
أرقتُ لهُ ونامَ أبو شُرَيْحٍ إذا ما قُلتُ قَد هَدأ اسْتَطارا
كأنَّ هَزِيرَهُ بِوراءِ غَيْبٍ عِشَارٌ وُلَّهٌ لاقَتْ عِشَارا
فلمَّا أن دنا لقَفَا أضَاحٍ وهَتْ أعجَازُ رَيِّقِهِ فحَارَا
فَلَمْ يَترُكْ بِذَاتِ السِّرِّ ظَبْيًا ولم يَترُكْ بِجَلْهَتِها حِمارَا

وقال عَبيدُ بنُ الأبْرَصِ :

71) في أ : لَهَانَ السَّلِيطِ، وفي ب : أهان السليط . والتصحيح من الديوان.

يا مَن لِبَرقٍ أبِيتُ اللَّيلَ أرقُبه ... في عارضٍ كَمُضِيِّ الصُّبحِ لمَّاحِ
دانٍ مُسفٌّ فُوَيقَ الأرضِ هَيدبُهُ ... يكادُ يدفَعُهُ مَن قام بالرَّاحِ
كأنَّ ريِّقَه لمَّا علا شَطَبًا ... أقرابُ أبْلَقَ يَنفي الخَيلَ رمَّاحِ[72]
ينزِعُ جِلدَ الحَصى أجَشُّ مُبترِكٌ ... كأنَّه فاحصٌ أو لاعِبٌ دَاحِ
فَمن بِنَجوتِه كَمَنْ بِعَقْوتِه ... والمُستَكِنُّ كمن يَمشِي بِقِرْواحِ
كأنَّ فيه عِشاراً جلَّةً شرفًا ... شُعثًا لهامِيمَ قَد همَّت بارشاحِ
هُدلاً مشافِرُها بُحًّا حَناجِرُها ... تُزْجَى مرابعُها في صَحْصَحٍ ضَاحِ

وقول كثيّر :

فالمُستكِنُّ ومن يَمشِي بمَروتِه ... سيَّانِ فيه ومَن بالسَّهلِ والجَبَلِ

وقول الحِمَّانِيِّ :

دِمَنٌ كأنَّ رِيَاضَهَا ... يَسْبِينَ أعْلاَمَ المَطَارِفْ
وكأنمَّا غُدْرَانُهَا ... فِيهَا عشور في مصاحِفْ
وكأنَّمَا أنْهَارُهَا ... تَهْتَزُّ بِالرِّيحِ العَوَاصِفْ
طُرَرُ الوصَائِفِ يَلْتَقِينَ ... بهَا الى طُرَرِ الوصَائِفْ
بَاتَتْ سَوَارِيهَا تمَخَّضُ ... في رَوَاعِدِهَا القَوَاصِفْ
ثمَّ انبرَتْ سَحًّا ... كَبَاكِيةٍ بأرْبَعَةٍ ذَوَارِفْ
وكأنَّ لَمْعَ بُرُوقِهَا ... في الجَوِّ أسْيَافُ المَنَاقِفْ[73]

وقول عبيد :

سَقَى الرَّبَاعَ مُجَلْجِلُ ... الأكْنَافِ لَمَّاعٌ بُرُوقُهْ[74]
جَوْنٌ تُكَفْكِفُهُ الصَّبَا ... وهْنًا وتَمْرِيهِ خَرِيقُهْ
مرْيَ العَسِيفِ عِشَارَهُ ... حَتَّى إذَا دَرَّتْ عُرُوقُهْ
ودنَا يُضِيءُ رِبَابُه ... غَابًا يُضَرِّمُهُ حَرِيقُهْ

72) في لسان العرب : كأنَّ أقرابَهُ لَمّا..
73) في ب : أسْبَابُ المَنَاقِف.
74) في الديوان :
سَقَى الرَّبَابَ مُجَلْجِلُ ... الاكْتَافِ لَمَّاحٌ بُرُوقُهْ
وفيه استبدال كثير من الكلمات الواردة بأخرى في الأبيات التالية : انظر الديوان، ص .96 - 97

حتَّى إذا ما ذَرْعُه بالمَاءِ ضَاقَ فَمَا يُطيقُه
هبَّتْ لهُ من خلْفِهِ ريحٌ شآميَةٌ تَسُوقُهْ
حَلَّتْ عَزَالِيَهُ الجَنُوبُ فَثَجَّ واهِيَةً خُرُوقُه

وقال كثير :

تَسمَعُ الرَّعْدَ في المُخِيلَة مِنها مثْلَ هَزمِ القُرُومِ في الأشوالِ
وتَرَى البَرْقَ عارضًا مُستَطِيراً مَرحَ البُلقِ جُلْنَ في الأجْلاَلِ
أو مَصابِيحَ رَاهِبٍ فِي يَفَاعٍ سَعَّمَ الزَّيتَ سَاطِعاتِ الذُّبَالِ

وقوله :

أهاجَكَ بَرْقٌ آخِرَ اللَّيْلِ واصِبُ تَضَمَّنَهُ فَرشُ الحَيا فالمسَارِبُ
يجُرُّ ويستأني نشاطًا كأنَّه بِغَيقَة حادٍ جلجل الصَّوتَ جالِبُ
تَألَّق واحمَومَى وخيَّمَ بالرُّبى أحمُّ الذُّرى ذو هيدبٍ مُتراكبُ
كَما أومَضَتْ بِالعَينِ ثمَّ تَبسَّمت خَرِيعٌ بَدا مِنها جَبِينٌ وحَاجِبُ

وقول عبد الله بن المعتز :

ومُزنَةٍ جاد مِن أجْفانِها المَطرُ فالرَّوضُ مُنتَظمٌ والقَطرُ مُنتَثِرُ
تَرى مواقِعَه في الأرض لائِحةً مِثل الدَّراهم تَبدو ثمَّ تَستَتِرِ[75]

وقوله أيضا :

كأنَّ الرباب الجون والفجْرُ ساطِعٌ دُخانُ حريقٍ لا يُضيءُ له جَمرُ

وقول أبي الغمر :

نَسَجَتهُ الجَنوبُ وهْيَ صَناعٌ فَترقَّى كأنَّهُ حَبَشِيُّ

وقول الآخر :

ما تَرى نِعمَةَ السَّماءِ على الأرْ ضِ وشُكرَ الرِّيَاضِ لِلأمْطَارِ

وقول الآخر :

وموقَرةٍ بِثِقلِ الماءِ جاءتْ تَهادَى فوقَ أعناقِ الرِّياحِ
فجاءَت لَيلَها سحًّا ووبْلاً وهَطْلاً مِثلَ أفْواهِ الجِرَاحِ

75) في الديوان : ترى مواقعها... ورواية اليوسي أوفق لأن (القَطْر) أقرب مذكور.

(وقول الآخر :

بَدا البرقُ مِن نحْوِ الحجَازِ فَشَاقَني ... وكُلُّ حِجازيّ لَه البَرقُ شائقُ

سَرى مثلَ نَبضِ العرقِ والليلُ دونه ... واعلام ابلَى كلها والاسالق)[76]

وقول الطائي ومنه أخذ :

إليك سَرى بالمدح ركبٌ كأنَّهُم ... على العيسِ حيَّاتُ اللصاب النَّضانضُ

تشِيم بُروقًا من نَداك كأنَّها ... وقَد لاحَ أولاها عُروقٌ نَوابِضُ

وقول الآخر :

أرِقتُ لبرقٍ آخِرَ الليلِ يَلمعُ ... سَرى دائبًا مِنْها يَهُبُّ ويَهْجَعُ

سَرى كاقْتِداءِ الصَّبر والليلُ ضاربٌ ... بأرواقِه والصُّبحُ قَد كادَ يَسْطَعُ

وقول الآخر :

أرقْتَ لِبَرقٍ سَرَى مَوهنًا ... خَفِيٍّ كغَمْزِكَ بِالحَاجِبِ

كأنَّ تألُّقَهُ فِي السَّماءِ ... يَدًا حاسِبٍ أوْ يَدًا كَاتِبِ

وقول ابن المعتز :

رأيْتُ فِيها بَرْقَهَا مُنْذُ بَدَتْ[77] ... كَمِثل طَرفِ العَينِ أو قَلبٍ يجِب

ثمَّ حَدتْ بِها الصَّبَا حتَّى بَدا ... فيها مِن البَرْق كأمْثَال الشُّهُب

تَحسبُه فيها إذا ما انصَدَعَت ... أحشاؤُها عنْهُ شُجاعًا يَضْطَرب

وتارةً تَحسِبُه كأنَّهُ ... أبْلَقُ مَالَ جُلُّهُ حِينَ وثَب

حتَّى إذا ما رفَع اليَومُ الضُّحَى ... حَسِبْتَه سَلاسِلاً مِن الذَّهَب[78]

وقول الآخر :

نارٌ تُجَدِّد للعِيدَانِ نُضرَتَها ... والنَّار تَلفَحُ عيدانًا فَتَحتَرقُ

وقول الطائي :

يا سهم للبَرقِ الذي اسْتَطارا ... ثابَ على رغمِ الدُّجَى نَهَارا

آضَ لَنَا مَاءً وكَانَ نَارا

وقول عبد الله بن عبد الله بن طاهر :

أما تَرى البَرقَ قَد رقَّتَ حواشِيه ... وقَد دعَاكَ الى اللَّذَّاتِ داعِيه ؟

---

76) سقط ما بين قوسين من أ.

77) في الديوان : رأيت فيها برْقَهَا لمَّا وثَبْ.

78) الأبيات الثلاثة الأخيرة تكاد تكون كل ألفاظها مغايرة لما في الديوان . انظر القصيدة بتمامها (36 بيتًا) في الديوان، ص. 16 ـ 18.

وجَاد بالقَطرِ حتَّى خِلتَ أنَّ لَهُ إلفًا نَآهُ فما ينفكُّ يبكِيهِ

ومثله قول الآخر :

كأنَّ السَّحابَ الغُرَّ غَيَّبْن تَحْتَها حبِيبًا فما ترقَى لَهُنَّ مَدامِعُ

وتَتَبُّعُ الشِّعرِ في هدا يُطيل، فلنُمْسِكِ العنان . وقال أبو الأسود الدؤلي :

وما طَلَبُ المَعيشَةِ بالتَّمنِّي ولَكنْ ألقِ دلْوكَ في الدِّلاَءِ

تَجِيءُ بِمِلئِها طَوراً وطَوراً تَجِيءُ بَحمأةٍ وقَلِيلِ مَاءِ

وسيأتي إتمام هذا المنزَع بعد إن شاء الله تعالى . وقال ابن نقطة :

لا تُظْهِرَنَّ لِعَاذِلٍ أو عاذِرٍ حالِيْكَ في الضَّرَّاء والسَّرَّاءِ

فلِرحْمة المُتَوجِّعِين مَرارةٌ في القَلبِ مِثْلُ شَمَاتَةِ الأعداءِ

وقال أبو سعيد الخُوارزمي في أبي بكر الخُوارزمي الشاعر :

أبو بَكر لَه أدبٌ وفَضْلٌ ولكِن لا يدومُ على الوفَاءِ

مودَّتُهُ إذا دامَتْ لِخِلٍّ فَمنْ وقْتِ الصَّباحِ الى المساءِ

وقال عبد الله بن رَواحَة الأنصاري، يوم خرجوا الى مؤتَة وأمَّرَهُ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بعد زيد وجعفر، رضي الله عنهم أجمعين :

إذا بلَّغتِني وحَملتِ رَحْلِي مَسِيرةَ أربعٍ بعدَ الحَساء

فشأنُكَ فانْعَمِي وخَلاكِ ذمٌّ ولا أرجِعْ الى أهْلِي ورَاءِ

قوله : فشَأنُك فَانْعَمِي يريد أنه قضى الوطر من ركوبها، ولم تبق له تباعة على ظهرها، وهي كناية عن أنَّه لا يحبّ المرجع ولا يشتهي مذهبا عن ذلك الموضع . ومن ثمَّ قال : ولا أرجع الى أهلي بجزم الفعل، قصداً للدعاء، كأنَّه يقول : اللهمَّ لا ترجعني الى أهلي، واستشهدني ! وما ذكره في الناقة قد تداوله الشعراء كثيرا فمن ذلك قول الشمَّاخ في عرابَةَ الأوْسِيِّ :

رأيْتُ عَرابَةَ الأوسِيَّ يَسْمُو الى الخَيراتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلقَّاها عَرابَةُ باليَمِينِ

إذا بَلَّغْتِني وحَملتِ رَحْلي إليهِ فَاشْرقِي بِدَمِ الوتِينِ

ومِثْل سَرَاةِ قَومِكَ لم يُجَارُوا الى ربْعِ الرِّهَانِ ولا التَّمِين

وكان الشَّمَّاخ قَدِمَ المدينة، فقال له عَرَابَةُ : ما أقْدمَك ؟ فقال : قدمت لِأمْتَار . فملأ له عَرَابَةُ رواحلَه تمْراً وبُرّاً، وأعطاه غير ذلك، فقال فيه ما تقدَّم . وقول ذي الرمَّة يمدح بلالَ بنَ أبِي رِبَاحٍ :

إذا ابْنَ أبِي مُوسَى بِلالاً بَلَغْتِهِ فَقامَ بِفَاسٍ بَينَ وصْلَيْكِ جَازِرُ

غير أنَّه يُعاب على هذين الشاعرين أن جعلا جزاء الرَّاحِلَةِ التي بَلَّغتهما ذلك المأمول العظيم والمطلب الخطير شراً، وما كان ينبغي لهما إلا أن ينظرا لها عند الاستغناء عنها ويكافآها خيرا بما قضيا منها، كما أشار إليه أبلغ البلغاء، وأحكم الحكماء، صلَّى الله عليه وسلَّم، حيث وردت المرأة راكبة على ناقته فقالت : إني نَذَرْتُ إن نَجَوْتُ عليها أن أنْحَرَها . فقال صلَّى الله عليه وسلَّم : بِئْسَ ما جَزَيْتِها ! لا نَذْرَ في مَعْصِيَّة الله، ولا نَذْرَ للانسان في غير ماله . أو كما قال صلَّى الله عليه وسلَّم . وعلى هذا المنزع العجيب النبوي كان قول ابن رواحة السابق . وقول أبي نواس في محمد الأمين بن هرون الرشيد، وأوضح هذا المعنى :

وإذا المَطِيُّ بِنا بَلَغْنَ مُحَمَّداً فَظُهورُهُنَّ على الرِّجَالِ حَرَامُ

قَرَّبْنَنا من خَيْرِ مَن وطِيءَ الثَّرَى فَلها عَلينا حُرمةٌ وذِمَامُ

وقول الفرزدق :

مَتى تَرِدِي الرُّصافةَ تَستَرِيحِي مِن التَّهْجِيرِ والدبر الدوامي

ولهذا الشعر قصَّة تذكر بعد إن شاء الله . والعذر للأولين أن الدعاء عليها في نحو ذلك أبلغُ في التَّنْبيهِ على الاستغناء (عنها وعدم الالتفات إليها . وليس هذا المعنى ملحوظا في قصَّة المرأة)[79] فلا يقاس عليها . ومن هذا الباب قول السلامي :

إلَيْكَ طَوى عرضَ البسيطَةِ جَاعِلٌ قُصار المطايا أن يَلوحَ لَها القَصْرُ

ولعلَّ السابق الى هذا المعنى الأعشى القَيسِيُّ في قصيدته التي توجَّه بها الى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم يمدحه حيث يقول :

79) ما بين قوسين سقط من ا

مَتى ما تُناخِي عِند باب ابن هاشمٍ تُراحِي وتلقيْ مِن فَواضِله يَدَا

فضِمن لها عند النزول بابن هاشم، صلّى الله عليه وسلّم، أن يُخَلّيَ عن ظهرها ويُريحَها من كدّ الأسفار إذ لا مطلب وراءه ولا حاجة الى أحد سواه . وقال أبو بكر بن دُريْدٍ في مقصورته :

والنّاسُ كالنّبْتِ : فمِنهُم رَائِقٌ، غَضٌّ، نَضِيرٌ عُودُهُ مُرُّ الجَنَى

ومِنهُ ما تقْتَحِمُ العَينُ فإنْ ذُقتَ جَناهُ انْساغَ عَذبًا في اللّهَى

وهذه المقصورة جلّها أمثال وحكم، وهي مشهورة لا حاجة الى ذكرها . وقال الآخر :

يَقولونَ هَذِي أمُّ عَمرٍو قَريبَةٌ نأتْ بِكَ أرضٌ نَحوها وسَمَاءُ

ألاَ إنّما قُربُ الحبِيبِ وبُعدُهُ إذا هَو لَمْ يُوصَلْ إلَيهِ سَواءُ

وقال صالح بن جناح :

إذا قلّ ماءُ الوجْهِ قلّ حَياؤُهُ ولاَ خَيرَ في وجْهٍ إذا قلّ ماؤُهُ

وقال الآخر :

ورُبّ دَنِيّةٍ ما حالَ بَينِي وبَينَ رُكُوبِها إلاّ الحَياءُ

إذا رُزِقَ الفتى وجهًا وقَاحًا تَقَلّبَ في الأمورِ كَما يَشَاءُ

وتقدّم شيء من هذا في قولهم : إذا لَم تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَاشِئْتَ . وقال الآخر:

إذا جار الأمِيرُ وكَاتِبَاهُ وقَاضِي الأرضِ دَاهَنَ في القَضاء

فَوَيْلٌ ثمّ ويْلٌ ثمّ ويْلٌ لِقاضِي الأرضِ مِن قَاضِي السّماءِ !

وقال زهير :

وإنّ الحقّ مَقطعُهُ ثَلاثٌ : يَمِينٌ أو نِفَارٌ أوْ جَلاَءُ

ويروى أنّ عمر، رضي الله عنه، لما سمع هذا البيت جعل يردّده استحسانًا له، وتعجبا من معرفته بالحقوق وإبانته أحكامها وإقامته أقسامَها . وقال الآخر :

خَيرُ ما ورّثَ الرّجَالُ بَينِهِمْ أدَبٌ صالحٌ وحُسنُ ثَنَاءِ

وقال سابِقٌ البَرْبَرِيّ :(80)

---

80) حرّف في ب الى البَرِيرِيّ.

مَوتُ التَّقِيِّ حَياةٌ لا انقِطاعَ لها قَد ماتَ قَومٌ وهُمْ في النَّاس أحياء

ومثله قول الآخر :

أخو العِلم حَيٌّ خالدٌ بعد موتِه وأوصاله تَحتَ التُّرابِ رَمِيمُ
وذو الجَهل ميتٌ وهو يمشي على الثَّرى يُعد من الاحياء وهو عَدِيمُ

وقال ابن الروميّ :

إنَّ لِلَّه بالبَرِيَّةِ لُطْفًا سَبَقَ الأمَّهاتِ والآباءَ

وقال أيضا :

أنتَ عَينِي وليسَ مِن حقِّ عيني غضُّ أجفانِها على الأقْذاءِ

وقال لَبِيد :

كانت قَناتِي لا تَلِينُ لغامِزٍ فألا نَها الاصباحُ والامْسَاءُ

وقال عبد الله بن عُيَيْنَة :

كلُّ المصائِبِ قَد تَمُرُّ على الفَتى فَتهونُ غير شماتَةِ الأعداءِ

ومثله في ذكر الشماتة قول الآخر :

إذا ما الدَّهرُ جَرَّ على أناسٍ بكلكلِه أناخَ بآخَرِينَا
فقُل للشَّامِتينَ بنا : أفِيقوا سَيَلقَى الشَّامتونَ كما لَقِينا

وقال عدِيٌّ بني زيد :

أيُّها الشَّامتُ المُعيِّرُ بالدَّهر أأنتَ المُبرَّأُ المَوْفُورُ ؟
أم لديكَ العَهْدُ الوثِيقُ مِن الأيَّامِ بَل أنتَ جاهلٌ مغرُورُ
مَن رأيتَ المَنونَ خَلَّدنَ أم مَّن ذا عَليهِ من أن يُضَامَ خَفِيرُ

وقال منصورٌ الفقيه :

يا من يُسَرُّ بِمَوتِي إذا أتَاهُ البَشِيرُ
أليْسَ مَن كَانَ مِثْلِي الَى مَصِيرِي يَصِيرُ ؟

وتمثَّل الشافعي، رضي الله عنه، حين بلغه دعاء من دعا عليه بالموت بِبَيْتَي الشاعر :

تَمنَّى رجالٌ أن أموتَ فان أمُت فَتلكَ طريقٌ لَستُ فيها بِأوحَد

فَقُل للذي يبْغِي خلافَ الذي مضَى تهيَّأ لأخْرى مِثلِها فكأن قَدِ

وقال الحماسي في الملح :

وما العَيشُ إلاَّ أكلَةٌ وتَشَرُّقٌ وتَمرٌ كأكبَادِ الجَرادِ ومَاءُ

التّشرّق بالراء : القعود للشمس، والتّمْرُ الذي كأكباد الجراد : الصَّيْحَاني. وقال الآخر:

مَن فَاتهُ العِلم وأخْطاهُ الغِنَى فَذاكَ والكَلبُ على حَدٍّ سَوا

ولنقتصر على هذا القدر من هذا الباب، فإن فيه كفايةً إن شاء الله تعالى . واللهُ يَقُولُ الحَقَّ وهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

بـــاب البـــاء

بَـحَـثَ عَـن حَـتْـفِـهِ بِـظِـلْـفِـهِ .

البَـحْـثُ التَّـفْـتِـيش . والحَـتْـفُ : الهَـلاَك . والظِّـلْـفُ بكسر الظاء للشاة والبقرة والظبي بمنزلة القَـدم لَـنا. واستعاره عمرو بن مَـعْـدِي كَـرِب للخيل في قوله : وخَـيْـلٍ تَـطَـأُكُـمْ بِـأظْـلاَفِـها .

يُـضرَب هذا المثل في الحاجة تؤدي صاحبها الى التَّلف وجناية الانسان على نفسه . وأصله أن ما عزةَ لبعض العرب كانوا أرادوا ذبحها، فلم يجدوا شفرة يذبحونها بها، فجعلت تَـنْـبش برجلها في الأرض حتى استخرجت بنبشها شفرة كانت ضاعت لهم في الأرض، فذبحوها بها وقالوا : بَـحَـثَـتْ عَـن حَـتْـفِـهَـا بِـظِـلْـفِـها . فذهبت مثلا . وقال الفرزدق في ذلك :

وكان يُـجيرُ النَّـاسَ من سَـيفِ مالِـكٍ ... فَـأصبحَ يَـبغِـي نفسه من يُـجِـيرها
وكان كعَـنزِ السُّوءِ قامَـتْ بظِـلفِـها ... الى مُـديةٍ تحتَ الثَّـرى تستَـثِـيرها

وقال أبو الأسود :

فَـلاتَـكُ مِـثل التَّـتي استَـخْـرجَـتْ ... بِـأظْـلافِـهـا مُـدية أو بفِـيهَـا
فقـام إليهـا بِـهَـا ذَابِـحٌ ... ومَـن تَـدعُ يومًا شَـعُـوبٌ يَـجِـيهَـا

أبْـخَـرُ مِـنَ الأسَـدِ .

البَـخَـرُ، بفتح الخاء المعجمة : نَـتْـن الفَـم وغيره . يقال : بَـخِـرَ بالكسر، فهو أبْـخَـرُ وهي بَـخْـرَاء . وعلى هذا، فالقياس أن لا يصاغ التفضيل من لفظه، بل يقال : أشدّ بَـخَـرًا. فإن صحّ ورود لفظ المثل عندهم، كان من الشّـواذّ : وإلاّ فَـهُـوَ لَـحْـنٌ . والأسد معروف، وهو مشهور بِـبَـخَـرِ الفَـم، وبه يضرب المثل فيه، ومن ثمّ قال البلغاء : لو قيل : جَـاءَ أسَـدٌ، وأريد رجلٌ أبْـخَـر، كان استعارةً صحيحة، غير أنها لا تكون مقبولة لعدم استعمالها : فان الوجه فيها يشترط أن يكون بَـيِّـنًا، ولا يكون بحيث يجعلها كالـلغز .

ومن الأمثال المشهورة للعامّة قولهم : مَـنْ يَـسْـتَـطِـيعُ أنْ يَـقُـولَ للأسَـدِ أنْـتَ

أبْخَرُ الفَمِ ؟ يضربونه عندما يُرَى عيبٌ أو أذى ممَّن لا يُقْدَرُ أن يُذكَر له ذلك وينبَّه عليه ويُقبَّحَ له، أو تَصْدُرُ كلمة باطلة ممَّن لا يُقْدَرَ أن تُرَدَّ عليه. وكان من أصل ذلك مثلٌ آخر لهم، وهو قولهم : « يَبْرأ الجَرحُ السُّوء، ولا يَبْرأ الكَلاَمُ السُّوء » وسيأتي.

أبْخَرُ مَنَ صَقْرٍ

البَخَرُ : تقدمٌ . والصَّقْر، بفتح الصاد المهملة وسكون القاف : كل شيء يصيد من البُزَاة والشواهين . جمعه صُقْرٍ بالضم، وأصْقُرٍ، وصُقُورٍ، [وصُقُورَةٍ] وصِقَارٍ، وصِقَارَةٍ . ويقال، تَصَقَّرَ الرَّجُلُ : صاد بالصَّقْر، وهو أيضا ممَّا يوصف بِبَخَرِ الفَم . قال الشاعر :

فَلَهُ لِحْيَةُ تَيْسٍ ... ولَهُ مِنْقَارُ نَسْرٍ
ولَهُ نُكْهَةُ لَيْثٍ ... خَالَطَتْ نُكْهَةَ نَسْرٍ

والنُّكْهَة : رائحة الفم .

البَدلُ أعْوَرُ .

بَدلُ الشيء بفتحتين والدال المهملة، وبِدْلُه بالكسر، وبَديلُه : خَلَفُه والأعور معروف . يضرب هذا المثل في سُوءِ الخَلْق، والرَّجُلِ المَذمُوم يَخْلُفُ بَعد الرجل المحمود . وأصله أن يَزيدَ بْنَ المُهَلَّب كان على خراسان، ثم عُزِل عنها ووُلِّيَ مكانَهُ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ البَاهِلِيُّ، وكان شيخًا أعور شحيحًا، فقال الناس : هذا بَدَلٌ أَعْوَرُ ! فذهب مثلا لكل مالا يُرضَى بَدلا . وفي ذلك قال بعض الشعراء :

كَانتْ خُراسانُ أرضًا إذ يَزيد بها ... وكُلُّ باب مِن الخَيراتِ مفْتوحُ
حتَّى أتَانا أبو حَفصٍ بأسرتِه ... كأنَّما وجْهُه بِالخلّ مَنْضوحُ

وفيه قال ابن همَّام السَّلُولي :

أقُتَيبَ قَد قُلنا غَداةَ أتَيتنا ... بَدلٌ لَعَمْرُكَ مِن يَزيد أعْورُ

قلت : ويظهر لي أن المثل قديم، ويدلّ على ذلك ما نسبه أهل السيرة لِدِحْيَةَ بنِ خليفة أنه قال حيث أتى قيصر :

ألاَ هَل أتاها عَلى نَأْيِها بِأَنِّي قَدمْتُ عَلى قَيْصَرِ
فَغَرَّرْتُهُ بِصَلاَةِ المَسِيحِ وكَانَت مِن الجَوْهَرِ الأحْمَرِ
وتَدْبِير ربِّكَ أمْرَ السَّمَاءِ والأرْضِ فَاغضَى ولَم يُنْكِرِ
وقُلتُ تُقرُّ بِبُشْرَى المَسيح فقَالَ سأنْظُرُ قلت انْظُرِ
فكَاد يُقِرُّ بامْرِ الرَّسُولِ فَمَالَ إلَى البَدَلِ الأعْوَرِ
فَشَكَّ وجَاشَتْ له نَفسُهُ وجَاشَتْ نَفُوسُ بَنِي الأصْفَرِ
علَى وضْعِهِ بِيَدَيْهِ الكتَابَ عَلى الرَّأسِ والمِنْخَرِ
فأصبَح قَيْصَرُ مِنْ أمْرِهِ بِمَنزِلةِ الفَرسِ الأشْقَرِ

والله أعلم :

بَرِحَ الخَفَاءُ .

يقال : بَرِح الرجلُ مكانه، بالكسر، إذا زال عنه . وأكثرُ استعماله مع النفي ونحوه، كقوله :

وما بَرِحَتْ أقْدامُنَا مِن مكَانِنا ثَلاثَتُنا حَتَّى أزيرُوا المنَائِيا

وقد يحذف لفظا، كقول الآخر :

وأبْرَحُ مَا أذَامَ اللَّهُ قَوْمِي بِحَمْدِ اللّهِ مُنْتَطِقًا مُجِيدا

والمُنتَطِق : ذُو السلاح، والمُجيد بالضمّ : صاحب الجواد من الخيل . ومن هذا قولهم لاَ بَرَاحَ قال :

مَن صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأنَا ابْنُ قَيْسٍ لاَ بَرَاحُ[1]

ويقال للأسد وللرجل الشجاع حَبِيكُ بَرَاحٍ، بمعنى أنّ كلاًّ منهما كأنه شدَّ بالحبال فلا يبرح مكانه ولا يزول . ويقال : بَرِحَ الخَفَاءُ بالكسر، ومعناه وضَحَ الأمْرُ . قال بعض اللغويين : معناه ظهر الأمر، وصار كأنه في بَرَاح، وهو المكان المستوي من الأرض . ويقال : البَرَاح من الأرض ما كان ظاهرا مكشوفا ؛ ولذا قيل للشمس بَرَاحٍ، وهو اسم معدول مكسور قال الراجز :

هَذَا مُقَامُ قَدَمَيْ رَبَاحِ غُدْوَةَ حَتَّى دَلَكَتْ بَرَاحِ

1) في لسان العرب : مَنْ فَرَّ عن نيرانها... قال ابن الأثير : البيت لسعد بن مالك يعرِّض بالحَرَثِ بن عبّاد.

ورَبَاحٌ اسمُ ساق كان يسقِي لابله . يريد أنه أقام على السقي حتى دلكت الشمس، أي مالت . وقيل : برح الخفاء، أي ذهَب الستُر وظَهَر. والخفاء هنا : السِّرُّ . وقيل : الخفاء المُتَطَأطِىءُ من الأرض، والبَراح والمُرتفِعُ منها الظّاهِرُ . فإذا قيل : بَرِحَ الخَفَاءُ، فكأنه قيل ارْتَفَع المُتَطَأطِىءُ حتى صار كالمرتفع الظاهر . وقال بعضهم : الخَفَاءُ ما غاب عنك . وقال بعض الأئمَّة : يقال : بَرِحَ الشيءُ، يَبْرَحُ، إذا انْتَحَى وذهب، وبَرِحَ الخَفَاءُ : ذهب ؛ وأبْرحْتُه أنا : أذْهَبْتُه . قال ابن دريد : وأوَّل من قاله شِقٌّ الكَاهِنُ . وقال حسَّان، رضي الله عنه :

ألاَ أبْلِغَ أبَا سُفْيَانَ عَنِّي مُغَلْغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الخَفَاءُ
أبْرَدُ مِنْ حَبَقْرٍّ .

أبْرَدُ : من البُرُودَة وهي معروفةٌ، وحَبَقْرٌّ أصله حَبّ قُرّ، والحَبُّ : حَبُّ الغَمام، والقُرُّ : البَرْدُ . ويقال : أبْرَدُ مِن حَبّ قُرٍّ، وأبْرَدُ مِن عَبْقُرٍّ، ومِن عَبٍّ قُرّ . والعَبُّ من أسماء البرد.

بِرُّ الكَرِيمِ طَبْعٌ، وبِرُّ البَخِيلِ دَفْعٌ .

البِرُّ : الاحسان والفضل . ولا شكَّ أنَّ الكريم ينبعث منه البَذْلُ طَيِّبَةً به نفسُه، بل يجد في ذلك أعظم اللذات، والبخيل لا يصدر عنه عطاء إلا عن عناء ومقاساة من نفسه حتى لا يكاد تسمح نفسه بالعطاء إلا عن رغبة أو رهبة كتوقّي الأذى في النفس والمال والعِرْض. وهذا المعنى بيّن مشروح في أبواب الكرم والبخل، مشهور لا حاجة الى ذكره وما قيل فيه.

ومن الشديد الصعب [في هذا المقام][2] ما ذكره صاحب التشوّف، رحمه الله تعالى، في مناقب الشيخ أبي العباس السبتيّ، رضي الله عنه، عن أبي زيد عبد الرحمان بن يوسف الحسني قال : رأيت رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، فقلت يا رسول الله، أريد أن أراك في النوم كلَّ ليلة . فقال : هذا لا يمكن، فإني مطلوب في المشرق والمغرب . فشكوت له حالتي وفقري، فقال [لي] : البخل أضرَّ بك . قال . فمرَّ بنا أحمد بن دُونَاس، وهو رجل صالح من الأولياء الأخفياء من أهل أغْمَاتَ، لا يُمسِك شيئا، وربَّما تجرَّد عن أثوابه فَيُؤْثِرُ

2) سقط من أ

بها ويَسْتترِ بالأبواب . فسلّم علينا وانصرف . فقلت : يارسول الله، وهذا ؟ فقال : البخلُ أضرّ به . فقلت : يا رسول الله، بيّن لي ما هذا البخل . فقال لي : لأُقولَنّ لك فيه قولا ينقله إليكم علماؤكم، إذا خطر لأحدكم خاطر بالعطاء، ثمّ عقبه خاطر آخر بالمنع، فالتردد في الخاطر الأول بُخْلٌ. قال : فسألته عن أبي العباس السبتي، وكنت سيِّءَ الاعتقاد فيه، فتبسم ثم قال لي : هو من السُّبّاق . فقلت له : بيِّن لي . فقال لي : هو ممّن يَمُرُّ على الصراط كالبرق . قال : فأصبحت وخرجت فلقيت أبا العباس السبتي، فقال : ما سمعتَ وما رأيتَ ؟ فقلت له : دعني . فقال : والله لا تركتك حتى تعرّفني . فذهبت معه إلى حانوت ابن مساعد، فأنشأت أحدّثه الى أن قلت له : التردد في الخاطر الأول بخل . فصاح وغُشِي عليه، ثم قال:كلمة الصفا من المصطفى، وصار متى يذكر هذا الكلام يغشى عليه. انتهى ملخّصا . فليعتبر العاقل بهذه القصّة وهذا الكلام، ولينظر في أحوال نفسه وأحوال غيره كيف يلقى من نفسه عندما يَهُمُّ بخير غاية التردد والمنازعة والعناء، حتى إذا أعطى قليلا وأكْدَى أوهمته نفسُه أنه جواد كريم، رؤوف رحيم . وليته عرف مقامه وتقصيره فيتوب أو يستغفر وينكسر، عسى أن يتخلّص ممّا ورد على البخل من الوعيد الشديد، والذمّ الأكيد ! والله المستعان.

أبَرُّ مِنْ هِرَّةٍ.

البِرُّ يُطْلَق على الخير وعلى الاتساع في الاحسان كما مرّ، وعلى الصلة، وعلى الجنة، وعلى الطاعة، وعلى الصدق، وعلى ضِدّ العُقُوق وهو المراد هنا . يقال منه : بَرَرْتُه، بكسر الراء وفتحها بِرّا ومَبَرّةً، أبَرُّهُ، فأنا بارٌّ، وهو مَبْرور . والهِرّة، بكسر الهاء، معروفة، وهي الأنثى ؛ والذكر هِرّ . وإنّما وصفت الهرّة بالبرّ لأنّها تأكل أولادها محبّة لهن، كما قال الشاعر :

أمَا تَرَى الدَّهْرَ وهَذا الوَرَى كَهِرَّةٍ تَأكُلُ أولادَهَا

وهي أيضا توصف بالعقوق، وسيأتي .

بِالرِّفَاءِ والبَنِينَ .

الرِّفَاءُ، بكسر الراء والمدّ، على مثال كِساء : الاتّفاق والالتئام . ويُستعمل عند تهنئة المتزوّج والدعاء له بان يُرْزَقَ اجتماعَ الشّمل ويُرْزَقَ الأولادِ . والرِّفاء مأخوذ من

قولك : رَفَأْتُ الثوب، ورفَوْتُه، يُهْمَزُ ولا يُهمز . ومعناه لأَمْتُه وضَمَمْتُ بعضَه إلى بعض . يقال : مَنِ اغْتَابَ خَرَق، ومَنِ اسْتَغْفَرَ رَفَأ؛ وقال ابْنُ هَرِمَة :

بُدِّلْتُ مِنْ حَدِّ الشَّبِيبَةِ والأَبْدَالُ ثَوْبُ المَشِيبِ أَرْدَؤُهَا
مُلاَءَةً غير جد واسعة أَخَيطُهَا مَرَّةً وأَرْفَؤُهَا

واسْتُعْمِلَ الرِّفَاءُ والمُرَافَاةُ في الموافقة . قال الآخر :

ولَمَّا أَنْ رأيْتُ أَبَا رُوَيْمٍ يُرَاعِينِي ويَكْرَهُ أَنْ يُلاَمَا

وبعض اللغويين يجعل هذا المعنى أصلاً للمثل المذكور . وقيل هو دعاء بالسكون والطمأنينة، أخذا من قولهم :

رَفَوْتُ الرَّجُلَ، أي سَكَّنْتُه من الرعب . قال أبُو خِراش :

رفَوْنِي وقَالُوا : ياخُوَيْلِدُ لا تُرَعْ فَقلتُ وأنكرتُ الوجوهَ هُمُ هُمُ

ويقال : رفَّأْتُ الرجلَ ترفيئا : قلت له بالرِّفَاءِ والبَنِينَ . وتزوَّج عَقِيلُ بْنُ أبي طالب امرأةً، فقيل : بالرِّفاء والبنين . فقال، قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم : إذا رفَّأَ أحَدُكُم أخَاهُ فَلْيَقُل : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ وبَارَكَ عَلَيك !

بَرْقٌ لِمَنْ لا يَعْرِفُكَ .

يقال : بَرِق الرَّجُلُ، وبَرِقَ، وأبْرَقَ، إذا أوعَدَ وتَهدَّد . ويقال أيضا : رَعَدَ وبَرَقَ، وأرْعَد وأبْرَقَ . قال ابن أحمر :

ياجل مَابَعُدَتْ عَلَيْكَ بِلاَدُنا فَابْرُقْ بِأَرضِكَ مَابَدَالَكَ وارْعُدِ !

وقال الكميت :

أبْرِقْ وأرعِد يَا يَزِيدُ فَمَا وعِيدُكَ لِي بِضَائِرِ !

وقال المُتَلَمِّسُ :

إذا جاوَزَتْ مِن ذَاتِ عِرقٍ ثَنِيَّةً فَقل لأبِي قَابُوسَ ما شِئْت فارعُدِ !

وأنكر الأصمعي أبْرَقَ وأرعَد رُبَاعِيًّا . ذكر القالي في نوادره عن أبي حاتم قال : قلت للأصمعي : أتقول في التهدّد أبْرَقَ وأرْعَد ؟ قال : لا، لست أقول ذلك إلاَّ أنْ أرَى البرق أو أسْمع الرعد . قلت : فقد قال الكميت (أبْرِقْ وأرْعِدْ، البيت فقال)[3] الكميت جُرْمُقَانِيٌّ مِن أهْل المَوصِل ليس بحُجَّة ؛ والحجَّة الذي يقول : إذا جَاوَزَتْ مِنْ

3) سقط من ب.

ذاتِ عِرقٍ، البيت . فأتيتُ أبا يزيد فقلت له : كيف تقول من الرَّعْد والبرق فَعَلَت السماء ؟ قال : رَعَدَت وبَرَقَت (أو أرْعَدَتْ وأبْرَقَت، من الرعد والبرق)[4] قلت : فمن التهدُّد ؟ قال : رَعَدَ وبَرَقَ، وأرْعَد وأبْرق، فأجار اللغتين جميعا . وأقبل أعرابيٌّ مُحْرِمٌ فأردت أن أسأله، فقال لي أبو زيد : دعني فأنا أعْرَفُ بسؤاله . فقال [أبو زيد] : (يا أعرابي، كيف تقول : رَعَدَتِ السَّماءُ وبَرَقَت أو أرْعَدَت وأبْرَقَت ؟ فقال : رعَدَتْ وبَرَقَتْ . فقال أبو زيد)[5] فكيف تقول للرجل مِن هذا ؟ فقال: أمن الجخيف تريد ؟ يعني التهدّد . قال : نعم . فقال : أقول : رعَدَ وبَرَقَ، وأرعَدَ وأبْرَق . ومعنى المثل : بَرْقٌ وتهدُّدٌ على من لا يعرف موقع وعيدك، ومنتهى تهديدك ! وأما أنا فقد عرفتك . يضرب عند جواب الجبان إذا جعل يخوّف ويتهدّد . وقد ذكر في هذا المثل المثل الآخر، وهو قولهم : بَرْقٌ ورَعْدٌ، فلا حاجة الى إعادته.

أبَرَمًا قَرُونًا.

البَرَمُ بفتحتين : مَنْ لا يَدخُلُ مع القوم في المَيْسِر، وهو ذمٌّ عند العرب غاية؛ كما أن الدخول فيه مدح . قال متمم :

ولاَ بَرَمٌ تُهْدَى النِّساءُ لِعِرسِهِ إذا القَشعُ مِن بَردِ الشِّتاء تَقَعقَعَا
هلاَّ سَألتِ بِنِي ذُبْيانَ ما حَسبِي إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأشْمَط البرمَا ؟

يقول إنَّه يغشى مستوقد القوم ليصيب ممَّا نحروا، لأنه بَرَمٌ لا تَسْخُو نفسُه بالأخذ مع القوم والدخول معهم ؛ وجمعه أبرام . قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّة:

إذا عُقَبُ القُدُور عُدِدْنَ مَالاً أحَبَّ حَلائِلُ الأبْرامِ عِرْسِي[6]

وعُقَبُ القُدور : ما يَبْقى في أسفلها فاضلا، ولا تُعَدُّ مالاً إلاَّ عند اشتداد الأمر ؛ وحينئذ تبقى زوجاتُ الأبرام لا مرقة عندهنَّ فيُحْبِبْنَ عِرْسِي لما عندها من المرق والخيْر . وبَرِمَ الرجلُ بالكسر، يَبْرَمُ . قال النابغة :

لا يَبْرمُونَ إذا ما الأُفْقُ جَلَّلَهُ بَرْدُ الشِّتَاءِ مَن الامْحَالِ كالأدَمِ

ويُقال في ضدِّه : يَسَرَ الرجلُ يَيْسِرُ، أي ضَرَبَ بالقِدَاح . قال علقمة :

وقد يَسَرْتُ إذا ما الجُوعُ كَلَّفَهُ مُعَقَّبٌ مِن قِدَاحِ النَّبْعِ مَقرُومُ

ورجل يَسَرٌ، والجمع أيْسَار . قال الشاعر :

---

4) سقط من أ
5) سقط من أ
6) في لسان العرب : تَحُتُّ حَلائِلَ الأبرام عِرسِي.

وراحِلَةٍ نَحَرتُ لِشَرَبِ صِدقٍ وما ناديْتُ أيْسارَ الجَزُورِ

وقال الحماسي[7]

هَينُونَ لَينُونَ أيْسارٌ ذَوُو كَرَمٍ سُوَّاسُ مَكرُمَةٍ [أبناءُ أيسارِ]

من تلقَ منهُم تقُل لا قيتُ سَيِّدهُم مِثل النُّجومِ التي يَسري بها السَّاري

وقال عنترةُ في معناه :

ومِشَكٍّ سَابِغَةٍ هَتَكتُ فُرُوجَها بالسَّيفِ عَن حامي الحقيقَةِ مُعلَمِ

رِبِذٍ يَداه بالقِداحِ إذا شَتا هَتَّاكِ غَاياتِ التِّجارِ مُلَوَّمِ

والرَّبِذُ المُسرِع . يريد أنه يُسرع الى ضرب القِداح إذا شتا ؛ والتِّجارُ : باعةُ الخمر . ويريد أنَّه مع ذلك يشرب الخمر ويسقيها ويغالي في ثمنها حتى يعطي غاية ما يطلبه التجَّار، وهو معنى هَتْكِ غَايَاتِهم .

وقالت عجوز أعرابية لثلاث بنات لها : لِتَصِفْ كلٌّ منكنَّ مَن تُحِبُّ من الرجال ! فقالت الكبرى : أريده أوْرَعَ بسَّاما،أحَذَّ مِجْذَامًا، سَيِّد نَادِيه، وثِمَال عَافِيه، ومحسب راجيه، فِناؤُه رَحْب، وقِيادُه صعب . وقالت الوسطى : أريده عالِيَ السَّنَاء، مُصَمِّمَ المَضَاء، عظيمَ نار، مُتَمِّمَ أيْسَار، يُفِيدُ ويُبِيد،ويُبْدِئُ ويُعيد، في الأهل صَبِيٍّ، وفي الجَيْشِ كَمِيٍّ، تَسْتَعْبِدُه الحَلِيلَة، وتُسَوِّده الفَصِيلَة . وقالت الصغرى : أريده بَازِلَ عَام، كالمُهَنَّد الصَّمْصام، قِرانه حُبور، ولِقاؤه سرور، إن ضَمَّ قَضْقَض، وإن دَسَّ أغْمض، وإن أخَلَّ أحْمَض. فقالت أمّها : فُضَّ فوك ! لَقَد فَرَرْتِ لِي شِرَّةَ الشَّبَابِ جَذَعَةً . والأورَع : الكريم، وقيل الجميل . والأحَذّ : الخفيف السريع . والمِجْذَام : القطَّاع للأمور، من الجَذْمِ وهو القطع. والنادي : المجلس . والثمَال : الغيَاث . والعَافي والمُعْتَفِي : مَن جاء طالبًا للمعروف. والفِناء : الرَّحْبُ الواسع . وصَعْبُ القِياد من الرجال : العزيز المُمْتَنِع، وأصله في الدابة . والسَّنَاء بالمدّ : الشَّرَف ؛ والمصمِّمُ : الماضي في الأمور لا يثنيه شيء. والأيْسَار جمع يَسَر، كما مرَّ . والكَمِيُّ : الشّجاع . وحَلِيلَةُ الرجل : زوجه . والفَصِيلة : رَهْطُ الرجل الأقربون . وبَازِلُ عَام : التَّامُّ الشباب، وأصله في الابل، وستذكر بعدُ أسنانُها إن شاء الله تعالى . وقَضْقَض : حَطَّم، كما يُقضقض الأسدُ

7) هُو العَرَنْدَسُ الكِلابي يمدح بني عمرو الغنويين.

فريسته، وهو أن يحطّمها فيُسْمَعَ لعظامها صوت ؛ ودسّ الشيء : دفعه ؛ والاخلال والاحماض : مثل، وسيأتي تفسير ذلك بعدُ إن شاء الله تعالى ؛ والقَرُونُ فَعُولٌ مِن قَرَنَ للمبالغة : يقال : قَرَنَ بين أحَدَيْن إذا جمع بينهما، فهو قَارِن وقَرُون وقَرَّان.

وأصل المثل أن رجلا كان بَرِمًا، فدخل يوما على امرأته، فوجدها تأكل لحما، فجعل يأكل بَضْعَتَيْن بضْعَتَين . فقالت له : **أبَرَمًا قَرُونًا**، فذهبت مثلا . والمعنى أن تكون بَرِمًا قَرُونًا، فتجمعَ بين مَذَمَّتَيِ البُخل والنَّهَم . ولم يذكر في الصحاح أصل هذا المثل وقال : معناه هو بَرَمٌ ويأكل مع ذلك تَمرْتَين انتهى . فجعل القران . وهو يحتمل أن يكون أصله أو من مضاربه، وهو صحيح . ومثله في القاموس، إلا أنه فسَّر البرم في المثل بالثقيل . ولاشك أن البَرِمَ يُطلَق على السآمة والضجر . يقال : بَرِم به إذا ضجِر، وأبرمه : أضجره . قال الشاعر في ثقيل :

مُشْتَمِل بالبُغْضِ لا تَنْثَنِي إلَيْهِ طَوعًا لَحظَةُ الرَّامِقِ
يَظَلُّ في مَجْلِسِنا مُبْرِمًا أثْقَلَ مِن واشٍ عَلَى عَاشِقِ

ويقال : كتب الأعمش نقشًا في خاتمه : يامَقِيتُ، أبْرَمْت فَقُمْ ! فإذا استثقل جليسا ناوله إياه .

أبْصَرُ مِن عُقَابٍ .

البَصَرُ : حِسُّ العَين . يقال : بَصُرَ بالشيء، بالضمّ والكسر، بَصارَةً وبَصَرًا، صار مُبْصِرًا له ؛ وتبصَّره : نظر هل يُبْصِره ؛ وهو أبصرُ منه، أي أقوى إدراكًا . والعُقاب : الطائر المعروف، جمعه أعْقِبَة وأعْقُب، لأنَّه مؤنَّث . قال امرؤ القيس :

كأنَّ دِثَارًا حَلَّقَتْ بِلَبُونِهِ عُقَابُ تَنوفَى لا عُقَابُ القَواعِلِ

والعُقَاب تُوصَف بحدّة البصر .

أبْصَرُ مِنْ غُرابٍ .

البصر معروف . والغراب جمعه غِربان وأغْرِبة وغَرَابِين وغُرُب، ويوصف أيضا بحدّة البصر . وزعموا أنَّه يرى من تحت الأرض مقدار منقاره . وذكر بعض اللغويِّين أن العرب تسمي الغراب أعور، ويزعمون أنَّه يُغْمِض أبدًا إحدى عينيه، ويقتصر على النظر بواحدة

من قوّة بصره . وقيل سمّوه أعور من حدّة بصره على طريق التفاؤل، كما قال بشّار بن برد :

وقَد ظَلَموهُ حِينَ سَمّوهُ سَيِّداً كَما ظَلَمَ النّاسُ الغُرابَ بِأعْوَرَا

وقال ابن التّلبّانَة :

لمّا تَناهَيتُ عِلماً ظلّ يَنقُصنِي عِند الكَمال خَصيب النير السرر

وفي الغُرابِ إذا فكّرتَ مغربة مِن فَرطِ إبْصارِهِ يُعْزَى الى العَورِ

أبْصَرُ مِن فَرسٍ .

الفرس معروف، للذكر والأنثى . ويوصف أيضا بحدّة البصر، وهو صحيح مجرّب، بحيث إن الفارس قد يُرخِي عنانه في الطريق غير الواضح، والظلام معتكر، فيسير به ويتخطى المهاوي والجرائيم التي لا شعور للراكب بها ولا إحساس .

أبْصَرُ من المَائِحِ بِاسْتِ المَاتِحِ .

المَائِح : الذي ينزل البئر ليملأ الدّلْوَ بيده إذا قلّ الماء فيها، وقد مَاحَ يَمِيح . قال الراجز :

يا أيُّها المائحُ دَلْوِي دُونَكَا إنّي رأيتُ النّاسَ يَحْمَدُونَكَا

وقال الآخر :

فَآنَسَ سِربَ قَطَا قَارِبٍ جبَى مَنْهَلٍ لَم تُمِحْهُ الدِّلاَ

والمَاتِحُ : المُسْتَقِي النّازِعُ للدّلْوِ على جَبَى البِئر . قال علقمة :

كأنّ ذِراعَيها عَلى الخَلّ بَعد مَا - ونَيْنَ ذِراعا ماتِحٍ مُتَجَرِّدِ

وقال ذو الرمّة :

كأنّها دَلْوُ بِئْرٍ جَدّ ما تِحُها حتّى إذا ما رآها خَانَها الكَرَبُ

ومن المعلوم أنّ المائح الذي تحته يبصر عورته ويكون بصيرا باسته إن لم يتسرول ؛ فلذلك قالوا ما تقدّم . وقال بعض الأدباء :

يا مائِحَ العَينِ عَدِمتَ الرُّقَى مِن حِرصِ هَذي العَينِ لم يَستَقِي

من شِيمَةِ المَاءِ انْحِدارٌ فَلِم ماءُ جُفوني أبداً يَرتَقِي ؟

أبْصَرُ مِنْ هُدْهُدٍ .

الهُدْهُد معروف، ويقال له أيضا هُدَاهِد بالضمّ، والجمع هَدَاهِد بالفتح، ويوصف بحدّة البصر أيضا . وزعموا أنّه يُبصر الماء من تحت الأرض ، وأن الأرض كانت له كالزجاج . وقالوا إنّه كان دليلَ نبيّ الله سليمانَ عليه السلام على الماء، وإنّه إنّما غضب عليه وحلَفَ ليُعَذّبَنّه لكونه نزل على غير ماء . وحضرت الصلاة، فسأل الانس والجنّ والطير عن الماء فلم يجد عندهم علما، فتفقّد الهدهد فلم يجده فغضب عليه، وفي ذلك قصّة طويلة . وتقدّم من كلام ابن عبّاس، وأنّ نافعا سأله لِمَ اعْتَنَى سليمانُ مع ما خوّله الله تعالى من المُلْكِ بالهدهد مع صغره ؟ فقال : انّه احتاج الى الماء ، والهدهد كانت له الأرض كالزجاج، وأنّ ابن الأزرق قال لابن عبّاس : قف يا وقّاف ! كيف يبصر الماء من تحت الأرض، ولا يرى الفخّ إذا غطّي له بقدر أصبع من تراب ؟ فقال ابن عبّاس : إذا نَزَلَ القَضَاءُ عَمِيَ البَصَرُ !

أبْصَرُ مِنْ وطْوَاطٍ بِاللّيلِ .

الوَطْوَاط : الخُفّاشُ، وهو معروف.

بَصْبَصْنَ إذْ حُدِينَ بِالأذْنَابِ

يقال : بَصْبَصَ الكلبُ والفحلُ وغيرهما إذا حرّك ذنبه . وحُدِينَ : سُقْنَ ، من الحُدَاء الذي يُبْعَثُ به نشاط الابل، وهو بالدال المهملة . ويُروَى حُذِين بالذال المعجمة، من المُحاذاة . يضرب هذا المثل في فرار الجبان وخضوعه واستكانته، وكأنّه شطر بيت .

بِضَرْبِ خَبّابٍ وريشِ المُقْعَدِ .

خَبّابٌ : قَيْنٌ بمكّة كان يضرب السيوف ؛ والمُقْعَد كان يَرِيشُ السِّهام . فتكالم الزبير وعثمان، فقال الزبير : إن شِئْتَ تقاذفنا، قال : أبِالبَعَرِ، يا أبا عبد الله ؟ فقال الزبير : بل بِضَرْبِ خَبّابٍ وريشِ المُقْعَد، أي نتقاذف بالسيوف والسهام .

أبْطَأتَ بِالجَوابِ، حَتّى فَاتَ الصّوابَ .

قاله قصيرٌ لِجَذِيمةَ الأبْرَشِ في قصّة طويلة . وملخّصلها، على ما ذكر

الاخْبَاريون يزيدُ بعضُهم على بعض ويدخُلُ حديثُ بعضهم في بعض، أنَّ جَذِيمَة هذا، وهو جَذِيمة بالذال المعجمة المكسورة ابن مالك بن فهم بن الأوس بن الأزْد بن الغَوْث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . وقد قيل إنَّه من العرب الأولى من إياد بن أميم، وكان به بياض . فكرهت العرب أن تقول « أبرص »، فقالوا له أبرش والوَضَّاح . وقيل : الصواب أنَّ الوضَّاح غير هذا . وقيل : سمّي الأبرش لأنَّه أصابه حرّ ونار، فبقي فيه نقطا نقطا سودا وحمراء . كان ملك الحيرة وما حولها ستّين سنة، وكان زمانَ ملوك الطوائف، وكان يغير على من حوله من الملوك حتَّى غلبهم على كثير ممَّا في أيديهم . وهو أوَّل من أوقد له الشمع ونَصَبَ المجانيق للحرب. ثمَّ إنَّ جذيمة غزا الحَضْر، وهي مدينة بين دجلة والفرات . وإيَّاه عَنَى عَدِيُّ بنُ زيدٍ العِبَادِيّ بقوله:

وأخو الحضْر إذْ بناه وإذْ دجلة تُجْبَى إلَيهِ والخَابُورُ
شادَهُ مَرمَراً وجَلَّلَهُ كَلْساً فَلِلطَّيرِ في ذُراهُ وكُورُ

وكان صاحب الحَضْر إذ ذاك عمرو بن الظَّرِب، وهو أبو الزبَّاء كان ملكا على الحضر، فظفر به جَذِيمة وقتله . وذهبت بنته الزبَّاء مطرودة نحو الروم، وكانت من أجمل نساء زمانها، وكان لها شَعَرٌ إذا أرسلته غطَّى بدنها، وبذلك لقّبت بالزبَّاء ، وهي تأنيث الأزبّ، أي الكثير الشعر . وعلى هذا فاسمُها ممدود . وقال البكري : الزبَّاء ألِفُها مقصورة . قال : وقد ردَّ العلماء فيه المدَّ لأنَّه تانيث زبَّان، الاسم المستعمل . فأمَّا الزبَّاء ممدودا، فإنمَّا هو تأنيث أزبّ، لم يستعمل اسما، وإنَّما هو صفة للكثير شعر البدن . قال : والشاهد لما قلناه قول عَدِيّ بن زيد :

فَأَضْحَت في مَدائِنِها كأنْ لَمْ تَكُن زبَّا لِحامِلَةٍ جَنِينا

قلت : وما أراه إلا وهما وغلطا، وذلك أن فَعْلَى بالقصر إنَّما تأتي تأنيث فَعْلاَن، كعطشان وسكران . وزَبَّان الذي هو اسم، إنَّما هو فعال أصيل النون من مادَّة الزَّبن والمزابنة، لا فعلان . ومادَّة زَبَبَ لم يرد منها إلا زبَّاب لصاحب الزبيب، وأزبّ للكثير الشعر. والأول لا يرد منه فَعْلَى بالقصر، كما لا يرد من عشَّاب، وبقَّال، وحمَّار . وكذا الثاني، إنَّما ترد منه فعلاء بالمدّ، كأحمر، وأشهب، وأوطَف، وأجرد، ومؤنَّثُهُ حمراء،

ووطفاء، وجرداء، وكذا أزبّ وزبّاء، وهذا أمر واضح . وأمّا قوله : إنّ الأزبّ لم يستعمل اسمًا فغير بيّن، فإنّ الأزبّ من أسماء الشياطين . وفي حديث العَقَبة هو شيطانٌ اسمه أزبُّ العقبة . والزبّاء اسم لبلد على الفُرات، ولفَرَس الأصَيْدِفِ الطّائي، ولماء لبني سَلِيط، وآخر لِطُهَيَّة، ولعَيْنٍ باليَمَامة . والزبّاء أيضا اسمٌ من أسماء الإِسْتِ، والداهية الشديدة . فلم يصحّ قوله إنّه لم يستعمل اسمًا . ولم يمتنع أن يكون اسما للملكة المذكورة، وإن كان وصفًا في أصله بك لو لم يكن اسما في غيرها لم يمتنع أن يكون اسما فيها، على أنّه ليس اسما لها بادىء بَدْء . وإنّما لُقّبت به لكثرة شعرها كما قلنا أوّلاً فغلب عليها . واسمها فارعة، وقيل نائلة، وقيل ميسور . وأمّا البيت الذي استشهد به، فليس وحده بناهض في الاحتجاج لصحّة قصر الممدود . والمعروف عند اللغويّين أنّ الزبّاء بالمدّ، كما نطق به الامام أبو بكر بن دُرَيْد في مقصورته، حيث قال :

فاسْتَنزلَ الزَّبّاءَ قَسرا وهْي من عُقابِ لَوحِ الجوّ أعلى مُنتمَى

وهو المُوافِق للقياس . ومدّ المقصور أضعف وأبعد من قصر الممدود . ثمّ إنّ الزبّاء جمعت الأموال والأجناد وتقوّت، وكانت نبيلة عاقلة . فعادت الى ديار أبيها وأزالت جَذيمة عنها وملكت. فكانت تُعدُّ من ملوك الطوائف، وحرّمت الرجال على نفسها، فهي بتول. وكان بينها وبين جَذيمةَ مهادنةٌ بعد حروب جرت . فلمّا همّت بالقيام بثأر أبيها أرسلت إليه تخطبه على نفسها وتُرغّبُه في أن يتّصل ملكه بملكها، فأحبّ ذلك . وقيل هو الذي حدّثته نفسه بِخِطْبَتِها، فشاور خاصّته فوافقوه كلّهم إلاّ قَصيرًا . وهو قَصِير بكسر الصاد ابن سعد، وكان عاقلا نبيلا، وهو ابن عمّ جَذيمة وخازنه وصاحب أمره وعهده . قالوا ولم يكن قصيرًا وإنّما سمّي به فقط . قال له : أبَيْتَ اللّعْنَ أيُّها الملكُ ! إنّ الزبّاء حرّمَت الرجالَ فهي بتول عذراء، لا ترغب في مال ولا جمال، ولها عندك ثأرٌ والدم لا ينام؛ وإنّما هي تَاركَتُك رهبة وحِذَارًا، والحقد دفين في سويداء القلب، له كُمُونٌ ككمون النار في الحَجَر، إن اقتدحته أوْرَى، وإن تَركْتَه تَوارى، ولْلمَلِك في بنات الملوك مُتَّسَع . وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيما هو دونك، وعظّم الربّ شأنك فما أحد فوقك . فقال جَذيمة : يا قصير، الرأي ما رأيته، ولكن النفس توّاقه، والى ما تحبّ مشتاقة، ولكلّ امرىء قَدَرٌ لا مفرّ منه ولا وَزَر ! ثمّ وجّه جذيمة اليها خاطبا وأمره أن يظهر لها

ما تَرغَب به وتَميل. فلمَّا جاءها الخاطِبُ أجابت وأظهرت فرحا كبيرا وغبطة عظيمة وقالت : لولا أنَّ المسير في هذا أجمل بالرجال سرت إليه. فوجَّهت الخاطب وبعثت معه الى جَذيمة بهديَّة سنيَّة فيها من الاماء والكُراع والسلاح والأموال والبقر والغنم وغير ذلك من الجواهر الرفيعة والطُّرَفِ العجيبة ما يَبْهَرُ الناظرين. فلمَّا بَصُر جَذيمة بذلك أعجبه مع ما بلغه من حسن جوابها وطيب كلامها، وظنَّ أن ذلك كان رغبة منها فيه زوجا . فخرج إليها من فوره مع خاصَّته وفيهم قَصير، واستخلف على مملكته ابن أخيه عمرو بن عَديّ اللخميّ، وسيأتي ذكره بعد إن شاء الله تعالى . فسار حتى بلغ موضعا يقال بَقَّة، فأكل وشرب وأعاد المشورة، فاستصوبوا أيضا ما أراد إلاَّ قصيرا فإنَّه قال : أيها الملك، كلّ عزم لا يؤيَّد بجزم فإلى أفن يكون كونه . فلا تَثِقْ بزُخرُف قولٍ لا محصول له، ولا تَقْذِفِ الرأي بالهوى فَيَفْسُد، ولا الحزم بالمُنَى فَيَبْعُد ! والرأي عندي للملك أن يَتَعَقَّبَ أمره بالتثبّت، ويأخذ حِذْرَه بالتيقّظ . ولولا أنَّ الأمور تجري بالمقدور لعزمت على الملك عزمًا بتًّا أن لا يفعل. فقال جذيمةُ : الرأي مع الجماعة . فقال قصير : أرى القَدَرَ سائق الحذر، لا يطاع لقصير أمرٌ أو رأي . فأرسلها مثلا . ثمَّ سار جذيمة حتى قرب من ديار الزبَّاء، فأرسل إليها يعلمها بمجيئة . فلما جاءها الرسول أظهرت السرور والرغبة، وأمرت بحمل الضيافة إليه، وقالت لأجنادها وخاصَّتها : تلقَّوا سيّدكم ومالك دولتكم ! وعاد الرسول بالجواب إليه، وأخبره بما رأى وسمع . فلمَّا أراد جذيمة أن يسير، دعا قصيرا فقال له : أنت على رأيك ؟ قال : نعم ! وقد زادت بصيرتي فيه . أفأنت على عزمك ؟ قال : نعم ! وقد زادت رغبتي فيه . فقال قصير : ليس للدَّهْر بصاحب، مَنْ لَمْ يَنْطُرْ في العواقب . فأرسلها مثلا . ثمَّ قال له : وقد نَذَرْتُك الأمرَ قبل فواته، وفي يد الملك بقيَّة هو بِهَا قادر على استدراك الصواب ؛ فإن وثقت بأنك ذو ملك وسلطان وعشيرة، فقد نزعت يدك من سلطانك، وفارقت عشيرتك وألقيتها في يَدِ مَنْ لستُ آمَنُ عليك مَكْرَهُ وغَدْرَهُ . فإن كنت فاعلا ولابدَّ،[8] فإنَّهم غدا يَلْقَونَكَ ويقومون لك صفَّين، حتَّى إذا توسَّطتهم أحدقوا بك : فهذه العصا لا يُشَقُّ غُبارها، وهو أوَّل من قاله . وكانت العصا فرسًا لجذيمة لا تدرك، فهي ناجية بك إن مَلَكْتَ ظهرها وناصيتها . ويروى أنَّه

8) في ب : فإن كنت ولابد فاعلا.

قال له : إنَّهم غدًا إن لَقُوكَ فترجَّلوا وحيَّوك فتقدَّموا، فقد كذب ظنِّي، وإن رأيتهم حَيَّوك فطافوا بك، فإني أعرض لك العصا . فسمع جَذِيمةُ كلامه فلم يردَّ عليه جوابا. ثمَّ سار جذيمة، وقَصِيرٌ عن يمينه، فقامت الزبَّاء وبعثت بجندها وقالت لهم : سيروا حتى إذا لقِيتُمُوه فقوموا صفَّين عن يمينه وشماله، فإذا توسَّطكم فانقضّوا عليه أجمع، وإيَّاكم أن يفوتكم ! فلمَّا أحاطوا به وعلم أنَّهم مَلَكوه أقبل على قصير، وكان مسايره، فقال له : صدقت يا قصير ! فقال قصير : أبْطَأتَ بِالجَواب، حَتّى فَاتَ الصَّواب ! فأرسلها مثلا . فقال جذيمة : كيف الرأي ؟ فقال : تركت الرأي بِبَقَّة ! فأرسلها مثلا . ويروى أنَّه قال له : هذه العصا فدونكها لعلك تنجو عليها ! فأنِفَ من ذلك . وقيل إنَّه عَرَضَها له فَشُغِل عنها، فركبها قصير فنجا . فلمَّا نظر إليه جذيمة وهو عليها ينقطع دونه السراب، قال : ماذَا مَن جَرَتْ بِهِ العَصَا ! فأرسلها مثلا . ويروى أنَّه قال، حين نظر إليه على ظهرها : ويل أمّه حزمًا على ظهر العصا ! فأرسَلها مثلا . ثمَّ سارت الجيوش بجذيمة، فتطلَّعت عليه الزبَّاء من قصرها فقالت : ما أحسنك من عروس تُجْلَى عليَّ وتُزفُّ إليَّ ! حتى دخلوا به عليها في قصرها وحولها جواريها . وكانت قد ربَّت شعر عانتها سنة وضفرته . فلمَّا دخل عليها تكشَّفت له فقالت : أشَوَارَ عَرُوسٍ تَرَى ؟ فقال : بل شَوَارَ أمَةٍ بظراء . فقالت : أما إنَّه ليس من عَدَمِ المَواسي، ولا من قِلَّة الأواسي، ولكنَّه شِيمَةُ ما أقاسِي فأمرت به فأجلس على نِطْعٍ وقطعت رواهِشَهُ. ويُروى في طَسْتٍ من ذَهَب تفاؤلاً أن يذهب دمُه هَدَرًا . وكان قد قيل لها : تحفظي بدمه، فإنَّه إن وقعت قطرةٌ منه على الأرض طُلِبْتِ بِثأره . فلمَّا صعُفت يدُه سقطت، فقطر منه في غير الطست شيء، فقالت : لا تضيّعوا دم الملك ! فقال : دعوا دمًا ضيَّعه أهلُه ! ومات . وقيل إنَّه قد قال : لا يحزنك دمٌ أراقه أهله ! فقالت : والله ما وفَّى دمُك، ولا شَفَى قتلُك، ولكنه غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ فأرسلتها مثلا . فلمَّا قَضَى أمرت به فدُفِن . وكان عمرو بن عَدِيٍّ يخرُج الى ظهر الحيرة يَسْتَشْرِف خبر خاله . فبينما هو ذات يوم ينظر إذ رأى العصا تَهْوِي بقصير، فقال عمرو : أمَّا الفرسُ ففرسُ جَذيمَة، وأمَّا الراكبُ فكَالبَهِيمة، لأمْرٍ جَاءَتِ العَصَا . فأرسلها مثلا . فإذا هو بقصير قد أقبل، فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : سَعَى القَدَرُ بالمَلِك الى حَتْفِه، عَلَى

الرَّغْمِ مِنْ أنْفِي وأنْفِهِ ! وسيأتي تتمَّة القصَّة بعد هذا في خير قَصِيرٍ حيث قام بثأر جذيمة إن شاء الله تعالى . وفي قتل جَذِيمَةَ قال الشاعر :

وقدَّدتِ الأديمَ لِراهِشيهِ وألْفَى قَولَهَا كَذِبًا ومَيْنَا

وقال سُوَيْد بن أبي كَاهِل :

وأبو ملك الملك الذي قَتلتْهُ بنْتُ عَمْرٍو بالخُذَعْ

أبْطَأُ مِن غُرابِ نُوحٍ.

زعموا أنَّ نبيَّ الله نوحا عليه السلام بعث الغرابَ لينظر له هل غَرقَتِ البلادُ ويَأتِيَه بخبرها . فذهب فوجد جيفة طافية على وجه الماء، فاشتغل بها وبقي ولم يأته بالخبر . فدعا عليه فغلت رِجْلاهُ وخاف من الناس. واعلم أنَّ البطءَ ثلاثيٌّ ورُباعيٌّ : يقال بَطُؤَ بضمّ الطاء، بُطْئًا وبِطَاءً بالكسر، وأبْطَأَ : ضدُّ أسرع . ويقال : هو أبْطَأ منه . وهو إن كان صوغه من الثلاثي فَمَقِيسٌ اتفاقا ؛ وإن كان من الرباعي فهو جائزٌ أيضا عند سيبويه في هذا الوزن.

أبْطَأُ مِن فِنْدٍ.

البُطء : مرَّ. وفِنْدٌ بكسر الفاء وسكون النون بعدها دال مهملة : اسم رَجُل . وهو مولى لعائشة بنتِ سَعْد بن أبي وقَّاص، بعثته يأتيها بنار . فلمَّا خرج وجد قومًا يريدون مصر، فصحبهم وأقام بمصر سنة، ثم رجع فأتاها بالنار ؛ وجاء يشتدّ فعثر وتبدَّد الجَمْر فقال : تعست العجلة ! فضُرب [به] المثل في البُطْء.

البِطْنَة، تُذْهِبُ الفِطْنَة .

هذا من الأمثال الحِكميَّة . والبِطْنَةُ بالكسر : امتلاء البطن طعاما . والفِطنة بكسر الفاء : الذّكاء والحِذْق . يقال : فطِنَ إليه، وفطِنَ لَه، بضمّ الطاء وكسرها وفتحها، يفْطَن بالضمّ والفتح فطنا وفطانة . وفي الأثر يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما أحَلَّ اللّهُ حَلالاً أبْغَضَ مِنْ بَطْنٍ يُمْلأ طَعَامًا. وقال عليه الصلاة والسلام : مَا مَلأَ ابنُ آدَمَ وعاءً شرًّا مِن بَطْنِه، بحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أكْلٌ أو لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه، فَإنْ كَانَ لا محالةَ، فثُلُثٌ للطَّعام، وثُلُثٌ للشَّراب، وثُلُثٌ لِلنَّفَسِ. وعن عمر رضي الله عنه : أيُّهَا النَّاسُ، إيَّاكم والبِطْنَة، فإنَّها

مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلاَةِ، مَفْسَدَةٌ لِلجَسَدِ، مُورِثَةٌ لِلسَّقَمِ. وعن عليّ كرَّم الله وجهه : إيَّاكُمْ والبِطْنَةَ، فإنّها مَفْسَدَةٌ لِلقَلْبِ . وقال الحَارِثُ بْنُ كَلَدَةَ: أربعة أشياءٍ يُهْرِمْنَ البَدنَ : الغِشْيَانُ عَنِ البِطْنَةِ، ودُخُولُ الحَمَّامِ عَلَى الامتِلاَءِ، وأكْلُ القَدِيد، ومُجَامَعَةُ العَجُوز . ويقال أقْلِلْ طَعَاما، تُقْلِلْ سَقَاما . ويقال : النَّهَمُ لؤم، والرغب شؤم . وقيل : أكبَرُ الدَّواء، تَقْلِيلُ الغِذَاء . وجمع الرشيد أربعة من الأطبَّاء العارفين : هنديًّا ورومِيًّا وفارسيًّا وعربيًّا، وقال لهم : لِيَصِفْ لي كلُّ واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه . فقال الهنديّ : الدواء الذي لا داء فيه عندي الاهْلِيلَجُ الأسود . وقال الروميّ : هو حَبُّ الرَّشَاد الأبْيَض . وقال الفارسيّ : هو عندي المَاءُ الحَارّ . فقال العربيّ، وكان أعلَمَهم : الاهلِيلج يَعْفِصُ المَعدةِ وذلك داء، وحَبُّ الرشاد يُرِقّ المعدة وذلك داء ؛ والماء الحارّ يُرْخِي المعدة، وذلك داء . فقالوا له : وما الدواء الذي لاداء فيه عندك ؟ قال : أنْ تَضَعَ يَدَكَ في الطعام وأنتَ تَشْتَهِيه، وتَرفَعَ يَدَكَ منه وأنت تشتهيه . فقالوا : صدقت ! وسلَّموا له . ويروى حديثا : المعِدَةُ بَيْتُ الدَّاء، والحِمْيَةُ رَأسُ الدَّوَاء، وأصْلُ كُلِّ دَاءٍ البَردَةُ . والبَرَدَةُ : التُّخَمَة . ويقال إنَّ مَالكًا، رضي الله عنه، لمَّا وادع يحيى بن يحيى قال له : أُوصيك بأربع كلمات : الأولى أجمع لك فيها فقه الفقهاء، إذا سئلت عن شيء لا تعرفه فقل لا أدري، والثانية أجمع لك فيها حكمة الحكماء، إذا جالست قومًا فكن أصْمَتَهم، فإن أصابوا أصبت معهم، وإن أخطأوا سَلِمْت، والثالثة أجمع لك فيها طبَّ الأطبَّاء، أن تضع يدك في الطعام وأنت تشتهيه، وترفع يدك وأنت تشتهيه ؛ فإنَّك إذا فعلت ذلك لم يُصِبْك مرضٌ إلاَّ مرضَ الموت . وفي الحكمة : إذَا امْتَلأتِ المَعِدَة، نَامَتِ الفِكْرَة، وَرَقَدَتِ الأعْضَاءُ عَنِ العِبَادَة . وقال حاتم بن عبد الله الطائيّ :

أكُفُّ يَدي عَن أن يَنال التِماسها ... أكُفُّ صحابي حينَ حاجَتُنا مَعا

أبيتُ هضيمَ الكشحِ منطَوي الحشا ... مِن الجُوع أخشَى الذمَّ أن أتضلَّعا

وإني لأسْتَحْيِي رفِيقِيَ أن يَرَى ... مكانَ يَدِي مِن جانِبِ الزَّاد أقرعا

وإنَّك إن أعْطيتَ بَطنَكَ سُؤْلَه ... وفَرجَكَ نَالاَ مُنْتَهى الذَّمِّ أجمعا

وقد أكثر الحكماء من هذا النمط نثراً وشعراً، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى .

بَطْنِي عَطِرِي، وسَائِرِي ذَرِي !

البَطْنُ : خلاف الظهر، وهو مذكَّر، جمعه أبْطُن، وبُطُون، وبُطْنَان ؛ ويقال أيضا لما دون القبيلة من الناس بَطْنٌ كما قيل :

وإنَّ كِلابًا هَذه عَشْرُ أبْطُنٍ وأنتَ بَرِيءٌ مِن قَبَائلها العَشْرِ

والمراد هنا الأول : والعِطْر، بكسر العين : الطِّيبُ . يقال : منه عَطِرَت المرأةُ، بالكسر، فهي عَطِرةٌ ؛ ويقال عَطَّرتُ الرجلَ تَعْطِيرا : طيَّبتُه . والسَّائِرُ : الباقي، وهو من السُّؤْر، وهو البقيَّة مهموزاً . يقال : أسْأرَ الشّيءَ وسَأرَهُ إذا أبقاه، فهو سَئَّار، وقياسه مُسْئِر، وهو جائز أيضا . وذهب كثير من الناس الى أنَّ السائر يكون أيضا بمعنى الجميع، وأنكره آخرون : وذَرِي معناه اتْرُكِي يقال : ذَرْه أي أتْرُكْهُ . وأصلُ الماضي منه . وذِرَه بالكسر يَذَرُهُ كوَسِعَه يَسَعُ، لكن لم يستعمل منه ماضٍ ولا مصدر . وأصل المثل أنَّ أعرابيًا ضاف قومًا، فأمروا جارية لهم أن تَطيِّبَه فقال : بَطْنِي عَطِّرِي، وسَائِرِي ذَرِي ! ومعناه ظاهر . وإضافة التعطير الى البطن في نحو هذا يكون من المشاكلة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، كقوله :

قالوا : أقترح شَيئا نُجد لك طَبخَه فَقلت : اطْبَخوا لي جُبَّةً وقميصا !

أراد أن يقول : خيطوا لي جُبَّةً ! فقال : اطبخوا ! لصحبته للطبخ تحقيقا . وكقوله تعالى: وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها، وقوله تعالى : فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُم فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيكُم . أطلَقَتُ السيئة والاعتداء على جزاء السيِّئة وجزاء الاعتداء عدلاً لأجل المصاحبة، وإن لم يكن الجزاء سيِّئةً ولا اعتداءً . وقوله تعالى : تَعْلَمُ مَا في نَفْسِي ولاَ أعْلَمُ مَا في نَفْسِك . وهو كثير . وكقول ابْنِ كُلْثُوم :

ألا لاَيَجْهَلَن أحَدٌ عَلَيْنَا، فَنَجهَلَ فوقَ جَهلِ الجاهلينا

وقد يتقدَّم المشَاكِلُ فتُراعَى صحبةُ المتأخّر، كقول أبي تمَّام:

مَن مُبْلِغٌ أفْنَاءَ يَعرُب كُلَّها أنِّي ابْتَنَيتُ الجارَ قَبلَ المنزِلِ ؟

والأفْنَاء بالفاء : الجماعات من الناس . ومن هذا أيضا عند بعضهم قولهم :

لاتَسقِني ماء المَلامِ فإنَّني صَبٌّ قَد اسْتَعذبتُ ماءَ بُكائي

ومن هذا القسم لفظ المثل، لانَّ المُراعَى هو قوله : وسائِري ذَري ! أي لا تُعَطِّرِي شيئًا من سائر بدني : ويحتمل أن يكون قائله لم يعتبر هذا، وإنَّما اعتبر قولهم للجارية عَطِّريه، فيكون من القسم الأوَّل . ويحتمل أن يكون رَاعَي فعَل الجارية وما هَمَّت به من التعطير، فتكون المصاحبة إنَّما وقعت تقديرا، كقوله تعالى : صِبْغَةَ اللَّه، ومَن أحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَة عبَّر بصبغة الله عن تطهير الله بالايمان، لوقوع ذلك في صحبة الصِّبغ الواقع للنصارى بِغَمْسِهم أولادَهم في ماء أصفر تقديرا، لأنَّ سبب النزول دلّ على ذلك . ومثله قولك لمن يغرس أشجارًا : اغْرس كما يَغْرِسُ فلان ! تريد رجلاً يصطنع المعروف الى الكرام .

تتمَّة : وقع في اللفظ الوارد على المشاكلة إشْكالٌ من حيث إنَّه لا يكون حقيقة، إذ ليس موضوعًا لذلك المعنى، ولا مجازًا أيضا لعدم العلاقة، فإنَّ إطلاق اللفظ على المعنى لأجل الصحبة في المشاكلة صحيح، سواء وجِد هنالك شيء ممَّا يكون من العلاقات، كإطلاق السيِّئة على الجزاء المُتَسَبِّب عنها في الآية السابقة، أو لم يوجد كإطلاق طَبْخ الجُبَّة على خياطتها. قال سَعْدُ الدِّين التَّفْتازانيُّ في شَرح المِفتاح : ولا محيص سوى التزامِ قسم ثالثٍ في الاستعمال الصحيح بأن يُجعل نفسُ الوقوع في الصحبة مصححًا لاستعمال لفظ المصاحب عليه، أو القول بأنَّ هذا نوع من العلاقة فيكون مجازا . انتهى.

أبْعَدُ مِنْ بَيْضِ الأنُوقِ.

البُعد معروف ؛ يقال : بَعُد وبَعِد بالضمّ والكسر ؛ وقد يستعمل البُعْدُ بمعنى الموت والهلاك . قالت الشاعرة :

لا يَبعُدنْ قَومي الذينَ هُمُ سُمُّ العُداةِ وآفَةُ الجُزْرِ

والأنُوق بفتح الهمزة، على مثال صَبُور : الرَّخَمَة، وهو طائر أسود أصلع الرأس أصفر المنقار . وهي تجعل بيضها حيث لا يُنال، فتتَّخذ أوكارها في قُنَن الجبال الصعبة، فيُضرب المثل ببيضها في البعد وعزةِ المنَال، كما قيل :

وكُنتُ إذا استُودعْتُ سرًّا كَتَمتُه كَبَيضِ الأنوقِ لا يُنالُ لها وكْرُ

وقال الآخر :

وأجازَها قذفات كلّ تنوفةٍ وكْرُ العُقاب بها وبَيتُ الأعْصمِ
فَوطِئنَ أوكارَ الأنوقِ وروّعَت مِنها وباتَ المُهرُ ضَيفَ الهَيثمِ

وزعموا أنّ رجلا أتى معاوية رضي الله عنه فقال له : زوجني هندا !، يعني أمَّهُ . فقال : لا أرَبَ لها في الزوج . قال : فولّني كذا ! فأنشد معاوية :

طَلَبَ الأبْلَقَ العَقوقَ فلمّا لَم يَجدهُ أراد بَيضَ الأنُوقِ

والأبلقُ العَقوقُ : الذّكر الحامِل، سيأتي، وهو مُحَال . فكأنه يقول طلب أمرا محالا، فلما أعجزه طلب أمرا بعيدا لا ينالُه . واعتُرِضَت الحكاية بأنّ أمّ معاوية ماتت سنة أرْبَعَ عشرة، فكيف يُطْلَبُ تَزْويجُها يوم الولاية ؟ وحُكيت على وجه آخر يصحّ، وهو أنّ رجلا أتاه فقال له : افرض لي شيئا ! قال : نعم ! فقال : ولولدي ؟ قال : لا ! قال : ولعشيرتي ؟ فأنشد البيت.

قلت : وعلى [كلا] الوجهين لم يقع الانتقالُ مَوْقِعَه، لأنه [إنّما] يحسن عندما يكون من الأضعف الى الأقوى، ولم يوجد ذلك في البيت على شيء من الوجهين : فإنّه في أحدهما من المحال الى الممكن البعيد، وفي الآخر من البعيد الى الأبعد، ضرورة أنّ الفَرضَ للعشيرة أبعدُ من الفرض للولد، وإن كان السائل يغترُّ بِشُبْهَة أنّهُ لما فَرَضَ له (أغْنَى ذلك عن الولد، فلم يبق له استحقاق الفرض، وكانت العشيرة أولى منه، ولذا سأل لها)[9] بعده . ومن اللغويّين من قال : إنّ الأنُوقَ الذّكر من الرَّخَمِ، ووجدان البيض له محال. ولا إشكال حينئذ، إذ القصد النداء على ضلال السائل وحَيرتِه حيث جعل ينتقل من محال الى محال . ومنهم من قال : الأنُوق يُطلَق على الذّكر والأنْثَى، والله أعلم .

فائدة : قيل : وفي الرَّخَمَة عشر خصال : تَحْضُن بيضها، وتَمْنَع فرخها، ولا تمكّنُ من نفسها غير زوجها، وتَقْطع في أوّل القواطع، وترجِع في أوّل الرواجع، وتَألَفُ ولدها،

(بيـاض)

هي مع ذلك تحمق، كما قيل :

وذاتَ اسْمَين والألوانُ شَتّى تُحَمَّق وهْي كَيِّسةُ الحَويلِ

أي الحِيلة . والرَّخَمَةُ أحدُ لِئَام الطَّير، وهي : الرَّخَمَة، والغُرابُ، والبُومُ.

9) سقط ما بين قوسين من أ.

أبْعِدي عَنِّي ظِلَّك، أحْمِلْ حِمْلِي وحِمْلَك !

هذا من الأمثال الموضوعات على ألْسِنَة العَجْمَاوَات. زعموا أنَّ النخلة قالت ذلك لجارتها، بمعنى أنَّهما إذا تباعدتا حملت كلّ واحدة منهما مثل ما تحملان معًا. والحِمْل إذا أطْلِق على ما يُحْمَل من الأمتعة على ظهر أو رأس، فهو بكسر الحاء ؛ وإذا أطلق على ما في بطن الأنثى، فهو بالفتح : وإذا أطلق على ثمر الشجر، فهو بالوجهين لما له من الشَّبَه بالأمرين . هكذا قال بعض اللغويّين، وقال : ما بَطَنَ من الثمار فبالفتح، وما ظهر فبالكسر . وقيل إنَّ الثمر كلَّه بالفتح كما في البطن . وقيل إنَّ الثمر بالكسر مالم يَكْثُرْ ويَعْظُم، فإذا كثُر فبالفتح . وجمع الحَمْل حِمَال، ومنه : هَذَا الحِمَالُ لا حِمَالُ خَيْبَرَ.

بَعْضُ الشَّرِّ أهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ .

هذا مثل مشهور وظاهر المعنى . ويوافقه من أمثال العامَّة قولهم : **نِصْفُ الخَسَارَةِ ولا الخَسَارَةُ كُلُّها**. وقال طرفة بن العبد لمَّا حبس :

أبا مُنْذِرٍ كانت غُرُورًا صحيفَتِي ... ولم أعطِكُمْ في الطَّوع مالي ولا عرضي
أبا مُنذرٍ أفْنيتَ فاستبقِ بَعضنا ... حنانيكَ بعضُ الشَّرِّ أهونُ من بعض

وقال أبُو خِرَاشٍ الهُذَلِي :

حَمدتُ إلاهِي بَعد عُروةَ إذ نجا ... خِراشٌ وبَعضُ الشَّرِّ أهْونُ من بعض

وبعده :

فَوا لَّله ما انسى قَتيلاً رُزِئْتُه ... بجانبِ قُوسَى، ما مشيتُ على الأرض
على أنَّها تَعفو الكُلومُ وإنَّما ... نوكَّلُ بالأدنى وإن جلَّ ما يَمضي
ولم أدر من ألقى عليه ردَاءَهُ ... على أنَّه قَد سُلَّ عَن ماجِدٍ مَحضِ
ولَم يكُ مثلوجَ الفُؤاد مُهَبَّجًا ... أضاعَ الشَّباب في الرَّبيلَة والخَفضِ
ولكنَّه قَد لوَّحتْه مخامِص[10] ... على أنَّه ذُو مرَّة صادقُ النَّهضِ
كأنَّهم يُشبِّثُون بِطَائِرٍ ... خَفيفِ المُشاشِ عظمهُ غيرُ ذي نحض
يُبادرُ قُرب اللَّيل فهو مُهابِذٌ ... يحثُّ الجناح بالتَّبسُّط والقَبض

10) جاء في الحماسة (1 : 327) : ولكنَّهُ قَدْ نَازَعَتْهُ مَجَاوِعٌ

وذكر صاحب **القلائد** أنَّ الظافر بن المعتمد، لمَّا قام عليه ابن عُكَاشَة وأتباعُه بقرطبة، ودافعهم حتَّى قُتِل وجُرِّد من ثيابه، وكان ذلك ليلاً، مرَّ به أحد المُغَلِّسين الى الجامع فألقى عليه ثوبًا، ولم يُعْرَفْ مَنْ فَعَل ذلك . فكان أبوه المُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّاد إذا تذكَّر ذلك رفَعَ عَقِيرَتَه وأنشد : ولَمْ أدْرِ مَنْ ألْقَى عَلَيهِ رِدَاءَهُ.

ومن أظرف الاتفاق ما حكى ابنُ الخَطِيب من قول بعضهم في طبِيبٍ يسمَّى نُعْمَان ويكنَّى أبَا المُنْذِر :

أقولُ لِنُعمانٍ وقَد ساقَ طِبُّهُ نفوسًا نَفيساتٍ الى باطِنِ الأرضِ:
أبا مُنذرٍ أفنَيتَ فاستبقِ بَعضنا حنانيكَ بَعضُ الشَّرِّ أهون مِن بعض

وممَّا قيل في الطَّبِيب الجاهل قولُ الآخر :

يا مَلَكَ المَوتِ وابنَ زُهْرٍ جاوزتُما الحَدَّ والنِّهايهْ !
تَرفَّقا بالوَرى قَلِيلاً : في واحِدٍ مْنكُما الكفايهْ !

وقوله :

أعْمى وأفْنى ذا الطَّبيبُ بِطبِّه وبِكُحْله الاحياءَ والبُصَراءَ
فإذا نَظَرتَ رأيتَ مِن عُمْيانِه أممًا على أمواتِهِ قُرَّاءَ

وقول الآخر :

قال حِمارُ الطَّبِيبِ تُومي، لَو أنْصَفوني لَكُنتُ أركَبْ
لأنَّني جاهِلٌ بَسيطٌ وصَاحِبِي جَاهِلٌ مُرَكَّبْ

بِعِلَّةِ الوَرَشَانِ يَأكُلُ رُطَبَ المِشَانِ.

الوَرشَانُ بفتحتين : طائر، وهو سَاقُ حُرٍّ. وأنشدوا عن الأصمعي :

أيُّها البُلبُل المُغرِّد في النَّخلِ غَريبًا مِن أهْله حَيرانا
أفِراقًا تَشكوهُ أمْ ظِلتَ تَدعو فَوق أفنان نَخلِك الورشانا ؟
هاجَ لي شَجوُك المُغَرِّدُ شَجْوًا رُبَّ صَوتٍ يُهَيِّجُ الأحْزانا

والمُشانُ بضمّ الميم وكسرها، على مثال غُراب وكِتاب، والشين معجمة : نوع من الرُّطَب طَيِّب ؛ ورُطَبُ المُشَان في لفظ المثل بالاضافة، ولا يقال الرُّطَبُ المُشَانُ وأصل المثل أنَّ قومًا اسْتَحْفَظُوا غلامًا لهم رُطَبَ نَخْلِهم فكان يأكله، وإذا سئل عن ذلك

وعوتب عليه قال : أكَلَه الوَرَشَان، فقالوا ذلك . يُضرَب ذلك لمن يُظهِر شيئا والقصد شيءٌ آخر .

البُغَاثُ بِأرضِنَا يَسْتَنْسِرُ.

تقدَّم معنى هذا المثل في الباب الأول.

أبْلِعْنِي ريقِي.

يقال : بلِعْتُ الشيء بكسر اللام، وابْتَلَعْتُه بمعنى، وأبلعْتُه غيري : أمْكَنْتُه أن يَبْلَعَه : والرِّيقُ : ماءُ الفم ما دام لم ينفصل عنه، فإذا انفصل فهو بُزَاق ؛ والبعض منه ريقة . قال النابغة :

زَعَمَ الهُمَامُ ولم أذقْهُ أنَّهُ يُشفَى برَيَّا رِيقِها العطشُ الصدي

وقال الآخر :

يَسْقِي امتياحًا ندى المسواك ريقتها كما تضمَّن ماء المزنة الرَّصف

ويقال : أبْلِعْني ريقي، أي أمْهِلْني ساعة مِقْدار ما أبْلَعُه ولا تُعَجِّل عَلَيَّ ! يضرب عند الاستمهال في مقام المحاورة والاكثار من السؤال واستدعاء الجواب حتَّى يعوق الاشتغال بالجواب عن بَلْعِ الريق . والقصد التأخير والتنفيس . قال شاس بن عبدة :

حَلفتُ بما ضمَّ الحجيجُ الى منى وما ثُجَّ من نَحر الهَديّ المقلَّد

لئن أنت عافيتَ الذنوب التي ترى وأبلعتني ريقي وأنظرتني غَدِي

لأستعتبنْ ممَّا يَسوءُكَ بَعدها وإنْ سبَّني ذو لكنة بين أعبُدِ

ويحكى أنَّ عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى قال يوما لحاجبه : هاتِ بَدرةً ! فأتَى بها، فوضعها بين يديه وقال لمن حضر من وجوه العرب : أيُّكُم أنشدني صدر هذا البيت : والعَودُ أحمَد، فله هذه البَدْرةُ ! فلم يكن فيهم من يعرفه . فقال للحاجب : اخرج وانظر من بالباب من العرب، وقل : من يُنشدني صدر البيت : والعود أحمد، فله جائزة ! فخرج الحاجب وقال ذلك . فقام فتى من القوم فقال : أنا . قال الحاجب : فأنشدني ! قال : لا ! إلاَّ أن أُشَافِهَ أمير المؤمنين. فدخل الحاجب فأخبره، فقال عبد الملك : هذا رجل طال مُقَامُه بالباب وله حاجة . والله، لئن دخل عليَّ ولم يُنْشِدني لأعَاقِبَنَّه . أدخِلْه ! فلمَّا دخل وسلَّم قال له عبد الملك أنْشِدنا صَدرَ بَيْتنا ! فقال : يا أمير المؤمنين،

حاجتي ! قال : وما هي ؟ قال : بنو عمّ لي باعوا ضَيْعَتَهم بالسَّواد، فأدخلوا ضيعتي في ضيعتهم فقال عبد الملك : فإنّ أمير المؤمنين قد ردّ عليك ضيعتك فأنْشِدنا صدر بيتنا ! قال : نعم، ياأمير المؤمنين ! قالت تميم إنّه بيتُها . قال أوسُ بن حَجَر :

جَزينا بني شيبان صاعا بصاعهم وعُدنا بمثل البدء والعَودُ أحْمَد

قال : أخْطَأت ! قال : يا أمير المؤمنين، أبْلِعني ريقي ! قال : قَد أبْلَعْتُك قال : قالت اليمنُ إنّه بيتُها . قال امرؤ القيس :

فَإن كُنتِ قَد ساءتك منّي خَليقة فعودي كما نهواك والعود أحمد

قال : أخطأت ! قال : ياأمير المؤمنين، قالت ربيعة إنّه بيتها . قال المرقِّش :

وأُحسِنُ فيما كان بيني وبينها وإن عاد بالاحسان فالعود أحمد

قال : أصبت، وإنك لظريف . فمن أنت ؟ قال : أنا زيد بن عمرو . قال : ممّن ؟ قال مِن حَيّ جانَبَ عِجْرفِيّةَ قيس، وعَنْعَنَة تَمِيم، وكَسْكَسَة ربيعة، وصَأصَأة اليمن، وتَأنِيثَ كِنَانة : أنا امْرُؤٌ من عُذرَةَ . فَأمَر له بالبدرة . وكان بين أبي العبّاس بن سُرَيْجٍ الفقيه الشافعي، وبين أبي بكر محمد بن داوود الظّاهِري مناظراتٌ. فقال له أبو بكر يوما: أبْلِعْنِي ريقِي ! قال أبلَعْتُكَ دِجْلَةَ ! وقال له مرّة أخرى أمْهِلْنِي سَاعَة ! قال : أمْهَلْتُك الى قِيَامِ السّاعة ! وقال له أخرى : أجِيئُكَ مِنَ الرجْلِ، وتجِيئُنِي من الرّأس، قال : هكذا شأن البقر : إذا حَفِيَت أظْلافُها، دُهِنَت قُرونُها. واجتمعا يوما في مِجْلِس الوزير أبي الحسن بن الجرّاح، فتناظرا في مسألة من الابلاء، فقال له ابن سريج : أنت بكتاب الزهرة أعرف منك بهذا الفنّ، حيث تقول فيه : ومَنْ كَثُرتْ لَحَظَاتُه، دامَت مَسرّاتُه . فقال أبو بكر : والله إنّك لا تُحْسِن أن تَقْرأه، وإنّه لأحد مناقبي، حيث أقول :

أنزّه في روضِ المحاسن مُقلتي وأمنَع نفسي أن تَنال مُحرّما

وأحمِل من ثقل الهوى مالَوَ أنّه يُصبُّ على الصَّخر الأصمّ تهدما

ويَنطق طَرفي عن مُترجم خاطري ولولا اختلاسي ردّه لتكلّما

رأيت الهوى دعْوى من النّاس كلهم فَلَست أرَى حُبّا صحيحا مُسلّما

فقال ابن سريج : أو عليّ تَفْخَرُ بهذا وأنا القائل، ولو شئت لقلت :

ومُسافر بالغُنجِ مِن لَحَظاتِهِ قَد بِتُّ أمْنَعُه لَذيذَ سِناتِهِ
صبًّا بِحُسن حَديثِهِ وغِنائِهِ[11] وأردّد اللّحَظات في وجناته
حتّى إذا ما الصُّبْحُ لاحَ عَمودُهُ ولّى بخَاتَمِ ربِّه وبَراتِهِ

فقال أبو بكر : يا وزير، إنّه قد أقرّ : فعليه إقامةُ البيّنة أنّه بخاتم ربّه وبَراته، وإلاّ أقمنا عليه الحدّ ! فقال ابن سريج : هذا لا يلزمني : فإنّ مذهبي أنّ مَن أقرّ بأمرٍ وناطَهُ بِصِفة، فإنّ إقراره لا يلزمه إلاّ مَنُوطًا بتلك الصفة . وقيل : بل قال له : يَلزمُني في ذلك ما يَلزمُك في قولك :

أنزّهُ في رَوضِ المحاسِن مُقلتي وأمنَعُ نفسي أن تَنال مُحرّما

فضحك الوزير وقال : لقد جَمَعْتُما أو مُلِئتُما علمًا وظرفا ولطفا ! (ويُحكى أيضا أنّ الحجاج، لما قال لأبي عمرو بن العلاء البصري ماوجه)[12] (بياض)

يُبْلَغُ الخَضْمُ بالقَضْمِ .

بلوغ الشيء معروف . والخَضْم، بالخاء والضاد المعجمتين : الأكل بِجَمِيع الفَم، أو بأقصى الأضراس . وقيل خاصٌّ بالشيء الرطب كالقِثّاء ؛ يقال منه : خَضمتُ الشيء، بكسر الضاد وفتحها، أخْضِمه، كذلك بالكسر والفتح . والقَضْمُ، بالقاف والضاد المعجمة : الأكل بأطراف الأسنان ؛ يقال قَضِمْتُ الشيء، بكسر الضاد، أقْضَمُه . وفي الحديث **أيَتْرُكُ يَدهُ في فِيكَ تَقْضَمُها كما يَقْضَمُ الفَحْل ؟** ودخل أعرابي على ابن عمّ له بمكة فقال : إنّ هذه بِلادُ مَقْضَم، ولَيسَتْ بِبلاد مَخْضَم . وقلت أنا زمن الصبا، من أبيات :

لَو كَانَ لِيَ تجارةٌ غَيْرُها أو كُنتُ بَيْنَ الخَال والعَمّ
أو كنتُ في وسْعٍ لَقيل اكتَفَى مِن ذَاكَ بِالقَضْمِ عَن الخَضْمِ

ومعنى المثل أنّ الخَضْمَ الذي هو الأكل الكثير يُدرَكُ ويُنال بسبب القضم الذي هو الأكل الضعيف، فالشَّبْعَة قد تُدرَكَ بالأكل بأطراف الفم . والمقصود من ذلك أنّ الغاية البعيدة تُدرَك بالرفق . قال الشاعر :

تَبَلَّغ بأخلاق الثّياب جَديدَها وبالقَضم حتى تُدرك الخَضم بالقَضم

11) في ب :وعتابه
12) سقط ما بين قوسين من ب.

وللعامّة في نحو هذا المعنى أمثال كثيرة، منها قولهم : المَهَل يُبْلِغُ، وقولهم : الرّاحَةُ تَنزِلُ شَيئًا فَشَيئًا . وأصلُه في المريض . وقولهم : لا يجيءُ دُفْعَةً إلاّ المَوتُ ؛ وقولهم : قَطْرةٌ الى قَطْرَة فَيَسِيلُ النَّهْر ؛ وقولهم : امْشِ بالنَّعْلَيْنِ حَتّى تَجِد السُّبّاط، أي الخُفَّين.

بَلَغَ السِّكّينُ العَظْمَ .

السِّكّين، بفتح السين وتشديدها،[13] معروف، يذكّر ويؤنّث . قال في الصحاح : والغالب عليه التذكير . وأنشد :

يُرى ناصحًا فيما بَدا فإذا خَلا فَذالِك سِكّينٌ على الحَلقِ حاذقُ

ويقال : سِكّين وسِكّينَة ؛ والعظم معروف وبلوغ السكّين العظم في القطع كنايةٌ عن بلوغ الأمر في الشدّة نهاية، وفي الصعوبة غاية، كما قيل :

وكَم ذُدْت عنّي من تَحامل حادثٍ وسَوْرةِ أيّامٍ حَززْن إلى العَظْمِ

بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى .

السَّيْلُ مصدرٌ يقال : سال الماءُ يسيل سَيْلاً وسَيَلانًا . فإذا قيل للماء سَيْلٌ فمعناه سائل، وضِعَ المصدرُ مَوْضِعَ الصِّفَة . ويستعمل السيل في الماء الكثير السائل ؛ والزُّبَى بالزاي جمع زُبْيَة، وهي حُفْرة تُتَّخَذ للأسد في الموضع العالي، وتُغَطّى بشيء، ويُجْعَل عليها لحم . فإذا تناوله الأسد سقط فيها . هكذا ذكر بعضهم . ويقال تَزَبَّيتها : اتَّخَذْتُها . قال الراجز :

وكُنتُ بالأمر الذي قَد كِيدا[14] كالتَّذْ تَزبّى زُبْيَةً فَاصْطِيدا

وفي كتب اللغة : إنّ الزُّبْيَة تُطْلَقُ على المكان المرتفع لا يصل إليه الماء، ومنه المثل، وعلى حُفرة الأسد . وقال الطِّرِمّاحُ :

ياطيّء السهل والأجبال موعدكم كمبتغي الصيد أعلى زبية الأسد

نعم، قال في الصّحاح : إنّما سُمِّيَت حفرةُ الأسد بذلك لأنهم كانوا يحفرونها في الموضع العالي . فأصل الزُّبْيَة الموضع العالي، والسيل لا يصل إليه، وإن وصله كان جارفًا مفرطا مجحفا . فإذا قيل : بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى، فمعناه أنّ الأمر قد بلغ غايته،

---

13) المعروف هو كسر السين لا فتحها. وفي لسان العرب : ابن دريد : السِّكّين : فِعّيل من ذَبَحْتُ الشيء حتى سكن اضطرابه. وقال الأزهري : سميت سِكّينًا لانها تُسَكِّن الذبيحة أي تُسَكِّنُها بالموت... ومثله غِرّيد... وشمّير.

14) في لسان العرب : فكان والأمْر الذي قَد كِيدا.

والهَوْلَ أدرك نهايتَه، كما قال الراجز : قد بلغ السيل الزبى فلا غير . أي قد عظم الأمر عن أن يغيَّر ويُصلح . وكتب أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، أيام حُصِر، الى أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أمَّا بعد، فقد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى، وجاوز الحِزَامُ الطُّبْيَيْن، وطَمِع فِي مَن لا يَدفَعُ عن نفسه، ولم يَفْخَر عليك كضعيف، ولم يَغْلِبْك مثلُ مُغَلَّب، فأقْبِل اليَّ عَلَى أيِّ أمْرَيْكَ أحْبَبْتَ : فَإن كُنتُ مأكولا فكن خَير آكلٍ وإلاَّ فداركني ولمَّا أُمَزَّقِ

وهذه أمثالٌ أخرى سيأتي كلٌّ منها في موضعه إن شاء الله تعالى . وقال أبو بكر بن دريد رحمه الله :

لَستُ إذا ما بَهَضَتني غَمرَةٌ ممَّن يقول : بَلَغ السَّيلُ الزُّبى

ومن أبلغ ما جاء في وصف قوَّة السيل قول امرىء القيس :

كأنَّ ذُرى رأس المُجَيْمِر غُدوةً مِن السَّيل والغُثَّاءِ فلكةُ مِغزلِ

وألقَى بصَحراءِ الغَبِيطِ بَعَاعَهُ نزولَ اليَماني ذي العيابِ المُخَوَّل[15]

كأنَّ أسودا فيه غَرْقَى غديَّة[16] بأرجائه القُصوى أنابِيشُ عُنصُل

والمُجَيْمِر : جبل ؛ وذُرَاه : أعاليه ؛ وفَلْكَة المِغزَل التي يدور بها معروفة . يريد أنَّ السيلَ قد أحاط بهذا الجبل، فكأنَّه يدور، فلذا شبَّهه بفَلْكَة المغزل، فهو من التخييلات . والغَرقَى جمع غَرِق ؛ والأرجاء : النواحي ؛ والقُصْوَى : البعيدة : والعُنْصُل : البصل البَرِيّ المعروف . والأنابيش جمع أنباش، والأنباش جمع نَبْش، وهو أصله المنبوش . يريد أنَّ هذا السيل لكثرته أغرق السياع، فصارت طافية فوق الماء كأنها أنْبَاش العُنْصُلِ يَقتلِعها السيل.

بَلَغَ الشِّظَاظُ الوَرِكَيْنِ.

الشِّظَاظ بكسر الشين، وبظاءين مشالتين بينهما ألف : عُوَيْد يُجعَلُ في عُروة الجُوالق . قال الراجز :

أيْنَ الشِّظَاظَانِ وأيْنَ المِربَعَهْ وأيْنَ وسْقُ النَّاقَةِ الجَلَنْفَعَهْ

ويقال : شَظَظْتُ الجُوَالِقَ : شَدَدْتُ عليه شِظَاظَه وأشْظَظْتُه : جَعَلْتُ له

15) في الديوان : ذي العِيَاب المُخَوَّ
16) في الديوان : كأنَّ السِّبَاعَ فيه غَرْقَى عَشِيَّةً

شِظَاظا[17] والوركُ على وزن كَتِف : ما فوق الفَخِذ ؛ ويقال أيضا وَرْك، بسكون الراء، مع فتح الواو وكسرها . قال الراجز : مَابَيْنَ وركَيْها ذِراعًا عَرضًا . وبلوغِ الشِّظَاظُ الوركَيْن كنايةٌ عن اشتداد الأمر : فهذا المثل من معنى الذي قبله :

بَلَغَ اللّهُ بِكَ أكْلأ العُمُرِ !

يقال : كَلأتُ الرَّجُلَ بالهمز، كمَنَعْتُه أكْلؤُه كِلاءً وكِلاءةً بالكسر : حَرسْتُه وحفِظته؛ وكَلَأ الدَّيْنُ : تَأخَّر ؛ والكَالِىءُ النَّسِيئَةُ . قال الراجز :

وعَينه كَالكَالِىءِ المِضْمَار

وفي الحديث النَّهْيُ عن بيع الكَالِىء بالكالِىء . وهو يصحّ من كَلَأ إذا تَأخَّر، أو من كَلأته : حَفِظْتُه، أي بَيْع المَكلُوء بالمَكلُوء، لأنَّ كلاً منهما قد كلأ لصاحبه شيئًا. قيل : وكان الأصمعي لا يهمز الكالىء، وينشد :

وإذا تُباشِرك الهُمُومُ فَإنَّهَا كَالٍ ونَاجِزْ

وهذا المثل يقال في الدعاء، فقيل : معناه بلغ الله بك أحفظ العمر، كما يقال : كلأه الله، أي حفظه . قال الشاعر :

كَلاكَ اللّه حَيث عزمتَ وجهًا وحَاطَك في المَبِيتِ وفي الرَّحِيل

وقيل : الصواب أنَّ معناه الدعاءُ بطول العمر، أي بلغ الله بك أنْسَأ العُمر أي أبعده، من كلأ بمعنى تأخَّر، كما مرَّ .

بَلَغَ مِنَ العِلْمِ أطْوريْهِ .

الطَّوْرُ بفتح فسكون : الحَدّ ؛ ومنه قولهم : تَعَدَّى فلانٌ طَورَهُ، ومَلَكَ الدَّار بطَورِها وطُورِها وأطوارها، بمعنًى . ويقال : هذه الدار أطوَرُ من هذه، أي أوسَعُ حُدُودًا . فإذا قيل : بَلَغَ مِنَ الأمْر أطوريهِ، فهو بكسر الراء، جمع أطور، أي بلغ منه أقصى حدوده. هكذا قاله أبو زيد بكسر الراء . وقال غيره : بلغ أطْوريْه بفتح الراء ، وهو تثنية أطْوَر ، أي بلغ منه حدَّ الطُّولِ والعرض . فَيُضْرَب في الانتهاء الى غاية العلم.

أبْلَهُ مِنْ ضَبٍّ .

يقال : بَلِهَ، بكسر اللام، يَبْلَهُ بَلَهًا أو بَلاهةً، فهو أبْلَهُ والبَلَهُ : الغَفْلَة، وقيل : الغفلة عن الشرّ خاصَّة ؛ وقيل : الحمق بلا تمييز . وقيل : الأبله : المأمونُ الشرّ ؛

17) سقط من ب.

وقيل : من غلبت عليه سلامة الصدر . والضبّ، بالضاد المعجمة : الدُويبّةُ المعروفة ؛ والأنثى : ضَبَّة، وهو يُضْرَبُ به المثلُ في أمور كثيرة مثل البلَه ، والعقوق، والخديعة، وغير ذلك . وسيأتي الكلّ، إن شاء الله تعالى . وإنّما ضُرب به المثل في البلَه والذهول، لما يزعمون من أنّ في طبعه الحيرة والنسيان وعدم الهداية . قالوا : ولذلك يحفر بيته في كُدْية وموضع مرتفع لئلاّ يَضِلّ عنه إذا خرج لابتغاء الطُّعْم ورَجَع، والله أعلم.

ابنُكَ ابنُ أيْرِكَ، لَيْسَ بِذِي أبٍ غَيرِكَ.

الأيْر، بفتح الهمزة وسكون الياء : الذَّكَر . والمعنى أنّ ابنك الذي يكون لاَحِقًا بك وناصرا ومعينًا هو الذي نشأ من نُطْفَتِك ولم يَنْتَسِبْ الى غيرك . يُضْرَبُ في تبنّي الرجلِ أو المرأة غيرَ ولِديهما.

ابْنُكَ ابْنُ بُوحِكَ.

هذا كالذي قبله في المعنى والمَضْرِب . وبُوح في هذا المثل بضمّ الباء الموحَّدة، قيل هو الذَّكَر، وقيل النفس، وقيل الوَطْء . وهو يطلق على الكلّ في اللغة، ومرجعها الى معنى واحد . ويقال أيضا في هذا المثل : ابْنُكَ ابْنُ بُوحِك، الذي يَشْرَبُ مِن صَبُوحِك . قيل : وأوّل من نطق بهذا المثل الأحْزَنُ بْنُ عَوفٍ العَبْدِي، وذلك أنّه كانت عنده امرأة فطلّقها وذهبت بولد، فتزوّجها عجل بن لُجَيْم بن بكر بن وائل، فقالت لِعِجْل حين تزوّجها : احفظ عليّ ولدي ! وسمّاه عجلٌ سَعْدا . وشبّ الغلام فخرج به عجلٌ ليدفعه الى الأحزن بن عوف أبيه . وأقبل حنيفة بنُ لُجَيْم أخو عجل، فتلقّاه بنو أخيه، فلم ير فيهم سعدا، فسألهم، فقالوا : انْطَلَقَ به أبُونا الى أبِيه . فذهب حنيفة في طلبه فلقيه راجعا قد وضع الغلام في يد أبيه . فجمع حَنِيفَة بني أخيه إليه وسار الى الأحْزَن ليأخذ سعدا، فوجده مع أبيه ومولى له، فاقتتلوا . فقال الأحزن لسعد : يابُنَيّ ! ألا تُعِينُنِي على حَنِيفة ؟ فكعّ الغلام عنه، فقال الأحزنُ حينئذ : ابْنُكَ ابْنُ بُوحِكَ، الذي يَشْرَبُ مِن صَبُوحِك، فذهبت مثلا . وضرب حنيفةُ الأحزنَ بالسيف فجَذَمَه، فَسُمّي جَذيمَة . وضرب الأحزنُ حنيفةَ على رِجْلِهِ فَحَنَفَها، فسمّي حَنِيفَة، وكان اسمه أثَالَ بنَ لُجَيْم . فأخذ حنيفة سعدا فردّه الى عِجْل . وقال بعضهم : البَاحَةُ وسط الدار، وجمعها بُوحٌ . ومن كلامهم : ابْنُكَ

ابْنُ بُوحِك، الذي يَشْرَبُ مِن صَبُوحِك . انتهى . فَجَعَلَه من بَاحَة الدار.

ابْنُكِ مَنْ دَمَّى عَقِبَيْكِ .

الدَّمُ أصْلُه دَمْيٌ . وتقول : دمِيَ الشيء، بالكسر، يَدمَى، فهو دَمٍ ودَامٍ ؛ وأدْمَيْتُه أنا، ودَمَّيْتُه تَدْمِيَةً . وهذا المثل كالذي قبله . قيل : وقائله امرأة الطُّفَيْل بن مَلِك بن جعفر بن كلاب. وكانت من بلقين،[و] ولدت للطفيل عُقَيْل بن الطُّفَيْل ، فَتَبَنَّتْه ضرَّتُها كَبْشَةُ بنت عُرْوَة بن جعفر بن كلاب . ثمَّ إنَّ عُقَيْلاً ذات يوم ضربته أمُّه، فجاءت كبشةُ فمنعتها وقالت ابني ! ابني ! فقالت لها البلقينيّة ابْنُكِ مَنْ دَمَّي عَقِبَيْكِ، وهو بكسر الكافَيْن مُخَاطَبَةً بها، أي : ابنكِ هو الذي نَفِستِ به حتى أدمَى النِّفاسُ عقبيك، لا الذي تَتَبَنَّيْنَهُ ولم تَلِدِيه . ولما قالت البلقينيّة هذا الكلام لكبشة، انقلبت عنها مغمومة منكسرة، إذ لم يكن لها ولد، وتعظَّمت عليها ضَرَّتُها بولدها، فاشتملت كبشة على عامر بن الطفيل في تلك الليلة، فجاءت به أسْوَدَ أهل زمانه، وأنْجد أهل زمانه، وأفْرَس أهل زمانه، حتى كان مناديه ينادي بعكاظ : هل من راجِلٍ فَأحْمِلَه، أو مِنْ خائفٍ فأُؤمِّنَه ؟.

بِهِ لاَ بِظَبْيٍ .

الظَّبْيُ معروف، جمعه ظِبَاءٌ، وأظْبِي، وظُبِيٌّ . وهذا المثل يقال عند الدعاء على أحد بالمصائب والموبقات، وان لا يعدلن عنه عند الشماتة به . والمعنى : جعل الله ما أصابه لازماله ! قال الفرزدق، لما مات زياد، وكان مسكينٌ الدَّارمِي رثاه بقوله :

رأيْتُ زِيَادَةُ الاسلامِ ولَّت ... جِهَارا حِينَ فَارَقَها زِيَادُ

فقال الفرزدق يَردُّ على مسكين :

أمِسْكِينُ أبْكى اللَّه عينك إنَّما ... جرى في ضَلالٍ دَمعُها فتَحدَّرا

بَكيتَ امرءا فظّا غليظًا مُبغَّضًا ... ككسرى على اعدائه وكقيصرا

أقول له لما أتاني نعِيُّهُ ... بِهِ لا بِظَبْيٍ بالصَّريمَة أعْفَرا

وقال أبو تمَّام من قصيدة له :

قَتَلَتْه سرًّا ثُمَّ قالت جَهْرَةً ... قَولَ الفَرزدق لا بظَبيٍ أعْفَرا

بَاءَتْ عَرَارِ بِكَحْلٍ .

يقال : باءَ إليه، يَبُوءُ، إذا رجع إليه وانقطع ؛ وبَاءَ بِذَنْبِهِ بَواءً إذا احْتَمَلَه أو اعترف به ؛ وبَاءَ دَمُهُ بِدمِهِ : عَدلَ به ؛ وباء فلان [بفلان] إذا قُتِلَ به فقاومه . ومنه قول مُهَلْهِلٍ للبَكْرِيّ الذي قَتَلَه : بُؤ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْب ! وقول الشاعر :

فَقلت له : بُؤ بآمرىء لستَ مِثلَه وإن كنت قُنعانا لمن يَطلب الدَّما !

وعَرارٍ، على وزن رقَاشٍ . وكَحْلٌ بفتح الكاف وسكون الحاء : بقرتان، [وكانتا قد انتطحتا فماتتا معا، فقيل : بَاءَتْ عَرارِ بِكَحْلٍ]، أي باءت هذه بهذه . يُضْرَبُ إذا قُتِل القاتلُ بمقتوله . ويضرب لكل متكافئَين متساويَيْن .

بَالَ حِمَارٌ فاسْتَبَالَ أحْمِرَةً .

البَوْلُ معروف . يقال : بال، يبول، بَوْلاً . والحمار معروف . ومعنى استبال أحْمِرة : حَمَلَهُنَّ على البول لمَّا بَالَ . وأمَّا قول الفرزدق :

وإنَّ الذي يَسْعَى لِيُفسِد زوجَتي كساعٍ الى أُسد الشَّرِي يَسْتَبيلُهَا

فقالوا : معناه يأخذ بَولَها في يده . ولا يبعد أن يكون معناه : يَحْمِلُها أن تبول عليه، ويتعرَّض لذلك، أي يتعرَّض لهجوي، كما قال الآخر :

تَعَرَّضَتْ (بياض) لِأهْجُوَهَا[17م] كما تعَرَّضَ لاسْتِ الخارِيء الحَجَرُ

والمثل المذكور يضرب في تعاون القوم على المكروه، وتنافسهم في الشرّ.

بَالَتْ عَلَيه الثَّعَالِبُ .

الثعالب جمع ثَعْلب . يضرب هذا المثل للشرّ الواقع بين القوم، وفساد ما بينهم . قال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْر :

ألم تَر ما بَيني وبَينَ مُحاربٍ مِن الودّ قد بالت عليه الثَّعالِبُ

وأصْبح باقي الودّ بيني وبينه كأن لم يَكن والدَّهْرُ فيه عجائب

بَاتَ فُلاَنٌ بِلَيْلَةِ ابْنِ المُنْذِرِ.

هو النعمان بن المنذر، أي بليلة شديدة.

17م) كذا في المخطوطات، وتمامه من ديوان جرير : تَعَرَّضَتْ تَيْمُ لِي لأهْجُوَهَا

بَاتَتِ المَرْأَةُ بِلَيْلَةٍ حُرَّةٍ.

أي إذا لم يقدر الزوجُ على افتضاضها ليلة هدائها . ويقال لَيْلَةٌ حُرَّةٌ بالوصف، وهي أولُ ليلة من الشهر . قال النابغة :

شُمْسٌ مَوانع كلَّ ليلَةِ حُرَّةٍ يُخْلفنَ ظنَّ الفاحش المغيار

بَاتَتْ بِلَيْلَةِ شَيبَاء.

يقال : لَيْلَةُ شَيْبَاء بالاضافة، ولَيلَةُ الشَّيْبَاء، وهي آخر ليلة من الشهر . ويقال ذلك إذا غُلبَتْ على نَفْسِها، عكس الذي قبله.

بَاتَتْ بِلَيْلَةِ أنْقَدَ.

الأنْقَدُ بالدال المهملة، على مثال أحْمَر ـ: القُنْفُذ، وهو يبيت الليل كلَّه لا ينام، فيقال لمن بات غير نائم : بَاتَ بِلَيْلِ أنْقَد . وذكر في الصِّحاح أنَّ لفظ أنقد معرفة كأسَامة للأسد . وجوَّز غيره أن تدخل عليه الألف واللام.

بِيَدي لاَ بِيَدِ عَمْرٍو.

قالته الزَّبَّاء المَلِكَةُ السابقُ ذِكْرُها . وعمرو هذا هو عمرو بن عدي بن نَصْر اللَّخمي ابن أخت جَذيمَة . وسبب ذلك أنَّ الزبَّاء، لما قتلت جَذيمَةَ كما مرَّ، رجع قَصِيرٌ إلى عمرو بن عدي فقال له : قُمْ بِثَأرِ خَالِك من الزَّبَّاء ! فقال عمرو : كَيْفَ لِي بِها، وهِيَ أمْنَعُ مِن عُقَاب الجَوّ ؟ فأرسلها مثلا . فقال قصير : اطْلُبِ الأثر وخَلاَكَ ذَمٌّ ! فذهبت مثلا . فقال له إني، والله، لا أنام على طلب دمه ما لاح نجم أو طلعت شمس، حتى أدركه أو تخترم نفسي دونه ! ثم قال قصير لعمرو : اجدع أنفي، واقطع أذني، واضرب ظهري، حتى تؤثِّر فيه، وخَلِّني وإياها ! ففعل عمرو ذلك . وقيل إنَّ عمرا أبى عليه، ففعل هو ذلك بنفسه، فقالت العرب : لأمرٍمَّا جَدَعَ قَصِيرٌ أنْفَه فذهبت مثلا . قال المتلمِّس :

ومِن طَلَبِ الأوتار ما حزَّ أنفَه قَصيرٌ وخاض الموت بالسَّيف بَيْهَسُ

ثم إن قصيرا ذهب فَلَحِق بالزبَّاء، فقالت له : ما أتى بك إلينا يا قصير، وبيننا وبينك دم عظيم الخطر ؟ فقال لها : يا ابنة الملوك العظام، قد كان دم الملك ـ يعني أباها ـ يطلُبُ جَذِيمَةَ حتى أدركه ؛ وقد أتيتك فيما يأتي فيه مثلي مثلَك مستجيرا من عمرو،

فإنّه اتّهمني بقتل خاله، وفعل بي ما تَرَيْن . وقد حال بيني وبين أهلي وولدي، وخَشِيتُ على نفسي، فأتيتك . فأعطته الجِوار وأنزلته مكرما مخدما . فأقام مدّة لا يكلّمها، وهو يتطلّب لها الحيل ويتأمّل الفرص . ثم قال لها يوما : إنّ لي بالعراق أموالا كثيرة، وذخائر نفيسة، ممّا يصلح بالملوك . فإن أذنْتِ لي في الخروج الى العراق وأعطيتني شيئا اتعلّل به تجارة وأتخذه وصلة إليها، أتيتك بما أمكنني منها . فأعطته مالا، فرجع إليها بأرباح كثيرة وطرائف خطيرة . فلمّا رأت ذلك أعجبها وعظمت منزلتُه عندها، ورغبت فيه . ولم يزل يتلطّف **إليها** ويتقرّب، حتى أعادته مرّة أخرى الى العراق، فأضعف لها الأموال، وأتاها من الجواهر والخَزّ والبَزّ والدّيباج بشيء عظيم، فازدادت منزلته عندها . ويقال إنّه رجع مرّة ثالثة، فأتاها بأكثر من الأولَيَيْن . فبلغ منها مكانة عظيمة حتى إنها كانت تستعين به في مهماتها . وكان لبيبا أديبا . وكانت ابْتَنَتْ على الفرات مدينتين عظيمتين، واتخذت بينهما نَفَقًا . فإذا أوجَسَت شرّا دخلت النَّفَقَ . فلما بلغ قصيرٌ من مداخلتها ما بلغ، عرف النَّفَقَ وعرف الطريق إليه. فعند ذلك رجع مرّة أخرى للتجارة. ويقال انها هي التي قالت له : أريد أن أغزو بلد كذا من أرض الشام، فاخرج الى العراق فَأْتِنِي بكذا وكذا من السلاح والكُراع والعبيد والثياب ! فقال قصير : ولي في بلد عمرو بن عدي ألفُ بعير، وخزانة من المال، وخزانة من السلاح فيها كذا وكذا، وما لعمرو به علم . ولو قد علمه لاستعان به على حرب الملكة، وقد كنت أتربّص به المَنُون، وها أنا أخرج مُتَنَكّرا من حيث لا يعلم فأتى الملكة بذلك مع الذي سألت، فأعطته من المال ما أراد. ويذكر أنها قالت [له] إذ ذاك : يا قصير ! المُلْك يَصْلُح لمثلك، وعلى يد مثلك يصلح أمره . ولقد بلغني أن أمر جَذيمَةَ كان إيرادُه وإصدارُه إليك . وما يَقْصُر بك عن شيء تناله يدي، ولا يقعد بك حالٌ ينهض بي فسمع كلامها رجل من خاصّة قومها فقال : أسَدٌ خَادِر، ولَيْثٌ ثائر، قَدْ تَحفّزَ لِلوثْبَة ! فلما سمع قَصِيرٌ كلامَها، وعلم ما بلغ من قلبها قال : الآن تمكن الخداع ! وخرج من عندها فأتى عمرا، فقال له : قد أصبت الفرصة . قال له عمرو : قُلْ أسمع، ومُرْ أقْبَل، فأنت طبيب هذه القُرحَة ! قال : الرجال والأموال فقال عمرو : حُكْمُك مسلّطٌ فيما عندي ! فعَمَدا الى ألفيْ رجل من فُتّاك قومه، فحملهم على ألفيْ بعير في الغرائر السود. ويقال

إنه اتحذ الجُوالق - وهو أوّل من اتخذها - وحمل فيها الرجال، وجعل ربطها من داخل . فأتى بها وأخذ غير الطريق، وجعل يسير الليل ويَكمنُ النهار. وجاء عمرو معه . وكان عمرو قد صُوّر للزبّاء قاعدا وقائما وراكبا . فلما عَمِي عنها خَبَرُ قَصِير، سألت عنه فقيل لها إنه أخذ على طريق الغويْر، فقالت : عَسَى الغُوَيْرُ أبْؤسًا . فذهبت مثلا، وسيأتي . فلما قربوا، تقدّم قصير، ودخل على الزبّاء فقال لها : قفي فانظري الى العِير ! فرقِيَتْ سطحا وجعلت تنظر الى الابل تحمل الرجال . فقالت : ياقصير،

ما للجِمال مَشْيُها وئِيدا أجَندلاً يَحمِلن أمْ حَديدا ؟
أمْ صَرفانًا بَاردا شَديدا أمِ الرِّجَالَ جُثَّمًا قُعُودا ؟

ويقال إن الزبّاء كان وشِيَ لها بقصير، فلما رأت مِشْية الأجمال ازدادت الريبةُ في قلبها فقالت ذلك . فلما دخلت العِير القصر، وعلى الباب بوّابون من النَّبَط، وفيهم رجلٌ بيده مِخْصَرةٌ فطعن بها جوالقا فأصابت المخصرةُ رجلاً فضرط، فقال البوّاب بالنَّبَطِيَّة : بشتا ! بشتا ! أي الشَّرّ ! الشَّرّ !. فاستلّ قصيرٌ السيف فقَتَل النَّبَطِيَّ، فدخل عمرو، وكان وراء الابل . فبركَتِ الابل، وخرج الرجال، وذهب عمرو فوقف على فم النفق، وكان قد وصفه له قصير وعرّفه به . فجاءت الزبّاء نحو النَّفق . فلمّا رأت عمرا عرفته بما صُوِّرَ لها، فمصّت خاتما كان في يدها مسموما وقالت : بِيَدي لا بيَدِ عَمْرٍو، فماتت . ويقال إنه هو قتلها بالسيف، واستباح بلادها . ومعنى المثل ومَضْرِبُه واضح .

بِيَدَيْنِ مَا أوردها زائدة .

اليد تطلق على الجارحة وعلى القُوّة الناشئة عنها . ويُثَنّى بالمعنى الثاني أيضا، كما يثنّى بالمعنى الأول الحقيقيّ . قال تعالى : لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ . وقال عُرْوَةُ بن حِزام :

فَقالوا شَفاكَ اللّهُ والّلهِ مالنا بما حَملتْ مِنك الضُّلُوع يَدانِ

واليد في المثل، إن كانت بالمعنى الحقيقي، فهي كناية عن الجِدّ والشدّة والقوّة، لأنّ العامل عملاً بكلتا يديه يكون عليه أقوى وأشدّ من الذي يعمله بيد واحدة ؛ وإن كان بالمعنى الثاني، فواضح، وثنّيت للمبالغة . والمثل يضرب للجَلادة والقوّة في العمل[18]

---

18) في مجمع الأمثال للميداني : زائدة : اسم رجُل. يريد بالقوة والجلادة أورد إبله الماء، لا بالعجز.

بَـيْـضُ القَـطَـا يَـحْـضُـنُـهُ الأجْـدَلُ .

القَـطَـا : الطير المعروف، واحدته قَـطَـاة، وتقدَّم أنها تُـعدّ في الحَـمَـام . وتبيض ولا تزيد غالبا على ثلاث بيضات، ومن ثمَّ يقال لِـلْـقَـطا أمُّ ثَـلاث . قال الشاعر :

وأمُّ ثَـلاثٍ إنْ شَـبَـبْـنَ عَـقَقنَـهَا وإن مُـتن كان الصَّبر مِـنها على صبر

وحَـضَـانة الأولاد معروفة، وأصل الحَـضْـن جعلُ الشيء تَـحتَ الابط . والاجْـدَلُ هو الصَّقْرُ، مشتقّ من الجَـدْلِ وهو القوّة، وغلبت عليه الصفة . وهذا المثل يضرب في الضعيف يستنِـد الى القويّ ويَـأوي إليه.

بَـيَّنَ الصُّبْـحُ لِـذِي عَـيْـنَـيْـنِ.

معناه أنَّ الليل لاظِـلامه يستوي فيه البصير والأعمى، فإذا أقبل الصبح تبيَّنت الأشياء لكلّ ذي بَـصَـرٍ فأدركها . أو معناه أن الصبح لظهوره يُـدركه كلُّ ذي بصر لا يَـمْـتَـري فيه ولا يلتبس عليه . يضرب في الشيء يتَّضح وينجلي بحيث لا يتطرَّق إليه التباس . ويقال أيضا : وضَـحَ الصُّبْـحُ لِـذِي عَـيْـنَـيْـنِ . وأصل المثل لقيس بن زُهَـيْـر العَـبْـسِيّ صاحب الحروب بين عَـبْـس وذُبْـيَـان بسبب الفرسَـيْـن داحِـسٍ و الغَـبْـراء . وسنشرح ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى . وكان فيس داهية من دُهاة العرب، يُـضرب به المثل في ذلك كما سيأتي . فحكي أنَّ رجلا مرَّ بحيّ الأحوص، فلما دنا من الحيّ نزل عن راحلته، فعمد الى شجرة فعلَّق عليها سِـقَـاءً من لبن، وجعل على بعض أغصانها حنظلة، ووضع صُـرَّة من تراب وصُـرَّة من شوك، ثم استوى على راحلته وانطلق . فنظر القوم الى ذلك فعَـمِـيَ عليهم أمْـرُه، فأرسلوا الى قيس بن زهير، فلما جاءهم قال له الأحوص : ألم تخبرني أنَّه لا يَـرِدُ عليك أمرٌ إلاَّ عرفت مَـأتَـاه ؟ قال : ما ذاك ؟ فأراه ذلك، فقال : وضَـحَ الصُّبْـحُ لِـذِي عَـيْـنَـيْـنِ . فأرسلها مثلا، ثم قال : هذا رجل أسَـرَهُ جيشٌ قاصدٌ إليكم، ثمَّ أطلِـق بعد أن أخِـذ عليه العهدُ والميثاقُ أن لا يُـنْـذركم، فَـعَـرَّض لكم بما تَـرَوْن . أمَّا الصُّرَّة من التراب فإنَّه يزعم أنَّه أتاكم عدد كثير ؛ وأمَّا الحنظلة فإنَّه يزعم أنَّ بني حنظلة قد غَـزَتْـكم، وأمَّا الشَّوْك فيخبر أنَّ لهم شوكة، وأمَّا اللّبن فإنَّه دليل على قرب القوم (أو بعدهم إن كان حلوا أو حامضا . فاشتد القوم)[19] فكان كما قال .

19) سقط ما بين قوسين من ا

وممّا يلتحق بهذا الباب قولك مثلا . أبْردُ من الثّلج، وأبْردُ مِن قرّة، ونحو ذلك . وهذا النحو من الأمثال لا يختصّ بنوع ولا ينحصر في شيء، إذ ما من شيء اتصف بصفة وامتاز بمزيّة من برودة أو بله أو بطء أو إبصار أو غير ذلك من الأوصاف، إلا ولكَ أن تضْرِبَ به المَثَلَ، إمّا تفضيلا أو تشبيها . وهكذا في كل باب ؛ غير أنّ ما اشتهر من ذلك يثبت في الكتاب، وما سواه فسائغٌ استعمالُه، غيرُ محذورٍ ارتكابُه.

وقولهم : بِفُلانٍ تُقْرَنُ الصَّعْبَةُ.

يقال للرجل إذا كان نافذا في الأمور قويّا عليها نهّاضا بها.

وقولهم : بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي .

[في] الأمر يكون بعد مُعَانَاةِ الكَدّ ورُؤْيَةِ الشّدّة.

وقولهم :هُوَ ابْنُ زَوْمَلَتِهَا، أي عالمٌ بها.

وقولهم :هُوَ بَيْنَ سَمْعِ الأَرْضِ وبَصَرِهَا، إذا لم يُدر أيْنَ تَوجّه. أو يراد به أنّه بأرض خالية بحيث لا يسمعه ولا يبصره [إلا] الأرض. وقيل أريد بسمع الأرض وبصرها طولُها وعَرضُها. وضمّن هذا المثل أبو محمد بن عبدون رحمه الله ! في قصيدته التي يرثي بها بني المظفّر، فقال :

وأنْفَذتْ فِي كُلَيْبٍ حُكْمَهَا ورمت مُهلْهلا بين سَمع الأرضِ والبَصَرِ

ومن أمثال العامّة في هذا الباب قولهم : يَبْرَ الجُرحُ السُّوء، ولا يَبْرَا الكَلاَمُ السُّوء. وأصله يزعمون أنّ شخصا أدّاة تطوافُه الى أن سقط في مغارة أسد منكسرا، فوجد أشباله فلاذبها . فلما دخل عليه الأسد ورآه على تلك الحال، رقّ له وجعل يأتيه باللحم ويقدّمه إليه ويرفق به حتّى برىء وذهب الى أهله . فبينما هو يحدّثهم ذات يوم بقصّته مع الأسد، إذْ جاء الأسد فاستمع من وراء البيت، وسمعه يقول لهم : ما رأيت في الأسد من عيب إلاّ بَخَرًا في فيه، يدنو مني فيؤذيني غاية الايذاء . فلمّا سمع الأسد كلامه أحفظه. فبينما ذلك الشخص يوما في موضع إذ وجده ذلك الأسد وعرفه، فقال له الأسد : أما كان لي عليك حقّ وجزاء لنعمتي ورفقي وإحساني بك ؟ أو نحو هذا . قال :نعم ! قال له : فإني أسألك أن تضربني بهذا الفأس ضربة بين عينيّ منكرة . فأبى عليه، وألحّ عليه الأسد حتى ضربه . فذهب، ومكث زمانا حتى برئت تلك الضربة وذهب أثرها . فرجع إليه

حتى لقيه فقال له : انظر هل ترى لضربتك التي ضربتني أثرا ! قال : لا ! فقال له حينئذ : يَبْرُؤُ الجُرحُ السُّوءُ، ولا يَبْرُؤُ الكَلامُ السُّوءُ يعني قوله فيه إنَّه كان أبْخَرَ، وافترسه.

ولنحو هذا يقول العامَّة في مثل آخر : مَنْ ذَا يَقْدِرُ أن يَقُولَ لِلأسَدِ : فُوكَ أبْخَرُ ؟

وقولهم : البَرَكَاتُ في الحَرَكَاتِ .

وقد ورد في مدح السفر والحضّ على التحوّل والحركات لنيل الأوطار كلام كثير . قال صلَّى الله عليه وسلَّم : سَافِرُوا تصِحُّوا، واغْزُوا تستَغْنِمُوا ! ويُروى : سَافِرُوا تصِحُّوا وتَغْنَمُوا ! وقال : الأرْضُ أرضُ اللَّهِ، والعِبَادُ عِبَادُ اللَّهِ : فَحَيْثُ وجَدَ أحَدكُم رِزْقَهُ، فَلْيتَّقِ اللهَ ولْيُقِم . وقال : ماماتَ ميّتٌ بأرضٍ غُربةٍ إلاَّ قِيسَ بِهِ من مَسْقِطِ رأسِهِ الى مُنْقَطَعِ أثَرِهِ فِي الجَنَّةِ . وقال : مَوْتُ الغَرِيبِ شَهَادَةٌ .وقال : مَنْ مَاتَ غَرِيبًا مَاتَ شَهِيدا. وفي التوراة : ابْنَ آدَمَ، أحْدِثْ سَفَرًا أُحْدِثْ لَكَ رِزْقًا . وفيها أيضا : ابْنَ آدَمَ، خُلِقْتَ مِنَ الحَرَكَةِ الى الحَرَكَةِ : فَتَحَرَّكْ وأنَا مَعَكَ ! وفي بعض الكتب : امْدُدْ يَدَكَ الى بَابٍ مِن العَمَلِ، أفْتَحْ لَكَ بابًا مِنَ الرِّزْقِ ! وقال صلَّى الله عليه وسلَّم لِوفْدِ عبدِ القيس : ما المُروءَةُ فِيكُم ؟ قالوا : العِفَّةُ والحِرفَةُ . وقال موسى بن عمر ان عليه السلام : لا تَلُومُوا السَّفَرَ ! فإنِّي أدْرَكْتُ فيه مَالَمْ يُدرِكْ أحَد، يريد أنَّ الله كَلَّمَه . ونظمه أبو تمَّام بقوله :

فَإنَّ مُوسى صلَّى عَلَى رُوحِهِ اللَّهُ صَلاةً كَثِيرةَ القُدسِ
صَار نَبِيًّا وعَظم بُغْيَتِهِ في جَذوةٍ لِلصِّلاءِ أو قَبَسِ

قيل : وقد قال رجل لمعروف الكرخي : يا أبا محفوظ، أتَحرَّكُ لطلب الرزق أم أجْلِسُ ؟ قال : بل تحرَّك، فإنّه أصلحُ لك ! فقال له : أتقول هذا ؟ قال : ما أنا قلته، ولكنه عزَّ وجلَّ أمر به حين قال : وهُزِّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا، ولو شاء أن يُنزله عليها فعل. وفي هذا أنشد الثعالبيّ :

ألَم تَرَ أنَّ النَّله أوحى لمريَم فَهُزي إليكِ الجذع تساقط الرُّطب
ولو شَاء أن تجنيه من غير هزها جنته ولكن كلُّ شيء له سبب

وقال المأمون : لاشيء ألذ من السفر في كفاية، لأنك تحلُّ كلَّ يوم محلَّة لم تَحْلُلها، وتعاشرُ قوما لم تعاشرهم . وقالوا : ربَّما أسْفَرَ السَّفَرَ، عَن الظَّفَرِ . وقالوا : [إنَّ] من فضائل السفر أنَّ صاحبه يرى من عجائب الأمصار، ومحاسن الآثار، ما يزيد علمًا بقدرة الله، ويدعو الى شكر نعمته . وقالوا : السفر يَشُدُّ الابْدَان، ويُنَشِّطُ الكسلان، ويسلّي الثَّكلان، ويُشَهِّي الطعام، إذ ليس بينك وبين بلدٍ نسب، فخير البلاد ما حمل . وكتب ابن رشيق الى بعض إخوانه : مَثَلُ الرَّجُل القاعد ، أعزَّك الله ! ـ كمثل الماء الراكد، إن تُرِك تغيَّر، وإن حُرِّك تكدَّر ؛ ومَثَلُ المسافر كالسحاب الماطر، هؤلاء يَدْعُونه نِقْمة، وهؤلاء يدعونه نِعمة . فإذا اتصلت أيامُه، ثَقُل مُقَامُه، وكثر لُوَّامه . فاجْمَعْ لنفسك فُرْجة الغَيْبَة، وفَرحَة الأوبة ! وقالوا : المسافر يسمع العجائب، ويكشِفُ التَّجَارب، ويَجْلُب المكاسب . أوْحِشْ أهلَك إذا كان أُنْسُك في إيحاشهم، واهْجُر وطَنَك إذا نَبَتْ عنك نفسك ! وقيل لأعشى بَكْر : الى كَمْ ذَا الاغترابُ ؟ أما ترضى بالدَّعَة ؟ فقال : لو دامت الشمس يوما عليكم لَمَلَلتموها . وأخذه أبو تمَّام فقال :

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحيِّ مخلقٌ لِديباجتيْه فاغتَرب تتجَدَّدِ !
فإني رأيت الشَّمس زيدَت محبَّةً الى الناس أن ليست عليهم بسَرمدِ

وقال الحكماء : لا تُنال الراحة إلاَّ بالتعب، ولا تُدرك الدَّعَةُ إلاَّ بالنَّصَب . وقال أبو تمَّام :

ولَكنني لم أحْوِ وفرا مُجمَّعًا ففزت به إلاَّ بشَملٍ مُبدَّدِ
ولم تُعطني الأيَّام يومًا مُسكنًا ألذُّ بِهِ إلاَّ بنَومٍ مُشَرَّدِ

وقال النابغة الجعديّ في هذا المعنى الذي نحن فيه :

إذا المرءُ لم يطلُبْ معَاشًا لنفسه شَكا الفَقر أو لام الصديق فأكثرا
فسِرْ في بلاد اللَّه والتمسِ الغِنى تعشْ ذا يسار أو تموتَ فتعذرا

وقال ابن صارة :

سافر فإنَّ الفتى من بات مُفتتِحًا ... قفل النَّجاح بمفتاحٍ من السَّفرِ
إن شئت خضرتَها يا ابن الرجاء فكن ... في طي غُبر الفيافي ثانيَ الخضر
ولا يَصُدَّنَّكَ عَن وجهٍ تَصعَّبُه ... قد ينبع الكوثَر السَّلسال من حجر

وقال الآخر :

تُخوِفُني طول السِّفار وإنَّني ... لتقبيل كفِّ العامريِّ سفيرُ
ذريني أردْ ماءَ المَفاوزِ آجِنًا ... إلى حيث ماءُ المكرماتِ نَميرُ
وإنَّ خَطيرات المهَالِك ضُمَّنٌ ... لِراكبها أنَّ الجَزاءَ خَطيرُ

وقال الآخر :

لا يَمنعنَّك خفْضَ العيش في دعَةٍ ... نُزوعُ نفس الى أهلٍ وأوطَانِ
تلقى بكلِّ بلادٍ أنت ساكِنُها ... أهلاً بأهلٍ وجِيرانًا بجيرانِ

وقال البُحْتُريّ :

وإذا الزَّمان كَساكَ حُلَّةَ مُعدمٍ ... فالبَس لَه حُلك النَّوى وتَغَرَّبِ

وقال الآخر :

لَيس ارتِحالُك ترتَاد الغِنى سَفرا ... بَل المُقام على خَسفٍ هو السَّفَر

وقال أبو الفتح البُسْتِيّ :

فالحُرُّ حرٌّ عزيز النَّفس حيث ثَوى ... والشَّمس في كلِّ برجٍ ذات أنوارِ

وقال ديكُ الجِنّ :

ولَيس المرءُ ذُو العَزمات إلاَّ ... فَتًى تلقاه كلَّ غَدٍ بلادُ

وقال الآخر :

يُقيم الرِّجالُ الأغنياءُ بأرضهم ... وترمي النَّوى بالمُقترينَ المَراميا

وقال البُحْتُريّ :

وإذا ماتَنَكَّرتْ لِي بِلادٌ ... أو صَديقٌ فإنَّنِي بالخِيَارِ

وقال أبو الطيّب :

إذا لم أجد في بَلْدةٍ مَا أُريدُهُ ... فَعِندي لأخْرى عَزمةٌ وركَابُ

وقال :

وما بَلدُ الانسان غَير المُوافِقِ ولا أهلُه الأدنَوْنَ غَير الأصادقِ

وقال الآخـــر :

غِب عَن بِلادك وارجُ حُسنَ مَغَبَّةٍ إن كُنت حقًّا تشتكِي الإقلالاَ
فالبَدرُ لَمْ يُحْجَب بِه إدبارُهُ إلاَّ بغَيْرِ يَطْلُبُ الإقْبالاَ

وقلت أنا من جملة قصيدة :

لا يَكسُك الوطنُ الأليفُ مذلَّةً إن كُنتَ تَكتَسِبُ العُلى بتغرُّب
فالجار من يدنو إليك مُواتِيًا في كلِّ أرضٍ بالجِوار الأطيَبِ
ومَن احْتبَاكَ مَودَّةً ونَصِيحةً في حالتيكَ فَذاكَ خيرُ الأقربِ

وهذا باب لا يحصى . وقد أكثروا في عكس هذا المقصد، وهو مدح الاقامة والاخلاد الى الراحة وانتظار الفرج واستمطار الرجاء . قال الأعشى :

ومَن يغترب عَن قومِهِ لا يزل يرى مصارعَ مظْلومٍ مُجرَّ ومُسحَبا
وتُدفَنُ منهُ الصَّالحاتُ وإنْ يُسِيءْ يَكُن ما أساء النَّار في رأس كبكبا

وقال زهيـــر :

فَقرِّبي في بلادك إنَّ قَومًا مَتى يَدعُوا بلادَهُمْ يَهُونُوا

وقال الآخـــر :

لَقُربُ الدَّار في الاقتار خَيرٌ مِن العَيشِ المُوسَّعِ في اغتِرابِ

وقال الآخـــر :

وما زِلْتُ أقْطَع عرضَ البِلاَ دِ مِن المَشْرقَين إلى المغْربَينِ
وأدَّرِعُ الخَوفَ تَحتَ الرَّجا وأسْتَصْحبُ الجَدي والفرقَدينِ
وأطوِي وأنْشُر ثَوبَ الهُمُو مِ إلى أن رجَعتُ بخُفَّيْ حُنَينِ

وقال الآخـــر :

يُعطَى الفَتى فَينالُ في دعَةٍ ما لَم يَنل بالكدِّ والتَّعَبِ
فاطْلُب لنَفسِك فَضْل راحَتِها إذ ليست الأشيـــاء بالـــطَّلَبِ
إن كان لارزْقٌ بِلاَ سَـــبَبٍ فَرجَاءُ ربِّكَ أعْظَمُ السَّبَبِ

وقال الآخـــر :

قَـد يُـرزَقُ الخَـافِضُ المُقِيمُ وما شَدَّ لِعَنْسٍ رحْلاً ولا قَتَبَا
ويُحرمُ المَالَ ذُو المَطيَّة [والرَّ حْلِ] ومن لا يَـزالُ مُغْتَرِبا

وقال الآخر :

قَـد يُـرزقُ المَرءُ لم تَتعَبْ رواحِلُهُ ويُحرمُ الرِّزقَ بالأسفار والتَّعَبِ
إنِّي وعَمرِكَ لا أُحْصي ذَوِي حُمُقٍ الرِّزق أغْرَى بهم من لاصِقِ الجَرَبِ

وقال الآخـــر :

ألا رُبَّ باغٍي حاجةٍ لا ينالُها وآخَرَ قَـد تُقضَى له وهْو جالسُ

وقال الآخـــر :

قَـد يُـرزقُ المَرءُ لا مِن حُسن حيلَته ويصرفُ الرِّزق عن ذي الحيلة الدَّاهي
ما مسَّني من غِنى يومٍ ولا عَدَمٍ إلاَّ وقَـوليَ فِـيه الحَمدُ للَّهِ

وقلت أنا من جملة قصيدة :

لاَ ولا بالحِجَى تُنالُ الأمَاني لاَ ولاَ الجَهْلُ رائِدُ الحِرمَانِ
فالغِنى بالحِظَـاء لا بالتَّعنِّي والسَّـوى بالقضَـاء لا بالتَّـواني
كَم لَبيبٍ ذي نجدةٍ مات هزلاً وغَـبيٍّ يَـحُفُّهُ ألْـفُ هَـانِ
وكَرِيمٍ أذِيلَ بَعد اعْتِـزازٍ ووضِيعٍ يَسْمو عَلَى كِيوَان
قِسْمَةٌ قُدِّرَتْ وأُحْكِمَ مَبْنَـــاهَا قَضَاءُ المُهَيْمِنِ الدَّيَّانِ

ولنرجع الى المقصود خشية الطول .

وقولهم : **بِأضْدادِها تتبيَّنُ الأشْياءُ** . ونظمه أبو الطّيب حيث قال :

مَن يظلِم الكُلؤَماءَ في تَكليفِهم أن يُصبحُوا وهُمُ لَه أكْفَاءُ
ويَذُمُّهُم وبِهم عَرفْنا فَضْلَهُ وبِضِدِّهَـا تَتبيَّـنُ الأشيَـاءُ

ونحوه قول أبي تمّام :

كَثْرَةُ السَّفرِ يَـمْنَةً وشِمالاً أضْعَفَتْ في نَفِيسَةِ العِقْيانِ

ونحوه قول المعرّيّ :

والشَّيءُ لا يَكْتُسِ مُدَّاحُهُ إلاَّ إذا قِيسَ الى ضِدِّهِ
لَو لاَ غَضا نَجدٍ وقُلاَّمُهُ لَم يُثنَ بالطِّيب على رَنْدِهِ

وقد يُعاب الامتداح بنحو هذا بأنه امتداحٌ بكمال إضافيّ، وقلمَّا يخلو شيء من نحو هذا الكمال . والجواب أن ليس القصد إلى بيان كون الكمال إضافيًّا لا حقيقيًّا، بل الى بيان أنَّ الكمال اتضح غاية الاتضاح، وأنَّ سبب اتضاحه كذا . والشيء قد يكون في غاية الكمال والفضل، ويَخْفَى لشدَّة ظهوره، ولا يُعْرَف إلاَّ بالقياس لغيره . فلو لم يَخلُقِ اللهُ المرضَ لم يُعْرَفْ حسنُ الصحَّة ؛ وكذا الفقرُ والغنى، والمرارةُ والحلاوة، ونحو ذلك . ولو لم يُخْلَقِ الليلُ لما عُرفت فائدةُ النهار، كما قال حبيب :

بيَّن البَيْنُ فَقْدَهَا قَلَّمَا تَعرِفُ فَقداً لِلشَّمسِ حَتَّى تَغيبا

ولهذا ورد في الخبر أنَّه يرى المؤمن النار وما أبْدله به الجنة ؛ وكذا الكافر بالعكس .

وشاع في ألسنة العامَّة قولهم : **لا تَمْدَحْنِي حَتَّى تُجَرِّبَ غَيْرِي**، كما قال حبيب :

وإساءَاتُ ذِي الاساءَةِ يُذكِرْ نَك يوما إحسانَ ذِي الاحْسانِ

وقال أيضا :

إساءَةُ دهرٍ أذكَرَتْ حُسنَ فِعلِهِ إليَّ ولَولا الشَّرْيُ لَم يُعرَفِ الشَّهْدُ

وأمَّا قول أبي الطيب :

زانَتِ اللَّيلَ غُرَّةُ القَمرِ الطَّا لِعِ فيه ولَم يَشِنْها سَوادُهْ

فمراده به المبالغة في الثناء، وأنَّ طلعة الممدوح تكشف الظلماء مع غلبتها الأنوار، ولو أضاف إشراق طلعته الى النهار لم يمكن لذلك كبيرُ فضل، من حيث إنَّ الشيء يظهر بالنهار ولو ضعيفا . ولم يعتبر هو ما مَرَّ، وإنَّما اعتبر ما اعتبره النابغة حيث اعترض على حسَّان قوله : **يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى** . وكان النابغة تُضرب له قبَّةٌ بسوق عُكاظ، فيَعْرِضُ عليه الشعراء أشعارهم . فدخل عليه يومًا حسَّان بن ثابت وعنده الأعشى، وقد كان أنشده شعرا له فاستحسنه، وإذا بالخنساء فأنشدت :

ياصَخرُ وِرْدَ ماءٍ قَد تَناذرهُ أهلُ المِياه وما فِي وِرْدِهِ عارُ
مَشيَ السَّبَنْتَى الى هَيجاءَ مُعضلةٍ لها سِلاحان : أنْيابٌ وأظفارُ
فما عَجولٌ على بوٍّ تَحنُّ لَه لها حنينان : إعلانٌ وإسرار

ترتعُ ما غَفلت حتَّى إذا ذكرتْ فإنَّما هي إقبالٌ وإدبارُ
يومًا بأوجع منِّي يوم فارقني صخرٌ وللدَّهر إحلاءٌ وإمرارُ
وإنَّ صخْراً لَوالينا وسيِّدُنا وإنَّ صخرا إذا نَشتُو لَنحَّارُ
وإنَّ صخرا لتأتمُّ الهُداةُ به كأنَّهُ عَلَمٌ في رأسِهِ نَارُ
جوَّابُ قَاصيَةٍ جزَّارُ ناصِيَةٍ عقَّادُ ألويَةٍ للجَيْشِ جرَّارُ
حامي الحَقيقَةِ مَحمودُ الخَليقَةِ مَهديُّ الطَّريقةِ نفَّاعٌ وضرَّارُ

لَم تَرهُ جارةٌ يَمشي بساحَتها لِريبةٍ حينَ يُخلِي بيتَهُ الجارُ

فقال لها النابغة : لولا أنَّ أبا بصير ـ يعني الأعشى ـ أنشدني قبلك لقلت إنَّك أشعر الانس والجنّ فقال حسَّان : أنا أشعر منك ومنها ومن أبي بصير، حيث أقول :

لنا الجفناتُ الغُرُّ يلمَعْن بالضُّحى وأسيافُنا يقطُرن مِن نَجدةٍ دَما
ولَدْنا بَني العَنقاءِ وابْنَ مُحرقٍ فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابْنَما !

فقال له النابغة : إنَّك لشاعر لولا أنَّك قلت الجَفَنَات فقلَّلت العدد، ولو قلت الجِفَان كان أكثر ؛ وقلت يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى، ولو قلت يُشْرِقْنَ بِالدُّجَى كان أبلغ، وقلت يَقْطُرنَ، ولو قلت يَجْرِينَ كان أبلغ ؛ وفخرت بما ولَدْتَ ولم تَفْخَر بِمَنْ ولَدَك على أنَّك يا بَنيّ لا تحسن أن تقول :

فَإنَّك كاللَّيلِ الَّذي هُوَ مُدركِي وإنْ خِلتُ أنَّ المُنْتَأَى عَنك واسعُ

فقام حسَّان خجِلا منكسرا .

فائدتان : الأولى قول النابغة : أشعر الانس والجنّ، أو الجنّ والانس، خطأ في العربية . فإنَّ المعطوف في حكم المعطوف عليه واسم التفضيل إنَّما يضاف الى ما هو بعض منه، غير أنَّه إن كانت الرواية تأخير الجنّ أمكن أن يستسهل في التابع مالا يَسُوغُ في المتبوع.

الثانية : بيت النابغة الذي تبجَّح به وفَخَر به على حسَّان هو من جيِّد الشعر، وقد اعترضه الأصمعيّ في انتصاره للرشيد على البرامكة . فإنَّ النهار سواء هو والليل في الادراك واللحاق، ولا مزيَّة للَّيل حتى يخصَّ بالذكر . وقصَّة محاضرتهم مشهورة.

قلت : وأنت إذا علمت وأنصفت عرفت أن ليس لحاق النهار كلحاق الليل الذي تنقطع

الحركات لإقباله، ويَسْتَكِنُ كل أحد لغِشْيانه، ويخضع تحت أطنابه : فتشبيه المَلِك به أحقّ . ولْيَتَنَبَّهِ الأديب الى كلام النابغة وانتقاداته ليعرف مبلغ شعراء الجاهليَّة في معرفة الشعر والغوص على المعاني، ويقدّرهم حقَّ قدرهم في هذا الباب، ويعرف أنَّ البلاغة طوع أيْمَانِهم وأنَّها تدبّ على ألْسِنَتِهم دبِيبَ النمل، وتجري منهم مَجْرَى الدم، وتسري في أفكارهم سَرَيَان العذب السلسال، حتَّى يَعْرِفَ مقدارَ مَنْ تَحَدَّاهم ربُّ العزَّة بكلامه فأعجزهم، وأنَّهم لأَمْرٍ [مَّا] عجزوا وأذعنوا . فلا يغترَّ الفتى الجاهل اليوم ويتوهَّم، إذا سمع شقاشق أهل أعصاره أنَّ أولائك أغمار . وقولهم للانسان غير المستوطن : **بَيْتُهُ عَلَى ظَهْرِهِ** . وأصله في السلحفاة . ومثله قول الشاعر:

حَيْثُما كُنتُ لا أُخَلِّفُ رحلاً ... مَن رآني فَقَدْ رآني ورَحْلِي

وقد آن أن أذكر ما يتيسَّر من الأمثال الشعريَّة في هذا الباب، وما يَجْرِي على نَمَطِها، وينخرط في سَفَطِها . قالوا :

ومَنْ يَكُن الغُرابُ لَه دليلاً ... يُدلُّ بِه على جِيَفِ الكِلاَبِ

يريدون أنَّ من اتخذ الدنيء مرتادا، واللئيم قوّادا، فهو يسوقه الى سُخْفِه، أو يقعُ به في حَتْفِه . وقال الآخر :

ومن لَم يَكُن عَقْرَبًا يُتَّقى ... مَشَتْ بَينَ أثْوابِهِ العَقْرَبُ

وهو مثل قول العامَّة : **مَنْ لَمْ يَكُنْ ذِئْبًا أكَلَتْهُ الذِّئَابُ** . وقول ابن دريد :

مَنْ ظَلَم النَّاس تَحامَوْا ظُلمهُ ... وعزَّ فيهِم جانباهُ واحْتَمى

وَهُم لِمَن لاَنَ لَهُم جانِبُهُ ... أظْلَمُ من حيَّاتِ أنْباثِ السَّفا

وقال مِسكينٌ الدَّارِمِيُّ :

رُبَّ مَهزولٍ سَمينٌ عِرضُهُ ... وسَمينِ الجِسمِ مَهْزولُ النَّسَبْ

أي ربَّ مهزول البدن والجسم كريمُ الأب رفيعُ النسب صيّنُ الحسب، وبالعكس . وقال رجل من مَذْحِج :

إنَّ السَّوِيَّة أنْ إذا اسْتَغْنَيتُمُ[20] ... وأمِنتُمُ فأنا البَعيد الأجْنَبُ

وإذا تَكون كَرِيهَةٌ أُدعى لَها ... وإذا يُحاسُ الحَيسُ يُدعى جُندَبُ

20) في لسان العرب : هَلْ في القَضِيَّةِ أن إذا اسْتَغْنَيتُم.

هذا وجَدّكمُ الصّغارُ بِعَينِهِ لاَ أمَّ لِي إن كان ذَاك ولا أبُ !

والمثل هو البيت الوسط . وفي معناه مثل من أمثال النساء يقلن : **الطَّريَّةُ لِلهَاتِي، والقَسِيَّةُ لأَخَواتِي** . وقال النابغة :

ولَستَ بِمستبقٍ أخا لا تلُمّهُ على شَعَثٍ أيُّ الرِّجال المُهذَّب ؟

ومثله قول الآخر :

وإن كُنتَ لم تَصْحبْ سَوَى ذي كمالة فأين مِن الاخوانِ مَن هُو كامِلُ ؟

وقولي من قصيدة :

وإذا تَبْتغِي صديقًا بِلا ذَا مٍ فَعش مُفردًا عَنِ الخُلاَّنِ

وقال أبو عبد الله بن شَرَف في معنى بيت النابغة :

ولا تُعاتِب على نَقصِ الطِّباع أخًا فإنَّ بَدر الدُّجى لم يُعط تَكميلا

وقال لَبِيد :

ذهَب الَّذينَ يُعاشُ في أكنافِهم وبَقِيتُ في خَلفٍ كَجلدِ الأجْربِ

وقال ابن شرف في معناه :

كَم خانَني الدَّهر في أوفى الورى فمضى به وخلَّف مرذولاً فمرْذُولاَ

وقال الآخر :

ألا إنَّما الدُّنيا غَضارةُ أيْكَةٍ إذا اخْضرَّ مِنها جانبٌ جفَّ جانبُ

الغَضَارة : الطينُ اللاَّزِبُ الأخضر، وتطلق أيضا على الخِصْبِ والنِّعمة .

وقال ابن شرف في معنى البيت :

ولَم يزلْ ثَمرُ الدُّنيا لقاطفهِ رطبًا ويبسًا وماجوجًا ومعسولاَ

وقال الآخر :

وإنَّ امرءا قد سار تِسعين حِجَّةً على منهَلٍ مِن وردِهِ لَقَريبُ

وقال الآخر :

وأجرأُ مَن رأيْتُ بظَهرِ غيبٍ على عيبِ الرِّجالِ ذَوُو العُيوبِ

وقال ابن شرف في معناه :

ولَم تَجِد قطُّ عيَّابًا ومُفتَخرا إلاَّ على العيب والعَوراءِ مجبولاَ

وقيل للأحنف بن قيس : دُلَّني على رجل كثير العيوب ! فقال : اطلبه عيَّابا فإنَّه لا يعيب الناس إلاَّ بفضل ما فيه ! وقال امرؤ القيس :

وإنَّك لم يفخَر عليكَ كَفاخِرٍ ضَعيفٍ ولم يغلِبكَ مِثلُ مُغلَّبِ

وفي البيت مثلان سيأتيان إن شاء الله تعالى . ومثله قول أبي تمَّام :

وضَعيفَةٍ فإذا أصابتْ قُدرةً قَتَلتْ : كذلِكَ قُدرةُ الضُّعفاءِ

وقال الآخر :

راحتْ مُشرِّقةً ورُحتُ مُغرِّبًا : شتَّانَ بين مُشرِّقٍ ومُغرِّبِ !

ومثله ما أنشده الأصمعيّ من قول الشاعر :

أذكُر مجالِس مِن بني أسَدٍ بَعُدوا فَحنَّ إليهمُ القَلبُ

الشَّرقُ منزلُهم ومنْزلُنا غربٌ : وأينَ الشَّرقُ والغَربُ ؟

مِن كلِّ أبيَضَ جلُّ زينَتِهِ مِسكٌ أحَمُّ وصارمٌ عَضْبُ

ومُدجَّجٍ يُدعى بِشكَّتِهِ[21] وعَقيرةٌ بفِنائِهِ تَحبُو

وقال أبو تمَّام حبيب بن أوس الطائيّ :

السَّيف أصْدقُ إنْباءً مِن الكُتبِ في حَدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ

بيضُ الصَّفائح لا سودُ الصَّحائف في مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ والرِّيب

والعِلم في شهُبِ الأرْماحِ لامِعَةً بينَ الخَميسَينِ لا في السَّبعَة الشُّهب

وقال أيضا :

إذا المرءُ لم يستخلصِ الحزمُ نفسَهُ فذرْوتُه للحادثاتِ وغاربُهْ

أعاذلتا ما أخْشَن اللَّيلَ مركبًا وأخشَن مِنه في المُلمَّات راكبُهْ

دعيني وأهوالَ الزَّمانِ أفانها فأهْوالُه العُظمى تَليها رغائِبُهْ

فإنَّ الحُسامَ الهُنْدُوانِيَّ إنَّمَا خُشونتُه ما لَم تُفلَّلْ مضاربُهْ

وقال :

لأمْرٍ عَليهم أن تَتمَّ صُدورُهُ ولَيس عَليهم أن تَتمَّ عَواقِبُه

وقال أيضا :

21) في زهر الآداب : (1029:2) ومُدجَّجٍ يَسعَى لِغَارَتِهِ.

سَلي هَلْ عَمَرتُ القَفرَ وهْو سباسبٌ ... وغادَرتُ رَبعي من ركابي سباسِبا
وغرَّبتُ حتَّى لم أجِد ذكرَ مَشْرقٍ ... وشَرَّقْتُ حتَّى قَد نسيتُ المغاربا
خُطوبٌ إذا لاقَيتُهنَّ ردَدْنَني ... جريحًا كأنِّي قَد لقيتُ الكتائبا
ومَن لم يُسلِّم للنَّوائبِ أصبحَتْ ... خَلائقُه طُرًّا عليه نَوائِبا
وقَد يكْهَم السَّيفُ المُسمَّى مَنيَّةً ... وقَد يَرجعُ المرءُ المُظفَّر خائبا
فآفَةُ ذا ألاَّ يُصادفَ مَضْربًا ... وآفَة ذا ألاَّ يُصادفَ ضَاربَا

وقال أيضا :

كانَت لنا ملعبًا نلهو بزُخرفِه ... وقَد يُنفِّسُ عن جِدِّ الفتى اللَّعبُ
وعاذلٍ هاجَ لي بالعَذلِ مأرُبةً ... باتَت عليه هموم الصَّدر تصطخِبُ
لمَّا أطال ارتجال العذلِ قُلت له : ... الحزمُ يثني خطوبَ الدَّهر لا الخُطبُ

وقال :

مالي أرَى جَلَبًا فَعمًا ولست أرَى ... سوقًا ومالي أرى سَوقًا ولا جَلبُ ؟
أرضٌ بها عُشُبٌ جرفٌ وليسَ بِها ... ماءٌ وأخرَى بِها ماءٌ ولا عُشُبُ

وقال أيضا في [أبي] دلف :

يَرى أقبَح الأشياءِ أوْبَةَ آمِلٍ ... كَستْهُ يَدُ المَأمولِ حُلَّةَ خائبِ
وأحسنُ مِن نورٍ تُفتِّحه الصَّبا ... بَياضُ العَطايا في سَوادِ المآرب[22]

وقال :

ولو كان يفني الشِّعر أفْناه ما قَرتْ ... حِياضُك مِنه في العصور الذواهبِ
ولكنَّه صَوبُ العُقول إذا انْجلت ... سحائبُ منه أعقِبت بسحائب

وقال أيضا :

وما الأسَد الضِّرعامُ يومًا بعاكسٍ ... صريمته إن أنَّ أو بَصبَص الكلبُ

وقال أيضا :

لَو رأى اللَّه أنَّ للشَّيبِ فضلاً ... جاورته الابرارُ في الخُلد شِيبا

وقال أيضا :

22) في الديوان (212:1) بَياضُ العَطايا في سَوادِ المَطالِبِ.

فمَضَتْ كُهولُهمْ ودبَّر أمرَهُمُ ... أحداثُهم تَدبيرَ غَير صَوابِ
لارقة الحَضَرِ اللَّطيف غَذتهُم ... وتَباعَدوا عَن فِطنة الأعرابِ
فإذا كَشفتهمُ وجَدتَ لَديهمُ ... كَرمَ النُّفوس وقِلَّة الآدابِ
ليسَ الغَبيُّ بِسيِّدٍ في قومِه ... لكنَّ سيِّدَ قومه المُتغابي
والسَّهمُ بالرِّيش اللُّؤامِ ولن تَرى ... بيتًا بِلا عَمدٍ ولا أطْنابِ

وقال أيضا :

والحُرُّ يَسلُبُه جَميلَ عَزائِه ... ضِيقُ الفِناءِ فكيفَ ضيقُ المَذهبِ ؟

وقال أيضا :

رُبَّ خَفضٍ تَحتَ السُّرى وغَناءٍ ... مِن عَناءٍ ونَضرةٍ من شُحوبِ

وقال :

لَستُ أدلي بِحُرمةٍ مُستزيدًا ... في ودادٍ مِنكم ولاَ في نَصيبِ
لا تُصيبُ الصَّديقَ قارعَةُ التَّأْ ... نِيبِ إلاَّ مِن الصَّديقِ الرَّغِيبِ
غَير أنَّ العَليلَ لَيسَ بمَذمو ... مٍ عَلى شَرح ما بِه للطَّبيبِ
لَو رأينا التَّوكيدَ خُطَّةَ عَجزٍ ... ما شَفعنا الأذانَ بالتَّثويبِ

وقال أيضا في عُمر بْنِ طَوقٍ :

يُعطي عَطاءَ المُحسن الخَضِلِ النَّدى ... عَفوا ويَعتذرُ اعتذارَ المُذنِبِ
ومُرحِّبٌ بالزَّائرين وبِشرُه ... يُغنيك عَن أهلٍ لَديه ومَرحبِ

وقال :

والشَّولُ ما حُلبتْ تَدفَّقَ رِسلُها ... وتَجفّ دِرَّتُها إذا لم تُحلَبِ

وقال :

أولى المَديحِ بأنْ يَكون مُهذَّبًا ... ما كان مِنه في أغرَّ مُهذَّبِ

وقال أيضا يخاطب محمَّد بن الهيثم :

كَتبتُ ولو قَدرتُ هَوًى وشَوقًا ... لكُنتُ إليكَ سطرًا في الكِتابِ

وقال أيضا :

نِعَمٌ إذا رعيتْ بِشُكرٍ لَم تزل ... نُعْمى وإن لم تُرعَ فَهْي مصائبُ

وقال أيضا :

والحظُّ يُعطاهُ غَيرُ طالبِه ... ويحرزُ الدُّرَّ غَيرُ مُحتلِبهْ

وقال أيضـــا :

فاض اللِّئامُ وغاضتِ الأحسابُ ... واجْتُثَّتِ العَلياءُ والآدابُ

فكأنَّ يومَ البَعثِ فاجأهُم فَلا ... أنساب بينهُـــم ولاَ أسْبـــابُ

وقـال :

ما إن سَمعتُ ولا أراني سامعًا ... أبدًا بِصحراء عَليها بابُ

مَن كان مَفقودَ الحَياء فوجْهُه ... مِـن غَيـر بوّابٍ لَه بوّابُ

ما زالَ وسْواسي لِعَقْلي خادعًا ... حتّى رجا مَطرا ولَيسَ سَحابُ

ما كُنتُ أدري لا دريتُ بِأنَّهُ ... يَجري بِأفنِية البُيوتِ سَرابُ

وقال أيضا يهجو يوسف السرّاج :

سمِعتُ بكلِّ داهيةٍ نَآدٍ ... ولَم أسْمَع بِسرّاج أديبِ

أمَا لَوْ أنَّ جَهْلَكَ عَادَ عِلمًا ... إذاً لنَفَذتَ في عِلمِ الغُيوبِ

ومالَكَ بالغَريبِ يَدٌ ولَكِن ... تَعاطيكَ الغَريبَ مِن الغَريبِ

فَلو نُشِرَ المَقابِرُ عَن زُهَيرٍ ... لَصرَّح بالعَويلِ وبالنَّحيبِ

مَتى كانَت قَوافيه عِيالاً ... عَلى تَفسيرِ بُقْراطَ الطَّبيبِ ؟

وقال أيضـــا :

هُو الدَّهر لا يُشوي وهُنَّ المصائبُ ... وأكثر آمالِ الرِّجالِ كَواذِبُ

وقـــال :

وقلت : أخِي قالوا : أخٌ ذُو قَرابةٍ ... فَقلتُ لَهم : إنَّ الشُّكول أقاربُ

نَسيبي في عزمي ورأيي ومَذهبي ... وإن باعدتنا في الأصول المناسِبُ

وقال :

على أنها الأيامُ قَد صرنَ كلُّها ... عجائبَ حتّى ليس فيها عجائبُ

وقال أيضـــا :

إن ريب الزمان يحسُنُ أنْ يُهدي ... الرَّزايـــا الى ذَوي الأحْساب

فلِهَذا يجِفُّ بَعد اخْضِرارٍ قَبل روضِ الوهَادِ روضُ الرَّوابي

وقال أيضـــا :

ومَن يَكُن طيِّبًا فَلا عَجَبٌ أن يأكُل النَّاسُ مِن أطايِبِهِ

وقال أيضـا :

غَيرُ مُستَأنِسٍ بشَيءٍ إذا غِبت سِوَى ذِكرِكَ الَّذي لا يَغيبُ

أنتَ دونَ الجُلاَّس أنسي وإن كنت بعيداً فَالأُنسُ مِنكَ قَرِيبُ

وقال أيضـا :

لعَمرٌ مَع الرَّمضاءِ والنَّارُ تلتظي أرقُّ وأحفى منكَ في ساعة الكَربِ

مَتى أبتغي النصف من قلب صاحبٍ إذا لم يكن قلبي شفيقًا على قلب

وقال أيضا يعاتب أبا دلف :

أقمت شهورا في فنائك خَمسةً لَقَى حيث لا تَهْمِي عليَّ جنوبُ

فإن نِلت ما أمَّلتُ فيكَ فإنَّني جديرٌ وإلاَّ فالرَّحيلُ قريبُ

وقال أيضـا :

يأيُّها الملكُ النَّائي برؤيته وجوده لمراعي جوده كثبُ

ليسَ الحِجابُ بمُقصٍ عنكَ لي أملاً إنَّ السَّماء تُرَجَّى حِين تُحتجَبُ

وقال أيضـا :

لعمرُك لليأسُ غَيرُ المُريبِ خَيرٌ من الطَّمَعِ الكاذبِ

ولَلرَّيثُ تَحفِزُه بالنَّجاح خَيرٌ مِن الأمَلِ الخَائبِ

وقال أيضا يصف غيثا :

لم أرَ عيرا جمَّةَ الدُّؤُوبِ تُواصلُ التَّهجِيرُ بالتَّأويبِ

أبعدُ مِن أيْنٍ ومِنْ لُغُوبٍ مِنها غَداة الشَّارِ والمَهضوبِ

نجائبًا ولَسنَ مِن نجيبٍ شَبائِهُ الأعْناقِ بالعُجُوبِ

كالسَّليلِ أوْ كالسُّلوبِ أو كالنُّوبِ مُنقادةً لعارضٍ غريبِ

كالشيِّعةِ التفَّتْ علَى النَّقِيبِ آخِذةً بطاعةِ الجنوبِ

ناقضَةً لِمِرَرِ الخُطُوبِ تَكُفُّ غَربَ الزَّمانِ العَصِيبِ

محَـــــاءةً لِلأزْمَةِ التَّلـــــزُوبِ مَحْوَ اسْتِلامِ الرُّكْنِ لِلذُّنُوبِ
لمَّا دَنت للأرضِ مِن قَريبِ تَشَوَّفتْ لِوبْلِها السَّكُوبِ
تَشَوُّفَ المَريضِ لِلطَّبِيبِ وطَربَ المُحِبِّ لِلحَبِيبِ
وفَـــــــرحَةَ الأديبِ بالأديبِ وخَيَّمَتْ صادقَةَ الشُّؤبُوبِ
وقام فِيها الرَّعدُ كالخَطيبِ وحنَّتِ الرِّيحُ حَنينَ النِّيبِ
فالشَّمسُ ذاتُ حاجِبٍ مَحجُوبِ قَد أغربَتْ مِن غَيرِ مَا غُروبِ
والأرْضُ في رِدائِهَا القَشِيبِ في زاهرٍ مِن نَبتِها رطِيبِ
بَعد اشْتِهابِ الثَّلجِ والضَّرِيبِ كالكَهْلِ بعْدَ السِّنِّ والتَّحْنِيبِ
تُبدِّلَ الشَّبابَ بالمَشِيبِ كَم أنَّسَتْ مِن جانبٍ غَرِيبِ
وغَلَّبَت مِن الثَّرى المَغْلوبِ ونَفَّستْ مِن بارضٍ مَكرُوبِ
وسَكَّنتْ مِن نافِرِ الجُبُوبِ وأقْنَعَتْ مِن بَلَدٍ رغِيبِ
يحْفَظُ عَهدَ الغَيثِ بالمَغِيبِ لَذيذةُ الرِّيِّقِ والصَّبِيبِ

كَأنَّهَا تَعْفِي عَلَى القُلُوبِ

وتقدَّم استيفاء هذا المعنى في الباب الأول .

وقال أيضـــا :

الصَّبرُ كاسٍ وبَطنُ الكَفِّ عَارِيَةٌ والعَقلُ عارٍ إذا لم يُكْسَ بالنَّشَبِ
ما أضيعَ العقلَ إن لم يرعَ ضَيعَتَهُ وفَرٌّ وأيُّ رحًى دارت بِلا قُطبِ ؟

وقـــال :

بأيِّ وخدِ قِلاصٍ واجتِنابٍ فَلاَ إدراك رزقٍ إذا ما كَانَ في الهَرَبِ

وقـــال :

إذا قَصَدتُ لِشاوٍ خِلتُ أنِّيَ قَد أدركتُهُ أدركتْنِي حِرفَةُ الأدبِ

وإنما قال ذلك لِما يزعم من أنَّ حرفة الأدب مشؤومة حليفة الفقر، حتَّى قال قائلهم :

الضَّبُّ والنُّونُ قَد يُرجى اجْتماعُهما ولا يُرجَّى اجتماعُ المَالِ والأدبِ

وستأتي في هذا الباب حكايات ظريفة في هذا المعنى للأدباء.

وقال أيضـــا :

إنَّ الأسودَ أسودَ الغابِ همَّتُها يومَ الكريهةِ في المسلوبِ لا السَّلَبِ

وكانوا يرون أنَّ الفضيلة عند اللقاء إنَّما هي في الاهتمام بضرب الهام، دون جمع الحطام .

ومنه قول عنترة :

هلاَّ سألتِ القومَ يا ابنةَ مَعبدٍ إن كُنتِ جاهلةً بما لَم تَعلمِ

إذ لا أزالُ على رحالةِ سابحٍ نَهدٍ تَعاورَهُ الكُماةُ مُعلَّمِ

طَورا يُعرَّضُ لِلطِّعانِ وتارةً يأوي الى حَصد القِسيِّ عَرمْرمِ

يُخْبركِ مَن شَهد الوقِيعةَ أنَّني أغْشَى الوغَى وأعِفُّ عِند المَغْنَمِ

وهذا المعنى هو الذي نبَّه عليه الأوَّل وأوضحه . وقد أكثر الشعراء من هذا المعنى . ولما سيق الى المعتصم المازيارُ أسيرا فأمر بصلبه، قال له : مُنَّ عَليَّ ولك أموالٌ جليلةُ الخطر! فأبى، وأنشد :

إنَّ الأسُودَ أسُود الغَاب هِمَّتها يَومَ الكَرِيهَة في المَسلوبِ لا السَّلَبِ

وقال أيضـــا :

إذا مَا شُبْتَ حُسْنَ الدِّين مِنْكَ بِصَـــالِحِ الأَدَبِ

فَمَنْ شِئْتَ كُنْ فَلَقَدْ فلجت بِأَكْـــرَمِ النَّسَبِ

فَنَفْسَكُ قَطُّ اصْلِحْهَـا ودَعْنِـي مِنْ قَدِيمِ أبِ

أصله قوله تعالى : إنَّ أكْرمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أتْقاكُمْ . وقال أبو الطيّب :

ومَن سَرَّ أهلَ الأرضِ ثمَّ بَكى أسىً بَكى بِعيونٍ سرُّها وقُلُوبِ

وقال :

وقد فارقَ النَّاس الأحِبَّة قَبلنا وأعْيى دَواءُ المَوت كلَّ طبيبِ

سُبِقْنا الى الدُّنيا فَلو عاشَ أهلُها مُنعنا بِها مِن جَيئةٍ وذهوبِ

تملَّكها الآتي تملُّك سالبٍ وفارقَها المَاضي فِراقَ سَلِيبِ

ولا فَضلَ فِيها لِلشَّجاعة والنَّدَى وصَبْر الفَتى لَولاَ لِقاءُ شَعوبِ

وأوفَى حَياةِ الغَابرِينَ لصاحبٍ حَياةُ امرىءٍ خانتهُ بَعد مَشِيبِ

وقـال :

وما كُلُّ وجْهٍ أبيَضٍ بِمُبارَكٍ ولا كُلُّ جَفنٍ ضَيِّقٍ بِنَجِيبِ

وقـال :

كأنَّ الرَّدى عادٍ على كُلِّ ماجدٍ إذا لَم يُعوِّذْ مجدَهُ بِعُيوبِ
ولولا أيادي الدَّهرِ في الجَمعِ بيننا غَفلنا فلم نَشْعر لَه بذنوبِ
وللتَّركُ للاحْسانِ خَيرٌ لِمُحْسِنٍ إذا جعل الاحْسانَ غَيرَ رَبِيبِ

وقـال :

فربَّ كَئيبٍ ليس تَندى جُفونه وربَّ كثير الدَّمعِ غَيرُ كَئِيبِ

وقـال :

إذا استقبَلَت نَفسُ الكَريمِ مُصابها بِخُبثٍ ثَنَت فاستَدبَرتهُ بطيب
وللواجِد المَكروب مِن زفَراتِه سُكُونٌ عَزاءٍ أو سُكُونُ لُغُوبِ

وقـال :

وفي تَعَب مَن يَحْسُدُ الشَّمس نورها ويجهَد أن يأتي لها بضريبِ

وقال أيضا يمدح سيف الدولة :

وكَيف عَرفنا رسم من لم يَدع لنا فُؤدا لِعرفان الرُّسوم ولا لُبَّا ؟
نزلنا عَن الأكوارِ نمشي كَرامةً لِمن بانَ عَنه أن نُلمَّ به ركبا

وتمثَّل به أحد الفضلاء حيث أقبل على المدينة المشرفَّة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام !

وقـال :

ومن صَحب الدُّنيا طويلاً تقلَّبتْ عَلى عينه حتَّى يَرى صدقها كَذِبا

وقـال :

ومَن تَكُن الأسْدُ الضَّواري جُدودَهُ يَكن لَيلُه صُبحًا ومَطعمُه غَصبا
ولست أُبالي بَعد إدراكيَ العُلاَ أكان تُراثًا ما تناولت أم كَسبا

وقـــال :

تُـهاب سُيوفُ الهِند وهْـي حدائدُ ... فكَيفَ إذا كانَـت نِـزاريـَّةً عُـرْبَـا ؟
ويُـرهَـب نابُ اللَّيث والـلَّيثُ وحدهُ ... فَـكيف إذا كان الـلُّيـوثُ لَـه صَحبا ؟
ويُـخشى عُـباب البَـحر وهْـو مكانَـهُ ... فَـكيف بِـمن يغْشَـى البِلاد إذا عبَّا ؟

وقـــال :

أرى كلَّنا يَـبغي الحَياة لِـنفسِـه ... حريصًا عَـليها مُـستهامًا بها صبًّا
فحبُّ الجبانِ النَّفسَ أوردَه التُّقى ... وحبُّ الشُّجاع النَّفس أورده الحربا
ويختلـف الرِّزقـان والفِـعلُ واحـدٌ ... إلى أن تَـرى إحسان هَـذا لذا ذنبا

وقال أيضـــا :

وإن كان ذنبي كلَّ ذنبٍ فإنَّه ... محا الذَّنبَ كلَّ المحوِ مَـن جاء تائبا

وقال أيضا يستعطف سيف الدولة على بني كلاب :

تَـرفَّـقْ أيُّـها المَـولى عَـليهـم ... فإنَّ الرِّفـق بالجـاني عِـتـابُ
وإنَّـهـم عَـبيـدُك حيثُ كانُـوا ... إذا تَـدعـو لِـنائـبَـةٍ أجابُـوا

وكأنَّه من قول ابن [أبي] عُيينة :

جلبنا الخَـيل مِـن بغدادَ شُعثًا ... عَـرائسَ تَـحملُ الأسْـد الغِـضابا
بكُـلِّ فتًـى أغـرَّ مُـهذَّبيٍّ ... تخالُ بضَـوءِ صُـورتِـهِ شِـهابا
ومِـن قَـحطانَ كلَّ أخي حِـفَاظٍ ... إذا يُـدعى لِـنائـبةٍ أجَابَـا

وقوله أيضـــا :

بأخـــوالي وأعمـــامي أقَـــامَتْ ... قُـريشٌ مُلكَهـا وبِـها تُـهابُ
مَـتَـى مَـا أدعُـمُ أخْـوالِـي لِـحَـربٍ ... وأعْـمـامي لِـنائِـبَـةٍ أجَابُـوا

وقـــال :

وعينُ المُخطِئين هُـمُ ولَـيسُـوا ... بأوَّل معشَـرٍ خَـطِئـوا فَـتَـابُـوا
وكَـــم ذنبٍ مُـولِّـــده دلالٌ ... وكَـم بُـعدٍ مُـولِّـدُهُ اقْـتِـرَابُ
وجُـرمٍ جرَّهُ سُـفَـهَـاءُ قَـوْمٍ ... وحلَّ بِـغَـيرِ جارمِهِ العَـذابُ

وقـــال :

ومَن في كفِّهِ مِنهُم قَنَاةٌ ... كَمَنْ في كَفِّهِ مِنهُم خِضَابُ

وهو معنى قول الآخر :

فَلا يَمْنَعْكَ مِن أربٍ لِحاهُمْ ... سَواءٌ ذُو العِمامَةِ والخِمارِ

وقال أيضـا :

وإن تَكُن تَغلِب الغَلباءُ عُنصرها ... فإنَّ في الخَمر معنًى لَيس في العِنبِ

وقـال :

فَلا تَنلكَ التَّاليي إنَّ أَيْدِبَها ... إذا ضربنَ كَسرنَ النَّبعَ بالغَرَبِ

ولا يُعنَّ عَدُوًّا أنت قاهرُه ... فإنَّهنَّ يصِدنَ الصَّقْرَ بالخَرَبِ

وإن سَرَرن بِمحبوبٍ فجعنَ بِهِ ... وقَد أتينَكَ في الحالَينِ بالعَجَبِ

وربَّما احتَسَب الاحسانُ غايتَها ... وفاجأتْهُ بأمرٍ غَيرِ مُحتَسبِ

وما قَضى أحدٌ مِنها لُبانَتَهُ ... ولا انتَهى أربٌ إلاَّ الى أرَبِ

تخالَفَ النَّاسُ حتَّى لا اتِّفاق لَهم ... إلاَّ على شَجَبٍ والخُلف في الشجَبِ

فقيلَ تخلُصُ نفْسُ المَرءِ سالمةً ... وقِيلَ تُشرِكُ جِسمَ المرءِ في العَطب

ومَن تَفكَّر في الدُّنيا ومُهْجَتِه ... أقامهُ الفكرُ بين العجزِ والتَّعبِ

وقال أيضـــا :

ومَن ركِب الثَّورَ بَعد الجَوادِ ... أنْكَـــر أظلافَهُ والغَـــبَبْ

وقـال :

ويستَنصِرَانِ الَّذِي يَعْبُدانِ ... وعِندهُمـا أنَّهُ قَـد صُلِبْ

ويَدفَـعُ مانـالَه عنهمَـا ... فَيا لَلرِّجالِ لِهَذا العُجبْ

وقال أيضـا :

لأيِّ صُروفِ الدَّهرِ فِيهِ نُعاتِبُ ... وأيَّ رزاياهُ بِوتْرٍ نُطالِبُ ؟

وقال أيضـا :

فالمَوتُ أعْذرُ لِي والصَّبْرُ أجْمل بي ... والبَرُّ أوسَعُ والدُّنيا لِمَن غَلَبا

وقوله : والدُّنْيَا لِمَن غَلَبَا هو مثلٌ مشهور، ووقع فِي قول الآخر : والمُلْكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى لِمَن غَلَبَا . وأنشد ابن الخطيب لبعض الأعراب :

مَنْ كانَ أبصَرَ شيئًا أو رأى عجبًا ... فإنَّني عِشتُ دهرًا لا أرى عجبا

النَّاس كالنَّاس والأيَّامُ واحِدةٌ ... والدَّهرُ كالدَّهر والدُّنيا لِمن غَلَبا

فلا أدري أوَرَدَهُ فيه أبو الطيّب أم أخذه منه، وهو في بيت الأعرابيّ أقعد، وبسيياقِه أنسب . وتمام البيت المذكور ما أنشده المصعب الزبيري في أنْسَاب قُرَيش لبعض الشعراء في معاوية بن يزيد بن معاوية وهو :

إنِّي أرَى فِتنةً تَغلي مَراجِلُها ... فالمُلك بَعد أبي لَيلى لِمن غَلبا

وأراد بأبي ليلى معاوية بن يزيد المذكور، وفيه يقول عبد الله بن هَمَّامٍ السَّلُوليُّ :

تَلَقَّفها يَزيدُ عَن أبِيهِ ... فخُذْها يا مُعاويَ عَن يَزيدا

فإنْ دُنياكُمُ لَكُمُ اطمأنَّتْ ... فَأَوْلُوا أهْلَها خُلُقًا سَديدًا

وقال أيضا :

أظمتْنيَ الدُّنيا فَلمَّا جِئتُها ... مُستسقيًا مَطرتْ عليَّ مَصائبَا

وقال في وصف علي بن منصور :

كالبَدر مِن حَيثُ التفتَّ وجَدتَه ... يُهدي إلى عَينيكَ نُورًا ثاقبَا

كالبَحر يقْذفُ لِلقَريبِ جَواهرًا ... جُودا ويَبعَثُ لِلبَعِيدِ سَحائبا

كالشَّمس في كَبد السَّماء وضَوءُها ... يَغشَى البِلاد مشارقًا ومغاربَا

وقال أيضا :

ليس بالمُنكَر إن برَّزْتَ سَبقًا ... غَيرُ مدفوعٍ عَن السَّبقِ العِرابُ

وقال أيضا :

إذا لَم تَكُن نفسُ النَّسيب كأصله ... فماذا الَّذي تُغني كِرامُ المَناصب ؟

وما قَرُبَت أشْباهُ قَومٍ أباعدٍ ... ولا بَعُدت أشباهُ قَومٍ أقاربِ

إذا عَلويٌّ لم يَكن مِثلَ طاهرٍ ... فما هو إلاَّ حجَّةٌ للنَّواصبِ

وقال أيضا :

ما أوجُه الحَضَرِ المُستحسَنات بِهِ ... كأوجُه البَدوِيَّاتِ الرَّعَابيبِ
حُسن الحضارةِ مَجلوبٌ بِتَطْرِيةٍ ... وفي البَداوةِ حُسنٌ غَير مِجلوبِ

وقال :

أفْدي ظِباءَ فَلاةٍ ما عَرفنَ بِها ... مَضغَ الكَلامِ ولا صبغَ الحواجِيبِ
ولا بَرزنَ مِن الحمَّامِ مائِلَةً ... أوراكُهُنَّ صَقِيلاتِ العَراقِيبِ

وقال :

فَما الحَداثَةُ مِن حِلمٍ بمانعَةٍ ... قَد يُوجد الحِلمُ في الشُبَّان والشِّيب

وقال أيضا :

وكم لظَلام اللَّيل عِندكَ مِن يدٍ ... تُخبِّر أنَّ المانَويَّة تكذِبُ
وقاكَ ردَى الأعداءِ تَسري إليهمُ ... وزارك فيه ذو الدَّلالِ المُحجَّبُ

وقال :

وما الخَيلُ إلاَّ كالصَّديقِ قَليلةٌ ... وإن كثُرت في عَين مَن لايُجرِّبُ
إذا لم تُشاهِد غير حُسن شِيَاتِها ... وأعضائها فالْحُسْنُ عَنكَ مُغيَّبُ
لَحا اللَّهُ ذي الدُّنيا مُناخًا لراكب ... فكلُّ بَعيد الهمِّ فيها مُعذَّبُ
ألا ليتَ شعري هَل أقُول قَصيدةً ... فَلا أشتكي فِيها ولا أتعتَّبُ

وقال يخاطب كافورا :

وهَبتَ على مِقدار كفَّيْ زمانِنا ... ونَفسي عَلى مِقدار كفَّيك تَطلُب

وقال :

يُضاحكُ في ذا العِيدِ كلُّ حبيبَهُ ... حِذائي وأبكي مَن أحِبُّ وأندُبُ
أحِنُّ إلى أهلي وأهوى لِقاءهُم ... وأين مِن المُشتاقِ عَنقاءُ مُغربُ ؟

وقال :

وكلُّ امرىءٍ يولي الجَميل مُحبَّبٌ ... وكلُّ مكانٍ يُنبتُ العِزَّ طَيِّبُ

وقال :

وأظلَمُ أهلِ الظُّلمِ مَن بَات حاسدًا ... لِمن بات في نَعمائِهِ يتقلَّبُ

قال صاحب الرسالة الحِكْمِيَّة، وهو قول أرسطاطاليس : أقْبَحُ الظُّلْمِ حَسَدُكَ لِعَبْدِكَ ومَنْ تُنْعِمُ عَلَيهِ . قلت : وهو غلط . إن كانت رواية هذه الحكمة هكذا، فإنَّ أبا الطّيب إنَّما أراد عكسها، وهو أنَّ أقبح الظلم أن يَحْسُدَكَ من تُنْعِمُ عليه وتُحسِنُ إليه بدليل سياق كلامه .

وقـــال :

وقَد يَترُكُ النَّفس التي لا تَهابُه ويخْترِم النَّفس الَّتي تتَهَيَّبُ

وقال أيضـا :

وما العِشقُ إلاَّ غرَّةٌ وطماعةٌ يُعرِّضُ كلٌّ نَفسَهُ فَتُصابُ

وقـــال :

أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سَرجُ سابحٍ وخير جليسٍ في الزَّمان كِتابُ

وقال يخاطب كافورا :

وهل نافِعي أن تُرفع الحُجبُ بيننا ودُون الَّذي أمَّلتُ مِنك حِجابُ ؟

وقـــال :

وفي النَّفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتي جوابٌ عِندها وخطابُ

وما أنا بالباغي على الحُبِّ رِشوةً ضَعيفٌ هَوًى يُبغى عَليه ثواب

وقال يخاطبه :

إذا نِلتُ منكَ الودَّ فالمالُ هيِّنٌ وكلُّ الَّذي فوقَ التُّرابِ تُرابُ

وينشد العارفون ـ رضوان الله عليهم ـ والخطاب للملك الحق هكذا :

فَليتَك تَحلو والحَياة مريرةٌ وليتَك ترضَى والأنَامُ غِضابُ !

ولَيت الَّذي يبني وبينَك عامرٌ وبيني وبين العَالمِين خَرابُ !

إذا صحَّ مِنك الودُّ فالكُلُّ هيِّنٌ وكلُّ الَّذي فوق التُّراب تُرابُ

وأذكرني هذا المعنى حكاية عن الأصمعيّ قال : بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف في الطريق في أُذنيه قُرطَان، في كلّ قُرطٍ جَوهرةٌ يُضيءُ وجْهُه من ضوء الجوهرة، وهو يمجّد ربَّه بأبيات من الشعر وهي :

يا فاطِرَ الخَلق البَديعِ وكافلاً ... رزقَ الجَميع سحابُ جودِك هاطلُ
يا مُسبِغَ البِرِّ الجَزيلِ ومُسبِلَ ... السّترِ الجميلِ عَميمُ طَولِكَ طائلُ
يا عالمَ السِّر الخفيِّ ومُنجِزَ ... الوَعد الوفيَّ قضاءُ حُكمِك عادلُ
عَظُمَتْ صفاتُك يا عَظيمُ فجلَّ أنْ ... يُحصي الثَّناءَ عَليكَ فيها قَائِلُ
الذَّنبُ أنت له بمنِّكَ غَافرٌ ... ولِتوبَة العاصي بِحلمِكَ قابِلُ
ربٌّ يَبرُّ العالمينَ فَبِرُّهُ ... ونَوالُه أبداً إليهِمُ واصلُ
تَعصِيه وهْو يَسوقُ نَحوكَ دائماً ... مالا تَكونُ لِبعضِهِ تستَأهِلُ
مُتصدِّقٌ أبدا وأنت لِجودهِ ... بقبائح العِصيان مِنك تُقابِلُ
وإذا دجَى لَيلُ الخُطوبِ وأظلمَت ... سُبلُ الخَلاصِ وخاب فيه الآمِلُ
وأيِستَ من وجه النَّجاة فما لَها ... سببٌ وما يدنو بِها مُتَناولُ
يأتِيكَ مِن ألطافِهِ الفرجُ الَّذي ... لَم تَحتسِبه وأنت عَنه غَافلُ
يا موجِد الأشياء مَن ألقي إلى ... أبْواب غَيرِكَ فَهو غِرٌّ جاهِلُ
ومَن استراح بغَير ذكركَ أو رجا ... أحدا سواكَ فَذاكَ ظلٌّ زائِلُ
رأيٌ يُلمُّ إذا عَرتهُ مُلمَّةٌ ... بِسوى جنابِكَ فَهْوَ رأيٌ فائِلُ
عملٌ أريدَ به سواكَ فإنَّهُ ... عملٌ وإن زعمَ المُرائِي باطِلُ
وإذا رضِيتَ فكُلُّ شَيءٍ هيِّنٌ ... وإذا حصلتَ فكُلُّ شَيءٍ حاصِلُ
أنا عَبدُ سُوءٍ آبقٌ كَلٌّ عَلى ... مَولاهُ أوزارَ الكَبائِر حامِلُ
قَد أثْقَلت ظَهري الذُنوبُ وسوَّدت ... صُحُفي العُيوبُ وسِترُ عَفوك شامِلُ
ها قد أتيتُك حُسنُ ظنِّيَ شافعٌ ... ووسائلي نَدمٌ ودمعٌ سائلُ
فاغفِر لعَبدكَ ما مضَى وارزقهُ تَو ... فيقًا لِما تَرضى فَفضلُك كامِلُ
فافعَل به ما أنتَ أهلُ جَميلِهِ ... والظَّنُّ كلُّ الظَّنِّ أنَّك فاعلُ

قال : فدنوت منه وسلَّمت عليه، فقال : ما أنا برادٍّ عليك حتى تُؤَدّي من حقّي الذي يجب عليك . قلت : وما حقّك ؟ قال : أنا غلام على دين إبراهيم الخليل، عليه السلام ! لا أتغدَّى كلَّ يوم ولا أتعشَّى حتَّى أسير المِيل والمِيلَيْن في طلب الضيف . فأجبته

فرحّب بي، وسرت معه حتّى وافينا الخيمة، فصاح : يا أُخْتَاه ! فأجابته جارية من الخيمة : يا لَبَّيْكَاه ! فقال : قومي الى ضيفنا ! فقالت الجارية : حتّى أبْدَأ بشكر المولى الذي ساقه إلينا . فصلّت ركعتيْن شكرا لله تعالى . قال : فأدخلني الشابُّ الخيمة وأجلسني وأخذ شفرة فقام الى عَنَاقٍ فَذَبَحَها . قال : فلمّا جلست في الخيمة نظرت الى الجارية، فإذا هي أحسن الناس وجهًا . فكنت أسارقها النظر ثمّ فَطِنَتْ لي فقالت لي : مَهْ ! أما علمت أنّه نُقِلَ عن صاحب طَيْبَةَ عليه الصلاة والسلام أنّه قال : زِنَى العَيْنَيْنِ النَّظَرُ. أمَا إنّي ما أردت بهذا أن أُوَبِّخك، ولكني أردت أن أُؤَدِّبَك لئلاّ تعود الى مثل هذا . فلمّا كان النوم بتُّ أنا والغلام خارج الخيمة، وباتت الجارية داخلها . فكنت أسمع دَوِيَّ القرآن الى السَّحَرِ بأحسنِ صوت وأرقّه . ثمّ سمعت أبياتا من الشعر بأعذب لفظ وأشجى نغمة، وهي :

أبَى الحَبُّ أن يخفى وكم قد كتمته ... فأصبح عِندي قَد أناخ وطنَّبَا
إذا اشتدّ شَوقي هام قَلبي بِذكرهِ ... وإن رمت قربًا من حبيبي تَقَرَّبَا
ويبدو فأفنى ثمّ أحيا بِهِ لَهُ ... ويُسعِدُنِي حتّى ألذّ وأطْرَبَا

فلما أصبحت قلت للغلام : صوتَ مَن سَمِعْت ؟ قال : صوت أختي، وذلك دأبُها كلّ ليلة . فقلت : أنت أحقّ بهذا منها، إذ أنت رجلٌ وهي امرأة . فتبسّم ثمّ قال : أما علمت أنّه مُوفَّقٌ ومخذول، ومُقَرَّبٌ ومُبْعَد ؟ فودّعتهما وانصرفت . ولا يخفى أنّ محلّ الاستشهاد قوله :

وإذا رضِيتَ فكلُّ شيءٍ هيِّنٌ ... وإذا حَصَلت فكُلُّ شيءٍ حاصِلُ

وهذا الشعر الأخير يتمثّل به الصوفيةُ كثيرا . وقال أيضا :

وما يَشُقُّ على الكَلبِ ... أن يَكُونَ ابْنَ كَلْبَه

وقال أيضًا :

لابُدَّ للانسان مِن ضَجعَةٍ ... لا تَقلِب المُضْجَعَ عَن جَنبِهِ
يَنسَى بِهَا ما مرَّ مِن عُجبِه ... وما أذاقَ المَوتُ مِن كَربِهِ
نَحنُ بنُو الموتَى فما بالُنا ... نَعافُ مالابُدَّ مِن شُربِهِ ؟

تَبخَلُ أيدينا بِأرْواحِنَا عَلى زمانٍ هِيَ مِن كَسبِهِ
فَهَذهِ الأرواحُ مِن جوِّهِ وهَذهِ الأجْسامُ مِن تُربِهِ
لَو فكَّرَ العَاشِقُ في مُنتهَى حُسنِ الَّذي يَسبِيه لَم يَسبِهِ

وهو معنى قول أرسطاطاليس : النَّظَرُ في عواقب الأشياء يُزهِّدُ في حقائقها، والعِشقُ عَمى النفسِ عن دَركِ رؤية المعشوق . والذي قبله هو معنى قوله أيضا : اللطائفُ سَمَاويَّة، والكثائف أرضِيَّة، وكلّ عنصرٍ عائدٌ الى عنصره الأوَّل.

وقال :

يَموتُ راعي الضَّأنِ في جهلِهِ مَوتَةَ جالِينُوسَ في طِبِّه

ونحوه قول بعضهم في ابن سيناء :

وكان ابْنُ سِينا يُداوي الرِّجالَ وفي السِّجنِ ماتَ أخسَّ المَماتْ
فَلم يَشفِ ما قالهُ في الشِّفَا ولَم يُنجِ ما قالهُ بالنَّجاتْ

وقال :

وغايةُ المُفرط في سِلْمِهِ كغايَةِ المُفْرِطِ فِي حَربِهِ

وهو قريب من قول أرْسْطَاطَالِيسَ : آخرُ إفْرَاطِ التَّوقِّي أوَّلُ مَواردِ الحِذر.

وقال :

يَدخُل صَبْرُ المرء في مَدحِهِ ويَدخُل الاشْفاق في ثَلْبِهِ
ولم أقُل مِثْلَكَ أعْنِي بِهِ سِواكَ يا فردًا بِلا مُشبِهِ

وقال أيضا :

إذا اكتَسَب الانسانُ مِن هَنِ عِرسِهِ فَيا لُؤمَ إنسانٍ ويا لُؤمَ مَكسَبِ !

وقال الحماسيّ سَعْدُ بْنُ نَاشِب :

سَأغْسِلُ عنِّي العَار بالسَّيف جالبًا عليَّ قَضاء اللَّهِ ما كان جالِبا
وأذهَلُ عَن داري وأجعَلُ هَدمَهَا لِعرضيَ مِن باقي المذلَّة حاجِبا
ويصغُرُ في عيني تلادي إذا انثنت يميني بإدراك الَّذي كُنت طالبا

وقـــال :.

إذا همَّ ألقَى بينَ عَينيهِ عَزمَهُ ونَكَّبَ عَن ذِكرِ العَواقِبِ جانبَا
ولم يستَشِر في أمرهِ غَير نفسِهِ ولَم يَرضَ إلاَّ قائمَ السَّيفِ صاحبا

وقال موسى بن جابر :

لا أشتهي ياقَـومُ إلاَّ كارهًـا باب الأمِير ولا دِفاعَ الحَاجِبِ
ومِـن الرِّجال أسنَّةٌ مَـذرُوبَةٌ ومُزنَّـدونَ شُهودُهُـم كالغائِبِ
مِنهم لُيوثٌ ما تُرامُ وبَعضُهم ممَّا قَمشْتَ وضمَّ حبلُ الحاطبِ

وقال بعض بني مازن :

وما قَتْلُ جارٍ غائبٍ عَن نصيرهِ لطالبِ أوتارٍ بِمسلكِ مَطلبِ

وقـال :

وقَد ذُقتمونا مرَّةً بعد مرَّةٍ وعِلمُ بيانِ الأمرِ عِند المجرِّبِ

وقال القتَّالُ الكِلابي :

نُعرِّض للطِّعان إذا التقيْنا وجوهًا لا تُعرَّضُ للسِّبَابِ

ومثله قول الهمداني :

لَقَد عَلمتْ نِسوانُ هَمدانَ أنَّني لهُنَّ غَداةَ الرَّوعِ غَيرُ خَذُول
وأبذُل في الهَيجاء وجْهي وأنَّني لَه في سِوى الهَيجاء غيرُ بذُولِ

ومن هذا قول أبي مَخزوم النَّهشَلِيِّ الدَّارمِيِّ، من شعراء الحماسة :

إنَّا لنُرخِصُ يومَ الرَّوعِ أنْفُسنا ولَو نُسامُ بِها في الأمن أغْلينا

وقال بعض الفَقْعَسيِّين :

رأيتُ بني عمِّي الأُلَى يخذُلُونَني عَلى حَدَثانِ الدَّهر إذ يتقلَّبُ
فهلاَّ أعدُّوني لمِثلي تفاقَدوا وفي الأرضِ مبثوثًا شُجاعٌ وعقربُ

وقـال :

كأنَّك لَم تُسبَق مِن اللَّيل لَيلَةً إذا أنتَ أدركتَ الَّذي كُنتَ تَطلُبُ

وقال ربيعَةُ بْنُ مَقْرُوم الضَّبِّيُّ :

إذا ما المَرءُ لَم يُحبِبكَ إلاّ مُغالِبَ نَفسِهِ سئِمَ الغِلابَا
ومَن لا يُعط إلاّ في عِتابٍ يُخافُ يَدعْ بِهِ النّاسُ العِتابا
أخوك أخوكَ مَن يَدنو وترجُو مَودّتَه وإن دُعِيَ اسْتَجابا
إذا حاربتَ حاربَ مَن تُعادِي وزَاد سِلاحُه مِنكَ اقترابَا
يُواسي في كَريهَتِهِ أخَاهُ إذا ما مُضْلِعُ الحَدَثَانِ نَابَا

وقال قُراد بن عتّاب الحماسي أيضا[23] :

إذا المرءُ لم تَغضَب لهُ حين يغضَبُ فوارسُ إن قيل اركَبوا الموتَ يركبوا
ولم يَحْبُهُ بالنّصر قومٌ أعِزّةٌ مقاحيمُ في الأمر الّذي يُتهيَّبُ
تَهضَّمهُ أدنى العدوّ ولم يزل وإن كان عِضّا بالظُّلامة يُضربُ

المقَاحِيمُ جمع مِقْحَام، وهو المتقحم في الأمور الجريءُ عليها ؛ ويُتَهيَّبُ يُتخوَّف ؛ وتَهَضَّمَهُ : تَنَقَّصَهُ ؛ وأدنَى العَدُوِّ : أخَسُّهُمْ ؛ والعِضُّ بالكسر الرَّجُلُ الداهية كما تقدّم في الهمزة ؛ والظُّلامَةُ : الظُّلْمُ . أي لا يزال يُضرب، أي يُقابَلُ ويُرمَى بالظلم، وان كان عِضّا، إذا لم يكن له أنصار.

وقال الاخنس بن شهاب :

إذا قَصرت أسيافُنا كان وصْلُها خُطانا الى القَومِ الّذين نُضاربُ

يَقُول : إذا ضاق مَجَالُ الحرب عن مُضاربة الأقران بالسيوف، خطونا إليهم وأقدمنا عليهم جرأةً حتى نصل إليهم فنضربهم.

ومثله قول الآخر :

نَصِلُ السُّيوف إذا قَصرن بخطونا قُدمًا ونُلحقها إذا لم تَلحقِ

وقال محمد بن بشير :

وكلُّ امرىءٍ يوما سيركَبُ كارهًا على النَّعش أعناقَ العِدى والأقاربِ

وقال نَهشَل الدّارمي :

---

23) في الحماسة (1:273) قُراد بنُ عَبّاد. وفي الشرح : قال ابو هلال : وقع هكذا في الاصل، وهو خطأ، وانما هو قراد بن العيار... وأبو العيار أحد شياطين العرب وقراد شاعر اسلامي مقل.

وهوَّن وجدي عَن خَليلي أنَّني إذا شِئت لاقَيتُ امرءاً مات صاحبُهْ
ومن ير بالأقوام يومًا يروا به مَعرَّة قومٍ لا تُوارَى كواكبُهْ

ومثل بيته الأول قول الخنساء :

ولـــولا كثـــرةُ الباكيـــنَ حولِي عَلى إخوانهـــم لقـــتلتُ نفسِي

وقال الغَطَمَّشُ الضَّبِّي :

ألا ربَّ مَن يَغتابُني ودَّ أنَّني أبوه الَّذي يُعزَى إلَيه ويُنسَبُ
عَلى رَشْدةٍ مِن أمِّه ولِغَيَّةٍ فيغلبُها فَحلٌ عَلى النَّسلِ مُنجبُ
فبالخير لا بالشَّرِّ فارْجُ مودَّتي وأيُّ امرىءٍ يُغتال مِنه التَّرهُّب ؟
أقولُ وقَد فاضت مِن العَين عبرةٌ أرَى الأرضَ تبقى والأخِلاَّءَ تذهبُ
أخِلاَّيَ لو غَيرُ الحِمامِ أصابَهُم عَتَبنا ولِكن ما عَلى الدَّهرِ معتَبُ

الرَّشْدةُ : النِّكاح ؛ والغَيَّةُ : الزِّنى . ويقال : أنْجَبَ الرجلُ إذا ولد نجيبا.

وقال الحَكَمُ بْنُ عَبْدَلٍ الأسَدِيّ :

أطلبُ ما يَطلُب الكَريمُ مِن الرِّزقِ لنفسي وأُجمِلُ الطَّلَبا
وأحْلُبُ التَّـــرَّةَ الصَّفِيَّ ولاَ أجْهَـــد أخلافَ غيرِهـا حَلَبَـا
إنِّي رأيتُ الفَتى الكَريمَ إذا رغَّبتَه في صَنِيعَةٍ رَغِبَـا
والعَبْد لا يَطلُبُ العَلاءَ ولاَ يُعْطِيكَ شَيئًا إلاَّ إذا رهِبَا
مَثَل الحِمار الموقَّعِ السَّوءِ لاَ يُحسِن مَشْيًا إلاَّ إذا ضُرِبَا
ولَم أجِد عُروةَ الخَلائقِ إلاَّ الدِّينَ لمَّا اعتبرتُ والحَسَبَـا
قَد يُرزقُ الخَافضُ المُقِيمُ وما شدَّ بِعَنسٍ رحْلاً ولاَ قَتَبَا
ويُحرَمُ المالَ ذو المَطِيَّةِ والرَّحلِ ومن لا يزالُ مُغتربَا

التَّرَّةُ : النَّاقة الغزيرةُ اللبن، ومثلها الصَّفِيّ، ولذا وصفها بها . والأخْلاَفُ جمع خلف وهو حَلَمة الضَّرعِ . يقول : إني أحلب الكثيرة الدرّ، وآخذ منه عفواً، ولا أجْهَد غيرها لأستخرج النزر وأسْتَنْزِلَ العسير، وهذا تمثيل . والمراد أني أجْمِل في الطلب، ولا أكِدُّ نفسي في استحصال الرزق، علما منِّي بأنَّ ما قدّر من الرزق إليَّ واصل، وما قُسِم لا

محالة حَاصل.

وقالت أمّ ثَواب الهِزّانيّة في ابن لها عاق :

ربَّيتُه وهْو مِثل الفرخِ أعْظَمُه ... أمُّ الطَّعام تَرى في ريشِهِ زغبا[24]

حتَّى إذا آض كالفُحَّال شذَّبَهُ ... أبَّارُهُ ونفى عَن مَتنِهِ الكَربا

أنشا يُمزِّقُ أثوابي ويضربني[25] ... أبعد شيبَى عندي يبتغي الأدبا ؟

أمُّ الطَّعَام : الحَوصَلَة ؛ والفُحَّال : ذكر النَّخل، وهي أطولُها ؛ وتشذيبه : تجريده وتنقيته من فُضُول الشَّوْك والسَّعَف، وبذلك يطول في السماء ؛ والكَرَبُ : أصولُ السَّعَف تبقى متَّصلة بالجِذْع.

وقال حاتم :

وما أنا بالسَّاعي بفَضْل زمامِها ... لتَشرب ماء الحوضِ قَبل الرَّكائبِ

وما أنا بالطَّاوي حقيبة رحْلِها ... لأبعَثَها خفًّا وأترك صاحبي

إذا كُنتَ ربًّا لِلقَلوصِ فلا تَدع ... رفيقَك يَمشي خلفها غير راكِبِ

وقال الأحْوص، وقد ضَربَ بنو عمٍّ له مولاه :

لَئن كُنت لا أرمَي وتُرمَى كِنانتي ... تُصِبْ جانحاتُ النَّبل كشْحي ومَنكبي

وهو مثلٌ أصله أنَّ رجلا رمى آخر متقلِّدا كنانة، فقال له المَرميُّ : ما هذا ؟ فقال له : لم أرمِكَ، إنَّما رمَيتُ كِنانَتك . فيضرب مثلا لمن نِيلَ وليُّه بسوء.

وقال أبو النَّشْناش :

إذا المَرءُ لم يَسرح سوامًا ولم يُرح ... سوامًا ولم تَعطف عَلَيه أقاربُه

فلَلْمَوتُ خيرٌ للفتى مِن قعُوده ... عديمًا ومِن مولى تَدبُّ عقاربُه

وقال :

فَلم أر مِثل الهمِّ ضاجَعه الفَتى ... ولا كَسواد اللَّيل أخْفقَ صاحِبُه

فَعِش مُعدِمًا أو مُتْ كريمًا فإنَّني ... أرَى الموتَ لا ينجو مِن الموتِ هاربُه

وقال قَيس بنُ المُغيرة :

---

24) في الحماسة (316:1) في جِلْدِهِ زَغبًا، وهو أنسب.

25) وفي الحماسة أيضا : يُؤدِّبني.

جفاني الأميرُ والمُغيرةُ بَعدهُ وأمسى يزيدٌ لِي قَد ازْورَّ جَانِبُه
وكُلّهم قد نال شبعًا لبَطنه وشِبْعُ الفتى لُؤمٌ إذا جاعَ صاحبُه

وتقدَّم هذا الشعر وقصَّته قبل.

وقال بعض بني أسد :

وما أنا بالنِّكس الدَّنيّ ولا الَّذي إذا صدَّعنِّي ذُو المودَّة أحربُ
ولكنَّني إن دام دمتُ وإن يكن[26] لَه مذهبٌ عنِّي فَلي عَنه مذهب
ألا إنَّ خير الودّ ودٌّ تَطوَّعت بِهِ النَّفس لا ودٌّ أتى وهو متعبُ

ومعنى أحربُ أغضبُ ؛ ومعنى إن دمتُ دام أي إن دمتُ فقد دامَ، إذْ لو لم يَدُم ما دُمْتُ بدليل ما بعده، وإن شئت جعلته على القلب . وتقدَّم هذا المعنى مُستَوْفًى.

وقال خَالدُ بنُ نَضلَةَ الأسَديُّ :

لَعَمري لَرهطُ المرءِ خيرُ بقيَّةٍ عَليه وإن عالَوْا بِه كلَّ مركَبِ
مِن الأبْعَدِ النَّائي وإن كان ذاغنًى جزيلٍ ولَم يُخبركَ مثلُ مُجرِّب
إذا كُنت في قومٍ عدًى لَستَ منهمُ فكُلُّ ما علفتَ مِن خَبيثٍ وطيِّب
وإن حدَّثَتكَ النَّفسُ أنَّك قادرٌ على ما حَوتْ أيدي الرِّجال فكذِّب

وتقدَّم في الاغتراب ولزوم الأوطان من الشعر مالا بدَّ منه.

وقال عبدُ اللهِ بنُ الدُّمَيْنَة :

وإنِّي لأستَحْيِيكِ حتَّى كأنَّمَا عليَّ بظَهر الغَيبِ مِنكِ رقيبُ

وقال قيسُ بنُ ذَرِيحٍ :

وكلُّ مُصيباتِ الزَّمان وجدتُها سِوى فُرقَةِ الأحبابِ هيِّنَةَ الخَطب

وقال إيَاسُ بن الأرتّ :

إذا ما تراخت ساعةٌ فاجعَلنَّها بخَير فإنَّ الدَّهر أعْصَلُ ذُو شَغْبِ
فإن يَكُ خيرٌ أو يكُن بعضُ راحة فانَّك لاقٍ مِن غُمومٍ ومِن كربِ

---

26) روى اليوسي هذا الشطر مقلوبًا هكذا : ولكنَّني إنْ دُمْتُ دامَ.... وتكلّف تأويله في الشرح بما لا حاجة إليه . والتصحيح من الحماسة، (106:1).

الأعْصَلُ : المُعْوَجُّ الملتوي، وأصل العصل اعوجاجٌ في أنياب البعير إذا أسنَّ ؛ والشَّغْب : الشرّ .

وقال أيضـــا :

وما دهـري بحبٍّ تـُرابِ أرضٍ ولَكن مَن يحُلُّ بِها حَبِيبُ

وهو مثل قول قيس :

وما حُبُّ الدِّيار شَغَفنَ قَلْبي ولِكن حُبُّ مَن سَكَن الدِّيارا

وقال ابنُ مُفَرِّغ :

يـقولون : هَل بَعد الثَّلاثين ملعبُ ؟ فقُلت : وهل قَبل الثَّلاثين ملعب ؟

لقد جلَّ قدرُ الشَّيب إن كان كلَّما بَدت شَيبةٌ يُعرى من اللَّهْوِ مركبُ

وسياتي فصل في مدح الشيب وذمّه بعد إن شاء الله تعالى.

وقال ابن ميّادة :

فوالله ما أدري أيَغلبُني الهَوى إذا جدَّ جدُّ البَين أمْ أنا غالبُه

فإن أستطع أغلب وإن يَغْلِبِ الهَوى فمِثلُ الَّذي لاقَيتُ يُغلبُ صاحبُه

وقال فُرعانُ بنُ الأعرف في ابن له عاق ويُسمَّى مُنازلاً :

جزت رحِمٌ بيني وبين مُنازلٍ جزاءً كما يستَنزلُ الدَّينَ طالِبُه

لربَّيتُه حتَّى إذا آضَ شَيظمًا يكادُ يُساوي غَاربَ النَّخل غَاربُه

وربَّيته حتَّى إذا ما تركتُه أخا القَوم واستغْنى عن المسْح شاربه

فلمَّا رآني أحْسِب الشَّخص أشخُصًا قريبًا وذا الشَّخصِ البعيد أقاربُه

تغمَّد حقِّي ظالمًا ولَوى يَدي لَوى يَدهُ اللَّهُ الَّذي هُو غالبُه

وكان لَه عِندي إذا جاع أو بكى مِن الزَّاد أحلى زادِنا وأطايِبُه

وجمَّعتُها دُهمًا جِلادًا كأنَّها أشاءُ نخيلٍ لم تُقطَّع جوانِبُه

فأخرجني مِنها سليبًا كأنَّني حُسامُ يمانٍ فارقَتْهُ مضَاربُه

أيظلِمُني مالي ويُحنثُ أَلْوَتِي ؟ فسوفَ يُلاقِي ربَّه فيُحاسبُه

الدُّهمُ : الابل الوُرْقُ تَضْرِبُ الى السواد . والأشاءُ : صِغارُ النَّخْل، شبَّه بها الابل في

عظَمها ؛ والالْوَةُ : اليمين .

فقال منازل ابنه يجيبه :

وكُنت كَمن ولَّى بأمرٍ كَتِيبَةٍ فعيَّ بها فَارفَضَّ عَنهُ كَتائِبُه

وماذاكَ مِن جرَّى عُقوقٍ تَعُدُّهُ ولا خُلُقٌ منِّي بَدا أنتَ عائِبُه

يقول : إنَّك أضْرَرْتَني ففارقتُك كمن تَولَّى أمرَ جيشٍ فأساء فيهم السيرةَ فتفرَّقُوا عنه، وما ذاك منِّي من جرَّى عقوق، أي من أجله. ومن عجيب الاتفاق ما ذكر الشَّنْتَمَريُّ في شرحه على هذا المحلّ من الحماسة أنَّ مُنَازِلاً هذا ولد له ابن يقال له خَلِيعٌ فعقَّه كما كان هو فعل بأبيه، فاسْتَعْدَى عليه الوالي . فلمَّا حضر ليضربه قال قائل للوالي : أتعرف ـ أصلحك الله ـ مَن هَذا ؟ قال : لا . قال : هذا مُنَازِلٌ الذي يقول فيه أبوه، وأنشد الأبيات السوابق .

فقال الوالي : يا هذا :

فَلا تجزَ عَنْ مِن سيرةٍ أنت سِرتَها فأوَّلُ راضٍ سِيرةً مَن يَسِيرُها

ثمَّ أمر بإطلاق ابنه خليع.

وفي نواد العامَّة أنَّ رجلا كان له ابن، ولمَّا أسنَّ وعجز عن العمل أخذه ابنه ذاك وذهب به الى فلاة من الأرض، فطرحه تحت شجرة وتركه هناك حتى هلك . فلمَّا كبر هذا الابن وبلغ مبلغ أبيه كان له ابن له وهو لا يعلم بالقصَّة، فأخذ أباه أيضا وذهب به الى فلاة وطرحه تحت شجرة كما فعل هو بأبيه.فلمَّا تولَّى عنه التفت إليه فرآه يتبسَّم.فتعجَّب من ذلك ورجع إليه وقال له : ممَّ تضحك، وقد أيقنت بالهلاك ؟ فقال له أبوه : والله ما ضحكت إلاَّ لأنَّني تذكَّرت ما فعلت بأبي، وقصَّ عليه القصَّة . فقال الولد حينئذ : لئن أنا تركته حتى مات ليفعلنَّ بي عَقِبِي مثلَ هذا . فأخذه وردَّه الى بيته . ومثل هذا ما قيل في آخر الرؤوس المحمولة الى الولاة التي أوَّلها رأسُ الحُسَيْن، جمع الله شمله في الفردوس الأعلى، وجمع أعداءه في مَصَبِّ الحميم المُغْلَى ! والقصَّة مشهورة وستأتي .

وقال الآخـر :

إن يَعلموا الخَيرَ يُخفوه وإن عَلموا شرًّا أذيعَ وإن لم يَعلَموا كذبوا

وقال أبو مُسلم الخراسانيُّ :

محا السَّيفُ أسطار البلاغة وانتحَى عَليك لُيوثُ الغاب من كلِّ جانب

وكان أبو مسلم لمَّا ثار على بني أميَّة كتب إليه مروان، وكاتِبُهُ إذ ذاك عبدُ الحميد، فلمْ ير شيئًا أطنب فيه عبد الحميد مثل ذلك الكتاب، حتى قيل إنَّ الكتاب من عِظَم جرمه حُمِل على بعير . فلم يلتفت أبو مسلم الى ذلك وأجابهم بالبيت المذكور.

وقال بعض الأعراب :

إذا كان الطَّبَّاعُ طِبَاعَ سوءٍ فَلَيس بنافعٍ فيها الأديبُ

حكى الأصمعيّ قال : دخلت البادية فأتيت على عجوز، فإذا بين يديها جِرْوُ ذئب مُقَطَّع" وشاة" مقتولة . فقالت : أتدري ما هذا ؟ قلت : لا . قالت : جِرْوُ ذئبٍ أخذناه وأدخلناه في بيتنا . فلمَّا كبِر قتل شاتَنا، وقلت في ذلك شعرا . قلت : ما هو ؟ فأنشدت :

بقرتَ شُويهَتي وفَجَعت قومي وأنت لِشاتِنا أبدًا ربيبُ

غُذِيتَ بدرِّها ورُبيتَ فينا فمن أنْباك أنَّ أباكَ ذِيبُ ؟

إذا كان الطَّبَّاعُ (البيت)

وقال الآخر :

لا تَمدحنَّ امرءًا حتَّى تُجرِّبه ولا تذُمَّنَّه من غَير تجريبِ

فربَّ خِدنٍ وإن أبدَى بشاشتَهُ يُضحي على خِدنِه أعْدى من الذِّيبِ

وقال آخر :

وإنَّ مَدحَكَ من لم تَبْلُهُ صَلفٌ وإنَّ مَدحَك بَعد الذَّمِّ تَكذيبُ

وقال الآخر :

كلَّ يومٍ قَطيعةٌ وعِتابُ يَنقَضِي دهرُنا ونَحنُ غِضَابُ

لَيتَ شِعري فَهَل خُصصْتُ بِهَذا أنا وحْدي أمْ هَكذا الأحباب ؟

وما أحسن قول بشَّار :

إذا كُنتَ في كلِّ الأمُورِ مُعاتبًا صديقَكَ لَمْ تَلق الَّذي لا تُعَاتبُه

فَعِش واحدًا أو صِل أخاك فإنَّه مُقارفُ ذنبٍ مرَّةً ومُجانِبه

إذا أنت لم تشرب مراراً على القَذا ظَمِئت وأيُّ النَّاس تصفو مشاربُه ؟

وقول الآخـر :

إلبَس النَّاسَ ما اسْتَطَعْتَ عَلى النَّقْصِ وإلاَّ لَمْ تَستَقِمْ لَك خُلَّهْ
عشْ وحيداً إنْ كنتَ لا تَقبَلُ العُذْرَ وإن كُنتَ لا تُجـــاوزُ زلَّهْ

وتقدَّم هذا المعنى، ويأتي كلام ممَّا يتعلَّق بالعتاب بعدُ إن شاء الله تعالى.

وقال الأعشى : وهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَن غَلَبْ، يعني النساء. زعموا أنَّه ذهب يمتار لأهله في شهر رجب فهربت امرأتُه مُعَاذَةُ ناشزاً، ولاذت برجل عزيز من قومه. فلمَّا رجع الأعشى طلبها فتمنَّعت منه وأبى الذي لاذت به أن يدفعها إليه، وكان أعزَّ منه.فأتى الأعشى النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم فاشتكى إليه وأنشأ يقول :

يا سَيِّد النَّاس وديَّانَ العَرَبْ أشكُو إليكَ ذِرْبَةً من الذِّرَبْ
كالذِّئبَةِ الغَبشاءِ في ظلِّ السَّرَبْ خرجتُ أبغيها الطَّعامَ في رجَبْ
فخلفَتْنِي بِنِزاعٍ وهَرَبْ وقَذفَتنِي بين عِيصٍ مُؤْتَشَبْ
أخلَفَتِ الوعدَ ولطَّت بالذَّنَبْ وهُنَّ شرُّ غالبٍ لِمن غَلَبْ

فقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم عند ذلك : هُنَّ شَرُّ غالبٍ لِمن غَلَب فكتب له أن تَردَّ إليه.الذِّربَةُ : السَّلِيطَةُ اللِّسَانِ ؛ والعِيصُ : أصل الشجرة ؛ والمُؤتَشَبُ : المُلتَفُّ . وقوله : لَطَّتْ بالذَّنَبِ، يريد : مَنَعت نفسها، وأصله في الناقة . يقال : لَطَّت بِذَنَبِها، إذا ضربت به على فرجها فسدَّت به على نفسها وامتنعت من الفحل.

وقال الآخـر :

أحبُّ بلادَ اللهِ ما بَين مَنعِجٍ إليَّ وسَلمَى أن يَصوبَ سحابُها
بِلادٌ بها حلَّ الشَّبابُ تمائمي[27] وأوَّل أرضٍ مسَّ جِلدي تُرابُها

ذكر بعض الأدباء عن بعض أهل نَصِيبِين قال : أتاني ابنُ الرومي بقصيدته التي يمدح بها سليمان بن عبد الله بن طاهر وقال : أنصفني ! أيُّهُمَا أحسنُ : قولي في الموطن :

---

27) المعروف المشهور : بلادٌ بِهَا نِيطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي . وذلك أيضا ما يوجد في زهر الآداب، (682:2).

ولي وطنٌ آليتُ ألاّ أبيعَهُ ... وألاّ أرَى غَيري لَه الدّهرَ مالكا
عمرتُ به شرخَ الشّباب ونِعمةٌ ... كَنعمةِ قومٍ أصبحوا في ظِلالِكَا
وحبّبَ أوطانَ الرّجالِ إليهِمُ ... مآربُ قضّاها الشّبابُ هُنالِكا
إذا ذكروا أوطانهُم ذكّرتهُمُ ... عُهودَ الصّبا فيها فَحنّوا لذلكا

أم قول الاعرابي : أحبُّ بِلادِ اللّهِ (الأبيات) ؟ قال . فقلت : بل قولك، لأنّه ذكر الوطن ومحبّته، وأنت ذكرت العلّة في ذلك .

ومثلُ هذا قولُ ابن الرُّومي أيضا :

بلدٌ صحبتُ به الشّبيبةَ والصّبا ... ولَبستُ ثوب العَيش وهْو جديدُ
فإذا تمثّل في الضّمير رأيتُه ... وعَليه أغصان الشّباب تَميدُ

ومثله قول آخر :

ذكرتُ بلادي فاستَهَلّت مدامِعي ... بشَوقٍ الى عَهد الصّبا المُتقادمِ
حَنَنْتُ إلى أرضٍ بها اخْضرّ جانبي ... وقُطّع عنّي فيها عقد التّمائم

وقال ابن غَالِبٍ الرُّصافي :

بلادي الّتي ريشَت قُويدِمَتي بها ... فُريخًا وآوتْني قرارتُها وكْرا
مبادىء لينِ العَيش في ريّق الصّبا ... أبى اللّه أن أنسى اغترارِي بها غرّا
لبسنا بِها ثوبَ الشّبابِ لِباسَها ... ولكِن عَرينا من حُلاهُ ولم نَعرا

وقال العَسْكَرِيّ :

إذا أنا لا أشتاق أرضَ عشيرتي ... فلَيس مكاني في النُّهى بمَكينِ
مِن العَقل أن أشتاق أوّل منزلٍ ... غَنِيتُ بخفضٍ في ذَراهُ ولِينِ
ورَوضٍ رعاهُ بالأصائِل ناظِري ... وغُصنٍ ثناهُ بالغَداةِ يَمينِي
وإنّيَ لا أنسَى العُهودَ إذا أتت ... بناتُ النّوى دونَ الخَليط ودونِي
إذا أنا لم أرْعَ العُهود على النّوى ... فَلستُ بمأمونٍ ولا بِأمِينِ

وقال رَجَاءُ بنُ هارون :

أحِنُّ إلى وادِي الأراكَ صَبابَةً ... بعَهد الصّبا فيه وتذكار أوّل

كأنَّ نسيمَ الرِّيح في جَنَباتِه نَسيمُ حبيبٍ أو لِقاءُ مُؤمَّلِ

ومثل قول الأعرابي قولُ ابن ميادة :

ألا لَيتَ شِعري هَل أبيتَنَّ ليلةً بِحَرَّةِ ليلى حيثُ ربَّيتني أهلي

بلادٌ بها نِيطت عليَّ تمائمي وقُطِّعن عنِّي حيث أدركني عقلي

ومن الحنين الى الوطن على الجملة قولُ الطَّائِيّ :

سَقى اللّه أطلالاً بأخيلة الحِمى وإن كنَّ قَد أبدينَ للنَّاس ما بيا

منازل لو مرَّت بهنَّ جنازتي لقال صَدايَ : حامليَّ انزلاَ بِيا

وقول الآخر :

طيب الهواءِ ببغدادٍ يُؤرِّقني شوقًا إليها وإن عاقَت مقاديرُ

فكيف أصْبِر عنها الآنَ إذ جَمعَت طِيب الهَوائَين : مَمدودٌ ومَقصور ؟

وقولي :

سَقى اللّه أطلالاً بأكثِبة الحِمَى مِن العَارض الهتَّان صَوبَ عِهاد

بلادٌ بها حلَّت سُليْمى ودارُها فحلَّ فُؤادي عندها وودَادي

وإنِّي إذا أسقيتُها أو بَكيتُها هُيامًا فما أسقيتُ غير فُؤادي

وما أعلم أحداً سبقني الى هذا المعنى، مع تداول هذا الغرض بين الشعراء كثيرا . وسياتي في أمثال الحنين الى الوطن زيادة على ما ذكرنا . إن شاء الله تعالى.

وقال راشد بن عبد ربّه رضي الله عنه ! : لَقَدْ هَانَ مَن بَالَتْ عَلَيهِ الثَّعَالِبُ .

وكان اسمه في الجاهليَّة غَاوِي بن عبد العُزَّى، وكان سَادِنَ صنمٍ لقومه بَنِي سُلَيم

فبينما هو عنده ذات يوم إذ أقبل ثعلبان يشتدَّان حتى طلعا عليه فبالا عليه، فقال :

أربٌّ يَبول الثَّعلبانِ برأسِه ؟ لَقد هان مَن بالَت عَليه الثَّعالبُ ؟

ثمَّ كسره وقال : يا معشر سُلَيْم، والله ما يَضُرُّ ولا ينفع، ولا يُعطِي ولا يَمْنَع !

ولحق بالنبي صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال : ما اسمك ؟ قال : غَاوِي بنُ عَبْدِ العُزَّى .

قال : بل أنت راشدُ بنُ عَبْد ربِّه، والثَّعلَبانُ في البيت، بضمّ الثاء واللام، وهو ذكر الثعالب . هذا قول جماعة من اللغويّين منهم الجوهري . وقال آخرون، ومنهم صاحب

القاموس : ذاك غلط، وإنّما هو بفتحهما على أنّه تثنية ثعلب . وتمسّكوا بالقصّة السابقة وأنّه أقبل ثعلبان وبالا معًا على الصنم . وقال بعضهم : كان لرجل صنم وكان يأتي بالخبز والزبد، فيضعه على رأسه ويقول اطْعَم ! فجاء ثعلبان فأكلا الخبز والزبد . وقال آخرون : هذا خطأ في التفسير والرواية، وإنّما الحديث : فجاء ثُعْلُبَانٌ، وهو الذكر من الثعالب لا مُثْنَّى، فأكل الخبز والزبد ثمّ فعل . فقام الرجل الى الصنم فكسره وقال في ذلك شعره . قلت : والحقّ أنّ القصّة بعد صحّتها على ما قال أهل التثنية من أنّها ثعلبان لا تفيد أنّ الواقع في البيت مثنّى على التعيين، إذ لا يلزم من وقوع البول من الثعلبين أن يذكرهما الشاعر، وإنّما المعوّل الرواية : فإن وردت بالافراد كان حسنًا، وكان المقصود الجنس والنداء على هوان الصنم ببول الثعلب عليه، لا شرح القصّة . وإذا رُدّ الأمر الى النفس وُجد فيها للمفرد حلاوة ، وعن التثنية كَزَازَة، والله أعلم.

وقال الآخـــر :

فَقَعدت كالمُهريقِ فَضلَة مائِه في ظلّ هاجرةٍ لِلمْعِ سَرابِ

ومثله قول الآخـر :

وكُنت كمُهريق الّذي في سِقائه لرقراق آلٍ فوق رابيةٍ صَلدِ

وهذان البيتان تضمّنا معنى المثل السابق في صاحب النّعامة.

وقال أبُو الغَريب :

إنّ اللّئيمَ الارْسَ غَيرُ نازعٍ عَن وذءِ جارةِ الغَريب والجُنب

الارْسُ هو الأصل، أي اللّئِيمُ الأصل والوذء : الشتم . والجُنُبُ : الأجنبي الغريب.

وقال أعرابيّ :

كِلابُ النّاس إن فكّرت فيهم أضرُّ عَليك مِن كَلب الكِلابِ

لأنّ الكَلب لا يُؤذِي صَديقًا وإنّ صديقَ هذا في عَذَابِ

ويأتي حين يأتي في ثِيابٍ وقَد جُزِمَت عَلى رجلٍ مُصابِ

فأخزَى اللّهُ أثوابًا عَليه وأخْزَى اللّه ما تَحت الثّياب

ومثل هذا ما يحكى عن بعضهم قال : وجدت إبراهيم بن أدهم ـ رضي الله عنه ـ أو غيره من

نُظَرائِه مُضْطَجِعًا، وعند رأسه كلبٌ نائم . فأردت أن أقيم الكلب فقال : دعْهُ فإنَّه خيرٌ من الجليس السوء.

وقال الشيخ [القطب] العارِف أبو محمد عبد القادر الجيلاني فيما ينسب إليه، وكان يُنْشِدُهُ على الكُرسيّ :

أنا بُلبُل الافراحِ أملأ دَوحَها طربًا وفي العَلياءِ بازٌ أشْهبُ

وقال الآخـــر :

أتطلُب صاحبًا لا عَيب فيه وأيُّ النَّاس لَيس له عُيوبُ ؟

وتقدَّم نحو هذا قبل .

وقال الآخـر :

إذا رُمتُمُ قَتلي وأنتُم أحِبَّتي إذا فالأعادي واحدٌ والحبائبُ

وقال الآخـــر :

إذا الخِلُّ لم يَهجرك إلاَّ ملامةً فَليس لَه إلاَّ الفِراقَ عِتابُ

وقال الآخـــر :

إذا أنتَ جازيتَ المُسيءَ بفِعلِه فَفعلُك مِن فِعل المُسيءِ قَريبُ

وقال الآخـــر :

إذا الغُصن لَم يُثْمِر وإن كان أصله مِن المُثمراتِ اعتادَه النَّاس للحطب

وقال الآخـــر :

إذا المَرءُ لَم يُحبِبكَ إلاَّ تَكلُّفًا فَذلك من أفعاله ما يُغالبُ

ومثله قول الحماسي السابق :

إذا ما المَرءُ لم يُحبِبكَ إلاَّ مُغالب نَفسه سَئِم الغِلابَا

وقال الآخـــر :

إذا جَفاني بَنو الدُّنيا وضِقتُ بهم طالَعتُ كُتبي ونادمتُ الألَى ذهبوا

ومثله قول الآخـــر :

لنا جُلساءٌ لا يُملُّ حديثُهُم أليبَّاءُ مأمونون غيبًا ومَشهَدا

وقال عليّ بن الجهم :

أعاتِب ذا المُروءةِ مِن صَديقٍ ... إذا ما رابني مِنه اجْتِنابُ

إذا ذهب العِتابُ فَليس وُدٌّ ... ويَبقى الوُدُّ ما بَقيَ العِتابُ

ومثله من هذا الباب قول الآخر :

أُعاتبُ مَن أجببتُ في كلِّ زلَّةٍ ... ليحتَميَ الأمر الَّذي مَعه العَتبُ

فإنِّي أرَى التَّأديبَ عِند وجوبِه ... بمنزلَة الغَيثِ الَّذي قَبلَه الجدْب

وسيأتي في الحِكم تمامُ هذا المعنى إن شاء الله تعالى.

وقال الآخر :

إذا شِئتَ أن تُقلَى فَزُرْ متواتِرا ... وإن شِئتَ أن تزداد حُبًّا فزر غِبًّا

وسيأتي تمامه .

وقال الآخر :

إذا عِبتَ أمرًا فَلا تأتِهِ ... فَذو اللُّبِّ مُجتنبٌ ما يَعيبْ

وقال الآخر :

إذا قُلتُ للعذَّال : لستُ بعاشقٍ ... يَقول لَهم فيضُ المَدامع : يَكذِبُ

وقال الآخر :

تَعالوْا نَصطلحْ وتكون منَّا ... مُصافاةٌ بلا عَدٍّ الذُّنوبِ

وقال الآخر :

تقاربَت الجسومُ وأيُّ نَفعٍ ... يَكونُ إذا تباعدتِ القُلُوبُ ؟

وقال الآخر :

تكلَّفْتَ لي هَذا الوداد فلم يدم ... وكلُّ ودادٍ بالتَّكلُّفِ يَصعُبُ

وتقدَّم نحوه.

وقال الآخر :

تِيهٌ بِلانَسبٍ كِبْرٌ حَسبِ ... فَخْرٌ بِلا أدبٍ هذا مِن العَجَبِ !

وقال الآخر :

جَهلُ الشَّريفِ يَشِينُ مَنصِبَهُ وابْنُ الوضِيعِ يَزينُهُ أدَبُهْ

وسيأتي تمام هذا المعنى .

وقال الآخـــر :

حبيبٌ غابَ عَن نَظري وسَمعي ولَكن عَن فُؤادي ما يَغِيبُ

وقال الآخـــر :

طَبعُ الفَتى يَسرِقُ مِن طَبعِ مَن يَصحَبُهُ فانظُر لِمن تَصحَبُ

ومثله قول المراكشي في أرجوزته في الطريقة :

اخْتَر لِصُحبَتك مَن أطَاعَا إنَّ الطِّباعَ تَسرِقُ الطِّبَاعَا

وقال الآخـــر :

قَد قَنعنا مِنكُم بِردٍّ جَوابِ دُونَ إسعافِنا بِما في الكِتابِ

وقال الآخـــر :

قَد يُلامُ البَريءُ مِن غَيرِ ذَنبٍ ويُغَطَّى على المُريبِ ذُنُوبُ

وقال الآخـــر :

كأنَّك لَم تَتعَب وإن كُنت مُتعبًا إذا أنتَ لا قَيتَ الَّذي فِيه تَتعبُ

وقال الآخـــر :

كَعُصفورةٍ في كفِّ طفلٍ يَسومُها حِياض المَنايا وهْو يَلهو ويَلعَب

وقال الآخـــر :

كلُّ امرىءٍ لا بُدَّ يَقضي نَحبَهُ إن كَرِهَ المَوتَ وإنْ أحَبَّهُ

وقال الآخـــر :

كُن للغَريب إذا رأيت مُساعدًا فَعَساكَ يومًا أن تَصيرَ غريبا

وقال الآخـــر :

لَئن غابَ عَن إنسانِ عيني شَخصُهُ فما هُو عَن فِكري وقَلبي بغائِب

وقال الآخـــر :

لَحى اللَّه دُنيا ألجأتنا لمعشرٍ فِراقُهمُ أشْهى الأمور الى قَلبي

وقال الآخـــر :

لُحومُ أهل العِلـم مَسْمـومةٌ ومَن يُعاديهِم سَريعُ العَطَبِ

وقال الآخـــر :

لَيس الرَّزيَّة في أيَّامنا عَجَبًا بَل السَّلامَةُ فيها أعْجبُ العَجبِ

ومثله قول أبي بكر بن دُريْد :

لا تَعجَبَنْ مِن هالكٍ كَيفَ هَوى بَل فاعجَبَنْ مِن سالمٍ كَيف نَجا

وقال الآخـــر :

لَيس التَّقيُّ بمُتَّقٍ في دينِه حتَّى يَطيب طعَامُه وشَرابُهُ

وقال الآخـــر :

لَيسَت الأحلامُ في حَالِ الرِّضى إنَّما الأحلامُ في حالِ الغَضَبْ

وقال الآخـــر :

لَيس يَصْفو إلاَّ بقُربِك عَيشِي كَيفَ لي أن تَكونَ منِّي قَريبًا ؟

وقال الآخـــر :

ما أصعَب الشَّيءَ تَرجوهُ فتُحْرمُه لا سيَّما بَعد طول الجَهد والتَّعب !

وقال الآخـــر :

ما صاحبي مَن ودَّني حَاضِرًا بَل صاحِبِي مَن ودَّنِي غَائِبًا

ومثله قول الحماسي من هذا الباب :

ولَيسَ أخِي مَن ودَّني رأيَ عَينِه ولَكن أخي مَن ودَّني وهْو غَائبْ

وقال الآخـــر :

ما يَفتَح اللَّهُ باب الرِّزقِ من أحدٍ إلاَّ ويُفتحُ غيرَ البابِ أبوابُ

وقال الاخـــر :

مَتى تَكُ مَعْ صديقٍ أو عَدوٍّ تُخَبِّرْكَ الوُجُوهُ عَن القُلُوبِ

وقال الآخـــر :

من النَّاس من يغْشى الأباعِدَ نَفعُه ويُحرمُ مِنه صحبُه وأقاربُهْ

وقال الآخـــر :

مَن ذمَّ مَن كان كلُّ النَّاس يَحمَدهُ ... فإنَّما يربَح التَّكذِيبَ والكَذِبَا

وقال الآخـــر :

مَن عوَّد النَّاس إحسانًا ومَكرمةً ... لا يَعتبنَّ على مَن لجَّ في الطَّلبِ

وقال الآخـــر :

نَحنُ نَدعو الالَه في كلِّ كَرْبٍ ... ثمَّ ننساهُ عِند كَشفِ الكُرُوبِ

وقال الآخـــر :

نَفسُك لا تُعطِيكَ كلَّ الرِّضَى ... فَكيف ترجُو ذَاكَ مِن صَاحبِ ؟

وقال الآخـــر

نَوائِبُ هذا الدَّهر شَتَّى وإنَّني ... أرَى فُرقَة الأحباب أدْهى النَّوائبِ

وهو مثل [قول] قيس السابق . وقال الآخر

وأحزمُ النَّاس مَن لم يرتَكِبْ سببًا ... حتَّى يُدبِّرما تَجني عَواقِبُهُ

وقال الآخـــر :

وإذا الزَّمان كَساك حُلَّةَ مُعدمٍ ... فالبَس لَه حُلَل النَّوى وتَغَرَّب

وتقدَّم مع ما يشاكله . وقال الآخر

وإذا تُصِبْك خَصاصَةٌ فارْجُ الغِنى ... والى الَّذي يَهَبُ الرَّغائبَ فارغبِ

وقال الآخـــر :

وأطلُبُ قُربي من حماكُم وأنتُمُ ... إلى ناظِرِي والقَلبُ في غايةِ القُرب

وقال الآخـــر :

وإن كُنت مُسترعىً ونَحن رعيَّةٌ ... فكُلٌّ سَيَلقى ربَّه فَيُحاسِبُهُ

وقال الآخـــر :

وإنَّك إنْ أهْديْتَ لي عيبَ صاحبٍ ... لَمُهدٍ إلى غَيري جَميعَ عُيوبي

وقال الآخـــر :

وإنِّي بِكم في كلِّ حالٍ لواثقٌ ... ولكنَّ سُوء الظَّنِّ مِن شدَّة الحبِّ

وقال الآخـر :

وبالنَّاس عاش النَّاسُ قِدْمًا ولم يزل من النَّاس مرغوبٌ إليه وراغبُ

وقال الآخـر :

وتشتُّتُ الأعـداءِ في آرائِهِـمْ سَببٌ لِجمعِ خَواطِرِ الأحبابِ

وقال الآخـر :

وخَيرُ عُمْرِ الفتى عُمْرٌ يَعيشُ بِهِ مُقسَّمَ الحال بَين الجدِّ واللَّعِبِ

وقال الآخـر :

ودَعِ العِتابَ إذا استَربتَ بصاحبٍ لَيست تُنالُ مودَّةٌ بِعتابِ

وقال الآخـر :

ورث النَّجابة كابِراً عَن كابرٍ كالرُّمحِ أنبوبًا على أنبوبِ

وقال الآخـر :

وسائلٍ : ما المُلكُ ؟ قيل : الغِنى فَقلتُ : لا بَل راحَةُ القَلبِ

وقال الآخـر :

وعَهدُ المَشيبِ كأنِّي بِهِ يَمُرُّ كما مرَّ عَصرُ الصِّبَا

وقال الآخـر :

وقَد كُنتُ لا أخْشَى مَعَ الذَّنب جفوةً وقَد صِرتُ أخشاها ومالِيَ مِن ذنبِ

وقال الآخـر :

وقد نَثَر التَّودِيعُ من كلِّ مقلةٍ على كلِّ خدٍّ لُؤلُؤاً لم يُثقَّبِ

وقال الآخـر :

وقطعتُ في الدُّنيا العَلائقَ لَيس لي ولدٌ يموتُ ولا جِدارٌ يَخربُ

وقال الآخـر :

وكنَّا نستَطِبُّ إذا مرضنا فجاء الدَّاءُ مِن قِبل الطَّبيبِ

وتقدَّم ما يشاكل هذا في حرف الهمزة، فيمن يَغَصُّ بالماء . وقال الآخر :

وكُنت أرى أنَّ التَّجاريبَ عُدَّةٌ فخانت ثِقات النَّاس حتَّى التَّجاربُ

وقال الآخـــر :

ولا خَير في قُربٍ لغيركَ نفعُهُ ... ولا في صديقٍ لا تزالُ تُعاتِبُهُ

وقال الآخـــر :

ولا خَير فِيمَن لا يُوطِّنُ نَفسَهُ ... على نائباتِ الدَّهر حِين تَنوبُ

وقال الآخـر :

ولربَّما بخِل الكَريمُ وما بِه ... بُخلٌ ولكن سوءُ حظِّ الطَّالب

وقال الآخـــر :

ولَو أنَّ مابي بالحَصا فُلِقَ الحصا ... وبالرِّيح لم يُسمَع لهُنَّ هبوبُ

وقال الآخـــر :

ولو أنَّني أستَغفر اللَّهَ كلَّما ... ذكرتُك لَم تُكتَب عليَّ ذنوبُ

وقال الآخـــر :

وليس بتقدير الكَواكِب ما تَرَى ... ولـكنَّه تقديـرُ ربِّ الكَـواكِب

وقال الآخـــر :

ولَيس بِحاكمٍ مَن لا يُبَالِي ... أأخْطأ في الحُكومة أمْ أصابا

وقال الآخـــر :

ولَيس عِتابُ النَّاس لِلمرءِ نافعًا ... إذا لم يَكن للمرءِ لُبٌّ يُعاتِبُهُ

وقال الآخـــر :

ولَيلٍ أردنا أن يدبَّ عِذارُهُ ... فما اخْتطَّ حتَّى صار بالصُّبْح شائِبا

وقال الآخـــر :

وما المرءُ إلاَّ حيثُ يجعَلُ نفسَهُ ... فَكُن طالبًا للنَّفس أعلى المراتبِ

وقال الآخـــر :

وما شَرفُ الانسانِ إلاَّ بنفسِهِ ... وإن عدَّ آباءً كرامًا ذوي حَسَبْ

وقال الآخـــر :

وما كان لي ذنبٌ فأخْشى جَزاءَهُ ... وعَفوك مرجوٌّ وإن كان لي ذنبُ

وقال الآخـــر :

ومـا لقُلـوب العاشِقيـنَ مزيَّةٌ إذا نَـظَرتْ أفكارها في العَواقِب

وقال الكُمَيْت

ومالِيَ إلاَّ آلَ أحمدَ شِيعَةٌ ومالِيَ إلاَّ مذهَبَ الحقِّ مذهَبُ

وقال الآخـــر :

ومالي ذنبٌ أستَحقُّ به الجَفا وإن كان لي ذنبٌ فإنّي تائبُ

وقال الآخـــر :

وما هي إلاَّ غَلطةٌ قد غَلطتُها وقَد يَغلطُ الانسان ثمَّ يتُوبُ

وقال الآخـــر :

ومِن عادةِ الأيَّام أنَّ صُروفَهَا إذا ساءَ مِنها جانبٌ سرَّ جانبُ

وقال الآخـــر :

ومِن مذهَبي حبُّ الدِّيار وأهلِها وللنَّاس فيما يعشقونَ مَذاهِبُ

وقال الآخـــر :

ومَن ربَط الكَلب العَقور ببابه فَعقرٌ جَميع النَّاس مِن رابِط الكلب

وقال الآخـــر :

ويوهِمُني أنَّهُ نَاصِحٌ وفِي نُصْحِهِ حُمَةُ العَقْرَبِ

وقال الآخـــر :

هَنيئًا لَكم ماءُ الفُرات وطِيبُه إذا لم يَكُن لي في الفُرات نصيب

وقال الآخـــر :

لا تَجزعنَّ مِن المِدادِ ولَطْخِهِ إنَّ المِدادَ خَلوف ثوبِ الكَاتبِ

وقال الآخـــر :

لا تَكونَنَّ للأمورِ هَيوبَا فإلى خَيبةٍ يصيرُ الهَيوبُ !

وقال الآخـــر :

لا تَنكِحَنَّ لئِيمةً لِمَحاسِنٍ فاللُّؤمُ يَبقى والمحاسِنُ تَذهَبُ

ومِصْداقُه قولُه صلّى اللّه عليه وسلّم : **إيّاكُم وخَضْراءَ الدِّمَنِ**، وسيأتي.

وقال الآخـــر :

لا تَيأسنَّ وإن عزَّ الوصَالُ فَقدْ ... تَجفو أُناسٌ وهُمْ في الغَيبِ أحبابُ

وقال الآخـــر :

لا يُقْبَلُ الصِّدقُ مِن الكذّابِ ... ولَو أتَى بِمَنطقٍ عُجابِ !

وقال الآخـــر :

يا بصيـرًا إلاّ بإبصار كُتـبي ... وجـوادًا إلاّ بردٌ جَـوابِ !

وقال الآخـــر :

يخِيبُ الفَتى مِن حيثُ يُرزقُ غَيرُهُ ... ويُعطَى الفتى من حيثُ يُحرمُ صاحبُهْ

وقال الآخـــر :

يذُمُّون دنياهُم وهُم يَطلُبونَها ... ولَم يُرَ كالدُّنيا تُذمُّ وتُطلب

وهو مثل قول الآخـر :

قَد أجْمعَ النَّاسُ على ذمِّهَا ... وما أرى مِنهُم لَهـا تاركَـا

وهذا من توهيمات[28] الخيال وأغاليط الشعراء، وإلاّ فليس لهذا التعجب موقع، ولا للالغاز محلّ، إذ العقول السليمةُ كلها بلاشك ذامّةٌ للدنيا وليست بطالبة لها، ومتى وقع منها طلب فمطلوبها غير المذموم، كما أنّ مذمومها غير المطلوب . فإنّ الدنيا من حيث إنّها مزرعةٌ للآخرة، وقنطرةٌ يُعْبَرُ منها إليها، وزاد يُبلّغ إليها، لابدّ منها وهي محمودة غير مذمومة، ومن حيث إنّها فتنةٌ وعائقة عن الفوز ومبعدة عن النجاح، وموجبة للعقاب أو العتاب، مذمومة عند كلّ بصير غيرُ مطلوبة، بل مهروبٌ منها غايةَ الهرب، ومنفور منها غاية النفور، ولا يطلبها على هذا الوجه إلاّ أعمى البصيرة، وهذا ليس بذمّها . وقد يذمُّها بلسانه وهو يحبّها سرًا، وهو غير ذامّ لها بالحقيقة . وعلى مثل هذا الذي خالف قولُه فعلَه يَحْسُنُ من جهة الظاهر إنشادُ الشعر السابق، ولا يصحّ الاتفاق، ولكن الأكثر والأغلب هذا، نسأل اللّه السلامة من فتنة المَحيا والمَمات.

---

28) في ب : توهمات.

وقال الآخـــر :

يَـرحَـــــمُ اللّهُ صَديقـًـــــا جاءَ يُهْـــدِي لِي عُيُـــوبِي

وقال الآخـــر :

دعِ المُزاحَ فَقد يُزري بِصاحِبه وربَّما آل في العُقبى الى الغَضَب

وقال الآخـــر :

رأيتُ تباعُـــدَ الاخـوانِ قُربًـــا إذا اشْتَمَلتْ على الوُدّ القُلُوبُ

وقال الآخـــر :

رأيتُ الوُدَّ لَيسَ يَكادُ يَبقَى إذا كثُـر التَّغضُّبُ والعِتـابُ

وقال الآخـــر :

رُبَّ لَحظٍ يكُون أبلغَ مِن لَفظٍ وأبـــدى لِمُضمَـــراتِ القُلُـــوب

وقال الآخـــر :

سأرعاكَ في البُعد المُفَرّقِ بَينَنا كما كُنتُ أرعَى والمَزَارُ قَريبُ

وقال الآخـــر :

سَأُصفيكَ الهَوى مِن كلّ وجهٍ وأمْنحُكَ الرِّضَى من كلّ بَابِ

وقال الآخـــر :

سَتعلَم هَل ربِحنا أم خَسِرنا إذا فكَّرتَ في أمرِ الحِسابِ

وقال الآخـــر :

سَقى اللّهُ أيَّام التَّواصُل بَينَنا وردَّ إلى الأوطان كلَّ غَـريبِ

وقال الآخـــر :

سَل الخَيرَ أهْلَ الخَير قِدْمًا ولا تَسلْ فتًى ذاق طعم العَيش مُنذ قريب

وقال الآخـــر :

سَمعتُ عِتابًا يُستطابُ فَليتني أطَلتُ ذنوبي كَي يَطول عِتابُ

وقال الآخـــر :

سَيُغنِي اللّهُ عن بَقرات زيدٍ ويـأتي اللّهُ بالتَّلبـن الحَلـيبِ

وقال الآخـــر :

شَهِدنا وجرَّبنا أموراً كَثيرةً فَلا تُهملوا نُصح الصَّديق المُجرَّب

وقال أحد القدماء :

صاح أبصَرتَ أو سَمِعتَ بِراعٍ[29] ردَّ في الضَّرع ما قَرا في الحِلاب ؟

وقال الآخـــر :

صُروف اللَّيالي أحوَجَتنا إلَيهِمُ كما احتاجَ صيَّادٌ الى صُحبَة الكَلب

وقال أبو العلاء المعريّ :

والسَّمهَريَّةُ ليس يشرُف قدرها حتَّى يُسافر لدنُها عَن غابِهِ

والعَضبُ لا يَشفِي امرءاً مِن ثأره إلاَّ بفَقد نِجادِهِ وقِرابِهِ

واللَّهُ يَرعى سَرحَ كلِّ فَضيلَةٍ حتَّى يُروِّحَه الى أربابِهِ

وقال أيضا :

وهَجيرةٍ كالهَجر موجُ سرابِها كالبَحر لَيس لمائِها مِن طُحلُب

أوفى بها الحرباء عودى مِنبرٍ للظُّهرِ إلاَّ أنَّه لَم يَخطُب

فكأنَّه رامَ الكَلامَ فَمَسَّهُ عِيٌّ فأسعَدهُ لِسانُ الجُندُبِ

وقال الآخـــر :

وما رحِمُ الأهلينَ إن سالَموا العِدى بمُجديَةٍ إلاَّ مُضاعَفَةَ الكَربِ

ولَكن أخو المَرءِ الَّذين إذا دَعا أجابوا بما يُرضِيه في السِّلم والحَرب

وقال الآخـــر :

ما المرءُ أخوكَ إن لم تُلفِهِ وزراً عِند الكَريهة مِعوانًا على النُّوبِ

وأعلم أن لفظ الأخ فيه لغاتٌ : يقال أخٌ، وهي اللغة المشهورة، وأخْوٌ بسكون الخاء على مثال فَرْو، وهو الواقع في البيت المذكور، ويقال في الجمع إخْوَة وأخُون، وهذا الثاني هو الواقع في البيت الثاني من البيتَيْن قبل هذا، وحُذفت نونه للاضافة الى المرء، وليس مفردا بدليل الاخبار عنه بالذين.

---

29) في لسان العرب : صَاحِ هَلْ رَيْتَ أو سَمِعْتَ بِرَاعٍ....

وقال الآخـــر :

لَعمرُك ما حقُّ امرىءٍ لايعُدُّلي على نفسِهِ حقًّا عليَّ بواجِبِ
وما أنا للنَّائِبِي عليَّ بودِّهِ بوُدِّي وصافي خُلَّتي بمُقارِبِ
ولكنَّه إن مال يومًا بجانبٍ مِن الصِّدقِ والهِجرانِ مِلتُ بجانبِ

وتقدم نحو هذا . وقال جرير، وقد كان اشترى جارية من رجل من أهل اليمامة يقال له زيد، ففِرِكَتْهُ وحنَّت الى بائعها :

تُكلِّفني مَعيشَةَ آلِ زَيْدٍ ومَنْ لي بالمرقَّقِ والصِّنَابِ ؟[30]
وقالت : لا تَضُمُّ كضمِّ زَيْدٍ، وما ضمِّي ولَيسَ مَعي شَبابي ؟

فقال الفرزدق :

وإن تفركْكَ عِلجَةُ آلِ زيْدٍ ويُعوزُك المرقق والصِّنابُ
فقِدْمًا كان عَيشُ أبيكَ مُرًّا يَعيشُ بما يَعيشُ به الكِلابُ

والصِّناب بكسر الصاد . قال المبرد : هو صِباغ يُتَّخذ من الْخَرْدَلِ والزبيب، ومن ذلك قيل للفرس صِنابِيٌّ إذا كان في ذلك اللون.

وقال الآخـــر :

ويَأخذ عَيب المر من عيب نفسه مرادٌ لَعمـــري ما أراد قريبُ

قيل وهذا البيت مبنيٌّ على كلام الأحنف، وقد قال له رجل : دُلَّني على رجل كثير العيوب! فقال : اطلبه عيَّابًا، فإنما يعيب الناسَ بفضل ما فيه !

وقال الآخـــر :

بلَّ المنابِرَ من خَوفٍ ومن وهَلٍ واستَطعَم الماءَ لمَّا جدَّ في الهرب
وألحَنُ النَّاس كلُّ النَّاس قاطبةً وكان يولعُ بالتَّشديقِ في الخُطَب

وهذا الشعر قاله بعض الشعراء في خالد بن عبد الله القَسْرِيِّ، وكان من الخطباء البلغاء ؛ فصعد المنبر ذات يوم فخرج عليه المُغِيرَةُ بنُ سَعْدٍ بالكوفة في عشرين رجلا، فَعَطْعَطُوا به، فَعَيِيَ خالدٌ وقال : أطْعِمُونِي ماءً ! وهو على المنبر، فعُيِّر

30) في لسان العرب (مادة صنب) : ومَنْ لِي بالصَّلائِقِ والصِّنَابِ.

بذلك، وكتب هشامٌ إليه رسالة وبَّخه فيها، وقيل فيه ما تقدَّم وقال فيه أيضا يحيى بن نَوْفل :

لأعْلاجِ ثَمَانيةٍ وعَبْدٍ ... لَئِيمِ الأصْلِ في عَددٍ يَسيرِ
هَتَفتَ بكُلِّ صَوتِكَ أطعِموني ... شَرَابًا ثمَّ بُلتَ على السَّرير !

وسيأتي في الحِكم إن شاء الله ذكرُ كثيرٍ ممَّن أُرتِجَ عليه في الكلام.

وقال محمد بن أبي عُيَيْنَة يعاتب بعض الأشراف :

أتَيتُك زائرًا لقضاءِ حقٍّ ... فَحال السِّترُ دونَك والحِجَابُ
وعِندك مَعشرٌ فِيهم أخٌ لِي ... كأنَّ إخاءَهُ الآلُ السَّرَابُ
ولَستُ بِساقِطٍ في قِدر قَومٍ ... وإن كَرِهُوا كما يَقَعُ الذُّبابُ
ورائِي مَذهبٌ عَن كلِّ ناءٍ ... بِجانبِهِ إذا عزَّ الذَّهابُ

وقال آخر :

فَللَّهِ منِّي جانبٌ لا أُضِيعُه ... وللَّهْوِ منِّي والبِطالة جانبُ

وقال الآخر :

ويَعرف وجْهَ الحزمِ حتَّى كأنَّما ... تُخاطبُه من كلِّ أمرٍ عواقِبه[31]

وقال الآخر :

أخٌ لي كأيَّام الحَياة إخاؤُهُ ... تَلَوَّن أحيانًا عليَّ خُطُوبُها
إذا عِبتُ مِنه خُلَّةً فهجَرتُهُ ... دعَتني إلَيه خلَّةٌ لا أعِيبُها

وقال الآخر :

ماليَ عَقلي وهِمَّتي حَسْبِي ... ما أنا مولًى ولا أنا عَربِي
إن انتَمى مُنْتَمٍ الى أحَدٍ ... فإنَّنِي مُنْتَمٍ إلى أدَبِي

وهذا مثل قول عامر بن الطفيل :

وإنِّي وإن كُنتُ ابْن سيِّد عامرٍ ... وفي السِّرِّ منها والصَّريحِ المُهذَّب
فما سوَّدتني عامرٌ عن وراثَةٍ ... أبى اللَّهُ أن أسْمو بأمٍّ ولا أبِ

31) سقط هذا البيت من أ.

ولـكنّني أحـمي حِماها وأتّقي أذاها وأرْمي من رمَاها بمَنكِبِ

وقول بعض الأشراف الطالبيّين :

لَسنا وإن أحسابُنَا كَرُمَت يومًا عَلى الأحسَابِ نتّكِلُ

نَبْني كما كانت أوائِلُنَا تَبْنِي ونَفْعَلُ مِثْلَ ما فَعَلُوا

وقول الحُسيْن رضي الله عنه، وقد أجزل صلة شاعر فَلِيمَ على ذلك فقال : أتراني خفت أن يقول لست من فاطمة بنت النبي صلّى الله عليه وسلّم ولا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ؟ ولكنني خفت أن يقول لست كمِثْلِهِما فيُصَدَّقَ ويُحْمَلَ عنه، ويبقى مخلّدًا في الكتب على ألسنة الرواة . فقال ذلك الشاعر حينئذ : أنت والله يا ابن رسول الله أعرف بالمدح والذمّ مني !

ويحكى أنّ رجلا تكلّم بين يدي عبد الملك بكلام ذهب فيه كلّ مذهب . فقال له، وقد أعجبه : ابن من أنت يا غلام ؟ قال : ابن نفسي، يا أمير المؤمنين، التي نلت بها هذا المقام منك . وأخذه بعض الشعراء فقال :

كُنِ ابن مَن شِئتَ واتّخذ أدبًا يُغنيك مأثورُهُ عن الحَسَبِ

إنّ الفتى مَن يَقولُ ها أنا ذَا لَيس الفَتى مَن يَقول كان أبي

وآخر في قوله :

كُن ابن من شِئت وكن مؤدّبًا فإنّما المرء بفَضل حسبِهِ

وليس مَن تُكرِمُهُ لِغَيرِهِ مِثلَ الّذي تُكرِمُه بنَفسِهِ

وحكى عن يحيى بن أكثَمَ قال : بينما أنا يوما جالس مع المأمون إذ دخل الدار ، فتى أبْرَعُ الناس زيًّا وهيبةً ووقارًا، وهو لا يلتفت إعجابا بنفسه . فنظر إليه المأمون فقال : يا يحيى، هذا لا يخلو أن يكون هاشميًّا أو نحويًّا . ثمّ بعث من يتعرّف ذلك منه، فإذا هو نحويّ . فقال المأمون : يا يحيى، أعلمت أن علم النحو قد بلغ بأهله من عزّة النفس وعلوّ الهمّة منزلة بني هاشم في شرفهم ؟ يا يحيى، مَنْ قَعَدَ بِهِ نَسَبُه، نَهَضَ بِهِ أدَبُه !

ومثله قول أبي العلاء المعري :

لـــو يـعلـمُ الانسانُ مِقـدارَهُ لَم يفْخرِ المَولى عَلى عَبدهِ
لَـــــولاَ سجايـــــاهُ وأخْلاَقُهُ لَكان كالمَعْدومِ في لَحْدِهِ
ومَجْـدُهُ أفْعَـالُهُ لا الَّـذِي مِنْ قَبلِهِ كَانَ ولا بَعْدِهِ

وقول أبي محمد الحريري رحمه الله :

لَعَمركَ ما الانسانُ إلاَّ ابنَ يومِهِ عَلى ما تجلَّى يومَه لا ابنَ أمسِهِ
وما الفَخرُ بالعَظمِ الرَّميم وإنَّما فخارُ الَّذي يبغي الفخار بنفسه

وقول أبي الطيب :

ما بقَومي شَرُفْتُ بل شَرفوا بي وبنفْسي فخرت لا بِجُدُودي

والشعر في هذا المعنى كثير، وأصل هذا كله قولُه تعالى وجلَّت كَلِمتُه : **إنَّمَا المَؤمِنُونَ إخْوةٌ**، وقوله تعالى : **إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أتْقَاكُمْ**، وقوله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في حِجَّة الوداع : **أيُّهَا النَّاسُ، إنَّمَا النَّاسُ إخْوةٌ، ولَيْسَ لِعَربيٍّ عَلَى عَجَميٍّ فَضْلٌ إلاَّ بالتَّقْوَى . أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ ربَّكُمْ واحدٌ وإنَّ أباكُم واحدٌ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ وآدَمُ مِن تُرابٍ، وأكْرمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أتْقَاكُمْ** . وهو قطعٌ لما كانت فيه العرب من الافتخار بالآباء.

ولعلي كرَّم اللَّه وجهه :

النَّاس من جِهةِ التَّمثِيل أكفاءُ أبوهُـــــــم آدمٌ والأمُّ حوَّاءُ[32]

ويُنسب إليه :

ما الفَخر إلاَّ لأهْلِ العِلمِ إنَّهُمُ عَلَى الهُدى لِمنِ استَهدَى أدلاَّءُ
وقَدرُ كلِّ امرىء ما كان يُحسِنُه والجاهِلون لأهْل العِلم أعداءُ

وقال الآخـــر :

لَئن فخَرتَ بآباءٍ لَهُم كَرمٌ لَقَد صَدقْتَ ولكن بِئس ما ولَدوا

وقال الكُمَيْت :

ومَا استُنزلَت في غَيرنا قِدر جارنا ولا ثفِئَت إلاَّ بنَا حِين تُنصَبُ

---

32) سقط هذا البيت من ب.

وقال أبـُو الطَّمحان :

وإنِّي مِن القَوم الَّذين هُمُ هُمُ ... إذا مات مِنهم ميِّتٌ قام صاحبُه
نُجوم سَماءٍ كلَّما انفضَّ كَوكبٌ ... بَدا كَوكبٌ تَأوِي إليه كَواكِبُه
أضاءت لَهم أحسابُهم ووجوهُهُم ... دجى اللَّيل حتَّى نظَّم الجزعَ ثاقِبُه
وما زالَ مِنْهم حيثُ كان مسوَّدٌ ... تَصيرُ المنايا حيثُ صارت كتائبُه

قوله : نظَّم الجَزْعَ ثاقِبُهْ، يريد أنَّهم لو استضاء بضيائهم في غياهب الظلام من يَثْقُب الخَرزَ الذي هو أشدّ شيء لأبصر ذلك، فكيف بما هو أظهر ؟ وهذه غاية المبالغة في تنزيل المعقول منزلة المحسوس.

وقال الآخـــر :

شَربنا شرابًا طيِّبًا عِند طيِّبٍ ... كذاكَ شَرابُ الطَّيِّبين يَطيبُ
شَربنا وأهرقنا على الأرضِ فَضلةً ... فللأرضِ من كأس الكِرام نصيبُ

وقال السُّلاَمي :

تَبسَّطنـــا على الآثـــامِ لمَّـــا ... رأينا العَفو مِن ثَمر الذُّنوبِ

وهو كقول المأمون :

لَوْ عَلِمَ أرْبَابُ الجَرَائِمِ تَلَذُّذَنَا بِالعَفْوِ لَتقَرَّبُوا إلَيْنَا بالذُّنُوبِ

وهو مأخوذ من قول أبي نواس :

تَعضُّ نَدامةً كفَّيكَ ممَّا ... تَركْتَ مخَافَةَ النَّار السُّرُورَا

وقال ضَابِىءُ بن الحَارثِ :

فمن يَكُ أمسى بالمدينة رحْلُه ... فإنِّي وقيَّارٌ بها لَغَريبُ
وما عاجِلاتُ الطَّير تُدني من الفَتى ... نجاحًا ولا عَن ريثهِنَّ يخِيبُ[33]
وربَّ أمورٍ لا تضِيرُكَ ضَيرةً ... وللقَلب مِن مَخشاتهِنَّ وجِيبُ
ولا خَير فِيمَن لا يُوطِّنُ نَفسَه ... عَلى نائبات الدَّهر حِين تَنوبُ

وقال الغنوي :

33) في زهر الآداب (479:1)
وما عَاجِلاتُ الطَّيْر تَدرِي من الفَتى ... نجاحًا ولا عَنْ ريْثهِنَّ تُجيبُ

وهَلَكُ الفَتى أن لا يُراح على النَّدى وأن لا يرى شيئًا عجيبًا فيعجبا

وقال جرير بنُ الخَطَفَى :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّك من نُميرٍ فلا كعبًا بَلغتَ ولا كِلابَا !

وبعده :

ولَو وُضعَتْ شُيوخُ بني نُميرٍ عَلى الميزانِ ما عَدلَت ذُبابَا

وكانت بنو نُمَير من جَمَرات العرب، لم يُحالفوا أحدا لعزَّتهم وقوَّتهم . فكان الواحد منهم إذا سئل يقول : من بني نُمَير، ويُفخِّم صوته إدلالاً بعزَّته، حتَّى هجا جريرٌ عُبُيْدَ بنَ حُصَيْنٍ منهم بما تقدَّم من قصيدة، فوقعت فيهم الموقعة، ولم يرفعوا بعدها رأسًا، حتَّى كانوا يفرّون من الانتساب الى نُمَير لما وُسِم به . فكان أحدهم إذا قيل له : ممَّن أنت ؟ قال : من عامر بن صَعْصَعَة، وهو الجدّ الأكبر.

وممَّا يُحكى أن مولىً لبعض باهلة كان يَرِدُ سوق البصرة، فسخر منه بنو نُمَير، فذكر ذلك لمواليه فقالوا له : إذا نَبَزَكَ أحد منهم فقل له :

فَغُضَّ الطَّرفَ إنَّك من نُميرٍ فَلا كَعبًا بَلَغتَ ولا كِلابَا !

فلمَّا رجع، سخروا منه ونَبَزوه، فأراد أن يقول البيت فنسِيه فقال : غَمِّضْ وإلاَّ جَاءَكَ مَاتَكْرَهُ ! فكفّوا عنه عند ذلك وعلموا أنه عرف قول جرير فيهم.

وروي أنَّ امرأة مرَّت بقوم من بني نُمَيْر، فأخذوا ينظرون إليها ويتواصفونها، فقالت : قَبَّحكم اللّه يا بني نُمَير ! ما امْتَثَلْتم واحدةً من اثنتين : لا قولَ اللّه تعالى حيث يقول :قُل لِلمُؤمنِين يَغُضُّوا مِن أبصَارهِم، ولا قول جرير حيث يقول : فَغُضَّ الطَّرفَ (البيت) . فأفْحِموا بذلك وذهبوا.

وأجاب بعض بني نمير جريرا عن شعره فقال :

نُميرٌ جَمرةُ العرَب التَّتِي لَمْ تَزَل في الحَرب تَلتهبُ التِهَابَا

وإنِّي إذ أسُبُّ بها كُليبًا فتَحتُ عَليهمُ للخَسف بابَا

ولَولا أن يُقَالَ هَجا نُميرا ولَم نَسمع لشاعرهم جوابا

رغبْنا عَن هِجاءِ بَني كُلَيبٍ وكَيف يُشاتِمُ النَّاسُ الكِلابَا ؟

فما ضرَّ ذلك كليبًا ولا جريرًا ولا نفع نُمَيْرًا. وقصيدة جرير المذكورة هي التي سمَّاها الدَّامِغَة. ولاستمرار الضعة في بني نمير بهجاء جرير قال ابن مناذر يهجو ثَقِيفًا :

وسَوفَ يَزيدُكم ضَعَةً هِجائي ... كما وضَع الهِجاءُ بنِي نُمَيرِ

وقال عَنترة العبسي يخاطب امرأته :

لا تَذكُري مُهري وما أطْعَمتهُ ... فَيكون جِلدكِ مِثلَ جِلد الأجْرَبِ
إنَّ الغَبوقَ لَه وأنتِ مَسُودةٌ ... فتَأوَّبي ما شِئتِ ثمَّ تَحَوَّبِي
كَذبَ العَتيق وماء شن بارد ... إن كُنتِ سائلتي غَبوقًا فاذهبي !

قوله العَتِيق، يجوز نصبه ورفعه، ومعناه على الجملة الاغراء، أي : عليك بالعتيق، وهو التمر القديم، ولاعرابه تحقيق في علم النحو مشهور.

وقال الآخر :

خُذ مِن أخيكَ العَفو واغْفِر ذنوبه ... ولاتَكُ في كلِّ الأمورِ تُعاتِبه
فإنَّك لَن تَلقى أخاكَ مُهذَّبا ... وأيُّ امرىءٍ ينْجو من العَيب صاحبه ؟
أخوك الَّذي لا ينقُضُ النَّأيُ عهدَه ... ولا عِند صَرف الدَّهر يَزورُ جانبه
ولَيس الَّذي يلْقاك بالبِشر والرِّضى ... وإن غِبتَ يومًا لَسَعتكَ عَقاربُه

وقال رجل من بني ضَبَّةَ لعبد الملك :

واللَّهِ ما ندري إذا ما فاتَنا ... طَلبٌ إليكَ من الَّذي نَتَطلَّبُ
فَلقد ضَربنا في البِلاد فَلم نَجد ... أحدًا سواكَ الى المَكارمِ يُنسبُ
فاصبِر لعادتنا الَّتي عوَّدتنا ... أولا فأرشِدنا الى مَن نَذهَبُ

فقال له عبد الملك : اليَّ ! إليَّ ! وأكرمه وحباه.

وقال ضَمُرَةُ بنُ ضَمُرَة :

بَكَرتْ تَلومك بعد وهنٍ في النَّدى ... بَسلٌ عليكِ ملامَتي وعِتابي !
ولَقد عَلمت فَلا تظُنِّي غَيرهُ ... أن سَوف تَخلِجُني سَبيلُ صِحابي
أأصُرُّها وبُنيَّ عمِّيَ ساغبٌ ؟ ... فكَفاك مِن إبقٍ عليَّ وعابِ
أرأيتِ إن صرخَتْ بَليلى هامتي ... وخَرجتُ مِنها باليَ الأثْوابِ

هَل تخمُشن إبِلي عليَّ وجوهَها أم تَعصبنَّ رؤُوسَها بِسِلابِ ؟

قوله بَسْلٌ، أي حَرَامٌ، كقول زهير :

بِلادٌ بِها نادَمتُهم وألِفتُهُم فإنْ تَقويا مِنهُم فإنَّهُم بَسلُ

وقوله تَخْلِجُني، أي تِجْذِبُنِي، والخَلْج الجَذْب، ومنه خَلِيج الماء لانْجذابه الى ناحية ؛ والسَّاغِبُ الجَائِعُ ؛ والابَةُ : الحَيَاءُ.

وقال الآخر :

تودُّ عَدُوِّي ثم تزعُم أنَّني صَديقُكَ إنَّ الرَّأيَ مِنك لَعازِبُ

ولَيس أخِي مَن ودَّني رأيَ عَينِهِ ولَكِنْ أخي مَن ودَّني وهْوَ غائبُ

وقال الآخـــر :

إذا ما عُلوا قالوا أبونا وأمُّنا ولَيس لَهم عالينَ أمٌّ ولا أبُ

أي إذا غُلبوا انتسبوا وتحبَّبوا وتقرَّبوا، وإن كانوا هم الغالبين تعظَّموا وتبرَّؤوا وتبرَّموا، وهذا فعل اللئيم.

ذكر أبو علي البغدادي عن ابن الكلبي عن أبيه قال : كان مَرثَد الخير بن ينكف[34] قَيْلاً من أقْيال اليمن، وكان حدبًا على عشيرته محبًّا لصالحها. وكان سُبيع بن الحارث ومَيْثَم بن مَثُوب بن ذي رُعَين تنازعا الشرف حتى تشاحنا، وخيف أن يقع بين حيَّيهما شرٌّ فيتفانَيا. فبعث إليهما مَرثَدٌ فأحضرهما ليُصلح بينهما فقال لهما : إن التَّخَفُّطَ وامتطاءَ الهَجَاج، واسْتِحْقَابَ اللَّجاج، سيَقِفُكما على شَفَا هُوَّة في تَوَرُّدِها بَوارُ الأصِيلة، وانقطاعُ الوسِيلة. فَتَلافَيا أمْرَكُما قبل انْتِكَاثِ العَقْد، وانْحِلالِ العَهْد، وتَشَتُّتِ الألفَة، وتبايُن السُّهْمَة ! وأنتما في فُسحة رافِهة، وقدم واطِدَة، والمودَّةُ مُثْرِيَة، والبُقيا مُعْرِضَة. فقد عرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب ممَّن عَصَى النَّصِيح، وخالف الرشيد، وأصغى الى التقاطع. ورأيتم ما آلت إليه عواقبُ سوءِ سَعْيِهم، وكيف كان صَيورُ امْرِهِمْ قبلاً، فتَلافَوا القُرْحَةَ قبل تفاقُمِ الشَّأيِ واسْتِفْحَال الدَّاء وإعْوَازِ الدَّواء ! فإنَّه إذا سُفِكَتِ الدِّماء،

34) لعله يَنُوف فهو المعروف من ملوك حمير في الجاهلية

استَحْكَمَتِ الشَّحْنَاء، وإذا اسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاء، تَقَصَّبَتْ عُرَى الابقاء، وشَمِل البلاء. فقال سُبَيْع : أيها الملك، إنَّ عَدَاوةَ بَنِي العَلاَّت، لا تُبْرِئها الأسَاة، ولا تَشْفِيها الرُّقَاة، ولا تستقِلُّ بها الكُفَاة ؛ والحَسد الكامن، هو الداء الباطن. وقد علم بنو أبينا هؤلاء أنَّا لهم رِدءٌ[35] إذا رهِبُوا، وغَيْثٌ إذاأَجْدَبُوا، وعضُدٌ إذا حاربوا، ومَفْزَعٌ إذا نُكِبوا ؛ وانَّا وإيَّاهم كما قال الأول :

إذا ما عُلوا قالوا أبونا وأمُّنا ولَيس لَهُم عالِين أمٌّ ولا أبُ

فقال مَيْثَم : أيها الملك، إنَّ مَن نَفسَ على ابنِ أبيه الزَّعامة، وجَدبَهُ في المَقَامة، واستكثر له قليلَ الكرامة، كان قَرفًا بالملامة، ومُؤنِّبا على ترك الاستقامة. وانَّا والله ما نعتدُّ لهم بِيَدٍ إلاَّ وقد نالهم منا كِفَاؤُها، ولا نذكر لهم حسنةً إلاَّ وقد تطلَّع إليهم مناجزاؤها، ولا تفيئًا لهم علينا ظلُّ نعمة إلاَّ وقد قوبلوا بِشَرواها. ونحن بنو فَحْلٍ مُقْرِمٍ لم تغدُ بنا الأمهات ولابهم، ولم تنزعنا أعراقُ السوء ولا إياهم. فَعلامَ مَطُّ الخدود، وخَزرُ العيون، والجَخِيفُ والتَّصَعُّر، والبَاوُ والتكبّر ؟ ألِكَثْرةِ عدد، أم لفَضْل جَلَد، أم لطول مُعْتَقَد ؟ وإنَّا وإيَّاهم لكما قال الأول :

لاهِ ابْن عمِّك لا أفضلتَ في حَسبٍ عنِّي ولا أنت ديَّانِي فتخزوني[36]

ومَقَاطِعُ الأمور ثلاثةٌ : حربٌ مُبِيرة، أو سِلْمٌ قريرة، أو مُداجَاة غَفِيرة. فقال الملك: لا تُنْشِطوا عَقْل الشَّوارد، ولا تلقحوا العُونَ القَواعد، ولا تُورِّثُوا نيران الأحقاد ! ففيها التلفةُ المستأصلة، والجائحة والأليلة ؛ وعفُّوا بالحِلم، أبْلاد الكَلْم، وأنيبوا الى السبيل الأرشد، والمنهج المقْصَد ! فإنَّ الحرب تُقْبِل بِزبرجِ الغُرُور، وتُدبِر بالوَيْل والثُّبُور. ثم قال الملك :

ألا هَل أتى الأقوال بَذلي نصيحةً حَبَوتُ بها منِّي سُبيعًا ومَيثَما ؟

وقُلت اعلما أنَّ التَّدابُر غادرتْ عَواقبُه للذُّلِّ والقُلِّ جُرهُما

فلا تَقدَحا زنْد العُقوق وأبقيا على العزَّةِ القَعساءِ أن تَتهدَّما

ولا تَجنِيا حربًا تَجُرُّ عَلَيكُما عَواقِبُها يومًا من الشَّرِّ أشأما

35) في ا وب : أنّ لهم ردءًا....
36) البيت لذي الاصْبَع العَدوانِيّ.

فإنَّ جُناةَ الحرب للحيْنِ عُرضةٌ تُفوّقُهم مِنها الزُّعافَ المُقسَّما
حَذار فَلا تَستنبثوها فإنَّهَا تُغادرُ ذا الأنْفِ الأشَمِّ مُكشَّما

فقالا : أيها الملك، بل نَقْبَل نصحك، ونُطِيعُ أمْرَك ؛ ونُطفِىء النَّائِرة، ونَحُلّ الضَّغائن، ونَثُوبُ الى السِّلم.

قال أبو بكر بن دريد : التَّخَفُّطُ ركوبُ الرجل رأسَه في الشرّ خاصَّة. قال أبو علي : ولم أسمع هذه الكلمة من غيره. فأمَّا التَّخَمُّط بالميم فالتَّكَبُّر. انتهى . وكذا مَن رأينا من اللغويّيين لم يذكروا تلك المادة أصلا. وركب الرجل هَجَاجة : لجَّ ومحك. قاله ابن دريد. وفي الصحاح : ركِبَ هَجَاجِ غير منصرف، وركِبَ هَجَاجِ كَقَطَامِ : ركِبَ رأسه، وأنشد :

وقَد ركِبوا علَى لَومي هَجَاجِ

واستحقاب اللجاج استفعال، إمَّا من حَقِيبَةِ الرَّحْلِ، وهو ما يكون وراء الرحل يُمْلأُ حشيشًا أو تبنا، وإمَّا من الحِقَاب، وهو بريم تَشُدّ به المرأةُ وسطها. وعلى الأول يكون استحقاب اللَّجَاج معناه جعلُه في الوعاء ؛ وعلى الثاني يكون معناه الاضرارُ به على المجاز فيهما ؛ والهُوَّة : الحُفْرة. والبَوار : الهَلاك ؛ والأصِيلَة : الأصل : والانتكَاث : الانتقاض. ورافهة : ناعمة. وواطِدَة : ثابتة. ومُثْرية : مَتَّصلة، من الثَّرَى وهو التراب النَّدِيّ. والمعرضة : المُمْكِنة، من أعْراضَ الصيدُ إذا امْكَن من عَرْضِه، أي جَنْبِه ليُرمَى. وصَيُور الأمر : ما يؤولُ إليه . واسْتِفْحَالُ الدّاء : اشتدادُه. وتَقَصَّبت : تَقَطَّعت. والأسَاةُ : الأطبَّاء. والزَّعامة : الرِّئاسة : وجدبه في المقامة، أي عابه، والمقامة: المجلس، وقد يُراد به الجُلاَّس، ويحتملهما قول زهير :

وفِيهم مَقاماتٌ حِسانٌ وجوهُهم وأنْديةٌ يَنتابُها القَولُ والفِعْلُ

وقرفًا بالملامة، أي خليقًا لها. وشَرَواهَا : مثلُها. والخَزْرُ : النظرُ بمؤخَّر العين، وهو معروف عند العامَّة اليوم. والجَخِيفُ : التكبّر. والمداجاة : المساترة. والغَفِيرة : الغفران. ولا تُنْشِطوا : لا تَحُلّوا. ولا تُلْقِحُوا العُونَ : لا تسعروا الحرب، وأصله في الابل ؛ يقال : لقحت الناقة إذا حملت وألقحها الفحل. والعُونُ جمع عَوان، وهي الثَّيِّب،

وتستعار للحرب التي قوتل فيها مرّة أخرى. وتُورِّثوا : تُذكُوا . والالِيلَة : الثُّكْل. والابلاد : الاثار، واحدها بلد.والقعساء : الثّابتة. وتُفَوِّقهم : تَسْقِيهم الفُواقَ، أي ما بَيْن الحَلْبَتَيْن. وتَسْتَنْبِتُوهَا : تَسْتَخْرِجُوا نَبِيثَها، والنَّبيثة في الأصل ما يُخْرِجُ من البئر إذا حفرت. ومُكَشَّم : مقطوع.

وقال الآخـــر :

يَرى الحاضِرِ الشّاهِدِ المُطمَئِنُّ ... مِن الأمْـرِ مالا يَـرَى الغَـائبُ

وقال الأحوص :

قَـالت وقُلتُ تَحـرَّجي وصِلِي ... حَبل امرىءٍ بوصَالِكُـمْ صبٌ

صَاحِبْ إذا بَعلي فَقُلتُ لها ... الغَدرُ شيءٌ لَيسَ من ضَربي

ثِنتَـانِ لا أدنـــو لوصْلِهمـــا: ... عِرسُ الخَلِيل وجَارةُ الجَنبِ

أمَّـا الخَلِيلُ فَلستُ فاجِـعَهُ ... والجـــارُ أوصَـــاني بِهِ ربِّي

عوجَـا كَـذا نَذكُـرْ لغَانِيَةٍ ... بَعضَ الحَديث مَطيَّكُم صَحبِي

ونَقُلْ لَهَا فِيم الصُّدُود ولَم ... أذنِب بَل أنتِ بَدأتِ بالذَّنبِ

إن تُقبلي نُقبل ونُنزلكُـمُ ... منَّا بِـدارِ السَّهْلِ والرُّحبِ

أو تُدبِري تَكدُرْ مَعِيشتُنا ... وتُصَدِّعِي مُتَلائِمَ الشَّعْبِ

ولما سمع أبو السائب هذا الشعر قال : هذا المحبّ عينًا لا الذي يقول :

وكُنتُ إذا حَبيبٌ رَامَ صَرمِي ... وجَدتُ ورَايَ مُنفَسحًا عَرِيضَا

اذهب، فلا صَحِبَك اللّهُ ولا وسَّع عليك !

قلت : وإنمّا قال ذلك لأنّهم يَروْنَ أنّ فضيلة المحبّ وكمال العاشق أن يتطبَّعَ بِلَواعج البَلْبَال، ويستديمَ الصَّبَابة على كلّ حال.

وحدّث بعض الأدباء قال : قال عروة بن عبد الله : نزل ابنُ أذَيْنة في دارنا بالعقيق، فسمعتُه يُنشد :

إنَّ الَّتي زعَمَت فُؤادَكَ ملَّها ... خُلِقَتْ هواكَ كما خُلِقْتَ هوىً لها

كَيف الَّذي زعَمت بِهِ وكِلاهُما ... أبدى بِصاحبِهِ الصَّبابَة كلَّها ؟

ولَعمرها لَو كان حبُّكَ فَوقَها يومًا وقَد ضَحيَت إذا لأظلَّها !
وإذا وجَدت لَها وسَاوسِ سَلوةٍ شَفَع الضَّميرُ الى الفُؤاد فَسَلَّها
بَيضاء باكَرها النَّعيم فَصاغَها بِلَطافةٍ فأدقَّها وأجلَّها
لمَّا عَرضت مُسلِّمًا لِي حاجةً أخْشى صُعوبَتها وأرجُو ذَلَّهَا
مَنَعَت تَحيَّتَها فَقلتُ لصاحبِي ما كان أكْثرها لَنا وأقلَّها !
فَدنا وقَال لَعلَّها مَعذورةٌ في بَعضِ رقْبتِها فَقُلت لعلَّها

قال وبلغ ذلك أبا السَّائِبِ المَخْزوميّ، فأتاني وقال : أنْشِدنِي ما سمِعتَ من عُروةَ أذيْنة، فأنشدته إيَّاها، فلما بلغت البيت الأخير طرب وقال: هذا والله الدائم الصبابةِ الصادق، لا الذي يقول :

إن كان أهْلُكِ يَمنعونَكِ رغْبَةً عَنِّي فأهْلي بِي أضنُّ وأرغَبُ

ثم قلت : هلمَّ الى الطعام ! فقال : والله ما كنت لأخْلِطَ بلذَّة هذه الأبيات طعامًا الى الليل ! وانصرف.

قلت : ووقع ما يشبه العيب المذكور في قول امرىء القيس :

أأسْمَاءُ أمْسَى ودُّها قَد تَغَيَّرا سَنُبدلُ إن أبْدلتْ بالودِّ آخرا

ومن نمط المحمود في استدامة الحبّ والصبابة قول بعضهم :

إذا مَا صَديقٌ أسا مرَّةً وقَد كانَ فِيما مَضَى مُجمِلاَ
ذكَرتُ المُقَدَّمَ مِن فِعلِهِ فَلا يَنْقُضُ الآخِرُ الأوَّلاَ

وقول الآخر، ويُنسب للمجنون أو إبراهيم بن العبَّاس :

تَطَلَّع مِن نَفسي إلَيكَ نوازعٌ عَوارفُ أنَّ اليأس مِنك نَصيبُها
وزالت زوالَ النَّفسِ عَن مُستقرَّها فَمن مُخْبري في أيِّ أرضٍ غروبُها ؟
حَلالٌ لِليلَى أن تَروع فُؤادهُ بهَجرٍ ومغفورٌ لَليلى ذنوبُها

وقال الآخر :

ومِن شَغَفي فيكُم ووجدي أنَّني أهُوِّنُ ما ألقاهُ وهْو هَوانُ
ويَحسُن قُبح الفِعل إن جاء منكُم كما طاب ريحُ العُودِ وهو دُخانُ

وقال الآخـــر :

إن أمُت وجْـدا فَلي قَـدمٌ ... بِي الى حتْفِ الهَوى سَعَتِ
أو تُـرقْ تِلكَ اللّحاظُ دمِي ... فَهْـيَ في حلٍّ وفي سَعَةِ

وقال الآخـــر :

أبدا أزيدُ مَع الوصَالِ تَلهُّفًا ... كالعِقد في جِيد المَليحَة يقلقُ
ويَزيـدُني كلفًـا فأذكـر فِـعلَهُ ... كالمِسكِ تَسحقُه الأكُفُّ فَيَعبَقُ

وقال الآخـــر :

فرّقت بينَنـا الحَـوادثُ لَكِـن ... فيَّ نفسٌ إليكُـمُ أدنِيهَـا
وكأنّي في الودّ فَارةُ مِسْكٍ ... أفرغوها ونَفْحةُ الطّيبِ فيهَا

وقال الآخـــر :

وإذا المَليحُ أتى بذنبٍ واحدٍ ... جَاءتْ مَحاسِنُه بألفِ شَفِيعِ

وقال بعضهم فيه :

ما ذلّتي في حُبّكُم وخُضوعِي ... عارٌ ولا شَغَفي بِكم بِبَديعِ
دينُ الهَوى ذلٌّ وجِسمٌ ناحلٌ ... وسُهادُ أجْفانٍ وفَيضُ دموعِ
كَم قَد لحاني في هَواكُم لائِمٌ ... وثَنيتُ عِطفي عَنه غَير سَميعِ
ما يُحدثُ التّقبيحُ عِندي سَلوةً ... لَكم ولَو جِئتُم بكُلّ فظيعِ
وإذا المَليحي أتى بذنبٍ واحدٍ ... جاءت مَحاسنُه بألْفِ شَفِيعِ

وقال الحكيـم :

مُستقبل بالّذي يَهوى وإن كَثُرت ... مِنه الذُّنوب ومَعذُورٌ بما صَنعا
في وجهِهِ شافعٌ يمحو إساءتَه ... مِن القُلوب وجيهٌ حيثُما شَفَعا

وقول أبي فِراس الحَمدانيّ :

أسَاء فَـزادتْه الاساءةُ حُظْوةً ... حَبيبٌ عَلى ما كان مِنه حَبيبُ
تَعُدُّ عليَّ الوشِياتُ ذُنوبَه ... وأين من الوجه المَليحِ ذنوبُ ؟

وقال الآخـــر :

وكلَّمـــا رُمتُ أن أقـــابِلَه عَلى تَمـاديهِ في تَعـدِّيهِ
جاءتْ عَلى غَفلةٍ مَحـاسِنُه تُلزمُني الصَّفح عَـن مَساويهِ

وقال الآخـــر :

كُلَّمـا أذنَب أبـــدى وجْهُهُ حُجَّةً فَهـوَ مليٌّ بالحُـججْ
كَيـف لا يُفـرطُ في إجـرامِه مَن مَتى شَاء مِن الذَّنبِ خَرجْ

وقال الآخـــر :

عفَّت محاسنُه عِنـدي إساءتَه حتَّى لَقَد حَسُنت عِندي مَساويهِ

وقال الآخـــر :

لي حبيبٌ كالظَّبي غرٌّ ولَكِن بِعَذابي في الحُبِّ ما أغْراهُ !
وإذا كرَّر الذُّنـوبَ فَيكْفـيهِ اعتِـذاراً ممَّـا جَنى أن أراهُ

وقال الآخـــر :

ومُستنصرٍ في العُذر مُستَعجِلِ القلى بَعيدٍ من العُتبَى قريبٍ من الهجر
لَه شافعٌ في القلبِ مَعْ كلِّ زلَّةٍ فَليس بِمحتاج الذُّنوب الى العُذر

وقول أبي الطيب :

فإن يَكن الفِعل الَّذي ساء واحداً فأفعالُه اللَّائي سَرَرن ألوفُ

وقال حَاتِم أو عَمْرو بن الأهْتَم :

أضاحِك ضَيفي قَبل إنزالِ رحله ويخصُب عِندي والمحلُّ جديبُ
وما الخِصب للأضيافِ أن يكثُر القرى ولكنَّما وجْهُ الكَريمِ خَصيبُ

وسنذكر ما في هذا النزع من الشعر بعد إن شاء الله تعالى. وقال رجل من عَبْسٍ :

إذا راحَ ركبٌ مُسرعونَ فَقلبُه مَع الرَّائحين المُسرعِين جَنيبُ
وإن هبَّ عُلويُّ الرِّياح رأيتَني كأنِّي لِعُلْوِيَّاتِهنَّ نَسيبُ
فَلا خيرَ في الدُّنيا إذا أنت لم تزر حَبيبًا ولم يَطرَب إليك حبيبُ

وقال آخـــر :

مَن كان يزعُمُ أنْ سَيكتُمُ حُبَّه حتَّى يَشكَّكَ فيه فَهو كَذُوبُ

الحبُّ أغلبُ للفؤادِ بقَهرِهِ ... من أن يُرى للسِّتر فيه نصيبُ
وإذا بَدا سرُّ اللَّبيبِ فإنَّه ... لم يبْدُ إلاَّ أنَّهُ مَغْلوبُ
إنِّي لَأبغِضُ عاشقًا مُتستِّرًا ... لم تتَّهِمهُ أعيُنٌ وقُلُوبُ

وقال ذُو الرُّمَّةِ :

إذا هبَّتِ الأرواحُ مِن نحو جانبٍ ... بِهِ أهلُ ميٍّ هاج قَلبي هُبوبُها
هوى تَذرفُ العَينان منهُ وإنَّما ... هوى كلِّ نفسٍ حيثُ حلَّ حبيبُها

وقال المجنون :

يقولون لي يومًا وقَد جئتُ حيَّهم ... وفي كَبدي نارٌ يشُبُّ لَهيبُها
أما تختشي من أُسدِنا ؟ فَأجَبتُهم ... هَوى كلِّ نفسٍ حيث حلَّ حبيبُها

وقال بعض الأعراب :

شَكوتُ فقالت كلُّ هذا تبرُّمًا ... بِحبِّي أراح اللَّهُ قَلبَك من حبِّي !
فلمَّا كَنعتُ الحُبَّ قالت لشدَّما ... صبرتَ وما هذا بفعل شجي القَلب
وأدنو فَتُقصيني وأَبعُدُ طالبًا ... رضاها فتعتدُّ التَّباعُد من ذنبي
فَشكوايَ تؤذيها وصَبري يسوؤها ... وتجزعُ من بُعدي وتنفُر من قُربي
فَيا قَومُ هل من حيلةٍ تعرفونها ؟ ... أشيروا بها واستَوجِبوا الشُّكر من ربِّي !

وتقدَّم هذا المعنى في حرف الهمزة، وقريب منه، وإن عاكسه في الترديد، قولُ امرىء القيس :

وقالت مَتى يُبخَل عَليك ويُعتَلك ... يَسُؤْكَ وإن يُكشَفْ غرامُك تَدربِ

وقال الامام العارف بالله تعالى أبو بكر الشِّبْلِيُّ - رضي الله عنه - وقد دخل على شيخه الامام أبي القاسم الجُنَيْد - رضي الله عنه - فوقف بين يديه وصفَّق بيده وقال :

عوَّدوني الوصالَ والوصْلُ عذبُ ... ورمَوني بالصَّدِّ والصَّدُّ صَعبُ
زعموا حِين أزمَعوا أنَّ ذنبِي ... فَرطُ حُبِّي لَهُم وما ذاكَ ذنبُ
لا وحقِّ الخُضوعِ عِند التَّلاقِي ... ما جزا مَن يُحبُّ إلاَّ يُحَبُّ

فأجابه الشيخ فقال :

وتَمنَّـــــــيتُ أنْ أراك فَلَمَّـــــا رأيْتكَـــــا
غَلَـــبَتْ دَهْشَةُ السُّـــرُورِ فَلَـــمْ أمْلِكِ البُكَـــا

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ النحويُّ :

خَضَبتُ الشَّيبَ لمَّا كان عيبًا وخَضبُ الشَّيبِ أولى أن يُعابا
ولَم أخضِب مخافَةَ هجرِ خلٍّ ولا عيبًـا خَشيتُ ولا عِتابـا
ولكنَّ المَشيبَ بَـدا دَميمًـا فَصيَّرت الخِضَابَ لَه عِقابَـا

وسيأتي ذكر ما في الشّيب والخِضَاب مُستَوفيً بعدُ إن شاء الله تعالى :

وقال عبدُ الله بنُ سَعْدٍ المَوصِلِيُّ الشّافعيّ :

قَالُـوا سَلاَ ، صَدَقُـوا عَـنِ السُّلْوَانِ لَيْسَ عَنِ الحَبِيبِ
قَالُوا : فَلِمْ تَرْكُ الزِّيَارَةِ ؟ قُلْتُ : من خَـوفِ الرَّقِـيبِ
قَالُوا : فَكَيفَ يَعيشُ مَعْ هَذَا ؟ فَقُلتُ : مِن العَجيبِ

وقال أبو العَربِ الصِّقِلِّيُّ :

لا تَعجبَنَّ لرأسِي كَيف شاب أسَىً واعجَبْ لأسودِ عيني كيف لم يَشِب
البَحرُ للرُّومِ لا تَجري السَّفينُ به إلاَّ على خطرٍ والبَرُّ للعـرب[37]

وسبب قوله ذلك أن المعتمد بن عبّاد بعث إليه بخمسمائة دينار وأمره أن يتجهَّز بها ويقدم عليه، فكتب إليه الحُصْرِيُّ :

أمرتَني بِركوبِ البَحر أقْطعُه غَيري لك الخَير فاخْصُصه بذا الدّاء
ما أنت نوحٌ فتُنجِيني سَفينَتُه ولا المسيحُ أنا أمْشي على المَاءِ

وقال أبُو الوفَاءِ[38]

رمن كان في المَسْعى أبوه دليلُه تَدانى لَه الشَّأوُ الَّذي هُو طالِبه

وقال يحيى بن خالدِ بنِ بَرْمَك :

انصَب نهارًا في طِلاب العُلى واصْبِر على فَقد الحَبيب القَريبْ
حتَّى إذا اللَّيلُ أتى مُقبلاً واستَتَرت فيه وجُوه الغُيُوبْ

37) في ب : إلاّ عَلى غَرَرٍ والبَرُّ لِلعَرَبِ
38) حرف في النسختين فكتب فيهما أبو الوفاة.

فَكابِـد الـلّـيلَ بمـا تَـشتهِـي فإنّمـا الـلّـيلُ نَـهـارُ الأريبْ
كَم مِن فَتىً تَحسِبه ناسكًا يستَقبِلِ الـلّيلَ بأمرٍ عَجيبْ
غطّى عَلَـيه الـلّـيلُ أسْتَـارَهُ فَباتَ في لَهوٍ وعيشٍ خَصيبْ
ولـذّةُ الأحمـقِ مَـكشوفةٌ يَسْعَى بها كُلُّ عَدوٍّ رقِيبْ

وسبب هذا الشعر أنّ ابنه الفضل بن يحيى كان الرشيد قد ولاّه عمل خراسان، فأقام بها مدّة، ثم وصل كتاب صاحب البريد إلى الرشيد، ويحيى بين يديه جالس، مضمّنه أنّ الفضل اشتغل بالصيد واللذات عن النظر في أمور الرعيّة. فلمّا قرأ الرشيد الكتاب رمى به الى يحيى وقال له : يا أبي ! اقرأ هذا الكتاب واكتب إليه ما يردّه عن هذا. فكتب إليه يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد : حفظك الله يا بنيّ وأمتع بك ! قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللّذات عن النظر في أمور الرعيّة فأنكرَه، فعاودْ ما هوأزْيَنُ بك، فانه مَن عاد إلى ما يَريبُه ويَشِينُه لم يعرفه أهل دَهره إلا به، والسلام. وكتب في أسفله الأبيات المذكورة، والرشيد ينظر الى ما يكتب. فلمّا فرغ قال : أبلغت يا أبي ! فلمّا ورد الكتاب على الفضل، لم يفارق المسجد نهارا إلى أن انصرف عن عمله.

وقال الامام الشافعي رضي الله عنه : تزوجتُ امرأةً بمكة من قُرَيْش، وكنت أمازحها فأقول :

ومِـن البَـلِـيّةِ أنْ تُـحِبَّ فَلاَ يُحِبُّكَ مَـنْ تُحِبُّهْ

فتقول هي :

ويَصُـدُّ عَنْكَ بِـوجْهِهِ وتَلَجُّ أنتَ فَلا تغبّه

وقال الشريف الرضي :

ولَقَد وقَفْتُ عَلى طُلولِهِمُ وربُوعُها بِيَدِ البِلَى نَهبُ

ومن أعجب الاتفاق أنّ بعض الأدباء مرّ بدار الشريف هذا التي ببغداد، وقد خَرِبَتْ وذهبتْ بهجتُها، ولم يبق منها إلاّ آثار تشهد لها بالحسن والنّضارة. فوقف وتمثّل بالبيت المذكور وهو لا يعرف لِمَن الدارُ . فمرّ به شخص وسمعه يُنشد البيت فقال له : أتعرف هذه الدار ؟ قال : لا . قال : هي دار الشريف صاحب هذا البيت . وهذه تشبه حكاية

عُبَيْدَةَ الجُرهُمِي، وكان دخل على معاوية فقال له : حدِّثْنِي بأعجبِ ما رأيتَ . فقال : مررت ذات يوم بقومٍ يدفنون ميتًا لهم، فاغرورقت عيناي بالدموع، وتمثَّلت بقول الشاعر :

يا قَلبُ إنَّك من أسْماءَ مغرورُ ... فاذكُر، وهَل ينفَعَنْكَ اليوم تذكيرُ ؟
فاستَقدر اللَّه خيرًا وارضينَّ به ... فبينما العُسر إذْ جاءت مياسيرُ
وبينما المَرءُ في الأحياءِ مُغتبطٌ ... إذا هو الرَّمس تَعفوه الأعاصيرُ
يَبكي الغَريبُ عَليه لَيس يَعرفُه ... وذُو قَرابَتِه في الحَيِّ مَسرورُ

فقال لي رجل : أتعرف من يقول هذا الشعر ؟ فقلت : لا . فقال : إنَّ قائله هو الذي دفنتَّاه الساعة، وأنت الغريب الذي تبكي عليه، وهذا الخارج من قبره أمَسُّ الناسِ رحِمًا وأسرُّهم بموته . فقال له معاوية : لقد رأيتَ عجبا ! وقال صُرَّ دُرَّ :

إنَّ الهِلال يُرتَجى طُلُوعُه ... بَعد السِّرار لَيلَةَ احْتِجابِه
والشَّمس لا يُوئَسُ مِن طُلُوعِها ... وإن طَواها اللَّيلُ في جَنابِه

وقال :

كَم عَودةٍ دلَّت عَلى دوامِها ... والخُلد للانسَانِ في مآبِهِ !
لَو قَرَّبَ الدُّرُّ عَلى جالِبه ... ما لجَّجَ الغائصُ في طِلابِه
ولَو أقامَ لازمًا أصْدافَه ... لَم تَكُنِ التِّيجانُ في حِسابِهِ
ما لُؤلُؤُ البَحر ولا مَرْجَانُهُ ... إلاَّ وراء الهَولِ من عُبابِه

وقال الآخر :

جُروحُ اللَّيالي ما لَهُنَّ طَبيبُ ... وعَيش الفَتى بالفَقر لَيسَ يطيبُ
وحَسبُك أنَّ المَرءَ في حالِ فَقره ... تُحمِّقُه الأقوامُ وهْوَ مُصِيب
ومَن تَعتَورْهُ الحادثاتُ بِصَرفِها ... يَمُتْ وهْو مغلوبُ الفؤاد سليب
وما ضرَّني أن قال أخْطأتَ جاهلٌ ... إذا قال كلُّ النَّاس أنتَ مُصِيب

وقال عليُّ بنُ الجَهْمِ :

سَقى اللَّهُ ليلاً ضمَّنا بَعد هَجعةٍ ... وأدنَى فُؤادا مِن فُؤادٍ مُعذَّب

فَبتْنا جميعًا لَو تُراقُ زجاجةٌ مِن الخَمر فيما بَيننا لم تسرَّب

وهذا معنىً بليغٌ في العناق، أخذه من قول بشَّار :

فَبتنا معًا لا يخْلُص الماء بينَنا إلى الصُّبح دوني حاجبٌ وسُتورُ

وأبلغ منه في هذا المعنى قول عبد الله بن المعتزّ :

ما أقْصَرَ اللَّيلَ علَى الرَّاقِد وأهْوَنَ السُّقْمَ على العائِدِ !

يَفديكَ ما أبْقَيتَ مِن مُهجَتي لَستُ لما أولَيتَ بالجاحِد

كأنَّني عانَقتُ ريْحانَةً تَنفَّسَتْ في لَيْلِهَا البَارِدِ

فَلَو تَرانَا فِي قَميصِ الدُّجَى حَسِبتَنا مِن جَسَدٍ واحِدِ

وهو مأخوذ من قول الآخر :

خَلَوتُ فَنادَمتُها ساعَةً عَلى مِثلِها يَحسُدُ الحاسِدُ

كأنَّا وثَوبُ الدُّجَى مُسْبَلٌ عَلينا لِمُبْصِرِنَا واحِدُ

وأبلغ من هذا عندي قولُ ابن الرُّوميّ :

أعَانِقُها والنَّفسُ بَعدُ مَشوقَةٌ إليها وهَل بَعدَ العِناق تَدانِ ؟

وألْثِم فاها كَيْ تموتَ حرارَتي فَيشتدُّ ما ألقَى من الهَيَمانِ

ولَم يَكُ مِقدارُ الَّذي بي من الهَوى لِيشْفيَه ما ترشُفُ الشَّفَتانِ

كأنَّ فُؤادِي ليس يَشفي غَليلَه سِوى أن يُرى الرُّوحانِ يمتزجانِ

فإنَّ الامتزاج أخَصُّ مُطْلَق الوحدة، وأصْرَحُ في قطع العدة، وذلك في الأرواح أبلغ وأبدع منه في الأجسام، غير أنَّه في الشعرين السابقين إخبارٌ عن أمر هو واقع أو كالواقع، بخلاف هذا.

ولابن عَبْدُوس الفارسيّ في العناق أيضا :

لاَ والمَنازِلِ مِن نَجدٍ ولَيلِتِنا بِفَيْدَ إذ جَسَدانا بيننا جَسَد

كَم رَام فينا الكَرى من لُطف مسلَكِه نومًا فما انْفكَّ لا خدٌّ ولا عَضُدُ !

وهو نحو ما للأوَّلين وأبلغ من حيث الجَزْم[39]

---

39) في ب : الحزم.

ولصالح بن موسى :

لي سَيِّدٌ ما مِثلُه سيِّدٌ تَصَدَّتِ الحُمَّى لَه فاشْتَكَا
عانقتُه عِند مُوافاتِها والأُفْقُ باللَّيلِ قَد احْلَو لَكَا
فجاءَتِ الحُمَّى لِعادتِها فَلم تَجِد ما بَينَنا مَسلَكَا

وهو نحو ما لابن الجهم وأبلغ منه، لانَّ عدم نفوذ المعنى أغرب من عدم نفوذ الجسم.

ولابن رشيق أيضا :

ومُهَفهَفٍ يَحمِيه عَن نَظر الوَرى غيرانُ سُكنَى المَوتِ تَحتَ قِبابِه
فَلَثَمت خدَّا مِنه ضرَّمَ لوعَتي وجَعَلت أُطفيءُ حرَّها بِرضابِه
وضَمَمتُه للصَّدر حَتَّى استَوهَبت منِّي ثيابي بَعض طيب ثيابه
فكأنَّ قَلبي من وراء ضُلُوعه طربًا يُخبرُ قَلبَهُ عمَّا بِه

ولابن المعتز :

يارُبَّ إخوانٍ صَحِبتُهُمُ لا يَرفَعونَ لسَلوةٍ قَلْبَا
لَو تَستَطِيعُ قُلوبُهم خَرَقَتْ أجسامَهُم فَتَعانقَت حُبَّا

وهذا أبلغ ما سمعنا في الباب، وتركنا ما قيل في مُطْلَقِ العِناقِ. وهو كثيرٌ خشيةَ الاطناب.

وقال أبُو فِتْيَان المِصريّ في باب المدح :

رغِبتُ لِنَفسي أن أكُونَ مُصَاحبًا أناسًا إذا قِيدُوا الى الذُّلِّ أصحبوا
فجاوَرتُ ملكًا تَستهلُّ يَمينُهُ ندىً حين يرضى أو ردىً حين يغضَبُ
تَدور كُؤوس الحَمد طورًا فَينتشي وطورا تُغنِّي المُرهفاتُ فيطربُ
عُرفتَ فكانَ الانتِسابُ زيادةً وغيركَ يُخفيهِ الخُمولُ فَيُنسَبُ
وفي بَعضِ ذا المَجد الَّذي ظفِرتْ به يَداكَ غِنىً عمَّا بَنى الجَدُّ والأبُ
قَضَى اللَّهُ أن يزداد بيتُك رفعَةً على أنَّه فوقَ النُّجومِ مُطَنَّب

وقال أبو العلاء :

ردَّت لَطافَتُه وحِدَّةُ ذهنِه وحْشَ الُّلغاتِ أوانسًا بخِطابِه

كالنَّحل يجني المُرَّ من نورِ الرُّبى فيعُودُ شهداً في طريف رضابِهِ

وقال أبو المظفر :

يَا من يُساجلُني ولَيس بمُدركٍ شَأوي وأينَ لَه جَلالَةُ مَنصبِي ؟

وسيأتي تمامُ هذا الشعر بعد، إن شاء الله تعالى :

وقال مالكُ بْنُ المُرحَّلِ :

وبَيداءَ كَانت لي ضُلوعًا تُكِنُّني كأنِّيَ فيها لَوعةٌ ووجِيبُ
وتَحت قَميص اللَّيل منِّيَ مِجْمرٌ وفَوق رداءِ الصُّبحِ منِّيَ طِيبُ
وفي مُقلَة الظَّلماء منِّيَ مورد لَه بَين أهدابِ السَّحاب دبِيبُ
وفي مَبسَم الإصباحِ مِسواكُ إسحِلٍ ولَكنَّه مَهما عَجَمتَ صَليبُ
فَيَقضي عليَّ اللَّيلُ واللَّيلُ أدعَجٌ ويَفصِمُ عنِّي الصُّبح وهْوَ شَنيبُ

وقال الآخر يرثي صديقًا له نصرانيًّا :

أخي بوِدادٍ لا أخي بِدِيانَتي ورُبَّ أخٍ في الوُدِّ مِثلُ نَسيبِ
وقالوا أتَبكي اليَومَ من لَستَ صاحبًا غداً ؟ إنَّ هذا فِعلُ غَير لَبيبِ
ومن أين لا أبْكي حبيبًا فَقدتُه إذا خاب مِنه في المَعادِ نَصيبي ؟

وقال بعض الأعراب :

أحُجَّاج بيت اللَّه في أيِّ هَودجٍ وفي أيِّ بيتٍ من بيوتِكُم حِبِّي ؟
يقولون هَذا آخر العَهد منكُم فَقلت وهَذا آخِر العَهد من قَلبي

وقال الآخر :

لَيس ليَوم البَين عِندي سِوى مَدامعٍ يَجمعُها سَكْبُ
كأنَّما فُضَّ بأجْفانِهَا رُمَّانةٌ فانْتَثَرَ الحَبُّ

وقال الآخر :

والغُصنُ قَد مال نَحو النَّهر فالتَقيا على هَوىً حين غنَّى الطَّائر الطَّرب
فَقبَّل النَّهر غُصنًا ثَغْرُه زَهَرٌ وقبَّل الغُصنُ نَهراً ثَغرُه حَبَبُ

وقال الآخر :

قُم أدِرْها فالَّليلُ رقَّ دُجاهُ وبَدا طَيلَسَانُه يَنجابُ

وكأنَّ الصَّباح في الأُفْقِ بَازٌ والدُّجَى بَين مِخْلَبَيهِ غُرابُ
وكأنَّ السَّماءَ لُجَّةُ بَحرٍ وكأنَّ النُّجومَ فيه عُبَابُ

وسيأتي ما قيل في هذا المعنى من مختار الشعر :

وقال محمدُ بنُ حُسَامِ الدِّين :

ألا إنَّ أرضَ الغَربِ أفْضَلُ موطنٍ تُساقُ إليه الوافِداتُ النَّجائبُ
ولَو لم تَكن في الغَرب كلُّ فضيلةٍ لمَّا حُرِّكت شوقًا إليه الكَواكبُ

وقال الآخـــر :

قَوِّض خِيامَك عَن أرضٍ تُهانُ بها وجانب الذُّلَّ إنَّ الذُّلَّ مُجتَنَبُ
وارحَلْ إذا كانت الأوطانُ مَضْيَعةً فَالمنْدَلُ الرَّطبُ في أوطانه حَطَبُ

وتقدَّم هذا المعنى مستوفى . وفي معناه أيضا قول سَهْل بن مَالِك :

مُنغَّص العَيش لا يأوي إلى دعةٍ مَن كان ذا ولدٍ أو كان ذا بلَدِ
والسَّاكنُ النَّفسِ مَن لم تَرضَ همَّتُه سُكنى مكانٍ ولم يَسكُن الى أحَدِ

وقال ابن الخطيب :

وإذا تنغَّصَكَ الزَّمان بِبلَدةٍ فاطو المَراحِل كَي تَحوزَ كمَالاَ
لمَّا توغَّل في السُّرى بَدرُ الدُّجى أبْصرتَه بَدرًا وكان هِلالاَ

وقال الآخـــر :

مَلِلتُ حِمصَ وملَّتني فَلو نَطَقت كما نَطَقْتُ تَلاحَينا على قَدر
وسوَّلت ليَ نَفسي أن أُفارقَها والماءُ في المُزنِ أصفى منه في الغُدر

وقول القاضي عبدِ الوهَّاب بنِ نَصْر :

بَغدادُ دارٌ لأهْلِ المالِ واسعَةٌ وللصَّعاليكِ دار الضَّنكِ والضِّيق
أصبَحتُ أمشي مُضاعًا في أزِقَّتِها كأنَّني مُصحفٌ في بيتِ زِنْديقِ

وقال الآخـــر في ضِدِّه :

لا يَعدمُ المَرءُ ركنًا يَستكنُّ بِه وشُعبةً بَين أهْلِيهِ وأصحابِهِ
ومَن نأى عَنهُمُ قَلَّت مهابَتُهُ كالَّليثِ يُحقَر لمَّا غاب عن غابِهِ

ومثله قول الآخـر :

إنَّ الهِزبْـر إذا نـأى عن غـَيضِهِ ضَربـَت لـَه الأيْـدي عـَلى تـَرقِيصِهِ
وكذا الغـَريبُ إذا نـأى عـَن دارِهِ أدَّتهُ غـُربـَتـُه الى تـَنقِـيصِهِ

[ومثله] قول الآخـــر :

وقالوا اضْـطرب في الأرض فالرِّزق واسعٌ فقلت ولكن مَسلكُ الرِّزق ضَيـّقُ
إذا لم يـَكـُن في الأرض حرٌّ يـُعينـُني ولـَم أكُ ذا مالٍ فمن أين أنفِقُ ؟

وقال ابن المهدي :

وأحْسن أيـَّام الهـَوى يومـُك الـَّذي تـُروَّعُ بالهجران فيه وبالعـَتبِ
إذا لم يـَكـُن في الحـُب سـُخطٌ ولارضىً فأين حـَلاواتُ الرَّسائل والكـُتـْبِ ؟

وقال الآخـــر :

شـَيئان لـَو بـَكتِ الدِّماءَ عـَليهِما عـَيناي حتـَّى تـُؤذنـا بذهـابِ
لم تـَبلـُغا المعشار من حقـَّيهما : فـَقدُ الشَّباب وفـُرقةُ الأحْبـابِ

وسيأتي ما في هذا المنزع من الشعر بعد إن شاء الله تعالى :

وقال مالك بن المرحـَّل :

مـَذهـبي تـَقبـِيلُ خدٍّ مـُذْهـَبِ سيِّدي ماذا تـَرى في مـَذهبي ؟
لا تـُخالِـف مالكـًـا في رأيـِهِ فـَبِهِ يأخـُذُ أهْلُ المغـرب

وسيأتي ما قيل في التـَّوْجِيه بعدُ إن شاء الله تعالى .

وقال عبدُ الجـَليلِ المـُرْسِي :

ما لِـلعِـذار وكان وجْـهُـك قـِبلةً قـَد خطَّ فيه من الدُّجـَى مِحرابا ؟
وأرى الشَّباب وكان لـَيس بخاشعٍ قـَد خـَرَّ فيه راكعـًـا وأنابـا
ولـَقد عـَلمتُ بكـَونِ ثـَغركَ بارقـًا أن سـَوفَ يـَرمي لِـلعِـذار سـَحابـَا

وقال نجمُ الدّين بن بـِطـْريق :

أعاذكَ الـّله من همٍّ ومن نـَصـَبٍ ولا لـَقـِيت الـَّذي ألقـَى من الحـَربِ
هذا زماني أبو جهلٍ وذا جـَربي أبو مـُعـَيطٍ وذا قـَلبي أبو لـَهـَبِ

وقال الآخـــر :

قال حِمار الطَّبيب قُومَى ... لَـو أنْصفـوني لَـكُنت أركَبُ
لأنَّني جاهلٌ بَسيـــــــطٌ ... وصاحِـــبي جاهلٌ مَـــــركَّبُ

وقال أبُو الفَتْح البُسْتِيّ :

إذا غَدا ملكٌ باللَّهْو مُشْتغِلاً ... فاحْكُم عَلى مُلكِه بالويْل والحَرَبِ
أما تَرى الشَّمس في الميزانِ ساقطَةً ... لمَّا غدا وهْو بيتُ اللَّهو والطَّرَب ؟

قال أبو الحسن الوراد :

يَقولون : لاح الشَّيبُ فالهُ عَن الصِّبا ... وعَن قَهوةٍ تَصبو لها وتُنيب !
فَقلت : دعوني نصطبِحها سُلافةً ... على صُبح شَيبي فالصَّبوحُ عجِيبُ

[ومثله قول الآخـــر] :

وقالوا : أتَلهو والشَّبابُ قَد انقَضى ... وعُمْرَكَ قَد ولَّى ولم يبق طائِلُ ؟
فَقلت : أصيلُ العُمر ما قَد بَلَغتُه ... وأطيبُ أوقاتِ الزَّمان الأصائِلُ

[وقال الآخـر] :

وقائلةٍ : خلٌّ الهوى لرجالِه ... فإنَّ الهَوى بَعد المَشيبِ جُنُونُ
فَقلت لها : إنَّ الهوى فيه راحةٌ ... ألذُّ الكَرى عِند الصَّباح يكُونُ

[وقال الآخـــر] :

ولائِمةٍ لي إذْ رأتني مُشمِراً ... أهُرولُ في سُبْلِ الصِّبا خالعَ العُذرِ
تقول : انتَبهْ من رقْدةِ اللَّهو والصِّبا ... فَقد دبَّ صبح الشَّيب في غسق الشَّعرِ
فَقلت لها : كُفِّي عن اللَّوم واعلمي ... بأنَّ الذَّ النَّوم إغفاءةُ الفَجرِ !

وقول ابنُ السَّاعاتِيّ في ضدّه :

لا تَعجَبن لطالب نال العُلَى ... كهلاً وأخفَق في الزَّمان المُقْبِل !
فالخَمر تَحكُمُ في العُقول مُسنَّةً ... وتُداسُ أوَّل عَصرها بالأرجُلِ

وقال كُشَاجِم في نَتْفِ الشَّيْب :

إذا ما مَضَى المِنقاشُ يأتي بها أتت ... وقَد أخَذت من دونِها جارةَ الجَنبِ

كَجانٍ على السُّلطان يُجزى بذنْبِه تَعلّق بالجيران مِن شدّة الرُّعبِ

ومثله قول ابن النَّبيه :

أقْتطِفُ البَيضاءَ مِن لِمَّتي دأبًا مَع السَّوداء إذ تُشرفُ
فتُخلِفُ البيضُ بأمثالِها وتَعضَب السَّودا فَما تُخْلِفُ
حَمامة السُّودانِ مَعْروفَةٌ يَعْرِفُها مَن كَانَ لا يَعْرِفُ

وقال ابن الخطيب :

أنَّى لِمثليَ بالهَوى مِن بَعد مَا للوخْط في الفَوديْنِ أيُّ دبيبِ ؟
لَبسَ البَياض وحلَّ ذروةَ مِنْبرٍ منِّي وَوالَى الوعْظ فِعل خَطيبِ

وقال أيضا :

وقَد كُنتُ يَهوى الرَّوض طِيب شمائِلي ويَمرح غُصنُ البان بَين قِبابي
فَمُذ كَتَب الوخْطُ المُلمُّ بِعارضي حُروفًا أتى فيها بِمَحْض عِتابي
نَسخْتُ بما قَد خطَّهُ سُنَّةَ الهَوى وكَم سُنَّةٍ مَنسوخَةٍ بكتاب !

وقال أيضا :

وما كان إلاَّ أن جَنى الطَّرف نَظْرَةً غَدا القَلبُ رهنًا في عُقوبة ذنبِهِ
وما العَدل أن ياتي امرؤٌ بجريرةٍ فَيؤخَذَ في أوزارها جارُ جَنْبِهِ

وقال الآخـــر :

قَد قُلت إذ سار السَّفينُ بهم والبَينُ يَنهبُ مُهجتي نَهْبًا :
لَو أنَّ لي مُلكًا أصولُ بِهِ لأخَذتُ كلَّ سَفِينةٍ غَصْبًا

وقال الآخـــر :

رضاكَ شَبابٌ لا يَليهِ مَشيبُ وسُخطُك داءٌ لَيس مِنه طَبيبُ
كأنَّك من كلِّ النُّفوس مُرَكَّبٌ فأنت إلى كلِّ النَّفوس حَبيبُ

وقال ابن أبِي العافِيَة :

ودَّعتُها ووداعُها مُتضمِّنٌ لِوداعِ لذّات الحَياة وطيبِها
واصْفرَّ منها وجْهُها فَفهمتُ ما مَعنى اصْفِرار الشَّمس عِند غُروبِها

وسيأتي ما في هذا المَنزَع بعدُ إن شاء الله تعالى .

وقال الآخـــر :

عجبتُ لطَيفٍ زار في الّليلِ مَضجعِي ... وآبَ ولم يَشفِ الفُؤاد المُعذّبا
فأوهَـمني أمـرًا وقُلت لَـعلّهُ ... رأى حالةً لَم يرضَها فتجنّبَا
وماذاكَ مِن أمرٍ يُريبُ وإنّما ... رآني قَتيلاً في الدُّجى فَتهيّبا

وسيأتي هذا أيضا بعد إن شاء الله تعالى .

وقال أبو محمد المِصْريّ :

سلامٌ على الشّيب الّذي لا أريدهُ ... ولا قُلتُ أهلاً حِين جلّى ومرحَبا
ولكنّه ضَيفٌ كَرِهتُ قُدومَهُ ... وأكرمتُه إذ لم أجِد عَنه مَذهبَا

وقال الميكاليّ :

عيّرتني تَركَ المُدام وقالتْ : ... هَل جَفاها من الكِرامِ أديبُ ؟
هيَ تَحتَ الظّلامِ نورٌ وفي الأكباد ... بَـردٌ وفي الخُـدودِ لَهـيبُ
قُلت : يا هَذه عَدلتِ عَن النُّصح ... ومـا للـرّشاد مِنكِ نَصيبُ
إنّها للسُّتورِ هَتكٌ وللألباب ... قَـتْلٌ وفي المَعـاد ذُنـوبُ

وقال الآخـــر :

دعَتني إلى لَهو التّصابي ومادرتْ ... بأنّ زمانَ اللّهو عَنّيَ ذاهبُ
فَقُلت لَها : مالي ولِلّهْو بَعد ما ... تَولّى الصّبا وازورّ للغِيد جانبُ
وقَد وخَطتْ بيضٌ من الشّعر لمّتي ... تُخبِّر أنّ البِيضَ عنّي رواغِبُ
أألْهو وفجْر الشّيب قَد لاحَ نُورُهُ ... بفَودي ، فقالت : أوّل الفجر كاذبُ

وقال الآخـــر :

إن استحسنتْ مُقلَتي غَيركُمْ ... أمَـرتُ السُّهـاد بتَعذيبِهَـا
وعاقَبتُهـا بالبُكـا دائِمًـا ... لِما اسْتَحسَنَتْ غَيرَ مَحْبوبِها
فَما تَنظُرُ العَينُ إلاّ إلَيكَ ... لأنّكَ غَـايَةُ مَطْلُوبِهَـا

وقال أبو محمبد بنُ عبدِ البَرّ [رحمه الله] :

قُل للوزير وقَد قَطَعتُ بِمَدحِهِ عُمُرِي فَكان السِّجنُ منهُ ثَوابي :
لم تَعدُ في أمري الصَّوابَ مُوفَّقًا هَذا جَزاءُ الشَّاعِرِ الكذَّاب !

وقال بعض الأدباء في طريق التَّورية :

ومُعطَّرِ الأنفاسِ يَبْسِمُ دائمًا عَن درِّ ثَغرٍ زانَهُ تَرتيبُ
من لم يُشاهِدْ مِنه عِقدَ جَواهرٍ لم يَدر ما التَّنقيحُ والتَّهذيبُ

ومثله أيضا في هذا المعنى :

قُلت والشَّعرُ يَشِي في خدِّهِ لامَ حُسنٍ سهَّلَتْ لَومي عَليْ
بِحياة الحُبِّ كُونِي للرِّضَى لامَ جرِّ لا تكونِي لاَمَ كَيْ !

وقال الآخر على هذا الطريق :

هبَّت مَع الفَجرِ لِميعادِها فافتَضَح الشَّارقُ والغَاربُ
فَجرانِ ذاك الوجْهُ أسْناهُما هَل يَستوي الصَّادقُ والكاذبُ ؟

وقال آخر على قريب من هذا :

دهرٌ يمرُّ وآمالٌ مُخيِّمةٌ ولا احْتِقابَ سِوى وزرٍ على الحِقَبِ
تَمضي الفُروعُ على حُكم الأُصُول ولاَ استِذكار قَلبٍ ولا تَمهيد مُنقلَب
خطَّ المشيب على فَوديكَ تذكرةً بأن تُنيبَ وحتَّى الآن لم تُنِبِ
وقَد نَضَى سيفَه فاحذَر صَرامَته فالسَّيف أصْدقُ إنباءً من الكُتب !
سلَّت عَليك اللَّيالي منه ذا شُطبٍ في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللَّعِبِ

وكتب المُعتَصِمُ بالله الى ابن عمَّار على وجْهِ العَتْبِ فيما بَلَغَه عنه :

وزهَّدني في النَّاس مَعرفتي بِهِم وطولُ اختباري صاحبًا بَعد صاحبِ
فَلم تُرني الأيَّامُ خِلاً تَسرُّنِي مَباديهِ إلاَّ ساءنِي في العَواقِبِ
ولا قُلتُ أرجوهُ لَدفعِ مُلمَّةٍ من الدَّهر إلاَّ كان إحدَى المصائبِ

فأجابه ابن عمَّار بقطعة منها :

فَديتُك لا تَزهَدْ وثمَّ بقيَّةٌ سَيُرغبُ فيها عن وقوع النَّوائبِ !
وأبقِ على الخُلصان إن لَديهِمُ على البَدءِ كرَّاتٍ بِحسنِ العَواقبِ

وقال بعضهم، وقد زاره إخوانٌ له :

أهلاً وسهلاً بساداتٍ لنا نُجُبِ ... كالذُّبَّلِ السُّمر أو كالأنْجُم الشُّهُبِ !

أجملتُمْ وتفضَّلتُمْ بزورتِكُمْ ... ولَيس يُنكَر فضلٌ من ذوي حَسبِ

أضاء منزلُنا من نور أوجُهِكُمْ ... وطاب من عيشنا ما كان لم يَطبِ

وقال ابنُ الرُّوميّ :

أرى الصَّبر مَحمودًا وعَنه مَذاهبٌ ... فَكيف إذا ما لم يكن عَنه مذهبُ ؟

هُناك يحقُّ الصَّبر والصَّبرُ واجبٌ ... وما كان مِنه كالضَّرورة أوجَبُ

هو المَهربُ المنْجى لمن أحدقَت به ... مكارهُ دهرٍ ليس عَنهنَّ مَهربُ

وقال القَاضِي الفَاضِلُ في معناه :

لا تَلِنْ للخُطوبِ واصلُب فَمن لانَ ... تَوالَى عَليه قَرعُ الخُطوبِ !

إنَّ ضَرب الحَديد ما كان إلاَّ ... حين أبْدى لينًا لحرِّ اللَّهيب

وتقدَّم ما في هذا المَنْزعِ وهو كثير.

وقال بعض الأعراب :

لا يُقنِعُ الجاريةَ الخِضابُ ... ولا الوشاحانِ ولا الجِلبابُ

من دونِ أن تَلتَقيَ الأركابُ ... ويَقعُد الأيْرُ لَهُ لُعَابُ

الأركاب جمع رَكَب بفتحتَيْن، وهو ظاهر الفَرْج، أو هو العانَة أو مَنْبِتها ؛ ويَقْعُد معناه هنا يَصِيرُ، أي يصير الأيْرُ وهو الذَّكَر ذا لُعَاب.

وقال الآخر :

عَجبتُ لمُبتاعِ الضَّلالَةِ بالهُدى ... ولَلمُشتري دُنْياه بالدِّين أعْجَبُ

وأعجَب من هَذين مَن بَاع دينَه ... بدنيا سِواه فَهْو من ذينِ أخْيَبُ

وقال الحماسيّ :

وإن أتَوك فقالوا إنَّها نَصفٌ ... فإنَّ أطيَب نِصفَيها الَّذي ذَهَبَا

ويُنشَدُ هذا الشعر على ضرب آخر وهو :

لا تنكحنَّ عجوزًا أو مطلقةً ... ولا يسُوقنَّها في حبلك القَدرُ

وإن أتوك وقالوا إنها نَصَفٌ ... فإن أطيب نِصْفَيْها الذي غبرَا

وفيه عيب القافية . والنَّصَفُ من النساء بفتحتَيْن : المُتَوسِّطَة . وقوله : اخْلَعْ

ثِيَابَكَ يحتمل أن يريد به : انْزِعْ محبَّتك منها وتسلَّ عنها ولا تلتفت إليها والثياب تُطلق على القلوب، فتُطلق على المحبّة باعتبار أنَّها فيها. ومن الأوَّل قول عنترة :

فَشَكَكْتُ بالرُّمحِ الأصمِّ ثيابَه لَيس الكَريمُ على القَنا بمُحرَّم

أي شَقَقْتُ قَلْبَهُ . ويَصِحَّانِ معًا في قول امرىءِ القَيْس :

وإن كُنتِ قَد ساءتْكِ منِّي خَليقةٌ فَسُلِّي ثِيابي من ثِيابِكِ تنسَلِ

أي سَلِّي قَلْبِي مِن قَلْبِكِ، أو مَحبَّتِي مِنْ قَلْبِكِ . وقيل في قوله تعالى : وثِيابَكَ فَطهِّرْ، أي طَهِّرْ قَلْبَكَ، وقد يُكنَّى بالثياب عن الأعمال أيضا . ورد أنَّ الميّت يُبعث [في أثوابه] أي أعماله.

فائدة : ذكر أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عَطَاءِ اللّه أنَّ الشيخ أبا الحسن الشَّاذِلِيَّ - رضي اللّه عنهما - بات ليلة، وأظنّها ليلة سبع وعشرين، بالمسجد الجامع وافتتح الصلاة، فجعل الأولياء يتساقطون عليه من كل ناحية . فلمَّا أصبح قال : ما كانت البارحة إلاَّ ليلة مباركة ! سمعت النبيَّ صلَّى اللّه عليه وسلَّم يقول : يا عليُّ طهِّرْ ثيابك من الدَّنَس، تَحْظَ بِمَدَدِ الله تعالى في كلِّ نَفَس ! فقلت : يا رسول اللّه، ما ثيابي ؟ قال : كذا، وفسَّرها له بأخلاق قَلْبِه ومَقَامَاتِه ؛ ونَسِيتُ اللفظ لطول العهد به . قال أبو الحسن : فعرفت حينئذٍ معنى قوله تعالى وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ .

وقال الآخـــر :

فإنْ تَكنِ الأيَّام أحْسنَّ مرَّةً اليَّ فَقَد عادتْ لهُنَّ ذنوبُ

وهذا البيت من قصيدة، اضطُرب في قائلها، رُثي بها رجلٌ يقال له أبو المغوار، ورأيت أن أثبتها هنا مع طولها، لحسنها واشتمالها على أمثال وهي :

تقول سَليمى : ما لِجِسمك شاحبًا كأنَّك يَحميكَ الطَّعامَ طَبيبُ ؟

فَقلت، ولم يَعيَ الجوابُ لقولها وللدَّهر في صُمِّ السِّلام نصيبُ :

تتابُع أحداثٍ تخرَّمْنَ إخوتي وشيَّبن رأسي والخُطوب تُشيبُ

لَعَمري لئن كانت أصابت منيَّةٌ أخي والمنايا للرِّجال شُعوبُ،

لَقد عجمت منَّا الحوادثُ ماجدًا عروفًا لريب الدَّهر حين يُريب

وقَد كان أمَّا حِلمُه فُمروٌحٌ ... علينا وأمَّا جَهلُه فَعَزيبُ
فَتَى الحَرب إن حاربت كان سهامها ... وفي السِّلم مِفضال اليَدين وهُوبُ
هَوتْ أمُّه ماذا تَضمَّن قَبرُهُ ... من الجود والمعروف حِين يَؤُوبُ ؟
جَموعٌ خِلال الخير من كلِّ جانبٍ ... إذا جاء جيَّاءٌ بهنَّ ذهوب
مُفيدٌ مُفيتَ الفَائداتِ مُعوَّدٌ ... لِفعل النَّدى والمكرماتِ كَسيبُ
فتًى لا يُبالي أن يكون بجِسمِه ... إذا نال خَلاَّتِ الكِرامِ شُحوبُ
غَنِينا بخَيرٍ حقبةً ثمَّ جلَّحت ... عَلينا التي كلَّ الأنامِ تُصيبُ
فأبقت قليلاً ذاهبًا وتجهَّزتْ ... لآخرَ والرَّاجي الخُلودَ كَذُوبُ
وأعْلمْ أنَّ الباقيَ الحيَّ منْهُمَا ... إلى أجلٍ أقصَى مَداهُ قَريبُ
فَلو كان حيٌّ يُفتَدى لَفَديتُهُ ... بما لم تَكُن عَنه النُّفوس تَطيبُ
بِعَيني أو يُمنى يَديَّ وإنَّني ... بِبذلِ فِداهُ جاهدٌ لَمُصيبُ
فإن تَكنِ الأيَّامُ أحْسَنَّ مرَّةً ... إليَّ فَقد عادت لهُنَّ ذنوبُ
أخي كان يكفيني وكان يُعينُني ... على نائبات الدَّهر حين تَنوبُ
عَظيمُ رمادِ النَّار رحْبٌ فِناؤُه ... إلى سَندٍ لم يَحتجِنهُ غُبوبُ
قريبٌ ثَراه ما ينالُ عدُوُّهُ ... لَه نبطًا آبِي الهَوانِ قَطوبُ
لقَد أفْسد الموتُ الحَياة وقَد أتى ... على يومِه عِلقٌ إليَّ حَبيبُ
حليمٌ إذا ما الحِلمُ زيَّنَ أهْلَهُ ... مَعَ الحِلم في عَين العَدوِّ مَهيبُ
إذا ما ترا آهٌ الرِّجالُ تَحفَّظوا ... فَلم تنطِق العَوراءَ وهْو قَريبُ
أخي ما أخي لا فاحشٌ عند بيتِه ... ولا ورعٌ عند اللِّقاء هُيُوبُ
على خير ما كان الرِّجالُ نَباتُه ... وما الحظُّ إلاَّ طُعمةٌ ونصيبُ

ويروى :

على خير ما كان الرِّجال خِلالُه ... وما الخيرُ إلاَّ قِسمةٌ ونصيبُ
حليفُ النَّدى يدعو النَّدى فَيجيبُه ... قريبًا ويدعوهُ النَّدى فيُجيبُ
هُو العَسل الماذيُّ لينًا وشيمَةً ... وليثٌ إذا يلقى العَدوَّ غَضوبُ

حليمٌ إذا ما سورةُ الجَهل أطلقت ... حُبَى الشّيب للنّفس اللّجوجِ غَلوبُ
هوت أمُّه ما يبْعث الصُّبح غاديًا ... وماذا يرُدُّ اللّيل حين يَؤوبُ ؟
كعالية الرُّمح الرُّديني لَم يَكُن ... إذا ابْتَدر الخَيرَ الرِّجالُ يخيبُ
أخو شَتواتٍ يَعلمُ الحيُّ أنّه ... سَيَكثُر ما في قِدره ويَطيبُ
ليبْكِكَ عارٍ لم يجد من يُعينُه ... وطاوي الحَشى نائي المزارِ غريبُ !
تروِّح تزهاه صبىً مُستطيفَةٌ ... بكلّ ذرًى والمُستزادُ جَذيبُ
كأنَّ أبا المغوار لم يُوفِ مرقبًا ... إذا ربَأ القَوم الغُزاةَ رقيبُ
ولم يَدعُ فتيانًا كرامًا لميسرٍ ... إذا هبَّ من ريح الشّتاء هبوب
إذا حلَّ لم تُقصر مقامةُ بيته ... ولكنّه الأدنى بحيثُ يُجيبُ
حبيبٌ إلى الزُّوّار غِشيانُ بيتِه ... جميلُ المُحيّا شبَّ وهْو أديبُ
يبيت النَّدى يا أمَّ عَمرٍو ضجيعَه ... إذا لم يَكن في المُنقيات حَلوبُ
كأنَّ بيوت الحيِّ ما لم يَكن بها ... بسابسُ لا يُلفى بهنَّ غريبُ
إذا شهِدَ الأيسار أو غاب بَعضُهم ... كَفى ذاك وضّاح الجبينِ نجيبُ

ويروى :

وإن شَهدوا أو غاب بَعضُ حُماتهم ... كَفى ذاك وضّاح الجَبين أريبُ
وداعٍ دعا : يا من يُجيب الى النَّدى ؟ ... فَلم يَستجبه عِند ذاك مُجيبُ
فَقلت : أدعُ أخرى وارفع الصَّوت جهرةً ... لعلَّ أبي المغوار منك قَريبُ !

ويروى :

يُجبكَ كما قَد كان يفعَل إنّه ... نجيبٌ لأبواب العَلاء طَلوبُ
فإنّي لباكِيهِ وإنّي لَصادقٌ ... عَليه وبَعضُ القائلين كَذوبُ
فتىً أريَحيٌّ كان يَهتزُّ للنَّدى ... كما اهتزَّ ماضي الشَّفرتين قَضيبُ
وخبَّرتُماني أنَّما الموتُ بالقُرى ... فكيف وهاتا روضةٌ وكثيبُ ؟

وقال جَميلُ بْنُ مَعْمَر بن عبد الله العُذْرِيُّ :

وقالوا : يا جميلُ أتى أخوها ... فَقلتُ : أتى الحبيب أخو الحبيبِ

أحبُّك إن نزلْت جِباك حِسمَى وأن ناسَبتْ بَـثْنةَ من قَـريبِ
وكانت حَفْصَةُ بنتُ عِمْرَانَ ماتت عنها زوجُها ، فخطبها عبد الله بن حُسَيْن بن حَسَنِ بن علي، وإبراهيمُ بنُ هشام. فكان أخوها محمد بن عمران إذا دخل على إبراهيم أنشد إبراهيم متمثّلا : وقَالُوا : يا جَميلُ أتَى أخُوهَا البيت وقال أبو محمد الحريريُّ رحمه الله :

وقْعُ الشَّوائبِ شيَّبْ والدَّهْرُ بالنَّاسِ قُلَّبْ
إن دَانَ يومًا لِشَخْصٍ فَفِي غَدٍ يَتَقَلَّبْ
فَلا تَثِقْ بِيَومِيضٍ مِنْ بَرْقِهِ فَهْوُ خُلَّبْ !
واصْبِر إذا هُوَ أضْرَى بِكَ الخُطُوبَ وألَّبْ
فَما عَلى التِّبْرِ عَارٌ فِي النَّار حِينَ يُقَلَّبْ

وقال أيضا :

لَجَوبُ البِلاد مَنَحَ المَتْرَبَهْ أحبُّ إليَّ مِن المَرْتَبَهْ
لأنَّ الوِلاَةَ لَهُم نَبْوَةٌ ومَعْتَبَةٌ يا لَهَا مَعْتَبَهْ !
وما فِيهِمِ من يَرُبُّ الصَّنيعَ ولاَ مَن يُشَيِّدُ ما رَبَّبَهْ
فَلا يَخدعَنْكَ لُموعُ السَّرابِ ولا تَأتِ أمْرًا إذا ما اشْتَبَهْ !
فَكم حالمٍ سرَّهُ حُلمُهُ وأدركَهُ الرَّوعُ لمَّا انْتَبَهْ !

وقال أيضا :

فاليَومَ مَن يَعلقُ الرَّجاءُ بِهِ أكْسَدُ شَيءٍ في سُوقِهِ الأدبُ
لا عِرضُ أبنائِهِ يُصانُ ولاَ يُرقَبُ فِيهِمْ إلٌّ ولا نَسَبُ
كأنَّهُم في عِراصِهِم جِيَفٌ يُبعَد من نَتْنِها ويُجْتَنَبُ

وهذا مَنْزَعٌ سيأتي ذكر ما فيه إن شاء الله تعالى.[وقال أيضا]:

سلَّ الزَّمانُ عليَّ عَضْبَهْ لِيَروعَنِي وأحَدَّ غَربَهْ
واستَلَّ من جَفني كَراهُ مُراغِمًا وأسَالَهَ غَربَهْ
وأجالَني في الأُفْقِ أطْوِي شَرقَهُ وأجوبُ غَربَهْ

فَبِـــــكُلِّ جوٍّ طَلْـــــعَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِي وغَرْبَهْ
وكَـــذا المُغَـــرِّبُ شَـــخْصَهْ مُتَغَـــرِّب ونَـــواه غـــربَهْ

الغَرْبُ الأوَّل : حَدُّ السيف، والغَرَبُ الثاني : مَجْرَى الدَّمْع ؛ والثالث : ضِدُّ الشَّرْق ؛ والرابع : فَعْلَةٌ من الغروب، يقال : غَرُبَ غَرْبَةً، وطَلَعَ طَلْعَةً، والخامس : البُعْدُ، يقال : نَوَى غربَةٍ، أي بَعيدَة.

قال طرفة :

أَخيِّرَكَ أنَّ الْحيَّ فرَّق بينَهُم نَوى غُربةٍ ضرَّابةٍ لي كَذلكِ

وفُسِرت هنا أيضا بالحِدَّة، وهي من معانيها، وغُرْبَة النوى بُعْدُها.

وقال أيضـا :

لا تَيأسَـنْ عِنْـد النُّـوَبْ مِـن فَـرجَةٍ تَجْلُـو الكُـرَبْ
فَلَكَـم سَمُـومٍ هبَّ ثُـمَّ جَـــرَى نَسيمًـــا وانْقَلَبْ
وسحـــابِ مَكْـــرُوهٍ تَنَشَّى فَاضْمَـحَلَّ ومَـــا سَـــكَبْ
ودُخَـانِ خَـطْبٍ خِيفَ مِنْهُ فَمَـــا اسْتَبَـــانَ لَهُ لَهَبْ
ولَطَالَمَـــا طَلَـــعَ الأسَى وعَلَى تَفِيئَـــتِهِ غَـــرَبْ
فاصْبِـر إذا مَـا نَـابَ رَوْ عٌ فَالزَّمَـانُ أبُـو العَـجَبْ
وتَـــرَجَّ مِـــنْ رَوْحِ الالَهِ لَطَائِفًـــا لاَ تُحْـــتَسَبْ

وقال أيضا :

لَعَمركَ ما تُغْني المَغانِي ولاَ الغنا إذا سَكنَ المرءُ الثَّرى وثَوى بِهِ
فَجُد في مراضي الله بالمال راضيًا بما تَقتني من أجره وثوابهِ
وبادر به صَرف الزَّمان فإنَّهُ بِمخلَبه الأشقَى يَصولُ ونابِهِ
ولا تأمَنِ الدَّهر الخَؤُونَ ومَكْره فكَم حاملٍ أخْنَى عَليه ونابِهِ
وعاصِ هَوى النَّفس الذي ما أطاعه أخو ضِلَّةٍ إلاَّ هَوى من عقابِهِ
ولا تَلهُ عَن تذكار ذنبك وابْكِهِ بدمْعٍ يُضاهي الوبْلَ حالَ مصابِهِ
ومَثِّل لَعَينَيك الحِمامَ ووقْعَهُ وروعَةَ مَلقاهُ ومُعظَم صابِهِ

وأنَّ قُصارى مَسكَنِ الحيِّ حُفرةٌ سَينزلُها مُستنزلاً عَن قِبابهِ
فواهًا لِعَبد ساءَهُ سوءُ فِعلِه وأبْدى التَّلافي قَبل إغلاقِ بابِهِ

وقال أيضا :

اصرفْ بِصرفِ الرَّاحِ عنك الأسى وروِّحِ القَلب ولا تَكتئِبْ
وقُل لِمن لامَك فيما بِهِ تَدفَعُ عَنك الهمَّ : قَدْكَ اتَّئِبْ!

وهذا ممَّا يتمثَّل به أهل المجون، لكنه بصدد أن يستعمل في الجدِّ وخمر المحبَّة والعرفان والأنس الرَّحْماني، يعرف ذلك [ذوو] البصائر. وقال أيضا :

فإن فَطنتُم للحَنْ القول بان لَكم صِدقي ودلَّكُمُ طَلعي على رُطَبي
وإن شُدهتم فإنَّ العار فيه عَلَى مَن لا يُميِّز بين العُود والخَشب

وقال الآخر :

ومن لا يُغمِّض عينَهُ عن صَديقه وعَن بعض ما فيهِ يَمتْ وهْو عاتبُ
ومَن يتتبَّع جاهدًا كُلَّ عثرةٍ يَجِدْها ولا يَبقى لَه الدَّهرَ صاحبُ

وتقدَّم هذا المعنى وما فيه.

ويحكى أنَّ يَزيدَ بنَ عبدِ المَلِك بلغه، أيام خلافته، أنَّ أخاه هشامًا يَنْتَقِصُه. فكتب إليه معاتبا له : مَثَلِي ومَثَلُكَ كما قال الأوَّلُ :

تَمنَّى رجالٌ أن أموت فإن أمُت فَتِلك طريقٌ لَست فيها بأوحَدِ
لَعلَّ الَّذي يبغي ردَائِي ويرتجي[40] به قبل موتي أن يكون هو الرَّدِي

فكتب إليه هشام إنَّما مَثَلِي ومَثَلُك كما قال الأوَّل :

ومَن لا يُغمِّض عينه عن صَديقه وعن بعض ما فيه يمتْ وهو عاتب

فكتب إليه يزيد : نحن مُغتَفِرون لك ما كان منك، حفظًا لوصيَّة أبينا فينا، وحضِّه إيَّانا على إصلاح ذات البَيْن، وأنا أعلم، كما قال مَعْنُ بنُ أوْسٍ :

لَعمرُك ما أدري وإنِّي لأوْجَل على أيِّنا تَعدو المنيَّة أوَّلُ
وإنِّي على أشياءَ منك تُريبني قديمًا لذو صفحٍ على ذاك مُجمِلُ

40) في أ ردائي، وفي ب رجائي. ولعل الصواب رَدَايَ.

ستُقطع في الدُّنيا إذا ما قطعتني يمينُك فانظُر أيَّ كفٍّ تُبدّلُ !
إذا سُؤْتَني يومًا رجعتُ الى غَدٍ لِيُعقب يومًا منك آخر مُقبِلُ
ويَركَب حدَّ السَّيف من أن تَضيمه إذا لم يكن عن شفرة السَّيف مزحَلُ
وفي النَّاس إن رثَّت حِبالُك واصلٌ وفي الأرض عن دار القِلى مُتحوَّلُ
إذا انصرفت نفسي عن الشَّيء لم تكن إليه بوجهٍ آخرَ الدَّهر تُقبِلُ

فلمَّا جاء الكتاب هشامًا رحل إليه، فلم يزل في جواره حتَّى مات خوفاً من شرّ الوُشَاة.

وقال المولى أبو حَمُّو موسى بن يوسف الملكُ الزَّيَّانَيُّ :

الحبُّ أضْعفَ جسمي فوق ما وجبا والشَّوقُ ردَّ خيالي بالسَّقام هَبا
والبين أشْعلَ نار الوجْد في كَبِدي والدَّمع يُضرمُها في القلب واعجبا !
ماءٌ ونارٌ وأكبادي لها حَطبٌ لكنْ عذابي به للحُبِّ قَد عذُبا
ما كُنت أدريهما حتَّى صَحبتُهما كُرهًا وقَد يكرهُ الانسان من صَحبا

وقال الآخـــر :

كلَّ يومٍ قطيـــعةٌ وعِتـــابٌ ينقضي دهرُنَـا ونَحن غِضاب
ليتَ شِعري فَهل خُصِصتُ بِهذا أنا وحدي أمْ هكذا الأحْبابُ ؟

وتقدَّم هذا الشعر، إلاَّ أنَّ له حكاية تذكر.

قال الجاحظ : بعث إليَّ المتوكّل لتأديب ولده . فلمَّا رآني اسْتَبْشَعَ مَنْظَري وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وصرفني . فلمَّا خرجت من عنده لَقِيتُ محمد بن إبراهيم يريد الانحدار في سفينة الى مدينة السَّلام، فركبت معه. فأمر يوما بِنَصْبِ أستاره، وأمر عَوَّادَةً عنده أن تُغنّي، فأخذت العود وغنَّت : كُلَّ يومٍ قَطيعةٌ وعِتابُ (البيتين) ثمَّ سكتت . فأمر طُنْبوريَّةً كانت عنده أن تغنّي، فأخذت الطنبور وغنَّت :

وارحْـــمَةً لِلْعَاشِقِيـــنَ مَـا أرَى لَهُـمُ مُعِينَـا !
كَـم يُظْلَمُـونَ ويُهْجَـرُو نَ ويُقْطَعُونَ فَيَصْبِرُونَ !

فقالت العوّادة : وماذا يصنعون ؟ فقالت : يصنعون هكذا ! فهتكت السّتارة ورمت بنفسها في الماء . وكان على رأس محمد غلام **مثلها** في الجمال، بيده مُدْيَة . فلمَّا رأى ما

صنعت، ألقى المدية وجاء الى الموضع الذي رمت بنفسها منه فقال :

أنتِ الَّـــــتي غَرَّقْـــــتِنِي بَعدَ القَضَا لَوْ تَعْلَمِينَ
لاَ خَيْرَ بَعْدَكِ فِي البَقَا والمَــوتُ زَيْــنُ العَاشِقِيــنَ

ثمَّ رمى بنفسه في أثرها، وعانقها في الماء، فكان آخر العهد بهما . فعظم الأمر على محمد، والتفت إليَّ وقال : يا عمرو، حدّثني بحديث تسلّيني به عن هذَيْن، وإلاَّ لحقتُ بهما ! فقلت : جلس سليمان بن عبد الملك يومًا للمظالم، فعُرِضَتْ عليه بطاقةٌ فيها : إن رأى أمير المؤمنين أعزَّه الله أن يخرج إليَّ جاريته فلانة حتَّى تغنّي لي ثلاثة أصوات، فعل . فاغتاظ وأمر باحضاره . فلمَّا حضر قال : ما حملك على ماصنعت ؟ قال : الثقة بحلمك . فَسُرِّي عنه، وأمره بالجلوس، وأمر الناس بالانصراف . ثمَّ أمر بإخراج الجارية، فجاءت بعودها، وجلست . فقال لها الفتى : غنّي لي :

تَعلَّق روحي روحَها قَبل خَلقِنا ومن بعد ما كنَّا نطافًا وفي المَهد
وزاد كما زِدنا وأصبَح ناميًا وليس وإن مُتنا بمُنتقِضِ العَهد
ولكنَّه باقٍ على حالِه (كذا) وزائِد ما في ظُلمة القَبر واللَّحد

فلمَّا غنَّته طرب طربًا شديدا وقال : فداؤك أبي وأمّي ! قال : غنّي لي :

إذا قُلت : مابي يابُثينة قاتلي من الحبِّ قالت : ثابتٌ ويزيدُ
وإن قلت : ردِّي بعض عقلي أعشْ به مع النَّاس قالت : ذاك منك بعيد
يموت الهوى منِّي إذا ما لقيتُها ويحيا إذا فارقتُها ويَعُودُ

فلمَّا غنَّت طرب [طربا] أعظم من الأول وقال : غدتك نفسي ! ثمَّ قال : غنّي لي :

منِّي الوصالُ ومنكُم الهَجرُ حتَّى يُفرِّق بيننا الدَّهرُ
واللّه لا أنساكُمُ أبدًا ما لاح نجمٌ أو بَدا بَدرُ

فما أتمَّتها حتَّى زَجَّ بنفسه في الهواء، ثمَّ انعكس على دماغه وسقط بالأرض، فإذا هو ميّت . فقال سليمان : عجّل على نَفْسِه . والله ما أخرجتُها إلاَّ على مِلْكِه ! يا غلام، خذ بيدها وانطلق بها، فإن كان له أهل، وإلاَّ بِيعتْ وتُصُدِّقَ بثمنها عليه . فانطلق بها، فلمَّا توسَّطت الدار رأت حفرة أعدَّت لماء المطر، فقالت :

من ماتَ عِشقًا فَليَمُت هَكَذا لا خَير في عِشقٍ بِلا مَوتِ !

ثمَّ جذبت بيدها من يد الغلام، وألقت بنفسها في الحفرة على دماغها فماتت . قال : فسُرِّي عن محمدوو صلني وكساني . قال ثمَّ حدَّثت بهذا الحديث محمد بن جعفر الاخباريّ فقال : كان محمد بن حَميدٍ الطُّوسيّ يومًا مع نُدمائه، فغنَّت جاريةٌ له :

يا قَمرَ القَصر مَتى تَطلُعُ ؟ أشْقى وغَيري بِك يَستمتِعُ

إن كان ربِّي قد قَضى ما أرَى منك عَلى رأسي فما أصنَعُ ؟

وكان على رأس [محمد] بن حميدٍ غلامٌ بيده قَدَحٌ يسقيه به . فرمى بالقدح من يده وقال : تصنعين هكذا ! ورمى بنفسه من الدار الى دِجْلَة . فلمَّا رأت ذلك الجاريةُ قامت ورمت بنفسها على أثره، فكان آخر العهد بهما . وقال آخر من الطُّفيليِّين :

كلَّ يومٍ أدور في عَرصَةِ الدَّار أشمُّ القُتارَ شمَّ الذُّبابِ

فإذا ما رأيت آثارَ عُرسٍ أو دخانًا أو دعوة الأصحابِ

لم أعرِّج دونَ التَّقحُّم لا أرهَب شتمًا ولَكزة البَوَّابِ

مُستهينًا بمن دخَلتُ عَليه غَير مُستأذنٍ ولا هيَّابِ

فَتَراني ألُفُّ بالرَّغم منهُم كلَّ ما قَدَّمُوهُ لفَّ العُقابِ

ذاك أهْنا من التَّكلُّف والعَزْ مِ وشَتمِ البقَّال والقصَّابِ

وكان هذا الطفيليّ أتى وليمة، فاقتحم الدار وأخذ مجلِسَهُ من الناس ، فأنكره صاحب المنزل وقال له : لو صَبَرْتَ حتَّى يُؤْذَنَ لك لكان أحسنَ [لأدبك] فقال : إنَّما اتُّخِذَتِ البيوتُ ليُدخل إليها، والموائدُ ليُؤكلَ عليها، والحِشْمَة قَطِيعَةٌ واطِّراحُها صِلَة . وجاء في الأثر : صِلْ مَن قَطَعَكَ، وأحْسِن الى مَن أساء إلَيكَ ! ثمَّ إني أجْمَعُ فيها خِلالاً : أدخل مُجالسا، وآكل مُوانسا، وأبْسُط[ربّ الدار وإن كان][41] عابسا، وأنشد ما تقدَّم.

وقال الآخر :

كنَّا نُعاتبُكم لياليَ عُودكُمْ حُلوُ المَذاقِ وفيكُمُ مُستعتبُ

41) سقط من أ و هـ.

فالآن حينَ بَدا التَّنكُّرُ منكُمُ ذهب العِتابُ وليس عنكم مذهَبُ

يحكى أنَّ قَيْنَةً اجتمع عندها أربعةٌ من عُشَّاقها، وكلٌ يُخفي أمره عن الآخرين . وكان أحدهم غائبا فقدم، والثاني عزم على السفر، والثالث قد انقضت أيامه، والرابع كما ابتدأ . فضحكت الى الأوَّل، وبكت الثاني، وأبعدت الثالث، وأطمعت الرابع . وأنشدها كلٌ منهم ما يشاكل حاله، وأجابته بمثل ذلك . فقال لها القادم : جُعِلْتُ فِداك أتُحْسِنِين :

ومن ينْأ عن دار الهوى يُكثر البُكا وقولَ لعلَّ أو عَسى ويَكُونُ

وما اختَرتُ نأيَ الدَّار عنك لسلوةٍ ولكن مَقاديرٌ لَهُنَّ شُجُونُ

فقالت : نعم ! وأنا أحْذَقُ بقول مطارحه، ثمَّ غنَّت :

وما زلتُ مذ شَطَّت بك الدَّارُ باكيًا أُومِّلُ منك العَطف حين تَؤُوبُ ؟

فأضعفَ ما بي حين أَبْتَ وزدتني عذابًا وإعراضًا وأنت قريبُ

وقال الذي عزم على السفر : جُعلتُ فِداكِ! أتُحسنين :

أزفَ الفِراقُ فأعْلني جَزَعًا ودَعِ العِتاب فإنَّما سَفَرُ

إنَّ المُحبَّ يُصدُّ مُقْتربًا فإذا تباعد شفَّهُ الذِّكْرُ

فقالت : نعم ! وأحسن من شكله . ثمَّ غنَّت :

لأُقيمنَّ مأتمًا عن قريبٍ لَيس بَعد الفِراق غيرُ النَّحِيب

رُبَّما أوجَع النَّوى لِلقلوبِ ثمَّ لا سيَّما فِراق الحَبيبِ

وقال الذي انقضت أيَّامه : جُعلت فداك ! أتُحسنين : كُنَّا نُعاتِبُكُمْ لَيَالِي عودُكُمْ (البيتَين السابقين) . فقالت : لا، ولكن أحسن في معناه، ثمَّ غنَّت :

وصَلتُك لمَّا كان ودُّكَ خالصًا وأعْرضتُ لمَّا صِرتَ نهبًا مُقسَّما

ولَن يلبثَ الحَوضُ الجَديدُ بِناؤُه على كَثرة الوُرَّاد أن يتهدَّما

وقال الذي أقبلت أيامه [جعلت فداك ! أتحسنين][42] :

إنِّي لأعظَم أن أبوح بحاجتِي فإذا قرأتِ صحيفتي فتَفَهَّمِي

وعَليك عَهد اللَّهِ إن أبْثِتِه أحدًا وإن آذَنْتِه بِتَكتُّمِ

42) سقط من ب.

فقالت : نعم ! وأحسن في معناه . ثمّ غنّت :

لَعَمرُك ما استودعتُ سرّي وسرّها ... سوانا حِذارَ أن تُذاعَ السَّرائِرُ !
أكاتمُ ما بالقلب بُقْيَى على الهَوى ... مخافَةَ أن يُغرى بذلك ذاكِرُ

فانصرفوا، وكلّ قد لَوَّحَ بحاجته، وأخذ جوابه.

وقالت امرأة كان زوجها غائبا عنها فذكرته :

تَطاول هذا اللّيلُ واسودّ جانبُهْ ... وأرّقني ألاّ خَليلَ ألاعِبُهْ
فوالله لولاَ اللّهُ تُخشى عَواقِبُهْ ... لزُعزع من هذا السّرير جوانبُهْ
وبتُّ ألاهي غير بدعٍ مُنعّمًا ... لطيف الحَشا لا يحتويهِ مُصاحِبُهْ
يُلاعبني فوق الحَشَايا وتارةً ... يُعاتبُني في حُبّه وأعاتِبُهْ
ولكنّني أخشى رقيبًا موكّلاً ... بأنفُسنا لا يفْترُ الدّهرَ كاتِبُهْ
مخافةَ ربّي والحَياءُ يَصونُني ... وحِفظًا لبعلي أن تُنال مراكبُهْ

ويروى أنّ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه خرج ليلاً فسمع هذه المرأة تنشد، فلمّا فرغت من الشعر المذكور، تنفّست الصعداء وقالت لَهَانَ[43] على ابن الخطّاب وحْشَتِي وغَيْبَةُ زوجي عني . فتأوّه عمر لذلك ووجّه في إقبال زوجها، وسأل النساء كم تصبر المرأة عن الزوج، فقُلْنَ أربعةَ أشهر، فجعل ذلك غاية الغيبة في المَغَازي كما في الايلاَء . وقيل ستة أشهر . وفي الشعر المذكور اختلافاتٌ كثيرة.

وقال الآخر :

رُبَّ ليلٍ أمدّ من نَفَسِ العا ... شِقِ طولاً قَطعتُه بانتِحابِ
وحديثٍ ألذّ من نَظَرِ الوا ... مِقِ بدّلتُه بسُوءِ العِتابِ

يحكى عن خالد الكاتب قال : دخلت دَيْرًا فإذا أنا بشابّ جميل مُوثَق، فسلّمت عليه فردّ عليّ وقال : من أنت ؟ فقلت : خالد بن يزيد . قال : صاحب الشعر الرقيق ؟ فقلت : نعم ! قال : إن رأيت أن تفرّج عنّي بعض ما أنا فيه بانشاد شيء من شعرك، فافعل ! فأنشدته :

---

43) في أ و جـ :لها بدون نون.

ترشَّفتُ من شَفَتيها عُقاراً وقبَّلتُ من خَدِّها جُلَّنارا
وعانقتُ منها كثيباً مهيلاً وغُصناً رطيباً وبَدراً أنارا
وأبْصرتُ من نُورِها في الظَّلامِ بكُلِّ مكانٍ بلَيلٍ نهارا

فقال : أحسنت، لا فضَّضَ اللهُ فاك ! ثمَّ قال : أجِزْلي هذين البيتين، وأنشد : رُبَّ لَيلٍ أمدَّ مِن نَفْسِ العَاشِقِ (البيتين) . قال خالد : فوالله لقد أعملتُ فكري وحاولت في الزيادة عليهما فلم أقدر !

وقال ابنُ بَسَّامٍ في الورد :

أما تَرى الوردَ يَدعو لِلوُرُودِ على حَمراءَ صافيةٍ في لَونها صَهَبُ ؟
مَداهنٌ من يواقيتٍ مُركَّبةٍ على الزَّبَرجَد في أجوافها ذهَبُ
خاف المَلالَة إذ طالتْ إقامَتُه فصار يظْهر حيناً ثمَّ يحتَجِبُ

وسيأتي ذكر ما في هذا المَنْزَعِ بعدُ إن شاء الله تعالى .

وقال الآخر :

إذا مَلكٌ لَم يَكن ذاهِبَهْ فَدعْه فَدولَتُه ذاهِبَهْ

أي إذا لم يكن صاحب هِبَة وعطيَّة فدولته ذاهبة لابقاء لها.

وقال التَّنَسِيُّ :

إنَّ أهْلَ العِلمِ قَومٌ سَادَةٌ ما عَلى نُورِ سَناهُم مِن حِجابْ
من غَدا يَجْحَدُ جَهْلاً حقَّهُم حاقَ في الأخرى بِهِ سُوءُ العَذابْ

وقال أيضا :

من يكن بأبِيهِ والأمُّ بَرّاً فَهْو من ربِّهِ بوصْفِ اقْتِرابِ

وقال إبراهيم بن حسَّان :

يَشينُ الفتى في النَّاس قلَّةُ عقلِه وإن كَرُمَت أعراقُه ومناسِبُه

وقال الآخر :

ألم تر أنَّ العَقل زينٌ لأهلِه ولكن تمامُ العَقلِ طولُ التَّحاربِ

وقال الآخر :

وما سمّي الانسان إلاّ لأُنْسِهِ ولا القَلبُ إلاّ أنّه يتَقَلَّبُ

وقال الآخـــر :

علـيك بأوساط الأمـــور فإنّهَـــا نجاةٌ، ولا تركَبْ ذلُولاً ولا صَعْبَا !

وسيأتي هذا المعنى.

وقال ابن المعتزّ :

لُحومهمُ لَحمِي وهـم يأكُلونَه وما داهياتُ المَرءِ إلاّ أقاربُه

ومن كلام الكِنْدِيّ في هذا : الأب ربّ، والجَدّ كَدّ، والولَد كَمَد، والأخ فَخ، والعَمّ غَمّ، والخال وبَال، والأقارب عقارب وإنّما المرء بصديقه . ولبعضهم فيه :

أقـاربُك العقـاربُ في أذاهَـا فَلا تركَنْ إلى عَمٍّ وخَـالِ

فَكَم عمٍّ أتاكَ الغَمُّ مِنْهُ وكَم خالٍ مِن الخَيْراتِ خَالِ !

وقال ابن الرومي :

عَدوُّك من صَديقِك مُسْتَفَادٌ فَلا تَسْتَكْثِرَنَّ مِن الصِّحابِ !

فإنَّ الدّاءَ أكْثَـر ما تَـراهُ يَكُونُ من الطَّعـام أوالشَّـراب

وهذا منزع يتّسع فيه القول، استُوفِيَ في غير هذا الموضع.

وقال الآخـــر :

ومن ذَا الّذي تُرضَى سجاياه كُلُّها ؟ كفى المَرءَ نُبلاً أن تُعدَّ معايبُه

وقال ابن الرومي :

ومن قلّة الانصاف أنّكَ تبْتَغِي مُهذَّبَ أخْلاقٍ ولَستَ مُهذَّبا

وقال ابراهيم بن هَرِمَة :

فإنّك واطّراحَكَ وصْلَ سَلمَى لِأُخْرى في مودّتِها نَكُوبُ

كَنَاقِبةٍ لِحلي مُسْتَعَارٍ لِأُذْنَيْهَا فَشَانَهُما الثُّقُوبُ

فأدّت حِليَ جارتِهَا إلَيها وقَد بَقيت بأذنَيها نُدُوبُ

وحاصل هذا الشعر وفحواه أنّه لا ينبغي لك أن تَطَّرِحَ صاحبك الى صاحبٍ آخر، وأنت لا تجد فيه إلاّ مثل ما في الأوّل، أو شرّا منه. فعليك بالصفح والغفران، والاستبقاء على

الخلاّن.

وقال صَالحُ بنُ عبدِ القُدُّوس :

إذا وتَرْتَ امرءاً فاحْذر عَداوتَه ... من يَزرَعِ الشَّوكَ لا يَحصُدْ به عِنَبا

إنَّ العَدوَّ وإن أبْدى مُسَالَمةً ... إذا رآى مِنْكَ يوماً فُرصةً وثَبا

وتقدَّم هذا في الباب الأوَّل. وقال الآخر :

قَد يَنفَعُ الأدبُ الأحداثَ في مهَلٍ ... ولَيسَ يَنفَعُ بَعد الكِبرةِ الأدبُ

إن الغُصونَ إذا قوَّمْتَها اعْتَدلَتْ ... ولَن تَلين إذا قوَّمتَها الخُشُبُ

وقال الآخر :

فَما خَلَقَ اللّه مِثل العُقول ... ولا اكْتَسَب المَرءُ مثلَ الأدبْ

وما كَرمُ النَّفس إلاَّ التُّقَى ... ولا حَسَبُ المَرءِ إلاَّ النَّسَبْ

وفي العِلم زينٌ لأهْلِ الحِجى ... وآفَةُ ذي الحِلم طَيْشُ الغَضَبْ

وقال كُشاجِمُ :

لَم أرضَ عَن نفسي مخافة سُخطها ... ورضى الفَتَى عن نَفسه إغضابُها

ولَو أنَّني عَنها رضِيتُ لَقصَّرت ... عمَّا تَزيدُ بِمثلِه آدابُها

وتَبيَّنَتْ آثار ذاك فأكثَرتْ ... عَذلِي عَليه وطال فيه عِتَابُها

وقال الآخر :

أحِبُّ مَكارمَ الأخْلاقِ جُهْدي ... وأكْرهُ أن أعِيبَ وأن أعَابَا

وأصْفَحُ عن سِبابِ النَّاس حِلمًا ... وشَرُّ النَّاس مَن يَهوَى السِّبابا

ومن هابَ الرِّجالَ تَهَيَّبوهُ ... ومن حَقر الرِّجالَ فَلَن يُهابَا

وقال الآخر:

فَيا رُبَّ ألْسِنةٍ كالسُّيُوفِ ... تُقَطِّعُ أعناقَ أرْبَابِهَا !

وقال عبدُ الله بن سُلَيْمان بْنِ وهْبٍ :

نَوائِبُ الدَّهْرِ أدَّبَتْنِي ... وإنَّما يُوعَظُ الأدِيبُ

فَذُقْتُ حُلْواً وذُقْتُ مُرّاً ... كَذاكَ عَيْشُ الفَتَى ضُرُوبُ

لَم يَمْضِ بَؤسٌ ولا نَعِيمٌ إلاَّ ولِي مِنْهُمَا نَصِيبُ
كَذَاكَ مَن صَاحَبَ اللَّيالِي تَعْرُوهُ في مَرِّهَا الخُطُوبُ

وقال أبو الأسود :

وما كُلُّ ذي لُبٍّ بِمُؤتِيكَ نُصحَهُ ولا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَبِيب

وقال الفضل بن عبَّاس بن عتبة :

وقَد تَرفَعُ الأيَّامُ من كان جاهلاً ويُردِي الهَوى ذا الرَّأي وهْو لَبيبُ
ويُحمَدُ في الأمر الفَتى وهو مُخطِىءٌ ويُعذلُ في الاحْسان وهْو مُصيبُ

وقال النَّمِرُ بني تَوْلَب :

لا تَغْضَبنَّ على امْرِىءٍ في مالِه وعلى كرائِم صُلب مالِكَ فاغضَب

وقال النابغة :

فإن يَكُ عامرٌ قَد قال جهلاً فإنَّ مَظِنَّةَ الجَهْلِ الشَّبابُ

وقال عَبِيدُ بنُ الأبْرَصِ :

وكُلُّ ذي غَيبَةٍ يَؤُوبُ وغَائِبُ المَوتِ لاَ يَؤُوبُ

وقال الآخر :

لَعَمرُك ما وُدُّ اللِّسانِ بنافعٍ إذا لم يكن أصلُ المودَّةِ في القَلب

وقال الآخر :

وما الدَّهرُ والأيَّامُ إلاَّ كما تَرى : رزِيَّةُ مالٍ أو فِراقُ حَبيبِ

وقال الآخر :

ولا أتَمنَّى الشَّرَّ والشَّرُّ تاركي ولَكن مَتى أُحمَلْ على الشَّرِّ أركَبِ

وقال الكُمَيْتُ :

إذا لم يَكُن إلاَّ الأسنَّةَ مَركَبٌ فلا رأيَ لِلمُضْطَرِّ إلاَّ رُكُوبُها

وقال أيضا :

أيا موقِداً ناراً لغَيرِكَ ضَوْءُها وياحاطبًا في حَبلِ غيرِكَ تَحطُب !

وقال ابن المعتز :

وإنْ فُرصَةٌ أمْكَنَت في العِدى فَلا تبد فِعْلَكَ إلاّ بِهَا !

وقال محمود :

كَم من حَريصٍ على شيءٍ لِيُدركَهُ وإنّ إدراكَه يُدْنِي إلى عَطَبِهْ !

وقال السري الموصلي :

إذا الحِملُ الثّقِيلُ توزّعَتهُ أكُفُّ القَومِ خَفّ على الرِّقابِ

وقال أعرابيٌّ يهجو بَنِيهِ :

إنّ بنيّ كلّهُم كالكَلْبِ أبَرُّهُمْ أولاَهُمُ بِسَبِّ

لَم يُغْنِ عَنْهُمْ أدَبِي وضَربِي ولا اتّساعي لَهُمْ وحَربِي

فَلَيتَني بِتُّ بغَيْرِ عَقْبِ أوْ لَيتَني كُنتُ عَقِيمَ الصُّلبِ !

وقال النابغةُ يمدح غَسّان :

ولا عَيبَ فيهمْ غَيرَ أنّ سُيوفَهُم بِهِنّ فُلولٌ من قِراعِ الكَتائبِ

ويُروى أنّ عروة بن الزبير - رضي الله عنهما - قال لعبد الملك بن مروان : أريد أن تُعطيني سيف أخي عبد الله بن الزبير. فقال له : هو بين السيوف، ولا أميّزه. فقال : إذا أُحضِرَتْ ميّزته أنا. فأمر عبد الملك بإحضاره. فلمّا أحضرت أخذ عروة سيفًا مفلول الحدّ وقال : هذا سيف أخي . فقال عبد الملك : أكنت عرفته قبل اليوم ؟ قال . لا . قال : فكيف عرفته ؟ قال: عرفته بقول النابغة : ولاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أنّ سُيُوفَهُمْ (البيت) .

وقال بعض المتأخّرين قبل عصرنا بقريب :

وهَبْني جَهِلتُ النّحو يُزْري بقِسطه فَفيمَ أُرزّى في المَعاني الغَرائب ؟

وكان هذا القائل مُزْجَى البِضَاعةِ في النحو، وله قريحةٌ لا بأس بها. يُحكَى أنّه مدح بعض ملوك مراكش بقَصيدة، فكأنّه رأى غضاضةً من قِبَل الاعراب، فقال ذلك . وهذا البيت ممّا يتعلّق به في وقتنا البطّالون الأغبياء عند الاعتذار عن التقصير في دَرْكِ الأشياء . وكان هذا الرجل شبيهًا بالمعمار في زمنه، وكان المعمار أحد الأدباء له شعر رائق ذكر كثيرا منه أبو بكر بن حجّة الحموي في كتابه تقديم أبي بكر، غير أنّه يقع في شعره أمورٌ لا تساعدها العربيّة.

وقال سحيم الفقعسي :

ولاَ أكتُـم الأسرارَ لكِن أبُثُّهَا ولاَ أدَعُ الأسرار تَغْلي عَلى قَلبي
وإنَّ قَليلَ العقل مَن باتَ ليلَةً تُقلّبُه الأسرارُ جَنبًا الى جَنبِ

وهذه سَخَافة وسَقَاطة . ولولا أنَّ الكِتَابَ بِصَدَدِ أن يُذكَرَ فيه ما يُتَمَثَّل به أيًّا كان ما عرَّجنا على مثل هذا الكلام، لمنافاته الخُلُقَ الجميل. وقلت أنا معارضا له على هذا الأسلوب :

لعَمرُك ما من بثَّ سرًّا بذي لُبٍّ ولا من حَشاهُ مِنه أمْسى على كَرَب
ولَكن أخو الحِلم الَّذي ما أذعتُه تنساهُ حتَّى لَيْس يَهجسُ بالقَلبِ

وفي الخبر : مَن أسرَّ إلى أخِيهِ سرًّا لَم يَحِلَّ لَه أن يُفْشِيَهُ . وقال عمر رضي الله عنه : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الخِيَارُ بِيَدِهِ .

وقال أكْتَمُ بن صَيْفِيّ : سِرُّكَ مِن دَمِكَ، فانْظُرْ أيْنَ تُرِيقُهُ !

وقال بعضهم :

ولَو قَدرتُ على نِسْيانِ ما اشْتَملت منِّي الضُّلوعُ مِن الأسْرار والخَبَرِ
لَكُنتُ أوَّل من يَنسى سَرائِرِه إذ كُنتُ مِن نَشْرِهَا يومًا على خَطَرِ

ويقال : مَنْ ضَاقَ صَدْرُه، اتَّسَعَ لِسَانُه . وسيأتي ما قيل في كِتمان السرّ مُسْتَوْفيً.

وقال آخر في طبيب :

لأبِي العيصِ ألفُ ألْفِ قَتِيلٍ كلَّ يومٍ ولَيسَ ذَا بِعَجِيبِ
أيُّها النَّاسُ إنَّ ذَا لغَرِيبٌ مَلكُ المَوتِ في ثِيَابِ طَبِيبِ !

وقال آخر :

عَدِّ عَنِّيَ لَسْتَ مِن أربِي كان هَذا حِينَ كُنتَ صَبِي
وَجْنَةٌ كَانتْ أبَا لَهَبِ فَغَدتْ حَمَّالَةَ الحَطَبِ !

وقال ابن المعتزّ :

شَهْرُ الصِّيامِ مُبَارَكٌ لَو لَم يَكُنْ فِي شَهْرِ آبْ

خِفْتُ العَـــذابَ فَصُمْـــتُهُ فَوقَعْتُ في عَيْنِ العَذابْ

وقلت أنا معارضا على هذا الاسلوب :

شَهْـرُ الصِّيَـــامُ مُبَـــارَكٌ لاَ سِيمَـــا في شَهْـــرِ آبْ
إنَّ الصَّـــدَى في حَـــرِّهِ يَشْفِي صَدَى يَومِ الحِسَابْ
ويُنِـــيلُ وِردَ السَّلْسَبِـــيلِ ورَشْـفَ مَعْسُـــولِ الرُّضَـــابْ

وقال أبو الغَريب :

سُقْيًا لعَهْدِ خَلِيلٍ كان يَأدِمُ لِي زادي ويُذهِبُ عن زوجاتي الغَضَب
كان الخَليلَ فأضْحى قَد تَخَوَّنَه مرُّ الزَّمان وتَطْعَانِي به الثُّقَب
يا صاحِ بلِّغ ذوي الزَّوجاتِ كلَّهمُ أن لَيس وصلٌ إذا انحلَّت عُرى الذَّنب!

كان أبو الغريب هذا شيخا، فتزوَّج ولم يُولم . فاجتمع الفتيان حول خبائه، فصاحوا به : أوْلِمْ ولو بِيَرْبُوع، ولو بقِرْدٍ مَجْدوع، قَتَلْتَنَا من الجوع ! فَأوْلَم . فلمَّا عَرَّسَ غَدَوا عليه فقالوا :

يا لَيتَ شِعْرِي عن أبي غَرِيبِ إذْ بات في مساحبٍ وطِـــيبِ
مُعانقًـــا للـــرَّشْلِ الرَّبَـــيبِ أأخْمَدَ المِحفارَ في القَلِيبِ
أمْ كَانَ رِخْوًا يَابِسَ القَضِيبِ ؟

فصاح : يابس القضيب والله ! ثمَّ أنشأ يقول : سُقْيًا لعَهْدِ الخَلِيلِ (الأبيات) .

يريد قضيبه.

وقوله عُرَى الذَّنَبِ يريد عُرَى الذَّكَر، وهو العَصَب.

وقال الحماسي

أنِخْ فاصطَنِع قُرصًا إذا اعتادك الهوى بِزيتٍ لِكي يَكْفيكَ فَقْد الحبائب
إذا اجتَمَع الجوع المُبرِّحُ والهَوى نَسِيتَ وصالَ الغانياتِ الكَواعِبِ
فَدَع عَنْكَ أمْرَ الحُبِّ لا تَذْكُرَنَّهُ وبادِر إلى تَمْرٍ مَعَدٍّ ورَائِبِ

وفي هذا الكلام خلل وتدافع يُغتفر في جانب الهزل والتمليح .

ومن معنى هذا ما رُوِي أنَّ حُمَيْد المُهَلَّبِي، وكان من النُّعَمَاءِ، جلس يوما إلى

قَـيْـنَـةٍ كازيهواها، فجعلت تحدّثه . فلمّا طال المجلس وغلب عليه الجوع قال لها : مالي لا أسمع للغَـدَاء ذِكْرًا ؟ فقالت له : أما تستحي ؟ أليس في وجهي ما يشغلك عن هذا ؟ فقال لها : جُعِلْتُ فداك ! لو أنّ جَمِيلاً وبُثَـيْـنَـةَ جلسا ساعةً يتحدّثان ولم يأكلا فيها شيئا لَـبَـصَقَ كلٌّ منهما في وجه صاحبه وافترقا !

ولعلّ هذا القدر يكفي في هذا الباب، فلْـنُـمْسِكِ العنان خشيةَ الطول، واللّه يَـقُـولُ الحَـقَّ وهُـوَ يَـهْـدِي السَّـبِـيلَ .

بـاب التّـاء [المثنّـــاة]

تَـتَـابَـعِـي بَـقَـر !

يقال تَـبِـعْتُ الرجل بالكسر أتْـبَـعُـه إذا مَـشَـيْـتَ ورَاءَه ؛ وكذا اتَّـبَـعْـتُـهُ، وتَـتَـابَـعُـوا : اتَّـبَـعَ بعضُـهم بعضًـا، والبقر معروف، يُـطلق على الانسية المعروفة وعلى الوَحْـشِـيّـة، كقول الشاعر يصف نساء :

أشْـبَـهن من بَـقَـر الخَـلَـساء أعيُـنَـها وهُـنَّ أحْـسنُ مِن صِـيرانِـها صُـوَرا

وهنَّ أربعة أصناف : المَـها، والأيّـل، واليَـحْـمور، والتيتل.

وأصل المثل أنَّ بشر بن الحارث الأسدي خرج في سنة جهد وجدب، فمرّوا ببقر فَـنَـفَـرَتْ منهم، فقام على رأس الجبل ورماها بقوسه، فجعلت تلقي نفسها وهو يقول : تَـتَـابَـعِـي بَـقَـر !، حتى تكسَّرت ثمَّ رجع إلى قومه فأعلمهم بها فأخذوها . يُـضْـرَب عند تتابع الأمر وسرعته .[و] على هذا فَـبَـقَـر مُـنادًى، أي تَـتَـابَـعِـي يَـابَـقَـرُ . وحذف منه حرف النداء وإن كان اسم جنس، وهو جائز على قـلة، كقوله : ثوبي حجر !

وقال الشاعر :

فَـقَـلت لَـه : عطَّارُ هَـلَّا أتَـيتَـنا بريحِ الخُـزامَـى أو بخوصة عَـرْفَـجِ ؟

أتْـبِـعِ الفَـرسَ لِـجَـامَـهَـا، والنَّـاقَـةَ زِمَـامَـهَـا، والدَّلْـوَ رِشَـاءَهَـا.

ويقال أيضا : أتبع المُـهْـرَةَ لجامها إلخ . وتقول اتَّـبَـعْـتُ زَيْـدًا إذا سبَـقك فلِـحِـقْـتَـه، وأتْـبَـعْـتَـه كذا إذا جعلتَ ذلك تَـابِـعًا له : والفرس معروف، يقع على الذكر والأنثى . والمُـهْـرُ ولد الفرس، وقيل أوّل ما ينتج منه ومن غيره ؛ والأنثى مُـهْـرَة . قال عنترة :

لَما تَـذكُـرِي مُـهري وما أطْـعَـمتِـه فَـيكونَ جِـلدُكِ مثلَ جِـلدِ الأجْـرب !

وقالتْ حُـمَـيْـدَةُ بنت النُّـعمان بن بشير :

وما أنـا إلاَّ مُـهْـرةٌ عَـربـيَّـةٌ سَـليلَـةُ أفراسٍ تجلَّـلَـها بَـغْـلُ

والنَّاقَةُ معروفة، جمعها نَاقٌ، ونُوقٌ، وأنُوقٌ، ويهمز، وأوْنُقٌ، وأيْنُقٌ على القلب، وأنْوَاقٌ ؛ والزِّمَام بكسر الزاي : ما يشدّ به، جمعه أزِمَّة ؛ والدَّلْوُ معروف، مؤنَّث وقد يذكَّر، جمعه أدْلٍ، ودِلاَء ، ودُلِيّ ؛ والرِّشَاءُ بكسر الراء والمدّ : الحبل، وهمزته مقلوبة عن واو، جمعه أرْشِيَةٌ . قال زهير :

فَشَجَّ بها الأماعِزَ وهْي تَهوِي هُوِيَّ الدَّلْو أسْلَمَها الرِّشَاءُ

أي شجَّ هذا الحمار المذكور، يعني علابها، أي بالأتان، الأماعز، وهي الأمكنة الغليظة، وهي تهوي أي تسرع إسراع الدَّلْو أسْلَمَها الرِّشاء، أي انقطع عنها حبلها، فهوت الى قعر البئر، ولا أسرع منها حينئذ . ومعنى جملة المثل ظاهر، وهي عند التفصيل ثلاثة أمثال، ومقصدها واحد، تُضرب عند الأمر باستكمال المعروف وإتمام الصنع . وسببه أنَّ ضرار بن عمرو أغار على حيّ عمرو بن ثعلبة وعمرو غير حاضر . فلمَّا حضر تبعه فلحقه قبل أن يصل إلى أرضه فقال له : « رُدَّ عليَّ أهلي ومالي ! » فردَّهما عليه، فقال له : « رُدَّ عليَّ قياني ! » فردَّ عليه القينة الرابعة، وحبس ابنتها سلمى . فقال له حينئذ : « يا أبا قبيضة، أتْبِعِ الفَرَسَ ! » إلخ . وفي معنى الجملة الأخيرة قول الحماسي قيس بن الْخَطِيم :

إذا ما شَرِبْتُ أربعًا خطَّ مِئْزَرِي وأتْبَعتُ دَلوي في السَّماح رشَاءَها

يقول : إذا شربت من الراح أربعا ـ يعني أربع أكؤس خط مئزري، أي جررت ردائي خيلاء، وأتبعت دلوي في السماح رشاءها، أي تخلَّقت بالسماحة والفضل، فأعطيت البذل وأوسعت الطَّوْل . وهم يفتخرون بالسَّماح حال السُّكر، لأنَّ ذلك من مكارم الأخلاق التي يحركها الثمل والنشوة، كما قال طرفة :

لا تَعِزُّ الخَمْرُ إن طافوا بِهَا بِسِبَاءِ الشَّولِ والكُومِ البُكُرْ

فإذا ما شَرِبوها وانْتَشَوا وهَبُوا كلَّ أمُونٍ وطِمِرْ

ثمَّ راحوا عَبَقُ المِسْكِ بِهِم يُلحِفونَ الأرضَ هُدَّابَ الأُزُرْ

والأمُون، كصَبُور، التي يؤمن عثارها من النوق ؛ والطمر الوثَّاب من الخيل . يقول : إذا سكروا جادوا بالنجائب من الابل والعتاق من الخيل . وقوله يُلْحِفونَ الأرْضَ هُدَّابَ

الأزُر، أي يجرّون هداب الازر على الأرض . هو كصدر بيت ابن الخطيم . وأبلغ من هذا في الافتخار وأشمل للوصف بالسّماح حالتي السكر والصحو معًا قول عنترة :

فإذا انتَشَيتُ فإنّني مُستَهْلِكٌ مالي، وعِرضيَ وافرٌ لم يُكْلَم
وإذا صَحوتُ فما أقصّرُ عَن نَدى وكما عَلِمتِ شمائلي وتَكَرُّمي

وكقول امرىء القيس يمدح أخاه سعد بن الضباب :

وتَعرفُ فيه من أبيه شمائلاً ومن خالِه ومن يَزيدَ ومن حُجرْ
سماحَة ذا وبِرُّذا ووفاءُ ذا ونائِلُ ذا إذا صحا وإذا سَكِرْ

وهذا من الشعر الذي يوضع على كرائم الأحداق، وترصّع به نفائس الأطواق ؛ غير أنّ فيه ثلبا خفيفا هو توالي القبض ! ومن ذا الذي يسلم من الاعتراض عند العرض ؟

وقول طرفة : « لا تَعِزُّ الخَمرُ إن طافُوا بِهَا » يريد : لا يعجزون عن شرائها لغلائها إن جاؤوا مريدين لها، بل يبذلون فيها الشول والكوم البكر، أي التي بكرت بالنتاج، وهي أحبّ أموالهم . وهو كقول عنترة :

ربِذٍ يَداهُ بالقِداحِ إذا شَتا هتّاكِ غاياتِ التّجار مُلوَّمِ

وتقدّم تفسيره . وهذا الوصف مدح عندهم، لكن مادام باقيا على سنن الاقتصاد والعدل . وقد يمتدحون بانفاق المال في النوائب واقتناء المحامد، وترك إنفاقه في الشهوات، كقول زهير في حصن بن حُذَيفة :

أخٌ ثِقةٌ لا تُتلِفُ الخَمرُ مالَهُ ولكنّهُ قَد يُتلفُ المالَ نائِلُهُ

وهو محتمل لأن يكون نفيا للوصف الخاصّ وهو الاتلاف في الخمر، أو الفعل من أصله وهو الانفاق فيها المؤدي الى ذلك.

أتْبَعُ مِنَ الظّلّ.

الاتّبَاعُ تقدّم . والظلّ معروف . قيل وهو الفيء، وقيل الظلّ بالغداة ، والفيءُ بالعشي . وقد يُستعمل في سواد الليل . قال ذو الرمّة :

قَـد أعْرفُ النَّازِحَ المَجهولَ مَعْسِفُهُ في ظلٍّ أخْضرَ يدعو هامَهُ البومُ[1]

قال في الصحاح : وهو استعارة، لأنَّ الظلَّ في الحقيقة إنَّما هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع . فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة، وليس بظلّ . والمقصود من المثل أنَّ ظلَّ الحيوان ونحوه تابع له أينما تحرَّك، وملاصق له أينما تقلَّب، لا يفارقه ولا يتلكأ عنه . فضرب به المثل لذلك في كلّ تابع . ويسمَّى الظلّ تُبَّعاً على مثال سُكَّر، إمَّا لهذا المعنى، وإمَّا لأنَّه يتبع الشمس كما قيل . وأحسن بعض الشعراء في ذكر الظلّ حيث قال :

مَـثَلُ الـرِّزقِ الَّـذي تَطلُـبُه مَثَلَ الظِّلِّ الَّذي يَمشي مَعَكْ
أنتَ لا تُـدركُه مُتَّبِعًـا فإذا ما مِلتَ عَنهُ اتَّبَعَكْ

أتْجَرُ مِنْ عَقْرَب.

يقال : تَجَرَ في الشيء يَتْجُرُ، على مثال كَتَبَ يَكْتُبُ، فهو تاجر، والتَّاجر من يبيع ويشتري في كلّ شيء، وجمعه تِجار وتَجْر . وقد يُطلق على بائع الخمر خاصَّة، وهو الكثير الاستعمال عند الأعراب في الجاهليَّة.

قال امرؤ القيس :

كأنَّ التجَارَ أصْعَدُوا بِسَبِيئَةٍ من الخص حتَّى أنْزلوهَا على يُسر

وقال أيضـــا :

إذا ذُقتَ فاها قُلت طَعم مُدامةٍ مُعتَّقةٍ ممَّا تجيءُ به التُّجرُ

والعقرب معروف، يذكَّر ويؤنَّث . وعقرب في المثل اسم رجل كان بالمدينة[2] وكان من أكثر الناس تجارة وأشدّهم مطلا وتسويفا حتى ضربوا بمطله المثل . ويحكى أنَّه اتَّفقت له معاملة مع الفضل بن العبَّاس بن عُتبة بن أبي لهب، وكان هو من أشدّ الناس اقتضاءً . فقال الناس : ننظر الآن ما يصنعان . فلمَّا حلَّ الأجل لزم الفضل باب عقرب، وقيَّد حماره بالباب وقعد يقرأ القرآن . فأقام عقرب على المطل غير مكترث به . ثمَّ إنَّ الفضل ترك ملازمة بابه واشتغل بهجائه . فممَّا اشتهر عنه فيه قوله :

---

1) جاء هذا البيت في لسان العرب هكذا :
قد أعْسِفُ النَّازِحَ المجهولَ مَعسِفه في ظلٍّ أغْضَفَ يَدعُو هامَهُ البُومُ
قال : ويُروى في ظلّ أخضر.
2) في أ و ج : اسم رجلٍ قالوا كان تاجرا....

قَد تَجرتْ في سوقِنا عَقْربٌ لا مَرحبًا بالعَقربِ التَّاجِرَهْ !
كلُّ عدوٍّ كَيدهُ في اسْتِهِ فَغَيرُ مَخْشيٍّ ولا ضَائِرَهْ
كلُّ عَدوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلاً وعَقربٌ يُخشَى من الدَّابِرَهْ
إنْ عادتِ العَقربُ عُدنا لَهَا وكانتِ النَّعْلُ لَهَا حاضِرَهْ

وحُكي أنَّ الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد كان في صِباهُ هو وزوج أخته الشيخ تقي الدين بن الشيخ ضياء الدين يلعبان الشطرنج، فأذَّن العشاء فقاما فصلَّيا . فقال الشيخ تقي الدين : أما نعود ؟ فقال صهره :

إن عادتِ العَقْربُ عُدنا لَهَا وكانتِ النَّعْلُ لها حاضِرَهْ

فأنف الشيخ من ذلك ولم يعد الى أن مات، رحمه الله تعالى.

تُحْفَةُ المُؤْمِنِ المَوْتُ.

هو حديث . والتُحْفَةُ : البِرّ والصلة والطرفة من الفاكهة ونحوها، وتاؤه أصليَّة . يقال: أتْحَفْتُه . وحكى ابن الأثير عن الأزهري أنَّ أصل التُحْفة وحْفَة، فأبدلت الواو تاء . وعليه يكون موضعه الواو . والمعنى أنَّ المؤمن إنَّما ينجو من أذى الدنيا وأهوالها وأحزانها وأكدارها، ويصل إلى ما أُعِدَّ له عند الله من الخير وهُيِّىء له من الكرامة بالموت . كما قيل :

قَد قُلت إذ مَدحوا الحَياة وأسْرفوا : في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ
منها أمانُ عَذابه بلقائه وفراق كلِّ مُعاشرٍ لا يُنصِفُ

أتْخَمُ مِنَ الفَصِيلِ .

التُخَمَة بفتح الخاء كهُمَزة . وتُسكَّن في الشعر : داء يصيب من أكل الطعام معروف، الجمع تُخَم وتُخْمات . يقال : تَخِمَ بفتح الخاء وكسرها، واتَّخَم : أصابه ذلك ، وأتْخَمَه الطعامُ . وهذا الطعام مَتْخَمَةٌ يُتَّخم به . وأصل التُخَمة وُخَمَة، من قولك : وخُمَ الطعامُ والنبات، فهو وخِيم إذا لم يوافق . وتَوَخَّمَهُ واستَوْخَمَه إذا لم يَسْتَمْرِه . وذكرناه في هذا الباب نظرا الى ظاهر اللفظ : فإنَّ الواو مستهلكة بالابدال، حتى وقع تصرّف الفعل . والفَصِيل، بصاد مهملة : ولد الناقة إذا فُصل عن

أمّه، ويوصف بالتخمة . قالوا لأنّه يفرط في الرضاع أكثر ممّا يطيق.

فائدة في ذكر أسنان الابل . قال أهل اللغة : إذا وضعت الناقة، فقبل أن يعلم أذكر ولدها أم أنثى، ولدها سَليل ؛ فإذا عُلم، فإن كان ذكرا فهو سَقْب، بفتح السين المهملة وسكون القاف، وأمّه مِسْقَب ؛ وإن كانت أنثى فهي حَائِل، وأمّها أمّ حَائِل، كما قال الهذلي :

فَتِلْكَ الثِّيلايَبْرحُ القَلبَ حُبُّها ولا ذِكْرُها ما أرْزَمَتْ أمُّ حائِل

ومتى جاءت الناقة بذكر قيل أذْكَرَتْ، فهي مُذْكِر ؛ وإن جاءتَ بأنثى قيل آنَثَتْ، فهي مُؤنِث . فإن كان من دأبها أن تلد الذكور قيل هي مِذْكَار . قال النابغة على وجه التمثيل :

لم يُحرّمُوا حُسنَ الغِذاء وأمُّهم طَفحَت عَليك بناتِقٍ مذْكارِ

وإن كان دأبها الأناث فهي مِئْنَاث ؛ فإذا اشتدّ ولدها ومشى معها فهو رَاشِح وهي مرشح ؛ فإذا حمل في سنامه شحما فهو مجد ومكعد، ثمّ هو رُبَع، على وزن صُرَد. والذي يقوله الكثيرون إنّ الرُّبَع ما نُتِجَ في أوّل النِّتاج، كما أنّ الهُبَع - بوزنة - ما نُتِج في آخره؛ ثمّ هو حُوار، بضمّ الأوّل ؛ فإذا فُصل عن أمّه، أي فُطم عنها، فهو فَصِيل ؛ فإذا أتى عليه حَوْل فابن مخاض، ولذلك قيل :

وجَدنا جَعْفراً فَضَلت فقيماً كَفَضلِ ابن المخاض على الفَصيلِ

والأنثى بنت مخاض . وسمّي ابن مخاض لأنّ أمّه لحقت بالمخاض من النوق، أي الحوامل وإن لم تكن حاملا ؛ فإذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة فصار لأمّه لبن وكانت لبونا، فهو ابن اللّبُون ؛ فإذا دخل في الرابعة فهو حِقٌّ والأنثى حِقّة . وسمّي بذلك لاستحقاقه أن يُحمل عليه ويُركب ؛ فإذا دخل في الخامس فهو جَذَع والأنثى جَذَعَة ؛ فإذا دخل في السادسة فهو ثَنِيٌّ والأنثى ثَنِيّة ؛ فإذا دخل في السابعة فهو رَبَاعٌ والأنثى رَبَاعِيَة ؛ فإذا دخل في الثامنة فهو سَدِيس وسَدَس بفتح الدال للذكر والأنثى، وقد يقال للأنثى سَديسة ؛ فإذا دخل في التاسعة فهو بَازِل للذكر والأنثى ؛ فإذا دخل في العاشرة فهو مُخْلِف . ولا سِنّ بعد هذا، وإنّما يقال بَازِل عَامٍ، وبازِلُ عامَيْن، ومُخْلِفُ عامٍ وعامَيْن . وما ذُكرنا في أوائل الأوصاف هو طريقة بعض

اللغويّين، وليس هذا محلّ بسط اللغة.

تَـرَكْـتَ الرَّأي بِـبَـقَّة .

ويُروى : بِـبَـقَّةَ تَـرَكْـتَ الرَّأيَ . وهو مثل قاله قَـصِير بن سعد لجَـذيمة لمَّا صار في بلد الزَّبَّاء . وتقدَّم هذا مستوفى . وفيه قال عَـدِيُّ بن الرِّقاع :

دعا بالـبقَّةِ الأمَنـاءَ يَـوْمًـا جَـذيـمَـةُ ينتحي عصبـا ثمينـا[2]

فطاوعَ نفْسَهُ وعصَى قَـصيـرًا وكان يَـقول : لَـو نَـفَـع اليَـقينا !

وقال نَهْشَل بن ضَمْرة :

ومَـوليٍّ عصاني واسْـتَـبدَّ بأمـرهِ كما لم يُـطَـع بالبقَّتَـين قَـصيرُ

تَـرَكَ الخِـدَاعَ مَـنْ أجْـرَى مِـنَ المائَـةِ.

التَّرك معروف، والخِـداع : الختل والمكر؛والخداع والمخادعة المخاتلة ؛ والمائة حُـذِف مميِّـزه، أي مائة غَـلْـوة، والغَـلْـوة بالفتح : ما بين موقف الرامي ومسقط سهمه . يقال : غَـلَـوتُ بالسّهم غَـلْـوًا وغُـلُـوًّا، وغاليْـتُـهُ، وغَـالَـيْـتُ بِـهِ : رَفَـعْـتُ به الى أقصى الغاية . وكلّ مَـرْمَاة فهي غَـلْـوة . وكان أصل المثل أنَّ الرهان، لمَّا وقع بين قيس بن زُهير وحُـذَيفة بن بدر الفزاري،أو أخيه حمل بن بدر، قال حذيفة : خدعتك يا قيس، تَـرَكَ الخِـداعَ مُـنْ أجْـرَى مِن المائَـةِ! يريد أنَّ مَـنْ أجرى فرسه وأرسله من مائة غَـلْـوة، فقد كشف أمره ولم يبق معه خداع . وقيل إنَّ أحد المتخاطرين في الرهان المذكور قال لصاحبه : الغاية على حكمي . فقال : الغاية مائة غَـلْـوة . قال : أتخدعني ؟ فقال : ترك الخِـداعَ مَـن أجْـرَى مِـنَ المائة . يُـضْـرَبُ للرجل الذي قد حنَّكته السنُّ مع العقل والحزم.

تَـرَكْـتُ فُـلاَنًـا بِـمَـلاَحِـسِ البَـقَـرِ أولاَدَهَـا.

ويقال : تركته بمَـلْـحَـس البقر . والمَـلاحِـس جمع مَـلْـحَـس، وهو مفعل من اللحس . يقال : لَـحِـسَ القَـصْـعةَ ونحوها بالكسر، يلحَـسها لَـحْـسًا ؛ والمَـلْـحَـس يكون مصدراً

---

2) ورد هذا البيت في لسان العرب هكذا :

دعَـا بالـبَـقَّة الأمَـراءَ يومًـا جَـذيـمَـةُ يَـسْـتَـشِـيـرُ النَّاصِحِـيـنا

قال : ومنه المَثل : خَـلَّفْـتَ الرأي بِـبَـقَّة . وبقة : موضع بالعراق قريب من الحيرة كان به جَـذيمةُ الأبرش.

بمعنى التَّلحْس، ومكانًا له، كما في نظائره . والمعنى : تركته بمكان ملحس البقر أولادها، أي بحيث تلحس البقر أولادها، يعنون به المكان القفر.

تَرَكْتُهُ تَرْكَ الظَّبْيِ ظِلَّهُ.

الظبي معروف، وجمعُه أظْبٍ وظِبَاءٌ وظُبِيٌّ ؛ وظِلّه، بكسر الظاء المشالة : ما يأوي إليه ويستظلّ به من حرّ الشمس . وهو إذا تركه لا يعود إليه أبدا . فيُضرب للرجل عند نفوره . وعبارة صاحب القاموس : أتْرُكُه تَرْكَ الظَّبْيِ ظِلَّه، وهو نحو ممَّا كتبنا نحن . وفعل ذلك لبيان أنَّ الراء في تَرْك ساكنة، وهو مصدر أضيف إلى فاعله وكمل بمفعول، أي تَرْكًا يشبه تَرْكَ الظبي لظلّه، وقال : إنَّ فتح الراء من ترك، كما عند الجوهري، وهْم .

قلت : وهو كذلك في صحاح الجوهري مضبوطا بالقلم مفتوحا في النسخة . ولعلَّ الرواية كذلك عنه، وإلاَّ فهو محتمل لأن يكون مسكَّنا . وهو مصدر عامله مقدَّر، وهو الذي أظهرناه أو ما يشبهه . ثمَّ على الفتح لا مانع من صحَّته ان تكلَّمت به العرب كذلك . ويكون فعلا ماضيا والظبي فاعله . فإذا نفر أحد من شيء نفرة عزما حسُن أن يُقال : ترك الظبيُ ظلَّه، أي أنه ذهب مذهبا لا مرجع فيه، كأنه ظبي ترك ظلَّه.

تَرَكْتُهُ كَجَوْفِ حِمَارٍ .

ويقال : هُو كَجَوْفِ حِمَار، ويقال كجَوْفِ عَيْر، ومعناه خالٍ لا خير فيه . واختلف [العلماء] فيه فقيل : المراد الحمار المعروف، وجوفه ليس فيه شيء يُنتفع به، فلا خير فيه.

وقيل : المراد حمار ابن مويلع، وهو رجل من عاد وله موضع يقال له جوف كان يزدَرِعُه، أحرقه الله تعالى وأحرق ما فيه لمَّا كفر بالله تعالى . وفيه يقال أكْفَرُ مِنْ حِمَارٍ، كما سيأتي . قال امرؤ القيس :

وخَرقٍ كَجَوفِ العَيرِ قَفْرٍ مَضلَّةٍ قَطعتُ بسامٍ ساهِمِ الوجْه حسَّان[4]

قال شارح ديوانه عاصم بن أيُّوب : قوله كجوف العير، قال ابن الكلبي : هو وادٍ باليمن

3) سقط من ب .

4) يُروى هذا البيت أيضا : وَوَادٍ كَجَوفِ العَيْرِ...

قَفْرٌ لا شيء به . قال : وقال القتبيّ : أراد كجوف الحمار . والحمار، وإن كان ذكيًّا لا يُنْتَفَع به ولا بشيء من حشاه، فكأنَّه خالٍ من كلّ خير . وقيل : هو رجل من بقايا عاد كان يقال له حمار بن مويلع، وكان على التوحيد، فأصابت بنين له عشرة صاعقة فأحرقتهم، فغضب وقال : لا أعبد ربًّا فعل بي هذا ! ومال إلى عبادة الأوثان ومنع الضيافة. فأرسل الله عليه نارا فأحرقته وأحرقت جوفه، وهو موضع كان يزدرعه،من جميع ما كان فيه وجميع مَن دخل معه في عبادة الأوثان، فأصبح الجوف كأنه الليل المظلم . فضربت العرب المثل قالوا : وادي الحمار وجوف العير . وقال ابن دُرَيْد : إذا قالت العرب : كأنَّه جوف حمار فإنَّما يريدون وصف الموضع الخريب الوحش . وقال : أمَّا جوف حمار فكان لحمار بن مالك أُبن نصر بن الأسد، وكان جبَّار عاتيا . فبعث الله عليه نارا فأحرقت الوادي بما فيه، وصار مثلا.

تَرَكْتُهُمْ لَحْمًا عَلَى وَضَمٍ.

اللحم معروف، بسكون الحاء، ويجوز فتحها ؛ والوضَم بفتحتَيْن : ما وُقِيَ به اللحمُ من خشب وحصير ونحوهما . قال الشاعر :

لَيسَ برَاعِي إبلٍ ولاَ غَنَمْ ولا بِجزّارٍ على ظَهْرِ وضَمْ[5]

جمعه أوْضَام وأوضِمَة . تقول وضَمْتُ اللحم، بفتح الضاد، إذا عمِلْتَ له وضَمًا، أو ووضعتَه على الوضَم، وأوضمته، وأوضمت له إذا عملت له وضما ؛ وتقول : تَرَكْتُهم لحمًا على وضَم، أي مثل اللحم المجعول على الأوضام، وذلك إذاأوْقعت بهم وأوجعت فيهم . قال الحماسي :

وتَركتَنا لحمًا عَلى وضَمٍ لَو كُنتَ تستَبْقِي مِن اللَّحْمِ

وقال البوصيري في معناه :

ما زَالَ يلْقاهُم في كلّ مُعتَرَكٍ حتَّى حَكوا بالقَنا لحمًا على وضَمِ

وقال صفي الدين الحلّيّ :

أبيتُ والدَّمعُ هامٍ هاملٌ سربٌ والجِسمُ في إضَمٍ لحمًا على وضَمِ

---

5) في لسان العرب : لَسْتُ بِراعِي إبلٍ .....، وحكى نسبة هذا البيت الى أبي زُغْبة الخزرجيّ، أو الى الحُطَم القَيْسيّ، أو إلى رُشَيد بن رُمَيض العنزي.

تَرْكُ الوَطَنِ أحَدُ السِّبَاءَيْنِ .

الوَطَن بفتحتَيْن معروف ؛ والسِّبَاء بالكسر والمدّ : الأسْر . يقال : سَبَى عدوّه يَسْبِيه سَبْيًا وسِبَاءً، واسْتَبَاه[6] إذا أسره . والمعنى أنّ الخروج من الوطن ، ومفارقة الأهل والسكن، شبيه بالسِّباء ، حتى كأنّ السباء نوعان : أحدهما الأسر، والآخر السفر، فسار السفر أحد السِّباءَيْن، وهذا ذمّ له . وتقدّم في ذمّ السفر ومدحه من الآثار والأشعار ما أغنى عن الاعادة . وسيأتي ذكر ما في هذه التثنية الواقعة في السباء، إن شاء الله تعالى.

اتَّقِ مَأْثُورَ القَوْلِ !

التَّقْوَى معروف ؛ والمأثور : المَرْوِيّ المَحْكِيّ . والمثل لِحَمَل بْنِ بَدْر، قاله يوم الهَبَاءَة، وهو أكبر أيّام حرب داحس بين عَبْس وذُبْيان، وسبب الحرب كلّها . وصدور المثل، على ضرب من الايجاز والاختصار، أنّ قيس بن زهير- فيما يزعمون-وهو من بني عبس، كان اشترى من مكّة درعا تُسمّى ذات الفضول، فاغتصبها منه عمّه الربيع بن زياد، وكان سيّد عَبْس . فغضب قيس وتحوّل عنهم، ونزل على بني ذبيان، وسيّدهم إذ ذاك حُذَيْفَة بن بدر وأخوه حَمَل بدر، فأكرموه وأحسنوا جواره . ثمّ إنّ قيس بن زُهَير وحُذَيفة بن بدر تراهنا يومًا على خطر عشرين بعيرا، وجعلا الغاية مائة غَلْوة، والمِضْمار أربعين ليلة، والمجرى من ذات الإصَاد . فأجرى قيس داحسًا والغبراء، وأجرى حذيفة الخَطّار والحَنْفَاء . فوضعت بنو فزاره[7] رهط حذيفة كمينًا في الطريق . فلمّا جاءت الغبراء - وكانت سابقة - لطموها وردّوها . فقال قيس : سبقت ! فدفعوه عن ذلك حتى وقع بينهم الشرّ . فطلب منهم قيس بعيرا واحدا، فقال جذيمة : ما كنّا لنقرّ لكم بالسبق ! فلمّا رأى قيس ذلك ترحّل عنهم وفارقهم . ثمّ إنّه أغار فلقي عوف بن بدر أخا حذيفة فقتله وودّاه مائة ناقة عشراء . ثمّ خرج مالك بن زهير أخو قيس فلقيه حَمَل بنُ بدر فقتله . فأرسل قيس إلى حذيفة أن أردد علينا إبلنا ! فقد قتلت مالك بن زهير بعوف بن

---

6) في ا و ج : « واسْبَاهُ » وهو تصحيف.
7) حرفت الى « نزارة » في بعض المخطوطات.

بدر . وكانت الابل قد تناتجت عند حذيفة، فدفعها دون أولادها . وامتنعت عبس إلاّ أن يقبلهم إبلهم بأولادها : فهاجت الحرب بين الفريقين، ودامت أربعين سنة ـ فيما يزعمون ـ إلى أن أصلح بينهم الحارث بن عوف وهرم بن سنان المرّيّان، كما سنذكر. وكانت بنو عبس وتروهم، فاجتمعت القبائل وحلفاؤها وتعاقدوا وتحالفوا، فسار حذيفة الى عبس في جموع لا تُحصى . فلمّا رأت عبس ذلك اجتمعوا الى قيس بن زهير فقالوا له : ما الرأي ؟ فقال : خلّوا الأموال والظعن وادخلوا في الشعب، فإنّ الجموع إذا رأت الظعائن لا رجال فيها أمنوا فغنموا وتفرّقوا، فتدركوا منهم حاجتكم ! فلمّا أشرفت جموع حذيفة على أموال بني عبس ظنّوا أنّهم فرّوا، فأمنوا وغنموا، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الأموال . فلمّا تفرّقوا كرّت عليهم خيل عبس فوضعت فيهم السلاح وانهزموا . وأسرفت في القتل حتّى ناشدهم بنو ذبيان البقيّة، وكان يوما شديد الحرّ . فمضى حُذَيفة وأخوه حَمَلٌ حتّى استغاثا بجفر الهباءة، فنزلا ومعهما وَرْقَاءُ بنُ بلال، ونزعوا سلاحهم وسرجهم وأقعدوا رَبِيئَة يتطلّع، ولم يكن لعبس همٌّ إلاّ في حذيفة . فبعثوا الخيل تقصّ أثره . فنظر الربيئة فقال : إني أرى شخصا كالنعامة، فلم يكترثوا به وجعلوا يتحدّثون،فإذاهم بخيل عبس قد لحقتهم، وحالت بينهم وبين خيلهم . فلمّا حملوا عليهم وهم في الجفر، قال حذيفة : يا بني عبس، فأين الأحلام ؟ فضربه أخوه حَمَلٌ بين كتفيه وقال : اتّقِ مَأْثُورَ القَوْلِ !فأرسلها مثلا . يريد : إنّك تقول قولا تتذلّل فيه وتخضع، وتُقتل ولا يَنْفعك، فتشتهر عنك أخبارُه، ويبقى عليك عاره . فقتلوا حذيفة ومن معه، وتمزّقت بنو ذبيان.

ولا يخفى أنّ هذا المثل حقّه أن يذكر في غير هذا الباب، لكن الواو لمّا استهلكت بالابدال اعتبرنا الظاهر تقريبا . ودَاحِس بالدال المهملة ـ على وزن فَاعِل ـ من الدَّحس، وهو الدفع . وسمّي بذلك لأنّ أباه ذا العقال ـ وهو فرس ـ كان لرجل يُسمَّى حوطا، خرجت به جاريتان له يوما تقودانه، فمرّتا به على فرس أنثى لقرواش اليربوعي تَسمَّى جلواء، وهي إذذاك وديقٌ ـ والوديق، بالدال المهملة : المشتهية الفحل، ومنه المثل الآتي :

ودَقَ العَيْرُ الى الماء ـ فلمّا رآها ذو العقال ودَقَ . فضحك شباب منهم، فاستحيت الجاريتان، فأرسلتا مقوده، فنزا عليها . فلمّا جاء حوط ـ وكان رجلا سيّء الخلق ـ عرف النزو

في عين ذي العقال، فغضب وقال : اعطوني ماء فحلي ! فلمّا رأوا الخطب قد عظم قالوا : دونك وماء فحلك ! فأخذ الفرس وجعل يده في ماء وتراب، وأدخل اليد في رحمها حتّى ظنّ أنّه استخرج الماء . وقد اشتملت الرحم على ما فيها فنتجها قرواش مُهرًا أسماه دَاحِسا، لدحس حوط إياه، وخرج كأنّه ذو العقال أبوه . ثمّ إنّ قيس بن زهير أغار على بني يربوع، فغنم، فرأى داحسا قد ركبه فتيان فقطعا الخيل ونجوا . فأعجب به قيس، ودعا إلى أن يجعله فداء المغنم كلّه . فأعطوه إياه، وكان سبب الحروب، حتّى قيل : أشْأمُ مِنْ دَاحِس، وسيأتي . والخَطّار بفتح الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة بعدها ألف فَراءٌ، وهو فرس لحذيفة ؛ والحنْفَاء : فرس له أيضا، تأنيث الأحنف . والحنف قيل هو الاعوجاج في الرِّجْلِ، وقيل أن يقبل إحدى إبْهَامَي الرجل على الأخرى، وقيل ميل في صدور القدم، وقيل المشي على ظهر القدمين من شقّ الخنصر .

ويذكر في هذه القصّة أيضا أنّ حذيفة أجرى قَرْزَلاً - والقَرْزَل بالقاف والراء والزاي، على وزن جُحْذُب، وهو فرس لحذيفة أيضا - ويحتمل أنّه الخطّار المذكور . وقد قيل في هذه القصّة إنّ الصحيح أنّ الرهان إنّما [وقع] بين قيس وحَمَل بن بدر، لا حذيفة ؛ وأنّ فرس قيس داحس وفرس حَمَل الغبراء . وفي القصّة اضطرابات كثيرة أضربنا عنها . والهَباءة، بفتح الهاء ثمّ باء موحّدة وبعد الألف همزة مقلوبة عن واو ثمّ هاء تأنيث، وهي أرض لغَطَفَان فيها ماء . وفي الفرسَيْن يقول عنترة بن معاوية بن شدّاد العبسي يرثي مالك بن زهير :

لِلّهِ عَينا مَن رأى مِثل مالكٍ ... عَقيرَةَ قومٍ إن جَرى فَرسان !
فَليتَهما لم يجريا نصْفَ غَلْوةٍ ... ولَيتَهما لم يُرسَلا لِرِهَانِ !
ولَيتهُما ماتا جميعًا بِبَلْدَةٍ ... وأخْطأهُما قَيسٌ فَلا يريَانِ !
لَقد جَلبا حينًا وحربًا عَظيمةً ... تُبيد سَراة الحيّ مِن غَطفانِ
وكان لَهى الهَيجاء يحْمي ذِمارهُ ... ويَضْربُ عِند الكَربِ كلّ بَنانِ

وقال الربيع بن زياد أيضا، عمّ مالك المذكور يرثيه :

إنّي أرِقْت فَلم أغمِّضْ حارِ ! ... مِن سيِّءِ النَّبإ الجَليل السَّاري

مِن مِثلِه يمشي النِّساءُ حَواسرا ... وتَقوم مُعْولةٌ مَعَ الأسْحارِ

أفَبَعد مقْتَل مالك بن زُهَير ... تَرجُو النِّساءُ عَواقبَ الأطهار ؟

ما أن أرى في قَتْلِه لذوي النُّهى ... إلاَّ المَطيَّ تُشدُّ بالأكْوارِ

ومُجنَّباتٍ مَا يَذُقْنَ عذُوقةً ... يقْذفْنَ بالمُهراتِ والأمْهارِ

ومساعرا صَدأُ الحَديد عليهِمُ ... فكأنَّما طُلِيَ الوجُوهُ بِقَارِ

من كان مسرورا بمَقتَل مالكٍ ... فَلْيأتِ نِسوتَنا بوجْهِ نهارِ :

يجِد النِّساءَ حواسرا يَندُبنَه ... قَد قُمن قَبلَ تبلُّج الأسْحارِ

قَد كنَّ يخْبَأن الوجوهَ تستُّرا ... فالآن حِينَ بَدَوْنَ للنُّظَّارِ

يَضْربنَ حرَّ وجوههنَّ على فَتى ... عفِّ الشَّمائِلِ طيِّبِ الأخبارِ

قوله : حار، أراد يا حارث ! قوله : ترجو النِّساء عواقب الأطهار يريد أنَّ النساء لا يأتين بمثله، وفي عَروض هذا البيت عيبُ القطع، وهو لا يجوز إلاَّ مع التصريع . والمجنبات : خيلٌ يركبون الابل فيقودونها هي لا يركبونها إلى موضع الغارة لتجم . ويقال : ما ذقت عَذُوقًا، بالذال المعجمة، وتُهمل [في اللغة] ربيعة، وبالفاء أي شيئا . ويقال عَذُوفًا وعَذُوفَةً ؛ فإن كانت الرواية بغير هاء التأنيث، ففي هذه العروض أيضا العيب السابق . والمَساعِر جمع مِسْعَر، وهو الذي يَسْعَر الحَرْب . قوله : قَدْ قُمْنَ قَبْلَ تَبَلُّجِ الاسحار هكذا في رواية . والجملة حال، أي يجد النساء، عند وصوله، يندبنه وقد كنَّ قمن إلى ذلك من الليل قبل تبلّج الاسحار، واستمررن على البكاء إلى وقت مجيئه . ويُروى : يَنْدُبْنَهُ بِالصُّبْحِ قَبْلَ تَبَلُّجِ الأسْحار . وقالوا : يعني بالصبح هنا الحَقّ، والأمر الجليّ، وليس بظرف . ولابدَّ فيه مع ذلك من التقدير الذي في الرواية الأولى . ويصحّ أن يكون الصبح أطلق على آخر الليل لقربه منه مجازا، أو يكون على بابه . وقوله قَبْلَ تَبَلُّجِ الأسحار معمول لفعل مقدَّر، كما في الرواية الأولى، أو معمول لِيَنْدُبْنَهُ . ويكون بِالصُّبْحِ معمولاً، لِحَواسر على اللف والنشر، مع تكلّف . وأفاد بالبيتَيْن أنَّهم أدركوا ثأرهم، لأن القتيل عند العرب لا يُبكى حتى يُؤخذ بثأره . وقال قيس بن زهير يرثي حَمَلَ بْنَ بَدْر، وهو أوَّل من رثى مقتوله :

تعلَّمْ أنَّ خيرَ النَّاس مَيْتٌ على جَفْرِ الهَباءَةِ لا يَريمُ
ولَو لا ظُلمُه مازِلْتُ أبْكِي عَليه الدَّهْرَ ما بَدتِ النُّجومُ
ولكنَّ الفَتى حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ بَغَى، والبَغْيُ مرتَعُه وخِيمُ
أظُنُّ الحِلم دلَّ عليَّ قَومي وقَد يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الحَلِيمُ
وما رسْتُ الرِّجال وما رسُونِي : فَمُعْوجٌّ عليَّ ومَسْتَقِيمُ

وفي ذلك قال أيضا :

شَفَيتُ النَّفسَ من حَمل بْن بدرٍ وسَيفي مِن حُذيفةَ قَد شَفاني
قَتَلتُ بإخوتي ساداتِ قومي وهُمْ كانوا لَنَا حَلْيَ الزَّمَانِ
فإنْ أكُ قَد بَردتُ بهم غَليلي فَلم أقْطَع بِهم إلاَّ بناني

فائدة : حَمَلُ بنُ بَدْرٍ المذكور بفتح الحاء المهملة وفتح الميم، على لفظ ولَد الضَّأن. وفيه قال الشاعر :

لَيت قليلاً يلحَق الهَيْجَا حَمل ما أحْسن الموتَ إذا حانَ الأجَل !

وتمثَّل بهذا الشعر - فيما يذكر - سعد بن معاذ، رضي الله عنه، يوم الخندق . قال البكري : وفي همدان حَمْل بن زياد بن حسَّان، بفتح الحاء وضمّ الميم ؛ وفي مَدْحِج جَمَل بن كنانة، بفتح الجيم والميم، كلفظ واحد الجمال ؛ وفي كنانة خُمْل بن شق، يعني بالخاء المعجمة مضمومة، وتسكين الميم، والله أعلم.

وأمَّا سبب الصلح بينهم على الحارث بن عوف، فهو أنَّ الحارث قال يوما لخارجة بن سِنان : أتراني أخطب إلى أحد من العرب، فيردّني ؟ قال : نعم . قال : ومن هو ؟ قال : أوس بن حارثة بن لام الطائيّ . فقال الحارث لغلامه : اركب ! فركبا حتى أتيا أوس بن حارثة[8] في بلاده . فلمَّا رأى الحارث قال : مرحبًا بك يا حَار ! قال : ويك ! قال : وما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطبا . قال : ليست هناك ! فانصرف ولم يكلّمه . ودخل أوس إلى امرأته مغضبا، وكانت من عبس فقالت : من الرجل الذي وقف عليك ؟ قال : ذالك سيّد العرب، الحارث بن عوف . قالت : فما لك لم تَسْتَنْزِلْه ؟ قال : انه استحمق . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني

8) سقط ما بين معقوفتين من أ.

حاطبا . قالت : أفتريد أنْ تزوّج بناتك ؟ قال : نعم ! قالت : فإذا لم تزوّج سيّد العرب، فمَنْ ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك ! قال بماذا ؟ قالت : بأن تلحقه فتردّه . قال : وكيف، وقد فرط منّي ما فرط إليه ؟ قالت : تقول إنّك لقيتني مغضبا بأمر . فانصرف، ولك عندي ما تحبّ : فإنّه سيفعل فركب حارثة في أثره . قال خارجة : فوالله إنّا لنسير إذ حانت منّي التفاتة فرأيته، فأقبلت على الحارث وما يكلّمني غمًّا . فقلت : هذا أوس بن حارثة ! قال : وما نصنع به ؟ امض ! فلمّا رآنا لا نلتفت، صاح : يا حَارِ، اربع عليَّ ! فوقفنا له فكلّمه بذلك الكلام، فرجع مسرورا . ودخل أوس منزله، فقال لامرأته : ادعي لي فلانة ! كبرى بناته . فأتته، فقال : يا بنيّة، هذا الحارث بن عوف، سيّد من سادات العرب، وقد جاء خاطبا . فأردت أن أزوّجك منه، فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل ! قال : ولِمَ ؟ قالت : لأنّي امرأة في وجهي رِدّة، وفي خلقي بعضُ الحدّة، ولست بابنة عمّه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحي منك ؛ ولا آمن أن يرى منّي ما يكره، فيطلّقني فيكون عليَّ وصمة . فقال : قومي، بارك الله فيك ! ثمَّ دعا الوسطى، فأجابته بنحو ذلك ؛ ثمَّ دعا الصغرى فقال لها فقالت : أنت وذاك . فقال : إنّي عرضت ذلك على أختيك فأبتاه . فقالت : لكنّي الجميلةُ وجهًا، الصَّنَاعُ يدًا، الحسيبة أبًا . فإن طلّقني فلا أخلف الله عليه . قال : بارك الله عليك ! ثمَّ خرج إلينا فقال : قد زوَّجتك بهنسة بنت أوس . قال : قد قبلت . فأمر أمَّها أن تهيّئها وتصلح من شأنها . ثمَّ أمر ببيت فضرب له وأدخله إياه . فلمّا أدخلت إليه لبث هنيئة، ثمَّ خرج إليَّ، فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله لمّا مددت يدي إليها قالت [مَهْ][9] أعند أبي وإخوتي ؟ هذا لا يكون ! قال : فأمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا، فسرنا ما شاء الله، ثمَّ قال لي : تقدَّم ! فتقدَّمت، فعدل بها عن الطريق، فما لبث أن لحقني، فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله ! قالت لي : أكما يُفْعَلُ بالأمَة الجليبة، والسَّبِيَّة الأخِيذة ؟ لا والله حتّى تنحر الجَزُور، وتذبح الغنم، وتَدْعُوَ العرب، وتعمل ما يعمل لمثلي . قال خارجة : فقلت : والله لأري هيئة عقل ! وإني لأرجو أن تكون المرأة النجيبة . ثمَّ سرنا حتّى دخلنا بلادنا . فأحضر الابل والغنم، ثمَّ

9) سقط من أ.

دخل إليها وخرج . فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله ! قلت : ولِمَ ذلك ؟ قال : دخلت عليها أريدها فقلت : قد أحضرنا من المال ما ترين . قالت : والله لقد ذُكِرْتَ لي من الشرف بما لا أراه فيك ! قلت : كيف ؟ قالت : أتتفرَّغ لنكاح النساء والعرب يَقْتُلُ بعضُها بعضا ؟ ـ تعني عبسًا وذبيان ـ قلت : فتقولين ماذا ؟ قالت أُخْرُج إلى هؤلاء القوم فأصْلِحْ بينهم ثمَّ ارجع إلى أهلك، فلن يفوتك ! قلت : والله إنِّي لأرى عقلا وهمَّة، ولقد قالت قولا ! فاخرج بنا ! فخرجنا حتَّى أتينا القوم، فمشينا بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى من الفريقيْن، ثمَّ يؤخذ الفضل ممَّن هو عليه . فحملنا عنهم الديات وكانت ثلاثة آلاف بعير . وفي هذا الصلح يقول زهير يمدحهما :

سَعى ساعِيا غَيظ بن مرَّة بعدما ... تبزَّلَ ما بين العَشِيرةِ بالدَّمِ
فأقسَمتُ بالبيتِ الَّذي طافَ حولَه ... رجالٌ بَنَوه من قُريشٍ وجُرهم
يمينًا لنِعم السَّيِّدان وُجِدتُما ... على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومُبرمِ
تَداركتُما عبسًا وذُبْيان بَعْدما ... تَفانوا ودقُّوا بينهُم عِطر مَنشَمِ

وعاش الحارث حتَّى أدرك النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فأسلم رحمه الله تعالى.

تِلْكَ التِّجَارَةُ لا انْتِقَادُ الدِّرْهَمِ.

هذا في قول القائل :

وإذا شَكا مُهْرِي اليَّ حَرارةً ... عِند اخْتلافِ الطَّعن قُلت لَهُ : اقْدمِ
إنِّي بِنَفسي في الحُروب لَتاجرٌ ... تِلكَ التِّجارةُ لا انتِقادُ الدِّرهم !

ومعناه ظاهر.

تَمْرَةٌ خَيْرٌ مِنْ جَرَادَةٍ.

التَّمْرُ، بالمثناة الفوقانية وسكون الميم، معروف، وهو ما يبس من حمل النخيل . الواحدة تَمْرة، والجمع تَمْرات وتُمُور وتُمْران ؛ والتَّمَّار بائع التمر، والتَّمْرِيّ مَنْ يُحبّه . وأمَّا الثمر بالمثلَّثة وفتح الميم فهو حمل الأشجار كلّها . والجراد معروف، الواحدة جَرَادَة . والمثل ظاهر مشهور.

التَّمْرُ في البِئْرِ عَلَى ظَهْرِ الجَمَلِ.

التَّمْرُ تقدَّم، والبئر معروف، وكذا الجمل . وأصل المثل أنَّ المنادي كان يقوم في الجاهلية على أطُم مِنْ آطام المدينة فينادي بذلك الكلام حتَّى يدرك التمر، أي : من سقى نخيله بمياه الآبار على ظهور الجمال بالسواني وجد التمر، وحمد عاقبة الأمر، وأدرك غاية السقي، ونجاح الرأي . وهذا كما تقول : الزرع في تحريك الأرض وتزبيلها، والعنب في زَبْر الكرم وسقيها . وهذا كلّه تحضيض على إحكام الأسباب، والاعتناء بالوسائل، وتنبيه على أنَّ المقاصد منوطة بها، ومرتبط صلاحها بصلاحها . وقريب من هذا المثلُ الآخر، وهو قولهم : عِنْدَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى، وقول القائل :

إذا أنتَ لم تزرَع وأبْصَرت حاصداً ... نَدمتَ على التَّفريطِ في زمن الزَّرعِ

أتَمِيمِيًّا مُرَّةً وقَيْسِيًّا أُخْرَى ؟

يضرب لمن يتلوَّن ويختلف كلامه ولا يقف على حال، أي : أتَنْتَسِبُ إلى تَمِيمٍ مُرَّةَ، وإلى قَيسٍ مُرَّةَ أخْرَى ؟ وتميم وقيس قبيلتان عظيمتان من قبائل العرب . أمَّا تميم فهو تميم بن مُرّ بن أدّ بْنِ طابِخة، بالباء الموحَّدة والخاء المعجمة، بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار ؛ وأمَّا قيس فهو قَيْسُ عَيْلان، بفتح العين المهملة، واسمه إلياس بن مُضر بن نِزار، وقيس لقب له . وقد قيل إنَّ عيلان هو أبو قيس . ويدلّ لصحَّته قول الحماسي :

لَحى اللّه قيسًا قيس عيلانَ إنَّها ... أضاعت ثُغور المُسلمينَ وولَّتِ !

فَشاول بقيسٍ في الطِّعان ولا تَكُن ... أخاها إذا ما المَشرفيَّة سُلَّتِ

ألا إنَّما قيس بنُ عيلانَ بقَّةٌ ... إذا شَربَت ماء العَصير تَغنَّتِ !

فصرَّح بأنَّه ابنُ عَيْلان . وبين القبيلتَيْن أبدا منافرات ومكافحات ومقاتلات . ومن ثَمَّ اشتهر بينهما التقابل، كما في هذا المثل، وشاع عند البيانيّين في باب القصر التمثيلُ بقولهم : فلانٌ تميميٌّ، مراعاة لهذا الأمر . وفي بعض الأخبار قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يَا أبَا الدَّرْدَاء ! إذا فاخَرْتَ فَفَاخِرْ بِقُرَيْشٍ، وإذا كَاثَرتَ فَكَاثِرْ بِتَمِيمٍ، وإذا حَارَبْتَ فَحَارِبْ بِقَيْسٍ ؛ ألاَ إنَّ وجُوهَهَا كِنَانَةُ،

ولِسَانُهَا أسَدٌ، وفُرْسَانُهَا قَيْسٌ ؛ ألاَ إنَّ لِلّهِ فُرْسَانًا فِي سَمَائِهِ وهُمُ المَلاَئِكَةُ، وفُرسَانًا فِي الأرْضِ وهُمْ قَيْسٌ ! وإنَّ آخِرَ مَنْ يُقَاتِلُ عَنِ الاسْلامِ، حِينَ لاَ يَبْقَى إلاَّ ذِكْرُهُ ومِنَ القُرآنِ إلاَّ اسْمُهُ، لَرَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ. قُلْتُ : يَا رسُولَ اللّه، مِنْ أيِّ قَيْسٍ ؟ قال : مِنْ سُلَيْمٍ.

وسار معاوية يوما، فإذا هو براكب، فقال لبعض أصحابه : عليَّ به من غير ترويع ! فأتاه وقال : أجِبْ أمير المؤمنين ! فقال : إيَّاه أردت . فلمَّا دنا حسر اللثام وأنشد :

مُعاويَ لم أزل آتيكَ تَهْوِي ... بِرحْلي نحو ساحَتِكَ الرِّكَابُ
تجُوب الأرضَ نحوكَ ما تأبَّى ... إذا ما الأكْمُ قَنَّعَهَا السَّرَابُ
وكُنتَ المُرتَجَى وبِكَ اسْتَغَاثَت ... لِتُنعِشَهَا إذا بَخِلَ السَّحَابُ

فإذا ليلى الأخيليَّة، فهشَّ لها معاوية، وأمر لها بخمسين بعيرا . ثمَّ سألها عن مُضَر فقالت : « فاخِر بقريش، وحارب بقيس، وكاثِرْ بتميم، وناطِقْ بِأسَد ! » وتقدَّم أنَّ هذا في الحديث، وسيأتي تمام حديث ليلى في الأعيان . ويُسمَّى أولاد إلياس خِنْدِفًا، وهي اسم إمّهم، ومُضر كلّها راجعة الى خِنْدِف وقيس.

ومن أظرف ما يتّفق في هذا النسب، ويزيد بصيرة في هذا المقام . ما ذكر أبو علي البغدادي يرفعه الى أبي عبيدة أنَّ يزيد بن شيبان بن علقمة خرج حاجًّا فرأى، حين شارف البلد، شيخا يحفّه ركب على إبل عتاق برحال ميس ملبَّسة أدما . قال : فعدلت فسلَّمت عليهم وبدأت به فقلت : مَنِ الرجلُ ومَنِ القوم ؟ فإنَّ القوم ينظرون الى الشيخ هيبة له، فقال الشيخ:رجل من مَهرة بن حَيدان بن عمرو بن الحاف من قضاعة.فقلت:حيَّاكم الله ! وانصرفت . فقال الشيخ : قف أيّها الرجل ! استنسبتنا فانتسبنا لك، ثمَّ انصرفت ولم تكلّمنا ـ ويُروى : شَامَمْتَنَا مُشَامة الذئب الغنم، ثمَّ انصرفت ـ قال . قلت : ما أنكرت سوءًا، ولكنَّني ظننتكم من عشيرتي فأناسبكم، فانتسبتم نسبا لا أعرفه ولا أراه يعرفني . قال : فأمال الشيخ لثامه وحسر عمامته وقال : لعمري ! لئن كنت من جِذْم من أجذام العرب لأعْرِفَنَّك . قلت : فإني من أكرم أجذامها . قال : فإنَّ العرب بنيت على أربعة أركان : مضر، وربيعة، واليمن، وقضاعة ؛ فمن أيهم أنت ؟ قلت : من مضر . قال : أمن

الأرجاء أم من الفرسان ؟ فعلمت أنَّ الأرجاء خِنْدِف، وأنَّ الفرسان قيس . قلت : من الأرجاء . قال : فأنت إذن من خِنْدِف ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن الأرنَبة أم الجُمْجُمة ؟ فعلمت أنَّ الأرنبة مُدْرِكَة، وأنَّ الجُمْجُمة طابخة . فقلت : من الجمجمة . قال : فأنت إذن من طابخة؟ قلت : أجل ! قال : أفمن الصميم أم من الوشيط ؟ فعلمت أنَّ الصميم تميم، وأنَّ الوشيط الربَّاب . فقلت : من الصميم . قال : فأنت إذاً من تميم ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن الأكرمين أم من الأحلمين أم من الأقلّين ؟ فعلمت أنَّ الأكرمين زَيْدُ مَنَاة، وأنَّ الأحلمين عَمْرو بنُ تميم، وأنَّ الأقلّين الحارث بن تميم . قلت : من الأكرمين . قال : فأنت إذاً من زيد مناة ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن الجدود أم من البحور أم من الثماد ؟ فعلمت أنَّ الجدود مالك، وأنَّ البحور سعد بن زَيْدِ مَنَاة، وأنَّ الثماد بنو امرىء القيس بن زيد مناة . قلت : من الجدود . قال : فأنت إذاً من بني مالك ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن الذُّرَى أنت أم من الأرداف ؟ فعلمت أنَّ الذرى حنظلة، وأنَّ الأرداف ربيعة ومعاوية وهما الكرد وساق . قلت : من الذرى . قال : فأنت إذاً من بني حنظلة ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن البدور أم من الفرسان أم من الجراثيم ؟ فعلمت أنَّ البدور مالك، وأنَّ الفرسان يَرْبُوع، وأنَّ الجراثيم البَراجم . قلت: من البدور . قال : فأنت إذاً من بني مالك بن حنظلة ؟ قلت : أجل ! قال : أفمن الأرنبة أم من اللَّحْيَيْن أم من القفا ؟ فعلمت أنَّ الأرنبة دارِم، وأنَّ اللَّحيين طهيَّة والعدرية، وأنَّ القفا ربيعة بن حنظلة.قلت:من الأرنبة.قال: فأنت إذا من دارم ؟ قلت : أجل ! قال: أفمن اللباب أم من الهضاب أم من الشهاب ؟ فعلمت أنَّ اللباب عبد الله، وأنَّ الهضاب مجاشع، وأنَّ الشهاب نهشل . قلت : من اللباب . قال : فأنت إذاً من عبد الله ؟ قلت : أجل! قال : أفمن البيت أم الزَّوافر ؟ فعلمت أنَّ البيت بَنُو زُرَارة، وأنَّ الزوافر الأحلاف . قلت: من البيت . قال : فأنت إذا من بني زرارة ؟ قلت : أجل ! قال : فإنَّ زرارة ولد عشرة : حاجيا، ولَقِيطا، وعَلْقَمة، ومَعْبَداً، وخُزَيْمة، ولَبِيداً، وأبَا الحارث، وعمْراً، وعَبْد مَنَاة، ومالكاً . فمن أيّهم أنت ؟ قلت : من بني علقمة ولد شيبان، لم يلد غيره فتزوَّج ثلاث نسوة : مهدد بنت حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد، فولدت له يزيد ؛ وتزوَّج عِكْرشة بنت حاجب بن زرارة بن عدس، فولدت له المامور ؛ وتزوَّج عَمْرةَ بنت بِشر بن عمرو بن عدس، فولدت

له المقعد . فلأيّهنّ أنت ؟ قلت : لمهدد . قال : يا ابن أخي ! ما افترقت فرقتان بعد مُدركَةَ إلاّ كنت في أفضلهما حتّى زاحمك أخواك، فإنّهما أن تلدني أمّا هما أحبّ إليّ من أن تلدني أمّك . يا ابن أخي ! أتراني عرفتك ؟ قلت : إي وأبيك أتمّ معرفة ! قال أبو علي : الميس ضرب من الشجر، تُعملُ منْهُ الرحال ؛ [وارم القوم : سكنوا ؛ والوشيط : الخسيس من الرجال][10] والصميم : الخالص . وفي معنى هذا المثل الذي نحن فيه قول زفر ابن الحارث لعمران بن حطان : أأزْدِيًّا مرّةً وأوزاعِيًّا أُخْرى ؟ ومن التلوّن قول عمران المذكور :

فاعذرْ أخاك ابنَ زِنباعٍ فإنّ له ... في النّائباتِ خُطوبًا ذاتَ ألوانِ !
يومًا يَمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمنٍ ... وإن لقيتُ مَعَدّيًّا فعَدنانِي

وقول الآخر :

أفي الولائِم أولادٌ لِواحِدَةٍ ... وفي المفاخِرِ أولادٌ لِعلاّتِ ؟

تِيسِي جَعَارِ .

تِيسِي، بكسر التاء الفوقانية المثناة بعدها مثناة تحتانية ساكنة بعدها سين مهملة . وجَعَارِ، على مثال حَذَامِ، وهي الضَّبُع، ويقال لها جَعَار وأمُّ جَعَار وأم جعور ؛ ويقال أيضا : عِيثِي جَعَار . أمّا تيسي فهي من مادّة التّيس، ولم يذكروا لها فعلا، بل قالوا إنّها كلمة تقال في معنى إبطال الشيء ؛ وأمّا عِيثِي فمن العَيْث وهو الافساد، وأصله : عِيثِي يَاجَعَار ! قال الشاعر :

فَقلت لها : عيثي جَعَار وجرِّري ... بلحْم امرىءٍ لم يحضُر اليوم ناصره !

وسيأتي تمامه في محلّه وممّا يلتحق بهذا الباب قولهم :

تَحْتَ طَرِيقَتِكَ عِنْدَاوَةٌ .[11]

والطريقة، على مثال سكينة، الرخاوة واللين ؛ والعنداوة : الخديعة والمكر، أي تَحتَ إطْراقِكَ مَكْرٌ . وهو مِثْلُ المثَل الآتي : مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاعَ، وسيأتي وقولهم:

---

10) سقط ما بين معقوفتين من أ.

11) أورد في لسان العرب هذا المثل في باب « عند » نقلاً عن أبي زيد بصيغة : « إنّ تَحْتَ طَرِيقَتِكَ لَعِنْدَاوَةٌ ». قال وهو من العَداء، وهَمزَهُ بعضهم « عِنْدَ اوَه » فجعل النون والهمزة زائدين.

تَرَكْتُهُ بِاسْتِ الأرضِ. أي تركته عديمًا فقيرا . وقولهم :
تَرَكْتُهُ عَلَى أنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ.

وممَّا يتمثَّل به تارة قوله صلَّى الله عليه وسلَّم : لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وذِرَاعًا بِذِرَاعٍ.

ومن أمثال العامَّة الحكميَّة في هذا الباب قولهم : اتْرُكِ الحَبَّ تُحَبّ ! أي لا تَطْمَعْ فِيمَا فِي أيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ ! وإنْ تُكْثِرِ غِشْيانَهُمْ يَمَلُّوكَ . قال زهير :

ومن لا يَزل يستَحمِلِ النَّاس نفسَهُ ولا يُغْنِها يومًا من الدَّهر يُسأمِ

وفي الأثر المرويّ : ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وازْهَدْ فِيمَا فِي أيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ . ويشبه هذا المثل مسألة الطائر، إن ترك الحَبَّة المعلَّقة في الفخّ نجا، وان اقتحمها هلك . ومن أمثالهم أيضا قولهم :

اتْرُكْ صَاحِبَ الغَاسُولِ يَسْكُتْ !

زعموا أنَّ شخصين اصطحبا في طريق، لأحدهما حِمْلٌ من حديد أو شبهه، وللآخر حِمْلٌ من الغاسول - وهو طين تغسل به الرؤوس - فأصابهما مطر في منزل، فجعل صاحب الحديد يتوجَّع ويتخوَّف على سلعته من البلل . فقال له صاحب الغاسول ما ذُكِر . ومعلوم أنَّ الحديد وشبهه لا يضرّه البلل شيئا، وأمَّا الغاسول المذكور فأدنى شيء من البلل خلُص إليه يُحلّله ويفسده . فيضرب فيمن يتوجَّع ويتألَّم، أو يشتكي ويتظلَّم، أو يتأسَّف ويتندَّم، وثمَّ من هو أجدر منه.

وقد حان أن نذكر من الشعر ما تيسَّر . قال الشاعر :

كَم مِن فتًى تُحمدُ أخْلاقُهُ ويَسكُنُ العَافونَ في ذمَّتِهِ !
قَد كثَّر الحاجِبُ أعْدَاءَهُ وأحْقَدَ النَّاس عَلى نِعْمَتِهِ

وسبب هذا الشعر أنَّ أعرابيًّا دخل البصرة، فسأل عن دار عبد الله بن عامر بن كُريز - وكان عبد الله من فتيان قريش جودًا وسخاء، وكرما وحياء - فدُلَّ على الدار، فأناخ راحلته بالباب. فاشتغل عنه الحاجب والعبيد وبات طاويا . فلمَّا أصبح ركب راحلته ووقف على الحاجب فأنشأ يقول :

كأنّي ونِضْوِي عند باب ابن عامرٍ ... من الجودِ ذئبًا قَفْرةٍ هَلعانِ
وقفت وصُنبورُ الشّتاء يلُفُّني ... وقَد مسّ بردٌ ساعِدي وبَناني
فما أوقَدوا نارًا ولا بَذلوا قِرىً ... ولا اعتَذروا من عسرةٍ بلسانِ

فقال بعض شعراء البصرة ما تقدّم . فلمّا بلغ الشعر ابن عامر، عاقب الحجّاب وأمر أن لا يُغلق بابه ليلا ولا نهارا.

وقال الآخر :

لا تَنظرنّ إلى عقلٍ ولا أدبٍ ... إنّ الجدود قريناتُ الحَماقاتِ
واسْترزِقِ اللّهَ ممّا في خزائِنه ... فكُلُّ ما هُوَ آتٍ مرّةً آتِ

ومثله قول الصابىء :

إذا جَمَعَت بين امرأيْنِ صناعةٌ ... فأحْبَبت أن تَدري الّذي هُو أحذقُ
فَلا تتأمّل منهُما غير ما به ... جَرت لَهما الأرْزاق حين تُفرّقُ :
فَحيث يكونُ النُّوكُ فالرّزقُ واسعٌ ... وحيثُ يكونُ الحِذقُ فالرّزق ضيّق

وقال صالح بن عبد القدوس :

ولَيس رزقُ الفَتى من حُسن حيلته ... لكن جُدودٌ بأرزاقٍ وأقسامِ
كالصّيد يُحرمُه الرّامي المُجيد وقَد ... يرمي فيُرزقُه من لَيس بالرّامي

وقال الآخر :

متى ما يرى النّاس الغنيّ وجارُه ... فقيرٌ يقولوا : عاجزٌ وجَليدُ
وليس الغِنى والفَقرُ من حيلة الفتى ... ولكن أحاظٍ قُسّمت وجُدودُ

وقولي، من قصيدة :

والحظُّ والمقدارُ ما حُصرا ... في ذِي الذّكاءِ يبيتُ يَسْتَمْرِي
بَك قِسمةٌ أزليّةٌ نَشَأتْ ... بيَدَي مُدَبِّرِهَا عَلى قَدرِ
وإذا نَظَرتَ رأيْتَ في قَرنٍ ... غمر الغِنَى وجَهالَة الغُمْر
وتَرى اللّبيبَ يَبيتُ في ضَفَفٍ ... بهُمومِه مُتقسّم الفِكْرِ
ليَكون فضلُ حِجى الفَتى عوضًا ... عن فَضلِ مالِ الأنْوكِ الكَثْرِ

وتكُـــون أحكامُ الالـهِ جَـــرتْ في الخَلقِ عن غَلَبٍ وعَن قَسرِ

وسيأتي ذكر ما في هذا المعنى من الشعر عند ذكر الجَدّ، إن شاء الله تعالى.

وقال الحماسي عمرو بن مَعْدِي كَرِب :

وجاشَت اليَّ النَّفسُ أوّل مرّةٍ فَردَّت على مَكروهِها فاستَقَرَّت

ومنه قول الآخـــر :

صَبرت على اللّذّات حينَ تولّتِ وألزمْتُ نفسي هجْرها فاستَقلّتِ

وكانت مَدى الأيّامِ نفسي عزيزةً فلمّا رأت صبري على الذُّلّ ذلّتِ

والسّادات الصوفية، رضوان الله عليهم، يتمثّلون به كثيرا في نجح الرياضة.

وقول الحماسي أيضا سيّار بن قَصير الطائي :

عَشيّة أرمي جَمعَهُم بلبانِها ونَفسيَ قَد وطّنتُها فاطمأنّتِ

وقول كثيّر :

فقلت لها : يا عزّ كلُّ مصيبةٍ إذا وطّنت يومًا لها النّفس ذلّت

قال المبرّد : وكان عبد الملك يقول : لو كان هذا البيت في صفة الحرب لكان أشعر الناس.

وقوله أيضا :

فيا عجبًا للقلب كيف اعتزامُه وللنّفس لمّا وُطّنت كيف ذلّتِ !

وقول ضَابِيء بن الحارث :

ولا خيرَ فيمن لا يُوطّنُ نفسه على نائبات الدّهْر حين تنوبُ !

وقال الآخـــر :

تمتّعْ إذا ما أمْكن الدّهر واغتنِم زمانَك واعْلم أنّه سَيَفوتُ !

وقال الآخـــر :

داءٌ قديمٌ وأمرٌ غير مُبتَدعٍ : جَورُ الزّمان عَلى أهْل المُروآتِ

وقال الآخـــر :

سكتُّ عَن السّفيهِ فظنّ أنّي عييت عَن الجواب، ومَا عَيِيتُ

وقال الآخـــر :

سُرورانِ ما لَهُمَا ثَالِثٌ : حَياةُ البَنينَ ومَوتُ البَناتِ

وهذا من قول الأعراب : مَوتُ البَناتِ، منَ المَكْرُمَاتِ . وقال الآخـــر :

كانتْ سُلَيمى تُنادي يا أُخَيَّ وقَد ... صارتْ سُليمى تُنادي اليوم يا أبَتِ !

وقال الآخـــر :

كلامُ النَّـــاسِ [أَشْتَـــاتُ] ... ومَعْنى كُلِّه : هَاتُـوا !

وقال الآخـــر :

كم عائدٍ رجُلاً وليسَ بعائدٍ ... إلاَّ ليعلمَ هل يَراهُ يمُوتُ !

وقال الآخـــر :

كَم مات قومٌ وما ماتتْ مكارمُهم ... وعاش قومٌ وهُم في النَّاس أمْواتُ !

وقال الآخـــر :

وأنطقت الدَّراهِمُ بَعد عيٍّ ... أُناسًا بعد ما كانوا سُكوتَا !

وقال الآخـــر :

وما تنفع الآدابُ والحِلمُ والحِجى ... وصاحبُها عند الكمال يموتُ !

وقال الآخـــر :

ويحسُن إظهارُ التَّجلُّدِ للعِدى ... ويقبُح غير العَجزِ عند الأحبَّةِ

وقال الآخـــر :

لا تتَّهِمْ من شقَّ فاكَ فإنَّهُ ... أعطى الحَياة وقَدَّر الأقواتا

وقال أبو الطيّب :

إنَّ الكِرامَ بلا كِرامٍ منهُمُ ... مثلَ القُلوب بِلا سُوَيْداواتِهَا

وقال أبو العلاء المعري :

فالأرضُ تَعلمُ أنَّني من فَوقِها ... مُتصرِّفٌ وكأنَّني من تحتِهَا

غَدرتْ بني الدُّنيا وكلَّ مُصاحبٍ ... صاحبتُه غَدر الشِّمال بأخْتِها

شَغُفت بوامقِها الحَريصِ وأظهَرت ... مَقتي لما أظهَرتُه من مَقتِها

لابُدَّ للحسناء من ذامٍ ولاَ ... ذامٌ لنفسي غَيرُ سيِّءِ بَخْتِها

وقال الآخـــر :

إنَّ الصُّروف كما علمْتَ صَوامِتٌ ... عنَّا وكلُّ عِبارةٍ في صَمتِهَا
مُتفقِّهٌ للدَّهر إن تَستَفْتِهِ ... نَفسٌ امرىءٍ عَن جُرمِهِ لَم يُفتِها
وتَكون كالورقِ الذُّنوبُ عَلى الفَتى ... ومُصابُه ريحٌ تَهُبُّ لِحتِّهَا

وقال أيضـــا :

رُويْدا عَلَيهَا إنَّهَا مُهَجَاتُ ... وفي الدَّهْرِ مَحْيًى لامْرىءٍ ومماتُ
أرى غَمراتٍ ينجَلينَ عن الفَتَى ... ولَكِنْ تُوافِي بَعْدَهَا غَمَرَاتُ
ولابُدَّ للانْسانِ مِن سُكر ساعةٍ ... تَهونُ عَليه بَعدها السَّكَرَاتُ
ألاَ إنَّما الأيَّام أبْنَاءُ واحِدٍ ... وهَذِي التَّاليالي كُلُّها أخَواتُ
فَلا تَطلُبا من عِند يومٍ وليلةٍ ... خِلافَ الَّذي مرَّت به السَّنواتُ !

وقال أيضـــا :

والمَوتُ أحْسن بالنَّفسِ الَّتي ألفت ... عزَّ القناعة من أن تسأل القوتا
بَتَّ الزَّمانُ حبالي من حِبالِكُم ... أعْزِز عليَّ بِكونِ الوصْلِ مَبتوتَا

وقـــال :

أحْسنتَ ما شِئتُ في إيناس مُغترب ... ولو بَلغتُ المُنى آحسَنتُ ما شِيتَا

وقال القاضي التنوخي :

الْق العَدوَّ بوجهٍ لا قُطوبَ بِهِ ... يكادُ يقطر من ماءِ البَشَاشات !
فأحزَمُ النَّاس من يلقي أعاديَهُ ... في جِسمِ حِقدٍ وأثواب المودَّات

وقال الآخـــر :

إذا نَطق السَّفيهُ فَلا تُجِبه ... فخيرٌ من إجابَتِهِ السُّكوتُ

وهو مثل قول الآخـــر :

أوكُلَّما ظَنَّ الذُّبابُ طَردتُه ؟ ... إنَّ الذُّباب إذًا عليَّ كريمُ !

ويُحكى أنَّ رجلا أسمع ابن هُبَيْرة، وهو مُعرض عنه، فقال له الرجل : إيَّاك أعني !
فقال : وعنك أنا أُعرض !

وقال الآخر، ويُنسب لعثمان بن عفَّان، رضي الله عنه :

خَليلي لاَ واللّه ما من مُلمَّةٍ ... تَدومُ على حيٍّ وإن هِيَ جلَّتِ
فإن نَزلَت يومًا فَلا تَخضَعَنْ لها ... ولا تُكْثر الشَّكوى إذا النَّعل زلَّت
فكم من كريمٍ قد بُلِيَ بنَوائبٍ ... فَصابَرَها حتَّى انْجلَت واضْمحلَّت

وقال أبو محمَّد الحريري :

يَا من تظُنُّ السَّرابَ ماءً ... لمَّا رَوَيْت الَّذِي رويتُ !

وقال :

فمهٌّد العُذر أوْ فَسامِحْ ... إن كُنت أجْرمتُ أو جَنيتُ !

وقال أيضا :

لا تَحقِرنَّ أبيتَ اللَّعْن ذا أدبٍ ... لان بَدا خَلَق السِّربال سُبروتا
ولا تُضع لأخي التَّأميل حُرمَته ... أكان ذا لَسنٍ أم كان سكّيتا
وانْفخ بعُرفك من وافاكَ مُخْتَبطًا ... وانْعَش بغَوثِك من أ لْفَيتَ منكوتا
فخير مالِ الفَتى مالٌ أشاد لَه ... ذكرًا تناقله الرُّكبان أو صيتا
وما على المُشتري حمدًا بموهبةٍ ... غبنٌ ولو كان ما أعطاه ياقوتا
لولا المُروءة ضاقَ العُذر عَن فَطنٍ ... إذا اشْرأبَّ إلى ما جاوز القُوتا
لكنَّه لابتناء المجد جدَّ ومن ... حُبِّ السَّماحِ ثَنى نحو الغِنى ليتا[12]
وما تنشَّق نشر الشُّكر ذُو كَرَمٍ ... إلاَّ وأزرى بنشْر المسْكِ مفْتوتَا
والحَمد والبُخل لم يُقْضَ اجتماعُهُما ... حتَّى لَقد قيلَ ذا ضبًّا وذا حوتا
السَّمح في النَّاس مَحمودٌ خَلائِقه[13] ... والجامِد الكَفِّ ما يَنفكُّ مَمقوتَا
ولِلشَّحيح على أمْوالِهِ عِلَلٌ ... يُوسِعْنَهُ أبدًا ذمًّا وتَبكيتَا
فجُد بما جَمَعت كفَّاكَ من نشَبٍ ... حتَّى يُرى مُجتدي جَدواكَ مبهوتَا
وخُذ نَصيبك منه قَبل رائعةٍ ... من الزَّمان تُريك العُود مَنحوتَا
فالدَّهر أنْكر من أن تستمرَّ به[14] ... حالٌ تكرَّهتَ تلك الحال أم شيتا

12) في المقامات : نحو العُلَى ليتا.
13) في المقامات أيضا : محبوبٌ خلائقُه.
14) وفيها أيضا : فالدهرُ أنكَدُ

قوله : أشَادَ لَهُ ذِكْرًا، أي رفعه، وهذا محمود مطلوب . ففي الحديث : إذَا أرَدْتُمْ أنْ تَعْلَمُوا مَا لِلْعَبْدِ عِنْدَ اللّهِ، فانْظُرُوا مَا يَتَبَعُهُ مِنَ الذِّكْرِ الحَسَنِ!

وقيل لبعض الحكماء : ما أحمد الأشياء ؟ قال : أن يبقى للانسان أُحْدوثَةٌ حسنة ! وقال أكثم بن صَيْفِي : إنما أنتم خبر، فطيِّبوا أخباركم ! وأخذه حبيب فقال :

وما ابنُ آدَمَ الا ذِكْرُ صالِحةٍ ... وذِكْرُ سيِّئةٍ تَسري بها الكَلِمُ

أما سَمِعتَ بِدَهْرٍ [ ][15] ... جاءت بأخبارها من بَعْدها الأُمَمُ ؟

وأبو بكر بن دُرَيْد حيث قال :

وإنَّما المَرءُ حديثٌ بَعدَهُ : ... فكُن حديثًا حسنًا لِمن وعَى !

وقال الأحنف [بن قيس : و][16] ما ادَّخرت الآباء للأبناء، ولا أبقت الموتى للأحياء، أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب . وقيل لمعاوية : أيّ الناس أحبّ إليك ؟ فقال : من كانت له عندي يد صالحة . وقيل : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنْفِق منها، فإنَّها لا تَفْنَى، وإذا أدبرت عنك فأنْفِقْ منها، فإنَّها لا تبقى . وأخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

لا تبْخَلَنَّ بدنيا وهْيَ مُقبِلةٌ ... فَليسَ ينقُصُها التَّبْذير والسَّرفُ

فإن تولَّت فأحْرى أن تجود بها ... والحَمد منها إذا ما أدْبَرتْ خَلَفُ

وقال الآخـــر :

إذا جادتِ الدُّنيا عليك فجُد بها ... على النَّاس طرًّا قبل أن تتقلَّتِ

فلا الجود يُفنيها إذا هي أقْبَلَت ... ولا البُخل يُبقيها إذا هي ولَّتِ !

قوله : فَكُنْ (البيت) مثله قول الآخـر :

لَـولا توقُّـعُ مُعتـرٍ فَـأرضِـيَـهُ ... ما كُنتُ أُوثِرُ أتْرابًا على تِربي

وقال الآخـــر :

لَولا شماتَة أعداءٍ ذوي حَسدٍ ... وأن أَنَالَ بِنَفعٍ مَن يُرجِّينِي

لما خَطبتُمُ إلى الدُّنيا مطايِبَها[17] ... ولا بَذلتُ لها عِرضي ولا ديني

---

15) بياض بالأصل.
16) سقط من أ.
17) في ب : مطالبها.

قوله : وما تنشَّق نَشْرَ الشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ (البيت)، نحوه ما يُحكى عن بعضهم قال : رأيت رجلا من وجوه أهل مكّة لا يزال دائبا في طلب حوائج الناس وإدخال الرفق على الضعفاء . فقلت له : أخبرني عن الحال التي أوجبت لك هذا التعب . فقال : قد والله سمعت تغريد الطير بالأسحار، من فروع الأشجار ؛ وسمعت خفوق أوتار العيدان، وترجيع أصوات القيان، فما طربت من صوت قط طربي من ثناء حسن، بلسان حسن، على رجل قد أحسن ؛ ومن شكر حرّ، لرجل حرّ ؛ ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر ! وفي مدح الكرم وذمّ البخل قول الله تعالى : وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ (الآية) . وقول النبي صلّى الله عليه وسلّم : [إنَّ اللّهَ يُحِبُّ الجُودَ وَمَكَارِمَ الأَخْلاَقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا] . وقوله صلّى الله عليه وسلّم:أيُّ داءٍ أدوأ من البُخْلِ ؟كما مرَّ في فصّته.وقيل لمحمود بن عيّاد: أنت مِتْلافٌ ! فقال : مَنْعُ الجُود، سُوءُ الظَّنِّ بالمَعْبُود . أخذه محمود الورّاق فقال :

مَن ظنَّ بِاللّه خَيْراً جاد مُبتدِيًا ... والبُخل من سوءِ ظنٍّ المَرءِ باللّهِ

وخوَّف بعض البخلاء بعض الأسخياء الاملاق، فردَّ عليه السخيّ وقال : الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بالفَحْشَاءِ، واللّهُ يَعِدُكُم مغْفِرَةً مِنْهُ وفَضْلاً . وقيل لعبد الله بن جعفر : إنّك قد أسرفت في بذل المال . فقال : إنَّ اللّه تعالى عوَّدني أن يتفضَّل عليَّ، وعوَّدته أن أتفضَّل على عبيده ؛ فأخاف أن أقطع العادة، فيقطع عنّي عادته.

وقال أيضا :

إنَّ الغريب الطَّويل الذَّيل مُمتهنٌ ... فكيف حالُ غريبٍ ما له قوتُ ؟

لكنَّه ما يشينُ الحُرَّ موجِعةٌ : ... فالمسكُ يُسحقُ والكافور مفتوتُ

وطالما أُصليَ الياقوتُ جمرَ غَضا ... ثمَّ انطفى الجَمرُ والياقوتُ ياقوتُ

وقال أيضا :

أستغفر اللّه من ذُنوبٍ ... أسرفتُ فيهنَّ واعتديتُ

كَم خُضت بحْر الضَّلال جَهرا ... ورحْتُ في الغَيّ واغتَديْتُ !

وكم أطعتُ الهوى اغترارا واخْتَلْتُ واغْتَلْتُ وافتريتُ !
وكم خلعتُ العِذار ركضًا إلى المعاصي وما ونَيْتُ !
وكَم تَناهَيتُ في التَّخَطّي إلى الخَطايا وما انتهَيتُ !
فَليتني كُنت قَبْلَ هَذا نِسيًا ولم أجِد ما جَنَيتُ !
فالموتُ للمُجرمين خَيْرٌ من المَساعِي الَّتي سَعَيتُ

وقال طُفيل الغَنَوي :

جزى اللّهُ عنّا جعفرًا حين أزلقت بنا رجلُنا في الواطئين وزلّتِ
أبَوْا أن يَملّونا ولو أنّ أمّنا تُلاقي الّذي يلْقَون منّا لملّتِ
هم أسْكنونا في ظِلال بيوتهم ظلال بيوتٍ أدفأت وأكنّتِ

ويُروى أنّ مالاً جاء من البحرين فقسمه أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه بالسويّة، فغضبت الأنصار وقالوا : لنا فضل . فقال : صدقتم ! إن أردتم أن أفضّلكم ذهب عملكم للدنيا، وإن صبرتم كان ذلك لله . فقالوا : واللّه ما عملنا إلاّ لله ! وانصرفوا . فخطب أبو بكر وقال أثناء خطبته : يا معشر الأنصار ! لو شئتم لقلتم : إنّا آويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا . يا معشر الأنصار ! لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد، وإن طال به الأمد . فنحن وأنتم كما قال طُفيل الغَنَوي - وأنشد الأبيات، متمثلا .

وقال كُثيِّر :

هَنيئًا مريئًا غير داءٍ مُخامرٍ لعزّةَ مِن أعْراضِنا ما استحَلّتِ

حُكي أنّ الشعبيّ أتى المسجد يوما فصادف فيه قوما يغتابونه، فأخذ بعضادتي الباب وقال : هَنيئًا مَريئًا (البيت) . وهذا البيت من قصيدة كثيِّر التائيّة المشهورة التي أوّلها :

خليليَّ هذا ربعُ عزّةَ فاعقِلا قَلو صيكُما ثمّ ابكيا حيثُ حلّتِ !

ومنها :

وكُنت كَذي رجلين : رجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ رمى فيها الزّمان فَشلّتِ
وكُنت كذاتِ الظّلع [لمّا تحاملت][18] على ضِلعها بَعد العِثار استقلّتِ

18) سقط من المخطوطات وبقي مكانه بياض.

أريد الثّواءَ عندها وظُنُّها إذا ما أطلنا عندها المكثَ ملّتِ ومنها.

وإنّي وتهْيامي بعزّةَ بعدما تخلّيتُ ممّا بيننا وتخلّت
لكالمرتَجي ظلَّ الغمامةِ كلّما تبوّأ منها للمقيلِ اضمحلّتِ
كأنّي وإيّاها سحابةُ مُمحِلٍ رجاها فلمّا جاوزتْه استهلّتِ

وذكر أبو علي البغدادي أنّه قيل لكثيّر : مَن أشعر ؟ أنت أم جميل ؟ قال : أنا . فقيل له: كيف، وأنت راويَتُهُ ؟ فقال جميل الذي يقول :

رمى اللّهُ في عينيْ بُثينة بالقَذا وفي الغُرِّ من أنيابها بالقَوادِحِ !

وأنا أقول : هَنيئًا مريئًا غَيرَ داءٍ مُخامِرٍ، إلخ.

قلت : وقد وقع له بعد هذا البيت نحو ما لجميل، حيث قال :

فإن تكُنِ العُتبى فأهلاً ومرحَبًا وحقّتْ لها العُتبَى لدينا وقلّتِ
وإن تكُنِ الأخْرى فإنّ وراءَنا منادِحَ لو سارت بها العِيسُ كلّتِ[19]

فقوله : [وراءنا][20] مَنَادِحُ أضرّ على قلب عزّة من القذى في العين، غير أنّه قال أيضا:

أسِيئي بنا أو أحسني لا مَلومةٌ لدينا ولا مقليّةٌ إن تقلّتِ

وقال الآخر :

سقوني وقالوا لا تُغنّ، ولو سقَوا جبال حُنينٍ ما سقوني، لغنّتِ

ذكروا أنّ فتى أُتي به بعض الخلفاء ثملا، فسأله . فأنشد ذلك . وقال آخرون : أُتي بفتى [من] قريش إلى عبد الملك بن مروان، فقال له : أين شربت ؟ فقال:

شربتُ مع الجوزاءِ كأسًا رَويّةً وأُخرى مع الثُّعرى إذا ما استقلّتِ
مُعتّقةً كانت قريشٌ تعافُها فلمّا استَحلّتْ قَتل عُثْمان حلّتِ

فاستظرفه وامر بإطلاقه، وأعطاه عشرة آلاف درهم . والسادات الصوفيّة، أسبل اللّه رضوانه عليهم، وحشرنا إليهم، يتمثّلون بالبيت السابق في شرابهم المستطاب، الذي كلُّ شراب

19) حرفت كلمة « مَنَادِح » في جل المخطوطات، فكتبت في بعضها « مناديح » وفي بعضها « مناريح ».
20) سقط من أ.

دونه سَرابٌ أو عذاب ؛ وفي ذلك قال الامام المقدسي، مضمّنا للبيت المذكور :

أباحت دمي إذ باح قلبي بحبّها ... وحلّ لها في حُكمها ما استحلّتِ
وما كُنت ممّن يُظهر السرّ إنّما ... عَروس هواها في ضميري تجلّتِ
فشاهدتُها فاستغرقتنيَ فكرةٌ ... أغيب بها عن كُلّ كُلّي وجُملتي[بي]
وحلّت محلّ الكلّ منّي بكُلّها ... فإيّايَ إيّاها إذا ما تبدّتِ
ونمّت على سرّي فكانت هي التّي ... عليها بها بين البريّة نمّتِ
إذا سألت من أنت ؟ قُلت أنا الّذي ... بقائي إذا أفنيتِ قيل هويّتي
أنا الحقُّ في عِشقي كما أنّ سيّدي ... هو الحقُّ في حُسني لغير مَعِيّةِ
فإن أكُ في سكري شَطحتُ فإنّني ... حَكمت بتمزيق الفؤادِ المفتّتِ
ولا غَرو إن أصليتُ نار تحرُّقي ... ونار الهوى للعاشقينَ أعدّتِ
ومن عجبي أنّ الّذين أحبُّهُم ... وقد أعلقوا أيدي الهَوى بأعنّةِ
سقوني وقالوا لا تُغنّ، ولو سقوا ... جبال حُنينٍ ما سقوني، لغنّتِ

وقال الآخـــر :

لقد بخِلَت حتّى لوَ أنّي سألتُها ... قَذى العين من ضاحي التُّراب لضنّتِ
فإن بخلت فالبُخلُ منها سجِيّةٌ ... وإن بذلت أعطت قليلاً وأكدتِ

وسيأتي في هذا المعنى ما فيه كفاية، إن شاء الله تعالى.

وقال أعرابـي :

شرُّ قرينٍ للكبيرِ بَعْلَتُهْ ... تُولغُ كلبًا سؤرهُ أو تَكفِتُهْ

البَعْلَةُ : الزوجة، والرجل بَعْلٌ . والمعنى أنّ الرجل إذا كبر، تقذّرته امرأته : فلا تشرب فضلة شرابه، بل تسقيه كلبًا أو تَكْفِتُهُ على الأرض.

وقال الآخـــر :

أقول إذْ حَوقَلتُ أو دَنَوْتُ، ... وبَعض حيقالِ الرّجالِ المَوتُ :
مالي إذا أنزعُها صَأيْتُ ... أكِبَرٌ غيّرني أمْ بيتُ ؟

والبَيْتُ : الزوجة أيضا.

فائدة : الزوجة لها أسماء عدّة : منه البَعْلَة والبَيْت وتقدّما، ومنها الشَّهْلَة . قال الشاعر :

له شهلةٌ شابتْ ومامسَّ جيبها ولا راحَتيها الشَّتْنَتَين عَبِيرُ

وتُطلق الشَّهْلَة أيضا على العجوز، كقول الآخر :

باتَت تُنَزِّي دَلْوها تَنْزِيًّا كما تُنَزِّي شَهْلةٌ صَبِيًّا

وهذا ايضا مُحتمل . ومنها الحَلِيلَة، وجمعها حلائل . قال [الله] تعالى : **وحَلَائِل أبْنَائِكُمْ** ؛ ومنها العِرْسُ، بكسر العين . قال امرؤ القيس :

كذبتِ لَقد أصبى على المرءِ عرسَه وأمنعُ عرسي أن يزنَّ بها الخالي

ويقال للرجل أيضا عِرْسٌ، وكذا العَرُوسُ، يستويان فيه ؛ غير أنَّه إنَّما يوصفان به ما داما في أعراسهما، بخلاف العِرْس . وأمَّا العُرْسُ، بضمّ العين، فاسم الوليمة ؛ ومنها الحَنَّة . قال الشاعر :

ما أنتِ بالحنَّةِ الوَدُودِ ولاَ عِندكِ خَيْرٌ يُرْجَى لِمُلْتَمِسِ

ومنها الطَّلَّة . قال الشاعر :

وإنَّ امرءًا في النَّاس كنت ابن أمِّه تبدَّل منِّي طلَّةً لَغَبِينُ

دعَتكَ إلى هجْرِي فطاوعْتَ أمْرها فنفْسَك لا نفسي بذاكَ تُهينُ

ومنها الرَّبَضُ، ويقال الرَّبَضُ أيضا لكلّ ما أويت إليه . قال الشاعر :

جاءَ الشِّتاء ولمَّا أتَّخِذ ربضًا يا ويحَ نفسي من حفر القَراميصِ !

ومنها القَعِيدَةُ . قال الحُطيئَة :

أَطَوِّفُ ما أطوِّفُ ثمَّ آوِي إلى بيتٍ قَعِيدَتُهُ لَكَاعِ

ومنها الزَّوْجُ، ويُطلق على الذكر والأنثى . وقد يُقال الزوجة على قِلَّة، كقول الفرزدق :

وإنَّ الَّذي يسعى ليُفسِد زوجتي كساعٍ إلى أُسْد الشَّرَى يستبيلُها

وقال سليمان العدوي - أو الخزاعي - في مرثيَّته للحُسَيْن، رضي الله عنه :

إذا افتقرت قَيسٌ جَبَرنا فقيرهَا وتقتُلُنا قَيسٌ إذا النَّعلُ زلَّتِ

وهو مثل قول الحَيْص بَيْص :

ملكنا فكان العَفْوُ منَّا سجيَّةً فلمَّا مَلكتُم سال بالدَّم أبْطَحُ

وقُرِىءَ على قبر بالمدينة :

يا مُفرداً سكن الثَّرى وبقيتُ لَو كُنت أصَدّقُ إذ بَليتَ بَليتُ !

الحيُّ يكذب : لا صديق لميِّتٍ لو صحَّ ذاكَ ومُتَّ كُنت أموتُ

ومثله قول الآخـــر :

ومن عجبٍ أن بِتَّ مُستشْعِرِ الثَّرا وبتُّ بما زوَّدتَني مُتمتّعا !

ولو أنَّني أنصَفتُك الودَّ لم أبِت خِلافك حتَّى تَنْطوي في الثَّرا معا

وقول الآخـــر :

ما وَفىَ في العِباد حيٌّ لِمَيْتٍ بعد يأسٍ منه له في الاياب

وقول الآخـــر :

نسيبك من أمسى يُناجيك طَرفُه وليس لِمن وارَى التُّرابُ نسيبُ

وقال أبو محمَّد الحريري، رحمه اللّه تعالى، في غُلامٍ أبقل عِذارُه :

قال العَواذلُ ما هذا الغَرامُ به : أما ترى الشَّعر في خدَّيه قَد نبتا ؟

فقلت واللّه لو أنَّ المفنِّد لي تأمَّل الرُّشد في عينيه ما ثَبتا

ومن أقام بأرضٍ وهْيَ مُجدبةٌ فكيف يرحلُ عنها والرَّبيعُ أتى ؟

وقال ابن زهـر الاشبيلي، إذ غلب عليه الشيب :

إنِّي نَظرت إلى المرآة إذ جُليَت فأنكَرت مُقلتاي كلَّ ما رآتا

رأيت فيها شويخًا لستُ أعرفُه وكنت أعهَده من قبل ذاكَ فَتى

فقلت : أين الَّذي بالأمس كان هُنا متى ترحَّل عن هذا المكان متى ؟

فاستضحكت ثمَّ قالتْ وهي مُعجبةٌ : أتى الَّذي أنكَرتْه مُقلتاك أتى

كانت سُليمى تُنادي : يا أُخيَّ وقد صارت سُليْمى تنادي اليوم : يا أبتا !

وتقدَّم بعضه قبل هذا الباب . وقال الآخر :

الصَّبر مَحمودٌ إلى غَايَةٍ وهَذه الغَايةُ حتَّى مَتَى ؟

ما أحْسَن الصَّبْرَ ولَكِنَّهُ في ضِمْنِهِ يَذهَبُ عُمْرُ الفَتى !

وهو مأخوذ من قول بعض الحكماء : ما أحْسَنَ الصَّبْرَ لَوْلاَ أنَّ النَّفقَةَ عليْهِ مِنَ العُمْرِ !

وقال الآخـــر :

ألم تر أنَّ الدَّهْر يومٌ ولَيلَةٌ ... يَكِرَّان من سبتٍ عَليكَ إلى سَبتِ ؟
فَقل لجديد العَيشِ : لا بُدَّ من بلًى ... وقُل لاجتماع العَيش : لابُدَّ من شتٍّ !

وقال الآخـــر :

إذا لم يكن في السَّمع منِّي تصامُمٌ ... وفي بصري غضٌّ وفي منطِقي صمتُ
فحظِّي إذاً من صوميَ الجوعُ والظَّما ... وإن قُلت إنِّي صمتُ يومًا فما صُمتُ

وفيه الجناس التامّ . وقال الآخـر، وقد قُدّم على المواريث :

وما نِلت من شُغل المواريث غير أن ... أُسرِّح نعشًا كلَّما مات ميِّتُ
وأكتُب بالأمواتِ صكًّا كأنَّهُم ... يُخاف عليهم في الحساب التَّفلُّتُ
كأنِّي لعزرائِيلَ صِرتُ مُناقِضًا : ... فهاهو يمْحو كلَّ يومٍ وأُثْبِتُ

وقال الفرزدق :

بَنو دارِمٍ أكفاؤهُم آلُ مِسمَعٍ ... وتَنْكِحُ في أكفائِها الحَبِطاتُ

وكان بلغه أنَّ رجلا من الحَبِطَات يخطب امرأة من دَارِم، فقال ذلك . ودَارِم هو مالك بن حَنْظَلَة بن مالِك بن زيد مَنَاة بن تميم ؛ وآل مِسْمَع - كمِنْبَر - من بني قيس بن ثَعْلَبة، وهم بيت بكر بن وائل في الاسلام . والحَبِطَات بنو الحارث بن عمرو بن تميم، وكان أبوهم الحارث يُلقَّب بالحَبِطِ، بكسر الباء الموحَّدة ؛ والحَبِطُ هو الذي يصيبه الحَبَطُ، بفتحتَيْن، وهو انتفاخ بطون الماشية من أكل النبات، كما مرَّ . وأصاب ذلك الحارث في بعض أسفاره، فقيل له الحبِط، وقيل لأولاده الحَبِطَات . ويُضرب هذا البيت مثلا لمن طَمَح إلى ما فوق قدره في هذا المعنى.

وقال بعض الأعراب :

وسائلي عَن خَبَري لَوَيْتُ ... فقلتُ : لا أدري، وقَد دريتُ

وقبلـه :

ومَنْهَلٍ فيه الغُرابُ مَيْتُ كأنَّهُ مِنَ الأجُونِ زَيْتُ
سَقَيْتُ مِنْه القَومَ واسْتَقَيتُ ولَيلَةٍ ذاتِ نَدًى سَرَيْتُ
ولَم يلِتْني عن سُراها ليتُ ولم تَضِرني كِنَّةٌ وبَيْتُ
وجَمَّةٌ تسألُني أعْطَيْتُ وسَائِلِي عَن خَبَرِي لَبَّيْتُ

والبَيْتُ هنا أيضا الزوجة ؛ والجَمَّة : القوم يسألون في الديات.

وقال الآخر :

خليليَّ هذي زفْرةُ اليوم قد مضت فمن لِغدٍ من زفرةٍ قد أظلَّتِ
ومن زفراتٍ لو قَصَدنَ قتلْنَني تقُصُّ الَّتي تبقى الَّتي قد تولَّتِ

وقال الآخر :

ألقني في لظًى : فإن أحرقتني، فيقينٌ أن لستُ بالياقوت !
جمع النَّسجَ كلُّ من حاكَ لكِن ليس داوُدُ فيه كالعَنْكَبُوتِ

وهذا الشعر معروف مشهور، ولم يُعرف قائله، ويُتمثَّل به على نحو قولهم : **مَا كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةٌ** ؛ وقولهم : **مَرْعًى ولا كالسَّعْدَانِ** . وتقدَّم معنى البيت الأوَّل في قول الحريري :

وربَّما أُصْلِي الياقوت جَمْر لظًى ثمَّ انطَفى الجَمر والياقوت ياقوتُ

وقال بعضهم في مناقضة البيتَيْن المذكوريْن :

أيُّهَا المُدَّعِي الفَخَارَ دَعِ الفَخْرَ لِذِي الكِبْرِيَاءِ والجَبَرُوتِ !
نَسْجُ دَاوُدَ لم يُفِد لَيْلَةَ الغَارِ وكَانَ الفَخَارُ لِلْعَنْكَبُوتِ
وبَقَاءُ السَّمَنْدِ فِي لَهَبِ النَّارِ مُزِيلٌ فَضِيلَةَ الياقُوتِ
وكَذَاكَ النَّعَامُ يَلْتَقِمُ الجَمْرَ ومَا الجَمْرُ لِلنَّعَامِ بِقُوتِ

وأراد أنَّ للعنكبوت شرفًا عظيما بنسجها على فم الغار الذي دخله النبي، صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وأبو بكر، وذلك مشهور . وقد قيل إنَّها نسجت أيضا على نبي اللَّه داوود، عليه السلام، حين طلبه طَالُوت، وعلى عبد الله بن أنَس، حين بعثه النبي، صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، إلى قتل خالد الهُذَلِيّ، وعلى عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي

طالب، رضي الله عنهم، حين صُلب عريانا، والله أعلم . والسَّمَنْد الذي ذكره هو السَّمَنْدَل - باللام - وهو طائر يكون في أرض الهند، لا يحترق بالنار، تصنع منه المناديل : فإذا اتَّسخت ألقيت في النار، فأكلت النار ما عليها من الأوساخ، وبقيت نظيفة، فكان ذلك لها غسلا ؛ وإذا غمس شيء منها في الزيت وجعل في المصباح، اشتعل بما فيه من الزيت، ولم يحترق منه شيء أصلا، ولو بقي ما بقي . وبعد كتبي هذا وجدت في بعض الدواوين أصل هذا الشعر وهو أنَّ بعض الملوك كان له وزير، فعتب عليه شيئا وحلف ليستبدلنَّهُ بمن لقي . فلقي أعرابيا رثَّ الهيئة، فاستوزره، فقال الوزير الأوَّل، وكان اسمه ياقوت يَعَرِّضُ بالثاني :

أحْكَم النَّسْج كلُّ من حاكَ لكن ... نَسْجُ داوودَ لَمْسَرَكالعَنكَبُوتِ !

أَلْقِنَي فِي لَظَا (البيت)

فأجابه الثاني بقوله :

نسجُ داوودَ ما حَمى صاحبَ الغارِ ... وكان الفخَارُ لِلْعَنْكَبُوتِ

وفِراخُ السَّمَنْد في لَهَبِ النَّارِ ... أزالَتْ فَضِيلَةَ اليَاقُوتِ

وقالت أمَامَةُ العامريَّة، من شعراء الحماسة :

وحَرْبٍ يضِجُّ القَومُ من نَفَيانِها[21] ... ضجيجَ الجِمالِ الجِلَّةِ الدَّبِرَاتِ

سَيتركُها قومٌ ويَصْلَى بحَرِّها ... بنو نِسْوةٍ للثَّكْلِ مُصطَبَراتِ

وقال جَحْدَر :

قَد عَلِمَت والدتي ما ضَمَّتِ ... ولَفَّفت في خِرقٍ وشمَّتِ

إذا الكُماةُ بالكُماةِ التَفَّتِ ... أمُخْدِجُ اليَدين أمْ أتمَّتِ[22]

أي : [قد] علمت مخائل الكرم فِيَّ منذ ولدتني، وعلمت أني تامّ الخلق غير ناقصه، لاقدامي وجُرأتي .

وقال سِنَان بن الفَحْل الطائي :[23]

---

21) في أ : « نقيانها » بالقاف المثناة، وهو تصحيف.

22) في الحماسة : « ما لفَّفت » في الشطر الثاني من البيت الأول ؛ والشطر الأخير هكذا: « أمُخْدِجٌ في الحرب أم أتمَّت ». والمُخدج : الناقص الخلق.

23) حرف اسم هذا الشاعر الحماسي في بعض المخطوطات فكتب : « سنان العجل ».

وقالوا : قَد جُننْتَ، فقلتُ كلاَّ ... وربِّي ! ما جُننتُ ولا انْتَشَيتُ
ولكنِّي ظُلمتُ فَكدتُ أبْكي ... منَ الظُّلمِ المبرِّحِ أو بَكَيت[24]
[فإنَّ الماء ماءُ أبي وجَدِّي ... وبِئري ذو حَفَرتُ وذو طَويت][25]
وقَبْلَك رُبَّ خصمٍ قَد تمالَوا ... عليَّ فما جزعْتُ ولا ونيتُ[26]
ولكنِّي نصَبتُ لَهُم جَبِيني ... والَّةَ فارسٍ حتَّى قريتُ

وقال تأبَّط شرًّا :

ألم تَعلم بأنِّي، لا كَبِيرٌ ... فَتُوهِنَه، ولا ضَرِعٌ شخيتُ
وأنَّ على وداعيَ كلَّ خيرٍ ... وأنَّ قذافِيَ المَوْتُ المُمِيتُ

الضَّرَعُ : الضعيف ؛ والشَّخِيتُ : الضَّئِيلُ الحَقِيرُ ؛ والوداعُ : المُوادَعَةُ والمُسالَمَة ؛ والقَذاف : المقاذفة باللسان وقال المأمون العباسي :

ما أحدٌ طَالَتْ لَهُ لِحْيَةٌ ... فَزَادَتِ اللِّحْيَةُ فِي هَيْئتِهِ
إلاَّ وما يَنْقُصُ مِن عَقْلِهِ ... أكْثَرُ مِمَّا زَادَ فِي لِحْيَتِهِ

وكان يوما جالسا [مع ندمائه][27] يتذاكرون أخبار الناس، فقال المأمون : ما طالت لحيةُ إنسان قطّ إلاّ نقص من عقله بمقدار ما طال من لحيته، وما رأيت عاقلا قطّ طويل اللحية، فلم يسلّم له جلساؤه ذلك . فبينما هم كذلك إذ أقبل رجل كبير اللحية، حسن الهيئة، حسن الثياب . فقال المأمون : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : [هو] رجل عاقل . وقال آخر : يجب أن يكون هذا قاضيا . فقال المأمون : عليَّ به ! فلم يلبث أن أُصعد إليه، فسلَّم وأجاد السلام، واستنطقه بأحسن المنطق . فقال المأمون : ما اسمك ؟ فقال : أبو حمدوية . قال : ما الكنية ؟ قال : علوية . فضحك المأمون، وأقبل على جلسائه، فغمزهم عليه، ثمَّ قال له : ما صنعتك ؟ قال : أنا فقيه، أجيد الشرح للسائل . فقال المأمون : نسألك عن مسألة ؟ قال : سَلْ عمَّا بدا لك ! فقال له المأمون : ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل، فلمَّا سلمها المشتري ومضى، خرجت من استها بعرة ففقأت عين رجل . على مَن تجب ديَة

24) يروى أيضا : « من الظلم المُبيِّن....».
25) سقط هذا البيت من ب.
26) يروى أيضا : .....فما هلِعتُ ولا دعَوْتُ.
27) سقط من ب.

العين؟ قال . تجب على البائع دون المشتري . فقال المأمون : وما العلّة التي أوجبت الديـة على البائع دون المشتري ؟ قال : لأنّه، لمّا باعها لم يشترط أنّ في استها منجنيقا . قال فضحك المأمون حتّى استلقى على قفاه، وضحك كلّ من حضر من الندماء، وأنشأ المأمون يقول : مَا أحَدٌ طَالَتْ لَهُ لِحْيَةٌ (البيتَيْن) ومثله قول الآخـر :

إذا عَظُمت للفتى لِحْيَةٌ ... فَطالت وصارتْ إلى سُرَّتِهْ
فَنُقْصانُ عقلِ الفَتى فاعلمَنْ ... بمقدار مازَاد في لِحيَتِهْ

وقول الآخـر :

لا تَفْخَرَنَّ بِلِحْيَةٍ ... كَثُرَتْ، منابتُها طويلَهْ
تَهْوِي بِها هُوجُ الرِّياحِ ... كأنَّها ذَنَبُ الحَسِيلَهْ
قَد يُدركُ الشَّرَفَ الفَتَى ... يومًا ولِحْيَتُهُ قَلِيلَهْ

الحَسِيلَةُ : ولد البقرة، والجمع حَسِيل . وقول الآخـر :

وكلُّ امرىءٍ ذي لِحيةٍ عَثْولِيَّةٍ ... يقوم عليها ظنَّ أنَّ له فَضْلا
وما الفَضْل في طول السِّبال وعَرضِها ... إذا اللّه لم يجعَل لِصاحبها عقْلا

وقال الحسن بن المثنّى : إذا رأيت رجلا له لحية طويلة، ولم يتّخذْ لحيةً بَيْنَ لِحْيتَيْن، كان في عقله شيء . وسيأتي من هذا المعنى ما فيه كفاية، إن شاء اللّه تعالى . وقال الآخر :

إذا لم يَكن فيكُنَّ ظلٌّ ولا جنَى ... فأبعَدكُنَّ اللّهُ مِن شَجَراتِ !

وقال الآخـر :

يقول أُناسٌ : لو نَعَتَّ لنا الهَوى ... ووالله ما أدري لهُم كيف أنْعَتُ !
فليس لشيءٍ منه حدٌّ أحُدُّهُ ... ولَيس لشيءٍ منه وقْتٌ مُوقَّتُ
إذا اشتدَّ مابي كان آخر حيلَتي ... لَه وضْعَ كفّي فوق خدّي وأصمُت
وأنضَح وجه الأرض طورًا بعبرتي ... وأقرعُها طورًا بظُفري وأنكُتُ
وقَد زعَم الواشُون أنّي سَلَوتُها : ... فما لي أراها من بعيدٍ فأبهُتُ ؟

وقال دِعْبِل بن عليّ الخُزاعي :

أحببت قومي ولم أعدل بحبِّهمُ ... قالوا : تَعصَّبَ جهلاً قول ذي بهَت

دعني أصِل رحِمي إن كنت قاطعها : ... لا بُدَّ للرَّحيم الدَّنيا من الصِّلة

فاحفَظ عشيرتك الأدنين إنَّ لهُم ... حقًّا يفرقُ بين الزَّوج والمَرَةِ !

وقال أعرابي من بلحارث :

رئمْت لسلمى في ضيمٍ وأنَّني ... قديمًا لآبي الضَّيمِ وابنُ أُبات :

فَقد وقَّفتْني بين شكٍّ وشُبهةٍ ... وما كُنت وقَّافًا على الشُّبُهات !

وقال الحماسي :

إذا ما يدٌ لم تُعط ممَّا تخوَّلت ... من المال في المعروف يومًا فشُلَّت !

فلولا ثلاثٌ هنَّ من عِيشة الفتى ... وجدُّك لم أحفل متى ما أظلَّتِ

فمنهنَّ أن ألقى الصَّليبَ وأهلَهُ ... وأُقْدم فوق القارحِ المتفلِّتِ

ومنهُنَّ أن أُعطي الكَريمَ بسؤْلِه ... إذا شُعَبُ المعروفِ في النَّاس قلَّتِ

ومنهُنَّ إبْرازُ الفتاةِ بنانها ... وقَد أُعطيتْ من صُورةٍ ما تمنَّتِ

أصاح تروَّحْ نترُكِ الجهل والصِّبا ... ونَمحُ بقايا فتنةٍ قَد أظلَّتِ

فما لك من لَيلى سواءُ تحيَّةٍ ... تكون وداعًا للفراق وقلَّتِ

وزَفرة محزونٍ وذكْر مُصيبةٍ ... سَلوتُ ولو عزَّت علىَّ وجلَّتِ

لَم أحفِلْ : لَم أُبالِ ؛ وأظلَّتْ : أقْبلَتْ وغَشِيَتْ ؛ وشُعَبُ المَعْروفِ : طُرُقُهُ وأسْبابُهُ . وهذا التقَسيم كأنَّه أخذهُ من قول طرفة بن العبد :

فَلولا ثلاثٌ هنَّ من عيشة الفتى[28] ... وجدُّك لم أحفِل متى قام عُوَّدي :

فمنهنَّ سبقي العاذلاتِ بشَربةٍ ... كُميتٍ متى ما تُعل بالماء تُزبِدِ

وكَرِّي إذا نادى المُضاف مجنَّبًا[29] ... كَسيد الغَضا نبَّهْته المتورِّدِ

وتقْصير يومِ الدَّجْن والدَّجْنُ معجبٌ ... ببهكنَةٍ تحت الطِّرافِ المُعمَّد[30]

---

28) يروى أيضًا : من لَذَّةِ الفتَى.

29) محنَّبًا يروى بالحاء المهملة، وبالجيم . والتحنيب : انحناءٌ وتوترٌ في رجل الفرس، وهو مما يوصف به صاحبه بالشدة . ويروى الشطر الثاني أيضًا هكذا : كسيد الغضاذي السَّوْرَةِ المتورِّد.

30) في المعلقات : تحت الخِباء المعمَّد. ويروى أيضًا : تحت الخباء الممدَّد.

وسيأتي معَ بيانه في محلّه، إن شاء الله تعالى.

وقال الشيخ ابن الفارض، رضي الله عنه :

كأنّي هلالُ الشّكّ لولا تأوُّهي ... خفيت فلم تُهد العيون لرؤيتي

وسيأتي إنشاد ما قيل في النحول، إن شاء الله تعالى . وقال :

أرُوم وقد طال المدى منك نظرةً ... وكم من دماءٍ دون مرماكِ طُلَّتِ !

وقـــال :

وجنَّبني حُبِّيكِ وصلَ مُعاشري ... وحبَّبني ما عِشْتُ قَطعَ عَشِيرتي

وأبعَدني عن أربُعي بُعْدُ أربعٍ : ... شبابي وعقلي وارتياحي وصحَّتي

فلي بعد أوطاني سكونٌ إلى الفلا ... وبالوحشِ أنسي إذ من الأنْس وحشتي

وزهَّد في وصلي الغَواني إذ بَدا ... تبلُّجُ صُبح الشَّيب في جُنحِ لِمَّتي

وما ظَفِرت بالودّ روحٌ مُراحةٌ ... ولا بالولا نفسٌ صَفا العَيشِ ودَّتِ

وأينَ الصَّفا ؟ هيهاتَ من عيشِ عاشقٍ ... وجنَّةُ عَـدنٍ بالمكـارهِ حُفَّتِ

وحُسنٌ به تَسبي النُّهى دلَّني على ... هوًى حسُنَت فيه لعزّكِ ذلَّتي

وقال أبو الفَرَج بنُ هِنْد :

لا يَردُّ الرَّدى لُزومُ بُيُوتٍ ... لا ولا يَقْتضيه جَوبُ فَلاةِ

مولِد الدُّر حَمأةٌ فإذا سا ... فَر حلَّ التّيجانَ واللّمَّاتِ

وتقدَّم في هذا المعنى شعر كثير . ولنذكر هنا شيئا من غير ما مرَّ، من ذلك قول ابن السَّاعَاتِيّ :

أهْلك واللّيل مُنضيا جَمَلَك ... شمِّر فخير البِلاد ما حَمَلَك !

لا خير في بُقْعةٍ ترُوق من الأرْ ... ضِ إذا لم تَنَل بِها أمَلَكْ !

حَتَّامَ لا تعمل الجياد ولا ... تعمل في كل غاية جمَلَك ؟

لقد تربَّصت خِيفة الأجَل ... المحتوم لو كان دافعًا أجَلَك

وحبَّذا ذاك لو وجَدت فتًى ... أفضَل يومًا عنْلَيك أو فضَلك !

وقال ابن قَلاقِس :

سافِـــر إذا حاولت قَـــدرا ... سار الهِلال فصار بَـــدرا !
والمـاء يَـكسِب إن جَـرى ... طِيبًا ويَخْبُثُ مَا اسْتَقَرَّا
وبِنُقْلةِ الـدُّرِ النَّفِـيسَةِ ... بُـدِّلْتَ بالبَحْـرِ نَحْـرا

وله أيضـا :

شَرفي جاوزَ الغِنَى ومِن العَا ... رِضِ ما انْحطَّ عن رؤُوس الجِبال
كيف لا أُسْرِعُ التَّنقُّلَ والمَشْهورُ ... لِلبَـدر سُـرعةُ الانتِقَـالِ ؟

وقوله أيضـا :

إنَّ مُقام المَرءِ في بَيتِهِ ... مثْلُ مُقام المَيتِ في لحْدِهِ
فواصِلِ الرِّحْلَة نحو الغِنى ... فالسَّيْفُ لا يَقْطَعُ في غِمْدِهِ !
والنَّار لا يحرقُ مشْبوبُها ... إلاَّ إذا ما طار عَن زَنْدِهِ

وقول أبي الغَنَائم :

سِر طالبًا غاياتها : إمَّا تُرى ... فوقَ الثُّريَّا أو تُرى تحت الثَّرى
لا تُخلدنَّ إلى المُقام فإنَّما ... سَيرُ الهلال قَضى لَه أن يُقمِرا
لا تَبْك دارًا فالفَتى مَنْ إن دعا ... دمْعًا عَصاه وإن دعاه ما جرى
أين الكِناس من العَرين وغِزْلا ... نُ اللِّوى في المَجد من أُسْد الشَّرى ؟
لو يُنتجُ الوطَنُ العُلا ماسار عَن ... غُمدانَ سيِّدُ حِميَرٍ مُستنصِرا
والَّليث لو وجد الفريسة رابضًا ... أو ناهضًا في خيسِهِ ما أصْحرا
لا عار في بيع النُّفوس على الرَّدى ... عِندي إذا كان العَلاءُ المُشترَى
حَتَّامَ حظِّي في الوهادِ وأصحابُ ... الدَّناءةِ في الشَّواهِق والذُّرَى ؟
ما الجُبن يحميني الحِمامَ ولا أرَى ... الاقْدام يجْلُب لي سوى ما قُدِّرَا
لا بُدَّ منها وثْبةً تسعَى الظُّبَى ... فيها وتكْسو الجوَّ فيها العَيثَرا
أشكو إلى الأيَّام ما ألْقَى لَها ... وجْهًا على تَلوينِها مُستبْشِرا

31) في هامش أ : لعله اسْتَتَمَّ.

ما عُذْرُ من لم يلقَ وجهًا أبْيضًا ... منهُنَّ إن لم يلقَ وجهًا أحْمرا ؟

وقال أبو الفضل التَّمِيمِي :

دعني أسِر في البِلاد مُلتمسًا ... فَضلَةَ مالٍ إن لم يفِر زَانَا
فَبيْدقُ الرُّخِّ وهْو أيْسرُ ما ... في الدَّسْتِ إن سار صَار فِرزَانا

وقال ابن صُرَّدُرّ :

قَلقِلْ رِكابَكَ في الفَلاَ ... ودَعِ الغَوانِيَ لِلْقُصُورْ !
لَولاَ التَّغَرُّبُ ما ارتَقَى ... دُرُّ البُحُورِ إلَى النُّحُورْ

وقول الآخر[32] :

دعي عزَماتِ المُستَضَامِ تَسيرُ ... فَتُنْجِدُ في عَرضِ الفَلا وتَغُور !
ألم تَعلمي أنَّ الثَّواءَ هُوَ الثَّوَى ... وأنَّ بُيوتَ العَاجزينَ قُبورُ ؟

وقول أبي اسحاق الغُزِّي :

يا خَليليَّ حلِّيا عاطلَ البِيد ... بِوجْه النَّجيبَة الشِّملالِ !
زُحَلٌ أكْبَرُ الكَواكِبِ لاَ ... يَحْملُ إلاَّ مِنْ قلَّة الانتقَالِ

وقول ابن قَلاَقِس أيضا :

إن كُنتَ تَبغِي وطَنًا ... مِنَ العُلَى فَاغْتَرِبِ !
فالسُّمْرُ في غَابَاتِهَا ... مَعْدُودَةٌ في القَصَبِ
والشَّمْسُ لاَ تُرقَبُ في ... المَشْرِقِ لَوْ لَمْ تَغْرُبِ

وقول ابن السَّاعَاتي أيضا :

وكُنْ غَنيًّا عن كلِّ أرضٍ بأُختِها ... وإن حلَّ مَغْنَاهَا كَواعِبُ عينُ
فَلولاَ فِراقُ الدُّرِّ أصدافَ بِحرِهِ ... لمَا أنكَرَهُ تاجٌ وصَدَّ جَبِينُ

وقوله أيضا :

ولا يَصُدَّنَّك عَن شيءٍ تَرَفُّعُهُ ... فربَّمَا صَارَ وِرْدًا نازِحُ السُّحُب
لم يَشْرُفِ الدُّرُّ لولا هجرُ موطنه ... [والبَدرُ ما تمَّ حتَّى جدَّ في الطَّلب]

---

32) هو ابن درّاج القسطلّي.

وقول الآخـــر :

فالتِّبر كالتُّربِ ملقًى في مواطنه والعودُ في أرضِه نوعٌ من الحَطَب

ومثله قول الآخـــر :

أضيعُ في معشَري وكَمْ بَلَدٍ يَعُودُ عود الكِبَاءِ من حطبِه

وقول أبي السَّكن :

قالوا نَراك كثير السَّير مُجتهداً فقلت لو لم يكُن في السَّير فائدةٌ في الأرض تنزِلُها طوراً وترتحلُ ما كانت السَّبعُ في الأبراجِ تنتقِل

وقول الآخـــر :

أقـول لجـارتي والدَّمْـعُ جارٍ ذريني أن أسيرَ ولا تَنـوحِي ولي عزْمُ الرَّحيل من الدِّيار فإنَّ الشُّهْبَ أشْرفُها السَّواري

وقال ابن سَنَاء المُلك :

وأسْعَد النَّاس من لاقَى بلا تَعبٍ مَبْدَأ السَّعادةِ في مَبْدأ شَبيبَتِه

وهذا البيت من أبيات يمدح بها والده الرشيد، وهي :

إنِّي لأرثي لدمعي من تَزاحُمِه كما رثَيْتُ لشَمْلي مِن تَشَتُّتِه
أنا القويُّ بعزمي والرَّشِيدُ أبي هُو الرَّئيس على الدُّنيا بهمَّتِه
أبني وأنشُر بيت المجْد مُجتهداً في لمِّ لمَّته أو رمِّ رمَّتِه
أصبحتُ أحتال في حالٍ ونضرتِها به وأرْتَعُ في عيشي وخُضْرَتِه
وأسْعَـدُ النَّـاسِ (البـيت)

وممَّا مدحه به أيضا قوله :

يَكْفيك أنِّي بِكَ يا سيِّدِي قَد طَابَ أصْلي وزكَا مَحْتِدِي
جاوزْتَ حدَّ البرِّ بي صاعداً فَقِف : فما أبْقَيتَ من مَصْعَدِ !

وقوله أيضا من قصيدة :

أنِّي ليَ النَّقْصُ إنَّ مَجْدَ أبي سامٍ كما أنَّ قَدْرَهُ سَابِقُ
هُوَ الرَّشيدُ الَّذي رياسَتُهُ سَارتْ، فَلا زاجِرٌ ولا سَائِقُ

يُكْنَى أباْ الفَضلِ وهْوَ يَعشقُ نفْس الفَضْل، والمَرءُ لابنِه عاشِقُ

وأين هذا من ابن الرُّومي، حيث يقول في هجو أبيه، وبئس ما قال ! :

لَو كان مِثْلك في زَمَانِ مُحمَّدٍ ما جاءَ في القُرآنِ بِرُّ الوالِدِ !

وابْنِ عُنَيْنٍ في قوله :

وجنَّبني أن أفْعَل الخَير والدٌ قليلٌ إذا ما عُدَّ أهْلُ المَناسبِ !

بعيدٌ من الحُسنى قريبٌ من الخَنا وضيعُ مَساعي الخَير جمٌّ المثالِب

إذا رُمتُ أن أسمو صعوداً إلى العُلا غَدا عِرقُه نحو الدَّنيَّة جاذبي

ومثل هذا البيت قول الآخر في خالد بن عبد اللّه القَسْرِيّ، أو في غيره :

إذا نبَّهتْه نخْوةٌ عَربيَّةٌ إلى المجْدِ قالتْ إرْمِنِيَّتُهُ نَمِ

وممَّن هجا والده ابنُ بسَّام، حتَّى قال فيه بعض الشعراء :

مَن شاء يهجو عليّاً فَشِعْرُهُ قَدْ كَفَاهُ

لَوْ أنَّهُ لأبِيهِ مَا كَانَ يَهْجُو أبَاهُ

وقال الآخر :

لا تَخَفْ للخُطوبِ في كُلِّ وقْتٍ لا ولا تخْشَها وإن هِيَ جلَّتْ !

فحقيقٌ دَوامُها لَيسَ يبقَى كثُرَتْ في الزَّمانِ أو هيَ قلَّتْ

وادَّرِعْ للهمومِ صَبْراً جميلاً فالرَّزايا إذا توالَتْ تولَّتْ

وقال الآخر في هذا المعنى :

اصْبِر إذا نائِبَةٌ حلَّتِ فَهْيَ سَواءٌ والَّتِي ولَّتِ

واسْتَنْهِضِ العَزمَ فَليسَ الظُّبا تَبْرِي وتَفْرِي كالَّتي كلَّتِ

وفي هذا المعنى شعر كثير تقدَّم بعضه، وسيأتي في محلّ آخر، إن شاء الله تعالى .

وقال الآخر :

القَبر أخْفى سُتْرةٍ لِلبَناتْ ودَفْنُها يُرْوَى مِن المَكْرُماتْ

أما رأيْتَ اللّهَ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ وضَعَ النَّعْشَ بِجَنْبِ البَنات ؟

وسيأتي هذا المعنى مستوفى، إن شاء الله تعالى.

وقال الآخـــر :

اقْنَعْ بأيْسَرِ شيءٍ أنتَ نائِلُهُ ... واصْبر ولا تَتَعرَّض للوليَاتِ !
فما صَفا النَّيلُ إلاَّ وهْوُ مُنتَقصٌ ... ولا تكَدَّر إلاَّ في الزِّيَادَاتِ

ومثله قول ابن طَبَاطِبَا :

كُنْ بما أُوتِيتَه مُغْتَبِطًا ... تَستدم عُمْرَ القَنُوعِ المُكتَفِي !
إنَّ في نَيلِ المُنى وشْكَ الرَّدى ... وقِياس القَصْدِ عِنْدَ السَّرَفِ
كَسِـــراجٍ دُهْنُه قُـــوَّتُهُ ... فإذا أغْرقْـــتَهُ فِـــيهِ طَفِي

وقال الآخـــر :

خُذْ مِن العَيشِ مَا كَفَى ... [ ][33]
كَسِـــــراجٍ مُنَـــــوَّرٍ ... إنْ طَفَـــا دُهْنُهُ انْطَفَـــا

وسيأتي هذا المعنى مستوفى، إن شاء الله تعالى.

وقال البُحتري :

إن أبْقَ أو أهْلِكْ فَقَد نِلتُ التي ... ملأتْ صُدور أقاربي وعُـداتي
وغَنِيتُ نَدمانَ الخَلائِفِ نابهًا ... ذكْري وناعمَةً بِهِم نشَواتي
وشَفَعتُ في الأمر الجَليلِ إليهمُ ... بعد الجَليلِ فأنجحوا طَلباتي
ووضعتُ في العرب الصَّنائعَ عندهم[34] ... من رِفْدِ طُلاَّبٍ وفَكِّ عُنَاةِ

وقال دِعْبِلٌ الخُزاعي :

لا تَعرضنَّ بمزْحٍ لامرىءٍ طَبنٍ ... ما راضَهُ قَلبُه أجْراهُ في الشَّفةِ
فربَّ قافيَةٍ بالمَزْحِ جَاريَةٍ ... في مَحْفِلٍ لم يُرِدْ إنْماؤُها نمَتِ
إنِّي إذا قُلتُ بيتًا ماتِبٍ قائِلُه ... ومن يُقالُ له والبيتُ لم يمُتِ

ونحوه قول الآخـــر :

فللشُّعَـــراءِ ألسِنَةٌ حِـــدادٌ ... على العَوْراتِ مُوفِيةٌ دليلَهْ

---

33) بياض بالأصل.
34) في الديوان : وصنعتُ في العرب.....

ومِن عَقْل الكَريمِ إذا اتّقاهُم ودارأهُمْ مُدارَاةَ جَميلَهْ
إذا وضَعُوا مكَاويَهُم عَليْهِ وإن كَذَبُوا فَلَيسَ لهُنَّ حِيلَهْ

وسيأتي هذا المعنى مستوفى، إن شاء الله تعالى.

وقال الآخر يتشوّق إلى أهله :

ولي كبدٌ مكلومةٌ لفِراقِكُمْ أطمْئِنُها صبراً على ما أجنَّتِ
تمنَّتكُمُ شوقًا إليكُم وصَبْوةً عَسى اللّهُ أن يُدني لها ما تمنَّتِ
وعينٌ جَفاها النَّومُ وأعتادَها البُكا إذا عنَّ ذكر القَيروَانِ استهلَّتِ

وقال تَميم بن جَميل بين يدي المُعتَصِم، وقد قدّم السيفُ والنِّطع ليقتله :

أرى المَوتَ بين النِّطعِ والسَّيف كامنًا يُلاحظُني من حيثُ ما أتلفَّتُ
وأكبرَ ظنّي أنَّك اليَومَ قاتِلي وأيُّ امرىءٍ ممَّا قَضَى اللّهُ يُفلِتُ ؟
وأيُّ امرىءٍ يُدلي بعُذرٍ وحُجَّةٍ وسَيف المنايا بين عينَيه مُصلَتُ ؟
يعزُّ على الأوسِ بن تَغلِبَ موقِفٌ يهزُّ عليَّ السَّيف فيه وأسكُتُ
فما حَزَني أنّي أموتُ وأنَّني لأعلَم أنَّ الموتَ شيءٌ مُوقَّتُ
ولكنَّ خَلفي صبيةً قَد تركتُهُم وأكبادهم من حسرةٍ تتفتَّت !
كأنّي أراهم حين أُنعَى إليهمْ وقَد خَمشوا تلك الوجوه وصوَّتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بنعمةٍ أذُوذ الرَّدى عنهم وإن مُتُّ موّتوا
فكم قائلٍ لا يُبعدُ اللّهُ دارَه وآخر جَذلانٌ يسُرُّ ويشمَتُ !

فعفا عنه المعتصم، وأحسن إليه، وقلّده عملا . ونحو البيت الأخير قول الأوّل :

إذا مُتُّ كانَ النَّاس صنفان شامتٌ وآخر مُثْنٍ بالَّذي كُنت أصْنَعُ

وقال ابنُ رشيق :

أيُّها المُوحي إلَينا نَفْثَةَ الصِّلِّ الصَّموتِ
ما سَكَتْنا عَنْكَ عيًّا رُبَّ نُطْقٍ في السُّكُوتِ
لَكَ بَيتٌ في البُيُوتِ مِثْلُ بَيْتِ العَنْكَبُوتِ
إن يَهُنْ وهَنّا فَفِيهِ حِيلَتَا سُكْنَى وقُوتِ !

ومثل هذا قوله أيضا :

وأخرقَ أكّالٍ لِلَحْمِ صَديقِهِ ... ولَيس لجاري ريقِهِ بمُسيغِ
سَكتُّ لهُ ضنًّا بِعِرضي فلم أُجِبْ ... ورُبَّ جَوابٍ في السُّكوتِ بَليغِ

وقول الآخـــر :

واعْلم بأنَّ من السُّكوتِ إبانةً ... ومِن التَّكلُّمِ ما يكونُ خبَالاَ

وقول الآخـــر :

أيا ربِّ إنَّ النَّاس لا يُنصفونني ... ولم يُحسنوا قَرضي على حسنَات
إذا ما رأوني في رخاءٍ تودَّدوا ... إليَّ وأعـداءٌ لَـدى الأزمـاتِ
ومَهما أكُن في نِعمةٍ حزنوا لَها ... ذَوُو أنفُسٍ في شِدَّتي جَذِلاتِ
ثقاتيَ ما دامت صلاتي لديهِمُ ... وإن عنهُمُ أخَّرتُها فَعُداتِي
سأمنَعُ قَلبي أن يحنَّ إليهمُ ... وأصرفُ عنهُم قاليًا لحظاتي
وألزمُ نفسي الصَّبر دأبًا لعلَّني ... أُعاين ما أمَّلتُ قَبل مماتي
ألا إنَّما الدُّنيا كفافٌ وصحَّةٌ ... وأمنٌ ثلاثٌ طيبُ كُلِّ حَياةِ

وقال الآخـــر :

وما النَّفسُ إلاَّ حيث يجعلُها الفتى ... فإن توَّقَت تاقَت وإلاَّ تَسلَّتِ

وقال الآخـــر :

إذا ما مددتُ النَّفس ألتمسُ الغِنى ... إلى غير من قال اسألوني فشُلَّتِ
سأصبِر جَهدي إنَّ في الصَّبر عزَّةً ... وأرضى بِدنيايَ وإن هي قلَّتِ

وقال الآخـــر :

مَن لي بذكرى كُلَّما أوحَشْته ... تمحو سُلوِّي واشتياقي تُثبتُ
وسحاب دمْعٍ كُلَّما أمْطَرتُه ... غَير القَتاد بمضجَعي لا يُنبتُ ؟

وقد كنت قلت في معنى البيت الأخير، قبل أن أراه، وهو مطلع قصيدة :

طَرقَتك من بعد الهُدوِّ بلابل ... تهمى كما طرقَ الخميلة وابِلُ
سُحبٌ متى تحلُلْ بأكناف الحشى ... ينبتْ به منها القتاد الرَّاعلُ

إلاّ أنّه جعله في مطر الدموع، وأنا جعلته في مطر الأحزان ؛ وجعله في المضجع، وأنا جعلته في وسط الفؤاد، وإليك ارتياد الأبلغ !

تقسّم منك التُربَ قومي وجيرتي : ففي الظّهر أحيائي وفي البطن أمواتي

وتقدّم كثير ممّا قيل في ذكر الوطن، وسيأتي مزيد فيه، إن شاء الله تعالى.

وقلت أنا في قوم غَشُوا لئيما فجعل جائزتهم الازدراء :

لأن تُهملوا أو يُزدَرى بوجوهكم فذُو ورطاتٍ خاضها الطّين بابتُهْ

ومن يستبِل يومًا حميرًا ينلنَه فلا يشجُه من بولهنّ إصابَتُهْ

ولو كان حِلمٌ لادّرى المرءُ أنّه من النّوك أن تمتدّ للصّخر راحتُهْ

ألا إنّ برقًا خُلّبًا غير ممطرٍ وشائمةُ الحرمان والغمّ غايتُهْ !

ودخلت يوما عليه للتسليم عليه، فرأيت من لقياه ما أكره، فقلت في نفسي ارتجالا أو شبه ارتجال :

أتكبُر يا ابن اللُؤم بالكِبر والخنا ولُؤمٌ لديه ما درى كرم الخُلق ؟

وتَلتمسُ ركنَ المعالي براحة مُغلّلةٍ منها البنانُ إلى العُنق ؟

وتستقبلَنْ وجهَ السّيادة مُسفرًا بوجهٍ كوجهِ الضّفدع التفّ في سحق ؟

وترقى سرير الملك يومًا بأخمصٍ لو اعتسفت خُضر الصّوحِ بالمحق ؟

ولو خاضت العذب الفُرات غَدابها زعاقًا يغصُّ الشّاربين وذا رنقِ

وتجري تصاريف الرّعايا جميعها على مسكة العصفور ذي الطّيش والخرق

وتُقدم في دفع المُلمّات عنهم بقلبٍ هيوبٍ يستفزُّ من الوَقّ

فهيهات منك المجد إن كنت عاقلاً فدعه وإن كنت المهوّس فاسترق !

فلا خير فيه غير أنّ لقاءهُ يُعلّمك الهجو البليغ على صدقِ

وإنّ هجاء النّاس ليس يسُوؤهُ وهل ساء إلاّ من على العرض يستبقي ؟

دخلت عليه زائرًا فإذا أنا بكلبٍ مُطير عابسٍ مائل الشّدق

وأحسن إذا أخطأت إن زرت مثله فعاقبني بالتّيه أو سيّء الخُلق

وأنا أستغفر الله العظيم من هجو المسلمين، وثلب أعراض الغافلين . ولولا أنّ اغتياب

البخيل، ورد فيه ترخيصٌ وتسهيل، مع ابتناء الكتاب، على قصد الامتاع من كل باب، ما مَضْمَضْتُ بالهجو لساني، ولا سطَّرته ببناني.

وقال الوزير أبو عامر بنُ يَنَّق في باب الغزل :

وهيفاء يحكيها القضيب تأوُّدا ... إذا ما انثنت في الرَّيط أو حبراتِها
يضيق الازار الرَّحب عن ردفها كما ... يضيق بها الأحشاء عن زفراتها
وما ظَبيةٌ أدماء تألف وحْدةً ... تزيد ظِلال الضَّالِ أو أثلاتها
بأحسن منها يوم أومتْ بلحظها ... إلينا ولم تنطق حذار وشاتها

وقال ابن النبيه :

من لي بسلمى وفي أجفان مُقلتها ... للحرب بيضٌ حدادٌ قطُّ ما صفحت
يهتزُّ بين وشاحيها قضيب نقى ... حمائم الحلبي في أفنانه صدحتْ
وأسودُ الخال في محمرٍّ وجنتها ... كمسكةٍ نفحت في جمرةٍ لُفحت

وقال الحماسي في غير هذا المعنى :

لا تنكحنَّ الدَّهر ما عِشْتَ أيِّمًا ... مجرِّبةً قد مُلَّ منها وَمَلَّت
تحكُّ قفاها من وراء خمارها ... إذا فقدت شيئًا من البيت جنت
تجود برجليها وتمنع درَّها ... وإن طلبت منها المحبَّةُ هرَّت

قوله تحُكُّ قَفَاهَا : يريد أنَّها خرقاء لا تحسن احتكاكا، فضلا عن غيره . وقوله تَجُودُ برِجْلَيْهَا، إلخ : يريد أنَّها تتأتَّى لمن يريد غشيانها، ولا تصلح للولادة، لأنها قعدت عنها فلا درَّ لها . وتقدَّم هذا المعنى . وقال الحماسي أيضا في التمليح :

إذا اجتمَع الجوعُ المبرِّحُ والهوى ... على الرَّجل المسكينِ كاد يموتُ

وفي هذا القدر كفاية من هذا الباب، والله يقول الحقَّ ويهدي السبيل.

انتهى السفر الأوَّل من
زهر الأكم في الأمثال والحكم
للامام اليوسي رحمه الله

صـــدر عـــن :

* **روضة التعريف بالحب الشريف** تحقيق الاستاذ محمد الكتاني
* **محمد اقبال مفكرا اسلاميـــا** للاستاذ محمد الكتاني
* **المحدث الحافظ ابوشعيب الدكالي** للاستاذ عبد الله الجراري
* **فى نطاق التفكير الاسلامـــي** للاستاذ محمد الحمداوى
* **الخوارج فى بـــلاد المغرب** للدكتور محمود اسماعيل عبد الرازق
* **الحضارة المغربية عبـــر التاريخ** للاستاذ الحسين السايح
* **تامـــلات فى الادب المعاصر** للدكتور ابراهيم السولامـــي
* **دفنـــا الماضـــي** للاستاذ عبد الكريم غـــلاب
* **الثقافة والفكر فى مواجهة التحدى** للاستاذ عبد الكريم غـــلاب
* **الاصول** : دراسة ابيتسيمولوجيـــة لاصول الفكر اللغوى العربى للدكتور تمـــام حســـان
* **مناهج البحث فى اللغة** للدكتور تمـــام حســـان
* **اللغة العربية مبناها ومعناها** للدكتور تمـــام حســـان
* **اللغة العربية بين المعيارية والوصفية** للدكتور تمـــام حســـان
* **المدخـــل لدراسة التاريـــخ والادب العربيـــين** للدكتور نجيـــب البهبيتـــي
* **احاديث عن الادب المغربى الحديث** للاستاذ عبد الله كنـــون
* **رسائـــل ابن علي الحسن اليوسى** تحقيق الاستاذة فاطمة خليل
* **وقعة وادى المخازن فى تاريخ المغرب** للدكتور ابراهيم شحاته حسن
* **مع الرسول فى رمضان** للاستاذ عطية محمد سالـــم
* **فضـــائـــل القـــرآن** للدكتور فـــاروق حمـــادة
* **فقه المناسك على مذهب الامام مالك** للاستاذ قدور الورطاسي
* **كتاب السياسة أو الاشارة فى تدبير الامارة**
تحقيق الدكتور سامي النشار

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

فهـرس موضوعات الكتاب

الجـزء الأول

تقديم المحققيـن	5
مقدمة المؤلف	11
السمط الأول في الأمثال وما يلتحق بها	19
الفصل الأول في معنى المثل والحكمة	19
الفصل الثاني في فائدة المثل والحكمة	31
الفصل الثالث في فضل الشعر	43
الفصل الرابع في الأمثال الشعرية	50
خاتمة في اصطلاح الكتاب	58
باب الألــف	59
باب البــاء	177
باب التــاء	309

الجــزء الثاني

باب الثــاء	5
باب الجيــم	37
باب الحــاء	95
باب الخاء المعجمة	185
باب الدال المهملة	237

الجـزء الثالث

باب الذال المعجمة	7
باب الــراء	29
باب الــزاي	137
باب السين المهملة	155
باب الشين المعجمة	205
باب الصاد	247
الفهارس العامـة	259

معهد الأبحاث والدراسات للتعريب

زهر الأكم في الأمثال والحكم

للحسن اليوسي

الجزء الثاني

حققه
الدكتور محمد حجي و الدكتور محمد الأخضر

الشركة الجديدة
دار الثقافة
34·32 شارع فكتور هيكو
الهاتف 26·53·46 — 26.23.75
ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)

الطبعة الأولى 1401 — 1981
حقوق الطبع محفوظة

زهر الأكم
في الأمثال والحكم

بسم الله الرحمان الرحيم :

هذا الكتاب وقف لله تعالى على

مكتبة المسجد النبوي من بدر به و

السيرذنه محمد وامل أمينو من الدار البيضاء

المغرب .

نطلب ممن يطلع عليه أو يستفيد منه الدعاء

لنا بصلاح الدارين وحسن الخاتمة ولوالدينا

بالمغفرة وحسن الثواب .

والله الموفق وعليه

التكلان .

بسم الله الرحمن الرحيم

بَابُ الثَّاءِ

الثَّبَات يَكْسِرُ الوثبات.

الثَّبَات : الرزانة والحلم، وهو ضد الخفة والطيش. والوثَبات : جمع وثْبَة، وهي الصولة والانتقام . وهذا مثل ظاهر المعنى، وهو مصنوع فيما أظن.

أثْقَفُ مِنْ سِنَّوْرٍ.

يقال ثَقُفَ الرجل، بضمّ القاف، يثقُف ثَقافة، فهو ثَقِف وثقيف ؛ وثَقِفَ، بكسرها، يَثْقَف ثَقفا، فهو ثَقْف" وثَقُف"، كَنَدْسٍ ونَدُسٍ، إذا كان حاذقا فطنا خفيفا . ومنه، حديث أنس : وكَان غُلامًا ثَقِفًا . السِّنَّوْرُ، على وزن جِرْدَحْل : الهِرُّ المعروف، والأنثى سِنَّوْرَة، وله أسماء كثيرة، حتَّى حُكي أنَّ أعرابيًا صاده ولم يعرفه . فلقيه إنسان، فقال له : ما هذا السِّنَّور ؟ ثمَّ لقيه آخر، فقال : ما هذا الهِرّ ؟ ثمَّ لقيه آخر، فقال: ما هذا القِطّ ؟ ثمَّ آخر، ثمَّ آخر . فلمَّا رأى كثرة أسمائه ظنَّ أنَّ ذلك لخير عظيم فيه، فقال : أبيعه، لعلَّ اللّه تعالى يرزقني مالا كثيرا . فلمَّا وقفه في السوق قيل له : بِكَمْ تبيعُه ؟ قال : بمائة دينار . فقيل له انه لا يساوي إلاَّ نصف درهم . فرمى به وقال : لعنه الله ! ما أكثر أسماءه، وأقلَّ بركته ! وهو في الخفَّة وسرعة الاختطاف النهاية . فمن ثَمَّ ضُرب به المثل .

أثْقَلُ رأسًا مِنْ فَهْدٍ.

الفَهْدُ، بفتح الفاء وسكون الهاء بعدها دال مهملة، الحيوان المعروف الذي يُتصيَّد به، وهو سَبُع، يزعمون أنه متولّد من بين الأسد والنمر . وفَهِدَ الرجل، بالكسر، تَشَبَّه بالفهد في نومه وتمدّده، كما في حديث أمّ زرع : إنْ دخَلَ فَهِدَ، وإن خَرَجَ أسِدَ . ويقال فَهِد أيضا إذا نام وتغافل عمَّا يجب تعهدّه . والفهد كثير النوم ثقيله، ومن ثَمَّ قالوا : أنْوَمُ مِنْ فَهْد، وأثْقَلُ رأسًا مِنْ فَهْد.

مُثْقَلٌ اسْتَعَانَ بِذَقَنِهِ .

المُثْقَلُ، من الثِّقل المذكور، وهو ضدّ الخفّة . يقال : ثَقُلَ الشيء بالضمّ، يَثْقُلُ، ثِقَلاً، على مثال عِنَب، فهو ثقيل ؛ وثَقَّلَهُ تَثْقِيلاً ؛ وأثْقَلَهُ . والاسْتِعَانَةُ : طلب العون . والذَّقَنُ، بفتحتَيْن والذّال معجمة، : مجمع اللحيين من أسفل .

يُضرب هذا المثل للذليل يستعين بمثله أو أذلّ منه . وأصله في البعير يحمل عليه ثقل فلا يستطيع أن ينهض به، فيضرب بذقنه على الأرض، معتمدا عليه ليقوم.

أثْقَلُ مِنْ حَدِيثٍ مُعَادٍ.

الثّقل تقدّم ؛ والحديث : الخبر ؛ والمعاد : الذي سمعته ثمّ أعيد عليك مرة أخرى، فهو يثقل على السماع كثيرا لعدم الداعي الى سماعه، مع الملل الحاصل للنفس من تكراره . والنفس، للطافتها وروحانيّتها، أكثر من البدن تألّما بالاذاية وأقلّ صبرا واحتمالا، فلا تكاد ترتاح إلاّ الى ما فيه غذاؤها، من علوم تستحصلها، أو غرائب ولطائف تتفكّه بها . فإذا عدمت ذلك غلبها الضجر، ونَفَرت غاية النفر ؛ ومن ثَمّ تَسْتَثْقِل الكلام المعاد وتملّ منه، ولو كان في نفسه بليغا عجيبا، إذ لم يبق لها حظ فيه . وكان عدم الملل في كتاب الله تعالى، مع معاودته على مرور الليالي والأيّام، معجزة ظاهرة للعيان ؛ ومن ثمّ قيل : كُلُّ مُكَرَّرٍ مَمْلُولٌ إلاّ القُرآنَ . وممّا قيل في ثقيل :

يَا ثَقِيلاً على القُلوبِ إذا عنّ ... لَها أيْقَنَت بِطولِ الجهَاد !
يا قذى في العيون يا غُلّةً بَين ... التّراقي حَرارةً في الفُؤاد !
يا طَلوعَ العَذولِ يا بين إلفٍ ... يا غريمًا أتى على ميعاد !
يا ركوما في يومِ غَيْمٍ وصيفٍ ... يا وجوهَ التُّجّار يومَ الكَساد !
خلّ عنّا فإنّما أنتَ فينا ... واوُعَمْرٍو وكالحَديثِ المُعَادِ !
وامْضِ في غَير صُحبَةِ الله ماعشتَ ... مُلَقّى مِن كلّ فجٍّ ووادِ
يتخطّى بِكَ المَهامِهَ والبِيدَ ... دليلٌ أعمَى كثيرُ الرُّقَادِ
خَلفَكَ الثّائِرُ المُصَمِّمُ بالسّيفِ ... ورجْلاكَ فَوقَ شَوكِ القَتَادِ !

1) في ج : يا قذى في العين...، وهو لا يستقيم وزنًا.

وقال بعضهم في صفة ثقيل : هو أثْـقَـلُ مِـنْ دواءٍ بلا عِـلَّة ، وأبغضُ من خَـراجٍ بِـلا غَـلَّة ؛ قد خرج عن حدِّ الاعتدال، وذهب من ذات اليمين إلى ذات الشِّمال ؛ يَـحْـكِـي ثِـقَـل الحديث المُـعَـاد، ويمشي على القلوب والأكباد ؛ إذا نظرت الى مشيته أنشدتَ :

مَـشَـى فَـدَعا مِـن ثِـقلِـه الحوتُ ربَّـه وقال : إلاَهِـي زيدَتِ الأرضُ ثامنه !

وقد يُـستحسن إعادة الحديث، لا لذاته، بل لأمر عارض، فيه للنَّـفْـس أرَب، إمَّا رغبة في كلام المتكلّـم خصوصا، أو في نغمته، أو في النظر إليه، أو في دوام جلوسه، أو عدم قضاء الوطر من ذلك الكلام بعدُ أو نحو ذلك . ومن ثَـمَّ يُـستعاد حديث المحبّـين والمغنّـين، كما قيل :

وكُـنتُ إذا ما جِـئتُ سُـعْـدى أزورُها أرَى الأرضَ تَـطْـوى لي ويدنو بعيدُها

مِـن الخفراتِ البيضِ ودَّ جَـليسُـها إذا ما انقَـضَـت أحدوثَـةٌ لو تُـعيدُها

ولهذا الشعر حديث عجيب : ذكروا أنَّ رجلا خرج في طلب إبل له أضلَّها . قال : فبينما أنا في واد إذ سمعت صوت منشد ينشد : وكُـنتُ إذا مَـا جِـئْـتُ سُـعْـدَى أزُورُهَـا (البيتَـيْـن) . فدنوت من الصوت، فإذا أنا براعٍ قد ضمَّ غنما له تحت شجرة وهو يترنـَّم، فسلَّمت عليه، فردَّ عليَّ السلام وقال : من الرجل ؟ فقلت : منقطع به المسالك، أتاك يستعين بك ويستجير . فقال : أهلا ومرحبا، انزل على الرحب ! فعندي وطاء وطي، وطعام غير بطي . فنزلت، فنزع شَـمْـلَـته، فبسطها تحتي، ثمَّ أتاني بتمر وزبد ولبن وخبز، ثمَّ قال : اعذرني في هذا الوقت ! فقلت : والـلّه إنَّ هذا لخير كثير ! فمال إلى فرسي فربطه وسقاه وعلق عليه . فلمَّا أكلت صلَّيت واستندت . فبينما أنا بين النائم واليقظان، إذ أقبلت من فوق الوادي جارية أطلعت الشمس لغير أوان طلوعها، فوثب الفتى إليها، وجعل يقبّـل الأرض حتَّـى وصل إليها . فأخذا في حديث مستلذّ، مع شكوى وزفرات، وأنا متناوم، وهما لا يهم أحدهما لصاحبه بقبيح . ولم يزالا كذلك حتَّـى طلع الفجر، فعانقها وتنفَّـس الصعداء وبكيا، ثمَّ قال لها : يا ابنة العمّ، بالـلّه لا تبطئي عليَّ كما ابطأت الليلة ! فقالت : يا ابن العمّ، أما علمت أنّـي أنتظر الرقباء والوشاة حتَّـى يناموا ؟ فودَّعها وافترقا، وكلّ منهما ينظر لصاحبه ويبكي . فبكيت رحمة لهما ثمَّ قلت في نفسي : أستضيفه الليلة الأخرى حتَّـى أنظر ما يكون من أمرهما . فلمَّا أصبحنا قلت له : جعلني الـلّه فداك، الأعمال بخواتمها، وقد نالني أمس تعب، وأحبّ أن أستريح عندك اليوم . فقال :

على الرحب والسعة ! لو بقيت عندي بقيّة عمرك ما وجدتني إلاّ كما تحبّ . فعمد إلى شاة، [فذبحها] وشواها، فقدّمها إليّ، فأكلت وأكل معي إلاّ أنّه [أكل] أكْلَ من لا يريد أكْلاً . فلم أزل معه نهاري ذلك، ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما منه ؛ إلاّ أنّه كالولهان، ولم أعلمه بشيء ممّا رأيت . فلمّا أقبل الليل وطّأ وطائي، وصلّيت وأعلمته أني أريد الهجوع لتعبي . فقال : نَمْ هنيئا ! فتناومت، فقام ينتظرها إلى هنيئة من الليل، وأبطأت . فلمّا حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا، فبكى ثمّ جاء فحرّكني، فأوهمته أني كنت نائما، فقال : يا أخي، هل رأيت الجارية التي كانت تتعهّدني وجاءتني البارحة ؟ قلت : قد رأيتها . قال تلك ابنة عمّي وأعزّ الناس عليّ، وإني لها محبّ وفيها عاشق، وهي كذلك وأكثر . ومنعني أبوها من تزويجها لفقري وفاقتي، وتكبّر عليّ، فصرت راعيا بسببها، فكانت تزورني كلّ ليلة . وقد حان وقت مجيئها، واشتغل قلبي عليها، وتحدّثني نفسي أن الأسد قد افترسها، ثمّ أنشأ يقول :

ما بَالُ ميّة لا تأتي لعادتِها ؟ أعاقَها طربٌ أم شدّها شَغَل ؟
نفسي فِداؤك قَد أحللتِ بي سقمًا تكادُ من حرِّهِ الأعضاءُ تنفصلُ !

ثمّ ذهب فغاب عنّي ساعة، ثمّ أتى بشيء فطرحه بين يديّ، فإذا بالجارية[2] قتلها الأسد وأكل أعضاءها وشوّه خلقتها . ثمّ أخذ السيف وانطلق . فغاب ساعة، فإذا هو قد جاء برأس الأسد، فطرحه ناحية ثمّ قال :

ألا أيُّها اللّيثُ المُدِلُّ بنفسِهِ هَلَكتَ لَقد جرَّيتَ حقًّا لك الشرّا !
أخلَّفتني فَردًا وقَد كُنتُ آنِسًا وقَد عادتِ الأيّامُ من بَعدها صِفرا

ثمّ قال : باللّه يا أخي إلاّ ما سمعت منّي، فإنّي ميت لا محالة ! فإذا أنا متّ، فكفّنّي في عبائتي، وضمّ [إليّ] ما بقي من أعضائها، وادفنّا في قبر واحد . وخذ شُويْهاتي هؤلاء وعصاي وثيابي، فسوف تأتيك عجوز، فأعطها ذلك فهي والدتي . وقل لها : مات ولدك كمدًا، فإنّها تموت عند ذلك . فادفنها إلى جانب قبرنا، وعلى الدنيا [منّا] السلام! فلم يكن إلاّ قليلا حتّى صاح صيحة، ووضع يده على صدره فمات من ساعته . ففعلت به جميع ما أوصاني، وبتّ حزينا [باكيا] فلمّا أصبحنا، أقبلت عجوز ولْهَى، فسألتني عنه، فأخبرتها خبره، فجعلت تبكي حتّى إذا أقبل الليل شهقت شهقة فارقت

2) في ج : فإذا أنا بالجارية...

الدنيا . فدفنتها إليه، وبتّ الليلة الرابعة . فلمّا أصبحت، ركبت فرسي، وسقت الغنم، وإذا أنا بهاتف يقول :

كُنّا على ظَهرها والدّهر يجمعُنا والشّملُ مُجتمِعٌ والدّار والوطنُ
ففرّق الدّهرُ بالتّفريقِ ألفتنا فصار يجمعُنا في بَطنِها الكَفَن

قال : فأتيت الحيّ، ودفعت الغنم لبني عمّهم، وانصرفت.

أثْقَلُ مِن حِمْلِ الدُّهَيْمِ .

الثّقَل تقدّم ؛ والحِمْلُ معروف ؛ والدُّهَيْمُ على وزن زُبَيْر -: اسم ناقة عمرو بن الرّيّان الذُّهْلِي، قُتل هو وإخوتُه، فحُمِلت رؤوسهم عليها . وتقدّمت هذه القصّة في حرف الهمزة، فقالوا : أشْأمُ مِنَ الدُّهَيْمِ، وأثْقَلُ مِن حِمْلِ الدُّهَيْمِ.

وظاهر كلام الصحاح أنّ قولهم للداهيَة الدُّهَيْم وأمُّ الدُّهَيْم مأخوذ من هذا.

أثْقَلُ مِنَ الزّوَاقِي .

الثّقَلُ مرّ ؛ والزُّقَاءُ : الصِّيَاحُ . يقال : زَقَا الصّدَا، يَزقُو، ويَزقِي، زُقَاءً وزُقِيًّا إذا صاحَ . قال :

ولو أنّ لَيلى الأخْيَلِيّة سَلّمت عليّ وفوقي جندلٌ وصَفَائحُ
لَسلّمْت تَسليمَ البَشاشَةِ أو زَقَى إليها صدًى من جانِب القَبر صائح

والزّواقي في المثل : الدِّيَكَةُ، جمع زَاقٍ وزَاقِيَة . وكانوا يسمرون بالليل، فإذا صاحت الديكة تفرّقوا، فيستثقلونها بذلك فقالوا : أثقَلُ مِن الزّواقِي.

أثْقَلُ مِنْ مُغَنٍّ وسَطٍ .

الثقل مرّ، والمُغَنّي اسم فاعل من الغِنَاء، بالمدّ، وهو الصّوْت . والوَسْط يكون تارة اسما غير وصف . فإن كان بالتحريك، فاسم صريح لما بين طرفي الشيء ؛ وإن كان بالسكون فظرف، كقول عنترة :

ما رَاعَنِي إلاّ حَمولَةُ أهْلِهَا وسْطَ الدِّيَار تَسَفُّ حبّ الخِمْخِمِ

ويقال : كلّ موضع صلح فيه بين فهو بالتسكين، وإلاّ فبالفتح . وقيل : هما جاريان فيما

كان مصمتا **كالحلقة** ؛ فإن كان متباين الأجزاء فبالسكون فقط . قال صاحب الفصيح فيما يُثقّل ويُخفّف باختلاف المعنى : تقول جلس وسْط القوم - يعني بينهم - أي بالتسكين؛ وجلس وسَط الدار، واحتجم وسَط رأسه، أي بالتحريك، وهذا الذي قلنا أوّلا . وقد يكون الوسط وصفا، إمّا بمعنى الأعْدَل، كقوله تعالى : **وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطًا** ؛ وإمّا بمعنى المتوسّط بين أمرين، ومنه المثل . قال السُّهَيْلي : الوسط من أوصاف المدح والتفضيل، ولكن في موضعَيْن : في ذكر النسب، وفي ذكر الشهادة . أمّا النسب فلأنّ أوسط القبيلة أعرقها وأولاها بالصميم وأبعدها عن الأطراف وأجدر ألاّ تُضاف إليه الدعوة ، لأنّ الآباء والأمّهات قد أحاطوا به من كلّ جانب، فكان الوسط، من أجل هذا، مدحًا في النسب بهذا السبب . وأمّا الشهادة فنحو قوله سبحانه : قَالَ أَوْسَطُهُمْ. **وجَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ . فكان هذا مدحًا في الشهادة، لأنّها غاية العدالة في الشاهد أن يكون وسَطا كالميزان لا يميل مع أحد، بل يصمّم على الحقّ تصميما، لا يجذبه هوى ولا تميل به رغبة ولا رهبة من هاهنا ولا من هَاهنا، فكان وصفه بالوسَط غاية في التزكية والتعديل . وظنّ كثير من الناس أنّ معنى الأوسط الأفضل على الاطلاق، وقالوا : معنى الصلاة الوُسْطى الفُضْلى . وليس كذلك، بل هو في جميع الأوصاف لا مدح ولا ذمّ، كما يقتضيه لفظ التوسّط . فإذا كان وسطا في السِّمَن، فهو بين المُمِخّة والعجفاء، والوسط في الجَمال بين الحسناء والشوهاء، الى غير ذلك من الأوصاف، لا تعطى مدحا ولا ذمّا . غير أنّهم قالوا في المثل : أَثْقَلُ مِنْ مُغَنٍّ وسَطٍ على الذمّ، لأنه إن كان مُجيدًا جدا أمتع وأطرب ؛ وإن كان باردًا جدًا أضحك وألهى، وذلك أيضا ممّا يُمتع . قال الجاحظ : «وإنّما الكرب الذي يجثم على القلوب ويأخذ بالأنفاس الغناء البارد الذي لا يُمتِع لحسن ولا يُضحك بلهو » انتهى . وقال ابن رشيق : « قال بعضهم : الشعر شعران : جيّد مُحَكّك، ورديء مضحك . ولا شيء أثقلُ من الشعر الوسط، والغناء الوسط » . وقد قال ابن الرومي يهجو ابن طيفور :**

عَدمتُكَ يا ابن أبي الطَّاهِرِ ... وأُطعِمتُ ثُكلَكَ من شَاعِرِ

فَما أنْتَ سَخْنٌ ولاَ بَارِدٌ ... ومَا بَيْنَ هَذَا سِوَى الفَاتِرِ

وأنْتَ كَذَاكَ تُغَثّي النُّفُوسَ ... تَغْثِيَةَ الفَاتِرِ الخَاثِرِ

ونحو هذا قول الآخـر[3] :

مَسِيخٌ مَلِيخٌ كَلَحْمِ الحُوَارِ فَلا أنْتَ حُلْوٌ ولاَ أنْتَ مُرّ !

وسيأتي هذا المعنى بعد، إن شاء اللّه تعالى .

أَثْقَلُ مِنَ الفِيلِ.

الثِّقَل مَرَّ ؛ والفِيل، بالكسر، الحيوان المعروف، وثقله معروف . وممَّا قال بعض الثقلاء يخاطب ثقيلا :

أنْتَ يَا هَذَا ثَقِيلُ وثَقِيلٌ وثَقِيلُ

أنْتَ فِي المَنْظَرِ إنْسَانٌ وفِي المَخْبَرِ فِيلُ

لَوْ تَعَرَّضْتَ لِظِلٍّ فَسَدَ الظِّلُّ الظَّلِيلُ !

وقال الآخـر :

فَمَا الفِيلُ تَحْمِلُهُ مَيِّتًا بِأثْقَلَ مِن بَعضِ جُلاَّسِنا!

ويُحكى أنَّ الأعمش كان ينشد هذا البيت عندما يستثقل جليسا، وزعموا أنَّه قال : من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء ! وأنَّه نقش على خاتمه : يا مَقِيت، أبْرِمْتَ فَقُم ! فإذا استثقل جليسًا ناوله إيَّاه ؛ وأنَّه قال له رجل يوما : مِمَّ عمشت عيناك ؟ فقال : من النظر الى الثقلاء !

وفي حقّ الثقلاء قال جالينوس : لكلّ شيء حُمَّى، وحُمَّى الروح النظر الى الثقيل .

وقيل له : لِمَ صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل ؟ فقال : لأنَّ ثقله على القلب دون الجوارح، والحمل الثقيل يستعين القلب عليه بالجوارح . وقال زياد بن عبد اللّه : قيل للشافعي : هل يمرض الروح ؟ قال : نعم، من ظلّ الثقلاء . قال : فمررت به يوما وهو بين ثقيلَيْن، فقلت له : كيف الروح ؟ فقال : في النزع !

كان بعضهم إذا رأى ثقيلاً يقول : قد جاءكم الجبل . فإذا جلس قال : قد وقع عليكم ! قيل لبعض الظرفاء، وكان له ثلاثة بنين ثقلاء : أيّ بنيك أثقل ؟ فقال : ليس بعد الكبير أثقل من الصغير إلاّ الوسط . وكان بشّار يأتيه ثقيل يقال له أبو سفيان . فسئل عنه بشّار

---

3) هو الأشعر الرقبان الأسدي الجاهلي يخاطب رجلا اسمه رضوان كما في **لسان العرب**، وذكر ثلاثة أبيات قبل البيت المذكور هنا . (انظر مادة مسخ).

يوما فقال : لا أدري لِمَ لا تحمل الأمانة أرضٌ حملته، ولا كيف احتاجت الى الجبال بعدما أقلّته ! كأنّ قربه أيّام المصائب، وليالي النوائب ؛ وكأنّ عشرته فقد الحبائب، وسوء العواقب . ثمّ أنشد :

رُبَّما يثْقُلُ الجَلِيسُ وإن كان خَفِيفًا في كِفَّةِ المِيزَانِ
ولَقَد قُلتُ حِينَ وتَّدَ في البَيت ثَقِيلٌ أرْبَى عَلى ثَهلانِ[4]
كَيفَ لا تَحمِلُ الأمَانَةَ أرضٌ حَمَلَت فَوقَهَا أبَا سُفْيَانِ ؟

وكان لبشّار أيضا صديق يقال له هلال، فقال لبشّار يوما : يا أبا معاذ ! إنّ الله لم يُذهب بصر أحد إلاّ عوّضه منه شيئا، فما عوّضك ؟ قال : الطويل العريض . قال : وما هو ؟ قال : ألاّ أراك ولا أرى الثقلاء أمثالك ! ثمّ قال : ياهلال، أتطيعني في نصيحة أخصّك بها ؟ قال: نعم ! قال : إنّك كنت تسرق الحمير زمانا، ثمّ تبت وصرت رافضيّا ؛ فعُد إلى سرقة الحمير، فهي والله خير لك من الرفض ! وفي هلال هذا يقول بشّار :

وكَيفَ يحقُّ[5] لي بَصَري وسَمْعي وحَولي عَسْكَران مِن الثِّقَال[6]
قُعودًا عِنْدَ دِسْكُرَتي ودَارِي كأنّ لَهُم عَلَيَّ فُضُولَ مال ؟
إذا ما شِئتُ صبَّحَني هِلاَلٌ وأيُّ النَّاسِ أثْقَلُ مِن هِلاَلِ ؟

واستأذن بعض الثقلاء على ابن المبارك، فلم يأذن له . فكتب إليه ذلك الثقيل :

هَلْ لِذي حاجَةٍ إليكَ سَبيلُ ؟ لا طويلٌ قُعُودُه بَل قَليلُ !

فأجابه ابن المبارك :

أنتَ يا صاحبَ الكتابِ ثقيلُ ! وقليلٌ من الثَّقيلِ طويلُ !

ووصف بعض الأذكياء ثقيلاً فقال : هو ثقيل السكون بغيض الحركة، كثير الشؤم قليل البركة، كأنّه ثقَلُ الدين، ووجع العين . وما أحقّه بقول القائل :

ثَقيلٌ يُطالعُنا مِن أمَمْ إذا سرَّه رغْمُ أنفي ألَمْ
لنَظْرتِهِ وخُزَةٌ في القُلوب كَوخْزِ المَحَاجِمِ في المُلتَزَمْ
أقولُ لَهُ إذ أتَى : لاَ أتَى ولاَ حَمَلَتْهُ إلَينَا قَدَمْ
عَدِمْتُ خَيَالَكَ لاَ مِن عَمًى وسَمْعَ كَلامِكَ لاَ مِنْ صَمَمْ !

4) سقط هذا البيت الثاني من ج.
5)
6) سقط هذا البيت الأول من ج .

ووصف آخر ثقيلاً فقال : هو بين الجفن والعين قذاة، وبين القدم والنعل حصاة . ما أشبهُ طلعتَه إلاّ بغداةِ الفِراق، أو كتابِ الطّلاق، أو طلعةِ الرقيب، أو موتِ الحبيب!

مُشْتَمِل"[7] بالبُغْضِ لا تنثني إليه طوعًا لحظةُ الرّامِقِ
يَظَلُّ في مَجْلِسِنا مُبْرِمًا أثْقَلَ مِنْ واشٍ على عاشِقِ

وذُكر عند العبّاس بن الحسن العلوي ثقيل يقال له أبو عمّار، [فقال][8] : ما الحمام على الاصرار، وحلول الدين على الاقتار، وشدةُ السّقم في الأسفار، بأثقل على النفس من طلعة أبي عمّار . وأنشد :

تَحْمِلُ مِنهُ الأرضُ أضْعَافَ ما يحْمِلُه الحُوتُ مِنَ الأرْضِ

وقال الآخر :

إلْمامُ كُلُّ ثَقِيلٍ قَد أضرَّ بِنا نَرُوم نَقْصَهم والشَّيءُ يَزداد
ومَن يخفُّ عَلَينا لا يُلِمُّ بنا وللثَّقيل مَعَ السَّاعات تَرداد

وقال الآخر :

وثقيلٍ أشدَّ من ثِقَل المَوتِ ومِن شَدَّةِ العذاب الأليمِ
لَو عَصَتْ ربَّهَا الجحيمُ لما كان سِواهُ عُقُوبَةً للْجَحِيمِ

وقال جَحْظَة البرمكي في صفة ثقيل :

يا لَفْظَة النَّعي بموتِ الخليل يا وقْفة التَّوديع بين الحُمول
يا شُربة اليارَج يا أجرَة المنزل يا وجْه العَدوِّ الثَّقيلْ
يا طَلْعَة النَّعْشِ ويا مَنْزِلاً أقْفَرَ من بَعدِ الأنيسِ الحَلولْ
يا نَهْضَة المَحْبوبِ عنْ غَضْبَةٍ يا نِعْمَةً قَد آذنَتْ بالرَّحيلْ
ويا كتابًا جَاءَ مِنْ مُخْلِفٍ لِلوعْدِ ممْلوءًا بِعُذرٍ طَويلْ
يا بُكْرَة الثَّكْلى إلى حُفْرَةٍ مُستودَعٌ فيها عزيزُ الثَّكُولْ
يا وثْبَةَ الحافظِ مُستَعْجِلاً بصَرفِهِ القَينات[9] عند الأصيلْ

---

7) في ج : مشتغل...، وهو تحريف.
8) سقطت هذه الكلمة من ب .
9) في ج : الغانيات بدل القينات، وهو لا يصح وزنًا.

ويا طبيبًا قَدْ أتَى بَاكِرًا عَلَى أخِي سُقْمٍ بماءِ البُقولْ
يا شَوْكَةً في قَدَمٍ رَخْصَةٍ لَيْسَ إلى إخْراجِها مِنْ سَبيلْ
يا عِشْرَةَ المَجْذومِ في رَحْلِهِ ويا صُعُودَ السِّعْرِ عند المُعيلْ
يا ردَّةَ الحاجِبِ عَنْ قَسْوةٍ يا نَكْسَةً مِنْ بَعْدِ بُرْءِ العَليلْ !

وقال آخر في ثقيل :

لَيسَ مِنَ النَّاسِ ولَكِنَّهُ يَحْسِبُهُ النَّاسُ مِنَ النَّاسِ
أثْقَلُ في أنْفُسِ أصْحابِهِ مِنْ جَبَلٍ راسي عَلَى رَاسِ[10]

وقال آخـــر :

يامَن تَبرَّمَتِ الدُّنْيا بطَلعَته كَما تبرَّمَتِ الأجْفانُ بالسَّهَدِ
إنِّي لأذكُرُه حينًا فَأحْسِبُه مِنْ ثِقْلِهِ جالسًا منِّي عَلى كَبِدي

وقال آخـر :

نَظَرُ العَيْنِ نَحْوَهُ ـ عَلِمَ اللَّهُ ـ يُمْرِضُ
فَإذَا مَا أرَدْتُمُ أنْ تَرَوْهُ فَغَمِّضُوا
لاَ تُصِبْكُمْ مُلِمَّةٌ والمُلِمَّاتُ تَعْرِضُ

وقال آخـر :

شَخْصُكَ في مُقْلَةِ النَّديمْ أوحَشُ مِن نَحْسَةِ النُّجومْ
يَا رَجُلاً وجْهُهُ عَلَيْنَا أثْقَلُ مِنْ مِنَّةِ اللَّئِيمْ
إنِّي لأرْجُو بِمَا أُقَاسِي مِنْكَ خَلاَصِي مِنَ الجَحِيمْ

والشعر في هذا المعنى كثير . وقد قال المفسّرون نزلت آية في الثقلاء : **فَإذا طعمْتُمْ فَانْتَشِرُوا** . أدَّ بهم اللّه بذلك . وكان حمّاد بن سَلَمة إذا رأى ثقيلاً قال : **ربَّنا اكشف عنَّا العَذَابَ إنَّا مؤمِنُونَ** . وذكر الأعمش ثقيلا كان يجلس إلى جانبه فقال : واللّه إنِّي لأبغِضُ شِقِّي الذي يليه منِّي . وقال سهل بن هارون : مَن ثقُل عليك بنفسه، وأغمَّك بحديثه أو سؤاله، فأعْرِه عينا عمياء، وأذنا صمَّاء . وأنشد أيضا في ذلك

هَذا فَتًى أثْقَلُ مِنْ أحُدِ يُصْبِحُ مَنْ يَلْقاهُ فِي جُهْد
عَلامَةُ البُغْضِ عَلَى وجْهِهِ بيِّنَةٌ مُذْ كَان فِي المَهْدِ

10) في ج : نفوس بدل أنفس، وراس بدل راسي.

لَوْ دخَل النَّارَ طَفَا حرُّهَا ومَاتَ مَنْ فيها مِنَ البَرْدِ !

وفي الاستبراد قال آخر في قينة :

ولَوْ مَازَجَ النَّارَ في حرِّهَا حَدِيثُكِ أخْمَدَ مِنْهَا اللَّهَبْ

وقال كشاجم[11] :

غِنَاءٌ بريحٍ بأرْضِ الحِجَازِ يَطيبُ وأمَّا بِحِمْصٍ فَلاَ

لِبَرْدِ الغِنَاءِ وبَرْدِ الهَوَاءِ فَإنْ جُمِعَا خِفْتُ أنْ يَقْتُلاَ

ولقي برد الخيار المغنّي أبا العبَّاس المبرّد على الجسر في يوم ثلج، فقال له : أنت المبرّد، وأنا برد الخيار، واليوم كما ترى، اعتزلنا لا يُهلك الناسَ الفالجُ بسببنا . وأذكرني هذا قول ابن الخطيب :

(بياض بمقدار نصف صفحة في النسخ كلها)

ثُكْلٌ أرْأمَهَا ولَدًا.

الثُّكْلُ، بضمّ الثاء : الهلاك والموت وفقد الأحبَّة وفقد الأولاد، وهذا هو الكثير الاستعمال . يقال : ثَكِلَهُ، بكسر الكاف ثُكْلاً، فهو ثَكْلاَن، وهي ثَكْلَى، مثل سَكْرَى . قالت الحماسيّة :

سَيَتْرُكُها قَوْمٌ ويَصْلَى بحَرِّها بَنُو نِسْوةٍ للثُّكلِ مُصطَبِراتِ

ويُحكى أنَّ عُمير بن جُنْدُب مات قُبيل الاسلام . فجهَّزوه، ثمَّ كشف القناع عن رأسه فقال : أين القُصَل ؟ والقُصَل بالقاف على الصحيح، وبالصاد المهملة واللام ـ على مثال صُرَد ـ وهو أحد بني عمّه . فقالوا : سبحان الله ! مرَّ آنفا فما حاجتك إليه ؟ فقال : أُتيتُ فقيل لي : لأمّك الهَبَل ! ألا ترى إلى حفرتك تُنْثَل، وقد كادت أمّك تَثْكَل؟ أرأيتَ إنْ حَوَّلْناك إلى مُحَول، ثمَّ غُيِّب في حفرتك القُصَل، الذي مشى فاحْزَألّ، ثمَّ ملأناها من الجَنْدل ؟ أتعبُدُ ربَّك وتُصَلّ، وتترك سبيل من أشْرَك وضَلّ ؟ فقلت : نعم ! فأفاق عمير وتزوَّج ووُلد له الأولاد . ولبث القُصَل ثلاثًا ثمَّ مات، ودفن في قبر عمير.

---

11) تحرف في ب إلى كجاشم.

وقالت أسماء المرية :

أيا جَبَلَيْ وادي عُرَيْعَرة التي ... نَأَتْ عَن ثَوى قَومي وحقَّ قُدومُها
ألا خلِّيا مجْرى الجَنوبِ لَعَلَّهُ ... يُداوِي فُؤادي مِن جَواهُ نسيمُها !
وكَيف تُداوي الرِّيح شوقًا مُماطلاً ... وعينًا طويلاً بالدُّموع سجومُها ؟
وقُولا لركْبانٍ تميميَّة غَدَتْ ... إلى البَيتِ تَرجو أن تُحَطَّ جُرومُها
بأنَّ بأكنافِ الرَّغامِ غَريبةً ... مُولَّهةً ثكْلى طويلاً نَئيمُها
مُفجَّعةً أحْشاؤُها من جَوى الهَوى ... وتَبريحِ شَوقٍ عاكفٍ ما يَريمُها

والإرآمُ : التحبيب والتعطيف . يقال : رَئِمَ فلان كذا بالكسر، يَرْأمُه : أحبَّه وألِفَه ؛ ورَئِمَتِ الناقةُ ولدَها، رِئْمَانًا : عطفت عليه ؛ وأرْأمْتُها : عَطَفْتُها على غير ولدها أو على البَوّ، وهو الجلد يُحشى لها لِتَدِرَّ عليه . قال :

رئِمْتُ لِسَلْمَى بَوَّضَيْمٍ وإنَّنِي ... قَديمًا لآبِي الضَّيْمِ وابنُ أباةِ

وقال الحماسي :

ومَولىً جَلَتْ عَنهُ المَوالي كأنَّهُ ... مِن البُؤس مَطليٌّ به القارُ أجربُ
رئمتُ إذا لم تَرأمِ البازلُ ابْنَها ... ولَم يكُ فيها للمبسِّين مَحْلبُ

وقال الآخر :

أنَسَّى جَزَوْا عامرًا سُوءًا بفِعْلهِم ... أمْ كَيف يجزونَني السُّوأى من الحَسن
أم كَيف يَنفَعُ ما تُعْطَى العَلوقُ به ... رئْمان أنفٍ إذا ما ضنَّ بالَّلبَنِ

والولَدُ معروف . والمثل لبَيْهَس المعروف بنعامة . وكان من حديثه أنه خرج مع إخوة له سبعة، فلقيهم قوم في موضع يقال له الأثلاث، فقتلوهم إلاَّ بَيْهَسًا، وكان أصغرهم . فاستحقروه واستبقوه، ثمَّ احتملوه معهم حتَّى إذا قام قائم الظهيرة نزلوا فنحروا ناقة من وسِيقَتِهم فأكلوا منها، ثمَّ قال قائلهم : ظلِّلُوا لحمَ جَزُوركم ! فقال بيهس : لَكِنْ عَلَى الأثْلاثِ لَحْمٌ لا يُظَلَّلُ[12] ـ يعني لحوم إخوانِهِ المقتولين ـ فأرسلها مثلا . فقال أحدهم : إني لأسمع من هذا الأنَيْسِيان أمرًا يُوشِك أن يكون وراءه شرٌّ : فاقتلوه ! فقال زعيمهم : أيُعَدُّ علينا [هذا] بقتيل ؟ خَلُّوه لصغر سنه، فهو أحقر من ذلك ! فاحتملوه حتَّى إذا بلغوا به سَمْتَ الحيِّ قالوا له : ائت أهلك وانْعَ إخوتك ! فانطلق

12) الرواية المشهورة لهذا المثل : « لكنّ بالأثاث لحمًا لا يُظلّل ».

حتّى دخل على أمّه، فقالت له : أين إخوتك ؟ قال : قُتلوا . فقالت : وما الذي أتى بك دونهم ؟ فقال لها : لَوْ خَيَّرَكِ القَوْمُ لاخْتَرتِ ! فأرسلها مثلا . وكانت تبغضه لكثرة شرّه، وتحبّ إخوته . فلمّا فقدتهم أحَبَّتْهُ ورَئِمَتْه . فقال حينئذ : ثُكْلٌ أرْأمَهَا ولَدًا، أي ما عطفها على هذا الولد - يعني نفسه - ولا رقّقها عليه ولا آلفها إيّاه إلاّ ثُكْلُها أولادها الباقين، وفقدها أولادها المحبوبين . ومضرب المثل من هذا المعنى ظاهر . ثمّ جمعت له أمّه تُرَاثَ إخْوتِهِ وأعطته إيّاه . فجعل يدير فيه وكان يقول : يَا حَبَّذَا التُّرَاثُ لَوْلاَ الذِّلَّةُ ! فسارت مثلا . وصنع بعض أهل الحِوَاء عرسًا وحضره صبيان الحيّ، فلمّا رآهم بَيْهَس يلعبون، تجرّد عن ثيابه وجعل يرقص معهم . فأتته أمّه فقالت له : ما هذا يا بيهس ؟ [فقال] :

الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا إمّا نَعِيمَهَا وإمّا بُوسَهَا !

فذهبت مثلا . فبينما هو ذات يوم يرعى غنما له إذ ألجأه الحرّ إلى غار يستظل فيه . فرأى قتلة إخوته، وهم عشرة، قد عقلوا إبلهم على طرف الغار وقالوا . فخلّى غنمه وبادر إلى الحيّ، فأخذ سلاحه وأتى خالاً له يقال له أبو حَنَش[13] وكان جبانا . فقال له : أبا حنش هل لك في ظباء تصطادهنّ ألجاهنّ الحرّ إلى غار ؟ قال : نعم . قال : فتَنَكَّبْ قوسك وحَيِّهَلاً ورائي ! فأقبل به حتّى هجم على فم الغار . وخاف بيهس أن يهرب خالُه، فصاح على القوم حتّى ثاروا . فتقدّم بيهس وتبعه خاله، علمًا منه أنّه غير ناج إن فرّ، وقتلا القوم ورجعا بسلاحهم إلى الحيّ، وقد ثأر بيهس بإخوته . فكان من لقي خاله يقول له: ما أشجعك أبا حنش ! فيقول له : مُكْرَهٌ أخَاكَ لاَ بَطَل ! فذهبت مثلا . ويقال إنّ مُدْرِكي الأوتار في الجاهليّة ثلاثة : قَصِير بن سعد - وتقدّم أمره - وسيف بن ذي يَزَن الحِمْيَري - وسنذكره - وبيهس هذا . قال الشاعر :

ومِنْ طَلَب الأوتَارِ مَا حَزَّ أنْفَه قَصير وخاضَ الموتَ بالسَّيف بيْهَسُ[14]

وإنّما لُقّب بنعامة لطول رِجْلَيْه ، فرأته أمّه يومًا فقالت : نعامةٌ والله ! فقال : نعامة عرفتنِي، نَسَأها الله ! أي أخّرها في أجلها . وقيل لصَمَمِه، وكان أصمّ أصلع، والعرب

13) في مخطوطاتنا : أبوحش، وفي **مجمع الامثال** : أبو حنش، وقد اخترناه لأن « حش » اسم موضع لا اسم انسان فيما نعرف .

14) بعد هذا البيت :

نعامةُ لما صرّع القومُ رهطَه تبيَّنَ في أثوابه كيف يَلْبَسُ

ويظهر أن هذا البيت سقط من النسخ، لأن اليوسي شرح عقبه سبب تلقيب بيهس بالنعامة .

تصف النعام بذلك، يزعمون أنه مُصلَّم" لا أذن له ولا يسمع الأصوات، إمَّا حقيقة أو إنَّه لا يلتفت إليها . قال علقمة يصف الظَّليمَ :

فُوه" كَشَقٍّ العَصا لَأْيًا تبيَّنه ... أسَكُّ ما يَسمَعُ الأصواتَ مَصلُومُ

وقال زهير :

كأنَّ الرَّحل منها فوقَ صَعْلٍ ... مِن الظِّلمان جُؤجُؤُهُ هواءُ

أسَكُّ مَصلَّمُ الأذُنَيْنِ أجْنَى ... لَهُ بالسِّيِّ تَنُّومٌ" وآءُ

وقال عنترة :

فَكأنَّني أطِسُ الإكَامَ عَشِيَّةً ... بَقريبِ بينَ المَنسِمَينِ مُصلَّمِ[15]

الثَّورُ يحْمِي أنْفَهُ بِرَوْقِه.

الثَّوْرُ، بفتح الثاء وسكون الواو، معروف، يطلق على الانسي والوحشي . والحماية : المنع والحفظ، يقال : حَمَاهُ من كذا يَحْمِيه، منعه وحفظه . والرَّوْقُ، بالفتح، القَرْنُ . قال امرؤ القيس :[16]

والمعنى أنَّ الثور يدافع عن نفسه بقرنه، فيُضرب في الحثّ على حفظ الحريم، والذب بما أمكن . وتقدَّم في كلام عمرو بن أمامة حيث قال :

لَقَد عَرفْتُ الموت قَبل ذوقِهِ: ... إنَّ الجَبان حَتْفُهُ من فوقه

كُلُّ امرىءٍ مُقاتلٌ" عن طوقِهِ ... كالثَّورِ يحْمي أنْفَه بروقه

وفي خبر ابن إسحاق عن عائشة أمّ المؤمنين، رضي الله عنها، قالت : لما قدم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة قدمها وهي أوْبَأ أرض الله من الحمَّى . فأصاب أصحابه منها بلاء، وصرف الله ذلك عن نبيّه . قالت : فكان أبو بكر، وعامر بن فُهَيْرَة وبلال مَولَيَا أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمَّى . فدخلتُ عليهم أعُودُهم، وذلك قبل أن يُضْرَبَ علينا الحجاب، وبهم مالا يعلمه إلاّ الله من شدَّة الوعك . فدنوت من أبي بكر، فقلت له : كيف تجدك يا أبَتِ ؟ قال :

---

15) ورد صدر هذا البيت في **الشعر الجاهلي** كهذا : فكأنَّني أقِطُ الاكام... والوقط والوطس متقاربان في بعض معانيهما . لكنّ عنترة كثيراً ما يستعمل الوطس في شعره، كقوله :

خطَّارة غِبَّ السُّرى موَّارة" ... تَطِسُ الاكامَ بذات خُفٍّ مِيثَم

16) بياض في ب و د. ولم يرد في ج اسم امرىء القيس.

كلُّ امرىءٍ مَصَبَّحٌ في أهْلِهِ والموتُ أدنَى من شِراكِ نَعْلِهِ

قالت : فقلت واللّه ما يدري أبي ما يقول ! قالت : ثمَّ دنوت إلى عامر بن فُهَيْرة فقلت : كيف تجدُك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدتُ الموتَ قبلَ ذوقِهِ إنَّ الجَبانَ حتفُه من فوقِهِ

كلُّ امرىءٍ مُجاهِدٌ بِطوقِهِ كالثَّور يحْمِي جِلْدهُ بروقِهِ

قالت : فقلت واللّه ما يدري عامر ما يقول ! قالت : وكان بلال إذا تركته الحمَّى اضطجع بفناء البيت، ثمَّ رفع عقيرته فقال :

ألا ليْت شِعْري هَل أبيتَنَّ ليلةً بوادٍ وحولي إذْخِرٌ وجليلُ ؟

وهَل أردنْ يومًا مِياهَ مِجنَّةٍ وهَل يبْدوَنْ لي شامةٌ وطفيلُ ؟

قالت : فذكرت لرسول اللّه، صلَّى اللّه عليه وسلَّم، ما سمعت منهم وقلت . إنَّهم لَيَهْذُون وما يَعْقِلون من شدَّة الحمَّى . فقال رسول اللّه، صلَّى اللّه عليه وسلَّم : **اللّهمَّ حبّب إلينا المدينة كما حبَّبت إلينا مكَّة أو أشَدّ، وبارك لنا في مُدِّها وصاعِها، وانقُلْ وبَاءها إلى مَهْيَعَةَ . ومَهْيَعَةُ الجُحْفَةُ.**

والظاهر أنَّ عامرا، رضي الله عنه، تمثَّل بالشعر وإن كان فيه بعض مخالفة . وبعد كتبي هذا رأيت السهيلي قال : يُذكر أن قول عامر : لَقَدْ وجَدتُ المَوتَ قَبْلَ ذَوقِه، أنَّه لعمرو بن أمامة . انتهى . وهو ما استظهرناه قبل . وقول بلال : بِوادٍ، يُروى بفخٍّ أيضا، وفَخٌّ موضع بمكَّة فيه ماء، وفيه اغتسل رسول اللّه، صلَّى اللّه عليه وسلم وهو مُحْرِمٌ لدخول مكَّة، وفيه قال الشاعر :

ماذا بفخٍّ مِنَ الاشْراقِ والطِّيبِ ومِنْ جوارٍ نقيَّاتٍ رعابيبِ !

ومجَنَّة سوقٌ من اسواق العرب ؛ وشامَة وطَفيل عينان من ماء، وقيل جبلان . قال السهيلي : وفي هذا الخبر وما ذُكر من حنينهم إلى مكَّة، ما جُبلت عليه النفوس من حبّ الوطن والحنين إليه، وما كانوا عليه من الحنين إلى الاوطان الذي هو جبلَة في البشر كما رُوي في حديث أصَيْل الغِفاري ـ ويقال فيه الهُذلي ـ حين قَدم مكَّة، فسألته عائشة : كيف تركت مكَّة يا أصَيْل ؟ فقال : تركتها قد ابيضَّت أباطِحُها، وأحْجَر ثُمامُها، وأعْذق إذْخِرُها، وأمشَرَ سَلَمُها، فاغْرَوْرَقَت عينا رسول اللّه، صلَّى اللّه عليه

وسلَّم، وقال : **لا تُشَوِّقْنا يا أصَيل !** ويُروى أيضا أنه قال له : **دع القلوب تَقِرَ !** وفي هذا المعنى قول الآخر :

ألا لَيتَ شِعْري هل أبيتَنَّ ليلةً بوادي الخُزامي حيثُ ربَّتني أهْلي
بلادٌ بها نيطَتْ عليَّ تمائمي وقُطِّعْن عنِّي حين أدركني عقلي

انتهى كلا السهيلي . وهذا المعنى مستوفىً في هذا الكتاب في غير هذا الموضع.

ثَارَ حَابِلُهُم عَلى نَابِلِهِم

الثَّوْرُ : الهَيَجَانُ والوَثْبُ : ثَارَ، يَثُورُ، ثَوْرًا، فَهُوَ ثَائر . وأثَرْتُه، وثَوَّرْتُه، واسْتَثَرْتُه .

والحابِل يُطلق على من شَدَّ الشيء بحبل، ومنه المثل الآتي : يَا حَابِلُ اذكُر حَلاً ! وعلى من نَصَب الحِبالة للصيد أو أخذه فيها . يقال : حَبَل الصَّيْدَ واحْتَبَلَه : إذا أخذه أو نَصَب له . والنَّابِل والنَّبال : صاحب النَّبْل وصانعه . والنَّبْل : السهم قال امرؤ القيس :

نَطْعُنُهُم سُلْكَى ومَخْلُوجَةً كَرَكٍّ لأمَيْنِ على نَابِلِ

أي نطعنهم طعنًا مستقيما وطعنًا مُعْوجًّا من كل وجه . كَرَكَ لأمَيْنِ، أي كردِّك لأمين، أي سهمَيْن، على نابل، أي على رامٍ بهما في السرعة . وقال أيضا :

وليس بذي رُمحٍ فيطعَنُني بِه وليس بذي سَيفٍ وليس بنبَّال

ويقال إنَّ الحابل في هذا المثل السَّدَى، والنابل الطُّعْمَة : فإذا قيل في القوم إنَّهم ثار حابلهم على نابلهم كان معناه أنَّهم اشْتجروا وأوقدوا الشرَّ فيما بينهم.

وممَّا يلتحق بهذا الباب قولك : أثْقَلُ مِنَ الحَديدِ، ومِنَ الرَّصاصِ، ومن حُلُول الدَّيْن مع الاقتار، ونحو ذلك، وهو مطرَّد . وقولهم :

ثُلَّ عَرشُ فُلانٍ إذا هَوَى[17] أمْرُه وتضعضع عزّه وذهب ملكه. قال زهير :

تداركْتُما الأحلافَ قَد ثُلَّ عرشُهمْ وذبيانَ قَد زلَّتْ بأقدامِها النَّعلُ

وثَلَّ اللَّهُ عَرشَهُ : فعل به ذلك . قال الآخر :

---

17) في جـ : وهَى.

إن يَقْتلوكَ فقد ثلَلْت عُروشهم بعُتيبَة بن الحارثِ بن شِهَاب

والعَرشُ سرير الملك، وسقف البيت، والعزّ، وقوام الأمر. ومنه ما ذكر.

ولنذكر بعض ما تيسَّر من الشعر . قال ابن الرومي :

يا مادحَ الحِقدِ مُحتالاً له شُبَهًا لَقد سلكتَ إليه مسلكًا وعثَا

يا دافن الحِقد في ضعفي حوانحه ساءَ الدَّفين الذي أضحت له جَدثا

الحِقد داءٌ دويٌّ لا دواء له يُدوي الصُّدور إذا ما جمره حُرثا

فاستشفيَنْهُ بصفحٍ أو مُعاتَبةٍ فإنَّما يُبْرِىء المصدور ما نُفِثا

إنَّ القبيحَ وإن ضيَّعتَ ظاهرهُ يعُود ما لمَّ منه مرَّةً شَعثا

كم زخْرفَ القول ذو زورٍ ولبَّسه على القلوب ولكن قلَّ ما لبثا

وإنَّما قال ذلك لأنَّه قال أيضا في مدح الحقد :

لئن كُنت في حفظي لما أنا مودعٌ من الخير والشَّر انتحيت على عرضي

لما عِبتني إلاَّ بفضل أمانةٍ وربَّ امرىءٍ يزرى على خُلقٍ محض

ولولا الحُقودُ المستكنَّاتُ لم يكن لينقُضَ وتْرًا آخر الدهر ذو نقض

وما الحقدُ إلا تَوأمُ الشكر في الفتى وبعض السَّجايا يَنْتسبْنَ إلى بعض

فَحيثُ ترى حقدا على ذي إساءة فثمَّ ترى شُكرا على حسن القرض

وأخذ ذلك من قول ابن صالح، حين أتِي به الرشيدُ وهو في قيوده، فقال له يحيى بن خالد ـ وأراد أن يسكته ـ: بلغني أنَّك حقود ! فقال له : أيّها الوزير، إن كان الحقد هو بقاء الخير والشرّ، إنَّهما لباقيان في قلبي ! ويُروى أنَّه قال له : إنَّما صدري خزانة لحفظ ما استودعت من خير وشرّ . فقال الرشيد : تاللَّه ما رأيت أحدا احتجَّ للحقد بمثل ما احتج به!

وقال الآخـــر :

ما طابَ فَرعٌ أصْلُهُ خبيثُ ولا زَكا مَن مَجْدهُ حديثُ

وقال الآخـــر :

إنَّ قومًا يَلحون في حُبِّ سُعْدى لا يَكادون يفْقَهون حَديثَا

سَمعُوا وصْفَها فَلامُوا عَلَيْها أخَذُوا طَيِّبًا وأعْطَوا خَبيثَا

وتقدَّم هذا المعنى قبل مستوفى.

وقال أبو دلامة[18] :

إنِ النَّاسُ غطَّوني تغطَّيت عنهم وإن بحثُوا عنِّي ففيهم مباحثُ

وكانت لرجل عنده شهادة في حقّ، فلمَّا طلبه بالأداء قال له : إنَّ شهادتي لا تنفعك عند القاضي . فقال له الرجل : لابدَّ من شهادتك ! فشهد أبو دلامة وانصرف وهو يقول الشعر المذكور . فحكم القاضي بشهادته، وغرَّمَ المشهود عليه المال حتَّى قبضه المشهود له، فغرمه القاضي للمشهود عليه خوفا من ظلمه ليجمع بين المصلحتين . وقيل إنَّ أبا دلامة استأجر طبيبا ليعالج ابنًا له بمبلغ من الأجرة، فلمَّا داواه قال للطبيب : إنَّه ليس عندي ما أعطيك، ولكن اذهب وادَّعِ بهذا المبلغ على من شئت ! وقيل إنَّه قال له ادَّعِ على فلان اليهودي [به]، وأنا وابني نشهد لك ! فادَّعى الطبيب على اليهودي، فجاء أبو دلامة وابنه يشهدان له عند القاضي ابن أبي ليلى - أو ابن أبي شُبْرُمَة - فلمَّا علم أبو دلامة أنَّ القاضي لا يجيز شهادتهما أنشد بحيث يسمعه القاضي ما مرَّ . فلمَّا سمع القاضي ذلك حكم بشهادتهما خوفًا من أذاه، وغرَّم ذلك المبلغ للمحكوم عليه، واللَّه أعلم.

ومن هذا المعنى ما ذكر ابن رشيق عن العتبي من أنَّ رجلا من أهل المدينة ادَّعى حقًّا على رجل، فدعاه إلى ابن حنطب، قاضي المدينة، فقال : من يشهد بما تقول ؟ فقال : زنقطة فلمَّا ولَّى قال القاضي : ما شهادته له إلاَّ كشهادته عليه . فلمَّا جاء زنقطة أقبل على القاضي وقال له : فداك أبي وأمّي ! أحسن واللَّه الشاعر حيث يقول :

مِن الحُنظُبيِّين الذين وجوهُهُم دنانيرُ ممَّا شِيفَ في أرض قيصرا

فأقبل القاضي على الكاتب وقال : كبير وربّ السماء ! ما أحسبه شهد إلاَّ بالحقّ . أجِزْ شهادته !

وقال الصفدي :

صَبْري الذي اقتسمتْهُ غُربةٌ ونوًى كأنَّما لهُما في ذاك مِيراثُ

وكلَّ يومٍ على ما فيهِ من هرمٍ يلْقَى صُروفَ اللَّيالي وهْي أحداثُ

وقال ابن الحدَّاد يرثي :

---

18) سقط اسم أبي دلامة من ج.

شَمسَ الظَّهيرة هَل تدرينَ ما حدثا ؟ شَمسُ العشيرةِ حلَّتْ مغربًا حدثا
انظُر ثَبيرًا هل انهدَّت جوانبُه لحادثٍ في ثبير الحِلم قد حدثا

ومن المستحسن في باب الرثاء قول أبي الفرج الجوزي، وقد لِيمَ على اكتحاله يوم عاشوراء:

ولائـــمٍ لِي على اكْتحَـــالي يومَ أراقُـــوا دَمَ الحُسَيْـــنِ
فَقُلتُ : كفُّوا ! أحقُّ شيءٍ فيهِ بلُبْس السَّوادِ عَـــبنِي

وقال الآخر يرثي بعض الأمراء :

كان الأميرُ نظامُ الدِّين لُؤلُؤةً قَد صاغَها اللَّهُ من مجدٍ ومن شَرف
عزَّت فلم تقدر الأيَّام قيمتَهَا فردَّها غيرةً منه إلى الصَّدفِ

وقول الآخر في غلام له يُلقَّب بالسيف :

سَتَذرف أجفاني عليك دموعَها ولا غَرو أن تبكي على السَّيف أجفانُ
بَكتْكَ عيونُ الشُّهبِ إذ كنت بدرها وغالك من قبل التتمَّة نُقصانُ
وشقَّت يمين الصُّبح فيك عن الدُّجا قميصًا فأضْحى وهْوَ للحُزن عُريانُ

وقال الزمخشري يرثي شيخه :

وقائلةٍ : ما هذه الدُّرَرُ الَّتي تَناثَرُ من عينيكَ سْمطَين سمطَين ؟
فقلت : هُو الدُّرُّ الذي قد حشا به أبو مُضرٍ أذني تساقَط من عينِي

وقول ابن الحدَّاد :

شَقيقُك غُيِّب في لَحدهِ وتُشرقُ يا بَدرُ من بَعدهِ!
فَهلاَّ خَسَفْتَ فكان الخُسوفُ حِدادًا لبِستَ على فَقْدهِ ؟

وقول ابن المعتزّ :

لم تمت أنتَ إنَّما مات من لم يُبقِ للمجْد والسَّماحة[19] ذكرا
لستُ مُستسقيًا لقَبْرك غَيْثًا كَيف يُسقَى وقَد تضمَّن بحْرا ؟[20]

وقول العطوي في رجل كان يعول أناسا كثيرين فمات :

ولَيسَ صريرَ النَّعش ما تَسمعونه ولكنَّه أصْلابُ قومٍ تقصَّفُ
ولَيس فَتيتَ المسْكِ ما تجِدونه ولكنَّه ذاكَ الثَّناءُ المُخلَّفُ

19) في الديوان : والمحامد بدل والسماحة.
20) « لقبرك » حرّف « لغيرك » في ب. وفي الديوان : « كيف يظما » بدل كيف يسقى.

وقال ابن عبدون الورّاق :

قَبْرٌ بسوسةَ قَد قبرتُ به الفتى ... أدرجْتُ قلبي في مَدارجِ لحدِه
أسْكنته سُكنَى ورحتُ كأنَّني ... في الأرض لا بشرًا أرى من بعده[21]
صَمَّتْ عليَّ مسامعي في وجْهِه ... وصُعِقتُ من صَعقِ الصُّراخ ورعده[22]
وجَهدت أن أبكي فلم أجد البُكا ... فسكتُّ سكْتَةَ صارمٍ في غِمدهِ
هبني بكيت له، وما يجدي البكا ؟ ... ماءٌ بخدّي والتُّرابُ بخدِّه !

وهذا الباب كثير، لا يأتي عليه الحصر.

ومن أشهر المراثي وأحسنها مرثيَّة أبي الحسن الأنباري في ابن بقيَّة، حين قتله عضد الدولة وصلبه، وأوَّلها :

عُلُوٌّ في الحَياةِ وفي المَمَاتِ : لحقٌّ أنتَ إحدى المُعجزاتِ !

وهي مشهورة معروفة . ولمَّا اشتهرت ووصلت الى عضد الدولة، وأُنشدت بين يديه، تمنَّى أن يكون هو المصلوب !

وقال ابن نباتة في النسيب :

يارُبَّ خالٍ على خدٍّ الحبيب له ... في العاشقين كما شاء الهوى عبثُ
أورثته حبَّة القلب القتيل به ... وكان عنديَ أنَّ الخالَ لا يَرِثُ !

وفي الخال قول الحاجري :

عجبتُ لخالٍ يعبُد النَّار دائمًا ... بخدٍّك لم يُحرقْ بها وهْو كافِرُ
وأعجب من ذا أنَّ طرفَك منذرٌ ... يُصدَّقُ في آياته وهْوَ ساحرُ
وما آخضرَّ ذاك الخدُّ نبتًا وإنَّما ... لِكثرة ما شُقَّت عليه المَرائِرُ
ومُذ أخْبروني أن قدَّك بانةٌ ... تيقَّنتُ أنَّ القلب منِّي طائِرُ

وفي القدّ قول الآخر :

يروحِيَ معْشوقُ الجمال فما له ... شبيهٌ ولا في حُبِّه ليَ لائِمُ
تثنَّى فمات الغُصن من حسدٍ له ... ألم تَرَه ناحَت علَيه الحمائم ؟

وقول الآخـــر :

---

21) في ب و جـ : لا بشر وفي د : لا بشرى.

22) في ب و جـ : وضعفت بدل وصعقت.

قُلت للأهيَفِ الَّذي فَضَحَ الغُصن كلامُ الوَشاةِ ما ينبغي لك[23]

قال : قَولُ الوشاةِ عنديَ ريحٌ قُلت : أخشى إذا غصن أن يستميلكْ

ويشبه هذا ما حُكي أنَّ رجلا دخل دارًا ينظرها ليشتريها، فسمع في بعض خشبها صوتا، فقال : ما هذا ؟ فقال صاحب الدار : أعزَّك اللَّه ! هذا السقف يسبّح اللَّه عزَّ وجلَّ . فقال: أخشى أن يلحقه الخشوع فيسجد.

وقال ابن خفاجة :

وعشيٍّ أُنسٍ أضجَعْتِنِي نَشْوةٌ فيه تُمَهِّدُ مضْجعي وتُدمِّثُ

خَلَعَتْ عليَّ بها الأراكَةُ ظلَّها والغُصنُ يُصغي والحمامُ يحدِّثُ

والشَّمسُ تجنحُ للغروب مريضةً والرَّعدُ يَرْقِي والغمامةُ تنفُثُ

وممَّا يستلذّ في هذا المعنى قول الآخر :

عرِّجْ بمنْعَرَجِ الكَثيبِ الأعفَرِ بين الفُراتِ وبين شطِّ الكوثَرِ

ولْتَغْتَبِقْهَا قهوةً ذهبيَّةً من راحتَيْ أحْوَى المدامِعِ أحْوَرِ

وعشيَّةٍ كم كُنتُ أرقُبُ وقْتَها سمحتْ بها الأيَّام بعد تعذُّرِ

نِلنا بها آمالَنا في روضَةٍ تُهْدي لِنَاشِقِها نسيمَ العَنْبَرِ

والوُرقُ تشْدو والأراكَةُ تَنثَنِي والشَّمس ترفُلُ في قميصٍ أصْفرِ[24]

والرَّوضُ بين مُفضَّضٍ ومُذهَّبٍ والزَّهرُ بين مُدرْهَمٍ ومُدنَّرِ

والنَّهرُ مصقولُ الأباطِحِ والرُّبا والشَّطُّ بين مزعْفرٍ ومُعصْفرِ

وكأنَّهُ وكأنَّ خُضرةَ شطِّه سيفٌ يُسلُّ على بساطٍ أخضرِ[25]

وكأنَّما ذاك الحبابُ فِرِنْدُهُ مهما طَفا في صَحفَةٍ كالجَوهرِ[26]

وكأنَّهُ وجِهَاتُهُ مَحْفوفَةٌ بالوردِ والرَّيْحانِ خَدٌّ مُعذِّرِ

نهْرٌ يهيمُ بحُسنِهِ من لم يهِم ويُجيدُ فيه الشِّعْرَ من لم يشْعُرِ

ما اصفرَ وجهُ الشَّمس عند غروبها إلا لفرقةِ حُسنِ هذا المنظَرِ

وقول مالك بن المرحَّل :

---

23) في ج : لا ينبغي لك.

24) في ج : والشمس ترقص...

25) صُحّفت كلمة « خضرة » في ب، فكتبت خطرة.

26) صُحّفت كلمة « صحفة » في ج، فكتبت صفحة.

وعشيَّةٍ سبق الصَّباحُ عشاءها قصْرًا فما أمْسيتُ حتَّى أسْفرا
مسكيَّةٍ لبسَت حُلَى ذهبيَّةً وجلا تبسُّمُها نقابًا أحْمَرا
وكأنَّ شُهْب الرَّجْمِ بعضُ حُلِيِّها عَثَرَتْ به من سُرعةٍ فتكسَّرا[27]

وقال أبو النصر بن عبد الجبَّار :

عليك بإغْباب الوصالِ فضدُّه يُعيد حِبال الوصلِ منكَ رِثاثا[28]
فلو كلَّف الانسانُ رُؤْية وجهه لطلَّقَه بعْد الثَّلاثِ ثلاثَا

ومثله قول الآخر :

عليكَ بإغْبابِ الزِّيارةِ إنَّها تكونُ إذا دامَتْ إلى الهَجْرِ مسلكا

وسيأتي هذا المعنى إن شاء اللَّه تعالى .

وقال الحَمَويّ :

إنَّ قومًا يَلْحَونَ في حبِّ سُعْدَى لا يَكَادُون يَفْقَهونَ حَديثَا
سمعُوا وصفَها ولاموا عليْها أخذوا طيِّبًا وأعْطوا خَبيثَا

وهذا من الاقتباس، وهو أن يؤتى في الكلام المنثور أو المنظوم بلفظ يشبه لفظ القرآن أو الحديث غير منويّ به أنَّه قرآن أو حديث . ولا بدَّ من هذا القيد الأخير، ولذلك ساغ سوق اللفظ مع تغيير فيه أو في معناه، ولا يلزم فيه كفر تبديل القرآن ولا خلاف نقل الحديث بالمعنى . ولنذكر طرفا من ذلك ها هنا :

فمن الاقتباس من القرآن في النثر قول الحريري : فلم يكن إلاَّ كلمح البصر أو هو أقْرَب، حتَّى أنشد فأغْرَب . وهو في الشعر أكثر . ثمَّ إنَّه قد يكون اللفظ المقتبس بيتا كاملا، كقول أبي محمَّد بن السِّيد البَطَلْيُوسي في بعض مواضعه :

خفِّفوا ثِقْلَ الخَطَايَا أفْلَحَ القَوْمُ المُخِفُّونَ !
كيفَ تُعْطُونَ مِنَ البَاقِي وبالفَانِي تَضِنُّونَ ؟
لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ !

وقول ابن العفيف :

يا عاشِقِينَ حَاذِرُوا مُبْتَسَمًا مِنْ ثَغْرِهِ !

---

27) صُحِّفت « بعض حليها » في ج، فكتبت : بعد حليها.
28) في ب و د : « فهذه » بدل « فضده ».

فَطَـرفُهُ السَّاحِـرُ قَـدْ شَكَكْتُـمُ فِي أمْـرِهِ
يَريـدُ أن يُخْرِجَكُـمْ مِـنْ أرْضِكُـمْ بِسِحْـرِهِ

وقد يكون شطر بيت، كقول أبي فراس :

قَد كان بَدْرُ السَّماء حُسنًا والنَّاسُ في حُبِّهِ سَواءُ
لا تعْجَبوا ! ربُّنَا قَديرٌ يَزيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ

وقول محيي الدين البغدادي :

إن لا مني مَن لا رآهُ فقَد جار على الغائِبِ في الحُكْم
وإن لحاني من رآهُ فَقَد أضلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمِ

وقول ابن الدماميني، وقد رأى جرَّة خمر كسرت فساخت الخمر على الأرض :

كَسَرُوا الجَرَّةَ عَمْدًا مَلَؤُوا الأرضَ شَرَابَا
قُلْتُ، والاسْلاَمُ دِيني : لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابَا !

وقد قلت أنا في نحو هذا، أخذًا منه :

عَثَرَتْ هَيْفَاءُ تَحْكِي بَدْرَ تَمٍّ [حِينَ غَابَا][28م]
قَبَّلَ التُّرْبُ لَمَاهَا ونَضَا عَنْهَا النِّقَابَا
وجَنَى وردًا ونَدًّا وارتَوَى مِنْهَا رُضَابَا
قُلْتُ لَمَّا عَانَقَتْهُ : لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابَا !

وقد يكون أقلَّ من الشطر، كقول ابن النَّبيه :

قُل لراسي الجُفونِ إنَّ لجفني في بحارِ الدُّموعِ سَبْحًا طويلا

وهي قصيدة على هذا النمط، أخذ قوافيها من سورة المزمّل .

ولابن سهل الاسرائيلي قصيدة أخرى مثلها، أخذ قوافيها من سورة مريم، وكلتاهما مشهورة .

ومن ذلك قول بعضهم :

إذا رُمْتُ عنها سلوةً قال شافعٌ من الحبِّ : ميعاد السُّلوِّ المقابرُ
سيبقى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحشى سرائرُ ودٍّ يوم تُبْلَى السَّرائِرُ

وقولنا :

في ظبيةٍ هيفاءَ من أجْفانِها سحْرِ الجفون البابليُّ تواتَرا

فإذا انتضَت من جفْنِها عَضْبَين من جفْنين قُلنا : ساحران تظاهرا وفيه التورية في الجفنين . وهذا الاقتباس هنا ممَّا اختلف فيه الأصل والفرع معنى من جهة الحقيقة والمجاز . ومثله قول ابن الرومي يخاطب رجلا مدحه ولم يُثبه :

لَئِن أخْطأتُ في مَدحِكَ ما أخْطأْتَ في مَنْعِي :
لقَد أنْزلْتُ حاجَاتي بِوَادٍ غَيْرِ ذي زَرْعِ

فإنَّه جعله مجازا عن الرجل الذي لا خير فيه، وهو في الآية حقيقة .

ومن الاقتباس في الحديث قول بعضهم :

قال لي إنَّ رقيبي سيِّيءُ الخُلقِ فَدَارِه[29]
قُلتُ : دعْني وجْهُكَ الجنَّةُ حُفَّتْ بالمَكَارِهْ

أخْذاً من حديث : **حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكَارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ.**

وقول بعضهم في غلام اسمه بدر، وجعل فيه تورية :

يا بَدْرُ أهْلُكَ جَارُوا وعَلَّمُوكَ التَّجَرِّي
وقبَّحُوا لَكَ وصْلِي وحَسَّنُوا لَكَ هَجْرِي
فَلْيَفْعَلُوا مَا أرَادُوا فَإنَّهُمْ أهْلُ بَدْرِ !

أخْذاً من حديث : **لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ !**

وقول بعضهم :

ومُهَفْهَفٍ يُزري على القَمَر وجناتُهُ روْضٌ من الزَّهَرِ
خَالسْتُهُ نُوَّارَ وجْنَتِهِ وأخَذْتُهُ منْهَا عَلى حَذَرِ
فَأخافَني قومٌ فقُلتُ لهم : لا قَطْعَ في ثَمَرٍ ولاَ كَثَرِ

فقولُهُ : لا قَطْعَ في ثَمَرٍ ولا كَثَرٍ هو لفظ حديث . والكَثَرُ جُمَّارُ النخل .

وقد زاد بعضهم الاقتباس من الفقه، وزاد آخرون الاقتباس من سائر العلوم . فمن الاقتباس من علم الفقه قول أبي تمَّام :

إن حَرَامًا قبولُ مَدْحَتنَا وتَركُ ما نرتَجي مِن الصَّفَدِ
مثلُ الدَّنانيرِ بالدَّرَاهِمِ في الصَّرفِ حرامٌ إلاَّ يَدًا بيَدِ

29) في د : « رقيمي » بدل رقيبي، وهو تحريف.

شَرَطْتُ عليهم عند تسليمِ مُهجتي وعند انعقادِ البيعِ قُربًا يُواصلُ
فلمَّا أردتُ الأخْذَ بالشَّرطِ عرَّضوا وقالوا يصحُّ البيعُ والشَّرطُ باطلُ

وقول مالك بن المرحَّل مُوَرِّيا :

مذهبي تقبيلُ خدٍّ مُذهبٍ صاحبي ماذا ترى في مذهبي ؟
لا تُخَالِفْ مالكًا في رأيِهِ فبِه يأخُذُ أهلُ المَغْرِبِ !

وقول ابن العفيف :

قُضاةَ الحُسنِ، ما صُنْعي بطرفٍ تمنَّى مثلَه الرَّشَأُ الرَّبيبُ ؟
رمى فأصاب قلبي باجتهادٍ صَدقتُمْ : كلُّ مُجْتَهِدٍ مُصيبُ !

وقول أبي عبد اللّه الشران، وقد كان عند ابن جماعة إعذار، فدعا أعيان البلد، ولم يدعُ الشران، فكتب إليه الشران :

ماذا أعدَّ المجْدُ من أعْذَارِهِ في تركِ دعْوتِنا إلَى إعْذَارِهِ ؟
إن كان رسمٌ دونَ محضرِنا اكتفى لا بُدَّ أن يبْقَى علَى إعْذارِهِ

ومن الاقتباس من علم النحو قول أبي بكر بن حجة الحموي :

أيا عربَ الوادي المنيعِ حجابُهُ وأعني به قَلبي الَّذي به خيَّموا
رفَعتُم قِبابًا نُصب عينيَّ نحوها تجرُّ ذُيول النُّوقِ والقلب يجزِم
مَنعتُم تحيَّاتِ السَّلامِ لموتِنا غرامًا وقد متْنا فصلُّوا وسلِّموا !

وقول البوصيري :

خَفَضْتَ كلَّ مقامٍ بالاضافة إذ نوديتَ بالرَّفعِ [مِثْلَ] المُفردِ العَلَم

وقول بهاء الدين زهير :

يقولون لي أنت الَّذي طار ذكْرُه فمِن صادرٍ يُثنى عليك وواردِ
هبُوني كما قَد تزعمون أنا الَّذي، فأين صلاتي منكمُ وعوائدي ؟

ومرض شرف الدين بن عنين، فكتب الى الملك المعظَّم بن الملك العادل :

انْظُر اليَّ بعين مولًى لم يزل يُولي النَّدى وتَلاف قبلَ تَلافِ
أنا كالَّذي يحتاجُ ما يحتاجُهُ فاغْنَم دُعائي والثَّناءَ الوافِي

فلمَّا بلغه البيتان، نهض الى زيارته، واستصحب ألف دينار . فلمَّا دخل عليه وعاينه قال له : أنت كالذي هو موصول، يحتاج الى صلة وعائد، فهذه الصلة، وأنا العائد.

وقول السليماني :

وإنّي الّذي أقْصَيْتَـهُ وهَجَرْتَـهُ فَهلْ صِلَةٌ أو عائدٌ منك للّذي ؟

وقولنا من أبيات :

فإن لم يَكُن عن ذاك فعلي مُعربًا تغنّيتُ بالماضي من الحالِ والأمر[30]

وقولنا من أخرى :

قُصِرَ الهناءُ أسًى لغير ضرورةٍ لولا نواكُم، والهوى ممدُودُ

ومن أظرف ما وقع في ذلك قول ابن جابر يخاطب معزولا عن ولاية :

فَلا تغْضَبَنّ إذا مَا صُرِفْتَ فَلا عَدلَ فيكَ ولا مَعْرِفَهْ ![31]

ومن الاقتباس من علم الحديث قول ابن جابر :

نَقَلَ المسواكُ فيما قَد رَوى أنّ ذاك الرِّيقَ مسكٌ وعَسَلْ

قُلت : عَن من ؟ قال : عن مبسمِها قُلت : هذا خَبَرٌ صحّ وجلّ

مُذْ تبدّى جوهَرُ الثّغْرِ لَنا صحّ في الحُسنِ لدينَا ما نَقَلْ

وقولنا في هذا المعنى :

نَقَلَ النّسيمُ عن الأراكِ مُحدّثًا عن ثَغْرِ سَلمى الأشْنَبِ الوضّاحِ

وحديثُه المرويُّ أنّ رضَابَهُ عَسَلٌ ومسكٌ شُوِّبا بالرّاحِ

يفْترُّ عن عِقدَين من بَردٍ صَفا ولآلىءٍ منضودةٍ وأقَاحِ

صدقا أحاديث الصّحِيحَين اعتَلَت عَن ريبَةٍ تُعزَى لَها من لاَحِ

ومن الاقتباس من علم أصول الفقه قول ابن جابر :

جِئتُها طالبًا لسالِفِ وعْدٍ فأجابَت : لقد جَهِلتَ الطّريقَهْ

إنّما مَوعِدي مجازٌ فَقُلت : الأصلُ في سائِرِ الكَلاَمِ الحَقِيقَهْ

وقوله أيضا :

لا تَعجبُوا من عُمومِ الحُبِّ في رشإٍ كلُّ الجمالِ له في النّاسِ مَخْصُوص

بَدرٌ ولكن الى الغزلانِ مُنتسبٌ قَد نصّ ذلكَ جيدٌ منهُ منصُوصُ !

وقول آخر :

30) في ب : تغنيت بالماضي من الفعل والأمر.
31) اسقطت « ما » في بعض النسخ.

كيف لي بالسُّلوِّ عَنها وقَلبي قَد هَوى حلْمُه بمَهْوَى الخِرصِ ؟
ما تعاصيتُ ظاهر الصَّبر إلاَّ ردَّني جيدهـــا بأوضَح نصِّ

وقول أبي بكر بن حجة، رحمه اللّه تعالى، وهو في الفنَّين معًا :

بوادي حَماةِ الشَّامِ عن أيمَنِ الشَّطِّ وحقِّك تُطوى شقَّةُ الهمِّ بالبَسطِ
بلادٌ إذا ما ذُقتُ كَوثَرَ مائِهَا أهِيم كأنِّي قد ثَملْتُ بإسفَنْط
فَمن يجتهِد في أنَّ بالأرض بُقْعَةً تُماثِلُها قل : أنت مُجتهدٌ مُخطي
[وصوِّب حديثَيْ مائِها وهَوائِها فإنَّ أحاديث الصَّحيحَين ما تُخطي][32]

ومن الاقتباس من علم الكلام قول ابن جابر :

عَرَضُ الحُبِّ دونَ جَوهَرِ ذاكَ الثَّغر من أكْبَرِ المُحال بجود :
أجْمَع النَّاظِرون في ذاك أن لاَ عَرضٌ دونَ جوهرٍ في الوجودِ

وقولنا من أبيات :

فالجِسْمُ بالٍ ذو وبالٍ بَعدكُم أبدًا به عَرضُ الشُّحوبِ جديدُ

وفي هذا البيت الجناس بين بَالٍ وبَالٍ، والاقتباس في الجسم والعرض، ومراعاة النظير بذلك الاعتبار، والطِّباق بين البلى والجدَّة.

ومن الاقتباس من علم المنطق قول ابن جابر :

مقدِّماتُ الرَّقيبِ كيف غَدَتْ عند لِقاءِ الحَبيبِ مُتَّصِلَهْ
تَمنَعُنا الجَمعَ والخُلُوَّ معًا وإنَّما ذاكَ حُكْمُ مُنفَصِلَهْ[33]

وقول ابن الخطيب :

حتَّى إذا فَرضَ الجِلادُ جدالَهُ ورأيتَ ريحَ النَّصر ذاتَ هبوب[34]
قدَّمتَ سالبةَ العدوِّ وبعدها أخرى بعزِّ النَّصر ذاتُ وجوب
وإذا توسَّط حدُّ سيفِك عندها جُزئيْ قياسك فُزتَ بالمطلوب[35]

وقول الآخـــر :

يا دَمعَ أجفاني اطَّرِدْ يا حرَّ أضلاعي اتَّقِد يا قَرحَ أكبادي انتك

32) سقط هذا البيت الأخير من جـ.
33) صُحِّفت كلمة « منفصلة » في ب، فكتبت « متصلة ».
34) في جـ : حتى إذا فرض الجلاد جلاده.
35) صُحِّفت كلمة « جزئي » في ب : « جزمي »، وفي جـ : « جرمي ».

ويقل اتلاف النفـــوس تَـلهُّفًـــا لفواتِ حظٍّ منك لم يُستَدرَكِ
أمَلي يشُكُّ وعفوكُمْ مُتواطىءٌ فأصار من مُتــواطىءِ لمشَــكِّك
مالي سواكَ لمَن أمُدُّ يَد الرَّجا مُستمسكًا يا ملجأَ المُستمسِك ![36]

ومن الاقتباس من علم العروض قول الآخر :

له جيشُ نصرٍ قد نَضَى السَّعد دونه صوارمَ روعٍ لا تَقِيهَا القَوانِسُ
إذا ما قوافي الخَيلِ فيه تَداركَت فأبْشِر بنَصْر بحْرُهُ مُتكاوسُ !

وقولنا من قصيدة :

سَلامٌ طويلُ الحبِّ فيكُم مديده فَليس بذي نهكٍ وليس بذي شَطر

وقولنا أيضا في التغزّل :

يا شادنًــا يصيــد آساد غيلْ بقَوسِ صُدغَينِ وسهْمِ كَحِيلْ
بمَ استَبَحتَ دميَ الحرِمَ في قَتلي وحرَّمتَ وصالي الحَليل ؟[37]
[واختَرتَ قَطعَ سَبَبي من ودّا دِكَ وذا لا يَرتضِيهِ الخَليلْ]

وفي الخليل التورية، وفي الأبيات أنواع أخرى من البديع ظاهرة.

ومن الاقتباس من علم الهيئة قول الغزالي :

يا حُسن ليلتِنا التّتي قَد زَارنا فيها فأنجَزَ ما مَضَى من وعده !
قوَّمتُ شمسَ جماله فوجَدتُهـا في عَقْربِ الصُّدغِ الّذي في خدّه

وقوله أيضا :

حلّت عقارب صُدغِهِ من خَدّه قَمَرًا يجِلُّ به عن التَّشْبِيهِ
ولَقد عَهدنَاهُ يحُلُّ بِبُرجِها ومن العجائِبِ كيفَ حلّت فيه !

ومن الاقتباس من علم الهندسة قول ابن جابر :

مُحيطٌ بأشكال الملاحَةِ حُسْنُه كأنَّ به أُقليدِسًـــا يتحـــدَّثُ[38]
فَعارِضُهُ خَطٌّ اسْتِواءٍ وخَالُه به نُقْطَةٌ والشَّكلُ شَكْلٌ مُثلّثُ

ومن الاقتباس من علم الخطّ قول ابن جابر أيضا :

---

36) في ج : متمسكا يا ملجأ المتمسك.
37) في ج وحرمت وصال الخليل . وهي وإن صحت ورنّا ومعنى فإنها تفوّت على الناظم الطباق بين الحرام والحلال.
38) في ج : محيط بشكل...، وهو لا يستقيم وزنًا.

فوقَ خدَّيه للعـــذَار طَريـــقٌ قد بَدا تحْتَه بَياضٌ وحُمْرَهْ
قِيل ماذا ؟ فقُلت : أشكالُ حسنٍ تقتضي أن أبِيعَ قلبي بنَظْرَهْ

واعلم أنَّ معظم ما أنشدنا، لك أن تجعله من باب الايهام تورية أو توجيها لا من [باب] الاقتباس، والخطب سهل.

وممَّا جمع ثلاثة فنون ممَّا مرَّ قول بعضهم :

دارَستُ قلبي الصَّبْرَ أعْتَدُّه عن عاصمٍ لي منكَ أو نافِعِ
فلم يكُنْ يرفَعُ ما حلَّ بِي ورُبَّ فِعْلٍ ليسَ بِالرَّافِعِ
ضلَّ بيَ المَذهَبُ يَامَالِكِي فَهَل لذاكَ الوجْهِ من شَافِعِ ؟

ومثل هذا قول الآخر :

مَنْ شَافعٌ لي عند مالِك مُهجتي ؟ مالي سِوى حُبِّي وليسَ بِنافِعي
فَمن المُحقَّقِ أنَّ مَذهبَ مالكٍ لا تَستقيمُ لديْهِ حُجَّةُ شافِعي

وهذا الباب أكثر من أن يأتي عليه الحصر.

وقال ابن العربي، وقد وقف عليه مليح وهو في المجلس فهزَّ رمحا بيده، ارتجالا :

يهزُّ عليَّ الرُّمح ظبْيٌ مُهفْهفٌ لعُوبٌ بألباب البريَّةِ عابثُ
فَلو كان رُمحًا واحدًا لاتَّقَيتُه ولكنَّه رُمحٌ وثانٍ وثالثُ !

وهذا غاية قي قوَّة العارضة انسجاما وحسن سبك وصحَّة معنى، مع الارتجال وصعوبة القافية . وقد وقع إشكال لجماعة من الأدباء في الشعر وما أريد فيه، وذلك من حيث لم يعتد استعمال الرماح في العيون ؛ وإلاَّ فهو بيّن واضح.

وقلت أنا :

لا يُلهينَّك من فتًى سِربَالُهُ وبَهاءُ مَنظره ورونَقُ نفثِهِ
أو تقتحِمْهُ من رثَاثَةِ زيِّهِ فتجُولُ في إطرائهِ أو مَغْثِهِ
حتَّى تبيَّنَ قَدْرَهُ عن فَرِّه ولُجينَهُ ولَجينَهُ عن بَحْثِهِ
وتَميزَ عن طول الزَّمان هشيمَهُ من غضِّه وسَمينَهُ من غثِّهِ
ونَفَاذهُ غَرَضَ النَّوائِب إن دجَت من طَيشِهِ ووفاءه من مَلثِهِ
ومقامَ ما استودعتَه من كامِن الأسرارِ في كِتْمَانِهِ أو نثِّهِ

وتَرى إذا ما شِمتَ بارقَ وعْدِهِ أن قَد مُطِرتَ بوبْلِهِ أو دثّه
وتـرى جلـيَّة قوله إمَّـا روى نبأً لدى تهْذيبه أو مقْتِهِ
وتَرى بمِرجاسِ البصيرةِ غَورَهُ في ودِّهِ للأصْدقاءِ ودِعْـتِهِ
فهُناكَ إن أحْمَدتَهُ فلتصفه وُدًّا وإلاَّ فَلْتَحِد عَن وعْتِهِ[39]
فلربَّ ذي ورمٍ يَروقُ رُواؤُهُ حُسنًا وسوف تمُجُّه في دأثِهِ
ولرُبَّ مرعًى مونقٍ في دمنةٍ وإذا شَمِمْتَ صَددتَ عنهُ لخُبثِهِ
ولرُبَّ حِسْيٍ تَرتَوي من عَذْبِهِ عَفْوًا وتُكْدي أو تشُوبُ بنبثِهِ
ومُهَنَّدٍ ذكَرٍ حُسامٍ باترٍ خلق الجفير من الحَوادِث رثّه
أزرَت به مَرآتُه وإذا انتُضِي أرضاك مَشْهَدهُ ومَرأى جثّهِ
هَذا وإنَّ المَرءَ لَيسَ بحاصِدٍ أبدًا سِوى ما قَد أتى من حَرثِهِ
ولَسَوفَ يجْني كلَّ ما هُو غارسٌ في دهرِهِ من كَرمِهِ أو رمثِهِ
ويَرى مَغبَّة سَعْيِهِ مَذخُورةً لمآبِهِ من رَمْثِهِ أو عَيثِهِ

النَّفْثُ : المراد به الكلام . والاطراءُ : المبالغة في المدح ؛ والمَغْثُ ضدّه ؛ والتُلجَيْنُ ـ مصغَّرًا : الفضَّة ؛ والتَّلجِيَنُ ـ مثل أمِير ـ : زَبَدُ أفْواهِ الابِل، وما سقط من الورق عند الخبط . وأُطلق التُّلجَيْنُ والتَّلجِينُ على محمود الأخلاق ومذمومها، كما يقولون : إنَّ فلانا لا يفرّق بين لُجَيْنِ الكلام ولَجِينِه، أي بين جَيّده ورَديئه ؟ والنَّفَاذُ والطَّيْشُ أصلهما في السهام، وذكرهما مع ذكر الغرض في النوائب استعارة، وفي الغرض ـ مع ذلك ـ توجيه . والمَلْثُ : الوعد بلا نيَّة الوفاء . والدَّثُّ : المطر الضعيف . والمِرجَاسُ : حجر يُرمى في البئر ليعلم به عمقها، وفيه أقوال أخرى . وأحْمَدْتَ الرجل : وجَدْتَه مَحْمُودًا ؛ وكذا أذمَمْتَه : فان قلتَه بلا همزة كان بمعنى الثَّناء، والمناسب هنا الأوَّل . والدَّأْثُ، بفتح الدال المهملة وسكون الهمزة : الأكل، والحِسْيُ : بئر غير غارقة يستنقع فيها الماء وينبع منها ؛ وأكْدَى الحافر : بلغ كُدْيَة في حفره . والرِّمْثُ، بكسر الراء : شجرة معروفة من أشجار البادية، وليس لها من الثمرة ما للكرم وهو شجر العنب، فكُنِّي بالكرم والرِّمْث عن السعي الذي يُجدى نفعًا والذي لا نَفْع فيه، كغارس

39) في هامش كل من ب و د : « وإن تذمم فحد » فيصير الشطر الثاني هكذا : « ودًّا وإن تذمم فحد عن وعثه » . ويظهر أن هذا التعديل الممكن هو للمؤلف نفسه.

الرِّمْث المذكور . والرَّمْثُ، بفتح الراء : الاصلاح، وضدّه العَيْث وهو الافساد.

وقول الآخـــر :

لَيلُ البَراغيثِ داءٌ لا دَواءَ لَهُ ... لا بَارَكَ اللّهُ في لَيلِ البَراغيثِ !

كأنَّهنَّ بِجسمي إذ عَلقْنَ بِهِ ... أيدي الشُّهودِ على مال المَواريثِ

وقال ابن شرف في معناه :

لَك منزلٌ كَمُلَت سِتَارتُهُ ... لَّلهْو لَكن تَحتَ ذَاكَ حديثُ

غنَّى الذُّبابُ وظلَّ يَزْهُو حَولَه ... فيه البَعُوضُ ويرقُص البُرغُوثُ

ومثله قول الآخـــر :

ليلُ البَراغِـــيثِ والبَعُـــوضِ ... لَيْلٌ طَـويلٌ بِلاَ غُمُـوضِ

فَذَاكَ يَنْزُو بِغَيْرِ رقْصٍ ... وذَا يُـغَنِّي بِلاَ عَـرُوضِ

وقول أعرابيّ بات بمصر فآذاه البرغوث :

تَطاولَ بالفُسطَاطِ لَيلي ولَم يَكُن ... بأرضِ الغَضَا لَيلِي علَيَّ يَطولُ

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... وليسَ لبُرغوثٍ عليَّ سَبيلُ ؟

وقول الكتاني ملغزا فيه :

ومَعشرٍ يَستحلُّ النَّاس قَتلهُم ... كما استحلُّوا دمَ الحجَّاجِ فيالحرم[40]

إذا سَفَكتُ دمًا منهم فما سَفَكَت ... يَداي من دمِهِ المسْفوكِ غَير دمِي

وقول ابن سكرة في مليح يُعرف بابن بُرغوث :

بُليتُ ولا أقُولُ بِمن لأنِّي ... متى [ما] قُلت مَن هُوَ يَعشَقُوهُ

حَبيبٌ قَد نَفَى عنِّي رُقَادِي ... فإن غمَّضتُ أيْقظَني أبُـوهُ

وقال البستي :

لا درَّ درُّ نَـوَازِلِ الأحْـدَاثِ ... نَقَلَتْ أحبَّتَنَا إلى الأجْدَاثِ

فَغَدتْ مآنِسُنَا وهُنَّ مَقَابِرٌ ... وغَدَتْ مَدَائِحُنَا وهُنَّ مَرَاثِ

وفي هذا القدر من الباب كفاية . واللّه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

---

40) في ج : «الحجّاج» بدل «الحمام»

بَـابُ الجِـيـمِ

أجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ.

الجُبْنُ : الخَوَرُ وهَيْبَةُ الاقدام على الأمور . يقال : جَبُنَ، بالضمّ، يَجْبُنُ، جُبْنًا، بالضمّ [وبضمَّتَين]، وجَبَانَةً، بالفتح، فهو جَبَان - بوزن سَحَاب - ، وجَبَّان كشَدَّاد، وجَبِين كأمِير، والجمع جُبَنَاء . وهي جَبَان وجَبَانَة وجَبِين . والصَّافِرُ : المصوِّت، يقال : صَفَرَ، يَصْفِرُ، صَفِيرًا إذا صَوَّتَ، فهو صَافِر وصَفَّار . قال :

خَلاَلَكِ الجوُّ فَبيضِي واصْفِرِي

ويقال الصَّافِر للْخَشَاش والبُغاث من الطير، [وهو ما لا يصيد منها . واختُلف في المراد من الصَّافِر في هذا المثل، فقيل أُريد كلّ صَافِر من الطير][1] ولا يكون الصفير إلاّ في ضِعافها وخشاشها، ويوصف بالجُبن لكثرة ما يتَّقي من جوارح الجوّ ومصائد الأرض . وقيل : الصَّافِر طائر بعينه، إذ أمسى تعلَّق بالشجرة برجليه، ونكس رأسه خوفا من أن ينام فيؤخذ، فيبيت منكوسا، ولا يزال يصيح حتَّى يصبح . وقيل : الصَّافِر هنا بمعنى **المصفور به، وهو الذي يُنْذَرُ بالصفير فيفزَع ويهرب، كما قالوا : ما بالدَّار صَافِرٌ - أي** مَصْفُورٌ بِهِ - قال الشاعر :

خَلَتِ الدِّيار فَمَا بِهَا مِمَّنْ عَهِدْتُ بِهِنَّ صَافِر

وعليه يكون فاعلا بمعنى مفعول، كما في دَافِقٍ - أي مَدفُوقٍ -، ورَاحِلَةٍ - أي مَرحُولَةٍ -، وذلك في المثال المذكور. والبيت محتمل غير متعيّن . وقيل : الصَّافِر هو الذي يصفر للمرأة بالريبة، وهو موصوف بالجُبْن ساعتئذ لوجَله وحَذَره أن يُطَّلَع عليه. قال الكُمَيْت :

---

1) ما بين معقوفتين ساقط من ج .

أرجو لَكُم أن تَكونوا في مَودَّتِكُم كلبا كورهاء تقلى كلُّ صفَّار
لمَّا أجابتْ صَفيرًا كان آتِيَهَا من قَابسٍ شيَّط الوجْعاء بالنَّار

وهذه المرأة التي ذكرها الكميت وضرب بها المثل امرأة من العرب كان من حديثها أنَّ رجلا كان يعتادها، فكان يأتيها وهي جالسة مع زوجها وبنيها، فيصفر لها، فإذا سمعت صفيره أخرجت إليه عجيزتَها من وراء البيت، وهي تحدث ولدها، فيقضي منها وطَرَه ويرجع . ثمَّ إنَّ بعض بنيها فطِن للأمر، فلمَّا جاء صاحبها وصفر بها فأخرجت عجيزتها على العادة، فأخذ **مسمارًا مُحْمىً كان معه، فكوى به صدغها حتَّى أحسَّتْ بالموت وتجلَّدت . فلمَّا** جاء الخِدْنُ بعد ذلك وصفر بها قالت : لَقَدْ قلَيْنا صفيركم ! فضرب بها الكميت المثل.

أجْبَنُ مِنَ الكَرَوانِ.

الجُبْنُ تقدَّم . والكَرَوانُ، بفتحتَيْن، طائر يشبه البطَّ لا ينام اللَّيل . وقيل هو الحجل . وأنشد الجوهري :

يَاكَرَوانًا صُكَّ فَاكْبَأنَّا فَشَنَّ بِالسَّلْحِ فَلَمَّا شَنَّا
بَلَّ الذُّنَابَى عَبَسًا مُبِنَّا[2]

وقال : أراد به الحُبَارى يصكُّه البازي فيتَّقيه بِسَلْحِه ؛ ويقال هو الكركي . ويقال للأنثى كَروانَة . ويقال للذكر الكَرا، ومنه المثل الآتي : أطْرِقْ كَرا . ويقال إنَّه سمِّي بالكرا - وهو النعاس - ضدّ ما كان عليه لِما مرَّ من أنَّه لا ينام، وهو أيضا موصوف بالجبن الكثير والفزع من سباع الطير، كما قال الشاعر في خالد بن صفوان :

تَرى خُطَبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ ارتِجالِه كأنَّهُمُ الكِروانُ عَايَنَ أجْدَلاَ

والكِرْوَان، بالكسر فالسكون، جمع الكَروان السابق . وقال الآخر :

أميرٌ أبُو مُوسَى تَرى النَّاسَ حولَه كأنَّهُمُ الكِروانُ أبْصَرْنَ بَازِيَا

وسيأتي الكلام على قولهم : أطْرِقْ كَرا، إن شاء الله تعالى.

أجْبَنُ مِنَ المَنْزُوفِ ضَرْطًا.

الجُبْن مرَّ ؛ والنَّزْفُ : النَّزحُ . يقال نَزَفْتُ ماءَ العين أنْزِفُهُ، أي نَزَحْتُهُ

2) صُحِّفت الكلمتان الأخيرتان في ب فكتبتا : عابسا مبلنا.

كُلَّه، ونَزِفَتِ البئرُ، فهي مَنْزُوفَة . ويقال : نَزِفَتْ عَبْرَةُ الرجل، بكسر الزاي، إذا فَنِيَتْ، وأنْزَفَها الشَّوْقُ . ويقال : نُزِفَ فلان دمه ـ بالبناء للمجهول ـ إذا سال عليه سَيَلانًا مُفْرطا، ونزفه الدم، فهو منزوف فيهما . والضَّرْطُ، بالفتح، والضُّرَاطُ، بالضمّ، صوت الريح . يقال : ضَرِطَ، بالكسر، ضُراطًا وضَرْطًا، فهو ضَرِّاط، كشدّاد، وضَرُوط، كصبور، وضِرَّوْط، كسِنَّوْر . واختُلف في المنْزُوفِ ضَرْطًا، فقيل إنَّ نسوة كُنَّ لم يكن لهنَّ أزواج، [فزوّجْنَ إحداهنَّ] رجلا، فكان ينام الصُّبْحَة، فإذا أتَيْنَه بالصَّبُوح ونبَّهْنَه قال : لو نبَّهْتُنَّني لِعادية ـ أي الخيل ـ فلمَّا أكثر من ذلك قُلْنَ بينهنَّ : إنَّ صاحبنا لَشُجاع، فتعالَيْن ! فأتَيْنَه بالصَّبُوح على العادة، فقال : لو لِعادية نبَّهْتُنَّنِي، كما كان يقول . فقلن له : هذه نواصي الخيل ! فجعل يقول : الخيل ! الخيل ! ويضرط حتَّى مات . وقيل إنَّ المَنْزُوفَ ضَرْطًا دابَّة بالبادية، إذا صِيحَ لها وقع عليها الضُّرَاط، فلا تزال تضرط حتَّى تموت . وقيل إنَّه رجل خرج مع رفيق له . فبينما هما في فلاة، إذ لاحت لهما شجرة، فقال : أرى قومًا رصدونا . فقال رفيقه : إنَّما هي عُشَرَة ـ أي شجرة ـ. والعُشَر، بضمّ العين وفتح الشين، شجر يُحشى في المخاد، وهو أجود ما يُقتدح به . فظنَّه يقول عَشَرَة، بالفتح . فجعل يقول : وما غناء اثنين عن عَشَرَةٍ، ويضرط حتَّى مات.

أجْبَنُ مِنْ نَعَامَةٍ.

الجُبْنُ مرَّ ؛ والنَّعَامَة : واحدة النَّعَام، وهو معروف، اسم جنس، مثل حَمَام وحَمَامَة، وجَرَاد وجَرادة ؛ والذَّكَر منه يقال له ظَلِيم" . والنَّعَام يوصف بالجُبْن كثيرا . ويقال إنَّ النَّعَامة، إذا خافت من موضع لا ترجع إليه أبدا . وقال الشاعر في الحَجَّاج :

أسد" عليَّ وفي الحُروبِ نَعَامَة" فَتْخاءُ تَنفرُ مِن صَفير الصَّافِرِ
هَلاَّ بَرزتَ الى غَزالَةَ في الوغَى ؟ بَل كان قَلبُك في جَناحَي طائر !

وللشعر قصَّة تذكر بعد، إن شاء اللّه تعالى.

الجَحْشَ لَمَّا بَذَّكَ الأعْيَارُ !

الجَحْشُ ولد الحمار، أهليًّا كان أو وَحْشيًّا، والأنثى جَحْشَة، والجمع جِحَاش . قال زهير يصف حمار وحش :

وقَد خرَّمَ الطُّرَّادُ عنه جِحاشَه فلم يبقَ إلاَّ نفْسُهُ وحَلائِلُهْ

والبَذُّ، بالذال المعجمة، : الغَلَبة . يقال بَذَّكَ هذا الأمر، أي غَلَبَك . قال علقمة يصف بقرة وحشيَّة :

تَعَفَّقُ بالأرطَى لَها وأرَادَها رجالٌ فبذَّت نَبْلَهُم وكَلِيبُ

والأعيَارُ جمع عَيْر، بفتح العين، وهو الحمار، أهليًّا كان أو وحشيًّا . قال امرؤ القيس في الوحشيّ :

كأنِّي وردفي والقِرابَ ونُمْرُقي على ظَهر عيرٍ واردُ الخَبَرَاتِ

وقال الآخر في الأهليّ :

ولا يُقيمُ على ضيمٍ يراد به إلاَّ الأذلاَّنِ عيرُ الحيِّ والوتِدُ

ويجمع أيضا على مَعْيُوراء .

ومعنى المثل أنَّه إذا غلبتك الأعيار ولم تدركها فعليك بالجِحَاش . وذلك أنَّ الصائد إذا أثار طريدة من الوحش، فإنَّ الكبار القويَّة منها تسبق، وتتأخَّر الصغار . فإذا أعجزته الكبار السوابق، فمن حقّه أن يظفر بالصغار ولا يفرّط فيها . فيُضرب في الرجل يطلب الأمر العظيم الخطير فيفوته، فيقال له : اطلب ما دون ذلك امالا، ولا ترجع خائبا، كما قيل :

إذا حَاجةٌ ولَّتْكَ لا تَسْتَطيعُها فخُذ طَرفًا من غيرها حِين تُسبَق

ولفظ الجَحْش في المثل يكون منصوبا على الاغراء، أي : عَلَيْكَ الجَحْشَ ! ويجوز أن يُرفع على الابتداء أو الخبر، أي : الجَحْشُ حَسْبُكَ، أو حَسْبُكَ الجَحْشُ.

جَدُّكَ كَدُّكَ .

الجَدُّ، بالفتح، : الرِّزقُ والحظّ . ورجل مَجْدُودٌ : ذُو حظّ . والكَدُّ، بالفتح، : الشِّدَّة والالْحَاحُ . ومعنى المثل أنَّك إنَّما تعيش وتنال المنى بمالك من الحظوة والبخت، لا بتعبك وكدّك، فإنَّ الكدَّ لا ينفع مع الحرمان، كما قيل :

عِش بجَدٍّ ولا يَضُرَّنْك نَوكٌ إنَّما عَيْشُ من تَرى بالجُدُودِ

وكما قلت أنا :

كَم لَبيبٍ ذي نجدةٍ مات هُزْلاً وغبِيٍّ يحتفُّه ألْفُ هَانِ !

وتقدَّم هذا المعنى مستوفى، وسيأتي أيضا.

قيل : وأوَّل من قال هذا المثل حاتم بن عميرة الهمداني . وكان بعث ابنيه : الحِسْل وعاجِيَة في تجارة لوجهتَيْن مُختلفتَيْن . فذهب الحسل حتَّى لقيه قوم من بني أسد، فأسروه وأخذوا ماله . وسار أخوه أيَّاما حتَّى وقع على مال الحسل، فاتبعه حتَّى بلغ نجران، فنادى في قومه همدان، فأخذه من أيدي سالبيه قبل أن يبلغ الى موضع متجره . وكانت الابل موسومة بسمة أبيهما، وعرفوا أنَّ ما كان عليها من المتاع له، فأخذه ورجع الى أهله . وقال في ذلك :

كفاني اللَّهُ بُعدَ السَّير أنِّي رأيتُ الخيرَ في السَّفر القريبِ

هذا القُرب نلنا فيه خيرًا ولَم نَلقَ الخَسَارةَ في الذُّؤوبِ

فلمَّا رجع، تباشر به أهله، وانتظروا الحسل . فلمَّا أبطأ عنهم بعث أبوه أخًا له يقال له شاكر في طلبه والبحث عنه . فلمَّا دنا شاكر من الأرض التي فيها الحسل ـ وكان الحِسْل عائفًا يزجر الطير ـ، فقال الحسل :

تُبشِّرني بِالنَّجَاةِ القَطَاةُ وقَولُ الغُرَابِ لَهَا شاهِدُ

تَقُولُ : ألاَ قَد دَنَا نَارِحٌ فِداءٌ له الطَّارفُ التَّالِدُ

أخٌ لم تَكُن أمُّنَا أمَّهُ ولَكِنْ أبُونَا أبٌ واحِدُ

تَداركَني زُلْفَةً حَاتِمٌ فَنِعْمَ المُربِّبُ والوَالِدُ

تَدَاركَنِي بِكَ يَا شَاكِرٌ ومَنَّ بِكَ المَلِكُ المَاجِدُ

فسأل عنه شاكر حتى أعلم بمكانه، فاشتراه منهم بأربعين بازلاً . فلمَّا رجع به، وأخبر بما لقي من البلاء، قال أبوه : اسْعَ بِجَدِّكَ، لاَ بِكَدِّكَ ! وهذا مثل قولهم : عَارِكْ بِجَدٍّ أوْدَعْ ! وسيأتي :

جَدَعَ مَازِنٌ أنْفَهُ بِكَفِّهِ .

يأتي هذا في الكاف، وهو هناك ألبق.

أجْرَأُ مِن خَاصِي خِصَافٍ .

الجُرأةُ ـ على وزن الجرعة ـ الشجاعة والاقدام . تقول : جَرُؤَ، بالضمّ، جُرأةً وجَراءَةً، فهو جَريءٌ . وجرّأتُهُ على الأمر تَجْرئَةً، فاجْتَرَأ عليه . وتقول : خَصَيْتُ الفحل أخْصِيهِ خِصَاءً، بالكسر والمدّ، إذا سللت خُصيَيْهِ، فهو خَصِيٌّ . وخِصَاف ـ على وزن كِتاب أو وزن قَطَام ـ: اسم فرس كان لِحَمَل بن بدربن عَوْف بن بكر بن وائل، طلبه منه المنذر بن امرىء القيس ليستفحله، فخصاه بين يديه لجرأته ومنعه منه، فسُمّي خاصي خصاف، وقيل : أجْرَأُ مِن خَاصِي خَصَافٍ .

أجْرَأُ من خَاصِي الأسَدِ .

الأسَدُ معروف . وخَاصِي الأسَد تزعم العرب أنّه رجل مرَّ به الأسد، فوجده يحرث بثورَيْن بادنَيْن، فقال له : يا حرّاث، ما أسْمنَ ثورَيْك ! فَبِمَ أسمنتَهما وما أطعمتهما؟ فقال له الحرّاث : إنّي خصيتهما فسمنا لأجل ذلك . قال الأسد : فهل لك أن تخصيني عسى أن أسمن سمنهما ؟ فقال له : نعم ! وأمكنه الأسد من نفسه، فخصاه الحرّاث. وزعموا أنّه مرَّ عنه الأسد ودمه يسيل، حتّى رقى ربوة فأقْعى فيها حزينا ينظُرُ إلى الحرّاث . فبينما هو كذلك إذا بثعلب قد مرَّ به، قال له : مالي أراك حزينا يا أبا الحارث؟ فذكر له ما فعل به الحرّاث، وما دهمه من ألم الخصاء . فقال له الثعلب : هل لك في أن آتي الحرّاث وأستدبره[3]، عسى أن تمكنني منه فرصة فَأثَّئِر لك ؟ قال : نعم ! فداك أبي وأمّي . فمضى الثعلب وجعل يراوغ الحرّاث ويطيف به . فتناول الحرّاث حجرا وقذفه به فدقّ فخده . فأتى الأسد وهو على ثلاث [قوائم، فأقْعى معه على الرابية يشكوان بَثَّهُمَا وما دهيا به من ذلك الحرّاث][4] حتّى مرّت بهما نُغَرَةٌ فقالت لهما : ما لكما على هذه الحال ؟ فأخبراها خبرهما، فقالت لهما : أنا آتيه، فأستدبره حتّى أدخل في أنفه . فجاءت إليه، وتغافل الحراث عنها حتى إذا دنت منه قبض عليها وأخذ عودا فدسه في استها وأرسلها، فجاءت إلى الأسد والثعلب وهي في شرّ من حالهما، قد سدّ العود دبرها

---

3) في ب : وأستديره.
4) سقط ما بين معقوفتين من ج.

ومنعها وأثقلها عن الطيران . فبينما الثلاثة جلوس على الربوة يتشاكون، جاءت امرأة الحرّاث بغذائه . فتقدّم إليها، ورفع رجليها، وجعل يطؤها، وهي بمرأى من تلك الحيوانات . فقال الأسد : ما ترون هذا المشؤوم يفعل بهذه المرأة المسكينة ؟ والله إنّي لأظنّه يخصيها . فقال الثعلب : ما أظنه إلاّ يكسر فخذها . فقالت النغرة : لا والله ! بل يدخل في استها عودا . فكانت النُّغَرة أقربهنّ إلى الصدق ظنًّا . [وقيل إنّ خاصي الأسد هو الأصبع التي يفرس بها من براثينه . حكاه البكري عن قاسم بن ثابت، والله أعلم.][5]

أجْرَأُ مِن فَارِسِ خَصَافِ.

خَصَاف، بفتح الخاء ـ على مثال قَطَام ـ، وهي فرس كانت لملك بن عمرو الغسّاني. [وخِصَاف ـ بوزن كِتَاب : حصان كان لشهير بن ربيعة الباهلي][6]

جَرِّبْ، ثمَّ بَاعِدْ أو قَرِّبْ .

هذا مثل مصنوع فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى . ومثله قول الشاعر :

أبْلِ الرِّجالَ إذا أردتَ إخاءهُم وتَوسَّمنَّ فعالهُم وتَفَقَّدِ
فإذا ظَفرتَ بِذِي اللَّبابةِ والعُلى فبِهِ اليدين قريرَ عينٍ فاشْدُدِ

يَجْرِي بُلَيْقٌ ويُذَمُّ .

الجَرِيَان : العَدْوُ، وهو معروف ؛ وبُلَيْقُ مصغَّر اسم فرس كان سبّاقا، وكان مع ذلك يُذمّ، فضرب به المثل في المُحسن يُذمّ.

جَرْيَ المُذكِّي حَسَرَتْ عَنْهُ الحُمُرُ.

الجَرِيُ تقدّم ؛ والمُذَكِّي من الخيل المُسنُّ . يقال : ذَكَّى الفرسُ، تَذكِيَةً بذال معجمة ـ إذا أسَنَّ . والمَذَاكِي من الخيل : التي أتى على قُروحها سنة أو سنتان . والحُمُر جمع حِمَار[7]. والمعنى أنّ الحمار لا يستطيع أن يسابق القَارِح من الخيل، [بل]

---

5 ـ 6) سقط ما بين معقوفتين أيضًا من ج .
7) نسي المؤلف شرح « حسرت » وهي بمعنى أعيت وعجزت.

والبِرذَوْن، كما قال زهير يمدح هرم بن سنان :

يَطعَنُهم ما ارتَمَوْا حتّى إذا اطّعنُوا ضَاربَ حتّى [إذا] ما ضاربوا اعتنقا

فضل الجياد على الخيل البطاء فلا يعطي بذلك ممنوقا ولا نزقا

يضرب هذا المثل في الرجل البارع المبرِّز على غيره في الفضل .

جَرْيُ المُذَكِّيَاتِ غِلاَبٌ .

المثل من معنى ما قبله . والجَرْيُ تقدّم ؛ وكذا المُذكّياتُ من الخيل . والغِلاَبُ : المُغَالَبَة، كأنّها تغالب الجري . ويروى غِلاَء، أي مُغَالاَة في السير . والغِلاَء، بكسر الغين أيضا، جمع غَلْوَة، وقد رُوي المثل بذلك . والغَلْوَةُ من كلّ غاية مقدار رمية السهم . وهذا المثل قاله قيس بن زهير، وذلك أنّه لمّا تراهن ـ هو وحَمَل بن بدر ـ على ما مرّ في هذه القصّة، فأرسلا فرسَيْهما : فرس قيس وهو داحس، وفرس حَمَل وهو الغبراء، على ما في ذلك من الاضطراب، ظهرت الغبراء على داحس . فقال حمل بن بدر : سبقتك يا قيس ! فقال قيس : رُوَيْدًا ! يَعْدُوَانِ الجَدَ، فأرسلها مثلا . فلمّا خرجا عن الجَدَ وصارا في الوعث، برز داحس على الغبراء . فقال قيس حينئذ : جَرْيُ المُذكّيَاتِ غِلابٌ ـ أو غِلاءٌ ـ كما مرّ، فذهبت مثلا .

جُرُّوا لَهُ الخَطِيرَ مَا انْجَرَّ لَكُمْ !

الجَرُّ : السَّحْبُ على الأرض مثلا . وجَرَرْت الفرس بمقوده، والجمل بزمامه، فانْجَرَّ ؛ والخَطِيرُ، بالخاء المعجمة والطاء المهملة ـ على مثال أمير ـ زمام الناقة وجَدِيلها . يُسمّى بذلك لأنّه يَخْطِر أي يهتزّ عند مشيها . وبذلك سُميّ الرمح خَطّارًا . والجَديل ما كان من جلود، وقد يقال لغيره . والحَبْلُ إذا كان من خوص سُميّ شريطا، وإذا كان من كتان سُميّ مَرسًا، كما قال امرؤ القيس :

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقت في مَصامِها بأمْراسِ كتّانٍ الى صُمِّ جَنْدلِ

وإذا كان من ليف فهو مَسَدٌ . وهذا المثل يُروى عن عمّار بن ياسر، رضي اللّهُ عنه، أنّه قاله في عثمان، رضي اللّه عنه، حين أنكر عليه الناس ما أنكروا، أي اتّبِعوه ما كان فيه

موضعُ متّبع.

أجْرِ الأمُورَ عَلَى أذْلاَلِهَا !

الأمُورُ جمع أمْر ؛ والأذْلالَ، بالذال المعجمة، جمع ذِلٍّ، بالكسرز وذِلُّ الطَّرِيقِ : مَحَجَّتُه . والمعنى : أجْرِ الأمُور على مَجَارِيها ومسالِكها . يُضرب في الأمر بحسن التدبير ويُقال أيضا : أمُورُ اللّهِ جَارِيةٌ أذْلالها، وعلى أذلالها، أي على مجاريها. ويُقال : دَعْهُ على أذْلالِه، أي حالِه ؛ وجاء على أذلالِه، أي على وجهه.

التَّجْرِيدُ لِغَيْرِ نِكَاحٍ مُثْلَةٌ .

التَّجْرِيدُ معروف . تقول : جَرَّدتُ زيداً من ثيابه، وتَجرَّدَ هو من ثيابه ؛ وكذا النِّكَاح . والمُثْلَةُ : النَّقْصُ والعَيْبُ والشَّيْن . والمعنى أنَّ تجريد العَوْرة لغير النكاح عيب . يُضرب في وضع الأشياء في غير موضعها .

وذكروا أنَّ المثل لِرَقَاشِ بنت عمرو بن ثعلب بن وائل، وكانت شريفة عاقلة . فتزوَّجها كعب بن مالك بن تَيْم اللّه، فقال لها : اخلعي درعَك ! فقالت : خَلْعُ الدرع بيد الزوج . فقال : اخلعي درعك لأنظر إليك ! فقالت : يا ابن عمّ، إنَّ التَّجْرِيدَ لِغَيْرِ نِكَاحٍ مُثْلَةٌ ! فأرسلتها مثلا . فطلّقها مكانها، فحُمِلت[8] إلى أهلها، فمرَّت بِذُهْل ابن شَيْبان[9] بن ثعلبة، فسلَّم عليها وخطبها الى نفسها، فقالت لخادمها : انظري أيبعثر أمْ يُقْعِر إذا بال ؟ فنظرت الأمة فقالت لمولاتها : يُقعر . فتزوَّجته .

ويُحكى أيضا أنَّ عثمان بن عفّان، رضي اللّه عنه، لمَّا تزوَّج نَائِلَةَ بنتَ الفُرافِصَة بن الأحوص الكلبيَّة، وساقها إليه أخوها، فأُدخلت عليه، وخلابها قال لها : تقومين إليَّ أمْ أقوم إليك ؟ قالت : ما قطعت إليك عرض السَّماوة وأنا أحبّ أن تقطع إليَّ عرض البساط . فقامت إليه وجلست إليه، فقال لها : لا يسوءنّك ما تَرَيْنَ من شيبي، فإنَّ وراءه ما تحبّين . قالت : إنّي لمن نسوة أحَبُّ رجالِهِنَّ السيّدُ الكهل . إلى أن قال لها : ضعي الخِمَار ! فوضعته . فقال لها : اخلعي الدرع ! فخلعته . فقال لها : اخلعي الازار !

---

8) في ب : فتحملت.
9) في ج : ذبيان بن شيبان، وهو تحريف.

قالت : ذلك إليك ! فلمّا دُخل على عثمان، رضي اللّه عنه، يوم الدار، أكبّت عليه وجعلت تنافح بيدها حتّى أصيبت بجراحات . فلمّا قُتل، رحمه اللّه، رثته فقالت :

ألا إنّ خَير النّاس بَعد ثلاثةٍ قتيلُ التُجيبيِّ الذي جاء من مصْرِ
ومالِيَ لا أبكي وتبكي قَرابتي وقد حُجِبت عنّا فضولُ أبي عَمْرِ ؟

ويُروى هذا الشعر أيضا للوليد بن عقبة، وللكميت . والتُجِيبي هو كنانة ابن بشر قاتل عثمان، رضي اللّه عنه . وهو منسوب الى تُجِيب، بضمّ التاء وفتحها، بطن من كندة . فمّا انقضت عدّتها خطبها معاوية، فقالت لنسائها : ما يعجب الرجال منّي ؟ قلن لها : ثناياك . فعمدت الى فِهْرٍ فدقّت به ثنيّتَيها وبعثت بهما الى معاوية، فكفّ . ولم تزل مُحِدّا بعد قتل عثمان حتّى لحقت به .

أجْرَى مِنْ ذُبَابٍ .

الجَريانُ مرّ، والذُبَابُ معروف، الواحدة ذُبَابَة، وجمع القلّة أذبّة . قال الشاعر :

ضَرّابةٌ بالمِشفَرِ الأذِبّة

وجمع الكثرة ذبّان، بالكسر ـ كغِرْبَان ـ قال امرؤ القيس :

عَصَافيرٌ وذبّانٌ ودُودٌ وأجْرَأُ مِن مُجَلّحَةِ الذّئابِ

ولا يخفى ماله من الجريان، وسرعة الدوران، وخفّة الطيَران.

جَزَاهُ جَزَاءَ سِنِمّار.

الجَزَاءُ : المُكَافَأةُ . تقول : جَزَيْتُ فلانا، أجْزِيهِ، جَزَاءً ؛ وجَازَيْتُهُ مُجَازَاةً. وسِنِمّارُ، بكسر السين المهملة والنون، وشدّ الميم بعدها ألف فراء : اسم رجل، وهو إسكاف كان النعمان الأكبر، لمّا أراد أن يبني الخَوَرْنَق لِسَابُور، ليكون ولده فيها معه، اتخذ هذا الاسكاف، فبناها له وأحسن رصفها، وأبدع وصفها[10]، وأكملها في عشرين حولا . فلمّا أتمّ بناءها، وأعجب الناس بحسنها، قال الاسكاف : إنّي لو شئت جعلت القصر يدور مع الشمس حيثما دارت . فقال الملك : إنّك لتحسن أن تبني أجمل منه ؟ فطرحه من أعلاه . فضُرب به المثل لمَن يجزي الاحسان بالاساءة . قال الشاعر :

10) في ب حرف « وصفها » فكتب « وصفاها » . وفي جـ كتب خطأ : « وأحسن وصفها » مكررا مع « وأبدع وصفها ».

جَـزانِـي جزاه اللّه شرَّ جزائِـهِ جزاءَ سِنمَّارٍ وما كان ذَا ذَنْبِ
سِوى رصْفِـهِ البُنيانَ عشرين حِجَّةً يُـعلُّ عليه بالقرامد والسَّكبِ
فلمَّا انتهى البُنيان يومَ تمامِه وآضَ كمثل الطَّود والباذخِ الصَّعب
رمى بسنمَّارٍ على حقِّ رأسِهِ وذاك لعَمرُ اللّه من أعظَمِ الذَّنب !(11)

وقال الآخـــر :

جَزى بَـنوه أبا الغِيلان عن كبرٍ وحُسن فعلٍ كما يُجْزَى سنِمَّارُ

وقيل إنَّ سنمَّار هو غلام لأحَيحَة بَـنَـى أُطُمًا فلمَّا فرغ قال : أحكمتَـه ! فقال : إنِّي لأعرف حجَرًا لو نُزِع لتقوَّض من آخره . فسأله عن الحجر، فأراه إيَّاه، فدفعه أُحَيْحَةُ من الأطُم فخرَّ ميتا . وفي **النوادر** أنَّه إنسان عمل أُطُما لبعض الملوك، فقال له : إن نُزِع هذا الحجر تَداعى البناء كلّه . فرُمي من فوقه لئلاَّ يعلم به أحد غيره وأنشد :

جَزاء سنمَّارٍ بما كان يَفْعلُ

تَجَشَّى لُقَيْمٌ من غَير شِبَعٍ .

التَّجَشِّي : تَنَفُّسُ المَعِدة، ويكون عند الشبع . ولقيم اسم رجل ؛ والشِّبَعُ - بوزن عِنَب - معروف . والمثل ظاهر المعنى، يُضرب في التشبّع بما لم يعط . وهو كقولهم : عَاطٍ بِغَيْرِ نَوْطٍ(11م)، وقولهم : **كالحَادي ولَيس لَه بَعِيرٌ** ؛ وسيأتيان .

أجْلَسْتُهُ عِنْدِي فَأتَّكَأ.

الجلوس معروف، وكذا الاتِّكَاء . وهذا المثل يُضرب في عادة السوء يعتادها صاحبها . وهو كقولهم : **أعْطَى العَبْدَ كِراعًا فَطَلَبَ ذِراعًا.**

جَلَّى مُحِبًّا نَظَرُهُ .

التَّجْلِيَةُ : الابْداءُ والاظْهارُ ؛ والمُحبُّ خلاف المُبغِض ؛ والنَّظَر البَصَر . والمعنى أنَّ نظر الانسان يُظهر ما انطوى عليه من محبَّة أو بُغْض . ومثله قولهم : **شاهد**

11) في ج :وذاك لعمري...، وهو لا يستقيم وزنًا.

البغض اللحظ ؛ وقولهم : رُبَّ لَحْظٍ أتَمُّ من لَفْظٍ . وقول الشاعر :

فإنْ تكُ في عدوٍّ أو صديقٍ تُخبِّرْك العيونُ عن القلوبِ

وقول الآخر :

خُذْ من العَيشِ ما كَفَى ومن الدَّهْرِ ما صَفَا
عينُ مَنْ لاَ يُريدُ وصْلَكَ تُبْدِي لَكَ الجَفَا

وقول الآخر :

تُخفي العَداوةَ وهْي غَيرُ خفيَّةٍ نظرُ العدوِّ بما أسرَّ يبوحُ

وقالوا : يُعبِّرُ عن الانسان اللِّسان، وعَن المودَّة والبغْضِ العيَانُ[12]

جَمَعَ بَينَ الأرْوَى والنَّعَامِ .

الجمع ضدّ التفريق ؛ وتقدَّم تفسير كلّ من الأروى والنعام في هذا الكتاب . وهذا المثل يُضرب في الجمع بين أمرَيْنِ متنافيَيْن، والتأليف بين شيئَيْن متخالفَيْن . يقال : تَكَلَّمَ زَيْدٌ فَجَمَعَ بين الأروى والنَّعَام، وذلك لأن الأروَى مسكنُها قنن الجبال، كما قال امرؤ القيس :

تُلاعبُ أولادَ الوعُولِ رباعُها دُويْن السَّماء في رؤوس المجادلِ

والنَّعَامُ مسكنها السهل من الأرض، فلا يجتمعان ؛ وكذا الأروَى والبقر.

وسئل أعرابيّ عن صفة مطر فقال : استقلَّ سُدٌّ مع انتشار الطَّفَل فشَصَا واحْزألّ ؛ ثمَّ اكفهرَّت أرجاؤه، واحْمَوْمَتْ أرحاؤُه، وابذعرت فوارقه، وتضاحكت بَوارقُه، واستطار وادِقُه، وارتَتَقَتْ حُؤَبُه، وارتَعَن هَيْدَبُه، وحَشَكَتْ أخْلافُه، واستقلَّت أردافُه، وانتشرت أكنافه ؛ فالرعد مُرْتَجِس، والبرق مُخْتَلِس، والماء مُنْبَجِس ؛ فأتْرَعَ الغُدُر، وانْتَبَث الوجُر، وخلط الأوعال بالآجال، وقرن الصيران بالرئال : فالأودية هدير، والشِّراجُ خرير، والتِّلاعُ زَفير ؛ وحط التَّبْعَ والعُتْم، من القُلل الشُّمّ، الى القِيعان الصُّحْم . فلم يبق في القُلل إلاّ مُعْصِمٌ مُجْرَنْثِم، أو داحص مُجَرجِم، وذلك من فضل ربّ العالمين، على عباده المذنبين !

---

12) حرف « البغض » في ج فكتب : « النقص ».

قوله استقل سُدّ : السُّدّ، بضمّ السين : السَّحاب المظلم ؛ وكذا الجراد، لأنّه يسدّ الأفق . واستقل : ارتَفَع ؛ والطَّفَل، بفتحتَيْن، العَشِيّ الى المغرب ؛ وشَصَا ارتفع، يقال : شصا الزقّ إذا امتلأ فارتفعت قوائمه ؛ واحْزَألّ : ارتفع أيضا، وهو بالحاء المهملة والزاي ؛ واكفهرّت تراكمت ؛ أرجاؤه : نَواحِيه، واحمومت : اسودّتْ ؛ أرحاؤه : جمع رحَى، وهي الوسط. وابذعرت، بذال معجمة : تفرّقت ؛ فوارقه : جمع فارق، وهي القطعة من السحاب الخارجة عن معظمه. والفارق في الأصل : الناقة تندّعن الابل عند نتاجها. واستطار : انتشر ؛ وادِقه : الوادق الذي كثر ماؤه، أو الذي دنا من الأرض. وارتتقت: التأمت ؛ حؤبه : فرجه. وارتعن : استرخى ؛ هيْدبُه : ما تدلّى منه الى الأرض، كهُدب القطيفة . وحَشَكَت : امتلأت ؛ أخلافُه : ضروعه، جمع خلف، وهو ما يقبض عليه الحالب من ضرع الناقة والبقرة . واستقلت : ارتفعت ؛ أردافه : مآخره . وهذه كلّها استعارات. وأكنافه : نواحيه . ومُرتجِس : مُصَوِّت، ومُخْتلِس : كأنّه لشدّة لمعانه يختلس الأبصار، ومُنْبَجِس : مُنْفَجِر،وأترع : ملأ، والغُدرُ، بضمّتَيْن، جمع غدير؛والوُجُر، بضمّتَيْن، جمع وِجَار، وهو الجُحْرُ يلجه الثعلب والضبع، وانْتَبَثَها، بالثاء المثلثة، أخرج نباتها، وأصل النبيثة تراب البئر ؛ والأوعال جمع وعْل، وهو التيس الجبليّ، والآجال جمع إِجْلٍ، بكسر فسكون، وهو القطيع من بقر الوحش. يقول : إنّ هذا المطر لشدّته جمع بين الأوعال التي مساكنها قُنن الجبال، وبين البقر التي مساكنها القيعان . والصِّيرانُ جمع صِوار، وهو القطيع من بقر الوحش، والرِّئَال : فِراخ النعام، جمع رألٍ، بفتح فسكون، وهي تسكن الجلد من الأرض، والصيران تسكن الرمال والقيعان، فجمع بينهما أيضا لشدّته، والهدير : الصوت ؛ والشِّراج مجاري الماء من الحِرار، واحدها شَرْج، والتلاع : الشعاب التي يجري بها الماء من الجبال، واحدها تَلْعة، بفتح فسكون، والنبع شجر تتّخذ منه القِسِيّ ؛ والعُتُم، بعين مهملة وتاء مثناة ـ على مثال جُرُف : الزيتون الجبليّ ؛ والقلل أعالي الجبال ؛ والشمّ المرتفعة ؛ والقيعان جمع قاع، وهو الأرض المطمئنّة ؛ والصُّحْم : التي تعلوها حمرة، جمع أصْحَم ؛ والمُعْصِم : الذي استمسك بالجبال وتمنّع فيها من الأوعال . يقال : فارس مُعصِم إذا أخذ بعرف فرسه، والمُجرَنْثِم : المنقبِض، والداحصُ الذي يفحص برجلَيْه عند الموت . قال علقمة :

رغَا فَوقَهم سَقبُ السَّماء فداحصٌ بشِكَّتِهِ لم يُستَلَب وسَليبُ

والمجرجم المصدوع.

جَمَعَ بَينَ الضَّبِّ والنُّونِ.

الضَّبُّ حيوان معروف، جمعه ضِباب وأضُبٌّ، وكنيته أبو حِسْل، والحِسْل ولَدُه، كما سيأتي، والنُّونُ : الحوت، وجمعه نِينَان . وهذا المثل كالذي قبله في المعنى، لأنَّ الضبَّ حيوان بَرِّيٌّ، لا يرد الماء ويلازم الصحراء، وأكثر ما يكون في الكُدى، كما قال خالد ابن علقمة :

تَرَى الشَّرَّ قَد أفْنَى دوائِرِ وجهه كَضَبِّ الكُدى أفْنى براثِينَه الحفْر

وقال الآخر :

فللَّه أرضٌ يعلَمُ الضبُّ أنَّها بعيدٌ من الآفاتِ طيِّبة البَقْل

بنى بيتَه فيها على رأس كُدية وكلُّ امرىءٍ في حرفة العيش ذو عقل

ومن عجيب أمره أنَّه يعيش سبعمائة سنة ولا تسقط له سِنٌّ، وهو لا يشرب الماء . ويقال إنَّه يبول في كلِّ أربعين يوما مرَّة . ومن كلام العرب : لا أفْعَل ذلكَ حتَّى يَردَ الضَّبُّ، كما يقولون : حتَّى يَشيبَ الغُرابُ . ومن الكلام الموضوع على ألسنة العجماوات، قالت السمكة : رِدْ ياضبُّ ! فقال :

أصْبَحَ قَلْبِي صَرِدا لاَ يَشْتَهِي أنْ يَرِدا

والنُّونُ حيوان بحريٌّ لا يفارق الماء أبدا، فلا يجتمعان . قال الصابىء :

الضَّبُّ والنُّون قد يُرجى اجتماعهما وليس يُرجى اجتِماعُ المال والأدب[13]

وقال الآخر :

ولو أنَّهم جاؤوا بشيءٍ مُقاربٍ لقُلت : هو الشَّكل الموافق للشَّكل

ولكنَّهم جاؤوا بحيتان لُجَّةٍ تُقامس والمَدعوَّ فينا أبا الحِسل[14]

ولِمَا بين الضبِّ والنُّون من التنافي والتقابل، قال حاتم الأصمّ أو غيره :

---

13) في ج : « والولد » بدل «والأدب ».

14) في ج : أبو الحسل .

وكيف أخافُ الفَقرِ واللّهُ رازقي ورازق هذا الخَلقِ في العُسر واليُسر ؟
تكفّل بالأرزاق للخلقِ كُلّهِم وللضّبِّ في البيْدا وللحوتِ في البحر

ولوضوح ذلك يقال، عند التجهيل، : فُلانٌ لا يُفرّقُ بين الضّبِّ والنُّون.

أجْمَلُ مِنَ المُذهِبِ.

الجَمَالُ : الحُسْن ؛ جَمُلَ الشخص، بالضمّ، يجمُل، فهو جميل، والمُذهِبُ هو ابن عَدنَان، كان فائقًا في الجمال والبهاء . فضربت العربُ بجماله المثل.

الجَمَلُ مِنْ جَوفِهِ يَجْتَرُّ.

الجَمَل، بفتحتَيْن من الابل معروف، والجِرّة، بكسر الجيم وتُفتح، ما يخرجه البعير من جوفه، فيأكله ثانية . ويقال : اجْتَرَّ الجمل فَعَل ذلك، يجترُّ اجترارا . وهذا المثل يُضرب لمن يأكل من كسبه، أو ينتفع بشيء يعود منه الضرر .

تَجَنَّبَ روْضَةً وأحَالَ يَعْدُو.

التَّجنّبُ معروف، والاحَالَةُ هنا الاقْبَال . يقال : أحَال عليه بالسوط، أي أقبل عليه. قال الشاعر :

وكُنتَ كذئْب السُّوء لمّا رأى دمًا بصَاحبِه يومًا أحَالَ على الدَّمِ

ومعناه : تجنّب الخصب واختار الضيق . يُضرب في الرجل تعرض عليه الكرامة فيختار الهوان.

أجَنُّ مِنْ دُقَّةَ .

الجُنُون معروف . يُقال : جُنَّ الرجل، بالبناء للمفعول، فهو مجنون، وأجَنُّ من كذا، بَنَوْه من فِعْل المفعول شذوذًا، كما قالوا : أشْغَلُ من ذات النحيين، وأزْهَى من ديك، وسيأتيان، ودُقَّة، بضمّ الدال المهملة وتشديد القاف، اسم [رجل]، وهو دُقَّة بن عبابة، يُضرب بجنونه المثل.

أجْوَدُ مِنْ لاَفِظَة .

الجُودُ معروف، ضِدّ البُخْل . ويُقال أيضا : **أسْمَحُ مِنْ لاَفِظَةَ** ؛ والسَّمَاح هو الجود . واختُلف في اللاَّفِظَة، فقيل : البَحْر لأنَّها تلفظ بالدُّرَّة الجليلة التي لا قيمة لها، والهاء للمبالغة . قال الشاعر :

يَدَاكَ يَدٌ خَيرهَا يُرْتَجَى وأُخْرى لأعْدَائِهَا غَائِظَهْ
فَأمَّا الَّتي خَيرُهَا يُرْتَجَى فَأجْوَدُ جُودًا من اللاَّفِظَهْ
وأمَّا الَّتي شَرُّهَا يُتَّقَى فَنَفْسُ العَدوِّ بِهَا فَائِظَهْ

وقال الآخر :

تجودُ فتجْزلُ قَبل السُّؤالِ وكفُّكَ اسْمَحُ من لافِظَهْ

وقيل : اللاَّفِظَةُ الرَّحَى، لأنَّها تلفِظ ما تطحنه ولا تبقي . وقيل إنَّها العَنْز، وجُودها أنَّها تُدعى الى الحلب، وهي تعتلف، فتلقي ما في فيها . وتقبل إلى الحالب . وقيل إنَّها الحمامة، لأنَّها تُخرج ما في بطنها لفرخها . وقيل هي الديكُ، لأنَّه يأخذ الحبَّة بمنقاره، فلا يأكلها، ولكن يلقيها الى الدجاجة، إلاَّ المُسنَّ منها، فإنَّه لاستغنائه عن الدَّجاج يأكل الحبَّ دونها ويمنعها منه .

الجَوادُ يَكْبُو .

الجَوادُ هو الكريم من الخيل، يجود بما في طاقته من الجري . والكَبْوُ : العِثَار . يُقال : كَبَا، يَكْبُو، كَبْوًا وكُبُوًّا . ويُقال في هذا المثل أيضا : **لِكُلِّ جَوادٍ كَبْوَةٌ**، وهو أنَّ الكامل لا ينبغي أن يُذمَّ إذا وقعت منه هَفْوة، كقولهم في المثل الآخر: **لا تَعْدِمُ الحَسْنَاءُ ذَامًّا** . وسيأتي جميع ذلك . وقال أبو بكر بن دُرَيْد رحمه الله تعالى :

والطِّرف يجتازُ المَدَى ورُبَّمَا عنَّ لمَعْدَاهُ عِثَارٌ فكَبَا

وقلت أنا :

وكريمُ الجيادِ يكْبو، ومَا في كبْوةٍ للجوادِ من نُقْصانِ

أجْناؤُها أبْناؤُها .

الأجْناءُ جمع جَانٍ . يُقال : جَنَى فلانٌ على فلانٍ، يجْنِي عليه، فهو جَانٍ، وهُم جُنَّاء[15] وأجْناء . وهذا الثاني نادر، إذْ لا يُجمع فاعلٌ على أفْعال، والأبناء جمع بَانٍ، وهو نادر . والمعنى أنَّ الذين جنوا على هذه الدار ـ مثلاً بالهدم ـ هم الذين كانوا بنوها . ومضرب المثل من هذا واضح . قال الجوهري : وأنا أظنّ أنَّ أصل المثل : جُنَاتُهَا بُنَاتُهَا، لأنَّ فَاعِلا لا يجمع على أفْعَال ؛ أمَّا الأشْهاد والأصْحاب، فإنَّما هو جمع شَهْد وصَحْب، إلاَّ أن يكون هذا من النوادر، لأنَّه يجيء في الأمثال مالا يجيء في غيرها . انتهى . وهو ظاهر .

يُجْنَى مِنَ الشَّوكِ الثَّمَرُ.

تقدَّم تفسير هذه الألفاظ في الباب الأوَّل . والمعنى أنَّك إذا ظلمتَ فَاحْذر الانتصار والانتقام !

تَجُوعُ الحُرَّةُ ولا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا .

الجُوعُ ضدّ الشبَع . والحُرَّة ضدّ الأمَة، والأكل معروف ؛ وكذا الثدي وجمعه ثُدِيّ . قال الشاعر :

أبَتِ الرَّوادِفُ والثُّدِيُّ لقُمصها مسَّ البطونِ وأن تَمَسَّ ظُهورَها[16]

ويحكى أنَّ النبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم سئل : أيكون المؤمن كذَّابا ؟ فقال : تَجُوع الحُرَّة ولا تأكُل بثَدْيَيها . ومعناه أنَّ الحُرَّة قد يصيبها ألم الجوع وشدَّة الاضطرار، ولا تؤاجر نفسها على الارضاع [لتأكل أجرة رضاعها]، فتلزم نفسها الاصطبار صونًا لنفسها عن الهوان والابتذال . فيُضرب في الحرّ يصون نفسه عن قبيح المكاسب، ولا تمنعه شدَّة فقره وحاجته أن يلزم صيانته ويحفظ مروءته.

وأصل المثل للحارث الأزدي ـ أو الأسدي ـ وكان خطب الى علقمة بن حفص الطائي بنته

---

15) في بعض النسخ جُنَّاء، وفي بعضها جُنَاة، وكلاهما صحيح.
16) في ب : ظهورا.

ريَّا بنت علقمه، وكان الحارث شيخا . فقال علقمة لامرأته : اختبري ما عند ابنتك ! فقالت لابنتها : أي بنيَّة، أيّ الرجال أحبّ إليك : الكهل الجحجاح، الواصل المياح، أم الفتى الوضّاح، الذهول الطمّاح ؟ قالت : بل الفتى . قالت : إنّ الفتى يغريك، وإنّ الشيخ يمريك . قالت : يا أمّتاه، إنّ الفتاة تحب الفتى كحبّ الرعاء أأنف الكلا . قالت : يا بنيَّة، إنّ الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب . قالت : يا أمّتاه، أخاف من الشيخ أن يدنس ثيابي، ويبلي شبابي، ويشمت بي أترابي ! فلم تزل بها أمّها حتى غلبتها على رأيها، فتزوّجها الحارث وارتحل بها الى أهله . فبينما هو ذات يوم بفنائه، وهي الى جنبه، إذ أقبل شباب من بني أسد . فتنفّست الصعداء ثمّ بكت . فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : مالي وللشيوخ، الناهضين كالفُروخ، من كلّ حَوقَل فَنِيخ ؟ فقال : ثكلتك أمّك ! تَجُوعُ الحُرَّةُ ولا تأكُلُ بثَدييْهَا . ثمّ قال : وأبيك ! لربّ غارة شهدتها، وسبيئة أرفدتها، وخمرة شربتها، فالحقي بأهلك، فلا حاجة لي فيك !

وقال أبو عبيد في هذا المثل إنّه من أمثال أكثم بن صَيْفِي . قال : وهو مثل قديم، لكن العامّة ابتذلته وحوّلته فقالت : ولا تأكُلُ ثَدْيَيْهَا، يعني بإسقاط حرف الجرّ . قال بعض العلماء : ليس هذا بشيء إنّما بثَدييْهَا، ومعناه عندهم الرضاع . يقول لا تكون ظِئْر القوم على جُعْلٍ تأخذه منهم . انتهى .

وقال بعض الأئمّة : إنّ العرب كانوا يعدّون أخذ الأجر على الرضاع سُبَّة، ولذلك قيل : تَجُوعُ الحَرَّةُ ولا تأكُلُ ثَدييْهَا . وقال العلماء : بِثَدْيَيْهَا . والقولان صحيحان، لأنّها إذا أكلت ثمن لبنها فكأنّها قد أكلت ثدييها . قال الراجز :

إنّ لنا أحْمِرةً عِجافاً يأكُلْنَ كلّ لَيلَةٍ أكَافَا

أي : نبيع كلّ ليلة أكافًا من آكِفَتِها ونعلفها ثمنه . قال : وكذلك قول الآخر في وصف إبل : نُطْعِمُها إذا شَتَتْ أولادَهَا، أي أثمان أولادها . انتهى .

وقال السهيلي في **الروض** : والتماس الأجر على الرضاع لم يكن محمودًا عند أكثر نساء العرب، حتّى جرى المثل : تَجُوعُ الحُرَّةُ ولا تَأكُلُ بِثَدييْهَا . وكان عند بعضهم لا بأس به، فكانت حليمة وسيطة في بني سعد، كريمة من كرائم قومها، بدليل اختيار اللّه إيّاها لرضاع نبيّه صلّى اللّه عليه وسلّم، كما اختار له أشرف البطون والاصلاب . والرضاع كالنسب، لأنه يغيّر الطباع.

وفي المسند عن عائشة ترفعه : لا تَسْتَرْضِعُوا الحَمْقَى، فَإنَّ اللَّبَنَ يُورث ! ويُحتمل أن تكون حليمة وقومها طلبن الرضعاء للأزمة التي أصابتهم، والسنة الشهباء التي أقحمتهم اضطرارا . قال : وأمَّا دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم الى المراضع، فقد يكون ذلك لوجوه : أحدها تفريغ النساء الى الأزواج، كما قال عمَّار بن ياسر لأمّ سلمة - وكان أخاها من الرضاعة - حين انتزع من حجرها زينب بنت أبي سلمة، فقال : دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيت بها رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم ! وقد يكون ذلك منهم أيضا لينشأ الطفل في الأعراب، فيكون أفصح للسانه، وأجلد لجسمه، وأجدر أن لا يفارق الهيئة المَعَديّة، كما قال عمر : تَمَعْدَدُوا وتَمَعْزَزُوا واخْشَوْشِنُوا ! وقد قال عليه الصلاة والسلام لأبي بكر - حين قال له : ما رأيت أفصح منك، يا رسول اللّه - فقال : ومَا يَمْنَعُنِي، وأنَا مِنْ قُرَيْشٍ، وأرضِعْتُ في بَنِي سَعْد ؟ فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء الى الأعرابيات . وقد ذكر أنَّ عبد الملك بن مروان كان يقول: أضرَّ بنا حبّ الوليد ! لأنَّ الوليد كان لحَّانا، وكان سليمان فصيحا، لأنَّ الوليد أقام مع أمّه وسليمان وغيره من إخوته أسكنوا البادية فتعرَّبوا، ثمَّ أُدّبوا فتأدَّبوا . انتهى . وقد قلت في نظم المثل المذكور، من قصيدة :

يَعْرى الفتى ويجوعُ وهْو يُرى ... مُتجمِّلاً بالصَّبرِ والبشْرِ
والحُرَّةُ الشَّمَّاءُ رُبَّتَما ... جاعَتْ ولَم تُرضِعْ على أجْرِ

جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ !

الجُوعُ تقدَّم . وجَوَّعْت فلانا، وأجَعْته : تركته بلا طعام حتَّى جاع ؛ والكلب معروف ؛ وكذا الاتِّبَاع . والمثل ظاهر المعنى . قيل : وأوَّل من قاله ملك من ملوك حِمْيَر كان جبَّارًا عنيفا على أهل مملكته، يغصبهم أموالهم وما في أيديهم . وكانت الكهنة تخبره أنَّهم سيقتلونه وهو لا يبالي بذلك . وسمعت امرأة له أصوات السُّؤَّال فقالت له : إنِّي لأرحم هؤلاء لِمَا يلقون من الجهد، ونحن في العيش الرغد . وإنِّي أخاف أن يكونوا عليك سباعًا، بعد أن كانوا لك أتباعا ! فردَّ عليها : جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ ! فأرسلها مثلا. ثمَّ إنَّه لبث كذلك زمانا، ثمَّ أغزاهم مع أخيه، فغنموا ولم يقسم فيهم شيئا . فقالوا

لأخيه : قد ترى ما نحن فيه من الجهد، ونحن نكره خروج الملك منكم الى غيركم، فساعِدْنَا على قتل أخيك واجلس مكانه ! وعرف أخوه بغيه واعتداءه، فأجابهم الى ذلك، فوثبوا عليه فقتلوه . فيقال إنَّه مرَّ به رجل يقال له عامر بن جذيمة، وهو مقتول، وقد سمع قوله : حَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ ! فقال : ربَّما أكل الكلبُ مُجَوِّعَه، إذا لم ينل شبعَه ! وقال أبو جعفر المنصور يوما لقوّاده : صدق الأعرابي حيث يقول : أجِعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ ! فقال له أبو العبَّاس الطوسي منهم : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوّح له رجل برغيف فيتبعه ويدعك !

أجْوَعُ مِنْ ذِئْبٍ .

الذِّئْبُ معروف، يُهمز ويُخفّف، والأنثى ذِئْبَة . قال الشاعر :

فصِرت كَنَعْجَةٍ تُضحِي وتُمْسي تَردَّد بَين أخْبَثِ ذئْبَتَين

والذئب يوصف بالجوع المفرط، ومن ثمَّ يقال للجوع داء الذئب . يُقال : رَمَاهُ اللَّهُ بِداء الذِّئبِ، أي الجوع . وهو ـ مع ذلك ـ شديد الصبر عليه، وربَّما اكتفى بالنسيم . ويقال إنَّه إذا ألحَّ عليه الجوع عوى، فتجتمع عليه الذئاب، فتحمل على الانسان حملة واحدة، وكلّ منها حريص عليه ؛ إلاَّ أنَّه إذا أُدمِي منها واحدٌ وثبت عليه البواقي وتركت الانسان . ومن ثمَّ قال الشاعر يعاتب صديقًا له أعان عليه في أمر نزل به :

وكُنتَ كذئْب السُّوء لمَّا رأى دمًا بصاحِبه يومًا أحال على الدَّم[17]

وقال العُجَيْر السَّلُولي :

تركْنا أبا الأضيافِ في ليلة الدُّجى بِمَرٍّ ويرْدَى كلّ خصمٍ يُجادلُه[18]

تركنا فتًى قد أيْقن الجوع أنَّه إذا ما ثوى في أرحُل القوم قاتلُهْ

فتًى قُدَّ قَدَّ السيف لا متضائلٌ ولا رهِلٌ لمَّاتُهُ وبَآدلُه[19]

إذا القوم أمُّوا بيته فهو عامدٌ لأحسن ما ظنُّوا به فهو فاعلُهْ

جوادٌ بدنياه بخيلٌ بعِرضِه عطُوفٌ على المَولَى قليلٌ غوائِلُهْ

---

17) هذا البيت مكرر، إذ أورده المؤلف في المثل السابق : تجنب روضة وأحال يعدو.

18) في **الحماسة** : « في ليلة الصَّبا » بدل «ليلة الدجى ».

19) في الحماسة : « لبَّاتُه وأبَاجِلُه » بدل « لماتهُ وبآدله ».

فتًى ليس لابن العمِّ كالذئب إن رأى بصاحبِهِ يومًا دمًا فهْو آكِلُهْ
إذا جدَّ عند الجِدِّ أرضاك جدُّه وذُو باطلٍ إن شِئت أرضاك باطلُهْ
يسُرُّك مظلومًا ويُرضيكَ ظالمًا وكلُّ الَّذي حمَّلْتَه فَهو حاملُهْ

أجْوَعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ .

الكلبة الأنثى من الكلاب معروفة ؛ وحَومَل، بالحاء المهملة، ـ على مثال جَوْهَر ـ امرأة من العرب كانت لها كلبة تجوّعها بالنهار، وهي تحرسها بالليل . فكانت تربطها بالليل للحراسة وتطردها بالنهار، وتقول : التمسي لا ملتمس لك ! حتَّى طال عليها الأمر فأكلت ذنبها جوعًا . قال الشاعر :

كما رضيتْ جوعًا وسوءَ ولايةٍ لكلبتِها في أوَّل الدَّهر حومَلُ

أجْوَعُ مِنْ لَقْوَةٍ .

اللَّقْوَةُ، بفتح اللاَّم : الكلبة . وفيها يقال : أجْوَعُ من لَقْوَةٍ، قاله بعض النَّاس . والمعروف في كتب اللغة أن اللَّقْوَة، باللفتح وتُكسر، المرأة السريعة اللّقاح كالناقة . ومنه المثل الآتي : لَقْوَةٌ صَادقَتْ قَبِيسًا ؛ وكذا العُقاب الأنثى . قال امرؤ القيس :

كأنِّي بفَتْخاءِ الجناحيْنِ لقْوة صيودٍ من العقْبان طأطأتُ شملالي

وقال أبو عُبيدة : سمّيت العُقاب لَقْوَةً لسعة أشداقها . وكأنَّه عنده مأخوذ من اللّقوة، وهو الداء المعروف الذي يصيب في الوجه . يقال لُقِيَ الرجل ـ بالبناء للمفعول ـ، فهو مَلْقُوٌّ .

أجْوَلُ مِنْ قُطْرُبٍ .

يقال : جالَ، جولانًا، فهو جائلٌ وجوَّالٌ ؛ والقُطْرب طائر يبيت سائرًا لا ينام اللَّيل كلَّه . ويقال دُويبة . ويقا إنه دَويْبة لا تستريح نهارها سعيًا . وكان محمد بن المستنير النحوي يبكّر الى مجلس سيبويه، فلا يفتح الباب إلاَّ وجده، فقال له : ما أنت إلاَّ قُطْرب ليل ! فبقي عليه قطرب لقبًا . ويُطلق القطرب أيضا على الذئب الأمعط، وعلى الفأر، وعلى

الـلّص، وعلى ذكـر الغيلان، وغير ذلك من المعاني .

وذكر ابن ظـفـر أنّ القـطـرب حيوان يكون بالصعيد من أرض مصر، يظهر للمنفرد من الناس، فربّما صدّه عن نفسه إن كان شجاعا، وإلاّ، لم يزل به حتّى ينكحه، فإذا نكحه داد دبره فهلك . وهم إذا رأوا من ظهر له قطرب قالوا : امنكوح أم مروّع ؟ فإن قال : منكوح أيسوا منه، وإن قال : مروّع عالجوه، والـلّه أعلم . وسيأتي ذكر نحو هذا الحيوان في قولهم ألـوطُ من عُـذَارٍ، في حرف اللاّم، إن شاء الـلّه تعالى .

الجـار، قـبـلَ الدّار .

رُوِي هذا حديثا عن النبي صلّى الـلّه عليه وسلّم قال : **الجارُ قـبـلَ الدّارِ، والرّفيقُ قـبـلَ الطّريقِ** . ويـروى : **الجارَ والرّفـيقَ**، مـرفـوعـيـنِ، والنصب فيهما حسن، أي : التـمِس الجار قبلَ الدّار، والتـمس الرفيقَ قبل الطريق . وقال أبو تمّام في هذا المعنى :

مَن مُبلغٌ أبـنـاءَ يـعـرُبَ كـلّـهـا أنّـي ابـتـنـيتُ الجار قبل المنزلِ ؟

وقال الآخـر :

يقولون : قبل الدّار جارٌ مُوافقٌ وقبل الطّريق النّهـج أنسُ طريق
فقلتُ : ونـدمانُ الفتى قبلَ كأسِـه فما حثّ كأسَ الخـمرِ مثلُ صديقِ

وقال الآخر في المعنى :

يلومونني أن بِعتُ بالرُّخـصِ منزلي ولم يعلموا جاراً هُناكَ يُـنغّصُ
فقلت لهم : بعـضَ المـلامِ ! فإنّـما بجيرانها تغـلو الدّيارُ وتـرخـصُ

جـاء بالضّـحِ والـرّيـح

المجيء معروف، والضّحِ بكسر الضاد المعجمة بعدها حاء مهملة مشدّدة يطلق على الشمس وما طلعت عليه الشمس . وفي الحديث : لا يـقـعـدَنّ أحـدُكـمْ بـيـنَ الضّحِّ والظّلّ، فإنّـهُ مـقـعـدُ الشّـيـطـانِ . ذكره في الصحاح، وأنشد لذي الرمّة :

غـدا أكـهـبَ الأعلى وراحَ كأنّـهُ من الضّحِّ واستقباله الشّمسَ أخـضرُ

أي استقباله عين الشمس . وقال علقمة : أبـيـضُ أبـرَزَهُ للضّحِّ راقِـبُـه[20]

والريح معروفة . ومعنى جـاءَ بالضّحِّ والرّيحِ : جاء بما طلعت عليه الشمس وما جرت

---

20) هذا شطر بيت أنشده الأصمعي، وشطره الثاني :
مقلّدٌ قُضُبَ الريحان مفغومُ.

عليه الريح . يقال ذلك عندما يجيء بالشيء الكثير . قال في الصحاح : والعامّة تقول : جَاءَ بِالضّيحِ والرّيحِ، يعني الضيح، بالياء المثناة من تحت . قال : وليس بشيء . انتهى . ومثله لصاحب القاموس .

جَاءَ بالحَظِرِ الرَّطْبِ .

الحَظِرُ، بالظاء المشالة ـ على مثال كَتِف ـ الشجر المحتظر به والشوك الرطب . والرَّطْبُ خلاف اليابس، فيقال : جاء فلان بالحَظِرِ الرَّطْبِ، أي بكثرة من المال والناس، وقيل بالكذب المُستَبْشَع . ويقال أيضا : **أوقد فلان في الحظِر الرطب**، إذا نَمّ. **ووقع في الحظر الرطب** إذا وقع فيما لا طاقة له به . وذلك كلّه ظاهر .

جَاءَ بِالطِّمِّ والرِّمِّ .

الطِّمُّ، بكسر الطاء المهملة، قيل الماء، وقيل ما على وجه الماء، وقيل ما ساقه من الغُثاء [ويطلق أيضًا على البحر، وعلى العدد الكثير، وعلى العجب وغير ذلك من المعاني . والرّم بكسر الراء : ما يحمله من الغُثاء[،[21] أو ما على وجه الأرض من فُتات الحشيش . ومعنى جَاءَ بِالطِّمِّ والرِّمِّ : جَاءَ بالمالِ الكَثير . وقيل : بالرَّطْبِ واليَابِسِ، أو بالتُّراب والماء، أو بالبحر والثرى . وقال بعض الناس : الطِّمُّ، بالكسر، إذا كان مع الرِّم ؛ فإذا أُفرد فُتح فقيل : جَاءَ بالطَّمّ مفتوحًا، كما قالوا : هَنَّانِي بالطعام ومَرَّانِي ؛ فإذا أفردوا لم يقولوا إلاّ أمْرأنِي .

جَاءَ بِمَا صَأَى وصَمَتَ .

يقال : صَأَى الفرخُ وغيره، يَصْأى ـ كسَعَى يَسْعَى ـ صَئِيًّا ـ على مثال فَعِيل ـ إذا صوّتَ . قال :

مَالي إذا أنْزِعُها صَأيْتُ ؟ أكِبَرٌ غيَّرني أمْ بَيْتُ ؟

وصَمَتَ، يَصْمُتُ، كَكَتَبَ، يَكْتُبُ، صَمْتًا وصُموتًا، إذا سَكَتَ . فيقال : جَاءَ بِما صَأى وصَمَتَ : إذا جاء بالمال الكثير، أي بالمال الناطق والصامت . والتقدير : جَاءَ بِمَا صَأى وبِمَا صَمَتَ، بحذف الموصول الثاني اختصارا، كقول حسّان رضي الله عنه :

أمنْ يهْجو رسولَ اللَّهِ منكُم ويَمدحُهُ وينْصُرهُ سَواءُ ؟

أي : مَن يهجوه ومن يمدحه، لاستحالة اجتماع الوصفَيْن في موصوف واحد، وكذا الصَّئِيُّ والصَّمت لا يجتمعان . والصَّامِتُ من المال : الذهب والفضَّة، والنَّاطِقُ : الابل مثلا . ومنه قولهم : حَصَلَ النَّاطِقُ والصَّامِتُ، وهَلَكَ الحَاسِدُ والشَّامِتُ . وقد يقال : جَاءَ بِمَا صَاءَ وصَمَتَ . وصَاءَ مقلوب صَأى، كما قالوا : رَاءَ في رَأى . ومنه قولهم في المثل الآخر في العقرب : تَلْدَغُ وتَصِيءُ .

جَاءَ صَرِيمَ سَحْرٍ .

أي خائبا آيسا.[22]

جَاءَ يَضْرِبُ أسْدَرَيْهِ .

ويقال أيضا : جَاءَ يَضْرِبُ أصْدَرَيْهِ - بالصَّاد - وأزْدَرَيْهِ - بالزاي -، والمعنى في الجميع واحد . والأصْدَرَانِ عِرْقَانِ تحت الصُّدْغَيْنِ، وقيل المَنْكِبَان، وقيل العِطْفَانِ، يقال : جَاءَ يَضْرِبُ أصْدَرَيْه، أو أسْدَرَيْهِ، أي يَضْرِبُ عِطْفَيْهِ ومَنْكِبَيْهِ . ومعناه : جاء فارغًا ليس بيدَيْه شيء ولم يقض حاجة . فإذا قضاها قيل: جَاءَ ثَانِيًا من عِنَانِهِ .

ويروى أنَّ الحسن البصري، رضي اللَّه عنه، رأى الناس يوم عيد يضحكون فقال : تلقى أحدكم أبيض بضا، يَمْلَخُ في الباطل مَلْخًا، يَنفضُ مِذْرَوَيْه، ويَضرب أصْدَرَيْه، يقول : ها أناذا فاعرفوني ! قد عرفناك، فمقتك اللَّه ومقتك الصالحون ! ومعنى يَمْلَخُ في الباطل يَلِجُ فيه ؛ وقيل يَتَثَنَّى .

جَاءَ يَفْرِي ويَقُدُّ .

الفَرْيُ : القَطْعُ . تقول : فَرَيْتُ الشيءَ، أفْرِيهِ، فَرْيًا، إذا قَطَعْتَهُ على

---

21) سقط ما بين معقوفتين من ب.

22) الصَّرِيمُ : الصبح والليل أو القطعة منه . والسَّجْرُ : الرِّئة . وأنشدوا في هذا المعنى :

أيَذهبُ ما جَمَعْتُ صَرِيمَ سحْرٍ طليقًا ؟ إنّ ذا لهو العجيب !

ومعنى الطَّلِيف : المَجَّان .

وجه الاصلاح . وأفْرَيْتُه إذا قطعتَه على وجه الافساد . قال زهير :

ولأنْتَ تفْري ما خَلَقْتَ، وبعضُ القَومِ يَخْلُقُ ثمَّ لا يَفْري

أصله أنَّ الرجل يخلق الأديم أي يتهيَّأ لاصلاحه ويقدّره، ثمَّ يفريه أي يقطعه . لذلك يقول : إنَّك إذا تهيَّأت لأمر أنفذتَه وأمْضَيْته، وكثير من الناس يَهُمّ ولا يفعل . وقيل : إنَّ فَرَى، وأفْرَى، وفَرَّى، بمعنى واحد، كلّ ذلك يكون في القطع للاصلاح والافساد وتقول : فريتُ المزادة إذا خلقتَها وصنعتَها . قال الراجز :

شَلَّتْ يَدا فَارِيَةٍ فَرَتْهَا مَسْكَ شَبُوبٍ ثمَّ وفَّرَتْهَا

لَوْ كَانَتِ السَّاقِيَ صَغَّرَتْهَا

والقد : القطع طولاً . يقال : قَدَّ الأديمَ إذا شَقَّهُ طولاً . ومعنى : جاء يفري ويَقُدّ : جاء يعمل عملا مُحْكما . ويقال أيضا : **هو يَفْري ويَقُدُّ** . ويقال : **يَفْري الفَرِيَّ**، بمعناه.

جَاءَ بِأُمِّ الرُّبَيْق، عَلَى أرَيْق .

أمُّ الربيق : الدَّاهِيَةُ ؛ والأرَيْقُ أ صله وُرَيْق ـ بالواو ـ فقُلبت همزة . والوُرَيْق تصغير أوْرَق، تصغير الترخيم، كما يقال في أسْوَد سُوَيْد، وفي أحْمَر حُمَيْر، وفي أدْرَد دُرَيْد . والأوْرَقُ من الابل ما في لونه بياض الى سواد . وقيل : كان أصله أن يقول أُوَيْرِق على أصله، فحُذفت الواو ليزدوج الكلام . ويقال إنَّه من أطيب الابل لحمًا لا حملاً وسيراً . وقيل لابنة الخس : أي الجمال شرّ ؟ فقالت : الأورق . وزعموا أنَّ رجلا رأى غولاً على جمل أوْرَق فقال : جَاءَ بِأُمِّ الرُّبَيْقِ عَلَى أُرَيْقٍ، أي الغول على جمل أورق، فضرب مثلا في جناية عظيم الدواهي[23].

جَاؤُوا مُخِلِّينَ فَلاقَوْا حَمْضًا .

يقال : أخَلَّ الرجل إذا رَعَى إبله في الخُلَّة ـ والخُلَّة، بضمّ الخاء المعجمة : كلّ ما فيه حلاوة من النبات . مقابله الحَمْض، بفتح الحاء المهملة . ويقال : الخُلَّة خبز الابل، والحَمْض فاكهتها أو لحمها . وجَاؤُوا مُخِلِّينَ : جاؤوا وقد أكلت إبلهم الخُلَّة .

23) في ذ : عظام الدواهي.

وهذا المثل يُضرب لكلّ من جاء متهدّدا فصادف ما يقمع تهدّده . وسنزيده بيانا بعد في محلّه من الشعر، إن شاء اللّه تعالى .

جَاؤُوا عَلَى بَكْرَةِ أبِيهِمْ .

البَكْرَة، بالفتح فالسكون : الفَتِيَّة من الابل، والفَتَى منها بَكْر . وكان يقال البَكْر من الابل بمنزلة الفتى من الناس ؛ والبَكْرة بمنزلة الفتاة ؛ والقَلُوص بمنزلة الجارية الشابة ؛ والبعير بمنزلة الانسان ؛ والجمل بمنزلة الرجل ؛ والناقة بمنزلة المرأة . والبَكْرَةُ أيضا بَكْرَة الدَّلْو التي يُستقى عليها . واختلف في معنى هذا المثل فقيل : معنى جَاؤُوا عَلَى بَكْرَة أبِيهِمْ : جَاؤُوا مُجْتَمِعِينَ، لم يتخلَّف منهم أحد . وليس هناك بَكْرة" على الحقيقة . وفي الحديث جَاءَتْ هَوَازِنُ عَلَى بَكْرَةِ أبِيهَا . وقيل هو وصف بالقلّة والذلّة، أي جاؤوا بحيث تكفيهم بَكْرة واحدة يركبون عليها، وذكر الأب احتقار .

وقيل إنّ أصل هذا المثل أنّ قوما قُتلوا فحُملوا على بَكْرة أبيهم، فقيل فيهم ذلك، ثمّ صار مثلا للقوم يجيئون معًا. وقيل إنّ البَكرة هاهنا هي بَكرةُ الدَّلو، والمعنى : جاؤوا بعضهم في إثر بعض، كَدَوران البَكْرة على نسق واحد . وقيل : أُريد بالبكرة الطريقة، أي : جَاؤُوا على طريقة أبِيهم يقتفون أثره.

جَاءَ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ .

النَّفْضُ معروف ؛ والمِذْرَى الخشبة التي يُنقَّى بها الزرع ؛ والمذْرَوَانِ جَانِبَا الرَّأس، وما يقع عليه الوَتَرُ في القَوْس من أعْلى وأسْفَل . قال بعض هُذَيْل :

على كلّ هَتَّافةِ المِذْرَوَيْنِ صَفْرَاءَ مُضْجَعَةٍ فِي الشِّمَالِ

والمِذْرَوَان أيضا طَرَفَا الأليَتَيْن . قال عنترة لعمارة بن زياد :

أحَولِي تَنفُضُ استُكَ مذرويْها ؟ لتقتُلني فَهَا أنَذا عُمارا !

أي : يا عمارة ! ولا واحد للمذْرَوَيْن في شيء من هذه المعاني . وقيل إنّ واحده مِذْرًى . ورُدّ بأنّه لو كان كذلك لقيل في التثنية مِذْرَيَان، بالياء لا بالواو . وهذا بحسب الظهور

والرجحان ؛ وإلاّ فلا مانع من أن يكون هذا من الشّواذّ .

ومعنى جَاءَ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ : جاءَ يَنْفُضُ طَرَفَيْهِ . ويقال ذلك إذا وُصف بالخُيَلاء . وأكثر أهل اللغة يقولون : معناه أنّه جاء متهدّدًا، وهذا المفهوم من قول عنترة السابق ؛ والخُيَلاء هو المفهوم من كلام البصري السابق .

جَاءَ عَلَى غُبَيْرَاءِ الظَّهْرِ .

الغُبَيْرَاءُ تصغير الغَبْرَاء، مَؤنّثَ الأغْبَر . والمراد هنا الأرض ذات الغُبْرَة . والظَّهْرُ خلاف البَطْن . ويقال أيضا : **تَرَكَ فُلانٌ أباهُ على غُبَيْرَاءِ الظَّهْرِ** . ومعناه أنّه لم ينجح سعيه، ولا ظفر بحاجته، بمنزلة الرجل الطالب المرعى، فصادف أرضا مُغْبَرّةَ الظهر مُجْدِبَة، لا كلأ فيها ولا ماء . والتصغير في المثل للتعظيم، كقوله :

وكُلُّ أُناسٍ سوف تدخُلُ بينهُم دُوَيْهِيَةٌ تَصفرُّ منها الأنامِلُ

جَاءَ وقَدْ لَفَظَ لِجَامَهُ .

اللَّفْظُ الرَّمْيُ ؛ واللِّجَامُ معروف . فيقال : جَاءَ فُلانٌ من حَاجَتِهِ وقَد لَفَظ لجَامَهُ، إذا رجع منها وهو مجهود من الأعياء والعطش . ويقال أيضا : جاءَ **وقَدْ دَلَقَ لِجَامهُ** .

جَاءَ وقَدْ قَرَضَ رِبَاطَهُ .

هذا كالذي قبله، قاله أبو عُبَيد . وقال غيره : أكثر ما يقال ذلك في الموت . يقال : فُلانٌ قَدْ **قَرَضَ رِباطَهُ، ولَعَقَ أصْبُعَهُ، وعَطَسَتْ بِهِ اللُّجَمُ، وضَحَا ظِلُّهُ** . كلّ ذلك يقال إذا مات .

جَاؤُوا قَضَّهُمْ بِقَضِيهِمْ .

معناه جَاؤوا جميعًا . يقال بنصب قَضَّهُم على نيّة المصدر أو الحال ؛ وبرفعه .

ويقال أيضا بفتح القاف وكسرها . قال حصين بن الحمام المرّيّ :

وجَاءتْ جِحاشٌ قَضَّها بقَضيضِها وجمعُ عُوَالٍ ما أدقَّ والأمَا[24]

وجِحَاش ـ على مثل كِتَاب ـ أبو حيّ من غَطَفان، وهو جِحَاش بن ثعلبة بن سعد بن ذُبيان بن بغيض بن ريث بن غَطَفان، رهط الشمّاخ . وقال الآخر :

أتَتْني سُليمٌ قضَّها بقَضيضِها تُمسِّحُ حولي بالبَقيع سبَالَها[25]

ويقال أيضا جَاؤُوا قَضَّهُمْ وقَضِيضَهُمْ ـ بالواو ـ وقد قيل : القَضُّ : هو الصغير من الحصان، والقضيض : الكبير منه . والمعنى : جَاؤُوا صَغيرُهُم وكَبِيرهُم . وقيل القَضُّ بمعنى القَاضّ، والقَضِيض بمعنى المَقْضُوض .

وممَّا يلتحق بهذا الباب قولهم في الرجل :

جُحَيْشُ وحْدِهْ، وهو ذمّ ؛ والجُحَيْش تصغير جَحْش، وقد تقدَّم . وقولهم : أجَدَّ فُلانٌ بِهَا أمْرًا ! أي أجَدَّ أمْرُهُ بِهَا، بنصب أمر على التمييز، كما قالوا : قَرِرْتُ بِها عَيْنًا، أي قَرَّتْ بِهَا عَيْني . وقولهم :

أجِدَّكَ تَقُولُ هَذَا ؟

بنصب جِدّ، أي أبِجِدٍّ مِنْكَ ؟ فانتصب على طرح الباء ؛ أو : أتَجِدُّ جِدَّكَ ؟ فانتصب على المصدر . قال الشاعر :

أجِدَّكَ ما لعَينِكَ لا تَنامُ ؟ كأنَّ جُفونَها فيها كِلاَمُ !

وقولهم :

أجَدْتُ مِنْ هَذَا الأمْرِ قُرُوني،

أي تركته . وقولهم :

جَعَلُوا الأرضَ عَلَيْهِ حَيْصَ بَيْصَ، وحَيْصًا بَيْصًا.

أي ضيَّقوا عليه ومنعوه من التصرّف . وقولهم للرجل :

---

24) ينسب البيت أيضاً لأوس بن حجر، ويروى هكذا :
وجاءت جِحاشٌ قَضَّها بقَضيضِها بأكْثَرَ ماكانوا عَديدًا وأو كَعُوا

25) هذا البيت أنشده سيبويه للشماخ.

جَعْدُ القَفَا،

أي لئيم الحسَب .

وجَعْدُ البَنَانِ،

أي بخيل، وقولهم :

جَاءَ بالأمْرِ عَلَى قَنَادِيدِهِ،

أي من وجْهِهِ . وقولهم :

جَاءَ بِذَاتِ الرَّعْدِ والصَّلِيلِ،

أي جاء بالحرب، لأنَّ هديرها يشبه الرَّعْد، وفيها صليل السلاح، كما قال مُهَلْهِل" :

فَلَو لا الرِّيحُ أُسمِعَ مَن بنجْدٍ صَليلَ البيضِ تُقرعُ بالذُكورِ

وقولهم :

جَاءَ بالصُّقَرِ والبُقَرِ

ـ على مثال زُفَر فيهما ـ، وبِالصُّقَارَى والبُقَارَى، بفتح الرَّاء فيهما مع ضمّ الأوَّل، أي بالكَذب الصُّراح، وهو اسم لما لا يُعرف . وقولهم :

جَاءَ بِهِ من حَسِّهِ وبَسِّهِ،

مثلثي الأوَّل، أي من جهده وطاقته . وقولهم :

جَاءَ مُضْطَرِبَ العِنَانِ،

أي منهزمًا منفردًا . وقولهم :

جَاءَ ولَكِنْ لَمْ يَجِيءْ لِعُصْرٍ

ـ بضمّ العين ـ، أي لم يَجِيءْ حِينَ المَجيء.

ومن الأمثال المُحْدثة :

الجَوَابُ مَا تَرَى لاَ مَا تَسْمَعُ !

وأصله أنّ أبا يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، أحد الملوك الموحّدين بمراكش، كان بينه وبين الأدفونش النصراني صاحب طليطلة ـ لعنه الله ـ مكاتبات . فكان منها رسالة كتب بها الأدفونش الى الأمير يعقوب يتوعّده ويتهدّده، ويطلب منه بعض الحصون من إنشاء وزيره ابن النجار، وهي :

« باسمك اللّهمّ فاطر السماوات والأرض، وصلّى اللّه على السيّد المسيح، روح اللّه وكلمته الفصيح . أمّا بعد، فإنّه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب، وعقل لازب، أنّك أمير الملّة الحنيفيّة، كما أنا أمير الملّة النصرانيّة . وقد علمتَ ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل والتكاسل، وإهمالهم أمر الرعيّة، وإخلادهم الى [ ][26] الامنية . وأنا أسومهم بحكم القهر إخلاء الديار وإسباء الذراري وأمثل بالرجال، وأذيقهم عذاب الهون وشديد النكال . ولا عذر لك في التخلّف عن نُصرتهم إذا أمْكَنَتْكَ يدُ القدرة، وساعدك وعسا كرَك وجنودَك رأيٌ وخِبرة . وأنتم تزعمون أنّ اللّه تعالى قد فرض عليكم [قتال][27] عشرة منا بواحد منكم، الآن **خفّف اللّه عنكم وعلمَ أنّ فيكُم ضُعْفًا** رحمةً منه ومَنًّا، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منّا، إذ لا تستطيعون دفاعًا، ولا تملكون امْتِناعًا . وقد حُكي عنك أنّك أخذت في الاحتفال، وأشرفت على ربوة القتال، وتماطل نفسك سنة بعد أخرى، وتقدّم رجلا وتؤخّر أخرى . فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك، أم التكذيب بما وعدك به ربّك الى آخر الرسالة، وفيها طول . فلمّا وصل الكتاب الى أمير المسلمين مزّقه وكتب على قطعة منه : **ارْجِعْ إلَيهِمْ فَلَنَأتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُم بِهَا ولَنُخْرِجَنَّهُمْ أذلَّةً وهُمْ صَاغِرُونَ** . الجَوَابُ مَا تَرَى لاَ مَا تَسْمَعُ ! وتمثّل ببيت أبي الطيّب في مدح سيف الدولة :

26) بياض بالأصل

27) سقطت كلمة « قتال » من ب.

ولا كُتْبَ إلاَّ المَشْرفِيَّةُ عِنْدهُ ولا رسُلٌ إلاَّ الخَمِيسُ العَرَمْرَمُ

ثمَّ ضرب السرادقات من يومه بظاهر البلد، وأمر باستنفار الجيوش من الأمصار، وعبر من زقاق سبتة، ودخل بلاد الافرنج، فكسرهم كسرة شنيعة، وعاد بغنائمهم، رحمه اللّه تعالى . ثمَّ رأيت الحصري ذكر هذا الكلام عن المعتصم العبَّاسي قال : كتب إليه ملك الرُّوم كتابا يتهدَّده فيه، فأمر بجوابه . فلمَّا قرىء عليه لم يرض بما فيه، فقال لبعض الكتَّاب : اكتب : أمَّا بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما تضمَّنه خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع . **وسَيَعْلَمُ الكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ** . قال : وهذا نظير قول قَطَرِيّ بن الفُجاءة الى الحجَّاج، وقد كتب إليه كتابا يتهدَّده فيه، فأجاب : أمَّا بعد، فالحمد للّه الذي لو شاء لجمع بين شخصَيْنا، فعلمت أين مثاقفة الرجال، من تسطير المقال، والسَّلام. انتهى .

ومن معنى هذا المثل قول عنترة :

ومَكْرُوبٍ كشَفتُ الكَربَ عنه بِطَعنَةِ فيْصَلٍ لمَّا دعَاني[28]

دعَاني دعْوةً والخَيلُ تردي فما أدري أباسْمِي أمْ كَنَاني ؟

فَلم أمسِكْ بسَمعي إذ دعاني ولكن قَد أبَانَ لَه لِسَاني

فكَان إجابتي إيَّاهُ أنِّي عَطَفتُ عليه خوَّارَ العِنَانِ

بِأسْمَرَ مِن رِمَاحِ الخَطِّ لَدنٍ وأبْيَضَ صَارِمٍ ذَكَرٍ يَمَان

أي : كان جوابي له، حين دعاني واستغاث بي، أن عطفت عليه فرسا خوار العنان[29]، أي سهل العنان، يعني مرتاضا قد اعتاد الدخول في الحروب والولوج في المضائق، وذلك بأسمر إلخ....، أي برمح وسيف صفتهما ما ذكر . ومنه قول الحماسي :

وتَجهَلُ أيْدينا ويَحلُمُ رأيُنا ونَشْتِمُ بالأفْعالِ لا بالتَّكلُّم

وقول الآخر :

كُنَّا إذا ما أتانا صارخٌ فزِعٌ كان الصُّراخَ لَهُ قَرعُ الظَّنابيبِ

أي الاجتهاد في نصرته . وقَرْعُ الظُّنْبُوب كنايةٌ عن ذلك، وقد تقد م .

ومن **أمثال العامَّة** قولهم :

---

28) في **مختار الشعر الجاهلي** : بضربة فيصل..

29) حرف « العنان » في ب فكتب فيها « النعاس ».

جَزَاؤُهُ عَلَى حِمَارِهِ .

وقولهم :

جَاءَ يُعينُهُ في قَبْرِ أُمِّهِ فَهَرَبَ بالفَأسِ .

ومعناهما ظاهر .

ولنذكر في هذا الباب ما تيسَّر من الشعر . قال الحماسي محمَّد بن بشير :

كَم من فتًى قصُرت في الزرق خطوته ... ألفيته بسهامِ الرِّزق قَد فَلَجا !
إنَّ الأمور إذا انسدَّت مسالكُها ... فالصَّبر يفتَح منها كلَّ ما ارتتجا[30]
لا تيأسنَّ وإن طالت مُطالبةٌ ... إذا استعنْتَ بصبرٍ أن تَرى فرجا !
أخْلِق بِذي الصَّبر أن يحظَى بحاجته ... ومُدْمِنِ القَرع للأبواب أن يَلِجا !
قدٌّر لرجلِك قَبل الخَطْو موضعَها : ... فمن علا زَلَقًا عن غِرَّةٍ زلِجا ![31]

وقال عبد اللَّه بن الزَّبِير الأسدي :

لا أحسِبُ الشَّرَّ جارًا لا يفارقني ... ولا أحُزُّ على ما فاتني الودَجا
ولا نَزلتُ من المكروهِ منزلَةً ... إلاَّ وثقْتُ بأنْ ألقى لها فرجَا

وحزَّ الودَجَ : قَطَعَهُ . وضربه مثلا للغمّ على ما فات من عرض الدنيا .

وقال أبو تمَّام الطَّائي :

اصْبِري أيَّتُهَا النَّفْسُ : ... فَإنَّ الصَّبْرَ أحْجَا
نَهْنِهِي الحُزْنَ فَإنَّ ... الحُزْنَ إن لم يُنْهَ لَجَّا
والبَسِي اليَأْسَ مِن النَّاسِ ... فَإنَّ اليأسَ مَلْجَا
رُبَّمَا خَابَ رَجَاءٌ ... وأتَى ما لَيْسَ يُرجَى

وقال أيضا يهجو يوسف السَّرَّاج :

ووجْهُ البَحرِ يُعرفُ من بعيدٍ ... إذا يسْجو، فكيفَ إذا يمُوجُ ؟

وقال الآخر :

---

30) في **الحماسة** : فالصبر يفتق...
31) في **الحماسة** : أبْصِر لرجلك...

وإنّي لأغْضي مُقلتيَّ على الأذى ... وألبَس ثوبَ الصَّبر أبْيضَ أبْلجَا
وإنّي لأدعو اللّهَ والأمْرُ ضَيِّقٌ ... عليَّ فما ينْفكُّ أن يتفرَّجا
وكَم من فتًى ضاقَت عليه وجوهُهُ ... أصابَ لها في دَعوةِ اللّه مخرجا !

وقال الآخر :

إذا تضايَقَ أمرٌ فانتَظرْ فرجا : ... فأضْيقُ الأمر أدناهُ إلى الفَرجِ !

وقال الآخر :

رُبَّ أمرٍ عزَّ مَطلبُهُ ... قرَّبَتْهُ ساعَةُ الفَرَجِ

وقال الآخر :

ديارٌ عليها من بَشَاشَةِ أهْلِها ... جمالٌ تسرُّ النَّاظرين وتُبهِجُ

وقال الآخر :

رأى البَيتَ يُدعَى بالحَرامِ فحجَّه ... ولو كان يُدعَى بالحَلالِ لما حجَّا

وقال الآخر :

عَلَى أنّي وإن لاقَيتُ شَرًّا ... لِخَيْرِكَ بَعد ذاكَ الشَّرِّ راجِ[32]

وقال الآخر :

كَم عالمٍ لم يلِج بالعِلم باب غنًى ... وجاهِلٍ قبل طَرقِ الباب قَد ولجا !

وقال الآخر :

من راقبَ النَّاس لم يظفر بحاجتِه ... وفازَ بالطَّيِّبات الفاتِك اللهجُ

ومثله قول الآخر :

من راقَبَ النَّاسَ ماتَ غَمًّا ... وفازَ باللَّذَّةِ الجَسُورُ[33]

وقال الآخر :

يا نَفس صَبرًا فعُقبى الصَّبر صالحةٌ ... لابُدَّ أن يأتيَ الرَّحمان بالفرجِ !

وقال الآخر :

ولي فرسٌ بالحِلم للحِلم مُلجَمٌ ... ولي فرسٌ بالجَهلِ للجَهْلِ مُسرجُ
فَمن رامَ تقويمي فإنّي مُقوَّمٌ ... ومن رامَ تَعْويجي فإنّي مُعوَّجُ

32) في ج بدل « لاقيت » كتب : « رأيت » ؛ وفي د : « لقيت »، وكلاهما غير مستقيم وزنًا.
33) في ب و ج : وفاز باللذات...

وينسب هذا لصالح بن جناح . وقبله :

لَئن كُنت مُحتاجًا الى الحلم إنَّني ... الى الجَهل في بَعض الأحايين أحوجُ
وما كُنت أرضى الجهل خِدنًا وصاحبًا ... ولكنَّني أرضَى به حين أُحرجُ
ولي فرسٌ بالخير للخَير مَلْجمٌ ... ولي فرسٌ بالشَّرِّ للشَّرِّ مُسرجُ
فَمن رَامَ تَقْويمِي... (البيت)

وبعده :

فإن قال بَعض النَّاس فيَ سماجةٌ ... فقَد صدقوا، والذُّلُّ بالحرِّ أسمجُ

ونحوه قول النَّابغة الجعدي :

ولا خَير في حلمٍ إذا لم تَكُن لَه ... بَوادرُ تحْمي صَفوهُ أن يُكدَّرا
ولا خير في جَهلٍ إذا لم يَكُن له ... أريبٌ إذا ما أوْردَ الأمْر أصدَرا

وقول الآخـــر :

إذا أغْضَبتَ ذا كَرمٍ تَخَطَّى ... إليكَ ببَعضِ أفْعالِ اللَّئِيم[34]

وقول الآخـــر :

ألا لا يَجهَلَنْ أحَدٌ عَلَينَا ... فَنَجْهَلَ فوقَ جهلِ الجاهِلينَا

وقول الآخـــر :

ولا خَيرَ في حِلْمٍ إذا ذلَّ جانبه

وقول الآخـــر :

والعاقِل النَّحرير مُحتاجٌ إلى ... أن يستعين بجاهلٍ مُعْتُوهِ

وقول الآخـــر :

ولَربَّما اعْتَضَد الحَليمُ بجاهلٍ : ... لا خَير في يُمنى بغَير يَسَار !

وقال الامام أبو الفضل يوسف بن النحوي، قدَّس اللَّه سرَّه !:

والرِّفْقُ يَدُومُ لِصَاحِبِهِ ... والخُرْقُ يَصِيرُ الى الهَرجِ

وقال :

وخِيَارُ الخَلْقِ هُدَاتُهُمُ ... وسِوَاهُمُ مِنْ هَمَجِ الهَمَجِ

---

34) سقطت الباء من : اليك ببعض ... في ب.

ومن أظرف ما يحكى فيما يناسب هذا المعنى ما حُدِّثَ به عن الزهري قال : دخلت على عبد الملك بن مروان، فقال : من أين أقبلت يا زهري ؟ قال قلت : من مكّة . قال : فمَن خلّفت بها يسود أهلها ؟ قلت ؟ عطاء بن أبي رباح . قال : فَمِن العرب أم من الموالي ؟ [قلت: من الموالي][35] قال : وبِمَ سادهم ؟ قلت : بالديانة والرواية . فقال إنّ أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا النّاس . قال : فمَن يسود أهل اليمن ؟ قلت : طاوس بن كيسان قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي . قال : فبمَ سادهم ؟ قلت : بما ساد به عطاء. قال : مَن كان كذلك ينبغي أن يسود النّاس . قال : فمَن يسود أهل مصر ؟ قلت : يزيد بن أبي حبيب . قال : فمن العرب أم الموالي ؟ قلت : من الموالي . فقال كما قال في الأوّلين . قال فمَن يسود أهل الشام ؟ قلت : مكحول الدمشقي . قال : فمن العرب أم الموالي ؟ قلت : من الموالي، عبد نوبيّ أعتقته امرأة من هُذَيْل . فقال كما قال . ثمّ قال: فمَن يسود أهل الجزيرة ؟ قلت ميمون بن مهران . قال : من العرب أم من الموالي ؟ قلت من الموالي. فقال كما قال . ثمّ قال : فمَن يسود أهل البصرة ؟ قلت : الحسن بن أبي الحسن البصري . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت من الموالي . قال : ويْلَك ! فمَن يسود أهل الكوفة ؟ قلت : إبراهيم النخعي . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت : من العرب . فقال : ويْلَك يا زهري ! فرّجت عنّي واللّه ! : تسودون الموالي على العرب حتّى يخطب بها على المنابر وإنّ العرب تحتها ! قال قلت : يا أمير المؤمنين، أمر اللّه ودينه . فمَن حفظه ساد، ومَن ضيّعه سقط !

وقالت جارية من العرب ماتت أمّها وأضرّت بها زوجة أبيها :

ولَو يأتي رسُولي أمَّ سَعدٍ أتَى أُمِّي ومَن يَعْنِيه حَاجِ
ولَكن قَد أتَى مَن بَيْنَ ودِّي وبَينَ وِدَادِهِ غَلَقُ الرِّتَاجِ
ومَن لا يُؤذِهِ ألمٌ بِرأسِي وما الرُّئمَان إلاّ بالنِّتَاجِ

وقالت أمّ الضّحّاك المحاربيّة :

حديثٌ لَو أنَّ اللّحْمَ يَصْلَى بِحرِّه طَرِيًّا، إذاً أضْحى به وهْو مُنضَجُ

وكانت تحت رجل من الضباب وهي تحبّه حبًّا شديدا، ثمّ طلّقها فقالت :

---

35) سقط ما بين معقوفتين من ب.

هَل القَلبُ إن لاقى الضِّبابيَّ خاليًا ... لَدى الرُّكن أو عند الصَّفا مُتحرِّج ؟
وأعجَلَنا قُربُ المَزارِ وبَيْنَنَا ... حديثٌ كَتَشْنِيجِ المريض مُزعَّجُ
حَديثٌ لَو أنَّ اللَّحْمَ (البيت)

وقال الآخر :

لَقَد عَلمَت أمُّ الصَّبيَّين أنَّني ... الى الضَّيفِ قوَّامُ السِّنانِ خَرُوجُ
إذا المُرغِثُ العَوجاءُ باتَ يعُزُّها ... على ضَرعها ذو تَوءمين لهوج[36]
وإنِّي لأغلي اللَّحم نيًّا وإنَّني ... لممَّن يُهين اللَّحم وهْو نضيجُ

يريد : إنِّي آخذها جيّدة غالية الثَّمن، فأنحرها وأخلي بينها وبين النَّاس تهاونًا بها، كما قال الآخر :

وإنِّي لأغلي لحمَها وهي نيَّةٌ ... ويَرخُص عندي لحمُها حين تُذبَح

وقال الحارث اليشكري :

قُلت لِعَمْرٍو حينَ أرْسَلْتُه ... وقَد حَبَا من دونِها عالِجُ :
لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بِأغْبَارِهَا : ... إنَّكَ لا تَدْرِي مَنِ النَّاتِجُ
واصْبُب لأضْيَافِكَ ألْبَانَهَا ... فإنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوالِجُ !

يقول : لا يُبق اللبن في ضروع هذه النوق ! والأغْبَار جمع غُبْر وهو بقيَّة اللبن في الضرع، كانت العرب تفعل ذلك لسمن الأولاد التي في بطونها . واصْبُبْهُ للنَّاس، فإنَّك لا تدري مَن ينتجعها، ولعلَّك تموت فيبقى ذلك للوارث ! ومثله قول الآخر :

وإن درَّتْ نِيَاقُكَ فَاحْتَلِبْهَا ... فَما تَدْرِي الفَصِيلُ لِمَنْ يَكونُ

وهذا كما في الحديث : **يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي، ومَالكَ مِن مَالِكَ إلاَّ ما أكَلْتَ فأفْنَيتَ، أو لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ، أو أعْطَيْتَ فَأمْضَيْتَ**. ومنه قول النِّمر ابْنِ تَوْلَب :

أعاذلُ إن يُصْبِح صَدَايَ بقَفْرةٍ ... بعيدًا نآنِي صَاحِبي وقَرِيبِي
تَرَيْ أنَّ ما أبْقَيْتُ لَم أكُ ربَّه ... وأنَّ الَّذي أنفَقتُ كان نَصِيبِي
وذِي إبِلٍ يَسعَى ويحسبُها لَه ... أخِي نَصَبٍ في رعْيِها ودُؤُوبِ
غَدت وغَدا ربٌّ سِوَاه يقُودُها ... وبُدٌّ أحْجارًا وجَالَ قَلِيبِ

36) حرفت كلمة « المرغث » فكتبت في ج : « المرعب » وفي د : « الرغث ».

قوله : جال قليب، الجالُ : النّاحيَةُ، كما قال مُهَلْهِل :

كأنَّ رماحَهُم أشْطَانُ بِئْرٍ ... بعِيدٌ بَينَ جَالَيْهَا جَرُورُ

ومنه قول الآخر أيضا :

قأثْنُوا عَلَينا لا أبًا لأبِيكُمُ ... بِأفْعالِنا إنَّ الثّناءَ هُو الخُلدُ !

وقول حاتم :

أَماوِيَّ إن يُصْبِح صَدَايَ بقَفرةٍ ... من الأرضِ لا ماءٌ لَديَّ ولا خَمرُ

تَرى أنَّ ما أبْقَيتُ لم أكُ ربَّه ... وأنَّ يَدي ممَّا بَخِلتُ به صفرُ

وقال ابن فارس اللّغوي :

وقالوا : كيف أنت ؟ فقلت خيرٌ : ... تُقَضَّى حاجَةٌ وتفُوتُ حَاجُ

إذا ازدحمَت هُموم الصَّدر قُلنا : ... عَسى يومًا يكونُ لَها انفِراجُ

نديمي هِرَّتي وسُرورُ قَلْبي ... دفاتِيري ومَعْشُوقي السِّراجُ

وقال ابو محمَّد الحريري :

تَعارجْتُ لا رغْبَةً في العَرجْ ... ولَكن لأقْرعَ بَابَ الفَرجْ

وأُلقيَ حَبْلي عَلَى غَاربِي ... وأسْلُكَ مَسْلَكَ مَنْ قَد مَرجْ

فإنَّ لامَني القَومُ قُلتُ : اعذروا ... فَليسَ عَلَى أعْرجٍ من حَرجْ !

وقال أيضا :

ما الحجُّ سَيرُكَ تأويبًا وإدلاجا ... ولا اعتيامُكَ اجمالاً واحْداجَا

الحجُّ أن تَقْصِدَ البَيتَ الحَرامَ على ... تجريدِكَ الحجَّ لا تَقضي به حاجا[37]

وتمتطِي كاهِلَ الانصافِ متَّخذًا ... رَدعَ الهَوى هاديًا والحقَّ منهاجا[38]

وأن تُواسيَ مَا أُوتيتَ مَقدرةً ... مَنْ مدَّ كفًّا الى جَدواك مُحتاجا

فهذه إن حوتْها حَجَّةٌ كَمُلَت ... وإن خَلا الحجُّ منها كان إخْدَاجَا

حسْبُ المُرائِين غبنًا أنَّهم غرسوا ... وما جَنوا ولَقُوا كدًّا وإزعاجا[39]

وأنَّهم حُرموا أجرا ومَحْمِدةً ... وألحَموا عِرضَهُم من عَاب أو هاجى

أخيَّ فابْغِ بما تُبديهِ من قُربٍ ... وجْهَ المُهَيمِنِ ولاَّجًا وخرَّاجا[40]

37) زيدت الواو في أول البيت في ب و د، فكتب فيهما : والحج..

38) في ب و د : ..والحج منهاجًا، وهو تحريف.

39) حرف الشطر الأخير فكتب في ج : « وما جنوا وأتوا كربًا وإزعاجا » وفي د : « وما جنوا وأتوا كذبًا وإزعاجا ».

40) حرفت كلمة « أخيّ » المصغرة فكتبت في د : « أخا ».

فلَيس تخْفى على الرَّحمانِ خافيةٌ ... إن أخْلصَ العبد في الطَّاعات أو داجى

وبادرِ الموتَ بالحُسنى تُقدِّمها : ... فما يُنَهنهَه داعي الموت إن فاجا

واقْنَ التَّواضُعَ خُلْقًا لا تُزايلُه ... عَنك التَّليالي ولَو ألبَسنَك التَّاجا[41]

ولا تَشِم كُلَّ خالٍ لاحَ بارقُه ... ولو تَراءى هَتونَ السَّكْب ثجَّاجا !

ما كلُّ داعٍ بأهلٍ أن يُصاخَ له ... كم قَد أصمَّ بنعيٍ بعضُ من ناجى !

وما التَّلبيب سِوى من بَات مُقتنعًا ... ببُلغةٍ تُدرجُ الأيَّام إدراجا

فكُلُّ كُثرٍ الى قُلٍّ مَغَبَّتُهُ ... وكلُّ نازٍ الى لينٍ وإن هاجا[42]

وقال أيضا في وصف سَرُوجٍ :

بَلْدَةٌ يُوجَدُ فِيهَا ... كُلُّ شَيءٍ ويَرُوجُ

ورْدُهَا مِنْ سَلْسَبِيلٍ ... وصَحَارِيهَا مُرُوجُ

وبَنُوهَا ومَغَانِيهِمْ ... نُجُومٌ وبُرُوجُ

حَبَّذَا نَفْحَةُ رَيَّا ... هَا ومَرْآهَا البَهِيجُ

وأزَاهِيرُ رُبَاهَا ... حِينَ تَنْجَابُ الثُّلُوجُ[43]

وقال الآخر :

لَو رَكِبتُ البحورَ صارتْ فجاجا ... لا تَرى في مُتونِهَا أمْوَاجَا

ولَو أنِّي وضَعْتُ يا قوتَةً حَمراء ... في راحَتَيَّ صَارت زُجَاجَا

ولو أنِّي وردتُ عَذْبًا فُراتًا ... عَاد لا شَكَّ فيه مِلحًا أُجَاجَا

ومثله قول الآخر :

لَو وردتُ البِحَار أطْلُبُ مَاءً ... جفَّ قَبلَ الورودِ ماءُ البحَارِ

أو لمَست العُود النَّضِيرَ بكفِّي ... لَذوَى بَعد نَضْرةٍ واخْضِرار[44]

أو رَمى باسْميَ النُّجومَ الدَّرَارِي ... لانْزَوى ضَوؤُهَا عن الأبصار

ولو انِّي بِعت القناديلَ يومًا ... لَبَدا اللَّيل في ضياء النَّهار[45]

---

41) حرفت كلمة « عنك » فكتبت في ب و د : « عند ».
42) حرفت كلمة « ناز » في ب و د، فكتبت فيهما « نار ». وسقط البيت الأخير من ج.
43) حرفت كلمة « رباها » في د، فكتبت فيها « ربها ».
44) في د : « نظرة » وهو تصحيف.
45) في ب : « لعدى الليل...» وفي د : « لددى الليل...! »

وقول الآخـــر :

ولمَّا التمَست الرِّزق فانجذَّ حبلُه ... ولم يَصفُ لي من بحْره العذبِ مشرَبُ
خَطبت الى الاعدام إحدى بَنَاتِه ... فزوَّجنِيها الفَقر إذ جِئت أخْطُب
فَلو تِهت في البَيداءِ والليل مسبلٌ ... عليَّ جَنا حيْهِ لما لاحَ كوكبُ
ولو خِفتُ شرًّا فاستَتَرت بظُلمةٍ ... لأقبل ضوءُ الشَّمس من حيث يغربُ
ولو جاد إنسانٌ عليَّ بدرهمٍ ... لعُدتُ الى رحْلي وفي الكفِّ عقربُ
ولو يُمطَرُ النَّاسُ الدَّنانيرَ لم يكن ... بشيءٍ سوى الحَصْبَاء رأسي يُحصَّب
وإن يقترفْ ذنبًا بِبرقةَ مُذنبٌ ... فإن برأسي ذَلكَ الذَّنب يُعصبُ
وإن أر خيرًا في المَنام فَنازحٌ ... وإن أر شرًّا فَهْوَ مِنِّي مُقَرَّبُ
أمامي من الحِرمانِ جيشٌ عرَمرمٌ ... ومنه ورائي جَحْفَلٌ حينَ أركَبُ

وقول الآخـــر :

أحْمد اللَّه لم أقُل قطُّ يابدر ... ويا مُوسَى ويَا كَافُورُ !
لا ولا قيل قَد أتاكَ مِنَ ... الضَّيعَةِ بُرٌّ مُوفَّرٌ وشَعِيرُ
أنا خِلوٌ من المَمالكِ والأملاكِ ... جَلدٌ عَلى البَلاَيَا صَبُورُ
لَيسَ إلاَّ كُسَيْرَةٌ وقَمِيصٌ ... وقَدَيْحٌ أتَتْ عَلَيهِ الدُّهُورُ !

وقول الآخـــر :

سَل عن الرِّزقِ يا أبا العبَّاس ... وجِمَاحُ الزَّمَانِ بالأكْيَاسِ
لَو مِن النَّاسِ ساعدني الدَّهْر ... ولكنَّني من النَّسْنَاسِ
لَو هوتْ صخرةٌ من الجوِّ جاءتْ ... تتخطَّى الانَامَ تَطلُب رَاسي
لا وحقِّ الالَه ما أبْصرِ الشَّمس ... بِعيني من شِدَّةِ الافْلاَسِ !

وقول الآخـــر :

بَرزتُ من المَنَازلِ والقِبَابِ ... فَلم يَعسُر عَلى أحَدٍ طِلابي
فمنزليَ الفضَاءُ وسقفُ بَيتي ... سمَاءُ اللَّهِ أو قِطَعُ السَّحَابِ
فأنت إذا أردتَ دخَلتَ بيتي ... عليَّ مُسلِّمًا مِن غَيرِ بَابِ
لأنِّي لم أجِد مِصراعَ بَابٍ ... يَكُونُ مِنَ السَّماءِ إلى التُّرابِ
ولا انشَقَّ الثَّرى عَن عُودِ تختٍ ... أؤمِّلُ أن أشُدَّ بِهِ ثِيَابي

ولا خِفتُ الإبَاقَ علَى عَبيدِي ولا خِفتُ الهَلاكَ على دَوابِي
وفي ذَا رَاحَةٌ وفَرَاغُ بَالٍ فَدأبُ الدَّهر ذَا أبداً ودابي

وقول الآخـــر :

قَـد أراحَ اللّهُ من همٍّ طَـــويلٍ وعَـــذَابِ
فاسْتَرحْنَا مِنْ عِيَالٍ وعَبِيـــدٍ ودَوَابِ !
وغُـــدوٍّ ورَوَاحٍ وهِجَـــاءٍ وعِتَـــابِ

وقول الآخـــر :

كَسَدتْ شَواشِينا وقلَّ معاشُنا فسُعودنا مقرونةٌ بنُحوس
فكأنَّما قُطعت رؤُوسُ النَّاس أو خُلقوا لشقوتنا بغير رؤوس !

وقول الآخـــر :

أنا في حالٍ تعالى اللّهُ ربِّي أيّ حَـــالِ :
لَيس لي شَيءٌ إذا قيل لمن ذَا قُلتُ : ذَالِي
فأراضي اللّه فُـــرشي والسَّمـــاواتُ ظِلالي
ولَقَـــد أهزلتُ حتَّى(45م) مَحَتِ الشَّمسُ خَيَالي
ولقَـــد أفْلَستُ حتَّى حَلَّ أكْلِي بِعِيَالي :
مَن رآى شَيْئًا مُحَالاً فَأنَا نَفْسُ المُحَالِ !
لَو بَقِي في النَّاسِ حرٌّ لَم أكُنْ في مِثْلِ حَالِي

وقول الآخـــر :

لَيسَ إغْلاقِي لبابي أنَّ لِي فيهِ ما أخشَى عَلَيهِ السَّرَقَا
إنَّما أُغلقُهُ كَيْ لاَ يَرَى سُوءَ حَالي مَن يَمُرُّ الطُّرُقَا
مَنزلٌ أوطَنَهُ الفَقْرُ فَلَوْ يَدْخُلُ السَّارقُ فِيهِ سُرِقَا !

وقيل لبعض أجلاف المشائيم : كيف المعاش ؟ فقال : يوما يُرزَق ويوما لا يُرْزَق . وليته هو مضروبٌ ألف سوط وأنَّ اللّه لم يخلقه ! وقيل له : فلعلَّ اللّه قد ذَخَر لك بهذا أجراً في الآخرة . فقال : أيّهما أكرم على اللّه، الدنيا أم الآخرة ؟ فقيل له : الآخرة . فقال : هو لم يعطني الهيّنة عليه، فيعطيني تلك الكريمة عليه !

45م) في المخطوطات : «ولقد أمرست حتى...» وهو خطأ. والتصويب عن ديوان أبي الشمقمق.

وقيل لآخر : أتعرف ربّك ؟ فقال . وكيف لا أعرف من أجاعني وأعراني ؟ وقيل لآخر، وقد رُئِي مغتمًّا : ما غمّك ؟ فقال : سوء الحال، وكثرة العيال . فقيل له : لا تغتمّ، فإنّهم عيال اللّه . فقال : صدقتم، ولكن كنت أحب أن يكون الوكيل عليهم غيري !

وقال بعضهم : كان لآدم عليه السلام غلام يخدمه، فنحن معاشر المحارفين من نسل ذلك الغلام، ولا نسب بيننا وبين آدم : فإنّ اللّه يقول : **ولَقَد كَرَّمْنَا بَنِي آدمَ وحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ ورَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ** (الآية) . وليس فينا ولا عندنا شيء من هذه الخصال، فلو كنّا بني آدم لكان لنا حظّ من هذه الأشياء !

واستقى قوم يوم خميس فمطروا . فنظر إليهم بعض المشائيم، وهم منصرفون فرحين بالسقيا، فقال : واللّه ما بي إلاّ أنّهم يظنّون أنّ اللّة استجاب لهم . واللّه ما مطروا إلاّ أنّي غسلت ثيابي اليوم، واللّه ما غسلتها قطّ إلاّ تغيّمت السماء ومطرت ! ولا بأس، فليرجعوا الى خميس آخر : فإن مُطروا فَلْيَحْلِقُوا لِحْيَتِي !»

وقال أبو العبّاس أحمد المقريّ الفاسي يخاطب التاج التونسي :

واللّه مَا أنْصَفْتَنَا يَا تاج : فَسَقَامُنَا لدوائِكُم محتاجُ !
فَقَضيَّةٌ قَد رُكِّبت بشروطها أفَمُمكِنٌ أن يُخْلِفَ الانتاجُ ؟

وقال الآخر :

ولم أرَ شَيئا بعد لَيلَى ألذُّه ولا منهَلاً أرْوى به فَأعِيجُ

يقال : مَا عِجْتُ بالدّواء، أي لم انتفع به . ويزعم كثير من اللغويّين والنحويّين أنّه لا يستعمل إلاّ في النفي، كما مثّلنا، وكما في قول كثيّر :

فما نُفِعَت نَفسِي بما أمرُوا به ولا عِجْتُ من أقْوالِهِم بِفَتيلِ

والبيت المذكور يَرُدُّه، إلا أن يُتَأوّل أنّه لمّا كان الموصوف منفيًّا كانت الصفة وما عُطف عليها أيضا في معنى النفي، والله أعلم.

وقال الآخر في الأوصاف :

في لَيلَةٍ أكَلَ المَحاقُ هلالَها حتّى تبدّى مثل وقْفِ العَاجِ
والصُّبحُ يَتلو المُشتري فكأنّهُ عُريانُ يمشي في الدُّجا بِسراجِ

ومثله قول الآخر :

يارُبَّ ليلٍ رقَبناهُ وقد طلعت بقيّةُ البَدر في أُولى بَشَائره
كأنّما أدهَمُ الاظلامِ حِينَ نَجَا بِن أشهب الصُّبحِ خلّى نعْل حافره

وقول الآخـــر :

فكأنَّ اللَّيل حِينَ لَوَى هَاربًا والصُّبحُ قَد لاَحَا
كِلَّةٌ سَوْدَاءُ أحْرَقَهَا عَامِدٌ أوْقَدَ مِصْبَاحَا

وقول الآخـــر :

سَرى والصُّبحُ تحتَ اللَّيل بَاد كَطِرفٍ أبْلَقٍ تَحتَ الجِلاَلِ
بكأسٍ من زُجَاجٍ فيه أُسْدٌ فَرَائِسُهُنَّ ألبَابُ الرِّجَالِ

وقول الآخـــر :

وفِتيانٍ سَرَوْا واللَّيْلُ داجٍ وضَوءُ الصُّبْحِ مُهتمٌّ الطُّلُوعِ
كأنَّ بُزَاتَهُمْ أُمَراءُ جَيشٍ على أكْتافِهِم صَدَأُ الدُّروعِ

وقال الآخـــر :

لَفَتَاةٌ تسُرُّنَا في المَثَانِي وعَجوزٌ تَسُرُّنَا في المِزَاجِ
أخَذَتْ مِن رؤُوس قَومٍ كِرامٍ ثَأرَهَا بَينَ أرجُلِ الأعْلاجِ

ومثله قول أبي بكر بن زُهْـــر :

ومُوسِّدِينَ عَلى الأكُفِّ خُدودَهُم قَد غالهُم ضَوءُ الصَّباح وغالنِي
ما زلتُ أسقيهِم وأشْرَبُ فَضلَهُم حتَّى سَكرتُ ونالَهم ما نالَني
والخَمر تُحسنُ كَيفَ تأخُذُ ثَأرَها : إنِّي أمَلْتُ إناءَهَا فأمالَني

وقال الآخـــر :

ولرُبَّ حانٍ قد أدرتُ بديرِهِ خَمر الصِّبا مُزِجَت بصفْوِ خُمورِه
في فتيَةٍ جَعلوا الزُّقاق وكاءَهُم مُتضارعين تخشُّعًا لكثيرِهِ
يُهدي إلينا الرَّاحَ كلُّ مُصَفَّقٍ كالخشْفِ خفَّرهُ التماحُ خَفيرِهِ
والى عليَّ بطَرفِهِ وبِكَفِّهِ فَأمالَ من رأسي لعَبٌ كَبيرِهِ
وتَرنَّمَ النَّاقُوسُ عِند صَلاتِهِم فَفَتحتُ من عَيني لِرجْعِ هديرِهِ

والشعر في أوصاف الخمر كثير، وأكثره يتنزَّه عن ذكره، وسيأتي كثير منه.

وقال أبو الفرج جعفر اليماني[46]

---

46) في ج و د : وقال أبو جعفر اليماني

عارضٌ أقبَلَ في لَيْلِ الدُّجَى يَتَهَادَى كَتَهادِي ذِي الوجَا[47]
بَدَّدَتْ ريحُ الصَّبَا لُؤْلُؤَهُ فَانْبَرَى يوقِدُ عَنهُ سُرُجَا

ومثله قول ابن الخطيب :

أخفَى مَسالكَها الظَّلامُ فأوقَدت من بَرْقِها كَيْ تَهْتَدي مِصباحا
وكأنَّ صَوتَ الرَّعْد خَلفَ سَحابِها حادٍ إذا وَنَتِ الرِّكائِبُ صَاحَا

وتقدّم استيفاء هذا المعنى في الباب الأوّل . وقال الآخـــر :

قَالوا : تَبدَّى شَعْرُهُ، فَأجَبتُهُم : لاَبُدَّ من عَلَمٍ على الدِّيبَاج !
والبَدْرُ أبهَرُ ما يكونُ ضيَاؤُهُ إن كان مُلتحفًا بلَيلٍ داجِ

ومن هذا المعنى قول الآخـــر :

ومُهَفهَفٍ علقَ السَّقامُ بطَرفهِ وسَرى فَعرَّسَ في مَعاقِدِ خَصرِهِ
مزَّقْتُ أسْتارَ الظَّلامِ بثَغْرِهِ ثمَّ انثَنَيْتُ أحُوكُهَا من شَعرِهِ

وقال ابن صارة :

ومُهَفْهَفٍ أبْصَرتُ في أطواقِهِ قمرًا بآفاقِ المَلاحَةِ يُشرِقُ
يَقضي على المُهْجاتِ منه صَعدةٌ مُتأَلِّقٌ فيها سنانٌ أزْرَقُ

وقول الآخـــر :

ومُعذَّرٍ عَبَثَ العِذارُ بخدِّه ظُلمًا فَشانَ ضِياءَهُ بِظَلامِهِ
كُسِفَتْ مَحاسِنُهُ لأربَعَ عَشْرَة وكَذا كُسوفُ البَدر عند تَمامِهِ

وقال ابن رشيق :

همَّت عذارَاهُ بِتَقْبِيلِهِ فَاسْتَلَّ من عَيْنَيْهِ سَيْفَيْنِ
وقامَتِ الحَربُ على سَاقِهَا بَينَ أميرَيْنِ قَتُولَيْنِ :
فَذَلِكَ المُحْمَرُّ مِنْ خَدِّهِ دِمَاءُ مَا بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ

وقول الآخـــر :

وأغْيَدَ من أبْنَاءِ لَمْطَةَ شَادِنٍ يَنُوءُ كَما يَعْطُو بخُوطَتِهِ البَانُ
ذُؤَابَتُهُ مُهْرَاقَةٌ خَلْفَ ظَهْرِهِ كَما التَفَّ بالغُصنِ المُنَعَّمِ ثُعبانُ

---

47) سقطت كلمة . ليل من ب و د. وكتب في هامش د : « لعله : جنح الدجا ».

وقول الآخـــر :

ومُهفْهَـفٍ كالغُصْـنِ إلاَّ أنَّهُ ... سَلَبَ التَّثَنِّي النَّومُ عَن أثْنائه

أضْحَى يَنامُ وقَد تَوَرَّدَ خَدُّهُ ... عَرَقًا فَقُلتُ : الوَرْدُ رُشَّ بمائِهِ !

وقول الآخـــر :

غَزالُ إنْسٍ كم اسْتَدْنَيْتُهُ فنأى ... عنِّي وأعرضَ مُزوِرًّا بجَانِبِهِ !

طَالَتْ عَلَيَّ لَيَالٍ من هَواهُ كما ... طالتْ عَلَيهِ لَيَالٍ من ذَوائِبِهِ

وقول الصَّنَوْبري :

ما أخْطأَتْ نوناتُهُ من صُدغِهِ ... شَيئًا ولا أَلِفاتُهُ مِن قَدِّهِ

فكأنَّمَا أنْقاسُه من شَعْرِهِ ... وكأنَّما قِرطاسُهُ من خَدِّهِ

وهذا المعنى كثير . وقال الآخـر :

كأنَّ الثُّريَّا هَوْدَجٌ فَوقَ ناقَةٍ ... يخُبُّ بها حادٍ الى الغَربِ مُزعجُ

وقَد لَمَعتْ حتَّى كأنَّ بَريقَها ... قوارِيرُ فيها زِئْبِقٌ مُتَدرِّجُ

ومثله قول الآخـر :

كأنَّ الثُّريَّا راحةٌ تَشْبُرُ الدُّجى ... لتخبُرَ طال اللَّيلُ أمْ قَدْ تَعرَّضا

عجبتُ لليلٍ بين شَرقٍ ومَغْربٍ ... يُقاس بشِبرٍ كيف يُرجى له انقِضَا

وقول الآخـــر :

كأنَّ بَهْرامَ وقَد عَارَضَتْ ... مِنهُ الثُّريَّا نَظَرَ المُشْتَرِي

يا قُوتَةٌ يَعرضُهَا بَائِعٌ ... في كَفِّهِ والمُشْتَرِي مُشْتَرِي

وقول الآخـر :

وقَد لاحَ في الصُّبحِ الثُّريَّا كما ترى ... كَعُنْقود مُلاحيَّةٍ حينَ نوَّرَا

وقال الآخـر :

وغَريبةِ الانشَاءِ صِرنَا فَوقَها ... والبَحر يسكُنُ تارةً ويموجُ

عجبًا تؤُمُّ بها مَعاهِدُنا التَّتي ... كَرُمَت فعاجَ الأنْسُ حيث نعوجُ !

وقَد استطَال النُّور فوقَ المَاءِ من ... شَمس الأصيلِ فَلاحَ وهو بهيجُ

فكأنَّ مَتْنَ البَحر ذَائِبُ فضَّةٍ ... قَد سال فيه من النُّضَار خليجُ

ومثله قول الآخـر :

لو أبْصَرَتْ عيناكَ زَوْرَقَ فتْيةٍ ... يُبدي لَهُم لمْحُ السُّرورِ مِراحَه
وقَد اسْتَدارُوا تحت ظلٍّ شُعاعه ... كلٌّ يَمُدُّ بكأسِ راحٍ راحَهُ
لحسبتَه خوفَ العَواصِفِ طَائراً ... مدَّ الحَنانُ على بَنيهِ جَناحَهُ

وقال ابن الخطيب :

إنَّ الهَوى لشِكايَةٌ مَعْروفَةٌ ... صِبْرُ التَّصبُّر من أجلٍّ عِلاجِها
والنَّفس إن أَلِفَت مَرارةَ طَعمِه ... يوماً ضَمِنْتَ لها صَلاحَ خَراجِها

وقال البستي :

يَا سائلاً عن مَذهَبي عامداً ... ليقْتَدي فيه بمنْهَاجي
منهاجِيَ العَدلُ وقَمعُ الهَوى : ... فَهلْ لمِنْهاجِيَ مِنْ هَاجِ ؟

وقال أبو الحسن بن رشيق :

ولَقد ذكرتُكَ في السَّفينةِ والرَّدى ... مُتوقَّعٌ بتَلاطُمِ الأمْواجِ
والجَوُّ يَهطِلُ والرِّياحُ عَواصفٌ ... والَّليلُ مُسودُّ الذَّوائِب داجِ
وعلى السَّواحِلِ للأعَادِي غَارةٌ ... يَتوقَّفون لغَارةٍ وهيَاجِ
وعَلتْ لأصحابِ السَّفينةِ ضجَّةٌ ... وأنا وذكرُكَ في ألَذِّ تَنَاجِ

ومثله، وهو أصله، قول عنترة :

ولَقد ذكَرتُكِ والرِّماحُ نواهلٌ ... منِّي وبيضُ الهِندِ تَقْطُر بالدَّمِ

وقول الأرَّجاني :

وإنِّي لأرعاكُمْ على القُرب والنَّوى ... وأذكُرُكُم بين القَنَا والقَنَابِلِ

وقول الآخـر :

ألا من مُبلغُ المَحْبُوبِ أنِّي ... وقَفتُ وللظُّبا حولِي صَليلُ
وأنِّي جُلتُ في جَيشِ الأعادِي ... بِرُمحٍ وهْوَ في ذِكْرِي يجولُ ؟

وقول الآخـر :

أرسَلتُها والعَوالي في الطُّلا تَرِدُ ... في موقفٍ فيه يَنسى الوالِدَ الولَدُ
وما نَسيتُكَ والأرواحُ سائلةٌ ... على السُّيوفِ ونارُ الحربِ تتَّقِدُ

وقولـــه :

ولَقد ذكَرتُكِ والصَّوارمُ لُمَّعٌ ... من حولِنا والسَّمهريَّةُ شُرَّعُ
وعلى مُكافحَة العَدُوِّ ففي الحَشَا ... شَوقٌ إليكِ تضيقُ عَنه الأضْلُعُ
ومِن الصِّبا وهلُمَّ جرًّا شِيمتي ... حِفْظُ الودادِ فكَيفَ عَنهُ أرجِعُ ؟

وقول الصفِيِّ الحِلِّيِّ :

ولَقَد ذكرتُكِ والعَجاجُ كأنَّهُ ... مَطْلُ الغَنيِّ وسوءُ عيش المُعسِرِ
والشمس بين مُجدَّلٍ في جَنْدَلٍ ... منَّا وبين مُعَفَّرٍ في مِغْفرِ[48]
فَظَننتُ أنِّيَ في صباحٍ مُسفرٍ ... بضياءِ وجهكَ أو مساءٍ مُقمِرِ
وتَعطَّرتْ أرضُ الكفاحِ كأنَّما ... فُتقتْ لنا ريحُ الجِلادِ بعَنْبَرِ

وقوله أيضـا :

ولَقد ذكرتُكِ والسُّيوفُ مَواطِرٌ ... كالسُّحبِ من وبلِ النَّجيعِ وطلِّهِ
فَوجَدتُ أُنسًا عِند ذكركَ كاملاً ... في موقفٍ يخشى الفَتى من ظلِّه

وقوله أيضـا :

ولَقد ذكرتُكِ والجَماجِمُ وقَّعٌ ... تحت السَّنابِك والأكُفُّ تَطِيرُ
والهام في أُفُقِ العَجاجةِ حُوَّمٌ ... فكأنَّهـا فوق النُّسور نُسُورُ
فاعتادني من طِيبِ ذكركَ نشوةٌ ... وبَـدت عليَّ بشاشةٌ وسُرورُ
فَظَننتُ أنِّي في مجالسِ لذَّتي ... والرَّاحُ تُجلى والكُؤوسُ تَدورُ

وقول أثير الدين بن حيَّان :

لَقد ذكرتُكَ والبحر الخضمُّ طَغت ... أمْواجُه والورَى منه على سَفَرِ
في ليلةٍ أسْدلَت جِلبَابَ ظُلمتِها ... وغار كوكبُها عن أعيُنِ البَشَرِ
والماء تحت وفوقَ المُزنِ واكفهُ ... والبرقُ يستلُّ أسيافًا من الشَّرَرِ
والفُلكُ في وسَط المائَين تحسبُها ... عينًا وقد أطبقت شعرًا على شُفُرِ
والرُّوح من حَزنٍ راحَت وقَد ورَدت ... صَدري فيَالَكَ من وردٍ بِلا صَدَر !
هَذا وشَخصُكَ لا يَنفكُّ في خَلَدي ... وفي فُؤادي وفي سَمعي وفي بَصَري

48) في ب « والسوس » بدل « والشمس » . وفي د : « والسوم »، ولا يظهر معنى لأي منها.

ويقرب من هذا قولى :

ألا ليت شعري هَل أرى من ثنيَّةٍ ... عضاها كمصفوفِ الكَتائِب تُشرفُ ؟
وهَل أردَنْ من سَلسَبيلِ مَوارِدٍ ... هناكَ كمعسول المباسِم تُرشَفُ ؟
وهل أرَيَنْ مَغْنى الدِّلاءِ عشيَّةً ... كأنَّ بناياه بجادٌ مُفوَّفُ ؟[49]
ذكرتُكُمُ وهنًا وإنّي لَمُدْلِجٌ ... بأجْوازِ أقْطَارِ الصَّحاري أُطوِّفُ
فقلتُ وقلبي ضمن شجْوٍ ولوعةٍ ... وجفْني بمنثورِ الجُمانِ يُكَفْكفُ :
أدارٌ سُقِيتِ الوبلَ غير مبرحٍ ... ولا بَرِحَت عَنكِ الحَوادِثُ تُصرفُ،
لَقد هِجتِ للقَلبِ العَميدِ صبابةً ... تكادُ لها صُمُّ الجِبال تقصَّفُ !

وقول الصَّفَدِيّ :

ولَقَد ذكرتُكُمُ بحربٍ ينثَنِي ... عن بأسِها الليثُ الهِزَبْرُ الأغْلَبُ
والصَّافناتُ بركْضِها قَد أنشأتْ ... ليلاً، وكلُّ سَناسِنانٍ كوكَبُ
والبيضُ تنثُر كلَّ ما نَظَم القَنا ... والنَّبلُ يُتْرِبُ والعَجاج يُترِّب[50]
وحُشاشةُ الأبطال قد تَلِفَتْ ظَمَا ... ودمُ الفوارسِ مُستهلٌّ صيِّبُ
والنَّفسُ قَد سالت على حدِّ الظُّبا ... وأنا بذِكركُمْ أميلُ وأطْرَبُ

وقول الآخر يصف الشمس في الغيم :

وتنقَّبتْ بخفيفِ غَيْمٍ أبْيَضٍ ... هي فيه بين تخفُّرٍ وتغَنُّجِ
كتنفُّس الحسناءِ في المرْآةِ إذ ... كَمُلَت محاسنُها ولَم تتزوَّجِ

ومن هذا المعنى قول ابن طَبَاطَبَا العلوي :

متى أبْصَرتَ شمسًا تحتَ غيمٍ ... تَرى المرآةَ في كفِّ الحَسُودِ
تُقَابلُها فتُلبِسُها غشاءً ... بأنْفاسٍ تَزايَدُ في الصُّعُودِ

وقال الوزير المهلبّي :

أما تَرى الشَّمس وهْي طالعَةٌ ... تمنعُ منَّا إدامَةَ النَّظَرِ ؟
حَمْراءَ صفراءَ في تلوُّنِها ... كأنَّها تشْتَكي مِن السَّهَرِ
مِثْلَ عَرُوسٍ غَدَاةَ لَيْلَتِها ... تُمسكُ مرْآتَها مِنَ القَمَرِ

49) صحفت كلمة الدلاء في ج، فكتبت : الادلة.
50) في ب و د كتب « النيل » بدل « النبل ».

وقولـــه :

والشَّمس خيرٌ خَلفَ غيمٍ عارضٍ فكأنَّها في ضَوءِ ليلٍ مُقمِرِ

وقولـــه :

الشَّمسُ من مَشْرقِها قَد بَدتْ نيِّرةً لَيس لَهَا حَاجِبُ

كأنَّهَا فَوهِيَّةٌ أحْمِيَتْ يَجُولُ فِيهَا ذهَبٌ ذائِبُ

وقول ابن المعتزّ :

والشَّمسُ كالمِرآةِ في كفِّ الأشَلْ

وقول أبي حفص بن برد، ومنه أخذ :

كأنَّ شُعاعَ الشَّمس في كُلِّ غُدوةٍ على ورقِ الأشْجار أوَّلَ طالِعِ

دنانيرُ في كفِّ الأشَلِّ يَضُمُّها لقَبْضٍ فتَهوِي من فُروج الأصابِعِ

ونحو هذا قول الآخر في الخمر :

كانت سِراجَ أُناسٍ يهتدونَ بِها في سالِفِ الدَّهر قبل النَّار والنُّور

تهتزُّ في الكأس من ضُعفٍ ومن هرمٍ كأنَّها قبسٌ في كفِّ مَقْرُورِ

وقول ابن الرومي في الشمس :

كأنَّ جنوحَ الشَّمسِ عندَ غُروبها وقد جَنحت في مجنحِ الليل تمر ضُ[51]

محاجرُ عينٍ مسَّ أجفانها الكرى ترنَّق فيها النَّومُ وهْي تغمّضُ

وقال ابن خفاجة :

والنَّقعُ يكسر من سنى شمس الضُّحى: فكأنَّهُ صَدأٌ عَلَى دينَارِ

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

ولَرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى ذَرعًا وعند اللَّهِ منْها المخْرجُ

كمُلتْ فلمَّا استُكمِلتْ حَلَقَاتُها فُرجَت وكان يَظُنُّها لا تُفرجُ

وكان يقال : ما رَدَّدَهُما مَن نَزَلَتْ به نازلةٌ إلاَّ فرَّج اللَّه عنه.

وقال الآخـــر :

رُويْدَكَ ! فالهُمومُ لَها رتاجُ وعَن كَثَبٍ يَكونُ لها انفرَاجُ

ألم تَرَ أنَّ طولَ اللَّيلِ لمَّا تناهَى حانَ للصُّبحِ انبِلاجُ ؟

51) في ب صحفت « محاجر » فكتبت « مجارس ».

وقال أبو فراس :

ألاَ، ربَّما ضاقَ الفَضاءُ بأهلِه وأمكن من بين الأسنَّةِ مخْرجُ

ومثله قوله أيضا :

خفِّضْ عليكَ ولا تكُن قَلِقَ الحَشا ممَّا يكُونُ وعلَّهُ وعَسَاهُ !
فالدَّهرُ أقصَرُ مُدَّةً ممَّا تَرى وعَساك أن تُكفى الَّذي تخشَاهُ

وقول الآخـــر :

تربَّص بيومِكَ ما في غَدٍ : فإنَّ العَواقِبَ قَد تُعقَبُ
لعَلَّ غَدًا من أخِيهِ حِمًى يلُمُّ لَكَ الصَّدعَ أو يَرأَبُ

وقال ابن الحجَّاج :

دعْها سماويَّةً تجري على قَدرٍ لا تُفسِدنْها برأيٍ منك أرضيٍّ

وقول ابن حمديس :

ما أغفَلَ الفَيلَسوفَ عَن طُرقٍ لَيستْ لأهلِ العُقُولِ مُنسلكَه !
مَن سلَّم الأمْر للالَهِ نَجَا ومَن عَدَا القَصدَ واقَعَ الهَلَكَهْ

وقول الآخـــر :

لا تَضقْ في الأمورِ ذرعًا فقَد يُكشَفُ عنها الرَّدى بغير احتيالِ
ربَّما تجزَعُ النُّفوسُ من الأمْرِ لَه فُرجةٌ كَحلِّ العِقَالِ

وقصَّة أبي عمرو بن العلاء في هذا الشعر، حيث ألزمه الحجَّاج أن يأتي بشاهد على قراءته غَرفَة فسمع هذا الشعر مقرونا بنعي الحجَّاج، معروفة .

وقال الآخـــر :

إذا دجَا خطبٌ وأيقنتَ من صَعْبٍ بأنَّ الأمْرَ يأتي عَسِيرْ
ينْعكسُ الأمرُ ويأْتِي كَمَا شِئتَ : فسُبحانَ اللَّطيفِ الخبير ![52]

وقول الآخـــر :

لا تشْكُ ! فالأيَّامُ حُبلى رُبَّما جاءتْكَ من أعجوبةٍ بجَنينِ
فكَذا تصاريفُ الزَّمان : مشَقَّةٌ في راحةٍ وخُشُونةٌ في لِينِ !
ما ضاعَ يُونُسُ بالعَراءِ مُجرَّدًا في ظلِّ نابتَةٍ من اليَقْطِينِ

52) في ب : زيدت خطأ كلمة « على » في آخر الشطر الأول : كما على

وقول الآخـــر :

والـلّيـالي كما عَلِـمتَ حبـالَى مُقربَاتٌ يَلِدْنَ كُلَّ عَجِيبِ

وقول الآخـــر :

الدَّهر لا يَنفكُّ عَن حَدثَانِهِ والمَرءُ مُنقَادٌ لحُكمِ زَمَانِهِ

فَدعِ الزَّمانَ فإنَّهُ لم يَعتَمد لجَلالةٍ أحداً ولا لِهَـوانِهِ !

كالمُزن لم يخْصُص بنافِعِ صَوبِهِ أُفُقًا ولم يُخش أذَى طُوفانه

لكن لِبارِيهِ بواطِنُ حِكْمَةٍ في ظاهِرِ الأضْدَادِ من أكْوانِهِ

وقول الآخـــر :

دعِ المُنى ! ربَّما نيلَتْ بلا طَلَبٍ وربَّما وقَعَ الحِرمانُ في المِهَن !

وقول الآخـــر :

الدَّهر كالطَّيف بُؤساهُ وأنعُمُه من غير قَصدٍ : فلا تمدَحْ ولا تذمِ

لا تَسألِ الدَّهْرَ في غمَّاءَ يكشفُها: فلو سألْتَ داومَ البُؤسِ لم يَدُم !

وقوله : ولاَ تَذِمِ، إن كان بكسر الذّال من قولك ذَامَهُ يَذيمُهُ ذيمًا وذَامًا - أي عَابَهُ - فهو صحيح ؛ وإن كان بضمّها من قولك ذَمَّهُ يَذُمُّهُ، فهو مذموم فلحن أو ضرورة بشيعة.

وقول أبي بكر الخوارزمي :

ما أثقَلَ الدَّهرَ على مَن ركِبَهْ حدَّثني عَنهُ لسان التَّجربَهْ !

لا تَحمَدِ الدَّهر لشَيءٍ سبَّبَهْ فإنَّه لم يتعَمَّد بالهِبَهْ

وإنَّما أخْطأَ فيكَ مَذْهَبهْ كالسَّيلِ إذ يَسقي مكانًا أخْرِبَه !

والسُّمُّ يَستَشْفي به مَن شَرِبَهْ

قلت : وشعر هذَيْن الشاعريْن ينحو منحى زُهَيْر إذ يقول :

رأيت المنايا خَبْطَ عشواءَ من تُصِبْ تُمتْهُ ومن تُخطِىءْ يُعمَّر فيهرمِ

لا سيَّما الشاعر الأوَّل . ولا شكَّ أنَّ ما ذكره زهير خطأ وجهل بالتدبير الربانِيّ، والتصريف الاختياريّ، وأنّ كل ذلك واقع عن علم وسبق مشيئة . وإن كان يمكن أن يُتأوَّل الكلام لو صدر من موحِّدٍ بأن ذلك بحسب الصورة الظاهرة . ومثل المنايا صروف الدهر وحوادثه سواء.

ويشبه قول الخوارزميّ :

لا تَمدحنَّ ابن عبّادٍ وإن هطلتْ كفّاهُ بالجودِ حتّى أخْجَل الدِّيَما !
فإنّهـا خطـراتٌ من وساوسِه يُعطي ويَمنَعُ لا بُخلاً ولا كَرَمَا

[وكتب البيتَيْن فوضعهما حيث يجلس الصاحب ثمّ ارتحل من وقته][52م] . فلمّا وقف الصاحب عليهما قال :

أقولُ لركبٍ من خُراسانَ أقْبَلوا (×) أماتَ خْوارزْمِيُّكُمْ ؟ قيل لي نَعَم !
فَقلت : اكتبوا بالجصِّ من فوق قبره: ألا لَعَن الرَّحمانُ من يَكفُر النِّعَم !

ومثل ما تقدّم قول الآخر :

من يصْحَبِ الدّهر لا يَعدَمْ تقلُّبَهُ والشَّوكُ ينبُتُ فيه الوردُ والآسُ
تَمرُّ حينًا وتحلُو لي حَوادِثُه فقلَّما جَرحَت إلاّ انثَنَت تاسُو

وقول الآخر :

لا تجزعنَّ لعُسرةٍ من بَعدِها يُسرانِ وعْدٌ ليسَ فيه خِلافُ !
كم عُسرةٍ ضاقَ الفتى لِنُزولِها لِلّهِ في أعطافِها ألْطَافُ !

وقول الآخر :

تصبَّرْ للعواقِبِ واحْتَسِبْها فأنتَ من العواقبِ في اثنَتَينِ
تُريحُك بالمُنى أو بالمَنَايا فإنَّ الموتَ إحدى الرّاحَتَين !

وقول الأبيَورْدي :

تنكَّرلِي دهْري ولم يَدر أنَّني أعزُّ وأنَّ الحادثاتِ تَهُونُ
فَباتَ يُريني الخَطبَ كيفَ اعتِداؤُهُ وبتُّ أُريهِ الصَّبر كيف يكونُ

وقولنا من قصيدة :

فإذا عَرتْك الحادثاتُ فثِقْ بمليكِها ذي الخَلقِ والأمْرِ
واصْبِر لِرَوْحِ اللّه مُرتجيًا فَلَتَحْمَدَنَّ عواقبَ الصَّبْرِ
إنَّ اصْطِبارَ المَرءِ مُفْتَتِحٌ مُنغلَقَ البَأسَاءِ والعُسْرِ
ومُنفِّس عَنهُ الكُروبَ إذا ضَاقَتْ بهِنَّ جَوانِحُ الصَّدْرِ
كَمْ مِن حَزينٍ بَاتَ مُكتئبًا مُتعسِّرَ الأحْشَاءِ ذا زَفْرِ

52م) سقط ما بين معقوفتين من د.

×)في المخطوطات : «لقبوا» بدل «أقبلوا». وفيه رواية أخرى : «أقول لركب من خراسان قافلِ».

مَا يَرتجِي جِلْبَابَ لَيلَتِهِ أن يَنزَوِي · طَرفَاهُ بالسَّفْرِ
فأتَتْه ألْطَافٌ مُنفِّسَةٌ لفُؤادِهِ مِن حَيثُ لا يَدري
ولَكَم بُعَيْد الضِّيقِ من سَعةٍ ولَكم بُعَيدَ العُسر من يُسر !
هَل بَعد مُعْتكَرِ الظَّلامِ سِوَى بَلَجِ الصَّباحِ وطَلعَةِ الفَجْرِ
أو بَعد ظَمْأةِ هَجْمَةٍ وردَت إلاَّ ارتِواءُ جانِب الغُدْرِ
أو بَعد خانِقَةِ التِّلاعِ سِوَى فيحِ الفِجَاجِ وفُسحةِ البُهرِ ؟

وقول الآخر :

أمَقْتولَةَ الأجْفَانِ مَالَكِ والهَا ألم تُرِكِ الأيَّامُ نجمًا هَوى قَبلي ؟
أقَلِّي بُكاءً : لَستِ أوَّل حُرَّةٍ طَوت بالأسى كشحًا على مضضِ الثكلِ
وفي أُمِّ موسى عِبرةٌ إذ رمَت به الى اليمِّ في التَّابوت فاعتبري واسلي
ولَّله فينا عِلمُ غَيبٍ وحَسبُنا به عند جَورِ الدَّهْرِ مِن حَكَمٍ عَدلِ

والشعر في هذا المعنى أكثر من أن يحصى.

وقال الغزي :

قالوا : بَعُدتَ ولم تَقرُب فقلت لهم: بُعدِي عن النَّاس في هذا الزَّمان حِجا
لولا التَّباعُد بين الحاجبَين بِه بانَ افتراقُهُما لم نَعرفِ البلَجا

ومثله قول الارجاني :

أسفْتُ على عُمْرٍ تصرَّم ضائعًا وجُدْتُ بدمعٍ يَستهلُّ هَتونِ
وآنسني بُعدي من النَّاس جانبًا وإن هُمْ على أحداقِهم حملوني
ولمَّا غدا عنَّا على جَفن ناظري لقاءُ الورَى من صاحبٍ وخَدينِ
أَلِفتُ الفضا مستوطنًا ظهر ناقةٍ تلفُّ سهولاً دائِمًا بحزُونِ
وما سرت إلاَّ في الهواجِرِ وحدها كراهةَ ظلٍّ أن يكون قريني

وقول أبي العلاء المعري :

فظُنَّ بسائر الاخوان شرًّا ولا تأمَن على سرٍّ فُؤَادَا :
فَلو خبرَتْهُمُ الجَوزَاءُ خُبْرِي لما طلعتْ مخافةَ أن تُكادا !

وقوله أيضا :

جرَّبتُ دهري وأهلِيه فما تَركتْ ليَ التَّجاريبُ في ودٍّ امرىءٍ غرضَا

وقول ابن قلاقس :

إعلَقْ بأطواقِ الودادِ فإنَّهُ ... مَن دافعَ الأمْواجَ ماتَ غَريقَا

وإذا انتَهَى الاخْلاصُ أوجَبَ ضِدَّه: ... إنَّ التَّجمُّعَ يُنتِجُ التَّفريقَا !

وقول ابن الرومي، وهو المثل المشهور في هذا :

عَدُوُّكَ من صَديقِكَ مُستفَادٌ: ... فَلا تَستَكثرنَّ مِنَ الصِّحابِ

فإنَّ الدَّاءَ أكْثَرَ مَا تَرَاهُ ... يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أو الشَّرابِ !

وقول الآخر :

جَزَى اللَّهُ خيراً كلَّ من ليس بيننا ... ولا بينَه ودٌّ ولا مُتَعارَفُ :

فَما نالَني ضَيمٌ ولا مسَّني أذًى ... من النَّاسِ إلاَّ مِن فتًى كنتُ آلَفُ !

وقول الآخر :

احْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً ... واحْذَرْ صَديقَكَ ألْفَ مَرَّهْ :

فلرُبَّما انقَلَبَ الزَّمَانُ ... فَكَانَ أعْرَفَ بالمَضَرَّهْ !

وقول ابن سناء المُلك :

أبَى الدَّهر إلاَّ ضدَّما أنا طالبٌ: ... فيا لَيتَ منِّي مكَّنَ اللَّه ضدَّهُ !

يُعدُّ الفَتى إخْوانَهُ لزَمَانِه ... وأعْدى لَه من خوفِه من أعدَّهُ

وقولي من قصيدة :

وبَنُو دهْرِكَ العُضَالُ مِن الدَّاء ... العَديمُ الأسَاةِ ذُو الازْمَانِ

وأضرُّ الأدواءِ مَن تتولاَّهُ ... وتَحجُبُوهُ أقْرَبَ الاخْوَانِ

إنَّما الأقْربَاءُ في النَّاسِ جُسَّاسٌ ... عَليكَ في السِّرِّ والاعْلاَنِ

يَخْبُرُونَ العَوْرَاتِ حِفْظًا وإعداداً ... ليومِ البَأسَاءِ والشَّنَآنِ

وقول الأنصاري الأوَّل :

ألا رُبَّ من تحجو صديقًا ولو ترى ... مقالتَه بالغَيبِ ساءكَ ما يفْري:

لسانٌ له كالشَّهد ما دُمت حاضراً ... وبالغَيب مَطرورٌ على ثُغرةِ النَّحر

وقولي من قصيدة :

فتوخَّ في النَّاسِ الوفيَّ إذا ... عَاشَرتَهُم وحَذَارِ ذا الغَدْرِ !

واسْبُرهُمُ قَبل الاخَاءِ ولاَ ... تَغْترَّ في الاخْوانِ بالسَّبْرِ !

كَم من أخٍ مَذقَ الودادَ عَلى ما فيه من إحَنٍ ومِن سِبْرِ
إن تَلْقَهُ فالشّهدُ مِقْوَلُهُ وإذا تَغِيبُ يَكُونُ كالصِّبْرِ
سِيمَى بوجْهِكَ تستمِيلُ وإنْ أدبَرتَ عَنْهُ فكيَّةُ الظَّهْرِ
وإذا الزَّمانُ دعاكَ نائِبُه العَازِي إلَيهِ ترجِّيَ البِرِّ
فسيحْتبِيكَ بوعْدِ غانِيةٍ أو وعدِ عُرقوبٍ جَنى التَّمْرِ
واذا تعُودُ يَظَلُّ مُكْتَلِحًا مُتَغَيِّظًا يَنْزُو وَيَسْتَشْرَى
وإذا تُصَادِفْ ذا الصَّفَاءِ فكُن منه، ولَو صَافَاكَ، ذا حِذْرِ
وأسِمْ سَوائِمَ سَمْعِهِ طُرقًا مَطْروقَةً مِنْ مَسرحِ السِّرِّ[53]
وصُنِ السَّرارَةَ والُّلبَابَ ولاَ تَبذُلْ لَه منْهُ سِوَى القَشْرِ
فلرُبَّما يَلوِي الزَّمانُ بهِ فَيكونُ أبْصَرَ فيكَ بالضُّرِّ

وقول الآخر :

فَاقت بيوسُفها الدُّنيا وفاحَ لها طِيبٌ طَوى المسكَ في نشرٍ لها أرِجِ
فإن يُشاركْه في اسم المُلك طائفةٌ فإنَّ شمس الضُحى من جُملة السُّرجِ

ويتمثّل بالبيت الثاني . ومثله في المعنى قول الآخر :

وفي البَساتين أفنانٌ مُنوَّعَةٌ وليس يُقطَف إلاَّ الوردُ والزَّهَرُ
وفي السَّماء نجومٌ ما لها عَددٌ وليس يَخْسفُ إلاَّ الشَّمسُ والقمَرُ

وقول أبي الطّيب :

فإن تفُقِ الانَامَ وأنتَ مِنْهُم فإنَّ المسكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ

وقول الآخر :

وقَد يُسمَّى سماءً كُلُّ مُرتفِعٍ وإنَّما الفَضْلُ حَيثُ الشَّمسُ والقَمرُ

وقول الآخر :

النَّاس كالنَّاسِ إلاَّ أن تُجرِّبَهُم وللبصيرةِ حُكمٌ ليس للبَصَرِ
والأيْكُ مُشتَبهاتٌ في مَنَابِتِها وإنَّما يَقعُ التَّفضيلُ في الثَّمر

وقول الآخر :

وقَد يتقارَب الوصْفَانِ جِدًّا ومَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ

53) في ب : « طررًا » بدل « طرقا » . وترك بيتض مكان القاف في جـ.

وقول الآخـــر :

قَـد يَـبعُـدُ الشَّـيءُ من شيءٍ يُـناسبُـه: إنَّ السَّماءَ نَـظِـيرُ الماءِ في الزَّرَقِ

وقول الآخـر:

دعْ ما تناسَبَ في الأبْصار ظاهرُه ولا تقُـل بقياسٍ غَـيرِ مُطَّرِدِ !

فصدمةُ المُتنافي لا اعتِـدادَ بها: شتَّانَ ما بين مُهتزٍّ ومرتَـعِـد ![54]

وقول الآخـــر :

قَـد تُـشبهُ الحَـالَـةُ الأخْـرى وبينهُـما إذا تأمَّلتَ فرقٌ عن سِواك خَـفي

فربَّما صفَّقَ المسْرورُ مِن طَرَبٍ وربَّما صفَّق المحزونُ من أسَفِ

وقول الآخـــر :

لَـقد عَـرضَ الحَـمامُ لنا بِـسَجْعٍ إذا أصْغَـى لَـهُ رَكْبٌ تَـلاَحَى

شَـجَـا قَـلب الخَـليِّ فَـقالَ غنِّي وبـرَّحَ بالشَّـجيِّ فقـال نَـاحـا[55]

وقال الشيخ عمر بن الفارض :

لا كَـان وجدٌ به الآماقُ جَـامِـدَةٌ ولا غَـرامٌ بِـهِ الأشْـوَاقُ لم تَـهِـجِ

وقال الراعــي :

ومُرسلٍ ورسُولٍ غَـيْرِ مُـتَّهَـمٍ وحاجَـةٍ غَـيرِ مُزجَـاةٍ مِن الحاجِ

طاوعْـتُـهُ بَـعدما طَـالَ النَّجيُّ بنا وظـنَّ أنِّي علـيه غيرُ مُنعـاج[56]

ما زَال يفْـتَـحُ أبوابًـا ويُـغْـلقُـهَـا دونـِي وأفْـتَـحُ بابًـا بَـعدَ إرتاجِ

حتَّـى أضَـاءَ سِراجٌ دُونَـهُ بَـقرٌ حُـمرُ الأنامِـلِ عينُ طَـرفِـها ساجِ

يا نِـعْـمَـها ليلةً حتَّـى تخوَّنَـهَـا داعٍ دعا في فروعِ الصُّبحِ سحَّاجِ

لمَّا دعا الدَّعوةَ الأولَـى فأسمَـعَـني أخَـذْتُ بُـردَيَّ واستَـمرَرتُ أدراجي

وقال الآخـــر :

ما زلتُ أبغي الحيَّ أتْـبَـعُ ظِـلَّهم حتَّـى دفَـعتُ إلى ربيبَـة هوْدَجِ

قالت : وعَـيشِ أبي وحُـرمةِ إخوتي لأُنبِّهنَّ الحيَّ إن لم تَـخْـرُجِ !

فخرجتُ خيفَـةَ قولِـهَـا فَـتبسَّمَـت فعلِـمتُ أنَّ يمينَـهَـا لم تُـحرِجِ

---

54) في جـ : « فهزمة » بدل « فصدمة »، وفي د : « فهدمة ».

55) صحف الشطر الثاني في د، فكتب فيه : وبرَّجِ بالشجا...

56) صحفت كلمة « النجي » في جـ، فكتبت « النجا ».

فلثَـمتُ فَاها آخِـذاً بقُرونِـها شُربَ النَّزيفِ بِبَـردِ ماء الحَشرجِ

قوله ماء الحَشْرَج أي الماء الجاري على الحجارة.

وقالَ عمر بن أبي ربيعة :

قَـد كُنتَ حمَّلتَـني عيظًا أُعالجُه فإن تُقِـدني فَقد عنَّيتني حِجَجا
حتَّى لَـوَ اسْطِيعُ ممَّا قَـد فعلتَ بنا أكَلتُ لحْمك من غيظٍ ومَا نضِجا !

وقبل هذَيْن البيتَيْن :

ياربَّةَ البَـغْلةِ الشَّهبَاءِ هَـل لكُمُ أن ترحَمي عُمراً لا تُرهِقي حَرَجا ؟
قالت : بدائِـكَ مُتْ أو عِشْ تعالجُهُ فما نَرى لك فيما عندنا فَرَجا !

وبعدهمـــا :

فقلت : لا والَّذي حجَّ الحَجيجُ له ما مُجَّ قَلبُكِ من قَلبي وما نَـهَجَا
ولا رأى القَلبُ من شيءٍ يُسرُّ به مُذبانَ منزِلُكُم منَّا وما ثَلِجَا
كالشَّمس صورتُها غرَّاءُ واضِحةٌ تُعشي إذا برزَت من حُسنِها السُّرُجا
ضَنَّت بنائِلِها عنه فقد تَركَت من غَير جُرمٍ أبا الخطَّابِ مُختلجا

وقال بعض المجَّان :

إذا مررتَ بوادٍ لا أنيسَ به فاضرِبْ عُمَيرَةَ لا عارٌ ولا حَرَجُ

ضَرْبُ العُمَيْرَةِ هي الخَضْخَضَةُ، وهي الاستمناء باليد وشبهه . وكذب هذا القائل : فإن في الخضخضة لحرجًا وعارًا، وإنَّها محرَّمة عند جماهير الناس، وفيها قول بعض الأعراب :

إن تبخَلِي بالرَّكَبِ المَحْلُوقِ فإنَّ عِندِي رَاحَتِي وريقِي

والرَّكَبُ بفتحتَيْن، وتقدَّم تفسيره.

وقول الآخـــر :

كفِّي ورجلِي لا عَدِمتُ كليهِما أصْبحتُ أغْنى مَن يَروحُ ويغْتَدي
أمشِي على هَذِي وأنْكِحُ هَذِهِ فَمطِيَّتي رجْلي وجاريتي يَدِي !

وقول الآخـــر :

خَطبتُ إلى ساعِدي رَاحَتي وما كُنت من شرٍّ خُطَّابِهَا
وما إن تَكلَّفْتُ من مَهْرِهَا سِوَى رِيقَةٍ أتَجَزَّى بِهَا

فإن شِئْتُ أُوتَى بِهَا ثَيِّبًا وبِكْرًا إذا شِئْتُ أُوتَى بِهَا

وقال بعضهم : مررت على برذعة الموسوس، وقد أدخل رأسه في جيبه يتخضخض . فضربته برجلي، فانكشف فإذا هو مُنعظ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : أما ترى في ذلك الرَّوْشَنِ ؟ وأشار إلى باب في عليَّة، فإذا جارية جميلة تتطلَّع . فقال : إني دعوتها، فلمَّا لم تجبني أجبتها . فقلت : قبَّحك اللَّه ! وولَّيت عنه . فلم ألبث أن لحق فقال : قضيت الحاجة على رغم أنفك، وأنشد :

أأنكَرتَ ما عايَنْتَ من كفِّ دالِكِ وهَل يُنكَرُ التَّدليكُ في قولِ مالكِ ؟

لَقَد أمِنَ الدُّلاَّكُ مِنْ أن تنالَهُمْ حُدودُ الزِّنى في واضحات المسالِك

وإنِّيَ قد سَكَّنتُ غُربَةَ غُلمَتي بحُسن العُيونِ والثُّدِيِّ الفَوالِكِ

وكذب هذا الأحمق على مالك، رضي اللَّه عنه : فإنَّ حرمة الاستمناء هي مذهبه، وكذا مذهب الشافعي وغيره . وإنَّما رُويت فيه رخصة عن عمرو بن دينار، إن صحَّت الحكاية عنه. وروي عن ابن عبَّاس أنَّه قال في الخضخضة : هي خير من الزنى.

قلت : وليس في هذا الكلام ما يقتضي حليتها، إذ ليست المحرَّمات كلّها في درجة واحدة، بل مقطوع بتفاوت ما بينها : فإن الزنى نفسه - وهو محرَّم إجماعًا - على درجات بعضها أشدّ من بعض . ألا ترى أن الزنى بحرَّة مطاوعة لا زوج لها ولا أهل يسبون بفعلها، ولا ترجو ولدا أخفُّ من الزنى بغيرها وإن كان الكلّ حراما، لأنَّ الحقَّ إذا انفرد وتمحَّض للَّه تعالى أخفّ ممَّا إذا انضمَّ إليه حقُّ المَزْنِيّ بها المُكرهة أو حقُّ الزوج، أو حقُّ الأهل، أو حقُّ السيِّد في الاضرار بهم، ونحو ذلك من الحقوق . وهو أيضا في الآيسة أخفّ منه في الولود، لِمَا في الثانية من مزيد المفسدة باختلاط الانساب، وهو الحكمة الأصلية في التحريم . ومعلوم أنَّ الخضخضة ليست بمحلّ لهذه المفسدة، لا تحقيقا ولا مظنَّة ؛ ولكن فيها تضييع البَذْر، وهو ماء النسل في غير وجهه، فلتكن هي أخفَّ . ولهذا المبحث محلّ يليق به، وليس من غرضنا الآن التعرض له.

وقلت أنـــا :

إذا لَحظَتكَ عَينُ المَرءِ يومًا بَدا منه صِفَاءٌ أو ضِجَاجُ

وأنبَتْ فيه عن حُبٍّ وبُغْضٍ كَمَا يُنبِي عَنِ المَاءِ الزُّجَاجُ

الصِّفَاءُ بالكسر : المُصَافَاة ؛ والضِّجَاجُ بالكسر : المضاجَّة، وهي المُشَاوَرَة.

وقلت أيضـــا :

لكُلّ أخي داءٍ دواءٌ يُعِدُّهُ وأعْيَـى دَواءُ الضِّغْنِ كُلَّ مُعَالِجِ
إذا آنَسَ النُّعمَى تَضَاعَفَ داؤُه وآضَ بغيظٍ للْجَوَانِحِ زَامِجِ
وإن آنَسَ البَأسَاءَ أصْبَحَ شامتًا بقَلبٍ من الشَّحْنَاءِ والهَزْءِ رامِجِ

تقول : زَمَجَتْ القِربَةَ إذا مَلأتها، وزَمْجُ الغَيْظ لِلجَوَانح مجاز . والرَّامِجُ : الممتلىء الريَّان، وهو هنا مجاز أيضا.

وقلت أيضـــا :

أرَى الورَى وصُروفُ الدَّهر تخْضِمها مثلَ السَّفينِ تَداعَت فوقها اللُّججُ
وهم رَمايا مَناياها فَلا ورَزٌ عَنها ولا ملْجأٌ منها ولاَ وحَجُ
كأنَّما هيَ حوضٌ والوَرَى وردٌ عَطشَى أناخوا عَليه دائمًا وحَجُوا
أو مِثلُ هيمٍ لِخِمْسٍ تغتَشيهِ فلم يُغنِ الذِّيادُ لها عنهَ ولا العَنَجُ

الخَضْم : الأكْل، ويستعمل في ملء الفم بالمأكول، وهو مجاز هنا عن الاستئصال والوحَج: الملْجَأ، وهو عطف تفسير . والوُرُد بضمَّتَيْن جمع وَرُود ؛ وحجُوا : أقاموا . يقال : حجيَ به أي أُولِعَ به ولزمه . وبينه وبين الوَحَج الأول جناس تامّ بين الاسم والفعل . والهِيمُ : الابل يصيبها الهُيام . والخِمس بالكسر : زمان ورودها . والذِّياد : الطَّرْد ؛ والعَنَج بالتحريك : اسم من العَنْج بالسكون، وهو أن يشدَّ الراكب خطام البعير فيردّه على رجلَيْه.

بَـابُ الـحَـاءِ المُـهمَـلة

أحَـبُّ الحَـدِيثِ أصْـدَقُـهُ.

الحُبُّ معروف . تقول : أحْـبَـبْـتَ الرَّجُـلَ، فهو مَـحْـبُـوبٌ - على غير قياس - وقد يقال مُـحَـبٌّ، وهو قليل . قال عنترة :

ولَـقد نَـزلت فَـلا تَـظُـنِّـي غَـيرَهُ منِّـي بمنزلَـةِ المُـحَـبِّ المُـكرمِ

وقد يقال حَـبَـبْـتُـه ثلاثيا أَحِـبُّه بالكسر، فهو محبوب . أنشد الجوهري في الصحاح :

أَحِـبُّ أبا مَـروانَ من أجْـلِ تَـمْـرِهِ وأعْـلمُ أنَّ الرِّفقَ بالمرءِ أرفَـقُ

ووالـلّهِ لولاَ تَـمرُهُ ما حَـبَـبتُـهُ ولَـو كانَ أدنى من عُـبَـيدٍ ومُـشرقِ[1]

وليس عندهم مضعَّف متعدّ يتمحَّض فيه الكسر غير هذا . والحديث معروف أيضا . والصدق ضدّ الكذب . وهذا كلام يُـروى عن النبيّ صلى الـلّه عليه وسلَّم لمَّا جاءته هوزان تطلب منه أن يردَّ إليها ما أخذ منها من السبايا والأموال يوم حُـنَـيْـن . فقال : **أحَـبُّ الحَـدِيثِ إلى الـلّهِ أصْـدَقُـهُ**، أو : **خَـيْـرُ الحَـدِيثِ**، إنَّ مَـعِـي مَـنْ تَـرَوْنَ، فاخْـتَـارُوا إحْـدَى الطَّائِـفَـتَـيْـنِ : إمَّا السَّـبْـي وإمَّا الأمْـوال . فاختاروا السبي وقالوا : لا نعدل بالأحساب شيئًا . والقصَّة مشهورة في المغازي.

وقال كعب بن مالك رضي الـلّه عنه :

أبْـلِـغ قُـريشًا وخير القولِ أصْـدقه والصِّـدقُ عند ذَوِي الالبابِ مَـقْـبولُ

حُـبُّـكَ الشَّـيءَ يُـعْـمِـي ويُـصِـمُّ.

الحُـبُّ مرَّ ؛ والعَـمَـى معروف، وأعْـمَـيْـتُه : فعلت به ذلك . وكذا الصَّـمَـم وأصممته .

---

1) فيه إقواء . ويرويه المبرد بدون اقواء هكذا :
وكان عياضٌ أدنى منْـهُ ومُـشْـرقُ

وهذا أيضا يُروى عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم . والعَمَى هنا يَحتمل أن يكون عَمَى البصر - وهو أظهر - أو عَمى البصيرة - وهو أدقّ وأليق - .

والمعنى أنّ المرء إذا أحبّ شيئا غلبت محبّته على قلبه، فلا يرى رشده، ولا ينظر عاقبته، ولا يسمع عاذله . والصّمَم هنا مجاز أيضا عن عدم الاصغاء الى المسموع، وعدم الاهتبال به والانتفاع به . فكأنّه أصمّ لا يسمعه، كما قال تعالى : **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**".وقال الشاعر :

صُمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذُكِرتُ به وإن ذُكرتُ بشرٍّ عندهُمْ أذِنوا

وقال الآخـــر :

فأصْمَـمتُ عمْـرًا وأعْمَيـتُهُ عَنِ الجُودِ والفَخْرِ يَومَ الفَخَارِ

وفي معنى المثل قال الامام البوصيري رحمه اللّه :

محضتَني النُّصحَ لكِن لَستُ أسمَعُه إنّ المُحبَّ عَن العُذّال في صَمَمِ

وهذا المثل يضرب في الحذَر من اتباع الهوى وما يؤمر به من اجتنابه.

وفي حديث آخر عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم : **جَاهِدُوا أهْواءَكُمْ كما تُجَاهِدُونَ أعْداءكُمْ !**

وقال الشاعر :

إذا طالبَتكَ النّفسُ يومًا بشهوةٍ وكان عَليها للخلافِ طَريقُ

فخالف هوَاها ما اسْتطَعتَ فإنّما هَوَاها عَدُوٌّ والخِلافُ صَديقُ

وقال الآخـــر :

وفي الحِلمِ والاسْلامِ للمَرءِ وازعٌ وفي تَركِ طاعاتِ الفُؤادِ المتيَّمِ

بَصائِرُ رُشْدٍ للفَتى مُستَبِينَةٌ وأخْلاقُ صدقٍ عِلمُها في التّعلُّمِ

وفي هذا المعنى ما لا يُحصى من الشعر والنثر يأتي في الحكم، إن شاء اللّه تعالى.

حَبْلُ فُلاَنٍ يُفْتَلُ.

الحَبْل، بالفتح فالسكون : الرباط، وهو معروف . وجمعه حِبَال وأحْبُل . قال الشاعر:

أمِن أجْلِ حبلٍ لا أباكَ ضرَبته بِمنسأةٍ ؟ قد جرَّ حبلُك أحْبُلا[2]

وفَتْل الحَبْل معروف . قال امرؤ القيس :

فَيَالَكَ من لَيلٍ كأنَّ نجومَهُ بكُلِّ مُغارِ الفتْل شُدَّت بيذْبُل !

أي بكل حبل أُحْكم فَتْلُه . ويقال : حَبَلْهُ يُفْتَلُ إذا كان مقبلاً على الأمر.

حَتْفَهَا تَحْمِلُ ضَأْنٌ بِأَظْلاَفِهَا.

الحَتْفُ : الموت . والأظْلاَفُ جمع ظِلْف بالكسر، وتقدَّم تفسيره . وهذا المثل يضرب في الهلاك يجتلبه القدَر على الانسان، أو يجرّه على نفسه . وأصله أنَّ النعمان بن المنذر عمد الى كبش، فعلَّق في عنقه مُدْية، وأرسله يرعى، ونذر أن يقتل من تعرَّض له. فكان الكبش يخرج ولا يُمسّ . ثمَّ مرَّ على أرقم بن علباء اليشكري ـ وقيل على علباء بن أرقم اليشكري ـ فقال : كبش يحمل حتفه بأظلافه ! ووثب عليه فذبحه واشتواه . فقال في ذلك شعرا طويلا، منه :

أُخوَّفُ بالنُّعمانِ حتَّى كأنَّني ذبَحتُ له خالاً كريمًا أو ابنَ عمْ

وقال أبو عُبَيْد إنَّ هذا المثل تمثَّل به حُرَيْثُ بنُ حَسَّانَ الشَّيْباني بين يدي النبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم لقَيْلَةَ التميميَّة، وكان قدم بها الى النبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، وذلك في قصَّة طويلة، حتَّى قالت قيلة : فقدمنا ـ تعني مع حُريث ـ على رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فصلَّيت معه الغداة، حتَّى إذا طلعت الشمس دنوت. فقال رجل : السلام عليك يا رسول اللَّه ! فقال رسول اللَّه : **وعليْكَ السَّلامُ ! وهو قاعِدٌ القُرْفُصاء** . فقالت : فتقدَّم صاحبي، فبايعه على الاسلام، فقال : يا رسول اللَّه اكْتُبْ لي بِالدَّهْنَاء[3]. فقال : **يا غلامُ اكْتُبْ لَه** . قالت : فشخص بي، وكانت وطني ودراري . فقلت : **يارسولَ اللَّه، الدهناء مُقَيَّدُ الجَمَلِ ومَرْعَى الغَنَم، وهَذِهِ نِسَاءُ بَنِي تميمٍ وراءَ ذلِك** . قال : **صَدَقَتِ المِسْكِينةُ ! المسلمُ أخو المُسلم، يَسْمَعُهُمَا الماءُ والشَّجَرُ، ويتَعَاونَان عَلَى الفُتَّان** . وقال رسول اللَّه صلَّى

---

2) قال ابن برّي : صوابه « قد جرَّ حبلَك أحْبُلُ » . قال : وبعده

هلمَّ إلى حُكْم ابن صخْرةَ، إنَّه سيحْكُم فيما بيننا ثم يَعْدلُ

(انظر **لسان العرب**، مادة حبل)

3) يريد أن يُقطعه إياها.

اللّه عليه وسلّم : أيُلامُ ابنُ هَذِهِ أن يَفْصِلَ الخُطَّةَ ويَنْتَصِرَ مِن وراءِ الحُجْرَة ؟ انتهى.

وهذا المثل هو مثل قولهم : بَحَثَ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ، وتقدّم.

حَتَّامَ تَكْرَعُ ولاَ تَنْفَعُ ؟

حَتَّى هنا حرف جرّ، دخلت على ما الاستفهاميّة . ويُقال كَرَعَ في الماء وفي الاناء، بفتح الراء وكسرها، كُرُوعًا وكَرْعًا إذا تناوله بفيه من غير أن يشرب بكفّيْه ولا بإناء . والكَرع بفتحتَيْن : الماء يُكرع فيه يجتمع من ماء السماء في غدير أو نحوه . قال عدي ابن الرّقاع يصف راعي الابل :

يَسُنُّها آبلٌ ما إن يُجِزُّئُها جَزْءًا شَديدًا وما إن تَرتَوي كَرَعَا

ويقال : نَقَعَ الرجل بالشراب وبالخبر، بفتح القاف إذا استشفى به من غليله . قال كثيّر :

فما نقَعَت نفسي بما أمَرُوا بِهِ ولا عُجْتُ من أقْوالِهِمُ بفَتيلِ

والمثل ظاهر معنًى ومضربًا.

المُحَاجَزَةَ، قَبْلَ المُنَاجَزَةِ.

ويقال أيضا : إن أرَدْتَ المُحَاجَزَةَ فَقَبْلَ المُنَاجَزَةِ. يقال حَجَزَه عن الأمر إذا كفّه عنه وصَرَفه، فانْحَجَز هو . وحَجَزَ بين الناس فَصَل بينهم . وتَحَاجَزَ القومُ كَفَّ بعضُهم بعضا . والحَجزَةُ ـ بفتحتَيْن ـ الذين ينمنعون بعض الناس من بعض ويفصلون بينهم، جمع حَاجِز . ويقال : نَجَزَ حاجته وأنْجَزَها : قَضَاها . والمُنَاجَزة المُقابلة . وتَنَاجَزَ القوم تلاحموا وتقاتلوا . والمعنى أنّ المُحاجزة والمُسالمة إنّما تكون قبل المناجزة والوقوع . فيُضرب عند الحزم والفرار ممّن لا يُطاق، أو عند طلب الصلح بعد القتال.

حِدَأَ حِدَأً وراءَكِ بُنْدُقَةً.

الحِدَأة، بكسر الحاء وفتح الدال المهملة بعدها همزة : الطائر المعروف، جمعه حِدَأٌ على مثال عِنَبَة وعِنَب . قال الراجز[4]: كمثل تَدانَى الحِدأُ الأُوِيُّ

وقال الآخـــــر :

وتُبلِي الألى يستلئِمونَ على الألى تَراهنَّ يومَ الرَّوعِ كالحِدإِ القُبْلِ

وضمير تُبْلِي للمَنُون في البيت قبله . يقول : إنَّ المنيَّة تُبْلِي الذين يَسْتَلْئِمُون - أي يَلْبَسون اللأْمَات للقتال - على الألى - أي على النساء - اللائي تَراهُنَّ يومَ الرَّوْعَ - أي يوم الفَزَع - كالحِدإِ القُبْل جمع قَبْلاء، وهي الناظرة بمقدَّم العين . يصفهنَّ بالاشفاق على أزواجهنَّ، فهنَّ ينظرن إليهم هل سلموا . والبُنْدُقَة - بالضمّ - هي التي يُرمى بها . وحِدأً في المثل أصله : يا حِدأَةُ بالهاء [منادى، فرخَّمه بحذفه الهاء][5] وأسقط حرف النداء . والمعنى : يا حدأة، وراءَكِ بُنْدُقَة ! أي احذَري بندقة الرامي تَنصبك ! وقيل إنَّ حِدأً هي حدأُ بنُ نَمِرَة، وبُنْدُقَة هي بَنْدُقَةُ بنُ مظَّة ، وهما قبيلتان من سَعْدِ العَشيرة . وكانت حِدأُ تنزل الكوفة، فأغاروا على بُنْدقة، وكانوا ينزلون باليمن، فنالوا منهم . ثمَّ كرَّت بندقة على حدأة فانحوا عليهم، فصار يُضرب لمن يُفْزِع بعدْوِه أو يُبْلَى بنظيره . ومن الناس من يرويه : حَدا حَدا، بفتح الحاء غير مهموز على مثال عَصا - ويقول هو اسم القبيلة.

ويُروى : حَدِّثْ حَديثَيْنِ المَرْأة، فَإنْ أبَتْ فَعَشَرَة . والحديثان والأربعة والعشرة أعداد معروفة . والمرأة فيها أربع لغات . يقال امْرَأة ومَرْأة ومَرَة ومَراة . ويُروى : حَدِّثِ المَرْأةَ حَديثَيْنِ، فَإنْ لَم تَفْهَمْ فَاربَعْ. يقال : يَربَعُ إذا وقف وحبس . والمعنى : حَدِّثْ حتَّى إذا كرَّت الحديث فلم يفهم عنك، فأمْسِك ولا تُتعِبْ نفسك !

---

4) هو العجاج يصف الأثافي.
5) سقط ما بين معقوفتين من د.

يُضرب في سوء السمع والاجابة . وهذا المعنى ظاهر في الرواية الأخيرة . وأمَّا الروايتان الأوليان فأولهما رواية أبي عُبَيْد . قال البكري : وتصحّ على حذف، يريد حدث حديثين المرأة، فإن لم تفهم فأربعة لا تفهمها . وعلى الرواية الأخرى : فعشرة لا تفهمها . انتهى .

قلت : وهذا المثل من الأمثال الموضوعة على ألسنة العجماوات . زعموا أنَّ الأرنب التقطت ثمرة، فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا الى الضبّ يختصمان . فقالت الأرنب : يا أبا الحِسْل ! فقال : سميعًا دعوت . قالت : أتيناك لنختصم إليك، فاخرج إلينا . قال : في بيته يُؤْتَى الحَكَم . قالت : إني وجدت ثمرة . قال : حُلْوة فكُلِيها. فقالت : فاختلسها مني الثعلب . قال : لنفسه سَعَى . قالت : فلَطَمْتُه . قال : حقَّك أخَذْتِ . قالت فَلَطَمَني . قال : حرٌّ انْتَصَر . قالت : فاقضِ بيننا ! قال : حَدِّثِ امرأةً حديثين، فإن لم تفهم فأربعة ! وهذه المَقالة[6] المنسوبة الى الضَّبّ كلّها أمثال سائرة.

حَدِيثُ خُرَافَةَ يَا أُمَّ عَمْرٍو !

الحَدِيثُ معروف . وخُرَافَة ـ على مثال أُسَامَة ـ رجل من عذرة استوهته الجنّ ثمَّ نجا . فكان يخبر بأمور غريبة، فكذَّبوه وقالوا : حَدِيثُ خُرَافَةَ، ثمَّ ضربوا به المثل وجعلوه لكلّ حديث مستملح، أو لكلّ حديث لا حقيقة له . وهو مثل سائر قديمًا وحديثًا . وقيل إنَّ خرافة كان له تابع من الجنّ فكان يخبره بأشياء عجيبة، فيتحدَّث بها، فتكون كما ذكر، فنسبوا إليه الأحاديث الصادقة المعجبة الصادقة . قال الجوهري : ويُروى عنه صلَّى اللّه عليه وسلَّم أنَّه قال : **وخُرَافَةُ حَقٌّ**. انتهى.

وذكر بعض الأدباء أنَّه رُوي بسند متَّصل الى عائشة رضي اللّه عنها قالت للنبيّ صلَّى اللّه عليه وسلَّم : حَدِّثْنِي بحَدِيثِ خُرَافَةَ ! فقال : **رَحِمَ اللّهُ خُرَافَةَ ! كَانَ رَجُلاً صَالِحًا**، فَأخْبَرني أنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَلَقِيَ ثَلاَثَةَ نَفَرٍ مِنَ الجِنِّ، فَأسروهُ، فَقَالَ أحَدُهُمْ : نَعْفُو عَنْهُ . وقَالَ آخَرُ : نَقْتُلُهُ . وقَالَ آخَرُ : نَسْتَعْبِدُهُ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاوَرُونَ في أمْرِهِ، وَرَدَ عَلَيْهِمِ رجُلٌ فَقَالَ : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ! فَقَالُوا : وعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ ! قَالَ: ومَا أنْتُمْ عَلَيْهِ ؟ قَالُوا : نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ أسَرْنَا هَذَا، فَنَحْنُ نَتَآمَرُ في

6) في ب و د : المقاولة.

أمْرِهِ . قَالَ : إن حَدَّثْتُكُمْ حَدِيثًا عَجَبًا أتُشْرِكُونِي فيهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ! قَالَ : إنِّي كُنتُ ذَا نِعْمَةٍ فَزَالَتْ، وَرَكِبَنِي دَيْنٌ، فَخَرَجْتُ هَارِبًا . فأصَابَنِي عَطَشٌ شَدِيدٌ، فَصِرْتُ إلَى بِئْرٍ فَسَبَرْتُ لأشْرَبَ، فَصَاحَ بِي صَائِحٌ مِنْهَا ولَم أشْرَبْ . فَغَلَبَنِي العَطَشُ، فَعُدْتُ، فَصَاحَ بِي، ثُمَّ عُدْتُ الثَّالِثَةَ فَصَاحَ بِي، فَشَرِبْتُ ولَمْ ألْتَفِتْهُ . فقال : اللَّهُمَّ إن كَانَ رَجُلاً فَحَوِّلْهُ امْرَأةً، وإن كَانَ امْرَأةً فَحَوِّلْهُ رَجُلاً . فَإذَا أنَا امْرَأةٌ، فَأتَيْتُ مدينة فَتَزَوَّجَنِي رَجُلٌ، فَولَدْتُ مِنْهُ ولَدَيْنِ . ثُمَّ تُقْتُ الى بَلَدِي، فَمَرَرْتُ بالبِئْرِ التي شَرِبْتُ مِنْهَا، فَصَاحَ بِي كَمَا صَاحَ أوَّلاً . فَشَرِبْتُ ولَمْ ألْتَفِتْ . فَدَعَا كالأوَّلِ، فَعُدْتُ رجُلاً كَمَا كُنْتُ . فأتَيْتُ بَلَدِي، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأةً، فَوُلِدَ لِي مِنْهَا ولَدَانِ : فَلِي اثْنَانِ مِنْ ظَهْرِي واثْنَان مِنْ بَطْنِي . فَقَالوا : إنَّ هَذَا لَعَجَبٌ ! أنْتَ شَرِيكُنَا فيهِ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاورُونَ، وَرَدَ عَلَيْهِمْ ثَوْرٌ يَطِيرُ . فَلَمَّا جَاوَزَهُمْ إذا بِرَجُلٍ بِيَدِهِ خَشَبَةٌ يُحْضِرُ فِي أثَرِهِ . فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَسَألَهُمْ، فَرَدُّوا عليْهِ مِثْلَ مَرَدِّهِمْ عَلَى صَاحِبِهِمْ، فَقَالَ : إن حَدَّثْتُكُمْ بِحَدِيثٍ أعْجَبَ مِن هَذَا، أتُشْرِكُونِي فِيهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : كَانَ لِي عَمٌّ، وكَانَ لِعَمِّي عِجْلٌ يُرَبِّيهِ، فَأفْلَتَ، فَقَالَ : أيُّكُمْ رَدَّهُ فَابْنَتِي لَهُ . فَأخَذْتُ خَشَبَتِي هَذِهِ وائْتَزَرْتُ، ثُمَّ أحْضَرْتُ فِي أثَرِهِ وأنَا غُلاَمٌ. وقَدْ شِبْتُ، فَلاَ أنَا ألْحَقُهُ ولاَ هُوَ يَنْكَلُ . فَقَالُوا : إنَّ هَذا لَعَجَبٌ ! أنْتَ شَرِيكُنَا فِيهِ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، وَرَدَ عَلَيْهِم رجُلٌ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أنْثَى، وغُلاَمٌ لَهُ عَلَى فَرَسٍ . فَسَلَّمَ كَمَا سَلَّمَ صَاحِبَاهُ فَرَدُّوا عَلَيْهِ كردِّهِم عَلَى صَاحِبَيْهِ . فَسَألَهُم فَأخْبَروهُ فَقَال : إن حَدَّثْتُكُم بحَدِيثٍ أعْجَبَ من هَذَا أتُشْرِكُونِي فِيهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : كَانت لي أمٌّ خَبِيثَةٌ . ثمَّ قَال ـ للفَرَسِ الأنْثَى التي تَحْتَهُ : أكَذَالِكَ ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ ! وكُنَّا نَتَّهِمُهَا بهَذَا العَبْدِ، وأشَارَ إلى الفَرَسِ تَحْتَ غُلاَمِهِ : أهَكَذَا ؟ فَقَالَ بِرَأسِهِ نَعَمْ ! فَوَجَّهْتُ غُلاَمِي هَذا الرَّاكِبَ عَلَى هَذَا الفَرَسِ في بَعْضِ حَاجَاتِي، فَحَبَسَهُ عِنْدَهَا، فَأغْفَى . فَرَأى في مَنَامِهِ

كَأنَّهَا صَاحَتْ صَائِحَةٌ، فَإذا هُوَ[7] بِجُرذٍ قَدْ خَرَجَ، فَقَالَت : اسْجُد ! فَسَجَدَ . ثُمَّ قَالَت : اكْرُب ! فَكَرَبَ . ثمَّ قَالَتِ : ازْرَعْ ! فَزَرَعَ . ثمَّ قَالَت: ادْرُسْ ! فَدَرَسَ . ثُمَّ دَعَتْ بِرَحًى فَطَحَنَتْ قَدَحَ سَوِيقٍ فَأتَتْ بِهِ الغُلاَمَ وقَالَت لَهُ : ائْتِ بِهِ مَوْلاَكَ ! فَأتاني بِهِ . فَاحتَلْتُ عَلَيهَا حَتَّى سَقَيْتُها القَدَحَ فإذا هِيَ فَرَسٌ أُنثَى، وإذا هُوَ فَرَسٌ ذَكَرٌ . أكذَلِكَ ؟ فَقَالت الفَرَسُ الأُنْثَى برأسِهَا : نَعَمْ ! وقَالَ الفَرَسُ بِرأسِهِ : نَعَمْ ! فَقَالُوا : إنَّ هَذَا أعْجَبُ شَيْءٍ سَمِعْنَاهُ، أنتَ شَرِيكُنَا ! فاجْتَمَعَ رأيُهُمْ، فَأعْتَقُوا خُرَافَةَ . فأتَى النَّبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فأخْبَرَهُ بهَذَا الحَدِيثِ. فما جَاءَ مِنَ الأحاديثِ المُحاليَّةِ نُسبَ الى خُرَافَةَ صَاحِبِ الحَدِيثِ . انتهى.

وقال في **الصحاح** : الراء في خرافة خفيفة، ولا يدخله الألف واللاّم لأنّه معرفة عَلم ؛ إلاّ أن تريد به الخرافات الموضوعة من حديث التَّليل . انتهى.

وقد استعمل اليوم في عرفنا اسما للحديث المستملح . يقول الرجل لصاحبه : اذكر لي خرافة، أي حديثا من ذلك النوع، ويُحلَّى بالألف واللاّم لذلك.

الحَدِيثُ شُجُونٌ.

ويُقال أيضا ذُو شُجُونٍ . والشُّجُونُ، بضمّ الشين، جمع شَجْنٍ، بفتح فسكون، وهو الطريق في الوادي . والشَّوَاجِنُ والشُّجُونُ أيضا : الأوْدِيَة الكثيرة الشجر . قال :

لَمَّا رأيْتُ عَدِيَّ القَوْمِ يَسْلُبُهُمْ طَلْحُ الشَّوَاجِنِ والطَّرْفَاءُ والسَّلَمُ

أو جمع شِجْنَة، بكسر الشين، وهي الصدع في الجبل . والشَّجَنُ - بفتحتين - غُصْن الشجرة المشتبك، والشُّعْبَة من كل شيء، والحاجَة حيثما كانت . يقال لي بموضع كذا شَجَن . قال الراجز :

إنِّي سَأَبْدِي لَكَ فيمَا أَبْدِي لِي شَجَنَانِ : شَجَنٌ بِنَجْدِ
وشَجَنٌ لِي في بِلاَدِ السِّنْدِ

---

7) في ب : فإذا هي بجُرذ.

والجمع أيضا شُجُون . والشَّجْنَة أيضا، مثلّثة الشين، العُرُوق المشتبكة . يُقال : بيني وبين فلان شَجْنَة رَحِمٍ، أي قرابة مشتبكة.

وفي الحديث : الرَّحِمُ شَجْنَةٌ مِنَ اللّه، أي مشتبكة اشتباك العُرُوق.

ومعنى المثل أنَّ الحديث ذو فنون وأغراض وطرق يدخل بعضها في بعض، ويتشعَّب بعضها من بعض، كالطرق المشتبكة المتقاطعة، أو الأغصان والعروق . يُضرب في الحديث يستذكر به حديث غيره . ومن ثمَّ يضربه القصَّاص والأئمَّة عند استطراد المسائل والخروج من غرض الى آخـــر . وقال الفرزدق :

وإن كُنتَ قد ساءلتَ دوني فَلا تُقِم بأرضٍ بها بنتُ الهَوانِ تكونُ

فلا تأمننَّ الحربَ إنَّ استِعارها كضبَّة إذ قال : الحديثُ شُجُونُ !

والاسْتِعارُ - بالسين والعين المهملتَيْن - من اسْتِعار النار . ورُوِي اشْتِغَار - بالشين والغين المعجمتَيْن - أي هَيَجَانُها وثَوَرَانُها وانتشارها، من قولك : شغر برجله . يقول : إنَّ الحرب سَبَبها الكلام، كما قال الآخـــر :

فإنَّ النَّارَ بِالزَّنْدَيْنِ تُورَى وإنَّ الحَـــربَ أَوَّلُهَـــا كَلاَمُ

ويُقال : الحرب أوَّلها نَجْوَى، وأوسطها شَكْوَى، وآخِرها بَلْوَى.

وقلت، مضمّنا لهذا المثل في غرض :

تمنَّى بأوباشٍ فُتوحَ مَدائِنٍ وذاكَ لعَمْري ضِلَّةٌ وجُنُونُ

فأَضْحَى كَعَمْرٍ إذ ترجَّى مُرادَهُ بجَيشِ مُرادٍ والحديثُ شجونُ

وتقدَّم خبر عمرو بن أمامة مع مراد في الباب الأوَّل.

حَدِّثْ عَنِ البَحْرِ ولا حَرَجَ !

البَحْر معروف، والحَرَج - بفتحتَيْن - الضِّيق والاثْم . وهذا يُروى في الحديث عن النبيِّ صلَّى اللّه عليه وسلَّم، وأنَّه قال : حَدِّثُوا عَنِ البَحْرِ ولا حَرَجَ ! أي حيث لا حَرَجَ عليكم في التحديث عنه، فتكون الجملة حالية . وقد جعل هذا مثلا في الشيء الكثير الذي لا ينحصر أو لا يكاد، بمعنى أنَّ المحدِّث عنه لا يضيق عليه المجال، ولا يُعوزُه مقال.

وورد من هذا النحو أيضا حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إسْرائِيلَ ولاَ حَرَجَ ! وفي ذلك تأويلات ذكرها المحدّثون، ولا حاجة الى التعرّض لها . والمقصود من التمثيل واضح.

وقال ابن الُلبانة :

وألْغَوا حديثَ البَحرِ عندَ حديثِه فَكم بينَ ذي مدٍّ وكم بين ذي جَزْرْ !

حَدِّثْ عَنْ مَعْنٍ ولاَ حَرَجَ !

هو معن بن زائدة الشيباني، الجوادُ المعروف.

الحَدِيدُ بالحَدِيدِ يُفَلُّ.

الحديد معروف، وكذا الفلّ . وهذا المثل يُضرب في الرجل القويّ يلقى قرينه في البسالة والنجدة . وكان الوليد بن طَريفٍ الشيبانيُّ، لمّا خرج على الرشيد، اشتدّت شوكته، فبعث إليه الرشيد يَزيدَ بْنَ مَزْيَدَ الشَّيبانيَّ، فقتله . فقال بكر بن النطّاح :

وائلٌ بَعْضُها يُقتِّلُ بَعضًا لا يَفُلُّ الحديدَ إلاَّ الحديدُ !

لَو تلقَّى الوليدَ غيرُ يَزيدٍ لَغَدَا ظاهِرًا عَلَيهِ الوليدُ

ولمّا قُتل الوليد رثَتْه أخته الفَارِعةُ بنتُ طَريف بشعرها المعروف، منه :

أيا شَجَرَ الخَابُورِ مالكَ مورقًا كأنَّكَ لم تجْزَعْ على ابن طَريفِ ؟

فَتًى لا يُعِدُّ الزَّادَ إلاَّ من التُّقى ولا المالَ إلاَّ من قَنًى وسُيوفِ

وهي قصيدة معروفة .

الحَذَرُ قَبْلَ إرْسَالِ السَّهْمِ.

الحَذَرُ - بفتحتَيْن - والحِذْرُ - بكسر فسكون - الاحتراز . يُقال حَذِرَ، بالكسر، يَحْذَرُ، فهو حَذِرٌ ؛ والارسالُ : الاطْلاق، والمراد هنا الرَّميُ ؛ والسَّهْمُ معروف . وهذا من الأمثال العجماويَّة أيضا .

زعموا أنَّ غرابا رأى رجلا فَوَّقَ سهما ليضرب به . فأراد ابنه أن يطير، فقال له : يا بنيَّ ! اثبت حتَّى تعلم ما يريد الرجل . فقال له ابنه : يا أبتِ، الحَذَرُ قَبْلَ إرسَالِ السَّهْمِ!

فذهبت مثلا . وهو يحسن أن يُضرب عند الأمر بالاحتراز والاستعداد للمحذور قبل وقوعه وقبل فوات محل الحذر . وذلك ظاهر.

أَحْذَرُ مِنْ ضَبٍّ حَرَشْتُهُ.

الحَذَرُ مَرَّ ؛ والضَّبُّ الحيوان المعروف ؛ والحَرْشُ صِيَادَتُه . يُقال : حَرَشَ الضَّب، يَحْرِشُه، حَرْشًا، فهو حَارِش، وذلك أن يحرّك يده في فم جحره ليظنّه حيّة، فيخرج ذنَبه ليضرب بها، فيقبض على ذنَبه ويمتلخه من الجحر[8] قال الشاعر :

وأخْدَعُ من ضبٍّ إذا جاء حارشٌ أعدَّ لَه عند الذُّنابةِ عَقربَا

ومن هذا المثلُ الآتي : هَذَا أجَلُّ مِنَ الحَرْشِ.

أَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ.

الحَذَرُ تقدّم ؛ والغُرَابُ معروف وتقدّم أيضا، ويُضرب به المثل في شدّة الحَذَر، وذلك معروف مشهور.

وقد قال بعض الحكماء : أخذت من كلّ شيء أحسنه، حتّى انتهى بي الأمر الى الكلب والهرّة والخنزير والغراب . فقيل له : ما أخذت من الكلب ؟ قال : إلفُه لأهله وذبُّه عن صاحبه. فقيل له : ما أخذت [من] الهرّة ؟ قال : حسنُ تأنّيها وتملقُها عند المسألة . فقيل: ما أخذت من الخنزير ؟ قال : بكوره في حوائجه . فقيل : ما أخذت من الغراب ؟ قال : شدّة حذَره.

حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ.

تقول : حَذَوْتُ النَّعْلَ أحْذُوهَا حَذْوًا إذا قطعتَها وقدَّرتَها ؛ وحَذَوْتُ النَّعْلَ بالنَّعْل إذا قدَّرتها بها وقطعتها عليها . والنعل معروفة . والمثل يُضرب في التساوي والتشابه . تقول في الشيئيْن يستويان : هما حذو النعل، وذلك لأنَّ كلاً من النعلَيْن تُقدَّر بالأخرى وتُقاس بقالبها . ومن ذلك قول الهُذَلي :

---

8) يمتلخُه : يقتلعه ويجتذبه . وفي لسان العرب : أخبثُ من ضبٍّ حَرَشْتُه.

وتأمَّلِ السِّبتَ الَّذي أحْذُولَه فانْظُر بمِثْلِ حِذَائِه أحْذُولي
ويُقال أيضا : احتذَيْت حَذْوَ فلان، أي فعلت فعلَه.

الحرْبُ خُدْعَة".

الحربُ معروف، مؤنَّث وقد يُذكَّر . ويُقال : رجل حَرْب" ومِحْرَب"، أي شديد الحرب شجاع ؛ ورجل حَرْب"، أي عدوّ، للواحد والجميع، وللأنثى أيضا . قال نصيب :
وقولا لها : يا أمَّ عُثمانَ خُلَّتي أسِلمٌ لنا في حُبِّنا أنتِ أم حربُ ؟
والخَدْعُ الخَتْلُ . يُقال : خَدَعَه، يَخْدَعُه، أي خَتَلَه وأراد به المكروه من حيث لا يعلم . ولفظ خِدْعَة هاهنا رُوِي مُثلَّثا، والذي في الصحاح الفتح والضمّ مع سكون الدّال . قال : والفتح أفصح . ورُوِي أيضا خُدَعَة ـ على مثال هُمَزَة ـ . والمعنى أنَّها تنقضي بخدعة . والذي يقتضيه الاشتقاق لغة في هذا الضبط أنَّ الخُدعة ـ بضمّ الخاء ـ وصف . فإن كان بفتح الدال ـ كهُمَزَة ـ فهو وصف للرجل يكون كثير الخدع للنَّاس . وإن كان بسكونها فهو وصف للذي يخدع . والخَدْعة ـ بفتح فسكون ـ مصدر وهو المرَّة من الخدع، وبالكسر للهيئة من ذلك . وهذا الكلام يروى حديثا.

الحَرْبُ سِجَال".

الحَرْبُ مرَّ ؛ والسِّجَالُ يكون جمع سَجْل ـ بفتح السين وسكون المعجمة ـ وهو الدلو فيها الماء . ولا يقال لها سَجْل إلاَّ وفيها الماء ؛ والمُسَاجَلة : المُفَاخَرة والمباراة في السقي بالسجال . قال الفضل بن عبَّاس بن عتبة بن أبي لهب، وقد وقف على زمزم :
مَن يُساجِلْني يُسَاجِلْ ماجِدا يَملأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ
ثمَّ استعملت المساجلة في المعارضة والمباراة في كلّ شيء، من سبق، أو رمي، أو غير ذلك. وتَسَاجَلاَ : تَبَارَيَا.
ومعنى المثل أنَّ الحروب دُوَل" بين الناس : سَجْل منها على هؤلاء، وسَجْل على هؤلاء، كما قال أبو سفيان لهرقل لمَّا قال له : كيف الحرب بينكم وبينه ؟ ـ يعني النبي صلَّى اللّه عليه وسلَّم ـ فقال أبو سفيان : الحرب بيننا وبينه سِجَال : يدال علينا مرَّة وندال عليهم أخرى . وقال زهير :

تَهامونَ نَجْديُّونَ كَيْداً ونُجْعةً لكُلِّ أُناسٍ من وقائِعِهم سَجْلُ

وقد يُضرب في غير الحروب من كلّ ما يشبهها من نزاع وجدال مثلا . ولفظُ السجال في المثل جمع، كما فسَّرنا أوّلا . ولا يصحّ أن يكون مصدرا، أي الحرب هو مساجلة . وحاصل الأمر واحد.

حَرْبٌ عَوَان .

اعلم أنَّ العرب ضربوا للحرب المثل بأوصاف شتَّى : فمن السائر من ذلك العَوَان، واللاّقح، والرَّبَاعِيَةُ . يقولون : حَرْبٌ عَوَانٌ، وحَرْبٌ لاَقِحٌ، وحَرْبٌ رَبَاعِيَةٌ . أمَّا العَوَان فأصلها في النساء، وهي النَّصَفُ في سنّها، وكذا في سائر الحيوانات . قال تعالى : **لا فَارِضٌ ولا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ** . ويقال العوان التي لها زوج . قال النابغة :

ومَن يَتَرَبَّصِ الحَدَثَانَ تَنْزِلْ بِمَوْلاَهُ عَوَانٌ غَيْرُ بِكْرِ

وهذا أيضا محتمل . والجمع عُونٌ بالضمّ . واشتقاق العوان من العَوْن وهو القوّة، لأنَّها عُرضة للاعانة إن استعينت . وأمَّا العَوَان من الحروب فهي التي كانت قوتل فيها، مأخوذ من عوان النساء، كأنَّهم جعلوها في المرَّة الأولى بِكراً ثمَّ تصير ثيّبا . قال أبو جهل يرتجز يوم بدر :

ما تَنْقِمُ الحَربُ العَوَانُ مِنِّي بَازِلُ عامَينِ حَدِيثُ سِنِّ[9]

لِمِثْلِ هَذا ولَدتْنِي أُمِّي

وقال زهير :

إذا لَقِحَت حَربٌ عَوَانٌ مضرَّة ضَروسٌ تهرُّ النَّاس أنْيابُها عُصْلُ

وقال الحماسي موسى بن جابر :

وإن رفَعوا الحَربَ العَوَانَ الَّتي تَرى فَعُرضَةُ نار الحَربِ مِثْلُك أو مثلي

ومعلوم أنَّهم ما وصفوها بالعَوان إلاّ للمبالغة وإرادة أنَّها شديدة، لا مجرَّد أنَّها قوتل فيها مرَّة . وكان ذلك لأجل أنَّ المبتكرة يخفّ أمرها لعدم استحكام الضغائن فيها بعد، بخلاف التي تقدمها قتال غرس في القلوب الضغائن وأحفظها وأكثر الأوتار . فذلك مظنَّة

9) في لسان العرب : بازلُ عامين حديثٌ سِنِّي

الاشتداد مع عظم العود إلى الحروب على النفس، ونفور النفوس منه، وكراهيتها له، كما قال الآخر :

الحَربُ أوَّل ما تَكونُ فَتيَّةً تَسعى بزينَتِها لكُلِّ جهُولِ
حتَّى إذا اسْتَعَلَتْ وشبَّ ضِرامُها عادَت عجوزاً غير ذاتِ حَليلِ
شَمْطاءَ يُنكَرُ لَونُها وتغيَّرتْ مَكروهةً للشَّمِّ والتَّقْبِيلِ

وأمَّا تشبيه الأولى بالبكر والثانية بالعوان فذلك يكون لثلاثة أوجه :

الوجه الأوَّل أنَّ البكر من النساء هي التي لم تتقدَّم مماسَّتها ومخالطتها، بخلاف العوان . وهذا بيِّن، وإليه أشار حبيب في التعبير عنها بالثيِّب حيث قال :

ولا اجْتُلبَت بكْرٌ مِن الحَربِ ناهدٌ ولا ثيِّبٌ إلاَّ ومنهُم لها خِطبُ

الثاني أنَّ البكر، لصغر سنِّها وجسمها، في الجملة تشبه المرَّة الأولى لخفَّتها ؛ والعوان، لعظم جسمها في الجملة وسنِّها، تشبه الثانية لقوَّتها واشتدادها . وهذا من التوهّم الخياليّ.

الثالث أنَّ البكر أسهل لغرَّتها وقناعتها بما تجد، ولا كذلك العوان : فإنَّها، لاحتكاكها وتجربتها وطموح عينها، أصعب محاورة وأشدّ معاشرة وأدهى نكرا وأعظم مكرا، وهذا واضح. وقد يوصف بالعوان الأرض التي أصيبت بالمطر مرَّة بعد أخرى، تشبيها كالذي مرَّ. قال حُمَيْد بنُ ثَوْرٍ الهِلاليّ :

ولَقَد نَظَرتُ إلى أغَرَّ مُشهَّرٍ بكرٍ توسَّنَ بالخَميلةِ عُونَا
مُتَسنِّمٍ سَنِماتها مُتَفَجِّسٍ بالهَدْرِ يَملأ أنْفُسًا وعُيونا[10]
لَقِحَ العِجافُ لَه لخَامِسِ خَمسةٍ وشَربْنَ بعد تَحلُّئٍ فَرَوِينا

أراد بالأغَرّ سحابا أبيض وبكونه بكرا أنَّه لم يمطر قبل ذلك ؛ وأراد بالخَمِيلة الرمل ذات الشجر ؛ والعُون جمع عَوَان، وهي الأرض التي أصابها المطر مرَّة . ومعنى تَوَسَّنَها طرقها هذا السحاب ليلاً عند الوَسَن، أي النوم، تقول : توسَّنت الرجل إذا أتيته وهو وسنان. والسَّنِمَات العظام الأسْنِمَة من الابل، وأطلقها هنا على التلال والأكم . وقوله مُتَسَنِّم يريد يتسنَّمها، أي يعلوها كالفحل الذي يتسنَّم الايْنُقَ . وقوله :

10) في لسان العرب :
مُتَسنِّمًا سنِماتها مُتفجِّسًا بالهَدْرِ يملأ أنْفُسًا وعيونَا

مُتَفَجِّس أي متكبّر بالهدر، أي رعده، تشبيها بهدر البعير ؛ والعِجَاف أراد بها الأرضين المجدبة مجازاً ؛ ومعنى لقحت حملت، أي أنبتت عشبها . وقوله بعد تحلىء أي شربت بعد امتناع من الماء زمانا، من قولك : حَلَّأْتُه، أي دفعتُه وطردتُه . وأمَّا اللاَّقح فأصلها في الحيوان أيضا . يقال : لقِحت الناقة ـ بالكسر ـ إذا حملت، وألْقَحَها الفحل، فهي لاَقِح ولَقُوح ولِقْحَة ـ بالكسر ويُفتح ـ. وجمع اللاَّقح لَوَاقِح، وجمع اللَّقوح لُقُح، وجمع اللِّقْحة لِقَح، كقِرْبَة وقِرَب، ولِقَاح . ثمَّ ضربوها مثلا للحرب إذا عظمت واشتدَّت، تشبيها لها بالناقة إذا حملت فعظم بطنها . قالت الفَارِعَةُ بنتُ طريف :

ولَم تَسعَ يومَ الحربِ والحَربُ لاقحٌ وسُمرُ القَنا يَنْكُزْنَها بأَنُوفِ

ومنه قول زهير السابق : إذا لقِحَتْ حَربٌ عَوَانٌ مضرَّة.

ومن أبلغ ما ورد في هذا المعنى قوله أيضا في ميميَّته، حيث وصف الحرب فقال :

وما الحربُ إلاَّ ما علمتُمْ وذُقتُمْ وما هو عَنها بالحَديثِ المُرجَّمِ
مَتى تبعثُوها تبعَثُوها ذميمةً وتضْرَ إذا ضرَّيْتُموهَا فتَضْرَمِ
فَتعرُكُكم عَرْكَ الرَّحا بثفَالهَا وتَلقَحْ كشافًا ثمَّ تحْملْ فتُتْئمِ
فتُنتِجْ لكم غِلمانَ أشْأمَ كُلُّهُم كأحْمر عادٍ ثمَّ تُرضِعْ فتَفْطِمِ
فَتغْلِلْ لكمْ مالاَ تُغِلُّ لأهْلِهَا قُرًى بالعِراقِ من قَفِيزٍ ودِرْهَمِ

قوله تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً أي مَذْمُومَةً، وكان الأفصح أن يقول ذَمِيمًا، بغير هاء . ويُروى بالدال المهملة، أي حَقِيرَةً، إشارة الى معنى ما تقدَّم في قول الآخر : الحَربُ أوَّلَ مَا تَكونُ فَتيَّةٌ . وقوله عَرْكَ الرَّحَا بِثِفَالِهَا، أي وهي على ثفالها . والثِّفَال ـ بالثاء المثلَّثة مكسورة ـ ما يُجعل تحت الرحا حال الطحن، يريد : تعرككم عرك الرحا إذا كانت طاحنة . وقوله تَلْقَحْ كِشَافًا : الكِشَافُ أن يحمل الفحل على الناقة سنتين ولاء أو كلَّ سنة، أو أن تلقح حين تُنتج، أو أن يضربها وهي حامل . وهي ناقة كَشُوفٌ، وقد كشفت تكشف، كشافا . وأراد أنَّ هذه الحرب كلَّما خمدت هاجت . وقوله فَتُتْئِمِ، أي تاتي من حملها بتوءمَيْن، وهذا تهويل وتعظيم لأمر الحرب، وإيهام أنَّ شرَّها متكرّر وهولها متضاعف . وشبَّهها بالناقة لِمَا تقدَّم، ولأنَّها أيضا يطول أمرها فتكون بمنزلة الناقة التي تضرب، ثمَّ تحمل، ثمَّ تنتج، ثمَّ تفطم . وقيل لأنَّها يتحلَّب [منها] من الدماء مثل ما يتحلَّب من الناقة من اللَّبن . وقوله فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَان أشْأَم، فوضع أشْأَم

موضع المصدر، أو غِلْمَانَ شُؤْمٍ أشأم على المبالغة، نحو شغل شَاغِل، وليل أَلْيَل ؛ أو غِلْمَانَ امرىءٍ أشْأمَ . وقوله كُلُّهُم كَأحْمَر عاد يعني عَاقِر النَّاقة، وهو يُضرب به المثل في الشؤم، وأراد أحْمَر ثَمُود، فأضافه إلى عاد غلطًا، كما قال الآخر :

مِثْلَ النَّصَارَى قَتَلُوا المَسِيحَا

وقيل ليس بغلط، لانَّ ثمود يقال لها عادٌ الآخرة، وهو دهم عاد الأولى . قال تعالى : **وأنَّهُ أهْلَكَ عادًا الأولَى** . وأمَّا الرباعيَة ـ بياء مخفَّفة ـ فهي أيضا في الابل، وهي في السنّ التي بين الناب والثنيَّة . ويقال للذي ألقى رباعيَته رَبَاعٍ، وجمعه رُبُع، كقذال وقذل . ويقال للغنم في السنة الرابعة أرْبَعت، وللبقر وذات الحافر في الخامسة، ولذات الخفّ في السابعة . وتقدَّم ذكر أسنان الابل أنَّ الرباعيَ منها والرَّبَاعيَة بين الثني والسدس . ويقال : جَمَل وفرس رَبَاعٍ ورَبَاعٌ، ونظيره ثمانٍ وثَمَانٌ، ونَشَاحٍ ونشاحٌ، وجوارٍ وجوارٌ ؛ والأنثى رَبَاعِيَة، وتوصف الحرب بالرباعيَة لشدَّتها وقوَّتها . قال الشاعر:

إنَّهَا حَرْبٌ رَبَاعِيَةٌ مِثْلُهَا آتِي الفَتَى عِبْرَه

وقيل لامرأة من العرب

[بياض بالأصل]

الحُرُّ إذا خُودِعَ تَخَادَع، وإذا عُظِّمَ تَوَاضَع.

هذا مثل مصنوع، فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى . ومثله قول الشاعر :

إذا مُدِحَ الكَرِيمُ يَزِيدُ خَيْرًا وإن مُدِحَ اللَّئِيمُ فلا يَزِيدُ

حِرَّة تَحْتَ قِرَّة .

يقال : حَرَّ الرجل يَحَرُّ، كَظَلَّ يَظَلُّ، حرارًا وحَرَّةً، فهو حَرَّان وهي حَرَّى، إذا عطش . والحِرَّة في المثل مكسورة للازدواج . والقُرّ ـ بضمّ القاف ـ البَرْد، أو بَرْد الشتاء خاصَّة ؛ والقِرَّة ـ بالكسر ـ ما أصابك منه . وهذا المثل يُضرب للأمر يظهر وبعده أمر خفيّ . وأصل الحِرَّة تَحْت القِرَّة أنَّها العطش مع البرد، وهو إذ ذاك ينحاز الى الجوف فيكون سعيرا، ومع ذلك لا يظهر من حال صاحبه ـ لِمَا هو فيه من البرد ـ أنَّه عطشان .

ويقال : أشَدُّ العَطَشِ حِرَّةٌ تَحْتب قِرَّةٍ، [ويُقال : أجدُ حِرَّةً تحت قِرَّة][11] ورَمَاهُ اللَّهُ بالحِرَّةِ تَحْتَ القِرَّة .

وفي أمثال العامَّة قولهم : الشِّتَاءُ عَلَى قَرْنِي، والعَطَشُ قَتَلَنِي . وهذا يُضرب لأمرٍ آخر.

أحَرُّ مِنْ دَمْعِ المِقْلاَت .

الحَرَارة ضدّ البَرْد، كالحرّ والحرور . يقال : حَرَّ اليومُ يَحَرُّ ـ كَمَلَّ يَمَلُّ ـ وحَرَّ يَحِرُّ ـ كَفَرَّ يَفِرُّ ـ حرارةً فهو حارٌّ ؛ والدمع معروف ؛ والمِقْلاتُ من النساء التي لا يعيش لها ولد، ومن النوق التي تضع ولدا تمّ لا تحمل، مشتقّ من القَلَتِ ـ بفتحتَين ـ وهو الهلاك . يقال قَلِتَ يَقْلَتُ ـ كَفَرِحَ يَفْرَحُ ـ قَلَتًا، إذا هلك . وفي الخبر : المُسَافِرُ ومَتَاعُهُ علَى قَلَتٍ، إلاّ مَا وقَى اللَّهُ تَعَالَى . والمَقْلَتَة : المَهْلَكَة ؛ والمِقْلاَت على وزن مِفْعَال، والجمع مَقَالِيت ـ كمِقْيَاس ومَقَايِيس، ومِصْبَاح ومَصَابِيح ـ قال طرفة :

لا تَلُمني إنَّها مِنْ نِسْوةٍ رُقُدِ الصَّيفِ مَقَالِيتَ نُزُرْ

الرُّقُدُ جمع رَقُود، يعني أنَّهنَّ مكفيات، فهنَّ يرقدن ولا يخدمن ولا يسعين ؛ وهنَّ مَقَالِيت لا تعيش أولادُهنَّ، فيتحمَّلن مؤنتهم ؛ وهنَّ نُزُر، أي قلائل الأولاد بالأصالة، جمع نَزُور : فهنَّ بذلك نعمات الأجسام، نظائف الأذيال، فائقات الكمال . وقال جرير في المفرد :

خِشَاشُ الطَّيْرِ اكثرُها فِراخًا وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ

ووصف دمع المقلاتِ بالحرارة لأنَّها تبكي حزنًا على أولادها، وهم يصفون دمعة الحزن بالحرارة، ومن ثمّ يقولون، في الدعاء على الرجل، : أسْخَنَ اللَّهُ عَيْنَه ! ويصفون دمعة الفرح بالبرد، ومن ثَمّ يقولون : قَرَّتْ عَيْنُ فُلاَنٍ !، في السرور والفرح، وأقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ !

---

11) سقط ما بين معقوفتين من ب.

أحرُّ مِنَ القَرَعِ .

الحَرَارَةُ تقدَّمت . والقَرَعُ - بفتحتيْن - بثر أبيض يخرج فى أعناق الفصلان وقوائمها، ودواؤه الملح وحباب ألبان الابل . فإذا لم يجدوا ملحا نتفوا أوبارها ونضحوا جلودها بالماء، ومنه المثل . قال في الصحاح : وربَّما قالوا أحَرُّ مِنَ القَرْعِ - بالتسكين - يعنون به قرع الميسم، وهو المكواة . قال :

كَأنَّ عَلَى كَبِدِي قَرْعَةً حِذَاراً مِنَ البَيْنِ مَا تَبْرُدُ !

قال : والعامَّة تريد به هذا القرع الذي يؤكل . انتهى .

قلت : وإنَّما توَّهموا المأكول لأنَّه تشتدّ حرارته إذا طبخ وتطول ولا يبرد إلاَّ بعد زمان، حتَّى قالوا في زعماتهم وأمثالهم : قال الذئب . لاَ آمَنُكَ يَا قَرْعُ ولَوْ كُنْتَ فِي المَاءِ !.

حُرٌّ انْتَصَرَ .

الحُرُّ - بالضمّ - خلاف العَبْد ؛ وحُرُّ كلّ شيء خِيَارُه ؛ والحُرُّ الجَيِّدُ . يقال : مَا هَذا مِنْ فُلاَنٍ بِحُرٍّ - أي جَيِّدٍ - . قال طرفة بن العبد :

لا يَكُنْ حُبُّكَ حُبًّا قَاتِلاً : لَيْسَ هَذَا مِنْكَ، مَاوِيَّ، بِحُرْ !

وقال امرؤ القيس :

لعَمْرك مَا قَلْبِي إلى أهْلِهِ بحُر ولا مُقصِرٍ يومًا فيأتِينَي بِقُرْ

والنَّصر الاعانة، نَصَرَهُ على عدوّه، يَنْصُرُهُ نَصْرًا : أعَانَهُ ؛ واسْتَنْصَرَ : طَلَبَ النَّصْرَ ؛ وانْتَصَرَ مِنْهُ : انْتَقَمَ . وتقدَّم هذا المثل، وأنَّه من الأمثال التي نُسبت إلى الضبّ في تحاكم الثعلب والأرنب إليه . يُضرب للرجل يُظلم فينتقم .

أحْرَسُ مِنَ الكُرْكِيّ .

يقال : حَرَسَ الشيءَ - بالفتح - يَحْرُسُه حِرَاسَةً حَفِظَه ؛ والكُرْكِيُّ - على مثال جُنْدِيّ - طائر معروف، جمعه كَرَاكِيّ، يوصف بالحَذَر والحراسة.

ويزعمون أنَّ الكراكيَّ تحرس مداولة، فيبقى الذي يحرس منها لا ينام . ويهتف بصوت

خفيّ ينذر أنّه حارس، حتّى إذا قضى نوبته قام الذي كان نائما . ويقال إنّه لا يطأ الأرض أبدًا إلاّ بإحدى رجليْه ويعلق الأخرى ولا يضعها [على الأرض][12] وإن وضعها وضعها وضعًا خفيفًا مخافة أن تخسف به.

مُحْتَرَسٌ مِن مِثْلِهِ وهْوَ حَارِس.

الحَرْسُ والحِراسَة تقدّم . وتقول : احْتَرَسْت منه وتَحَرَّسْت إذا تَحَفَّظت . وهذا المثل يُضرب لمَنْ يعيب الخبيث وهو أخبث منه.

وأصلُه شعر لعبد اللّه بن همام يقوله لرجل كان على شرط الكوفة للحارث بن عبد اللّه بن أبي ربيعة المخزوميّ يقال [له الحمارس]، وهو :

أقِلّي عليَّ اللّومَ يابنةَ مالكٍ ... وذمّي زمانًا سادَ فيه الحمارسُ !
فساعٍ من السُّلطان يسعى عليهِمُ ... ومُحترسٌ من مثلِه وهْو حارسُ
وكم قائلٍ : ما بالُ مثلِك راجلاً ؟ ... فقلت له : من أجل أنّك فارسُ
إذا لم يكُن صدرَ المجالسِ سيِّدٌ ... فلا خير فيمَن صدّرتْه المجالسُ !

ويُروى : وذمّي زمانًا سادَ فيهِ الفَلاقِسُ، وهو جمع فَلَنْقَس . والفَلَنْقَس مَنْ أمّه عربيّة وأبوه مَوْلى . وقيل مَنْ أبَواه عربيّان وجدّتاه أمَتان . وقيل مَنْ أبواه مَوْلَيان معًا.

أحْرَصُ مِنْ نَمْلَةٍ .

الحِرْصُ : الجَشَع، يقال حَرَصَ يَحْرِصُ - كضَرَب يَضْرِبُ -، وحَرِص يَحْرَصُ - كسَمِعَ يَسْمَعُ - حِرْصًا . والنَّمْلَة واحدة النَّمْل، وهو معروف، وحِرْصُه على جمعه القوت معروف . يقال إنّه ليس في الحيوانات من يحتكر إلاّ الانسانُ والعَقْعَقُ والنمل والفأر . والنمل عظيم الاحتيال في الاحتكار . يقال إنّه إذا احتكر ما يخاف عليه أن ينبت قسمه نصفيْن ؛ وإذا خلِف العفن على الحبّ أخرجه الى ظاهر الأرض فنشره . وأكثر ما يفعل ذلك ليلا بضوء القمر.

---

12) ناقص من د.

حَرَقَ عَلَيْهِ الأَرَّمَ .

الحَرْقُ : البَرد . يقال : حَرَقَ الشيء يَحْرُقُه ـ كَقَتَلَهُ يَقْتُلُه ـ إذا برده وحكّ بعضه ببعض، وحَرَق نابَه يَحْرُقُه : حكّه بأسنانه حتى سُمع له صَرِيفٌ ؛ والأَرَّمُ ـ بضمّ الهمزة وفتح الراء المشدّدة، على مثال رُكَّع ـ الأسنان أو أطراف الأصابع . والأَرَّم أيضا الحصا، فيقال : فلان يَحْرُقُ عليك الأَرَّمَ، أي تغيّظ واشتدّ غيظه . قال الراجز :

نُبِّئْتُ أَحْمَاءَ سُلَيْمَى إِنَّمَا بَاتُوا غِضَابًا يَحرُقُونَ الأَرَّمَا[13]

وقال زهير في معناه :

أبى الضَّيْمَ والنُّعْمانُ يحْرُقُ نابُه عَلَيه فأفضَى والسُّيوفُ معاقِلُهْ

وقال الآخـــر :

يَلُوكُ مِن حَرَدٍ عَلَيكَ الأَرَّما

أي يعلك أسنانه أو أصابعه . وقد قيل : الأَرَّمُ هنا الشِّفَاه، ويحتمل الحَصَا، وكلّ ذلك صحيح، لأنّه يكون من شأن المتغيّظ ؛ كما كان عدّ الحَصَا شأن المهموم في قول امرىء القيس :

ظَلِلت ردائي فوق رأسي قاعدًا أعُدُّ الحَصا ما تنقَضِي عَبَراتي

وسمّيت الأسنان أَرَّمًا من الأرمِ وهو الأكل، إذ بها يكون . يقال : أَرَمَ ما على المائدة إذا أكله فلم يُبقِ منه شيئا . وهذا المثل هو مثل المثل الآتي : **فُلانٌ يَكْسِرُ عَلَيكَ الفُوقَ والأَرْعَاظَ.**

حَرَّكَ خِشَاشَهُ .

التّحريك معروف ؛ والخِشَاش ـ بكسر الخاء المعجمة ـ ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب، وهو إذا حُرِّك تضرَّر البعير بذلك، فيقال : حرَّكْتُ خِشَاشَ فُلانٍ، أي

---

13) يروى هذا البيت أيضا هكذا :

أُنْبِئْتُ أَحْمَاءَ سُلَيْمَى إِنَّمَا أَضْحَوا غِضَابًا يَحْرُقون الأَرَّمَا

وبعده :ان قلتُ أسقي الحرَّتَيْن الدِّيَما .

فَعَلْتُ به فعلا يؤذيه ويُغضبه . ويُطلق الخِشَاشُ أيضا على الغضب نفسه، وعلى معانٍ أخرى لا تناسب المحلّ.
وأمّا الخَشَاشُ، بمعنى الحشرات، فمُثَلَّث الأوّل.

حَرِّكْ لَها حُوارَها تَحِنّ.

الحُوَار - بضمّ الحاء، على وزن أُوار - ولد الناقة قبل أن يُفصل، وتقدّم ؛ والحَنِينُ الشَّوقُ . يقال : حَنَّ إليه يَحِنُّ - بالكسر - فهو حَانٌّ وحَنَّان، إذا تاقت إليه نفسه. وهذا المثل قاله عمرو بن العاصي لمعاوية، رحمهما اللّه، حين أراد أن يستنصر بأهل الشام . وهو مِثْل المثل السّابق : الايناسُ قَبْلَ الابْسَاسِ . وفي كلام أبي الوليد بن زيدون يخاطب ابن جهور : فَمَا أبْسَسْتُ بِكَ إلاّ لِتَدِرَّ، وحَرَّكْتُ لَكَ الحُوارَ إلاّ لِتَحِنَّ.

حَزَّتْ حَازَّةٌ مِن كُوعِهَا .

يُضرب في اشتغال القوم بأمرهم عن غيره . ولم أقف له على أصل.

أحْزَمُ مِنَ الحِرْبَاءِ .

الحَزْمُ ضَبْطُ الأمْرِ والأخذ فيه بالثقة . حَزُمَ الرجل - بالضمّ - يَحْزُمُ حَزَامَةً، فهو حَازِمٌ وهم حَزَمَة وحُزَمَاء ؛ والحِرْبَاء - على مثال عِلْبَاء - والأنثى حِرْبَاءَة، والألف للالحاق بالقرطاس : دُوَيْبَّة بَرّيّة لها سنام يشبه سنام البعير، وهي تستقبل الشمس أبدًا بعينها وتدور معها كيف ما دارت قال كعب بن زهير، رضي اللّه عنه :

يومًا يَظَلُّ به الحِربَاءُ مُصطَخِدًا كأنَّ ضاحيَهُ بالشَّمسِ مملُوكُ

وقال ابن الروميّ :

ما ذَاكَ إلاّ أنَّها شَمسُ الضُّحى **أبَدًا يَكُونُ رَقِيبَهَا الحِربَاءُ**

قيل : ويتلوّن بألوان من صفرة وحمرة وخضرة، كما قال الشاعر :

وقَد جَعَلَ الحِربَاءُ يَصفَرُّ لونُه ويخْضَرُّ من لَفْحِ الهَجيرِ غباغِبه

ويوصف بالحزم والتحفّظ، وذلك أنّه لا يزال مستمسكا بأصل الشجرة، فلا يرسله حتّى يستمسك بآخر.

قال الشاعر :

أنّى أُتِيحَ لَه حِربَاءُ تنضُبَةٍ لا يُرسِلُ السَّاقَ إلاّ مُمسكًا ساقا

أي لا يرسل ساقا من الشجرة إلا في حالة إمساكه ساقا آخر . والتّنْضُبة شجر يتعلّق به الحرباء . فهو مضاف اليه، كما تقول ذئْبُ غَضَا.

ويُروى أنّ رجلا خاصم ابن عمّه الى معاوية، رضي اللّه عنه، فلمّا سمع حججه قال له : أنت كما قال الشاعر، وأنشد البيت المذكور، وضربه مثلا لِمَا هو فيه من اللدد والاحتجاج، بحيث لا يرسل حجّة إلاّ مستمسكا بأخرى .

أحْزَمُ مِن عُقَابٍ .

الحَزْمُ مَرّ ؛ والعُقَابُ تقدّم في حرب الباء أيضا، وهو يوصف بالحزم . قالوا : من حزمه أنّه يخرج من بيضته على جبل عال، ولا يتحرّك من مكانه ذلك حتّى ينبت ريشه جميعا ويتكامل ولو تحرّك قبل ذلك سقط.

أذكر في هذا المعنى ما أخبر صاحب **التشوّف** في ترجمة الشيخ أبي مهدي الدغوغي، رحمهما اللّه ونفعنا بهما، قال : حدّثني داوود بن عبد الخالق حدثني وينُ الخير قال : كنت بمسجد أبي مهدي أدرّس القرآن . فكان يقعد عندي ويدلّني على طريق الآخرة . فجاءه ليلة بعض إخوانه . فلمّا صلّينا العتمة تأخّرا في المسجد الى أن انصرف النّاس . فخرجنا من أحد أبواب المسجد، فشدّا على أنفسهما أثوابهما وتلثّما . فرايتهما وثبا من الأرض كهيئة الغرانيق الثقيلة تطير على وجه الأرض . ومازالا يعلوان في الهواء الى أن غابا عنّي . فانكسرت انكسارا عظيما ونالتني حسرة القصور عن أحوال الرجال، وتكاسلت عن القرآن، وبقيت مفكّرا طول ليلتي . فلمّا كان وقت صلاة الصبح صلّى معنا أبو مهدي مع صاحبه صلاة الصبح . ثمّ جاء وقعد عندي على عادته، فرآني منكسرا متكاسلا عن القرآن، فقال : مالك لا تقرأ ؟ فسكتّ . فقال لي : لعلّك رأيتنا البارحة ؟ فهملت عيناي بالدموع، فقلت له : رأيتكما وأريد أن أصحبكما إذا ذهبتما . فقال لي : يابنيّ، إنّ الفرخ إذا نبت زغبه لم يطر مع الطير حتّى يكمل نبات ريشه ! قال . فلمّا كان ذاتَ ليلة قال لي :

اذهب الى فلان في بلد تانوريت - وهو بلد بني سمائل - وقل له يأتيني لأصلّي معه الصبح الآن، وبينهما مسيرة يومَيْن، وقد قرب طلوع الفجر ! قال . فقلت في نفسي : كيف يمكن هذا ؟ ثمّ تذكّرت أحواله، فمشيت وتبعني ووادعني ورجع . فمشيت قليلا وأدركني شبه السِّنة، فما شعرت إلاّ وأنا أعاين مسجد تانوريت . فخرج إليّ منه رجل فقال : بعثك إليّ الشيخ أبو مهدي ؟ فقلت له : نعم ! وأمرني أن أعلمك أن تصلّي معه بمسجده الآن صلاة الصبح . فقال لي : تقدّم ! ودار حول المسجد، وغاب غنّي، وانقلبت راجعا . فأصابني أيضا شبه السِّنة، فإذا أنا على قرب من مسجد أبي مهدي . فدخلت المسجد، فوجدت أبا مهدي وصاحبه يتحدّثان وقد صلّيا صلاة الصبح . فصلّيت وظننت أنّي قد لحقت بالشيخ فأتيته . فقال لي : يا بنيّ ! أرأيت بعض ما يرى الرجال ؟ فقلت له : يا سيدي، عسى أن أصحبك في مسيرك إذا سرت الى مكان ! فقال يا بنيّ، إذا طار الطائر الصغير قبل استكمال نبات ريشه مع الطائر الوافر الريش، فإنّما يسير ميلَيْن ويسقط في القفر، فيلتقطه الرعيان . وإن كان الرجال ليصلون الى موضع لو طار الطائر الى أن يسقط ريشه وينبت آخر فطار حتّى يسقط فينبت آخر، فطار حتّى يسقط فينبت آخر، ما وصل موصل عباد الله الصالحين في طرفة عين.

أحْزَمُ مِن قِرِلّى.

ويقال أيضا : أحْذَرُ من قِرِلّى ؛ ويقال أيضا : أحْزَمُ أو أحْذَرُ من قِرِلّى، إن رآى خَيْرٌ تَدلّى، وإنْ رآى شَرٌّ تولّى - أو تَعَلّى -[14]

الحَزْمُ تقدّم، وكذا الحَذَر . والقِرِلّى - بكسر القاف والرّاء، وبعد اللاّم ألف مقصورة -، ويُحكى أيضا في القاف التثليث، طائرشديد الحذر، لا يُرى إلاّ على وجه الماء على جانب يهوي بإحدى عينيْه الى الماء طمعًا، ويرفع الأخرى حذرًا . فإن رأى في الماء ما يُصاد من السمك، انقضّ عليه انقضاض السهم ؛ وإن رأى جارحا ذهب . ومن ثمّ يقال : إنْ رآى خَيْرًا تَدلّى - أي الى الماء -، وإنْ رآى شَرًّا - أي ما يخافه - تولّى فرارًا منه. وقيل: إنّ قِرِلّى في هذا المثل رجل من العرب كان لا يفوته طعام أحد، فحيثما كان الطعام

14) ذكر في لسان العرب : « وروي في أسجاع ابنة الخُسّ : كُنْ حَذِرًا كالقِرِلّى، إنْ رأى خَيْرًا... الخ ».

في ناحية توجّه إليه؛ غير أنّه إن صادف في طريقه خصومة مثلا ترك ذلك الطريق ولم يمرّ به . ومن ثمّ قالوا : أطْمَعُ من قِرلَّى، والمراد به هذا الرجل . قيل : ويمكن أن يكون هذا الرجل شُبّه بهذا الطائر، وسُمِيّ باسمه .

حَسْبُكَ مِن شَرٍّ سَمَاعُهُ.

يقال : أحْسَبَني الشيءُ يُحْسِبُني إحْسَابًا، فهو مُحْسِبٌ، أي كفاني . قال الشاعر :

إذا ما رأى في النّاس حُسنًا يفوقها ... وفيهنّ حُسنٌ لو تأمّلت مُحسبُ

وقال الآخر :

وتُقفي وليدَ الحَيِّ إن كان جائعًا ... وتُحسبُه إن كان لَيس بجائعِ[15]

وقالت الخنساء :

يكُبُّون العِشَارَ لمَن أتاهُم ... إذا لم تُحسِبِ المائةُ الوليدا[16]

وهذا الشيء حِسَابٌ، أي كافٍ . قال تعالى : « عَطَاءً حِسَابًا . » وحَسْبُكَ دِرْهَمٌ، أي يكفيك . قال تعالى : حَسْبُكَ اللّهُ .وقال الشاعر :

إذا كَانَت الهَيجَاءُ واشتقّت العصا[17] ... فَحسبُكَ والضّحّاك سيفٌ مُهنّد !

أي يكفيك ويكفي الضحّاك.

وقال امرؤ القيس :

فتملأ بيتَنا أقْطًا وسمْنًا ... وحَسبُكَ من غنًى شِبَعٌ وَرِيُّ

وهذا الشعر ينسبه الناس لامرىء القيس، وهو في ديوانه . وقبله :

ألا إلاّ تكن إبلٌ فَمِعْزَى ... كأنّ قُرُونَ جِلّتِها العِصِيُّ

وجَادَ لَهَا الرّبيعُ بِواقِصَاتٍ ... فَآرَامٍ وجَاد لَهَا الوليُّ

إذا مُشّتْ حَوالبُهَا أرنّتْ ... كأنّ القَومَ صبّحَهُم نَعِيُّ

فَتُوسِعُ أهْلَهَا أقْطًا وسَمْنًا ... وحَسبُكَ من غِنًى شِبَعٌ وريُّ

15) ورد هذا البيت في لسان العرب بالنون بذل التاء في كل من « ونُقفي » و « نُحسبه » ونسبه لامرأة من بني قشير، وشرح الشطر الأول منه بقوله : « أي نعطيه حتى يقول حسبي » .

16) يروى الشطر الثاني من هذا البيت أيضا هكذا : « إذا لم تُسْكِتِ المائةُ الوليدا » .

17) المشهور : وانشقّت العصا .

وسبب قوله ذلك أنَّ بني نَبهان، لمَّا لم يقدروا أن يفتكُّوا له إبله التي أخذتها جَذِيلة وأخذت منهم رواحله التي ركبوها في ردّ الابل، استحيوا من ذلك فوهبوا له المعزى التي وصفها. وكان الأصمعيّ ينكر نسبة هذا الشعر لامرىء القيس ويقول : امرؤ القيس لا يقول مثل هذا، وأحسبه للحطيئة . وسبب إنكاره قوله : وحَسْبُكَ من غِنًى شِبعٌ وَرِيٌّ، فإنَّ هذا منافٍ لحال امرىء القيس ولِما كان يقول في شعره من أنَّ مطلوبه الملك، لا ما دونه، كقوله :

ولو أنَّما أسْعى لأدنَى معيشةٍ كَفَاني، ولم أطلُب، قليلٌ من المال
ولكنَّما أسْعَى لمجْدٍ مُؤثَّلٍ وقَد يُدركُ المجدَ المؤَثَّلَ أمثالي

قلت : وأنت خبير بأنَّه، مع حالته هذه، لا بعد في أن يقوله لوجهَيْن :

أحدهما أن يقوله استهزاء ببني نبهان، حيث أغير عليه في جوارهم، ثمَّ ركبوا رواحله في ردّ إبله، فانتُزعت منهم زيادة على ما ذهب من الابل، فوقعوا في هوان عظيم وذلَّة وصغار . ثمَّ لم ينتصروا وجعلوا يعطونه معزى عن الابل العكر والرواحل النجب، فعظَّم أمر المعزى ضحكًا منهم، ولذلك هجاهم حيث يقول :

فَدَعْ عَنكَ نهبًا صيحَ في حُجراتِه ولكن حَديثًا ما حَديث الرَّواحِلِ !
كأنَّ دِثارًا حلَّقَت بِلَبونِه عُقابُ تَنوفَى لا عُقَابُ القَواعِلِ
وأعْجبَني مَشيُ الحُزُقَّةِ خالدٍ كَمَشيِ أتانٍ حُلِّئَت في المناهِلِ

خالد هذا هو الذي مشى في ردّها فانتُزعت منه الرواحل.

الثاني أن يريد ظاهره، وهو أنَّها كافية، قائمة مقام الابل الذاهبة شبعًا وريًّا . ولا يعني أنَّ ذلك منيته وبغيته من الدنيا، وأنَّ ذلك كاف من يطلب العيش، ولا يعني نفسه.

وقال نُصَيْب":

وقال رجالٌ : حَسبُه من طِلابِها فَقلتُ:كَذبتُم ليس لي دونها حَسبُ!

وقبل هذا البيت قوله :

بزينَبَ ألمِمْ قبل أن يرحَلَ الرَّكبُ وقُل إن تملَّينا فما ملَّكِ القلب
وقُل : ان نَنل بالودِّ منك محبَّةً فلا مثل ما لاقيتُ في حبِّكم حبُّ
وقل في تجنِّيها : لك الذَّنب إنَّما عتابُك من عاتَبتِ فيما له عَتبُ
فمن شاء رامَ الصَّرمَ أو قال ظالمًا لذي ودِّه ذنبٌ وليس له ذنبُ

خليلَـيَّ من كعب ألِمَّا هُدِيتُمَـا بزينَبَ لا تَـفقدكمـا أبَـدًا كَعْـبُ
من اليومِ زُورَاها فإنَّ رِكَابَنَـا غَداةَ غَدٍ عَنها وعن أهلِها نُكبُ
وقُولا لها : يا أمَّ عُثمان خلَّتي أسِلمٌ لنا في حُبِّنا أنت أم حَربُ ؟
وقال رجالٌ : حسبُه من طِلَّابِها (البيت)

وكان جرير يقول : «وددت أنّي سبقت ابن السوداء الى هذه الأبيات !» يعني نُصَيْبًا. وقال الأعرابيّ :

وحَسبُكَ من خَمرٍ يفوتُك ريقُها ووالله ما من ريقِها حسبُك الخَمرُ !

ولهذا الشعر حكاية طَريفة[18] عن بعض أصحاب الأصمعيّ قال : ما رأيت كأعرابيّ وقف علينا وسلَّم وقال : أيُّكُم الأصمعيّ ؟ فقال له : ها أنا ذا ! قال : أنت الذي يزعم هؤلاء أنَّك أعرفهم بالشعر ؟ قال : فمن هو أعلم منِّي ؟ قال : أنشدوني من شعر أهل الحضر حتَّى أريه من شعرنا، فأنشدناه شعرًا قيل في مسلمة بن عبد الملك :

أمَسلَمَ أنتَ البحرُ إن جاء وارِدٌ وليثٌ إذا ما الحربُ طارَ عُقابُها
وأنت كسيفِ الهِنْدُوانِيِّ ان غَدت حوادثُ من حربٍ يُعبُّ عُبابُها
ولا خُلقَت أكرومَةٌ في امرىءٍ له ولا غايةٌ إلاَّ إليكَ مآبُهَـا
كأنَّك دَيَّانٌ عليهَا مُوكَّلٌ بِها وعَلى كفَّيْكَ يَجْري حِسابُها
إليكَ رحلْنا العِيسَ إذ لم نَجِدْ لَها أخاثقةٍ يُرجى لديْه ثَوابُها

فتبسَّم الأعرابيّ وهزَّ رأسه، فظننا أنَّه استحسن الشعر، ثمَّ قال : هذا شعر مهلهل النسج، خطؤه أكثر من صوابه : تشبّهون الملك بالأسد، والأسد أبخر قبيح المنظر، وبالبحر، والبحر مر صعب، وبالسيف، وربَّما خان ونبا . هلاَّ أنشد تموني كما قال صبيّ منَّا؟ فقال له الأصمعيّ : ما قال ؟ فأنشد :

إذا سَألتَ الورَى عَن كُلِّ مَكرُمةٍ لم يُعزَ أكرمُها إلاَّ إلى الهَوْلِ
فتًى جوادٌ أذابَ المال نائِلُه فالنِّيلُ يَشكو لَديهِ كثرة النَّيْلِ[19]
والموتُ يكرَه أن يلقَى منيَّتَهُ في كَرِّه عند لفِّ الخَيلِ بالخَيلِ
لو زاحَم الشَّمسَ أبقَى الشَّمسَ كاسفةً أوْ زاحَمَ الصُّمَّ ألجاها الى المَيلِ

18) اختصر اليوسي هذه الحكاية الادبية من زهر الاداب . انظرها تامة هناك، الجزء الأول، ص. 400-402 .
19) في زهر الاداب : فالنِّيلُ يشكرُ مِنْهُ ...

أمضَى من النَّجمِ إن نابَتْهُ نائِبَةٌ وعند أعْدائِهِ أجْرى من السَّيلِ
لا يستريحُ الى الدُّنيا وزِينتِها ولا تراهُ إليها ساحبَ الذَّيلِ
يُقصِّر المجْدُ عَنْهُ في مكارمِهِ كما يُقصِّر عن أفعالِهِ قَوْلِي

قال الراوي : فبُهتنا والله بما رأينا . فتأنَّى قليلا ثمَّ قال : ألا تنشدني يا أصمعيّ شعرًا ترتاح إليه النفس ؟ فأنسدتُه قول عَدِيّ بن الرِّقَاع :

وناعِمةٍ تجلُو بعُودِ أراكَةٍ مُؤشَّرةٍ يسبي المُعانقَ طيبُها
كأنَّ بها خَمرًا بماءِ غَمَامَةٍ إذا ارتُشِفَتْ بَعْدَ المنامِ غُروبُها
أراكَ إلى نَجدٍ تحِنُّ وإنَّمَا هَوى كُلِّ نفسٍ حيثُ كان حبيبُها[20]

فتبسَّم الأعرابيّ وقال : هذا قريب من الأوَّل . ألا أنشدتني كما قلت :

تعَلَّقتُها بِكرًا وعُلِّقتُ حُبَّها وقَلبيَ مِن كلِّ الورَى فارغٌ بِكرُ
إذا احتجَبتْ لم يكفِك البَدرُ فقدها وتكفيك فَقدَ البَدر إن حُجب البدر[21]
وما الصَّبر عنها إن صَبرتَ وجدتَه جميلاً ولا في مثلِها يحسُنُ الصَّبرُ
وحسبُك من خَمرٍ يفوتُك ريقُها ووالَّلهِ ما من ريقِها حسبكَ الخمرُ
ولو أنَّ جِلد الذَّرِّ لامَس جِلدَها لكان للَمسِ الذَّرِّ في جِلدها أثْرُ
ولو لم يكُن للبَدر ضدًّا جمالُها وتفضُلُه في حُسنِها لَصَفا البَدرُ

قال الراوي : فقال لنا الأصمعي : أكتبوا ما سمعتم، ولو بأطراف المُدَى في رقاق الأكباد ! انتهى.

ويقال أيضا : حَسبُكَ بِكَذَا . قال أبو تمَّام :

نامَت همومِيَ عنِّي حينَ قُلت لها : حسبِي أبو دُلفٍ حسبي به وكَفى !

وقال العبَّاس بن الأحنف :

إن كان يُرضيكم عَذابي وأن أمُوتَ بالهِجرانِ والكَرْبِ
فالسَّمْعُ والطَّاعَةُ مَنِّي لَكُمْ حَسْبِي بِمَا ترضَوْنَ لي حَسبِي

والشَّرُّ ضدّ الخير ؛ والسَّمَاعُ مصدر، يقال : سَمِعَ كَذَا سَمْعًا وسَمَاعًا.

ومعنى المثل أنَّ الشَّرَّ يكفيك منه سماعه، وإن لم تُعاينْهُ، إمَّا على معنى أنَّ الشرَّ من

20) في زهر الآداب أراك إلى نجد ...
21) في زهر الآداب : « ضوء » بدل « فقد » في الشطرين معًا.

شناعته وقبحه يتبيَّن بسماعه [وإن لم تعانيه ؛ أو أنَّه يحصل لك اتهام ما به من مجرَّد سماعه،][22] وإن لم تقدم عليه ولا انتسبت إليه ؛ أو يكفي ـ فيما انتسب إليك من الشرّ ـ سماع النَّاس له، وإن لم يعاينوه . وهذا ما ذكر أبو عبيد أنَّ هذا المثل يُضرب فيما يحذَّر من العار والعيب والمقالة السوء وإن كانت باطلا، كقول الآخر :

قد قِيل ما قيل إن صِدقًا وإن كذبًا فما اعتِذَاركَ من قولٍ إذا قيلا ؟

وإمَّا على معنى الأمر، أي : اكتفِ من الشرّ بسماعه ولا تُعايِنْهُ، واللَّه أعلم.

والمثل لأمّ الربيع بن زياد العبسي، وكان ابنها الربيع أخذ من قيس بن زهير درعا، فعرض قيس لأمّ الربيع، وهي على راحلتها في طريق، فأراد أن يقبضها في الدرع فقالت : أين عَزَبَ عنك عقلُك ياقيس ؟ أترى بني زياد مصالحيك، وقد ذهبت بأمّهم يمينا وشمالا، وقال الناس ما قالوا ؟ إنَّ حَسْبَكَ مِن شَرٍّ سَمَاعُهُ . فذهبت كلمتها مثلا.

وقالت عاتكة بنت عبد المطَّلب، من شعراء الحماسة :

سائِل بِنَا في قَوْمِنَا ولْيَكْفِ من شَرٍّ سَمَاعُهْ

قَيْسًا ومَا جَمَعُوا لَنَا فِي مَجْمَعٍ بَاقٍ شَنَاعُهْ

وبعده :

فِيهِ السَّنَوَّرُ والقَنَا والكَبْشُ مَلْتَمِعٌ قِنَاعُهْ

بِعُكَاظَ يُعْشِي النَّاظِرِ ينَ إذا هُمُ لَمَحُوا شُعَاعُهْ

فِيهِ قَتَلْنَا مَالكًا قَسْرًا وأسْلَمَهُ رَعَاعُهْ

ومُجَدَّلا غَادَرْنَهُ بِالقَاعِ تَنْهَشُهُ ضِبَاعُهْ

تصف بهذا الكلام حرب الفجار بين قريش وقيس بعكاظ . وأرادت بقولها : ولْيَكْفِ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهْ : انَّا أوقعنا بهم من الشرّ ما هو ظاهر غنيّ عن السؤال عنه والاخبار به.

تَحْسِبُهَا حَمْقَاءَ وهِيَ بَاخِسٌ".

تقول : حَسِبْتُ زيدًا عالمًا ـ بالكسر ـ أحسَبه وأحسِبُه مَحْسبة ومحسِبه وحِسْبانًا ـ بالكسر ـ إذا ظننته ؛ والحَمْقَاءُ مؤنَّث الأحْمَق ؛ والبَاخِسُ من البَخْس، وهو النقص والظلم . يقال : بَخَسَه حقَّه يَبْخَسُه بَخْسًا فهو باخِس

22) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

وهي باخِسة وباخِس أيضا . وورد به المثل وهو جائز، كما قالوا : ناقة بَازِل، ومُغِذٌّ في السير، وحَائِل . ومَن شاء أن يُؤنّث في المثل أنّث وهو الأصل .

وأصل هذا المثل أنّ رجلا خلط بماله مال امرأة يظنّها حمقاء، فطمع فيها . فلمّا تقاسما أخذت جميع حقّها، ثمّ لم ترض بذلك فشكته حتّى افتدى منها من المال بما أحبّت . ثمّ إنّ النّاس ظنّوا أنّه يغبنها فلاموه وقالوا له : كيف تخدع امرأة ؟ فقال عند ذلك : تَحْسِبُها حَمْقَاءَ وهِيَ بَاخِسٌ، أي ظالمة، فذهبت مثلا يُضرب في الرجل يَتَبَالَهُ أو يطيل الصمت حتّى يُظنّ به التغفيل وهو ذو دهاء ومكر . ونحوه قولهم : مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاعَ، كما ياتي :

اُحْسُ وذُقْ !

الحَسْوُ الشُّرْبُ . تقول : حَسَا الرجل المرق يَحْسُوه إذا شربه شيئا بعد شيء . وكذا تَحسّاه . وحَسَا الطائر الماء يَحْسُوه . قيل : ولا يقال شربه ؛ والذّوقُ معروف . والمثل يقال لمَنْ تعرّض للمكروه فوقع فيه، ومعناه ظاهر.

الحُسْنُ أحْمَرُ.

الحُسْنُ : الجَمَالُ، وهو معروف ؛ والحُمْرَة معروفة . ويريد بهذا المثل أنّ من أراد الحُسْن صبر على أشياء يكرهها.

مُحْسِنَةٌ فَهِيلِي !

الاحْسَانُ في الفعل ونحوه ضدّ الاساءة ؛ والهَيْلُ التّفْريغُ والصّبُّ . يقال : هَالَ عليه التراب يَهِيلُه هَيْلاً، وأهَالَه إهَالَةً إذا صبّه . وكلُّ شيء صبّه من غير كيل فقد هَالَه.

قيل : وأصل المثل أنّ الهائلة بنت منقذ - من بني عمرو بن سعد بن زيد مناة أمّ جساس بن مرة، وهي أخت البسوس بنت منقذ التي كانت الحرب عليها بين وائل أربعين سنة - ورد عليها ضيف ومعه جراب فيه دقيق . فقامت الهائلة وأخذت وعاء عندها كان فيه دقيق لتأخذ

من وعاء الضيف [دقيقا . فجاء الضيف][23] فلمّا بصرت به جعلت تأخذ من وعائها فتهيل في وعاء الضيف . فقال : ما تصنعين ؟ فقالت : أهيل من هذا في هذا . فقال : **مُحْسِنَةٌ فَهِيلِي** ! فسُمّيت الهائلة بذلك، وذهب قوله مثلا يُضرب في استقامة الأمر، قاله أبو عبيد . وقال غيره : يُضرب للرجل يسيء في فعل فعله فيُؤمر بذلك على سبيل الهزء به، وهذا أظهر وأنسب بالأصل المذكور . نعم ! يمكن أن يُنقل الى الجدّ، حتّى يقال للرجل يُحسن حقيقةً على وجه الاستزادة من فعله .

أحْسَنُ مِن طَاوُوسٍ .

الحُسْنُ مرّ ؛ والطّاوُوسُ ـ على وزن قَابُوس ـ طائر معروف بديع الشكل رائق الحسن، وفي طبعه، مع ذلك، الزهو والخيلاء والاعجاب بريشه . وكان يقال : إنّ الطاووس في الطير كالفرس في الدواب عزّا وحسنا . وقال بعض الدجّاز في وصفه :

سُبحان من مِن خَلقِهِ الطّاووسُ ... طيرٌ على أشكالِهِ رَئِيسُ !
كأنّه في نفسِهِ عَرُوسُ ... فِي الرِّيشِ منْهُ رُكِّبَتْ فُلُوسُ
تُشرِقُ في دَارَاتِهَا شُمُوسُ ... في الرّأسِ منْهُ شجرٌ مَغْرُوسُ
كأنّه بَنَفسَجٌ يَمِيسُ ... أوْ هُوَ زَهْرُ خُرَّمٍ يَنُوسُ

أحُشُّكَ وتَرُوثُنِي !

الحَشِيشُ ما يبس من الكلإ ؛ وحَشَشْتُهُ أنا : قطعتُه ؛ وحَشَشْتُ الفرسَ : ألقيتُ إليه الحشيش ؛ والرّوثُ معروف . يقال : رَاثَتِ الدّابّة تَرُوثُ رَوْثًا . وهذا المثل يُضرب لمَن أحسنتَ إليه فأساء إليك . فإنّه قد صار بمنزلة الفرس إذا ألقيت إليه الحشيش فلطّخك برَوثِهِ . وهذا ظاهر.

أحَشَفًا وسُوءَ كِيلَةٍ ؟

الحَشَفُ ـ بفتحتَيْن ـ أرْدَأُ التّمر . قال امرؤ القيس :

كأنّ قلوبَ الطّير رطبًا ويابسًا ... لَدى وكْرِها العُنّاب والحَشَفُ البالي

23) ناقص من د.

والكِيلَةُ - بكسر الكاف - الهيئة من الكَيْل . يقال : كَالَ لَه الطعام، وكَالَهُ إيَّاه كَيْلاً؛ وكَالَ كَيْلَةً واحدةً - بالفتح - وكِيلَةً حسنةً أو قبيحةً - بالكسر -

ومعنى المثل : أتَجمع على أن تعطيني حَشَفًا وتكيل لي كيلةً سيِّئة ؟ يُضرب للأمر يُكره من جهتَيْن . وكان أصله أنَّ رجلا اشترى تمرا من عند آخر فأتاه بتمر رديء، ثمَّ أساء له في الكيل مع ذلك، فقال له ذلك.

أَحْطُطْ عَنْ رَاحِلَتِكَ فَقَدْ بَلَغْتَ ! (بيـــاض)

الحَفَائِظُ تحلل الأحْقَادَ .

الحَفَائِظُ جمع حَفِيظَة، وهو الغَضَب والحميَّة ؛ والأحْقَادُ جمع حَقُود[24] والمعنى أنَّك إذا رأيت حميَّك وقريبك يُظلم، وفي قلبك عليه ضِغْنٌ، دعتك الحميَّةُ الى نصره وزال عن قلبك ما فيه من بغضه، كما قال الشاعر[25] :

أخُوكَ الَّذي لا تملِك الحِسَّ نفسه وترفَضُّ عندَ المُحفظَاتِ الكتائفُ

وسيأتي زيادة في هذا المعنى .

الحَقُّ أبْلَج، والبَاطِلُ لَجْلَج .

الحَقُّ خلاف الباطل ؛ والأبْلَجُ الواضِحُ، يقال : بَلَجَ الصبح - بالفتح - يَبْلُجُ - بالضمّ - بُلُوجًا، وبَلَجْتُ الشيء فَتَحْته وأوضَحْته ؛ وصُبْح أبْلَجُ : مُشْرِقٌ ومُضِيء . قال الراجز :

حتَّى بَدتْ أعناقُ صُبحٍ أبْلَجا

وكذا الحقُّ أبْلَجُ أي واضح ظاهر لا التباس به ؛ واللَّجْلَجَةُ والتَّلْجِيجُ : التردّد في الكلام . ويقال : تَلَجْلَجَتِ اللُّقْمَةُ في حلقه، أي تردَّدت ولم تَنْسَغ . قال زهير :

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أنِيضٌ أصَلَّتْ فَهْيَ تحتَ الكَشْحِ داءُ

24) يظهر أن هنا بترًا . فالأحقاد كالحُقود جمع لحِقد، وهو الضِّغْنُ .
25) هو القطامي .

والمعنى أنَّ الباطل يردد من غير أن ينفذ، وهو ظاهر.

تَحْقِرُهُ ويَنْتَأُ !

الحَقْرُ : الاذلال، تقول : حَقَرْتُ الرجل حَقْرًا - كضَرَبْته ضَرَبًا - وحَقَّرته تَحقِيرًا، واحْتَقَرته، واستَحقَرته ؛ وتقول : حَقَرَ الرجل - كَجَلَسَ - وحَقُرَ يَحْقُرُ - كَكَرُمَ يَكْرُمُ - إذا ذلَّ . والنُّتُوءُ : الارتِفَاعُ، تقول : نَتَأ الشيءُ يَنْتَأُ نَتْأً ونُتُوءًا، إذا انتفخ وارتفع، وقد تقول : نَتَا يَنْتُو، بغير همز.

ومعنى المثل أنَّك تحقره وتزدريه لسكونه، وهو يرتفع ويخادعك . وهذا مِثل المثل السَّابق : تَحْسِبُهَا حَمْقَاءَ وهِيَ بَاخِسٌ".

حَقَّكَ أخَذْتَ .

تقدَّم في كلام الضبِّ مع الأرنب والثعلب، وهو ظاهر المعنى.

تَحَكَّكتِ العقْربُ بالأفْعَى .

الحَكُّ معروف، حَكَكْتُ الشيءَ، وحَكَكْتُ الشيءَ بالشيءِ، وتَحَاكَّ الشيئان : حَكَّ كلٌّ منهما صاحبَه، واحْتَكَكْتُ بهذا الشيء : حَكَكْتُ نفسي عليه، وفلان حِكُّ شرٍّ وحِكَاكُ شرٍّ - بكسر الحاء فيهما - : يُحَاكُّه كثيرًا ؛ وفلان يتَحَكَّكُ بي : يتعرَّض لشرِّي ؛ والعقرب معروف، يُذكَّر ويُؤنَّث، والأنثى منه عَقْرَبَاءُ - بالمدِّ غير مصروف - وعَقْرَبَةٌ"، والذكر عُقْرُبَانٌ" . قال الشاعر :

كأنَّ مَرعَى أمِّكُم إذْ غَدَت عَقرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبَان

ومَرعَى اسم الأمِّ، ويَكُومُها يَنزُو عليها . والأفعى حيَّة خبيثة . قال الراجز :

كأنَّ صَوتَ شَخْبِهَا المُرْفَضِّ كَشِيشُ أفْعَى أجمعَت لعضِّ[26]

والذكر أفْعُوانٌ" - بضمِّ الهمزة والعين - قال الراجز :

قَد سالَم الحيَّاتُ منْه القَدَمَا الأفْعُوانَ والشُّجَاعَ الشَّجْعَمَا

---

26) بعده : ففي تحكُّ بعضَها ببعض .

ومعنى تحكّكت العقربُ بالأفعى لصِقَتْ بها وحلّقت حواليها، أو تعرّضت لشرّها . يَضرب لمَنْ يصارع أو ينازع أو يخاصم مَنْ هو أقوى منه أو يتشبّه بغيره ويَحْكي فعلَه ولا يقوى قوّته.

اِحْتَكِمْ حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أهْلِهِ !

الحُكْمُ : القَضَاءُ، يقال : حَكَمْتُ عليه بكذا حُكْمًا . وتقول : حَكَّمْتُه تَحْكيمًا إذا أذِنتَ له أن يَحْكُمَ، فتَحَكَّمَ هو واحْتَكَم . ولمّا كان الصبيّ مقبولاً ما حَكَم به على أهله، ومسموعًا ما طلبه منهم، ومغتفرا ما تحامل به عليهم، ضرب النّاس بحكمه المثل في كل مَن تُسمع مقالتُه، ويُتحمّل انبساطُه عليك، وتغتفر دالّتُه. كان أبو سفيان إذا نزل به جار قال له : يا هذا، إنّك قد اخترتَني جارًا، واخترت داري دارًا، فجناية يدك على دونك، فإن جنت عليك يدٌ فاحْتَكِمْ عَليَّ حُكْم الصَّبيِّ على أهْلِهِ ! وقال الشاعر :

ولا تَحْكُما حُكْم الصَّبيِّ فإنَّهُ كثيرٌ على ظَهْر الطَّريقِ مجاهِلُهْ

ومن كلام أبي بكر بن القَبطُرْنَة[27] يحقّ لي أن أذهب شططا، وأتكلّم منبسطا، وأبيّن غرضي كلّه ومذهبي، وأتحكّم على مكارمك تحكُّم الصبي، وأبلغ بك كُلَّ أمل وأرَب، وأملأ دلوي في رجائك الى عقد الكَرَب . وأشار بهذا الأخير الى قول القائل :

من يُساجِلْني يُساجِلْ ماجِدًا يملأ الدَّلوَ إلى عَقْدِ الكَرَبِ

أحْكَى مِن قِرْدٍ.

يقال : حَكَيتُ الحديث وحَكَوتُه - بالياء والواو - ذكرته، وحَكَيْتُه عن فلان : نَقَلْتُهُ عنه، وحاكَيْتُ فلانًا : شَابَهْتُه وفعلت مِثل فعله ؛ والقِرد - بكسر القاف وسكون الراء - معروف، جمعه أقْراد وقُرود وقِردة وقُرُد . وهذا الحيوان - مع قبحه - في الغاية من الالهام والحذق بمُحاكاة غيره وبالحِرَف وغيرها : فهو يعلم الخياطة والصياغة

---

27) حرّف هذا الاسم في المخطوطات بإسقاط النون منه فكتب « ابن القبطرة » . ويكتب أيضًا القَبْطُورْنَة، وهو أديب أندلسي أحد ثلاثة إخوة يعرفون ببني القبطورنة . ترجم له الدكتور احسان عباس وأورد مراجع ترجمته في هامش رقم 2، ص 155-156 من الجزء الاول من نفح الطيب .

وغيرك ذلك ؛ ويعلم حفظ الأمتعة وحراسة الحوانيت ونحوها ؛ ويحاكي الانسان في جميع أفعاله، ما خلا النطق، كما قال أبو الطيّب :

يُريدون شَأوي في الكلامِ وإنَّما يُحاكي الفتى فيَ ما خلا المنطِقَ القِردُ

حَلأَتْ حَالِئَةٌ عَنْ كُوعِهَا .

يقال : حَلأ الجلد . بالفتح ـ يَحْلَؤُهُ إذا قشره وبشره، أو إذا نزع تَحْليئَهُ، والتَّحْلِيءُ ما أفسده السكّين من الجلد، أو ما يبقى من الصفاق على باطنه عند السلخ؛ والكُوعُ : رأس الزَّنْد الذي يلي الابْهَام ؛ والكُرْسُوع : رأسُ الزَّنْد الذي يلي الخِنْصرِ.

ومعنى المثل أنَّ المرأة إذا حَلأتِ الأديم، فإن رفقت سلمت وإن خرقت قطعت بالشفرة كوعها. فيُضرب في حذر الانسان على نفسه.

أحْلَبْتَ أمْ أجْلَبْتَ ؟

يقال : أحْلَبَ الرَّجلُ ـ بالحاء المهملة ـ إذا ولدت إبلُه إناثا لأنَّها تُحلب، وأجْلَبَ ـ بالجيم ـ إذا ولدت إبله ذكورا لأنَّ أولادها تُجلب الى السوق فتُباع.

حُلِبَتْ صُرَامُ .

الحَلْبُ ـ بالتسكين ـ استخراج ما في الضرع من اللَّبن، حَلَبَ الشاة ـ بالفتح ـ يَحْلُبُها حَلْبًا ؛ وصُرَام ـ على مثال غُرَاب ـ آخر اللَّبن بعد التَّغْرِيز، يحتاج إليه الرجل فيحلبه ضرورة . فضُرب ذلك مثلا لاستخراج آخر ما في النفس، فإذا قيل : حُلِبَتْ صُرَام"، فكأنَّه قيل : بَلَغَ العُذْرُ آخِرَهُ . قال الشاعر :

ألا أبْلِغْ بني سَعْدٍ رَسُولاً ومَولاهُم، فَقَد حُلبَت صُرامُ

والصُّرامُ أيضا اسم من أسماء الحرب، والداهية.

لَتَحْلُبَنَّها مَصْرًا !

الحَلْبُ تقدَّم ؛ والمَصْرُ ـ بالفتح والسكون ـ حَلْبُ جميع ما في الضرع حتَّى لا يبقى شيء . والتَّمَصُّر حلب بقايا اللَّبن . وشاة أو ناقة مَصُورٌ بَطِيئَة خروج اللَّبن. وهذا المثل يُضرب في توعّد العدوّ، وكأنَّك تقول له : إنَّك لا تنال منِّي شيئا، وإنَّما أنت بمنزلة من يحلب الشاة الممصورة، فوضعت المصدر موضع المفعول، أي : **لَتَحْلُبَنَّهَا مَمْصُورَةً لا لَبَنَ فيها، كما يقال : ضَرْبُ الأمِيرِ** [28] .

حَلَفَ لَهُ بالمُحْرِجَاتِ.

الحلف معروف، يقال : حَلَفَ ـ بالفتح ـ يَحْلِفُ حَلِفًا ـ بالكسر كَكَذِب ـ ؛ والمُحْرِجَاتُ : الأيْمَانُ المُوقِعةُ في الحَرَج وهو الاثم والضيق . ويقال : المحرجات الثلاث وهي الطلاق، والعتاق، والمشيُ الى مكَّة . وقيل : هي الطلاق ثلاثا.

حَلِمَ الأدِيمُ

الأدِيمُ الجِلْدُ . ويقال : حَلِمَ الأديمُ ـ بالكسر ـ يَحْلَمُ إذا فسد ووقع فيه دود. ثمَّ يُضرب مثلا للأمر يتناهى فساده . قال الوليد بن عقبة يخاطب معاوية رحمه اللَّه تعالى :

فإنَّكَ والكِتَابَ إلى عَلِيٍّ كَدابِغَةٍ وقَد حَلِمَ الأدِيمُ

وسيأتي تتمة هذا الشعر.

وأوَّل من قال هذا المثل خالد بن معاوية بن سنان السَّعدي، وذلك أنَّه اسْتَبَّ، هو وبنو تميم، عند النعمان بن المنذر، فقال خالد يرتجز فيهم :

دوموا بَنِي غُنْمٍ ولن تَدومُوا لَنَا ولا سيِّدكُم مرحومُ

إنَّا سَراةٌ وسْطَنَا قُرومُ قَد حَمَلَت أحْسَابَنَا تَدُومُ

في الحَرْبِ حتَّى حَلِمَ الأديمُ

فذهب قولُه حَلِمَ الأديمُ مثلاً . وقال لهم أيضا :

---

28) أي هو درهمٌ ضَرْبُ الأمير أي مضروبه، بمعنى أنه أمر بضربه سكة . جُعل فيه المصدر مكان اسم المفعول .

إنَّ لَنا يا أهْلَ غُنْمٍ عِلما: أفْواهُ أفْراسٍ أكَلْنَ هَشْمَا
استاه أم يَغْتَدينَ لَحْمَا تَرَكْتُمُ خَيرَ قُوَيْسٍ سَهْمَا

فذهب هذا أيضا مثلا، وسيأتي.

ثمَّ إنَّ شاعر غنم رجز بخالد أيضا، ومع خالد أخ له . فاستعدوا عليه النعمان، فقال خالد: أبيت اللَّعن ! إذاً أركب أنا وأخي ناقة ثمَّ نتعرَّض لهم، فإن استطاعوا فليعقروا بنا ! فأعجب النعمان ذلك وقال : قد أعطوكم بحقّكم . قالوا : قد رضينا . فقال النعمان : **أما واللّه لَتَجِدُنَّهُ أَلْوَى بَعِيدَ المُسْتَمَرّ ! .** فأرسلها مثلا، وسيأتي.

ثمَّ إنَّ خالداً وأخاه اكتفلا ناقتهما بكفل، وتأخَّر أحدهما الى العجز وجعل وجهه ممَّا يلي الذنب ؛ وتقدَّم الآخر الى الكتف، وجعل كلّ واحد منهما يذبّب بسيفه، فلم يخلصوا الى أن يعقروا بهما.

أحْلَمُ مِن فَرخِ الطَّائِرِ .

الحِلْمُ - بالكسر - الاناةُ والعقل . يقال : حَلُمَ - بالضمّ - يَحْلُمُ حِلْماً، فهو حَلِيمٌ، وهم حُلَمَاءُ وأحْلامٌ ؛ وجمع الحِلْم حُلُوم وأحْلاَم ؛ والفَرخُ معروف جمعه أفْراخٌ وفِراخٌ . ونُسب الحِلْمُ الى فرخ الطائر لأنَّه يخرج من البيضة على قنَّة الجبل، ثمَّ لا يتحرَّك حتَّى يتمَّ نبات ريشه ؛ ولو تحرَّك سقط . وتقدَّم في قولهم : أحْزَمُ من عُقَابٍ، ومِن فَرْخ العُقَابِ، وهو المقصود هنا.

الحَمْدُ مَغْنَم، والمَذَمَّةُ مَغْرَم .

هذا المثل ظاهر المعنى، إفراداً وتركيباً، يُضرب عند اكتساب المحامد واجتناب المذامّ. ومثله قول مالك بن جرير :

وإنَّ قليلَ الذَّمِّ غَيْرُ قَليلِ

وقبله :

أجُودُ على العَافي وأحْذر ذمَّه إذا ضنَّ بالمعروف كُلُّ بخِيلِ

ومثله قول عبيد :

الخَيرُ يبقَى وإن طال الزَّمان به والشَّرُّ أخْبَثُ ما أوعَيْتَ في زادِ

وقول الحماسي :

أيا ابْـنَـةَ عَـبدِ الـلّهِ وابنـةَ مالكٍ ... ويا ابنـةَ ذي البُـرديـْن والفرس الورد !
إذا ما صَـنعتِ الزّاد فالتمسي له ... أكـيلا فإنـّي لست آكلَـه وحـدي
أخـًا طارقـًا أو جارَ بيتٍ فإنـّني ... أخافُ مـَذمـّاتِ الأحاديثِ من بـَعدِي
وكيف يـُسيغُ المرءُ زادًا وجارُهُ ... خفيفُ المِعى بادي الخـَصاصة والجُهد ؟
ولـَلموتُ خيرٌ من زيـارَةِ باخلٍ ... يـُلاحظُ أطرافَ الأكيلِ على عَـمْد
وإنـّي لعَـبد الضـّيف ما دام ثاويـًا ... وما فـِيَ إلاّ تلْـكَ من شِـيمَة العَـبدِ

وقول حاتم :

أكُـفُّ يدي عن أن ينال التماسُها ... أكُـفّ صِحابي حينَ حاجاتُـنا مَعـًا
أبِـيتُ هضيمَ الكَـشح مُضطمر الحَـشَا ... من الجوعِ أخْـشى الذـّمّ ان أتضلـّعا
وإنـّي لأستحْـيي رفيقيَ أنْ يـَرَى ... مكانَ يـَدي من جانِـب الزّاد أقْرعَـا
وإنـّك إن أعطَـيتَ بطنَـكَ سُؤلَـه ... وفَـرجَـك نالا مُنتـَهى الذـّمّ أجْـمَعـَا

وقول عمرو بن الأهتم :

وكُـلُّ كريمٍ يـَتـّقي الذـّمّ بالقِـرى ... وللخَـير بيـن الصـّالحيـنَ طَـريـقُ
لـَعـَمرُك ما ضاقَـت بلادٌ بأهلِـها ... ولكـنّ أخْـلاقَ الرّجـال تـَضيـقُ

وقول الآخـر :

إلاّ يكُـن عَـظمي طويلاً فإنـّني ... له بالخِـصال الصـّالحاتِ وصـُولُ
ولا خَـير في حُـسنِ الجُـسومِ وطولها ... إذا لم تـَزِنْ حُـسنَ الجُـسومِ عُـقولُ
إذا كنت في القوم الطـّوال فَـضَـلتـُهم ... بعَـــارفةٍ حتـّى يـُقـــال طويلُ
وكم قَـد رأينا من فُـروعٍ طويلةٍ ... تموتُ إذا لم يـُحيهنّ أُصـُولُ !
ولم أر كالمَـعروفِ أمـّا مَـذاقـُه ... فَـحُـلوٌ وأمـّا وجْـهُـه فجَـمِـيلُ

والشعر في هذا المعنى لا يـُحصر .

أحْـمَـقُ مَـا يـَتـَوجـّهُ.

الحُـمْـقُ قلـّة العقل . حَـمُـقَ الرجلُ ـ بالضمّ ـ حُـمْـقـًا ـ بالضمّ ـ وحَـمَـاقَـةً، وانـْحَـمَـقَ واسْـتـَحْـمَـقَ، فهو أحْـمَـقُ وهم حُـمّاقٌ وحُـمُـقٌ ـ بضمـّتـَين ـ وحَـمْـقَـى

وحُمَاقَى ؛ وتَوجَّهَ : أقْبَلَ وولَّى وكَبُرَ . ويقال : أحْمَقُ ما يَتَوَجَّهُ، أي ما يحسن أن يأتي الغائط لِحُمْقه.

أحْمَقُ مِنْ جَهْبَرَ .

الحُمْقُ مرَّ ؛ والجَهْبَرُ أنثى الدبّ، وهو دويبَّة معروفة يُصطاد بها، يزعمون أنَّها تترك ولدها وترضع ولد الضبع، فوصفت بالحُمق.

واعلم أنَّهم بنوا صيغة التفضيل من حَمُقَ، وهو من الخارج عن القياس : فإنَّ نحو هذه المادَّة لا يُبنى منها قياسا كما قُرِّر في محلّه.

أحْمَقُ مِنْ جَهِيزَة .

جَهِيزَةُ - بالجيم أوَّله والزاي آخره، على وزن صَحِيفَة - هي أمّ شبيب بن زيد الشَّيباني الخارجي . كان أبوه يزيد اشتراها من السبي، فقال لها : أسلمي ! فأبت، فضربها فلم تسلم، فواقعها فحملت . فلمَّا أحسَّت بالولد تحرَّك في بطنها قالت : إنَّ في بطني شيئا ينفر . فقال النَّاس حينئذ : أحْمَقُ مِن جَهِيزَة، وضُرب بها المثل في الحمق . وقيل إنَّ جهيزة هي عرس الذئب، تدع ولدها وترضع ولد الضبع . وفيها أو في مثلها ورد قول الشاعر :

كَمُرضِعَةٍ أولادَ أُخْرى وضيَّعَت بني بَطنِها هذا الضَّلال على قَصد !

وجهيزة أيضا امرأة حمقاء ، واجتمع قوم يخطبون في الصُّلح بين حيَّيْن في دم لكي يرضوا بالدية . فبينما هم كذلك قالت جهيزة : ظفر بالقاتل وليُّ المقتول فقتله، فقالوا : قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَولَ كُلِّ خَطِيب !

أحْمَقُ مِنْ أبِي غَبْشَانَ .

أبُو غَبْشَانَ - بفتح الغين المعجمة، وتُضمّ أيضا، وبسكون الباء الموحَّدة - رجل من خزاعة كان يلي سدانة الكعبة قبل قريش . فاجتمع هو وقصيّ في شرب بالطائف، فأسكره قصيّ ثمَّ اشترى منه المفاتيح بزقّ خمر، وأشهد عليه . ودفعها قصيّ لابنه عبد

الدار، وأرسله في الحين الى مكّة . ثمّ أفاق أبو غبشان من سكره وهو أندم من الكُسَعِيّ، فضُرب به المثل في الحمق وفي الندم وخسارة الصفقة، كما يأتي.

أحْمَقُ مِنْ حُبَارَى .

الحُبَارَى - بضمّ الحاء وبألف مقصورة للتّأنيث - طائر معروف يقع على الذكر والأنثى، ويوصف بالحمق.

وفي كلام عثمان رضي الله عنه : **كلُّ شيءٍ يحفَظُ ولدَه حتّى الحُبَارَى** ! وإنّما خصّها بالذكر لأنّها مشهورة بالحمق، ومع ذلك تحبّ ولدها وتطعمه وتعلّمه الطيران، كسائر الحيوان.

أحْمَقُ مِنْ دُغَةَ .

الحُمْقُ مرّ ؛ ودُغَة - بدال مهملة وغين معجمة مخفّفة، على مثال ثُبَة وكُرَة - والأصل دَغَيَ أو دَغَوَ . وهي امرأة من بني عجل، وهي مارية بنت مغنج، ومغنج هو ربيعة بن عجل . ودُغَة حمقاء مشتهرة بذلك، ولذلك ضُرب بها المثل.

وكان من حمقها أنّها تزوّجت في بني العنبر بن عمرو بن تميم . فلمّا أخذها الطلق ظنّت أنّها تريد الخلاء، فانطلقت الى بعض الغيطان تتبرّز، فولدت واستهل الولد ورجعت الى بيتها تقدّر أنّها أحدثت . فقالت لضرّتها : « يا هَنَتَاه، هَل يَفْتَحُ الجَعْرُفَاهُ ؟ قالت : نعم، ويَدعُو أبَاه ! فمضت ضرّتُها وأخذت الولد . فبنو العنبر يدعون بذلك بني الجَعْرَاء، وصار ذلك لقبًا لهم.

ونظرت يوما الى زوجها يقبّل بنته ويقول : بأبي دَرَادِرُك ! والدَّرَادِر مغارز الأسنان . فذهبت هي ودقّت أسنانها بِفِهْر حتّى بدت دَرَادِرُها، فجاءت زوجها وقالت له : « كيف ترى دُرْدُرِي ؟ » فقال لها **أعْيَيْتِنِي بِأَشُر، فكيف بِدُرْدُر ؟**، وهو مثل سيأتي.

وقال أبو نواس :

وما لِبَكْرِ بْنِ وائِلٍ عِصَمٌ إلاّ بِحَمْقَائِهَا وكَاذِبِهَا

وقد خطّأ أبو العبّاس المبرّد أبا نواس في هذا وقال إنّه أراد بالحمقاء هَبَنَّقَة القيسي، ولا يقال للرجل حمقاء . ورُدّ عليه بأنّه أراد دُغَةَ العجليّة، وعجل في بكر بن وائل.

قال شمس الدين بن خَلّكان رحمه الله تعالى : وقد رأيت المبرّد في المنام وأنا بالاسكندريّة، في سنة ستّ وثلاثين وستمائة، وعندي إذ ذاك **الكامل** للمبرّد وكتاب **العقد** لابن عبد ربّه . فرأيت في العقد في ترجمة ما غلط فيه على الشعراء، وذكر أبياتا نسبوا أصحابها الى الغلط ولم يغلطوا وإنّما وقع الغلط ممن غلّطهم، منها ما ذكر المبرّد في **الروضة** من تغليط أبي نواس في البيت السّابق ـ والغلط إنّما هو من المبرّد، كما قرّرنا ـ . قال : فلمّا كان بعد ليال قلائل من وقوفي على هذه الفائدة، رأيت كأنّي بمدينة حلب في مدرسة القاضي بهاء الدين، وكأنّنا صلّينا الظهر جماعة . فلمّا فرغنا أردت الخروج، فرأيت في أخريات الموضع رجلا واقفا يصلّي، فقال لي بعض الحاضرين : هذا أبو العبّاس المبرّد . فجئت إليه وقعدت الى جانبه أنتظر فراغه . فلمّا فرغ سلّمت عليه فقلت له : أنا في هذا الزمان أطالع كتابك **الكامل** . فقال لي : رأيت كتابي **الروضة** ؟ فقلت : لا . وما كنت رأيتها قبل ذلك . فقال لي : قم حتّى أريك إياه ! فقمت معه وصعد بي الى بيته . فدخلنا ورأيت فيه كتبا كثيرة . فقعد يفتّش عليه وقعدت أنا ناحية . فأخرج مجلّدا ودفعه لي، ففتحته وتركته في حجري، فقلت له : قد أخذوا عليك . فقال : أي شيء أخذوا؟ فقلت له : إنّك نسبت أبا نواس الى الغلط في بيت كذا، وأنشدته إيّاه .فقال : نعم، غلط في هذا . فقلت : إنّه لم يغلط بل هو على صواب، ونسبوك أنت الى الغلط في تغليطه . فقال : وكيف هذا ؟ فعرّفته ما قاله صاحب **العقد** . فعضّ على رأس سبّابته وبقي ساعة ينظر إليّ، وهو في صورة خجلان، حتّى استيقظت من منامي وهو على تلك الحال . انتهى ملخّصا.

أَحْمَقُ مِنْ رِجْلَةٍ .

الرِّجْلَة ـ بكسر الراء وسكون الجيم ـ : ضَرْبٌ من النبات معروف ينبت في حميل السيل، فيقتلعه، فيوصف لذلك بالحمق . ويقال له بَقْلَة الحمقاء، والبقلة اليَمْنة، والبقلة المباركة . وقيل إنّ البقلة المباركة هي الهندباء . وقولهم بقلة الحمقاء أضيف فيه الموصوف الى الصفة في الظاهر، كقولهم : مسجد الجامع، وصلاة الأولى.

أحْمَقُ مِنْ رَخَمَةٍ .

الرَّخَمَةُ - بفتح الراء والخاء المعجمة - طائر معروف، جمعه رَخَمٌ، ويقال له الأنُوقُ، كما مرَّ . ومن ثمَّ يقال لها ذات الاسمَيْن . وهي تتمنَّع في قلل الجبال، كما تقدَّم، وتتحرَّز، ومع ذلك تحمق . قال الكُمَيْت :

وذاتِ اسْمَيْنِ والألْوانُ شَتى تُحمَّقُ وهي كَيِّسَةُ الحَويلِ

وذُكر الروافض عند الشعبيّ فقال : لو كانوا من الدوابّ لكانوا حمرًا، ومن الطير لكانوا رخمًا. والرَّخَمَة من لئام الطير، ولئام الطير - فيما يزعمون - ثلاثة : الرَّخَمَةُ والغراب والبُومة.

أحْمَقُ مِنْ صاحِبِ ضَأْنٍ ثَمانِينَ .

الضَّأنُ - بسكون الهمزة وفتحها - جمع ضَائِن، مثل رَكْب لرَاكِب، وحَرَس لِحَارِس. والضَّائِنُ خلاف المَاعِز من الغنم ؛ والأنثى ضَائِنَة . ويقال : أضأن الرجل كثُرت عنده الضَّأن ؛ وثَمانُونَ عقد معلوم من العدد ؛ وصاحب ضأن ثمانين قالوا هو رجل بشَّر كِسْرى فقال له كسرى : « سَلْ منِّي ما شئت ! » فقال « أسألك ضأنا ثمانين »، فقال : « أحْمَقُ من صَاحِبِ ضَأنٍ ثَمانِينَ . » وقيل إنَّه رجل حكَّمه النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال له : **أيُّمَا أحَبُّ إلَيْكَ : ثَمَانُونَ مِنَ الضَّأنِ، أو أدعُو اللهَ تَعَالَى أن يجْمَعَكَ مَعِي في الجَنَّةِ ؟ فقال : بَلْ ثَمَانُونَ مِنَ الضَّأنِ . فقال صلَّى الله عليه وسلَّم : أعْطُوهُ إيَّاهَا ! ثمَّ قال صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّ صَاحِبَةَ مُوسَى كَانَتْ أعْقَلَ مِنْكَ** . وذَلِكَ أنَّ عَجُوزًا دلَّتْهُ على عِظَامِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَالَ لَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ: أيُّمَا أحَبُّ إلَيْكِ : أسْألُ اللهَ أنْ تَكُونِي مَعِي في الجَنَّةِ، أوْ مِائَةٌ مِنَ الغَنَمِ ؟ قَالَتِ : الجَنَّةُ.

ويُروى أيضا **أنَّ رجلا وقف على النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وهو يقسم غنائم حُنَيْن، فقال : إنَّ لِي عِنْدَكَ مَوعِدًا، يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : صَدَقْتَ، فاحْتَكِمْ مَا شِئْتَ ! قَالَ : إنِّي أحْتَكِمُ ثَمانِينَ ضَائِنَةً ورَاعِيَهَا .**

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ : هي لَكَ، وقَدِ احْتَكَمْتَ يَسِيراً . ولَصَاحِبَةُ مُوسَى عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، التِي دلَّتْهُ على عِظَامِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ، كَانَتْ أحْزَمَ مِنْكَ حِينَ حَكَّمَهَا مُوسَى فَقَالَتْ : حُكْمِي أن تَرُدَّنِي شَابَّةً وأدخُلَ مَعَكَ الجَنَّةَ.

وفي هذا الرجل يقال : أقْنَعُ مِنْ صَاحِبِ الثَّمانِينَ ورَاعِيهَا، كما سيأتي.

أحْمَقُ مِنْ ضَبُعٍ .

الضَّبُعُ ـ على مثال سَبُع ـ معروف، يقع على الذكر والأنثى، وهو مؤنَّث اللَّفظ . والذَّكَر بخصوصه ضِبْعَانٌ ـ بالكسر ـ والأنثى ضِبْعَانَة، ولا يقال ضَبُعَة . وقيل يقال . ويقال للذَّكَر منه أيضا ذِيخٌ ـ بكسر الذَّال المعجمة ـ.

والضَّبُع توصف بالحمق . ومن حمقها ـ فيما يزعمون ـ أنَّ الصائد إذا أراد أن يصيدها رمى بحجر في وجارها فتحسبه شيئا فتخرج إليه . وأنَّها [أيضا] يقال لها، وهي في الوجار : خامري، أمَّ عامر ! أي استرى ! كما سيأتي . فتبقى حتَّى يدخل إليها ويقيِّدها برجلها ويخرجها . ويقال لها أيضا، وهي في الوجار : اطرحي، أمَّ طريف ! خامري، أمَّ عامر ! أبشري: بجراد عظلى وشاة هزلى ! فتبقى حتَّى تقبض . ومن النَّاس من يرى أنَّ هذه من خرافات العرب فقط . وأهل زماننا أيضا يزعمون أنَّ الصيَّادين إذا اجتمعوا حول وجارها جعل بعضهم يقول : ما هي هنا، وما هنا شيء ! فتتلبَّث هي حتَّى تقبض ؛ وأنَّهم أيضا قد يرونها فيعظّمونها ويهوّلون أمرها ويقولون : ما هذا السبع ؟ وما هذه الدَّاهية ؟ ونحو ذلك. فتبقى تنتفخ وتتعظَّم في نفسها ولا تفرّ حتَّى يقبضوها.

ومن شهرة حمقها على سائر الدوابّ يقول العرب في المثل الآخر في الشيء يدعى وضوحه جداً : ما يَخْفَى هَذَا الأمْرُ على الضَّبُعِ.

أحْمَقُ مِنْ نَاطِحِ الصَّخْرَةِ .

النَّطْحُ دفْعُ الشيء بالقرون ؛ والصَّخْرَةُ واحدة الصُّخُور المعروفة ؛ ونَاطِحُ الصَّخرة هو الوَعْل، والوَعْل هو التّيس الجَبَلِيّ، كما مرَّ، جمعه أوْعَال ووُعُول . قال

امرؤ القيس :

تلاعب أولاَد الوُعُـولِ رِبَـاعهَـا دُوَينَ السَّماءِ في رُؤُوسِ المَجادِلِ

وقال أميَّة بن أبي الصَّلْت :

كُلُّ حيٍّ وإن تَطاولَ دَهْرًا آئِلٌ أمْـرُهُ الى أن يَـزُولاَ

لَيْتَني كُنتُ قَبلَ ما قَد بَدا لي في رؤُوسِ الجبالِ أرعى الوعولاَ !

يُحكى أنَّ أميَّة هذا لمَّا احتُضر غُشي عليه ثمَّ أفاق فقال : لبَّيْكما ! لبَّيْكما ! أنا إذا لدَيْكما : لا عشيرتي تحميني، ولا مالي يفديني ! ثمَّ غُشي عليه . فلمَّا أفاق قال : كُلُّ حَيٍّ... (البيتَيْن)، ففاظت نفسه . وهما من شعره الحكيم.

ويُروى أنَّ عمرو بن العاصي تمثَّل بهما . وكان لمَّا حضرته الوفاة قال له ابنه : يا أبتاه ! إنَّك كنت تقول : يا ليتني ألقى رجلا عاقلا لبيبا عند نزول الموت به، حتَّى يصف لي ما يجد، وأنت ذلك الرجل : فصِفْ لي الموت ! فقال : يا بنيَّ ! كأنَّ السماء قد انطبقت على الأرض، وكأنِّي بينهما أتنفَّس من سمّ إبرة، وكأنَّ غصن شوك يجذب من قدمي الى هامتي . ثمَّ أنشأ يقول لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَالِي (البيت) . ومثل هذا عن عبد الملك بن مروان لمَّا احتُضر، وكان في قصره مشرفا على النَّاس . فنظر فرأى بعض الغسَّالين يغسل الثياب، فقال : ليتني كنت مثل هذا الغسَّال، [أكتسب] قوتي يوما بيوم، ولم أكن ولِّيت الخلافة ! ثمَّ تمثَّل بالبيتَيْن السَّابقَيْن فمات.

ويُحكى أنَّه لمَّا بلغت قصَّته هذه بعض أهل زمانه قال : الحمد لله الذي جعلهم عند الموت [يعني الرؤساء][14] يتمنَّون ما نحن فيه، ولم يجعلنا نتمنَّى ما هم فيه !

وقالوا في الوعل نَاطِح الصَّخْرَة، لقول الأعشى :

كَناطِحِ صخْرةً يومًا ليقلَعَها فَلم يَضِرْها وأوهَى قَرْنَهُ الوعِلُ

وقول الآخر :

فرشْني بخَيرٍ لا أكونَنْ ومَدحَتي كناطحٍ يومًا صخرةً بِعَسيلِ

أحْمَقُ مِنْ نَعَامَةٍ .

النَّعَامُ معروف وتقدَّم ما فيه . والنَّعَامَةُ توصف بالحمق، وذلك أنَّها تخرج طلبًا

14) ناقص من ب.

للطعم وتدع بيضها . فمتى وجدت بيض نعامة أخرى حضنتها ونسيت بيضها . وفي ذلك يقول ابن هرمة :

وإنّي وتَركِي نَدَى الأكْرمين وقَدْحي بكفَّيَّ زنْداً شَحاحَا
كَتَاركةٍ بَيْضَهَا بِالعَرَاء ومُلحِفَةٍ بَيضَ أُخْرَى جَنَاحا

ومن حمقها أنَّ الصائد إذا أدركها أدخلت رأسها في كثيب رمل تقدّر أنَّها اختفت عنه بذلك وهي بادية له . ومع ذلك فكان لها في بيضها أمرعجيب، وذلك أنَّها تبيضها زوجًا وتضعها فتقسمها قسمَيْن : فقسمًا تحضنه وقسمًا تتركه يكون غذاء لِمَا يكون من الأفراخ، على ترتيب في ذلك ووضع عجيب . فسبحان القادر على ما يشاء والملهم كلَّ حيّ منافعه.

وأمَّا قول علقمة :

حتَّى تَلافى وقَرنُ الشَّمس مُرتفعٌ أُدحيَّ عِرْسيْنِ فيه البَيضُ مركومُ

فقد قيل إنَّه غلط، لأنَّ بيض النَّعام لا يكون مركوما، أي بعضه على بعض، كما قلنا.

أحْمَقُ مِنْ هَبَنَّقَةَ .

ويقال أيضا أحْمَقُ مِنْ ذِي الوَدَعَاتِ ؛ وهَبَنَّقَةُ بالفتحات مع تشديد النُّون . هو يزيد بن ثَرْوَان القيسي . ويقال له ذُو الوَدَعَاتِ ولُقّب بذلك لأنَّه كان يتقلّد الوَدَعَ، والوَدَعُ - بفتحتَيْن - خرز أبيض يُستخرج من البحر، الواحد ودَعَةٌ والجمع ودَعٌ - وتَسكَّن الدّال أيضا - ووَدَعَاتٌ.

وقال الشاعر في المفرد :

أسَنُّ مِن جَلْفزيزٍ عَوزمٍ خَلَقٍ والحِلم حِلْمُ صبيٍّ يمرُسُ الودعَهْ

والجَلْفَزيزي العجوز والنَّاقة الهرمة ؛ والعَوْزَمُ العجوز والنَّاقة المُسنَّة فيها بقيَّة . ومعنى يَمْرُسُ الوَدَعَةَ : يمصّها . يقول : إنَّه كبير في الجسم، صغير العقل.

وقال الآخر في الجمع، مسكّنا ومحرّكًا :

إنَّ الرُّواةَ بلا فهمٍ لما حفظُوا مثلُ الجمالِ عليها يُحمَلُ الودعُ :
لا الودْعُ ينفَعُه حَملُ الجِمال له ولا الجِمالُ بحَملِ الودْعِ تنتفعُ !

قيل : والودع اشتقّ له من الوَدْع وهو التّرك، لِمَا قالوا من أنّ البحر يتركه، وذلك أنّه يقذفه حيوانًا فيموت ويصلب صلابة الحجر، ويعلّق للعين . فكان هَبَنَّقَةُ اتّخذ قلادة من ودع وعظام وخزف يجعلها في عنقه، وكان طويل اللحية . فقيل له : لِمَ تعلّق هذا ؟ فقال : لئلاّ أضِلّ . ثمّ إنّ أخًا له سرقها ذات ليلة وتقلّدها . فلمّا أصبح هَبَنَّقَةُ ورآها في عنق أخيه فقال له : يا أخي، أنت أنا، فمَن أنا ؟ فضُرب به المثل في الحمق . وقد حُكيت عنه أخبار كثيرة في الحمق : منها أنّه اشترى له أخوه بقرة بأربع أعْنُز . فلمّا ركبها وأعجبه عَدْوُها، التفت الى أخيه فقال له : زِدْهم عنزًا ! فضُرب مثلا للمعطي بعد وجوب البيع . ثمّ إنّه سار بالبقرة حتّى مرّ بأرنب تحت شجرة، ففزع منها، وركض البقرة حتّى تجاوزها فقال :

اللّهُ نجّاني ونجّى البَقَرَهْ مِن جَاحِظِ العَينَين تحتَ الشّجرهْ

ومنها أنّه كان إذا رعى الابل ردّ السّمان منها الى المرعى، ونحّى المهازيل وقال : لا أُصلح ما أفسد اللّه !

ومنها أنّه اختصم إليه بنو راسب والطفاوة في غلام تنازعه الفريقان، فقال : اذهبوا فاطرحوه في النّهر : فإن طَفَا فوق الماء فهو للطفاوة، وإن رسب فيه فهو لبني راسب . وهذه أيضا تُحكى عن غير هَبَنَّقَةَ، كما سيأتي، واللّه أعلم.

ومنها أنّه ضلّ له بعير فقال : من جاء به فله بعيران . فقيل له : أتجعل في بعير بعيرَيْن؟ فقال إنّكم لا تعرفون حلاوة الوجدان !

وقال اليزيدي :

عِش بجدّ ولا يضُرّنْك نوكٌ : إنّما عيشُ من تَرى بالجُدود

رُبّ ذي إربةٍ مُقلٍّ من المال وذي عُنْجُهِيّةٍ مَجْدُودِ

عِش بجَدّ وكُن هَبَنَّقةَ القَيسيّ أو مِثلَ شيبَةَ بْنِ الوليدِ !

وسبب قول اليزيدي هذا الشعر أنّه تناظر، هو والكسائي، في مجلس المهدي، وكان شيبة ابن الوليد حاضرا فتعصّب للكسائي وتحامل على اليزيدي فهجاه.

يَحْمِلُ شَنٌّ ويُفْدَى لُكَيْزٌ .

الحَمْلُ معروف . تقول : حَمَلْتُ الشيء أحْمِلُهُ حَمْلاً ـ كَضَرَبْتُهُ أضْرِبُهُ

ضَرْبًا ؛ وشَنٌّ اسم رجل، وهو شن بن أفصى بن عبد القيس بن جديلة ؛ وتقول : فَدَّيْتَ الرَّجُلَ تُفَدِّيهِ إذا قلتَ له : جُعِلْتُ فِدَاءَكَ . قال امرؤ القيس :

فَيَارُبَّ مَكروبٍ كَرَرْتُ وراءه وعانٍ فَكَكتُ الغلَّ عنهُ ففدَّاني

والعرب تقول في التفدية : فدتك نفسي، وأبي، وأمّي، وطارفي، وتالدي . وتقول : فديت الرجل ثلاثيًّا، وفاديته إذا فككته ؛ ولُكَيْزُ - بالزاي، على مثل زُبَيْر - هو ابن أفصى، أخو شِنّ المذكور . وكان شن وأخوه لُكَيْز مع أمّهما ليلى بنت قران في سفر، فنزلا بموضع يقال له ذو طُوَى . فلمَّا أرادت الرحيل فدت لُكَيْزًا، ثمَّ دعت شنًّا ليحملها . فحملها وهو غضبان حتَّى إذا كانا بالثَّنيَّة رمى بها عن بعيرها وقال : **يَحْمِلُ شَنٌّ ويُفَدَّى لُكَيْزٌ** ! فذهبت مثلا يُضرب في وضع الشيء غير موضعه . ثمَّ قال : عليك بجعرات أمّك يا لُكَيْز !

ومِثْل هذا المثَل المثَل الآتي : **هيل خير حالبيك تنطحين**، وقول الشاعر :

وإذا تكونُ كريهةٌ أُدعَى لها وإذا يُحاسُ الحيسُ يُدعى جُندُبُ !

كما مرَّ . وكلّ ذلك يُضرب في الخطإ في مكافأة المُحسن بالاساءة، والمُسيء بالاحسان .

الحُمَّى أضْرَعَتْنِي إلَيْكَ !

الحُمَّى مرض معروف . يقال : حُمَّ الرَّجُلُ - بضمّ الأوّل - وأحَمَّهُ اللّهُ، فهو مَحْمُومٌ ؛ والاضْراعُ : الاذْلالُ . يقال : ضَرَعَ إليه - بالفتح - يَضْرَعُ ضَرَاعَةً : ذَلَّ وخَضَعَ، وأضْرَعَهُ الغَيْرُ . وهذا المثل يُضرب عند الذّلّ للحاجة.

قال أبو علي القالي : إنَّما قيل هذا لأنَّ صاحب الحاجة تأخذه رعشة، من الحرص على حاجته . يقول : فهذا الذي في من القِلّ هو الذي أضْرعني ؛ والقِلّ الرِّعْدَة . انتهى . وقوله : القِلُّ الرَّعْدَةُ، يعني بكسر القاف . وحاصل ما ذكره أن ما بالطالب من الحرص المزعج له إزعاج الحمَّى هو الذي أضرعه وأذلّه، كما قال الآخر :

أذَلَّ الحِرصُ أعْنَاقَ الرِّجالِ

وهو ظاهـــر.

الحُمَّى أضْرَعَتْنِي للنَّوْمِ .

هذا المثل كالذي قبله في المعنى، وهو هو بعينه . وأوَّل من قاله قَرين بن مصاد الكلبي . وكان لصًّا مُبيرًا حتَّى إنَّه كان يقال له الذئب لشدَّة لصوصيَّته . وكان له أخوان : مَرارة ومرَّة ؛ وإنَّ مرارة خرج يتصيَّد الأرْوَى في جبل يقال له أبلق، فاختطفته الجنّ . فانطلق مرَّة أخوه بأثره حتَّى إذا كان بذلك المكان اختُطف أيضا . وكان قرين غائبا. فلمَّا قدم وعلم بأمر أخويه أقسم لا يشرب خمرا ولا يمسّ رأسه غسل حتَّى يطلب أخويه . فتنكَّب قوسه وانطلق الى ذلك المكان . فمكث فيه سبعة أيَّام لا ينام ولا يرى شيئا حتَّى كان اليوم الثامن، فإذا هو بظليم فرماه وأصابه، واستقبل الظليم حتَّى صار في أسفل الجبل. فلمَّا وجبت الشمس بصُر بشخص قائم على صخرة ينادي :

يأيُّها الرَّامي الظَّليم الأسْود ثبِّتْ مراميكَ ولما ترشد !

فأجابه قرين :

يَأيُّها الهاتِفُ فَوْقَ الصَّخْرَهْ كَمْ عَبْرَةٍ هَيَّجْتَها وعِبْرَهْ

بِقتلِكُمْ مَرارةَ ومُرَّهْ فرَّقْتَ جمْعًا وتركتَ صخْرَهْ !

فذهب الجنِّيّ وتوارى عنه هونًا من اللَّيل . فأصابت قرينًا حمَّى فغلبته عينه فنام . فأتاه الجنِّيّ فاحتمله وقال : ما أنامك، وقد كنت حذرا ؟ فقال قرين : الحمَّى أضرعتني للنوم . ثمَّ انطلق به حتَّى أتى حاضر الجنّ . فلمَّا كان في وجه الصبح، خلَّى سبيله، فقال قرين عند ذلك :

ألا مَن مُبلغٌ فِتيانَ قَومِي بما لاقَيتُ بعدهُمُ جَميعَا ؟

غَزوتُ الجِنَّ أطلُبُهم بثأرِي لأسْقيَهُم به سُمًّا نقيعَا

فيَعرضُ لي ظليمٌ بَعدَ سبْعٍ فأرمِيهِ فأتْرُكُهُ صَريعَا

وكُنت إذا القُرومُ تَعاورَتْني جَريءَ الصَّدر مُعتزًّا منِيعَا

بَنى لي مَعْشَرِي وجدودُ صِدقٍ بذروةِ شامخٍ بيتًا منيعَا

وعزًّا سامعًا ثَبتَ الرَّواسي تَرى شُمَّ الجبالِ لَه خُضُوعَا

حَمِيَ الوَطِيسُ .

تقدَّم في باب الهمزة من كلام النبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، وسيأتي في الأمثال الحديثيَّة .

أحْمَى مِنْ مُجِيرِ الجَرَادِ .

الحِمَايَةُ : المَنْعُ . تقول : حَمَيْتُ الشَّيء أحْمِيهِ حِمَايَةً إذا حَفِظْتَه ومنَعْتَه .

قال جرير :

حَمَيتَ حِمى تِهامَةَ بعد نجْدٍ وما شَيءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحِ

وتقول : أجَرْتُ الرَّجُل أُجِيرُهُ إذا مَنَعتَهُ من أن يُظلم، فهو جَارٌ . قال الشاعر :

وكُنت إذا جاري دعا لمَضُوفةٍ أَشمِّر حتَّى ينصفَ السَّاقَ مِئْزَرِي

وجارَ الرَّجلُ واستجارَ : طلب أن يُجار ؛ والجَرَادُ معروف، واحده جَرَادَة، للذكر والأنثى، ومُجِيرُ الجَرَادِ هو مُدْلِج بن سُوَيْد الطَّائيّ . ذكروا [أنَّه] بينما هو ذات يوم في ظلّ خيمة إذ رأى قوما من طيّء قد أقبلوا ومعهم الأوعية، فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : جراد بات بفنائك، فجئنا نأخذه . فلما سمع ذلك، قام إلى فرسه فركبه وتسلَّح وقال لهم : أيكون الجراد بفنائي وتريدون أخذه ؟ واللَّه لا يعرض له أحد منكم إلا قتلته ! فلم يزل يحرسه حتى طلعت عليه الشمس وطار، فقال : شأنكم الآن به، فقد تحوَّل الآن عن جواري ! فضرب به المثل .

حَنَّ حَنِينَ الثَّكْلَى

تقدم معنى الحنين ؛ والثكلى : التي فقدت ولدها، وتقدم أيضا . وحَنينُ الثَّكْلى شديد، كما تقدَّم في قولهم : أحَرُّ مِنْ دَمْعِ المِقْلاتِ . وقالت أسماء المرية :

فَإنَّ بأكْنَاف الرَّغام غريبَةً مُولَّهَةً ثكلَى طويلاً نَئِيمُهَا

وقالت الخنساء في الثكلى من الابل وحنينها :

فما عجولٌ على بَوٍّ تحنُّ لَه لها حنينانِ : إعلانٌ وإسْرارُ

ترتعُ ما غَفلَت حتَّى إذا اذَّكَرت فإنَّما هي إقْبالٌ وإدبارُ
يومًا بأوْجعَ منِّي يوم فارقني صخرٌ وللدَّهر إحلاءٌ وإمْرارُ

ونحوه قول عبد اللَّه بن الزبير الأسدي :

رمَى الحدثان نِسوةَ آلِ زيدٍ بمِقدارٍ سَمَدنَ لَهُ سُمودا
فردَّ شعورَهُنَّ السُّودَ بيضًا وردَّ وجوهَهنَّ البيضَ سُودا
فإنَّك لو سَمِعتَ دُعاءَ هِندٍ ورَمْلَة إذ تصُكَّان الخُدُودا
سَمِعتَ دُعَاءَ باكيةٍ حزينٍ أبانَ الدَّهرُ واحدَها الفَقيدا

حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا .

هذا المثل يُضرب للرجل يُدخل نفسه في القوم وليس منهم، أو يتمدَّح بالشيء ليس من أهله . يُروى أنَّ عقبة بن أبي مُعَيْط،(14م) لمَّا أمَرَ رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم بقتله، قال : أأقتل من بين قريش ؟ فقال عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه : **حن قدح ليس منها !** فقال رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : **وهَلْ أنْتَ إلاَّ يَهُودِيٌّ مِنْ صَفُّورِيَةَ** ؟ وذلك أنَّهم ذكروا أنَّ أميَّة بن عبد شمس خرج الى الشَّام وأقام بها عشر سنين . فوقع على أمَة يهوديَّة لِلَخْمٍ من صَفُّورِيَة يقال لها ترنى، فولدت له ذكرا، فاستلحقه أميَّة وكنَّاه أبا عمرو، وهو أبو أبي معيط .

حَنَّتْ ولا تَهَنَّتْ .

هذا المثل لمازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وذلك أنَّ الهيجمانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم بن مرّ كان عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم كان يزورها . فنهاه قومها عن ذلك فأبى، حتَّى وقعت الحرب بين قومه وقومها . فأغار عليهم عبد شمس في جيشه، فعلمت به الهيجمانة فأخبرت أباها . وكانوا يعرفون إعجاب الهيجمانة به كإعجابه بها . فلمَّا قالت هذه المقالة لأبيها قال مازن بن مالك : حَنَّتْ ولا تَهَنَّتْ ! وأنَّى لَها مَقْروعُ ؟(15) ومَقْروع عبد شمس كان يُلقَّب به، لأنَّ القَرِيع والمَقْرُوع في كلام العرب هو المُخْتَار

14م) في **النهاية** لابن الأثير (مادّة حَنَّ) : الوليد بن عقبة بن أبي معيط . وشرح القِدْح بأنه « أحد سهام الميسر، فإذا كان من غير جوهر أخواته ثم حرّكها المفيض بها خرج له صوت يُخالف أصواتها فعُرف به ».

15) في **لسان العرب** : وأنَّى لَكَ صَقْرُوع.

. فقال لها أبوها عند ذلك : أي بُـنَـيَّة، أتصدقيني ! أكذلك هو ؟ فإنَّه لا رأي لمكذوب . فقالت : ثكلتك إن لم أكن صدقتك، فانجُ لا أخالك ناجيا ! فذهبت كلمة مازن وكلمته وكلمتها أمثالا . فقول مازن : حَـنَّتْ ولاَ تَـهَـنَّتْ،أراد أنَّها إنَّما كان غرضها أن تذكر عبد شمس ليجري اسمه على لسانها حنينًا إليه وشوقًا لا شفقة على قومها، ولا نصحًا لأبيها ولا تحذيرا . وقوله : ولاَ تَـهَـنَّتْ دعاء عليها، أي : لاَ هَـنَّاهَا اللَّهُ بِـذَلِـكَ ! وأراد : لاَ تَـهَـنَّأتْ ـ بالهمز ـ من الهناء، ثمَّ خفَّف الهمزة وقلبها ألفا، ثمَّ حذف[16] الألف لملاقاة التاء السَّاكنة، كما في نَـظَـائِـرِهِ .

قيل : ويُحتمل أن يريد : ولاَتَ هَـنَّا، أي ليس هذا الوقت، أو : ان ذلك ولا حينه، كما قال الأعشى :

لاتَ هنَّا ذكْرى جُبيرَةَ أم مَّن جاء منْها بطائف الأهْـوال !

أي ليس هذا حينُ ذكرها، يأسًا منها . وكما قال الراعي :

أفي أثَر الأظْعانِ عينُك تَطمحُ ؟ نَـعم ! لاتَ هنَّا إنَّ قلبَك مِتْيَحُ ![17]

وكما قال جَحْل بن نَضْلَةَ البَاهِلِيُّ :

حنَّت نَـوارُ ولاتَ هنَّا حنَّتِ وبَدا الَّذي كانت نوارُ أجَنَّتِ

لمَّا رأتْ ماء السَّلَى شربًا لها[17م] والفَرْثَ يُعْصَر في الاناءِ أرنَّتِ

وفي إعرابه كلام مبين في علم النحو . والتَّاء في لاَتَ لتأنيث الكلمة، كما قيل في رُبَّ وثَـمَّ رُبَّتْ وثَـمَّتْ . وقيل إنَّها بدل من الألف، لأنَّ التَّاء تبدل من الألف عند الوقف وعند السجع، كما قيل :

مِن بَعدما وبَعْدمَا وبَعْدِمَتْ صَارت نفوسُ القَومِ عِند الغَلصَمَتْ

حُورٌ في مَحَارَةٍ .

الحُورُ ـ بضمّ الحاء وفتحها ـ وهو مضموما : الهَلاَك والنقصان، ومفتوحًا النقصان أيضا والرجوع . يقال : حار إليه يَحُورُ حُوراً : رَجَعَ . قال مهلهل بن ربيعة التغلبي :

16) في د : حذفت

17) نسبه في لسان العرب الى الراعي وأورده هكذا :

أفي أثَـر الأظعَـانِ عينكَ تلـمحُ نَعَمْ لاتَ هَنَّا، إنَّ قلبَكَ مِتْيَحُ

أَلَيلَتَنَا بِذِي حُسَمٍ أَنِيرِي إذا أَنْتِ انقَضَيْتِ فَلاَ تَحُورِي !

أي : لا تَرجِعِي ! والمَحَارة النقصان أيضا.

ومعنى المثل : نقصان في نقصان . يقال للرجل يكون أمره في إدبار، أو للرجل ينقص بعد الزيادة، ويكون صالحا فيفسد، ولمن لا يصلح . ومن ورود الحور بمعنى النقصان قول الشاعر:

واستَعْجلوا عن خَفيف المضغِ فازدردوا والذَّمُّ يبقى وزادُ القومِ في حورِ

حِيلَ بَينَ العَيْرِ والنَّزَوانِ .

تقول : حَالَ الشيءُ بيني وبين كذا يَحُولُ حَيْلُولَةً : مَنَعَنِي منه ؛ وحِيلَ بين زيد وبين كذا . قال تعالى **وحِيلَ بَيْنَهُم وبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ** ؛ والعَيْرُ - بالفتح - الحِمَارُ، وسَيِّدُ القَومِ أيضا ؛ والنَّزَوَانُ مصدر قولك : نَزَا الفحلُ على الأنثى، يَنْزُو عليها نَزْواً ونَزَوانًا.

والمثل يُضرب للرَّجل يعوقه عن مطلبه عائق . وهو من قول صخر بن عمرو بن الشَّريد :

أهُمُّ بفعْل الحزمِ لَو أَستَطيعُهُ وقَد حيلَ بَينَ العَير والنَّزوانِ

وسنذكره وما يتعلَّق به في الأمثال الشعريَّة، إن شاء اللَّه تعالى.

حَالَ الجَريض، دُونَ القريض .

الجرض الريق يُغصّ به . يقال: جَرِضَ الرجل بريقه يَجْرَضُ - كَفَرِحَ يَفْرَحُ - إذا ابتلعه بجهد على همّ وحزن ؛ والجَريضُ الاخْتِنَاقُ بالريق على الموت . قال امرؤ القيس :

كأنَّ الفتى لَم يَغْنَ في النَّاس ساعةً إذا اخْتَلف اللَّحْيانِ عند الجَريضِ

ويقال : هو يَجْرَضُ على نفسه، أي يكاد يَقْضِي، ومن ذلك قول امرئ القيس أيضا :

وأفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ جَريضًا ولَو أدركْنَهُ صَفِر الوطَابُ

والقَريضُ : الشِّعْرُ .

ومعنى المثل أنَّ الاختناق بالريق منع من قول الشعر، فيُضرب في كلّ أمر يعوق عنه عائق .

وأوّل من قاله جوشن الكلابي . وكان أبوه منعه من قول الشعر، فمرض حزنـًا، فرقّ له أبوه وقد أشرف، فقال له يا بنيّ، انطق بما أحببت ! فقال : هيهات ! حَالَ الجَريض دُونَ القَريض . قيل : وأنشد :

عَذيرُك من أبيكَ بضيقِ صَدري فما تُغني بُيوت الشّعر عنّي !

وقيل أوّل من قاله عَبِيد بن الأبرص، حين وفَد على النعمان في يوم بؤسه وأيقن بالموت، وقال له النعمان : أنشدني ! فقد كان يعجبني شعرك، فقال عَبِيد : حَالَ الجَريض دُونَ القَريض ! وقد تقدّمت قصّته في حرف الهمزة مستوفاة.

وقال أبو محمّد الحريري رحمه الله تعالى :

مابـاتَ جارٌ لهُـمُ ساغبـًـا ولا لرَوعٍ قال : حالَ الجَريضْ

حَوّلَ حَابِلَهُ عَلَى نَابِلِهِ .

الحَابِلُ هنا السَّدَى ؛ والنَّابِلُ الُّلحْمَةُ، وقد تقدّما . ومعنى حَوّلَ حَابِلَهُ عَلَى نَابِلِهِ جعل أعْلاه أسْفلَه، وهو ظاهر .

حَوالَيْنَا لاَ عَلَيْنَا .

يتمثّل به كثيرا، وهو من كلام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، حين استصحى فقال : اللّهُمّ حَوالَيْنَا ولاَ عَلَيْنَا ! أي أنْزِل المَطَر حَوَالَيْنَا، ولا تُنْزِلْهُ عَلَيْنَا! والحديث مشهور .

وقال، مُشيراً الى ذلك على طريق الاقتباس، الصّاحب بن عبّاد :

أقولُ وقَد رأيتُ لها سحابـًا من الهِجران مُقْبلةً إلَينا

وقَد سحّت عَزَالِيهَا بِهَطْلٍ : حوالَيْنَا الصُّدودُ ولا عَلَينا !

وتقول : جلست حول الرّجل وحولَيْه وحوالَيْه وأحْوالَه ـ مفتوحات الأوّل ـ وكلّها بمعنى واحد .

حَيْثُ لا يَضَعُ الرَّاقِي أنْفَهُ .

حَيْثُ من ظروف المكان ؛ والوضْعُ : الطَّرْحُ والجَعْلُ . تقول : وضَعْتُ الشيء أضَعُهُ ـ بفتح الضَّاد فيهما ؛ والرُّقْيَةُ ـ بضمّ الراء ـ العُوذَة، رَقَاهُ يَرقِيهِ رقْيًا، فهو راقٍ له نفث في عوذته . قال عروة بن حزام :

فما تَرَكا من رُقْيةٍ يعلَمانِها ولا شُربةٍ إلاّ بِها سَقَياني

وهذا المثل يُضرب في الأمر لا يُدنى ولا يُقرب منه .

قال أبو علي القالي : وكأنهم يرون أنّ أصل ذلك أنّ ملسوعًا لُسع في استه فلم يقدر الرَّاقي أن يقرب أنفه ممَّا هنالك . انتهى .

قلت : وأورده أبو عبيد في أمثاله بلفظ جَرحَهُ حَيْثُ لا يَضَعُ الرَّاقِي أنْفَهُ، وقال إنَّه يُضرب في الجناية لا دواء لها . فقال البكري عن ابن الكلبي : أول من نطق بهذا المثل امرأة من العرب، وأظنّها زوجة حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ـ أو بنته ـ وكان حنظلة شيخًا كبيرا . فأصابتهم ليلة ريح ومطر وبرق . فخرجت تصلح طنب بيتها، وعليها صِدَارٌ. فأكبَّت على الطنب، وبرقت السَّماء برقة، فأبصرها مالك بن عمرو بن تميم وهي مُجَبِّيَةٌ، فشدّ عليها حتَّى خالطها، فقالت :

يَا حَنْظَلُ بْن مَالِك لَحَرُّهَا يُشْفَى بِهَا مِن لَيلَةٍ وقَرِّها !

فأقبل بنوها وزوجها، فقالوا لها : مالك ؟ فقالت : لُدغت . قالوا : أينه ؟ فقالت : حَيْثُ لاَ يَضَعُ الرَّاقِي أنْفَهُ . فذهبت مثلا . ومات حنظلة بن مالك، فتزوَّجها مالك بن تميم، صاحب الدَّلدْغة، فولدت له نفرا .

أحْيَرُ مِنْ بُرْغُوثٍ .

تقول : حَارَ الرَّجل يَحَارُ حَيْرَةً وحِيرَةً وتَحيُّرًا، واسْتَحَار : إذا نظر فلم يهتد؛ والبُرغُوث ـ بضمّ الباء ـ معروف . قال الأعرابيّ :

ألا لَيْتَ شِعري هَل أبيتَنَّ ليلةً ولَيس لبُرغوثٍ عَلَيَّ سَبِيلُ ؟

وهو يطير الى وراء، وذلك من لطف الله تعالى به ليرى من يكيده.

أحْيَرُ مِنْ ضَبٍّ .

الحَيْرة تقدّمت، والضَّبُّ معروف يوصف بالحيرة، وذلك أنّهم يزعمون أنّ في طبعه النسيان وعدم الهداية، ولذلك يحفر جحره عند صخرة، أو في أكمة ليلا يضلّ عنه إذا خرج لطلب الطعم، ولذلك توجد براثينه كَلِيلة من حفره الكُدى والأماكن الصلبة، كما قال خالد بن علقمة :

تَرى الشَّرَّ قَد أفنى دوائِرَ وجهه كضبٍّ الكُدى أفْنى براثينَه الحَفْرُ

وتقدّم شيء من هذا في الباء.

الحَيَّة مِنَ الحُيَيَّةِ .

الحَيَّةُ معروف، يقع على الذكر والأنثى، والتاء فيه للوحدة من الجنس، كالبَّطة والدجاجة وحكى بعض الأقدمين : رأيت حيًّا على حيَّة، أي ذكَرا على أنثى.

ومعنى المثل أنّ الأمر العظيم ينشأ عن الأمر الصغير، وهو كقولهم : العَصَا من العُصَيَّة، وسيأتي . وقريب من قولهم : إنّ السَّقْطَ يُحْرِقُ الحَرَجَةَ، وقد تقدّم . وقد جعل بعضهم نظير هذا المعنى من كتاب اللّه قوله تعالى : ولاَ يَلِدُوا إلاّ فَاجِراً كَفَّاراً .

أحْيَى مِنْ ضَبٍّ .

يقال : حَيِيَ الشيء - بالكسر - يَحْيَى، حياةً، فهو حَيٌّ ؛ والضَّبّ معروف، ووُصف بكثرة الحياة لطول عمره . فقد ذُكر أنّه يعيش سبعمائة سنة أو أكثر، ولا تسقط له سنّ، ويبول في كل أربعين يوما مرّة واحدة . قال الشاعر :

إنّك لَو عُمِّرت عُمْرَ الحِسْلِ أو عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ
والصَّخْرِ مَبتَلٌّ كَطينِ الوحْلِ[18]

والحِسْل - بالكسر - ولد الضَّبّ، [ومن ثمّ] يقال للضَّبّ أبو حِسْل ؛ والفِطَحْلُ - على مثال هِزَبْر فيما يزعمون : زمان كانت الصخر فيه رطبة .

18) في الصحاح (مادة فطحل، هامش 2) في نسخة : ... والصخرُ مبتلٌّ كطين الوحْل كنت رهين هرمٍ أو قتل .

وممَّا يلتحق بهذا الباب قولهم :

حُبًّا وكَرَامَة .

يقول الرَّجل لآخر إذا طلبه شيئا : نَعَمْ وحُبًّا وكَرامَةً . ويقال أيضا : حُبَّةً وكَرامَةً . والحُبَّةُ - بضمّ الحاء - بمعنى الحُبّ ؛ والكَرامَة من الاكرام، ويقال أيضا : حُبًّا وكُرْمة، وحُبًّا وكُرمانًا - بضمّهما - وقيل المراد بالحُبّ هنا الحُبّ الذي هو الجَرَّة العظيمة - وهي الخابية - والكرامة غطاء الجرَّة .

وقد يقال : افعل كذا حبًّا وكَرامَة لك - بالفتح - وكُرْما وكُرْمة وكُرْمى وكُرمة عين - بضمّ الكلّ - وليس له فعل ظاهر . وقولهم :

حُطْنِي القَصَا .

أي تَبَاعَد عَنِّي، والقَصَا البُعْد، يقال قَصَا الشيءُ يَقْصُو قُصُوًّا، وقَصِيَ الرجل عن جواري - بالكسر - يَقْصَى قَصًى، أي تباعد . والقصَا أيضا فناء الدَّار، ويُمَدُّ، والناحية . يقال : ذهبت قَصا فلان، أي ناحيته . وقال الشاعر :

فَحاطونَا القَصا ولَقَد رَأَوْنَا قريبًا حيثُ يُسْتَمَعُ السِّرَارُ

قال في الصحاح، عن الأصمعي : معنى حَاطُونَا القَصَى أي تباعَدُوا عنَّا وهُمْ حولنا، وما كنّا بالبعد منهم لو أرادوا أن يدنوا منَّا . انتهى . وقولهم :

تَحَلَّلَتْ عُقَدُ فُلاَنٍ .

أي سكن غضبه . ومن الأمثال المشتهرة في هذا الباب على ألسنة النَّاس قولهم :

أحْسَنُ مِنْ نَارِ القِرَى .

كانت خولة بنت منظور بن زبان أجمل نساء قومها، فقدمت المدينة لزيارة أختها زوجة عبد الله بن الزبير، فسمع النَّاس بها فخطبوها، وفيهم الحسن بن علي رضي الله عنه . فجعلت

أمرها بيدي أختها، فوكّلت ابن الزبير فزوّجها من الحسن . فلمّا بلغ الخبر أباها جاء المدينة، فركز رايته عند المسجد ونادى : يا آل قيس ! فلم يبق قيسيٌّ إلاّ دخل تحت رايته . فبلغ ذلك الحسن فجاء إليه فقال له : شأنك بابنتك ! فجاءها فحملها معه . فلمّا خرجا قالت له : أوَ يرضى أحد بمثل فعلك ؟ الحسن بن علي وفاطمة، وسبط رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وسيّد شباب أهل الجنّة، أين تجد مثله ؟ فقال : صدقت، ولكن تعالَيْ ننزل بقُبَا . فإن كان له غرض فيك، فسيلحقنا ! فبينما هم هنالك، أقبل الحسن والحسين وابن جعفر وابن عبّاس، فردّها إليه . فولدت للحسن الحسن المثنّى، أكبر ولده . ولم تزل عنده حتّى مات . فكثر خطّابها، فقالت : واللّه لا كان لي حَمْءٌ بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ! فكشفت القناع وبرزت للرجال في هيئة المتجالاّت، فيئسوا منها عند ذلك . وكانت معروفة بفعل الخير والتفضّل، يقصدها النّاس في حوائجهم فتقضيها . وعاشت كثيرا.

فحُكي عن معبد المغنّي قال : جئتها ألتمس معروفها، وهي عجوز، وغنّيتها شعرا قاله فيها بعض مَنْ أراد تزويجها وهي شابة فلم تنكحه، [ومنه] :

قِفَا في دارِ خَوْلَةَ فَاسْأَلاَهَا تَقَادَم عَهْدُهَا وهَجرتُماها
بمحلال كأنَّ المِسْكَ فِيهِ إذَا فَاحَتْ بِأبْطُحِهِ صَبَاهَا

فطربت واهتزّت وقالت : يا عبد بني قطن، أنا واللّه يومئذ أحْسَنُ مِن نَارِ القِرَى في عَيْنِ النَّائِهِ الصدي ! وقولهم :

أحْقَرُ مِنْ ذُبَاب و أحْقَرُ مِنْ قُلاَمَة .

وهو ما يُزال من الظفر . وهذا باب مطرّد . وقولهم :

أحْيَرُ مِنْ طَيْر فِي شَبَكَة .

يريدون الطّيْر المقنوص في الشّبكة، الشديد الاضطراب والموَجان ؛ وقولهم :

أحْيَرُ مِنْ بَقّة فِي حقّة .

ونحو هذا .

ومن الأمثال العاميَّة قولهم :

حُلَّ عبستَكَ، مَا أرَدْتُ خُبْزَتَكَ !

يضربون للرَّجل يعجز أن يجامل النَّاس بحسن خلقه، فضلا عن ان يسمح بنداه . وقولهم :

الحِمَارُ حِمَارِي وأنَا أرْكَبُ [مِنْ] وَرَاء !

وقد آن أن نذكر في هذا الباب ما تيسَّر من الشعر . قال الشاعر :

أخَاكَ أخَاكَ، إنَّ مَنْ لا أخَالَهُ كَمَساعٍ الى الهَيْجا بغَير سِلاحِ
وإنَّ ابن عمِّ المَرءِ فاعلَم جَناحُه وهَل يَنهضُ البازِي بغير جناح ؟

وقال الآخـــر :

وإنِّي وتَركي نَدى الأكْرمِينَ وقَدْحي بكفِّيَ زَنْدا شَحَاحَا
كَتَـــاركةٍ بَيضَهَـــا بالعَـــرَاءِ ومُلْحِفَةٍ بَيْضَ أُخرَى جَناحَا

يريد النَّعامة، وتقدَّم ذلك فيها .

وقال عروة بن الورد :

وقُلتُ لقومٍ في الكَنيفِ تَرَوَّحوا عَشيَّةَ بِتْنا عندمَا وانَ رُزَّحِ
تنالُوا الغِنى أو تبلُغوا بنُفوسِكم إلى مُستَراحٍ من حِمامٍ مُبرِّحِ
ومن يكُنْ مثلي ذا عِيالٍ ومُقتِراً يُغرِّر ويَطرح نفسه كلّ مَطرحِ
ليبلُغَ عُذرا أو يُصيبَ رغيبةً ومُبلغُ نفسٍ عُذرَها مثل مُنجِحِ

والكَنِيفُ حظيرة تُعمل للماشية تُحفظ فيها ؛ والرُّزَّحُ جمع رَازِح، وهو السَّاقط المُعيِي هزالا، وهو نعت للقوم ؛ والحِمَامُ ـ بكسر الحاء ـ الموت، وجعله مُبَرِّحًا، أي شاقًا لطوله، لأنَّهم يبقون حتَّى يموتوا جوعًا.

وذلك أنَّ عروة مرَّ بقوم من أهله قد جهدوا وحظروا على أنفسهم حظيرة، فقال لهم : ما هذا؟ قالوا : انَّا جهدنا وخفنا على أنفسنا السباع، فعملنا هذا نبقى فيه حتَّى نموت . فلامهم على ذلك واستنهضهم لطلب الرزق . فسار بهم حتَّى نزلوا ماء يقال له مَاوَان لبني فزارة . فمرَّ بهم راكب معه ظعينة على بعير ومائة ناقة . فقام إليه عروة فقاتله حتَّى قتله .

فأخذ ذلك وقسمه على أصحابه .

وقوله : **ومُبلغٌ نفسٍ عُذْرَها مثلُ مُنْجِحِ** : مثل سائر عند القوم، ويريد به أنَّ من جدَّ في الطَّلَب، وعانى المشقَّة والتَّعَب، فهو إن ظفر فذلك ما يَسْعَى إليه، وإن لم يظفر فلا ملامة عليه، كما قال امرؤ القيس :

نُحَاوِلُ مُلْكًا أَونَمُوتَ فَنُعذَرَا

وسيأتي ما يناسب هذا المعنى، إن شاء اللّه .

وقال ابن هرمة :

يُحِبُّ المَدِيحَ أبُو ثَابِتٍ ... ويَفْرَقُ مِن صِلَةِ المَادِحِ

كَبِكْرٍ تَشَهَّى لَذِيذَ النِّكَاحِ ... وتَجْزَعُ مِن صَوْلَةِ النَّاكِحِ

وقال الحماسي عمرو بن الإطْنَابَة الأنصاريّ :

أبَتْ لي عِفَّتي وأبَى بَلائِي ... وأَخْذِي الحَمدَ بالثَّمَن الرَّبيحِ

وإجْشامي على المَكروهِ نَفْسي ... وضَربي هامَةَ البَطَلِ المُشِيحِ

وقَولي كُلَّما جَشَأَتْ وجَاشَتْ : ... مَكانَكِ تُحمدِي أو تَستَرِيحِي

لأدْفَعَ عن مآثِرَ صَالِحَاتٍ ... وأحْمِيَ بَعدُ عَن عِرضٍ صَحيحِ

الإجْشَامُ : الإكْرَاه على تحمّل المشقَّة ؛ والمُشِيح والشَّائِحُ : الجادُّ في الأمر ؛ وجَشَأَتْ نفس الرَّجل : تحرَّكَت واضطربت من جزَع أو حزن ؛ وجَاشَتْ : مَاجَتْ واضطربت، ومنه الجَيْشُ، لِمَوجانه بعضه في بعض ؛ والمَآثِر ما يُذكر عن الانسان ويؤثَر عنه ؛ والعِرْض الصحيح : الذي لم يعلق به عيب فيمرضه .

وقال جميل بن معمر :

أُريدُ صَلاَحَهَا وتُريدُ قَتْلي ... فَشَتَّى بَين قَتْلي والصَّلاحِ !

وقبله :

تَنَادى آلُ بُثْنَةَ بِالرَّواحِ ... وقَد تَرَكُوا فُؤادَكَ غَير صَاحِ

فَيا لَكَ مَنْظرا ومَسيرَ رَكبٍ ... شجاني حينَ أمْعَنَ في الفَيَاحي

ويا لك خلَّةً ظَفِرَت بعَقْلي ... كما ظَفِرِ المُقامِرُ بِالقِداحِ !

وبعده أُريدُ صَلاَحَهَا (البيت)

لَعَمْرُ أبيكِ لا تَجِدِينَ عَهْدِي ... كَعَهدِكِ في المَودَّةِ والسَّماحِ

ولـو أرسَلتِ تَستهْديـنَ نفسي أتاكِ بها رسولُكِ في سَـراحِ

وقال أبو الطيّب :

وما كان تَركُ الشّعر إلاّ لأنّهُ تُقصِّرُ عن وصْفِ الأميرِ المَدائِحُ

قلت : وما أحقّ أن يُتمثّل بهذا عند ترك الاشتغال بمديح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ! فإنّ أكثر الفحول [تركوه] واشتغلوا بمديح غيره . وما ذلك إلاّ عجزًا : فإنّ نباهة مكانه صلّى الله عليه وسلّم، وجلالة جانبه تبهر العقل وتحيّر الفكر، فلا يستطيع أن يَجُولا فيه، ولو جال لَقَصَّرَ . وقد ذكر ابن الخطيب رحمه الله هذا المعنى في صدر كتاب **السحر والشعر** له، بعد أن ذكر مقطعات لبعض الأدباء في مدحه صلّى الله عليه وسلّم، فقال : وكما أنّ الشعر لم يتعلّمه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا ينبغي له لئلاّ يرتاب المبطلون،وذلك في حقّه كمال، بخلاف غيره ، كذلك يبعد أو يمتنع أن يوجد قسم السحر في مدحه، إذ أصله الإغياء والمحاكاة والخيال والتمجين، حتّى قال : ووقار جانبه صلّى الله عليه وسلّم يبهر النفس ويمنع من استرسالها في ذلك . فالمُجيد فيه من عوّل على نصاعة اللفظ، وقَصْدِ الحقّ، وقُرب المعنى، وإيثار الجدّ . انتهى .

قلت : ومن أسباب ذلك أيضا أنّ المديح إنّما يحسن ويستغرب لاشتماله على محاسن وأوصاف كمال للممدوح، يتفطّن لها الشاعر دون غيره، ويبالغ فيها أكثر ممّا يتسحقّ الممدوح ويظنّ به .

وقد عُلم في حقّ النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّ كل ما يتخيّله الشاعر من المحاسن والكمالات، فالنبي صلّى الله عليه وسلّم زائد على ذلك وأرفع منه، إذ لا يبقى فوق كماله صلى الله عليه وسلم إلاّ كمال الألوهيّة، وليس لأحد أن يثبته له، فلم يبق للشّاعر إلاّ أن يبيّن ما هو عليه أو أنقص، وكلاهما لا طائل فيه، مع أنّ تبيان قدره صلى الله عليه وسلم متعذّر عادة، إذ لا تصل إليه العقول، فليس إلاّ القصور . ولله درّ القائل :

مَا قَصَّرَ الشُّعراءُ فيكَ تَعمُّدا بَل دقّ عن أفكارهِم مَعناكا

نعم ! يمكن الاتيان بشيء من حلاه صلّى الله علين وسلّم وأوصافه على نوع من الغرابة وضرب من المبالغة، بحسب ما يرى النّاس من حاله صلّى الله عليه وسلّم.

وقال أيضا :

أيكونُ الهِجانُ غيرَ هِجانٍ ؟ أيكونُ التُّصراحُ غيرَ صُرَاحِ ؟
جَهِلوني وإن عَمِرْتُ قَليلاً نَسَبَتني لهُم رؤوسُ الرِّماحِ

وقال أيضًا :

تخْفَى العَداوةُ وهْيَ غَيْرُ خفيَّةٍ نظرُ العَدوِّ بما أسرَّ يبوحُ

وقال أيضًا :

فَقُلتُ لكلِّ حيٍّ يومُ سوءٍ[20] وإن حَرصَ النُّفُوسُ على الفَلاحِ

وقال أبو العلاء المعرّي :

وأمْراضُ المواعد أعْلَمَتني بأنَّ وراءَها سُقمًا صحيحَا

وقال :

أعُبَّادَ المَسيحِ يَخافُ صَحْبِي ونَحنُ عَبيدُ مَن خَلَق المَسيحَا

وقال :

وما لِلمِسكِ في أن فَاحَ حَظٌّ ولَكن حظُّنا في أن يَفُوحَا

وقال :

وذلِكَ أنَّ شِعركَ طَالَ شِعري : فما نِلتُ النَّسيبَ ولا المَديحَا
ومَن لم يستَطِع أعْلامَ رَضْوَى لِينزِلَ بَعضَها نَزَلَ السُّفُوحَا

وهذا في معنى ما مرَّ لأبي الطيّب :

وقال الشاعر :

إذا أبْطَا رسولُكَ فَارجُ يُسرا : فَفي إبْطائِهِ أثَرُ النَّجاحِ !

وهذا يشبه قول أبي الطيّب :

ومِن الخَير بُطءُ سَيبِكَ عنّي أسْرعُ السُّحبِ في المَسيرِ الجَهامُ

وقال الآخر :

إذا أنتَ لم تَصلُح لنفسِكَ لم تَجد لَها أحدًا من سائِرِ النَّاس يصلُحُ

وقال الآخر :

جبينُك والعِمامةُ والثَّنَايَا صباحٌ في صباحٍ في صَبَاحِ

وقال الآخــر :

دعِ النـّاسَ طُرّاً واهجُرِ النـّاس كلـّهُمِ ... إذا كُنت في أخْلاقِهم لا تُسامحُ !

وقال الآخــر :

صَديقٌ بِلاعَيبٍ قليلٌ وجُودهُ ... وذِكْرُ عُيوبِ الأصْدقَاءِ قَبيحُ

وقال الآخــر :

طَلَبت بِك التـّكثِير فَازدَدتُ قلـّةً ... وقَد يخْسَرُ الانسَانُ في طَلَب الرِّبحِ

وقال الآخــر :

كأنـّني الجَزّارُ فِي فِعْلِهِ : ... مَا قَالَ بِسمِ اللّهِ إلاّ ذبَحْ

وقال الآخــر :

كُن في أمانِ اللّهِ مِن خَاطرٍ : ... مِثلُكَ لا يُهجَى ولاَ يُمدحُ

وقال الآخــر :

لَيسَ عاراً بأن يُقال مُقِلٌّ : ... إنـّما العَارُ أن يُقَالَ شَحِيحُ

ومثله قول الآخــر :

ألَم تَعلَمي يَا عَمْرَكِ اللّهَ أنـّني ... كريمٌ علَى حِينِ الكرامُ قليلُ

وأنـّيَ لا أخْزَى إذا قيل مُملِقٌ ... كريمٌ وأخْزَى أن يُقال بخيلُ

وقول الآخــر، من شعراء **الحماسة** :

أجلـّكَ قومٌ حينَ صِرتَ إلى الغِنى ... وكُلُّ غنيٍّ في العُيُون جَليلُ

وليسَ الغِنى إلاّ غِنَى زَيـّنَ الفَتى ... عَشيـّةَ يـَقْرِي أو غَداةَ يُنيلُ

وقال حسـّان بن حنظلة :

تِلكَ ابنَةُ العَدويِّ قالت باطلاً ... أزْرى بقَومِكَ قلـّةُ الأمْوالِ

إنـّا لَعَمْرُ أبيكِ يحمَدُ ضَيفُنا ... ويَسُودُ مُقتِرُنَا عَلَى الاقْلاَلِ

وقول الآخــر :

لَنا حَمْدُ أربابِ المِئينَ ولا يُرى ... إلى بَيتِنا مَالٌ مَعَ التـّليلِ رائحُ

وقول الآخــر :

بَكَرَ العَواذِلُ بالسـّوادِ يَلُمنَني ... جَهلاً يَقُلْنَ : ألا تَرى ما تصنَع ؟

أفْنَيتَ مالك في السـّفَاهِ، وإنـّما ... أمْر السـّفاهَة ما أمَرنَكَ أجْمَعُ

وقُتودٍ ناجية وضعتُ بقَفْرةٍ ... والطَّيرُ عاشِيَةُ العَوافي وقَّعُ

بمُهنَّدٍ ذي حِلية جَرَّدتُهُ ... يَبْري الأصمَّ من الكُعُوب ويَقْطَعُ

لتَنوبَ نائبةٌ فَيُعلَمَ أنَّني ... ممَّن يُغَرُّ على الثَّناءِ فيُخْدَعُ

إنِّي مُقسِّمُ ما مَلَكْتُ فجاعِلٌ ... أجْرًا لآخِرةٍ ودُنْيَا تَنْفَعُ

وقول أبي زياد الأعرابي :

لَه نارٌ تَشُبُّ على يَفَاعٍ ... إذا النِّيرانُ أَلبسَتِ القِنَاعَا

ولَم يَكُ أكْثَرَ الفِتيَانِ مَالاً ... ولَكِن كانَ أرحَبَهم ذِراعَا

وقول الآخر :

ولَيسَ بأرسَعِهِم فِي الغِنَى ... ولَكِنَّ مَعْروفَهُ أوْسَعُ

وقال الآخر :

وتبًّا لِمَن بَخِلَت نَفْسُهُ ... بشَيءٍ يَؤُولُ إلى المُسْتَرَاحْ

أي : المرحاض. وقال الآخر :

وشَيئَانِ مَعدومان في الأرض : درهمٌ ... حَلالٌ، وخِلٌّ في الحَقيقةِ ناصحُ

وقال الآخر :

ويُؤلِمُني جَميلٌ لاَ أُكَافَا ... عَلَيهِ كأنَّهُ عِنْدي قَبيحُ

وقال الآخر :

هَجَوتُ زُهَيْرًا ثُمَّ إنِّي مَدحْتُه ... وما زالتِ الأشْرافُ تُهجَى وتُمدحُ

وقال الآخر :

لا يَصحَبُ الانْسَانَ في قَبْرِهِ ... غَيرُ التُّقَى والعَمَلِ الصَّالِحِ

وقال الآخر :

وما العَيشُ إلاَّ في الخُمول معَ الغنى ... وعافيةٍ تَغْدو بِها وتَروحُ

وقال الآخر :

وما كُلُّ حينٍ يصدُقُ المَرءَ ظنُّه ... ولا كُلُّ أصحابِ التِّجارةِ يَربَحُ

وقال مَعْنُ بنُ أوْس :

رأيْتُ رجالاً يَكرهُونَ بناتِهِم ... وفيهِنَّ لا تكْذِبْ نساءٌ صَوالِحُ

وفيهِنَّ والأيَّامُ يَعْثُرنَ بالفَتَى ... عَوائِدُ لا يَمْلَلْنَهُ ونَوائِحُ

وقال الآخـــر :

ولاَ تـُفشِ سِـرِّيَ إلاَّ إلَـيكَ فإنَّ لِكُلِّ نَـصِيحٍ نَـصِيحَا !
فَـإنِّي رأيْتُ غُـوَاةَ الرِّجَـالِ لا يَـتْرُكُـونَ أدِيمًـا صَحِيحَـا

قيل : وكان أمير المؤمنين عليّ ـ كرَّم اللّه وجهه ـ يتمثَّل بهذَيْن البيتَـيْن كثيرًا، وقيل إنَّهما له . والادِيمُ : الجِلْد، استُعير هنا للعِرض، وجعل كلام الوشاة سهاما يُرمى بها الأعراض حتَّى تهتكها. ومثله قول ابن الخيَّاط :

فَلا تَعدلْ إلى الوَاشِينَ سَمْعًا فإنَّ كَلاَم أكْثَرِهِـــم كِلامُ
وإنَّ الوُدَّ عِندهُـمُ نِفَـاقٌ إذا طاوعْتَهُـم والحَمْـد ذَامُ
وأقوال إذا سُمِعَتْ سِهَـامٌ تُقَصِّرُ عَنْ مَواقِعِهَا السِّهَامُ
فَما نَصحُوا لمجْدكَ بَلْ مُرَادًا لما قَد ساءنِي قَعَدوا وقاموا
فَلَيتكَ تَسمَعُ القَولَينِ حَتَّى تبيَّنَ في مَنِ الحَقُّ الخِصَامُ !

وقالت فاطمة بنت الأحْجَم الخزاعيَّة ترثي أخاها ـ وقيل ليلى بنت يزيد بن الصعق ترثي ابنها قيس بن زياد ـ :

قَد كُنتَ لِي جَبَلاً ألُوذُ بظلِّه فَتَرَكْتَنِي أضْحى بأجْرَد ضَاحِ
قَد كُنتُ ذاتَ حميَّةٍ ما عِشتَ لي أمْشي البَرازَ وكُنت أنت جَنَاحي
فاليَومَ أخْضعُ للذَّليلِ وأتَّقي منه وأدفَـعُ ظالِـمي بالـرَّاحِ
وأغُضُّ من بَصَرِي وأعْلَمُ أنَّهُ قَد مات خيرُ فَـوارسٍ ورماحِ[21]
وإذا دعَتْ قُمْريَّةٌ شَجنًا لَهَا يومًا علَى فَنَنٍ دعَوتُ صباحي

وتمثَّلت بها فاطمة أمّ السبطين ـ رضي اللّه عنها ـ يوم وفاة أبيها صلَّى اللّه عليه وسلَّم. ومعنى : دعَوتُ صَبَاحِي أي قلت : واسُوءَ صَبَاحَاهُ ! لعدم ناصري فيه . وفي معنى الأوَّل قول أبي الوفاء يرثي غازي :

أيا تَارِكِي ألقى العَدوَّ مُسلِّمًا متى ساءنِي بالجِدِّ قُمتُ ألاعِبُه

وقال سعد بن قيس :

كَشَفَتْ لَهُم عَن سَاقِهَا وبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ
فالهَـمُّ بَيْضَاتُ الخُدُورِ هُنَاكَ لاَ النَّعَمُ المُرَاحُ

والضمير في كَشَفَتْ للحرب في قوله :

يا بُؤسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وضَعَتْ أراهِطَ فَاسْتَرَاحُوا

وكشف السَّاق كناية عن اشتدادها، أخذ من كَشْفِ الرَّجلِ عن سَاقه وتَشْمِيره إذا جدَّ في الأمر، كما قيل :

وكُنتُ إذا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ أَشَمَّرُ حتَّى ينصِفَ السَّاقَ مِئزري

والصُّرَاح : الخَالِص، أصله اللَّبَن الذي ذهبت رغوته، كما مرَّ ؛ فالهمُّ بَيْضاتُ الخُدور، إلخ... فيه وجهان : أحدهما أنَّه يقول : إنَّا حينئذ لا نبالي بأموالنا أن تذهب، وإنَّما همّنا الدفع عن حريمنا ؛ والآخر أن يريد : انَّا ظهرنا على العدوّ ولم نلتفت إلى أموالهم وأخذها، وإنَّما همّنا منهم القتل والسباء وهو أفخر .

وقال أحدُ بَنِي يَشْكُر :

ألا أبْلِغْ بَنِي ذُهْلٍ رسُولاً وخُصَّ إلى سَرَاةِ بَنِي البِطَاحِ

بأنَّا قَد قَتَلنَا بالمُعلَّى عُتَيبَةَ منكُمُ وأبَا الجُلاحِ

فإن تَرضَوْا فإنَّا قَد رضِينَا وإن تَأبَوا فَأَطْرافُ الرِّمَاحِ

مُقَوَّمةٌ وبِيضٌ مُرهَفَاتٌ تُبينُ جَماجِماً وبَنَانَ رَاحِ

وقال الحَيْصَ بَيْص :

مَلَكْنا فكان العَفوُ منَّا سجيَّةً فلمَّا ملكْتُم سالَ بالدَّم أبْطَحُ

وحلَّلتُم قَتْلَ الأسَارَى وطالَما غَدونا عَلى الأسْرى فَنَعفُو ونَصفحُ

ويُحكى عن بعضهم قال : رأيت الامام عليَّ بن أبي طالب كرَّم اللَّه وجهه في المنام، فقلت له : يا أمير المؤمنين، تفتحون مكَّة وتقولون : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثمَّ يؤثم على ولدك الحسين مآثم ؟ فقال لي : أسمعت أبيات ابن الصيفيّ في هذا، وهو الحَيْصَ بَيْص ؟ فقلت : لا . قال : اسمعها منه ! قال : فانتبهت، فلمَّا أصبحت بادرت إلى دار الحَيْصَ بَيْص فأخبرته بالقصَّة فبكى وحلف باللَّه ما خرجَتْ من فيه إلى أحد، وما نظمها إلاَّ في ليلته، فأنشدني : مَلَكْنَا فَكَانَ العَفْوُ مِنَّا (البيتَيْن).

وقال الحماسي أحد بني الحارث بن كعب :

لَنا حَمْد أربابِ المِئِينَ ولا يُرى إلى بَيتِنا مالٌ مَعَ اللَّيْلِ رائِحُ

وقال مالك بن أسماء، من شعراء الحماسة أيضا :

وحَسْبُك تُهمةً بِبريءِ قَومٍ يَضُمُّ على أخِي سَقَمٍ جَنَاحَا

وقبلـه :

هَجَوتُ الأدعِياءَ فَنا صَبَتْنِي مَعاشرُ خِلتُها عربًا صِحَاحَا
فَقُلت لَهُم وقَد نبحُوا طويلاً إليَّ وما أجَبْتُ لَهُم نُبَاحَا :
أمِنهُمْ أنتُمُ فأكُفَّ عنكُم وأدْفَعَ عَنكُم الشَّتْمَ الصُّرَاحَا ؟
وحَسْبُكَ (البيت)

والمُنَاصَبَةُ : المُعَادَاةُ . يقول : إن عادَيتموني بسببهم وذببتم عنهم، فأنتم منهم ولا أهجوكم لِلُؤْمِكم، وكفى بكم ريبةً أن تضمّوا الجناح على المريبين .

وقال الآخـــر :

وإنِّي لأغْلي لحْمَها وهْي حيَّةٌ ويَرخُصُ عِندي لحمُها حينَ تُذْبَحُ
بِذا فَآندبِيني وآمْدحِيني فإنَّني فتًى تَعْتَرِيني هِزَّةٌ حينَ أُمْدحُ

وتقدَّم هذا الشعر وما كان بمعناه .

وقال الآخـــر :

ونَصرُ الفَتى في الحَربِ أعدَاءَ قومِه على قومِه للمَرءِ ذي الطّعم فاضِح

وقبلـه :

دعاني أبو نَصرٍ وأهْدى نَصيحَةً إليَّ وممَّا أنْ تَعِزَّ النَّصائِحُ
لأجْزِرَ لحْمي كَلبَ نبْهَانَ كالَّذي دعا القاسِطي حتفُه وهْوَ نَازِحُ
أو البُرجُميّ حينَ أهْداهُ حَيْنُهُ لنارٍ عليها مَوقِدانِ و ذابِحُ
ورَأْيِ أبي سَعْدٍ وإن كان حازمًا بصيرًا وإن ضَاقَت عَليه المَسارِحُ
أعانَ به مَلعُونَ نبهَانَ سَيفَهُ على قومِه والقَولُ عاقٌ وجارِحُ
ونَصْرُ الفَتَى في الحَربِ (البيت)

وقوله : لا جزر لحمي أي : أصيّر نفسي جَزَرَة، والجزرة البدنة تنحر . قال عنترة :

إن يَعْقِرا مُهْري فإنَّ أبَاهُمَا جَزَرٌ لخَامعَةٍ ونَسْرٍ قَشْعَمِ[22]

22) أورد في لسان العرب هذا البيت (في مادة جزر) لألفاظ تكاد تكون كلها مغايرة :
إن يَقْعَلاَ، فلقد تركتُ أباهُما جَزَرَ السِّبَاعِ وكلَّ نَسْرٍ قَعْشَمِ

والقَاسِطِيّ الذي ذكره هو أحدُ القارظين الهالكين، وسيأتي فيهما المثل ؛ والبرجمي هو وافد البراجم المتقدّم ؛ وقوله : للمرء ذي الطّعم، أي ذي العَقْل والمعرفة . وقال الحماسي أشجع السلمي :

مَضَى ابن سَعيدٍ حين لم يبق مشرقٌ ... ولا مغْربٌ إلاّ له فيه مادحُ
وما كُنت أدري ما فواضِل كفّه ... على النّاس حتّى غيّبته الصّفائح
فأصْبَح في لحْدٍ من الأرض ميّتًا ... وكان به حيًّا تضيقُ الصّحاصِحُ
فما أنا من رُزْءٍ، وإن جلّ، جازعٌ ... ولا بسُرورٍ بَعد مَوتِك فارحُ
كأنْ لم يُمت حيٌّ سواكَ ولَم تُقم ... على أحَدٍ إلاّ عَليكَ النّوائِحُ !

وقال ابن المعتزّ :

كَما يُخْلق الثّوبَ الجديد ابتذالُه ... كَذا يُخلِق المَرءَ العُيُونُ الطّوامِحُ

ومن هذا قولهم : **طُولُ المُجَالَسَة يُخْلِقُ** . وقد قال أرْدشِير لابنه : لا تمكّن النّاس من نفسك : فإنّ أجْرأ النّاسِ على الأسُود أكثرُهُم لها معاينة !

وقال أبو بكر بن النطّاح في المدح :

يَتلقّى النّدى بوجْهٍ حَيِيٍّ ... وصُدورَ القَنَى بوجْهٍ وقَاحِ
هَكذا هَكذا تَكونُ المعَالِي : ... طُرُقُ الجَدّ غَيرُ طُرْقِ المُزاحِ !

والبيت الثاني ذهب مثلا سائرا . وقال مجد الدين الاربلي :

طَرفي وقَلبي : ذا يَسيلُ دمًا، وذا ... بَين الورَى أنتَ العَليمُ بقَرحِهِ
وهُما بحُبّكَ شاهِدَانِ وإنّما ... تَعْديلُ كُلٍّ منهُمَا فِي جُرحِهِ

ونحو هذا من التوجيه قول الآخر :

زُرت الامامَ الشّافعيّ ولَم أكُن ... يومًا زيارةَ قَبْرِهِ بالتّارك
فَوجَدتُ مَولايَ الحَبيبَ يَزُورهُ ... فَظَفِرتُ عند الشّافعيّ بمالِك

وقول الآخر :

وعَاطَيتُه عِلْم البَديعِ وخَدّه ... يُعلّمُني تَلْوينُه عِلمَ جَابِرِ
وصَفحته من شَوقِي مُدوّنَةُ الرّضَى ... لثَغرٍ فأفتاني بنَصٍّ الجَواهِرِ

وقول الآخر :

لا غَروَ أن يَصْلَى الفُؤادُ ببُعدكُم ... نارًا تُؤجّجُها يَدُ التّذكارِ :

قَلبي إذا غِبتُم يُصوِّر شخْصكُم فيه وكُلُّ مُصوِّرٍ في النَّارِ !

وقال الآخر في هذا المعنى :

ألا إنَّ حالي في هَواكَ خَفِيَّةٌ ولَكِن لعَيني بالصَّبابَةِ تَبريحُ
عَجِبتُ لِدمْعٍ لا يَزالُ مُرَوِّيًا فيقبِلُ في آثارِهِ وهْوَ مَطروحُ
وأعْجَبُ مِن ذا أنَّ خَدِّيَ شاهدٌ يُصدِّقُ في أقوالِهِ وهْو مَجْروحُ

وقال أيضا :

ومُحكَّمِ اللَّحظاتِ في مُهَجِ الورَى تحْكيمَ نار هَواهُ بَينَ جَوانِحي
جَرحَ الفُؤاد فَطَار مِن ولَعٍ به كَيفَ الخَلاصُ لطائرٍ من جارح ؟

ومثله أيضا قوله :

أحادثُه بالفِكر فَهْوَ مُنادمي على الدَّهر لا أبْغي عليه بَديلاَ
تملَّك قَلبي فَهْو رهْنَ اعتقَاله فَمن شاء يُبصرْ مالكًا وعقيلاَ

وتقدَّم لنا هذا المعنى في حرف الثاء، مستوفى، وسنعيد منه كثيرا .

وقال القاضي أبو الفضل عياض رحمه اللَّه :

أنْظُرْ إلى الزَّرعِ وخَامَاتِهِ تَحْكِي وقَد مَاسَتْ أمام الرِّياحْ
كَتيبَةٌ خَضْراءَ مَهْزومَةٌ شَقَائِقُ النُّعمَانِ فيها جِراحْ

ومثله قول الآخر :

فَتْحُ الشَّقائق جَرحاها، ومَغنُمها وشْيُ الرَّبيع ، وقَتلاها من الثَّمَر
لأجْلِ هَذا إذا هبَّت طَلائِعُه تَدرَّع النَّهْر واهْتزَّت قنا الشَّجر

ونحو هذا من حسن التعليل في هذا المعنى قولي :

إنَّ بَينَ الغَمامِ والزَّهَرِ الغَضِّ لَرِحْماً قديمةً وإخَاءَ
بانَ إلفٌ عَن إلْفِهِ فَتَوارَى في الثَّرى ذا وذَاكَ حلَّ السَّماءَ
فإذا ما الغَمامُ زارَتْ جَنَاباً آذنَت فيه بالحَبيبِ اللِّقَاءَ
ذكَرتْ عَهْدهُ القَديمَ فَحنَّت عِنْد لُقْياهُ فاسْتَهلَّت بُكاءَ
فَترى الزَّهر بارزًا من خَبَايَاهُ يُحيِّي الوفُودَ والأصْدِقَاءَ
بَادِيَ البِشْرِ والبَشَاشَة جَذلا نَ لَبوسًا مِن كُلِّ لَونٍ رداءَ
ثمِلاً من شَمُوسِ شَمْسِ الضُّحَى وهْوَ عَلى بُسْطِ سُنْدسٍ خَضْراءَ

راقصًا والصبا تهنّيه والوُ رْقُ غَواني القِيان تشدو غِناءَ

وما رأيت أحدا ولا أظنه سبقني إلى هذا المعنى، لا تصريحًا ولا تلويحًا.

وقال الحسن بن هانىء :

مازلْتُ أشربُ روحَ الرِّقِّ في لَطفٍ وأستَميح دمًا من غَير مَجروحِ
حتَّى اغْتديتُ ولي روحان في جسدي والرِّقُّ مُطَّرحٌ جسمٌ بِلا روحِ

وقال أيضا من هذا المعنى :

أذكى السِّراجَ وساقي القَومِ يمزجُها فَلاحَ في البَيتِ كالمِصْباح مِصْباحُ
كِدنا على عِلمنا للشَّكِّ نَسْأله : أراحُنا نارُنا أمْ نارُنا الرَّاحُ ؟

وسيأتي هذا المعنى مستو فىَّ بعدُ . وقال ابن الخيَّاط في صفة سحاب :

أخْفى مَسالكَها الظَّلامُ فأوقَدتْ من برقِها كَيْ تهْتدي مِصْباحا
وكأنَّ صَوتَ الرَّعد خَلْفَ سَحابِها حادٍ إذا ونَتِ الرِّكائِبُ صَاحَا

وتقدَّم هذا المعنى في حرف الهمزة . وقال عبد الله بن المعتزّ :

كأنَّ سماءنا لمَّا تجَلَّتْ خِلالَ نُجُومِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ
رِياضُ بَنَفْسَجٍ خَضِلٌ ثَرَاهُ تفتَّحَ بينَهُ نَوْرُ الأقَاحِ

وقال ابن الزقَّاق :

فَبتُّ وقَد زَارتْ بأنْعَمِ لَيْلَةٍ تُعانقُني حتَّى الصَّباحِ صَبَاحُ
على عاتقي من ساعِديْها حَمائِلٌ وفي خَصْرِها من ساعِدَيَّ وشَاحُ

وقال إدريس بن اليماني :

ثقُلَت زُجاجاتٌ أتَتنا فرُغِّمَا حتَّى إذا مُلئَتْ بِصِرفِ الرَّاحِ
خَفَّت فَكادتْ أن تَطِيرَ بما حوتْ وكذا الجُسُومُ تخِفُّ بالأرواحِ

وقال الآخر في وصف الروض :

ورياضٍ من الشَّقائِقِ أضْحَت تَتَهادَى بها نسيمُ الرِّياحِ
زُرتُها والغَمامُ يَجلِدُ منْهَا زهَراتٍ تفوقُ لَونَ الرَّاحِ
قُلتُ : ما ذنْبُها ؟ فقال مُجيبًا : سرقَتْ حُمرةَ الخُدودِ المِلاحِ !

وقال الآخر في زورق :

لَو أبْصَرت عيناكَ زورَقَ فِتْيةٍ يُبْدي لهُم لَمْحَ السُّرورِ مِراحَهُ

وقَد استَدارُوا تَحتَ ظِلٍّ شِراعِهِ كُلٌّ يَمُدُّ بكأسِ راحٍ راحَهُ
لَحَسبتَهُ خَوفَ العَواصِفِ طَائِرًا مدَّ الحَنانُ على بَنيهِ جَناحَهُ

وقال ابن الرومي :

قالت : عَلا النَّاس إلاَّ أنت قُلتُ لها: كذاك يسْفُلُ في الميزانِ مارجَحَا

وقال أبو إسحاق بن الحاج :

يا مالكي بِصَبيحٍ وجْهٍ حُسنُهُ أربَى على فَلَقِ الصَّباحِ الأوضَحِ
ما شكَّ قَلبي فيكَ أنَّك مالكٌ لمَّا عُرفْتَ وسامةٌ بالاصْبَحِ

وقال سيف الدولة :

لا أُؤاخِذْكَ بالجَفَاءِ فَإنِّي واثِقٌ مِنْكَ بالوفَاءِ الصَّريحِ
فَجَميلُ العَدُوِّ غَيرُ جَميلٍ وقَبيحُ الصَّديقِ غَيرُ قَبيحِ !

وقال مهيار :

أذكُرونا مثْلَ ذِكْرانَا لَكُمْ رُبَّ ذكْرى قرَّبَت مَن نَزَحَا
وارْحَموا صبًّا إذا غَنَّى بِكُمْ شَرِبَ الدَّمْعَ وعَافَ القَدَحَا
وعَرفْتُ الهَمَّ مُذْفَارَقْتُكُمْ فَكأنِّي مَا عَرفْتُ الفَرَحَا !

وقال شرف الدين الحَمَوِيّ، شيخ الشيوخ :

حَديثي في المحَبَّةِ ليسَ يبْرحْ : فَدعْني من حديثِ اللَّومِ واسْرَحْ
فما لَكَ مَطْمَعٌ بِبَراحِ قَلْبي عَن الحُبِّ الَّذي أعْيا وبَرَّحْ
فَكم مِن لائِمٍ ألْحى إلى أنْ تأمَّل مَن هَويتُ فَما تَنَحْنَحْ
فَيا للَّهِ ما أشْهَى وأبْهَى ويا لِلَّهِ ما أحْلى وأمْلَحْ !
لَه طَرفٌ يقول : الحَربُ أحْرَى ولي قلبٌ يقول : الصُّلحُ أصْلَحْ
سألْتُ سِوارَهُ المِشري فَنادى فقيرُ وشاحِهِ : اللَّهُ يَفْتَحْ !
وماس مِن القَوامِ بِغُصْنِ بَانٍ إذا أنْشَدتُ أغْزالي تَرنَّحْ
وحيَّاني بألْحَاظٍ مِراضٍ صَحيحاتٍ فأمْرضَني وصَحَّحْ
أعَاتبُهُ فَلا يُصْغِي لعَتبِي ولا أسْلُو فأتْركُهُ وأرْبَحْ

وقال عبد المحسن الصوري :

وأخٍ مسَّهُ نُزولِي بِقَرْحٍ مِثْلَ مَا مَسَّنِي مِنَ الجُوعِ قَرحُ

بِتُّ ضيفًا لَه كما حَكَم الدَّ هْرُ وفي حُكمِه على الحُرِّ قُبْحُ
فابتَداني يقول وهْوَ مِنَ السَّكْر ةِ بالهَمِّ طافحٌ ليس يَصْحُو :
لِمْ تغرَّبْت ؟ قلت : قال رسول اللَّهِ، والقول منه نُصحٌ ونجْحُ :
سافِروا تَغْنموا . فقال : وقد قال تمامُ الحَديثِ : صوموا تَصحُّوا !

وقال ابن الوردي :

قَدْ عَجِبْنَا لِأَمِيرٍ ظَلَمَ النَّاسَ وسَبَّحْ
فَهُوَ كَالجَزَّارِ فِيهِمْ يَذْكُرُ اللَّهَ ويَذْبَحْ

وقال شهاب الدين الخَفَاجي، وهو من باب التورية اللَّطيفة :

وصَفْتُ خَصْرَهُ الذِي أخْفَاهُ رِدْفٌ رَاجِحُ
قَالُوا : وصِفْ جَبِينَهُ فَقُلْتُ : ذَاكَ واضِحُ !

وقال أيضا، وفيه نحو ما في الذي قبله من التورية :

لِلَّهِ أيَّامُ الصِّبَا والهَوَى لِلَّهِ أيَّامُ النَّجَا والنَّجَاحْ !
ذاكَ زمَانٌ مَرَّ حُلْوَ الجَنَى ظَفِرتُ منْهُ بحَبِيبٍ ورَاحْ

وقال أبو محمَّد الحريري :

لَزِمْتُ السِّفارَ وجُبتُ القفَارَ وعِفْتُ النِّفَارَ لأجْني الفَرَحْ
وخُضْتُ السُّيُولْ ورُضْتُ الخُيولْ لجَرِّ ذيولْ الصِّبَا والمَرحْ
ومِطْتُ الوقَارْ وبِعْتُ العَقَارْ لِحَسْوِ العُقَارْ ورشْفِ القَدَحْ
ولَولاَ الطِّمَاحْ إلى شُرب راحْ لما كان باحْ فَمي بالمُلَحْ
ولا كان ساقْ دهائِي الرِّفَاقْ لأرضِ العِراقْ بحَمْلِي السُّبَحْ
فَلا تَغْضَبَنْ ولا تَصْخَبَنْ ولا تَعْتِبَنْ فَعُذْرِي وَضَحْ
ولا تَعْجَبَنْ لشَيْخ أبَنٍّ بمَغْنًى أغَنٍّ ودَنٍّ طَفَحْ :
فإنَّ المُدَامَ تُقَوِّي العِظَامَ وتَشْفِي السِّقَامَ وتَنْفِي التَّرَحْ
وأصْفَى السُّرورْ إذَا مَا الوَقُورْ أمَاطَ سُتُورْ الحَيَا وَاطَّرَحْ
وأحْلَى الغَرَامْ إذا المُستَهَامْ أزَالَ اكْتِتَامْ الهَوى وافتَضَحْ
فَبُحْ بهَواكَ وبرِّدْ حَشَاكَ فَزَنْدُ أسَاكَ بِهِ قَد قَدَحْ
وداوِي الكُلُومْ وَسُكِّ الهُمُومْ بِبِنتِ الكُرُومْ التِي تُقْتَرَحْ

وخُصَّ العَبُوقْ بساقٍ يَسُوقْ ... بَلاءَ المَشُوقْ إذا مَا طَمَحْ
وشَادٍ يُشِيدْ بِصَوْتٍ تَمِيدْ ... جِبَالُ الحَدِيدْ لَه إن صَدَحْ
وعَاصِ النَّصيحْ الَّذِي لاَ يُبِيحْ ... وِصَالَ المَلِيحْ إذا مَا سَمَحْ
وجُلْ في المِحَالْ ولَوْ بالمُحَالْ ... ودَعْ ما يُقَالْ وخُذْ ما صَلَحْ
وفَارِقْ أبَاكْ إذا مَا أبَاكْ ... ومُدَّ الشِّباكْ وَصِدْ مَنْ سَنَحْ
وصَافِ الخَلِيلْ ونَافِ البَخِيلْ ... وأوْلِ الجَمِيلْ ووَالِ المِنَحْ
ولُذْ بِالمَتَابْ أمَامَ الذَّهَابْ ... فَمَنْ دَقَّ بَابْ كَرِيمٍ فَتَحْ

وقال أيضا :

نهَاني الشيب عمَّا فيه أفْراحِي ... فكيف أجْمعُ بين الرَّاحِ والرَّاحِ ؟
وهَل يجوزُ اصْطباحٌ من مُعَتَّقةٍ[23] ... وقَد أنارَ مَشيبُ الرَّأسِ إصْباحي
اليتُ لا خامَرَتْني الخَمْرُ ما عَلِقَت ... روحي بجِسمي وألفَاظي بإفْصاحي
ولا أكتسَت لي بكاساتِ السُّلافِ يدٌ ... ولا أجَلتُ قِداحي بين أقْدامِ
ولا صَرفتُ إلى صرفٍ مُشَعْشَعَةٍ ... همِّي، ولا رُحْتُ مُرتاحًا إلى راحِ
ولا نَظمْتُ على مشمولةٍ أبَدًا ... شَملي، ولا اخترتُ نَدمانًا سوى الصَّاحِ
محا المشيبُ مِراحي حينَ خَطَّ على ... رأسي : فأبْغِضْ به من كاتبٍ ماحِ !
ولاح يلْحى على جَرِّي العِنانَ إلى ... ملهًى : فسُحقًا له من لائحٍ لاحِ !
ولَو لَهَوتُ وفَودِي شائبٌ لخفى[24] ... بينَ المَصابيح مِن غسَّانَ مِصْبَاحي
قومٌ سجاياهُمُ توقِيرُ ضَيْفِهِمُ ... والشَّيبُ ضيفٌ له التَّوقيرُ ياصاح !

وقال أيضا :

أعْدد لِحُسَّادكَ حدَّ السِّلاحْ ... وأوردِ الآمِلَ وردَ السَّماحْ
وصارمِ اللَّهوَ ووصْلَ المَهَى ... وأعْمَلِ الكُومَ وسُمْرَ الرِّمَاحْ
واسْعَ لإدراكِ مَحَلٍّ سَمَا ... عِمَادهُ لَا لِادِّرَاعِ المِرَاحْ
واللَّهِ ما السُّؤددُ حَسْوُ الطِّلاَ ... ولا مَرادُ الحَمْدِ رُؤدٌ رَدَاحْ
واهًا لحُرٍّ صَدرُهُ واسعٌ[25] ... وهَمُّهُ مَا سَرَّ أهْلَ الصَّلاحْ

23) في المقامات (المقامة 24 القطيعة) : وهل يجوز اصطباحي.
24) في المقامات : لخبا، أي لخمد وطفئ.
25) في المقامات (المقامة 46 الحلبية) : واهًا لحرٍ واسعٍ صدرُهُ.

مَـــوردُهُ حُلْـــوٌ لِسُـــؤَّالِهِ ومَـــالُهُ ما سَألَـــوهُ مُطَـــاحْ
ما أسْمَـــعَ لِلآمِلَ رَدّاً ولاَ مَا طَلَبَه والمَطْلُ لُؤْمٌ صُراحْ
ولا أطاعَ اللّهْـوَ لمّـا دَعَـا ولا كَسا راحًا لَه كَأْسُ رَاحْ
سَـــوَّدَهُ إصْلاحُهُ سِـــرَّهُ ورَدْعُهُ أهْـــواءَهُ والطِّمَـــاحْ
وحصَّلَ المَـدحَ لَهُ عِلْـمُهُ ما مُهِرَ الحُورُ مُهُورَ المِلاَحْ[26]

وقال عوف بن محلم :

ألا يا حَمَامَ الأيْكِ إلْفُكَ حاضرٌ وغُصنُكَ ميّادٌ فَفيمَ تَنُوحُ ؟
أفِقْ لا تَنُحْ من غير شيءٍ فإنّني بكيتُ زمانًا والفُؤادُ صحيحُ
ولُوعًا فَشَطَّتْ غُربةٌ دارُ زينب فَهَا أنا أبْكي والفُؤادُ جريحُ

وزعموا أنّه خرج مع عبد اللّه بن طاهر في بعض غزواته، فسمع عبد اللّه يوما وهما يتسايران صوت حمامة، فأنشد أبيات عوف المذكورة ثمّ التفت إلى عوف وقال له : هل حضرك شيء في هذا المعنى وهذه القافية ؟ فقال عوف :

أفِي كُلِّ عامٍ غُربةٌ ونُزوحُ ؟ أما للنّوى مِن وِنْيَةٍ فتُريحُ ؟
لَقَد ظَلَمَ البَينُ القَذُوفُ ركَائِبي : فَهَل أرينَّ البينَ وهْو طَليحُ ؟
وأرّقني بالرّيِّ نَوحُ حَمَامَةٍ فَنُحْتُ وذُو الشّوقِ الغَريبُ يَنُوح
على أنّها ناحَت ولَم تُذْرِ عَبْرَةً ونُحتُ وأسرابُ الدّموعِ سُفُوحُ
ونَاحَت وفَرخَاها بِحَيثُ تَراهُمَا ومن دون أفْراخي مَهامِهُ فيحُ
عسى جودُ عبد اللّه أن يعكِسَ النّوى فَتُلقَى عصا التّسيار وهْيَ طَريحُ
فإنّ الغِنى يُدني الفتى من صَديقه وعُدمُ الغِنى بالمُقْترينَ نُزوحُ

فرقّ له عبد اللّه وصرفه إلى أهله بعطاء جزيل وقال : يصلك عطاؤك كلّ سنة لموضعك .

وللشعراء، قديما وحديثا، الاكثار من ذكر الحمام، والفواخت، والورشان في أشعارهم واستحسان أصواتها . فمن مستحسن ما للأوّلين في ذلك قول الشاعر :

سَيُغْنيكَ عن مِزْمار آلِ مُخارقٍ وبَربَطِهِم تَغْريدُ تِلْكَ الحَمَائِمِ
بأيْكَةِ نظار تجاوبْنَ بالضُّحَى على شاهِقَاتٍ آفِلاتٍ نَواعِمِ

26) فيها أيضًا : ما مُهِرَ العُورُ مُهُورَ الصِّحَاحْ.

وقول الآخـــر :

أحنُّ إلى حَوائِطِ ذاتِ عِرقٍ ... لتَغريدِ الفواخِتِ والحَمَامِ
ألمَّ بها بكُلِّ فتًى كَريمٍ ... من الفِتْيانِ مَخْلوعِ الزِّمَامِ
[إذا غنَّت على الأغْصانِ وُرقٌ ... أجَبناها بإعْمالِ المُدامِ][27]

وقول أبي صخر :

ولمَّا دعَتْ غوريَّة الأيْك سجَّعت ... فسجْع دموعي يستهلُّ ويستَشري
يُذكِّرني شَجوي دُعاءُ حَمَامةٍ ... ويبعثُ لوْعاتِ الصَّبابةِ في صَدري
بَكَت حزَنًا رُزءَ الهَديل وشفَّني ... فراقُ حبيبٍ ضاقَ عن فقدهِ صَبْري

وقول الآخـــر :

أيُّها البُلبُل المُغرِّد في النخْـ ... ـلِ غريبًا من أهْلِهِ حَيْرانَا
أفِراقًا تشكوهُ أم ظِلْت تَدعُو ... فوقَ أفْنانِ نَخْلِك الورَشَانَا ؟
هاجَ لي شجْوكَ المُغرِّدُ شَجْوًا ... رُبَّ صوتٍ يُهيِّج الأحْزانَا

وقول حَمِيد بْنِ ثَوْر :

وما هاجَ هذا الصَّوتَ إلاَّ حمامةٌ ... دعَت ساقَ حُرٍّ تَرحَةً وتَرنُّما
مُحلاَّةُ طَوقٍ لم يَكُن بتميمَةٍ ... ولا ضَربِ صوَّاغٍ بكفَّيه درهَمَا
تغنَّتْ على غُصنٍ عشاءً فَلَم تَدَع ... لنائحَةٍ في نَوْحِها مُتَلَوَّمَا
إذا حرَّكَتْه الرِّيحُ أو مَالَ ميْلَةً ... تغنَّتْ عليه مائلاً ومُقَوَّمَا
عجِبْت لها أنَّى يكونُ غِناؤُها ... فصيحًا ولَم تفغَرْ بمنطِقها فَما
فَلم أر مِثْلي شَاقَهُ صَوتُ مِثْلها ... ولا عربيًّا شاقَهُ صَوتُ أعْجَمَا !

وقول الآخـــر :

ومِن بُستَانِ إبْراهيمَ حَنَّتْ ... حَمَائِمُ بَينَهَا فَنَنٌ رَطِيبُ

وقول عدِيِّ بن الرِّقَاع :

وممَّا شجاني أنَّني كُنت نائمًا ... أُعلِّل من بردِ الكَرى بالتَّنسُّمِ
إلى أن دعَت ورقَاءُ في غُصن أيكةٍ ... تُردِّد مبكاها بحُسنِ التَّرنُّمِ

27) هذا البيت ساقط من ب.

فَلو قبل مَبكاها بكَيتُ صبابةً بسُعْدَي شفيتُ النَّفس قبل التَّندُّمِ
ولكن بكَتْ قبلي فهيَّج لي البُكا بُكاها فقُلتُ : الفَضْلُ للمُتقدِّمِ !

وقال المجنون :

وأدنيْتِني حتَّى إذا ما سَبيتِني بقول يُحِلُّ العصم سَهْل الاباطِحِ
تجافيتِ عنِّي حِينَ لا لِيَ حيلةٌ وخلَّفتِ ما خلَّفتِ بين الجَوانِحِ

وزعموا أنَّ رجلا دخل بني عامر يسأل عن المجنون، فقيل له إنَّه في هذه الصحراء قد استوحش، وإنَّه إذا رآك نفر منك ؛ ولكن إذا رأيته فاجلس كأنَّك لا تقصده، فإنَّه يجلس إليك . فإذا جلس إليك، فإن كان عندك شيء من شعرا بن ذريح، فاذكره فإنَّه يصغي إليك . قال : ففعلت ذلك . فلمَّا جلس إليَّ قلت : ما أشعر قيس بن ذريح حيث يقول :

وإنِّي لمُفنٍ دمْع عينيَ بالبُكا حِذارًا لما قد كان أوْ هُو كائِنُ
وقالوا : غدًا أو بعد ذاكَ بليلةٍ فراقُ حبيبٍ بانَ أو هُو بائِنُ
وما كنت أخْشى أن تكون منيَّتي بكفَّيَّ إلاَّ أنَّ ما حان حائنُ

قال : فبكى طويلا ثمَّ قال : أنا واللَّه أشعر منه حيث أقول :

أبى القَلبُ إلاَّ حُبَّها عامريَّةً لها كنْيةٌ عمرٌو وليس لها عَمرُ
تكاد يَدي تندَى إذا ما لمسْتُها وينْبُت في أطرافِها الورقُ الخُضرُ
عجبتُ لسَعيِ الدَّهر بيني وبينَها فلمَّا انقَضى ما بيننا سَكَن الدَّهرُ

ثمَّ أوغل في الصحراء وتركني، فانصرفت . فلمَّا كان الغد رجعت فقلت : ما أشعر قيسا حيث يقول :

يبيت ويُضْحي كلَّ يومٍ وليلةٍ على منهجٍ تبكي عليه القبائِلُ
قتيلٌ للُبْنى صدَّعَ الحبُّ قلبهُ وفي الحُبِّ شُغْلٌ للمُحبِّينِ شاغِلُ

فبكى أيضا طويلاً ثمَّ قال : أنا واللَّه أشعر منه حيث أقول :

سَلبْتِ عظامي لحْمَها فتركْتِها مُعرَّقةً تضحى لديْكِ وتخْصَرُ
وأخْليتِها من مُخِّها فكأنَّهَا قواريرُ في أجْوافِها الرِّيحُ تصْفِرُ
إذا سمِعَت ذكرَ الفراقِ تَقَطَّعَت علائقُها ممَّا تخافُ وتَحذَرُ

ثمَّ قام هاربا وتركني . فانصرفت ثمَّ عدت من الغد فقلت : ما أشعر قيسا حيث يقول :

هَبُوني امرءًا إن تُحسنوا فهو شاكرٌ لذاك وإن لم تحسنوا فهْو صافحُ

فإن يَكُ قومٌ قد أساؤوا بهَجرنا فإنَّ الَّذي بيني وبينك صالحُ

فبكى أيضا طويلا ثمَّ قال : أنا واللّه أشعر منه حيث أقول : وأدنَيتِني حتَّى إذا ما سَبَيتِني (البيتين) . ثمَّ فرَّ عنّي وانصرفت . وعدت من الغد فلم أجده، فأخبرت قومه فانطلقوا يطلبونه فوجدوه بعد يومَيْن ميّتا في شعراء، بين حجريْن .

قلت : وفي البيتيْن المذكوريْن قال جرير، لمَّا أنشده إيَّاهما بعض أصحابه وهما متوجّهان إلى الشام : لو كان النخير يصلح لنخرت حتَّى يسمعني هشام على سريره من هاهنا !

وقال ابن الدمينة :

ألا ياحِمَى وادي المياهِ قَتَلتَني أباحَكَ لي قبل المَماتِ مُبيحي

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبيعُني بها كبداً ليستْ بذاتِ قُروحِ

أبى النَّاس ريبَ النَّاس لا يشترونها ومن ذا الَّذي يشري دوًى بصحيح ؟

والدَّوَى : المَريض الشديد المرض، والمرض الشديد أيضا، والأحمق.

ويُنشد هذا الشعر أيضا، على إسقاط البيت الأوَّل وزيادة آخر وهو :

أئنُّ من الشَّوقِ الَّذي في جَوانحي أنينَ غَصيصٍ بالشَّرابِ جَريحِ

ويُحكى عن إبراهيم الموصلي، المغني المشهور، أنَّه قال : سألت الرشيد أن يهب لي يوما أخلو فيه بنفسي ـ وكان أمَره أن لاَ يتغيَّب عنه يوما أصلاً ـ قال : فقال لي إنّي أستثقل يوم السبت، فَآلْهُ فيه بما شئت ! قال : فأعددت يوما شرابا وأطعمة منتخبة، وأصبحت عازما على أن لا آذن لأحد . فأمرت البوَّاب بإغلاق الأبواب وجلست وحولي جواريَّ والخدم يتردَّدون بين يديَّ، فإذا أنا بشيخ ذي هيئة وجمال حسن الثياب بِيده عكَّازة مقمعه بفضَّة، وقد سطع منه ريح المسك حتَّى ملأ البيت . قال : فامتلأت غيظا على البوَّاب وعزمت على عقوبته . فسلَّم عليَّ الشيخ بأحسن السَّلام، فرددت عليه وأمرته بالجلوس . فجلس فأخذ في أحاديث العرب وذكر أيَّامها وأشعارها حتَّى أذهب ما بقلبي . وقلت : لعلَّ البوَّاب عرف أدبه فأراد مسرَّتي به، فقلت له : هل لك في الطعام ؟ فأبى . فقلت : هل لك في الشراب ؟ فقال : ما أكرهه . فشربت وسقيته، فقال : يا أبا اسحاق، وهل لك أن تغنّي لنا من صنعتك ؟ فقد نبغت فيها عند الخاصّ والعامّ، وأحسن فيها ما استطعت حتَّى نكافئك بمثلها ! فأخذت العود وغنَّيته أصواتا حسانا، في كلّها يقول : أحسنت يا سيّدي ! ويطرب ويستزيدني . ثمَّ وضعت العود فقال : أتأذن لعبدك في الغناء ؟

فاستصعبت، لكنّي أذنت له . فلمّا أخذ العود وجسّه خلته، والله، ينطق بلسان عربيّ . ثمّ اندفع يغنّي :

ولي كَبِدٌ مَقْروحةٌ من يَبيعُني

إلى آخر الأبيات الثلاثة المتقدمّة . فوالله لقد ظننت أنّ الحيطان والأبواب وكل ما في البيت يغنّي معه، حتّى خلت عظامي وثيابي تجاوبه، وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام لِمَا خالط قلبي . ثمّ غنّى :

ألا يا حمامات اللّوى عُدنَ عودةً ... فإنّي إلى أصْواتكُنّ حَزينُ

فعُدن فلمّا عُدن كِدن يُمتْنني ... وكِدتُ بأسراري لهُنّ أَبِينُ

دعَونَ بتَرديدِ الهديرِ كأنّمَا ... شَربْن الحُميّا أو بهِنّ جُنونُ

فلم تَرَ عَيْني مثْلَهُنّ حَمائِما ... بَكَينَ ولم تَدْمَعْ لهُنّ عُيونُ

فكاد، والله، عقلي يذهب طربا وارتياحا لِمَا سمعت . ثمّ غنّى :

ألا يا صَبا نجْدٍ متى هِجتَ من نجد ؟ ... فقدْ زادني مَسْراك وجْدًا على وجْد

لقَد زعموا أنّ المُحبّ إذا دَنَا ... يَملُّ وأنّ النّأيَ يشْفِي من الوجْد

بكُلّ تَداوينا فَلم يُشْفَ مابنا ... على أنّ قُرب الدّار خيرٌ من البُعد

على أنّ قُرب الدّار ليس بنافعٍ ... إذا كان من تهْواه ليس بذي وُدّ

ثمّ قال : يا إبراهيم، هذا الشعر الماخوري، فانْحُ نحوه في غنائك، وعلّمه جواريك ! فقلت : أعِدْه عليّ ! فقال : لست تحتاج إلى إعادته . فغاب عن بصري، فارتعت وقمت إلى السّيف فجرّدته وعدوت نحو الباب، فوجدته مغلقا . فسألت البوّاب عن الشيخ فقال : والله ما دخل عليّ اليوم أحد ! فرجعت متحيّرا، فإذا هو هتف بي من بعض جوانب البيت: لا بأس عليك، أبا إسحاق ! فقال هو إبليس اخترت منادمتك اليوم، فلا ترع ! قال إبراهيم : فركبت من فوري إلى الرشيد وقلت : لا أطرفه بطرفة أحسن من هذه ! فلمّا دخلت حدّثته الحديث، فقال : ويحك، غنّ لي ما غنّاك ! فأخذت العود وغنّيته إيّاها، كأنّها من محفوظاتي . فطرب الرشيد وجلس للشرب، ولم يكن عزم عليه، وأمر لي بصلة وقال : الشيخ كان أعلم، حيث قال إنّك أخذتها . فليته متّعنا بنفسه يوما كما أمتعك ! انتهى .

قوله الماخوري : هو نسبة إلى الماخور، وهو بيت الريبة معرّب . وقيل إنّه عربيّ، من مخرت السفينة الماء، لتردّد النّاس إليه . وقال [ابن] عبد المنان :

صبَّحتُه عِند المَساءِ فقال لِي : ماذا الصَّباح وظنَّ ذاك مُزاحَا
فأجبتُه : إشْراقُ وجهِكَ غرَّني حتَّى توهَّمْتَ المَساءَ صَبَاحا

وسبب قوله هذا [الشعر] أنَّه دخل، وهو ثمل، على السلطان أحمد المريني عشيَّة، فصبَّحه. فنظر السلطان إليه نظر منكر، وقال له : أيّ وقت هذا ؟ وأيّ معنى للصباح فيه ؟ فأفاق من سكره وأنشد ما مرَّ ارتجالا، وهذه بديهة لا بأس بها.

ومثله ما يُحكى أنَّه وقع ليحيى بن أكثم، وكان الأمين بن الرشيد شرب يوما مع عبد اللَّه بنطاهر، ومعهما يحيى . فتغامزا عليه، وأمرا الساقي فأكثر له حتَّى أسكره . وكان بين أيديهم ردم من رياحين . فأمر يحيى فدفن فيه، وأمر قينة أن تغنّي عند رأسه بيتيْن عملهما . فغنَّت :

ناديتُه وهْو ميتٌ لا حَراكَ به مُكفَّنٌ في ثيابٍ مِن رياحِينِ
فقلت : قُم ! قال : رجلي لا تُطاوعُني وقلت : خُذ ! قال : كفِّي لا تواتيني

فانتبه يحيى لصوت العود وصوت الجارية، فأخذ العود منها وغنَّى :

يا سيِّدي وأمير النَّاس كُلِّهِمُ قد جار في حُكمِه من كان يسقيني
إنِّي غفلْت عن السَّاقي فصيَّرني كما رأيت سليب العقل والدِّين
لا أستطيع نُهوضًا قد وهى بدني ولا أُجيبُ لداعٍ حين يدعُوني !

وقال أبو الفتح البستيّ :

أفِد طبعَك المكدود بالجدِّ راحةً يُجمَّ وعلِّلهُ بشيءٍ من المزْحِ
ولكن إذا أعطيتَه المزْح فليكُن بقَدر الَّذي يُعطى الطَّعام من المِلْح

وقال آخر في معناه :

مُمازحةُ الصَّديق تزيدُ وُدًّا إذا كانت تُضَافُ إلى المَلاحَهْ
فمازِح من تُحبُّ وتَصْطَفيهِ فَمزْحُكَ مَعْ صديقِكَ فيه راحَهْ

وقال الآخر في المدح :

إذا نَزل الضَّيفُ ليلاً بِهِمْ رأى أوجُهًا لاحَ منْها الصَّباحْ
كرامُ الوجوهِ لِمَنْ أمَّهُمْ وعند وجوهِ الكِرامِ السَّماحْ

وهذا من العكس، وهو عند أهل البديع قسمان : تعاكس الكلم وتعاكس الحروف .

فمن الأوَّل في النثر قولهم : عاداتُ السَّادات ساداتُ العادات ؛ وقولهم : عقولُ الملوك

ملوكُ العقول ؛ وكلام الملوك ملوك الكلام ؛ وقول بعضهم، وقد قيل له لا خير في السَّرف، لا سَرَفَ في الخير، ونحو هذا . وفي الشعر ما مرَّ وقول صاحب الحِلِّيَّة :

خَيْرُ اللَّيالي ليالي الخير في إضمٍ ... والقومُ قد بلغُوا أقصى مُرادهِم

وقول أبي الطيب :

فَلا مجْد في الدُّنيا لمن قلَّ ماله ... ولا مالَ في الدُّنيا لمن قلَّ مجدهُ

وقول ابن جابر :

عَطَفتْ قدَّها النَّضيرَ فقالت : ... هل رأيتُم لحُسن هذا نظيرا ؟
بَذلَت للمُحبِّ يومَ وِصَالٍ ... فرأينا وصَالَ يَوم كثيرا

ونحوه وهو كثير .

ومن الثاني في النثر كقوله تعالى : كُلٌّ فِي فَلَكٍ ؛ وقوله تعالى : ورَبَّكَ فَكَبِّرْ ؛ وقول العماد الاصبهاني للقاضي الفاضل : سِر، فلا كَبَابِك الفَرَسُ ! وقول بعضهم : سُورُ حَمَاة بربِّها مَحْروس ؛ وقولك : أرض خضراء ورمحٌ أحمر، ونحو ذلك وهو كثير .

ومن الشعر قول الشاعر :

مودَّتُهُ تَدومُ لكُلِّ هَولٍ ... وهَل كُلٌّ مَودَّتُه تَدوم ؟

ومن النوع الأوَّل قولي في أبيات :

نتائجُ أبناءٍ كِرامٍ غَطَارفٍ ... كرامُ بَنينَ ماجِدينَ كِبَار

وقول الآخر :

إذا المَرءُ لم يُمدحْ بحُسنِ فعاله ... فما دحُه يهْذي وإن كان يُفْصحُ

وقول الآخر في معناه :

وما شرفٌ أن يَمدحَ المَرءُ نفسَهُ ... ولكنَّ أعْمالاً تُذَمُّ وتُمدحُ

وقول الآخر، ويُروى لابن الفارض، رضي اللَّه عنه :

خليلَيَّ إن زُرتُما مَنْزِلِي ... ولَم تَرياهُ فسيحًا فَسِيحَا
وإن رُمتُما مَنْطقي من فَمي ... ولَم تَرياه فصيحًا فَصِيحَا

وقول أبي بكر بن عمَّار في الاستعطاف :

سجاياك إن عافيت أنْدى وأسْمَح ... وعُذركَ إن عاقَبتَ أجْلى وأوضَحُ
وإن كان بين الخُطَّتين مزيَّةٌ ... فأنتَ إلى الأدنى من اللَّه أجْنَح

وقال أبو عيسى بن لَبُون في النسيب :

سقى أرضًا نووْها كُلُّ مُزنٍ ... وسايَرهُم سُرُورٌ وارتِياحُ
فما ألْوى بِهِم مَلَكٌ ولَكِنْ ... صُروفُ الدَّهْرِ والقَدرُ المُتاحُ
سأبْكي بعدهم حُزنًا عليهِم ... بِدَمْعٍ في أعنَّتِهِ جِماحُ

وقال أيضا :

يا رُبَّ ليلٍ شربنا فيه صافيةً ... حَمراءَ في لَوْنِها تَنْفي التَّباريحَا
تَرى الفراشَ على الأكْواسِ ساقطةً ... كأنَّما أبْصرتْ منها مصابيحَا

وقال أبو محمَّد بن عبدون :

سقاها الحَيا مِن مَغْانٍ فِساحِ ... فَكم لي بها من مَعانٍ فصاحِ ؟
وحلَّى أكالِيلَ تِلكَ الرُّبَى ... ووشَّى مَعاطِفَ تلْك البِطاحِ
فما أَنْسَ لا أَنْسَ عَهْدي بِهَا ... وجرِّيَ فيها ذُيُولَ المِراحِ
ونَومي عَلَى حِبَرات الرِّياضِ ... يُجاذِبُ بُردَيَّ مَرُّ الرِّياحِ
ولَم أُعْطِ أمْرَ النُّهَى طاعةً ... ولَم أُصغِ سمعًا إلى لحْيِ لاحِ
وليلٍ كَرَجْعَةِ طَرْف المُريبِ ... لَم أدرِلَه شَفقًا من صَبَاحِ

وقلت أنا :

أم والمُهيْمِنِ إنَّني من بَعدكُم ... لكطائِرٍ قد قُدَّ منه جَناحُ
أوديْتُمُ بمُحبِّكُم مِن بَعدكُم ... أو ليس فيه على المُضرِّ جُناحُ ؟
قَد كان فيهم أعْصُرًا بوصالِهِم ... قَد طِبْن رَوْحٌ للنُّفوس ورَاحُ
فكأنَّني صِبْرًا سُقيتُ فكيف لي ... صبْرٌ وقد زمُّوا المَطيَّ وراحوا ؟

وقلت أيضا :

نقل النَّسيمُ عن الأراكِ مُحدِّثًا ... عن ثغْرِ سلْمى الأشْنَب الوضَّاحِ
وحديثُه المرويُّ أنَّ رُضابَهُ ... عسلٌ ومسكٌ شُوِّبا بالرَّاحِ
صدقا أحاديثُ الصَّحيح قَد اعتَلت ... عَن ريبةٍ تُعْزى لها من لاحِ

وقال بعض السَّادات الصوفية، رضي اللَّه عنهم :

قد كُنت أحْسبُ أنَّ وصلك يُشترى ... بنفائس الأموال والأرواحِ
حتَّى رأيتُك تجتبي وتخُصُّ مَن ... تختاره بنفائس الأربَاحِ

فَعلمتُ أنَّك لا تُنالُ بحيلَةٍ ولَويْتُ رأسي تحت طَيّ جنَاحِ
وجعلت في عُشِّ الغَرام إقامتي أبداً وفيه تحوطُلِي وَرَوَاحِي

وقال آخر :

أبداً تحنُّ إليكُمُ الأرْواحُ ووصالُكُم ريحانُها والرَّاحُ
وقلوب أهل ودادكُم تشتاقُكُم وإلى كمال جمالكُم ترتاحُ
وارحْمةً للعاشقينَ تَحَمَّلُوا ألم المَحبَّةِ، والهَوى فضَّاحُ
بالسِّرِّ إن باحوا تُباح دماؤُهُم وكذا دماءُ البائحينَ تُباحُ !

وقال الآخر :

راحوا فبانَت راحَتي من راحَتي صفْراً وأضْحى حُبُّهُم ليَ راحَا
فتحوا على القَلْب الهُمومَ وأغلقوا باب السُّرور وضيَّعوا المفْتاحا

وقال بشَّار :

خليلَيَّ ما بال الدُّجى لا تزَحْزحُ وما لعَمودِ الصُّبْح لا يَتوضَّحُ ؟
أضلَّ النَّهارُ المُستنيرُ طَريقَهُ ؟ أم الدَّهر ليلٌ كلُّه ليس يبرحُ ؟
وطال عليَّ اللَّيلُ حتَّى كأنَّهُ بليلينِ موصولٌ فما يتَزَحْزَحُ !

واعلم أنَّ للشعراء في اللَّيل، قديما وحديثا، مقصديْن مختلفيْن لباعثيْن متباينيْن : فتارة يستطيلونه ويستبطئون الاصباح، وذلك لأجل الاختناق، بتباريح الأشواق، عند احتساء كأس الفراق، المرَّة المذاق ؛ وتارة يستقصرونه ويودّون أن لو دام، وذلك عند اجتناء ثمرات الوصال، والاشتغال بلذات الاقبال. فمن الأوَّل قول مهلهل :

أَلَيلَتَنَا بِذي حُسُمٍ أنِيرِي إذا أنتِ انقَضَيْتِ فَلاَ تَحُورِي !

ولم يحضرني لمن قبله شيء في هذا الباب . وقول امرىء القيس :

وليلٍ كموجِ البحْر أرخى سُدولَهُ عليَّ بأنْواعِ الهُمومِ ليِبْتَلِي
فقلتُ لهُ لمَّا تمطَّى بجَوْزِهِ وأردَفَ أعجازاً وناء بِكَلْكَلِ :
ألا أيُّها اللَّيلُ الطَّويلُ ألا أُنْجلي بصُبحٍ وما الاصْباحُ منك بأمْثَل
فيالَكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَهُ بكُلِّ مُغار الفتْلِ شُدَّت بيَذْبُلِ
كأنَّ الثُّريَّا عُلِّقت في مصامِهَا بأمْراس كتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدلِ

وقوله أيضـا :

أعِنِّي على التَّهْمَامِ والذكرات ... يَبِتْن على ذي الهَمِّ مُعْتكِراتِ
بلَيل التَّمامِ أو وُصِلْنَ بمثْلِه ... مُقَايَسَةً أيَّامُهـا نَكَـراتِ

وهو أوَّل من أبدع في هذا الباب فيما علمنا . وقول النابغة :

فَبتُّ كأنِّي ساورتْني ضَئِيلَةٌ ... مِن الرُّقْشِ في أنْيابها السُّمُّ ناقعُ
يُسهَّدُ مِن ليلِ التَّمام سليمُها ... لحلْيِ النِّساءِ في يَديْه قعاقِعُ
تناذَرَها الرَّاقونَ من سُوءسُمِّها ... تُطَلِّقُه طورًا وطورًا تُراجِعُ

وقوله أيضـا :

كليني لهَمٍّ يا ۔ أُمَيْمةَ ناصِب ... وليلٍ أُقاسيه بَطيء الكواكِب
تطاولَ حتَّى قُلت ليس بمُنْقضٍ ... وليس الَّذي يرعى النُّجومَ بآئِب
وصَدرٍ أراحَ اللَّيلُ عازبَ همِّه ... تضاعفَ فيه الحُزنُ من كلِّ جانبِ

وقوله أيضـا :

كتَمتُك ليلاً بالجُمومَيْن ساهرًا ... وهَمَّيْن همًّا مُستكنًّا وظاهرا
أحاديثُ نفسٍ تشتكي ما يَريبُها ... وورد هُمومٍ لَن يجِدنَ مَصادرًا

وقوله أيضـا :

أتاني أبَيْتَ اللَّعْن أنَّك لُمتَني ... وتِلْك الَّتي أهْتمُّ منها وأنْصَبُ
فبتُّ كأنَّ العائداتِ فَرشْنَنِي ... هَراسًا به يُعْلَى فِراشِي ويُقْشَبُ

وقول جندح :

في ليلِ صُولٍ تناهى العَرضُ والطُّول ... كأنَّما ليلُه باللَّيلِ موصولُ
لا فارق الصُّبحُ كفِّي إن ظَفِرتُ به ... وإن بَدت غُرَّةٌ منه وتحْجيلُ
لساهرٍ طال في صولٍ تململُهُ ... كأنَّه حيَّةٌ بالسَّوطِ مفْتولُ
حتَّى أرى الصُّبحَ قد لاحَت مخائلُه ... واللَّيلُ قد مُزِّقت عنه السَّراويلُ
ليلٌ تحيَّر ما ينْحطُّ في جهةٍ ... كأنَّه فوقَ متْن الأرض مشكولُ
نجومُه رُكُدٌ ليست بِزائلةٍ ... كأنَّما هُنَّ في الجوِّ القناديلُ
ما أقْدر اللَّهَ أن يُدني على شَحَطٍ ... مَنْ دارُه الحَزْنُ ممَّن داره صُولُ
اللَّه يَطوي بساطَ الأرض بينهُما ... حتَّى يُرى الرَّبْعُ منه وهْو مأهولُ

وقول الحُصْرِيّ :

يا ليل الصَّبُّ متى غَـــدُهُ أقيامُ السَّـــاعةِ مَوعِـــدُهُ ؟

وقول الآخـــر :

ألا هَل على اللَّيلِ الطَّويل مُعينُ إذا نَـزحَت دارٌ وحنَّ حزينُ ؟
أكابدُ هذا اللَّيلَ حتى كأنَّما على نجْمِهِ ألاَّ يغُورَ يمِينُ
وتالَّلهِ ما فارقْتُكُم قاليًا لكُم ولكنَّ ما يُقضى فسوف يكونُ !

وقول الآخـــر :

ما لِنُجومِ اللَّيلِ لا تَغْرُبُ كأنَّها من خَلْفِها تُجْذَبُ ؟
رواكِدٌ ما غَارَ في غَرْبِهَا ولا بَدَا مِن شَرقِها كَوكَبُ

وقول العبَّاس بن الأحنف :

أيُّها الرَّاقدون حولي أعينوني على اللَّيل حِسْبةً وَاغْتِجَارَا
حدِّثوني عَن النَّهارِ حديثًا أوصِفُوهُ فقَد نَسيتُ النَّهارَا !

وقال سُوَيد بن أبي كاهل :

وإذا ما قُلْتَ ليلٌ قَد مَضَى عَطَـف الأوَّلُ منْهُ فَرَجَـعْ
يسْحَبُ اللَّيْلُ نُجومًا ظُلَّعًا فَتواليهـا بطيـآتُ التبـع
ويُزجِّيهـا علَى إبْطَائِهَـا مغربُ اللَّونِ إذا اللَّيْلُ آنْقَشَعْ

وقول ابن الرومي :

ربَّ ليْلٍ كأنَّهُ الدَّهـر طولاً قَد تناهى فَليْسَ فيه مَزيدُ
ذي نُجومٍ كأنَّهُنَّ نجومُ الشَّيب لَـيْسَتْ تزولُ لَكِـن تَزيـدُ

وقول سعيد بن حميد :

يَا لَيْلُ بَلْ يَا أبَدُ أنَائِمٌ عَنْكَ غَدُ ؟
يَا لَيْلُ لَو تَلْقَى الَّذِي ألْقَى بِهَا أوْ تَجِدُ
قُصِرَمن طُولِكَ أوْ ضَعُفَ مِنْكَ الجَلَدُ
أشْكُو إلَى ظَالِمَةٍ تَشْكُو الَّذِي لا تَجِدُ
وقَفَ عَنْهَا نَاظِرِي وقَفَ عنْهَا السُّهُدُ

وقول الآخـــر :

يُخيل لي أنّ سُمرَ الشُهبُ في الدُجى وشُدَّت بأهْدابٍ إليْهنَّ أجْفانُ

وقول الآخـــر :

رُبَّ ليلٍ أمدَّ من نفَس العاشق طولاً قطعْـــتُه بِآنْتِحَـــابِ

وحديثٍ ألَذَّ ممن نَظَرِ الوامِقِ بدَّلْـــتُهُ بِسُـــوءِ العِتُـــابِ

وقول ابن شُهَيْد :

وبتْنا نُراعي اللَّيلَ لم يَطْو بُردهُ ولم يجْن شيبُ الصُبح في فرعه وخْطا

تَراه كَملْك الزَّنْجِ من فَرط كِبْرِهِ إذا رام مشيًا في تبخْتُره أبْطا

مُطلّلاً على الآفاق والبَدرُ تاجُه وقد علَّق الجَوزاءَ من أذنِه قُرطا

وقال بعضهم : كان عليُّ بن الجَهْم يستنشدني شعر خالد الكاتب، فأنشده فيقول : ما صنع شيئا حتى أنشدته يوما له :

رقَدتَ ولَم تَرْثِ لِلسَّاهِرِ ولَيْلُ المُحبِّ بِلاَ آخِرِ

ولَم تَدر بَعْد ذهاب الرُقاد ما صنعَ الدَّمعُ من ناظِرِي

فقال : قاتله اللّه، لقد أدمن الرمي حتّى أصاب الغِرّة !

ومن الاعتبار الثاني قول الأعرابي :

ولَيلٍ لم يُقصِّرْهُ رُقَادُ وقَصَّر طُولهُ وصْلُ الحَبيبِ

وقول ابن المستوفي :

حَسَد الصَّباحُ اللَّيلَ لمَّا ضمَّنا غيْظًا ففرَّق بينَنا دَاعِيهِ

وقول الآخـــر :

رأيتُكَ في المَنامِ أقلَّ بُخْلاً وأطْوعَ منكَ في غَيْرِ المَنامِ

فَليتَ الصُبْحَ زالَ فَلا نَراهُ ولَيتَ اللَّيلَ يبقَى ألْفَ عَامِ !

ولو أنَّ النُعَاس يُبَاعُ حينًا لأغْليْتُ النُعَاسَ على النِّيامِ

وقول القاضي الفاضل، وهو السحر حقًا :

بتْنا جميعًا كيفَ شاءَ الهَوى وربَّمـــا لا يُمكِـــنُ الشَّـــرْحُ

بوَّابُنـا اللَّيلُ وقُلنـا لَهُ : إن غِبتَ عنَّا دخلَ الصُبحُ

وقول عبد الصَّمد بن المعذَّل :

أقول وجُنحُ الدُّجى مُلْبِدُ ولِلَّيْلِ في كُلِّ فَجٍّ يَدُ
ونَحن ضَجيعانِ في مَسْجِدٍ فللَّهِ ما ضمَّنا المَسْجِدُ :
فيا ليلَةَ الوصْلِ لا تَبْعُدِي كما لَيْلَةُ الهَجْرِ لا تَنْفَدُ
ويا غَدُ إن كُنتَ لي راحِمًا فَلا تَدنُ مِن ليلَتي ياغَدُ !

وقول الآخـــر :

شبابُ المَرءِ ثوبٌ مُسْتَعَارُ وأيَّامُ الصِّبَا أبدًا قِصَارُ

ولأجل الاعتباريْن كان قول الأعرابي :

تَطاولَ بالفُسطَاطِ ليلي ولم يكُن بأرض الغَضا ليلِي عليَّ يطولُ

وقول أبي الوليد بن زيدون :

أجَل إنَّ لَيْلِي فوق شاطيء بيطَة لأقْصَرُ مِنْ ليْلِي بِآنَةَ فَالْبَطْحَا

وقول عمر بن أبي ربيعة :

فيالَك من ليلٍ تَقَاصَرَ طولُهُ وما كان ليلي قبْل ذلك يقْصُرُ !

ومن الثَّاني أيضا قول الآخر :

للَّهِ أيَّامُ الشَّباب وعَصْرُهُ لَو يُستعارُ جديدُهُ فيُعَارُ
ما كان أقْصَرَ لَيْلهُ ونهَارَهُ وكذاكَ أيَّامُ السُّرورِ قِصَارُ !

وقول أبي بكر بن دُرَيْد :

يا رُبَّ يومٍ جَمعت قُطْرَيْهِ [لِي] بنتُ ثمانينَ عروسًا تُجْتَلَى

وقد شرح الاعتباريْن الوليد بن يزيد في قوله :

لا أسألُ اللَّه تغْييرًا لِمَا فَعَلَتْ نامتْ وقد أسهرتْ عينَيَّ عيْنَاها
فالَّليل أطولُ شيء حين أفقدها والَّليل أقصر شيء حين ألقاها

والآخر في قوله :

أخو الهوى يستطيل الَّليل من أرقٍ والَّليلُ في طولِهِ جارٍ على قَدر
ليلُ الهوى سَنَةٌ في الهَجْرِ مدَّته لكنَّه سِنَةٌ في الوصل من قِصَر

والآخر في قوله :

لَيْلِي ولَيْلَى سواءٌ في اختلافهما قَد صيَّراني جميعًا في الهوى مثَلا

يجود بالطُّول لَيْلِي كلَّما بخِلَت بالطُّول لَيْلَى وإن جادت به بخِلا

وقول جميل :

وقالوا : لا يضُرُّك نأيُ شهرٍ فقلت لِصاحبَيَّ : فمَن يَضِيرُ ؟
يطول اليومُ إن شَحَطَتْ نواها وحولٌ نلتقي فيه قصِيرُ

وقول بشَّار :

لا أظْلِم اللَّيلَ ولا أدَّعِي أنَّ نجومَ اللَّيلِ ليستْ تغُورْ
ليلي كما شاءت فإن لم تجُد طال وإن جادتْ فليلِي قَصِيرْ
تصرَّفَ اللَّيلُ على حُكْمِهَا فَهْوَ على ما صرفتْه يَدورْ

وقول الآخر :

تعالوْا أعينوني على اللَّيل إنَّهُ على كلِّ عينٍ لا تنامُ طَوِيلُ !

وقول الآخر :

لم يطُل ليلي ولكنْ لم أنَمْ ونَفَى عنِّي الكَرى طيفٌ ألمْ

وقول الفرزدق :

يقولون طال اللَّيل واللَّيلُ لم يطُل ولكنَّ من يبكي من الشَّوق يسهَرُ

وهذا المعنى أكثر من أن يستقصى . وترقى عن الاعتباريْن قول بعض العارفين المحبّين :

لستُ أدري أطالَ ليليَ أم لا كيفَ يَدري بذاك مَن [ ][28]
لو تفرَّغْتُ لاسْتطالةِ لَيْلِي ولِرعْيِ النُّجُومِ كُنْتُ مُخِلاَّ
إنَّ للعاشقينَ عَن قِصَرِ اللَّيْل وعَن طولِه من الهَمِّ شُغْلاَ

وقال ابن حَمْدِيس الصِّقِلِي في مجونه :

قم هاتِها من كفِّ ذاتِ الوشَاحْ فقد نَعى اللَّيلَ بشيرُ الصَّباحْ
باكرْ إلى اللَّذَّات واركَبْ لَهَا سوابقَ اللَّهْو ذواتِ المِراحْ
من قبل أن ترشُفَ شمسُ الضُحى ريقَ الغوادي مِن ثغُور الاقاحْ !

وقال أيضا :

بتُّ منها مُستعِيرًا قُبلاً كُنَّ لي منها على الدَّهْرِ اقْتِراحْ
وأُروِّي غُلَّ الشَّوقِ بِمَا لم يكُن في قُدرةِ الماء القَراحْ

28) بياض في الأصل.

وقال الآخـــر :

سَل المُفتيَ المكّيَّ هل في تَزاورٍ وضمّة مُشْتاقِ الفُؤادِ جُناحُ
فقال : معاذَ اللّه أن يُذهبَ التُّقى تلاصُقُ أكبادٍ بهنَّ جراحُ

والمعنى هنا بالمفتي هو عطاء بن أبي رباح، الامام الفقيه المشهور، أحد الكبراء من التّابعين . وكان بمكّة مفتيا.

قال شمس الدين بن خلّكان في **تأريخه** : لمّا بلغه هذان البيتان قال : واللّه ما قلت شيئًا من هذا !

وقال فخر الدين التكريتي :

وما ذاتُ طوقٍ في فروعِ أراكَةٍ لها رنّةٌ تحت الدُّجى وصُدوحُ
ترامَت بها أيْدي النَّوى وتمكّنت لها فُرقةٌ من أهلِها ونُزُوحُ
فحلّتْ بزوْراءِ العِراق وزُغْبُها بعُسفانَ ثارٍ منهُمُ وطليحُ
تحنُّ إليهِم كُلّما ذرَّ شارقٌ وتسجَعُ في جُنْحِ الدُّجا وتنُوحُ
إذا ذكرتْهُمْ هيَّجتْ ذا بَلابلٍ وكادتْ بمكْتومِ الغَرامِ تبوحُ
بأبْرح مِن وجْدي بِذِكْراكُمُ متى تألّق برقٌ أو تنسّمَ ريحُ

وقال ابن الزيات :

سماعًا يا عِبادَ اللّهِ منّي وكُفُّوا عَن مُلاحظةِ المِلاحِ
فإنَّ الحُبَّ آخِرهُ المَنايا وآخِرهُ يُهَيِّجُ بالمُزاحِ(28م)
وقالوا : دعْ مُراقَبَةَ الثُّريّا ونَمْ فاللّيلُ مُسودُّ الجناحِ
فقلتُ : وهل أفَاقَ القلبَ حتّى أُفرّق بين ليليَ والصّباحِ ؟

وقال مؤيّد الدين الموصلي :

يا قالة الشّعر قد نصحْتُ لكُم ولستُ أدهَى إلاّ مِنَ النُّصْحِ
قد ذهب الدّهْر بالكرَامِ وفي ذاكَ أمورٌ طويلةُ الشّرْحِ
وأنتُمُ تمدحونَ بالحُسْنِ والظّرَفِ وجوهًا في غايةِ القُبْحِ
وتَطلبونَ السّماحَ من رجُلٍ قَد طُبعتْ نفسُه على الشُّحِّ

28م) لعل الأصل : «وأوله يهيج بالمزاح».

مِـنْ هاهُـنـا تُحرمون كدَّكُـمُ لأنَّكُـم تكْذبـون في المَـدْحِ
صونوا القـوافي فمـا أرى أحـدًا يعثُـرُ فيه الرَّجـاءُ بالنـجْحِ
فإن شككتُم فيمـا أقـولُ لكُـم فكذِّبـوني بواحِـدٍ سمْحِ !

ونحو هذا البيت في المعنى ما حُكي أنَّ بعض ظرفاء السؤال مرَّ بقوم يأكلون، فقال لهم : يا بخلاء ! فأنكروا عليه . فلمَّا سمع إنكارهم قال لهم : كذّبوني بلقمة !

وقال ابن ميادة :

فنظرْنَ من خِلل الحِجالِ بأعْيُنٍ مَرْضَى يُخالطُها السَّقامُ صحَاحِ
وأرشْن حين أرَدن أن يَرْمِينَنِي نبْلاً بلا ريشٍ ولاَ بِقَـداحِ

وقال آخر يخاطب النَّاس :

تبعْتُـمُ السَّابِحَ فِي لُـجِّهِ ورُعْتُمُ في الجوِّ ذاتَ الجَناحْ
هذا وأنتُـم غرضٌ لِلـرَّدَى فكيفَ لَوْ خُلِّدتُمُ يا قِبَاحْ ؟

وقال ابن السَّاعاتي :

وكَم لي فيكَ من عَذْراءَ زُفَّتْ لفهـمكَ في غُـدوٍّ أو رواحِ
من الغِيدِ الحسانِ بِلاَ شبيهٍ فكيفَ يفوتُـها حظُّ القباحِ ؟

وقال الآخـــر :

وإذا الفتى من دهْرِهِ كمُلَت له خمْسون وهْوُ إلى التُّقى لم يجْنَحِ
طلعت عليه المُخْزياتُ وقُلْنَ قَد أرضيتَنا فكذاك كُنْ لا تبْرحِ !
وإذا رأى إبْليسُ صورتَهُ بَدَتْ حيَّى وقال : فُديتَ مَنْ لَمْ يُفْلِحِ !

ومثله قول التهامي :

إذا بلغ الفتى عشرين عامًا وأعْجزهُ الفخارُ فَلا اعْتِذَارُ
إذا ما أوَّلُ الْخَطِّيِّ اعطى فما يُرجَى لآخِرِهِ انْتِظَارُ

وقول الآخـر :

وصهْباءَ جُرجانيَّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم تنغَرْ بِها ساعةً قِدْرُ
أتاني بها يحيى وقد نِمْتُ نومةً وقد غابتِ الشِّعْرى وقد طلع النَّسرُ
فقلت اغْتبقْها أو لغيريَ فاسقِها فما أنا بعد الشَّيب ويْحَك والخمْرُ
إذا المرءُ وافى الأربعين ولم يكُن له دون ما يأتي حياءٌ ولا سترُ

فدعْه ولا تنفَسْ عليه الَّذي ارتَأى ولَو جرَّ أسْبابَ الحياةِ له الدَّهْرُ !

وقال الآخـــر :

وقالوا : في الهِجاء عليكَ إثْمٌ، وليس الاثْمُ إلاَّ في المَديحِ
لأنِّيَ إن مَدحتُ مَدحتُ كِذْبًا وأهْجو حين أهْجو بالصَّحيحِ

وقال الآخـــر :

قالوا : تعشَّقْتها عمْياءَ قلتُ لهم : ما شَانَها ذاك في عيني ولا قَدَحا
بلْ زاد وجدي فيها أنَّها أبدًا لا تَعرف الشَّيب في فَوْدِي إذا وضَحا
إنْ يجْرحِ السَّيفُ مسلولاً فلا عجبٌ وإنَّما العُجبُ سيفٌ مُغْمَدٌ جرحا
كأنَّما هي بُستانٌ خَلوتُ بِه ونامَ حارسُهُ سكْرانَ قَد طَفَحا
تفتَّح الوردُ فيهِ مِن كمائِمِه والنَّرجِسُ الغضُّ فيه بَعْدُما انفتَحا

ومثله قول ابن سَناء المُلْك :

فتنتْني مكْفوفةٌ ناظِراهَا كَتَبَالي من الجِراحِ أمَانَا
فهْي لم تسلُلِ الجفونَ حُساما لا ولم تحْمِلِ الفتورَ سِنانَا
وهْي بكْرُ العينينِ مُحْصَنَةُ الأجفان ما افْتضَّ مِيلُها الأجْفَانَا
قصرَت عشْقَها عليَّ فلَم تَعْـ ـشَقْ فُلانًا إذ لم تُعايِنْ فُلانا
عَمِيَتْ من هَوايَ وارتَحَل الانسَـ ـنُ من عينِها وأخْلى المَكانَا
عَلِمَتْ غيرَتي عليها فَخَافَتْ. أن تُسمِّي غَيْري لَهَا إنْسَانَا

وقال ابن قاضي ميلة :

وكيف لا تُدركُه نَشْوةٌ واللَّحْظُ راحٌ وجنى الرِّيق راحْ ؟
لو لم تكُن ريقَتُهُ خَمْرَةً لما تثنَّى عِطْفُهُ وهْوَ صَاحْ

وقال ابن نباتة السعدي :

وغايةُ هذهِ الدُّنْيَا فَسَادٌ فكيفَ نَكونُ منْها في صَلاَحِ ؟
هِيَ الخَرقاءُ تنقُضُ بَعْدَ نسجٍ فما فيها لِحَيٍّ من فَلاحِ

وسيأتي هذا المعنى مستوفى في الحكم، إن شاء الله تعالى .

وقال الآخر ـ وكان أبو بكر بن دريد يتمثَّل به كثيرا ـ أو هو قائله :

فواحزَنَا إنَّ الحياةَ لذيذَةٌ ولا عَمَلٌ يَرْضَى به اللهُ صالحُ

وقلت أنا :

تصبَّرْ إن أصابَكَ نَبْلُ عَوْضٍ ... وضاقَ عليكَ مُتَّسَعُ البَراحِ
فإنَّ الدَّهْرَ ليسَ بذي اصْطبارٍ ... عليك بلِ التَّحوُّلِ والبَراحِ
وإنَّ الخطْبَ أسْرعُ من ذِئابٍ ... بمُنسجمٍ يسيلُ إلى سَراحِي
وما أمرٌ يضيقُ عليكَ إلاَّ ... بآخرةٍ يَصيرُ إلى سَراحِ
فكم أمْسَيْتَ ذا حُزْنٍ وأصبحْت ... تُصْبَحُ مِسْرُورِ كُؤوسَ راحِ !

العَوْضُ : الدَّهْرُ، كما قال الحماسي :

ولَوْلا نَبْلُ عَوْضٍ في ... خُضُمَّاتِي وأوْصَالِي
لَطَاعَنْتُ صُدُورَ الخَيْلِ ... طَعْنًا لَيْسَ بِالآلِي

والبَراحُ : المُتَّسَعُ من الأرض، لا زرع فيها ولا شجر ؛ والبراح في البيت الثاني : الزَّوال، مصدر بَرحَ مكانَه، أي زال عنه ؛ والذِّئابُ مسيل ما بين التلعتين ؛ والسِّرَاحِي - بالياء، كالثماني - جمع سِرْحَان وهو هنا وسَط الحَوْض ؛ والسَّرَاح في البيت بعده الانسراح والانفراج ؛ وتُصَبِّحُ تَسْقِي، تقول : صَبَّحْتُ زَيْدًا إذا سَقَيْتَهُ الصَّبُوح، فهو مصبوح ؛ وقولي مِسْرُورِ أي مِنَ السُّرُورِ، فحُذفت نون مِنْ وهو جائز فصيح .

ولنكتف بهذا القدر، واللَّه يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل .

بـــابُ الخـــاء المُـعْـجَـمَـة

خُـبَـأَةٌ خَـيْـرٌ مِـنْ يَـفَـعَـةِ سُـوءٍ .

الخَـبْـأُ السِّـتْـرُ، تقول : خَـبَـأْتُ الشيء خَـبْـأً وخَـبِـيئَـةً إذا سَـتَـرْتَه ؛ والخُـبَـأة ـ على مثال هُـمَـزَة ـ المرأة تلازم بيتها . وفي الصحاح : الخبأة المرأة تطلع ثمَّ تختبىء . واليفع التَّلُّ والمرتـَفَـع من الأرض ووصفٌ للغُلاَم . يقال : غُلاَم يَـفَـع ـ بفتحتيْـن ـ ويَـفَـعَـة .

والمعنى أنَّ بنتًا تلزم بيتها تخبأ فيه خَـيْـرٌ من غلام يَـفَـعة لا خير فيه، وهو واضح. والمسوِّغ للابتداء بالنكرة، في هذا وما يشبهه، نحو تَـمْـرةٌ خيرٌ مِـنْ جَـرادَة، القصد إلى العموم، ذكره ابن مالك في شرحه على التسهيل . وهو أحسن من التعبير بأنَّ المسوغ كونه مثلا، إذ لا يكون مثلا إلاَّ بعد حين . وهو مفتقر أوَّل وهلة إلى المسوِّغ، مع أنَّ كونه مثلاً وإن حصل ابتداءً لا يناسب أن يكون مسوِّغا بوجه كما لا يخفى، إذ التسويغ [إنَّما] هو بالتخصيص أو التعميم المُـخْـرِج للقضية عن الاهمال المحض لفظًا ومعنًى . نعم، المعنى قد يفهم بقرائن، وإن لم يكن ثَـمَّ مُـسَـوِّغٌ ظاهر فيكفي ذلك، ويمكن أن يدعى أنَّ هذا المثل ونحوه من ذلك . مع أنَّه في مثلنا يدعى أنَّ المسوغ كونُ المُبتدَإ وصفًا لمحذوف هو المبتدا حقيقة . فإنَّ المعنى امرأةٌ خَـبْـأة خَـيْـرٌ من غُلام يَـفَـعة . وفي المسألة كلام، وليس من غرضنا ولا هذا محلّه .

خَـبَـطَ خَـبْـطَ عَـشْـوَاء .

الخَـبْـطُ : الضَّـرْبُ، يقال : خَـبَـطَ البعيرُ الأرضَ إذا ضَـرَبَـها بِـرِجله . والعَـشَـى ـ بالقصر ـ سُوءُ البَـصَـر بالليل . يقال : عَـشِـيَ ـ بالكسر ـ يَـعْـشَـى، وعَـشَـى أيضا عَـشًى فهو أعْـشَـى وهي عَـشْـوَاء . والعشواء في المثل الناقة الضعيفة البَـصَـر والتي لا

تبصر أمامها، وهي تضرب وتخبط بيديها كل شيء، فيضرب بها المثل . ويقال : خبط فلان هذا الأمر خَبْطَ عَشْواء، وذلك إذا دخل فيه بغير بصيرة، وهو ظاهر .

خِبِقَّة خِبِقَّة، تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّة !

الخِبَقُّ ـ على مثال هِجَفّ، وعلى مثال فِلِزّ ـ الطويل من الرجال والخيل . وقيل : الخِبَقُّ من الخيل : السَّريع ؛ والخِبَقُ أيضا الرجلُ الوثَّاب . وهكذا وقع هذا الكلام في **القاموس** . والذي في **الصحاح** : **حُزُقَّة" حُزُقَّة تَرَقّ عَيْنَ بَقَّة** . والحُزُقَّةُ الرجلُ القصير، أو الذي يقارب الخطو لضعف بدنه . يقال : رجل حُزُقّ ـ على مثال عُتُلّ ـ ورجل حُزُقَّة . قال الشاعر في الأوّل :

حُزُقٌّ إذا ما القَومُ ابْدوا فُكاهةً تفكَّر آيَاهُ يعنُونَ أم قِردا[1]

وقال امرؤ القيس في الثاني :

وأعْجبني مشْيُ الحزُقَّة خالدٍ كمشي أتانٍ حُلِّئت في المناهِلِ

حُلِّئتْ : مُنعَت وطُردت ؛ والتَّرقّي : الصُّعُود ؛ والبقّ : البعوض أو أعظمها . قال ذو الرّمَّة يذكر خيلا :

قياماً تَذودُ البقَّ عن نُخَراتها بنهزٍ كإيماء الرُّؤوس المَوانِعِ

النُّخَرات ـ بالنون والخاء المعجمة ـ مخارجُ النَّفَسِ من الأنُوف ؛ ونَهَزَتِ الدّابةُ بِرأسها إذا ذبَّت به .

ورُوِي في الحديث أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم كان يُرقِّص أحد سِبْطيْه فيقول : **حُزُقَّة حُزُقَّة تَرقَّ عَيْنَ بَقَّة** ! فجعله حُزُقّةً لِصِغَرِه وقوله : تَرقّ، أي اصْعَدْ في النَّماء . ويقال أيضا : رجل حِبِقَّةٌ ـ بالحاء المهملة وبكسرتيْن، مشدَّدة القاف ـ أي قصير . ورجل حُبَقٌ ـ على مثال صُرَد ـ أي ضعيف العقل . وكذا امرأةٌ حُبَقَة . قال الراجز :

حُبَقَةٌ يَتبعُها شيخٌ حُبَقْ وإن يُوفِّقها لخَيرٍ لا تَفِقْ

---

1) البيت لرجل من بني كلاب، وقبله :

ولَيْسَ بِحَوَّازٍ لاحْلاسِ رحْلِه ومزوده كيْسًا من الرأي أو زُهْدا

أخْدَعُ مِنْ ضَبٍّ .

الخَدْع : الخَتْل . يقال : خَدَعَه خَدْعًا إذا خَتَلَه وأراد به المكروه من حيث لا يشعر، واخْتَدَعُه أيضا اخْتِدَاعًا، فانْخَدَع هو ؛ والاسم الخَديعَة . والضَّبّ تقدَّم ما فيه، وهو يوصف بالخديعة والمكر . قال الشاعر :

وأخْدعُ من ضبٍّ إذا جاءَ حارشٌ أعدَّ له عندَ الذُّنابةِ عقربا[2]

وإنَّما قال ذلك لأنَّهم يزعمون أنَّ بين الضَّبّ والعقرب أُلْفَة، فتأوي إلى جُحره، فمن مدَّ إليه يده لسعته.

قال المبرّد في **الكامل** : العرب تزعم أنَّه ليس من ضبّ إلاَّ في جحره عقرب . فهو لا يأكل ولد العقرب، وهي لا تضربه، فهي مسالمة له وهو مسالم لها . وأنشد البيت السابق .

مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاعَ .

الاخْرِنْبَاقُ : انْقِمَاعُ الرجل المريب، واللّصوق بالأرض، والسكوت والاطراق ؛ والانْبِيَاعُ : سَيَلان العَرَق . يقال : انباع العَرَق إذا سَالَ، ويقال : انباعت الحَيَّة إذا بسطت نفسها بعد تَحَوِّيها لتساور.

ومعنى مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاعَ : مُطْرِقٌ وسَاكِتٌ لِيَثِب إذا أصاب فرصة . والمعنى أنَّه سَاكِت لِداهية يريدها . يُضرب في الرجل يطيل الصَّمت حتَّى يُحسب مغفلا وهو ذو نكراء . والمُخْرَنْبِقُ : اللاَّصق بالأرض لينباع ليثب . أو المُخْرَنْبَقُ : السَّاكت على ريبة لينباع ليظهر ما طواه من الشرّ . والمقصد واحد . ويُروى : مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاقَ، ومعناه لِيَنْدَفِعَ . وقيل ليأتي بالبائقة، أي الدَّاهية . ويُروى لِيَنْبَاغَ - بالمعجمة - أي ليتحرَّك بالشرّ الذي في طيّه، فيظهره كأنَّه من تَبَوَّغَ الدَّمُ بمعنى هَاجَ، أو من تَبَوَّغَ زيدٌ إذا غلب .

وفي معنى هذا المثل قول النابغة الذبياني :

لقَد نَهَيْتُ بني ذُبيانَ عن أقُرٍ وعَن ترفُّعِهِمْ في كُلِّ أصْفار

وقلت : يا قوم إنَّ اللَّيث مُنقبضٌ على براثِينِه لوثْبَةِ الضَّارِي

2) في د : « الذيابة » بدل « الذنابة ».

قوله : عَن أَقُرٍ هو موضع . وقوله : في كُلِّ أصفار هو جمع صَفَر ـ بالتَّحريك ـ اسم الشهر ، وكان صَفَر يومئذ في زمن الربيع ، وقيل غير ذلك . وأراد باللَّيث النعمان بن الحارث الأكبر الغسَّاني أو أخاه عمرو بن الحارث . وقوله : لِوَثْبَة الضَّارِي ـ بالاضافة ـ أي لِوَثْبَة الأسَد الضَّاري . ويُروى لِلْوَثْبَةِ الضَّار، فيكون الضَّارِي وصفًا للَّيث .

ومثل ذلك أيضا قول ابن الرومي :

سكتّ سُكوتًا كان رهنًا بوثْبةٍ عُمُوسٍ كذاكَ اللَّيثُ للوثبِ يلْبَدُ

وستأتي أمثال من هذا المعنى كثيرة، وتقدَّم بعضها .

تَخَرَّسِي يَا نَفْسُ لا مُخَرِّسَ لَكِ .

الخُرس ـ بالضمّ ـ طعام الولادة . قال الرَّاجز :

كلُّ طعامٍ تشْتَهي ربيعَهْ الخُرسُ والاعْذَارُ والنَّقِيعَهْ

والخُرسة ـ بالضمّ أيضا ـ طعام النُّفَاس نفسها . وتقول : خَرَّسْت على المرأة تَخْرِيسًا إذا أطْعَمْتَ في ولادتها، وتَخَرَّسَتْ هي اتَّخذت ذلك لنفسها، وخُرِّست جعل لها الخُرسة . قال الهُذَلي :

إذا النُّفساءُ لم تُخْرَّس ببكْرها غُلامًا ولم يُسكَتْ بحِترٍ فطيمُها

الحِتْرُ : الشيء القليل الحقير، أي لم يكن لهم شيء يُسكتون به الصبيَّ من الطعام ولو قليلا، لشدَّة المجاعة . وكانت امرأة ولدت ولم يكن لها من يهتمّ بأمره فقالت : تَخَرَّسِي يَا نَفْسُ لاَ مُخَرِّسَ لَكِ ! فذهب مثلا يُضرب عند اعتناء المرء بنفسه.

خَرْقَاءُ ذَاتُ نِيقَةٍ .

الخُرْق ـ بالضَّمّ ـ عدم الرِّفق في الأمور، وعدم إتقان الصنعة، والحمق . خَرُقَ الرجل ـ بالكسر والضَّمّ ـ فهو أخْرَق وهي خَرْقَاء . قال :

إذا كَوكَبُ الخرقَاءِ لاَحَ بِسحْرَةٍ سُهيلٌ أذاعتْ غَزْلَها في القرائِبِ

يريد أنَّ المرأة الخرقاء لا تشتغل بالغزل في الصيف، بل تتمادى على التسويف والتفريط، حتَّى إذا طلع سهيل ـ وذلك حين يقبل البرد ـ قامت إلى قرائبها ليُعِنَّها، وجعلت

تفرّق بينهنّ غزلها . فسمّى سهيلا بكوكب الخرقاء لهذه العلاقة . وذات بمعنى صاحبة . والنّيقةُ - بكسر الأوّل - اسم من التّنوّق . يقال : تنوّقَ الرجلُ في الشيء يتنوّقُ إذا تأنّق فيه، أي تخيّر.

والمعنى أنّها خرقاء، ومع ذلك تتأنّق . فيُضرب في الجاهل بالشيء يدّعي فيه المعرفة ويتخيّر في الارادة.

الخُرْقُ شُؤْمٌ .

تقدّم أنّ الخُرْق يكون عدم الرفق في الأمور بِتَناوُلِها على غير وجهها، مع عجلة وإفراط وتجاوز مقدار . والشُّؤْمُ - بضمّ الشين وسكون الهمزة - ضدّ اليُمْن .[3]

والمعنى أنّ من خَرِق في أمر فلا بدّ أن يعود عليه شؤمُه . وهذا الكلام يُروى حديثا مرفوعا إلى النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، وأنّه قال : **الرِّفْقُ يُمْنٌ والخُرْقُ شُؤْمٌ** . وقال أيضا صلّى اللّه عليه وسلّم : **إنّ اللّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأمْرِ كُلِّهِ** . وقال : **مَا كَانَ الرِّفْقُ في شَيْءٍ قَطُّ إلاّ زَانَهُ، ومَا كَانَ الخُرْقُ فِي شَيْءٍ إلاّ شَانَهُ** وقال : **يَا عَائِشَةُ، مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، ومَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ حُرِم حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ** . وقال صلّى اللّه عليه وسلّم : **إذا أحَبَّ اللّهُ تَعَالَى أهْلَ بَيْتٍ أدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ** . وقال صلّى اللّهُ عليه وسلّم : **إنّ اللّهَ تَعَالَى لَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الخُرْقِ . وإذَا أحَبَّ اللّهُ تَعَالَى عَبْدًا أعْطَاهُ الرِّفْقَ، وما مِنْ أهْلِ بَيْتٍ يُحْرَمُونَ الرِّفْقَ إلاّ قَدْ حُرِمُوا** . وقال صلّى اللّه عليه وسلّم : **إنّ اللّهَ تَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ويُعْطِي عَلَيْهِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ** . وقال صلّى اللّه عليه وسلّم : **يَا عَائِشَةُ ارْفَقِي فَإنّ اللّهَ تَعَالَى إذا أرادَ بِأهْلِ بَيْتٍ كَرَامَةً دلّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ** . وقال صلّى اللّه عليه وسلّم : **مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ كُلَّهُ** . وقال صلّى اللّه عليه وسلّم : **التَّأنّي مِنَ اللّهِ والعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ** . وقال

3) صحفت كلمة « اليمن » في ب، فكتبت « اليمنى ».

صلّى اللّه عليه وسلّم : **إنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، فَإنَّ المُنْبَتَّ لا أرْضًا قَطَعَ ولاَ ظَهْرًا أبْقَى.**

وما أحسن قول أبي الفضل [بن] النحوي في هذا :

والرِّفْقُ يَدُومُ لِصَاحِبِهِ والخُرْقُ يَصِيرُ إلَى الهَرَجِ

خَرْقَاءُ عَيَّابَةٌ .

العَيَّابَةُ : التي تعيب النَّاس كثيرا . وهذا مثل للأحمق وذي العيوب، يعيب غيره وينسى عيوبه . قال إسماعيل بن القاسم :

يامَن يعيبُ وعيْبُهُ مُتشعِّبٌ كم فيكَ من عيْبٍ وأنتَ تعيبُ !

لِلّهِ درُّكَ كيْفَ أنْتَ وغَايَةٌ يَدعوكَ ربُّكَ عنْدهَا فتُجيبُ ؟

وفي الحديث : طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ !

أخْرَقُ مِنْ حَمَامَةٍ .

الخُرقُ مرَّ، والحَمَامُ أيضا تقدَّم ما فيه، ووُصف بالخرق لأنَّ الحمامة تبيض على أعواد ولا تحكم عشَّها، فربَّما وقع بيضها فتكسَّر . وقد تأتي إلى غصن شجرة فتبني عليه عشَّها في الموضع الذي يحرّكه الريح، فلا يكاد يسلم بيضها . قال عبيد بن الأبرص :

عَيَّوْا بِأمْرِهِمُ كَمَا عَيَّتْ ببَيضَتها الحَمامَهْ

جعَلَت لها عوديْنِ مِنْ نَشمٍ وآخَر مِنْ ثُمَامَهْ

ويقال أيضا : أحْمَقُ مِنْ حَمَامَةٍ .

خَرْقَاءُ وجَدَتْ صُوفًا .

تقدَّم أنَّ الخرق يكون بمعنى عدم الاتقان ؛ والمرأة الخرقاء من هذا المعنى ضدّ الصَّناع ؛ والصُّوفُ معروف، البعض منه صُوفَة .

ومعنى المثل أنَّ المرأة غير الصَّناع إذا وجدت صوفا عاثت فيه وودَّرَتْهُ . يُضرب مثلا

للأحمق يجد مالاً فيضيعه ويتلفه، أو لمن يخرق في كل[4] ما وجده وتمكّن منه .
يُحكى أنّ الحسن رضي اللّه عنه لقي سابق الحاج وهو يسرع، فجعل [الحسن] يومىء إليه بأصبعه كفعل الغازلة ويقول : خَرْقَاءُ وجَدَتْ صُوفًا .
وهذا المثل كالمثل الآخر الآتي : عَبْدٌ وخَلَّى فِي يَدَيْهِ .

أخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ أبِي غُبْشَانَ .

الخَسَارَة ضدّ الرِّبْح . خَسِرَ الرجل ـ بالكسر ـ يَخْسَرُ خَسْرًا وخَسَارَةً : وأبُو غُبْشَانَ هو الخزاعي . وتقدّم هذا المثل وما كان من قصّته في حرف الحاء المهملة.

خَشٌّ ذُؤَالَة، بالحِبَالَةِ .

الخَشْيَة : الخَوْف، خَشِيَ ـ بالكسر ـ يَخْشَى خَشْيَةً ؛ وخَشَّيْتُهُ أنا تَخْشِيَةً : خَوَّفْتُهُ ؛ وخَشَّى فلانا تَخْشِيَةً : خَوَّفَهُ ؛ وذُؤَالَة ـ بذال معجمة، على مثال ثُمَامَة ـ الذئب، مأخوذ من الذَّأَلان، وهو مشية فيها إسراع أو خفة وميس . يقال : ذَأَلَ يَذْأَلُ ذَأَلاً وذَأَلانًا إذا مشى تلك المشية ؛ والحِبَالَةُ : التي يُصاد بها.
والمعنى : خوف الذئب بالحبالة . يُضرب عند الأمر بالتهديد والتبريق .

خَشْيَةٌ خَيْرٌ مِنْ مَلْء وَادٍ حُبًّا .

أي : أن تخاف أرفع لمقدارك وأسمى لجنابك من أن تُحَبَّ.
وهذا كقولهم : رَهَبُوتى، خَيْرٌ مِن رَحَمُوتَى ؛ وقول الغضبان بن القبعثري للحجّاج : أو فرق خير من حبين، وسيأتي .

أخْطَأتِ اسْتُكَ الحُفْرَةَ .

الخَطَأ ضدّ الصواب . يقال : أخْطَأَ يُخْطِىءُ إخْطَاءً فهو مُخْطِىءٌ ؛ ويقال

4) في ب : في كل عام ما وجده...

خَطِىءَ ـ بالكسر ـ يَخْطأُ إذا سلك سبيل الخَطَأ، عامداً أو غير عامد، فهو خاطىء . وقيل : الخاطىء هو المتعمّد ؛ والاسْتُ ـ بهمزة وصل ـ والسَّتَه : الدُّبُر أو حلقته ؛ والُحفرة ـ بضمّ الحاء ـ معروفة . وهذا المثل يُضرب لِمَنْ يحيد عن الصَّواب في مقصده، ويضع الشيء في غير موضعه . ومعناه ظاهر .

أخْطَأُ مِنْ ذُبَابٍ .

الخَطَأ مرَّ، وكذا الذُّبَابُ، ووُصف بالخطإ لأنَّه يقع في الهلاك بنفسه : فقد يسقط في الماء الحارّ فيموت، أو في الشيء الذي يلتزق به ولا يتخلَّص منه.

أخْطَأُ مِن فَرَاشٍ .

الفَرَاش ـ بفتح الفاء، بوزن سَحاب ـ هو الذي يتهافت على السراج، واحده فَرَاشَة . ووصف بالخطإ أيضا كما ذكر في الذباب، لأنَّه يلقي نفسه على السراج والنَّار كلها فيحترق . وقال الشاعر:

جهالةُ سنَّورٍ وخَطْءُ فراشةٍ وإنَّك من كلبِ النَّهارشِ أجْهَلُ

وفي الحديث : **إنَّكُمْ تَتَهافَتُون في النَّار تَهافُتَ الفَراشِ وأنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ**، أو كما قال صلَّى اللَّه عليه وسلَّم .

وما أحسن قول بعض الأدباء :

لَهيبُ الخَدِّ حِينَ بَدَا لِطَرْفي هَوى قَلْبي عليهِ كَالفَرَاشِ
فأحْرقَه فَصَار عليْهِ خالاً وهَا أثَرُ الدُّخَانِ عَلَى الحَوَاشِي

وقول الآخر :

جلَّتْ محاسنُهُ عن كُلِّ تَشْبِيهِ وجلَّ عَن واصفٍ في الحُسْنِ يَحْكِيهِ
أنْظُرْ إلى حُسنِهِ واستَغْنِ عَن صِفَةٍ سُبحانَ خَالقِهِ سُبحانَ بَارِيهِ !
النَّرجسُ الغضُّ والوردُ الجنيُّ لَه والأقْحوانُ النَّضيرُ الضَّوْءِ في فيه
دعا بألحاظِهِ قلبي إلى عَطبِي فجَاءَهُ مُسرعًا طَوعًا يُلَبِّيهِ
مثْلَ الفراشَةِ تأتي إذ تَرى لهبًا إلى السِّراجِ فتُلقِي نفسها فيه

الخُنْفُسَاءُ إذا مُسَّتْ نَتَنَتْ .

الخُنْفَسَاءُ : الدُّوَيْبَّةُ السوداء المعروفة . يقال إنَّها خُنْفَسَاء وخُنْفُسٌ وخُنْفَسَةٌ، ونونها زائدة . والنَّتْنُ قبح الرَّائحة . يقال : نَتُنَ الشَّيء - بالضَّم - وأنْتَنَ، فهو مُنْتِنٌ . والخُنْفَسَاءُ معروفة بالنَّتَن، فيُضرب ذلك مثلا للرجل المشتمل على الخبث والعيب، وأنَّه يُترك ويُجتنب . والمعنى : لا تفتّش ما عنده فإنَّه يوذيك بنتن معائبه !

أخَفُّ حِلْمًا مِنْ بَعِيرٍ .

الخَفُّ ضدّ الثّقل . خَفَّ الشيءُ يَخفُّ خِفَّةً، فهو خَفِيفٌ . والقياس خَافٌّ - كَدَبَّ يَدِبُّ فهو دابٌّ - ولكن حملوا الخفَّة على ضدّها - وهو الثقل - خَفِيف، كما قالوا : ثَقيل . والحِلْم تقدَّم . والبَعِير معروف . وهذا كما قال الحماسي :

لَقَد عظُم البعيرُ بغَيرِ لُبٍّ ... فَلم يسْتغْنِ بالعِظم البَعِيرُ
يُصرِّفُهُ الصَّبيُّ بكُلِّ وجْهٍ ... ويحْبسُهُ على الخَسْفِ الجَرِيرُ

أخَفُّ حِلْمًا مِن عُصْفُورٍ .

الحِلْمُ مَرَّ، والعُصْفُورُ : الطَّائِرُ الصغير المعروف، وهو على أنواع كثيرة . والأنثى عُصْفُورَةٌ . قال الشاعر :

كعُصفورةٍ في كفِّ طفلٍ يسومُها ... حِياضَ المنايا وهْو يلهو ويلعَبُ

ويُضرب المثل في خفَّة الحلم بالعصفور، ولا خفاء بذلك . قال حسَّان بن ثابت، رضي اللَّه عنه :

لا بَاسَ بالقومِ من طولٍ ومن عِظَمٍ ... جِسْمُ البغال وأحْلامُ العَصافير !

وقال الآخر :

إن يسمعُوا سُبَّةً طاروا بها فرحًا ... عنِّي وما سمعوا من صالحٍ دَفَنُوا
مثلَ العصافير أحلامًا ومقْدرةً ... لو يوزنونَ بِزِفِّ الرِّيش ما وَزَنُوا

أخفُّ رأسًا مِنْ ذِئبٍ .

الذِّئْبُ معروف، ويُوصف بخفَّة الرأس - ويعنون في النوم - لما يزعمون من أنَّه لا ينام إلاَّ بإحدى مقلتيْه، كما قيل :

يَنامُ بإحْدَى مُقْلتَيْهِ ويتَّقِي بأُخْرى المَنايا فهْوَ يقْظان هَاجِعُ

وقالوا أيضا : **أخَفُّ رأسًا مِنَ الذِّبَابِ ومِنَ الطَّائِرِ** .

أخَفُّ مِنْ لاَ عَلَى اللِّسَانِ .

الخِفَّةُ مرَّت، ولاَ : حرف نفي، وهي خفيفة على اللسان . فيُضرب المثل بذلك في الخفَّة، وهو يحتمل أن تكون الخفَّة من جهة اللفظ لقلَّته وهو ظاهر، أو من جهة المعنى لملائمه الانكار للطبع غالبا، وخفَّة التبرّي والتنصّل على النفس في أكثر الأمور، أو منهما معًا . ويقال أيضا : **كَلاَ ولاَ**، في التعبير عن السرعة والخفَّة . قال :

يكونُ نُزولُ القَومِ فيها كَلاَ ولاَ غَشاشًا ولا يُدنونَ رحْلاً إلى رحْلِ

غَشاشا : أي على عَجَل . وقال الآخر :

وأروَعَ أهْداهُ لِيَ اللَّيلُ والفَلا وحَسٌّ بمسٍّ الأرضِ لكنْ كَلاَ ولاَ

أخَفُّ مِنْ يَرَاعَةٍ .

اليَراعَةُ - بفتح الياء المثنَّاة من تحت، ثمَّ راء، ثمَّ ألف، ثمَّ عين مهملة - واحد اليَرَاع، وهو يُطلق على القصب وعلى طائر يطير بالليل كأنَّه نار . وهو في هذا المثل يجوز أن يراد به القصبة وأن يراد به الطائر .

والمعنى الأوَّل هو مراد البلغاء والأدباء عند وصف أحد بالكتابة . وقولهم مثلا : إنَّ فلانا من أرباب اليراعة، وفرسان اليراعة، وهذا في الشعر والنثر لا يُحصى.

تَخَلَّصَتْ قَائِبَةٌ مِنْ قُوبٍ .

التَّخَلُّصُ : النَّجَاةُ . خَلَّصْتَ الرَّجل تَخْلِيصًا، فتَخَلَّصَ هو : نَجَا ؛ والقَابِيَةُ : البَيْضَةُ ؛ والقُوبُ : الفَرْخُ ؛ وأمَّا بالفتح فمصدر . يقال : قَابَ

الطَّائِرُ بَيْضَتَهُ إذا فلَقَها، قَوْبًا، فانْقَابَتْ هي وتَقَوَّبَتْ .
ومعنى تَخَلَّصَتْ قَابِيَةٌ مِنْ قُوبٍ ـ على هذا ـ : تخلَّصت البيضة من الفرخ . يُضرب لمَنْ انفصل من صاحبه . وعليه، ففي المثل قلب، لأنَّ الذي يتخلَّص هو الفرخ لا البيضة ؛ غير أنَّه يصحّ إسناده إلى البيضة باعتبار، كما تقول : تخلَّصت الحامل من ذي بطنها . وقيل إنَّ القائِبة الفرخ، والقوب البيضة ؛ وعليه فلا قلب، والأوَّل أنسب.
ولفظ المثل عند الجوهري : بَرِئَتْ قَائِبَةٌ مِنْ قُوبٍ . وهذا اللفظ لا يكون [سعه قلبك] على كلا التفسيريْن، لأنَّ نسبة البراءة إليهما معًا صحيحة .
وحُكي أنَّ أعرابيًا استخفر أحدًا فقال له : إذا بلغتُ بك مكان كذا فبرئت قائِبةٌ من قُوب، أي فقد تخلَّصتُ من خُفَارتك .

اخْتَلَطَ الحَابِلُ بِالنَّابِلِ .

الاخْتِلاَطُ معروف ؛ والحَابِلُ الذي يصيد الصيد بالحبالة ؛ والنَّابِلُ الذي يصيده بالنَّبْل، فيُضرب ذلك في اختلاط الرأي، ويقال الحابل هنا هو السَّدَى والنابل الطُّعْمَة. وهذا كما مرَّ في قولهم : حَوَّلَ حَابِلَهُ عَلَى نَابِلِهِ .

اخْتَلَطَ الخَاثِرُ بِالزُّبَّادِ .

هذا المثل كالذي قبله . والخَاثِرُ ضدّ الرَّقِيقِ . يقال : خَثُرَ اللبن ـ بالضمّ والكسر ـ فهو خَاثِرٌ . والزُّبَّادُ ـ على مثال رُمَّان ـ نبت، والزُّبَّادُ أيضا من اللَّبن ما لا خير فيه . فكأنَّ المعنى أنَّه اختلط الجيّد بالرَّديء، والصحيح بالسقيم.
وقال البكري في **شرح الأمثال** : الزُّبَّادُ نبت كانوا يضعون ورقه على ظروف اللبن . و يقال أيضا : زَبَدتِ المرأةُ الصُّوفَ والشعرَ إذا نَفَشَتْه . فيحتمل أن يريد في المثل أنَّ خاثر اللبن اختلط بمنفوش الصوف، فلا يؤكل . انتهى. وما ذكرناه أوَّلاً أظهر، واللَّه أعلم .

خَلْعُ الدِّرْعِ بِيَدِ الزَّوْجِ .

هذا مثل يضرب عند الخطإ في وضع الأشياء غير موضعها، وتقدَّمت قصَّته ومَنْ قاله في حرف الجيم، عند قولهم : التَّجْرِيدُ لِغَيْرِ نِكَاحٍ مُثْلَةٌ، فانظره هنالك .

أخْلَفُ مِنْ صَقْرٍ .

يقال : خَلَفَ فَمُ الصَّائم - بفتح اللاّم - يَخْلُفُ خُلُوفًا وخُلُوفةً - بضمّهما ؛ وأخلف إذا تغيَّرت رائحته . ومنه : نَوْمَةُ الضُّحَى مَخْلَفَةٌ لِلْفَمِ .
وفي الحديث أيضا : لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللّه مِنْ ريحِ المسْكِ.
والصَّقْرُ : الطائر المعروف، وتقدَّم . ضربوا المثل بخُبْث رائحة فمه .

أخْلَفُ مِنْ عُرْقُوبٍ .

أخْلَفُ اسم تفضيل، من الاخْلاف في الوعد . لكن المعروف فيه الرباعيّ . يقال : أخْلَفَنِي فلانٌ ما وعَدَنِي، وهو أن يقول شيئا ولا يفعله على الاستقبال . وقد يقال : أخلفه إذا وجد وعده خلفًا . قال الأعشى :

أثْوَى وقَصَّر ليلةً ليُزوَّدا فمضتْ وأخْلفَ من قُتيلَةَ مَوعِدا

أي مضت الليلة .
نعم، يجوز بناء اسم التفضيل من الرباعيّ على أفْعَل عند بعض المحقّقين، كأعطى .
وعرقوب رجل من العمالقة وعد أخاه تمرًا فأخلفه، وسيأتي . قال علقمة :

وقدْ وعدتْكَ موعدًا لو وفَتْ بِهِ مواعِيدَ عُرقوبٍ أخاهُ بيَثْرِبِ(4م)

وقال كعب بن زهير، رضي اللّه عنه :

كانت مواعيدُ عُرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلاّ الأباطِيلُ

وقلت أنا من قصيدة :

فسيَحْتَبيكَ بِوعْدٍ غَانِيةٍ أو وعْدِ عُرقوبٍ جَنَى التَّمْرِ

خَلِّهِ دَرَجَ الضَّبِّ !

التَّخْلِيَةُ : التَّركُ ؛ والدَّرَجُ - بفتحتيْن - الطريق ؛ والضَّبُّ معروف .
والمثل يضرب فى الأنَفَة من مصاحبة مَنْ يُرغب عن صحبته .
والمعنى : خَلِّهِ يذهبْ حيث شاء وقيل معناه الذهاب، كأنَّه قيل : يذهب ذهابَ

4م) سقط ما بين معقوفتين من د.

الضبّ !، أي خلّه كضلال الضبّ !، لأنّ الضبّ أسوأ الحيوان هداية، ولذلك يضرب به المثل فيقال . أضلُّ مِنْ ضَبٍّ. ويقال أيضا : خَلِّ دَرَجَ الضَّبِّ !، أي خَلِّ طريقَه لئلاّ يمرّ بين يديك فتنتفخ ! وهذا قريب في المعنى ممّا تقدّم من قولهم : الخُنْفَسَاءُ إذَا مُسَّتْ نَتَنَتْ، كما مرّ ذلك.

خَلِّ سَبِيلَ مَنْ وهَى سِقَاؤُهُ !

التَّخْلِيَة مرّت، وتقول : خَلَّيْتَ سَبِيل الرجل إذا تركتَه ولم تتعرّض له . ووَهَى السِّقَاءُ ـ بالفتح ـ يَهِي وهْيًا : تمزّقَ . والسِّقَاءُ ـ بالكسر والمدّ ـ القِربَة. قال الشاعر :

أقولُ لعَبْدِ اللّهِ لمّا سقَاؤُنَا، ونحنُ بوادي عبدِ شمسٍ، وَهَى: شِمِ!

أي أقول له، حين وهَى سِقَاؤُنَا ونحن بوادي عبد شمس : شِمِ البَرْقَ ! أي انظر إليه ! فشِمْ، في آخر البيت، فعل أمر، وهو معمول القول . وهذا المثل قد يُروى رجزًا فيقال :

خلِّ سَبِيلَ مَنْ وهَى سِقَاؤُهُ ومَن هُرِيقَ بالفَلاةِ مَاؤُهُ

يقال : أَرَقْتُ وَهَرَقْتُ ـ بقلب الهمزة هاءً ـ فأنا مُريقٌ ومُهَرِيقٌ ـ بفتح الهاء ـ وكان القياس حذف الهاء لأنّها في مكان همزة أفْعَل . وهي تُحذف في المضارع لكنّها، لمّا صارت هاء ذهب الثقل فبقيت . قال الشاعر :

فَظَلِلْتُ كالمُهرِيقِ فضْلةَ مائِهِ في ظِلِّ هاجرةٍ للَمْعِ سَرَابِ

وقد يقال : أهْرَقْتُهُ ـ بتسكين الهاء، والجمع بين الهمزة وبدلها ـ تناسيا للأصل، فأنا مُهْرِيقٌ ـ بالسكون أيضا . قال :

فَصِرتَ كمُهْرِيقِ الَّذي في سقائِهِ لرقْراق آل فَوقَ رابيةٍ صَلْدِ

والفَلاَةُ : القَفْرَةُ، والجمع فَلًى وفَلَواتٌ .

وهذا المثل كالذي قبله مضربا . وقد قيل إنّه يضرب في الرجل لا يستقيم في أمره، وانّه لا ينبغي أن يعاني . وقيل إنّه يضرب في اقتناء السرّ، بمعنى أنّه إذا باح صاحبك بسرّك ونضح به، كما ينضح هذا السقاء الواهي بالماء، فدَعْه عنك ولا تؤاخه ولا تصاحبه، فلا خير لك فيه ! وهذا مناسب لتشبيههم مَنْ لا يكتم السرّ بالغربال، كما قال الحطيئة :

أغْربالاً إذا استُودعْتَ سِرّاً وكانُونًا على المُتَحَدِّثينَا ؟

خَلاَؤُكَ أقْنَى لِحَيَائِكَ .

الخَلاَءُ - بفتح الخاء والمدّ - يطلق مصدراً من قولك : خَلاَ المكانُ وغيرُه، يَخْلُو خَلاَءً وخُلُوّاً . ومكان خَالٍ وخَلاَءٌ : لا أحدَ به . قال حسّان، رضي اللّه عنه :

عَفَتْ ذاتُ الأصابِعِ فالجِواءُ إلى عذْراءَ منْزلُها خَلاَءُ

وقد يُطلق على المُتَوَضَّأ، كما في الحديث، ويطلق على المكان القفر لا شيء به، وهو المراد . قال زهير :

فأمّا ما فُويْقَ العِقْدِ مِنْها فمِن أدْماءَ مَرتَعُها الخَلاَءُ

والحَيَاءُ - بالمدّ - معروف . وقَنِيَ الرجلُ الحياءَ وقَنَاه - بالكسر والفتح - وأقْناه واقْتَنَاه : لَزِمه وحفظه . قال عنترة :

قامَتْ تُخوِّفني الحُتوفَ كأنَّني أصْبحتُ عن غَرَضِ الحتوفِ بمعْزلِ[5]

فأجبتُها : إن المنيَّةَ منهلٌ لابُدَّ أن أُسقَى بكأسِ المنْهَلِ

فاقْنَيْ حَيَاءَكِ لاَ أبالَكِ واعْلمي أنِّي امرؤٌ سأموتُ إن لم أُقتلِ !

أي : الزمي حياءك واحفظيه ولا تضيّعيه ! وقال العطوي :

أيقْنَى جَميلَ الصَّبْرِ من هُدَّ ركنُه وهِيضَ جَناحَاهُ وجُدَّ الأنامِل ؟

ومعنى المثل أنّ منزلك، إذا خلوت به، هو ألزم وأحفظ لحيائِك

الخَلَّة، تَدْعُو إلى السَّلَّة .

الخَلَّةُ - بفتح الخاء - الحَاجَةُ والخَصَاصَةُ والفَقْرُ . قال :

رأى خلّتي من حَيْثُ يخْفَى مكانُها فكانَت قَذى عينَيهِ حتّى تجلّتِ !

ويقال للرجل إذا مات : اللّهمّ اخلُفْ على أهله بخَيْر واسْدُدْ خَلَّتَه ! أي فُرْجَتَه التي تركها . قال أوس بن حجر :

لهُلْكُ فُضالةَ لا تَسْتَوِي الفُقُودُ ولا خَلَّةُ الذّاهِب

5) يروى أيضًا : بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي...

يقول : إنّه كان سيّداً، فلمّا مات ترك ثُلْمَةً لم تُسَدّ . تقول : خَلَّ الرجلُ، وأَخِلَّ بِهِ - بالضمّ - إذا احتاج . ورجل مُخَلٌّ ومُخْتَلٌّ وخَلِيلٌ، أي فقير . قال زهير :

وإن أتاهُ خليلٌ يومَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ : لا غَائبٌ مالي ولا حَرِمُ

واخْتَلَّ إليه : احتاج . وفي كلام ابن مسعود : عَلَيْكُم بالعِلْم ! فإنّ أحَدَكُم لا يَدْري متى يُخْتَلُّ إلَيْه، أي متى يحتاج النّاس إلى ما عنده . وما أخَلَّكَ إلَيه، أي ما أحْوَجَك ! والأخَلُّ الأفْقَرُ . ويقولون : « الأخلُّ فالأخلّ، أي الأفقر فالأفقر ».

والسَّلَّةُ - بفتح السين - : السرقة . وكذا الاسْلاَل . ويقال : لي في بني فلان سَلَّة، أي سرقة. والمعنى أنّ الحاجة والخصاصة تدعو إلى السرقة وتُلجىء إليها، عياذاً باللّه تعالى!

وأمّا الخُلَّة - بضمّ الخاء - فهي الصداقة . والصديق أيضا للذكر والأنثى، رجل خُلَّةٌ لي وامرأة خُلَّةٌ . قال امرؤ القيس :

وكانَ لها في سالِفِ الدَّهْرِ خُلَّةٌ يُسارِقُ بالطَّرْفِ الخِبَاءَ المُستَّرَا

أي خليل . وقال الآخر :

ألا أبْلِغَا خُلَّتي جَابِراً بأنَّ خَليلَكَ لَمْ يُقْتَلِ !

وقال الآخر :

شبعْتُ من نومٍ وزَاحَتْ عِلَّتي وطَرَقَتنِي في المنامِ خُلَّتي

وما عَلِمتُ أنَّهَا أَلَمَّتِ حتَّى قَضتْ حاجَتَهَا وَوَلَّتِ

أي خليلتي .

خَلالَكِ الجوُّ فبيضِي واصْفِرِي !

الجَوُّ معروف ؛ وبَاضَتِ الدَّجاجة ونحوها، تَبِيضُ ؛ وصَفَرَ الطَّائر، يَصْفِر، صفيراً : صَوَّتَ .

وهذا المثل يضرب للأمر يقدر عليه الانسان متمكّنا . وأوّل من قاله كُلَيْب بن ربيعة التَّغْلِبِيّ الوائليّ في شعر له، وذلك أنّه كان له حِميً لا يقرب، فباضت فيه قبَّرة ؛ والقُبَّرَة - بضمّ القاف وفتح الباء المشدّدة - الطائر المعروف ؛ فأجارها وقال يخاطبها :

5م) يروى أيضًا :... يوم مَسْغَبَةٍ.

يَـــالَكِ من قُبَّـــرةٍ بمعمـرِ خَلالَكِ الجَوُّ فَبِيضِيَ واصْفِرِي !
ونَـقِّرِي مَا شِئْتِ أنْ تُنَـقِّرِي !

وذلك أنَّه إنَّما يصفر الطائر ويتغنَّى في الخصب . فدخلت ناقة البسوس الحمى، فوطئت بيض القبَّرة، فرمى كليب ضرعها، فقتل جساس كليبا، وهاجت من ذلك حرب البسوس بين بني وائل أربعين سنة . وفي ذلك يقول الشاعر :

كُليْبٌ لعَمرِي كان أكْثَرَ ناصرًا وأيْسَرَ جُرمًا منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
رمَى ضِرعَ نابٍ فاستمرَّ بِطَعْنَةٍ كحاشِيَةِ البُردِ اليماني المُسهمِ

وسيأتي تتمَّة هذا الحديث .

وقيل إنَّ أوَّل من قاله طرفةُ بن العبد، وذلك أنَّه قال لأمّه وهو غلام : إنّي أريد صيد القنابر، فابعثي أمتك مع البَهْمِ ! والقَنَابِرُ جمع قُنْبُرَة وهي القُبَّرَة، فقالت له أمّه : يا بنيَّ، إنَّ المضيع من وكَّل ماله وأضاع عياله . ثمَّ إنَّها أرسلت أمتها مع البهم . وخرج طرفة وصاحب له معهما فخّ، حتَّى أتيا مكانا كانا يعهدان به القنابر كثيرة . فنصب الفخَّ، وتنحَّيا غير بعيد . فجعلت قبَّرة تحوم حول الفخّ، ثمَّ نقرته فأخطأها . فأقبل طرفة نحو فخّه وهو يقول : قد يعثر الجواد، وتُمحِل البلاد، ويُنهَب التِّلاد، ويضعُف الجلاد، والفخّ قد يُعاد . ثمَّ نصب فخَّه، فوقعت القنابر حول الفخّ، وهي تحيد عنه وتلقط ما أصابت . فلمَّا طال ذلك به، ضجر وانتزع فخَّه وهو يقول :

قاتَلَكُـــنَّ اللَّه من قَنَابِـــرِ مُهْتديـــاتٍ بالفلاَ نَوافِـــرِ
ولاَ سُقِيتُنَّ مَعِينَ المَاطِرِ ولا رعَيْتُنَّ جَنُوبَ الحَاجِرِ !

وانصرف هو وصاحبه راجعيْن . ثمَّ التفت، فإذا القنابر قد سقطن بالموضع الذي نصب فيه فخَّه يلتقطن، فقال : يَا لَكِ مِنْ قُبَّرَةٍ... الأبيات المذكورة . فلمَّا أتى منزله، ورأته أمّه لم يصنع شيئا، قالت له : حدَّك اليوم حادّ، وصدَّك صادّ ! فقال لها طرفة :

ما كُنتُ محْدودًا إذا غَدَوْتُ وما رأيْتُ مِثْلَ ما لَقِيتُ
مِن طائِرٍ ظلَّ بِنَا يَحُوتُ يَنْصَبُّ في اللَّوْحِ فَمَا يَفُوتُ
يَكَادُ مِنْ رهْبَتِنَا يَمُوتُ !

فقالت أمّه : إنّي لأرجو أن تكون شاعرا، وأن تشبه خالك ! وحَاتَ، يَحُوتُ : أسْرَعَ .

ورد أنَّ ابن عبَّاس، رضي اللّه عنهما، تمثَّل بهذا المثل، وذلك حين خرج الحسين، رضي اللّه عنه، إلى العراق، فلقي ابن عبَّاس ابن الزبير، فقال له : خلالكِ الجو فبيضي واصفري . هذا حسين يخرج إلى العراق ويخلّي لك الحجاز !

خَامِرِي أُمَّ عَامِرِ !

خَامِرِي : معناه استتري وتغطي ، كأنَّه من التخمير وهو التغطية والسِّتر . ومنه الخمر والخمار ؛ وأُمُّ عَامِرِ : الضبع . قال :

ومَن يجُعَل المعروفَ من دونِ أهْله يُلاقِي الَّذي لاقى مُجيرُ امِّ عامِرِ

وسيأتي . وللضبع كُنًى كثيرة : يقال لها أُمُّ عَامِرِ ـ وأمُّ عَمْرٍو، وأمُّ الهِنْبر، وأمُّ خَنُّور ؛ ويقال لها أيضا : حَضَاجِرُ ـ بفتح الحاء ـ على وزن الجمع، وجَعَارِ، وجَيْأَل؛ ويقال لها المُوقَّفَة . قال معاوية بن زهير :

فدونكُمُ بني لأيٍ أخَاكُمْ ودونَكِ مَالكًا يا أُمَّ عَمْرِ

فَلولاَ مَشْهَدي قَامَتْ عَليهِ مُوَقَّفَةُ القَوائِمِ أمُّ أجْرِ !

أراد بكونها مُوَقَّفَةَ القوائم أنَّ في قوائمها الأوقَاف، وهي الخلاخل، جمع وقف، يعني السَّواد الذي في قوائمها . يقال : جارية مُوَقَّفَة : لبِست الوقْفَ . والأجْرِ جمع جِرْوٍ، وهي أولادها . ومثله قول الهُذَلي :

وغُودِرَ ثاوِيًا وتأوَّبَتْهُ موقفة أُمَيْمُ، لَهَا فَلِيلُ

ويقال لها عَرْفَاءُ والخَامِعَةُ ـ أي العَرْجَاءُ ـ قال الشنفرى :

ولي دونَكُم أهْلونَ : سيدٌ عملَّسٌ وأرقَطُ زُهْلولٌ وعرفَاءُ جَيْئَلُ

وقال الآخر :

يا لَهْفَ من عَرفاءَ ذاتِ فليلةٍ جاءتْ إليَّ على ثلاثٍ تخْمَعُ

وتظَلُّ تنشِطُني وتُلْحِمُ أجريًا وسَط العرينِ وليس حيٌّ يَدفَعُ !

لو كان سيْفي باليمين دفعْتُها عنِّي ولم أُوكَلْ وجَنْبي الأضْيَعُ

وقال عنترة :

إن يعْقِرا مُهْرِي فإنَّ أباهُمَا جَزَرٌ لِخَامِعَةٍ ونسرٍ قَشْعَمِ

6) عيّن في لسان العرب (مادة فل) اسم الشاعر . ساعدة بن جؤبة، ورواد هكذا :

وغُودر ثاويًا وتأوبتْهُ مُذرِّعةٌ، أميمُ، لها فليل.

ولذلك قال ابن المهلّب : الضَّبُعَةُ العَرجَاءُ، فلحن في قوله الضبُعة، إذ لا يقال كما مرَّ .

ويقال إنَّ الذي بها من العَرَج ليس عَرَجًا حقيقة، وإنَّما يتخيَّل كذلك للناظر من إفراط الرطوبة في أحد جانبيها . والضبع أحمق الحيوان، كما مرَّ ذلك في الحاء . وهي أفسقها أيضا وأشبقها . يزعمون أنَّها لا يمرّ بها حيوان من نوعها إلاَّ علاها، وأنَّها تقلب الميّت على قفاه وتستعمل كمرته، ولذلك يقال لها حين تصطاد : أبشري أمَّ عامر بجراد عضال، وكمر رجال ! يخدعونها بذلك . وقال الشاعر :

فَلو مات منهُمْ من جَرحْنا لأصبحَت ضباعٌ بأكنافِ الشَّريبِ عَرائِسَا

وقولهم في هذا المثل : خَامِرِي أمَّ عامرٍ، تقدَّم أنَّهم يقولونه للضبع عند الاصطياد يخدعونها به . فبقي مثلا للمغرور ومن عرف الدنيا وتَقَلُّبَها ونقضها ما أبرمت وسلْبَها ما وهَبَت، ثمَّ يسكن إليها مع ذلك ويغترُّ بها كما تغترُّ الضبع بقول القائل : خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ . وقال البهاء زهير يشير إليه :

يَا هَذِهِ لاَ تَغْلَطِي واللّهِ مالي فِيكِ خَاطِرْ
خَدَعُوكِ بالقَوْلِ المُحَا لِ فَصَحَّ أنَّكِ أُمُّ عَامِرْ

الخَنِق، يُخْرِجُ الوَرِق .

الخَنِقُ ـ بفتح الخاء وكسر النون، كالكَذِب ـ مصدر . يقال : خَنَقْتُهُ ـ بفتح النون ـ خَنْقًا، فهو خَنِقٌ أيضا وخنيق ومخنوق ؛ وخَنَقْتُهُ فَاخْتَنَقَ . والخِنَاقُ ـ بالكسر ـ الحبل يُختنق به ـ وبالضمّ ـ : داءٌ يمتنع معه نفوذ النَّفَس إلى الرئة والقلب . والوَرِقُ ـ بوزن كَتِف ـ : الدراهم المضروبة، ويقال لها الرِّقَةُ ـ بحذف الواو ـ على مثال عِدَة، والوَرَقُ ـ بفتحتيْن ـ والورْق ـ بسكون وتثليث الواو.

والمعنى أنَّك إذا اشتددت على الرجل وضيَّقت عليه، أعطاك . وهذا دأب الدنيء لا يسمح إلا رهبةً أو رغبة، كما قيل :

رأيتُك مثْل الجَوزِ يمْنَعُ لُبَّه صحيحًا ويُعْطي لُبَّهُ حين يُكسَرُ

خَيْرُ الأمُورِ أوْسَاطُهَا .

الخَيْرُ هنا اسم تفضيل . يقال : فلان أخْيَرُ من فلان . وتحذف الهمزة غالبا فيقال : هو خَيْرٌ منه . فإن أطلق تناول جميع أوصاف المدح، وإن قُيِّد بشي تقيَّد ؛ والأمُورُ جمع أمْرٍ وهو عامّ ؛ والأوسَاطُ جمع وسَط بمعنى متوسّط بين طرفيْن.

وهذا الكلام يُروى حديثا، وهو من جوامع كلمه التي أُعْطِيَها صلّى اللّه عليه وسلّم، وهو متناول لأمور من الديانات والأخلاق والآداب والسياسات والمعاشرات والمعاملات، تعجز عقول الخلق عن إحصائها . وقد صنّف ذوو البصائر من أهل العلم في تفاصيل ذلك دواوين . وهو بحر لا ساحل له، جمع له صلّى اللّه عليه وسلّم في جملة واحدة كما قال صلّى اللّه عليه وسلّم : **أُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، واخْتُصِرَ لِيَ الكَلَامُ اخْتِصَارًا.**

قال الجاحظ : ينبغي للرجل أن يكون سخيًّا لا يبلغ التبذير، حائطا لا يبلغ البخل، شجاعا لا يبلغ الهَوَجَ، محترسًا لا يبلغ الجُبْن، حَيِيًّا لا يبلغُ العجز، ماضيا لا يبلغ القِحَةَ، قوّالا لا يبلغ الهذَر، صموتا لا يبلغ العيَّ، حليما لا يبلغ الذُّلَّ، منتصرا لا يبلغ الظُّلم، وَقورًا لا يبلغ البلادة، نافذًا لا يبلغ الطيش . قال : ثمّ وجدت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم جمع ذلك في كلمة واحدة، وهي قوله عليه السلم : **خَيْرُ الأمُورِ أوْسَاطُهَا**

وما ذلك إلاّ لأنّه صلّى اللّه عليه وسلّم أُوتي جوامع الكلم . انتهى . وإلى هذا أشار بعض الشعراء بقوله :

عَلَيكَ بأوْسَاطِ الأمورِ فإنّهَا ... نجاةٌ ولا تركَبْ ذلولاً ولا صَعْبَا !

والآخر بقوله :

[لا تَذْهَبَنَّ في الأمُورِ فَرَطَا ... وكُن من النّاس جميعًا وسَطا !

والمعري في قوله][6] :

فإن كُنت تهْوى العَيش فابغ توسُّطًا ... فعنْد التّناهي يقْصُرُ المُتطاولُ

توقّى البُدورُ النّقْصَ وهْيَ أهلّةٌ ... ويُدركُها النُّقْصانُ وهي كَواملُ

6) سقط ما بين معقوفتين من د.

خَيْرُ العَشَاءِ سَوَافِرُهُ .

خَيْر : تقدَّم ؛ وتالعَشَاءُ ـ بالفتح والمدّ ـ طعام العشيّ . ولا يخرجه التأخير عن كونه عشاء، كما قال الحطيئة :

وآنيتُ العشاءَ إلى سُهَيْلٍ أو الشِّعْرى فطَالَ بيَ الأناءُ

وآنَيْتُهُ : جعلت أنَاه ـ أي وقته ـ ذلك الزمان المتأخّر . ويُروى : وأكْرَيْتُ العَشَاءَ... الخ، فَطَالَ بِيَ الكَرَاءُ، أي أخَّرت ؛ والسَّوافِرُ جمع سَافِرَة، يقال أسْفَرَتِ الشَّمسُ وسَفَرَتْ إذا أضَاءت، وسَفَرَتِ المرأةُ عن وجهها : كَشَفَتْ عنه . والمراد أنَّ خير العشاء ما أكل منه بضوء النهار، وكأنَّ اللقمة حينئذ تسفر للظلام عن وجهها.

وهذا المثل تكلَّم به الأصمعي للرشيد . ذكر بعض الأدباءِ عن أبي بكر بن شقير النحوي قال : دخلنا على محمَّد اليَزيديّ، وهو يتغدَّى فقال : يا أبا بكر، خير الغَداء بواكره، فما خير العشاء ؟ فقلت : لا أدري. فقال : دخلت على عبيد اللَّه بن سليمان، وهو يتغدَّى، فقال : خير الغَداء بواكره، فخير العشاء ماذا ؟ فقلت : لا أدري . فقال : دخلت على حسين الخادم، وهو يتغدَّى، فقال : يا أبا القاسم، خير الغَدَاء بواكره، فخير العشاء ماذا ؟ فقلت : لا أدري . فقال : كنت بحضرة الرشيد، وهو يتغدَّى، فدخل الأصمعي فقال : يا أصمعي، خير الغَدَاء بواكره، فخير العشاء ماذا ؟ فقال : بواصره، ومعناه ما يُبصر من الطعام . انتهى .

وزعموا أنَّ تأخير العشاء يورث ضعفا بالبصر . ومن ثمَّ قال أبو بكر بن دريد :

وأرَى العَشَا فِي العَيْنِ أكْثَرَ مَا يَكُونُ مِنَ العَشَاءِ

العَشَا الأوَّل ـ بألف مقصورة ـ وهو ضعف البصر، وبالمدّ الطعام . وقال كُشَاجِم :

وَنَدِيمٍ مُخَالِفٍ لاَ يَشَاءُ الَّذِي أَشَا
هُوَ فِي الصَّحْوِ لِي أَخٌ وَعَدُوٌّ إذَا انْتَشَا
اقْتَرَحْتُ العَشَاءَ يَوْمًا عَلَيْهِ فَأَدْهِشَا
سَاعَةً ثُمَّ قَالَ لِي : العَشَا يُورِثُ العَشَا !

وورد في بعض الأحاديث نهيًا عن ترك العشاء : **لا تَدَعُوا العَشَاءَ ولَوْ بِكَفٍّ مِن حَشَفٍ فإنَّ تَرْكَهُ مَهْرَمَةٌ.**

خَيْرُ العِلْمِ مَا حُوضِرَ بِهِ .

المُحَاضَرَةُ : المُذَاكَرَةُ . والمعنى أنَّ خير العلم ما حصَّل الانسان في صدره فوجده عند المحاضرة، وكان عدَّة له عند المذاكرة . ويقال حرفٌ في قلبك، خيرٌ من ألف في كتبك . ويقال : لا خير في علم لا تُعْبَرُ به الأودية، ولا تُعْمَرَ به الأندية . ويقال : حِفْظُ سطرين، خيرٌ من حِمْلِ وقْرَيْن، ومذاكرة اثنين، خيرٌ من هذين . وينسب للشافعي :

عِلْمِي مَعي حيثما مشَيْت يتبعُني ... وعاؤُه القلبُ لا بيتي وصُندوقِي
إن كُنت في البيت كان العلم فيهِ معي ... أو كُنت في السوق كان العلمُ في السوق

وقال آخـــر :

عليكَ بالحفْظ دون الكُتْب تجمعُها ... فإن للكـــتب آفـــاتٍ تُفرقُهـــا
الماءُ يُغرقها والنَّـــار تُحرقها ... والفارُ يَخرقُها واللِّصُّ يسرقُها

لكن قد يولع المرء بالحفظ حتَّى يفوته تصوّر المعاني، فيكون كالحمار يحمل أسفارا . ولذلك رُوِي في الخبر : همَّةُ السُّفهاء الرِّوَاية، وهمَّة العلماء الدِّراية . وقال ابن مسعود : كونوا للعلم وُعاة، ولا تكونوا له رُواة، فقد يُرْوَى ما لا يُدْرَى، ويُدْرَى مالا يُرْوَى . وحدَّث الحسن البصري بحديث . فقال له رجل : عمَّن ؟ فقال : وما تصنع بعمَّن ؟ قد نالتك عطيَّتُه، وقامت عليك حجَّتُه . وربَّما وَثِق بصدره ولم يقيِّد فيطرأ عليه النسيان ويضيع علمه،ولذلك ورد في الخبر : قيِّدُوا العِلْمَ بِالكِتَاب[7].

وورد أن رجلا شكا إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم كثرةالنسيان، فقال له اسْتَعْمِلْ يَدَكَ - أي اكْتُبْ ! ..

وشاع في أمثال النَّاس : يَنْسَى الرَّاس، ولا يَنْسَى الكُرَّاس .

خَيْرُ الغَدَاءِ بَوَاكِرُهُ .

الغَدَاءُ - بالفتح والمدّ والدَّال مهملة - ضدّ العَشاء، وتقدَّم هذا. والمراد أنَّ خير الغداء أيضا ما ابتُكر به . ولهذا علَّة وتحقيق يُذكر في الطبّ . ومنهم من رأى في الغداء

7) في ب : بِالكَتْب.

التأخير . ويُروى قول عليّ كرّم اللّه وجهه أو غيره من الحكماء : من أراد النّسَاءَ ولا نَسَاء فَلْيُكْرِ الغداء، ولْيُبَاكِرِ العَشاء، ولْيُخفِّفِ الرداء، وليقلّلْ غِشْيَانَ النِّسَاء . انتهى . قوله فلْيُكْرِ الغَداء : أي يُؤَخِّره، كما مرّ في بيت الحطيئة . وأراد بتخفيف الرداء أن يجنّب نفسه ثقل الدَّيْن : فإنّ همّ الدَّيْن يهرم، كما يقال : **لا همّ إلاّ همّ الدَّيْن، ولا وَجَعَ إلاّ وَجَعُ العَيْن.**

خَيْرُ الغِنَى القُنُوع، وشَرُّ الفَقْرِ الخُضُوع .

الغِنَى ـ بكسر الغين وألف مقصورة، بوزن رضَى ـ ضدّ الفقر . قال :

فتًى غيرُ محجوبِ الغِنى عن صَديقِهِ ولا مُظْهِرُ الشّكوى إذا النّعلُ زلّتِ

وقد يُمدّ للضرورة . قال :

سيُغْنيني الّذي أغناك عنّي فلا فقْرٌ يدومُ ولا غِنَاءُ

والقُنُوعُ : السُّؤالُ والتذلّل للمسؤول . وقد قَنَع الرجل ـ بالفتح ـ قنوعًا، فهو قانعٌ وقَنِيعٌ . قال :

لَمَالُ المرءِ يُصلحُه فيُغْنِي مفاقِرَهُ أخفُّ من القُنُوعِ

والمَفَاقِر جمع فَقْر ـ على غير قياس ـ، مثل مَذاكير لِذَكَرٍ، ومَحَاسِن لحُسْن، على ما في ذلك من الكلام عند النحويّين . ومنه قول النابغة :

فأهْلي فِدَاءٌ لامْرِىءٍ إن أتَيتُهُ تقبّلَ مَعْروفي وسَدَّ المَفاقِرَا

وقال عَديُّ بن زيد العِبادي :

وما خُنتُ ذا عهْد وأبْتُ بعهده ولم أحْرِمِ المُضْطرَّ إذ جاء قانِعا

أي سائلا . وفي كلامهم : **نَسألُ اللّهَ القَنَاعةَ، ونعوذُ به من القُنُوع .**

وقلت في هذه المادّة من قصيدة :

إنّ ذُلَّ القنوعِ ليس بشافِيه على المرءِ نَيْلُ أقصى الأماني

ومَنِ اعتزّ بالقناعةِ أمْسى في نعيمٍ وعِزّةٍ وأمانِ

وقد يكون القُنوع بمعنى القناعة، وهو الرضى بالقسم على الضدّ، وهذا هو المراد في المثل . قال الشاعر :

وقالوا قد ذهبتَ ففُلْتُ كلاّ ولكنّي أعَزّنِيَ القُنُوعُ

والقانع : الراضي . قال لبيد :

فمنهم سعيدٌ آخِذٌ بنصيبِهِ ومنهُم شَقِيٌّ بالمَعِيشَةِ قانِعُ

ويقال إنَّما سمّي السائل قانعا لأنَّه يرضى بما أعطي وإن كان قليلا . فيكون معني القنوع والقناعة واحداً أبدا ؛ غير أنَّ فعل القناعة هو بالكسر، يقال : قَنِعَ - بالكسر - يَقْنَعُ قَنَاعةً، فهو قَنِعٌ وقانِعٌ وقَنُوعٌ وقَنِيعٌ . والفَقْرُ - بفتح الفاء - الحَاجَةُ : والخضوع : التَّذلّل .

ومعنى المثل واضح، يُضرب في صيانة الحرّ نفسه عن خسيس المكاسب . وهو من كلام أوْسِ بن حارثة .

رُوِي أنَّه عاش دهراً وليس له إلاّ ابنه مالك . وكان لأخيه الخزرج خمسة أولاد : عمرو، وعوف، وجُشَم، والحارث، وكعب . فلمَّا احتضر أوس قال له قومه : كنَّا نأمرك بالتزوّج في شبابك، فلم تتزوَّج حتَّى حضرك الموت . فقال : الأوس : **لم يَهْلِكْ هَالِكٌ، تَرَكَ مِثْلَ مَالِكٍ** - يعني مالك بن أوس ولده - وإن كان الخزرج ذا عدد، وليس لمالك ولد . فلعلَّ الذي استخرج العَذَقَ من الجَرِيمَة، والنارَ من الوثِيمَة، أن يجعلَ لمالك نَسْلاً، ورجالاً بُسْلاً، يا مالكُ المنيَّة، ولا الدَّنِيَّة، والعتاب، قبل العقاب، والتجلّد، لا التبلّد ! وأعلم أنَّ القبر، خير من الفقر ؛ وشرُّ شاربٍ المُشْتَفّ، وأقبحُ طاعمٍ المُقْتَفّ؛ وذهاب البصر، خير من كثير من النظر ؛ ومن كرم الكريم، الدفاع عن الحريم ؛ ومن قلَّ ذلّ، ومن أمر فلّ . وخير الغنى القناعة، وشرّ الفقر الضراعة ؛ والدهر يومان : فيوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تَبْطِرْ، وإذا كان عليك فاصْبِر، فكلاهما سَيَنْحَسِر . فإنَّما تَعُزُّ مَن ترى، ويعُزُّك من لا ترى . ولو كان الموت يُشْتَرَى، لسلم منه أهل الدنيا، ولكنَّ الناس فيه مُسْتَوون : الشريفُ الأبلج، واللَّئيم المُعَلْهَج ؛ والموت المُفِيت، خيرٌ من أن يقال لك هَبِيت . وكيف بِسلامة، من ليست له إقامة ؟ وشرٌّ من المصيبة سوءُ الخلَف، وكلُّ مجموع إلى تلف . حيَّاك إلاهُك ! انتهى.

فنشر اللَّه من مالك بعدد بني الخزرج . والعذَق - بالفتح - النخلة نفسها، وبالكسر كباستها - كما مرَّ في الهمزة ؛ والجريمة النَّواة ؛ والوثيمة الموطوءة من الحجارة بحوافر الخيل ونحوها، من الوثم، وهو الكسر، كما قال عنترة :

خَطَّارةٌ غِبَّ السُّرى مَوَّارةٌ[8] تَطِسُ الاكامَ بِذَاتِ خُفٍّ مِيثَمِ

وهذا الكلام يحلف به العرب، يقولون : **لا، والذي أخْرَجَ العذق من الجَريمَة، والنَّارَ مِنَ الوَثِيمَة !** ومن أيمانهم أيضا : **لا، والذي شقَّهُنَّ خَمْسًا من واحد !** أي الأصابع ؛ **ولا، والذي أخْرجَ قابِيَةً مِن قُوب !** ـ أي فرخًا من بيضة ـ كما مرَّ ؛ و : **لا، والذي وجْهِي زَمَمَ بيته !** بفتحتيْن ـ أي تلقاءه وتجاهَه ؛ والبُسْل : الشجعان، واحدهم بَاسِل، والبسالة : الشجاعة ؛ والمشتفّ هو المستقصي ما في إنائه، ومنه حديث أمّ زرع : **إن شَرِبَ اشْتَفَّ** . والمقتفّ : الآخذ للشيء بعجلة ؛ وأمر الرجل : كثُر عدده ؛ وتعزّ : تغلب ؛ والمُعَلْهَج : المُتنَاهِي في الدناءة واللُّؤم، وقيل هو العريق فيه اللئيم بن اللئيم ؛ والهبيت : الأحمق الضعيف، ويقال له الجبان المخلوع القلب . وضدّه الثَّبِيتُ .

قال طرفة

فَالهَبِيتُ لاَ فُؤَادَ لَهُ والثَّبِيتُ قَلْبُهُ قِيَمُهُ[9]

ويُروى : فهمه قيمه.

وقد علمت أنَّ لفظ المثل في هذه الوصيَّة التي سردنا من كلام أوْس : خَيْرُ الغِنَى القَنَاعَةُ، وشَرُّ الفَقْرِ الضَّرَاعَةُ . ورواية المثل ـ على هذا الوجه ـ هو رأي من لا يرى أنَّ القنوع يكون بمعنى القناعة، وبذلك اعترض البكري على أبي عبيد في إيراده المثل على اللَّفظ السَّابق، وقد علمت ممَّا مرَّ أنَّه صحيح . ومثل هذا المثل قول الفَارِعَة بنتِ طريف ترثي أخاها :

فَتًى لا يُعِدُّ الزَّادَ إلاَّ مِنَ التُّقى ولا المالَ إلا منْ قَنَى وَسُيُوفِ

وقول الأبَيْرد اليَرْبُوعيّ : :

فتًى كان يُدنِيهِ الغِنى من صديقِهِ إذا ما هُوَ اسْتَغْنَى ويُبْعدُه الفقرُ

وقول إبراهيم بن العبَّاس الصُّولي :

أسدٌ ضارٍ إذا استنْجَدتَهُ وأبٌ بَرٌّ إذَا مَا قَدَرَا

يَعْرِفُ الأبْعَدَ إنْ أثْرَى ولاَ يَعْرِفُ الأدنَى إذَا مَا افْتَقَرَا

وقوله أيضا :

8) يروى أيضًا « زيَّافةٌ » بدل « موارة ».

9) كتب الشطر الآخر محرفًا في المخطوطات، في بعضها مثلا : « والثبت ثبته نقمه ».

ولكنَّ الجَـوادَ أبَـا هِشَـامٍ نَـقِـيُّ الجَيْبِ مَأمُونُ المَغِيبِ
بَـطِيٌّ عَنْكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنه وطلاَّعٌ عَلَيْكَ مَعَ الخُطُوبِ

وقول الآخـر :

إذا أعْطشَـتْكَ أكُـفُّ اللِّئَـامِ كَفَتْكَ القَنَاعَةُ شَبْعًا وريًّا
فَكُن رجُلاً رجْلُهُ في الثَّرَى وهَـامَةُ هِمَّـتِهِ في الثُّرَيَّـا
فإنَّ إرَاقَةَ مَـاءِ الحَيَـا ةِ دُونَ إراقَةِ مَاءِ المُحَيَّا !

وتقدَّم ما في ذكر القناعة من الشعر، وسيأتي أيضا كثير، إن شاء اللَّه تعالى !

ووصيَّة أوْس المذكورة مشتملة على أمثال عدَّة، وقد نبَّهنا على غريبها، والباقي واضح.

خَيْرُ ما رُدَّ فِي أهْلٍ ومَالٍ.

هذا يُستعمل في الدعاء بالخير للقادم من السفر . والمعنى : جعل اللَّه ما جئت به خير ما رجع به الغائب ! وقيل : المعنى أنَّ مجيئك بنفسك خير مارد في أهلك ومالك.

خَيْرُ المَالِ سِكَّةٌ مَأبُورة، ومُهْرَةٌ مَأمورة .

المَالُ معروف ؛ والسِّكَّةُ ـ بالكسر ـ : الحديدة التي تُضرب عليها الدَّراهم، والتي يُحرث بها . وتُطلق أيضا على السطر من الأشجار ؛ والمَأبُورَةُ : المُصْلَحَةُ، يقال : أبَرَ نَخْلَهُ، يأبُرُهُ، أبْرًا وإبَارًا وإبَارَةً ـ ككَتَبَ كَتْبًا وكِتَابًا وكِتَابَةً ؛ وأبَّرَهُ تَأبِيرًا : ألْقَحَهُ وأصْلَحَهُ ؛ وائْتَبَرَ الرجلُ : طَلَبَ غيره أن يَأبُر له . قال طرفة :

ولِيَ الأصْلُ الَّذي في مثْلِهِ يُصلِحُ الآبِرُ زَرْعَ المُؤتَبِر

وتَأبَّرتِ النَّخْلُ : قبلت الْإبار . قال الراجز :

تأبَّـرِي يا خَيـرةَ الفَسيلِ إذ ضنَّ أهْلُ النَّخْلِ بالفَحُولِ !

والمهرة معروف ؛ والمأمورة : الكثيرة النَّسل والنتاج . تقول : آمَرتُهُ ـ بالمدّ ـ : كثَّرتُهُ . فكان القياس أن يقال مُؤمَرَةٌ، كما تقول أعْمَرتُهَا فهي مُعْمَرَةٌ ؛ ولكنَّه قيل مَأمُورةٌ إتباعًا لمَأبُورَة، كما قيل **لا دريْتَ ولا تَلَيتَ** ـ أي تَلَوت، **وارجِعْنَ مَازُورات، غيرَ ما جُورَات** ـ أي مَوْزُورَات . على أنَّه قد يقال أمَرْتُهُ ـ كَنَصرْتُهُ ـ

فهو مَامُورٌ، أي كَثَّرتُهُ، وهو لُغَيَّةٌ . وقد قيل بذلك في قوله تَعَالَى : **وإذَا أَرَدْنَا أن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا أَيْ كثَّرنا** . ويقال : أمِرَ القومُ ـ بالكسر ـ أي كَثُروا . ومنه قول أوْس بن حارثة السَّابق : مَن أمِرَ فلَّ، وقول الآخر :

نَعُلُّهُمْ كُلَّمَا يبْنِي لهُم سلفٌ بالمشْرفيِّ ولولاَ ذاكَ قَد أمِرُوا

وقول أبي وجْزَة :

أمِرُونَ لا يرثونَ سَهْمَ القُعدُدِ

أي كثيرون، اسم فاعل أمِرَ . وقول الآخر :

أُمُّ جِوارٍ ضَنُوُهَا غَيْرُ أَمِرْ

أي نسلها . وقول الآخر :

والاثْمُ من شرٍّ ما يُصال به والبِرُّ كالغَيْثِ نَسْلُهُ أمِرُ

والسِّكَّة هنا أريد بها الأشجار . والمعنى أنَّ خير المال نخيل قمت عليه وأصلحته، أو فرس ولُود . وقيل : أريد بالسكة الحديدة التي يُحرث بها . ومعنى مأبورة : مُصْلَحة . والمعنى أنَّ خير المال الحرث والبطن . واعلم أنَّ هذا الكلام ذكره اللغويّون، وظاهر كلامهم أنَّه من كلام العرب . وفي **الصحاح** أنَّه حديث، واللَّه أعلم ! ورُوي في الحديث أيضا من هذا المعنى : **خَيْرُ المَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ** . ورُوي : **تِسْعَةُ أعْشَارِ الرِّزْقِ فِي التِّجَارَةِ** . ورُوي أنَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم **كان يأمُرُ الأغنياء باتخاذ الغنم، ويأمرُ الفقراءَ باتِّخاذ الدَّجاج** . وقالت ابنة الخُسِّ : مائةٌ من المَعْزِ قِنى، ومائةٌ من الضَّأْنِ غِنى، ومائة من الابل مِنى.

الخَيْلُ تَجْرِي عَلَى مَسَاوِيهَا .

الخَيْلُ جَمَاعَةُ الأفْرَاسِ . قال عنترة :

والخَيْلُ تَقْتَحِمُ الخَبَارَ عَوَابِسًا مَا بين شَيْظَمَةٍ وأجْرد شَيْظَمِ[10]

ولا واحد لها . وحكى بعض اللّغويّين في واحده خَائِل ـ من الاختيال ـ وهو التبختر . والخيل أيضا جماعة الفرسان . قال امرؤ القيس :

فَيَارُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ وطَاعَنْتُ عَنْهُ الخَيْلَ حتَّى تنفَّسا

10) ويروى أيضًا : وآخر شيظم.

وقال الآخر :

علامَ تقولُ الرُّمحُ يُثْقِلُ عاتقي إذا أنا لم أطْعَن إذا الخَيْلُ كرَّت ؟

والجَرِيُ معروف ؛ والمَساوِي : المَعَائِبُ، قيل لا واحد لها، وقيل جمع مَسُوءٍ ـ على غير قياس ـ، والأظهر أنَّه جمع مَسَاءَة، كما تقول في مَنَارَة مَنَائِر . قال الشاعر في المفرد :

لَئِن ساءَنِي أن نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَد سرَّنِي أنِّي خَطَرْتُ ببالِكِ

وقول الآخر في الجمع :

وعَيْنُ الرِّضَى عن كلِّ عيب كليلةٌ ولكنَّ عينَ السُّخط تُبْدِي المَسَاويا

يقال : سَاءهُ، يسُوؤه، سَوْءًا ـ بالفتح ـ وسُوءًا، وسَوَائِيَةً ـ كعَلانِيَة، وسَوَايَةً ـ بحَذف الهمزة ـ، ومَسَاءً، ومَسَاءَةً، ومَسَائِيَةً، ومَسَايَةً إذا فعل به ما يكره . وهذا المثل يُضرب في حماية الحريم والدفع عنه، مع الضرر والخوف . والمعنى أنَّ الخيل، وإن كانت بها أوصاب وعيوب، فإنَّ كرمها مع ذلك يحملها على الجري : فكذلك الحُرُّ من الرجال يحمي حريمه على ما فيه من علَّة . وقيل إنَّ المراد بالمثل أنَّ الرجل يستمتع به، وفيه الخصال المكروهة، وهو ظاهر .

الخَيْلُ أعْلَمُ بِفُرسَانِهَا .

الخَيْلُ تقدَّم ؛ والفُرسَانُ جمع فَارِس، والفَارس صاحب الفرس، كما قالوا لابِنٍ وتَامِرٍ لصاحب اللَّبَن والتمر . ويجمع على فَوارس . قال عنترة :

فإن يك عبد اللَّهِ لاقَى فوارسًا يردُّون خال العارضِ المتوقِّد

والفَرَاسَة ـ بالفتح ـ والفُروسة والفُروسِيَة الحِذْقُ بركوب الخيل وأمورها . وقد فَرُسَ الرجل ـ بالضمّ ـ يَفْرُسُ . قال ابن ظفر : وليس مَنْ ركب الفرس له حكمُ الفَراسة عند العرب ؛ ولكن الفارس عندهم مَنْ أحسن الجلاد على الفرس واشتهر بالشجاعة، كعمرو بن مَعْدِي كَرب، وربيعة بن مكدم، ومُلاعبِ الأسِنَّة، وعنترة العبسي، وأضرابهم . فهؤلاء فرسانُ العرب . وقال الشاعر :

لَعَمرُ أبيك الخير إنِّي لخادمٌ لضيفي وإنِّي إن ركبتُ لفَارِسُ

فلم يتمدح بنفس الركوب . انتهى .

وهذا المثل يُضرب لمن يظنّ أنّ عنده غنى، ولا غنى عنده .

الخَيْلُ أعْلَمُ مِنْ فُرسَانِهَا .

هذا المثل يُضرب لمن تظنّ به ظنًّا فتجده على ما ظننت، هكذا قال بعض العلماء . ويحتمل أنّ هذين المثلين واحد ؛ وإنّما وقع التحريف في أحدهما . وتفسير الثاني أنسب بالأوّل، كما لا يخفى .

أخْيَلُ مِنْ مُذَالَةٍ .

يقال : خَالَ الرجل، يَخَالُ، واخْتَالَ، إذا تكبّر وتبختر عُجْبًا، فهو خَالٌ وخَائِلٌ وخَالٍ - كَقَاصِرٍ - مقلوبا، ومُخْتَالٌ . والإذَالَةُ - بالذال المعجمة - : الاهَانَةُ . يقال : أذَلْت الرجل، فهو مُذالٌ . قال زيْدُ الخَيْل يخاطب بني الصَّيْداءِ، وكان غزا غزوة، فطلع بعض خيله فأدركوه فأخذوه :

يا بني الصَّيداءِ ردُّوا فَرسِي إنّما يُصنَعُ هَذا بالذَّليلِ
لا تُذيلُوهُ فإنّي لَم أكُنْ يا بني الصَّيدا لمُهْرِي بالمُذيلِ
عوِّدُوهُ كالَّذي عَوَّدْتُهُ دلَجَ اللَّيْلِ وإيطَاءَ القَتِيلِ !

ويُحكى أنّ أبا تمّام الطّائي خرج قاصدًا البصرة، وفيها عبد الصَّمَد بن المُعَذَّلِ . فلمّا سمع عبد الصَّمَد بقدومه إليها كتب إليه :

أنتَ بين اثْنَتَين تَبْرزُ للنّاس وكلتاهُما بوجْهِ مُذَال
لستَ تنفكُّ راجيًا لِوِصَالٍ مِن حَبيبٍ أو طالبًا لِنَوالِ
أيُّ ماءٍ لحُرِّ وجْهِكَ يَبْقَى بين ذُلِّ الهَوى وذلِّ السُّؤالِ ؟

فلمّا وقف أبو تمّام على الأبيات رجع وقال : شغل هذا ما وراءه ولا حاجة لنا فيه .

وقريب من هذا قول بعضهم في هجو أبي الطيّب المتنبّي :

أيُّ فضلٍ لشاعرٍ يطلبُ الفضْل من النّاس بُكْرةً وعَشِيًّا ؟
عاش حينًا يبيع في الكُوفة الماء وحينًا يبيع ماءَ المُحيَّا

وإنّما قال ذلك لِما يُحكى أنّ أبا المتنبّي كان سقّاء بالكوفة، واللّه أعلم !

ونحو الأوّل قول الإسْعِرْدِيّ في مجونه الهجويّة :

أنت بين اثنتينِ يا نجل يعقوبٍ وكلْتاهما مقرُّ السِّياده
لست تنفكُّ راغبًا عَرْدَ عبد مُسَبطرًا أو حاملاً خفَّ غاده
أيُّ ماءٍ لحُرٍّ وجْهك يبقى بين ذُلٍّ البِغَا وذلِّ القياده

والمُذالَة في هذا المثل أرادو بها الأمَة لأنّها تُذال، أي تُمتهن بالخدمة وغيرها، وهي أكثر خلق اللّه اختيالاً وتبخترًا وعجبًا، وذلك من ضعف عقلها وسقاطة نفسها ونقصان همّتها : فإنّ الهموم بقدر الهمم.

وممّا يلتحق بهذا الباب قولهم :

أخْرجْتُ لَهُ حَرِيشَتِي،

أي ملك يدي . وقولك مثلا :

أخْشَنُ مِن لِيفَةٍ .

والخُشُونَة ضدّ اللّين، واللّيف ـ بالكسر ـ ليف النخل، وهو معروف، والواحدة لِيفَة ـ بالهاء ـ وهذا المعنى مطرّد، كما مرّ في نظائره.

ومن هذا الباب قولهم :

خِفَّةُ الظَّهْرِ أحَدُ اليَسَارَيْنِ .

جعلوا خفّة الظهر كناية عن عدم أو قلّة الحقوق اللازمة، والنفقات الواجبة، فإنّها للزومها، كالشيء المحمول على الظهر، يخفّ ويثقل . ولا فرق في أنّ الأحمال المحسوسة يحملها البدن المحسوس، والحقوق تحملها اللّطيفة الروحانيّة من البدن، وهي القلب، وهذه أقلّ صبرًا على الثقل للطافتها . واليَسَار : الغنى . وثُنّي بحسب حقيقته ومجازه لاتّفاق اللّفظ . وقد قالوا من هذا النحو : **الغُربَةُ أحَدُ السِّبَاءيْنِ، واللَّبَنُ أحَدُ اللَّحْمَيْنِ، وتَعْجِيلُ اليَأسِ أحَدُ اليُسْرَيْنِ، والشَّعَرُ أَحَدُ الوَجْهَيْن** أي النظر إلى الشعر كالنظر إلى الوجه ـ ؛ **والحِمْيَةُ إِحْدَى المَوْتَتَيْنِ** ـ أي امتناع الطعام؛ **والقَلَمُ أحَدُ اللِّسَانَيْنِ ؛ والخَالُ أحَدُ الأبَوَيْنِ** ـ **والرَّاوِيةُ أحَدُ الهَاجِيَيْنِ،**

أي راوِي الهجو كقائله . وهذا كلّه من تثنية الحقيقة والمجاز . وفي ذلك خلاف عند النحويّين، والمشهور المنع والصحيح جوازه، وأنّه لا يشترط اتفاق [معنى] المثنّيين بل اللفظ فقط .

وممّا يشهد لصحته هذا الذي ذكرنا من الأمثلة، فإنّها أمثال من كلام العرب، ودليله من الشعر قول الشاعر :

كم ليثٍ اعتنّ لِي ذا أشبُلٍ غَرِثَتْ فَكَانَنِي أعْظَمُ اللَّيْثَين إقْداما

أي كان أعظم الليثيْن إقداماً إيّاي . وقول الآخر :

يداك كَفَتْ إحداهُما كُلَّ بَائِسٍ وأُخْراهُما كَفَّتْ أذَى كلِّ مُعتَد

وإن كان في هذا احتمال ضعيف . وممّا يدلّ عليه قول جَحْدَر : **ليث وليث في محلّ ضنك**، إذ لا فرق بين نحو هذا العطف وبين التثنية، فإنّه أصلها . وليس هذا محلّ تحرير هذه المسألة والاحتجاج لها.

وقولهم أيضا :

خَفِيفُ الحَاذِ .

الحَاذ[ـ بالذّال المعجمة ـ الظّهر . وألفه عن واو، والذال لام الكلمة ومحلّ الاعراب، وليس بعدها ياء كما يصحف . ومعنى خفيف الحاذ : قليل المال والعيال . وفي الحديث : **مُؤْمِنٌ خَفِيفُ الحَاذِ**].[11] وقولهم :

خَفِيفُ الرِّدَاءِ .

أي قليل العيال والدين . والرِّداءُ ـ بالكسر والمدّ ـ يُطلق على الملحفة المعروفة، وعلى السيف والقوس، وعلى الجهل، وعلى ما زان وما شان ـ على الضدّ ـ، وعلى الوشاح، وعلى الدين . وممّا يحسن أن يُتمثّل به في هذا الباب قول النبي صلّى اللّه عليه وسلّم لابن صيّاد :

---

11) سقط ما بين معقوفتين من ب.

خُلطَ عَلَيْكَ الأَمْرُ .

والقصّة مشهورة ؛ وقول أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، رضي اللّه عنه :

هُوَ يَخْبَأٌ وأبُوهُ يَكْنِزُ .

وذلك أنّ خبيئة بن كناز ولِيَ في خلافته الابلة، فقال عمر، رضي اللّه عنه، : لا حاجة لنا به ! هو يخبأ وأبوه يكنز.

ومن الأمثال المولّدة قولهم :

الخَطُّ الحَسَنُ يَزيدُ الحَقَّ وضُوحًا،

بمعنى أنّه، إذا أجيد الخطّ وبُيّنت الحروف، تبيّنت الألفاظ المؤدّية للمعاني، وانشرحت النفس، وانبسطت إليها، وأقبلت عليها ، فكَانَ قبولها للمعاني أتمّ، وفهمها لها أكثر . وقد قالوا : الخَطُّ أحَدُ اللِّسَانَيْنِ . وقالوا : حُسْنُ الخَطِّ إحْدَى الفَصَاحَتَيْنِ . وقال جعفر بن يحيى : الخَطُّ بَسْطُ الحِكَمِ : بِهِ تُفْصَلُ سُطُورُهَا ويُنَظمُ مَنْثُورُهَا . وقال المبرّد : رداءةُ الخطِّ زمَانَةُ الأدبِ . وقال الامام الماوردي : خطوط العلماء في الأغلب رديئة، لا شتغالهم بالعلم، حتّى قال الفضل ابن سهل : من سعادة المرء رداءةُ خطّه، أي لئلاّ يشغله تعلّم الخطّ عن تعلّم العلم. قيل : والأسباب المخلّة بالخطّ ثمانية : إسقاط ألفاظ منه، أو زيادة ألفاظ فيه، أو إسقاط بعض حروف الكلم، أو زيادة حروف أثناءها، أو وصل المفصول، أو فصل الموصول، أو تغيير الحروف حتّى يشتبه حرف بغيره، أو ضعف الخطّ جملة، أو إهمال النقط أو الشكل.

قيل : وقد استقبح الكتّاب النقط والشكل في مكاتباتهم، ورأوا ذلك من تقصير الكتّاب وسوء نظرهم في فهم المكتوب، لا سيما مكاتبات الرؤساء . كما حكي أنّ بعض كتّاب الديوان حاسب عاملا، فشكاه في رقعته إلى عبيد اللّه بن سليمان، فوقع فيها : هَذَا هَذا.فظنّ العامل أنّ عبيد اللّه أراد : هذا هذا، إثباتا لذلك القول، كما تقول في إثبات الشيء: هو هو . فحمل الرقعة للذي يحاسبه، فخفي عليه ما يقتضي التوقيع، فطيف به على الكتاب، فلم يفهموه . فردّ إلى عبيد اللّه . فشدّد الثانية وكتب تحتها : واللّه

المستعان! استعظاما لقصور نظرهم .
واستحسن آخرون النقط والشكل، وقالوا : الخطوط المعجمة كالبُرود المعلمة . وقالوا : إعجام الخطّ يمنع من استعجامه، وشكله يمنع من إشكاله . وقيل، ربَّ علم لم تُعْجَمْ فصولُه فَاسْتعجم محصولُه.

آلاتُ الكتابة وأصناف الكُتّاب

وإذ انْجَرَّ بنا الكلام في الخطّ فلنكمّل الغرض بذكر ما تيسَّر من آلات الكتابة، ومعنى الكتاب، والبراءة، والطبع، والتوقيع، والعنوان، وأصناف الكتّاب، وجملة من شعر الأدباء في ذلك، وهذا باب واسع ألّف فيه النّاس . لكن نشير نحن إلى جملة يسيرة على وجه الاختصار يُنتفع بها .
فمن الآلات الدَّواة - ووزنها فَعَلَة كشجرة -، ثمَّ قلبت الياء ألفًا فصارت كفَتَاة وقَنَاة، والجمع دَوِيَات - كقَنَوات - ودِوًى - كَقِنًى . قال الشاعر :

لِمَنِ الدَّارُ كَخطِّ باللدِّوَى ؟ أَنْكِرِ المَعْروفُ منها وامَّحَى

ودُوِيّ - بضمّ الأوّل - على فُعُول، كما يقال قُنِيّ وعُصِيّ في الجمع . قال الشاعر

عَرَفْتُ الدِّيَارَ كرَقْمِ الدُّوِيِّ حَبَّرَهُ الكَاتبُ الحِمْيَرِي

وقال الآخر :

وكَم تركتَ ديارَ الشِّرك تحْسبُها تُلْقى الدُّويُّ على أطْلالِها لِبَقَا

واشتقاقها من الدواء، لأنَّ بها صلاح أمر الكاتب . واشتقّها بعض الأدباء من قولك : دوِيَ الرجل - بالكسر - دَوًى إذا مرض، فقال :

أما الدَّواةُ فأدوَى حملُها جَسدي وحرَّف الحظَّ تحْرِيفٌ من القَلَمِ

أي أمرضه . ونحو هذا الاشتقاق لا يُعتمد عليه . ويقال لصانعها مُدَوٍّ، كما يقال لصانع القنى مُقَنّي، ولبائعها دوّاء [كحَنَّاط][12] لبائع الحنطة، ولحاملها داوٍ - كسَائِف - لصاحب السيف، ولمتّخذها مُدوٍ، وقد أدْوَى دواةً . ولِما تُصان به صوان وغشاء وغلاف. وما تسدّ به صمام وسداد وعفاص، وكذا غيرها . ويقال لصوفتها، إذ انفشت لتعمل فيها

12) سقط من ب .

قبل أن تبلّ، البوهة ـ بالضمّ ـ، وإذا بُلّت فهي الّليقة، وقد تُسمّى به قبل ذلك مجازاً. ولقت الدواة فهي مَلِيقَة، وألَقْتُها فهي مُلاَقَة . فإن كانت من قطن فهي العطبة والكرسفة . والقطن كلّه يقال له ذلك . ولمدادها نِقْس ـ بكسر الأوّل، ويُفتح ـ. والمداد يذكّر ويؤنّث . ومَدَدتُ الدّواة مدّاً : جعلته فيها ؛ وأمددتها : زدتها منه ؛ واستمددت: أخذت بالقلم من المداد ؛ وأمددت فلانا من دواتي : أعطيته . ويقال للدّواة مَحْبَرَة ـ بالفتح ـ لأنّها محلّ الحِبْر ـ بالكسر ـ وهو النّقْس ؛ ويقال لها النّون والجمع أنْوان ونِيَنان ؛ ويقال لها الرقيم أيضا . وأمَهْتُ الدواة ومَوّهْتُهَا جعلتُ فيها ماء.

ومنها القلم، والجمع قِلاَم وأقْلاَم ـ كجِبَال وأجْبَال ـ. ويقال له المِزْبَر والمِذْبَر ـ بالذّال المعجمة ـ لأنّه يُزْبَرُ به ويُذبر، أي يُكتب، وقيل الذبر، بمعنى القراءة . ويقال للقصبة يراعة واباءة والجمع يراع واباء ؛ ويقال لعُقَده الكُعُوب : فإن كانت فيه عُقدة تشينه فهي الأُبْنَةُ ؛ ولما بين العُقَد الأنابيب، وكذا في الرماح . ويقال لطرفي القلم اللّذين يكتب بهما السّنّان والشّعِيرتان، والواحد سنّ وشعيرة . فإن سُوّيا في القطع فهو قلم مبسوط، وإن جُعل أحدهما أطول فهو مُحَرّف.

ومنها السكّين والمقصّ . قال ابن عبد ربّه : ينبغي للكاتب أن يصلح آلته التي لا بدّ له منها، وأداته التي لا تتمّ صناعته إلاّ بها، وهي دواته . فلينعم ربها واصلاحها، ثمّ يتخيّر من أنابيب القصب أقلّه عقدة، وأكتفه لحما، وأصلبه قشرا، وأعدله استواء . ويجعل لقرطاسه سكّينا ليكون عونا على بري أقلامه، ويبريها من ناحية نبات القصب . انتهى . ويقال السكّين والمدية والمجزأة والمبراة والفالية والشّلْقَاء ـ بالكسر والمدّ ـ، وغير ذلك . ويقال المِقصّ والمِقْراض والمِقْطَع ـ بكسر أوائلها ـ والجَلَم، وأكثر ما يُقال بالتثنية. قال الشاعر :

ولَولاَ نوالٌ مِنْ يزيدَ بنِ مزْيَد لصوّتَ في حَافاتِها الجَلَمَانِ

يعني لحيته . وجاء فيه الافراد . قال سالم بن وابصة :

داويْتُ صَدراً طويلاً غِمْرُهُ حَقِداً منه وقلّمتُ أظْفاراً بلا جلَمِ

وقال أعرابيّ :

فَعليك ما اسطَعْتَ الظّهور بلمّتي وعليّ أن ألقَاكَ بالمِقْرَاضِ

وأمَّا الكتاب فهو المكتوب، ويقال له الزَّبور والزَّبير، والذَّبور والذَّبير . قال امرؤ القيس :

كَخَطِّ زَبُورٍ في مَصَاحِفِ رهْبَانِ

وقيل : الزَّبور في هذا البيت هو الكاتب، وهو الظاهر . فإن كان ما يُكتب فيه من جلود، فهو رَقّ وقِرطاس - بكسر القاف وضمّها -؛ وإن كان من خرق فهو كاغد - بِدَال مهملة، وروي بمعجمة -. وقد يستعمل القرطاس في الكلّ . ويقال لما يكتب الصحيفة والمُهْرق - على وزن مُكْرم - والجمع مَهَارِق . قال الأعشى :

ربِّي كَرِيمٌ لاَ يُغَيِّرُ نِعْمَةً وإذا تُنُوشِدَ بالمَهَارِقِ أنشَدا[13]

والقضيمة . قال امرؤ القيس :

وبَين شَبُوبٍ كالقَضِيمَة قرهَبِ

والسجل والصكّ والقطّ . وكذا كتب الجوائز والصِّلات، والجمع صُكُوك وقُطوط . قال الأعشى :

ولا المَلِكُ النُّعْمانُ يَومَ لَقِيتُهُ بغِبْطَتِهِ يُعْطِي القطوط ويأفِقُ

وقال المُتلمِّس :

ألْقيتُها بالثِّنْيِ من جنْب كافرٍ كذلك أقْنو كلَّ قطٍّ مُضلَّلِ

فإن كُتب فيها بعد مَحْو، فهي طِرس . ونَمَقت الكتاب نَمْقًا ونمَّقْتُه تنميقًا، وحَبَّرتُه ورقَّشْتُه وزوَّرتُه، تحبيرًا وترقيشًا وتزويرًا ؛ وكذا زبْرجْتُه وزخْرفْتُه زبْرجَةً وزخْرفةً، أي كتبته كتابة حسنة . فإذا نَقَطَه قلت وشَمَه وشْمًا، وأعجمه إعجاما، ورقَّشه ترقيشا . قال طرفة :

كسُطُورِ الرَّقِّ رقَّشَهُ بالضُّحَى مُرَقِّشٌ يَشِمُهْ

فإذا أفسد الخطّ قلت مَجْمَجَهُ وشَرمَجَه وهَلْهَلَه ولَهْلَهَه، مجمجةً وشَرمجةً وهَلْهَلةً ولَهْلَهةً، وثَبَّجَه تَثْبِيجًا . وإذا لم يبيّنه قلت دحْمَسَهُ دخْمَسة ومَجْمَجَهُ وعَقْمَه عَقْمًا وعَقَلَه عَقْلاً . فإذا أدقَّ الحروف وقارب بعضها من بعض قلت قَرْمَط وقَرْصَعَ قرمطةً وقرصعةً . فإذا مدَّ الحروف قلت مَشَقَ مَشْقًا، وقيل المَشْقُ سُرعةُ الكتابة وخِفَّتُها . فإن نقص شيئا فألحقه فهو لَحَقٌ وجمعه أَلْحَاق .

13) يروى هذا البيت أيضًا هكذا :

ربِّي كَرِيمٌ لاَ يُكَدِّرُ نِعْمَةً وإذَا يُنَاشَدُ بالمهارق أنْشَدَا

قال الشاعر :

عُـورٌ وَحُـولٌ وثَـالِـثٌ لَـهُـم كَـأنَّهُ بَـيْـنَ أَسْطُـرٍ لَـحَـقُ

فإن وضعت عليه بعد الكتْب ترابا قلت تَـرَّبتُه تَـتْـرِيبـًا، وأتْـرَبْـتُه إترابـًا ؛ أو نشارة قلت نشَّرتُه تَـنْـشِيرًا .

وأمَّا البراءة، فهي في الأصل مصدر قولك : بَـرِئْـتُ من الأمر ـ بالكسر ـ بَـرَاءَةً، أي تبرَّأت ؛ وأمَّا هذه البراءة المستعملة في صناعة الكتاب، فقال أبو محمَّد بن السيد، رحمه اللَّه، : سمّيت بذلك لمعنيَـيْـن : أحدهما أن تكون من قولهم بَـرِئْـتُ إليه من الدَّيْـنِ براءةً، إذا أعطيتَـهُ ما كان له عندك، وبرئت إليه من الأمر بَـراءةً، إذا تخلَّيت له عنه، فكأنَّ المرغوب إليه يتبرَّأ إلى الراغب ممَّا أمَّلَـهُ لديه، ويتخلَّى له عمَّا رغب فيه إليه . وقيل إنَّما كان الأصل في ذلك أنَّ الجاني كان، إذا جنى جناية يستحقّ عليها العقاب ثمَّ عفا عنه الملك، كتب له أمانا ممَّا كان يتوقَّعه ويخافه، فكان يقال : كتبت لفلان براءة، أي أماناً، ثمَّ صار مثلا واستعير في غير ذلك . قال : وقد جرت عادة الكتاب ألاَّ يكتبوا في صدر البراءة : بسم الله الرحمن الرحيم، اقتداء بسورة براءة التي كتبت في المصحف من غير بسلمة .

وأمَّا الطبع، فهو طبع الكتاب . تقول : طَـبَـعْـت الكتاب طبعًا، وخَـتَـمْـتُه ختمًا، وأَفَـقْـتُه أَفْـقًا، ومن ذلك قول الأعشى السابق : يُـعْـطِـي القُـطُـوطَ ويَـأفِـقُ، أي يختم. ويقال لما يُـطبع به طابع . قيل : وأوَّل من طبع الكتب عمرو بن هند، وذلك أنَّه، لمَّا أعطى المتلمّس الصحيفة ليُـقتل ثمَّ استقرأها فهرب، كما سيأتي حديثه، أمر عمرو بعد ذلك بالكتب تُـختم . فكان يؤتى بالكتاب مطبوعًا فيقال من عني به، فلذلك سمّي العنوان عنوانا . ثمَّ لمَّا كتب النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم كتابا إلى ملك الروم ولم يختمه، قيل له إنَّه لا يقرؤه إن لم يكن مختوما . فأمر أن يُـعمل له خاتم وينقش على فصّه: محمد رسول اللَّه، فصار الختم سنَّة في الاسلام . وقيل أوَّل من ختم الكتاب سليمان ابن داوود، عليه السلام . وقيل في تأويل قوله تعالى : **إنِّـيَ أُلْـقِـيَ إلَـيَّ كِـتابٌ كَـرِيمٌ**، أي مختوم . وأكرمتُ الكتاب ختمتُـه، وهو أوَّل من افتتح كتابه بالبسملة . قيل : وكانت العرب تقول في افتتاح كتبها وكلامها . باسمك اللَّهمَّ ! فجري الأمر على ذلك في صدر الاسلام، حتَّى نزلت : **بِـسْـمِ اللَّـهِ مُـجْـرَاهَـا ومُـرْسَـاهَا**، فكتب رسول اللَّه

صلّى اللّه عليه وسلّم : بِسم اللّه، حتّى نزلت **قُلُ ادْعُوا اللّهَ أو ادْعُوا الرَّحْمَنَ**، فكتب : **بِسمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ** . ثمّ نزلت : **إنّهُ من سُلَيْمانَ وإنّهُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**، فصارت سنّة إلى يومنا هذا .

وأوّل من كتب من فلان إلى فلان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، فصار ذلك سنّة، يكتب الكاتب ويبدأ باسمه قبل اسم من يخاطبه، ولا يكتب لقبا ولا كنية، حتّى ولي عمر بن الخطّاب وتسمّى بأمير المؤمنين، فكتب : من أمير المؤمنين عمر . فجرت السنّة بذلك إلى أيّام الوليد بن عبد الملك، فكان الوليد أوّل من اكتنى في كتبه، وأوّل من عظّم الخطّ والكتب وجوّد القراطيس . ولذلك قال أبو نواس :

سُبْطٌ مَشافِرهَا رقيقٌ خطْمُها وكأنّ سائر خَلْقِها بُنْيانُ
واحْتَازَها لونٌ جَرَى في جِلْدها يققٌ كقِرطاسِ الوليدِ هِجانُ

فجرت سنّة الوليد بذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل، فإنّهما لمّا وليا ردّا الأمر إلى ما كان عليه في زمن رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم وزمن أصحابه رضوان اللّه عليهم . فلمّا ولي مروان رجع إلى أمر الوليد، فجرى الأمر عليه . ذكر ذلك أبو محمّد بن السيّد، رحمه الله تعالى .

وأمّا التوقيع فهو ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه ممّن رفع إليه، كالسلطان ونحوه من ولاة الأمور، كما إذا رفعت إلى السلطان أو إلى الوالي شكاة فكتب تحت الكتاب أو على ظهره : يُنظر في أمر هذا، أو : يستوفى لهذا حقّه، أو نحو ذلك . فهذا توقيع.

ورُفع إلى جعفر بن يحيى كتاب يُشتكَى فيه بعامل، فكتب على ظهره : يا هذا، قد قلّ شاكروك، وكثُر شاكوك، فإمّا اعتَدَلْت، وإمّا اعْتَزَلْت !

ورفع إلى الصاحب بن عبّاد كتاب فيه : إنّ إنسانا هلك وترك يتيما وأموالا جليلة لا تصلح لليتيم، وقصد الكاتب إغراء الصاحب . فأخذها فوقّع الصاحب فيها : الهالك رحمه اللّه، واليتيم أصلحه اللّه، والمال ثمره اللّه، والساعي لعنه اللّه ! ونحو هذا من التوقيعات .

والتوقيع في الأصل التأثير في الشيء . يقال : حمار موقع الظهر، أي أصابته في ظهره دبرة، فسمّي هذا توقيعا لأنّه تأثير في الكتاب حسّا أو في الأمر معنى ؛ أو في الوقوع لأنّه سبب لوقوع الأمر المذكور، أو لأنّه إيقاع لذلك المكتوب في الكتاب : فتوقيع كذا بمعنى إيقاعه .

وأمّا العنوان فهو ما يُجعل عليه، ليستدلّ به عليه ويقال فيه : عُنْوان وعُنْيان ـ بضمّ الأوّل فيهما وكسره ـ . وأصله عُنَّان ـ على مثال رُمَّان ـ لأنّه مشتقّ من قولك : عَنَّ لي الأمرُ، يَعِنُّ إذا عَرَضَ، لأنّه هو يعرض للكتاب من ناحية، وعَنَّنَه وعَنْوَنَه وعَنَّاه : كتب عنوانَهُ . ويقال فيه أيضا عُلْوان ـ باللاّم ـ وعَلْوَنَ الكتابَ وعلاّه تَعْلِيَةً : كتب عنوانه، وكلُّ ظاهر شيءٍ استدللت به على باطنه فهو عنوان له . قال الشاعر :

رأيْتُ لسَانَ المَرءِ رائِدَ عقله وعُنْوانَهُ فانْظُرْ بماذا تُعَنْوِنُ !

وقال الآخر :

ضحّوا بأشْمَطَ عُنْوانُ السُّجودِ به يُقَطِّعُ اللَّيلَ تَسبيحًا وقُرآنَا

وأمّا أصناف الكُتّاب فكثيرة، منها : كاتب التدبير، وهو أجلّها وأعلاها درجة، وهو كاتب السلطان الذي يكتب سرّه ؛ ومنها كاتب أرباب الأحكام، وأجلّها كاتب القاضي، ثمّ كاتب صاحب المظالم، ثمّ كاتب صاحب الديوان ـ وهو الخراج ـ، ثمّ كاتب صاحب الشرطة ؛ ومنها كاتب العامل، وكاتب المجلس، إلى غير ذلك . وكلّ واحد منها له أحكام وآداب ذُكرت في محلّها .

ولهم أقلام مختلفة اصطلحوا عليها في الكتابة، انتهى . مجموعها ـ بسحب ما ذكروا ـ إلى أحد وعشرين، وهي الجليل والسجلي ـ ويسمّى قلم الثلثين ـ، والقَلَمُ الرِّئاسي، والنصف، وخفيف النصف، والثلث، وخفيف الثلث، والمسلسل، وغبار الحلبة، وصغير الغبار ـ وهو قلم المؤامرات ـ، وقلم القصص، والحوائجي، والمحدث، والمدمج، وثقيل الطومار، وخفيف الطومار، والشامي، ومفتح الشامي، والمنثور، وخفيف المنثور، وقلم الجزم.

واختُلف في أوّل من كتب : فقيل آدم، عليه السلام، كتب الصحف قبل موته بثلاثمائة سنة في طين، ثمّ طبخه . فلمّا كان بعد الطوفان أصاب كلّ قوم كتابهم ؛ وقيل أوّل من كتب إدريس، عليه السلام ؛ وقيل أوّل من وضع الكتابة إسماعيل، عليه السلام، وضعها بلفظه ومنطقه ؛ وقيل أوّل من كتب قوم من الأوائل أسماؤهم أبجَد، هَوَّزُ حُطَيّ، إلى آخرها . وكانوا ملوك مَديَن، وقيل هم أبجد، هَوز إلى قُرسَت ملوك مدين، فوضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم، وكان سيّدهم كلمن فهلكوا يوم الظُّلَّة، فقالت ابنة كلمن ترثيه :

كَلَمِنْ هَدَّمَ رُكْنِي هُلْكُهُ وسْطَ المَحَلَّهْ
سَيِّدُ القَوْمِ أتَاهُ الحَتْفُ نَارٌ وسْطَ ظُلَّهْ
جَعَلَتْ نَارٌ عَلَيْهِمْ دَارَهُمْ كَالمُضْمَحِلَّهْ

ويروى أيضا :

ألاَ يا شُعيْبُ قَد نَطَقْتَ مقالةً سبَقْتَ بها عمرًا وحيَّ بني عَمْرِ
ملوكُ بني حُطَيٍّ هوَّزَ منهُمُ وسَعْفَضٍ أهلٌ للمكارمِ والفَخْرِ

وقيل هم أسماء ملوك الجنّ الذين سكنوا الأرض قبل آدم، عليه السّلام، فألقيت إلى العرب ؛ وقيل أسماء ملوك الجبابرة.

وقيل أول من وضع الخطّ العربي نفر من طيّء من بولان، وهم : مرامر بن مرّة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن حدرة . فساروا إلى مكّة، فتعلّمه منهم شَيْبَة بن ربيعة بن حرب بن عبد شمس، وعُتْبَة بن ربيعة، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وهشام بن المغيرة المخزومي . ثمّ أتوا الأنبار فتعلّمه نفر منهم . ثمّ أتوا الحيرة فتعلّمه منهم جماعة منهم : سفيان بن مجاشع بن عبد اللّه بن دارم وولده، يُسمّوه بالكوفة بني الكاتب . ثمّ أتوا الشام فعلّموه جماعة، فانتهت الكتابة إلى رجلين من أهل الشام يقال لهما الضحّاك وإسحاق بن حمّاد، وكانا يخطّان الخطّ الجليل . فأخذ إبراهيم بن السجزي الخطّ الجليل عن إسحاق بن حمّاد واخترع منه خطّا أخفّ فسمّاه الثلثين السّابق . ثمّ جعل الناس يختصرون ويغيّرون حتّى انتهى إلى ما مرّ . وليس هذا محلّ تفصيل هذا.

وأمّا ما قيل من الشعر في وصف الكتاب أو الأقلام أو المحابر، أو تفضيل القلم على السيف أو العكس، فأكثر من أن يُحصى . وقد وضعت في ذلك موضوعات مستقلة . فمن مستحسن ذلك قول أبي الفتح البستيّ :

إن هزَّ أقلامَهُ يومًا ليُعْمِلَهَا أنْساكَ كلَّ كَمِيٍّ هزَّ عَامِلَهُ
وإن أقرَّ على رقٍّ أنامِلَهُ أقرَّ بالرِّقِّ كُتَّابُ الأنَامِ لَهُ

وقول الآخر :

يُمسِكُ الفارسُ رمْحًا بِيَدٍ وأنا أُمْسِكُ فِيهِ قَصَبَهْ
فَكِلانَا فَارِسٌ فِي شَأنِهِ : إنَّ الأقْلامَ رِمَاحُ الكَتَبَهْ

وقول الآخر :

وما روضُ الرَّبيع وقَد زهَاهُ نَدَى الأشْجارِ يأرَجُ بالغَداةِ
بِأضْوعَ أو بِأبْسَطَ من نسيمٍ تُودِّيهِ الأفاوهُ مِنْ دَوَاةِ

وقول الآخر في خلاف هذا :

دعِيٌّ في الكِتَابَةِ لا رَوِيٌّ لَهُ فيمَا يُعَدُّ ولاَ بَديهُ
كأنَّ دواتَهُ مِن ريقِ فِيهِ تُلاَقُ فَريحُهَا أبَدًا كَريهُ !

وقول بعضهم، وقد نظر إلى فتى عليه أثر المداد وهو يستره :

لا تَجْزَعَنَّ من المِدادِ فإنَّهُ عِطْرُ الرِّجَالِ وحِلْيَةُ الكُتَّابِ !

ويقال : أثر المداد دليل على الفضل، حتَّى [إنَّ] عبيد الله بن سليمان [رأى] صفرة زعفران في ثوبه، فطلاها بالحبر وقال : المداد أحسن بنا من الزعفران !، وأنشد :

إنَّما الزَّعْفَرَانُ عِطْرُ العَذارَى ومِدادُ الدَّوَاةِ عطرُ الرِّجالِ

وقول الآخر يهجو كاتبًا :

حمارٌ في الكتابةِ يَدَّعِيهَا كَدَعْوَى آلِ حربٍ في زيادِ
فَدَعْ عنْكَ الكِتَابةَ لستَ منْها ولَو غرَّقْتَ ثوبَكَ في المِدادِ !

وقال بعضهم : كنت عند إبراهيم بن العبَّاس وهو يكتب كتابا، فوقعت من القلم نقطة مفسدة، فمسحها بكمّه، فتعجَّبت، فقال : لا تتعجَّب ! المال فرع والقلم أصل، والأصل أحوج من الفرع إلى المراعاة، وبهذا السَّواد جاءت الثياب . ثمَّ أطرق قليلا فأنشد :

إذا ما الفِكْرُ ولَّدَ حُسْنَ لَفْظٍ وأسْلَمَهُ الوجودُ إلى العِيانِ
ووشَّاهُ فنَمْنَمَهُ مُسَدِّدٌ فَصِيحٌ في المَقَالِ بِلاَ لِسَانِ
تَرى حُلَلَ البَيانِ مُنَشَّرَاتٍ تَجلَّى بَيْنَهَا صُوَرُ المَعَانِي

وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب واعتمد عليه فصرَّ تحت يده فقال :

إذا ما التقَيْنا وانْتَضَيْنَا صَوارِمًا يكادُ يُصمُّ السَّامعينَ صريرُهَا
تساقَطَ في القِرطاسِ منها بَدائِعٌ كَمِثْلِ اللآلِي نَظْمُهَا ونثيرُهَا
تقود أبياتَ البيانِ بفِطْنَةٍ يُكشِّفُ عن وجْهِ البَلاغَةِ نُورهَا
تَظَلُّ المَنايا والعَطايا شَوارِعًا تَدورُ بما شِئنا وتمْضِي أمُورُهَا
إذا ما خُطُوبُ الدَّهْرِ أرخَتْ ستورها تجلَّتْ بنا عمَّا تُسِرُّ سُتورُهَا

وقول أبي تمّام يمدح محمد بن عبد الملك الزيّات من قصيدة :

لك القلمُ الأعْلى الّذي بشباتِه ... يُصابُ من الأمْرِ الكُلَى والمفاصِلُ
لَه الخَلَواتُ اللاءِ لولا نَجيُّها ... لما اخْتَلفتْ للمُلْكِ تلك المحافِلُ
لُعابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعابُه ... وأرْيُ الجنا اشْتارتْه أيدٍ عواسِلُ
له ريقةٌ طلٌّ ولكنّ وقْعَها ... بآثاره في الشّرق والغربِ وابِلُ
فصيحٌ إذا استَنْطقْتَهُ وهْوَ راكبٌ ... وأعْجَمُ إن خَاطَبْتَه وهْوَ راجِلُ
إذا ما امْتطى الخَمْس اللّطافَ وأفرغَت ... عليه شعاب الفِكْر وهْي حوافِلُ
أطاعَتْه أطْرافُ القنى وتقوّضَتْ ... لنجواهُ تقويضَ الخيامِ الجحافِلُ
إذا استغْزر الذّهنُ الذّكيُّ وأقبلت ... أعاليه في القِرطاسِ وهْيَ أسافلُ
وقد رفَدتْهُ الخِنْصران وسدّدت ... ثلاثَ نواحيهِ الثّلاثُ الأنامِلُ
رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهْو مُرهفٌ ... ضنًى وسمينًا خَطْبُهُ وهْو ناحِلُ

وقول أبي الفتح البُستيّ :

إذا أقْسَم الأبْطال يومًا بِسيفِهِم ... وعدُّوه ممّا يُكسبُ المجْد والكَرمْ
كفى قَلَمَ الكتّابِ مجْدًا ورفْعَةً ... مَدى الدّهْر أنّ اللّه أقْسم بالقلمْ

وقول البحتري :

تعَنو لَه وُزراءُ الملْكِ قاطبةً ... وعادةُ السّيفِ أن يستخْدمَ القَلَما

وقول الآخر :

إن يخْدُمِ القلمُ السّيفُ الذي خضعَت ... له الرّقاب ودانَت خَوفَه الأمَمُ
فالموتُ، والموتُ لا شيءَ يُقابِلُه، ... ما زال يتْبَعُ ما يجْري به القَلَمُ
بذا قَضى اللّه للأقلامِ مُذ بُريتْ ... أنّ السُّيوف لها مُذْ أرهِفَت خدمُ

وقول أبي الطيّب مناقضًا لهذا :

حتى رجعتُ وأقْلامي قوائلُ لي: ... المجْدُ للسّيفِ ليسَ المجْدُ للقَلَمِ
اكْتُب بذا أبدًا بعد الكتابِ لها ... فإنّما نحنُ للأسيافِ كالخَدمِ !

وقول سليمان بن جرير النمريّ في نحوه :

جهابذةٌ وكتّابٌ وليْسُوا ... بفُرسانِ الكريهَةِ والطّعانِ
ستَذْكُرني وتَعْرفُني إذا ما ... تَلاقى الحلْقَتانِ مِنَ البِطَانِ

وقول كُشَاجم :

هنيئًا لأصْحابِ السُّيوفِ بطالةً ... تُقضَّى بها أيَّامُهُم في التَّنعُّمِ !
وكم فيهمُ من دائمِ الأمْنِ لم يَرُعْ ... بحربٍ ولم ينْهَد لقَرنِ مُصمَّمِ !
وكلُّ ذوي الأقْلامِ في كلِّ ساعةٍ ... سُيوفُهُمُ ليستْ تجفُّ من الدَّمِ

وقول الآخر في مدح القلم وأهله :

قومٌ إذا أخذوا الأقْلامَ من قصبٍ ... ثمَّ استمدُّوا بها ماء المنيَّاتِ
نالوا بها من أعاديهم وإن بعُدوا ... مالا يُنالُ بحدِّ المشْرَفِيَّاتِ

وقول البحتري يمدح الحسن بن وهب، ويصف أقلامه :

وإذا تألَّقَ في النَّدِيِّ كلامُه ... المَصْقولُ خِلْتَ لسانَهُ من عَضْبِهِ
وإذا دجَت أقْلامُهُ ثمَّ انتَحَتْ ... برقتْ مصابيحُ الدُّجَى في كتْبِهِ
فالَّلفْظُ يقْرُبُ فهمُه في بُعدهِ ... منًّا ويبعُد نيلُهُ في قُربِهِ
حِكَمٌ فسائحُها خِلالَ بنانِهِ ... مُتدَفِّقٌ وقليلُهَا من قَلْبِهِ
فَكأنَّها والسَّمعُ معْقودٌ بِهَا ... شخْصُ الحبيبِ بَدا لِعَيْنِ مُحبِّهِ

وقوله أيضا في ابن الزيَّات :

لتصرَّفْت في الكتابَةِ حتَّى ... عطَّلَ النَّاسُ فنَّ عبدِ الحميدِ
في نظامٍ من البَلاَغَةِ ما شكَّ ... امْرُؤٌ أنَّهُ نِظَامُ فَريدِ
وبَديعٍ كَأنَّهُ الزَّهَرُ الضَّا ... حِكُ في رونَقِ الربيعِ الجديدِ
ما أعِيرَتْ منهُ بُطُونُ القراطِيس ... وما حُمِّلَت طهورُ البَريدِ
حُزنَ مُستعْمَلَ الكَلام اختياراً ... وتجنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ
كالعذارى غَدونَ في الحُلَلِ الصُّفر ... إذا رُحْن في الخُطوبِ السُّودِ

ومن أمثال الأدباء قولهم :

أخَفُّ مِنْ دينَارِ يَحْيَى،

وهو يحيى بن علي، أعطى بعض الأدباء دينارا خفيفا، فقال فيه عدَّة مقاطيع، منها :

دينَارُ يحْيى زائِدُ النُّقْصانِ ... فيهِ علامَةُ سكَّةِ الحِرمَانِ

قَـد رَاقَ منْظَرُهُ ورقَّ خَيالُهُ فكـأنَّهُ روحٌ بِلا جُثْمَـانِ
أهْـداهُ مُكْتتمًـا إليَّ برقْـعَةٍ فوجَدتُهُ أخْفَى مِنَ الكِتْمَانِ !

ومن أمثال العامَّة قولهم :

خَالِفْ تُعْرَفْ !

ونحوه قول الشاعر :

خلافًـا لرأْيِي من فَيَـالَة رأْيه كما قيلَ قبْلَ اليومِ : خالِفْ فتُذْكَرَا !

ويظهر من هذا البيت أنَّ المثل قديم، والبيت أنشده الجاحظ.

ولنلمَّ الآن بشيء من الشعر في هذا الباب . قال الشاعر :

تركْتُ النَّبيـذَ لأهلِ النَّبيـذِ وأصْبحْتُ أشْربُ ماءً نُقاخَا
شرابَ النَّبيئِيـنَ والمُرسَلِيـنَ ومَنْ لا يُحَاولُ منْهُ اطِّباخَا
رأيتُ النَّبِيـذَ يُـذِلُّ العَزيـزَ ويَكْسو التَّقيَّ النَّقيَّ اتِّساخَا
فَهَبْني عَـذرْتُ الفَـتى جاهلاً فَما العُذرُ فيه إذا المرءُ شاخا ؟

قوله ماءً نُقاخًا، أي باردًا عذبًا صافيًا، وهو بضمِّ النُّون وبالقاف ـ على مثال غُراب ـ.

وقال الآخـــر :

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أُنَاسٍ تَشَيَّخُوا قَبْلَ أن يَشِيخُوا
تَقَوَّسُوا وانْحَنَوْا رِيَاءً فَاحْذَرْهُمُ : إنَّهُمْ فُخُوخ !

وأشار بهذا التمثَّل في الرياء إلى نحو ما حكي في الاسرائيليَّات أنَّ عصفورة وقفت على فخِّ فقالت له : مالي أراك منحنيا ؟ قال : لكثرة صلاتي انحنيت . قالت : فمالي أراك بادية عظامك؟ قال:لكثرة صيامي، بدت عظامي!قالت : فما هذا الصوف عليك ؟ قال : لزهادتي لبست الصوف . قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكَّؤ عليها وأقضي بها حوائجي . قالت : فما هذه الحبَّة في يدك ؟ قال : قربان، إن مرَّ بي مسكين ناولته إيَّاها . قالت : فإني مسكينة . قال : خذيها ! فقبضت على الحبَّة فإذا الفخّ في عنقها، فصاحت : قعى! قعى ! وتفسيره : لا غرني مُراءٍ بعدك أبدا !

وممَّا جاء في الرياء، أعاذنا اللَّه منه !، قوله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : **إنَّ أخْوفَ ما أخَافُ عَلَيكُم الشِّركُ الأصْغَرُ . قالوا : وما الشِّركُ الأصغَرُ يا رسُولَ اللَّهِ ؟ قال :**

الرِّياءُ . يقُول عَزَّ وجَلَّ يَومَ القِيامَةِ إذَا جَازَى العِبَادَ بِأعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إلَى الَّذينَ كُنْتُمْ تُراؤُونَهُمْ في الدُّنْيَا، فانْظُروا كَيْفَ تَجِدُونَ عِنْدهُمُ الجَزَاءَ . وقوله صَلَّى اللَّه عليه وسلَّم : **مَنْ رَاأى، رَاأى اللَّهُ بِهِ، ومَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ**[1] . وقوله صَلَّى اللَّه عليه وسلَّم : **مَنْ أسَرَّ سَرِيرَةً ألْبَسَهُ اللَّهُ رِدَاءَهَا، إن خَيْرًا فَخَيْرٌ وإنْ شَرًّا فَشَرٌّ** . والآيات والأحاديث والآثار في ذمّ الرياء والتنفير عنه لا تُحصى وهي مشهورة . وفي معنى ذلك قول الشاعر :

وإذا أظْهَرتَ شَيْئًا حَسَنًا ... فَلْيَكُن أحْسَنَ مِنْهُ مَا تُسِرْ
فَمُسِرُّ الخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ ... ومُسِرُّ الشَّرِّ مَوسُومٌ بِشَرْ

وقول الآخر في المتشابهين :

أهلَ الرِّياءِ لبسْتُمُ ناموسَكُم ... كالذِّئبِ يُدلجُ في الظَّلام العاتِمِ
فَملكْتُم الدُّنيا بمذْهَبِ مَالِكٍ ... وقَسمْتُمُ الأمْوالَ بِابْنِ القاسِمِ
وركبتُمُ شُهْبَ البِغَالِ بأشْهَبٍ ... وبأصْبغٍ صُبغَتْ لكُمْ في العَالمِ

وقول الآخر :

قُل للامامِ سنا الأئِمَّةِ مالكٍ ... نورِ العُيُون ونُزهَةِ الأسْماعِ :
لَلهِ درُّكَ من هُمامٍ ماجِدٍ ... قَد كُنتَ راعيَنا فنعْمَ الرَّاعي !
فمضيْتَ مَحْمُودَ النَّقِيبَةِ طاهرًا ... وتَركْتَنا قنصًا لشرٍّ سبَاعِ
أكَلُوا بِكَ الدُّنيا وأنتَ بمَعْزِلٍ ... طَاوِي الحَشا مُتكفِّت الأضْلاعِ
تَشْكوكَ دنْيَا لم تَزلْ بِكَ بَرَّةً ... مَاذا رفَعْتَ بِها من الأوضاعِ

وقال محمود الورّاق لابن أخته :

تصوَّف كَي يقال لَهُ أمِينٌ ... وما معْنَى التَّصوُّفِ والأمانَهْ ؟
ولم يُرد الالَهَ بِهِ ولَكِنْ ... أرادَ بِهِ الطَّريقَ إلى الخِيانَهْ !

وقول الآخر :

صلَّى وصامَ لأمْرٍ كان يَطْلُبُه ... ومُذ حَواهُ فما صَلَّى ولا صَامَا !

وقول الآخر :

شمِّر ثيابَك واستَعدَّ لقابلٍ ... واحْكُكْ جَبينَكَ للقَضَاءِ بثُومِ

وعَليكَ بالغَنَويِّ فاجْلِس عنْده حتَّى تُصيب وديعَةً ليتيمِ !

وقول الآخر :

لا شَيءَ أخْسَرَ صفْقَةً من عَالمٍ لَعِبَت به الدُّنيا مَع الجُهَّال
فَغَدا يُفرِّق دينَه أيْدِي سَبَا ويدليه حِرصًا بجَمْعِ المَالِ
لا خَيْر في كَسْبِ الحَرامِ وقلَّما يُرجَى الخَلاصُ لكَاسبٍ لحلاَلِ
فخُذِ الكَفافَ ولا تكُن ذا فضْلَةٍ فالفَضْلُ تُسْألُ عَنْه أيَّ سؤَالِ !

وقول بعضهم، وقد رَأى ثمَّ افتضح، نعوذ باللَّه ! :

بيْنا أنا في توبتِي مُقْبِلاً قَد شَبَّهوني بِابْنِ رَوادِ
وقد حَملْتُ العِلْمَ مُسْتَظْهِرًا وحدَّثُوا عنِّي بِإسْنَادِ
إذ خَطَرَ الشَّيْطانُ بي خَطْرَةً نُكِسْتُ مِنْها في أبِي جَادِ

وقال آخر يخاطب معزولا :

ولَّوكَ إذ علموا بجَهْلكَ مَنْصبًا علموا بأنَّك عَن قليلٍ تبرخُ
طبخُوا بنارِ العزْلِ قلْبَك بعد ذا وكذا القلوبُ على المناصبِ تُطْبخُ

وقال الآخر في حمَّام :

حمَّامُكُم قيِّمُهُ أسْوَدُ هَربْتُ منْهُ وأنَا صَارخُ :
قَد سلخَتْ جِسْميَ أظْفارُهُ يا قَومُ هذا الأسْودُ السَّالخُ !

وفي هذين الشعرين التورية، وهي أن يذكر الشاعر لفظاله معنيان : قريب وبعيد . ويريد البعيد نحو قوله تعالى : **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**، فإنَّ المراد أحد معنيي الاستواء، وهو الاستيلاء قهرا وغلبةً، وهو المعنى الأبعد لأنَّه مجاز، وتُسمَّى التورية إيهامًا. فإن كان المعنيان مستويين، سمّي ذلك توجيها . وقد تقدَّم في ذلك جُملة من الشعر في الأبواب السابقة، ونحن نزيد [هنا] من مستحسن ذلك قول بعضهم يُهنّىء بعيد النحر :

تَهنَّ بِعيد النَّحر وابْقَ مُتمتَّعًا بأمْثالِهِ سامي العُلى نافِذَ الأمْرِ !
تُقلِّدنا فيه قَلائِدَ أنْعُمٍ وأحْسنُ ما تبْدو القَلائِدُ في النَّحْرِ

وقول الآخر :

بروحيَ أفْدِي خالَه فوق خدِّه وما أنا في الدُّنيا فأفْديه بالمالِ

تباركَ مَن أحْلى من الشَّعْرِ خدَّه وأسْكن كلَّ الحُسنِ في ذلك الخالِ !

وقول الآخـر :

مُهَفْهف القدِّ إذا ما انْثنى قال، ولا يخْشى منَ الوَدِّ :
ما أنتَ كِفْلي يا كَثِيبَ الّلوى ولَستَ يا غُصنَ النَّقا قدِّي !
لو نِلْت من خدِّه تَقْبِيلَةً تَزيَّنَ الرَّيْحَانُ بِالوَرْدِ

وقول الآخـر :

قُلت للأهْيَفِ الَّذي فضح الغُصنَ: كلامُ الوشاةِ ما ينبغي لَكْ
قال : قول الوُشاةِ عِنْدي ريحٌ قُلتُ: أخْشى يا غُصن أن تستميلك !

وقول الآخر :

تهاون شمس الدِّين بي وهو صاحبٌ وأظْهر لي أضْعافَ ما يُظْهر العِدا
نزلت به أبْغِي النَّدا وهو طالعٌ وعند طُلوع الشَّمس يرتفِع النَّدا !

وقول الآخر في حقّ النبيِّ صلَّى الّله عليه وسلَّم :

يا عَينُ إن بعُدَ الحبيبُ ودارُه ونَأت مرابعُه وشطَّ مزارُهُ
فلقَد ظفِرتِ من الزَّمانِ بطائلٍ إن لم تريْهِ فهذه آثارُهُ

وقول الآخر :

عاينْتُه ودموعي غَيْرُ جارية لأنَّ دمْعي من طول البُكا نَشَفَا
فقال : لم أدر وكْف الدَّمع. قلت له: حسِيبُك الّله يا بَدر الدُّجا وكفا !

وقول الصفدي مع حسن التضمين :

ملَكتُ كتابًا أخْلقَ الدَّهْرُ جِلْدَه وما أحدٌ في دهْره بمُخلَّد
إذا عايَنتْ كُتْبي الصَّحيحةُ حالهُ يقولون : لا تَهلِكْ أسًى وتجلَّد !

وقول أبي بكر بن حجة :

عزمت على السُّلوِّ لطولِ هَجْرِي فجاءتني عَوارضُهُ تُعَارضْ
وكان العُذْرُ يُقبَل في سُلُوِّي ولكن ما سلمْتُ من العَوارضْ

وقول البدر الدماميني :

وبي وجْنَةٌ حمراءُ زاد صفاؤها فأبْدت صفاتٍ أبْدعَ الحُسن كونها
فَدع لائمي فيها عن الحُبِّ جُهدهُ فما أنا بالسَّالي صفاها ولونَها

وقول ابن جعفر العسقلاني :

قد جئْت في علم الأصولِ لنا وفي عِلـم الفُـروعِ بخـالصِ الابْـريـزِ
برَّزت في هذا وفي هَـذَا عَـلَـى الـرَّازِي بالاحْسَـانِ و التَّبْـريـزي

وقوله :

خليليَّ ولَّى العُمْرُ منَّا ولم نتُب وننْوِي فعـال الصَّالحيـن ولكنَّـا
فحتَّى متى نبْني بيوتًا مشيدةً وأعمارنا منَّا تُهدُّ وما تُبْنا ؟

وقول المعمار :

إن قام يتْلو سورة الشَّمْس المُنيرَةِ في ضُحَاهَا
يَا حُسْنَهُ فَكَأنَّهُ القَمَرُ المُنِيرُ إذَا تَلاَهَا

وقولـه :

تملَّك قلبي صارمٌ قَد هويْتُه من الهِنْد مَعْسولُ اللَّمى أهيفُ القدِّ
أقول لصحْبي حين يرنو بلَحْظِه: خذوا حذركُم قد سلَّ صارمه الهندي

وقول الآخـر :

يَا مَنْ تَولَّى قَاضِيًا هَذَا قَضَاءٌ أمْ قَدَرْ ؟
عُذْرُكَ فِي نِسْيَانِنَا أنَّ القَضَا يُعْمِي البَصَرْ !

وقول ابن العفيف :

لَيْسَ خَلِيليًّا ولَكنَّهُ يُضْرِمُ في الأحْشَاءْ نَارَ الخَليلْ
يا ردفَهُ جُرْتَ على خَصْرِهِ رفْقًا بِهِ ما أنت إلاَّ ثَقِيلْ !

وقوله ممَّا يكتب على كأس :

أدورُ لتقْبِيلِ النَّدامَى ولَم أزلْ أجودُ بروحي للنَّدامَى وأنْفَاسِي
وأكْسو أكُفَّ الشَّربِ ثوبًا مُذهَّبًا فمِن أجْل هَذا لقَّبونِيَ بالكاسِ

وقوله في مليح خيالي :

خيالي أخَافُ الهجْرَ مِنْهُ ولَيسَ أراهُ يرغَبُ في وصَالِي
وكُنتُ عَهدتُني قِدمًا شُجاعًا فمالي صِرتُ أفْزعُ مِن خَيَالي ؟

وما قيل في التورية والتوجيه أكثر من أن يُحصى . ولولا خوف الاطالة لأوردنا من مستحسن ذلك ما يكون جزءا مستقلا، وليس ذلك من غرضنا . وأنا أذكر هنا بعض ما اتَّفق لي نظمه

في باب التورية أو التوجيه من غير تعبئة لنزول هذا الميدان، ومطاردة هؤلاء الفرسان . فمن ذلك قولي :

بنفسي من أضْحى فُؤادي طائرًا ... على غُصنٍ من قدِّه التَّلدْن ميَّالِ
على روضَةٍ من خدِّه الخالُ عارضٌ ... وأبْهجُ روض ما علَا عارضِ الخالِ

وفيه التورية بالطائر من حيث إنَّه اسم فاعل أو اسم ذي الجناح على التشبيه وحرف الجرّ بعده للتعليل على الأوّل والاستعلاء على الثاني، والتوريه بالخال من حيث إنَّه النقطة أو الغيم المخيل بالمطر مع الجناس بين على وعلَا والعكس .

وقولـي :

مررتُ على بالٍ من الرَّبْع دارسِ ... بكُلِّ ربابٍ عارضٍ اسحمٍ خالِ
ففاضت شؤون الجَفْن من ذكر حيرتي ... وثار هواهُم إذ مررت على البَالِ

وفيه التورية بالخال من حيث إنَّه وصف للدارس من الخلوّ أو وصف للرباب بمعنى المخيل كما مرَّ . والتورية بالبال آخرا من حيث إنَّه راجع إلى الربع من البلى أو إنَّه الفكر والخاطر ومعمول مررْتُ عَلَيْنِ محذوف أيْ عليه.

وقولـي :

وعاذِلٍ عَن الهَوى عادلٍ ... يَدعُو لأمْرٍ في الهَوى إمْرِ
قال اسْلُهُمْ واصْبِرْ فكَم ذائقٍ ... أمرَّ في الهَجْرِ مِن الصَّبْرِ
وزعم عِنانَ القلبِ عمَّا جَرَى ... عَلَيه من بَلْواءَ أو يجْرِي
فأيُّ عُذرٍ في اتِّباعِ الصِّبا ؟ ... قُلت لَه إنَّ الهَوى عُذْرِي

وفيه التورية بالصبر من حيث إنَّه على معناه أو انَّه المرُّ المعروف . وأصله صبر ثمَّ خفّف بالتسكين والتورية يجري من حيث إنه من الجريان بقرينة العنان أو انَّه من الوقوع . والمعنى عليهما واضح . والتورية بالعذر من حيث أنَّه بمعنى الاعتذار أضيف إلى ياء المتكلّم أو منسوب إلى بني عذرة، وهو الهوى الشديد، والمعنيان ظاهران .

وقولـي :

قَالَ العُذُولُ إذْ بَدَا ... بِعَارِضٍ مُعَذِّرِ :
الوَجْهُ الاعْتزَالُ عَنْ ... هَذَا الوجِيهِ الأشْعَرِ
فقُلتُ : ذاكَ الوجْهُ ... يَبْقَى فِيهِ فَضْلُ نَظَرِ

وفيه التورية في الأشْعَرِ مع الاعْتِزَالِ من حيث إنَّه وصف كأحمر - أي ذو شعر - أو بياء النسبة . والتورية في النظر والوجه من حيث إنَّه نظر البصر أو نظر البصيرة، والوجه وجه الحبيب أو وجه الدليل .

وقولي من قصيدة زمن الصبا أخاطب شيخنا الامام الهمام أمتعني اللّه به :

وفينا معانٍ بيَّنتْ قِدمَ الهَوى فليسِ لعمْري بالبديعِ إلى الصَّدر
وقد أعْربَت جزمًا بنصْبِ أدلَّةٍ فيُرفع ما بينى على الظَّنِّ من هجْر
فإن لم يكُن عن ذاك فعليَ مُعربًا تغنَّيت بالماضي من الحال والأمْرِ

وهذه التوريات واضحة كلّها، وقد وقع لي مثل هذا النوع كثيرا ولم أذكره .

وقولي من قصيدة أخرى موريا بالعباب و « الجوهري » من كتب اللغة :

وعَبَرتُ من لُجَج العلوم عُبابها حتَّى انثنيتُ بمُنْفساتِ الجوهرِ

وهذه القصيدة خاطبت بها بعض فضلاء العصر . فلمَّا وقف عليها استحسنها هو وجماعة من الفضلاء الواقفين عليها غاية . وكان من أغبياء الطلبة بعض من لم يرتق فهمه إلى ألفاظها، فضلاً عن معانيها، فتعلَّل لنفسه القاصرة بأنَّها مشتملة على الوحشيّ من اللغة . فلمَّا بلغني ذلك قلت :

تسامى لأذيالي مُذالٍ ولم أكُن لكُلِّ ذليلٍ بالذَّلولِ ولا السَّهلِ
ورامَ مراماتِ امرىءٍ طالما علاَ على الحَزْنِ من فيح البلاغة والسَّهْل
وارسلتها غراء ليس يَذيمُها سِوى العُمْيِ عن شمس الظهيرة والجُهل
فأنْكر جهْلاً ما حَوتْهُ رسالَتِي ولا غَرْوَ فالتَّكذيب شأنُ أبي جهْلِ !

وفيه التورية بأبي جهل مع الجناسات الكثيرة . والجُهْلُ - بضمّ فسكون - جمع جاهل .

وتخلَّف بعض أصحابي عن مجلس الدرس في اليوم المسمَّى بالعجوز، آخر ينيِّر، حبسه البرد، فكتبت إليه على سبيل المطايبة :

أعجزتَ عنَّا بالعجوز ولم يَكُن رجلٌ لتمنَعه عجوزٌ عائدهْ ؟
وعدلت عن أبكار فكريَ بُكرةً أتُباعُ بِكرٌ بالعجوز الباردهْ ؟

وفيه التورية بالعائدة من حيث إنَّه وصف للعجوز - أي صارفة وعائقة - وأنَّه معمول المنع بمعنى العطيَّة والصلة، وفي العجوز [أيضا] بين اليوم والمرأة بقرينة ذكر الرجل . وينشد أيضا عجوز جالدة أو فائدة، وفي كليهما التورية : فالجالدة إمَّا بمعنى ذات الجليد، من

قولك جَلِدتِ الأرضُ ـ بالكسر ـ، تجْلَدُ فهمي جَلِدَة وجالِدَة، اعتبارًا للعجوز بمعنى اليوم على قصد الليلة أو الصبيحة والبكرة ؛ وإمّا بمعنى المدافعة والمقاتلة، من قولك جَلَدتُهُ بالعصا : ضربته، اعتبارًا للعجوز بمعنى المرأة ؛ والفائدة إمّا بمعنى الافادة وهو معمول المنع، أو بمعنى الهالكة، من قولك : فَاد، يَفِيدُ، فَيْدًا، إذا هلك ومات، اعتبارًا للعجوز بمعنى المرأة وأنّها هرمة فانية، فكيف تغلب الرجال ؟ والتورية في العجوز الباردة واضحة ؟ وأعلم أنّ التورية والتوجيه أعلى فنون البديع وأجلّها وأدقّها، وهو أحد معاريض البلغاء الذي يرفلون به في الحلل الرقائق، وينجون بفُسْحتها من المضائق .

فمن أظرف ما وقع من ذلك ما رُوي عن خالد بن الوليد، رضي اللّه عنه، أنّه لمّا نزل على ألحيرة أتاه عبد المسيح الغسّاني، وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة . فلمّا مثل بين يديه قال له : أنعم صباحًا أيها الأمير ! فقال له خالد : قد أغنى اللّه عن تحيّتكم بسلام عليكم . ثمّ قال له خالد : من أين أقصى أثرك أيها الشيخ ؟ قال : من ظهر أبي . قال : من أين خرجت ؟ قال : من بطن أمّي . قال : فَعَلاَ مَ أنت ؟ [قال : على الأرض . قال : فيم أنت ؟ قال : في ثيابي . قال : أتعقل ؟ قال : إي واللّه، وأقيد . قال : ابن كم أنت] ؟[2] قال: ابن رجل وامرأة . قال : ما سنّك ؟ قال : عظم . قال : كم سنّك ؟ قال : اثنان وثلاثون بين ضرس وغيض . قال : كم لك من السنين ؟ قال : السنون كلّها للّه . قال : كم أتى عليك ؟ قال : لو أتى عليّ شيء لقتلني . قال : كم عمرك ؟ قال : لا يعلمه إلاّ اللّه . فقال خالد : ما رأيت كاليوم إنسانا أسأله عن شيء وهو ينحو في غيره . فقال : ما أجبتك إلاّ عن مسألتك .

وما روي عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم حيث قال له الأعرابيّ : مَنْ أنتُم ؟ فقال صلّى اللّه عليه وسلّم : نَحْنُ مِنْ مَاءٍ، والقصّة مشهورة.

وما رُوي من أنّ رجلا وقف بباب المأمون ليشكو فلم يجد من يدخله فصاح : أنا أحمد المصطفى النبي المبعوث ! فأُخذ وأُدخل على المأمون وقيل له إنّه تنبّأ، فسُئل عن أمره فذكر شكواه فقال له : ما هذا الذي حُكي عنك ؟ قال : ما هو ؟ قال : إنّهم قالوا إنّك تنبّأت . قال : معاذ اللّه ! إنّما قلت : أنا أحْمَد المصطفى النبيّ المبعوث، وأنت يا أمير المؤمنين تَحْمَدُه، وكذلك هؤلاء . فاستظرفه المأمون وأمر بانصافه.

وما رُوي عن بشّار بن برد من أنّه خاط له رجل أعور يُعرف بعمرو بردًا فلم يعجبه فقال له:

ما هذه الخياطة ؟ قال له : خطته لك كذلك لتلبسه إن شئت على وجهه، وإن شئت من باطنه . فقال له بشّار : وأنا قد قلت فيك شعرا، إن شئت جعلته مدحًا وإن شئت جعلته هجوا، ثمّ أنشد :

خَاطَ لِي عمْرٌو قَبَاءَ ... لَيتَ عينَيْهِ سَوَاءُ
فأُحَاجِي النَّاس طُرًّا ... أمديحٌ أمْ هِجَاءُ !

ويُروى :

خاطَ لي عمرٌو قَبَاءً ... لَيتَ عينَيْهِ سَوَاءَ
فَسَلِ النَّاسَ جميعًا ... أمَديحًا أمْ هِجَاءَ !

وهو على نصب الجزئيْن بِلَيْتَ .

وما رُوِي أنّه نشأ ببغداد غلامان أحدهما ابن حجّام والآخر ابن مرّاق، فبرعا في الأدب . **فخرجا ليلة وهما ثملان من نبيذ . فأخذهما العَسَسُ فأتوا بهما إلى صاحبهم . فلما مثلا بين** يديه قال لهما : ما أخرجكما جوف اللّيل ؟ فقالا : القدر والقضاء . فقال مَنْ أنتما ؟ فقال ابن المرّاق :

أنا ابنُ الذي لا تنزلُ الدّهر قدرهُ ... وإن نزلَت يومًا فسوفَ تعُودُ
ترى النّاس أفواجًا إلى ضوءِ نارهِ ... فمنهُم قيامٌ حولَها وقعُودُ

وقال ابن الحجّام :

أنا ابن من ذلّتِ الرِّقابُ له ... ما بين مخْزومِهَا وهَاشِمِهَا
تأتيهِ طوعًا إلَيْهِ خاضِعَةً ... يَأخُذُ من مالِهَا ومن دمِهَا

فقال في نفسه : الأوّل من أبناء الكرام، والثاني من أبناء الملوك . فقال لأعوانه : خلّوا عنهما، فإنّه بلغنا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أنّه قال : **أقِيلُوا ذَوِي الهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِم . فلمّا انصرفا أخبر بأمرهما، فاسترجعهما بالغد وقال لهما : ويْحكما ! خدعتماني . فقالا : ما خدعناك، وما أخبرناك إلاّ بما هو صفة والدينا . فلمّا تأمّل كلامهما وجده صدقا وقال : انطلقا ! من لم يكن منكما شريفا فلقد كان ظريفا .**

ومما رُوِي عن أبي الفَرج الجوزيّ، رضي اللّه عنه، أنّه كان في مجلس فيه السنّيّة والشيعة، فسأله سائل : أيّ النّاس كان أحبّ إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، أبو بكر أم عليّ ؟ فتغافل، فقيل له : قل ما عندك ! فقال : أحبّهما إليه من كانت ابنته تحته.

ويُروى : أفضلهما من كانت ابنته تحته ـ على أنَّ السؤال كان على الأفضليَّة ـ . ففهم السنّيَّة أبا بكر وفهم الشيعة عليّا، ورضي الفريقان . ومحاسن هذا النوع أكثر من أن تُحصى . وقد خرجنا عن الغرض، فلنعد إلى المقصود . وقال أبو محمَّد الحريري :

يَقُولُونَ إنَّ جَمَالَ الفَتَى ... وزينَتَهُ أدبٌ رَاسِخُ
ومَا ان يَزينُ سِوَى المكْثرينَ ... ومَنْ طَودُ سُودَدِهِ شامِخُ
فامَّا الفَقيرُ فَخَيْرٌ لَهُ ... مِنَ الأدبِ القُرصُ والكامخُ
وأيُّ جَمَالٍ لَهُ أن يُقَالَ ... أديبٌ يَعَلِّمُ أوْ نَاسِخُ

الكَامخُ : شيء يُؤتدم به، أو طعام يتَّخذ من الحنطة والثَّلبن على أنواع، والعرب كانت لا تعرفه . وقُدّم لأعرابيّ فقال : ما هذا ؟ فقيل له : كَامِخٌ . فقال : مِمَّ صنع ؟ فقيل : من الحنطة واللبن . فقال : أبوان كريمان وما أنجبا، وقلت :

إذا المرءُ إن أرضَيتَهُ كان لي أخًا ... وإن أُسِءِ عَادَاني فما هُولي بأخْ
فلا خيرَ في ودٍّ امرىء ليس صافيًا ... تراهُ بأدرانِ المساوي قد اتَّسخْ
ولا خير في ودٍّ يكونُ تكلُّفًا ... ولا في ودودٍ حيث لنْتَ له شَمخْ
وما الودُّ إلاَّ ما تكنَّفه الحشَا ... متى تهْزُزِ الأحداثُ أغصانهُ رسخْ

وقلت أيضا من هذا المعنى :

ولا تَبِتَ من فتًى على ثِقَةٍ ... ولا يغُرَّنْ حِجاكَ من آخَى
حتَّى تَرَاهُ لَدى النَّوائب إن ... قاضيتَه في الحاجاتِ هَل سَاخَى
وعنْد سَعْيِ الوشاةِ هل ثبَتت ... رجلاً حشاهُ في الودِّ أم ساخا

سَاخَى الأوَّل فَاعَلَ، من السَّخَاءِ وهو الكرم، وسَاخَ الثَّاني من سَاخَ يَسُوخُ ويَسِيخُ إذا هَوَى في الطين ونحوه، وفيهما الجناس التام.

ولنكتف بهذا القدر من هذا الباب، والله يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

بَـابُ الدّال المُهمَلة

دَرْدَبَ لَمَّا عَضَّهُ الثِّقَافُ .

الدَّرْدَبَةُ عَدْوٌ على خوف، وهو أن يجري ويلتفت وراءه من الخوف . وعَضِضْتُ الشيء ـ بالكسر ـ كعَلِمْتُ، ـ وبالفتح ـ كَمَنَعْتُ ـ : أمْسَكْتُهُ بأسناني أو بلساني ثمَّ يستعمل العضّ فيما يشبه هذا من إلمام الحوادث ووقع الخطوب : والثِّقَافُ ـ بالكسر الخصام والمجالدة . ويقال : ثَقِفَهُ ـ كعَلِمَهُ ـ إذا صادفه أو أخذه أو أدْركه وظفر به. قال الشاعر :

مَن يُثْقَفَنْ منهُم فَلَيس بآئِبٍ أبدًا وقتلُ بني قُتيبَةَ شَافِ

وقال ذو الكلب الهُذَلي :

فإمَّا تثْقَفُوني فاقْتُلُوني فإن أُثْقَفْ فسوفَ ترونَ بالي[1]

والثِّقَافُ أيضا ـ بالكسر ـ الخشبة تسوَّى بها الرماح، وهو المقصود في المثل . فمعنى دردَبَ لمَّا عضَّهُ الثِّقَافُ : خَضَعَ وذَلَّ . ومضربه واضح . وقال عمرو بن كلثوم :

إذا عضَّ الثِّقافُ بها اشْمأزَّت وولَّتْهُم عشَوْزَنَةً زَبُونَا[2]

وثَقَّفْتُ الرُّمْحَ بالثِّقَاف تثقيفًا : سوَّيْتُه وقوَّمْته، فهو مُثَقَّف ومُقَوَّم.

دفَعْتُ إلَيْهِ الشَّيءَ بِرُمَّتِهِ

الدَّفْعُ هنا الاعْطاء . والرُّمَّة ـ بالضمّ ـ القطعة من الحبل البالية . ودفع رجل لآخر بعيرًا في رقبته حبلٌ فقيل : دفعه إليه برمَّته، وذهب مثلا لكلّ من أعطى الشيء أو أخذه بأجمعه . قال الأعشى يخاطب خمَّارا :

---

1) سقطت الياء من «بالي» في مخطوطاتنا.

2) الرواية المشهورة لهذا البيت :

إذا عضّ الثقافُ بها اشمأزّتْ تَشُجُّ قَفَا المُثَقِّفِ والجَبِينَا

فَقُلْتُ لَهُ : هذهِ هَاتِهَا بِأَدْمَاءَ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا

دَعْ بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ !

دَعْ : معناه اتْرُكْ، أصله الودْع، وهو التَّرك، لكن لم يُستعمل هذا المصدر إلاَّ قليلا، كقوله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : **لَيَنتهِينَ أقْوامٌ عَنْ ودْعِهِمُ الجُمُعَةَ**، الحديث. ولم يُستعمل منه أيضا الماضي إلاَّ قليلاً، كقوله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : **دعُوا الحَبَشَةَ مَا ودَعُوكُمْ !** وقُرِىء : **مَا ودَعَكَ رَبُّكَ ومَا قَلَى**، بالتخفيف من هذا، وإنَّما المستعمل منه كثيراً المضارع والأمر، وهما بفتح عين الكلمة لمكان حرف الحلق، نحو قَعْ ويَقَع . وقد علمت من هذا أنَّ حقّ هذا الحرف أن يُذكر في باب الواو، ولكن كتبناه في هذا الباب تقريبا لما أنَّ الواو مستهلكة لا تظهر كما مرَّ نظيره في حرف التاء . وبُنَيَّاتُ الطريق الطرق الصغار المتشعّبة عن الطريق الكبيرة وكأنَّها بنات لها من حيث إنَّها تنشَّأت عنها وخرجت منها . ثمَّ أطلقوا بُنَيَّات الطريق على الأباطيل، فضُرب المثل عند أمر الرجل أن يقصد معظم الشأن ويدع سفساف الأمور . قال ابن منادر في قاضي البصرة :

أيُّ قَاضٍ أنْتَ لِلنَّقْضِ وتَعْطِيلِ الحُقُوقِ ؟
يَدعُ الحقَّ ويَهْوِي فِي بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ

دعُوا دمًا ضيَّعَهُ أهْلُهُ !

الدَّمُ معروف، وفيه لغات : يُقال دمٌ، وهي الفصحاء، وأصله دمَوٌ ودَمَيٌ فحذفت اللاَّم . ويقال دَمٌ ـ بالتضعيف ـ، كقوله :

أهانَ دمَّكَ فرغًا بعد عزَّتِه يا عَمرو بغْيُكَ إصرارٌ على الحَسَدِ ؟
فقد شقيتَ شقاءً لا انقِضاء له وسَعْدُ مُرديك موفورٌ على الأبَدِ

ويُقال دمَى ـ بالقصر ـ مثل فتَى وعَصَى كقوله :

كأطُومٍ فقدتْ بُرزُغَها أعْقَبتْها الغُبْسُ منهَا عَدمَا[3]

3) صحفت كلمة «الغُبْس» في بعض المخطوطات فكتبت «العنس».

غَفلت ثمَّ أتَتْ تَطْلُبُه فإذا هِي بعظَامٍ ودَمَا

الأَطُوم - بوزن صَبُور - البقرة، والبُرزُغُ ولدها، والتَّضْيِيعُ معروف . وهذا المثل من كلام جذِيمَة الأبرش المتقدّم ذكره.

وكانت الزَّبَّاء لمَّا احتالت على قتله، كما مرَّ، قيل لها : احتفظي بدمه فإنَّه إن يضع وتقع منه قطرة بالأرض طُلبتِ بثأره . فلمَّا قبضت على جذيمة، وأجلس على النِّطْعِ، وجعل الخدم يقطعن رواهشه قالت الزبَّاء : لا تضيّعن دم الملك ! فقال جذيمة : دعُوا دمًا ضَيَّعَهُ أهْلُهُ !

والمعنى : اتركوا دمًا أراقه أُهله !، أي مستحقّوه وهم الزبَّاء، أي فلا يهولنكم ضياعه، ولا **يهمنكم حفظه، ولا تتخوّفوا إذا ضاع أن تطالبوا به، لأنّكم لم تريقوه ظلمًا . وهذا كما في** الرواية الأخرى : **لا يُحْزِنَنَّكِ دمٌ أراقَهُ أهْلُهُ** ! يخاطب الزبَّاء . وتقدَّمت القصة مستوفاة . وجذيمة يُحتمل أن يكون في هذه الرواية عبَّر بتضييع الدَّم عن إراقته مجازًا ليشاكل لفظ الزبَّاء ؛ ويُحتمل أن يريد معناه لصحَّته في المعنى ؛ وقد يكون جذيمة أراد **أهله** هو وأنَّهم ضيَّعوا دمه فيقول : إنَّ دما أسلمه جمعه ووالِيه، وخانه ناصره وحاميه، جدير **أن لا** يُحتفظ عليه، وأن يضيع ولا يُلتفت إليه.

دَعَوْا دعْوةً كَوْكَبِيَّةً .

الدُّعَاءُ : الرَّغْبَة إلى اللّه تعالى، دعَا له وعليه، يَدْعُو دُعَاءً، والمرَّة منه دعْوَةٌ . والكَوكَبِيَّةُ : قرية كان أهلها ظلمهم عامل فدعَوا عليه دعوةً فمات عقبها، فضُرب المثل بذلك .

وممَّا يشبه هذا ما حكاه صاحب **المدخل** أنَّ قرية من أعمال السودان كان أهلها إذا ولّى عليهم السلطان عاملا فانبسط عليهم دعوا فهَلَك . فلمَّا أعيا السلطانَ أمرُهم وتحيَّر قام إليه بعض الحاضرين فقال : أنا أَلِي عليهم ! فولاّه السلطان بعد أن عرفَّه بكُنْه الأمر . فذهب ذلك الوالي **فغصَب** ملحا واستصحبه معه، ولم يكن في بلد السودان الملح . فلمَّا بلغ موضع عمله قعد في المسجد ولم يصعد إلى موضع الأمير . فقالوا له : ألا تصعد إلى موضعك ؟ فقال : إنَّما جئت على أن أكون واحدا منكم وأباشركم، ولا أصدر إلاَّ عن

رأيكم، أو كما قال . وبقي على ذلك حتّى أعجبهم وحسنوا به الظنّ . فتمارض حينئذ، فسألوه عن موجب مرضه، فقال لهم : موجب المرض فقدُ الملح . فقالوا : نأتيك بالملح . فقال : لا أعرف أصله، وإنّ عندي ملحًا بالبلد أعرف جهته وأصله، فلعلّه يكون فيه الشفاء . فإن أردتم أن أرسل من يأتي به، وإلاّ فلا . فأذنوا له، فأرسل إليه حتّى بلغه، ففرّقه عليهم على وجه التبرّك . فلمّا علم أنّهم قد أكلوه قام إليهم ومدّ اليد إليهم، وطلع إلى موضع الولاية حينئذ . وكان قبل يخشى من دعائهم لاقتياتهم الحلال الصرف . فلمّا دخل أجوافهم ذلك الملح علم أنّ دعاءهم لا يُسمع عليه، وكان في القوم رجلان تفطّنا لذلك فلم يأكلا ملحهما . فلمّا ظهر أمره أتياه بما عندهما لم يفسدا شيئا منه . فلمّا علم أنّهما قد بقيا هرب خوفًا منهما.

ومثل هذا حُكي عن الحجّاج لمّا دخل العراق واليًا، وكانوا لا يلي عليهم أحد ويظلمهم إلاّ دعوا فهلك . فلمّا خاف الحجّاج من دعائهم طلب منهم أن يأتوه كلّهم ببيضة بيضة لحاجة ذكرها، وقعد على صحن . فكلّ من أتى ببيضة أمره أن يطرحها في الصحن . فاستخفوا البيض منه وفعلوا ما أمرهم . فلمّا اجتمع البيض واختلط، أمرهم أن يأخذ كلّ واحد بيضة، وأراهم أنّه قد بدا له في ذلك ورجع عمّا أراد . فأخذ كلّ واحد بيضة من البيض ولا يدري عين بيضته . فلمّا علم الحجّاج أنّهم تصرّفوا في ذلك، مدّ يده إليهم فدعوا عليه، فمنعوا الاجابة . قال رحمه الله تعالى : ولأجل هذا كثرت المظالم وكثر الدعاء على فاعلها، وقلّت الاجابة أو عدمت .

دَفْنُ البَنَاتِ مِنَ المَكْرمَاتِ .

الدَّفْنُ معروف ؛ والبَنَات جمع بنت ؛ والمَكْرُمَة فِعْل الكرم .

وهذا المثل مشهور، ومثله المثل الآخر : نِعْمَ الصِّهْرُ القَبْرُ ! وقال الشاعر، مضمّنا المثل :

القبْر أخْفى سترةٍ لِلبَنَاتِ ودفْنُها يُروَى من المكْرُمَاتْ
أما رأيْتَ اللّهَ عزّ اسْمُهُ قَد وضَع النّعْش بجنْبِ البَنَاتْ !

وقول الآخر :

أُحبُّ بُنيّتي وأوَدُّ أنّي دفنْتُ بُنَيّتِي في قَعْرِ لحْدِ

وشبه هذا قول الأمير ابن أبي حفصة :

وفي الدّار خلفي صبيةٌ قد تركتُهم ... يُطالُون إطلال الفراخِ من الوكْرِ
جنيتُ على روحي بروحي جِنايةً ... فأثْقلتُ ظهري بالذي خفّ من ظهْرِ

والشعر في هذا المعنى كثير .

دقّكَ بالْمِنْحَازِ حَبَّ القِلْقِلِ .

الدّقُّ معروف . والمِنْحاز ـ بالحاء المهملة وبالزاي ـ الهَاوُن، وهو المهراس . ونَحَزْتُ الشيء : دقَقْتُه . والقِلْقِل ـ بقَافَيْن مكسوريْن، على مثال زِبْرج ـ : نبت له حبّ أسود أصلب ما يكون من الحبوب، حسن الشمّ . قال أبو النَّجْم :

وآضَتِ البُهْمَى كنبْل الصَّيْقَل ... وطارتِ الريحُ يبيسَ القلْقِلِ[4]

وقد يُقال في هذا المثل بفائَيْن مضمومتيْن، وهو الفُلْفُلُ المعروف من الأبزار، وجعله الأصمعي تصحيفا من العامّة . ومن النّاس من ادّعى أنّ هذا هو الصواب، وأن الأوّل هو التصحيف، لأنّ حبّ القِلْقِل ـ بالقاف ـ لا يُدقّ . وهذا المثل يضرب في الالحاح على الشحيح والحمل عليه، وكأنّه شطر بيت من الرجز .

دقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمٍ .

الدّقُّ مرّ ؛ والعِطْرُ ـ بالكسر ـ معروف ؛ ومَنْشِم ـ على مثال مجْلس، وعلى مثال مَقْعَد، قيل ويُروى أيضا مَشْئِم ـ بالهمز ـ ؛ ومَن شَمّ مفصولة . واختُلف في معناه: فقيل مَنْشم اسم الشرّ ؛ وقيل المَنْشِم يكون في سنبل العطر يُسمّى قرون السنان وهو سمّ ساعة . وقيل منْشم اسم امرأة . واختُلف في اشتقاقه أيضا : فقيل منْشِم وضِع وضْع الأعلام ؛ وقيل مُشتقّ من قولك : نشم في الشيء إذا بدأ وأخذ فيه، ويُستعمل في الشرّ . وقيل هو مركّب من اسم وفعل، والأصل مَن شَمّ، على أنّ شمّ فعل ماض من شمّ الرائحة، وهو صِلَةُ من . ثم وصل وحذفت الميم الثانية من الفعل وجُعِل الاعراب على الأولى . وعلى رواية مَشْأم فهو مأخوذ من الشّؤم . واختُلف أيضا

---

4) الرواية المشهورة : «وحارت الريحُ يَبيس القِلْقِلِ» بينما نجد في مخطوطاتنا «وطارت الريح...» أو «صارت الريح...».

في سبب المثل ومعناه : فقيل إنَّ منشِم اسم امرأة، وهي بنت الوجيه، وكانت عطَّارة بمكَّة . وكانت خزاعة وجُرْهُم إذا أرادوا الحرب تطيَّبوا من طيبها، فكثرت القتلى، فجعلوا يقولون : أشْأمُ مِن عِطْر مَنْشَمٍ.

وقيل كانوا إذا أرادوا الحرب غمسوا أيديهم في طيبها وتحالفوا أن يستميتوا في الحرب ولا يولّوا . فكانوا إذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة يقول النَّاس : دقُّوا بَيْنَهُم عِطْر مَنْشَمٍ . فلمَّا كثر منهم هذا القول صار مثلا للشرّ العظيم . قال زهير :

تَدارَكْتُما عبسًا وذبيانَ بعد ما تفانَوا ودقُّوا بينهم عِطْر منشِمِ

وقيل إنَّ منشم امرأة كانت تبيع الحنوط فسمَّوا حنوطها عطرا في قولهم عِطْر منْشِم، لأنَّهم أرادوا عطر الموتى . وأمَّا من ذهب إلى أنَّه مركب فزعم أنَّ امرأة من العرب كانت تبيع العطر، فورد عليها بعض أحياء العرب، فأخذوا عطرها وفضحوها . فلحقها قومها ووضعوا السيف فيهم وجعلوا يقولون : اقتلوا مَنْ شمَّ من طيبها ! فبقي مَن شَمّ اسمًا مركَّبا من هذا.

وقيل إنَّ سبب المثل قتالُ يَوم حَلِيمة الذي قيل فيه : **ما يَومُ حَليمةَ بِسرَّ** . وكانت فيه الحرب بين الحارث بن أبي شمر، ملك الشام، وبين المنذر بن المنذر بن امرىء القيس، ملك العراق . وأخرجت حليمة إلى المعركة مراكن الطيب، فكانت تطيّب الداخلين في الحرب، فقاتلوا من أجل ذلك حتَّى تفانوا . وسيأتي شرح هذه القصَّة .

دَمِّثْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّومِ مُضْطَجَعًا !

التَّدمِيثُ : التَّسْهِيلُ . يقال : مكان دمِث ـ كفَرِح ـ أي لَيِّن سَهْل . ودمِثَ الشيء ـ بالكسر ـ يَدمَث، دماثَةً، فهو دمِث . ودمَّثته أنا تَدمِيثًا : سهَّلته وليَّنتُه؛ والمُضْطَجَعَ ـ بالفتح ـ مكان الاضطجاع .

والمعنى أنَّك إذا أردت أن تنام فَسوِّ المكان وليِّنْه، وأزِلْ ما فيه من الخُشونة قبل اضطجاعك ! يُضرب في الاستعداد للنَّوائب قبل نزولها . ومثله قول تأبَّط شرًّا :

ولكنْ أخو الحزم الَّذي لَيس نازِلاً به الأمر إلاَّ وهو للقَصْد مُبْصِرُ

وقول الآخـر :

ولكنَّ من لا يلقَ أمرًا ينوبُه بعُدَّتِه يَنْزِلْ به وهْوَ أعْزَلُ

وقول أمّ المؤمنين عائشة، رضي اللّه عنها، في عمر، رضي اللّه عنه، : **كان واللّهِ أحْوذيًّا نَسيجَ وحْدهِ، قد أعَدَّ للأمُورِ أقْرانَهَا** . ويُروى [إنَّ] مَن رآى عُمَرَ ابْن الخطّابِ عَلِمَ أنَّه خُلِقَ غَناءً للاسْلامِ . كان واللّهِ أحْوذيًّا إلخ...

الدَّمُ لا يَنَامُ .

هذا المثل من كلام قصير بن سعد لجَذيمَةَ حيث شاورهم على الخروج إلى الزبّاء، فقال له قصير : إنَّ الزبّاء قَتَلْتَ أباها والدَّمُ لا ينام، وتقدّم ذلك مشروحا . والمراد أنَّ من كان له قِبَلَكَ ثَأرٌ وثَبَتَ له عندك دم، لا يغفل عنك وعن أخذ ثأره منك ليلا ولا نهارًا، ولا يكون منه سِلْمٌ صحيح ولا مصافاة خالصة أبدا.

دُهْدُرَّيْن، سَعْدُ القَيْن .

دُهْدُرَّيْن ـ بضمّ الداليْن وفتح الراء المشدّدة ـ، وقد اختُلف فيه : فقيل هو اسم مبنيّ بصيغة المثنّى ؛ وقيل هو تَثنية دُهْدُرٍّ، وهو الباطل . ويقال أيضا دُهْدُنٌّ بالنون ـ على وزنه . قال الراجز :

لأجْعَلَنْ لابْنَةِ عمْرٍو قِنَّا حتّى يعُود مَهْرُها دُهْدُنَّا

وهو في هذا المثل منصوب بفعل مضمر، وسَعْد منادى، وهو قَيْن كان ادّعى أنَّ اسمه سَعْد زمانًا ثمَّ تبيَّن كذبه، والقَيْن وصف له، فقيل له ذلك، أي جمعتَ كذبا إلى كذب يا سَعْد الحدّاد ! وقيل إنَّ دُهْدرَّيْن اسم فعل مبنيّ بمعنى بَطَلَ، كما بُني شَتَّانَ وهَيْهَاتَ، وسعد فاعله، والقَيْن وصف له . والمعنى : بطَل سعدُ القَيْن . والمراد بطلان استعماله لتشاغل النّاس عنه بالقحط . وحُذف تنوين سعد في هذا الوجه تخفيفًا لكثرة الاستعمال، نحو : ولا ذاكِرُ اللّهَ إلاّ قَليلاً . وقيل إنَّ دهْدُرَّيْنِ موضعه رفع على الابتداء، كأنّه قيل : كلامك باطل، أو فعلك باطل . وكذلك سعد، أي أنت سعد القين، أي مثله . وقيل إنّه مركّب، وأصله دُهْ أمر من الدّهاء ـ وكان الأصل دهى ـ ثمَّ قُلب فقيل دَاه ـ بجعل اللاّم موضع العين ـ كما قيل : لاَع ولاَئِع، ودُرَّيْنِ من قولك : دُرَّ الشيء إذا تتابع . والمعنى : بالغ في الكذب يا سعد ! وقد قيل إنّه حدّاد عجميّ يدور في اليمن . وكان إذا كسد في مخلاف قال بالفارسيّة : دُهْ بدرود، أي بالوداع،

يخبرهم أنّه يخرج غدا ليستعملوه، فعرّبوه وضربوا به المثل في الكذب والباطل . وقالوا : إذَا سَمِعْتَ بِسُرَى القَيْن فإنّه مُصْبِح، وقد تقدّم . ورواه بعضهم : دُهْدُرِّيْنِ وسَعْدَ القَيْنِ - بالواو ونصب سعد. وروى آخرون : دُهْدُرِّى - مقصود بغير نون التثنية -، وقالوا موضعه في ضرب المثل إذا ردّ على مُخبِر خبره، أو على فاعل فعله، أو حمق أحمق . وروى آخرون : دُهْدُرِّيْن سَاعِدُ القَيْنِ.

والمقصود من ذلك كلّه واحد، وهو الباطل واللّغو . فيُضرب عند التكذيب للحديث وادّعاء بطلان الأمر. وقال أبو زيد : يُقال للرجل يُهْزَأ به : طُرطُبَّيْن ودهْدُرِّيْن ودُهْدُرّا وسعدَ القَيْن.

وللنّاس في هذا اللّفظ أقاويل هذا حاصلها، واللّه أعلم.

الدَّهْرُ حُبْلَى لا يُدْرَى مَا تَلِدُ .

الدَّهْرُ - بفتح فسكون، وتُحرّك الهاء - الزمان الطويل، والزمان الممدود، أو ألف سنة : هذا قول اللُّغويّين . وللفلاسفة فيه كلام بيّنّاه في علم الكلام ؛ والحُبْلَى : الحَامِل . قال امرؤ القيس :

فمثْلُكِ حُبْلَى قد طرقْت ومرضعًا وألهيتُها عن ذي تمائِم مُحْوِلِ

حَبِلَتِ المرأة - بالكسر -، حبلاً، فهي حَابِلَة، والجمع حَبَلَة ؛ وحُبْلَى، والجمع حُبْلَيَات وحَبَالَى، والولادة معروفة . والمعنى أنّ الدّهر، لا نبهام الأقدار الجارية فيه، وخفاء التصاريف الواقعة بذويه، يشبه الحبلى المنبهم أمر ذي بطنها، لا تُعرف له ذكورة ولا أنوثة، ولا كمال ولا نقص، ولا حسن ولا قبح، حتّى تلد فيتبيّن ذلك . وكذا الدّهر لا يُعرف فيما يأتي به من الأقدار والحوادث، أخير أم شرّ، وزيادة أم نقص، وسعة أم ضيق، حتّى يقع ذلك فيظهر.

أدهَى مِنْ ثَعْلَبٍ .

الدَّهَاءُ والدَّهْيُ : المَكْر وجودةُ الرأي . ورجل دَاهٍ ودَهٍ وداهِيَة، والجمع دُهَاة ودَهُونَ . وقد دَهِيَ الرجل - بالكسر -، دَهْيًا ودَهَاءً ودهَاءَةً، وتَدَهَّى : فَعِلَ

فِعْلَ الدُّهاة ؛ والثعلب : الحيوان المعروف، وتقدَّم فيه كلام . وهو موصوف بالمكر والاحتيال مشهور بذلك . ومن مكره أنَّه إذا رأى الغلبة عليه تماوت حتَّى لا يُشكَّ في موته فإذا غُفل عنه وثب هاربا .

ومن مكره المحكيِّ في الخرافات عند العرب أنَّهم قالوا: إنَّ الضبع صادت ثعلبا فقالت : أخيِّرك يا ثعلب بين خصلتيْن، فاختر أيتهما شئت . قال : ماهما ؟ قالت : إمَّا أن آكلك، وإمَّا أن أنكحك . فقال الثعلب : أما تذكرين يوم نكحتك ؟ فقالت : متى ؟ وانفتح فوها . فأفلت الثعلب [وهرب . فضربوا المثل بذلك وقالوا : **عَرَضَ عليك خَصْلَتَيِ الثعلب**][٨٥]. وقالوا أيضا : إنَّ الثعلب اطلع على بئر وهو عطشان، وعليها رشاء ودلوان، فقعد في الدلو العليا، فانحدرت به إلى البئر حتَّى شرب وبقي هنالك . فإذا بضبع اطلعت على البئر، فرأت بياض القمر انتصف الماء، والذئب قاعد في ضوئه، فقالت له : ما تصنع هنا ؟ فقال لها : إنِّي أكلت نصف هذه الجيفة وبقي نصفها، فانزلي تأكليها ! قالت: وكيف أنزل ؟ قال : تقعدين في الدلو الأخرى . فلمَّا التقيا في وسط البئر قالت له : ما هذا ؟ قال : **كَذَا التَّجَارِبُ تَخْتَلِفُ** ! فضربوا ذلك للمختلفين في الأمور . ومثل هذه الحكايات كثير.

دَارُ الفُسوقِ جَدَثٌ، وحَديثُه حَدَثٌ .

هذا مثل مصنوع فيما أظنّ وهو ظاهر المعنى ؛ والجَدَث ـ بالجيم ـ القَبْر . قال الشاعر:

جَدَثٌ يَكُونُ مقَامُهُ أبَدًا بِمُخْتَلَفِ الرِّيَاحِ

والجمع أجْدَاثٌ وأجْدُثٌ . قال الآخر : أنشده الجوهري :

عَرَفْتُ بِأجْدُثٍ فَنِعَافِ عِرْقٍ عَلامَاتٍ كَتَحْبِيرِ النِّمَاطِ

دُونَ ذَلِكَ خَرْطُ القَتَادِ

دُونَ نقيض فَوقَ وبمعنى أمَامَ . ويكون ظرفا للمكان القاصر عن الغاية فيما يُضاف إليه، ثمَّ يُطلق على كل رتبة أدنى من أخرى في الأمكنة والأزمنة والمعاني ؛ والخَرْطُ : النَّزْعُ، تقول : خرطت الشجرة خَرطًا إذا انتزعت الورق منها اجتذابًا ؛ والقَتَادُ ـ على

مثال سَحَاب ـ شجر صلب شوكُه كالابر شديد، يُضرب به المثل كما قال أبو تمّام :

نَـثَـا خبرٌ كأنَّ القَـلْبَ أمْسَى يُـجرُّ به عَـلى شَـوكِ القَـتـادِ

وقال أيضا :

غَـدتْ تستجير الدَّمْع حوف نوى غدٍ وعادَ قتادًا عندها كلُّ مرقَـدِ

وخَـرطُه أشدُّ شيء، فضُرب المثل به . وتقدَّم مثله في حرف الهمزة . قال أبو المظفَّر :

يا من يُساجلُني وليس بمُدركٍ شأوي وأين له جَلالَـةُ منصبِـي

لا تتْعبـنَّ فدُونَ ما حاولْـتَـه خرط القتادِ وامتطاءُ الكـوكب !

جدِّي مُعاويةُ الأغرُّ سمتْ به جُرثُومةٌ من طِينِـها خُلق النَّبي

وروثْتُه شرفًـا رفَـعْتُ مَنَـارَهُ فبنو أُميَّةَ يفخرونَ بِـه وبِـي

وقال الآخـــر :

مالُ ابن دارَةَ دونَـهُ لعُفاتِـهِ خرطُ القتـادِ والتمـاسُ الفرقَـــدِ

مالٌ لزومُ الجمعِ يمنَـعُ صرفَـهُ في راحةٍ مثلَ المنادَى المُفْـرِدِ

دُونَ ذَا ويَـنْـفُـقُ الحِـمَـارُ !

دونَ تقدَّم [معناه]، والنَّـفَـاقُ : الرَّوجَـانُ، تقول : نَـفَـقَ البيع ـ بالفتح ـ ينفق، نَـفَـاقًـا ـ على مثال سَحَاب ـ إذا رَاجَ ؛ ونَـفَـقَـتِ الدابَّةُ أو الرجل : مَـاتَ ؛ والحمار معروف . ودخل رحل السوق بحمار له يبيعه . فقام رجل يقال له أبو يسار يمدح الحمار، وجعل يقول : إنَّ حافره جلمود، وإنَّ ظهره حديد . فقال صاحبه : **شَـاكِـهْ أبَـا يَـسارٍ، دُونَ ذَا ويَـنْـفُـقُ الحِـمَـارُ** ! فذهب مثلا يُـضرب للمفرط في الثناء والمدح . ومعنى شَـاكِـهْ : شَـابِـهْ وقَـارِبْ في المدح ولا تُـفْـرِطْ، من المشاكهة وهي المشابهة . وسيأتي تتمَّة المثل في الشين، إن شاء اللّه.

ومن أمثال العامَّة في هذا الباب قولهم :

دجَـاجَـةٌ وتَـرْكُـلُ .

يُـضرب لاستبعاد الصولة من الضعيف، والدجاجة معروفة ـ مثلَّثة الأوَّل ـ والجمع دجَـاج ؛ والرَّكْـلُ ضرب الأرض برجْـل واحدة، وركض الفرس بالرجل، والأرض المركَّلة

المكدودة بحوافر الدوابّ . قال امرؤ القيس يصف فرسا :

مِسحٌّ إذا ما السَّابحاتُ على الونَى أثَرنَ غُبارًا بالكَديد المُركَّلِ

ويُستعمل الرَّكْلُ، في لسان العرب، في الضرب بالرِّجْل مطلقا، وهو المراد.

ثمَّ نذكر من الشعر في هذا الباب ما تيسَّر، والله المستعان.

قال طرفة بن العبد :

ستُبْدي لك الأيَّامُ ما كُنت جاهلاً ويأتيك بالأخْبار من لم تُزوِّدِ

وإلى معنى هذا البيت أشار ابن شرف في لاميته بقوله :

لا تسألِ النَّاس والأيَّامَ عن خبرٍ هُما يبُثَّانكَ الأخْبارَ تَطفيلاَ !

وقال دُريْد بن الصِّمَّة :

وهَل أنا إلاَّ من غزيَّةَ إن غَوتْ غويتُ وإن ترشُد غزيَّةُ أرشُدِ

وغزيَّة قبيلة، وهي ـ فيما أظنّ ـ بفتح المعجمة وكسر الزاي . وهكذا رأيته في نسخة من **الصحاح** مضبوطا بالقلم، ويؤيّده ما في **القاموس** من أنَّهم يُسَمّون غازية وغَزيَّة كغَنِيَّة ـ ولم يثبت في أسمائهم غُزَيَّة . ـ بلفظ التصغير ـ. وقال من هذه القصيدة أيضا :

أمرتُهُم أمري بمُنعَرَجِ اللِّوَى فلم يستبينوا الرُّشْد إلاَّ ضُحى الغَد

وتمثَّل بهذا البيت أمير المؤمنين عليّ ـ كرَّم الله وجهه ـ على المنبر، في قصَّة التحكيم حين وقع ما وقع من الحكمَيْن، يعاتب أهل العراق ويوبّخهم على سفاهة رأيهم في ذلك وتوجيههم أبا موسى الأشعري، والقصَّة مشهورة . وعلى هذا البيت نبَّه ابن شرف بقوله في لاميته :

يَرى البَليدُ البَلايَا بَعْد ما نزلت وذو الذَّكاءِ يرى الأشْياء تخْييلا

وقال الأسود بن يَعْفُر :

جرت الرِّياح على محلِّ ديارهِم فكأنَّهُم كانوا على مِيعَادِ

ونظمه ابن شرف في لاميته بقوله :

بادوا كأنَّهمُ للفرقَةِ اتَّعَدوا فلم يكُن ذلكَ الميعادُ ممطولاَ

وقال الآخر :

أجمِل إذا طالَبتَ في طَلَبٍ فالجَدُّ يُغْني عَنْكَ لا الكَدُّ !

ونظمه ابن شرف بقوله :

والجَدُّ يُغني الفتى عن كدِّ مُهجته ... فلْيغْد تكثير حرص المرء تقليلا !

وقال الشاعر :

السيف يقْطع وهْو ذو صدإٍ ... والحدُّ يفْري الهَامَ لا الغِمْدُ

ونظمه ابن شرف بقوله :

والنَّفس جوهرةٌ ملبوسُها صدف[5] ... والسَّيف يقْطَع رذلَ الغِمد مفلولا

وقال :

هل تنْفَعنَّ السَّيْفَ حليتُه[6] ... يومَ الجِلادِ إذا نبا الحدُّ

ونظمه ابن شرف بقوله :

وربَّ سيفٍ كهامٍ لا مَضاءَ له ... وقد تراهُ مُحلَّى الغِمد مصقولاَ

وقال الآخر :

وإنَّ امرءاً يمسي ويُصبحُ سالمًا ... من النَّاس إلاَّ ما جنى لسَعيدُ

ونظمه ابن شرف بقوله :

ومن يُعاقَبْ بما تجني يَداه بلا ... ظُلم التَّجنِّي فقد نال اليَد الطُّولى

وقال الآخر :

وغيْظٍ على الأيَّام كالنَّار في الحشى ... ولكنَّه غيظُ الأسير على القدِّ

ونظمه ابن شرف بقوله :

لنا على الدَّهر غيظٌ ليس ينفعُنا ... غيظَ الأسيرِ أسير القدِّ مغلولاَ

وقال الآخر :

ماذا لقيتُ من الدُّنيا وأعْجَبُه ... أَنِّي بما أنا باكٍ منه محسودُ !

ونظمه ابن شرف بقوله :

قُل للحَسُودِ على أشياءَ تحزنني: ... خُذها احتقاراً وتهوينًا وترذيلا !

---

5) في د : ملبوسة صدفًا.

6) في بعض المخطوطات في أول البيت : «بَل تنفسَ...»

وقال بعض العرب :

إذا الرِّجـالُ ولَـــدتْ أولادُهـــا واضْطربت من كبـرٍ أعضادُهـا
وجـعَلت أوصابُـهـــا تعْتادُهَـــا فهْيَ زُروعٌ قَد دنا حِصَادُها

وقال الآخـــر :

لقد أسمَعْتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حَيَاة لمن تُنَادِي !

وما أحسن قول عزّ الدين المقدسي في كتابهكلام الطيور والأزهار، على لسان الغراب:

أنوحُ على ذهابِ العُمْر منّي وحقّ أن أنـوحَ وأن أُنـادِي
وأنـدبُ كلّمـا عايَنْتُ ربعًـا حدا بهِمُ لوشْكِ البينِ حَادِ
يعنّفني الجهـــــولُ إذا رآنِي وقَد أَلْبسْتُ أثْوابَ الحِدادِ
فقلت له : اتّعِظ بلسان حالِي فإنّي قد نصحتُك باجْتهَادِ !
وها أنا كالخطيب وليس عيبًا على الخُطباءِ أثْوابُ السَّوادِ
ألـم ترني إذا عاينْتُ ركْبًـا أنادِي بالنَّوى في كلّ نَادِ ؟
أنوحُ على الطُّلول فلم يُجبْني بساحتِها سِوى خُـرس الجَمادِ
فأكْثـر في نواحيهَـا نُـواحِي من البيْـن المُفـتّت للفُـؤادِ
فما من شاهدٍ في الكونِ إلاّ عليْهِ من شهودِ الغَيْبِ نَادِ
فكم من رائحٍ فيهـا وغَـادٍ يُنـادي من دنُـوٍّ أو بعَـادِ
لقد أسْمَعْتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حَيَاةَ لمَن تُنَادِي !

وقال الحطيئة :

وما قُلتُ إلاّ بالّذي عَلمت سعْدُ

وهذا مثل مشهور، وصدر البيت :

وتعْذلُني أبْناءُ سَعْدٍ عليهِمُ

وهذا البيت من جملة أبيات له، وهي من جيّد شعره . يقول فيها :

وإنَّ التي نكّبتُها عن مَعَاشرٍ عليَّ غضابٍ أنْ صددتُ كما صدُّوا
أتَت آلَ شمّاشِ بن لأيٍ وإنّما أتاهم بيها الأحلامُ والحسبُ العدُّ
فإن الشّقيَّ من تُعادِي صدورهم وذو الجَدّ من لانوا إليه ومن ودُّوا
يسوسونَ أحلامًا بعيدًا أناتُها وإن غضبوا جاء الحفيظَةُ والجِدُّ

أَقِلُّوا عليهم لا أبا لأبيكُمُ ... من اللَّوم أو سُدُّوا المكان الَّذي سدُّوا !
أولئك قومٌ إن بنوا أحْسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفَوا وإن عقدوا شدُّوا
وإن كانت النُّعْمى عليهم جَزَوا بها ... وإن أنْعَموا لا كدَّروها ولا كدُّوا
وإن قال مولاهم على جلِّ حادثٍ ... من الدَّهر رُدُّوا فضْل أحلامِكم رَدُّوا
فكيف ولم أعلمهُمُ خذلُوكُمُ ... على مُعْظمٍ ولا أديمَكُمُ قَدُّوا ؟
مطاعينُ في الهيجا مكاشيف للدجى ... بَنى لهمُ آباؤهم وبَنى الجَدُّ
فمن مُبلغٌ أبناء سعدٍ فقد سعى ... إلى السُّورة العليا لهم حازمٌ جلْد
رأى مجْد أقْوامٍ أُضيعَ فحثَّهُم ... على مجدهم لمَّا رأى أنَّه الجهْد
وتعْذلُني أبْنَاءُ سَعْدٍ (البيت)

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي :

ما لِامْرئٍ خاض في بحر الهوى عُمُرٌ ... إلاَّ وللبين فيه السَّهلُ والجَلَدُ
كما نما البينُ من إلحاحه أبداً ... على النُّفوس أخٌ للموت أو ولدُ

وقال يخاطب محمَّد بن يوسف :

واعذر حسودك فيما قد خُصصتَ به ... إنَّ العُلى حسنٌ في مثلها الحَسَدُ !

وقال أيضا في وداعه لعليّ بن الجهم يمدحه :

هي فُرقةٌ من صاحبٍ لك ماجِدٍ ... فغَدا إذابةُ كلِّ دمْعٍ جامِدِ
فافزَع إلى ذخْر الشُّؤون وغربِه: ... فالدَّمع يُذهبُ بعضَ جُهد الجاهدِ
فإذا فقدت أخًا فلم تفقد له ... دمعًا ولا صبراً فلسْتَ بفاقد !

ومنهـــا :

إن يُكْد مُطرَّفُ الاخاءِ فإنَّنا ... نغْدو ونسْري في إخاءٍ تَالِدِ
أو يخْتلفْ ماءُ الوصالِ فماؤُنا ... عذْبٌ تحدَّر من غمامٍ واحِدِ
أو نفترقْ نسبًا يُؤلِّفْ بيننا ... أدبٌ أقَمْنَاهُ مَقَامَ الوالِدِ(٥٨)

وقال أيضا من قصيدة أخرى :

سَقَتْهُ ذُعافًا غارةُ الدَّهر فيهمُ ... وسمُّ اللَّيالي فوق سُمِّ الأساودِ

ومنهـا :

غدا قاصدا للحَمد حتّى أصابَه ... وكم من مصيبٍ قصدهُ غير قاصِد !

ومنهـا :

يصُدُّ عن الدُّنيا إذا عنَّ سؤدَدٌ ... ولو برزتْ في زيّ عذراء ناهِد

إذا المرء لم يزهَد وقد صبغتْ له ... بعصفرها الدُّنيا فليسَ بزاهِد

وقال أيضا من أخرى :

إذا انصرف المحزون قد فَلَّ صبره ... سؤالُ المغاني فالبُكاءُ له ردُّ

ومنهـا :

نوًى كانقضاضِ النَّجمِ كانت نتيجةً ... من الهزل يومًا إنَّ هزلَ الهوى جدُّ

فلا تحسبا هِنْدا لها العُذرُ وحدها ... سجيَّةُ نفسٍ كلُّ غانيةٍ هنْدُ

ومنهـا :

وحقْدٌ من الأيَّام وهْيَ قديرةٌ ... وشرُّ السَّجايا قُدرةٌ حازها حقْدُ

إساءةُ دهرٍ أذكرت حُسْنَ فعْله ... إليَّ ولولا الشَّريُ لم يُعرف الشَّهدُ

وقال أيضـا :

ومن يأذنْ إلى السَّاعينَ يَسلُق ... مسامِعَهُ بألسِنَةٍ حِدَادِ

وقال أيضـا :

ولكم عدوٍّ قال لي مُتمثِّلاً : ... كم من ودودٍ ليس بالمودودِ !

ومنهـا :

وإذا أراد اللّهُ نشْرَ فضيلةٍ ... طُويتْ أتاح لها لسان حسودِ

لولا اشتعالُ النَّار فيما جاورتْ ... ما كان يُعرف طيبُ عَرفِ العُودِ

لولاَ التَّخوُّف للعواقبِ لم تزَل ... للحاسِد النُّعمى على المحسُودِ

يُعطي لها البَشْرى الكريمُ ويحْتبي ... بردائِها في المحْفِل المشهُودِ

بُشْرى الغِنىّ أبي البنات تتابعت ... بُشراؤهُ بالفارس المولودِ

وقال أيضـا :

وإنّي رأيت الوسْمَ في خلق الفَتَى ... هو الوسْمُ لا ما كان في الشّعر والجِلْد

وقال أيضـــا :

ولكنَّني لم أحْـوِ وفْرًا مُجمَّعًا ... ففُزتُ به إلاَّ بشَمْلٍ مُبدَّدِ
ولم تُعطني الأيَّامُ نومًا مُسكِّنًا ... ألـــذُّ به إلاَّ بنـــومٍ مُشرَّدِ
وطول مُقامِ المرء في الحيِّ مخْلقٌ ... لديباجتيْهِ فاغترب تتجدَّدِ !
فإنِّي رأيت الشَّمس زيدتْ محبَّةً ... إلى النَّاس أنْ ليسَت عليهم بسرمَدِ

ومنهـــا :

وليس يُجلِّي الكربَ رأيٌ مُسدَّدٌ ... إذا هو لم يُؤنَسْ برمحٍ مسدَّدِ

ومنهـــا :

محاسنُ أصنافِ المغنِّين جمَّةٌ ... وما قصباتُ السَّبقِ إلاَّ لمعْبَدِ

وقال أيضـــا :

أحْلَى الرِّجالِ من النِّساء مواقعًا ... مَنْ كان أشْبهَهُم بهنَّ خُدودا
حتى إذا ما الشَّعْر سوَّد وجهَه ... كان المُسوَّدُ بينهُنَّ مَسُودا

ومنهـــا :

ما إن تَرى الأحسابَ بيضًا وُضَّحًا ... إلاَّ بحيثُ تَرى المنايا سُودا

ومنهـــا :

أيَقِنتَ أنَّ من السَّماحِ شجاعةً ... تُدمِي وأنَّ من الشَّجاعةِ جُودا ؟

ومنهـا :

إنَّ القوافيَ والمساعيَ لم تزلْ ... مثل النِّظامِ إذا أصابَ فريدا
هي جوهرٌ نَثرٌ فإن ألَّفْتَه ... بالشِّعرِ صار قلائِدًا وعُقودا
في كلِّ مُعتركٍ وكُلِّ مَقامةٍ ... يأخُذنَ منهُ ذمَّةً وعُقُودا

وقال أيضـــا :

شَابَ رأسِي ومَا رأيْتُ مَشِيبَ ... الرَّأسِ إلاَّ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الفُؤادِ
وكَذَاكَ الرُّؤُوسُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ ... ونَعِيمٍ طَلائِعُ الأجْسَادِ
طَالَ إنكَارِيَ البَيَاضَ وإنْ عُمِّرْ ... تُ شَيْئًا أنْكَرْتُ لَونَ السَّوادِ !

ومنهـــا :

وضِيَاءُ الأمُورِ أفْسَحُ فِي الطَّرفِ ... وفِي القَلْبِ مِنْ ضِيَاءِ البِلادِ

ومنهـــا :

غَيْرَ أنَّ الرُّبَى إلَى سَبَلِ الأنْوَاءِ أدنَى والحَظُّ حَظُّ الوهَادِ !

ومنهـــا :

كُلُّ شَيْءٍ غَثٌّ إذَا عَادَ والمَعْرُوفُ غَثٌّ مَا كَانَ غَيْرَ مُعَادِ

وقال أيضـــا :

وما شيءٌ من الأشْيَاءِ أمْضَى على المُهْجاتِ من رَأْيي سَديدِ

وقال أيضـــا :

لِمِ تُنْكِرينَ مَعَ الفِراقِ تَبَلُّدي وبَراعَةُ المُشْتَاقِ أنْ يَتَبَلَّدَا ؟

وقال أيضـــا :

والسَّيفُ أعْمى غير أنَّ غِرارهُ يقِظٌ إذا هادٍ نحاهُ لِهادِ

ومنهـــا :

ومِنَ العجائب شَاعِرٌ قَعَدَتْ بِهِ هِمَّاتُهُ أوضَاعَ عِنْدَ جَوَادِ

وقال أيضـــا :

مَا كُلُّ مَن شَاءَ استمرَّتْ بالنَّدَى يَدُهُ ولا استَوْطَا فِراشَ الجُودِ

وقال أيضـــا :

وكَذَا المَنايا مَا يَطَأنَ بِمَنسِمٍ إلاَّ عَلَى أعْنَاقِ أهْلِ السُّؤْدَدِ

وقال أيضـــا :

لَو يَعلَمِ النَّاسُ عِلمِيَ بالزَّمانِ وما عَاثَتْ يداهُ لما ربَّوْا ولا ولَدوا !

وقال أبو الطيّب أحمد بن الحسن المتنبي :

فَمَا تُرَجِّي النُّفُوسُ مِنْ زَمَنٍ أحْمَدُ حَالَيْهِ غَيْرُ مَحْمُودِ

إنَّ نُيُوبَ الزَّمانِ تَعْرِفُنِي أنَا الَّذِي طَالَ عَجْمُهَا عُودِي

وفيَّ مَا قَارَعَ الخُطُوبَ ومَا آنَسَنِي بالمَصَائِبِ السُّودِ

وقال أيضا من قصيدة :

إذا كُنتَ تخْشى العار في كلِّ خلوةٍ فلم تتصبَّاك الحسانُ الخرائِدُ

ومنهـــا :

أهُمُّ بشيءٍ واللَّيالي كأنَّهَا تُطَارِدُنِي عَن كَونِهِ وأُطارِدُ

وحيدٌ من الخلاّنِ في كَلِّ بَلْدةٍ إذا عظُمَ المطلُوبُ قلَّ المُساعدُ

ومنهـــا :

ولكن إذا لم يحْمِلِ القَلبُ كفَّهُ على حالةٍ لم يحْمِلِ الكفَّ ساعدُ

ومنهـــا :

أحقُّهُمُ بالسَّيف مَن ضَرب الطُّلا وبالأمن من هانَت عليهِ الشَّدائِد

ومنهـــا :

بذا قَضَتِ الأيَّامُ ما بين أهْلِها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائِدُ

ونظمه ابن شرف بقوله :

وموتُ قومٍ حياةٌ عند غيرهِمُ وقَد أبى الدَّهْرُ بين النَّاس تَعْديلاَ

ومنهـــا :

وكلٌّ يرى طُرُقَ الشَّجاعَةِ والنَّدى ولكنَّ طبْعَ النَّفْس للنَّفْس قائدُ

ومنهـــا :

فإنَّ قليل الحُبِّ بالعقْل صَالحٌ وإنَّ كثيرَ الحُبِّ بالجهْلِ فاسدُ

وقال أيضا من أخرى :

لكُلِّ امرىءٍ من دهْرِهِ ما تَعَوَّدا

ومنهـــا :

ومن يجعَلِ الضِّرغامَ في الصَّيدِ بازَهُ تصيَّدهُ الضِّرغامُ فيمن تصيَّـدا[7]

ونظمه ابن شرف بقوله :

ولا تضُمَّنَّ ليثًا كي تصيدَ به فتغْتَدي خاتلاً للصَّيْد مخْتولاَ

ومنهـــا

وما قَتَل الأحْرار كالعَفْوِ عنهمُ ومَن لَك بالحرِّ الَّذي يحْفظ اليدا ؟

إذا أنتَ أكْرمتَ الكريمَ ملكْتَه وإن أنتَ أكرمْتَ اللَّئيمَ تمرَّدا

ووضع النَّدى في موضع السَّيف بالعلى مُضرٌّ كوضعِ السَّيف في موضع النَّدا

ومنهـــا :

7) المشهور في رواية هذا البيت هو ـ كما في الديوان ـ:
ومن يجعَلِ الضِّرْغام بازًا لصيده تَصَيَّدَهُ الضِّرْغامُ فيما تصيَّـدا

ودَع كلَّ صوتٍ غيْر صوتي فإنَّني أنا الصَّائح المحكيُّ والآخرُ الصَّدا

ومنهـــا :

وقيَّدت نفسي في ذَراكَ محبَّةً ومن وجَد الاحْسَانَ قيْداً تقيَّدا

وقال أيضـــا :

يا عاذِلَ العاشِقين دعْ فِئةً أضلَّها اللّهُ كيفَ تُرشِدهَا

ومنهـــا :

فعُد بها لا عدمْتَها أبَداً : خيرُ صِلاتِ الكريمِ أعْودُهَا

وقال أيضـــا :

عشْ عزيزاً أو مُت وأنتَ كريمٌ بين طعْن القنا وخفْق البُنودِ !

فرؤُوسُ الرِّماح أذهَبُ للغَيْظِ وأشْفى لغلِّ صدرِ الحقُـــودِ

لا كما قَد حييتَ غيرَ حميدٍ وإذا مُتَّ مُتَّ غير فَقِيدِ

فاطلبِ العزَّ في لظَى وذَرِ الذُّلَّ ولو كان في جِنَانِ الخُلُودِ !

يقتَل العاجزُ الجبانُ وقد يعجزُ عن قَطعٍ بُخْنُقِ المولودِ

ويُوقَّى الفتى المِخشُّ وقد خوَّ ضَ في ماء لبَّةِ الصِّنْدِيدِ

لا بقَومي شرُفْتُ بَل شرفُوا بِي وبنفْسِي فَخَرْتُ لا بِجُدُودِ

وقال أيضـــا :

يفْنى الكلامُ ولا يُحيطُ بفضْلكُم أيُحيطُ ما يفْنَى بما لا يَنْفَدُ ؟

وقال أيضـــا :

وكم للهَوى من فتًى مُدنَفٍ وكم للنَّوى من قتيلٍ شَهِيدِ !

ومنهـــا :

فما لَكَ تقبَلُ زُورَ الكَلاَمِ وقَدْرُ الشَّهَادَةِ قدرُ الشُّهودِ ؟

وقال أيضـــا :

وما مَاضِي الشَّبَابِ بمُسْتَردٍّ ولا يومٌ يمُـــرُّ بمُستَعَـــادِ

ومنهـــا :

فإنَّ الجُرحَ ينفِرُ بَعدَ حينٍ إذا كان البِنَاءُ على فَسَادِ

وإنَّ المـاءَ يخـرجُ من جَمـادٍ[8] وإنَّ النـّار تـَخـْرُجُ مِنْ زِنـَادِ

وقال أيضـــا :

سأطـْلبُ حقـّي بالقـَنا ومشـَايخٍ كأنـَّهـُم من طول ما التـَثـَموا مُردُ

ثقالٍ إذا لاقـَوا خِفافٍ إذا دعـُوا كثيرٍ إذا شـَدُّوا قليلٍ إذا عـُدُّوا

ومنهـــا :

ومن نكـَدِ الدُّنيا على الحرِّ أن يرى عدوًّا له ما من صداقته بـُدُّ

يروح ويغـْـــدو كارهـًـــا بوصالِه وتضـْطرُّه الأيـَّامُ والزَّمـنُ النـَّكـْـد[9]

وزعموا أنـَّه قد قيل له إذ تنبـَّأ : لكلّ نبيّ معجزة، فما معجزتك ؟ فقال : هذا البيت .

وقال أيضـــا :

من خصَّ بالذـَّمِّ الفراقَ فإنـَّني مَن لا يـَرى في الدـَّهر شيئـًا يـُحمَـدُ

وقال أيضـــا :

إذا غدرَت حسناءُ أوفت بعهدها ومن عهـْدِها أن لا يـَدومَ لها عـَهـْدُ

وإن عشقت كانت أشدَّ صبـابةً وإن فركت فاذهـَبْ فما فـِركُها قصـْدُ

وإن حقدت لم يبـْقَ في قلبها رضـًى وإن رضيـَت لم يبق في قلبها حِقـْدُ

كذلك أخـْلاقُ النـِّساءِ، وربـَّمـــا يضلُّ بها الهادي ويخفى بها الرُّشـْدُ

ومنهـــا :

يرومونَ شأوِي في الكلامِ وإنـَّما يـُحاكي الفتى فيما سِوى المـَنطقِ القردُ

ومنهـــا :

وأصـْبـَح شِعري منهـُما في مكانـِه وفي عـُنقِ الحسناءِ يـُستحـْسنُ العِقـْد

وقال أيضـــا :

أبى خـُلقُ الدُّنيا حبيبـًا تـُديمه فما طـَلبي منـْها حبيبـًا تردُّه

وأسرعُ مفعـولٍ فعلـْتَ تغيـُّـرًا تكلـُّفُ شيءٍ في طباعِـكَ ضدُّه

ونظم الأوَّل ابن شرف بقوله :

قد يحتني الدـَّهر من كفـَّيك ما اُجْتَنَتا فكيف ما كان عن كفـَّيك معـْزولا ؟

---

8) في الديوان : وإن الماءَ يجري من جماد.

9) لا يوجد هذا البيت في الديوان، ولعله مقحم، بدليل القصة الواردة بعده ففيها : «هذا البيت» لا هذان البيتان.

ومنهـــا :

وأتعبُ خلقِ اللّه من زادَ همتُه وقصَّر عمَّا تشْتهي النَّفسُ وجدهُ

ومثله قول الامام الشافعي رضي اللّه عنه :

وأحقُّ خلق اللّه بالهـمِّ آمرُؤٌ ذو همَّة يُبلَى بعيشٍ ضيِّقِ

وبعـده :

فلا يَنْحلل في المجْد مالُك كلُّه فينحلَّ مجدٌ كان بالمال عقْدُهُ

ودبِّره تدبير الذي المجدُ كفُّهُ إذا حارب الأعْداء والمالُ زندُهُ

فلا مجْد في الدُّنيا لمن قلَّ ماله ولا مال في الدُّنيا لمن قلَّ مجْدُهُ

ونظم هذا ابن شرف بقوله :

لا مال إلاَّ بمجْدٍ فالتمسْه ولا مالٌ إذا لم يكُن بالمجْد مشمولا

هكذا وجدته وكأنَّه تحريف، وإنَّما قال هكذا :

لا مال إلاَّ بمجْدٍ فالتمسْه ولاَ مجدٌ إذا لم يكُن بالمالِ مشمولاَ

أو هكـــذا :

لا مجْد إلاَّ بمالٍ فالتمسْهُ ولا مالٌ إذا لم يكُن بالمجدِ مشمولا

ومنهـــا :

إذا كنتَ في شكٍّ من السَّيف فابلُه: فإمَّـا تُنفِّـيه وإمَّـا تُعـدُّهُ

وما الصَّارمُ الهنديُّ إلاَّ كغيرهِ إذا لم يُفارقهُ النِّجاد وغِمدُهُ

وقال أيضـــا :

حسم الصُّلحُ ما اشتهتْه الأعادي وأذاعـتْه ألسُـنُ الحُسَّـادِ

ومنهـــا :

وكلامُ الوشاة ليس على الأحبابِ سُلطـــانُه على الأضْـــدَادِ

إنَّما تنْجَحُ المَقَالَةُ في المرء إذا وافَقَتْ هَوىً في الفُؤادِ

ومنهـــا :

قد يُصيب الفتى المُشير ولم يجهد ويُشوي الصَّوابَ بعد اجتهادِ

ومنهـــا :

وإذا الحِلمُ لم يكُن في طباعٍ لم يُحلِّم تَقَادُمُ المِيلاَدِ

ومنهـــا :

إنَّمـا أنتَ والـدٌ والأبُ القَـا طِعُ أحْنى من واصِلِ الأوْلاَدِ

ومنهـــا :

هذه دولَةُ المَكَـارِمِ والـرَّ فَةِ والمجْدِ والنَّدَى والأيَادِي

ومنهـا :

كيف لا يُطرقُ الطَّريقُ لسيْلٍ[10] ضيِّقٍ عن أتيِّهِ كلُّ وادِ

وقال أيضـا :

إذا أردتُ كُميتَ اللَّونِ صافيةً وجدتُها وحبيبُ النَّفس مفقودُ

ماذا لَقيتُ من الدُّنيا وأعجبُه ؟ أَنِّي بما أنا باكٍ منه محسودُ

ومنهـا :

العبدُ ليس لحرٍّ صَالح بِأخٍ لو أنَّه في ثياب الحُرِّ مولُودُ

لا تَشتري العبد إلاَّ والعصا معه إنَّ العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ !

ما كُنت أحسبُني أحْيى إلى زمنٍ يُسيء بي فيه كلبٌ وهو محمودُ

ومنهـا :

إنَّ امرءاً أمةٌ حُبْلى تُدبِّره لمُستضامٌ سخِينُ العَينِ مفؤودُ

وعندها لذَّ طعْمَ الموتِ شاربُه إنَّ المنيَّة عند الذُّلِّ قنديد[11]

وقال أيضـا :

إنَّ في الموجِ للغريقِ لَعُذراً واضحًا أن يَفُوتَهُ تَعْدَادُه

وقال أيضـا :

وغيظٌ على الأيَّامِ كالنَّار في الحشا ولكنَّه غيظُ الأسير على القدِّ

ومنهـا :

وليس حياءُ الوجه في الذِّئب شيمةً ولكنَّه من شيمَةِ الأسَد الورْدِ

وقال أيضـا :

رأوكَ لمَّا بَلَوكَ نَابِتَةً يَأكُلُهـا قبْل أهْله الرَّائِدُ

---

10) في الديوان : كيف لا يُتْرَك الطريقُ لسَيْلٍ

11) بين هذين البيتين في الديوان :

ويْلُمِّهَا خُطَّةً ويْلُمِّ قابِلِهَا لمثلهـا خُلِـق المَهْـرِيَّةُ القُـودُ

وخلٌ زيًّا لِمن يُحقّقُهُ : ما كلُّ دامٍ جبينُهُ عَابِدُ

ومنها :

فالأمرُ للّهِ ربَّ مُجْتهِدٍ مَا خَابَ إلاّ لأنّهُ جَاهِدُ

وقال أبو العلاء أحمد بن عبد اللّه بن سليمان التنوخي المعريّ :

غير مُجدٍ في ملّتي واعتِقَادِي نَوحُ باكٍ ولا تَرنُّمُ شَادِ

وشبيهٌ صوتُ النّعيّ إذا قيس بصوتِ البَشيرِ في كُلِّ نَادِ

ومنها :

تعبٌ كُلّها الحياةُ فما أعجَبُ إلاّ من راغِبٍ في ازديَادِ !

إن حُزنًا في ساعة الموت أضْعا فُ سُرور في سَاعَةِ الميلاَدِ

خُلِق النّاس للبقاءِ فضلّت أمّةٌ يَحسِبُونَهُم لِلنّفَادِ

إنّما يُنقَلُون من دارِ أعْمَا لٍ إلى دارِ شِقْوةٍ أو رشَادِ

ضَجعةُ الموتِ رقدَةٌ يَستَرِيحُ الجِسمُ فيها والعَيشُ مثلُ السُّهادِ

ومنها :

زحلٌ أشْرفُ الكَواكِبِ دارًا مِنْ لِقَاءِ الرَّدَى على مِيعَادِ

ولنارِ المرّيخِ مِنْ حَدَثَانِ الدّهْرِ مُطْفٍ وإن عَلَت في اتّقَادِ

ومنها :

وإذا البحرُ غاضَ عنّي ولم أرَ فَلا رَيَّ بادِّخَارِ الثّمَادِ

كلُّ بيتٍ للهَدمِ ما تبْتني الورْ قَاءُ والسَّيِّدُ الرَّفيعُ العمادِ

والفتى ظاعنٌ ويكْفِيهِ ظلُّ السِّدرِ ضربَ الأطنابِ والأوتادِ

بان أمرُ الالهِ واختلفَ النّا سُ فداعٍ إلى الضّلالِ وهَادِ

والّذي حارتِ البريّةُ فيهِ حَيوانٌ مُستحْدثٌ من جَمَادِ

والّلبيبُ الّلبيبُ من ليس يغترُّ بكونٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

وقال أيضا :

أحسَنُ بالواجِدِ من وجْدِهِ صبْرٌ يُعينُ النّارَ في زنْدِهِ

ومن أبى في الرُّزْءِ إلاّ الأسى كان أساهُ مُنْتَهَى جُهْدِهِ[12]

12) يروى أيضا : كان بكاه منتهى جهده.

ومنهـــا :

والشَّيء لا يكْتُـــر مُـــدَّاحُهُ ... إلاَّ إذا قيسَ إلى ضِـــــدِّهِ
لولا غَضَى نجْـــدٍ وقُلاَّمُهُ ... لم يُثْنَ بالطِّيبِ على رنْدِهِ
ليس الَّذي يُبْكَى على وصْلِهِ ... مثل الَّذي يُبْكى على فقْدِهِ[13]
والطَّـرف يرتـاحُ إلى غُـمضِهِ ... ولـيس يرتـاحُ إلى سُهْـــدِهِ

ومنهـــا :

إن لم يكُنْ رشْدُ الفتى نافعًا ... فغَـيُّهُ أنفُـعُ من رُشْـــدِهِ

ومنهـــا :

لو عرف الانسانُ مقْـــــــدارَهُ ... لم يفخَرِ المولَى عَلى عَبْدِهِ
أمْسِ الَّذِي مرَّ على قُـرْبِهِ ... يَعْجِزُ أهْلُ الأرضِ عن ردِّهِ

ومنهـــا :

سلِّـم إلى اللَّهِ فكُلُّ الَّـذِي ... ساءكَ أو سرَّكَ من عِنْـــدِهِ
لا يعْدَمُ الأسْمَرُ في غَابِهِ ... حتفًا ولا الأبيَضُ في غِمْدِهِ

وقال أيضـــا :

أفوق البدر يوضَعُ لي مِهَادُ ... أمِ الجوزاءُ تحت يَدِي وسَادُ ؟
قنِعْتُ فخِلتُ أنَّ النَّجمَ دوني ... وسيَـــانِ التَّقنُّـــعُ والجِهَـــادُ
وأطربني الشَّباب غَـــداةَ ولَّى ... فليتَ سِنِيهِ صوتٌ يُستعادُ !
وليس صبًا يُعادُ وراءَ شَيْبٍ ... بأعوزَ من أخِي ثقَةٍ يُفَـــادُ

ومنهـــا :

سفاهٌ ذادَ عنْكَ النَّاسَ حلمٌ ... وغَيٌّ فيه منفَـــعَةٌ رشَـــادُ

وقال أيضـــا :

ثلاثةُ أيَّـامٍ هي الدَّهـرُ كلُّه ... وما هو غيرُ الأمسِ واليوم والغَدِ

ومنهـــا :

وقد يُجتدى نيلُ الغَمامِ وإنَّما ... من البحر فيما يزعُم النَّاس يجتدِي
ويهدِي الدَّليلُ القومَ والَّليل مظلمٌ ... ولكنَّهُ بالنَّجم يهدِي ويهْتَدِي

13) يروى : «مثل الذي يبكي على صدّه» وهو الأنسب للوصول السابق.

ومنهـــا :

وليس قضيب الهنْـد إلاّ كنابتٍ من القضب في كفٍّ الهِـدانِ المُعرِّدِ

الهِـدَانُ ـ على مثال كِتَـاب ـ : الجَبَـانُ، ويقال هو الأحمق الثقيل.

ومنهـــا :

أرى المجدَ سيفًا والقريض نجادهُ ولولا نجادُ السَّيف لم يُتقلَّدِ

وخيرُ حمالات السُّيوف حمـالةٌ تحلَّتْ بأبْكارِ الثَّنَاءِ المُخلَّـدِ

وقال أيضـــا :

كذاكَ اللَّياليِ ما يجُدْنَ بمَطْلَبٍ لخلْقٍ ولا يُبقينَ شيئًا على عَهْدِ

وقال أيضـــا :

أرى العنقَاءَ تكبُـر أن تُصادا فعانِـدْ من تُطيقُ له عِنادا !

وما نهْنهتُ في طَلبٍ ولكِـنْ هي الأيَّامُ لا تُعْطي قِيَادَا

فلا تلُـمِ السَّوابـقَ والمَطَايَـا إذا غرضٌ من الأغْراضِ حَادَا !

ومنهـــا :

إذا ما النَّار لم تُطعَم ضِرامًا فأوشِكْ أن تِمُـرَّ بها رَمَـادَا

فظُـنَّ بسائِـر الاخْـوان شرًّا ولا تأمَـن عَلى سِرٍّ فُـؤَادَا

فَلو خَبَرتْهُمُ الجوزاءُ خُبْـري لما طلعَتْ مخافَةَ أن تُكَادَا

تجنَّـبتُ الأنَـامَ فمـا أُواخِي وزِدْتُ عَنِ العَدُوِّ فما أُعَادَى

ولمَّـا أن تجهَّـمَني زَمَـانِـي جَرَيْتُ مَعَ الزَّمَانِ كما أَرَادَا

وقال أيضا يخاطب خاله، وقد سافر إلى المغرب :

ظَـعنْتَ لتسْتفيـدَ أخًـا وفيًّا وضيَّعْتَ القَديـمَ المُسْتَفَـادَا

وقال طرفة بن العبد :

وظُلم ذوي القُربى أشدُّ مضاضةً على الحرِّ من وقعِ الحُسامِ المُهنَّدِ

وقال عَـدِيُّ بن زيد :

إذا كنت في قومٍ فصاحِبْ خيارهُم ولا تصْحبِ الأردَى فتردَى مع الرَّدِي

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينه : فكُلُّ قرينٍ بالمُقارنِ يقْتَـدِي

إذا ما رأيت الشَّرَّ يبعثُ أهلَه وقام جُناةُ الشَّرِّ للشَّرِّ فاقعُدِ !

وقال الأعشـــى :

إذا أنت لم ترحَـل بزادٍ من التُّقى ... ولاقَـيْتَ بعد الموت منْ قد تزوَّدا

ندمت على أن لا تكون كمثلِـه ... فتُرصدَ للموت الَّذي كان أرْصَـدا[14]

وقال المهلَّبي :

وكيف جُحود القلبِ والعينُ تشهَـدُ ؟

وقال أيضـــا :

ولا خير فيمَن لا يَـدومُ له عهْـدُ

وقال الخرَيمي :

وحسْبُـك منِّـي أن أودَّ فأجْـهدا

وقال الخُـوارزمي :

لا تصحَـب الكسلاَنَ في حاجاتِـهِ ... كم صالحٍ بفسادِ آخَـر يفْسُـدُ !

عدوَى البليدِ إلى الجليدِ سريعةٌ ... والجمرُ يوضَـعُ في الرَّماد فيخْـمُـدُ

وقال عمر بن أبي ربيعة :

حسنٌ في كلِّ عينٍ مَـنْ تودّ

وقال الآخـــر :

وكلُّ ريحٍ لهـــــا هُبُـــــوبٌ ... يومًـــا فَلا بُـــدَّ من ركُـــودِ

وقال الآخـــر :

إذا أكل الأحبابُ لحمي بِـغِيبَـةٍ ... فأهْونُ منه ما ستَـأكُـلُه الدُّودُ !

وقال الآخـــر :

إذا قلَّ عقلُ المرءِ قلَّت همومه ... ومن لم يكُـن ذا مُـقْـلةٍ كيف يَـرْمَـدُ ؟

وقال الآخـــر :

إذا كان غير اللَّهِ للمرءِ عدَّةٌ ... أتَـتهُ الرَّزايا من وجوهِ الفوائِـد

وقال الآخـــر :

تخونون عهدِي في الهوى وأحبُّكم ... كذا الوردُ محبوبٌ وليس له عهْـد

---

14) في مختار الشعر الجاهلي : وأنّك لم تُرصِدْ كما كان أرْصَدا.

وقال الآخـــر :

تشكّى المحبُّون الصَّبابة ليتَني تحمَّلت ما يلقَون من بينهم وحْدِي !

وقال الآخـــر :

تصافحتِ الأكُفُّ وكان أشْهى إلينا لو تصافحَتِ الخُدُودُ

وقال الآخـــر :

تعُدُّون ذنبًا واحدًا إن جنيتُه عليكُم ولا أحْصي ذنوبَكُمُ عَدًّا

وقال أبو الطيّب :

تفضَّلتِ الأيَّامُ بالجمعِ بيننا فلمَّا حمدنا لم تُدمنا على الحمد[15]

وقال الآخـــر :

ثوبي على من كسوتُ في نظري أزينُ من كونِه على جَسَدِي

وقال الآخـــر :

جَامل عدوَّك ما استطعْت فإنَّما بالرِّفقِ يُطمعُ في صَلاحِ الفاسد !

وقال الآخـــر :

جدلي يعفوك يا من دأبه الجود فالجود عندك مأمول ومعهود

وقال الآخـــر :

جعلتُ إليك يارَبِّي انْقطاعِي إذا انقَطَعَ العِبَادُ إلى العِبَادِ

وقال الآخـــر :

حاشاكَ أن يقْبِضَ الزَّمانُ يَدي عن نيل سُؤْلٍ وأنتَ لي عضُدُ

ومثلـــه :

حاشاكَ يا قُوَّتي ويا سَنَدِي يضْعُفُ ركْني وأنْتَ لِي سَنَدُ

وقال الآخـــر :

حسبِي بقلبي شاهدًا لك في الهَوَى والقلبُ أعدَلُ شاهدٍ يُستشْهَدُ

وقال الآخـــر :

ذو العقلِ يسخُو بعيشِ ساعتِهِ وبالَّذِي بعَدهَا تشِحُّ يَدُهْ

غيـــره :

رأيتُ دنوَّ الدَّار ليس بنافعٍ إذا كان ما بينَ الفُؤادِ بعيدًا

15) سقط هذا البيت من ب .

غيـره :

رسول الـلّه كذّبـه الأعـــادِي فـلا تجـزعْ لتكـذيبِ الجَحُودِ !

غيـره :

ريّـنَـك الـلّهُ في القـلُوبِ كـما زيّـن في قـلْبِ والـدٍ ولـدا

غيـره :

سـقى الـلّهُ أيـّامـًا تقضّتْ بقربكُم كأنـّي بها قد كُنت في جنـّة الخُلد !

غيـره :

سقـى الـلّه دهرًا لم أبت فيه ليلةً من العُمر إلاّ من حبيبٍ على وعْدِ !

غيـره :

صحّحْ لـنـــا والـــدَةً أوّلاً وأنـْتَ فـِي حِلٍّ مِنَ الوَالِدِ !

غيـره :

صِل من دنا وتـنـاسَ من بـعُدا: لا تُكرهـنّ على الهـوَى أحَدا !

غيـره :

طعْمُ عيشي مرٌّ إذا لم تزُرنـِي وهْوَ حُلْوٌ إذا رأيتُكَ عِنْدِي

غيـره :

طويلُ عُمْرِ المعـالِي والنـّدا أبدًا قصيرُ عمْرِ الأعادِي والمواعِيدِ

غيـره :

قد جُنّ أصحابُك من جُوعِهِم فاقْرأ عليهِم سُورةَ المائِدهْ !

غيـره :

قد حفظوا القُـرآنَ واستـَعْمـَلُـوا ما فيهِ إلاّ سُورةَ المائِدَهْ !

غيـره :

قـَد يُصادُ القطا ويغْدو سليمًا ويـــحُلُّ الـــبلاءُ بالصّيّـــادِ

غيـره :

قلّ الثـّقاتُ فإن ظـَفرتَ بواحدٍ فاشْدُد يديكَ وأين ذاكَ الواحدُ ؟

غيـره :

قـليل المـال تُصلـحُهُ فيـبْقـَى ولا يبقى الكثيرُ مـَعَ الفـَسادِ

غيـــره :

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى فتهونُ غيرَ شماتةِ الحُسَّادِ

غيـــره :

كلَّما زادتِ الدُّبالةُ ضَوْءاً كان أدنى لها إلى الاخْمادِ

غيـــره :

كلَّما قُلتُ أعْتَقَ الشُّكر رِقِّي صيَّرتْني لك المكارمُ عَبْداً

غيـــره :

كلوا اليوم من رزقِ الاله وأبشروا: فإنَّ على الرَّحمان رزقَكُم غَدا !

غيـــره :

كمْ تَـــائِهٍ بِـــولايَةٍ وبِعَزْلِهِ يَغْدو البَريدْ !

غيـــره :

لأخرحنَّ من الدُّنيا وحُبُّكُمُ بين الجوانحِ لم يشعُرْ به أحدُ

غيـــره :

لمائدةٍ موضوعةٍ ألفُ عائبٍ وعيب التي لمتوضعِ الدهرَ واحدُ

غيـــره :

لم أبكِ من زمنٍ أشكو مساءتَه إلاَّ بكيتُ عليه حينَ أفْقدهُ

غيـــره :

لو علمنا مجيئكُم لَفرشْنا تحْتَ أقْدامكُمْ بسَاطَ الخُدودِ

غيـــره :

ليس في العالمين أقْنَعُ منِّي أنا أرضى بنَظْرةٍ من بعيدِ

غيـــره :

ما كلَّف الله نفسًا فوقَ طاقتِها ولا تجودُ يدٌ إلاَّ بما تجدُ

غيـــره :

مُعاتبَةُ الأحبابِ تحسُنُ مرَّةً فإن اكثروا منها تؤُولُ إلى الصَّدِّ

غيـــره :

من لم يبتْ والحُبُّ حشوُ فؤاده لم يدر كيفَ تفتُّتُ الأكْبادِ

غيـــره :

نِـعَـمُ الاله على العباد كثيرةٌ وأجلهُـــنَّ نجـــابةُ الأولادِ

غيـــره :

وأحسنُ من وجه الصَّنيعةِ شكرُها وأقْبحُ من حرمانِ نُـعمى جحودُها

غيـــره :

وإذا صفا لك من زمانك واحدٌ فهْو المرادُ وأينَ ذاك الواحدُ ؟

غيـــره :

وحدَّثتَـني يا سعدُ عنها فزدتني شُجونـًا فزدني من حديثِـك يا سعدُ !

غيـــره :

وَدَعْ ظُـلمَ العبادِ فليسَ شيءٌ أضرَّ عليك من ظُـلمِ العبادِ !

غيـــره :

وكلُّ أخٍ عند الهُـوينا مُـلاطفٌ ولكنَّما الاخوانُ عند الشَّدائدِ !

غيـــره :

وكنتُ من النَّـــاس في محْفلٍ فقد صرتُ في محفِـلٍ من قُـرودِ !

غيـــره :

ولا بُـدَّلي من خفَّةٍ في وصالِـهِ فَـمَنْ لي بخلٍّ أودعُ العقْـلَ عندهُ ؟

غيـــره :

ولربَّ عودٍ قد يُـشقُّ لمسجدٍ نِـصفـًا وآخرهُ لبيتِ يهُـودي !

غيـــره :

ولربَّـما نالَ المُـرادَ مرفَّهٌ لم يسعَ فيه وخابَ سعيُ الجاهِـدِ

غيـــره :

وليس قريبـًا من تخافُ بِـعادَهُ ولا من يُـرجَّى قُربُـه ببَـعيدِ

غيـــره :

وما الدَّهر إلاَّ ما ترى : فرَحٌ علَـتْ يَـداكَ بدنْيا فاصْطنِـعْ بهما يَـدا !

غيـــره :

وما الشِّعْـرُ إلا روضةٌ راقَ زهرُها ولا سيَّما إن كان قد وقع النَّدا

غيـــره :

وما المال والأيامُ إلاّ مُعارةٌ : فما اسطَعْتَ من معروفها فتزوَّدِ !

غيـــره :

وما حملت من ناقةٍ فوق راحلِها أبرَّ وأوفى ذمَّةً من مُحمَّدِ

وهذا أصدق بيت قاله شاعر بعد قول لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ !

غيـــره :

وما كان طرفي بالسُّهادِ مُعوَّدا ولكنَّه لمَّا هجرتُمْ تعوَّدا

غيـــره :

وما ماضي الشَّباب بمُستردٍّ ولا يومٌ يسرُّ بمُستعادِ

غيـــره :

ويفْسُد بالاكثار ما هُو صالحٌ ويصْلحُ بالاقْلالِ ما هو فاسدُ

غيـــره :

لا أعدمُ الذَّمَّ حين أخْطِي وليس لي في الصَّوابِ حَمْدُ

غيـــره :

لا تحقِرنَّ صغيراً في تقلُّبهِ : إن البعُوضةَ تُدمي مُقلة الأسد!

غيـــره :

وللشَّرارةِ نارٌ حين تُضْرمُها وربَّما أضْرمَت ناراً على بَلَدِ

غيـــره :

لا تلْقَ إلاّ بليْلٍ من تُواعدُه: فالشَّمسُ نمَّامةٌ والبدرُ قوَّادُ

غيـــره :

لا يُحسَد المرءُ إلاّ من فضائلِه: لا عاش مَن عاش يوماً غيرَ محسودِ !

غيـــره :

يا أخلاَّيَ هل يعودُ التَّداني منكُمُ بالحِمى يعودُ رُقَادُ ؟

غيـــره :

يارُبَّ من أسْخطنا بجُهْدهِ قَد سرَّنا جهْلاً بغيرِ قَصْدهِ

غيـــره :

يا صاحب العُودينِ لا تُهْملْهُما: حرِّك لنا عودًا وحرِّف عُودا !

غيـــره :

يا من يعُدُّ الميِّتينَ تعجُّبًا عمَّا قليلٍ سوف تدخل في العددْ !

غيـــره :

يجود بالنَّفس إذ ضنَّ الجبانُ بها والجودُ بالنَّفس أقصى غايةِ الجودِ

غيـــره :

يُدبِّرُ بالنُّجوم وليس يَدري وربُّ النَّجمِ يفْعَلُ ما يُريدُ

غيـــره :

يرى عاقباتِ الرَّأي والأمرُ عازبٌ كأنَّ له في اليوم عينًا على غَدِ

ومثلـه :

يرى العواقبَ في أثناء فكْرتِه كأنَّ أفكاره بالغيبِ كُهَّانُ

غيـــره :

يشْرونَ مثلَ ثيابه وعبيدِه أفيقْدرونَ على شِراءِ أسُودِه؟

غيـــره :

إلهي على كلِّ الأمورِ لك الحمدُ: فليس لما أوليتَ من نعمٍ حدُّ !

وقال ابن أبي عُيَيْنَة :

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى فتهونُ غيرَ شماتةِ الحسَّادِ

ومثله قول حبيب :

أجْرؤُ لكنِّي نظرتُ فلم أجِدْ أجْرأ يفِي بشماتةِ الأعْداءِ

وقال الآخـر :

لم يبق إلاَّ نفَسٌ خافتُ ومُقْلةٌ إنسانُهـا باهتُ

ومُدْنَفٌ تُضرمُ أحْشاؤُه بالنَّار إلاَّ أنَّه سَاكتُ

رقَّ له الشَّامتُ ممَّا به : يا ويْحَ من يَرثي له الشَّامتُ !

ويُروى أنَّه قيل لأيوب عليه السَّلام : أيُّ شيء كان في بلائك أشدَّ عليك ؟ فقال : شماتة الأعداء !

وقال عَلْقَمةُ الفَحْل :

ويلـم لذاتِ الشبـاب معـيشة مع الكُثر يُعْطاه الفتى المُتْلِفُ النَّدي

وقد يَقْصُرُ القُلُّ الفتى دون همِّه وقد كان لولا القُلُّ طلاَّع أنجُد

القُلُّ - بالضَّمّ -: الاقْلالُ ؛ وهَمُّهُ : ما يهتَمُّ بفعله من المكارم والعطايا، فيمنعه الفقر من ذلك، كما قال الامام الشافعي، رضي اللّه عنه :

أرى نفسي تَتوقُ إلى أمورٍ يُقصِّرُ دون مبْلغِهنَّ مالي

فنفسي لا تُطاوعُني لبُخلٍ ومالي لا يُبلِّغُني فَعالي

وقال أيضـا :

يا لهْف نفسي على مالٍ أُفرِّقُه على المقلِّين من أهل المروءاتِ !

إنَّ اعتذاري إلى من جاء يسألني ما ليس عنديَ من إحدى المصيباتِ

وفلان طلاَّع أنجُدِ أي ذو أفعال كريمة، ومآثر عظيمة ؛ والأنْجَدُ جمع نَجْد، وهو ما ارتفع من الأرض، جعل طلوعه كناية عن البروز والاستعلاء وعدم الاستتار، كقول الآخر :

أنـا ابـن جَلا وطلاَّعُ الثَّنايـا

وقول دُريد بن الصِّمَّة :

كميشُ الازارِ خارجٌ نصفُ ساقِه بعيدٌ من السَّوءاتِ طلاَّع أنْجُدِ

وقال الآخـر :

لعمرك ما يدري الفتى أيُّ يومه وإن كان محروسًا على الرُّشد أرشَدُ

أفي عاجلاتِ الأمـر أم آجلاتِه أمِ اليومُ أدنى للسَّعادةِ أم غَدُ ؟

وقال المُثقِّب :

وللموت خيرٌ للفـتى من حيـاتِه إذا لم يثبْ للأمر إلاَّ بقائِدِ

ويُـروى :

إذا لم يُطِقْ عَلْياءَ إلاَّ بقائِد

وبعـده :

فعالجْ جسيماتِ الأمور ولا تكُن هبيتَ الفُؤاد همُّه للوسائِد !

إذا الرِّيح جاءتْ بالحمام تشُلُّه هذالِيلُهُ شلَّ القِلاصِ الطَّرائدِ

وأعقب نوءُ المِرزمَيـــن بغبـــرةٍ وقطرٍ قليل الماء بالتَّليل بَـارِدِ
كفى حاجة الأضيافِ حتَّى يُريحَها على الحيِّ منَّا كلُّ أروعَ ماجِدِ
تراهُ لتفـريجِ الأمـــور ولفِّهَـــا لما نال من معروفِها غيْرَ زاهِدِ
وليس أخونا عندَ شيءٍ يخافُه ولا عند خيرٍ إن رجاهُ بواحِدِ
إذا قيل مَنْ للمُعضلاتِ أجابَهُ عظامُ الثُّلهى منَّا طوالُ السَّواعِدِ

الهَبيتُ الفُؤاد : الضَّعيفُ، والهذاليلُ جمع هُذلُول وهو ما طال من الرمل . وهذاليلُ الرِّيح : ما امتدَّ منها ؛ والمرزمان نجْمان مع الشِّعريَيْنِ

وقال حُرثان بنُ عمرو :

إذا هتفَ العصفور طار فُـؤاده وليثٌ حديدُ النَّابِ عند التَّرائِدِ

وهذا الشعر هجا به أميَّة بن عبد اللَّه بن خالد بن أسيد . فقال عبد الملك بن مروان يوما لأميَّة هذا : مالك ولحُرثان بن عمرو إذ يقول فيك : إذا هَتَفَ العُصْفور (البيت) ؟ فقال: يا أمير المؤمنين وجب عليه حدّ فأقمته عليه . فقال : هَلاَّ درأت بالشبهات عنه ؟ فقال : كان حدّه أبين، وكان زَعْمُه عليَّ أهون . فقال عبد الملك : [يا] بني أميَّة ! أحسابكم أنسابكم، لا تعرّضوها للجهَّال : فإنَّه باق ما بقي الدهر، واللَّه ما يسرّني أني هُجيت بهذا البيت وأن لي ما طلعت عليه الشمس :

تبيتون في المشْتى ملاءً بُطُونُكم وجاراتُكم غرثَى يبتْنَ خَمَائصَا

وما يبالي مَن مُدح بهذين البيتين ألاَّ يُمدح بغيرهما :

هُنالك إن يُستخْبَلُوا المال يُخْبِلوا وإن يُسألوا يُعطوا وإن يَيْسِروا يُغْلوا
على مُكثريهم رزقُ من يعتريهمُ وعند المُقلِّين السَّماحة والبذلُ

قلت : وهذان البيتان لزهير، وقبلهما :

إذا السَّنة الشَّهباءُ بالنَّاس أجحفت ونال كِرامَ المال في الجُحْرة الأكلُ
رأيتَ ذوي الحاجاتِ حول بيوتهم قطينًا بها حتى إذا نَبَتَ البقْلُ

هُنَالِكَ (البيت)

وبعده :

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوهُهُم وأنْديةٌ يَنْتابُها القولُ والفعلُ

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ (البيت)

قوله : إن يستخْبلُوا، الاستخْبالُ أن يستعير الرجل من آخر إبلا يحلبها ويشرب ألبانها، فإذا أخصب ردّها . وأنكر بعضهم هذا اللفظ وقال : لعلّه قال يُستَخْولُوا، والاستخْوالُ أن يملكها إياه .

وقوله : إن يَيْسروا يُغْلُوا، يريد أنّهم إذا يسروا بالقداح أعطوا سمان الابل وأغلاها ثمنًا . وتقدّم هذا المعنى . وقال أعرابي كان يمنعه أبوه من الضرب في الأرض وطلب المعيشة شفقة عليه، فكتب إلى أبيه :

ألا خلّني أذهَبْ لشأني ولا أكُن ... على النّاس كلاًّ إنّ ذا لشديدُ !

أرى الضّرب في البلدان يُغني معاشرا ... ولم أر من يُجْدي عليه قُعودُ

أتمنعُني خوف المنايا ولم أكُن ... لأهرب ممّا ليس عنه محيدُ ؟

فدعني أجول في البلاد لعلّني ... أسرُّ صديقًا أو يُساء حسُودُ

فلو كنت ذا مالٍ لقرّب مجلسي ... وقيلَ إذا أخْطأتُ أنت سديدُ !

وسيأتي ما قيل في هذا المعنى بعد، إن شاء اللّه تعالى.

وقال كلثوم بن عمرو :

إنّ الكريم ليُخْفي عنكَ عُسرتَه ... حتى تراهُ غنيًّا وهو مجهُودُ

وللبخيلِ على أموالِه عِلَلٌ ... زُرقُ العُيُون عليهَا أوجُهٌ سُودُ

وكان كلثوم هذا كتب إلى صديق له : أمّا بعد، أطال اللّه بقاءك وجعله يمتدّ بك إلى رضوانه والجنّة ! فإنّك كنت عندنا روضةً من رياض الكرم تبتهج النفوسُ لها، وتستريحُ القلوب إليها . وكنّا نعفيها من النُّجعة استتمامًا لزهرتها [وشفقة على خضرتها][16]، وادخارًا لثمرتها، حتّى أصابتها سنة كانت عندي قطعةً مِن سِنِي يوسف، واشتدّ علينا كدّها، وغابت عنّا فِضّتُها، وكَذَبَتْنا غيومُها، وأخْلَفَتْنا بُروقُها، وفَقَدْنا صالحَ الاخوانِ فيها، فانتجعتُك وأنا بانتجاعي إيّاك شديدُ الشفقة عليك، مع علمي بأنّك نعم موضع الزاد وأنّك تغطي عين الحاسد . واللّه يعلم أنّي ما أعدك إلاّ في حومة الأهل . وأعلم أنّ الكريم، إذا استحيا من إعطاء القليل ولم يحضره الكثير، لم يعرف

16) ناقص من د .

جوده ولم تظهر همَّته . وأنا أقول في ذلك :

ظلُّ اليسار إلى العبَّاس ممْدودُ وقلْبُه أبداً بالمحْل ممدُودُ

إنَّ الكَريمَ، إلخ....

قيل : فشاطره ماله حتَّى أعطاه إحدى نعليه ونصف قيمة خاتمه .

واجتمع جماعة بباب دار عَديّ بن الرِّقَاع، فخرجت إليهم بنيَّة له صغيرة فقالت لهم : ما تريدون ؟ فقالوا لها : نريد أباك . فقالت : وما حاجتكم به ؟ فقالوا : جئنا إليه نهاجيه . فقالت على الفور :

تجمَّعتُمُ من كلِّ أوبٍ ووجْهةٍ على واحدٍ لا زلتُمُ قِرنَ واحِدِ

وقال أبو مسلم الخراساني :

أدركتُ بالحزمِ والكتمانِ ما عجزت عنه ملوكُ بني مروانَ إذْ حشدوا

ما زلت أسعى بجدٍّ في دَمارهمُ والقومُ في غفْلةِ الأيَّامِ قد رقَدوا

حتى ضربتُهُم بالسَّيف فانتَبَهُوا من نومةٍ لم ينمْها قبلهُم أحَدُ

ومن رعَى غنمًا في أرض مسبعةٍ ونام عنها تولَّى رعْيها الأسَدُ

وقال الآخـــر :

وأكرم نفسي إن أهِنْها لأنَّها وحقِّك لم تَكرمْ على أحدٍ بعدي

حدَّث الأصمعي قال : مررت في بعض سكك الكوفة، فإذا رجل خرج من حَشٍّ على كتفه جرَّة وهو يقول : وأكْرِمُ نَفْسِي (البيت) . قال : فقلت له : أبمثل هذا تكرمها ؟ قال : نعم ! وأستغني عن مسألة مثلك . فصاح : يا أصمعي ! فالتفتّ، فقال :

لنقْلُ الصَّخر من قُلل الجِبَالِ أحبُّ إليَّ من منِّ الرِّجَالِ

يقول النَّاسُ كسْبٌ فيه عَارٌ وكُلُّ العَار في ذُلِّ السُّؤالِ !

وقال الآخـــر :

يأيُّها الاخْوانُ أوصيكُمُ وصيَّةَ الوالِدِ والوالِدَهْ

لا تنقُلوا الأقْدامَ إلاَّ إلى من تُرتَجى من عنْدهِ فائِدهْ

إمَّا لعلِمٍ تستفيدونَهُ أو لكريمٍ عنْدهُ مائِدهْ !

ورُوي عن الأصمعي قال : لقيني أبو عمرو بن العلاء وأنا ماشٍ في بعض أزقّة البصرة، فقال: إلى أين يا أصمعي ؟ قلت : لزيارة بعض إخواني . فقال : يا أصمعي، إن كان لفائدة أو لمائدة، وإلاّ فلا !

وقال الآخـــر :

ولمّا رأيت الدّهر أنحَتْ صُروفُه ... عليّ وأوهَت بالذّخائر والعُقَد
حذفْت فضولَ العيشِ حتى ردَدتُها ... إلى القُوت خوفًا أن أجاء إلى أحَدْ
وقلت لنفسي : أبشري وتوكّلي ... على قاسم الأرزاقِ والواحِدِ الصّمَدْ
فإلاّ تكُن عنْدِي دراهمُ جمّةٌ ... فعندي بحولِ اللّه ما شئتِ من جَلَدْ !

وقال الآخر :

إن يحسدوني فإني غير لائمِهم : ... قبلي من الناس أهل الفضْل قد حُسدوا
فدام لي ولهم مابي وما بِهِمُ ... ومات أكثرُنا غيظًا بما يجِدُ
أنا الّذي يجدوني في صدورهِمُ ... لا أرتَقي صدرًا منها ولا أردُ !

وقال أبو فراس :

قد كنت عدّتيَ التي أسْطوبِها ... ويَدي إذا اشتدّ الزّمانُ وساعدي
فرميتُ منك بضدّ ما أمّلْتُه ... والماء يشرقُ بالزّلالِ البَارِدِ

وقال ابن الضّرير النّهْرواني :

لا بارك اللّهُ في الطّعامِ إذا ... كان هلاكُ النّفوس في المَعِدِ
كم دخَلت لُقْمةٌ حَشى شرهٍ ... فأخْرجَت رُوحَهُ من الجَسَدِ !

وقال الوزير المُهلّبيّ في غلام قدّمه معزّ الدولة على سريّة، من أبيات :

جَعَلوهُ قائِدَ عَسْكَرٍ : ... ضاع الرّعِيلُ ومن يَقُودُهْ !

وقال أبو الفتح ابن جِنّي النحوي، وقيل أبو منصور الدّيْلميّ :

صدودُك عنّي ولا ذنْبَ لِي ... يدُلُّ على نيّةٍ فاسِدَهْ
فقَد، وحياتِك، ممّا بَكَيتُ ... خشيتُ على عينيَ الواحِدَهْ !

وقال الامام السّهْرورْديّ لمّا ضعُف وكبر :

يا ربِّ لا تُحيني إلى زمنٍ ... أكونُ فيهِ كلاًّ على أحَدِ
خُذْنيَ قبلَ أن أقولَ لِمَنْ ... ألْقاهُ عندَ القيامِ : خُذ بيدي !

وقال أبو محمّد اليزيدي :

عش بِجَدٍّ ولا يضُرَّنْكَ نَوْكٌ : إنّما عيشُ من تَرى بالجُدودِ
ربَّ ذي إربةٍ مقلٍّ من الما لِ وذي عُنْجهيّةٍ مَجْدُودِ
عش بِجَدٍّ وكُن هبنّقة القيسيَّ أو مثلَ شَيْبَةَ بنِ الوليدِ !

وسبب قوله ذلك أنّه تناظر هو والكسائي في مجلس المهدي، وكان شيبة بن الوليد حاضراً، فتعصّب للكسائي وتحامل على اليزيدي فهجاه بذلك، واللّه أعلم . وقال السّلاميّ يصف الدِّرْع :

يا ربَّ سابغةٍ حبتْنيَ نعْمةً كافأْتُها بالسُّوءِ غير مُفنَّدِ
أضْحت تصونُ عن المنايا مُهْجتي وظللتُ أبذلها لكلِّ مُهنَّدِ

وقال الآخر :

أخٌ لك ما مودّتُهُ بمِذقٍ إذا ما عاد فقْرُ أخيكَ عَادَا
سألناه الجزيلَ فما تلكّى وأعْطى فوقَ مُنْيتِنا وزَادَا
فعُدنا ثمَّ عُدنا ثمَّ عُدنا فأعْطى ثمَّ عُدتُ له فجادَا
مراراً ما نعودُ إليه إلاّ تبسّمَ ضاحكًا وثنى الوسَادَا

وقال الآخر :

هجرتُك، لا قليٌّ منّي، ولكنْ رأيتُ بقاء ودِّك في الصُّدودِ
كهجر الحائماتِ الوردَ لمّا رأت أنَّ المنيّة في الورودِ
تُغيِّظ نفسها ظمأً وتخْشى حمامًا فهْيَ تنظُر من بعيدِ
تصُدُّ بوجْهِ ذي البغْضاءِ عنه وترمُقُه بألْحاظِ الورودِ

وقال أبو نواس :

ليس من اللّه بمُستنْكرٍ أن يجْمع العالَم في واحِدِ

وهذا المعنى سبق إليه جرير فقال :

إذا غضِبَت عليكَ بنُو تميمٍ رأيتَ النّاس كلّهُمُ غِضابَا

إلاّ أنَّ قول أبي نواس أشمل . ومن هذا المعنى قول السّلاميّ :

فبشّرت آمالي بملكٍ هو الورَى ودارٍ هي الدُّنيا ويومٍ هو الدّهرُ

وأخذه الأرَّجانيّ فقال :

قد زرتُه فرأيت النَّاس في رجُلٍ ... والدَّهرَ في ساعةٍ والأرضَ في دارِ

ومنه [أيضا] قول أبي الطيّب :

هي الغَرضُ الأقصى ورؤيتُك المُنى ... ومنزلُك الدُّنيا وأنت الخَلائقُ !

وبيتا السَّلامي والأرَّجاني أسلس وأفخم مع انتقاص الزمان من بيت أبي الطّيب، إلاّ أنَّ قوله : وأنتَ الخَلائقُ، إن لم يقصره العرف، يقوم مقام قول أبي نواس في الشمول. وهذا المعنى موجود في بعض أبيات البوصيري في البردة في حقّ النبي صلّى اللّه عليه وسلّم . وقال الأفْوَه الأودي :

بنى معاشرُ لم يبنوا لقومهِمُ ... وإن بنى قومُهُم ما أفْسدوا عادوا

لا يُرشَدون ولن يرعَوا لمُرشدهم ... فالجهل منهم معًا والغيُّ ميعادُ

أضْحوا كقَيْل بن عمرٍو في عشيرتِه ... إذ أُهلكت بالَّذي قد قدمتْ عادُ

ويروى :

كانوا كمثْل لقيم في عشيرتِه ... إذ أهْلكَت (البيت)

أو بعْدهُ كقُدار حينَ تابعَه ... على الغوايةِ أقْوامٌ فقد بادُوا

والبيت لا يُبتنى إلاّ له عَمدٌ ... ولا عماد إذا لم تُرس أوتادُ

فإن تجمَّع أوتادٌ وأعْمدةٌ ... وساكنٌ بَلغوا الأمرَ الَّذي كادُوا

وإن تجمَّع أقْوامٌ ذَوو حَسبٍ ... اصطادَ أمرهُم بالرُّشد مُصطادُ

لا يصْلُح النَّاس فوضَى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهَّالُهم سادوا !

ونظمه ابن شرف بقوله :

إذا تساوى الورى ضاعوا وحفْظُهم ... أن يجعلوا فاضلاً منهم ومفضولاَ

* * *

تُهدى الامور بأهل الرَّأي ما صلُحتْ ... فإن تولَّت فبالأشرارِ تنْقَادُ

ونظمه ابن شرف بقوله :

فإن هم سوَّدوا جهَّالهُم هلكوا ... هَلْكَ الدَّليل إذا ما ضلَّ مدلولاَ

وقد علمت أنَّ ما يطابق آخر شطر [البيت] قبله :

إذا تولَّى سَراة القومِ أمَرهُم ... نما على ذاكَ أمر القومِ فازدادوا

أمارَةُ الغَيِّ أن تَلقى الجَميعَ لَدى الابرامِ للْأمرِ والاذنابَ اكتـــاد

وبعده :

حان الرَّحيل إلى قَومٍ وإن بَعُدوا فهُم صَلاحٌ لِمُرتادٍ وإرْشادُ
فسَوفَ أجعلُ بُعدَ الأرضَ دونكُمُ وإن دنَتْ رَحِمٌ منكمْ وميلادُ
إنَّ النَّجاةَ إذا ما كُنتَ في نفَرٍ منْ لُجَّةِ الغَمِّ أبعادٌ فأبْعَادُ
والخيرُ تزدادُ منهُ ما لقيتَ بهِ والشَّـرُّ يكفيكَ منه قلَّما زادَ

وقال بشَّار :

فخيْرٌ منكَ ما لا خَيْرَ فيـهِ وخيرٌ منْ زيارتِكُـمْ قُعُـودي

وسبب قوله ذلك أنَّه تعشَّق امرأة فراسلها مرارًا . فلمَّا ألحَّ عليها شكته إلى زوجها فقال لها : أجيبيه وعديـه أن يأتـــي هنا ! فوجهت إليه، فجاء وزوجها معها وبشَّار لا يشعر فجعلا يتحدَّثان، ثم قال لها بشَّار : ما اسمك، بأبي أنت ؟ فقالت : أُمامة . فقال :

أُمامةُ قد وُصِفْتِ لنا بحُسْـنٍ وإنَّا لا نَراكِ فالمَسينَـا !

فأخذت يده ووضعتها على أير زوجها وقد أنعظ من حسن ما سمع من حديثهما . ففزع بشَّار ووثب قائما وقال :

عَلَيَّ أليَّةٌ ما دُمْتُ حَيـًّا أمُسُّكِ طائعًا إلاّ بِعُودِ
ولا أُهْدي لأرضٍ أنْتِ فيهَـا سَلامَ اللَّـهِ إلاّ مِـنْ بَعيـدِ
طَلَبْتُ غَنيمَةً فَوَضَعْتِ كَفِّي عَلى أيْرٍ أشَدَّ منَ الحَديـدِ
فخيـــــرٌ منك (البـــــيت)

ومثل هذا البيت في المعنى قول طرفة :

فلَيْتَ لَنا مَكَانَ المَلْكِ عَمْرٍو رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنا تَخُـورُ
من الزَّمِراتِ أسْبَلَ قَادِمَاهـا وضَرَّتُهَـا مُـرَكَّنَـةٌ دَرُورُ
يُشَارِكُنا لَنا رَخْلانِ فيهَـا وتَعْلُوها الكِبَـاشُ فمَـا تَنُـورُ

يقول : ليت لنا ـ بدل هذا الملك، وهو عمرو بن هند ـ رَغُوثًا، أي شاةً، ترضع من الزَّمِرات، أي القليلات الصُّوف، وضرتها، أي لحم ضرعها، مركنة، مجتمعة، ويعني أنَّها قليلة الصوف صغيرة الجسم، ومع ذلك يرضعها رخلان، أي ولدان لها، وهي هزيلة تعلوها

الكباش للسفاد، فما تنور، أي ما تستطيع أن تنفر لهُزالها . ومعلوم أنَّها، إذا كانت على هذه الأوصاف، لم يكن بها خير من صوف ولا لبن ولا لحم، ومع ذلك فهي خير لنا من هذا الملك . وهذا الشعر كان سبب قتل عمرو بن هند طرفة، وسنشرح قصَّته بعد، إن شاء اللَّه تعالى . وقال عَبِيدُ بنُ الأبرص :

لأعْرِفنَّك بعد الموتِ تنْدُبُني ... وفي حياتي ما زوَّدْتني زَادِي !

وهو مثل سائر يُضرب للرجل يُضَيِّعُ حقَّ أخيه في حياته، ثمَّ يبكيه بعد الموت . يُروى عن طلحة بن عبيد اللَّه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : خرجت مع عمر بن الخطَّاب في بعض أسفاره، فإذا براكب على الطريق فقال : ما وراءك ؟ قال : أمر جليل . قال : ويحك، ما هو ؟ قال : مات خالد بن الوليد ! فاسترجع عمر استرجاعًا طويلا، فقلت له : يا أمير المؤمنين :

ألا أراكَ بُعيْد الموتِ تنْدُبني ... وفي حياتيَ ما زوَّدْتَني زَادِي ؟

فقال : يا طلحة، لا تؤنّبني !

وقال من شعراء الحماسة عمرو بن معدي كَرِب الزبيدي :

لَيْسَ الجَمَالُ بِمِئْزرٍ ... فاعْلَم، وإنْ رُدِّيتَ بُرْدا !

إنَّ الجَمَالَ مَعَادِنٌ ... ومَنَاقِبٌ أورَثْنَ مَجْدا

ومنها :

كلُّ امْرىءٍ يجْرِي إلَى ... يومِ الهِيَاجِ بِما استَعَدَّا

ومنها :

كم من أخٍ لِي ماجدٍ[17] ... بوَّأتُه بِيَدِيَّ لحْدا

ما إن جزعتُ ولا هَلِعْتُ ... ولا يردُّ بُكايَ زنْدا

ألْبستُه أثْوابَه ... وخُلقْتُ يومَ خُلقتُ جلْدا

أغْنِي غَنَاءَ الميِّتِين[18] ... أُعَدُّ للأعْداءِ عَدَّا

ذهَبَ الَّذينَ أُحبُّهُمْ ... وبَقيتُ مثلَ السَّيفِ فَرْدا !

وقال العبَّاسُ بن مرداس السُّلَمي :

إذا طالتِ النَّجْوى بغير أولى النُّهى ... أضاعَت وأصْغَت خدّ من هو فاردُ

17) في **الحماسة** : كم من أخٍ لي صالحٍ ...

18) في **الحماسة** أيضا : أغنى غناء الذاهبين .

فحاربْ فإن مولاك حاردَ نصرُهُ ففي السَّيف مولًى نصرُه لا يُحارد !

الفَارِد : المُنْفَرِد ؛ وحَارَدَ نَصْرُهُ : قَلَّ، من قولك : حَاردتِ الابلُ إذا قَلَّ دَرُّهَا.

وقال العَبَّابُ العجْلِيّ :

لعلَّ الَّذي قاد النَّوى أن يردَّها إلينا وقد يُدني البعيدَ من البُعد

وعلَّ النَّوى في الدَّار تجمع بيننا وهل يُجمع السَّيفان ويْحك في غِمْد ؟

ومنهـــا :

فكُنت كمُهريقِ الَّذي في سقائه لرقْراق آلٍ فوق رابيَةٍ صَلْدِ

كمُرضعَةٍ أولادَ أخْرَى وضيَّعَت بني بطْنها هذا الضَّلالُ عن القَصْد !

وقال عَقيلُ بنُ عُلَّفَةَ المُرِّي :

وأبغَضُ من وضَعْتُ إليَّ فيه لسانيَ معْشَرٌ عنْهُـم أذُودُ

ولستُ بسائلٍ جاراتِ بيـــتي أغُيَّـابٌ رجـالُكِ أم شُهـودُ

ولا مُلْقٍ لذي الودعاتِ سوطي ألاعـــبُه وريبَـــتَه أريـــدُ

ولست بصادرٍ عن بيتِ جارِي صَـدورَ العَيْـرِ غمَّرهُ الـورودُ[19]

العَيْرُ : الحِمَارُ ؛ والتَّغْمِيرُ : أن يشرب دون الرَّيّ . يقول : لست بخارج من بيت جاري مريبا ألتفت وأتحيَّر خشية أن أُرَى كالعير المزعج عن الماء قبل أي يروى، أولا أخرج ملتفتا عاملا على العود إلى الريبة مرَّة أخرى كالعير الملتفت إلى الماء لبقاء العطش . وقال قيس بن كلثوم :

قد يُخْطِمُ الفحْلُ قسرًا بعد عزَّته وقد يُردُّ على مكروهِهِ الأسَدُ

الخَطْمُ : أن يُشدَّ على البعير خطامه فيملك بذلك . وقال تأبَّط شرًّا :

وإنَّك لو أصْلحت ما أنت مُفسدٌ تودَّدك الأقْصى الَّذي تتودَّدُ

وكان لك ابن العمِّ يحْمي ذمارَهُ ويمْنعُه حينَ الفرائِصُ ترعَـدُ

أخوكَ الَّذي إن تَـدْعُهُ لمُلمَّةٍ يُجبْكَ لها والمُستعدُّون رُقَّدُ

وقال الفرزدق :

وفي الأرض عن ذي الجود منأًى ومَبعدٌ وكلُّ بلادٍ أوطنتْ كَـــــبِلادِ

19) هذا البيت مقدم على البيت قبله في الحماسة .

وماذا عسى الحجّاجُ يبلُغُ جُهده إذا نحن خلّفنا حفيرَ زيادِ ؟

وقال غسّان بن وعْلَة :

إذا كُنت في سعْدٍ وأمُّك منهُم غريبًا فلا يغْررك خالُك من سعْدِ
فإنّ ابن أخْتِ القوم مُصغًى إناؤه إذا لم يُزاحِمْ خالَه بأبٍ جَلْدِ

وقال شُبَيْل الفَزاري :

وما عن ذلّةٍ غُلبوا ولكِنْ كذاك الأسْد تفرسُها الأسُودُ

وقال دريد بن الصّمّة :

صبا ما صبا حتى علا الشّيب رأسَه فلمّا علاه قال للباطل : ابعُدِ !

وكان الأصمعي يقول : هذا أحسن بيت قالته العرب ! ومنها :

وهوّن وجْدي أنّما هو فارطٌ أمامي وأنّي هامةُ اليومِ أوغَدِ

وقال عبد الله بن ثَعْلبة :

لكلّ أُناسٍ مقبرٌ بفنائِهِمْ : فهُم ينقصونَ والقُبور تزيدُ
وما إن يُزال رسمُ دارٍ قد أخْلقَت وعهْدٌ لميْتٍ بالفناءِ جديدُ
فهُم جيرةُ الأحْياءِ أمّا محلُّهُم فدانٍ وأمّا المُلتقى فبعيدُ

وقال آخر في ابنٍ له :

أَلاَمُ عَلَى تَبَكّيهِ وألْمِسُهُ فَلا أجِدُهْ
وكَيْفَ يُلاَمُ مَحْزُونٌ كَبِيرٌ فَاتَهُ ولَدُهْ ؟

وقال رجل من خَثْعم :

خَلتِ الدّيارُ فسُدتُ غير مسوَّدٍ ومن الشّقاءِ تفرُّدي بالسُّؤدد !

وهذا مثل مشهور . رُوي أنّ حارثة بن بدر الغداني خرج ومعه كعب مولاه . فجعل لا يمرّ بمجلس من بني تميم إلاّ قالوا : مرحبًا بسيّدنا ! فقال كعب : ما سمعت قطّ كلاما أقرّ لعيني من هذا ! فقال حارثة : ما سمعت كلاما أكره إليّ منه ! وتمثّل بالبيت .

ويُروى أيضا أنّ أمَةً مرّت بابن جُرَيْج، أحد علماء المدينة، وهو يصلّي وقد خطّ خطًّا بين يديه . فقالت : واعجبا لهذا الشيخ وجهله بالسنّة ! فأشار إليها أن قفي ! فلمّا أن قضى صلاته قال : ما رأيت من جهلي ؟ فقالت : إنّك تخطّ خطًّا تصلّي عليه، وقد

حدّثتني مولاتي عن أمها عن أمّ سَلمَة، زوج النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، أنّه قال : الخَطُّ بَاطِلٌ، لانّ العبْدَ إذا كَبّرَ تَكبيرَةَ الاحرامِ سَدّتْ مَا بَيْنَ السّماءِ والأرضِ . فسألها أن تقفوه لمولاتها . ففعلت، فحدّثته بذلك وقالت : أتجهل، وأنت من علماء المدينة ؟ فقال عند ذلك :

خلَتِ الدّيارُ فسُدتُ غير مسوَّد (البيت)

وقال آخر :

إنّ المساءة للمسرّة موعدٌ أخْتانِ رهْنٌ للعشيّةِ أو غَدِ
فإذا سمعْتُ بهالكٍ فيتقّنَنْ أنّ السّبيلَ سبيلُهُ فتزوّدِ !

وقال رجل من بني قُريْع :

متى ما ير الناسُ الغنيّ وجارُهُ فقيرٌ يقولوا : عاجزٌ وجليدُ
وليس الغنى والفقرُ من حيلة الفتى ولكن أحاظٍ قُسِّمت وجدودُ
إذا المرء أعيته المروءةُ ناشئًا فمطْلبُها كهلاً عليه شَديدُ
وكائنْ رأينا من غنيٍّ مذمَّمٍ وصعْلوك قومٍ [مات وهو حميدُ][20]

وقال المُقَنّع الكنْديّ :

يُعاتبني في الدّين قومي وإنّما ديوني في أشياءَ تُكسبُهم حمْدا
ألم ير قومي كيف أوسرُ مرّة وأُعْسر حتى تبلُغ العُسرة الجُهدا ؟
فما زادني الاقتار منهُم تقرُّبًا ولا زادني فضْل الغنى منهُمُ بُعدا
أسدُّ به ما قد أخَلّوا وضيّعوا ثغور حقوقٍ ما أطاقوا لها سدّا

ومنها :

وإنّ الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمّي لمُختلفٌ جدّا
أراهُم إلى نصري بطاءً وإن هُم دعوني إلى نصرٍ أتيت لهم شدّا
إذا أكلوا لحمي وفَرتُ لحومَهم وإن يهدموا مجْدي بنيت لهم مجْدا
وإن ضيّعوا غيبي حفِظتُ غيوبَهُم وإن هُم هوَوا غَيّي هويت لهم رُشْدا
وإن زجروا طيرًا بنحْسٍ تمرُّبي زجرتُ لهم طيرًا تمرُّ بهم سعْدا
ولا أحملُ الحقْد القديمَ عليهمُ وليس رئيس القوم من يحملُ الحقْدا

20) سقط ما بين معقوفتين من ب .

لهم جلُّ مالي إن تتابع لي غنًى ... وإن قلَّ مالي لم أكلِّفهمُ رِفْدا
وإنِّي لعبدُ الضَّيف ما دام نازلاً ... وما شيمةٌ لي غيرها تُشبه العبدا !

وقال محمَّد بن [أبي] شِحَاذ الضَّبّي :

إذا أنت أعطيتَ الغنى ثمَّ لم تجُد ... بفضلِ الغنى ألفيتَ مالكَ حامدُ
إذا أنت لم تعرُك بجنْبك بعض ما ... يَريبُ من الأدنى رماك الأباعدُ
إذا الحلم لم يغْلب لك الجهل لم تزل ... عليك بروقٌ جمَّةٌ ورَواعِدُ
إذا العزمُ لم يفْرجْ لك الشَّكَّ لم تزل ... جنيبًا كما استتْلى الجنيبَة قائِدُ
وقلَّ غناءً عنكَ مالٌ جمعْتَه ... إذا صار ميراثًا ووارثكَ لاحِدُ
إذا أنت لم تترك طعامًا تُحبُّه ... ولا مجلسًا تُدعى إليه الولائِدُ[21]
تجللتَ عارًا لا يزالُ يشُبُّه ... سباب الرِّجال نثرهُم والقصائِدُ

وقال أعرابيّ قَتَل أخوه ابنًا له، فقُرِّب إليه ليقتصَّ منه، فألقى السيف من يده وقال :

أقول للنَّفس تأساءً وتعزيةً : ... إحدى يديَّ أصابتْني ولم تُرِدِ
كلاهُما خلفٌ من فقْد صاحبه : ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي !

وقال أحد بني فقعس :

وذوي ضِبابٍ مُظهرين عداوةً ... قَرحَى القُلوب مُعاودي الافْنادِ
ناسيتُهم بغْضاءهُم وتركْتُهم ... وهمُ إذا ذُكرَ الصَّديقُ أعادِي
كيما أعدَّهُم لأبْعدَ منهُمُ ... وَلَقَدْ يُجاءُ إلى ذوي الأحْقَادِ

الضِّباب : جمع ضَبٍّ هو الحِقْدُ.

وقال آخر :

تمنَّى ليَ الموتَ المعجَّلَ خالدٌ ... ولا خير فيمنْ ليس يُعرف حاسدهْ !

وقال آخر :

وإنَّك لا تدري إذا جاء سائلٌ ... أأنتَ بما تُعطيهِ أم هُو أسْعَدُ ؟
عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إن منعْتَه ... من اليوم سُؤلاً أن يكونَ له غَدُ
وفي كثرةِ الأيدي على الجهْلِ زاجرٌ ... وللحلمُ أبقى للرِّجالِ وأعْودُ !

وقال شَبيب بن البَرصَاء :

21) في الحماسة : ولا مقعدًا تُدعَى إليه الولائدُ .

إذا المرء أعراهُ الصَّديق بدا له بأرضِ الأعادي بعضُ ألوانه الرُّبدُ

أعْراهُ : انفرد به وأفضى به إلى العراء . يقول : إذا انفرد الرجل بمن يعتدّه صديقا وصار معه في بلاد العدوّ فاحتاج إلى نصرته ومشورته انكشف له أمره، وبان له حينئذ أنَّه عدوّ له أم صديق . والرُّبْدُ : الغُبْرُ المُظلِمة . ضربه مثلا لما يخفى من الصداقة والعداوة.

وقال الحسن بن مطير :

كُنت أذودُ العينَ أن تَردَ البُكا فقد وردَت ما كنتُ عنْه أذودُها

خليلَيَّ ما بالعيش عتبٌ لو أنَّنا وجدنا لأيَّام الحمى من يُعيدُها

وقال آخـــر :

هل الحبُّ إلاَّ زفرةٌ بعد زفرةٍ وحرٌّ على الأحشاءِ ليس له برْد ؟

غيـــره :

وما كلُّ ما في النَّفس للنَّاس مظهرٌ ولا كلُّ مالا تستطيعُ تذُودُ

وقال آخر من بلحارث بن كعب :

منًى إن تكُن [حقًّا] تكن أحسن المُنى وإلاَّ فقد عشْنا بها زمنًا رغْدا

وقال حطائط، أخو الأسْود بن يعْفُر :

أريني جوادًا ماتَ هزلاً لعلَّني أرى ما تريْن أو بخيلاً مخلَّدا !

وقال يزيد الحارثي :

وإذا الفتى لاقى الحِمامَ رأيتَه لولا الثَّناءُ كأنَّه لم يُولَدِ

وقال آخر، وتُروى لقيس بن عاصم، رضي اللَّه عنه :

أيا ابْنَةَ عبد اللَّه وابنةَ مالكٍ ويا ابنةَ ذي البُردين والفرس الوردِ

إذا ما صنَعتِ الزَّاد فالتمسي له أكيلاً فإنِّي لست آكِلَه وحْدِي

أخًا طارقًا أو جار بيتٍ فإنَّني أخاف مذمَّات الأحاديث من بعدِي

وكيف يُسيغُ المرء زادًا وجاره خفيف المِعى بادِي الخصاصة والجهْدِ؟

ولَلْموت خيرٌ من زيارةِ باخلٍ يُلاحظُ أطرافَ الأكيلِ على عمْدِ

وإنِّي لعبدُ الضَّيف ما دام ثاويًا وما فيَّ إلاَّ تلْك من شيمةِ العبدِ !

وقال آخـــر :

ونُبئت رُكبان الطَّريقِ تناذروا عقيلاً إذا حلُّوا الذناب فصر خدا

فتّى يجعل المحض الصّريح لبطنه شعاراً ويقري الضّيف عَضْباً مهنّدا

وقال الآخر :

وإنّا لَنَجْفو الضّيف من غَيْرِ عِلّةٍ مَخافةً أن يَغْرى بنا فَيَعُودُ

غَرِيَ : كَلِفَ .

وقال الأسودُ بن يَعْفُر :

ولَقَدْ عَلِمْتُ لوْ أنّ عَلْمِيَ نافِعٌ أنّ السّبيلَ سَبِيلُ ذِي الأعْوَادِ

ماذا أؤمّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرّقٍ ؟ تَرَكُوا مَنازِلَهُم وبَعْدَ إيَادِ

أرْضُ الخَوَرْنَقِ والسّدير وَبَارِقٍ والقَصْرُ ذُو الشُّرُفاتِ من سَنْدادِ

جَرَتِ الرّياحُ على مَحَلّ دِيارِهِمْ فَكَأنّهُم كانُوا على مِيعَادِ

ولَقَدْ غَنَوْا فيها بأكْرَمِ غُنْيَةٍ في ظِلّ مُلْكٍ ثابِتِ الأوْتَادِ

فإذا النّعيمُ وكُلّ ما يُلْهى بِهِ يَوْمًا يَصيرُ إلى بِلًى ونَفَاذ !

وتقدم بعض هذا الشعر . وذو الأعواد رجل اسمه غَوِيّ بن سلامة، أو سلامة بن غَوِيّ، وقيل غير ذلك . وكان له خراج على مُضَر . فلمّا شاخ وضعف كان يُحمل على سرير ويُطاف به على مياه العرب فيجبيها . وقيل هو جدّ لأكثم بن صيفيّ، الحكيم المعروف . وكان أعزّ أهل زمانه، فكان لا يأتي سريره خائف إلاّ أمن، ولا جائع إلاّ شبع . ومثل هذا الشعر ما رُوِي أنه وُجد في حفير رجلٌ عليه خفّان وعند رأسه لوح فيه مكتوب : أنا عبد المسيح بن حيّان بن نُفَيْلَة :

حَلَبْتُ الدّهْرَ أُشْطُرَهُ حَيَاتي ونِلْتُ من المُنى فَوقَ المَزِيدِ

وكَافَحْتُ الأمُورَ وكَافَحَتْني ولَمْ أخْضَعْ لِمُعْضِلَةٍ كَؤُودِ

وكِدْتُ أنَالُ بالشّرَفِ الثُّرَيّا ولَكِنْ لا سَبِيلَ إلى الخُلُودِ !

ودخل أرْطَأةُ بن سهية على عبد الملك فقال : كيف حالك ؟ وكان قد أسنّ، فقال : ضعف حالي، وقلّ مالي، وكثر منّي ما كنت أحبّ أن يقلّ، [وقلّ منّي ما كنت أحبّ أن يكثر][22]، قال : فكيف أنت في شعرك ؟ قال : والله ما أغضب ولا أطرب ولا أرهب . وما الشعر إلاّ من نتائج هذه، على أنّني القائل :

رأيتُ المرء تأكُلُه اللّيالي كأكْلِ الأرض ساقِطَةَ الحديدِ

وما تُبقي المنيّةُ حينَ تأتي على نفس ابنِ آدمَ من مزيدِ

وأعلمُ أنّها عمّا قَليلٍ ستُوفي نذْرها بِأبي الوليدِ

22) سقط ما بين معقوفتين من ب .

فارتاع عبد الملك ثمّ قال : بل تُوفِي نَذْرَها بك ! ويلك، مالي ولك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين، لا ترع ! والله ما عنيت إلاّ نفسي ! فقال : أما والله لتُلمَنّ بي ! وأبو الوليد كنية لعبد الملك وكنية لأرطأة أيضا .. وقال الآخر :

لنـــا عزٌّ ومَرمَانَـــا قريبٌ ومَولًى لا يدبُّ مَعَ القُرادِ

وقوله : لا يدِبُّ معَ القُراد، أشار به إلى رجل من العرب كان يخرج ومعه شَنَّةٌ فيها قِردَانٌ، فيشدُّها في ذنب بعير من الابل، فإذا قرصته القِردَانُ نَفَرَ، فَنَفَرَتِ الابلُ لقعقعة الشَّنِّ . فإذا نفَرت استلّ منها بعيراً، فذهب به .

وقال الآخـــر :

ستبكي المِخاضُ الجُربُ إن مات هيثمٌ وكلُّ البواكي غيرَهُنّ جُمودُ

يقول إنّه كان بخيلا يستبقيهنّ ولا ينحرهنّ : فهنّ يبكين عليه إن مات، لِما أحسن إليهنّ، ولا يبكي عليه أحدٌ من النّاس، لعدم خيره وإحسانه . وهذا من أقبح الهجو، غير أنّ في قوله «جُمُودُ» مغمزاً . وضدّ هذا من المدح قول الآخر :

قتيلانِ لا تبكي المخاضُ عليهما: إذا شبعتْ من قَرْمَلٍ وأفانِ

والأفَانِي جمع افانية، والأفانية والقرمل نبتان يُرعيان . وقال الآخر :

إذا جاوزَتْ من ذات عرقٍ ثنيّةً فقُل لأبي قابوسَ ماشئتَ فارعُدِ !

ونحوه قول الفرزدق السابق :

وماذا عسى الحجّاجُ يبلُغ جُهدَه إذا نحنُ جاوزْنا حفيرَ زيادِ ؟

وتقدّم تفسير رعْد وبَرق بما أغنى عن إعادته . ونحوه قول الآخر :

يا جلّ ما بعُدت عليكَ بلادُنا فابرُق بأرضِك ما بدا لك وارعُد[23]

وقال الآخـر :

مَا قَامَ عَمْرٌو في الولاَيَةِ قَائِمًـا حَـتَّى قَعَـدْ !

وسبب هذا أنّ بعض الوزراء قلد ابن حجّاج ولاية، فخرج إليها يوم الخميس وتبعه عزله يوم الأحد، فقال فيه :

يَا مَنْ إذَا نَظَرَ الهِلاَلُ إلَى مَحَـاسِنِهِ سَجَـدْ

وإذَا رأتْهُ الشَّمْسُ كَـادَتْ أنْ تَمُـوتَ مِـنَ الحَسَـدْ

23) نسبه في لسان العرب (مادة برد) الى ابن أحمر، وروى الشطر الثاني هكذا :
وطلابُنا فابرُقْ بأرْضَكَ وارْعُدِ

يـــومَ الخَمِـيسِ بَعَثْـتَنِي وصَرَفْـتَنِي يَـــوْمَ الأحَـــدْ
والنَّاسُ قَـدْ غَنَّـوْا عَلَيَّ كمَـا خَـرجْتُ مِـنَ البَلَـدْ
مَا قَامَ عَمْرٌو (البيت)

وقال جميل :

فأَقْسِمُ طرفي بينهُنَّ فيسْتوي وفي الصَّدر بونٌ بينهُنَّ بعيدُ

وقال أيضـا :

يموت الهوى منِّي إذا ما لقيتُها ويحْـيى إذا فارقتُهـا فيعُـودُ

وهذان البيتان من قصيدة لجميل يقول فيها :

ألا ليت أيَّام الصَّفاءِ جديـدُ ودهْرًا تولَّى يا بُثَيْنَ يعُودُ
فتغْنَى كما كُنَّا نكونُ وأنتُمُ صديقٌ وإذ ما تبذُلينَ زهيدُ !
وما أنسَ من أشياءَ لا أنْسَ قولَها وقد قرَّبَت نِضْوِي أمصْرَ تريدُ ؟
ولا قولَها : لولا العيونُ التي ترى أتيتك فاعذرني فدتْك جدُودُ !
خليليَّ ما أَخْفي من الوجْد ظاهرٌ ودمْعي بما أخْفي الغداةَ شهيدُ
ألا قد أرى واللَّهِ أنْ رُبَّ عبرةٍ إذا الدَّار شطَّت بيننا ستزيـدُ
إذا قلت : مابي يا بُثَينةُ قاتلي من الحبِّ قالت : ثابتٌ ويزيدُ
وإن قلت : ردِّي بعض عقلي أعشْ به مع الناس قالت : ذاك منكَ بعيدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئْت طالبًا ولا حبُّها فيما يَبيـدُ يَبيـدُ
جزتْك الجوازي يا بُثَينَ ملامةً إذا ما خليلٌ بان وهو حميـدُ
وقلت لها: بيني وبينك فاعْلَمي من اللَّه ميثـاقٌ له وعُهُـودُ
وقد كان حَبِّيكُم طريفًا وتالدًا وما الـحبُّ إلاَّ طارفٌ وتليـدُ
وإنَّ عروض الوصل بيني وبينها وإن سهَّلتْه بالـمُنى لصَعُـودُ
فأفنيت عيشي بانتظاري نوالَـها وأبْلَتْ بذاكَ الدَّهر وهـو جَـديـدُ
فليت وشاةَ النَّاس بيني وبينها يدوف لهم سمًّا طماطم سُـودُ
وليت لهم في كلِّ مُـمْسكٍ وشارقٍ تصاعُقُ أكْبادٍ لهُم وقيودُ !
ويحْسب نسوانٌ من الجهلِ أنَّني إذا جئْتُ إيَّاهنَّ كُنتُ أريـدُ
فَأَقْسِمُ طَرْفِي (البيت)

وبعـده :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بوادِ القُرى إنِّي إذًا لسعيد !
وهل أهْبطَنْ أرضًا تظلُّ رياحُها ... لها بالثَّنايا القاويات وئِيدُ
وهل ألقينْ سُعْدى من الدَّهر مرَّة ... ومارثَّ من حبْل الصَّفاء جديدُ ؟
وهل تلتقي الأهْواءُ من بعد يأسةٍ ... وقد تُطلب الحاجاتُ وهي بعيدُ ؟
وهل أزجُرنْ حرفًا عَلاةً شِمِلَّةً ... بخرقٍ تُباريها سواهِمُ سُودُ
على ظهْر مرهوبٍ كأنَّ ستورهُ ... إذا جاز هُلاَّكُ الطَّريقِ رقُودُ[24]
سبتْني بعيْني جؤذرٍ وسْط ربربٍ ... وصدرٍ كفاثور الثُّلجيْنِ وجيدُ
تزيف كما زافَت إلى سلفاتِها ... مُباهيةً طيَّ الوشاحِ مَيُودُ
إذا جئْتُها يومًا من الدَّهر زائرًا ... تعرَّض منقوصُ اليديْن صَدودُ
يصدُّ ويُغضي عن هَوايَ ويجتني ... ذنوبًا علينا إنَّه لعَنودُ
فأصرمُها خوفًا كأنِّي مُجانبٌ ... ويغْفلُ عنَّا مرَّةً فنعُودُ
فمن يُعْطَ في الدُّنيا قرينًا كمثلها ... فذلك في عيشِ الحياةِ رشيدُ !

يموت الهوى مني (البيت)

وبعـده :

يقولون : جاهدْيا جميلُ بغزْوةٍ ! ... وأيُّ جهادٍ غيرَهُنَّ أُريدُ ؟
لكلٍّ حديثٍ بينهنَّ بشاشةً ... وكلُّ قتيلٍ بينهُنَّ شهيدُ
فمن كان في حبِّي بُثينةَ يمْتري ... فبرقاءُ ذي ضالٍ عليَّ شهيدُ
ألم تعْلمي يا أمَّ ذي الودْعِ أنَّني ... أُضاحكُ ذكراكُمْ وأنتِ صَلودُ ؟

وقال الآخـر :

إذا كُنت تهوى الحمد والمجْد مولعًا ... بِأفْعال ذي غَيٍّ فلستَ براشِد
ولستَ وإن أغْيى أباك مجادةً ... إذا لم ترُم ما أسْلفاهُ بماجِدِ

قوله : أبَاكَ، أي أبَواكَ، فثنَّى لفظ الأب من غير أن يردَّ لامه . وقال الآخر :

شَرَيْتُ بردًا ولولا ما تكنَّفني ... من الحوادثِ ما فارقْتُه أبَدا !

وقال الآخـر :

24) يروى الشطر الأول أيضا هكذا : على ظهرِ مرهوبٍ كأنَّ نُشُوزَهُ

أتعجبُ أن رأيتَ عليَّ دنيا ؟ (بياض)

وقال الأشهب بن رحيلة :

أسودُ شرى لاقت أسود خفيَّةٍ تساقتْ على حردٍ دماءَ الأساودِ

وقال الآخر :

إذا كانت الهيجاءُ وانشقَّت العصا فحسبُك والضحّاكَ سيفٌ مهنَّدُ !

وقال أعرابي في السجن :

أيا واليَيْ سجنِ اليمامةِ أشرفا بيَ القصرَ أنظرْ نظرةً هل أرى نجدا !
فقال اليمانيانِ لمّا تبيّنا سوابقَ دمعٍ ما ملكتُ لها ردّا :
أمن أجل أعرابيّةٍ ذاتِ بُردةٍ تُبكّي على نجدٍ وتَبلى كذا وجدا؟
لعمري لأعرابيّةٌ في عباءةٍ تحلُّ دماثًا من سُويقَةَ أو فردا
أحبُّ إلى القلبِ الذي لجَّ في الهوى من اللاّبسات الرَّيط يُظهرنه كيدا

وقال الآخر، ويقال الشافعي، رضي اللّه عنه :

تمنّى رجالٌ أن أموتَ فإن أمُت فتلك طريقٌ لستُ فيها بأوحَدِ !

يقال : لست في هذا الأمر بأوْحَد، أي لا أختصّ به . وقال الآخر، ويقال هو هاتف سُمع لمّا ولي عُمَر بن عبد العزيز، رضي اللّه عنه :

من الأن قد ظابت وقرَّ قرارُها على عُمدِ المَهْديّ قام عمودها

وقال يزيد بن الصَّيْقَل العَقِيلي، وكان يسرق الابل ثمّ تاب :

ألا قُل لأربابِ المخائضِ أهْملُوا فقد تابَ عمّا تعْلمونَ يزيدُ
وإنّ امرءًا ينجو من النّارِ بعدما تزوّد من أعمالها لسعيدُ !

وتقدّم هذا الثاني . والاهْمالُ تركُ الابل بلا راع . وقال الآخر :

تمنّيتُمُ مِائَتَيْ فارسٍ فردّكُمُ فارسٌ واحِدُ

وقبلها :

فليتَ لها بارتباطِ الخُيُولِ ضأنًا لها حالبٌ قاعِدُ !
ألا هلْ أتاها على نأيِها بما فَضَحَتْ قومَها غامِدُ ؟

وغامِدُ أبو قبيلة، وهو غامِدُ بن نصر بن الأزد بن الغوث، فهجاهم هذا الشاعر . وقال حاتم :

وإنَّ الكريمَ مَن تلفَّتَ حولَه وإنَّ اللَّئيمَ دائمُ الطَّرف أقْودُ

وقال نَبْهَانُ العَبْشَمِيّ :

يقرُّ بعيني أن أرى من مكانُهُ ذُرى عقِداتِ الأبْرقِ المُتقاوِدِ
وأن أردَ الماء الَّذي شربَتْ بِهِ سُليمى وقد ملَّ السُّرى كلُّ واخِدِ
وأخْلِطَ أحْشائي ببرد تُرابه وإن كان مخْلوطًا بسمِّ الأساودِ !

والعَقِدات واحد العَقِدَة - بكسر القاف وفتحها - وهو ما تراكم من الرَّمل وانعقد ؛ والأبْرقُ حجارة يخالطها رمل أو طين ؛ والمُتَقَاوِدُ : المُنْقَادُ المُسْتَقِيمُ ؛ والأسَاوِدُ جمع أسْوَد، وهو الأسْود السَّالخ . وقال أبو الحسن بن أبي الطَّيِّب :

لا تُنكري يا عزَّ إن ذلَّ الفتى ذو الأصل واستعْلى خسيسُ المُحتَدِ
إنَّ البُزاة رؤوسُهُنَّ عواطِلٌ والتَّاج معْقُودٌ برأس الهُدهُدِ

وقال الحارث بن كَلَدَة :

ولَقَدْ رأيْتُ مَعَاشِراً جَمَعُوا لَهُمْ مَالاً ووُلْدَا
وهُمُ زَبَابٌ حَائِرٌ لا تَسْمَعُ الآذانُ رَعْدَا

والزَّبَابُ - بالزاي مفتوحة - جمع زَبَابَة، وهي الفأرة العمياء ، وضرب ذلك مثلا لرعاع النَّاس وجهَّالهم الحائرين . وقوله : لا تَسْمَع الآذَانُ رَعْدَا، أي لا تسمع آذانهم صوت الرعد لصَمَمِهم، فأقام الألف واللاَّم مقام الضمير وقال الآخر :

فَأثْنُوا علينا لا أبا لِأبِيكُمُ بأفْعالنا إنَّ الثَّناء هو الخُلدُ !

ومثله قول الآخر :

فإذا بلغتُمْ أرضَكُم فتحدَّثوا ومن الحديثِ مثالبٌ وخُلُودُ !

وتقدَّم ذكر هذا المعنى . وقال ابن التَّلبَّانة يمدح المعتمد :

لقد ضمَّ أمرَ المُلك حتى كأنَّه نطاقٌ بخَصرٍ أو سوارٌ على زنْدِ
وحسَّن طعْم العيشِ حتَّى أعادهُ ألذَّ من الاغْفاء في عقبِ السُّهْدِ
وحسبُ اللَّيالي أنَّها في زمانِه بمنزلةِ الخيلانِ في صفْحةِ الخدِّ
توقَّدَ عن نارَيْن للحربِ والقِرى وقام على طوْدَينِ للحِلمِ والمجْدِ
وجاءت به الأيَّامُ تاجرَ سُؤددٍ يبيعُ نفيساتِ المواهب بالحَمْد
يُغيثُكَ في محْلٍ يُعينُكَ في ردًى يروعُك في درْعٍ يروقُك في بُردِ

جمالٌ وإجْمالٌ وسبقٌ وصولَةٌ ... كشمس الضُّحى كالمُزنِ كالبرقِ كالرَّعد!

وقال أيضا :

إليه وإلاَّ قيِّدوا قدمَ السُّرى ... وفيه وإلاَّ أخْرسوا ألْسُن الحمْدِ
وعنْه أفيضوا، إنَّه مَشْعَرُ الهُدى ... وحوليهِ طوفوا : إنَّه كَعْبَةُ القصْدِ
وألغُوا حديثَ البحر عند حديثه: ... فكم بين ذي جزْرٍ وكم بين ذي مدِّ !

وقال الآخر :

قلَّدتني منكَ الجميل قَلائِدا ... ورحمتني حتَّى حسبتُكَ والِدا
والله لو جاز السُّجودُ لمُحسنٍ ... ما كُنتُ إلاَّ راكعًا لك ساجدا !

وقال أبو جعفر البَطْرُوني :

وما زلت أجْني منك والدَّهر ممحلٌ ... ولا ثمرٌ يُجنى ولا زرْعَ يُحْصَدُ
ثمارُ أيادٍ دانياتٌ قُطوفُها ... لأغْصانها ظلٌّ علينا ممدَّدُ
ترى جاريًا ماء المكارمِ تحتَها ... وأطْيارُ شُكري لا تزالُ تُغرِّدُ

وقال ابن التَّلبَّانة أيضا :

هو صُبْحٌ وربيعٌ وحَيَا ... يُجْتَلى أو يُجْتَنَى أو يُجْتَدَى
هو طودٌ وشِهَابٌ ولَظَى ... مَارِسًا أو مَاسِرًا أو مَا عَدا

وقال بكر بن النطاح :

ملَأتُ يَدي من الدُّنْيَا مِرارًا ... فما طمعَ العَواذلُ في قِيَادِي
وما وجَبَت عليَّ زكاةُ مالٍ ... وهَل تجبُ الزَّكاةُ على جَوادِ ؟

وقال الآخر :

بفعالي عُرفْتُ لا بمقالي ... وبِذاتي شَرفْتُ لا بجُدودِ
إنَّ رأيِي ورايَتِي بَلَّغاني ... غَايَتي هَذه بحُكْمِ السُّعُودِ

وقال ابن الخطيب :

تعجَّلتُ وخْط الشَّيب في زمن الصِّبا ... لخَوْضي غمار الهَمِّ في طلب المجدِ
فمهْما رأيتُم شيْبَةً فوق مفْرقي ... فلا تُنكروها إنَّها شيْبَةُ الحَمْد !

وقال ابن الحدَّاد، وللشعر حكاية :

شقيقُك غُيِّب في لحْدهِ ... وتَطْلُعُ يا بَدرُ من بَعْدهِ

فهلاَّ خَسَفْتَ فكانَ الخُسُوفُ حِداداً لبسْتَ على فَقْدِهِ ؟

وقال الآخر في التعزية :

لا بُدَّ من فقْدٍ ومن فاقِدِ هيْهاتَ ما في النَّاس من خَالِدِ
كُن المُعزِّيَ لا المُعَزَّى بِهِ إن كان لا بُدَّ من الواحِدِ !

وقال الوزير المهلَّبي :

خليليَّ إنِّي للثُّريَّا لحاسِدُ وإنِّي على ريْبِ الزَّمانِ لواجِدُ
أيبْقى جميعًا شمْلُها وهي سبعةٌ وأفْقدُ من أحْببتُه وهْو واحِد ؟

وقال الآخر :

دهى اللَّه مصْراً وسكَّانها وفتَّت أكْبادهُم بالحَسدْ !
متى يرتَجي مُفْلسٌ عندهُم غنًى وعلى كلِّ فلْسٍ أسدْ ؟

وقال الآخر :

ما للمُعِيلِ وللسِّفار وإنَّما يُجْلى بوصْلِ البيد من هو فاردُ
فالشَّمس تجتابُ السَّماء فريدةً وأبو بنات النَّعشِ فيها راكِدُ

وقال ابن سُكَّرَة :

قيلَ : ما أعْدَدْتَ لِلبَرْدِ وقَدْ جَاءَ بِشِدَّهْ ؟
قُلتُ : دُرَّاعَةُ عُرْيٍ تَحْتَهَا جُبَّةُ رِعْدَهْ

وقال الآخر :

بين اللِّثامِ وصُدغِهِ المعْقُودِ خمْرانِ : من ريقٍ ومن عنْقودِ
يلوِي على زردِ العذارِ دلالَهُ : كم فتْنةٍ بين اللِّوَى وزُرودِ !

وقال الآخر :

أهلاً بطَيْفكَ زائراً أو عائِداَ تفديكَ نفسي غائبًا أو شاهِداَ !
يا من على طيْف الخيالِ أحالَني أتظُنُّ طرفي مثل طرفِك راقِدا ؟
ما نمْتُ لكنَّ الخيالَ يُلمُّ بي فيجلُّه طرفي فيُطْرقُ ساجِداَ

وقال الراضي بن عبَّاد :

مرُّوا بنا أصلا من غيرِ ميعادِ وأوقدوا نار قلْبي أيَّ إيقادِ
لا غَرْوَ إن زاد في قلبي مرورُهُم فرؤيَةُ الماء تُذكي غُلَّةَ الصَّادِ !

وقال الآخـــر :

قالوا : خسرتَ القلبَ حين علقْتَهُ ... وربـحْتَ فيه شماتَةَ الحُسَّادِ

فأجبتُهم : لا تعْذلوني إنَّني ... صانعْتُه عن مُهْجتي بفُؤادِ !

وقال بعض المشارقة :

ألْحاظُكم تجرحُنا في الحَشَا ... ولحْظُنا يجرحُكُم في الخُدودْ

جرحٌ بجُرحٍ فاحْسبوا ذابِذاً ... فما الَّذي أوجب جُرحَ الصُّدودْ ؟

وقال أبو العبَّاس بن الفيَّاض :

قُم آسقني بين خفْقِ النَّاي والعودِ ... ولا تبعْ طيبَ مفقودٍ بموجودِ

نحن الشُّهود وصوتُ العودِ خاطبنا ... فزوِّجِ ابنَ غمامٍ بنتَ عُنْقودِ !

وقال أبو البركات في غرناطة :

رعى اللَّهُ من غرناطةٍ مُتبوَّءاً ... يسرُّ كئيبًا أَوْ يُجيرُ طريدا !

تبرَّم منها صاحبي عندما رأى ... مسارحَها بالبرد عُدنَ جليدا

هي الثَّغْرُ صانَ اللَّهُ مَنْ أهلُه به ... وما خيرُ ثغْرٍ لا يكونُ بَرودا

وقال ابن حجَّاج في صاحب وليمة أبطأ بالطعام فيها.

يا جائيـــا في داره ذاهبًـــا ... لغيـر معْنًى لا ولاَ فائـــدَهْ

قد جُنَّ أصحابُكَ من جوعِهِمْ ... فاقرأْ عليهِم سورَةَ المائـدهْ !

وتقدَّم بعضه . وقال الآخر :

مال ابـن دارةَ دونَهُ لعُفاتِهِ ... خرطُ القتادِ والتماسُ الفرقَـدِ

مالٌ لزومُ الجمعِ يمْنَعُ صَرْفَهُ ... في راحةٍ مثلَ المُنادَى المُفْرَدِ

وقال الآخـر :

فأكثر من الاخوان للدَّهر عُدَّةً: ... فكثرةُ دُرِّ العقد من شرف العِقد

وعظِّم صغير القوم وابْدأ بحقِّه: ... فمن خِنصِريْ كفَّيكَ تبْدأ في العدِّ !

وقال الآخـر :

ألاَ ! إنَّه كُلُّنَا بَائِدُ ... وأيُّ بَنِي آدَمٍ خَالِدُ ؟

وبَدؤُهُمُ كان من ربِّهِم ... وكلٌّ إلى ربِّهِ عَائِـــدُ

فَيا عَجَبًا كيْفَ يُعْصى الاَلَهُ ... أمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ

وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وقال البُستيّ :

أَبُوكَ حَوَى العَلْيا وأنتَ مُبَرِّزٌ عَلَيْهِ إذا نازَعْتَهُ قَصَبَ المَجْدِ
وللخَمْرِ مَعْنًى ليسَ في الكَرْمِ مثلُهُ وللنَّارِ نورٌ ليسَ يوجَدُ في الزَّنْدِ

وقال أبو القاسم الاصبهانيّ :

أَصْبَحْتُ صَبًّا دَنِفًا بَيْنَ عَنَاءٍ وَكَمَدْ
أَعُوذُ مِنْ شَرِّ الهَوَى بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدْ !

وقال ابن الجهم :

أَنْفُسٌ حُرَّةٌ ونَحْنُ عَبِيدُ إنَّ رِقَّ الهَوَى لَرِقٌّ شَدِيدُ
لي حبيبٌ نَأَى بهِ الهَجْرُ عَنِّي وَأَشَدُّ الهَوَى القَرِيبُ البَعِيدُ

وقال الآخر :

وَكَمْ لَيْلَةٍ بِتُّ مِنْ حُبِّكُمْ تَطُولُ عَلَى طَرْفِيَ السَّاهِدِ
كَأَنَّ نُجُومَ الدُّجَى في الدُّجى صِوَارٌ تَفَرَّقْنَ عَنْ صَائِدِ

وقال ابن الرومي :

لِما تُؤْذِنُ الدُّنْيا بِهِ مِن صُروفِها يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ
وإلاَّ فَما يُبْكيهِ مِنْهَا وإنَّهَا لأَوْسَعُ مِمَّا كان فيه وأَرْغَدُ ؟

وقال الآخر في التورية :

تَقُولُ سُلَيْمى إذ رَأَت شَيبَ لِمَّتي: لَقَدْ حَالَ مِنْ ذَاكَ الشَّبابِ سَوادُهُ
وما تُنْكِرُ الحَسْنَاءُ مِن خَطِّ كاتِبٍ إذا ابْيَضَّ من طُولِ الكتابِ مِدادُهُ

وقال كُثَيِّرُ :

فإنْ تَسلُ عنكَ النَّفسُ أو تَدعِ الهوى فَبالياَسِ تَسلُو عَنكَ لا بالتَّجَلُّدِ !
وكُلُّ خَليلٍ زارَني فَهْوَ قائلٌ : مِنَ أَجْلِكَ هذا هامَةُ اليَومِ أو غَدَ !

وتقدم أن يزيد بن عبد الملك تمثّل به على قبر جاريته حبابة لما ماتت :

وقال ابو جعفر المنصور العباسي، وله قصة ستأتي في اللام :

إذا كُنتَ ذا رأيٍ فكُنْ ذا عَزيمَةٍ : فإنَّ فَسَادَ الرَّأيِ أنْ يَتَرَدَّدَا
ولا تُمْهِلِ الأعداءَ يَوْمًا بِقُدْرَةٍ وحاذِرْهُمُ أنْ يَمْلِكوا مِثْلَها غَدَا !

وسبب ذلك أن جارية له أهدت إليه تفاحة بعد أن طيبتها، وكتبت عليها :

هَدِيَّةٌ مِنِّي إلى المَهْدي تُفَّاحَةٌ تُقْطَفُ منْ خَدِّي
مُحْمَرَّةٌ مُصْفَرَّةٌ طُيِّبَتْ كَأنَّها منْ جَنَّةِ الخُلْدِ !

وقال عُرْوَةُ بنُ أذَيْنَة، رضي الله عنه :

إذا وجَدتُ أُوارَ الحُبِّ في كَبدي أقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ القَوْمِ أبْتَرِدُ
هَبْنِي بَرَدْتُ بِبَرْدِ الماءِ ظاهِرَهُ فَمَنْ لِنَارٍ على الأحشاءِ تَتَّقِدُ ؟

وقال الامام الشافعي، رضي الله عنه، فيما زعموا :

خُذُوا بِدَمِي ذاكَ الغَزَالَ فإنَّهُ رَماني بِسَهْمَيْ مُقْلَتَيْهِ على عَمدِ
ولا تَقْتُلُوه إنَّني أنا عَبْدُهُ وفي مَذْهَبي لا يُقْتَلُ الحُرُّ بالعَبدِ !

وقال القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي، رحمه الله :

ونائمَةٍ قَبَّلْتُها فَتَنَبَّهَتْ وقالتْ: تعالَوْا فاطْلُبوا اللِّصَّ بالحدِّ !
فقُلْتُ لها : إنِّي لثَمْتُكِ غاصِبًا وما حَكَمُوا في غاصِبٍ بِسِوى الرَّدِّ
خُذيها وكُفِّي لي عن إثْمِ ظُلامَتي وإنْ أنْتِ لمْ تَرْضَيْ فألْفًا منَ العَدِّ
فقالتْ : قِصاصٌ يَشهَدُ العَقلُ أنَّهُ على كَبِدِ الجاني ألَذُّ من الشَّهْدِ
فَباتَتْ يَميني وهْيَ هَيْمانُ خَصرِها وباتَتْ يَساري وهْيَ واسِطَةُ العِقْدِ
وقالت : ألمْ أُخْبَرْ بأنَّكَ زاهِدٌ ؟ فقُلْتُ : بَلى ما زِلْتُ أزْهَدُ في الزُّهدِ

وقال مسكينٌ الدَّارِمِيّ :

قلْ للمَلِيحَةِ في الخِمارِ الأسْوَدِ : ماذا فَعَلْتِ بزاهِدٍ مُتَعَبِّدِ ؟
قَدْ كانَ شَمَّرَ للصَّلاةِ إزارَهُ حتَّى قَعَدْتِ لهُ ببابِ المَسْجِدِ
رُدِّي عليه صلاتَهُ وصِيَامَهُ لا تَفْتِنيهِ بِحَقِّ جاهِ مُحَمَّدِ !

وزعموا أنه كان مشتهرا بالمجون، فنسك ولزم المسجد، وصار من العبّاد . فورد بعض تجار العراق على المدينة، على ساكنها الصلاة والسلام، بسلة فيها خُمُر مختلفة الالوان . فباعها

جميعا إلا السود من الخُمر . فتحيَّر في أمرها وجاء نحو المسجد وسأل عن من به من أهل الخير . فدُلَّ على مسكين الدارمي المذكور . فجاء وشكا إليه أمره وسأله الدعاء بتيسير بيع ما كسد من الخُمر، فقال له : تُباع إن شاء الله ! ثم صنع هذه الابيات، ودعا بعض اهل اللحون فدفعها له وقال له : غَنِّ بها حيثما أمكنك، فإنها لي ! فذهب يغنِّي بها في سكك المدينة، فظَن الناس أنه ترك التنسُّك وعاد إلى المجون، ولامه أصحابه في ذلك فقال : وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِين ! وشاع في المدينة أن الدارمي تعشق صاحبة الخمار الأسود، فلم تبق في المدينة متظرفة إلا اشترت خمارًا أسود، فبيعت بذلك خُمر التاجر، وعاد الدارمي إلى نسكه :

وهو القائل :[25]

وسُمِّيتُ مِسْكِينًا وما بِيَ حاجَةٌ ... وإنِّي لَمِسْكِينٌ إلى اللَّهِ راغِبُ

وإنِّي امْرُؤٌ لا أسأل النَّاسَ ما لَهُمْ ... بِشِعْرٍ ولا تُعْيِي علىَّ المَكَاسِبُ

وينسب إلى القاضي التنوخي في معارضة أبيات الخمار المذكورة :

قُلْ للْمَليحَةِ في الخِمار المُذْهَبِ : ... أفْسَدتِ نُسْكَ أخي التُّقى المُتَرهِّبِ

نورُ الخِمارِ ونورُ خَدِّكِ تحْتَهُ ... عجَبًا لوجْهِكِ كيْفَ لمْ يَتَلَهَّبِ !

وجَمَعْتِ بيْنَ المَذهَبَيْنِ فلمْ يكُنْ ... للحُسْنِ عنْ نَهْجَيْهِما منْ مَذهَبِ

وإذا أتَتْ عَيْنٌ لِتَسْرِقَ نَظْرَةً ... قال الشُّعاعُ لها اذْهَبي لا تَذْهبي !

وقال الفرزدق :

وخَيرُ الشِّعْرِ أشْرَفُهُ رجالاً ... وشَرُّ الشِّعْرِ ما قالَ العَبيدُ

وسبب قوله ذلك أنه اجتمع مع نصيب، الشاعر الأسَدِيّ، في مجلس سليمان بن عبد الملك، فقال الفرزدق شعرا يفخر فيه بأبيه، ومنه :

وركْبٍ كأنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ ... لَهاتِرَةٌ من جَذْبِها بالعَصائبِ

سَرَوْا يَخْبِطون الرِّيحَ وهي تلُفُّهُمْ ... إلى شِعَبِ الأكوارِ ذاتِ الحَقائبِ

إذا آنَسوا نارًا يَقُولون لَيْتَها ... وقَدْ خَصِرَتْ أيْديهِمُ نارُ غالِبِ !

فأعرض سليمان كالمغضب، ففطن له نصيب، فقال له : أيأذن أمير المؤمنين أن أقول ؟ قال : قل ! فقال نصيب :

25) ساقط منب .

أقولُ لِرَكْبٍ صادِرِين لَقِيتُهُمْ : قِفَا ذاتَ أوْشالٍ ومولاكَ قارِبُ
قِفُوا خَبِّرونِي عنْ سُلَيْمانَ إنَّني لِمَعْروفِهِ منْ أهْلِ وَدَّانَ طالِبُ !
فَعاجوا فَأثْنَوْا بالَّذي أنْتَ أهْلُهُ ولوْ سَكَتوا أثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقائبُ
وقالوا : تَرَكْناهُ وفي كُلِّ لَيْلَةٍ يَطيفُ بِهِ منْ طالِبِ العُرْفِ راغِبُ
فَلَو كان فوقَ النَّاسِ حَيٌّ فِعالُهُ كَفِعْلِكَ أو في الفَضْلِ منكَ يُقارِبُ
لَقُلْنا له شبهٌ ولكنْ تَعَذَّرَتْ سِواكَ على المُسْتَشْفِعينَ المَطالبُ !
هُوَ البَدْرُ والنَّاسُ الكواكبُ حولَهُ وهلْ تُشْبِهُ البَدْرَ المنيرَ الكواكبُ ؟

فطرب سليمان وأمر لنصيب بعشرة آلاف . ثم التفت إلى الفرزدق فقال : كيف ترى يا أبا فراس؟ فقال : هو أشعر أهل جلدته . فقال سليمان : وأهل جلدتك ! فغضب الفرزدق وقال :

وخَيْرُ الشِّعْرِ أشْرَفُهُ رِجالاً وشَرُّ الشِّعْرِ ما قال العَبيدُ !

وعن دعبل قال : نودي بالنفير، فخرجت مع الناس، فإذا فتى يجرُّ رُمْحَهُ بين يدي، فقال : يا دعبل، اسمع مني ! وأنشد :

أنا في أمْرَيْ رَشَادِ بَيْنَ حُبٍّ وَجِهَادِ
بَدَنِي يَغْزُو عَدُوِّي والهَوَى يَغْزُو فُؤادِي !

ثم قال : كيف ترى ؟ قلت : جيّد والله ! فقال : ما خرجت إلا هاربا من الحب ! ثم قاتل حتى قتل .

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تخاطب زوجها عمر بن عبد العزيز، حيث اشتغل بأمور الخلافة ولم يتفرغ لها :

ألا يا أيُّها المَلِكُ الَّذي قَدْ سَبَى عَقْلِي وهامَ به فؤادي
أراكَ وَسِعْتَ كُلَّ النَّاسِ عَدْلاً وَجُرْتَ عَلَيَّ منْ بيْنِ العِبَادِ
وأعْطَيْتَ الرَّعِيَّةَ كُلَّ فَضْلٍ وما أعْطَيْتَني غَيْرَ السُّهادِ

وقال الآخر :

نحْنُ قَوْمٌ تُذيبُنا الأعْيُنُ النُّجْلُ عَلى أنَّنَا نُذيبُ الحَديدَا
نَقْتُلُ الأسْدَ ثُمَّ تَقْتُلُنا البِيضُ الْمَصُونَاتُ أوْجُهًا وخُدودَا
وتَرانَا لَدى الكَريهَةِ أحْرارًا وَفي السِّلْمِ للْحِسَانِ عَبيدَا

وزعموا أن العلوي، قائل هذا الشعر، حاصر قلعة حتى كاد يقتحمها . وكانت فيها امرأة ذات حسن وجمال، فقالت لأهلها : أنا أكفيكم أمره ! فتبرقعت وخرجت نحو العسكر وقالت : أبلغوني إلى الأمير ! فأبلغوها إليه، فقالت : أنت القائل :

نَحْنُ قَوْمٌ تُذِيبُنا الأعْيُنُ ؟.. (الأبيات الثلاثة)

فقال : نعم ! فنزعت البرقع عن وجهها وقالت : أحسنًا ترى أم قبيحًا ؟ فقال : والله ما أرى إلا حسنا ! فقالت : ما حق المولى على عبده ؟ فقال : السمع والطاعة . فقالت : فارحل عنا وانصرف راشدا ! قال : نعم ! وأمر بالرحيل . فقال له أهل العسكر : إن المدينة بأيدينا . فقال : لا سبيل إلى الاقامة ساعة واحدة . ثم خطب تلك المرأة وتزوجها، فكانت عنده أحظى نسائه .

وقال الآخر في الثقلاء :

إلْمامُ كُلِّ ثَقيلٍ قَدْ أضَرَّ بِنا نَرُومُ نَقْصَهُمْ والشَّيْءُ يَزْدادُ
ومنْ يَخِفُّ عَلينا لا يُلِمُّ بِنَا وللثَّقيلِ على السَّاعاتِ تَرْدادُ

وقال الآخر :

إذا هُزَّ الكَريمُ يَزيدُ خَيْرًا وإنْ هُزَّ اللَّئيمُ فَلا يَزيدُ

وروي أن أعرابيا وقف على مروان بن الحكم، وهو يفرض العطاء بالمدينة، فقال له : افرض [لي] ! فقال : قد طوي الكتاب ! فقال له الأعرابي : أما علمت أنّي القائل :

إذا هُزَّ الكريمُ ؟.. (البيت)

فقال : نشدتك الله، وأنت القائل له ؟ قال : نعم ! فقال مروان : افرضوا له ما يرضيه ! وقال الآخر :

لا يُوجَدُ الخَيْرُ إلاّ في مَعَادِنِهِ والشَّرُّ حَيْثُ طَلَبْتَ الشَّرَّ مَوْجُودُ

ويحكى عن جعفر بن يحيى أنّه في بعض اسفاره عرض عليه مماليك رجل جفاه السلطان، وفيهم غلام جميل . قال : فقلت له : ما اسمك ؟ قال : ماهر . قلت : وما صنعتُك ؟ قال : الأدب والشعر والغناء، وما شئت من بعد . فسألت عن ثمنه فقيل خمسمائة [دينار] على الضرورة . فوزنت ثمنه وسألته أن يسمعني شيئا من غنائه . فأخذ العود واندفعَ يغني :

حَمَلْتُمْ جِبالَ الحُبِّ فوقي وإنّني لأعْجِزُ عنْ حَمْلِ القميصِ وأضْعَفُ
ظَفِرْتُمْ بِكِتْمانِ اللّسانِ فَمَنْ لكمْ بكِتْمانِ عَينٍ دَمعُها الدَّهرَ يَذْرِفُ ؟

فأطربني غناؤه وشجاني، فأجزته وخلعت عليه، وأمرته بمعادلتي . فلمَّا أجزت منزل مولاه بمقدار ميل أنشأ يقول :

وما كُنتُ أخْشى مَعْبَدًا أن يَبيعَني ... بشيْءٍ ولَوْ أضْحَتْ أنامِلُهُ صِفْرَا
أخوهُمْ ومولاهُمْ وحامِلُ سِرِّهِمْ ... ومَنْ قَد ثَوى فيهِمْ وعاشَرَهُمْ دَهْرَا
أشَوْقًا ولَمَّا يَمْضِ لي غَيْرُ ساعةٍ ... فَكَيْفَ إذا سارَ المَطِيُّ بنا شَهْرَا ؟

فقلت له : يا غلام، أتعرف منزل مولاك من هاهنا ؟ فقال : وهل تخفى معالم الحب ؟ فقلت : اذهب، فأنت حر لوجه الله ! ووهبت له ألف دينار . فقال لي زميلي : أمثل هذا يعتق ؟ فقلت له : ويحك ! وهل مثله يملك ؟ فانطلق وهو يقول :

لا يُوجَدُ الخَيْرُ إلاّ في مَعادِنِهِ (البيت)

وقال محمد بن عبد الملك الزيات :

وأيُّ امْرِىءٍ سَمَّى بِها قَطُّ نَفْسَهُ ... فَفارقَها حتَّى يُغَيَّبَ في اللَّحْدِ ؟

وكان سبب ذلك أن ابراهيم بن المهدي اقترض من التجار أموالا كثيرة ببغداد . فيها لعبد الملك الزيات عشرة آلاف دينار . فلما لم يتم له أمر الخلافة لوى التجار أموالهم . فصنع محمد ابن عبد الملك قصيدة يخاطب المأمون، وهو صغير، منها :

تَذَكَّرْ أمِيرَ المُومِنِينَ قِيامَهُ ... بإيمائِهِ في الهَزْلِ مِنْهُ وفي الجَدِّ
وَاللَّهِ ما مِن تَوْبَةٍ نَزَعَتْ بِهِ ... إلَيْكَ ولا مَيْلٍ إليْكَ ولا وُدِّ
وكَيفَ بِمنْ قد بايَعَ النَّاسَ وَالْتَقَتْ ... بِبَيْعَتِهِ الرُّكْبانُ غَوْرًا إلى نَجْدِ
ومنْ صَكَّ تَسْليمُ الخِلافَةِ سمْعَهُ ... يُنادَى به بين السَّماطيْنِ عن بُعْدِ ؟
وأيُّ امْرِيءٍ سمَّى بها قَطُّ نَفْسَهُ ... (البيت)

وعرضها على إبراهيم وقال له : إمَّا أنصفت أبي، وإمَّا انشدتها المامون ! فأدَّى إلى أبيه ماله دون سائر التجار، واستحلفه على كتمانها، فحلف له، وهذا من فوائد الشعر .

وقال ابن الرومي يمدح النرجس :

للنَّرْجِسِ الفَضْلُ المُبينُ وإنْ أبَى ... آبٍ وحادَ عَنِ الطَّريقَةِ حائدُ
والنَّرْجِسُ احْتازَ المَلاحَةَ كُلَّها ... ولَهُ فَضائِلُ جَمَّةٌ وفَوائِدُ

ومنها :

شَتَّانَ بينَ اثْنَينِ : هذا مُوعِدٌ ... بِتَسَلُّبِ الدُّنْيا وهذا واعِدُ !

وسيأتي تتمة هذا الشعر وما عورض به وما قيل في ذلك، إن شاء الله .

وقال الآخر :

وتحتَ البَراقِعِ مَقْلُوبُها تَدِبُّ على وَرْدِ خَدٍّ نَدِي[26]

وقال الآخر :

إذا أنتَ وَلَّيْتَ الْخَؤون أمانةً فإنَّكَ قَدْ أسنَدْتَها شَرَّ مُسنَدِ !

وقال الآخر يصف الكتب :

لنا جُلَسَاءُ لا يُمَلُّ حَديثُهُمْ أَلِبَّاءُ مَأمونونَ غَيْبًا ومَشْهَدَا
يُفيدونَنا من عِلمِهم عِلمَ مَن مضى وعَقْلاً وتأديبًا ورأيًا مُسَدَّدَا
فَلا فِتْنَةً تَخْشى ولا سُوءَ عِشْرَةٍ ولا تَتَّقي مِنْهُمْ لِسانًا ولا يَدَا
فَإنْ قُلْتَ : أمْواتٌ فَلَسْتَ بِكاذِبٍ وإنْ قُلْتَ : أحْياءٌ فَلَسْتَ مُفَنَّدَا !

وقال الآخر :

عَلَيَّ لإخْواني رقيبٌ منَ الصَّفا تَبيدُ اللَّيالي وَهْوَ ليْسَ يَبيدُ
يُذَكِّرُنيهِمْ في مَغيبٍ ومَشْهدٍ فَسِيَّانِ مِنْهُمْ غائبٌ وشَهيدُ
وإني لأسْتَحيِي أخي أنْ أبَرَّهُ قريبًا وأنْ أجْفوهُ وَهْوَ بعيدُ

وقال الآخر :

رَأيْتُ صَلاحَ المَرءِ يُصْلِحُ حالَهُ وَيُعْديهِمْ داءُ الفَسادِ إذا فَسَدْ
ويَعْظُمُ في الدُّنيا بِفَضلِ صَلاحِهِ ويُحفَظُ بعدَ المَوتِ في الاهلِ والوَلَدْ

وقال الآخر :

أرى صاحِبَ النِّسْوانِ يَحْسِبُ أنَّها سَواءٌ، وبوْنٌ بينَهُنَّ بَعيدُ
فَمِنْهُنَّ جنَّاتٌ تَفيءُ ظِلالُها ومِنْهُنَّ نيرانٌ لَهُنَّ وَقودُ !

وقريب من هذا قول الأعرابي :

وإنَّ منَ النِّسْوانِ مَنْ هِيَ رَوْضَةٌ تَهيجُ الرِّياضُ دُونَها وتَصوحُ

غيره :

وكُلُّ أخٍ عِنْدَ الهُوَيْنا مُلاطِفٌ ولَكِنَّما الاخْوانُ عِنْدَ الشَّدائِدِ !

غيره :

---

26) في ب : تدبُّ على خدّ ورد ندي

مَـا خَطْبُ مَن حُرِمَ الارادَةَ وادِعًا مِثْلُ الذي حُرِمَ الارادَةَ جاهِدَا

غيـره :

ولَقَدْ أصْرِفُ الْفُؤادَ عنِ الشَّيْءِ حَيَاءً وَحُبُّهُ في السَّوادِ

غيـره :

عَوِّدْ لسانَكَ قَولَ الصِّدقِ تحْظَ بهِ إنَّ اللِّسانَ لِما عَوَّدتَ مُعْتادُ

مُوَكِّلٌ بتَقاضي ما سَنَنْتَ لَهُ في الخَيْرِ والشَّرِّ فانْظُرْ كيفَ ترتادُ !

وقال أبو الفتح البُسْتِيّ :

تكَلَّمْ وسَدِّدْ ما استَطَعْتَ فإنَّما كَلامُكَ حيٌّ والسُّكوتُ جَمادُ !

فإنْ لَمْ تَجِدْ قَولاً سديدا تقُولُهُ فَصَمْتُكَ عنْ غَيْرِ السَّدادِ سَدادُ

وقال ابن الرومي . وقد سمع رجلا يثني على آخر مبالغا :

إذا ما وَصَفْتَ امْرءًا لامْرِيءٍ فلا تَغْلُ في وصْفِهِ واقْصِدِ :

فإنَّكَ إنْ تَغْلُ تَغْلُ الظُّنُونُ فيهِ إلى الأمَدِ الأبْعَدِ

غيـره :

ألَم ترَ أنَّ الدَّهْرَ من سوءِ فِعْلِهِ يُكَدِّرُ ما أعْطى وَيَسْلُبُ ما أسْدى

فَمَنْ سَرَّهُ ألاّ يَرى ما يَسُوءُهُ فلا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخافُ لَهُ فَقْدَا

غيـره :

إنَّما الدُّنْيا هِبَاتٌ وَعَوارٍ مُسْتَرَدَّهْ

شِدَّةٌ بَعْدَ رَخَاءٍ وَرَخَاءٌ بَعْدَ شِدَّهْ

غيـره :

لوْ أن ما أنْتُمُ فيهِ يدومُ لَكُمْ ظَنَنْتُ ما أنا فيهِ دائمًا أبَدَا !

لَكِنَّني عالِمٌ أنِّي وأنَّكُمُ سَنَسْتَجِدُّ خِلافَ الحالتَينِ غَدا

غيـره :

صِلْ مَنْ دَنا وتَناسَ مَنْ بَعُدا لا تُكْرِهَنَّ على الهَوى أحَدا

قَدْ أكْثَرَتْ حَوَّاءُ إذْ وَلَدَتْ إذا جَفا وَلَدٌ فَخُذْ وَلَدَا !

غيـره :

إذا اجْتَمَعَ النَّاسُ في واحِدٍ ... وخَالَفَهُمْ في الرِّضى وَاحِدُ
فَقَدْ دَلَّ إجْماعُهُمْ دونَهُ ... عَلى عَقْلِهِ أنَّهُ فاسِدُ !

غيره :

وإخْوانٍ تَخِذْتُهُمُ دُرُوعًا ... فَكانُوها ولَكِنْ للأعَادِي
وَخِلْتُهُمُ سِهَامًا صَائِبَاتٍ ... فَكَانُوها ولَكِنْ في فُؤادِي
وقالوا : قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلوبٌ ... لَقَدْ صَدَقوا ولكِنْ منْ وِدادِي
وقالوا : قَدْ سَعَيْنا كُلَّ سَعيٍ ... لقدْ صَدَقوا ولكنْ في فَسادِي !

وقال أبو محمَّد الحريري :

ولمَّا تَعَامى الدَّهْرُ وهْو أبو الورى ... عن الرُّشْد في أنْحائه ومقاصدهْ
تعاميْتُ حتى قيلَ إنِّي أخو عمًى ... ولا غروَ أن يحذو الفتى حَذْوَ والدهْ !

وله :

والشِّبْلُ في البخَر مثل الأسد

وله أيضا :

من ضامه أو ضاره دهْرُهُ ... فَلْيَقْصِدِ القاضِيَ في صَعْدَه
سماحه أزْرَى بِمَنْ قَبْلَهُ ... وعَدْلُه أتْعَبَ مَنْ بَعْدَه

وله أيضا :

خُذْهَا إلَيْكَ وصِيَّةً ... لَم يُوصِهَا قَبْلِي أحَدْ
غرَّاءَ حَاوِيَةً خُلاَصَاتِ ... المَعَانِي والزُّبَدْ
نَقَّحْتُهَا تَنْقِيحَ مَنْ ... مَحَضَ النَّصِيحَةَ واجْتَهَدْ
واعْمَلْ بِمَا مَثَّلْتُهُ ... عَمَلَ اللَّبِيبِ أخِي الرَّشَدْ
حتَّى يَقُولَ النَّاسُ هَذَا ... الشِّبْلُ مِن ذَاكَ الأسَدْ !

وقال ابن السَّاعاتي :

حُددت بِجَفْنَيْها على رشْف ريقها ... ومن شَرِبَ الصَّهْباءَ يُلزم بالحدِّ

وقال شرف الدين الحَمَوِيّ :

ونحن مَعاشِرٌ نأبى الدَّنايَا ... ونلْبَسُ من صِوان العِرضِ بُرْدَا
نُعانقُ من رِماحِ الخطِّ بانًا ... وننشقُ من سُيوفِ الهِند وردا

وقال المُتلمِّس :

إنَّ الهوانَ حمارُ الذُّلِّ يألفُه ... والحرُّ ينكِرُه والفيلُ والأسَدُ
ولا يُقيمُ بدار الذُّلِّ يألفُها ... إلاَّ الأذلاَّن : عَيْرُ الحيِّ والوتدُ
هذا على الخَسْفِ مربوطٌ برُمَّته ... وذا يُشجُّ فَلاَ يَرْثِي لَه أحدُ !

وقال ابن قُلاقِس :

إنَّ مُقامَ المرءِ في بيتِهِ ... مثلُ مُقامِ الميْتِ في لحْدِهِ
فواصِلِ الرِّحْلَةَ نحوَ الغنى ... فالسَّيفُ لا يَقْطَعُ في غِمْدِهِ
والنَّارُ لا يُحرِقُ مَشْبُوبُهَا ... إلاَّ إذا ما طَارَ عَنْ زَنْدِهِ

غيره :

قد تعفَّفتُ وارتضيتُ بِتَرفِيعِ ... زماني وقُلتُ إنِّيَ وحْدِي
لا لأنِّي أنفتُ مَعْ ذا من الكُدْ ... يَةِ أيْنَ الكرامُ حتَّى أكَدِّي

وقال أبو دُلَف :

أطْيَبُ الطَّيِّباتِ قتلُ الأعادي ... واختيالي على مُتُونِ الجِيادِ
ورسولٌ يأتِي بوَعْدِ حَبِيبٍ ... وحَبيبٌ يأتِي بِلاَ مِيعَادِ

وسببه أنَّه قد قيل لأعرابي : ما أمتعُ لذَّات الدنيا ؟ فقال : بيضاء رُعْبُوبة، بالشحم مَكْرُوبة، بالمسك مشْبُوبة . وسئل الأعشى فقال : صهباءُ صافية، تمزجُها ساقية، من صَوْب غادِيَة . وسئل طرفة عن ذلك فقال : مَركَبٌ وطِيٌّ، وثوبٌ بَهِيٌّ، وطُعْمٌ شَهِيٌّ . قال بعضهم : فحدَّثت بذلك أبا دُلَف فقال :

أطْيبُ الطَّيِّباتِ ... (البيتين)

وقال : وحدَّثت بذلك حُمَيْداً الطُّوسيَّ فقال :

فلولاَ ثلاثٌ هنَّ من عيشَةِ الفتى ... وجدِّك لم أحْفِل متى قام عوَّدي[27]
فمنْهنَّ سبقُ العاذلاتِ بِشَرَبةٍ ... كُميتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تُزبِدِ
وكرِّي إذا نادى المُضافُ مجنَّبًا ... كسِيدِ الغَضى نبَّهْتَه المتورِّدِ[28]
وتقْصير يوم الدَّجنِ والدَّجْنُ مُعجبٌ ... ببهْكنةٍ تحت الطِّرافِ المُعمَّدِ[29]

---

27) في زهر الآداب فلولا ثلاثٌ هُنَّ من لذَّة الفتى

28) في زهر الآداب أيضا : كسيد الغَضَى ذي السَّوْرَة المتورِّد

29) وفيه أيضا : ببهكنة تحت الخباءِ المعمَّد .

قال : وحدَّثت بذلك الزبير بن عبد اللّه فقال : ما أدري ما أقول ولكنّي أقول :

فاقْبَلْ من الدَّهْرِ ما أتاك به من قرَّ عينًا بعيْشِهِ نَفَعَهْ !

قلت : والأبيات الأربعة التي أنشدها حميدٌ ليست له، وإنَّما تمثَّل بها، وهي لطرفة بن العبد من قصيدته الداليَّة المشهورة ؛ وكذا البيت الذي أنشده الزبير هو لشاعر قديم، وسيأتي ذكره مع غيره في موضعه . وشيع طرفة في ذكر الثلاث جماعة من الفضلاء . فمن ذلك قول عزّ الدين بن هبة اللّه المعتزلي معارضا :

لَولاَ ثلاثٌ لم أخَفْ صَرعَتِي ليْسَت كما قَالَ فتى العَبْدِ
أن أَنْصُرَ التَّوحيدَ والعدلَ في كلِّ مكانٍ باذلاً جُهْدِي
وأن أُناجي اللّهَ مُستمتعًا بخَلْوةٍ أحْلى من الشَّهْدِ
وإنْ أَتِيهَ الدَّهْرَ كِبْرًا على لَئِيمٍ [بياض] الخَدِّ
لذاكَ أهْوَى لا فَتَاةً ولاَ خَمْرًا ولاَ ذَا مَيْعَةٍ نَهدِ

وقول الآخر :

لَولا ثلاثٌ هُنَّ و[اللّه من][30] أكْبَرَ آمالي فِي الدُّنْيا :
حجٌّ لِبَيْتِ اللّهِ أرجو بِه أن يقْبَلَ التَّوبَةَ والسَّعْيا
والعِلْمُ تَحْصِيلاً ونَشْرًا لما رويتُ أو سعْتُ الورى ريًّا
وأهْلُ ودٍّ أسألُ اللّهَ أن يُمْتِعَ بالبُقْيا إلى التُّلقْيَا
ما كُنتُ أخْشى الموتَ أنَّى أتى بَلْ لم أكُنْ التذُّ بالمَحْيا !

وقال أثير الدين :

أما إنَّهُ لولا ثلاثٌ أُحِبُّها تمنَّيْتُ أنِّي لا أُعَدُّ من الأحْيَا
فمنْهُنَّ صوني النَّفْسَ عن كلِّ جاهلٍ لئيمٍ فلا أمْشي إلى بابه مَشْيَا
ومنها رجائِي أن أفوزَ بتوبَةٍ تُكفِّرلي ذنْبًا وتُنجحُ لي سَعْيَا
أتَتركُ نصًّا للرَّسولِ وتقْتدي بشخْصٍ لقدْ بُدِّلْتَ بالرَّشَد الغيَّا ؟

وقول الصَّفَدِيّ :

لولا ثلاثٌ هنَّ أقْصى المُنى لم أهَبِ الموتَ الَّذِي يُرْدِي :
تكْميلُ ذاتي بالعُلُومِ الَّتِي تَنْفَعُني إنْ صِرتُ فِي لَحْدِي

30) سقط من ب .

والسَّعْيُ في ردِّ الحُقُوقِ التَّتي أصاحبي نلتُ بها قَصْدِي
وأن أرى الأعداءَ في صَرْعَةٍ لَقيتُها في جَمعهمْ وحْدي
فَبَعْدَهَا اليومُ الَّذِي حمَّ لي عنْدِي استَوَى في القُربِ والبُعْد

وقولي أنا من هذا الباب :

لولاَ ثلاثُ فوائِدٍ تُرجَى لَمَا أحْبَبتُ تنْفيسَ الحَياة إلى مَدا

قُربٌ من المَولَى وعِلْمٌ نافعٌ وأخٌ يُؤازِرُني ويشْفَعُ لي غَدَا

وذكر الجاحظ أنَّ عمر بن الخطَّاب، رضي اللَّه عنه، أنشده رجل قول طرفة المذكور فقال : لولا أن أسير في سبيل اللَّه، وأضع جبهتي لِلَّه، وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب الثمار، لم أُبال أن أكون قدمتّ . قال : وقال عامر بن عبد الله القيسيّ : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : على ظمإ الهواجر، وتجاوب المؤذّنين، وإخوان لي منهم الأسْودُ بن كلثوم . وقال أعرابي :

لوْلا ثلاثٌ هنَّ عيشُ الدَّهر : الماءُ والنَّوْمُ وأُمٌّ عَمْرِو
لَمَا خَشِيتُ مِنْ مَضِيقِ القَبْرِ

وقال الآخر :

صُنتُ نفسي عمَّا يليقُ بمثْلي وتحصَّنتُ بالجفاءِ الشَّديدِ
مَا يُساوِي قَضَاءُ حقٍّ المَوالِي ما يُقَاسَى مِن سُوءِ خُلقِ العبيدِ !

وقال البحتري :

ولستَ تَرَى شَوكَ القتادَةِ خائفًا سُمومَ الرِّياحِ الآخِذاتِ من الرَّنْدِ
ولا الكلْبَ محْمُومًا وإن طَالَ عُمرهُ ألا إنَّمَا الحُمَّى على الأسْدِ الوُرْدِ

غيره :

لقَد كسَدتْ سوقُ الفضائلِ كلِّها ولَلهَزلُ أحْظى في الزَّمانِ من الجِدِّ
فلستُ أرى إلاَّ كَريمًا يَفِرُّ مِن لَئيمٍ وحُرًّا يشتكي الضَّيمَ من عبْدِ !

غيره :

وما زالَ هذا الدَّهرُ يلحَنُ في الورى: فيرفَعُ مجْرورًا ويخْفضُ مُبْتدا

وقال ابن سَنَاءِ المُلْك :

أبى الدَّهر إلاَّ ضدَّ ما أنا طالبٌ ... فيا ليت منِّي مكَّن اللَّهُ ضدَّهُ !

يعدُّ الفتى إخْوانَهُ لِزَمَانِهِ ... وأعْدَى له من خَوْفِهِ مَنْ أعدَّهُ

غيره :

تحفَّظْ من ثيابِكَ ثمَّ ضُنْهَا ... وإلاَّ سَوفَ تَلْبَسُها حِدَادَا

وميِّزْ عَن زمانِكَ كُلَّ حِينٍ ... ونافِرْ أهْلَهُ تسْدِ العِبادا

وظُنَّ بسائِرِ الأجْناسِ خَيْرًا ... وأمَّا جِنْسُ آدَم فالبعَادَا !

أرادُونِي بجَمْعِهِمُ فرُدُّوا ... على الأعْقَابِ قَدْ نَكصوا فُرادى

وعادوا بعد ذا إخْوانَ صدقٍ ... كَبَعْضِ عَقَارِبٍ رجَعُوا جِدَادَا

وقال الأرَّجَانِيّ :

أرى بين أيَّامي وشَعْرِيَ قَد بَدا ... لتَعْجيلِ إتْلافي خِلافًا يُجدَّدُ

فقد أصْبحَتْ سودًا وشعْرِيَ أبيضًا ... وعهْدِي بها بيضًا وشِعْرِي أسودُ !

وقال بعض أهل المجون :

تعشَّقْتُه شيخًا كأنَّ مَشِيبَهُ ... على وجْنتَيْهِ يا سمينٌ على وردِ

أخا العقْلِ يَدري ما يُراد من النُّهى ... أمِنْتُ عليهِ من رقيبٍ ومن ضِدِّ

غيره :

لامَ العواذلُ إذ عَشقْتُ فتًى له ... سبْعونَ عامًا غيرَ عامٍ واحِدِ

لا تعْذلوني في هَواهُ فإنَّني ... عاينتُ فيهِ لمْحةً من والِدِي !

قيل لبعض أهل المجون : لِمَ لا تميل إلى النسوان ؟ قال : أذكر أمّي فاستحيي . فقيل له : لِمَ لا تذكر بالذكور أباك ؟ وعكس هذا الشاعر ذلك المعنى . ومن هذا النمط قول بهاء الدين بن النحَّاس :

قالوا: حبيبُكَ قد تبدَّى شيبُه ... فإلاَ مَ قلبُكَ في هواهُ يهيمُ ؟

قلت : اقْصُروا فالآنَ تمَّ جماله ... وبَدا سفاهُ فتًى عليه يلُومُ

الصُّبحُ غُرَّتُه، وشَعْرُ عِذاره ... ليلٌ، ونبتُ الشَّيبِ فيه نجومُ

وقول ابن الوكيل، وهو لطيف لولا عيب القافية :

شَبَّ وجْدِي بِشَائِبٍ مِنْ سَنَا البَدْرِ أوْجَهُ
كُلَّمَا شَابَ يَنْحَنِي بَيَّضَ اللَّهُ وجْهَهُ !

وقال الصفدي :

عَشقتُ شيْخًا بديعَ حُسنٍ لامَ على حُبِّهِ العَذُولُ
كأنَّ يا قوتَ وجْنَتَيْهِ لا شَيْبَ فيها جِبَالُ لُولُوْ

أي لُؤْلُؤ . وقال الآخر :

شمسُ الضُّحى يُعشى العُيونَ ضياؤها إلاَّ إذا رُمقَتْ بعينٍ واحدهْ
فلذاكَ تاه العورُ واحتقروا الورى فاعرِفْ قضيَّتَهُمْ وخُذها فائدهْ !
نُقْصانُ جارحةٍ أعانَتْ أُخْتَها فكأنَّها قويَتْ بعيْنٍ زائِدهْ

وقال أبو نواس :

إنِّي وما جَمَّعتُ مِنْ صَفَدٍ وحَويْتُ مِن سَبَدٍ ومِن لَبَدِ
هِممٌ تصرَّفتِ الخُطُوبُ بِهَا فنزعْنَ مِنْ بَلَدٍ إلَى بَلَدِ
يا ويْحَ مت حَسَمَتْ قناعَتُهُ سَبَبَ المطامِعِ عن غدٍ فَغَدِ
لو لم يكُنْ للَّهِ مُتَّهِمًا لم يُمْسِ مُحْتاجًا إلَى أحَدِ !

وقال محمَّد بن كِنَانَة الأسَديّ :

ومن عَجبٍ الدُّنْيا تيقُّنُكَ البِلا وأنَّكَ فيها لِلْبَقاءِ مُرِيدُ
إذا اعتادتِ النَّفس الرِّضاع من الهوى فإنَّ فطامَ النَّفْسِ عنْهُ شَدِيدُ

وقال الامام البوصيري، رحمه اللَّه تعالى، يمدح الشيخ أبا العبَّاس المرسي، رحمه اللَّه ونفع به :

قُل للذينَ تكلَّفُوا زِيَّ التُّقَى وتخيَّروا للدَّرسِ ألْفَ مُجلَّدِ :
لا تحسبوا كَحَلَ الجُفونِ بحِيلَةٍ إنَّ المَهَى لم تكتَحِلْ بالاثْمِدِ !

الكَحَلُ ـ بفتحتين ـ أن يعلُوَ منابتَ الأشفار سوادٌ خِلقةً، أو هو أن تسودَّ مواضع الكحل . يقال : كَحِلَتْ ـ بالكسر ـ فهي كَحْلاءُ، وهو أكْحَلُ . وهذا مثل قول الآخر :

لَيْسَ التَّكحُّلُ في العينَيْنِ كالكحَل

وسيأتي . وقال الآخر :

وكنـّا كزوجٍ من قطا في مفازةٍ لدى خفْض عيشٍ مُعْجبٍ مونقٍ رغْد
أصابهما ريبُ الزّمانِ فأفْردا ولم نر شيئًا قطُّ أو حشَ من فردِ

حُكي عن أبي السَّمَوْءل قال : دخلت منزل نخـّاس في شراء جارية، فسمعت في بيت بإزاء البيت الذي كنت فيه صوت جارية وهي تقول :

وكُنـّا كزَوْجٍ ...(البيتين)

فقلت للنخـّاس : اعرض عليّ هذه المنشدة ! فقال : إنـّها شَعْثَة مَرهَاءُ حَزينَة . فقلت: ولِمَ ذاك ؟ قال : اشتريتها من ميراث، فهي باكية على مولاها . ثمّ لم ألبث أن أنشدت :

وكنـّا كغُصْنَيْ بانةٍ وسْطَ روضةٍ نشُمُّ جنى الرَّوضات في عيشةٍ رغْد
فأفْردَ هذا الغُصنَ من ذاك قاطعٌ فيا فردةً باتت تحنُّ إلى فردِ !

قال أبو السَّموءل : فكتبت إلى عبد الـّله بن طاهر أخبره بخبرها، فكتب إليّ أن ألْقِ هذا البيت عليها، فإن أجابت فاشترها ولو بخراج خراسان ! والبيت هو :

قريبٌ صدَّ بُعَيْدَ وصْلٍ جَعَلْتُهُ مِنْهُ لِي مَلاذَا

قال : فألقيته فقالت في سرعة :

فعَاتَبُوهُ فَذابَ شَوقًا ومَاتب عِشْقًا فَكانَ مَاذَا ؟

قال : فاشتريتها وحملتها إليه فماتت في الطريف، فكانت إحدى الحسرات .

وقال عمرو بن معدي كرب :

أُريدُ حياتَهُ ويُريدُ قَتْلي عذيرَكَ من خَليلِكَ من مُرادِ

وهذا مثل مشهور، كان عليّ كرَّم الـّله وجهه ـ فيما يروون ـ يتمثـّل به عندما يرى ابن مُلْجم . وتمثـّل به غيره أيضا، كما مرَّ في حرف الهمزة . والعذِير : العَاذِرُ والحال التي تحاولها لتُعذر عليها . والعرب يقولون : **عَذِيرَكَ مِنْ فُلاَن**، وينصبونه بعامل لا يظهر . والمعنى : هَلُمَّ من يعذرك من فلان، فيلومه ولا يلومك، كما قال النبيّ صلـّى الـّله عليه وسلـّم : **مَن يَعْذرُني من أنَاس أبَنُوا أهْلي** في حديث الافك.

وقال زيدُ الخَيل :

أمرْتحلٌ قومي المَشَارقُ غُدْوةً وأتْرَكُ في بيتٍ بفردةِ منجدِ ؟
ألا رُبَّ يومٍ لو مرضْتُ لعادني عوائدُ من لم يبر منهن يجهدِ

فليت اللّواتي عُدنني لم يَعُدنني ... وليتَ اللّواتي غِبنَ عنّيَ شُهّدي !

وقال أعرابي :

إذا وجدت أوارَ الحبِّ في كبدي ... أقبلتُ نحو سقاءِ القومِ أبْتردُ
هبني بردتُ ببردِ الماءِ ظاهره ... فمن لنارٍ على الأحشاءِ تتّقِدُ

وقال الآخـر :

ما لعيني كحِلَتْ بالسُّهادِ ... ولجنْبي نائيًا عن وسادِي ؟
لا أذوق النّـــومَ إلاّ غرارًا ... مثل حسْوِ الطّير ماء التّمادِ
أبتَغي إصْلاحَ سُعْدى بجُهْدٍ ... وهيَ تسعَى جُهدها في فَسَادِي
فَنتاركْنا على غيْـرِ شَيءٍ ... ربّما أفْسَدَ طُولُ التّمادِي

وقال المعتمد بن عبّاد في باب الغزل :

أباحَ لطيفي طيفُها الخدَّ والنّهْدا ... فعضّ به تُفّاحةً واجْتنى وردَا
ولو قدرتْ زارتْ على حالِ يقظةٍ ... ولكن حجابُ البينِ ما بيننا مُدّا
أما وجَدتْ عنّا الشّجونَ مُعرّسًا ... ولا وجدت منّا خُطُوبُ النّوى بُدّا ؟
سقى اللّه صوبَ القطر أمَّ عُبيدةٍ ... كما قد سقَت قلبي على حرِّه بَردا
هي الظّبْي جيدًا والعزالةُ مُقلةً ... وروضُ الرُّبا عَرْفًا وغُصنُ النّقى قدّا

وقال الرئيس أبو مروان بن رزين :

وروضٍ كساهُ الطّلُّ وشْيًا مُجدّدا ... فأضْحى مُقيمًا للنّفوس ومُقْعِدا
إذا صافحتْه الرّيحُ خِلْتَ غُصونَه ... رواقِصَ في خُضْرٍ من العُشْب مُيّدا
إذا ما انسكابُ [الماء] عاينتَ خلتَه ... وقد كسرتْه راحةُ الرّيحِ مبْردا
وإن سكنت عنه حسبتَ صفاءهُ ... حُسامًا صقيلاً صافيَ المتنِ جرّدا
وغنّت به وُرقُ الحمائمِ بيننا ... غناءً يُنسّيك الغَريضَ ومعْبَدا
فلا تجْفونَّ الدّهْرَ ما دام مُسْعدًا ... ومُدّ إلى ما قد حباكَ به يَدا
وخُذْها مُدامًا من غَزالٍ كأنّهُ ... إذا ما سَقى بدرٌ يُحمّلُ فرقَدا

وقال ابو بكر بن عمّار، من قصيدة :

وما هذهِ الأشْعَارُ إلاّ مجامرٌ ... تضوّعَ فيها لَلنّوَى قِطعُ النّدِّ

وقال أيضـا :

تبرَّعتَ بالمعروفِ قبْلَ سُؤالِهِ وعُدتَ بما أوليتَ والعودُ أحْمَدُ

وقال أبو الحسن بن الحاج التُّلورَقِيّ يتغزَّل في معذِّر :

وقد كان يُنْبِتُ زهْرَ الرياضِ قأصْبَحَ يُنْبِتُ شوكَ القَتادِ
أبِنْ لي متَى كان بَدْرُ التَّمام يُدركُ بالكونِ أو بالفسادِ
وهل كُنتَ في المُلكِ من عبد شمسٍ فأخْفى عليكَ ظُهورُ السَّوادِ ؟

وقال أبو محمَّد بن عبد البرِّ في مجذوم :

ماتَ مَنْ كُنَّا نراهُ أبدًا سالمَ العقْلِ سقيمَ الجَسَدِ
بحرُ سُقمٍ ماج في أعْضائِهِ فرمى في جِلْدِهِ بالزَّبَدِ
كان مثلَ السَّيْفِ إلاَّ أنَّهُ حُسِدَ الدَّهْرُ عليهِ فَصَدِي

وقال أبو بكر بن الملح :

والرَّوضُ يبعثُ بالنَّسيمِ كأنَّما أهْداهُ يَضْرِبُ لاصطباحك موعدا
سَكرانُ من ماءِ النَّعيمِ فكُلَّما غنَّاهُ طائرُهُ وأطْرَبَ ردَّدا
يَأْوِي إلى زهرٍ كأنَّ عُيُونَه رُقباءُ تعْقِدُ للأحبَّةِ مرصَدا
زهرٌ يبوحُ به اخْضرارُ نباتِهِ كالزُّهرِ أسْرجَها الظَّلامُ وأوقَدا
ويبيت في فننٍ توهَّم ظلّه بالصُّبْحِ في عينِ القرارةِ مِرْودا
قَد خفَّ موقِعُه عليه وربَّما مَسح النَّسيمُ بعِطْفِهِ فَتأوَّدا

وقال الفقيه أبو الحسن بن زنباع :

ومن يُطْفِي بنزْرِ الماء نارًا فليس يزيدُها إلاَّ اتِّقادا

وقال أبو جعفر التُّطِيلِي :

تنافس النَّاسُ في الدُّنيا وقد علموا أنْ سوفَ تقتُلُهم لذَّاتُها بَدَدا
تَبادروها وقَد آذَتهمُ فشَلاً وكاثروها وقَد أحْصَتْهُمُ عَدَدا
قُل للمحدِّثِ عن لُقْمانَ أو لُبدٍ: لم يترُك الموتُ لُقمانًا ولا لُبَدا !
ولا الَّذي همُّه البُنيانُ يرفَعُه : إنَّ الرَّدى لم يُغادر في الشَّرى أسَدا !
ما لابنِ آدمَ لا تفْنى مَطالبُه يرجو غدًا وعَسى ألاَّ يعيشَ غَدا ؟

وقال الآخر :

باح مجنـونُ عامـرٍ بـهَـوَاهُ وكَـتَـمتُ الهوى فمُتُّ بوجْـدِي
فإذا كان في القيامَةِ نُودِي : من قَـتيلُ الهوى ؟ تقدَّمتُ وحدي !

وقال الآخـر :

يقولون : إنَّ الحبَّ كالنَّار في الحشى لقَـد كذبوا فالنَّارُ تذكو وتخْمُدُ
وما هو إلاَّ جذْوةٌ مسَّ عُودهَا تُسعِّر قَـلْبًا للمشوقِ وتوقِدُ !

وقال الآخـر :

أمسِك ملامَكَ عنِّي إنَّني كَمِدُ إذ لم تجد في الهوى يومًا كما أجِد !
إن لم تُصدِّق دموعي في الَّذي شهدت فانظُر إلى جَسدي إن كان لي جسَدُ
يا ويحَ أهلِ الهوى إنِّي لأرحمُهم تبْلى الجسوم وأثواب الهوى جُددُ
لولا ترحُّمُهم أيقَنْتُ أنَّهُمُ يشْقون دهرهُم أضعاف ما سعدوا !

وقال الآخـر :

كفى حزنًا أنِّي مُقيمٌ بلذَّةٍ وأحبابُ قلبي نازحونَ بَعيدُ
أقلِّبُ طرْفي في الدِّيارِ فلا أرى وجوهًا لأحْبابي الَّذين أريدُ !

وقد قلت في غرض الباب قصيدة، فرأيت أن أثبتها هنا، وإن كان فيها بعضُ طول، وهي :

أبى الدَّهر إلاَّ أن يجورَ عن القصْد وأن يعْكس الآمال في كلِّ ما يُبدي
ويبسُط بين الفرقَدين يَد النَّوى ويُدني الثُّريَّا من سُهَيْل على بُعد
ويسمُوَ بالوهد الحضيض على الذُّرى ويسفُل بالطَّودِ السَّميِّ على الوهْدِ
ويستبدل البرديَّ في الطَّعنِ بالقنا وغُصنَ النَّقى الأمْلودَ بالصَّارم الهنْدي
وأن يجعل العقْبان في الجوِّ طُعمةً لورقاء والضِّبْعانَ مفْترسَ الأسْدِ
ويَهديَ بالضَّبِّ القطاةَ ركِيَّةً على العشْر والسِّمْعَ التنائفَ بالخُلدِ
ويرفعَ أقدارَ اللِّئامِ على الأُلى لهم قدمٌ في المجد والشَّرَفِ العدِّ
ويُوليَ تدبيرَ الورى كلَّ مائقٍ وفضْلَ الغنى كلَّ امرىءٍ شكِسٍ نكْد
أجل إنَّها الأحداث تجري مُدارةً مقاليدها في قَبْضَةِ الصَّمد الفردِ !
مقادير منه أُبرمت عن مشيئةٍ قديمًا وعن علمٍ مُحيطٍ وعن قصْدِ
وعدلٌ واحكامٌ مبنٌ وحِكْمةٌ تحارُ النُّهيَ في نيلِ فيَّاضها المدِّ
وليست بما تهوى النُّفوس صُروفُها ولا حذرُ المُحتال في صرفِها يُجْدِي

ولا يُحرمُ الوفْرَ الفتى بجهالةٍ وعجْزٍ ولا يحْظى بعقلٍ ولا كدِّ
ولكنَّها الأرزاقُ أعْدِدْنَ للفتى قديمًا على قدرِ الشَّقاوةِ والجَدِّ
فكائنْ رأينا من حليمٍ مُقتِّرٍ عليه وغمْرٍ باتَ في عيشةٍ رغْدِ
أراني عَروفًا بالزَّمان فمن يكُن كمثْليَ لم يُصبِح على الدَّهر ذا نقْد
ولم يبْتئِس إن مسَّه بمضوفةٍ ولم يزْهُ بالدُّنيا إذا فاز بالوجْدِ
وقد قرعَتني الحادثاتُ فلم تلِن قناتي لِغَمْزٍ من شباها ولا لَهْدِ
وما رسْنني حتَّى نزعْن عن امرىءٍ بعيد الهوى ثبْتِ الحشا حازمٍ جَلْدِ
إذا ظفرت كفَّاه لم يزْه فاخرًا وإن نيل لم يضرعْ ولم يُمْس ذا وجْدِ
فأصْبحتُ لا آسى على فقد هالكٍ ولا يعْترِيني بينُ غانيةٍ رأدِ
ولا أبتغي ودَّ امرىءٍ عن تكلُّفٍ وإن كان حُسنُ العَهْدِ ديني لذي ودِّ
ولو ملَّني يومًا من الدَّهر معْصمي لفارقْتُه طوعًا ولم يَشْكُهُ عضْدي
ورُبَّ غبيٍّ يَزْدَرِينيَ إن رأى شُحوبيَ من أحْداثِ آونةٍ لُدِّ
ولم يدر أنَّ الأجْردَ النَّهدَ فضْلُه بإحْضارهِ لا باللِّجامِ ولا اللِّبْدِ
وأنَّ الحُسامَ الهنْدوانيَّ إنَّما بمضْربِهِ يعْتامُ لا جِدَّةِ الغِمْدِ
وأنَّ رُواء الوهْم لم يُبْقِ عزَّةً عليه إذا ما قادهُ أصْغَرُ الولْدِ

الوهْمُ : الجَمَلُ العظيم الذَّلُول، ورُوَاؤُهُ : منظره .

وأنَّ برأسِ الهُدهد التَّاجَ وهْوَ لم يفُز بالَّذي للباز والنَّسر من مُجْدِ
وأنَّ بهار الدِّفلِ كالوردِ منْظرًا وحُسنًا وبعد الخُبر محْمَدةُ الورد
وغمرٌ جهولٌ يرتجي نيلَ منصبي رجاء حضيضٍ أن سيرقى إلى النَّجْد
ويصبو إلى ما نلتُه مثلَ ما صبا حصورٌ إلى ما نيل من عذرِ الخُردِ
ويسعى إلى إدراك شأوي كما سعت أتانٌ خريعٌ خَلْفَ صافِنَةٍ جُردِ
وغـــرَّتْه منِّي لينةٌ وبشاشَةٌ كما غرَّ غمرًا كشرةُ الأسَدِ الوردِ
ومن مدَّ للبدرِ المنيرِ يمينهُ ليُمسكَه فليسْتبِنْ ضيعَةَ المَدِّ !
وذي ثروةٍ يستأمني بلُعاعةٍ ليقْتادني قود الوديقِ إلى الوردِ
ولم يدر أنِّي أجْتوي الأري شابهُ هوانٌ وأستحْلي بعزٍّ جَنى الهَبْدِ
وأن لستُ للباغيّ ضيمًا بمُصحبٍ ولا باذلٍ ماءً بوجْهي على شَكْدِ

وأنّي لو أرتادُ ما ضاق مذْهبي ... بحولٍ ولم يصْلِد لمفْلقةٍ زنْدي
ولكنّ صَوْنَ النّفس عن كلّ موردٍ ... تُهانُ به أحْظى بعزّتها عنْدي
وإنّي لفضْفاضُ السّجايا دميثُها ... لإلْفي ونشّابٌ إذا شئتُ في اللُّغْدِ
وأنّ لساني الصّبرُ ما لم أزُمّهُ ... وإن كان أحْلى للودودِ من الشّهْدِ
وأنّي لو هاجيْتُ دانَ ابنُ غالبٍ ... لأمري ولم يعْرض لسيلي فتى العبْدِ
ولولا ثلاثٌ هنّ أجْرِرنَ مقْولي ... عن الشّرّ وائْتَمّتْ به جُدد الجدّ :
فمنها تحاشى أن يمُرّ به الخَنا ... فإنّ الخنا من شيمةِ الدّانيء الهِدِّ
ومنها تجافي أن أناصِب معْشرًا ... لئامًا فمن لُؤمٍ مُناصبةُ الوغْدِ
ومنها التّحامي عن وعيد التّتي إلى ... مداها جميعُ العالمين على وخْدِ
وما المرءُ إلاّ حيث حلّ برحْلِه ... فكُن نازلاً بالنّفس في يفَعِ الحمْدِ
وكُن رابئا عن كلّ وردِ دنيّةٍ ... بنفسكَ تغشاهُ مع الشّرّع الوردِ
وحُمْ بجناب الوِرْدِ إن كنت صاديًا ... فإن تسترِبْ فلْتولِهِ صفْحةَ الصّدّ
كما أعرضَت كُدْرٌ عنِ الماء عندما ... توجّسْن ذعرا فانثنيْن على جُهْد
ولاتَكُ كالعَيْرِ الوديقِ يؤمّهُ ... فيُحْلأ عنه بالهراوى وباللّكْدِ !
فإنّ حياضَ العزّ تُغشى سخينةٌ ... وإنّ حياض الذّلّ تُقْلَى على بردِ
وما ضيمَ غير الفقْعِ يوطَأ بمنسمٍ ... على قرقرٍ من غيرِ نُكْرٍ ولاردّ
وغيرُ تريكٍ بيضَهُ بلديّةٍ ... وغيرُ أتانِ الحيّ تعصى أو الودّ
وكُن حافظًا بالغيب والسُّخط والرّضى ... لعهد مُصافيكَ الهوى دائم الودّ !
ألمّ بنا إلمامةً بعد هدْأةٍ ... من اللّيلِ طيفٌ من أُميمةَ أو هنْدِ
سرى ورواقٌ من دجى اللّيل مُطنبٌ ... بما لو سرتْه الرّيح ضلّت من البُعد
فلم أر مثل الطّيف جوّابَ لاحِبٍ ... بلا سائقٍ يحدو ولا سابقٍ يهدِي
ولا والجًا لا يُغْلقُ البابُ دونَه ... ولا يُتّقى منه بسورٍ ولا سَدّ
وآمنَ من لحظِ الرّقيبِ وريْبِهِ ... إذا زار منه والرّقيبُ على رصْدِ !
فهيّجَ أشْجانًا من القلبِ وانثنى ... بلا طائلٍ منها عتيدٍ ولا وعْدِ
بأسرعَ من لحظِ الجفونِ إذا رنا ... إليك وبالبرقِ الوميضِ من الرّعْد
[فيا ليت شعري والحوادثُ جمّةٌ ... وعهْدُ الغواني كالسّراب على صَلْد !

أقامت على ما بيننا من صبابةٍ ... أُميْمةُ أم غيَّتْ مودَّتُها بعْدِي ؟
فخالِـل من الأخْدانِ كلَّ مُساعدٍ ... على أيّ حالٍ خُضتَه صادقِ العهْد
حليمٍ غضيضِ الطَّرف عمَّا يريبُه ... سليم الحشا من هاجِس الضِّغن والحقد !
فإنَّ وداد المرء كالظِّلِّ زائلٌ ... إذا لم يكُن بين الجوانح عن عقْدِ
وإنَّ حِبال الوصلِ منقوضةُ العُرى ... إذا لم تكُن في القلب مُحكمة المسْدِ
وإنَّ بنـــاءً شدتَـهُ وأشدتَـهُ ... لواهٍ إذا لم يُرس عن ثابتِ العُمْد
وإنَّ ركيَّـــا رُدْتَه ووردْتَـهُ ... لَغَوْرٌ إذا لم يُزكَ من باطنِ المَدِّ
فهل تستـــوي عاديةٌ بخمـــيلةٍ ... بها الماء عدٌّ دائمٌ بِحِسَى ثَمْدِ ؟
وإنَّ أليفَ المرء إلـفٌ مُشاكلٌ ... وأحْسنُ شيءٍ ضمُّك النِّدَّ للنِّدِّ
ولا تطمعن من غير شكلٍ مودَّةً ... تدوم ويجني الودُّ فيها على الودِّ !
فإنَّ السَّجايا في الأنامِ سويَّةٌ ... وشتَّى وبدعٌ صُحبةُ الضِّدِّ للضِّدِّ
وإنَّك ما أبصرت أُسدًا أليفةً ... لحُمرٍ وغربانًا تحنُّ إلى العَفْدِ
وما المرءُ إلاَّ ابن الثَّرى فمراحُه ... وإن عاش أزمانًا إلى ذلك المهْدِ
وعُمر الفتى المضْمارُ بينا جوادُه ... يُباري مداه إذ هوى في هُوى اللَّحْد
وبينا الفتى يزهو بمالٍ وأسرةٍ ... إذا هو يَشْجَى بالرَّزايا وبالفقْدِ
إذا ما سمعت الدَّهر عولةَ حائرٍ ... فكن راصدًا أمثالها إنَّها تُعدي][31]

وقلت أيضـــا :

أستغْفر اللَّه قد ضيَّعْتُ نحْوكُمُ ... خطًّا وذلك من إخْطائيَ السَّددا
سلكتُ فيها خَبارًا بك وطئتُ بها ... شوكَ القتاد ولم أسلُك بها جَدَداً
لو كنت أعلمُ ما ألقى ببابكُمُ ... جعَلت تصفيد رجْلي دونكُم صَفَدا

وقال الآخـــر :

إن وصفوني فناحِلُ الجَسَدِ ... أو فتَشوني فأبْيَضُ الكَبدِ
أضْعفَ وجدي وزادَ في سَقَمي ... أنا لستُ أشكو الهَوى إلى أحَدِ
آهٍ من الحبِّ آهٍ من كَبِدي ... إن لم أمُت في غدٍ فبعْد غَدِ
جعلتُ كفِّي على فُؤاديَ من ... حرِّ الهوى وانطويْتُ فوق يَدي
كأنَّ قلبي إذا ذكرْتُكُمُ ... فريسَةٌ بين ساعِدَيْ أسَدِ !

---

31) الابيات السبعة عشر الأخيرة ساقطة من ب .

وقال الآخـــر :

تغرَّب أمري فانفردتُ بغُربةٍ ... فصرتُ فريداً في البريَّةِ أوحَدا
تسرْمَد وقْتي فيك فهْو مسرمدٌ ... وأفْنيتني عنّي فصرتُ مُجدَّدا

وقال الآخـــر :

لو كُنت أملكُ طرفي ما نظرتُ به ... من بعْد فُرقتكُم يومًا إلى أحَد
ولست أعتدُّه من بعْدكُم نَظراً ... لأنَّه نظرٌ من ناظريْ رمَدِ

وقال الآخـــر :

تزوَّد من الدُّنيا النُّقاخَ ولن ترى ... بِوادي الغضا ماءً نُقاخًا ولا وردا
ونلْ من نسيمِ البانِ والرَّنْد نفحةً ... وهيْهاتَ وادٍ يُنبتُ البان والرَّنْدا !
وكرِّر إلى نجدٍ بِطرفكَ إنَّهُ ... متى تغْد لا تنظُر عقيقًا ولا نجْدا !

وقال الآخـــر :

أكلِّف القلب أن يهوى وألْزمُه ... صبْراً وذلك جمعٌ بين أضْدادِ
وأكتُم الرَّكْب أوطَاري وأسْألُه ... حاجاتِ نفسي لقد أتْعبْتُ رُوَّادِي
هل مخْبرٌ عندهُ من مُنكرٍ خبرٌ ... وكيف يُعلم حال الرَّائح الغادي ؟
فإن رويتُ أحاديث الَّذين مضوْا ... فَعن نسيمِ الصَّبا والبرقِ إسْنادِي

وقال الآخـــر :

زعموا أنَّ من تباعد يَسْلو ... ولقَد زادني التَّباعُدُ وجْدا
إنَّ وجْدي بكُم وإن طال عهْدي ... وجْد يعْقوب حين فارق عهْدا

وقال الآخـــر :

خليليَّ إنَّ الجزعَ أضحى تُرابُه ... من الطِّيب كافوراً وأغصانه رنْدا
وأصْبح ماء البحر خَمْراً وأصبحَت ... حجـــارتُه دُرًّا وأوراقُه وردا
وما ذاك إلاَّ أن مَشت بجنابه ... أُميمَةُ أو جرَّت بتربتِه بُردا

وهذا الشعر يتمثَّل به السَّادات الصوفية في انخراق العوائد واستحالة الأشياء ببركة من جاورها ومسَّها أو استدعاها من الصالحين.

ذكر صاحب **التَّشوّف** رحمه اللَّه تعالى عن بعض الناس قال : كنت أتوضَّأ في البحر على

قرب من الشيخ أبي عبد اللّه الصنهاجي، المعروف بابن أمغار . قال : وكان أبو عبد اللّه شرع في الوضوء من البحر، فتطعّمت ماء البحر فوجدته حلوا، فقلت له : يا أبا عبد اللّه، إنّ ماء هذا البحر حلو ! فقال لي : هو كما قلت !

وقال بعض النّاس : كنت بالحرم الشريف مكّة، فخرجت وقت السّحَر لأشرب من زمزم، فوجدت شيخا قد أخذ الدّلو فشرب وأفضل، فوجدت الماء أحلى من العسل والسكر . فلمّا كان الغد، خرجت في ذلك الوقت أيضا إلى زمزم، فوجدت صاحبي . فلمّا شرب، أخذت الفضلة، فتعلّقت به وقلت : سألتك باللّه إلاّ ما أخبرتني من أنت ! قال : أنا سفيان الثوريّ، واسْتُرْ عَلَيّ !

وحدّث صاحب **التشوف** أيضا عن بعضهم قال : مررت بالشيخ أبي موسى الدُكّالي السّلاوي المشهور، وهو يأكل عسلوجًا من عساليج الكلخ . فناولنيه فأكلته فوجدته طيّبا. وعن أبي الحسن الأنصاري، المعروف بابن الصّائغ، قال : زرت الشيخ أبا يعزى، فلمّا كان غروب الشمس خرجت للوضوء مع جماعة، فبعدنا عن القرية، فحال الأسد بيننا وبين القرية . فقيل للشيخ أبي يعزى : حال الأسد بين أصحابك وبين القرية . فأخذ الشيخ عصاه بيده وجعل يضرب الأسد، ففرّ أمامه وقربنا منه، فجعل يأكل عيون الدّفْلى، فقال لترجمانه : قل لأبي الحسن : ما تقولون أنتم معشر الفقهاء فيمن يأكل الدّفْلى ؟ فقلت له : قل له : يقولون : من أكل الدّفْلى طرد الأسد ! فأعلمه الترجمان بقولي، فرأيته يبتسم.

ومن هذا ما حدّثني به بعض الثّقات، وأنا بساحل حاحة، عند ضريح الشيخ أبي العبّاس أحمد الهشتوكي، المعروف بالسائح، تلميذ الشيخ سيدي سعيد بن عبد المنعم المناني . قال : حدّثني فلان ـ وكان من أصحاب أبي العبّاس ـ قال : جئت مع أبي العبّاس عند هبوطه إلى هذا الساحل، فأتينا على مصلّى الشيخ محمّد بن سليمان الجزولي، وكان مصلاّه معروفا هناك بشاطىء البحر يُزار . قال : فأقمنا في المصلّى يومَيْن ـ أو قال ثلاثة . وأحسبه قال ـ قال : لا نطعم شيئا حتّى أحسست بجوع شديد . فقال لي أبو العبّاس : قم إلى الضّرْو فخذ لنا من أوراقه ! ـ والضّرْو شجر معروف، أوراقه أمرّ شيء ـ. قال فقمت إلى شجرة منها، فملأت حجري من الورق، وجئت به إليه، فطرحه أمامه ـ وأحسبه قال ـ قال : فحرّكهُ، فعاد زبيبا ولوزا . قال : فأكلنا حتّى اكتفينا . فلمّا قمنا من ذلك الموضع ومررنا على قرب من موضع الشجرة، تركت الشيخ حتّى أدبر . فانسللت منه

وأتيت الشجرة، فاقتطفت قبضة من أوراقها وجعلتها في فمي ومضغتها، فوجدتها أمرَّ شيء، فمججتها، واتبعت الشيخ فأدركته يتوضَّأ في شعب هنالك . فلمَّا رآني جعل يتبسَّم وقال لي : أفعلت كيت وكيت ؟ قلت : نعم ! فقال لي ما معناه : أفتحسب أنَّ لا إله إلاَّ اللَّه في أفواه الرجال سواء ؟

وقد وقع مثل هذا لابراهيم بن أدهم وغيره . وحكايات الصالحين في نحو هذا لا تنحصر، وإنَّما أردنا أن نتبرَّك ببعض ذلك، نفعنا اللَّه بمحبَّتهم وحشرنا في زُمرتهم ! وهذا القدر يكفي، واللَّه تعالى يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

انتهى الجزء الثاني من كتاب زهر الأكم

ويليه الجزء الثالث مبتدئا من «حرف الذال».

فهـرس موضوعات الكتاب

الجـزء الأول

تقديم المحققيـن	5
مقدمة المؤلف	11
السمط الأول في الأمثال وما يلتحق بها	19
الفصل الأول في معنى المثل والحكمة	19
الفصل الثاني في فائدة المثل والحكمة	31
الفصل الثالث في فضل الشعر	43
الفصل الرابع في الأمثال الشعرية	50
خاتمة في اصطلاح الكتاب	58
باب الألــف	59
باب البــاء	177
باب التــاء	309

الجــزء الثاني

باب الثــاء	5
باب الجيــم	37
باب الحــاء	95
باب الخاء المعجمة	185
باب الدال المهملة	237

الجـزء الثالث

باب الذال المعجمة	7
باب الــراء	29
باب الــزاي	137
باب السين المهملة	155
باب الشين المعجمة	205
باب الصاد	247
الفهارس العامـة	259

معهد الأبحاث والدراسات للتعريب

زهر الأكم في الأمثال والحكم

للحسن اليوسي

الجزء الثالث

حققه

الدكتور محمد حجي و الدكتور محمد الأخضر

الشركة الجديدة
دار الثقافة
34·32 شارع فكتور هيكو
الهاتف 26·53·46 — 26·23·75
ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)

الطبعة الأولى 1401 — 1981
حقوق الطبع محفوظة

زهر الأكم
في الأمثال والحكم

شكـر واعتـذار

يشكر المحققان الأخ الكريم الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال الذي تفضل بقراءة الأجزاء الثلاثة من **زهر الأكم** قراءة فاحصة بعد تمام تصفيفها وتصحيحها وقبيل سحبها على (الأوفسيط) فأمكن بذلك تدارك عدد من الأخطاء المطبعية وغيرها ؛ ويشكران كذلك الأستاذ الكريم الدكتور أمجد الطرابلسي الذي تكرم بقراءة الجزء الأول بعد طبعه والتنبيه على أخطاء أخرى أدمجناها في الاستدراكات، ويعتذران للقراء الكرام مع ذلك عمّا قد يكون بقي في الكتاب من أخطاء ندّت عن الذهن أو زاغ عنها البصر.

بـاب الذال المعجمـة

الذِّئْبُ يُغْبَطُ بِذِي بَطْنِهِ.

الذِّئْبُ معروف، مهموز، ويُترك همزه تخفيفًا ؛ والأنثى ذِيبَةٌ . والغِبْطَةُ : المَسَرَّةُ، وتكون للحسد تارة، وهو أن يتمنَّى أن يعطى ما للغير من النِّعمة مع زوالها عن الغير وهو مذموم، وتارة لا مع محبَّة زوالها عن الغير وهو المحمود . والغبطة بهذا المعنى خلاف الحسد . يُقال : غَبَطَهُ يَغْبِطُهُ - كضَرَبَهُ يَضْرِبُهُ -، وغَبِطَهُ يَغْبَطُهُ - كسَمِعَهُ يَسْمَعُهُ -، غِبْطَةً . والبَطْنُ معروف، وذُو البَطْنِ : صاحب البطن، وهو ما فيه .

ومعنى المثل أنَّ الذئب يُظَنّ به أبدًا الشبع والبطنة لِمَا يروى[1] من عدوه على النَّاس والمواشي، ولا يظنّ به الجوع، وإن كان مجهودًا من الجوع . فيُضرب للرجل يتَّهم بالمال ولا مال له .

ومثل هذا قول الشاعر :

ومَنْ يسكُنِ البحْرِيْن يعظُمْ طحالُه ويُغْبَطْ بما في بطنِه وهْو جائعُ

ونحو هذا في أمثال العامَّة قولهم :

مَن رَأى الجَمَلَ الأبْيَضَ ظَنَّهُ كُلَّهُ شَحْمًا .

ذِيَابٌ فِي ثِيَابٍ .

الثِّيابُ جمع ثَوْبٍ . وهذا المثل مشهور في ذمّ النَّاس وأنَّهم كالذياب مكرًا وخداعًا وإن كانوا في الصورة خلافها .

ورُوِي أنَّه لمَّا وُلد عبد اللَّه بن الزبير، رضي اللَّه عنه، نظر إليه النبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فقال : هُوَ هُوَ ! فلمَّا سمعت بذلك أمّه أسماء، رضي اللَّه عنها، أمسكت عن

---

1) كذا في د. وفي ب : «يرى».

إرضاعه . فقال لها النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم : **أرْضِعِيه ولَوْ بِمَاءِ عَيْنَيْكِ، كَبْشٌ بين ذياب، وذِيابٌ عليها ثِياب، لَيَمْنَعَنَّ البيتَ أو لَيُقْتَلَنَّ دُونَه !** انتهى . وفي حديث آخر عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في ذمّ علماء السوء أنّه أوْحَى اللّهُ تَعَالَى إلى بَعْضِ الأنْبِيَاءِ : قُلْ لِلَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ العَمَلِ، ويَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ يَلْبَسُونَ مُسُوكَ الكِبَاشِ وقُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ الذِّيَابِ، أَلْسِنَتُهُمْ أحْلَى مِنَ العَسَلِ، وقُلُوبُهُمْ أمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ، إيَّايَ يَخْدَعُونَ، وبِي يَسْتَهْزِئُونَ، لأتِيحَنَّ لَهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الحَلِيمَ فيهم حَيْرَانَ . انتهى .

وقال الشاعر :

وأنتَ كجِرْوِ الذِّيبِ ليسَ بِآلِفٍ أبى الذِّيبُ إلاّ أن يخُونَ ويظْلِما !

الذِّيبُ يُكْنَى أبَا جَعْدَةَ .

الذيب مرَّ، والكُنْيَة والكُنْوَة ـ بضمّ الكاف وكسرها فيهما ـ : الاسم . وكَنَيْتُ الرجل أبا فلان، وكنَّيته بالتضعيف ـ، وأكْنَيْته، كُنْيَةً ـ بالكسر والضمّ ـ سمَّيته به . وكنَّيته بأبي فلان أيضًا . وأبو جَعْدة : كنية الذيب . ويُقال : أبو جُعَادة أيضا . قال الشاعر :

فقُلت له : يا أبَا جُعَادَةَ إن تمُتْ تَمُتْ سَيِّىءَ الأخْلاقِ لا تَتَنَقَّل[2]

وكُنّي الذيب أبا جَعْدَة، وإن لم تكن له بنت تُسمَّى بذلك . ومن ثَمَّ قال الكُمَيْت يصفه :

ومُسْتَطْعِمٍ يُكْنَى بغير بناتِهِ جَعلْتُ له حَظًّا من الزَّاد أوفَرا

والجَعْدَة يكون وصفا للمؤنَّث، من الجُعُودة في الشَّعر، ضدّ السُّبُوطة، والمذكَّر جَعْدٌ . والجَعْدُ أيضا الثَّرَى النَّدِيّ . وقول امرىء القيس :

ويَأكُلْن بُهْمَى جعْدةً حَبَشِيَّةً ويَشْرَبْنَ بَرْدَ الماء في السَّبَرَاتِ

---

2) في أ : «لا تتنصل» بدل «لا تتنقل»، ورسمت فوق ألف «أبا جعادة» ثلاث نقط علامة على أنه لا يقرأ : «يا اباجعادة» حتى يستقيم الوزن.

أراد به النَّدِيَّة، أي بهمى نديَّة حبشية، أي شديدة الخضرة تضرب إلى السَّواد . ورَجُل جَعْدٌ : كَريمٌ أو بَخِيلٌ . وجَعْدُ اليَدَيْنِ : بَخِيلٌ . والجعدة أيضا نبت ينبت على شاطىء الأنهار، وهو المراد في المثل . ويُقال إنَّه نبت طيب الريح، ينبت في الربيع ويجفّ سريعًا . والجعدة أيضا : الشَّاة . فقيل : كنّي الذيب بها لكثرة افتراسه إيَّاها، وقيل : كُنّي أبا جعدة لأنَّه بخيل، والبخيل يُقال له الجعد كما مرَّ . وأنشدوا :

أخْشى أبا الجعْدِ وأُمَّ العَمْرِ

يعني الذيب . وقيل من النبت السَّابق .

ومعنى المثل أنَّ الذيب كنيته حسنة وفعله خبيث منكر . يُضرب للرجل يُظهر لك إكرامًا وهو يريد بك غائلة .

ويُروى هذا المثل أيضا :

هِيَ الخَمْرُ تُكْنَى الطِّلاَءَ كَمَا الذِّيبُ يُكْنَى أبَا جَعْدَةَ .

ويُحكى أنَّه لعبيد بن الأبرص لمَّا همَّ المنذر بن ماء السَّماء بقتله قال له عبيد : وقالوا : هيَ الخَمْرُ تُكْنَى الطِّلاَ كما الذِّيبُ يُكْنَى أبا جَعْدَةِ ويُروى :

هي الخَمْر يُكْنونَها بِالطِّلاَ كما الذِّيبُ يُكْنَى أبا جَعْدَةِ

أي أنَّه يُظهر لي الاكرام وهو يريد قتلي، كما أنَّ الخمر وإن سمّوها الطِّلاء وحسَّنوا اسمها ففعلها قبيح . وكذا الذيب وإن كان اسمه حسنا فإنَّ فعله قبيح .

ويُحكى عن ابن الزبير أنَّه سُئل عن المُتْعَة فقال : الذيب يُكْنَى أبا جعدة . والمعنى أنَّ المتعة حسنة الاسم قبيحة المعنى، لأنَّها طلاق، كما أنَّ الذئب حسن الاسم قبيح المعنى .

ذكَّرْتَنِي الطَّعْنَ وكُنْتُ نَاسِيًا .

الذِّكْرُ والتَّذْكَارُ : الحِفْظُ للشيء، ذكره وتذكَّره، وذكَّرته إيَّاه ـ بالتضعيف ـ،

وأذكرته . وما زال مني على ذُكْرٍ ـ بالضمّ والكسر ـ أي تَذَكُّر . والطَّعْنُ : الضرب بالرمح ونحوه، والوَخْزُ به، طَعَنَهُ ـ بالفتح ـ يَطْعَنُهُ ـ بالفتح والضم ـ طعنًا : ضربه، فهو مَطْعُون وطَعِين ؛ والنِّسْيانُ ضدّ الحِفْظ، نَسِيَ الأمر ـ بالكسر ـ ينساه، نِسْيًا ونِسْيَانًا ونِسَاوَةً ـ بكسر الثلاثة ـ، ونَسْوَةً ـ بالفتح ـ: ضدّ حفظه .

وهذا المثل يُضرب في ذكر الشيء بغيره، وفي الرجل يسمع كلمة فيتذكَّر بها شيئا .

وأصله ـ فيما يقال ـ أنَّ رجلا حمل على آخر ليقتله، وكان مع المحمول عليه الرمح، فنسيه دهشا، فقال له الحامل : أَلْقِ الرمح ! فقال عند ذاك : ذكَّرتني الطعن وكنت ناسيًا ـ أي ذكَّرتني ما أطعن به، أو ذكَّرتني الطعن بتذكير الرمح الذي أطعن به ـ فذهبت مثلا . ثمَّ كرَّ عليه فهزمه .

ويقال إنَّ الحامل في هذه القصَّة هو صخر بن عمرو بن الشريد[3]، والمحمول عليه هو يزيد ابن الصَّعِق . وقد ذكر ذلك أبو عُبيد، إلاَّ أنَّه قال : فَكَرَّ عليه فقتله أو هَزَمَهُ على الشكّ ـ فوهَّمه البكري بما ثبت من أنَّ صخرا إنَّما مات بطعنة ربيعة بن ثور الأسدي . وسيأتي لنا ذكر قصَّته، إن شاء اللَّه تعالى .

ويروى أيضا أنَّ رُهَيْم[4] بن حزم الهلالي عرَّج بأهله وماله يريد النقلة في البلاد من أرض إلى أرض. فبينما هو يسير إذ لقيه ثلاثون رجلا من تغلب، فقال لهم : يا بني تغلب، شأنكم بالمال وخَلُّوا الظعينة ! فقالوا : قد رضينا إن ألقيت الرمح ! فقال : وإنّ رمحي لمعي ! فقتل رجلا وصرع آخر وقال ذلك[5].

ذكْرُ مَا فَاتَ، يُكَدِّرُ الأوقَاتَ .

هذا مثل مصنوع فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى، وقريب من قولهم :

ذكْرُ أيَّامِ الجَفَاءِ في أيامِ الصَّفَاءِ جَفَاءٌ .

---

3) سقط من جميع النسخ اسم «الحارث» من هذا النسب المشهور : صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي، وهو أخو الخنساء ومرثيها الشهير.

4) حرف في ب و د فكتب «زهير».

5) ذكر الميداني في هذا المثل (1 : 280) أن رهيم بن حزم شد على خصومه وجعل يقتلهم واحدًا بعد واحد وهو يرتجز ويقول :

ردُّوا على أقربها الأقاصيا إن لها بالمشرفيّ حاديا
ذكَّرتْني الطَّعْنَ وكنتُ ناسِيا

مُذَكِّيَةٌ تُقَاسُ بالجِذَاعِ .

المُذَكِّي من الخيل : المُسِنّ الذي جاوز القراح بعام، كما مرَّ في الجيم . والجِذَاع جمع جذعة وهو الصغير السنّ، والقياس : اعتبار الشيء بالشيء وإلحاقه به في أمر . وهذا المثل يُضرب عند الخطإ في التشبيه وقياس الكبير بالصغير . واشتهر في هذا المعنى على ألسنة الناس قولهم :

قِيَاسُ البَيْضِ عَلى البَاذِنْجَانِ .

وزعموا أنَّ أصله أنَّ رجلا كان ساق إلى آخر باذنجانًا أو نحوه، فَوجد مسكنه مغلقًا ولم يجد صاحبه هنالك، فلم يمكنه أن يُدخل إلى المسكن ما أتى به . فلمَّا جاء صاحبه قال له: إذا جئت بشيء من ذلك فَارْمه من الخَوْخَة إلى البيت ثمَّ إنَّه يوما اتفق لهذا أن جاء ببيض فرماه من الخوخة، عملاً بوصَّية صاحبه وظنَّ أنَّ البيض والباذنجان سواء . فوقع البيض وانكسر وفسد، وذهب ذلك مثلا .

أذْكَى مِن إيَاس .

الذَّكَاءُ سُرعة الفِطْنة : يقال : ذَكِيَ الرَّجُلُ يَذْكَى ـ كَرَضِيَ يَرضَى ـ، وذَكَى يَذْكَى ـ كَسَعَى يَسْعَى ـ، وذكُوَ يَذْكُو ـ كَكَرُمَ يَكْرُمُ ـ ذَكَاءً ـ بالمدّ ـ، فهو ذَكِيٌّ . وإيَاس ـ بوزن كِتَاب ـ هو إياس بن معاوية بن قرة، قاضي البصرة. وكان أعجوبة الزمان في الذكاء وسرعة الجواب . ومن ثمَّ قال أبو تمام .

إقْدامَ عمْرٍو في سمَاحَةِ حاتمٍ في حِلْمِ أحْنَفَ في ذكَاءِ إيَاسِ

ولذكاء إياس وفراسته وفطنته أخبار عجيبة وحكايات غريبة . ومن أول ما عرف من ذكائه أنَّه دخل الشام وهو صغير ونازع رجلا في أمر وقدَّمه إلى قاضي عبد الملك بن مروان، وكان القاضي يعرف الرجل فقال لإياس : أما تستحيي أن تقود شيخا كبيرا ؟ فقال : الحقُّ أكبر منه ! قال القاضي : اسكت ! قال إياس : فمن يتكلَّم بحجتي إذا سكتُّ ؟ فقال له القاضي:

ما أظنّك تتكلّم بحقّ حتّى تقوم . قال إياس : أشهد أنّ لا إله إلا اللّه وأن محمّدا رسول اللّه ! فوثب القاضي قائما ودخل على عبد الملك فأخبره خبره . فقال له عبد الملك : اقض حاجته ! واصرفه عن الشام لا يفسد علينا النّاس !

ثمّ ولي القضاء في خلافة عمر بن عبد العزيز ـ رضي اللّه عنه ـ وكان سبب ذلك أنّ عمر بعث رجلا من أهل الشام فقال له : اجمع بين القاسم بن ربيعة وإياس، فولّ القضاء أيّهما أنفذ ! فجمع بينهما وتمنع كل منهما . فقال إياس للشامي : سل عني وعن القاسم فقيهي المصر : الحسن وابن سيرين ! فعلم القاسم أنّه إن سألهما أشارا به . فقال للشامي : لا تسل! فواللّه الذي لا إله إلاّ هو إنّ إياسا لأفضل منّي وأعلم بالقضاء . فإن كنت ممّن يصدّق فينبغي لك أن تصدّق قولي، وإن كنت كاذبا فما يحلّ لك أن تولّيني القضاء وأنا كاذب ! فقال إياس للشامي : إنّك جئت برجل فأقمته على شفير جهنّم، فافتدى نفسه من النّار بيمين كاذبة سيستغفر اللّه عزّ وجلّ منها وينجو من النّار . فقال الشامي : أمَا إذ فطنت لها فأنا أوليك القضاء[6] . فاستقضاه . وكان إياس قيل له : إنّ فيك عيبْين : إعجابا بقولك وعجلة في الجواب . فقال : أمّا الاعجاب، فأنتم أليس يعجبكم ما أقول ؟ قالوا : بلى! قال : فأنا أحقّ بالإعجاب بقولي ؛ وأمّا العجلة، فكم هذه ؟ وأمدّ أصابع يده . فقالوا : خمس قال : عجّلتم بالجواب ولم تعدّوها أصبعًا أصبعًا . قالوا : وكيف نعدّ ما نعلم ؟ قال : كذلك أنا في الحكم ! وسيأتي شيء من أخباره وفراسته بعد، إن شاء اللّه تعالى .

ذَلِيلٌ عَاذَ بِقَرْمَلَةٍ .

الذّلّ ضدّ العزّ، ذلّ الرّجُلُ يذلُّ فهو ذَلِيلٌ، والعياذ : الالتجاء، يقول : عَاذَ بِهِ يَعُوذُ ـ بذال معجمة ـ عَوْذًا وعِيَاذًا ومَعَاذًا ومَعَاذَةً . والقَرْمَلَةُ شجرة ضعيفة لا شوك لها، تنفطح إذا وُطِئت، والجمع قَرْمَلٌ . قال الشاعر :

قَتيلانِ لا تبْكي المَخَاضُ عليهِما : إذا شَبِعَتْ من قَرْمَلٍ وأفَانِ

---

6) في ب : « أما إذا...» وهو تحريف.

وهذا المثل يُضرب في الضعيف يلتجىء إلى أضعف منه أو مثله، والذَّلِيل يأوي إلى أذلَّ منه . قال جرير :

كانَ الفَرزْدَقُ إذ يعوذُ بخَالِهِ مثْلَ الذَّليل يعوذ تحت القَرْمَلِ

ويقال أيضا في المثل :

ضَعِيفٌ عَاذَ بِقَرْمَلَةٍ .

ومثله قول العامَّة :

اسْتَنَدَ المَريضُ إلَى المَرِيضِ .

أذَلُّ مِن بَيْضَةِ البَلَدِ .

الذُّلُّ مرَّ، والبَيْضَةُ معروفة، واحدة البَيْض ؛ والبَلَدُ - بفتحتَيْن - أَدْحِيُّ النَّعام، وهو حفرة يتَّخذها في الأرض لبيضه . قال علقمة يصف الظَّليم :

حتَّى تَوافَى وقَرنُ الشَّمس مُرتفعٌ أَدْحِيَّ عِرْسَينِ فيه البيضُ مرْكُومُ

وبَيْضَةُ البَلَدِ هي بيضته التي يتركها فيه، ضُرِب بها المثل في الذلَّة لأنَّها لا تمتنع من كلّ مَن ظفر بها، كما قيل : فَقْعُ القَرْقَرِ، على ما يأتي . قال الشاعر :

لو كُنْتَ من أحدٍ يُهْجَى هَجوْتُكُمُ يابْنَ الرِّقاعِ ولكن لَسْتَ من أحَدِ

تَأْبى قُضاعَةُ أن تَدْرِي لكُم نسبًا وابْنا نِزارٍ فأنتُم بَيْضةُ البَلَدِ

وجوَّز أبو عبيدة في قولهم : كان فلان بيضة البلد أن يُراد به المدح على ما قيل في بيضة العقر، كما سيأتي . وزعم البكري أنَّه قد يُضرب هذا مثلا للمنفرد عن أهله وأسرته، فلا يكون مدحًا ولا ذمًّا، وأنشده :

لَو كان حَوْضَ حِمارٍ ما شَرِبتُ به إلاَّ بإذْنِ حِمارٍ آخِرَ الأبَدِ

لكنَّهُ حوضُ مَن أوْدَى بإخْوتِهِ رَيْبُ الزَّمانِ فأضحى بَيضَةَ البَلَدِ!

وفيه نظر : لأنَّ الشاعر يخبر بأنَّه قد هان وذلَّ بذهاب إخوته وأنصاره، لا بمجرَّد فقد الأنصار وأنَّه منفرد .

أذَلُّ مِن حِمَارٍ .

الحِمَارُ معروف، وهو يوصف بالذلّة والهوان، كما يوصف بالجهل والبلادة . قال الشاعر :

ولا يُقيمُ عَلى ضَيْمٍ يُرادُ بِهِ ... إلاَّ الأذَلاَّنِ : عَيْرُ الحَيِّ والوتِدُ
هذا على الخَسْفِ مَربوطٌ بِرُمَّتِه ... وذا يُشَجُّ فَلا يَرثِي لَه أحَدُ

والخَسْفُ : الهَوَانُ، كما قيل :

حَراجيجُ ما تَنْفَكُّ إلاَّ مُناخةً ... على الخَسفِ أو نَرْمي بها بلداً قفْرا

والرُّمَّةُ : القطعة من الحبل . وقوله في الوتد، يُشَجُّ أي يُضرب على رأسه، فلا يرثي له أحد، أي لا يرقُّ له أحد ولا يرحمه . ومثله قول عبد الرحمان بن حسَّان بن ثابت الأنصاري يهاجي عبد الرحمان بن الحكَم بن العاصي الأمويّ :

فأمَّا قَولُكَ : الخُلَفاءُ منَّا ... فهُم مَنَعوا وريدَكَ من وداجِ
ولولاهُمْ لكُنتَ كَرَكْبِ بَحْرٍ ... هَوى في مُظْلِمِ الغَمَراتِ داجِ
وكُنتَ أذلَّ من وتِدٍ بقاعٍ ... يُشجَّجُ رأسُهُ بالفِهْرِ واجِ

ولمَّا وقع هذا بينهما كتب معاوية، رضي اللّه عنه، إلى مروان بن الحَكَم ان يؤد بهما، وكانا قد تقاذفا . فضَرب عبد الرحمن بن حسَّان ثمانين، وضَرب أخاه عشرين . فقيل لعبد الرحمان بن حسَّان : قد أمكنك في مروان ما تريد، فشنّع أمره وارْفَعْه إلى معاوية ! فقال: إذاً، واللّه، لا أفعل، وقد حدَّني كما يُحدّ الرجال الأحرار، وجعل أخاه كنصف عبد، فأوجعه بهذا الكلام .

أذَلُّ مِن حِمَارِ قَبَّانَ .

ويقال : عَيْرُ قَبَّان دُوَيْبَّة صغيرة من دوابّ الأرض ؛ وقَبَّان - بفتح القاف والباء المشدَّدة، على وزن فَعْلاَن، من قَبَّ، وكأنَّه من القَبَب وهو ضمور البطن . قال الشاعر :

[يَمشينَ مشْيَ قَطا البطاحِ تأوُّدا ... قُبَّ البُطونِ رَواجِحَ الأكْفَالِ

وذلك لضمور بطنه . والدَّليل على أنَّه فَعْلان مَنْعُ الصرف فيه . قال الشاعر][7] :

---

7) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

يا عجبًا لقد رأيْتُ عجَبَا : حِمارَ قَبَّانَ يسوقُ أرنَبَا
خالطَها يَمْنَعُها أن تَذْهَبا فقال : أرْدِفيني ! قالت : مَرحبا !

ولو كان فَعَّالاً لصرفه، إلاَّ أن يلاحظ فيه تركيبا .

أذلُّ من السُّقْبانِ بين الحَلائِبِ .

السُّقْبَانُ - بالضمّ - جمع سَقْبٍ - بفتح فسكون -، وهو لد الناقة مطلقًا أو ساعة يولد . قال علقمة :

رغافَوقَهُم سقْبُ السَّماء فداحِصٌ بشكّتِه لم يُسْتَلَبْ وسَلِيبُ

أراد ابن ناقة ثمود، والأنثى سَقْبَةٌ . وقيل : السَّقْبُ مخصوص بالذكر ولا يقال للأنثى سَقْبَة، وإنَّما يقال لها حَائِل، وأمّها أمّ حائل، كما مرَّ . وجمع السَّقْب : أسْقُب وسُقُوب وسِقاب وسُقْبَان . وناقة مِسْقَابٌ إذا كانت عادتها أن تلد السقبان . قال الراجز :

غرّاءُ مسْقابٌ لفحْلٍ أسْقَبِ

والحَلائِبُ جمع حَلُوبَة، والحَلُوبَة من النوق المحلوبة . قال الشاعر يرثي رجلا :

يبيتُ النَّدى يا أمَّ عَمرٍو ضَجِيعَهُ إذا لم يكُن في المُنقِياتِ حلُوبُ

وجمع الحلوب والحلوبة الحلائب . وضربوا المثل بالسُّقْبان بين الحَلائِب، أي بين النوق التي تُحلب، لأنَّها تقبض وتردد، وتدفع وتشدد، فينالها الهوان والصغار .

أذلُّ من فَراشٍ

الفَراشُ - بفتح الفاء - وتقدَّم في حرف الخاء .

أذلُّ من فَقْعٍ بِقَرْقَرَةٍ .

الفَقْعُ - بفتح فسكون - الكَمْأة البيضاء الرخوة، وتُكسر الفاء . وجمع الكلّ فِقَعَة - كَعِنَبَة - قاله الجوهري . والقرقرة والقرقر : الأرض المطمئنَّة الليّنة، فيقال للذليل : أذَلُّ مِن فَقْعٍ بِقَرقَرَةٍ، وهو فَقْعٌ بِقَرْقَرٍ، لأنَّه لا يتمنَّع على من يجتنيه، أو

لأنّه يُوطأ بأرجل الناس والبهائم ويُمتهن . ويُنسب للنابغة يهجو النعمان بن المنذر :

حدِّثوني بني الشَّقِيقَةِ مَا يمْنَعُ فقْعًا بقرقَرٍ أن يَزُولاَ ؟

وقال بعض العرب لقوم : ما أنتم إلى ريف فتاكلوه، ولا إلى فلاة فتعصمكم، ولا إلى وَزَرٍ فيُنجيكم ! فأنتم نُهْزَة لمن رامكم، ولُعْقَةٌ لِمَنْ قصدكم، وغَرَضٌ لمن رماكم، كالفِقَعَة الشرباخ، يَشْدَخُها الواطِىءُ ويَذْرِيها السَّافي . الشرباخ، الفاسدة المسترخية.

ذهَبُوا أيَادِي سَبَأ .

الذَّهَابُ معروف، يقال : ذهَبَ - بالفتح - يَذهَبُ ذهابًا، والأيادِي جمع أيْدٍ،والأيْدِي جمع يَدٍ، وهو بمعنى الجارحة وبمعنى النعمة وبمعنى الطريق . وسَبَأ أبُو قبائل اليمن، وهو لقب، واسمه عبد شمس بن يَشْجُب بن يَعْرُب . وسميّ سَبَأ قيل لأنّه وَّلُ من سَبَى السَّبْي . وقيل سَبَأ اسم امّهم، وتسمَّى البلدة سبأ باسم سكّانها، وكانت أخصب بلاد اللّه، كما قال اللّه تعالى : جَنَّتَانِ عَن يَمينٍ وشمَالٍ. قيل : وكانت مسافة شهر في شهر للراكب المجدّ، يسير الماشي في الجنان من أوّلها إلى آخرها لا يفارقه الظلّ، مع تدفّق الماء، وصفاء الهواء، واتساع الفضاء. فمكثوا مدّة في أمن، لا يعاند ملك إلاّ قصموه . وكانت في بدء الأمر تركبها السيول، فجمع ملك حمير أهل مملكته وشاورهم، فاتّخذوا سدًّا في بدء جريان الماء، ورصفوه بالحجارة والحديد، وجعلوا فيه مخارق للماء . فإذا جاءت السيول انقسمت على وجه يعمّهم نفعه في الجنّات والمزدرعات . ويقال بانيه هو لقمان بن عاد، ووقع في شعر الأعشى أنّ حميرًا هو بُنَاتُه حيث قال :

رُخامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ إذا جَاءَ مَاؤُهُم لَم يرم

فلمّا كفروا نِعَم اللّه تعالى ورأوا أنّ ملكهم لا يبيده شيء وعبدوا الشمس، سلّط اللّه على سدّهم فأرة فخرقته وأرسل عليهم السيل فمَزَّقَهُمُ اللّه كلَّ ممزّق وأباد خضراءهم، كما في القرآن .

فحكي أنّه لمّا انتهى الملك إلى عمرو بن عامر، المعروف بمُزَيْقِيَاء، وسُمّي بذلك

لأنّه كان يلبس حلّة حتّى إذا أمسى مزّقها أنفة من أن تعاد عليه أو يلبسها غيره، أو لأنّه مزّق الأزد في البلاد . وكان أخوه عمران كاهنا، فأتته كاهنة وأخبرته بدنوّ فساد السدّ وفيض السيل وأنذرته، فقال لها : وما آية ذلك ؟ فقالت : إذا رأيت جرذا يكثر بيديه الحفر، ويقلب برجليه الصخر، فاعلم أنّه قد اقترب الأمر . قال : وما الأمر ؟ قالت : وعد من اللّه ينزل فيغيرك ياعمرو ! ثمّ إنّ عمرا يوما نظر في السدّ فرأى جرذا يقلب صخرة ما يقلبها خمسون رجلا . فرجع وهو يقول :

أبْصرتُ أمرا هاج لي بَـرْحَ السَّقَـمْ من جُـرَذٍ كَـفَـحْـلِ خِـنْـزِيرٍ أجَـمّ
لَـهُ مَـخَـالِـيبُ وأنْـيَـابٌ قُـضُـمْ

فأجمع على الخروج منها . واحتال في بيع ماله وأن لا ينكر النّاس عليه . فقال لابنه : إنّي صانعٌ طعاما وداعٍ إليه أهل مَأرِب، فارْدُدْ عليّ كلامي إذا تكلّمت ! ففعل وردّ عليه ابنه بأقبح الردّ، فتغاضب عمرو وصاح : واذُلاه ! يجيبني صبيّ ! وحلف ألاّ يقيم ببلدضيم فيه . فجعل يبيع أمواله وقومه يقولون بعضهم لبعض : اغتنموا غضبة عمرو قبل أن يرضى ! واشتروا منه . فلمّا باع واجتمعت له أمواله أخبرهم خبر السدّ والسيل، وأجمعوا على الجلاء، فقال لهم عمران : إنّي أصف لكم بلدانا، فاختاروا أيّها شئتم، مَن كان منكم ذا غنم بعيد، وجمل غير شرود، فَـلْـيَـلْـحَـقْ بالشعب من كؤود ! فلحق به همدان . ثمّ قال : ومن كان منكم ذا سياسة وصبر، على أزمات الدهر، فَـلْـيَـلْـحَـقْ ببطن مُرّ ! فلحق به خُزاعة . قال : ومن كان منكم يريد الراسخات في الوَحْل، المُطعمات في المَحْلِ، فَـلْـيَـلْـحَـقْ بيثربَ ذاتِ النخل ! فنزلها الأوس والخزرج . قال : ومن كان يريد الخمر والخَمِير، والأمْرَ والتّأمِير، فليلحق ببُصْرَى وسَدِير ! وهي من أرض الشام . فلحق بها غسّان . قال : ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق، والخيل العتاق، والذهب والأوراق، فليلحق بالعراق ! فلحق بها مالك بن فهم الأزدي . وتخلّف مالك بن اليماني في قومه حتّى أخرجهم السيل منها، فنزلوا نجران وانتسبُوا في مذحج، ودخلت جماعة منهم على معدّ، فأخرجتهم معدّ بعد حروب، ونزلوا بجبل السَّراة[8]، على تخوم الشام . فلمّا

8) حرفت «السراة» في ب فكتبت «المسرات». والسراة ـ كما في معجم البلدان ـ جبل أو مجموعة جبال تمتد من اليمن إلى الشام.

تفرّقت قبائل سَبَإٍ هذا التفرّق، وتمزّقوا هذا التمزّق، ضربت العرب بهم المثل فقالوا : ذَهَبَ القَوْمُ أيْدِي سَبَأ وأيَادِي سَبَأ، أي تفرّقوا في كلّ طريق ووجهة، إمّا على أنّ اليد بمعنى الجارحة، لأنّهم كانوا، إذ كانوا مجتمعين، يدًا واحدة . فلمّا تفرّقوا صارت اليد أيادي كثيرة ؛ أو بمعنى النعمة، أي تفرّقوا تفرُّق نِعَم سبأ، أو كائنين كنعم أهل سَبَا ؛ أو بمعنى الطريق، أي تفرُّقوا في كلّ طريق أهل سَبَا، حيث تمزّقوا . وأيدي سبا جعل اسما مركّبا ـ كمَعْدِي كَرِب ـ وسُكّنت الياءُ تخفيفًا وإن انتصب .

ذهَبُوا تَحْتَ كَوْكَبٍ .

هذا كالذي قبله في المعنى أيضًا، وهو التفرُّق، وألفاظه ظاهرة.

ذهَبَ دَمُهُ أدْرَاجَ الرِّيَاحِ

الذَّهَابُ مرَّ، وكذلك الدَّم، والأدْرَاجُ جمع دَرَج ـ بفتحتين ـ وهو الطريق ـ تقول : رجَعْتُ أدْرَاجِي، أي في الطريق الذي جئت فيه . والرِّيَاحُ جمع ريحٍ، قُلبت الواو ياء في المفرد والجمع لانكسار ما قبلها . وهذا المثل يقال في بطلان الشيء . فإذا قيل : ذَهَبَ دَمُهُ أدْرَاجَ الرِّيَاحِ، أريد أنّه ذهب هَدَرًا . والمعنى أنّه سلك مسالك الرياح الذاهبة، أو كان في مسالكها فنَسَفَته وأذهبته . وكذا في غير الدَّم .

ذَهَبَتْ هَيْفٌ لأدْيَانِهَا .

الذَّهَابُ مرَّ ؛ والهَيْف ـ بالفتح ـ ريح حارّة تهبُّ من نحو اليمن نكباء بين الجَنوب والدَّبور . قال ذو الرُّمَّة :

هَيْفٌ يَمَانِيَّةٌ في مرِّها نكبٌ

وهي تيبّس ما مرّتْ به وتعطّش الحيوان . والهَيْفُ أيضا شدّة العطش، والأوّل المراد، والأدْيَانُ جمع دِينٍ ـ بكسر الدّال ـ وله معان كثيرة : منها العادة، وهو المراد هنا . قال امرؤ القيس :

كَدِينِكَ من أمٍّ الحُوَيرثِ قَبْلها وجارتِهَا أمٌّ الرَّبابِ بمَأسَلِ

أي كعادتك . ويُروى كَدأْبِكَ، بمعناه . وقال الآخر :

تقول إذا دَرأتُ لها وضِيني : أهَذا دينُه أبدًا ودِيني ؟

ومعنى ذهَبَتْ هَيْفٌ لأدْيَانِهَا : ذهَبَتْ لعَادتِها، لأنَّها تُجفِّفُ كل شيء . فيُضرب عند تَفَرُّق القوم كلٌّ لشأنه، أو لِمَنْ يلزم عادته . وقال أبو عُبيد : يُضرب في نظر الرجل لنفسه وإقباله على شهوته وهواه . وقيل إنَّه يُضرب في الشيء إذا انقضى .

الذَّودُ إلى الذَّوْد إبِلٌ .

الذَّودُ - بفتح الذَّال وسكون الواو بعدها دال مهملة -، من الابل ما بين الثلاث والعشر، مؤنَّث ولا واحد له، والجمع أذْوادٌ . قال النابغة :

لعَمْرِكَ ما خَشِيتُ على يَزيدٍ من الفخْرِ المُضَلَّلِ ما أتاني

كأنَّ التَّاجَ مَعْصُوبًا عَلَيْهِ لأذْوادٍ أُصِبْنَ بِذِي أبَان

وقال امرؤ القيس :

أرى المرءَ ذا الأذوادِ يصبحُ مُحرَضًا كإحْراضِ بكْرٍ في الدِّيار مريضِ

والابِلُ معروف، لا واحد له، وقد تُسكَّن الباء . قال

ألْبانُ إبْلٍ تَعِلَّةَ بْنِ مُسَافرٍ ما دام يمْلكُها عليَّ حَرَامُ

والجمع آبَال .

والمعنى أنَّ الذَّوْدَ - وهي القليلة العدد - مجموعة إلى ذَوْدٍ أخرى تكوّن إبلاً . أو إلى بمعنى مَعَ، أي الذَّوْدُ مَع الذَّوْدِ . يُضرب عند اجتماع القليل إلى القليل، وأنَّه يكون كثيرا . وتقدَّم مثله .

ذلكَ الفَحْلُ لا يُقْدعُ أنْفُهُ .

ذلِكَ : إشارة إلى البعيد، شخصًا كان أو مكانا . وأصله ذَوَيَ، أو ذَيَيَ، على الخلاف المعروف في علم النحو ؛ والفَحْلُ من الابل معروف، ويكون في غيرها، والجمع فُحُولٌ وفِحَالٌ وفِحَالَةٌ . قال :

فِحَالَةٌ تُطْرَدُ عَن شِوالِها

والقَدْعُ - بالدّال المهملة -: الكَفُّ والضَّرب . تقول : قَدَعْتُ الفرس، إذا كَبَحْتَه ؛ وقَدَعْتُ الفَحْل إذا ضَرَبْتَ أنفه بالرمح حتّى يرجع، وذلك إذا كان [غير][9] كريم فيريد أن يطرق النّاقة الكريمة، فيُضرب حتّى يرجع . قال الشّمّاخ :

إذا ما اسْتَافَهُنَّ ضَرَبْنَ منه مكان الرُّمْحِ من أنْفِ القَدُوعِ

يصف حمارًا يَسْتَافُ أُتُنًا أي يشمُّهنَّ، لأنَّ الاستياف والسَّوْف هو الشَّمّ، كما قال امرؤ القيس :

على لاحِبٍ لا يهْتَدي بمناره إذا سافَهُ العودُ النّباطيُّ جَرْجرا

ومن ذلك سمّيت المسافة من الأرض، لأنَّ الدليل يشمّ التراب ليعرف أين هو . وقوله : مَكَانَ الرُّمْحِ، أي المكان الذي يصيبه الرمح من أنف القَدُوع . والقَدُوع : المَقْدُوعُ، وهذا البناء يكون بمعنى مفعول، أو بمعنى فاعل أيضا . فمن الأوّل قولهم : دابّةٌ رَكُوب، وناقة حَلُوب، وحُوَار رَغُوث، وفَحْلٌ قَدُوع، أي مَرْكُوبَة ومَحْلُوبَة ومُرْغَثٌ ومَقْدُوع ؛ ومن الثاني قولهم : رجل قَدُوع ورَكُوب للدوابّ، وناقة رَغُوثٌ، أي قَادِع ورَاكِبٌ ومُرْغِث . وقال الحجّاج في خطبة له : أيُّها النّاس، اقْدَعُوا هذه الأنفس فإنّها أسْألُ شيء إذا أُعطيت، وأمْنَعُ شيء إذا سُئلت . فرحم اللّه امرءًا جعل لنفسه خِطَامًا وزِمَامًا فقادها بخِطامها إلى طاعة اللّه، وعَطَفها بزِمامها عن معصية اللّه ! فإنّي رأيتُ الصبرَ عن محارم اللّه أيْسَرَ من الصبر على عذابه .

وهذا المثل قاله وَرَقَةُ بنُ نَوْفَل بن خُوَيلد لمّا قيل له إنَّ محمّدَ بن عبد اللّه خطب خديجة بنت خُوَيلد، صلّى اللّه عليه وسلّم، فقال وَرَقة : ذلِكَ الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أنْفُهُ، أي كريم يروم كريمة، فلا سبيل إلى التعرّض له دونها وصدّه عنها، وهو أشرف أكفائها . ويقال إنّه تمثّل به فقط . ويقال : تمثّل به أبو سفيان بن حرب لمّا خطب النبي صلّى اللّه عليه وسلّم ابنته أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان . فقيل له إنَّ محمّدا تزوّج ابنتك، وأبو سفيان يومئذ مشرك، فقال ذلك ؛ غير أنَّ اللفظ المرويَّ من كلام أبي سفيان هو: الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أنْفُهُ، واللّه أعلم .

---

9) سقط من د

ومن هذا الباب قولهم :

ذهَبَ دمُهُ خِضْرًا مِضْرًا .

- بكسرهما وسكون الضاد المعجمة -، أي هَدَرًا .

وقولهم :

لأذْهَبَنَّ فَإمَّا هُلْكٌ وإمَّا مُلْكٌ،

ومعناه قول امرىء القيس :

بكى صاحِبي لمَّا رأى الدَّربَ دونَه وأيْقنَ أنَّا لا حِقَانِ بقَيْصَرا

فقلت لهُ : لا تَبْكِ عَينُك إنَّما نُحاولُ مُلكًا أو نموتَ فنُعْذَرا !

وقولك :

أذهَلُ من صَبٍّ .

والذُّهُولُ : الغَفْلَةُ والنسيان، والصَّبُّ : العَاشِقُ ذو الصَّبابة، وهو لما به يغلب عليه ذلك .

وممَّا يجري على ألسنة القرَّاء تمثّلاً قول اللَّه تعالى، إخبارًا عن نبيّه موسى عليه السَّلام:

ذَلِكَ ما كنا نَبْغِ .

وينبغي أن يكون المتمثّل بشيء نحو هذا أن يلاحظ فيه ما يلاحظ عند الاقتباس، ليكون أحفظ للأدب وأبعد عن الاستخفاف والتبذّل، وترك كلّه أحوط وأسلم .

وقوله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم :

ذُو الوجْهَيْنِ لا يكُونُ عنْدَ اللَّهِ وجِيهًا .

ويُحكى أنَّه لمَّا نصَّب معاوية، رضي اللَّه عنه، ابنه يزيد لولاية العهد، أقعده في قبَّة حمراء . فجعل النَّاس يسلّمون على معاوية ويميلون إلى يزيد، حتَّى جاء رجل ففعل

ذلك . ثمَّ رجع إلى معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين، اعلم أنَّك لو لَمْ تُوَلِّ هذا أمورَ المسلمين لأضَعْتَها . وكان الأحنف بن قيس جالسًا فقال له معاوية : مالك لا تقول . يا أبا بحر ؟- وهو كنية الأحنف -. فقال الأحنف : أخاف اللَّه إن كذبت، وأخافكم إن صدقت . فقال معاوية : جزاك اللَّه عن الطاعة خيرا ! وأمر له بألوف . فلمَّا خرج الأحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له : يا أبا بحر، إني لأعلم أنَّ شرَّ من خلق اللَّه هذا وابنه، ولكنَّهم استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال . فلسنا نطمع في استرجاعها إلا بما سمعت ! فقال له الأحنف : يا هذا، أمسك ! فإنَّ ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند اللَّه وجيها .

وقول عمر، رضي اللَّه عنه :

ذلك الظَّنُّ بك يا أبا اسحاق !

وهو سعد بن أبي وقَّاص، أحد العشرة، رضي اللَّه عنه، لمَّا شكاه أهل الكوفة، فقال له عمر، رضي اللَّه عنه، : إنَّهم شَكَوْكَ في كلّ شيء حتَّى الصلاة ! فقال : إنِّي أفعل ما رأيت النبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم يفعل، أركد في الأوَّلين وأحذف في الأخِيرَيْن . فقال عمر : ذلك الظَّنّ بك !

وأمَّا الشعر، فقال ضابىء :

لكُلِّ جديدٍ لذَّةٌ غيْرَ أنَّني وجَدتُ جَدِيدَ الموتِ غيرَ لذيذِ !

وقال الآخـر :

طلبتَ الجميعَ ففَاتَ الجميعُ فمِنْ طولِ حِرْصِكَ لا ذا وَذا !

غيـره :

ما زال جيشُ الحبِّ يغزو قلبَهُ حتى وهَى وتقَطَّعَتْ أفْلاذُهُ !

وقال الصَّابىء :

والعُمرُ مثلُ الكاسِ يَرْ سُبُ في أوَاخِرِهِ القَذَا

ومنه قول ابن النَّبيه :

خُذْ من زمانِكَ ما أعْطاكَ مُغتبطًا وأنتَ نامٍ لهذا الدَّهْرِ آمِرُهُ

فالعُمرُ كالكاسِ تُسْتحْلى أوائِلُهُ لكنَّهُ رُبَّما مُجَّتْ أواخِرُهُ !

ويقال إنَّه، لمَّا سمع ابن التَّعاويذي قول الصَّابىء، قال :

فمن شبَّهَ العُمْرَ كاسًا يقرُّ قَذاهُ ويرسُبُ في أسْفَلِهْ
فإنّي رأيتُ القَذَى طافيًا على صفْحةِ الكاسِ من أوَّلِهْ !

ومن ذلك قول القاضي الفاضل :

إلَيْكَ بعْد انقضاءِ اللَّهْوِ واللَّعِب عنّي فلم أرَبي ما يقْتضِي أرَبِي
فالعمرُ كالكاسِ والأيّامُ تمْزجُه والشَّيبُ فيه في مَوضِعِ الحَبَبِ[10]
أقول إذْ فاضَ منّي فيضُ فضّتِهِ : يا وحْشَةً لشبَابٍ ذاهبِ الذَّهَبِ !

وقول الخالدي :

لقد فرحْت بما عايَنْتُ من عَدمٍ خَوفَ القبيحَيْنِ من كبْرٍ ومن بَطَرِ
وربَّما ابْتَهَجَ الأعْمَى بحَالَتِهِ لأنَّهُ قَد نجا من طِيرَةِ العَوَرِ
ولستُ أبْكي على شيءٍ مُنِيتُ به يبكي على الشَّيبِ من يأسَى على العُمر
وما بَكَيتُ زماني وهْوَ يُصْعِدني فكيفَ أشْكُرُهُ في حالِ مُنْحَدَرِ ؟

وقال الشيخ ابن الفارض، رحمه اللّه :

أهْوَى رشًا هَواهُ لِلرُّوحِ غِذَا ما أحْسَنَ فِعْلَهُ ولو كان أذَى
لم أنْسَ وقَدْ قُلْتُ له الوصْلُ متى مَولايَ إذا مِتُّ أسًى قال إذَا

وقال أبو نواس في مجونه، عفا اللّه عنّا وعنه !

وقائلٍ : هل تُريدُ الحجَّ قُلتُ له: نَعَم إذا فنيَتْ لذّاتُ بَغْدَاذِ
فكيفَ بالحَجِّ لي ما دُمْتُ مُنْغَمِسًا في بيتِ قوّادةٍ أو بيتِ نبّاذِ ؟

ومثله قول الآخر :

ألم تَرني وبشّارًا حَجَجْنَا وكان الحَجُّ من خَيْرِ التِّجَارَهْ ؟
خرجْنا طالبَيْ سفَرٍ بَعيدٍ فمالَ بنا الطَّريقُ الى زُرَارَهْ
فآبَ الناسُ قد حجُّوا وبَرُّوا وأبْنا مُوقَرَيْنِ من الخَسَارَهْ !

ونحوه ما يُحكى أنَّ موسى بن داوود الهاشمي عزم على الحجّ، فقال لأبي دُلامة : أحْجُجْ معي ولك عشرة آلاف درهم ! فقال له : هاتها ! فدفعها إليه فقبضها وهرب إلى

---

10) في د : «يمزجه» والشطر الثاني كذلك في المخطوطات كلها، إلا أن بها مش أ :«لعل الصواب : والشيب يوضع فيه موضع الحبب».

السَّواد، فجعل ينفقها هنالك في شرب الخمر . فطلبه موسى فلم يجده وخشي فوت الحجّ فخرج . فلمَّا شارف القادسيَّة إذا هو بأبي دُلامة خارجا من قرية إلى أخرى سكران . فأمر به فأخذوه وقيّدوه وطُرح في محمل بين يديه . فلمَّا سار غير بعيد أقبل على موسى وقال :

يأيُّها النَّاسُ قولوا أجْمَعُونَ معًا: صلَّى الالَهُ على موسى بن داوُودِ !
كأنَّ ديباجَتيْ خدَّيْه من ذهبٍ إذا بَدالَكَ في أثْوابِهِ السُّودِ
إنِّي أعوذُ بداوودٍ وأعْظِمُهُ من أن أكَلَّفَ حجًّا يا ابن داوودِ
خُبِّرتُ أنَّ طريقَ الحجِّ مَعْطَشَةٌ من الشَّرابِ وما شُربي بتَصْريدِ
واللَّهِ ما فِيَّ من أجْرٍ فتطْلُبَه ولا الثَّناءُ على ديني بمحْمُودِ !

فقال موسى : ألقوه عن المحمل، لعنه اللّه ! فألقي وعاد إلى قصفه بالسَّواد حتَّى أنفق المال .

وقد قلت أنا قصيدة أكثرها يتعلَّق بالباب، فأثبتّها هنا، وهي :

هامَ الفُؤادُ بسُعْدى بعدما نزحَتْ وأصْبَحَ الصبر عنها[11] وهْوَ مجذوذُ
والعينُ منها سوابِقُ الدُّمُوعِ على ميْدانِ خدٍّ رديَّاتٌ مَهابيذُ[12]
وأصبحَت في الحَشَى من بينِها حُرقٌ يَصْلَى بها بل جِراحاتٌ مغاذيذُ[13]
كأنَّما القَلبُ إذ بانَتْ ركائِبُها من الجَوَى صُلَبٌ في النَّارِ محْنوذُ
وكُنت قِدمًا بها في روضَةٍ أُنُفٍ من الوِدادِ ثَراها الدَّهرَ مرذوذُ[14]
أيَّام وردُ المُنى عذْبٌ مَشَاربُه وغُصنُ الودِّ مَهْصورٌ ومجْبوذُ[15]
وإذْ غَفَتْ مُقلُ الأحْداثِ وابْتَسَمَت سنُّ المُنى ولنا في الدَّهْرِ تمْليذُ[16]

---

11) في هامش المخطوطات : «في نسخة : القلب منها».
ملاحظة : في د طرر متعددة نثبتها فيما يلي (من رقم 12 إلى 29) وقد أدمجها ناسخ ب في صلب الكتاب.
12) الرديّ : فعيل من ردَى الفرسُ يردي، إذا جرى.
والمَهابِيذ : جمع مُهْبِذ، من الهَبْذ وهو الاسراع في العَدْو.
والرَّديان، والهبْذ، والميدان ترشيحات للاستعارة في السوابق وفي الدموع.
13) المغاذيذ : جمع مغذ . يقال غَذَّ الجرحُ يَغِذُّ إذا سال بما فيه.
14) المرذوذ : المسقي رذاذًا، وهو المطر الساكن الدائم هنا.
15) في د «مقصور» بدل «مهصور».
16) الغَفْو والاغفاء : النعاس.
والتَّمْليذ : مبالغة من الملذ، وهو في عدو الفرس أن يمدّ ضبعيه حتى لا يجد مزيدًا، وجُعل هنا كناية عن الاتساع في الأمر.

فلم يدُم والغواني عَهْدُ وصلَتِها ... آلٌ : من اغْترَّ منه فهْو موقوذُ[17]

لو أنَّها أحْكَمَت حبْلَ الوصالِ مَسا ... لم يأتِهِ الصُّبحُ إلاَّ وهْوَ مهْذوذُ

وما يُمنِّينَ من جدْوَى ومن صِلةٍ ... خضراءُ في الحزْنِ مرْعاها معاويذُ[18]

إنَّ الهوى لُجَّةٌ سهلٌ مَشَارِعُها ... لكن يعِزُّ بها ناجٍ ومنْقُوذُ

وما الفتى غير خِلْوٍ عن عمايَتِهِ ... ذو هِمَّةٍ ذيلُهُ للْجِدِّ مشْمُوذُ[19]

عاطٍ كُؤوسَ رشادٍ لا كُؤوسَ هَوًى ... فالغَيُّ مُطَّرِحٌ والرُّشدُ مأخُوذُ

سامٍ إلى كلِّ ما يُعْلي مُزاولَهُ ... كما سما عن حضيضِ الأرض خِنْذيذُ[20]

فالهُونُ موردُه مُرٌّ مَذاقَتُهُ ... وإنْ حَلا وأجاجُ العِزِّ مَلْذوذُ

وما المُنى بالهوى يجْرينَ بل بمَنى ... ما أحدٌ كلُّ ما يرجوهُ مفْلوذُ[21]

والدَّهرُ مخْلوجةٌ أحْداثُهُ تركَتْ ... فكْرَ اللَّبيبِ لديها وهوَ مبذوذُ[22]

دُجى حوالِكُ لا يجْلو مغَالقَها ... إلاَّ فطينٌ ذكيُّ القلب خِنْذيذُ[23]

وللمُفكِّرِ آياتٌ تُبَصِّرُهُ ... لا يَقْطَعُ السَّيفُ إلاَّ وهْوَ مشْحوذُ

والنَّاسُ في الحُبِّ أخْيافٌ وأكثرهم ... وإن بَدا منهُمُ ودٌّ مَلاويذُ[24]

بورٌ مناكيسُ لا يزْكو مُعاشرهُم ... جُربٌ يُعادونَ عرًّا كلَّما حُوذُوا

فلا مَنوحٌ نوالاً إن هُمُ سُئِلوا ... في الجهلِ عندهُمُ التَّحقيقُ منبوذُ

سَحْبانُ إن لم يحُزْ وفْرَ الغِنى حصِرٌ ... وباقلٌ عندهم إن جدَّ خنْذيذُ[25]

---

17) الآل : السّراب.
والموقوذ : المَصروع.

18) المَعاويذ : جمع مُعَوَّذ، وهو النبت في مكان لا تناله الماشية.
وفي الهامش : «في نسخة : مثواها، يعني بدل مرعاها».

19) المشموذ : المرفوع . يُقال شمذ إزاره إذا رفعه.

20) الخنذيذ هنا : رأس الجبل المشرف، والحضيض ضده.

21) المَنَى الثاني ـ بالفتح ـ وهو القدر.
والفَلْذُ : العطاء بلا تأخير ولا عدة.

22) المخلوجة : المضطربة غير المستقيمة، وتقدم في الأمثال في الهمزة.

23) الخنذيذ هنا : الحليم العالم.

24) أخياف : أصناف.
والملاويذ : جمع ملوذ، وهو الذي يقول ولا يفعل ولا يصح وده.

25) جدّ الرجل فهو مجدود.
والخنذيذ هنا : الخطيب البليغ، وضده الحَصِر.

فلا تثِقْ إن هُمُ ذمُّوا وإن مَدحوا : فهم عن الرُّشْدِ عُمْيٌ أوْمماليذُ[26]
والصِّدقُ أشرفُ خِيمٍ أنت لابسُه وخيرُ ما يحْتلي الصِّيد المشاويذُ[27]
وخيرُ ذُخْرِ الفتى دَهْرًا قناعَتُهُ فَذاكَ أوثَقُ ما عضَّ النَّواجِيذُ
وعِفَّةٌ ونَدًى يحْمي مَسَارحَهُ أن تَتحاماهُ ألسُنٌ ملاجِيذُ[28]
والمرءُ يمضي ويبقى بعْدهُ نَبأٌ مدحٌ يُخلَّدُ أو نيلٌ منافيذُ
والموتُ حتمٌ لديهِ الكُلُّ مُرتهنٌ إذا أتى الحتْمُ لمْ تُجْدِ التَّعاويذُ[29]

وقلت أيضا :

تحلَّ بسبْطِ الخُلقِ واحتمِلِ الأذى من النَّاس إن عاشَرتهُم ودعِ البَذا
وكُن مُغْضيًا عمَّا يريبُكَ باذلاً نَداكَ ولا تَغْلُلْ يَديْكَ فتُنْبَذا
فإنَّ بني الدُّنيا بنو الحاجِ ما اجْتنوْا من العودِ إلاَّ مُثْمرًا غصْنُه غَذا
وإنِّي رأيت الحوضَ يُغْشى إذا صَفَا ويُقْلَى إذا كان المشُوبَ أوِ الوذَا
وللنَّحْلِ فضْلاً دونَ كلِّ ذُبَابَةٍ وللمسْكِ والكافورِ عن كلِّ ذي شَذا
على أنَّ هذا الجيلَ آسادُ بيشَةٍ ملاذُكَ منهُم للحُسامِ مُشَحَّذَا
متى تعْتلِقْ أظْفارهُم كاهِلَ امْرِىءٍ أصاروه رُهْنًا للبَلايَا ولِلأذَا
وإن يعْلقوا قلبًا أعاروهُ حيْرةً وإن يركَبوا ظهْرًا تفتَّا أو ارتَذَا
فمن يستَطعْ عنهُم نوًى فلْيُجافِهِم بعادًا ومن ألْفَى مَعاذًا تَعوَّذا
فإنَّ البحارَ الخُضْرَ تُحْمى ظُهورُها زُخورًا وتعلوها مع الرِّكْدةِ الشَّذا
وتعْدو على الشَّاء الذِّيابُ بلا حِمى وأكْبادها من مَرْبَضِ اللَّيثِ تُهْتذا
وما ذلَّ إلاَّ الفقْعُ يُوطا بقَرقَرٍ وإلاَّ حمارُ الحيِّ إن رُمْتَهُ خَذَا

---

26) المماليذ : جمع مملذ، من الملذ وهو الكذب.
27) الخِيم : الطبع.
والصيد : الملوك والسادات (كذا)، جمع أصيد.
وكذا المشاويذ.
28) الملاجيذ : جمع ملجذ، من اللجذ وهو الأكل.
وأطلقت المسارح على العِرض.
29) التعاويذ : الرُّقَى.

بعد هذه الطرر طرة أخرى يظهر أنها بخط محمد ابن زاكور الفاسي، نصها :
«الحمد لله. ما علقه هذا الناسخ ـ عفا الله عنه ـ على طرر هذه القصيدة موهمًا بذلك أنها ليست من الأصل أو كذلك رسمها الناظم ـ رضي الله عنه ـ في المواضع التي رسمناهو.

وذو الهمَّة العَلْياءِ مَن ليسَ جاعلاً مقادتَهُ للجاهلِ النَّذلِ مأخَذا
ولا تاركَ[30] الأقْذارِ تعْلو ذُيولَهُ إليهِ ولا في عِرْضِهِ النَّاسَ لُجَّذا
ولنكتف بهذا المقدار . من هذا المضمار، واللَّه يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل !

30) في د : «ولا تاركو...»

بَـــابُ الـــرَّاءِ

أرَاكَ بَـشَـرَ، مَـا أحَـارَ مِـشْـفَـرَ .

الرُّؤْيَـةُ : الابْـصَـارُ . تقول : رأيْـتُ الشيءَ أراهُ . وأصله أرْءَاهُ، فألقيت حركة الهمزة على الرَّاء وحُـذفت الهمزة . والعرب يلتزمون النقل في هذه الكلمة إلاَّ تَـيْـم اللات . قال شاعرهم :

أري عينيَّ ما لم تَرءَياهُ : كِلانـا عالـمٌ بالتُّرَّهـاتِ[1]

والبَـشَـرُ ـ بفتحتيْـن ـ: الانسان، وظاهر الجلد كالبَـشَـرة، وهو المراد . والحَـوْرُ : الرُّجُـوعُ، وأحَـارَهُ : رَدَّهُ، وتقول : طحنتْ فما أحارتْ شيئًا، أي فما ردَّتْ شيئًا من الدقيق . والمِـشْـفَـرُ ـ بوزن مِـنْـبَـر، ويُـفتح ـ للبعير بمنزلة الشَّفة للانسان .

ومعنى المثل أن رؤية الظاهر تغنيك عن رؤية الباطن . وأصله في البعير، وأنَّك إذا رأيت بشرته وجسمه دلَّك ما به من سِـمَـن أو هُـزَال، على ما أحار مشفره، أيْ على كيفيَّة أكله .

أرِيهَـا السُّهَـى وتُـرِينـِي القَـمَـرَ !

الرُّؤْيَـةُ مرَّت، والسُّهَـى ـ بالضمّ والقصر ـ نجم خفيّ في بنات نعش الصغرى . والقَـمَـرُ معروف . وجمع بينه وبين السُّهَـى لما بين وصفيْـهما من المقابلة بالتَّضادّ، لأنَّ القمر في غاية الظهور، والسُّهَـى في غاية الخفاء . فضُـرب بهما المثل في الأمر الجليّ والخفيّ .

وهذا المثل يصحّ لك أن تضربه في كلّ من ترمز له وتشير وهو يفصح، أو في مَـن تنحو به منحى اللَّطائف والدَّقائق وهو يتبع الظواهر، أو مَـن تاتيه بالأمر المستغرب العزيز وياتيك بالأمر المبتذل المطروق، ونحو ذلك، واللَّه أعلم !

---

1) البيت لسراقة البارقي، وقد رواه الأخفش : «...ما لم ترياه» على التخفيف الشائع عن العرب في هذا الحرف . انظر لسان العرب في مادة رأى.

رَأْيُ الشَّيْخِ خَيْرٌ من مَشْهَدِ الغُلاَمِ .

الرَّأيُ : الاعتقاد، والجمع آراءٌ ورُئىً . والشَّيْخُ والغُلاَمُ معروفان .

وهذا الكلام يُحكى عن عليّ، كرَّم اللّه وجهه، وهو تفضيل للسنّ، في ملاقاة الخطوب، على الشباب.

وللعرب في هذا مذهبان : تارة يمتدحون بالسنّ والتجريب، وتارة بالشباب والقوّة . فمن الأوّل كلام علي المذكور، وقول الشاعر وهو زهير بن مسعود :

فلم أرقهِ إن ينجُ منها، وإنيمُت فَطَعْنَةُ لاغُسٌّ ولا بمُغمَّرِ

الغُسُّ : اللَّئِيم، والمُغَمّر : الذي لا تجريب له ولا سنّ . وقول أبي الطيّب :

سأطلُب حقّي بالقنا ومشائخٍ كأنّهم من طول ما التثَموا مُردُ

ومن ذلك قول حارثة بن سراقة الكندي، حين منعوا الزكاة أيّام الرِّدّة : يمنعها شيخ بخدّيه الشَّيْب، لا يحذر الرَّيْب . ومن الثّاني قول عامر بن الطفيل يخاطب النبيَّ صلّى اللّه عليه وسلّم : واللّه لأملأنّها عليك خيلاً جُرداً ورجالاً مُرداً ! وذلك لحالتيْن مختلفتيْن : فإنّهم إذا أرادوا الحزم وحسن الرأي والتّدبير والتّأنّي والثّبات إذا اشتدّت الخطوب، فالشيوخ أولى ؛ وإذا أرادوا الجلادة والقوّة، فالشّباب أولى، مع أنّ كلاً من الأمريْن قد يوجد في كلّ من الطرفين : فإنّه، كما لا خير في رأي الشّاب الغمر الجاهل، لا خير في رأي الشيخ الخرف . ومن ثمّ قيل في الحكمة : إيّاك ومشاورة شابّ معجب برأيه، أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه !

وأمّا قول قَطَريّ بن الفُجاءة :

ولَقَد أرانِيَ للرِّماحِ دريئةً مِن عَن يمينيَ مرّةً وأمامي

حتى خَضَبت بما تحدَّر من دمي أحْناءَ سَرجِي أو عِنانَ لجَامِي

ثمَّ انصرفْتُ وقد أصَبتُ ولم أُصَبْ جَذعَ البصيرةِ قارحَ الاقْدامِ

فقد فُسِّر بمعنيَيْن : أحدهما ـ وهو الظّاهر من العبارة ـ أنّه يقول : انصرفتُ وقد أصبتُ من أعدائي ما أحبّ من القتل والفتك والنكاية، ولم أُصَبْ أنا منهم، بل انصرفتُ سالماً وأنا جذع البصيرة، أي قويّها، كامل المريرة، لم يضعف عزمي ولا وهَنَتْ بنيتي بما أصاب

جسمي من الجراحة، وأنا أيضا قَارِح الاقْدام ـ أي كامله شديده ـ، لأنَّ القَارِح من الخيل الذي تناهت سنّه وكملت قوَّته .

والثَّاني ـ هو الخفيّ ـ أنَّه يقول : أصبتُ من الأعداء وانصرفتُ عنهم وأنا لم أُصب، أي لم أُوجد جذع البصيرة قارح الاقدام، بل وُجدتُ قارح البصيرة، جذع الاقدام ؛ لأنَّ بصيرة القارح المجرَّب هي التي لا تضطرب ولا تستحيل، وبصيرة الجَذَع ـ أي الصغير ـ لا تثبت ولا تدوم، وإقدام الجذَع قويّ ماض، لأنَّه لا ينثني ولا يردعه شيء .

واستظهر هذا التفسير الثاني، الذي امتدح فيه بالسنّ على الأوَّل الجَلِيّ، أنَّه يستحيل أن يقول : انصرفتُ ولم أُصَب من أعدائي بشيء . وكيف وهو يقول قبله : حتَّى خَضَبْتُ بِما تَحَدَّرَ من دَمِي : أحْنَاءَ سَرجِي ؟ فهذا اعتراف بأنَّه أُصيب بالجراحة . فكيف ينقض كلامه ؟

وأجيب من قِبَل أهل المذهب الأوَّل بأنَّه أراد بقوله : لَمْ أُصَبْ، لم أُقْتَلْ . يقال : فلان أُصيب، أي قُتل، كما قال النبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في أمرائه : **أَمِيرُكُمْ زَيْدٌ : فإنْ أُصِيبَ فَجَعْفَرٌ، فَإنْ أُصِيبَ فَعَبْدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ** . فقُتلوا كلّهم .

وقال أصحاب الرأي الثَّاني : كيف يحسن منه أن يقول : لم أُقتل، وهو ينشدهم الشعر، والمصيبة تطلق على أعمّ من القتل ؟ قال تعالى : **الَّذينَ أصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إنَّا لِلَّهِ وإنَّا إلَيْهِ راجِعُونَ** .

قلت : وهذا الكلام ضعيف، إذ لا مانع من أن يقول ـ افتخارًا ـ : فتلتُهم وأهلكتهم ولم يقتلوني.وأمَّا عُموم المصيبة فغير مانع من التَّخصيص بقرينة المقام وسياق الكلام، مع أن استنكافه من يكون إقدامُه إقدام قارح ورضاه بإقدام الجذع مدخول، فإنَّ العرب ما زالت تفضّل القارح على الجذع، كما قال زهير :

يُفَضِّلُهُ إذا اجْتهَدا عَلَيْها تمامُ السِّنِّ منه والذَّكَاءُ

ولذلك قيل في المثل : **مُذكِّيَةٌ تُقَاسُ بالجِذَاعِ** . وقيل أيضا : **جَرْيُ المُذكِّيَاتِ غلابٌ**، وقد تقدَّما في هذا الكتاب معًا .

وقول زهير بن مسعود السابق : فَلَمْ أرْقِهِ إنْ يَنْجُ منها، يريد الطعنة التي طعن .

وقَبْل البيت :

عَشِيَّةَ غادَرْت الجَليسَ كأنَّما على النَّحْرِ منه لونُ بُردٍ مُحبَّرِ
جَمعْتُ له كَفَّي بِلَدْنٍ يزينُه سنانٌ كَمِصْبَاحِ الدُّجى المُتَسعِّرِ
فَلَمْ أرْقِهِ (البيت)

وإنَّما قال هذا لأنَّ العرب كانت تزعم أنَّ المطعون يبرأ إذا نفث عليه الطَّاعن ورقاه . قال عنترة :

فإنْ يَبْرأْ فَلم أنفُثْ عليهِ وإن يَفْقَدْ فحُقَّ له الفُقودُ

وقال عمرو بن ثعلب الشَّيباني :

فأتْبعْتُه طَعْنَةً مُرَّةً يَسِيل على النَّحرِ منها صبيب
فإن ينجُ منها فلم أرْقِهِ وإن قَتَلتْهُ فجُرحٌ رعيبُ

تَرى الفِتْيانَ كالنَّخْل، وما يُدريكَ ما الدَّخْل ؟

الفِتْيانُ جمع فتًى . ودخْلُ الرجل ـ بالفتح والكسر ـ: نِيَّتُهُ ومذهبه من جميع أمره . وكذا دَخِيلُهُ ودُخْلُلُهُ ودُخَيْلاَؤُهُ .

ومعنى المثل أنَّك قد ترى الرجال حسان الظواهر والزيّ، ولا تعرف حقيقة أمرهم وحال باطنهم . يُضرب لمن له منظر حسن ولا خير عنده .

قيل : وأوَّل من نطق به غَنْمَة ـ أو عَتْمَة ـ بنت مطرود البجلية، وكانت امرأة عاقلة ذات رأي مسموع في قومها . وكانت لها أخت يقال لها خَوْد، ذات جمال وكمال . فقدم عليهم ذات مرَّة خمسة إخوة من غامد ـ بطن من الأزد ـ يخطبون أختها خَوْداً، وهم في زيّ مونق، لابسو الحلل اليمانيَة على النجائب المهريَّة والرحال العلافية مكسوّة بالثياب العبقريَّة . فأنزلهم أبوها وأكرمهم . ثمَّ غدوا عليه خاطبين معهم الشعثاء كاهنة لهم . فقال لهم مطرود : أقيموا حتَّى نرى رأينا . ثمَّ دخل على بنته فقال : ما ترين ؟ فقالت : أنكحني على قدري، ولا تُشْطِطْ في مهري : فإن تخط أحلامهم، لا تخط أحسابهم . لعلّي أصيب ولداً، وأكثر عدداً ! فخرج إليهم وقال لهم : اخبروني عن أفضلكم ؟ فقالت له الشَّعثاء : اسمعْ أخبرْك عنهم ! هم إخوة، كلّهم إسوة . أمَّا الكبير فعمرو، بحر غمر،

سيّد صقر، يقصر دونه الفخر ؛ وأمّا الذي يليه فعاصم، صلد صارم، أبيّ حازم، جيشه غانم، وجاره سالم ؛ وأمّا الذي يليه فوثّاب، ليث غاب، سريع الجواب، عتيد الصواب، كريم النصاب ؛ وأمّا الذي يليه فمُدْرِك، بَذُول لما يملك، عزوف عمّا يترك، يغني ويهلك ؛ وأمّا الذي يليه فجندل، مقلّ لما يحمل، يعطي ويبذل، لا يخيم ولا ينكل . فأبلغها أبوها ذلك، فشاورت أختها غَنَمَة فيهم، فقالت : تَرَى الفِتْيَانَ كالنَّخْلِ، ومَا يُدرِيكَ ما الدَّخْلُ ؟ اسمعي كلمة ناصحة : إنّ شر الغريبَة يعلن، وخيرها يدفن، فانكحي في القرباء، ولا تغرك أجسام الغرباء ! فلم تقبل منها، وأرسلت إلى أبيها : أنكحني مدركًا . فأنكحها منه على مائة بعير برعاتها . فحملها مدرك، فلم يلبث معها إلاّ قليلا حتّى أغار على غامد فوارس من بني كنانة، فاقتتلوا ساعة ثمّ انكشف زوجها وقومه فسباها بنو مالك ابن كنانة فيمن سبوا، وجعلت تبكي . فقيل لها : وما يُبكيك ؟ أعلى فراق زوجك ؟ قالت : قبّحه اللّه ! قالوا : لقد كان جميلا . قالت : قبّح اللّه جمالاً لا منعة معه ! إنّما أبكي على عصياني أختي . وأخبرتهم خبرها . فقال لها رجل منهم يقال له أبو نواس ـ وكان أسود أفوه مضطرب الخلق ـ: أترضين بي على أن أمنعك من ذُؤْبان العرب ؟ فقالت لأصحابه : أكذلك هو ؟ قالوا : نعم ! إنّه، مع ما ترين، ليمنع الخليلة، وينقب القبيلة . قالت : هذا أجمل جمالا، وأكمل كمالا، قد رضيته فزوّجوه إيّاها . وقال الشاعر :

تَـرى الفتْيـانَ كالنَّـخْلِ ... ومَا يُـدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟
وكُلٌّ في الهَـوى لَـيْثٌ ... ومَـا في نَـابِهِ فَسْلُ
ولَيسَ الشَّأْنُ في الوَصْلِ ... ولَكِنْ أن يُرَى الفَضْلُ !

وقالت الأخرى :

وقَـالتْ قوْلَةً أُخْـتِي ... وحجُـوا لَهَـا عَقْلُ(1)
تَـرى الفِتْيـانَ كالنَّـخْلِ ... ومَا يُـدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟

أرَى القَدَرَ، سَابِقَ الحَذَرِ

هذا مثل ظاهر المعنى، وهو من كلام جذيمة الأبرش، وسبق في شرح قصّته مع الزّبّاء.

---

1) هكذا في المخطوطات، والصواب كما في لسان العرب (مادة حجا) : وحَجّواها لها عَقْلُ

أرَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلاً وتُؤَخِّرُ أُخْرَى .

يُضرب عند التردّد في الأمر . وأصله أنَّ الرجل مثلا إذا قام ليذهب إلى جهة، ثمَّ يبدو [له] ويتحيَّر، فتارة يريد الذهاب فيقدم، وتارة لا يريد فيؤخّر . وهذا ظاهر في المقصود، لكنَّ قولهم : يُقَدِّمُ رِجْلاً ويُؤَخِّرُ أُخْرَى، يحتمل، باعتبار دلالة عبارته في أصلها، أربعة أمور :

أحدُها أن يكون المعنى أنَّه يقف في مكانه ويحرّك إحدى رجليْه : فتارة يقدّمها للإرادة الذهاب، وتارة يؤخّرها رجوعًا عن الذهاب، حتَّى توازي أختها كما كانت أوّلاً . وعلى هذا، فلفظ الأخرى فيه تجوّز بأن جعل الشخص الواحد متعدّدا باعتبار حالتيْه، ولفظ التّأخير أيضا لم يصحَّ فيه إلاَّ بالنسبة .

الثّاني أن يكون المعنى أنَّه يقدّم رجلا لإرادة الذهاب، ثمَّ يبدو له أن لا يذهب فيبقى واقفا على تلك الحال، إحدى رجليْه متقدّمة والأخرى متأخّرة عنها . وعلى هذا ففي لفظ التأخير تجوز، إذ معناه إبقاؤها متأخّرة، نحو : **يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا آمِنُوا** على وجه .

الثالث أن يكون المعنى أنَّه يقدّم إحدى رجليْه إلى القدّام، ويؤخّر الأخرى إلى الوراء . وهذا ظاهر اللفظ، ولكن لا وجه له ولا وجود من خارج .

الرابع أن يكون المعنى أنَّه يقدّم إحدى رجليْه وتبقى الأخرى متأخّرة، ثمَّ يقدّم هذه وتبقى الأخرى، وهكذا . وهذا أيضا ظاهر من اللفظ، لكن لا يصحّ أيضا هنا، لأنَّه حالة الماشي لا الواقف المتردّد . فقد علمت أنَّ في العبارة عند تفتيشها تجوزًا وخفاءً مع وضوح المراد .

أرَاكَ الكَوَاكِبَ بالنَّهَارِ .

الكَوَاكِبُ : النُّجُومُ . وهي لا تُرى عادة بالنَّهار، لغلبة ضوء الشمس عليها . فضُرب [المثل][2] برؤيتها نهارا عند اشتداد الأمر وملاقاة ما لم يُعتد ويُظنّ، أو غلبة الهمّ والحزن .

وأصل ذلك أنَّ الحرب إذا اشتدَّت ارتفع النقع وتراكم في الجوّ وسدَّ الافق واستحدث الظلام، فربَّما سترضوء الشمس إذا كانت [في][2] أحد الجانبيْن، فتظهر النجوم من الجانب البعيد عنها .

وزعموا أنَّ النجوم ظهرت يوم حليمة، فضُرب ذلك مثلا . قال طرفة بن العبد :

إن تُنوِّلْهُ فقد تمْنَعُهُ وتُريهِ النَّجمَ يجري في الظُّهُرْ

وقال الأعشى :

رجعتَ بما رُمْتَ مستحْسرًا ترى للكواكِب ظُهرًا ومِيضَا

وللفرزدق :

لَعَمري لقد سار ابنُ شَيْبة سيرةً أرتْكَ نجومَ الليلِ واضحةً تجري

فأصبح قد صُبَّت على ظهْرِ خالدٍ شآبيبُ لم يُرسلْن من سَبَكِ القطْرِ

وهذا المثل باق اليوم في ألسنة العوامّ يقولون : **أرانِي فُلانٌ النُّجومَ في السَّماءِ** - **أو النُّجومَ في النَّهارِ** - إذا أراه شدَّة ومكرا، وأناله من المكروه ما لم يعهد به ذكرًا .

لأُرِيَنَّكَ لَمْحًا بَاصِرًا !

ويقال أيضا : **دونَ ذلك لمْحُ باصِرٍ** . يُضرب في التهديد والايعاد . واللَّمْحُ : النَّظر . فقيل : المعنى نظر مُفْزِع، وقيل هو النظر بتحديق شديد . وقيل : المعنى لأُرِيَنَّكَ نَظَرًا صَادِقًا !

وقال البكري : معنى المثل : لأُرِيَنَّكَ من إيعَادِي لَكَ أمْرًا واضِحًا جَلِيًّا . وبَاصِرٍ في تأويل عِيشَةٍ راضية، أي مرضيَّة، وماءٍ دَافق أي مَدفوق . وكذلك سِرٌّ كَاتِم . انتهى .

وهو ظاهر، لكن إذا تُؤوِّل البَاصِرِ فلا بدَّ أن يُتأوَّل اللَّمْحُ أيضا . وكأنَّه لذلك فسّر بالأمر الجليّ الواضح، ولا إشكال أنَّه يُبصر .

الرَّأْيُ مَعَ الجَمَاعَةِ .

هذا أيضا من كلام جذيمة في قصَّته السابقة، كما مرَّ، وهو ظاهر .

2) ساقط من د

أرَى المَوتَ في الغَرائِرِ السُّودِ .

الغَرائِرُ جمع غِرارَة - بكسر الغين - وهي الجوالق .والسُّود، جمع سَوْداء .

وهذا الكلام للزَّبَّاء، حين رأت إبل قَصِير وعمرٍو مُوقَرةً بالرجال في الجوالق .

وتقدَّمت القصَّة مشروحة، فلتُراجع ! وأطْلقَتِ الموتَ على سببه الفاعليّ، وهم الرجال القاتلون، مجازًا .

أرنِيهَا نَمِرَة، أُرْكَهَا مَطِرَة .

يقال : نَمِرَ السَّحَابُ - بالكسر - يَنْمَرُ، كَفَرِحَ يَفْرَحُ، إذا صار أرقط، على لون النَّمِر، وقولهم نَمِرَة وصفٌ للسَّحابة . وقياسه نَمْرَاء، والمذكَّر أنْمَر - كَحَمْرَاء وأحْمَر -، كما قالوا للفرس أنْمَر إذا صار على لون النَّمر . ولكنَّهم جاؤوا به على فَعِل، نحو قوله تعالى : فَأَخْرَجْنَا منْهُ خَضِرًا، أي أخْضَرَ. والمَطَرُ : ماء السَّحاب ؛ ومَطَرَتْهم السَّحاب : أصابتهم بمطر ؛ ويوم مُمْطِر ومَطِر - بوزن كَتِف -: ذو مَطَر .

ومعنى المثل : تَكفَّلْ لِي بوجود السَّحاب الأرْقَط، وأنا أتكفَّلُ لك بالمطر حينئذ . يُضرب لما يُتيقَّن وقوعه إذا ظهرت مخائله ولاحت أمارته .

رُبَّ أخٍ لَم تَلِدْهُ أُمُّكِ !

رُبَّ حرفٌ جارّ يدلّ على الكثرة والقلَّة معًا، أو على إحداهما فقطْ أو أكثر، أو لا يدلّ على شيء منهما إلاَّ بالقرائن، خلاف شهير في النحو لا نطيل بذكره ولا بشواهده لشهرتها، والأخ معروف، وفيه لغات معروفة .

وأصل المثل أنَّ لقمان بن عاد رأى مع امرأة رجلا يلاعبها وتلاعبه، خاليَيْن ومعهما صبيّ صغير يبكي، وهما مقبلان على شأنهما لا يكترثان به . فقال لها : من الرجل ؟ قالت : أخي . فقال حينئذ : رُبَّ أخٍ لَمْ تَلِدهُ أمُّكِ !، تكذيبًا لها في دعواها . يقول : إنَّه أخوك في الصداقة والمودَّة، لا بالقرابة والنسب.

وقريب من هذه الحكاية ما حُكي عن بعضهم أنَّه دخل عليه [رجل][3] نصرانيّ ومعه

3) ساقط من د.

فتى وسيم من أهل ملّته، فقال له : من هذا الفتى ؟ فقال : بعض إخواني . فأنشد حينئذ:

دعتْني أخاها أُمُّ عمْرٍو ولم أكُن أخاها ولم أرضَعْ لها بلبانِ
دعتني أخاها بعد ما كان بيننا من الأمْر ما لا يصنَعُ الأخوانِ

وقالوا أيضا في معنى هذا المثل : رُبَّ بعيدٍ أقْربُ من قريبٍ . وقالوا : القريبُ من قرُبَ نفْعُهُ . وقالوا : القريبُ من تقرَّبَ لا مَن تَنسَّبَ . وقال حبيب :

ولقد سبرتُ[4] النّاس ثمَّ خبرتُهم وبَلوتُ ما وصَفُوا من الأسْبابِ
فإذا القرابةُ لا تُقرِّبُ قاطعًا وإذا المودَّةُ أقْربُ الانْسابِ

وقال ابن هرمة في نحو هذا :

هشٌّ إذا نزلَ الوفود ببابِهِ سهلُ الحجابِ مُؤدَّبُ الخُدّامِ
فإذا رأيت شقيقَهُ وصديقهُ لم تدرِ أيُّهما أخُو الأرْحامِ

غيره :

ذو الودِّ منّي وذو القُربى بمنزلةٍ وإخْوتي أسْوةٌ عنْدي لخلاّني
أحِبَّةٌ جاورتْ آدابُهُم أدبِي فهُم وإن فُرِّقوا في الأرض جيراني
أرواحُنا في مكانٍ واحدٍ وغَدتْ أجْسامُنا بعِراقٍ أو خُراسانِ

وقال حبيب أيضا :

أو نفترقْ نسبًا يُؤلِّفْ بيننا أدبٌ أقَمْناهُ مقامَ الوالِدِ

وتقدَّم هذا وما يشبهه، وسيأتي أيضا منه إن شاء اللّه تعالى .

رُبَّ أكْلَةٍ مَنَعَتْ أكَلاَتٍ .

الأكْلُ معروف ؛ والأكْلَةُ ـ بالفتح ـ: المرَّة منه، وبالضمّ : شيء يؤكل وما يجعله الآكل في فيه .

والمعنى أنَّ الانسان ربَّما أكل شيئا فأدّاه إلى ترك الأكل مدَّة بهيضة وتخمة أو مرض مثلا . قال ابن هرمة :

4) حرفت في ب فكتبت : «بسرت».

ورُبَّتَ أكْلةٍ مَنَعَت أخاها بلذَّةِ ساعةٍ أكَلاتِ دهْرِ
وكم من طالبٍ يسْعَى لِشَيءٍ وفيه هَلاكُهُ لو كانَ يدري !

ويُضرب في كلّ من اقتحم شيئا يفوت عليه بسببه ما هو أكثر منه أو أشرف، كمن رضي من عرض الدنيا الفاني بما فوّت عليه من الآخرة ونعيمها المقيم، عياذاً باللّه !

رُبَّ رَمْيَةٍ من غَيْرِ رامٍ .

الرَّمْيَةُ فَعْلَةٌ من الرَّمْيِ[5]. يقال : رمَى يَرْمِي رَمْيًا ورَمْيَةً، ورمى السَّهم عن القوس وعلى القوس أيضا، رَمْيًا ورِمَايَةً - بالكسر - ولا تقلْ : رميت بالقوس . ورَامَاه مُراماة ورِمَاءً وتَرْمَاءً ؛ وارتمى القوم وتَرَامَوْا .

ومعنى المثل أنَّ الغرض قد يصيبه من ليس من أهل الرماية . فيُضرب عندما يتَّفق الشيء لمن ليس من شأنه أن يصدر منه . وقد يُحذف « رُبَّ » فيقال : رَمْيَةٌ من غَيْرِ رَامٍ .

ويُذكر أنَّ المثل لحكيم بن عبد يغوث المنقري، وكان من أرمى النَّاس . فحلف يومًا ليعقرنَّ الصيد حتمًا . فخرج بقوسه فرمى فلم يَعْقِرْ شيئا فبات ليله بأسوإ حال، وفعل في اليوم الثاني كذلك فلم يعقر شيئا، فلمَّا أصبح قال لقومه : ما أنتم صانعون ؟ فإني قاتل اليوم نفسي إن لم أعقر مهاة ! فقال له ابنه : يا أبت، احملني معك أرفدك ! فانطلقا، فإذا هما بمهاة، فرماها فأخطأها . ثمَّ تعرَّضت له أخرى فقال له ابنه : يا أبت، ناولني القوس ! فغضب حكيم وهمَّ أن يعلوه بها . فقال له ابنه : أحمد بحمدك، فإنَّ سهمي سهمك ! فناوله القوس فرماها الابن فلم يخطىء . فقال عند ذلك حكيم : رُبَّ رَمْيَةٍ من غَيْرِ رامٍ !

وإلى هذه القصَّة أشار بعضهم بقوله :

رماها مُطْعِمٌ من غير عِلْمٍ بمسِّ القوسِ لم يُخطىء صَلاها
وكان أبوهُ قد آلَى عليها فلم يُبْرِرْ أليَّتَهُ مَهَاهَا

ومُطْعِم هو ابن حكيم المذكور . وقال ابن ظَفَر : هذا مثل عامّي، وأصله قولهم : مَعَ الخواطىء سَهْمٌ صَائِبٌ .

5) حرفت في د فكتبت «الرامي».

رُبَّ سَاعٍ لقَاعِدٍ .

السَّاعي : الكَاسِبُ، سَعَى يَسْعَى سَعْيًا، والقَاعِدُ ضدّه مجازًا، من القُعُودِ الذي هو لزوم الأرض . ومعنى المثل أنَّ المرء ربَّما سعى في جمع المال أو إدراك الحاجة، حتَّى إذا تهيَّأ ذلك رُزِقَهُ بعضُ من لم يسع فيه دون السَّاعي . فيُضرب في اكتساب المرء ما لغيره من مال ونحوه .

وأوَّل من قاله النَّابغة الذبياني، وكان وفد على النعمان بن المنذر في وفود العرب، ومنهم رجل من عبس يقال له شقيق، فمات عنده . فلمَّا حبا الوفود، بعث إلى أهل شقيق مثل ما حبا به الوفود، فقال النَّابغة : رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ . وقال في ذلك يخاطب النعمان :

أبْقَيْتَ للعَبْسيِّ فضْلاً ونِعْمَةً ومحْمدةً من باقياتِ المحامِدِ
أتى أهْلَهُ منه حِبَاءٌ ونعْمَةٌ ورُبَّ امْرىءٍ يسعى لآخَرَ قاعِدِ[6]

وقيل : أوَّل من قاله معاوية، وذلك أنَّه قال يومًا لابنه يزيد بن معاوية : هل بقي في نفسك أرب من الدنيا ؟ قال : نعم، أمّ خالد ! وهي امرأة عبد اللَّه بن عامر بن كريز، عامل معاوية على البصرة . فأمر عمرو بن العاصي أن يكتب إليه يشير عليه بالوفادة على أمير المؤمنين معاوية، لعلَّه يعمل له في تزويج بنته هند بنت معاوية . فخفَّ لذلك ابن عامر حتَّى وصل إليه، فأزلفه معاوية وقرَّبه، ثمَّ غفل عنه . فساء ذلك عبد اللَّه واشتكى إلى عمرو بن العاصي، فقال له عمرو إنَّه كره أن يدخل بنته على ضرَّة . فطلَّق أمّ خالد وأقام أيَّاما . فقال له معاوية : إنَّ أهل البصرة تواترت كتبهم يذكرون اضطرابا في البلد ! وأمره بالعود إلى عمله، ووعده بانفاذ ما ابتدأه، فانصرف ابن عامر . فلمَّا انقضت عدَّة أمّ خالد، بعث معاوية أبا هريرة إلى المدينة يخطبها على يزيد . فلمَّا دخل المدينة بدأ بالمسجد فصلَّى وألمَّ بالقبر فسلَّم ودعا، ثمَّ مال إلى حلقة الحسن والحسين فسلَّم وقعد، فسألوه فأخبرهم، فقال له الحسن : اذكرني لها ! فذهب حتَّى استأذن على أمّ خالد وخبَّرها بما بُعث له وبما أوصاه به الحسن . فقالت : بِأيِّهما تشير يا عمَّاه ؟ قال : أرددتِ الأمرَ إليَّ؟

6) زاد الميداني (1 : 300) بين هذين البيتين بيتًا ثالثًا هو :
حباءُ شقيقٍ فوق أعظم قبره وما كان يُحبَى قبلَه قبرُ وافد.

قالت : نعم ! قال : فأرى ألاّ تؤثري أحداً على من رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يفتح فاه ويلثم ثناياه - يعني الحسن، رضي اللّه عنه -. وبلغ الخبر معاوية فقال : رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ، واعْلَمِي أُمَّ خَالِدٍ[7]. وكأنّه شعر من مجزوّ الخفيف . ونحوه قول الشاعر :

وما النّاس إلاّ جامعٌ لمُضيِّعٍ وذو تَعبٍ يسعى لآخَرَ نائمِ !

رُبَّ سَامِعٍ خُبْرِي لَم يَسْمَعْ عُذْرِي[8] .

يُضرب في العُذْرِ يكون لك ولا يمكنك أن تبديه . وهو ظاهر مادّة وصورة .

ومثل ذلك في المعنى قول منصور النمري :

لعلَّ له عُذراً وأنتَ تلومُ : وكَم من مَلُومٍ وهو غير مُليمِ

يقال ألامَ يُليمُ، فهو مُليمٌ إذا أتى بما يُلام عليه، وليمَ فهو مَلُومٌ إذا عُتب وعُذل .

رُبَّ سامِعٍ عِذْرَتِي لم يَسْمَعْ قِفْوَتِي .

العِذْرَةُ - بالكسر -: العُذْرُ، كما مرّ في الهمزة . والقِفْوَةُ : القَذْفُ . يقال : قَفَاهُ يَقْفُوهُ قَفْواً، إذا رماه بفجور . وفي الحديث : لا حَدَّ إلاّ في القَفْوِ البَيِّنِ، قاله في الصحاح . وقَفَاهُ أيضاً : رمَاه بقبيح . والاسم من ذلك كله قِفْوَة - بالكسر - كما في المثل .

يُضرب عند اعتذار المرء من شيء لم يعلم منه بعد، فيكون ذلك الاعتذار تسميعا بنفسه[9]. ويمكن أن يُرَدَّ أحد المثليْن إلى الآخر، فيكون واحدا .

---

7) ورد عند الميداني (1 : 300) :

اسلمي أم خالــد رب ساع لقاعـد

8) أورده الميداني (1 : 299) بصيغة : ربّ سامع بخبري لم يسمع عذري، وقال إن الباء في «بخبري» زائدة . وورد هذا المثل في مخطوطة د هكذا : «ربّ سامع خبر لم يسمع عذره».

9) ذكر الميداني (1 : 298) أن هذا المثل يروى أيضا بصيغة «رب سامع قفوتي، ولم يسمع عذرتي» قال الاصمعي : معناه سمع ما أكره من أمري، ولم يسمع ما يغسلهُ عني.

رُبَّ شَدٍّ في الكُرْزِ !

الشَّدُّ ـ بالفتح ـ: العَدْوُ، وكذا الاشْتِدادُ . قال الرَّاجز :

هَـذَا أوَانُ الشَّـدِّ فاشْتَـدِّي زيَـمْ !

والكُرْزُ ـ على مثال قُفْل ـ: خُرجُ الرَّاعي، ويسمَّى الكَبْشُ الذي يحمِلُه الرَّاعي عليه الكَرَّاز . قال الرَّاجز :

ياليتَ أنِّي وسُبَيْعًا في غَنَمْ والخُرجُ منها فوقَ كرَّازٍ أجمّ !

ولا يكون الكرَّاز ـ فيما يزعمون ـ إلاَّ أجمَّ، لأنَّ الأقْرن يشتغل بالنطاح عن حمله .

وذكر أبو عليّ القالي في **النَّوادر** أنَّ الكُرْزَ الجُوالق، والأوَّل هو المعروف .

وأصل المثل أنَّ رجلا خرج يركض فرسا، فألقت مهرًا، فأخذه وجعله في كُرْزٍ بين يديه . فقال له رجل : لِمَ تحمله ؟ وما تصنع به ؟ فقال : رُبَّ شَدٍّ في الكُرْزِ ! أي رُبَّ عَدْوٍ وسَبْقٍ واشتِدادٍ في هذا المُهر الذي في الكرز، كما قد كان ذلك في أمّه ! فذهبت مثلا يُضرب في الرجل ونحوه يُحتقر عندك وله مخبر تعلم به أنت . وإنَّما جعل الشدّ في الكرز على طريق الكناية، لأنَّ ذَا الشَّدِّ فيه، كما قال الأوَّل :

إنَّ السَّماحةَ والمُروءَةَ والنَّدى في قُبَّةٍ ضُربت على ابن الحشْرجِ

والآخـر :

إنَّ السَّماحةَ والمُروءَةَ ضُمِّنَا قبْرًا بمروَ على الطَّريقِ الواضحِ

رُبَّ صَلَفٍ تحتَ الرَّاعِدَةِ .

الصَّلَفُ : قلَّة النَّزَلِ في الطعام وقلَّة الماء . يقال : سَحابٌ صَلِفٌ ـ على مثال كَتِف ـ: كثير الرَّعْد، قليل الماء ؛ والرَّاعِدَةُ : السَّحاب ذات الرَّعْد .

والمعنى أنَّ السَّحاب ربَّما رعدت ولم يكن منها خير . يُضرب للبخيل مع سعة ذات اليد . وقيل للرجل يكثر الكلام والمدح لنفسِه ولا خير عنده . وقيل لمن يتوعَّد ثمَّ لا يقوم به، وهو صالحٌ للكلّ . وقد اعتُرض على قائل الأوَّل بأنَّ السَّحاب إذا كثر فيها الماء لم يُقَل لها صَلِف .

قلت : يعني فلا يشبه بها الرجل الكثير المال لبخله . ويُجاب بأنَّ قلَّة الماء المسمَّى بالصَّلَف إنَّما هو باعتبار النزول إلى الأرض . فصحَّ تشبيه البخيل بذلك وإن كثر ماله، باعتبار قلَّة ما يخرج من يده . وإن أريد بالصَّلَف أن لا يكون ماء في السَّحابة نفسها أصلاً، فالمراد حينئذ التشبيهُ باعتبار ما فيها من أصوات الرُّعود والبروق، فإنَّه مظنَّة السقي ؛ كما أنَّ كثرة المال مظنَّة النفع . وضمَّن هذا المثل ابن الشبل البغدادي إذ يقول:

صحَّة المرءِ للسَّقامِ طريقٌ ... وطريق الفناءِ هُـوَ البقَـاءُ
بالذي نغْتَذي نموتُ ونحيى ... أقْتَلُ الدَّاءِ للنُّفوس الدَّواءُ
مالَقينا من غدرِ دُنيا فلا كا ... نَتْ ولا كان أخْذُها والعَطاءُ
صلَفٌ تَحْت راعدٍ وسحابٌ ... كرعَتْ منه مومِسٌ خرقاءُ
راجعٌ جُودُها عليها فَمَهْمَا ... يَهَبِ الصَّبْحُ يستردُّ المساءُ
ليت شِعري حُلمٌ تمرُّ به الأيَّام ... أم ليست تُعْقَلُ الأشْيَاءُ
من فسادٍ يكون في عالَم الكون ... فما للنُّفوسِ منها اتِّقاءُ
وقليلاً ما تصحَب المُهْجةُ الجسمَ ... ففيمَ الشَّقَا وفِيمَ العَنَاءُ ؟
قبَّحَ اللَّهُ لذَّةً لشَقَانَا ... نالَهـا الأمَّهَـاتُ والآبَـاءُ
نحن لولا الوجودُ لم نألِم الفقد: ... فَإيجادُنـا عَلَيْنَـا بَلاَءُ

وضمَّنته أنا أيضًا في قصيدة يأتي[كذا] في هذا الباب، فقلت :

ولربَّ ذي رَعْدٍ على صَلَفٍ ... ومُهدِّرٍ في العُنَّة الحِجْرِ[9م]

رُبَّ طَمَع، يَهْدِي إلى طَبَع .

الطَّمَعُ : الحِرصُ، طَمِعَ فيه - بالكسر - طَمَعًا وطَمَاعًا وطَمَاعِيَةً، والطَّبَعُ - بفتحتيْن -: الدَّنَسُ والوسَخ الشديد والشَّيْن والعيْب .

والمعنى أنَّ الطَّمع لا يزال بصاحبه حتَّى يتلطَّخ بكل ريب، ويتلوَّث بكل عيب . قال الشاعر :

9م) في الديوان :

فلرُبَّ ذي مَلَلٍ على أمَلٍ ... ومهدِّرٍ في العُنَّةِ الحِجْرِ
ولرُبَّ ذي رعـدٍ على صَلَفٍ ... فتراهُ يخلف ثم لا يَفْـرِي

لا خير في طَمَعٍ يهْدي إلى طَبعٍ وغُفَّةٌ من قوام العيشِ تكفِيني

الغُفَّةُ - بضمّ الغين المعجمة بعدها فاء -: البُلْغةُ من العيش . ويقال للفأر أيضا، لأنَّهُ بُلْغَةٌ للسنَّوْر . وأمَّا العُفَّةُ - بالعين المهملة المضمومة، فهي بقيَّة اللَّبن في الضرع، ومعناه صحيح في البيت أيضًا . وسيأتي ما في ذمّ الطَّمع والحرص، مستوفًى إن شاء اللَّه تعالى .

رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ ريْثًا .

العَجَلَةُ معروفة . يقال : عَجِلَ - بالكسر - يَعْجَلُ عَجَلاً وعَجَلة فهو عَجِلٌ - بالكسر - وعَجْلان ؛ والهِبَةُ : العَطِيَّةُ . وهَبَ الشيء يَهَبُهُ - بالفتح فيهما - هِبَةً . والرَّيْثُ - بالمثلَّثة -:البُطْءُ . يقال : رَاثَ يَريثُ رَيْثًا . أي رُبَّ عجلةٍ منك تعطيك ريثا وتهب لك بُطْئًا .

والمعنى أنَّ الرجل ربَّما عَجِلَ في أمر ليفعله سريعًا فأدَّاه عجله إلى البطء، وذلك بسبب تضييع ما ينبغي أن يحافظ عليه، فيضطرّ إلى العود إليه ثانيًا . وعبر بلفظ الهبة مجازًا لما كان ذلك سببا لذلك .

ويقال في المثل : رُبَّ عَجَلَةٍ وهَبَتْ رَيْثًا، وتَهَبُ رَيْثًا، بلفظ الماضي والمضارع، والمعنى واحد .

ورأيت في نسخة عتيقة من نوادر أبي عليّ القالي : تَهُبُّ رَيْثًا - مضموم الهاء، مشدَّد الباء -، بضبط القلم، على أنَّه من الهبوب . وهو يُفِيدُ المعنى، غير أنَّ الأوَّل أوضح في المقصود، وكأنَّ هذا تصحيف، واللَّه أعلم . وهذا المثل في ألسنة العوامّ اليوم موجود معناه، يقولون : مَن عجَّلَ أبْطَأَ .

رُبَّ قَوْلٍ، أشَدُّ مِن صَوْل .

القولُ معروف، والصَّولُ : القهْرُ والسَّطْوةُ والاستطالة . صالَ عليه يصولُ صَوْلاً .

والمعنى أنَّه ربَّ كلام يُعاب به الانسان هو أشدّ عليه من الصَّولة . وهذا من كلام أكثم بن صيفيّ .

ويُحكى في مثله عن النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم أنَّه لمَّا هجاه المشركون قال لحسَّان رضي اللَّه عنه : **اهْجُهُمْ، فهجاؤك أشدُّ عليهم من وقْعِ السِّهام في غَبَشِ الظلام !**

ومثله قول الشاعر :

والقولُ يَنفذ مالا تنفذ الابَرُ

وقول الآخـر :

وقد يُرجى لجُرح السَّيف بَرءٌ وجُرحُ الدَّهر ما جَرحَ اللِّسانُ

وقالوا : **اللِّسان ،أجْرَحُ جَوارِحِ الانْسان .**

وقال الصاحب : حفظُ اللسان، راحةُ الانسان، فاحفظْه حفظَ الشكرِ لِلْإحسان، فآفةُ الانسانِ في اللسان !

وقال امرؤ القيس :

إذا المرءُ لم يخزُنْ عليه لسانَه فليسَ على شيءٍ سواهُ بخزَّانِ

رُبَّ ممْلولٍ لا يُسْتطاعُ فِراقُهُ .

المَلَلُ معروف . وهذا من كلام أبي الأسود، وكان دخل في ثوب خلق على بعض أصدقائه . فلمَّا رآه قال له : يا أبا الأسود، أما آن لهذا الثوب أن يُبدل ؟ فقال أبو الأسود : رُبَّ مَمْلولٍ... إلخ . ثمَّ أرسل إليه بعد ذلك أثوابا . فقال أبو الأسود يمدحه :

كَساكَ ولم تَسْتَكْسِهِ فشكرتَهُ أخٌ لك يُعْطيكَ الجزيلَ ويامِرُ

وإنَّ أحقَّ النَّاس إن كُنتَ شاكرًا بشُكركَ من أعْطاكَ والوجْهُ وافرُ

الرَّباح،معَ السَّماح .

الرَّباحُ والرِّبْحُ واحد . قال الشَّاعر :

رأيتُ التُّقى والجُودَ خيرَ تجارةٍ رباحًا إذا ما المرءُ أصْبحَ ثاقلاَ

والسَّماحُ والسَّماحَةُ : الجود والكرم .

والمعنى أنَّ السَّماح[10] يُربِحُ . ويأتي إن شاء اللَّه ما في هذا المعنى .

ارْبَعْ على ظَلْعِك !

يقال : رَبَعَ يَرْبَعُ إذا وقف وتَحَبَّس . ويقال ارْبَعْ على نَفْسِك، أي ارْفُق.

وفي الحديث : ارْبَعُوا على أنْفُسِكُمْ !

والظَّلْعُ - بالظاء المشالة - في البعير ونحوه : غمزه برجله في مشيته . يقال : ظَلَعَ البعير - بالفتح - يَظْلَعُ .

قال أبو ذؤيب يذكر فرسا :

يَعْدُو به نَهِشُ المُشَاشِ كأنَّه صَدْعٌ سليمٌ رجْعُه لا يظْلَعُ[11]

فهو ظَالِعٌ والأنثى ظَالِعَةٌ .

وقول النَّابغة الذبياني :

أتُوعِدُ عبْدًا لم يخُنْكَ أمانةً وتتْرُكُ عبْدًا ظالمًا وهو ظالعُ[12]

يُروى بالمشالة وفُسِّر بالجائر المذنب، من الظَّلْع في البعير، وهو غمزُه برجله لداءٍ يصيبه، وبالضَّاد المعجمة، وهو الجائر المائل عن الحقّ .

ومعنى المثل أنَّك ظالع، فارْفُقْ بنفسك في مِشيتك لأجل ما بك من الظَّلْع ! فيُضرب للضعيف، وأنَّه ينبغي له أن ينتهي عمَّا لا يطيق .

وحكى أبو علي أنَّه اجتمع طريف بن العاصي الدَّوسي والحارث بن ذُبيان عند بعض مقاول حمير فتفاخرا، فقال الملك للحارث : يا حار، ألا تخبرني بالسبب الذي أخرجكم من قومكم حتَّى لحقتم بالنمر بن عثمان ؟ فقال : أخبرك أيّها الملك : خرج هجينان منَّا يرعيان غنما لهما، فتشاولا بسيفيهما، فأصاب صاحبهم عقب صاحبنا، فعاث فيه السيف فنزف فمات . فسألونا أخْذَ دِيَةِ صاحبنا دِيَةَ الهجين، وهي نصفُ دِيَة الصَّريح، فَأبى قومي، وكان لَنَا رِبَاءٌ عليهم، فأبينا إلاَّ دِيَةَ الصَّريح، وأبوا إلاَّ دِيَةَ الهجين .

---

10) حرف في د فكتب : السامح

11) نهشُ المُشاش : خفيف القوائم.

12) في ب : «ويُترك عبد ظالم وهو ظالع».

وكان اسم هجيننا دهين بن زبراء، واسم صاحبهم عنقش بن مهيرة، وهي سوداءُ أيضا . فتفاقم الأمرين الحيَّيْن، فقال رجل منَّا :

حُلُومَكُمُ يا قَوْمُ لا تُعزبُنَّها ولا تقْطعوا أرحامكُمْ بالتَّدابُرِ
وأدُّوا إلى الأقْوامِ عقْلَ ابنِ عمِّهِم ولا تُرهقوهُمْ سُبَّةً في العشائِرِ
فإنَّ ابن زبْراءَ الَّذي فاد لم يكُن بدونِ حليفٍ أو أُسيْد بن جابِرِ
فإن لم تُعاطُوا الحقَّ فالسَّيفُ بيننا وبينكُمُ والسَّيفُ أجْورُ جائِرِ

فتضافروا علينا حسدا، فأجمع ذوو الحجا منَّا أن نلحق بأعظم بطن من الأزد، فلحقنا بالنمر بن عثمان . فوالله ما فتَّ في أعضادنا نأينا عنهم، ولقدِ اتَّأرْنَا بصاحبنا وهم راغمون، فوثب طريف بن العاصي من مجلسه، فجلس بإزاء الحارث ثمَّ قال : تاللَّه ما سمعت كاليوم قولا أبعد من الصواب، ولا أقربَ من خطل، ولا أجلب لِقَذْع، من قول هذا . واللَّه، أيّها الملك، ما قَتَلوا بهجينهم بَذَجًا، ولا رَمَوْا وَدَجًا، ولا أُنْطُوا به عَقْلاً، ولا اجْتَفَؤُوا به خَشْلاً . ولقد أخرجهم الحقُّ عن أصلهم، وأجلاهم عن محلّهم، حتَّى (×) الازعاج، ولجؤوا إلى ضيق الولاج، قُلاً وذُلاً ! فقال الحارث : أتسمع يا طريف ؟ إنّي واللَّه ما إخالُك كافًّا غَرْبَ لسانك، ولا مُنَهْنِهًا شِرَّةَ نَزَوانِك، حتَّى أسطُوَ بك سطوةً تكُفّ طِماحَك، وتردّ جِماحك، وتكبت تَتَرُّعَك، وتَقْمع تَسَرُّعَك ! فقال طريف : مهلاً ياحار، لا تَعْرِضْ لِطَحْمَةِ استناني، وذَرَبِ سِنَاني، وغرب شبابي، وميسم سِبَابِي، فتكون كالأظلِّ المَوْطُوء، والعَجْبِ المَوجُوء ! فقال الحارث : إيَّاي تخاطب بهذا القول ؟ فواللَّه لو وطِئْتُكَ لأسختك، ولو وهَصْتُكَ لأوهطتك، ولو نفحتك لأقدتك ! فقال طريف متمثّلا :

وإنَّ كلامَ المرءِ في غير كُنْهِهِ لكالنَّبلِ تهوي ليس فيها نِصالُها !

أمَا والأصنامِ المحجوبة، والأنْصابِ المنصوبة، لئن لم تَربَعْ على ظَلْعِكَ، وتَقِفْ عند قَدْرِك، لأدَعَنَّ حَزْنَكَ سَهلا، وغَمْرَك ضَحْلا، وصَفاك وحلا ! فقال الحارث : أمَا واللهِ لورمتَ ذلك لمُرِغتَ بالحضيض، وأغْصصتَ بالجَريض، وضاقت عليك الرِّحاب، وتقطعتْ بك الأسْباب، ولألْفِيتَ لَقىً تهاداه الرَّوامِس، بالسَّهبِ الطَّامِس !

×- بياض بالأصل، والساقط هو :
«... استَلانُوا خُشُونَةَ ...»
نقلا عن أمالي القالي (1 : 72)

فقال طريف : دون ما نـاجَـتْكَ به نفسك مقارعةُ أبطال، وحياضُ أهوال، وحفز إعجال، يمنع معه تطا من الإمهال ! فقال الملك : إيهًا عنكما، فما رأيت كاليوم نـِقَـالَ رجُـلَـيْـنِ لم يَـقْـصِـبَـا ولم يَـثْـلِـبَـا، ولم يَـلْـصُـوَا ولم يَـقْـفُـوَا ! انتهى .

قوله : مَـقَـاول، المَـقاوِل : الملوك دون الملك الأعظم ؛ وكذا الأقيال والأقوال . قال امرؤ القيس :

وماذا عليهِ إن ذكرتُ أوانسًا كغزلانِ رملٍ في محاريبِ أقوالِ ؟

وتشاولا : تضاربا ؛ وعاث السَّيف : أفسد ؛ ونُـزِفَ : سال دمه حتَّى ضعف . والهجين من النَّاس : الذي أبوه عربيّ وأمّه غير عربيَّة ؛ والمُقرِفُ عكسه ؛ والصريح : الخالص الطرفيْـن، والرِّبَـاءُ : الزيادة، والعَـقْـل : الدِّيَـة، وأرهقته : كلَّفته، وفاد : مات . قال لبيد:

رعى خرَزاتِ المُلك عشرين حِجَّةً وعشرينَ حتى فاد والشَّيبُ شاملُ

وفتَّ : أوهى وأضعف، واثَّأرنا : افْـتعلنا، من الثأر، والخطل : الخطأ. والقذْع : الكلام القبيح، والبَـذَجُ : الخَروفُ، فارسيّ معرَّب، وأُنـْطُوا : أُعْطُوا . قال الأعشى :

جيادُك في الصَّيفِ في نعْمةٍ تُصانُ الجلالَ وتُنطَى الشَّعيرا

واجْـتفؤوا : صَرعوا، يقال : جفاه إذا صرعه، والخَشْل ـ مسكَّنا ومحرَّكا ـ شجر المقل، الواحد خَشْلَـة، والقُـلّ : القِـلَّة، والذُّلّ : الذِّلَّة، والنَّزَوَان : الوثوب ؛ والتَّترُّعُ : التسرّع إلى الشرّ، يقال : تترَّع تترُّعًا إذا كان سريعا إلى الشرّ، وطحمة السيل : دفعته، والذَّرَبُ : الحِدَّة، والأظَـلُّ : أسفلُ خفّ البعير، والعَجْبُ : أصل الذَّنَـب ؛ وهصته : كسرته ؛ وأوهطته : صرعته ؛ وتَـرْبَـع : تَـكُـفّ وتَـرفُـق، كما مرَّ، والظَّلْعُ : الغَمز ؛ والضّحل : الماء القليل، والحضيض : القرار الأسفل، والروامس : الرياح، ترمس، أي تدفن . والحفز : الدفع . وقول الملك : يقصِبا، أي يشتُما، والقَصْبُ : القَطْع، ويَـلْـصُـوَا : يقذِفا، يقال : لَـصَا إليه إذا انضمَّ إليه لريبة، ولصا المرأة يلصوها : قذفها، ويقفُـوَا : يرميا بالقبيح، قَـفَـوْتُـه أقفُـوه : رميتُـه بالقبيح أو قذفته .

وذكر الامام الغزالي رحمه اللّـه تعالى في **الاحياء** أنَّ عمرَ بن هُـبَـيْـرة دعا **بفقهاء أهل** البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرَّائها، فجعل يسألهم، وكلَّـم عامراً الشعبي، فجعل لا يسأله عن شيء إلاَّ وجد عنده فيه علما . ثمَّ أقبل على الحسن البصري، فسأله

ثمّ قال : هما هذان : هذا رجل أهل الكوفة ـ يعني الشعبي ـ وهذا رجل أهل البصرة ـ يعني الحسن . فأمر الحاجب، فاخرج النّاس وخلاَ بالشعبي والحسن . فأقبل على الشعبي وقال: يا أبا عمرو، إنّي أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتُليت بالرعيّة ولزمني حقّهم، فأنا أحبّ حفظهم وتعهّد ما يصلحهم من النصيحة لهم. وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أخذ عليهم فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه في بيت المال ومن نيّتي أنّي أردّ عليهم، فيبلغ أمير المؤمنين أنّي قبضته على ذلك من النحو، فيكتب إليّ أن لا تردّه، فلا أستطيع ردّ أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنّما أنا رجل مأمور على الطاعة، فهل عليّ في هذا تبعة وفي أشباهه[13] من الأمور، والنيّة فيها على ما ذكرت ؟ قال الشعبي : فقلت، أصلح اللّه الأمير، إنّما السلطان والد يخطىء ويصيب . قال فسرّ بقولي وأعجب به ورأيت البشر[14] في وجهه، قال : فللّه الحمد ! ثمّ أقبل على الحسن فقال : ما تقول يا أبا سعيد ؟ فقال : قد سمعت قول الأمير يقول إنّه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليه ورجل مأمور على الطاعة ابتُليت بالرعيّة ولزمني حقّهم والنّصيحة لهم والتعهّد لما يصلحهم، وحقّ الرعيّة لازم لك وحقّ عليك أن تحوطهم[15] بالنصيحة . وإنّي سمعت عبد الرحمان بن سمرة [القرشي] صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يقول : من استرعي رعيّة فلم يحفظها بالنصيحة حرم عليه الجنة. وتقول إنّما قبضت من عطاياهم إرادة صلاحهم واستبطالهم[16] وأن يرجعوا إلى طاعتهم، فيبلغ أمير المؤمنين أنّي قبضتها على ذلك النحو فيكتب إليّ ان لا تردّه، فلا أستطيع ردّ أمره ولا استطيع إنفاذ كتابه، وحقّ اللّه ألزم من حقّ أمير المؤمنين، واللّه أحقّ أن تطيع ولا طاعة في معصيَة اللّه . فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب اللّه عزّ وجلّ، فإن وجدته موافقا لكتاب اللّه عزّ وجلّ فانفذه ! يا ابن هبيرة، اتّق اللّه، فإنّه يوشك أن يأتيك رسول من ربّ العالمين يزيلك عن سريرك، ويخرجك عن سعة قصرك إلى مضيق قبرك، فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك، وتقدم على ربّك وتنزل على عملك ! يا ابن هبيرة وإنّ اللّه

---

13) في د : «في هذا تباعة وأتباعه».
14) في ب : الشر.
15) في ب : تخولهم، وسقط فيها لفظ «القرشي» الآتي.
16) في ب : واستطلاهم.

يمنعك من يزيد، وإنّ يزيد لا يمنعك من اللّه، وإنّ أمر اللّه فوق كلّ أمر، وإنّه لا طاعة في معصيـة اللّه[17]، وإنّي أحذّرك بأس اللّه الذي لا يردّه عن القوم المجرمين . فقال ابن هبيرة : ارْبَعْ على ظَلْعِك أيّها الشيخ وأعرِض عن ذكر أمير المؤمنين ! فإنّ أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحلم وصاحب الفضل ؛ وإنّما ولاّه اللّه ولاية أمر هذه الأمّة لعلمه به وما يعلم من فضله ونِيته . قال الحسن : يا ابن هبيرة، الحساب من ورائك سوطًا بسوط، وعصا بعصا، واللّه بالمرصاد. يا ابن هبيرة إنّك أن تلقى مَن ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يغرّك ويمنّيك !

فقام ابن هبيرة وقد بَسَرَ[18] وجهه وتغيّر لونه . قال الشعبي : فقلت : يا أبا سعيد، أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته . قال : إليك عنّي، يا عامر ! قال : فخرجت إلى الحسن الطرف والتحف، وكانت له المنزلة، واستُخِفّ بنا وجُفينا، فكان أهلاً لما أدّى إليه، وكُنّا أهْلاً أن يفعل ذلك بنا . فما رأيت مثل الحسن فيما رأيت من العلماء إلاّ مِثال الفرس العربي بين المقاريف، وما شهدنا مشهدًا إلاّ برز علينا، وقال لِلّهِ عزّ وجلّ وقلنا مقاربة . قال عامر الشعبي : وأنا اعاهد اللّه أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحابيه !

يَرتَعُ وسَطًا ويَربِضُ حَجْرَةً .

الرَّتْعُ معروف، وكذا الوسط . وتقدّم ما فيه من الفرق ؛ والرَّبَضُ - بفتحتَيْن - ما حول المدينة، والجمع أرْبَاض" . قال :

حتّى أقامَ على أرْباضِ خَرشَنَةٍ تشْقى به الرُّومُ والصُّلْبانُ والبيَعُ

والرَّبَضُ أيضا مأوى الغنم . قال العجّاج يصف ثورًا وحشيًّا :

واعْتَاد أرْباضًا لها آرِيُّ[19]

والرَّبَضُ أيضًا كلّ ما يأوي إليه الانسان من أهل ومسكن ونحوه . قال :

جاء الشِّتاءُ ولمّا أتّخِذْ ربضًا يا ويح نفسيَ من حفر القراميصِ !

17) سقط اسم الجلالة من د

18) حرف لفظ «بسر» في د فكتب «سرّ».

19) تمام هذا البيت : «من معدن الصَّيْرانِ عُد مُلِيُّ».

وربَضْتَ الشَّاة - بالفتح - تَربِضُ ربْضًا وربْضَةً ورُبُوضًا، وهو في الشَّاء كالبروك في الابل ؛ والحَجْرَةُ - بالفتح فسكون -: النَّاحية، والجمع حَجْرٌ وحَجَرَات . وأمَّا الحُجْرَةُ - بالضمّ - فحظيرة الابل والغرفة .

وهذا المثل يُضرب في المرء يشاركك عند النعمة والرخاء والفرح، ويجانبك عند البلاء والكربة والاحتياج، تشبيهًا بالشاة تدخل الوسط عند الأكل، وعند الفراغ تعتزل إلى ناحية.

رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ .

الرُّجُوعُ معروف . والخُفُّ - بالضَّمّ -: الذي يُلبس، والجمع خِفَاف؛ وحُنَين - كَزُبَيْر - إسكاف من أهل الحيرة، ساومه أعرابيّ خفَّين حتَّى أحرجه ولم يشترهما . فغضب الاسكاف ورجع بخفَّيْه إلى طريق الأعرابيّ، فوضع أحد الخفَّين على الطريق، ثمَّ مرَّ ساعة فوضع الآخر، وكمَن فجاء الأعرابي حتَّى وقف على الخفّ الأوَّل في الطريق فقال : ما أشبه هذا الخفَّ بخفّ حُنَيْن ! لو كان معه الآخر لأخذتهما . ثمَّ سار حتَّى وجد الآخر، فندم على أن فرَّط في الأوَّل، فأناخ راحلته وأخذ هذا وعقل راحلته ورجع إلى الأوَّل لياخذه، فخرج حنين إلى الراحلة فأخذها وما معها ومضى لوجهه . فجاء الأعرابي بالخفَّين إلى أهله، فإذا قيل له : بِمَ جئت ؟ قال : بخُفَّي حُنَيْن، فضربوه مثلا لمن رجع بالخيبة وآب بالخسران.

وقيل : حنين هو رجل ادَّعى إلى أسد بن هاشم بن عبد مناف، فأتى عبد المطّلب وعليه خُفَّان أحمران، فقال : يا عمّ، أنا ابن أسد بن هاشم بن عبد مناف . فقال عبد المطّلب : لا، وثياب هاشم ! ما أعرف شمائل هاشم فيك، فارجع ! فقالوا : رجَعَ حُنَيْنٌ بِخُفَّيْه، فذهب مثلا .

وقيل هو لصّ كان أُخذ فصُلب . فجاءت أمّه نحوه وعليه خفَّان، فنزعتهما ورجعت، فقيل : رجَعَتْ بخُفَّيْ حُنَيْن، أي رضيت منه بذلك .

رجَعَ بِصَحِيفَةِ المُتَلَمِّسِ .

الصَّحِيفَةُ - بفتح الصَّاد المهملة -: الكتاب، والجمع صَحَائِفُ وصُحُفٌ، على

غير قياس ؛ والمُتَلَمِّسُ : شاعر معروف، وهو جرير بن عبد المسيح . ولُقّب بالمتلمّس لقوله :

وذاكَ أوانُ العِرضِ طنَّ ذُبابُه[20] زنابيرُهُ والأزْرَقُ المتلمِّسُ

وصحيفته : كتاب كتبه له عمرو بن هند يذهب به إلى عامله بالبحرين ليُقتل، وأوهمه أنَّ المكتوب فيها الحِبَاءُ يأخذه من العامل . فضرب المثل بهذه الصحيفة لمن يستصحب هلاكه وهو يظنّه نفعا .

وشرح هذه القصّة أنَّ طرفة بن العبد، الشّاعر المشهور البكري الوائلي، هجا عمرو بن هِنْدٍ مضرط الحجارة المتقدّمَ ذِكْرُه بقوله :

فَلَيْتَ لنا مكانَ المَلْكِ عمرٍو[21] رغُوثًا حول قُبَّتنا تخورُ
من الزَّمِرات أسْبل قادِماهَا وضرَّتُها مُرَكَّنةٌ دَرورُ
يُشاركُنا لها رخِلانِ فيها وتعْلوها الكِباشُ فَما تنُورُ
لعَمرُك إنَّ قابوس بنَ هِنْدٍ ليخْلِطُ مُلكَه نَوْكٌ كثيرُ
قسمْتَ الدَّهْرَ في زمَنٍ رخِيٍّ كذاكَ الدَّهْرُ يقْصِدُ أو يجورُ[22]
لنا يومٌ وللكَروانِ يومٌ تطيرُ المائِساتُ وما نَطِيرُ[23]
فأمَّا يومُنا فنظلُّ ركْبًا وقوفًا ما نحُلُّ وما نسيرُ
وأمَّا يومُهُنَّ فيومُ سُوءٍ يُطاردُهُنَّ بالحَدَبِ الصُّقُورُ[24]

وتقدّم بعض هذه الأبيات . وقوله : قَسَمْتَ الدَّهْرَ، إلخ... إشارة إلى ما يُحكى أنَّ عمرو بن هند كان دأبه أنَّه يصطادُ يومًا ويومًا يقف النَّاس ببابه : فإن اشتهى حديث رجل منهم أذن له . فلبث على ذلك دهره . وكان لطرفة أخت تزوَّجها عبد عمرو، وعبد عمرو هذا كان أقرب النَّاس إلى عمرو بن هِنْدٍ منزلةً . فجاءت أخت طرفة يوما تشكو زوجها هذا، فهجاه طرفة بقوله :

يا عجبا[25] من عبد عمْرٍو وبغْيِه لقد رامَ ظُلْمي عبد عمْرٍو فأنْعما

20) في الحماسة (1 : 269) «....حيٌّ ذُبابُه».
21) سقطت الفاء من «فليت....» في مخطوطات زهر الأكم، والتصحيح من كتاب مُختار الشعر الجاهلي.
22) في مختار الشعر الجاهلي : «كذاك الحكم...».
23) في مختار الشعر الجاهلي : «تطير البائسات...».
24) في المصدر السابق : «...فيوم نحس».
25) كذا في جميع النسخ، وهو لا يستقيم وزنًا، ولعل الأصل : فياعجبًا....

ولا خير فيه غير أن قيلَ واجد"[26] وأنَّ له كشْحًا إذا قام أهْضَما
وأنَّ نساءَ الحيِّ يركُضْنَ حولَه[27] يقُلْن : عسيبٌ من سَرارةِ ملْهما
له شربتانِ بالنَّهارِ وأرْبَعٌ من اللَّيلِ حتَّى آضَ سُخْدًا مُورَّما
ويشربُ حتَّى يغْمُرَ المحْضُ قلبَه وإن أُعْطَه أتْرُكْ لقلبي مجْثما
كأنَّ السِّلاح فوقَ شُعْبةِ بانةٍ ترى نَفَخًا ورد الأسرَّةِ أصْحما[28]

وكان عبد عمرو أجمل أهل زمانه جسمًا وكشحا، ولذلك وصفه بالكشح الأهضم، أي الضامر؛ والعَسِيبُ : عَسِيبُ النَّخل . ومَلْهَمُ : موضع باليمن ذو نخل، وسَرارَتُه أكرم موضع فيه، وكذا سَرارَةُ كلّ واد . والسُّخْدُ : الورم، وقيل السِّلاَ، شبَّه جسده في نعمته ورجرجته بالورم أو السِّلا المنتفخ ؛ والنَّفَخُ : انتفاخ البطن، وقوله : ورْدَ الأسِرَّةِ، أي أسرَّته موردة بالطيب والزعفران حتَّى صار أصْحَمَ، وهو الأحمر المائل إلى السَّواد . وهذا كلّه من أوصاف النساء، لا الرجال، وهو هجو خبيث . ثمَّ إنَّ عمرو بن هند خرج يوما الى الصيد ومعه عبد عمرو، فرمى عمرو حمارًا فعقره، فقال لعبد عمرو : انزل فاذبحه ! فنزل وعالجه فأعياه الحمار وضحك منه عمرو بن هند وقال : لقد أبصرك طرفة حين قال : ولاَ خَيْرَ فِيهِ... (البيت) . فيُروى أنَّه لمَّا قال له ذلك، قال عبد عمرو : أبيت اللعن ! ما قال لك أشدّ ممَّا قال لي . قال : وما قال ؟ فأنشده الأبيات السابقة . فغضب عمرو وقال : قد بلغ من أمره أن يقول ! فأرسل إليه ليكتب له إلى رجل من عبد القيس بالبحرين، وهو المعلّى، وكان عامله عليها، ليقتله . فقال بعض جلسائه : إنَّه حليف المتلمّس، فإن أوقعت بطرفة هجاك المتلمّس . فأرسل عمرو إلى طرفة والمتلمّس معًا، فأتياه، وهو بالبقَّة، قريبا من الحيرة، فكتب إلى عامله بالبحرين ليقتلهما، وأخفى ذلك عنهما وأظهر لهما كتابا بجائزتهما . فأقبلا حتَّى نزلا الحيرة، فقال المتلمّس [لطرفة] : تعلم واللَّه أنَّ ارتياح عمرو لي ولك لأمر مريب، وأنَّ انطلاقي بصحيفة لا أدري ما فيها لَغرور . فقال طرفة : إنَّك لمسيء الظنّ . وما تخشى من صحيفة إن كان فيها الذي وُعدناه، وإلاَّ رجعنا [إليه][29]، فأبى المتلمّس، وأبى طرفة أن يجيبه، ففضَّ المتلمّس خاتم صحيفته

26) في مختار الشعر الجاهلي : «... غير أن له غنى».
27) في المصدر السابق : «يظل نساء الحي يعكفن حوله».
28) في المصدر السابق : أسحما
29) سقط من د.

وقام إلى غلام من أهل الحيرة يستقي فدفعها إليه، فقرأها الغلام فقال : أنت المتلمّس ؟ قال : نعم ! قال : النجاء ! النجاء ! قد أمر بقتلك . فجاء بالصحيفة حتّى قذفها في نهر الحيرة، ثمّ قال :

القيتها بالثنى من جنب كافر ... كَذلكَ أقْنو كُلّ قطّ مُضلّلِ
رضيتُ لها بالماءِ لمّا رأيْتُها ... يجورُ بها التّيّارُ في كلّ جَدولِ

وقيل إنهما مرّا في طريقهما ذلك على رجل يتغدّى وهو يقضي حاجة الانسان ويفلي ثوبه . فقال المتلمّس : ما رأيتُ أحمق من هذا . فقال : وما رأيت من حمقي ؟ إنّما آكل غذائي وأخرج دائي وأقتل أعدائي . وهل الأحمق إلاّ من يحمل حتفه على كتفه ؟ أو كلامًا نحو هذا . فحينئذ استراب المتلمّس أمر الصحيفة فاستقرأها كما مرّ، ثم قال لطرفة : تعلم أن في كتابك مثل ما في كتابي ؟ فقال طرفة : لئن اجترأ عليك، ما كان ليقدم عليّ . فلمّا أعياه طرفة وأبى أن يطيعه، خرج المتلمّس من فوره ذلك إلى الشام هاربا وقال :

من مُبْلِغُ الشُّعَراءِ عن إخوانِهِم ... نَبَأً فتصدقهم بذاكَ الأنْفُسُ
أوْدى الّذي علقَ الصّحيفة منهُما ... ونَجَا حَذارَ حياتِهِ المُتَلَمّسُ
ولقَدْ نَصَحْتُ له فردّ نصيحتي ... وجَرتْ له بعْد السّعادةِ أنْحُسُ

وفي ذلك قيل :

ألْقى الصّحيفةَ كَيْ يُخفّفَ رحْلَه ... والزّادَ حتّى نعْلَهُ ألْقاهَا

وخرج طرفة حتّى أتى صاحب البحرين بكتابه، فدفعه إليه، فقال صاحب البحرين : إنّي رجل في حسب، وبيني وبين أهلك إخاء قديم، فاهرب إذا خرجت من عندي، فقد أُمرت بقتلك ! فإنّ كتابك إن قرىء لم أجد بدّا من قتلك ! فأبى وظنّ أنّه لا يجترىء على قتله . فحبسه حتّى قتله . وفيه يقول طرفة، يخاطب العامل :

أبا مُنْذرٍ كانَت غُرورًا صحيفَتي ... ولم أُعطِكُم في الطّوعِ مالي ولا عِرضي
أبا مُنْذرٍ أفْنيْتَ فاسْتبْقِ بعْضنا ... حنانيْك بعضُ الشّرّ أهْون من بعض !

رجَعَ فُلانٌ إلى قَرْواهُ .

رُوِي : القَرَوَى ـ بألف مقصورة ـ. يقال : رجَعَ فُلانٌ على قَرواهُ، أي رجع إلى خُلُق

كان يعتاده . يُضرب في عادة السوء يتركها صاحبها ثمّ يرجع إليها . والمعروف في اللغة: القَرْوَاءُ - بالمدّ -، وهو العادة .

ويُروى هذا حديثا : **لا تَرْجِعُ هَذِهِ الأُمَّةُ على قَرْوائِهَا**، أي على أمرها الأوّل، واللّه أعلم .

رَزَمَةٌ ولا ذَرَّةَ فِيهَا .

الرَّزَمَةُ - بفتحتيْن - صوت النَّاقة عندما تَرْأمُ ولدَها تخرجه من حَلقها ولا تفتح به فاها ؛ والدَّرَّةُ فعلة من دَرَّتِ الناقةُ باللَّبن تَدِرُّ .

يضرب هذا المثل لمن يعِد ولا يفي، كالنَّاقة تُرْزِمُ وتحِنُّ ولا تَدِرّ ولا خير في ذلك، ورَزَمَةٌ خبر مبتدإ يقدَّر بحسب المقام

الرَّشْفُ أنْقَعُ .

الرَّشْفُ : المَصُّ . يقال : رَشَفَ الماءَ يرشُفُه كَنَصَرَ يَنْصُرُ، ورَشِفَ يَرْشَفُ - كَسَمِعَ يَسْمَعُ - رَشْفًا وارتشفه وترشَّفه إذا مَصَّه، ونَقَعَ الرجل بالشراب يَنْقَعُ - بالفتح فيهما : اشتفى به، وأنْقَعَهُ الماءُ : أرْوَاهُ . والمعنى أنَّ امتصاص الماء وترشّفه شيئا فشيئا هو أنقع للنفس وأقطع للعطش، ولذلك **أمر النبي صلَّى اللّه عليه وسلَّم بالمصّ وقال إنَّه أَهْنَى وأَمْرَى، ونَهَى عن الْعَبِّ** .

فيضرب في ترك العجلة في الأمر .

ارْضَ مِن المَرْكَبِ بالتَّعْلِيقِ !

الرِّضَى ضدّ السخط، رَضِيَ - بالكسر - يَرْضَى . والمَرْكَبُ هنا إمَّا أن يُراد به الركوب، ومِن لِلْبدل، كقوله :

لو أنَّ لي بهِمُ قومًا إذا ركبوا شنُّوا الاغارةَ فُرسانًا ورُكْبانا

والمعنى : ارضَ بدلَ ركوبك بأن تعلق أمتعتك . وإمَّا أن يراد به المركوب، ومِنْ

عَلَى بَابِهَا، أي : ارضَ من هذا المركوب بأن تعلق أمتعتك عليك[30]، أو بأن تتعلّق به في عقبتك ونوبتك . فيضرب عند الأمر بالقناعة بإدراك اليسير من الحاجة والرضى بصغير الأمر دون عظيمه .

مَرْعًى ولاَ أكُولَة .

المَرْعَى : مَفْعَل من الرَّعْي، يقال : رَعَتِ الماشية - بالفتح - رعيًا ومَرْعًى . ويُطلق المرعى أيضا على المكان وعلى النّبات المرعيّ ؛ وهو الرِّعْيُ أيضا - بكسر الراء - قال زهير :

تربَّعَ بالقَنَانِ وكُلُّ فَجٍّ طَبَاهُ الرِّعْيُ منْه والخَلاءُ

أي دعاه إليه ما فيه من الرعي، أي الكلأ والخلوة . والأكل معروف، وهو أكُول، وهي أكُولة. فان علم الموصوف من الكلام كان القياس حذف الهاء، كغيره من نظائره .

والمعنى أنّ هذا مرعى أي نبات كثير ولم توجد ماشية ترعاه، أو مكان ذو رعي ولا راعية له . يُضرب في المال الكثير يجده الرجل ولم يجد من ينفقه عليه .

وقال الشاعر في معنى المثل الأصلي :

أمْرَعَتِ الأرضُ لَوْ أنَّ مَالاَ لَوْ أنَّ نُوقًا لَكَ أو جِمَالاَ

أو ثَلَّةً من غَنَمٍ إمَّالاَ

أي : إن كنت لا تجد غيرها .

ومن اللّطائف في هذا ما أنشده أبو علي البغدادي من قول الشّاعر :

فجُنِّبْتَ الجُيوشَ أبا زُنَيْبٍ وجاد على مَسارحِكَ السَّحَابُ

فإنّ البيت يحتمل أن يريد فيه الدعاء للمذكور، على ما يبدو في بادىء الرأي، بأن يُرزق العافية والأمن والخصب والدّعة ؛ ويحتمل أن يريد به الدعاء عليه بأن يفتقر ويُسلب المال، حتّى لا يكون له شيء تقصده الجيوش عليه وتتوجّه بسببه الغارات إليه، ويخصب مع ذلك ما حواليه حتّى يكثر أسفه وحزنه إذ لا راعية له . وهذا الوجه هو الأصحّ، وهو من أحسن معاريض البلغاء .

30) كذا في كل المخطوطات، ولعل الصواب : بأن تعلق أمتعتك عليه.

مَرْعَى ولا كَالسَّعْدَانِ .

المَرْعَى تَقَدَّم : والسَّعْدانُ - بوزن سَكْران - : نبت شديد الشوك.

وفي الحديث، في وصف جهنَّم، أعاذنا اللَّه منها، : **إنَّ فيها كَلاليبَ مثْلَ شَوكِ السَّعْدَانِ** .

وقيل لرجل من أهل البادية خرج عنها : أترجع إلى البادية ؟ فقال : أمَّا ما دام شوك السعدان مستلقيا فلا ! يعني : لا أرجع إليها أبدا، لأنَّ شوك السعدان لا يفارقها .

ويُحكى عن عبد الرحمن بن عوف، رضي اللَّه عنه، وذكره أبو العبَّاس المبرِّد، أنَّه قال : دخلت على أبي بكر، رضي اللَّه عنه، في علَّته التي مات منها، فقلت : إنِّي أراك بارئا يا خليفة رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ! [فقال][31] : أما إنِّي على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم، يا معشر المهاجرين، أشد عليَّ من وجعي . إنِّي ولِّيت أموركم خيرَكم في نفسي، فكلّكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه، واللَّه لتتَّخذنَّ نضائد الديباج وستور الحرير، ولتألمُنَّ النوم على الصوف الأذْرَبِيِّ كما يألم أحدكم النَّوم على حَسَكِ السعدان ! والذي نفسي بيده، لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حقّ خير له من أن يخوض في غمرات الدنيا ! يا هادي الطريق جرتَ، إنَّما هو اللَّهِ الفجرُ أو البحرُ ! فقلت: خفّض عليك، يا خليفة رسول اللَّه، فإنَّ هذا يهيضك إلى مابك . فواللَّه ما زلت صالحا مصلحا، لا تأسى على شيء فاتك من الدنيا، ولقد تخلَّيت بالأمر وحدك فما رأيت إلاَّ خيرا !

قوله : نضائد الديباج هو الوسائد، جمع نضيدة أي المنضودة، المجموع بعضها إلى بعض . قال الراجز :

وقرَّبَتْ خُدَّامُها الوسَائِدا حتَّى إذا ما علَوْا النَّضائِدا

سَبَّحْتُ ربِّي قائِمًا وقَاعِدَا

والصوف الأذربي منسوب إلى أذربيجان ؛ وقوله : إنَّما هو الفجر أو البحر، يريد : إن تربصت حتَّى يضيء لك الفجر الطريق عرفت قصدك، وإن خبطت الظلماء وركبت متن عشواء ضللت . وضرب ذلك مثلا للدنيا وتحييرها أربابها .

---

31) ساقط من ب.

ويذكر في بعض الأخبار أنّه يؤمر بالكافر يوم القيامة فيُسحب على حسك السعدان .
وهذا النبت من أفضل مراعي الابل، يسمنها ويغذيها غذاء حسنًا . قال النّابغة :

الواهبُ المائَةَ الأبْكار زيّنها سعدانُ توضِحَ في أوبارها اللّبَد

ولذلك ضربت به العرب المثل .
وقال أبو علي البصير يمدح عبيد اللّه بن خاقان وآله :

يَا وُزَرَاءَ السُّلْطَانْ أنْتُمُ وآلُ خَاقَانْ
كَبَعْضِ مَا رَوَيْنَا فِي سَالِفَاتِ الأزْمَانْ :
مَاءٌ ولاَ كَصَدًى مَرْعًى ولاَ كَالسَّعْدَانْ

وهذان مثلان :
ومثلهما قولهم :

فَتًى ولاَ كَمَالِكٍ .

وهي كلُّها تضرب في الشيء يكون الفضل، وغيره أفضل منه . وسيأتي بقيّتها، إن شاء اللّه تعالى .
قيل :وأوّل من قال : مَرْعًى ولاَ كَالسَّعْدانِ، امرأة من طيّء تزوّجها امرؤ القيس بن حجر الكندي، وكان امرؤ القيس مفركا . فقال لها يوما : أين أنا من زوجك الأوّل ؟ فقالت : مَرْعًى ولاَ كَالسَّعْدَانِ ! وكانت هذه المرأة تزوجّها قبل ذلك رجل آخر، ففضّلته على امرىء القيس . قيل : وهذا الرجل هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد، وهو الذي يقال له ذو الجدّين، لأنّه كان له جدّ عند الملوك وجدّ في الحروب . وقيل لأنّه أسر أسريْن شريفيْن كان لهما فداء كثير، ولم يُؤسر أحد في زمانه أشرف منهما ولا أكثر فداء، فسميّ ذا الجدّين . وإيّاه يعني الحماسي بقوله :

أيابْنَةَ عبدِ اللّه وابْنَةَ مالكٍ ويابْنَةَ ذي الجدّيْن والفَرسِ الورْد
إذا ما صَنَعْتِ الزّاد فالتمِسي له أكِيلاً فإنّي لستُ آكِلَه وحْدي !

رَعَى فَأقْصَبَ .

الرّعْيُ تقدّم ؛ والقَصْبُ : القَطْعُ، ومنه قيل للجزّار قَصّابٌ، لأنّه يقطع

اللَّحم . وتقول : قصبت البعير وغيره إذا قطعت عليه شربه قبل أن يروى ؛ وقَصْب البعيرِ أيضا شُربُه إذا امتنع منه قبل أن يروى، فهو بعير قَاصِب . قال الراجز :

وهُنَّ مثلُ القَاصباتِ القُمَّحِ

وأقْصَبَ الرجل إذا فعلت إبلُه ذلك، فيقال : رَعَى فَأقْصَبَ، مثلا للراعي المسيء الرَّعْي، وذلك أنَّه إذا أساء رعيها، فخلت أجوافها من الكلإ، امتنعت من الشرب إذ لا تشرب على جوع، فكان امتناعها من الماء كناية عن تجويعه إيَّاها .

الرُّغْبُ شُؤْمٌ والرِّفْقُ يُمْنٌ .

تقدَّم معنى هذا المثل عند الكلام على ضدّه، وهو قولهم :

الخُرْقُ شُؤمٌ .

وتقدَّم ذلك في الحديث .

ارْقَ على ظَلْعِكَ !

يقال : ارْقِ - بفتح القاف، وكسرها، وبالهمز . أمَّا على الأوَّل فمن الرُّقِيّ، وهو الصعود .

والمعنى : تكلَّف ما تطيق، لأنَّ الراقي في السُّلَّم إذا كان يَظْلَع يَرْفُق بنفسه . ويقال عند أمر الانسان أن يبصر ما فيه من العيب والنقص، ولا يتجاوز الحدَّ في وعيده، ويتخطَّى المقدار في تهديده .

وأمَّا على الثاني فهو من الرُّقْيَة، وكأنَّك تقول له : لا ظَلْعَ بي أنا أُداويه وأَرقيه، ولكن ارْقِ أنت ما فيك من الظَّلْع ! وأمَّا على الثالث فمن الرُّقُوءِ . يقال : رَقَأ الدَّمع يَرْقَأُ إذا سكن، ورَقَأ بين القوم : أصْلَحَ .

فيحتمل أن يكون من الأوَّل، أي : ارفُقْ بنفسك واعمل على ما فيك من ضعف ! أو من الثاني، أي : أصلِح ما فيك من العيب أوَّلا !

ارْقَ على ظَلْعِكَ أن يُهَاضَ !

هذا كالذي قبله ؛ والهَيْضُ أن يكون العظم قد جُبر من كَسْر، ثمَّ يُكْسَر ثانيًا . قال امرؤ القيس :

ويَهْدأُ تاراتٍ سَناهُ وتارةً ينُوءُ كتعْتَابِ الكَسِيرِ المَهِيضِ

وقال الآخر :

ومولًى كمولى الزُّبْر قان دمَلْته كما دمَلَت ساقٌ تهاضُ بها وقرُ[32]

يَرقُمُ المَاءَ .

الرَّقْمُ : الكَتْبُ . فيُضرب في الاستقامة والحذق . ويقال : فلان يرقم الماء، أي إذا بلغ من حذقه أنَّه يرقم حيث لا يثبت الرقم . قال أوْس بن حجر :

سَأَرْقُمُ في الماء القَراحِ إليكُم عَلى نَأيِكُمْ إن كان للماءِ راقمُ

وقد يقال : يرقُمُ على الماءِ لإرادة أنَّه لا يثبت من عمله على شيء .

رِقَّةٌ يُنْتِجُهَا ذَنْب، خَيرٌ من حَسَنَةٍ يَتْبَعُهَا عُجْب .

هذا، فيما أظنّ، مثل مصنوع، وهو نحو قول الشيخ تاج الدين ابن عطاءاللّه في حكمه: معصيَةٌ أورثتك ذلًّا وانكسارًا، خيرٌ من طاعةٍ أورثتْكَ عِزًّا واستكبارا . وليس هدا محلَّ تقرير هذا المعنى .

رَكِبَ جَنَاحَيِ النَّعَامَةِ .

الرُّكُوبُ معروف، رَكِب - بالكسر -، رُكُوبًا، الجَنَاحُ للطَّائر معروف . والنَّعَامَةُ تقدَّم ما فيها . وهذا المثل يقال لمن جدَّ في أمر، كانهزام أو غيره . قال الشَّمَّاخ :

فمن يسْعَ أو يركَبْ جناحيْ نعامةٍ ليُدْرِكَ ما قدَّمْتَ بالأمسِ يُسبَق

32) البيت لابن الطّيفان الدارمي، ويروى أيضًا هكذا :
ومَولًى كمولَى الزبرقان دمَلْتُه كَما انْدملت ساقٌ يُهاضُ بها الكَسْرُ

وهذا الشعر مرثيّ به عمر بن الخطّاب، رضي اللّه عنه، في أبيات معروفة .

رَكِبَ ذَنَبَ البَعِيرِ .

ذَنَبُ كلّ شيء - بفتحتيْن -: مؤخّره، والجمع أذْنَابٌ، والبَعِيرُ معروف، وتقدّم ذكر مرتبته في أسنان الابل .

ويُقال هذا المثل للانسان يرضَى بالهُونِ ويقنع بالحظّ الناقص، كالذي لم يجد مستقرًّا على ظهر البعير، وإنّما ارتدف على الذنب . وقول النّابغة :

فإن يهْلِك أبو قابوسَ يهْلِكْ ربيعُ النّاس والشّهْرُ الحرامُ
ونأخُذ بعْدهُ بذنابِ عيشٍ أجَبَّ الظّهْر ليس له سَنامُ

يحتمل أي يريد أنّه تعلّق بعيش صفته ما ذكر، ويحتمل أن يريد مع ذلك أنّه ما تمسّك منه إلاّ بالذنب، فيكون من هذا النّمَط

رَكِبَ ذَنَبَ الرِّيحِ .

يقال للذي يَسْبِقُ فلا يُدْرَكُ .

رَكِبَ مَتْنَ عَشْواءَ .

العَشْواءُ : الضّعيفة البصر، وهي مؤنّث الأعْشَى . ومن ركب متنها خبط وخلط . وتقدّم هذا في قولهم : خَبَطَ خَبْطَ عَشْواءَ .

رمَتْنِي بِدائِهَا وانْسَلَّتْ .

كان سعد بن زيد مَنَاة بن تميم تزوّج رُهْمَ بنتَ الخزرج بن تيم اللّه بن رفيدة بن كلب بن وبرة . وكانت من أجمل النساء، فولدت له مالك بن سعد . وكان ضرائرها إذا سَابَبْنَها يَقُلْنَ لها : يا عفلاء ! فشكت ذلك إلى أمّها، فقالت : **ابْدَئِيهِنَّ بعَفْلِكَ إذَا سَبَبْتِ[33]، فأرسلتها مثلا . ثمّ إنّها سابَّتْها واحدةٌ من ضرائرها**

33) المشهور في هذا المثل : إذا سَابَبْنَكِ فابْدئِيهِنَّ بعَفَالِ، سُبِيتِ».

يومًا بعد ذلك، فقالت لها رهم : يا عفلاء ! كما وصَّتها أمّها . فقالت الضرَّة حينئذ : رَمَتْني بِدَائِهَا وانْسَلَّتْ ! فذهب مثلا يُضرب في تعييرك صاحبك بعيب هو فيك .

ونحو هذا قول العامَّة اليوم : قُولي لَهَا قَبْلَ أن تَقُولَ لَكِ !

وكان أصله ـ فيما زعموا ـ أنَّ امرأة عوراء سابَّتِ امرأة فقامت بُنيَّة للعوراء فقالت لأمّها : يا أمّ، قولي لها : يا عوراء، قبل أن تقوله لك !

وكان يقال لبني مالك بن سعد بنو العفلاء[34]، وبهم عرَّض المنقري في قوله :

ما في الدَّوائِرِ من رجْليَّ من عَتَلٍ عند الرِّهانِ ولا أكْوى من العَفَلِ !

رَمَاهُ اللَّهُ بِدَاءِ الذِّيبِ .

دَاءُ الذِّيبِ هو الجُوع، والذيب أصبر السباع على الجوع .

رمَاهُ اللَّهُ بِأفْعَى حَارِيَةٍ !

الأفْعَى معروفة . والحَارِيَةُ : النَّاقصة . تقول : حَرَى الشيء يَحْرِي حَرْيًا : نقص، وأحْراه الزمانُ، والحارية : الأفعى التي نقص جسمها من الكبر، فلم يبق إلاّ رأسها ونفسها وسمّها، وذلك أخبث ما تكون، فدُعي بها .

رعَاهُ بِأقْحَافِ رأسِهِ .

الأقْحَافُ جمع قِحْف ـ بكسر القاف وسكون الحاء المهملة ـ وهو العظم فوق الدماغ . ويقال هو ما انفلق من الجمجمة فبان، ولا يقال لجميع الجمجمة قِحْفٌ إلاّ أن يتكسَّر، فيقال للمتكسّر قِحْفٌ إذا بان . والجمع أقْحافٌ وقُحُوفٌ . والمعنى : رماه بالدَّواهي المهلكة . يقال للرجل تُسكتُه بداهية توردها عليه .

وقيل المعنى : رماه بنفسه ونطحه عمَّا يحاوله .

فعلى الأوَّل يكون المعنى أنَّه لما رماه بالدواهي فكأنَّه رماه بأفلاق رأسه، إذ رماه بما

34) ويقال لهم أيضًا العُفَيْلَى.

يؤول إلى ذلك . ويكون الضمير المضاف إليه رأسه للمرميّ . فتقول مثلا : رميت زيدًا بأفلاق رأسه .

وعلى الثّاني يكون المعنى أنّه باشر دفاعه بنفسه، فشبّه نفسه بالكبش النطّاح برأسه، والتعبير بالأقحاف حينئذ للمبالغة بأنّ كلّ جزء باشر النطح . والضمير يكون على هذا للرّامي، فتقول : رميت زيدا بأقحاف رأسي، واللّه أعلم .

ومثله قولهم :

رَمَاهُ بِثَالِثَةِ الأَثَافِيّ .

قال خفاف بن ندبة :

وإنّ قصيدَةً شَنْعاءَ منّي إذا حضرتْ كثالِثَةِ الأثَافِي

أرْمَى من ابْنِ تِقْنِ .

ابنُ تِقْنِ - بكسر التّاء المثنّاة وسكون القاف بعدها نون - رجل كان جيّد الرّمي يضرب به المثل . قال الرّاجز :

يَرمي بِها أرْمَى من ابْنِ تقْنِ

وابن تِقْن هذا هو عمرو بن تِقْن الذي قيل فيه : لاَ فَتًى إلاّ عَمْرو ! وسيأتي إن شاء اللّه في موضعه مشروحًا .

ووقع في **الصحاح والقاموس** أنّ التّقن هو رجل كان راميًا جيّد الرمي وكأنّه مسامحة . ثمّ رأيت للشّنتمريّ، في شرح قول الحماسي :

أهْلَكَ عادًا وقَبْلَهُ أهْلَكَ طَسْمًا وذا جُدُونِ
وأهْلَ جاشٍ ومَأرِبٍ وحَيَّ لُقْمانَ والتُّقُونِ

قال : التُّقُونُ جمع تِقْن، وهو رجل من عاد، وفيه قيل : أرْمَى مِنِ ابْنِ تِقْنِ .

الأرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ .

هذا يُروى حديثا عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم أنّه قال : **الأرواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدةٌ، فما تَعَارفَ منْها ائْتَلَفَ** ومَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ .

وهذا إخبار بأنَّ بين الأرواح تارة تناسبا باطنيًّا يوجب الالتئام والتوافق، وتارة تباينا يوجب الوحشة والاختلاف بإذن اللّه تعالى، وهو مشاهَد مجرَّب . ومن ثمَّ قال أبو الطيّب :

أُصادق نفسَ المرءِ من قبل جسْمِه ... وأعْرِفُها في فعْلِه والتَّكلُّم

وقال [الآخر] :

وقائلٍ لي : لم تفارَقْتُما ؟ ... فقُلتُ قولاً فيه إنْصافُ :
لم يكُ من شَكْلي ففَارقْتُهُ ... والنَّاسُ أشْكَالٌ وألاَّفُ

وقال طرفة في أبيات :

وأنت امرؤٌ منَّا ولستَ بخَيْرنا ... جوادٌ على الأقْصى وأنتَ بخيلُ
وأنت على الأدْنى شمالٌ عريَّةٌ ... شآمِيَةٌ تزْوي الوجوهَ بليلُ
وأنت على الأقْصى صبا غيرُ قرَّةٍ ... تَذاءبَ منها ومُرْزِمٌ ومَسيلُ
وأعْلمُ علمًا ليس بالظَّنِّ أنَّه ... إذا ذلَّ مولى المرءِ فهْو ذليلُ
وأنَّ لسانَ المرءِ ما لم تكُن لهُ ... حصاةٌ على عوْراتِه لَدليلُ
وأنَّ امرءًا لم يعْفُ يومًا فُكاهةً ... لِمَن لم يُردْ سُوءًا بها لجهولُ
تعارفُ أرواحُ الرِّجال إذا التقتْ: ... فمنْهُم عدوٌّ يُتَّقى وخَليلُ

وقال المجنون :

تعلَّق روحي روحَها قبل خلْقنا ... ومن بعدما كُنَّا نطافًا وفي المهْدِ

وقال ابن الرومي :

ذو الودِّ منِّي وذو القُربى بمنزلةٍ ... وإخْوتي أُسْوةٌ عندي لخِلاَّنِ
أحبَّةٌ جاورَت آدابُهُم أدبي ... فهُم وإن فُرِّقوا في الأرض جيراني
أرواحُنا في مكانٍ واحدٍ وغَدتْ ... أجْسامُنا بعِراقٍ أو خُراسانِ

والشعر في هذا المعنى لا يُحصى . ومثله المثل الآتي :

وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَه .
اسْتَراحَ مَن لا عَقْلَ لَهُ .

الاسْتِراحَةُ ضدّ التَّعَب . تقول : أرَحْتُ الرَّجلَ فاسْتَراحَ ؛ وإنَّما استراح الذي

لا عقل له، لأنَّ النفس إذا خليت أخلدت إلى الشهوات الحاضرة ولا تُبالي بِعَزمَةٍ، ولا تستنكف عن مَنْقَصة كالبهيمة، والعقل ينزع بها إلى طلب الكمال والتحلّي بالحمد والتخلّي عمَّا يذمّ . وفي ذلك إتعابها لجسمها عن مألوفها المسترذل، واقتحام الأخطار بها لاكتساب الثناء والفضل، وإطالة الهموم والأفكار عليها نظرًا في عواقب الأمور، واحترازا عمَّا يشين ويضير . ولذلك قال الحماسي[35].

يَا بُؤْسَ للحَربِ الَّتِي وضَعَتْ أراهِطَ فاسْتَراحُوا !

وقال الآخر :

وقائِلةٍ : لِمْ عَرتْكَ الهُمومُ وأمْرُك مُمتثلٌ في الأمَمِ ؟
فقُلتُ : ذريني على حالَتي فإنَّ الهُمومَ بقَدْرِ الهِمَمِ !

وسمع الأحنف رجلا يقول : ما أُبالي أمُدحت أم هُجيت ! فقال : استرحتَ من حيث تعب الكِرام !

وممَّا ورد في العقل وفضله أنَّ آدم، لمَّا أُهبط إلى الأرض، خُيِّر في ثلاث : الحياء والدين والعقل . فاختار العقل فقال : الحياء والدين أمَرَانَا أنْ لا نُفارق العقل.

وورد عن النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم أنَّه قال : **ثَلاثٌ مَن حُرِمَهُنَّ فَقَدْ حُرِمَ خَيْرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ : عَقْلٌ يُدَارِي بِهِ النَّاسَ، وحِلْمٌ يُدارِي بِهِ السَّفِيه، وَوَرَعٌ يَحْجِزُهُ عَنِ المَحَارِمِ.**

وفي حكمة داوود عليه السَّلام : على العاقل أن يكون عارفًا بزمانه، مالكًا للسانه، مقبلا على شانه.

وقال علي رضي اللَّه عنه : لا مالَ أعْوَدُ من العقل، ولا فقرَ أشدُّ من الجهل، ولا وحدةَ أوحشُ من الجهل، ولا مُظَاهِرَ أحسنُ من المشاورة، ولا حسبَ كحُسنِ الخُلُق.

وقال مُطَرِّف بن الشخير : عقول النَّاس على قدر أزمانهم.

ويقال : ثلاثة تدلّ على عقول أهلها : الكتاب والرَّسول والهدية.

وذكر المغيرة يوما عمر فقال : كان واللَّه أفضلَ من أن يَخْدَعَ، وأعقل من أن يُخْدَعَ.

35) هو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جد طرفة بن العبد. وهذا البيت مطلع قصيدة قالها سعد في حرب البسوس الشهيرة.

وفي كتاب **كليلة ودمنة** : رأس العقل التمييزُ بين الكائن والممتنع.

وقال الحجّاج يوما : العاقل من يعرف عيبه . فقال له عبد الملك بن مروان : فما عيبك يا حجّاج ؟ قال : حسود حقود . فقال عبد الملك : ما في إبليس شرّ من هاتيْن !

ويقال : لا دين لمن لا عقل له.

وقال علي رضي اللّه عنه : لا تؤاخ الأحمق ولا الفاجر . أمّا الأحمق فدُخُولُه عليك وخروجه من عندك شين، وأمّا الفاجر فيزيّن لك فعله ويودّ أن تكون مثله.

وقال أيّوب بن القربة : العاقل إن نطق أصاب، وإن سئل أجاب ؛ والأحمق إن تكلّم عجِل، وإن سُئل ذهِل . والفاجر إن ائتمنته خانك، وإن صحبته شَانَك.

وقال عمر بن عبد العزيز : لا يعدم الأحمق خصلتيْن : كثرة الالتفات وسرعة الجواب.

وقال الحسن : هَجْرُ الأحمق قُربة . وقال : لا يتمّ دين امرىء حتّى يتمّ عقله.

وفي الحكمة : ينبغي للعاقل أن يتمسّك بستّ خصال : أن يحوط دينه، ويصون عِرضه، ويصل رحِمه، ويحفظ جارَه، ويرعى إخوانه، ويخزُن عن البَذاء لسانَه . ويقال : الفقر بالعقل، والرزق بالجهل.

وحُكي أنّه قيل لعيسى عليه السّلام : ياروح اللّه، تُبرِ ءُ الأكمه والأبرص وتُحيي الموتى، فما دواء الأحمق ؟ قال : ذلك أعياني ! وكان كسرى إذا غضب على عاقل سجنه مع جاهل.

وقال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين، وإن كانوا عقلاء : الغضبان والغرثان والسكران.

وفي الخبر : العاقل إن تكلّم غنم، وإن سكت سلم.

وممّا يُنسب لعلي رضي اللّه عنه :

يُقَاسُ المَرءُ بالمَرْءِ ... إذَا المَرْءُ مَاشَاهُ
فَلاَ تَصْحَبْ أخَا الجَهْلِ ... وإيَّاكَ وإيَّاهُ
فَكَمْ مِن جَاهِلٍ أرْدَى ... حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
ولِلشَّيءِ عَلَى الشَّيْءِ ... نَظَائِرٌ وأشْبَاهُ
وللقَلْبِ عَلَى القَلْبِ ... دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

ولصالح بن عبد القدّوس :

ولأنْ يُعادِي عاقلاً خَيرٌ لَهُ مِن أن يكونَ لهُ صديقٌ أحْمقُ
فآربَأْ بنفْسكَ أن تُصادقَ أحْمقًا إنَّ الصَّديقَ على الصَّديقِ مُصدَّق !

ولغيــره :

عَدوُّكَ ذو العقلِ أبقَى عليكَ وأجْدَى من الصَّاحِبِ الأحْمقِ

ولغيــره :

قَد عَرفْناكَ بِاخْتيارِكَ إذْ كان دليلاً على اللَّبيبِ آخْتِيارُهُ

ولآخــر :

تحامَقْ معَ الحَمقَى إذا ما لقيتَهُمْ ولا تَلْقَهُم بالعقلِ إن كُنتَ ذا عقلِ !

ولآخــر :

إن جِئْتَ أرضًا أهْلُها كُلُّهُمُ عُورٌ فغمِّضْ عَيْنَكَ الواحِدهْ !

وقال هشام بن عبد الملك : يُعرف الأحمق بأربع : طول اللحية، وشناعة الكنية، ونقش الخاتم، وإفراط الشهوة.

ودخل عليه يوما رجل طويل اللحية فقال : انظروا فيه غيرها ! فسئل عن كنيته فقال : أبو الياقوت . فقيل : وما نقش خاتمك ؟ قال : وجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ.

ويُحكى مثل هذه القصَّة عن معاويةَ وأنَّها وقعت له مع رجل، إلاَّ أنَّه قال في الكنية: أبو الكوكب الدرّيّ، وفي نقش الخاتم : وتفقد الطير . وتقدَّم شبه هذا للمأمون العبَّاسي مع آخر، في حرف التَّاء.

وقيــل :

ألا إنَّ عقْلَ المرءِ عينا فُؤادهِ فإنْ لم يكُنْ عقْلٌ فلَن يُبصِرَ القَلبُ

آخــر :

لِسانُ الفتَى نِصْفٌ ونِصفٌ فُؤادُهُ فلمْ يَبقَ إلاَّ صُورةُ اللَّحْمِ والدَّمِ !

وسيأتي من أجوبة الحمقى ومضحكاتهم شيء كثير.

أرادَ بَيْضَ الأنُوقِ !

يُضرب عند إرادة الممتنع . وتقدَّم في الباء وما فيه.

أرَدْتُ عَمْرًا وأرادَ اللّهُ خَارِجَةَ !

كثيرًا ما يُتمثّل به عندما تقصد إيقاع شيء ثمّ لم يتّفق لك وأوقعت شيئا آخر مكانه . وهو من كلام أحد الخوارج الذي أرسلوه إلى مصر ليقتل عمرو بن العاصي، حيث اتفقوا على قتله وقتل أمير المؤمنين علي كرّم اللّه وجهه ومعاوية رضي اللّه عنه. فذهب إلى كلّ واحد من الثلاثة من يقتله . فأمّا علي كرّم اللّه وجهه فقتل وفاز ؛ وأمّا معاوية فأصيب ونجا وقال في ذلك :

نَجوتُ وقَد بلّ المُراديُّ سيفَهُ من آبْن أبي شَيخِ الأباطحِ طالبِ

وأمّا عمرو فاستخلف خارجة المذكور، فنجا وقُتل خارجة . فقال القاتل : أردتُ عَمْرًا وأراد اللّهُ خارجَةَ، أي أردت قتل عمرو فلم يتّفق إذ لم يرده اللّه تعالى، وأراد اللّه أن أقتل خارجة، فوقع ما أراد اللّه تعالى :

فما شِئْتَ كان وإن لم أشَأْ وما شِئْتُ إن لم تَشَأْ لم يكُن

والقصّة مشهورة فلا نطيل بها.

وما أحسن قول ابن عبدون في قصيدته :

ولَيْتَها إذْ فَدتْ عَمرًا بخارجةٍ فَدتْ عليًّا بما شَاءتْ من البَشَرِ !

رُوَيْدَ الغَزْوَ يَنْمَرِقُ !

رُوَيْدًا : مَهْلاً، وهو مصغّر رَوْد . يقال : أرْوَدَ الرجلُ إرْوادًا ومَرْوَدًا ورُوَيْدًا إذا رفَقَ . ويكون لفظ رُوَيْدًا على أوجه : اسم فعل أمر بمعنى أمْهِلْ، وتدخل عليه الكاف، نحو : رُوَيْدَ زيدًا، ورُوَيْدَكَنِي ؛ وصفة، نحو : سار سيرًا رويدًا ؛ وحالا، نحو : سار القوم رويدا، وهو محتمل لما قبله ؛ ومصدرا، نحو : رويدَ زيدٍ، بالاضافة.والغَزْوُ معروف . وهو إمّا منصوب إن جعل رويد اسم فعل، أو مجرور إن جعل مصدرا . والمُرُوقُ : الخروج . يقال : مرقَ السّهم وغيره، أي خرج.

وفي الحديث : يَمْرُقُونَ منَ الدِّينِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ منَ الرَّمِيَّةِ.

والمراد هنا خروج الوَلَد . كانت امرأة تغزو، فحبلت، فذكر لها الغزو فقالت : رُوَيْدَ الغَزْوَ يَنْمَرِقُ ! أي أمهل الغزو حتّى يخرج الولد !

رُوَيْداً يعْدُوانِ الجَدَدَ !

العَدَاءُ : المجاوزة . والجَدَدُ من الأرض خلاف الوعث . وتقدّم هذا المثل من كلام قيس بن زهير في رهان بينه وبين بني بدر . والضمير في يَعْدُوانِ للفرسَيْن المُجْرَيَيْن .

رُوغِي جَعَارِ .

الرَّوَغَانُ : الحَيْدودَة . يقال : راغَ الرجل، وراغَ الثَّعلب ـ بالغين المعجمة ـ يَروغُ رَوْغًا إذا مال وحاد عن الشيء ؛ وجعارٍ علَمٌ على الضُبع، وتقدّم ما فيه . وقد يقال رُوغِي جَعَارِ وانظُر أيْنَ المفرّ[36] . يضرب في فرار الجبان، أو للذي يهرب ولا يقدر أن ينفلت .

أرْوَغُ من ثُعالَة .

ثُعَالَةُ ـ بالضمّ ـ اسم لجنس الثعلب، معروفة ؛ ورَوَغَانُ الثعلب في غاية الخفّة والسرعة . فضُرب به المثل . يقال : أرْوَغُ مِن ثُعَالَة ، وأرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ، وراغَ رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ . قال الشاعر :

فاحْتلْتُ حينَ صَرَفْتَني ... والمرءُ يعْجزُ لا مَحَالَهْ
والدَّهْرُ يلْعَبُ بالفتَى ... والدَّهْرُ أرْوَغُ مِن ثُعَالَهْ
والمَرءُ يكسِبُ مَالَه ... والشحُّ يُورثُهُ الكَسَالَهْ
والعبْدُ يقْرعُ بالعَصَا ... والحُرُّ تكْفيهِ المقَالَهْ[37]

وقال الآخر في الثعلب :

---

36) هكذا في كل المخطوطات . والمعروف في نص هذا المثل : «رُوغِي جَعَارِ وانظري اين المفرّ».
37) حرفت «المقالة» في د، فكتبت «الملالة».

وكُلُّ خِلٍّ ليَ خالَلْتُهُ لا تَرَكَ اللّهُ لَهُ واضِحَهْ
كلُّهُمُ أَرْوَغُ مِن ثَعْلَبٍ ما أشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبارِحَهْ !

ويُحكى أنَّ أمير المؤمنين عمر رضي اللّه عنه قال يوما وهو على المنبر : إنَّ الذين قالوا ربّنا الله ثمَّ استقاموا ولم يروغوا روغان الثعلب .

ولمَّا هزم المهلَّب بن أبي صفرة عبد ربّه الأصغر وأجلى قطَريًّا حتَّى أخرجه من كرمان نحو أرض خراسان، أوفد على الحجَّاج كعب بن معدان الأشقري[38] . فقال له الحجَّاج : كيف كان محاربة المهلَّب للقوم ؟ قال : كان إذا وجد الفرصة سار كما يَسُورُ الليث، وإذا دهمته الطُّحْمَةُ راغ كما يروغ الثعلب، وإذا مادَّه القومُ صبر صبر الدهر . قال : وكيف كان فيكم ؟ قال : كان لنا منه إشفاقُ الوالِد الحدِب، وله مناطاعة الولَد البرّ . قال : فكيف أفلتكم قَطَريّ ؟ قال : كادنا ببعض ما كدناه به، والأجَل أحصن جُنَّة وأنفذ عُدَّة . قال : فكيف اتّبعتم عبد ربّه وتركتموه ؟ قال : آثرنا الحدَّ على الفَلّ، وكانت سلامة الجند أحبَّ إلينا من شَجَب العدوّ . فقال له الحجَّاج : أكنت أعددت هذا الجواب قبل لقائي ؟ قال : لا يعلم الغيب إلاَّ اللّه !

قوله : شَجْب العدوّ، أي هلاكه . يقال شَجَبَ الرجلُ يَشْجُبُ شَجْبًا . قال امرؤ القيس :

وقالت : بنفْسيَ شبابٌ له ولِمَّتُه قبل أن يشْجُبَ

الرَّاويةُ أحَدُ الهَاجِينَ .

يقال : رَوَى الشعر - بالفتح - يَرْويه، فهو رَاوٍ، ورَاوِيَةٌ - بزيادة الهاء للمبالغة -، كما في مُدْرِكَة وعَلاَّمَة، ورَوَّيْتُهُ أنا تَرْوِيَةً . والهَجْوُ والهِجَاءُ معروف .

ويعنون بهذا الكلام أنَّ من رَوَى الهجوَ وأشاعه في النَّاس فهو كمن قاله أوَّلاً، فيكون أحد الهاجين، كما يقال في الغِيبة إنَّ المستمع شريكُ القائل إذا لم يُنْكِرْ ولا عذر، فكيف بمن يحكي ويأثره ؟ كما قيل :

لعَمرُك ما سبَّ الأميرَ عدوُّه ولكنَّما سبَّ الأميرَ المُبلِّغُ !

38) حرف «الاشقري» في د فكتب : «الاشعري».

ولأجل ما وقع للنّابغة الذبياني في بني سيار، وكان النّابغة قد نهى قومه أن يتربّعوا حِمى النعمان بن الحرث الغسّاني، فعصوه، وتربّعوه، فأغار عليهم . وقال النّابغة في ذلك :

لقد نهَيتُ بني ذُبْيانَ عن أُقَرٍ ... وعن تربُّعِهِم في كُلِّ أصْفارِ
وقلتُ : يا قومُ إنَّ اللّيث مُنقبضٌ ... على براثِينه لوثْبَة الضّاري[39]

وهي قطعة مشهورة، منها :

إما عُصيتُ فإنّي غير مُنفلتٍ ... منّي اللّصابُ فجنْبا حرّةِ النّار[40]
أو أضَع البيت في سوداءَ مُظْلمةٍ ... تُقيّد العير لا يسري بها السّاري[41]

يريد أنّه يلج الشعاب الضيّقة أو المهامه الفيح حتّى لا يصل إليه الجيش، ثمّ إنّه لم يفعل ذلك حتّى أصابته الغارة مع قومه وأُسر بعض أهله فيمن أُسر . فقال في ذلك بدر بن حزاز الفزاري يعيّر النّابغة :

أبْلغْ زيادا وحيْنُ المرءِ مُدركُه ... وإن تكيّس أو كان ابْنَ أحذارِ[41م]
اضْطرّك الحِرزُ من ليلى إلى بُرَدٍ ... تخْتارُهُ معْقلاً عن شجٍّ أعْيارِ
حتّى لقيتَ ابْن كهْف اللّؤمِ في لجبٍ ... ينْفي العصافيرَ والغِربانَ جرّارِ
فالآن فاسْعَ بأقْوامٍ غررتَهُم ... بني ضبابٍ ودعْ عنْك ابن سيّارِ
قد كان وافِد أقْوامٍ فجاء بهِم ... وانتاش عانِيَهُ من أهْلِ ذي قارِ !

ثمّ إنّ النّابغة بلغه أنّ زبان وخزيمة ابني سيار أعانا بدرا ورويا شعره، فقال في ذلك :

ألا مَن مُبْلغٌ عنّي خُزيْمًا ... وزبّانَ الّذي لم يَرعَ صِهْرِي ؟
فإيّاكُمْ وعُورا داميَاتٍ ... كأنّ صِلاءَهُنّ صِلاءُ جَمْرِ !
فإنّي قَد أتاني ما صنَعْتُمْ ... وما رشّحْتُمُ من شِعْرِ بَدْرِ
فلم يكُ نَولُكُم أن تُشْقذوني ... ودُونِي عازبٌ وبلادُ حجْرِ[42]

---

39) في الديوان : «.. لعدوة الضاري».
40) في الديوان : فإن عصيت...
41) في الديوان : فموضع البيت في سوداء مظلمة تقيّد العَيْرَ عن شدّ وتكرار
41 م) في المخطوطات «ابن حرار» وهو تصحيف . والتصحيح من المرصع لابن الأثير.
42) في الديوان : «..وجبال حجر».

فإنَّ جوابَهـــا في كُلِّ يومٍ ألـمَّ بأنـفُسٍ منكُـمْ ووفْـرِ[43]
ومَن يتربَّصِ الحدثَانَ تنْزِلْ بمَـــولاَهُ عوانٌ غيـرُ بكْـــرِ[44]

رَوِّتحزمْ، فَإذا اسْتَوْضَحْتَ فَاعْزِمْ !

يقال : رَوَّيت في الأمر ـ بالتضعيف ـ: نظرتُ فيه وتَفَكَّرتُ، والحَزْمُ والحَزامَةُ : ضبط الأمر والأخذ فيه بالقوَّة والجدّ . يقال : حزُم الرجل ـ بالضمّ ـ يحزُم حزامة فهو حازم. واستيضاحُ الشيء : استكشافه أو جعله واضحا . والعزم معروف..

ومعنى المثل أنَّ مِن حَزْم الانسان أن يتروَّى في الأمر ويتفكَّر في مجاريه وعواقبه إذا أراد أن يأتيه، حتَّى إذا تبيَّن له أنَّه محمود فليقدم عليه بعزم ولا يتوان فيه حتَّى يدركه فتور فيتعطَّل .

أرْوَى مِن نَمْلَةٍ .

يقال : رَوِيَ من الماء ـ بالكسر ـ يَرْوَى رَيًّا، فهو ريَّانٌ، والنَّملة واحدة النَّمل، وهو معروف . وإنَّما وُصفت بالرَّيّ لأنَّها تكون في الفلوات فلا ترد الفلوات، وهذا من المجاز .

أرْوَى مِن نَعَامَةٍ .

النَّعامة معروفة، وتقدَّم الكلام عليها . ووُصفت بالرَّيّ أيضا لما يزعمون من أنَّها لا تشرب الماء ولا تطلبه، وإن رأته شربته عبثًا.

رَهَبُوتَى خَيْرٌ مِنْ رَحَمُوتَى .

الرُّهْبُ : الخَوفُ . يقال : رَهِبَ ـ بالكسر ـ رَهْبَةً ورَهْبًا ـ بالضمّ والفتح ـ ورَهَبًا ـ بفتحتين ـ والاسم منه الرُّهَباء ـ بالمدّ وبالقصر مضموما ومفتوحا . ويقال رَهَبُوتٌ ـ بزيادة تاء للمبالغة ـ كمَلَكُوتٍ، ورهَبُوتَى ـ بألف مقصورة ـ، والرَّحمة :

43) في آخر الشطر الاول بالديوان : «....مع كل ركب».
44) في الديوان : «...ينزل بساحته عوان...».
وقد وردت هذه الأبيات بغير هذا الترتيب في الديوان، فلتراجع.

العطف والرقّة، رَحِمَهُ - بالكسر - رحمةً، ورُحْما - بالضمّ وبضمّتين - ومرحمة ؛ والرَّحَموت من الرحمة استُعمل للازدواج .

والمعنى أنّك أن تُرْهَبَ خيرٌ لك من أن تُرْحَم، لأنّ المرهوب عزيز ممتنع، والمرحومَ بِمَحَلٍّ عُدوان العادين .

تَرْبَعُ وتَدْسَعُ

وممّا يلتحق بهذا الباب قوله صلّى اللّه عليه وسلّم في خطبته يروى عن ربّه تعالى يَقُولُ لِعَبْدِهِ : أَلَمْ أُوتِكَ مالاً وأُفْضِلْ عَلَيْكَ، فمَاذا قَدَّمْتَ ؟ وفي رواية : أَلَمْ أُوتِكَ مَالاً وجَعَلْتُكَ تَرْبَعُ وتَدْسَعُ ؟ فقوله : تربع وتدسع تمثيل . وأصله في الرئيس من العرب كان يربع قومه، أي يأخذ المِرباع وهو ربع المغنم إذا غزوا ؛ ويدسع، أي يعطي الدَّسيعة وهي العطيَّة . ومنه قولهم : فلان ضَخْم الدَّسِيعَة .

وقولهم :

رَجَعَ عَوْدَهُ على بَدئِهِ .

أي رجع في الطريق الذي جاء منه . ويقال أيضا : رجَعَ في عَوْدِهِ وبَدْئِهِ، وفي عَوْدَتِهِ وبَدْئَتِهِ، وعَوْدًا وبَدْءًا .

وقولهم :

مَرحَبًا وسَهْلاً .

أي صادفتَ سعةً . ويقال أيضا : مَرحَبَكَ اللّهُ ومَسْهَلَكَ ! ومَرحَبًا بِكَ اللّهُ ومَسْهَلاً ! وقولهم في الايعاد والتهديد :

رعَدَ فُلاَنٌ وبَرَقَ .

وتقدّم ما فيه .

وقولهم :

ارقَعْ ما أوْهَيْتَ !

أي أصْلِحْ ما أفسدتَ . وأصله في السقاء ونحوه إذا أوْهَاهُ، أي خرقه رقعه .

وقولهم :

ركِبَ فُلانٌ عُرْعُرَهُ،

أي ساء خلقه . والعُرْعُرُ ما بين المنخرين، وعُرْعُرَةُ الأنف : أعْلاَهُ . وكذا عُرْعُرَةُ الجبل وعُرْعُرَةُ السَّنام . كلّ ذلك بضمّ العين . وهذا مثل قولهم :

ركِبَ رأسَهُ .

وقولهم :

رمَاهُ بالذَّرَبَيْنِ،

أي بالشرّ والخلاف .[45]

وقولهم :

رُوَيْدَ الشِّعْرَ يَغِبَّ !

يقال : غبَّ الرجل وأغب إذا بات .[46]

ومن الأمثال الجارية على الألسن قولهم :

رُبَّ حِيلةٍ، أنْفَعُ من قَبيلَة .

ولنذكر في هذا الباب من الأمثال الشعرية ما تيسر وما جرى على مثالها، وانتسج على منوالها

45) في لسان العرب : ويقال : ألْقَى بَيْنَهُم الذَّرَبَ، أي الاختلاف والشّر.

46) ذكر الميداني (1 : 288) لهذا المثل معنيين : 1) دع الشعر حتى تأتي عليه أيام فتنظر كيف خاتمته أيُحمّد أم يُذمّ، 2) دع الشعر يتأخر عن الناس حتى لا يملّوه.

قال البارقي :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النَّوى كما قرَّ عينًا بالاياب المُسافرُ

وقبلـه :

وحلَّت سُليْمى في هضابٍ وأيْكةٍ فليس عليها يومَ ذلكَ قادرُ

قيل : كان يزيد بن عبد الملك يقول : ما يـقِرُّ عيني بما أُوتيت من الخلافة حتى أشتري سلامة وحبابة ـ جاريتان لبعض أهل الحجاز ـ حتَّى اشتُريتا له . فلمَّا اجتمعتا في ملكه قال : أنا اليوم كما قال الشاعر : فَألْقَتْ عَصَاهَا... (البيت). ثمَّ قال : ما يشاء بعدُ من أمور الدنيا فَلْيَفُتْنِي.

ويقال لمَّا بويع لأبي العبَّاس السفَّاح قام خطيبا، فسقط القضيب من يده فتطيَّر من ذلك . فقام رجل وأخذ القضيب ومسحه ودفعه إليه وأنشد : فَألْقَتْ عَصَاهَا... (البيت).

وقيل إنَّ قُتَيْبَةَ بن مسلم لمَّا قدم واليا على خراسان رَقِيَ المنبرَ ليخطب، فسقطت المخْصَرَةُ من يده فتطيَّر من ذلك . فقام بعض الأعراب فمسحها وناوله إيَّاها وقال : أيّها الأمير، ليس كما ظنَّ العدوّ وساء الصديق، ولكنَّه كما قال الشاعر : وألْقَتْ عَصَاهَا... (البيت) ! فسُرِيَ عنه . وقيل هو القائل ذلك.

ومثل هذا ما روي أنَّ خالد بن يزيد لمَّا دخل الموصل واليًا عليها اندقَّ منه اللواء في بعض أبوابها، فتطيَّر من ذلك، فبادره أبو الشمقمق، وكان معه، قائلا :

ما كان مَنْدقُ اللِّواءِ لطيرَةٍ تُخْشى ولا سُوءٍ يكون مُعجَّلا

لكنَّ هذا الرُّمْحَ أضْعفَ متْنَهُ خطرُ الولايَةِ واستقَلَّ الموصِلا

فسُرِّيَ عن خالد، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون، فزاده ديار ربيعة، فأعطى أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم . ومثل ذلك ما حكي أنَّ طاهر بن الحسين لمَّا خرج لقتال علي بن عيسى بن مَاهَانَ وفي كُمّه دراهم يفرّقها على الضعفاء، وغفل عنها فأسبل كمَّه فتبدَّدت، فتطيَّر بذلك . فأنشده شاعر كان معه :

هَذا تفرُّقُ جمْعِهِم لا غَيْرُهُ وذَهابُها منْهُ ذهَابُ الهمِّ

شيءٌ يكونُ الهمُّ نصفَ حُروفِهِ لا خَيْرَ في إمْساكِهِ في الكُمِّ

والعرب ضربت المثل بإلقاء العصا في الاستقرار، والرّاحة من الأسفار، ولذلك قال حبيب :

كريمٌ إذا ألْقَى عَصَاهُ مُخيِّمًا ... بأرضٍ فقَد ألْقى بها رحْلَه المجْدُ

وقال ابن عُنَيْن :

ولمَّا استقرَّت في ذَرَاه بي النَّوى ... وألْقَت عصاها بين مُزدحمِ الوفْد

تنصَّلَ دهْري واستراحَتْ من الوجَى ... قَلُوصي ونامت مُقلتي وعلا جدِّي

وقال عمارة اليمني :

إنَّ الكفالة والوزارةَ لم تزلْ ... يُومَى إليْكَ بفعْلِها وتُشَارُ

كانت مُسافِرةً إليْكَ وتُبْعِدُ ... الأخْطارَ ما لم تُركَبِ الأخْطَارُ

حتَّى إذا نزلَت عليكَ وشاهَدتْ ... ملِكًا يزينُ المُلْكَ منْهُ سِوارُ

ألقَتْ عَصاها في ذَرَاهُ وعُريتْ ... عنها السُّروجُ محُطَّتِ الأكْوارُ

وقال صُرَّدُرّ :

على رسْلِكم في الهجر إنَّ عصابةً ... إذا ظفِرت بالحُبِّ ضلَّ ضميرها

سواءٌ على المُشْتاقِ والهجْرُ حظُّها ... أألْقت عصاها أم أجدَّ بُكُورُها

وقال أيضا :

أنعمت في نَعْماءَ مُطْمئِنّه ... تحكّم الفُؤاد فِي أطْرافِهِ

ألْقت عصاها وارْتَمَت ركابُها ... في سُرَرِ الوادي وفي شعافِهِ

وقال الحسين بن إبراهيم :

ألا ليتَ شعْري هلْ أقولنَّ مرَّةً ... وقد سكَنتْ ممَّا أجُنُّ الضَّمائرُ

ومالي إلى باب المُحجَّبِ حاجةٌ ... وما بيَ عمَّا يخْفِضُ العرضَ زاجِرُ

فألقَت عصاها واستقرَّ بِها النَّوى ... كما قرَّ عينًا بالاياب المسافرُ

وقال الآخر :

إذا لم ير الانسانُ عِنْد قدومِه ... مُحيَّاك مثل البدرِ والبدرُ سافرُ

فأُقسمُ ما ألقَت عصاها يدُ النَّوى ... ولا قرَّ عينًا بالاياب المسافرُ

وقال كليب بن ربيعة، أو طرفة :

يا لَكِ من قُبَّرةٍ بمعْمَرِ خلا لكِ الجوُّ فبيضِي واصْفِرِي
ونَقِّرِي ما شِئْتِ أن تُنَقِّرِي !

وتقدَّم ذكر هذا وما فيه .

وقال المجنون :

أمُرُّ على الدِّيار ديارِ ليلى أُقبِّلُ ذا الجدار وذا الجدارا
وما حُبُّ الدِّيار شَغَفْن قلْبي ولكن حُبُّ من سكَن الدِّيارا

وتقدَّم ما يشبهه في حرف الباء .

ومثله أيضا قول الآخر :

فإن تَدعي نجْداً أدعْهُ ومن به وإن تسكُني نجْداً فيا حبَّذا نجْدُ!

وقبل هذا البيت :

سقى دمْنتيْنِ ليس لي بهما عهْد بحيث التقَى الدَّاراتُ والجرعُ الكُبْدُ
فيا ربْوةَ الرَّبْعينِ حُيِّيتِ ربْوةً على النَّأيِ منَّا واستهلَّ بكِ الرَّعدُ !
قضيتِ الغواني غيرَ أنَّ مودَّةً لذلفاء ما قضَّيتِ آخِرها بعْدُ
إذا ورد المِسْواك ظَمآن بالضُّحى عوارض منها ظلَّ يُخْصرُه البردُ
وألْين من مسِّ الرُّخاماتِ يلْتقي بمارنِه الجاديّ والعنبرُ الوردُ
جرى نائباتُ الدَّهرِ بيني وبينها وصرفُ اللَّيالي مثلُ ما جَرَتِ البردُ
فإن تَدعِي نجْداً... (البيت)

وبعده :

وإن كان يومُ الوعْدِ أدنى لقائنا فلا تعذليني أن أقُولَ متى الوعْدُ !

وقال تأبَّط شرّاً :

وأُبْتُ إلى بهْمٍ وما كِدتُ آئبًا وكم مثلِها غادرتُها وهْيِ تصفرُ !

والشطر الثاني مَثَل سائر في عدم الاكتراث بالشيء .

ومن لطائف شرف الدين الحلاوي أنَّه أُنشد بين يديه لغز في الشبابة، وهو :

وناطقةٍ خرْساء بادٍ شحوبُها تكنَّفها عشرٌ وعنْهُنَّ تُخْبِرُ
يلذُّ إلى الأسماعِ رجْعُ حديثِها إذا سُدَّ منها منخَرٌ جاشَ منخرُ

وهذا الشطر الأخير لتأبَّط شرّا أيضا ضمَّنه، فأجاب في الحال :

نهاني النـُّهى والشَّيبُ عن وصل مثلِها وكم مثلِها فارقْتُها وهيَ تصفرُ !

فضمَّن تضمينا حسنا ونقل المعنى إلى الشبابة، فوقعت لفظةُ « تصْفِرُ » أحسن موقع.

وقال الآخـر :

كم تركَ الأوَّلُ للآخِرِ !

وهو مثَل مشهور ضمَّنه أبو تمَّام فيْ قوله :

يقول مَن تقْرعُ أسْماعَهُ : كم تركَ الأوَّلُ للآخِرِ !

أو هو المخترع .

وضدّه قول الآخر :

لم يَدَعْ مَن مضَى للَّذي قد غَبَرْ

فضْلَ عِلمٍ سوى أخْذهِ بالأثَرْ

وقال الآخـر :

سوفَ ترى إذا انْجلى الغُبارُ أفرسٌ تحْتَك أمْ حِمَارُ

غيـره :

فيا عَطشى والما الزُّلالُ أخوضُه ويا وحْشتي والمؤنسونَ كثيرُ !

وقال بعض الأعراب :

دبَبتَ للمجْد والسَّاعون قد بلغوا جهْد النـُّفوس وألقوا دونهُ الأزُرا

وكابدوا المجْد حتى ملَّ أكثرهُم وعانَق المجْد من وافى ومن صَبرا

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكِلُه لن تبلُغَ المجد حتى تلعَق الصَّبرا!

وقال الأخطل :

قومٌ إذا حاربوا شدُّوا مآزرهُمْ دون النِّساءِ وإن باتَت بأطهارِ

حكى أبو العبَّاس المبرِّد في **الكامل** أنَّ صاحب اليمن بعث إلى عبد الملك بن مروان بجارية وكتب معها : إنِّي وجَّهت إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم ير مثلها . وكان ذلك وقت محاربتهم لابن الأشعث . فلمَّا دُخِل بالجارية على عبد الملك، رأى وجها جميلا وخلقا نبيلا . فألقى إليها قضيبا كان في يده، فنكست لتأخذه فرأى من جسمها

ما بهره . فلمّا همّ بها أعلمه الآذن أنّ رسول الحجّاج بالباب . فأذن له ونحّى الجارية، فأعطاه كتابا من عبد الرحمان بن الأشعث فيه سطور أربعة :

سائل مجاور جرم هل جَنيتُ لهم ... حربًا تُزيِّل بين الجيرةِ الخُلُطِ ؟
وهل سموتُ بجرّار له لَجَبٌ ... جمٌّ الصّواهِل بين الحُمّ والفُرُطِ ؟
وهل تركتُ نساء الحيّ ضاحيةً ... في صاحة الدّار يستوفدن بالقنَطِ

وتحته :

قَتل المُلوكَ وسار تحت لوائهِ ... شجرُ العُرَى وعراعِرُ الأقْوامِ

فكتب إليه عبد الملك كتابا وجعل في طيّه جوابا لابن الأشعث :

ما بال من أسعى لأجْبُر كسرهُ ... حفاظًا وينوي من سفاهتِه كسري[47]؟
أظنّ خُطوبَ الدّهر بيني وبينهُم ... ستحملُهم منّي على مركبٍ وعْرِ
وإني وإيّاهم كمن نبّه القَطا ... ولو لم تُنبّه باتت الطّيرُ لا تسري
أناةً وحِلمًا وانتظارًا بهم غدًا ... وما أنا بالواني ولا الضّارع الغمرِ

قال : ثمّ بات يقلب كفّ الجارية ويقول : ما أفدت فائدة أحبّ إليّ منك ! فتقول : ما بالك يا أمير المؤمنين، وما يمنعك ؟ فقال : ما قاله الأخطل لاني ان خرجت منه كنت ألأم العرب :

قومٌ إذا حاربُوا... (البيت)

فما إليك سبيل أو يحكم اللّه بين وبين عدوّ الرحمن [بن الأشعث . فلم يقربها حتّى قُتل عبد الرحمن][48]

وقال الآخر :

اللّه يشكُر ما مَنَنْتَ به ... إذ كان يقْصُر دونَهُ شُكْري

غيره :

إلهي زد في عُمرهِ من حياتنا ... وأعْمارنا حتّى يطولَ لَه العُمرُ !

غيره :

أبى اللّه تدبير ابنِ آدم نفسَه ... وأن لا يكونَ المرءُ إلاّ مُدبّرا

---

47) كذا في كل المخطوطات، وهو غير مستقيم وزنًا، ولعل الصواب : حفظًا وينوي...
48) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

غيـــره :

أخافُ عليكَ من سيفٍ ورُمحٍ طويلُ العُمر بينهُما قصيرُ

غيـــره :

إذا أنت لم تزرعْ وأبْصرتَ حاصداً ندمتَ على التَّفْريط في زمن البذْرِ

غيـــره :

إذا صحَّ عونُ اللهِ للمرء لم يكُن عسيرٌ من الآمالِ إلاَّ تيسَّرا

غيـــره :

إذا لم تكن في منزل المرءِ حُرَّةٌ تُدبِّره ضاعت مصالحُ دارهِ[49]

غيـــره :

تبقى المنابرُ بعد القومِ باقيةً ويذهبُ المالُ والأيَّامُ والعُمُرُ

غيـــره :

تشتاقُكم كلُّ أرضٍ تنزلُونَ بها كأنَّكُم لبقاعِ الأرضِ أمْطارُ

غيـــره :

تعب المُنجِّمُ حيث أفْنى عُمرَه في عِلم ما لا تُدركُ الأفْكارُ

غيـــره :

تُميِّزُ البعضَ في الألفاظ إن نطقوا وتعرف الحِذقَ في الألحاظ إن نظروا

غيـــره :

تُنسى مرارةُ كُلِّ نازلةٍ بحلاوةٍ في النَّهْبِ والأمْرِ

غيـــره :

ثقةُ الفَتى بِزمانِهِ ثِقَةٌ مُحلَّلَةُ العُرَى

غيـــره :

ثلاثةٌ موصوفةٌ تجْلو البصرْ: الماءُ والوجهُ المليحُ والخُضرُ[50]

غيـــره :

---

49) في د : مدبّرة ضاعت...

50) حرفت «تجلو» في د، فكتبت «تجلي».

جار الزَّمانُ علينا في تقلُّبِهِ وأيُّ دهْرٍ على الأحْرارِ لم يجُرِ ؟

غيـــره :

جاء البشيرُ مبشِّرًا بقُدُومِكُم فمُلئْتُ من قَولِ البشِيرِ سُرورا

غيـــره :

جَاورْ إذا جاوَرْتَ بحرًا يا فَتى فالجارُ يشرُفُ قدرُهُ بالجارِ !

غيـــره :

حُبِّي لكم طبعٌ بغيْرِ تكلُّفٍ والطَّبْع في الانسانِ لا يتَغيَّرُ

غيـــره :

خاطِر بنفسِك لا تقْعُد بمَعْجَزَةٍ فليس حُرٌّ على عجْزٍ بمعْذورِ !

غيـــره :

خُذ ما صَفالك فالحياةُ غُرورُ والدَّهْرُ يعْدلُ تارةً ويجورُ

غيـــره :

خيرُ ما ساعد الرِّجالَ نساءٌ صالحاتٌ يكُنَّ خلْفَ السُّتورِ

غيـــره :

دخولُك من بابِ الهوى إنْ أردتَهُ يسيرٌ ولكنَّ الخُروجَ عسيرُ

غيـــره :

دعِ النَّومَ للنُّوَّامِ إنَّكَ إن تَنم فإنَّك نصْف العُمر تُغبَنُ خاسرا

غيـــره :

ذروني للغِنى أسْعَى فإنِّي رأيتُ النَّاس شرُّهُمُ الفَقِيرُ

غيـــره :

رأيتُ بلاد اللَّه وهْي عريضةٌ على الخائِف المذعور أضيقَ من قبر

غيـــره :

رأيتُك مثل الجوزِ يمنَعُ لُبَّه صحيحًا ويُعطي لُبَّه حين يُكسرُ

غيـــره :

رُبَّ فقيرٍ غنيٌّ نَفْسِ وذي غنًى بائسٌ فقيرُ

غيـــره :

ردَّك اللّه إلينا سالمًا بعد غُنْمٍ ونجاحٍ وظَفَرْ !

غيـــره :

زُرتني قبل أن أزورك شَوْقًا فلَك الفضلُ زائرًا ومَزورا !

غيـــره :

زعمْتُم بأنَّ الصَّبر أكْرمُ صاحبٍ صدَقْتُم ولكن قد تقضَّى به العُمر

غيـــره :

سأكتُم حاجاتي عن النَّاس كلِّهِم ولكنَّها للنَّاس تبدو وتظْهرُ

غيـــره :

سرورُ شَهْرٍ وغمُّ دهْرٍ ووزْنُ مهْرٍ ودقُّ ظهْرٍ

غيـــره :

سيصرفُ اللّه ما تخْشى وتحذَرُهُ فاصبرِ قليلاً فعُقبى صبرك الظَّفر !

غيـــره :

شبابُ المرءِ ثوبٌ مُستعارُ وأيَّامُ الصِّبا أبدًا قِصارُ

غيـــره :

صفْقَةٌ غيرُ خَاسِرَهْ : بيْعُ دُنْيا بِآخِرَهْ[51]

غيـــره :

ضيَّعْت وقْتكَ في المُحالِ فلا تُضيِّعْ وقْت غيركْ !

غيـــره :

عبارتُنا شتَّى وحُسنُك واحدٌ وكلٌّ إلى ذاك الجمالِ يُشيرُ

غيـــره :

عَتبْت على عمْرٍو فلمَّا فقدتُه وجرَّبْت أقْوامًا بكيت على عمْرٍو

غيـــره :

على المرء أن يسعى لما فيه نفعُه وليس عليه أن يُساعدَه الدَّهر !

غيـــره :

51) حرف الشطر الأخير في ب فكتب : بيع دنيا وآخرة.

قبُحت مناظرهُم فحينَ خبرتُهُم حسُنت مناظرهُم لقُبحِ المخْبر

غيـــره :

قد كُنت أبكي ودَاري منْكَ دانيةٌ فكيف صبْري وقد شطَّت بي الدَّار ؟

غيـــره :

قد كُنت أسمع ما أرى فيروعُني واليوم ليس يروعُني ما أنْظُر !

غيـــره :

قد كُنت أحذَرُ من دهْري وأحذرُه حتَّى قدمْتَ فزال الرَّوع والحَذرُ

غيـــره :

قَضى اللَّه في بعضِ المكارمِ للفتى بخيرٍ وفي بعضِ الهوى ما يُحاذرُ

غيـــره :

قِفْ لنا في الطَّريق إن لم تزرنا: وقْفةً في الطَّريق نصف الزِّيارهْ !

غيـــره :

قومٌ إذا أكلوا أخْفَوْا كلامَهُم واستوثَقوا من رِتاجِ الباب والدَّارِ

غيـــره :

كأنَّ العام ليس بعامِ حجٍّ تغيَّرتِ المواسِمُ والدُّهور!

غيـــره :

كفى حسودي جهْلاً أنَّه رجلٌ مُعاندٌ لقضاءِ اللَّه والقدرِ !

غيـــره :

كلُّ امرىءٍ حَسنٌ في عينِ والدهِ والخُنْفُساءُ تُسمِّي بنْتها القَمرا

غيـــره :

كلُّ عيبٍ تراهُ في الغيرِ بالظَّنِّ لهُ فيكَ باليَقِينِ نَظِيرُ

غيـــره :

كنتُ مِن كُربَتي أفرُّ إليهِمْ فهُمُ كُربَتي فأينَ الفرارُ ؟

غيـــره :

لأستسهلنَّ الصَّعْب أو أُدركَ المُنى فما انقادتِ الآمالُ إلاَّ لصابِرِ

غيـــره :

لقد طال هذا القيلُ والقالُ بيننا ... وما طال قولُ الشَّرح إلاَّ ليقْصُرا

غيـــره :

لقد كُنت مُحْتاجًا إلى موتِ زوجتي ... ولكنْ قرينُ السُّوء باقٍ مُعمَّرُ

غيـــره :

لكُمُ الأرضُ كلُّها فأعيرُوا ... عبْدكُم ما احْتَوى عليه جِدارُهْ !

غيـــره :

ليُّ النِّقابِ على القباحِ فريضةٌ ... وعلى المِلاح خطيئةٌ لا تُغْفَرُ

غيـــره :

ليس ارتِحالُك في كسْبِ العُلا سفرًا ... بل المُقامُ على ذلٍّ هو السَّفرُ

غيـــره :

ليس التَّفضُّلُ منْك أمْرًا نادرًا ... لكنَّ مثْلكَ في التَّفضُّلِ نادرُ

غيـــره :

ليس السعيدُ الذي دُنياه مسعدةٌ: ... إنَّ السَّعيدَ الذي ينجو من النَّار

غيـــره :

ليس لما ليسَت لَه حيلةٌ ... موجودةٌ خيرٌ من الصَّبرِ

غيـــره :

ما العُمر ما طالت به الدُّهور ... العُمر ما تمَّ به السُّرورُ

غيـــره :

ما بال داركَ حين تدخل جنَّةً ... وبِباب داركَ مُنكرٌ ونكيرُ ؟

غيـــره :

ما حكَّ جِسمكَ غير طفْركْ ... فتولَّ أنت جميع أمْركْ !

غيـــره :

ما ذاق طَعمَ الغِنى فَلا قناعَ له ... ولا ترى قانِعًا في النَّاس مُفتقرا[52]

---

52) كذا في المخطوطات، ولعل الصواب «...من لاقناع له».

غيـــره :

ما كان ذاك العيشُ إلاّ سكرةً لذّاتُها ذهبتْ وحلّ خُمارُها

غيـــره :

ما كلُّ من زار الحِمى سَمع النِّدا من أهله : أهلاً بهذا الزّائر !

غيـــره :

ما يضرُّ البحرَ أمْسى زاخِراً أن رمى فيه سفيهٌ بحجَرْ !

غيـــره :

متى تنقضي حاجات من ليس واصلاً إلى حاجةٍ حتّى تكونَ له أُخْرى

غيـــره :

مِحنُ الفتى يُخبِرن عن فضل الفتى والنّار مُخْبِرةٌ بفضل العنْبرِ

غيـــره :

مفْتاحُ باب الفرجِ الصّبْرُ وكلُّ عُسرٍ بعدهُ يُسْرُ

غيـــره :

من أبْرمَ الأمرَ بلا تدبيرِ صيَّرهُ الدّهْرُ إلى تدمِيرِ

غيـــره :

من كان يهوى مَنظراً بلا خَبرْ فما له أوفَقُ من عشْقِ القمرْ

غيـــره :

نزلوا والخُدود بيضٌ فلمّا أزفَ البينُ عُدنَ بالدّمع حُمرا

غيـــره :

وأحمقُ خلقِ اللّه من جرّب امرءاً وعاد إلى تجـريبِـه مرّةً أخرى

غيـــره :

وإذا أتتْك مُصيبةٌ فاصبر فقد عظُمت مُصيبةُ مُبتلًى لا يصبر

غيـــره :

وإذا بغى باغٍ عليك بجهله فاقْتُله بالمعروف لا بالمُنكَرِ !

غيـــره :

وإذا ظُلمتُ ولي بِكُم متعلَّقٌ فعلى عُلاكُم لا عليَّ العارُ

غيـــره :

وإذا عتبتُ على الصَّديق شكوتُه سرًّا إليه وفي المحافل أشكُر

غيـــره :

وإذا لم يكُن من الذُّلِّ بدٌّ فالْقَ بالذُّلِّ إن لقيتَ الكبارا !

غيـــره :

وأفـرحُ كلَّمـا يزدادُ مالٌ ولا أبْكي على نُقْصانِ عُمرِ !

غيـــره :

والعُرف من يأتِه يحْمد عواقبه: ما ضلَّ عُرفٌ وإن أوليتَه حجرا !

غيـــره :

والعُمر كالكأسِ تُستحلى أوائِلُه لكنَّه ربَّما مُجَّت أواخِرُه

غيـــره :

والنَّجم تستصغِرُ الأبْصارُ صورتَه والذَّنبُ للعينِ لا للنَّجمِ في الصِّغرِ

غيـــره :

وربَّ جوادٍ أمْسكَ اللَّهُ جودَهُ كما يُمسكُ اللَّهُ السَّحاب من القَطْرِ

غيـــره :

وقى اللَّهُ مولانا جميع المكارهِ ولا دار صرفُ الدَّهْرِ يومًا بدارهِ !

غيـــره :

وقد زعَمَتْ ليْلى بأنِّيَ فاجرٌ : لنفْسي تُقاها أو عليها فُجورُها !

غيـــره :

وقد يهلِكُ الانسانُ من باب أمْنِه وينْجو بأمنِ اللَّه من حيثُ يحذَرُ

غيـــره :

وكلُّ أذًى فمصبُورٌ عليه وليس على قرين السُّوءِ صبْرُ !

غيـــره :

وكلُّ مَن أعْيتْك أخْلاقُه دواؤُهُ الصَّبرُ أو الهجْرُ

غيـــره :

وكَم مِن أكْلةٍ منعتْ أخاها بلذّةِ ساعةٍ أكلاتِ دهْرِ !

غيـــره :

وكم من طالِبٍ يسعى لرزقٍ وفيه هلاكُهُ لو كان يَدْرِي !

غيـــره :

وكنت أمشي على ثِنتيْنِ مُعتدلاً فصرتُ أمشي على أخرى من الشجر!

غيـــره :

وكيفَ يذهَبُ عن سمْعي وعن بصري من كان مثل سوادِ القلبِ والبصر ؟

غيـــره :

ولازِم الصَّمت إن سُئلتَ وقل : لا علمَ عندي، بالجهْل مُستترا !

غيـــره :

ولست أخاف الفقر ما عشتُ في غدٍ: لكُلِّ غدٍ رزقٌ من اللّه باكرُ

غيـــره :

ولم أر بعد الدِّين خيراً من الغِنى ولم أر بعد الكُفر شراً من الفقرِ

غيـــره :

وما الزَّينُ في لُبس الثِّياب وإنَّما يزينُ الفتى مخبورهُ حين يُخبرُ[53]

غيـــره :

وما عُسرةٌ فاصبر لها إن لقيتَها بباقيةٍ إلاَّ سيعْقُبها يُسرُ

غيـــره :

وما كُنت أرضى أن أعيشَ ببلدةٍ وتنْأى، ولكن لا يُغالب مقدار !

غيـــره :

وما مِن نعمةٍ شملتْ كريمًا كنعْمة عورةٍ سترتْ بقبرِ !

غيـــره :

ومَن كان ذا عُذرٍ قبلتُ اعتذارهُ وإن لم يكن عذرٌ فعندي له عذرُ

53) في ب : «...محبور حين يخبر» وهو تصحيف.

غيـــره :

ومن يكُن الغُراب له دليلاً فما غيرُ الخرابِ له مصيرُ

غيـــره :

ونعلَمُ أنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ وخيرٌ من المال الأحاديثُ والذِّكرُ

غيـــره :

وهوَّنَ عندي ما ألاقي من الأذى بأنَّك أنت المُبتلي والمُقدِّرُ!

غيـــره :

ويُخبرني عن غائب الأمـر هديُـه كفى الهديُ عمَّا غيَّب المرءُ مُخْبرا![54]

غيـــره :

ويُعرف فضلُ عقول الرِّجال بتدبيرهـــا وبآثارهـــا

غيـــره :

هي الضِّلَعُ العوجاءُ لست تُقيمها ألا إنَّ تقويمَ الضُّلوعِ انكسارُها

غيـــره :

هي المقاديـرُ فلُمْني أو فـزدْ إن كنتُ أخْطأت فما أخْطا القدر![55]

غيـــره :

لا تُعاشر إلاّ الأكابرَ واعلَم أنَّ في عشرةِ الصِّغار صَغارا[56]

غيـــره :

يا ليلُ طُل يا شوقُ دمْ: إنِّي على الحالين صابرْ !

غيـــره :

يفرُّ من المنيَّة كلَّ حينٍ وما يُغني عن الموتِ الفرارُ !

غيـــره :

يلقى الحسود تجلُّدي فيسوءُه أنِّي على ريبِ الحوادث أصْبِر

غيـــره :

---

54) كتبت كلمة «مخبر» بدون ألف خطأ في ب.

55) كذا في المخطوطات، ولعل الصواب : «هي المقادير فلُمني أو فذر..

56) سقطت «إلا» في د.

يمينُـك منها اليُـمنُ واليُـسرُ في اليُـسرَى فبُـشرى لِـمن يرجو النَّـدى منهُـما بُـشرى!

غيـــره :

ينالُ الفتى ما لم يـؤمِّـل وربَّـما أتاحت له الأيام ما لم يُـحاذرِ

غيـــره :

ينسى صنائِـعه ويذكُـر وعـده ويبـيت في إنْـجازِه يتفكَّـرُ

وقال أبو الأسود :

وإنَّ أحقَّ النَّـاس إن كُـنت شاكرًا بشُـكرك من أعطاك والوجْـهُ وافرُ

وتقدَّم تمام هذا الشعر وسببه .

ومثله قول الآخر :

وفـتًى خلا مِـن مالِـه ومِن المُروءةِ غيـرُ خالِ
أعْطـاك قبلَ سُـؤالِـهِ فكفاكَ مَكْـروهَ السُّؤالِ

وقول أبي تمَّام :

وما أُبالي وخيرُ القولِ أصدقُـه حقنتَ لي ماء وجهي أو حقنت دمِـي !

وقول أبو نواس :

إذا العِـشرون من شعْـبانَ ولَّتْ فواصِـل شُـرب ليلِـكَ بالنَّـهارِ
ولا تشرَب بأقْـداحٍ صغارٍ: فقد ضاق الزَّمانُ على الصِّغار !

يضربه الوعَّاظ السَّادة الصوفيَّة عندما يُـدبِـر الشباب ويقبل المشيب، ويكاد يذوي الغصن الرطيب، في الاكثار من القربات، والجدّ في العمل، وتلافي الخير قبل فوات الأجل، وكذا ما يشبهه من كلّ ما يُـطلَـبُ اغتنامُ الفرصة فيه قبل فواته .

وقال أيضا :

ألا فاسْـقني خمْـرًا وقُـل لي هي الخمرُ ولا تسْـقِـني سرًّا إذا أمْـكَـن الجهْـرُ
وبُـح باسم من تهوى ودعني من الكُـنى: فلا خير في اللَّـذَّات من دونها سترْ !

وإنَّـما قال : وقُـل لي هي الخمرُ، لأنَّـه إذا سمعها عندما نظر إليها التذَّ مسمعه باسمها، ومنظره بشخصها، واشرأبَّـت نفسه إليها، فتلقَّـتها[57] بأعظم لذَّة .

57) في ب : فتلقاها.

وقال أبو تمّام حبيب بن أوس الطائي من قصيدة :

لا شيء ضائرُ عاشقٍ، فإذا نأى عنه الحبيبُ فكلُّ شيءٍ ضائره

ومنهـا :

أبْكِرِ فقد بكَرتْ عليك بمدحِهِ[58] غُرَرُ القصائِدِ : خير أمرٍ باكرهْ

ومنهـا :

وإذا الفتى المامولُ أنْجح عقْلُه في نفسِهِ ونداه أنْجح شاعِرِهْ

وقال أيضـا :

عَفتْ آياتُهـنَّ وأيُّ ربْـعٍ يكونُ لَهُ على الزَّمن الخِيارُ

ومنهـا :

كذاكَ لِكُلِّ سائِلَةٍ قَرَارُ

وبعـده :

مضى الأملاكُ وانقرضوا وأضْحت سراةُ ملوكنـا وهُـمُ تجـارُ
وقوفٌ في ظلالِ الذَّمِّ تُحْمى دراهمُهُم ولا يُحْمى الذِّمارُ
فَلو ذهبَت سناتُ الدَّهر عنه وأُلقيَ عن مناكِبه الدِّثارُ
لعدَّل قسمَة الأيَّامِ فينا ولكنْ دهْرُنا هَذَا حِمَارُ !

ومنهـا :

وأيُّ النار ليسَ له شرارُ ؟

ومنهـا :

وكان المطْل في بدءٍ وعَوْدٍ دُخانًا للصَّنيعةِ وهْيَ نارُ
نسيب البُخْل مُذ كانا وإلاَّ يكُن نسَبٌ فبينهُما جِوارُ
لذلك قيل بعضُ المنْعِ أدنى إلى مجْدٍ وبعضُ الجودِ عارُ

وقال أيضـا :

شرُّ الأوائل والأواخِـر ذمَّةٌ لم تُصطَنع وصنيعةٌ لم تُشكَر

وقال أيضـا :

58) حرف هذا الشطر في ب : أبكر فقد بكر عليك يمدحه.

إنَّ الكرامَ كثيرٌ في البلاد وإن ... قلُّوا كما غيرهُم قلُّوا وإن كثُروا
لا يدهمنَّك من دهْمائِهم عددٌ ... فإنَّ جُلَّهمُ أو كُلَّهمْ بقَرُ
وكُلَّما أمْستِ الأخْطار بينهم ... هلْكى تبيَّن من أمسى له خطرُ
لو لم تُصادف شيات البهم أكثر ما ... في الخيل لم تُحمَدِ الأوضاح والغُررُ

ومنهـــا :

بالشِّعر طولٌ إذا اصطكَّت مصادره ... في معْشرٍ وبه عن معْشرٍ قصرُ

وقال أيضـــا :

والبُخل حُلْوٌ ولكن غبُّه مَضِرٌ ... فاكظِم فلا تمرةٌ إلا وزُنْبورُ !

وقال أيضا يرثي محمد بن حُمَيْد :

فأثْبت في مُستنْقعِ الموت رجْلَه ... وقال لها: مِن تحْت أخْمَصِك الحشرُ
غَدا غُدوَةً والحمدُ نسجُ ردائِه ... فلم ينصرفْ إلاَّ وأكْفانُه الأجْرُ
تردَّى ثياب الموتِ حُمراً فما أتى ... لها اللَّيلُ إلاَّ وهي من سُنْدسٍ خُضرُ!

وقال أيضا من أخرى :

سياكُلنا الدَّهر الَّذي غال مَن مَضى ... ولا تنْقضي الأشْياءُ أو يُوكلَ الدَّهر
وأكثر حالات ابـن آدمَ خِلفَة ... يضلُّ إذا فكَّرت في كُنْهها الفكْرُ
فيفْرحُ بالشَّيء المُعارِ بَقَاؤهُ ... ويحزنُ لمَّا صار وهو له ذُخرُ
عليك بثوبِ الصَّبر إذ فيه ملبسٌ ... فإنَّ ابنك المحمود بعد ابنك الصَّبر
وما أوحش الرَّحمانُ ساحَةَ عبْده ... إذا عاشَرَ الجُلَّى ومُؤنِسُه الأجْرُ !

وقال أيضـــا :

إنَّما البِشْرُ روضةٌ فإذا كان ... بِبذْلٍ فروضـةٌ وغَديـرُ
فاقْسِم اللَّحظ بيننا إن في اللَّحظ ... لعُنوانَ ما يجُـنُّ الضَّميـر !

وقال أيضـا :

فلا تُمكننَّ المطْل من ذمَّة النَّدى ... فبِئس أخو الأيدي الغزار وجارها
فإنَّ الأيادي الصَّالحاتِ كبارُها ... إذا وقعَت تحت المِطالِ صغارُها
وما نفْعُ من قد مات بالأمس صادِيًا ... إذا ما سماءُ اليوم طال انْهمارها

وما العُرفُ بالتَّسويفِ إلاَّ كخلَّةٍ تسلَّيتَ عنها حينَ شطَّ قرارُها
وخير عداتِ الحُرِّ مُختصراتُها كما أنَّ خيراتِ اللَّيالي قصارُها

وقال أيضـا :

وما القفْر بالبيد القواء بل التّي نأت بي وفيها ساكنوها هي القفر[59]
ومن قامر الأيَّام عن ثمراتِها فأحْجم بها أن تنْجلي ولها القمر[60]
فإن كان ذنْبي أن أَحْسَنَ مطلبي أساء ففي سوء القضاء ليَ العُذرُ

ومنهـا :

هَلِ المجدُ إلاَّ الجودُ والبأس والشعر؟

وقال أبو الطيّب :

وما في سطْوة الأرباب عيبٌ ولا في ذِلَّة العُبدان عار!

وقال أيضـا :

إنّي لأعْلم واللَّبيبُ خبيرُ أنَّ الحياةَ وإن حرصتُ غرورُ
ورأيتُ كُلاًّ ما يُعلِّل نفسه بتعلِّةٍ وإلى الفناء يصيرُ

ومنهـا :

إنَّ المُحبَّ على البعاد يزورُ[61]

وبعـده :

وقنعتُ باللُّقْيا وأوَّلِ نظرةٍ إنَّ القليل من الحبيب كثيرُ

وقال أيضـا :

فلو كُنتَ امرءاً تُهجى هجونا ولكن ضاقَ فِتْرٌ عن مسيرِ

الفِتْرُ - بالكسر -: ما بين طرف الإبهام وطرف السبَّابة إذا فتحتهما. وضربه مثلا .

وقال أيضـا :

ذرِ النَّفس تأخُذ وُسعها قبل بينِها فمُفتَرقٌ جاران دارُهما عُمر[62]

---

59) في زهر الآداب (1 : 386) «وما القفر بالبيد الفضاء... نبَتْ بي...
60) في د : فأحجى بها...
61) أول هذا البيت : يَمَّمْتُ شاسعَ دارهم عن نيَّةٍ
62) في الديوان : دع النفس ... دارهما العُمْر.

ولا تحسبنَّ المجدَ زقًّا وقينةً : فما المجد إلاَّ السَّيف والفَتكة البكر
وتضريبُ أعناقِ الملوك وأن تُرى لك الهبواتُ السُّود والعسكر المجرُ
وتركُك في الدُّنيا دويًّا كأنَّما تداولُ سمعَ المرء أنمُلُه العشرُ
إذا الفضْل لم يرفعْك عن شكر ناقصٍ بلاهبةٍ فالفضلُ فيمن له الشُّكر[63]
ومن يُنفق السَّاعات في جمْع مالِه مخافة فقرٍ فالَّذي فعل الفقرُ !

ومنها :

وإنِّي رأيت الصُّرَّ أحسن منظرًا وأهون من مرأى صغير به كبر[64]

وهذا مثل قول الحكيم : [أعظم ما على الانسان إعظام ذوي الدناءة. ونحو البيت الأول قولُ الحكيم][65] : مَن قَصَّرَ عن أخْذِ لذَّاتِه عدمَها وعِدم صحَّة جسمه . ونحو السَّادس قول الحكيم : من أفنى مدَّته في جمع المال خوف العُدم فقد أسلم نفسه إلى العَدم.

ونظم ابن شرف معنى البيت الأخير فقال :

ومُنفِق العُمر في الأموال يجمعُها مُستعْجلٌ فقرهُ لومًا وتسفيلا

غيره :

ومن جهلت نفسُه قدرَهُ رأى غيرُهُ منْهُ ما لا يَرى

وقال فيه ابن شرف :

وكلُّ من ليس يدري كُنْهَ قيمته فالنَّاس فيه يُحقِّون الأقاويلا

غيره :

طوى الدَّهر ما بيني وبين محمَّدٍ وليس لما تطْوي المنيَّةُ ناشر

وقال ابن شرف :

قد يُوصلُ الشَّيء مقطوعًا وما قطعت يد المنون فلن تلقاه موصولا

غيره :

من عاشَ أخْلقَت الأيَّام جِدَّتَه وخانَه ثِقتاهُ : السَّمعُ والبصرُ

وقال ابن شرف :

ومن يَطُلْ عمرهُ يفقِدْ أحبَّتهُ حتَّى الجوارحَ والصَّبرَ الَّذي عيلا

غيـــره :

عليَّ نحتُ المعاني من معادنِها وما عليَّ إذا لم تفْهَم البقر !

وينشـد :

عليَّ نحْتُ القوافي من مقاطِعها وما عليَّ لهُم أن تفهَمَ البقرُ !

وقال ابن شرف :

وناطِقٍ بصوابٍ ما علـيه سوى ما قال إن أخْطؤوا ظنًّا وتأويلا

لطيفة :

ذكر العلاَّمة محمَّد بن مرزوق في صدر شرح **الجمل** أنَّ العلاَّمة أبا القاسم الشيرازي، شارح **ابن الحاجب الأصلي**، والعلاَّمة الكاتبي، شارح **المحصل**، أرادا ذات مرَّة أن يحضرا مجلس أبي عبد اللَّه الخونجي، بحيث يخفى مكانهما . فغيَّرا حالتهما وحضرا عنده وأوردا أبحاثا . فكان من ملح ما صار بينهما أنَّهما لم ينصفاه في بعض أبحاثه، وادَّعيا عدم بيان قوله، وجعلا يستعيدان كلامه بزعمهما . فأنشد لهما :

عَليَّ نحْتُ المعاني من معادنِها وما عليَّ إذا لم تفْهَم البقرُ !

بفتح تاء « تَفْهَم »، مبنيًّا للفاعل . فقالا له : ضُمَّ التَّاء ! يعني ليبني للمفعول . فقال : حينئذ يكون أحدكما شيرازيًّا والآخر كاتبيًّا ! فقالا : نعم ! فتناصفا .

وقال أبو العلاء المعري من قصيدة :

لَوِ اختصرتُم من الاحْسان زُرتُكم والعذْب يُهجرُ للافْراط في الخَصرَ

وهذا المعنى وقع لعليّ بنِ جَبَلَةَ قال : زرت أبا دُلَف في الجبل . فلمَّا حللتُ الكرخ أظهر من برّي وإكرامي أمرًا مفرطا، حتَّى تأخَّرت عنه تأخّرا كثيرا . فوصل معقل بن عيسى فقال : يقول لك الأمير : انقطعت عنّي، وأحسبك استقللت برّي، فلا يغضبنَّك ذلك فسأزيد فيه حتَّى [ترضى][66] ! فقلت : واللَّه ما قطعني عنه إلاَّ إفراطه ! وكتبت إليه :

66) ساقط من ب.

هجرتُك لم أهْجُرْكَ مِن كُفر نعْمةٍ وهل يُرتجى نيلي الزِّيادة في الكُفر ؟
ولكنَّني لمَّا أتيتُكَ زائـــرًا فأفْرطْتَ في برِّي عجزتُ عن الشُّكر
فَمالْآنَ (66 م) لا آتيكَ إلاَّ مُسلِّمًا أزورك في الشَّهرين يومًا أو الشَّهْر
فإن زِدتني بـــرًّا تزيَّدتُ جفْوةً ولم تلقني طول الحياةِ إلى الحشْر !

فلمَّا وصلت إليه قال : قاتله اللَّه، ما أشعره وأدقَّ معانيه ! فأجابني لوقته، وكان حسن البديهة :

ألا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بسطْتُه وآنستُه قبل الضِّيافةِ بالبشْر
أتاني يُرجِّيني فما حالَ دونَه ودون القِرى والعُرفِ من نيله ستري[67]
وجدت له فضْلاً عليَّ بقصْدِه إليَّ وبرًّا زاد فيه على برِّ
فزوَّدتُه مالاً يقلُّ بقاؤُه وزوَّدني مدحًا يدوم مدى الدَّهر

وبعث إليَّ بها وبألف دينار مع وصيفة، فقلت حينئذ :

إنَّما الدُّنيا أبو دُلفٍ بين باديه ومُحْتضرِه[68]
فإذا ولَّى أبو دُلفٍ ولَّتِ الدُّنيا على أثَرِهْ
ملكٌ تنْدَى أنامِلُهُ كانْبِلاجِ النَّوءِ عن مَطَرِهْ
مُستهلٌّ عَن مواهِبِه كابْتسامِ الرَّوض عن زهَرِه[69]
جبلٌ عزَّتْ مناكِبُهُ أمِنَتْ عدنانُ في ثغره
كلُّ مَن في الأرض من عربٍ بين باديهِ ومُحْتضَرِهْ
مُستعيرٌ منهُ مكْرمةً يكتسيها يوم مُفْتخرِه[70]

ويقال إنَّ البيت الثاني هو الذي أحفظ المامون على ابن جَبَلَة حتَّى سلَّ لسانه من قفاه .

وقوله : وجدتُ له فضْلا عليَّ... (البيت). أوَّل من رأينا استعمل هذا المعنى في الشعر الحارث بن عوف المرّي، صاحب الحمالات بين عبس وذبيان، حيث يقول :

كم من يدٍ لا أُؤدِّي حقَّ نِعْمَتِها عندي لِمُخْتبطٍ طار ومن مِنَنَ

---

66 م) في المخطوطات فالآن، وهو تصحيف.
67) في د : من نيله تسري.
68) حرفت الكلمات الأخيرة في د فكتبت : ومختضره.
69) في ب : مستهل من...
70) في د : يكتسبها، وهو تحريف.

إذا جاء يسْعى إلى رَحلي لاسعِفه أليس قد ظنَّ بي خيراً ولم يرني ؟

وقوله : فَـزوَّدتُـه مالاً يقلُّ بقاؤه... (البيت)، هو معنى ما حكي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب، رضي اللّه عنه، أنه قال لإحدى بنات هرم بن سنان المرّي : ما أعطى أبُـوكِ زهيراً إذا امتدحه ؟ فقالت : أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر . فقال أمير المؤمنين : لكن ما أعطاكم زهير لا يفنيه الدهر، أو كلاما نحو هذا . وتقدَّم شيء منه، وسيأتي.

ومنها :

حسَّنتِ نظْمَ كلامٍ توصفينَ بهِ ومنزلاً بك معْموراً من الخَفر
فالحُسنُ يظهرُ في شَيْئَيْنِ روْنَقُه بيتٍ من الشِّعر أو بيتٍ من الشَّعر

ومنها :

والخلُّ كالماءِ يُبْدي لي ضمائرَه مع الصَّفاءِ ويُخفيها مع الكَدرِ

ومنها :

فلا يغُرَّنْك بشْرٌ من سواهُ بَدا وإن أنار فكَم نورٍ بلا ثَمَر ![71]

ومنها :

وافَقْتَهُمْ في اختلافٍ من زمانكُم والبدرُ في الوهْن مثل البدرِ في السَّحر
الموقِدون بِنَجْدٍ نارَ بادية لا يحضُرون وفَقدُ العزِّ في الحضر

ومنها :

فالعين يسلَم منها ما رأت فنبت عنه وتلْحق ما تهْوى من الصُّور

ومنها :

هاجت نميرٌ فهاجَت منك ذا لبدٍ واللَّيثُ أفتكُ أفعالاً من النَّمر
همُّوا فأمُّوا فلمَّا شارفوا وقفوا كوِقْفَةِ العير بين الوردِ والصَّدر[72]

ومنها :

والنَّجم تستصغِرُ الأبصارُ صورتَه والذَّنب للطَّرفِ لا للنَّجم في الصِّغر

ومنها :

---

71) في ب : زيدت « من » قبل «بشر ».
72) في د : هبوا فأمّوا فلمّا شرفوا...، وهو تحريف.

والمرء ما لم تُفِدْ نفعًا إقامتُه غيمٌ حمى الشَّمس لم يُمطر ولم يسر

ومنها :

والكِبرُ والحمد ضدّان اتّفاقُهما مثل اتّفاقِ فتاء السِّنِّ والكبرِ
يُجنى تزايُد هذا من تناقُص ذا واللّيل إن طال غال اليوم بالقصر[73]
خفَّ الورى وأقَرَّتْكُم حُلُومُكُم رُجمرُ تُعدمُ فيه خفَّةُ الشَّرر

وقال أيضا :

جمال المجد أن يُثْنى عليه ولولا الشَّمس ما عُرف النَّهارُ
وللماءِ الفضيلةُ كلَّ حينٍ ولا سيَّما إذا اشتدَّ الأُوارُ

ومنها :

وليس يزيد في جرْيِ المذاكي ركابٌ فوقهُ ذهبٌ مُمارُ
وربَّ مُطوَّقٍ بالتِّبر يكْبو بفارسه وللنَّقع اعتكارُ
وزَنْدٍ عاطِلٍ يحظى بمدحٍ ويُحرمُه الَّذي فيه السِّوارُ !

وقال ابراهيم بن نصر القاضي :

جود الكريم إذا ما كان عن عِدَةٍ وقد تأخَّر لم يسلَم عن الكَدر
إن السَّحائبَ لا تُجدي بوارقُها نفعا إذا هي لم تُمطر على الأثَر
وماطِلُ الوعْد مذمومٌ وإن سمحت يَداه من بعدِ طول المطْل بالبِدرِ
يا دوحَةَ الجود لا عَتبٌ على رجُلٍ يهزُّها وهو مُحتاجٌ إلى الثَّمر !

وقال ابراهيم الصولي :

دنتْ بأُناسٍ عن تناءٍ زيارةٌ وشطَّ بليلى عن دنوٍّ مزارُها
وإنَّ مُقيماتٍ بمُنْعَرَج اللِّوى لأقْربُ من ليلى وهاتيكَ دارُها

وقال ابن درّاج القسطليّ من قصيدة :

ألم تعلمي أن الثواء هو التَّوَى وأن بيوت العاجزين قُبور

وقال أبو نواس في الخصيب يمدحه في قصيدة :

فما فاته جودٌ ولا حلَّ دونه ولك يصير الجود حيث يصيرُ
وإنِّي جَديرٌ إذ بلغْتُك بالمنى وأنت بما أمَّلتُ منك جديرُ

73) حرّف «تزايد» في د فكتب «تزابد».

فإن تولِني منك الجميلَ فأهلُه وإلاَّ فإنِّي عاذرٌ وشكُورُ

وقال الصاحب إسماعيل بن عبَّاد :

رقَّ الزُّجاج ورَقَّتِ الخَمْرُ فتشابَهَا فَتَشَاكَلَ الأمْرُ

فَكأنَّما خمْرٌ ولا قَدَحٌ وكأنَّما قَدَحٌ ولا خَمْرُ

وقال إبو الفضل بن الحِنْزَابَة :

من أخْمَلَ النَّفْسَ أحياها وروَّحها ولم يبِتْ طاويًا منها على ضجرِ

إنَّ الرِّياحَ إذا اشتَدَّتْ عواصِفُها فليس ترمي سوى العالي من الشَّجَرِ

وقال أبو نواس :

تكثَّر ما استطعتَ من الخطَايَا فإنَّك بالغٌ ربًّا غَفُورَا

ستُبصرُ إن وردتَ عليه عفْوًا وتلقى سيِّدًا ملكًا كبيرًا

تَعَضُّ نَدامَةً كَفَّيْكَ ممَّا تركْتَ مَخافَةَ النَّارِ السُّرورَا !

وقال الطغرائي لمَّا ولد له مولود بعدما بلغ سبعا وخمسين من عمره :

هذا الصَّغيرُ الَّذي وافى على كِبرٍ أقرَّ عَيْني ولكنْ زاد في فِكَرِي

سبعٌ وخمسونَ لو مرَّت على حجرٍ لبانَ تأثيرُها في صفْحةِ الحَجَرِ

وقال عروة بن أُذيْنَة :

قالت وأبْثَثْتُها سِرِّي فبُحتُ به : قد كنتَ عندي تحت السِّتر فاستتر!

ألستَ تُبصرُ من حولي ؟ فقلت لها : غطَّى هواكِ وما ألقى على بصَرِي !

وهذا مثل مشهور عند الصوفيَّة وأهل المحبَّة والمشاهدة والفناء، رضي اللَّه عنهم .

يُحكى أن السيدة سُكَيْنة بنت الحسين، رضي اللَّه عنها وعن أسلافها، مرَّت يوما بعُروة هذا - وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين - فقالت له : أنت القائل : قَالَتْ وأبْثَثْتُها سِرِّي... (البيت) ؟ فقال : نعم ! فالتفتت إلى جوار لها كنَّ معها فقالت : هنَّ حرائر إن كان خرج هذا [عن][74] قلب سليم قط !

ومن ملح ما جرى بينها وبينه أيضا أنَّه مات لعروة أخ يقال له بكر، فرثاه عروة بقوله :

سَرى هَمِّي وهمُّ المرءِ يسْري وغابَ النَّجمُ إلاَّ قيدَ فِتْرِ

74) سقط من د.

أُراقبُ في المَجَرَّةِ كلَّ نَجْمٍ تَعرَّضَ أو على المجْراتِ يجْري
لِهمٍّ ما أراكَ لهُ قريبـًا كأنَّ القلبَ أُبطِنَ حرَّ جَمْرِ
على بكْرٍ أخي فارقْتُ بِكْرًا وأيُّ العَيشِ يصلُحُ بعد بَكرِ؟

فلمَّا سمعت سكينة هذا الشعر قالت : ومن هو بكر هذا ؟ فوُصف لها . قالت : أهو ذلك الأُسَيِّد الذي كان يمرّ بنا ؟ قالوا : نعم ! قالت : لقد طاب بعده كلّ شيء حتَّى الخبز والزيت !

والأُسَيِّدُ تصغير أسْوَد .

ويحكى أن بعض المغنّين غنَّى بهذا الشعر عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأموي في مجلس أنسه فقال : من يقول هذا ؟ قيل : عروة بن أذينة . فقال : وأيُّ عيش بعد بكر هذا العيش الذي نحن فيه ؟ واللّه لقد حَجَّرَ واسعاً.

وقال عبد اللّه بن المعتز :

فكان ما كان ممَّا لستُ أذكُرُه فظُنَّ خيرًا ولا تسأل عن الخبرِ !

وهو مثل مشهور . وقبله قوله :

سقَى المَطيرةَ ذاتَ الظِّلِّ والشَّجر وديْرَ عبدونَ هطَّالٌ من المَطرِ
فطالما نبَّهتْني للصَّبُوح بها في غُرَّةِ الفجْرِ والعُصفورُ لم يَطِرِ
أصواتُ رُهْبانِ دير في صلاتِهِمُ سُودُ المدامِعِ نعَّارُونَ بالسَّحرِ
مُزنَّرينَ على الأوساط قد جعلوا على الرُّؤوس أكاليلاً من الشَّعر
كم فيهمُ من مليح الوجْه مُكتحِلٍ بالسِّحرِ يكْسرُ جَفْنيه على حورِ !
لاحظْتُه بالهوى حتَّى استغاد له طوعًا وأسلمني الميعادَ بالنَّظرِ
وجاءني في قميصِ اللَّيلِ مُستترًا يستعْجلُ الخطْو من خوفٍ ومن حذَرِ
فقمتُ أفرشُ خدِّي في الطَّريق له ذلاً وأسحَبُ أذيالي على الأثَرِ
ولاح ضوءُ هلالٍ كاد يفْضحُنا مثلُ القُلامةِ قد قُصَّتْ من الظُّفرِ

فكان ما كان ... (البيت)

وقال عبد اللّه بن طاهر :

اغْتَفِرْ زَلَّتِي لِتُحْرِزَ فضْلَ الشُّكْرِ منِّي ولا يفُوتُكَ أجْرِي
لا تَكِلْنِي إلى التَّوسُّلِ بالعُذرِ لعَلِّي ألاَّ أقُومَ بعُذرِ !

وقال أبو نواس في مدح أهل البيت :

مُطهَّرونَ نَقِيَّاتٌ جُيوبُهُم تجْري الصَّلاةُ عليهمْ أينما ذكِروا
من لم يكن علويًّا حين تنسبُه فما له في قديم الدَّهر مُفْتخَرُ
اللَّه لمَّا برا خلْقًا فأتْقَنهُم صفاكُمُ واصطفاكُم أيُّها البشرُ
فأنتُمُ الملأُ الأعْلى وعندكُمُ عِلمُ الكتاب وما جاءتْ به السُّوَرُ

وقال القاضي الجرجاني

وقالوا : توصَّل بالخُضوع إلى الغنى! وما علموا أنَّ الخُضوعَ هو الفقرُ
وبيني وبين المال شيئان حرَّما عليَّ الغنى : نفسي الأبيَّةُ والدَّهرُ
وإن قيل هذا اليُسرُ، أبصرتُ دونه مواقفَ خيرٌ من وقوفي بها العُسرُ

وقال الفضل بن الربيع :

عسى وعسى يثْني الزَّمانُ عِنانهُ بتصريفِ حالٍ والزَّمانُ عَثُورُ
فتُقْضى لُبانَاتٌ وتشْفى حسائفٌ وتحدثُ من بعد الأمورِ أُمورُ !

وقال الأمير قابوس :

قُل للَّذي بصُروفِ الدَّهرِ عيَّرنا: هل حاربَ الدَّهرُ إلاَّ مَن له خطرُ ؟
أما ترى البحرَ تَعْلو فوقه جيَفٌ وتستقرُّ بأقصى قعْرِهِ الدُّرَرُ ؟
فإن تكن عبثتْ أيدي الزَّمان بنا ونالَنا مِن تمادي بُؤسِهِ ضررُ
ففي السَّماءِ نُجومٌ مالها عَددٌ وليس يُكْسفُ إلاَّ الشَّمسُ والقمرُ !

وحدَّثني بعض الأصحاب أنَّ ملك مرَّاكش كتب إلى المعتمد بن عبَّاد، حين اعتقله بمدينة أغمات، بقول الآخر :

حسَّنتَ ظنَّك بالأيَّام إذ حسُنت ولم تخَف سوءَ ما يأتي به القدرُ
وساعدتْك اللَّيالي فاغْتررت بها وعند صفْوِ اللَّيالي يحدثُ الكدرُ !

فأجابه المعتمد من سجنه :

مَن ذا الَّذي بصُروفِ الدَّهر عيَّرنا ؟ لا يُنْكر الدَّهر إلاَّ مَن له القدرُ

وفي البساتينِ أفْنانٌ منوَّعةٌ ... وليس يُقطفُ إلاَّ الوردُ والزَّهرُ
وفي السَّماء نُجومٌ مالها عَددٌ ... وليس يُخْسفُ إلاَّ الشَّمسُ والقمرُ !

واللَّه أعلم بالمخترع !

وقال الآخر، ويُنسب لعثمان، رضي اللَّه عنه :

غنى النفسِ يُغني النفسَ حتى يكُفها ... وإن عضَّها حتَّى يضُرَّ بها الفقْر
وما عُسرةٌ فاصبِرْ لها إن لقيتها ... بكائنةٍ إلاَّ ويتبعُها اليُسرُ !

وقال أيضـا :

تفنى اللَّذاذةُ ممَّن نال صفْوتَها ... من الحرامِ ويبقى الإثْمُ والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ من مُعقِّبِها ... لا خير في لذَّةٍ من بعدها النَّارُ !

وقال ابن رفاعة، وكان عبد الملك بن مروان لمَّا قتل المصعب بن الزبير ودخل الكوفة فصعد المنبر وقال : أيّها الناس، إنَّ الحرب صعبة، وإنَّ السلم أمن ومسرَّة : فاستقيموا على سبيل الهدى، ودعوا الأهواء الموجبة للردَّى، وتجنَّبوا فراق جماعة المسلمين، ولا تكلّفونا أفعال المهاجرين الأوَّلين، وأنتم لم تعملوا عملهم، ولم تسلكوا سبيلهم، ولا أظنُّكم تزدادون بعد الموعظة إلاَّ صعوبة، ولن تزداد وابعد الاعْذار إليكم إلاَّ عقوبة . فمن عاد عدنا، وإن زاد زدنا، وإنَّا معكم كما قال أبو قيس بن رفاعة :

مَن يصْلَ ناري بلا ذنْبٍ ولا تِرةٍ ... يصْلَ بنارٍ كريمٍ غيرِ غدَّارِ
أنا النَّذيرُ لكُم منِّي مُجاهرة ... كي لا أُلامَ على نهْيٍ وإنْذارِ
فإن عصيتُم مقالي اليوم فاعترفوا ... أن سوف تلقوْن خِزيًا ظاهرَ العارِ
لا نرجِعنَّ أحاديثًا مُلَقَّنةً[75] ... لهْو المُقيمِ ولهْوَ المُدلِجِ السَّاري
من كان في نفسها حوجاءُ يطلُبها[76] ... عنْدي فإنِّي له رهْنٌ باضْمارِ
أُقيمُ عوجَتَه إن كان ذا عوجٍ ... كما يقوِّم قدحَ النَّبعةِ البارِي
وصاحبُ الوتْرِ ليس الدَّهرَ يُدركُه ... عنْدي وإنِّي لَدَرَّاكٌ بِأوْتَارِ

وقال الآخـــر :

---

75) في ب : لترجعن...
76) في المخطوطات : «في نفسها» ولعل الصواب : «في نفسه» . وفي ب «جوجاء» وهو تحريف.

رأيتُك إن أرسلتَ طرفَكَ رائِداً لقلْبِك يوماً أعْجبتْك المناظرُ
رأيتُ الَّذي لا كُلُّهُ أنتَ قادرٌ عليه ولا عَن بعْضِهِ أنتَ صابِرُ

وهذا مثل مشهور .

وعن الأصمعي قال : كنت في بعض مياه العرب، فسمعت النَّاس يقولون : جاءت ! جاءت ! فنظرت فإذا جارية وردت الماء، ما رأى الراؤون مثلها . فلمَّا رأت إلحاح النَّاس بالنظر إليها، أرسلت برقعًا كأنَّه غمامة غطَّت شمسا . فقلت لها : تمنعين النَّاس من النظر إلى هذا الوجه الحسن ؟ فقالت :

رأيتُك إن أرسلت طرْفَك...(البيتين)

فنظر إليها أعرابي فقال : أنا واللَّه ممَّن ولى صبره ! ثمَّ أنشد :

أوحْشيَّة العينين أين لكِ الأهلُ ؟ أبالحَزنِ حلُّوا أم محلُّهُم السَّهلُ ؟
وأيَّةُ أرضٍ أخْرجتْكِ فإنَّني أراك من الفردوسِ أنشأكِ الأصلُ
أم البدرُ أنشاكِ المُنير فإن يكن لبدْر الدُّجى نسلٌ فأنتِ له نسلُ
حسُنْتِ فأمَّا الوجهُ منكِ فمشرقٌ وعينانِ كحلاوان زيَّنهُما كُحلُ
قفي خبِّرينا ما طعمتِ وما الَّذي شربتِ ومن أين استقلَّ بك الرَّحلُ ؟
فإنَّ علاماتِ الجنانِ مبينةٌ عليكِ وإنَّ الشَّكلَ يُشبِهه الشَّكلُ

وقال :

فإنَّا ومن يُهدي القصائد نحونا كمُستبضعٍ تمراً إلى أرض خيبَرا

وقال يحيى بن طالب الحنفي :

تعزَّيتُ عنها كارهًا فتركتُها وكان فِراقِيها أمرَّ من الصَّبْر

وكان يحيى هذا سخيًا جوادا . ثمَّ إنَّه ركبه دين فادح، فجلا عن اليمامة إلى بغداد يسأل السلطان في قضاء دينه . فأراد رجل من أهل اليمامة الشخوص إليها من بغداد، فشيَّعه يحيى . فلمَّا جلس الرجل في الزورق ذرفت عينا يحيى فأنشأ يقول :

أحقًّا عباد اللَّهِ أن لستُ ناظراً إلى قرقَرا يوماً وأعْلامِها الخُضرِ ؟
إذا ارتحَلت نحو اليمامةِ رِفقةٌ دعاك الهوى واهتاج قلبُك للذِّكرِ
أقولُ لموسى والدُّموعُ كأنَّها جداولُ ماءٍ في مساربِها تجْري :

ألا هلْ لشيخٍ وابن ستِّينَ حجَّةً بكى طربًا نحو اليمامةِ من عُذرِ ؟
كأنَّ فـؤادي كُلَّما مرَّ راكِبٌ جناحُ غُرابٍ رامَ نهْضًا إلى وكْرِ
يُزهِّدني في كلِّ خيرٍ صَنَعْتُهُ إلى النَّاس ما جرَّبتُ من قلَّة الشُّكرِ
فيا حَزنًا ماذا أُجنُّ مِن الهوى ومن مُضْمَرِ الشَّوقِ الدَّخيلِ إلى حجر ؟

تَعَزَّيتُ عنها كارهًا... (البيت)

وحَجْر - بالفتح - قصبة اليمامة .

ثمَّ إنَّ الرشيد غُنِّي بشعر ليحيى هذا، وهو :

أيا أثلاتِ القاع من بطنِ توضحٍ حنيني إلى أطلالكُنَّ طَويلُ
ويا أثلاتِ القاع قد ملَّ صحبتي مسيري فهل في ظلِّكنَّ مَقيلُ ؟
ويا أثلاتِ القاعِ قلبي مُوكَّلٌ بكُنَّ وجدوى نيْلِكُنَّ قليلُ
ألا هل إلى سَمٍّ الخُزامى ونظرةٍ إلى قرقرا قبلَ المماتِ سبيلُ ؟
فأشربُ من ماء الحجيلاءِ شُربةً يُداوى بها قبلَ المماتِ عليلُ
أُحدِّثُ عنكِ النَّفس أن لستُ راجعًا إليكِ فحُزني في الفُؤادي دخيلُ
أُريد هُبوطًا نحوكُم فيرُدُّني إذا رُمْتُه دينٌ عليَّ ثقيلُ

فقال الرشيد : يُقضى ديْنه ! فالتمس فإذا هو مات قبل ذلك بشهر .

وقالت جارية تخاطب نفسها :

إذا لم يكُن للأمر عندكِ حيلةٌ ولم تجدي بُدًّا من الصَّبر فاصبري !

وكانت هذه الجارية لرجل من قيس عيلان، فكان بها كلفا . ثمَّ أصابته حاجة وجهد، فقالت له: لو بعتني فلو نلت طائلا عدت به عليك ! فأخرجها للبيع، وعُرضت على ابن معمر المذحجي، فأعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم . فلمَّا مضت لتدخل القصر ودَّعت مولاها وأنشدته :

هنيئًا لك المالُ الَّذي قد أصبتَه ولم يبق في كفِّيَّ إلاَّ تفكُّري
أقول لنفسي وهْي في كربِ عِيشةٍ : أقِلِّي فقد بان الحبيبُ أو اكْثِري !
إذا لَم يكُن للأمرِ عندكِ... (البيت)

فأجابها مولاها :

فلَولا نُبُوُّ الدَّهر عنّيَ لم يكُن لفُرقتِنا شيءٌ سوى الموت فاعذري
أؤوبُ بحُزنٍ من فراقِك مُوجِعٍ[77] أُناجي به قلبًا طويل التَّفكُّر ؟
عليكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننا ولا وصْل إلاَّ أن يشاء ابنُ معْمرِ

فقال له : خذ بيدها، فهي لك وثمنها !

وقال الخليل بن أحمد :

إن كُنت لست معي فالذِّكر منك معي يرعاك قلبي وإن غُيِّبْتَ عن بصري
العين تفقد مَن تهْوى وتُبصرهُ وناظرُ القُربِ لا يخْلو من النَّظرِ !

وهو مثل مشهور للصوفيَّة :

أما والَّذي لو شاءَ لم يُخلَفِ الهوى لئن غِبتَ عن عيني لما غِبْتَ عن قَلبي
يُوهِّمُنيك الشَّوقُ حتَّى كأنَّما أُناجيكَ من قُربٍ وإن لم تكُن قربي

وقال الآخر :

أبلِغ أخانا تولَّى اللَّه صُحبَته أنِّي وإن كُنت لا ألْقاهُ ألقاهُ
وأنَّ قلبي موصولٌ بِرُؤيتِهِ وإن تباعد عن مثْوايَ مثْواهُ !

وقول الآخر :

إذا اشتاقتِ العينانِ منكَ بِنظْرةٍ تمثَّلْتَ لي في القلبِ مِن كلِّ جانبِ

وحكي عن الامام الشبلي، رضي اللَّه عنه، أنَّه رأى يوما مجنونا والصبيان خلفه يرمونه بالحجارة وقد أدموا وجهه وشجّوا رأسه . فأخذ الشبلي يزجرهم عنه، فقالوا له : يا شيخ، دعنا نقتله، فإنَّه كافر ! فقال لهم : وما الذي بان لكم من كفره ؟ فقالوا : يزعم أنَّه يرى ربَّه ويحادثه . فقال : أمسكوا عليَّ قليلا ! فتقدَّم الشبلي فوجده يتحدَّث ويضحك ويقول في أثناء ذلك : هذا جميل منك، تُسلِّط عليَّ الصبيان ليشغلوني عنك ! فقال : يا شبلي، وما الذي قالوا ؟ قال : تقول إنَّك ترى ربَّك وتحادثه . فصاح صيحة عظيمة، ثمَّ قال : يا شبلي، نعم وحقّ من تيَّمني بحبّه، وهيَّمني بين بعده وقربه ! لو احتجب عنّي طرفة عين،لتقطعت من البين . ثمَّ ولَّى وهو يقول :

لئِن غبتَ عن عيني وشطَّ بك النَّوى فأنتَ بقلبي حاضرٌ وقريبُ

77) في د : «موجعًا» فيكون حينئذ بصيغة اسم المفعول.

أراكَ بعينِ الوهْمِ في مُضمَرِ الحشا ... وليس على عين الفُؤاد رقيبُ
خيالُك في وهْمي وذكْرُكَ في فمي ... ومَثْواكَ في قلبي فأينَ تغيبُ ؟

وقال سويد بن الصامت :

ألا رُبَّما تدعو صديقًا ولو ترى ... مقالتَه بالغيبِ ساءك ما يفْري
لسانٌ له كالشَّهْد ما دُمتَ حاضرًا ... وبالغيب مطْرورٌ على ثُغْرةِ النَّحرِ !

قوله « مَطرور » أي محدود، تقول : طَرَرتُ السكّينَ . والثُّغْرةُ - بضمّ المثلّثة وسكون الغين المعجمة - نُقْرة النَّحرِ بين التَّرقُوَتَيْنِ .

غيـــره :

كَم مِن أخٍ لَك لستَ تُنكِرهُ ... ما دُمْتَ من دُنْياكَ في سِتْرِ
مُتصَنِّعٍ لَكَ في مودَّتِهِ ... يَلقاكَ بالتَّرحيبِ والبِشْرِ
يُطري الوفاءَ وذا الوفاءِ ويلْحي ... الغَدرَ مُجتهدًا وذا الغَدرِ[78]
فإذا عَدا، والدَّهر ذو غِيرٍ، ... دهْرٌ عليك عَدا مع الدَّهرِ
فارفُضْ بإجْمالٍ مودَّةَ مَن ... يقْلي المُقلَّ ويَعشَقُ المُثري
وعليك مَن حالاهُ واحدةٌ ... في العُسْرِ إمَّا كُنتَ واليُسْرِ
لا تخْلِطَنَّهُمُ بِغَيْرِهِمُ ... مَن يَخْلِطُ العُقْبانَ بالصُّقْرِ

غيـــره :

اخْطُ مع الدَّهر إذا ما خَطا ... واجْرِ مع الدَّهْرِ كما يجْري
من سابقَ الدَّهْرَ كبا كبْوةً ... لم يستقِلْها آخرَ الدَّهْرِ
ليس لما ليستْ له حيلةٌ ... موجودَةٌ خيرٌ من الصَّبْرِ !

ويُـــروى :

حيلةُ ما ليْسَتْ له حيلةٌ ... حُسنُ عزاءِ النَّفسِ والصَّبرِ

وقال المخزومي :

العيب في الجاهلِ المغْمور مغْمور ... وعيبُ ذي الشَّرفِ المذكورِ مذكورُ
كفوفةِ الظُّفرِ تخفى من حقارَتِها ... ومثلُها في سوادِ العينِ مشهورُ

78) في ب : «الغدر مجب هذا وذا الغدر». وهو تحريف.

ونحوه قول إبراهيم بن المهدي :

لولا الحياءُ وأنَّني مشهورُ ... والعَيبُ بالرَّجُلِ الكبير كبيرُ
لحَلَلتُ منزلَهُ الَّذي يحتلُّهُ ... ولكانَ منزلُنا هُو المهجورُ !

وقال أبو سليمان الخطَّابي :

أنِستُ بوحدتي ولزِمْتُ بيتي ... فدامَ الأُنسُ لي ونما السُّرورُ
وأدَّبني الزَّمانُ فلا أُبالي ... هُجِرتُ فلا أُزارُ ولا أزورُ
ولستُ بسائل ما دُمتُ حيًّا ... أسارَ الجيشُ أم ركبَ الأميرُ[79]

غيره :

لصيدُ اللُّخْمِ في البحرِ ... وصيدُ الأسْدِ في البرِّ
وقضْمُ الثَّلجِ في القرِّ ... ونقلُ الصَّخْرِ في الحرِّ
وإقْدامٌ علَى الموتِ ... وتحْويلٌ إلى القَبْرِ
لأشْهَى في طِلابِ العزِّ ... ممَّن عاش في الفقرِ

اللُّخْمُ - بالخاء المعجمة - حيوان بحريٌّ صعب المنال .

غيره :

خاطِرِ بنفسك لا تقْعُد بمَعْجَزَةٍ ... فليس حُرٌّ على عجزٍ بمعْذورِ
إن لم تنل في مُقامٍ ما تُحاولُه ... فأبْلِ عُذراً بإدلاجٍ وتهجيرِ
لن يبلُغ المرءُ بالاحجام حاجتَه ... حتى يُباشرَها منه بتغْريرِ
حتى يُواصلَ في أنحاء مَطلبِها ... سهلاً بحَزنٍ وأنجاداً بتغويرِ

غيره :

لعمرُكَ ما الرَّزيَّةُ فقد مالٍ ... ولا شاةٌ تموتُ ولا بعيرُ
ولكنَّ الرَّزيَّةَ موتُ نفْسٍ ... يموتُ بموتِها بَشرٌ كثيرُ

ونحوه قول الآخر في قيس بن عاصم المنقري، رضي اللَّه عنه :

فما كان قيسٌ هلْكُه هلكُ واحدٍ ... ولكنَّه بُنيانُ قومٍ تهدَّما

غيره :

---

79) في د : ولست سائلاً...

ومَن يجعلِ المعروفَ مِن دون أهْله يُلاقي الَّذي لاقى مُجيرُ آمٌ عامِرِ

وسيأتي تتميم هذا الشعر وشرح قصَّته في الكاف، إن شاء اللَّه تعالى.

وقال شيخ من الأعراب نظر إلى امرأته تتصنَّع وهي عجوز :

عجوزٌ ترجَّى أن تكونَ فتيَّةً وقد لحِب الجنْبانِ واحدوْدب الظَّهرُ

تدُسُّ إلى العطَّار سلْعةَ بيتِها وهل يُصلِحُ العطَّار ما أفسد الدَّهرُ؟

وزيد فيه :

وما غرَّني إلَّا خِضابٌ بكَفِّهَا ونجْلٌ بعينيْها وأثوابُها الطُّهرُ

وجاؤوا بها قبلَ المِحاق بليلةٍ فكان مِحاقًا كُلُّه ذلك الشَّهرُ !

فقالت امرأته مجيبة :

ألم تر أنَّ النَّاب تحلبُ عُلبةً ويُترك ثِلبٌ لاضرابٌ ولا ظهرُ ؟

ثمَّ استغاثت بالنساء، واستغاث بالرجال فإذا هم خلوف، فاجتمع عليه النساء فضربنه .

قوله : لَحِبَ الجنْبانِ أي قلَّ لحمها، يقال لحِبَ الرجل ـ بالكسر ـ إذا أنحله الكبر .

قوله : سِلْعَةَ بَيْتِهَا يريد السويق والدقيق ونحوهما، والعرب تقول لكلّ عرض سلعة، والنَّابُ : الناقة المسنَّة . والعُلْبَةُ ـ بالضمّ ـ: القدح العظيم من الخشب أو من جلود الابل يُحلب فيه، والثِّلْبُ ـ بالثَّاء المثلَّثة ـ على مثال قِرد ـ: الجَمل إذا سقطت أسنانه هرمًا وتناثر شعر ذنبه، تقول : إنَّ الانثى فيها نفع وأن أسَّنت، بخلاف الذكر إذا أسنَّ .

وقال بعض الأدباء :

وأتمُّ الأشياء حُسنًا ونورًا بكْرُ شُكرٍ زُفَّت إلى صهْرٍ برٍّ

ما قرانُ السَّعدينِ في الحوت أبهى منظرًا من قرانِ برٍّ وشُكر !

وقال سعد بن ناشب :

تُفنِّدني فيما ترى من شَراسَتي وشدَّةِ نفسي أمُّ سعدٍ وما تدري[80]

فقلت لها : إنَّ الكريمَ وإن حَلا ليُلفَى على حالٍ أمرَّ من الصَّبرِ

وفي اللِّين ضغفٌ والشَّراسةِ هيبةٌ ومَن لا يُهب يُحملْ على مركبٍ وعْرِ

ومابي على مَن لان لي مِن فظاظةٍ ولكنَّني فظٌّ أبيٌّ على القسرِ

80) في ب : وشدة نفس...

أُقيمُ صغرَى ذي الميلِ حتى أرُدَّه وأخْطِمُه حتى يعودَ إلى القدرِ
فإن تعذليني تعذِلي بيَ مُرزءًا كريم نَـثَا الاعسار مُشتركَ اليُسر
إذا همَّ ألقى بين عينيهِ همَّهُ وصمَّم تصميمَ السُّريْجيِّ ذي الأثْر

قوله : كَريمَ نَـثَا الاعسارِ ـ بتقديم النون ـ: ذِكْر الرجل بجميل أو قبيح، فهو مشترك . يقول إنَّه يُثنى عليه في الاعسار بخير وكرم وعفَّة، والأثْرُ ـ بفتح الهمزة وكسرها ـ: فِرِنْدُ السيف، وهو رونَقُه وماؤه.

وقال سالمُ بن وابصة :

أحبُّ الفتى ينْفي الفواحِش سمعُه كأنَّ به عن كُلِّ فاحِشةٍ وقْرا
سليم دواعي الصَّدر لا باسطًا أذًى ولا مانعًا خيرًا ولا ناطقًا هُجرا
إذا ما أتت من صاحبٍ لك زلَّةٌ فكُن أنت مُحتالاً لزلَّتِه عُذرَا
غِنى النفس ما يَكفيكَ من سدِّ خَلَّةٍ وإن زادَ شيئًا عاد ذاك الغِنى فقرا

وقال كثيِّر، وكان قد دخل على عبد الملك بن مروان، رحمه اللَّه، فقال له : أأنت كثيِّر ؟ قال : نعم ! قال : أن تسمع بالمُعيدي خير من أن تراه ! قال : يا أمير المؤمنين، كلّ عند محلّه رحْب الفِناء، شامخ البناء، عالي السناء . ثمَّ أنشأ يقول :

ترى الرَّجُل النَّحيفَ فتزدريهِ وفي أثْوابِهِ أسَدٌ هَصُورُ
ويُعْجبُكَ الطَّريرُ إذا تَراهُ فيُخْلِفُ ظنَّكَ الرَّجُلُ الطَّريرُ
بُغاثُ الطَّيرِ أطْوَلُها رقابًا ولم تطُلِ البُزاةُ ولا الصُّقورُ
خشاشُ الطَّيرِ أكثرُها فراخًا وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزورُ
ضعافُ الأُسدِ أكثَرها زَئِيرًا وأصْرمُها اللَّواتي لا تَزِيرُ
وقد عظُم البعيرُ بغيرِ لُبٍّ فلم يستغْنِ بالعِظمِ البعيرُ
يُنوَّخُ ثمَّ يُضرَبُ بالهراوى فلا عُرفٌ لديهِ ولا نَكِيرُ
يُقوِّده الصَّبيُّ بكُلِّ أرضٍ ويحنَـرهُ على التُّرب الصَّغيرُ
فما عظمُ الرِّجالِ لهُم بزيْنٍ ولكِن زيْنُهُم كَرمٌ وخِيرُ

فقال عبد الملك : لِلَّه درّه، ما أفصح لسانه ! وأضبط جنانه ! وأطول عنانه ! واللَّه إنّي لأظنّه كما وصف نفسه ! قوله : أسَدٌ هَصُورٌ، الهَصْرُ ـ بالصاد المهملة ـ: الكَسْر

والجَذْب . والمِقْلاتُ : التي لا يعيش لها الأولاد . والنَّزورُ : القليلة الولد، كما مرَّ . والطَّريرُ من الرجال : ذو المنظر والرُّواء الحسن . والخِيرُ ـ بالكسر ـ: الكرم والشَّرف والأصل. ونُسب هذا الشعر أيضا لغير كثيّر، وهو في الحماسة.

وقال الزِّبْرقَانُ بن بدر :

تَعدو الذِّئاب على مَن لا كِلابَ لَه وتتَّقي مربضَ المُستأْسِدِ الضَّاري

يُحكى أنَّ عمر بن أبي ربيعة بينما هو يطوف إذ بَصُر بامرأة في الطواف، فأعجبته فكلَّمها فَنَفرت وقالت : إليك عنّي، فإنّي في حرم اللَّه وفي موضع عظيم الحرمة ! فلمَّا ألحَّ عليها وشغلها عن الطواف ذهبت إلى بعض محارمها فقالت له : احْضُرْ معي تُرِنِي المناسك ! فجاء معها فلمَّا رآه عمر تباعد عنها، فتمثَّلت حينئذ بهذا البيت . فبلغ المنصور خبرها فقال : وددت لَو لَم تَبقَ بنت في خِدرها إلاَّ سمِعته[81] .

وقال الحماسي :

ومَنْ أنتُمُ إنَّا نسينا مَنَ أنتُمُ وريحُكُمُ من أيِّ ريحِ الأعاصِرِ ؟

فأنتُم أَلَى جئتُم مع البقْل والدَّبا فطار وهذا شخْصُكم غير طائِرِ

الدَّبا ـ بالدال المهملة وبالباء الموحَّدة المفتوحتين ـ: أصغر الجراد والنَّمل، الواحدة دَبَاةٌ . قال الراجز :

كأنَّ خرْقَ قُرطِها المَعْقوبِ على دَباةٍ أو على يَعْسوبِ

وقال الآخر :

يا قَلبُ إنَّك من أسماءَ مغْرورُ فاذكر وهل ينفَعنْك اليومَ تذْكيرُ ؟

حتَّى مَتى أنتَ منها مُدنَفٌ ولِهٌ لا يَسْتبِيك سِواهَا البُدَّنُ الحورُ ؟

تأتي أُمورٌ فما تدري أعاجِلُها خيرٌ لنفسِكَ أم ما فيه تأخِيرُ

فاستقْدِرِ اللَّهَ خيراً وارضينَّ بِه فبينما العُسرُ إذ دارَت مياسيرُ

وبينما المرءُ في الأحْياءِ مُغْتبطٌ إذ صار في الرَّمسِ تعفوه الأعاصيرُ[82]

---

81) هنا هامش في ب : «قوله فبلغ المنصور خبرها، هذا خطأ، فإن زمن المنصور متأخر عن زمن عمر بن أبي ربيعة. فإنه من شعراء الأموية». الملاحظة صحيحة من حيث الزمن، لكنها لا تنافي أن يكون المنصور العباسي علم في عصره بالقصة وقال ما قال.

82) في ب : «إذ سار في الرمس...» وهو تحريف.

يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفُهُ ... وذو قرابَتِهِ في الحيِّ مَسْرورُ
حتَّى كأنْ لم يكُن إلاَّ تذكُّرُهُ ... والدَّهْرُ أيَّتما حالٍ دَهاريرُ
فذاك آخِرُ عُمرٍ مِن أخيك إذا ... ما ضمَّنتْ شِلْوهُ اللَّحْدُ الحناشيرُ

وقال الآخـــر :

تصبَّرتُ مغْلوبًا وإنِّي لصابرٌ ... كما صَبَرَ الظَّمآنُ في البَلَدِ القَفْرِ

وقبلـــه :

أيا عمرُو لم أصْبِرِ ولي فيكَ حيلةٌ ... ولكن دعاني اليأسُ منكَ إلى الصَّبرِ!

غيـــره :

وإنَّ سعيد الجدِّ مَن بات ليلةً ... وأصبح لم يُوشَب ببعض الكبائر[83]
فمَولاكَ لا يُهْضَمْ لديْك وإنَّما ... هضيمةُ مولى المرءِ جَدْعُ المَناخِرِ
وجارُكَ لا يذْمُمْكَ إنَّ مسبَّةً ... على المرء في الأدنَين ذمُّ المجاورِ
فإن قُلتَ فاعْلم ما تَقولُ فإنَّهُ ... إلى سامعٍ ممِّنْ تُعادي وآثِرِ
فإنَّكَ لا تسْطيعُ ردَّ مَقالَةٍ ... شَأتْكَ وزلَّتْ عن فُكاهَةِ فاغِرِ
كما ليس رامٍ بعد إرسالِ سهْمِهِ ... على ردِّهِ قبل الوقوعِ بقادرِ
إذا أنتَ عاديْتَ الرِّجالَ فلا تزلْ ... على حَذَرٍ لا خير في غيرِ حاذرِ
ومَن لا يُصانِع في أُمورٍ كثيرةٍ ... يُضرَّسْ بأنيابٍ ويُوطَأْ بحافِرِ
ترى المرءَ مخْلوقًا وللعينِ حظُّها ... وليس بإحْناءِ الأمورِ بحابِرِ
فَذاك كماءِ البحرِ لستَ مُسيغَهُ ... ويعْجَبُ منه ساجيًا كلُّ ناظِرِ
وتلْقى الأصيلَ الفاضِلَ الرَّأيِ جِسمُه ... إذا ما مَشى في القومِ ليسَ بقاهِرِ
كذلكَ جَفْنٌ رثَّ عَن طولِ مُكْثِهِ ... على حدِّ مفْتوقِ الغِرارَيْنِ باترِ[84]
وعاشٍ بعينيهِ لِما لا يَنالُهُ ... كساعٍ برجْلَيهِ لإدراكِ طائِرِ
ومُستنزِلٍ حربًا على غير ثرْوةٍ ... كمُقْتحِمٍ في البحرِ ليس بماهِرِ
ومُلتمِسٍ وُدًّا لِمَن لا يَوَدُّهُ ... كمُعتذرٍ يومًا إلى غير عاذِرِ

---

83) سقطت الواو (او الفاء) من اول البيت في المخطوطات، وهو لا يستقيم وزنًا بدونها.
84) في ب : «... الضرارين باتر» وهو تحريف.

ومتّخِذٍ عُذْرًا فعادَ ملاَمَةً ... كوالِي اليتامى ما لهُم غير وافرِ[85]

فسارِع إذا سافَرتَ في الحمدِ واعلَمنْ ... بأنَّ ثناءَ الرَّكْبِ حظُّ المُسافِرِ

وطاوِعْهُمُ فيما أرادوا وقُل لهم : ... فِدًا للَّذي رُمتُم كلالُ الأباعِدِ !

وإن كُنتَ ذا حَظٍّ من المال فالتمِسْ ... به الأجْرَ وارفَعْ ذكْرَ أهل المقابِرِ

فإنِّي رأيتُ المال يفْنى وذكْرُهُ ... كظِلٍّ يقيكَ الظِّلُّ حرَّ الهواجِرِ !

وقال عروة بن الورد المعروف بعروة الصعاليك العبسي :

لَحى اللَّهُ صُعْلوكًا إذا جنَّ ليلُه ... مُصافي المُشاشِ آلفًا كُلَّ مجْزِرِ

ينامُ ثقيلاً ثمَّ يُصبحُ قاعِدًا ... يحُتُّ الحصى عن جنْبه المُتعفِّرِ[86]

يُعينُ نساءَ الحيِّ ما يستعِنَّهُ ... فيمْضي طليحًا كالبَعير المُحسَّرِ[87]

ولكنَّ صُعلوكًا صَفيحَةُ وجْهِهِ ... كضَوءِ سراجِ القابِسِ المُتنوِّرِ[88]

مُطِلاًّ على أعدائِهِ يزجُرونَهُ ... بساحتهم زَجْرَ المَنيحِ المُشَهَّرِ

وإن بَعُدوا لا يأمنونَ اقْتِرابَهُ ... تشَوُّفَ أهْلِ الغائِبِ المَتنظَّرِ[89]

فذالِك إن يَلقَ المنيَّةَ يلقَها ... حميدًا وإن يستغْنِ يومًا فأجْدرِ[90]

وقال الشريف الرضيّ :

أودى وما أودَتْ مناقِبُهُ ... ومِنَ الرِّجالِ مُعَمَّرُ الذِّكْرِ

غيره :

طَربتَ إلى الأصَيبيَة الصِّغارِ ... وهاجَك منهُمُ قُربُ المزارِ

وأبرحُ ما يكونُ الشَّوقُ يومًا ... إذا دَنَتِ الدِّيارُ مِن الدِّيارِ

وقال كثيّر :

وقد زعَمتْ أنِّي تغيَّرتُ بعدها ... ومَن ذا الَّذي يا عزَّ لا يتغيَّرُ ؟

تغيَّرَ جِسمي والخليقةُ مثلَما ... عهدتِ ولم يُخْبِرِ بسِرِّكِ مُخبرُ

---

85) في د : «كوال اليتامى..» وهو تحريف.
86) في الحماسة : ينام عشاء ثم يصبح ناعسًا
87) في الحماسة أيضا : ويسمي طليحًا...
88) في الحماسة : كضوء شهاب....
89) في الحماسة : إذا بعدوا...
90) في د :فذلك إن يلقى... وهو تحريف.

دخلت عَزَّة هذه على عبد الملك بن مروان، رحمه اللّه، فقال : أنت عزّة كثيّر ؟ قالت : أذ أمّ بكر الضمريّة . فقال لها : أتروين قول كثيّر : وقَد زعَمتْ... (البيتين) ؟ فقالت : لا أروي هذا، ولكنّي أروي قوله :

صَفوحًا فما تلقاكِ إلاّ بخيلةً ... فمَن ملَّ منْها ذلكَ الوصلَ ملَّتِ

وهذا البيت من تائيّة كثيّر المشهورة التي مطلعها :

خليليَّ هذا ربْعُ عزّة فاعقِلا ... قَلوصيكُما ثمَّ ابْكيا حيث حلَّتِ !

وقال آخـــر :

ما للكواعِب يا عيساءُ قد جعَلتْ ... تزْورُ عنّي وتُطوى دونيَ الحُجرُ

قد كُنتُ فتّاح أبوابٍ مُغلَّقةٍ ... ذبَّ الرِّياد إذا ما خُولس النظر[91]

فقد جَعلتُ أرى الشَّخْصينِ أربعةً ... والواحدَ اثنينِ ممَّا بوركَ البَصر

وكُنت أمشي على رجلَينِ مُعتدلاً ... فصِرتُ أمشي على أخْرى من الشجر

غيـــره :

خبَّروها بأنَّني قَد تزوَّجْتُ ... فظلَّتْ تُكاتِمُ الغيظَ سِرًّا

وبعـــده :

ثم قالت لأُخْتها ولأُخْرَى ... جزعًا : ليتَهُ تزوَّج عشْرا !

وأشارتْ إلى نساءٍ لديْها ... لا تَرى دونَهُنَّ للسِّرِّ سترْا :

ما لقلبي كأنَّهُ ليس منّي ... وعظامِي أخالُ فيهِنَّ فترْا

مِن حديثٍ نمَى إليَّ فظيعٍ ... خِلتُ في القلب من تلظّيه جمرا ؟

غيـــره :

شربنا من الرَّازيِّ حتَّى كأنَّنَا ... ملوكٌ لهم برُّ العراقَينِ واليحرُ

فلمَّا انْجلَت شمس النَّهار رأيننا ... تولَّى الغنى عنَّا وعاودنا الفقرُ !

ومثله قول الأعرابي :

ولقد شربتُ الرَّاح حتَّى خِلتُني ... لمَّا خرجتُ أجُرُّ فضلَ المئْزَرِ

قابوسَ أو عمرو بن هِندٍ ما ثلاّ ... يُجْبى له ما دون دارةِ قيصَرِ

---

91) هنا في هامش د : الذّبّ : الثور الوحشي، ويقال ذبّ الرياد، لانه يرود أي يجيء ويذهب ولا يبقى في موضع».

وقال لقيط بن زرارة :

شربتُ الخمر حتَّى خِلتُ أنِّي ... أبو قابوسَ أو عبدُ المدانِ
أُمَشَّي في بني عُدُس بنبدرٍ ... رخيَّ البالِ مُنطلِقَ اللِّسانِ

غيره :

إنِّي هزِئتُ من امِّ الغُمر إذ هزئت ... من شيبِ رأسي وما بالشَّيب من عارِ
ما شقْوةُ المرءِ بالاقتارِ يُقْتِرِه ... ولا سعادتُه يومًا بإكْثارِ
إنَّ الشَّقيَّ الذي في النَّار منزلُه ... والفوز فوز الَّذي ينجو من النَّارِ
أعوذ باللَّه من أمرٍ يُزيِّنُ لي ... لومَ العشيرةِ أو يُدني من العارِ !
وخير دنْيا تُنسِّي شرَّ آخِرةٍ ... وسوف يُنبئُني الجبَّارُ أخْباري
لا أقْرِبُ البيت أحبو من مُؤخَّرِهِ ... ولا أُكَسِّرُ في ابن العمِّ أظْفاري
إن يحْجُبِ اللَّهُ أبصاراً أُراقِبُها ... فقد يرى اللَّهُ حال المُدلِجِ السَّاري

قوله : لا أقْرُبُ البيتَ إلخ... أي لا آتي لرؤيته، كقول الآخر :

ولستُ بصادرٍ من بيتِ جارٍ ... كفعلِ العَيْرِ غمَّرَهُ الورودُ

يقال : تَغَمَّرَ الشارب إذا لم يُرْوَ، فهو يلتفت وراءه، وكذا المُريب، وتقدَّم هذا

قوله: ولا أُكَسِّرُ في ابْنِ العَمِّ أظْفَاري، أي لا أغتابه، كقول الحطيئة :

ملُّو قِراهُ وهَرَّتْهُ كلابُهُمُ ... وجرَّحوهُ بأنْيابٍ وأضْراسِ

وقال جرير :

فلا توبسوا بيني وبينكُم الثَّرى ... فإنَّ الَّذي بيني وبينكُمُ مُثْرِ !

وقال عبد الحميد بن يحيى الكاتب :

أسرَّ وفاءً ثمَّ أظْهر غدْرةً ... فَمن لي بعُذر يوسِعُ النَّاسَ ظاهرُه؟

وسيأتي سبب هذا الشعر في الاعيان، إن شاء اللَّه تعالى .

غيره :

إذا كُنتُ في نجْدٍ وطيبِ نَعيمِهِ ... تذكَّرتُ أهْلِي باللِّوَى فمُحسَّرِ
وإن كُنتُ فيهِم زدتُ شوقًا ولوعةً ... إلى ساكني نجْدٍ وعيلَ تصبُّري
لقد طال ما بين الفريقينِ موقفي ... فَمن لي بنجْدٍ بين أهلي ومعْشري ؟

غيـــره :

أوليْتني نِعمًا أبوحُ بشُكْرها ... وكَفَيْتني كلَّ الأمورِ بأسْرِها
فلأشْكُرنَّكَ ما حييتُ وإن أمُتْ ... فلْتشكُرنَّكَ أعْظُمي في قبرها !

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرَّم اللَّه وجهه :

إذا المُشكلاتُ تصدَّينَ لي ... كَشَفْتُ حقائِقَها بالنَّظَرْ
وإن برقَتْ من فخِيلِ الصَّوابِ ... عمْياءُ لا تجتَليها الفِكَرْ
مُقنَّعةٌ بغُيُوبِ الأمُور ... وضَعْتُ عليها صَحيحَ الفِقَرْ
لسانًا كشِقْشِقةِ الارحَبيِّ ... أو كالحُسامِ اليمانِي الذَّكَرْ
وقلبًا إذا استنطقتْه الغيوب ... أبرَّ عليْهَا بود درر
ولستُ بإمَّعةٍ في الرِّجالِ ... يُسائلُ هذا وذا ما الخَبَرْ
ولكنَّني مِذرَبُ الأصغريْنِ ... يُبَيِّنُ مَعْ ما مَضَى ما غَبَرْ

يُروى أنَّه سئل عن نازلة، فدخل مبادرًا ثمَّ خرج في حداء ورداء وهو متبسّم . فقيل له : يا أمير المؤمنين، إنَّك كنت إذا سئلت عن المسألة تكون فيها كالسكَّة المحماة . قال إنِّي كنتحاقنا، ولا رأي لحاقن ! ثمَّ أنشأ يقول : إذا المُشْكلاتُ تَصَدَّيْنَ... الأبيات.

وقال أبو العبَّاس التُطيلي :

والنَّاسُ كالنَّاسِ إلاَّ أن تُجرِّبَهمْ ... وللبَصيرةِ حُكْمٌ ليس للبَصَرِ
كالأيْكِ مُشتبِهات في منابتِها ... وإنَّما يقعُ التَّفضيلُ بالثَّمرِ

وقال التهامي في مثله :

ومن الرِّجال مجاهِلٌ ومعالِمٌ ... ومِن النُّجومِ غوامِضٌ ودَرارِي
والنَّاسُ مُشْتبهُونَ في إيرادهِمْ ... وتفاضُل الأقْوامِ في الاصْدارِ
ولربَّما اعتَضَدَ الحليمُ بجاهِلٍ ... لا خَيرَ في يُمنى بغيْرِ يسارِ !

وقال القاضي الجليس المصري :

ومن عجبٍ أنَّ السُّيوفَ لديهِمُ ... تَحيضُ دماءً والسُّيوفُ ذكُورُ
وأعْجبُ من ذا أنَّها بأكُفِّهِم ... تُؤجِّج نارًا والأكُفُّ بحورُ !

وقال ابن المعتزّ في التعزية :

لَم تمُت أنت إنَّما مات مَن لَمْ يُبقِ للمجْدِ والمكارمِ ذِكْرَا
لستُ مُستسْقيًا لقبرِكَ غيْثًا كيف يُسقى وقَد تضمَّنَ بحْرَا ؟

وقال الآخـر :

وأصْبرُ حتى يحسبَ النَّاسُ أنَّني بيَ الهَجرُ لا واللَّه ما بي لكُم هجرُ !
ولكن أروضُ النَّفس أخْبُرُ هل لها على فُرقةٍ من بعد أحْبابها صبرُ

وقال الآخـــر :

لا غروَ أن يُصلى الفُؤادُ بهجركُمْ نارًا تُؤجِّجُها يَدُ التَّذْكارِ
قلبي إذا غبْتُم يُصوِّرُ شخْصكُم فيه وكُلُّ مُصوِّرٍ في النَّارِ

وقال ابن الخطيب :

بلدٌ يحفُّ به الرِّياضُ كأنَّهُ وجْهٌ جميلٌ والرِّياضُ عذارُهُ
وكأنَّما واديهِ مِعْصمُ فضَّةٍ ومن الجُسورِ المُحكماتِ سوارُهُ

وقال أبو الربيع :

فتحُ الشَّقائقِ جرحاها ومغْنمُها وشْيُ الرَّبيعِ، وقتْلاها من الثَّمرِ
لأجْل هذا إذا هبَّتْ طلائعُهُ تدرَّعَ النَّهرُ واهتزَّت قَنى الشَّجرِ

وقال القاضي الشريف :

وأحورَ وسْنانِ الجفونِ مُرابطٍ سبَى حُسنُهُ لُبَّ الحبيبِ وصبْرَهُ
حَمى ثغْرُهُ عنِّي بسيفِ لِحاظِهِ ولا غَروَ أن يحْمِي المُرابِطُ ثغْرُهُ !

وقال ابراهيم بن المهدي :

إذا كلَّمتْني بالعيونِ الفواترِ رددتُ عليها بالدُّموعِ البوادرِ
فلم يعلَمِ الواشونَ ما دارَ بيننا وقَد قُضِيَتْ حاجاتُنا بالضَّمائرِ

وقال الخوارزمي :

عليكَ بإظْهارِ التَّجلُّدِ لِلْعِدَا ولا تُظْهرنْ منك الذُّبولَ فتحْقَرَا !
ألستَ ترى الرَّيحانَ يُشتمُّ يانعًا ويُطرحُ في الميضاتِ مهْما تغيَّرا ؟

وقال الآخـر :

تواضَعْ إذا نِلتَ المعالي تزد عُلا وتكْتسبِ الشُّكر الجميل من الورَى

فلن يشكُرَ الغيثَ الرَّبيعُ محلُّهُ قرينُ الثُّريَّا أو يعُودَ إلى الثَّرى

وقال صالح بن شرف :

الدَّهر لا يبقى على حالةٍ لكنَّه يُقبِل أو يُدبِرُ
فإن تلقَّاكَ بمَكْروهِهِ فاصْبِر فإنَّ الدَّهْرَ لا يصبرُ !

وقال الرصافي :

صونُ الفتى وجْهُهُ أوْقى لهِمَّتِهِ والرِّزقُ جارٍ على حدٍّ ومِقْدارِ
قنعت، وامتدَّ مالي فالسماء يَدي وبَدرُها درهمي والشمس دينارِي

وقال ابن طباطبا العلوي :

قالت : أراك خضَبتَ الشَّيبَ، قلتُ لها: سترتُه عنكِ يا سمْعي ويا بصَري
فاستضْحَكتْ ثمَّ قالت من تعجُّبها: تكاثرَ الغِشُّ حتَّى صار في الشَّعر !

وقال الآخر :

إنَّ اللَّياليَ للأنامِ منَاهلٌ تُطوى وتُنشرُ بينها الأعْمارُ
فقصارُهُنَّ مع الهُمومِ طويلةٌ وطوالُهُنَّ مع السُّرور قِصارُ

وقال الآخر :

النَّار آخِرِ دينارٍ نَطقْتَ بِهِ والهمُّ آخِرُ هَذا الدِّرهَم الجاري
والمرءُ بينهُما ما لَم يكُن ورعًا مُقلَّبُ القلب بين الهمِّ والنَّارِ

وقال عبد اللَّه بن طاهر :

إلى كم يكونُ الهجرُ في كلِّ ساعةٍ وكم لا تملِّين القطيعةَ والهجْرا ![92]
رُويدكِ إنَّ الدَّهر فيه كِفايةٌ : بتفريقِ ذاتِ البينِ، فانتظِرِ الدَّهرا !

وقال قيس بن الذريح :

لو انَّ امرءًا أخفى الهوى عن ضميرِهِ لمِتُّ ولم يشْعُرْ بذاكَ ضَميرُ
ولكن سألْقى اللَّهَ والقلبُ لم يبُح بسرِّكَ والمستخْبرونَ كثيرُ !

وقال ابن خفاجة :

أرَى النَّاس يولونَ الغنيَّ كرامةً وإن لم يكُن أهلاً لرفْعةِ مقدار
ويولون عن وجه الفقير وجوههم وان كان أهلا ان يلاقى باكبار
بنو الدَّهر جاءتهُم أحاديثُ جمَّةٌ فما صحَّحوا إلاَّ حديث ابن دينار !

92) في ب «ألم كم...»

وقال ابن معروف :

احـــــذَرْ عدوَّكَ مرَّةً واحذر صديقَكَ ألْفَ مرَّهْ
فلربَّما انقَلبَ الصَّديقُ فكان أعْلَمَ بالمَضَرَّهْ !

وقال البستي :

إذا حيوانٌ كان طُعمةَ ضدِّه توقَّاهُ كالفأر الَّذي يَحذَرُ الهرَّا
ولا شكَّ أنَّ المرءَ طُعمةُ دهرِه فما بالُهُ يا ويحَهُ يامنُ الدَّهرا ؟

وقال الآخـــر :

إذا ذهبَ الحِمارُ بأُمِّ عمرٍو فلا رجعت ولا رجع الحمارُ !

لطيفة : حُكي عن الجاحظ قال : عبرت يوما على معلّم كتّاب، فرأيت هيئة حسنة . وقام إليَّ وأجلسني معه، ففاتحته القرآن فإذا هو فيه ماهر . ففاتحته النحو فوجدته ماهرا، ثمَّ في أشعار العرب واللّغة فوجدته كاملا في كلّ ما يُراد منه، فقلت : قوّى والله هذا عزمي على تمزيق دفتر المعلّمين ! فصرت أزوره في أكثر الأوقات . فأتيت يوما إلى زيارته، فوجدت الكتّاب مغلقا . فسألت عنه فقيل : مات له ميت . فسرت إليه لأعزّيه، فدققت الباب عليه، فخرجت جارية وقالت : ما تريد ؟ فقلت : أريد مولاك . فقالت : هو جالس وحده في العزا، ما يعطي الطريق لأحد . فقلت : قولي له : صديقك فلان . فدخلت وخرجت وقالت : ادخل ! فدخلت وقلت له : أعظم اللّه أجرك ! لقد كان لكم في رسول اللّه اسوة حسنة، وهذا سبيل لا بدَّ منه، فعليك بالصبر ! ثمَّ قلت : هذا الميت ولدك ؟ قال : لا . قلت : والدك ؟ قال لا . قلت : أخوك ؟ قال لا . قلت : فمن ؟ قال : صفيتي . فقلت في نفسي : هذا أول المناحس ! ثمَّ قلت : سبحان اللّه ! النساء كثير، وتجد أحسن منها . فقال لي وكأني رأيتها ؟ فقلت : وهذه منحسة ثانية ! ثمَّ قلت : وكيف عشقت من لم تره ؟ فقال : كنت في الطارمة فسمعت مغنيًا يقول :

يا أُمَّ عمْرٍو جزاكِ اللّهُ مكرُمةً ردِّي عليَّ فُؤادي أينما كانا !

فقلت في نفسي : لولا أنَّ أمَّ عمرو هذه ما في الدنيا مثلها، ما قيل فيها هذا الشعر ! فعلق قلبي بها.

فلمَّا كان بعد أيَّام، مرَّ بي ذلك الرجل وهو يقول :

إذا ذهب الحمارُ بأُمِّ عمْرٍو فلا رجعَتْ ولا رجعَ الحمارُ !

فعلمت أنَّها ماتت . فحزنت عليها وجلست للعزاء منذ ثلاثة أيَّام . قال الجاحظ : فعادت عزيمتي وقويت على إبقاء الدفتر بأمِّ عمرو .

وقال النابغة الجعدي :

ولا خير في حلمٍ إذا لم تكُن لهُ بوادرُ تحمي صفْوهُ أن يُكدَّرَا

ولا خير في رأيٍ إذا لم يكُن لهُ حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصْدرَا

يُروى أنَّه لمَّا أنشد قصيدته هذه بين يدي النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وبلغ هذا الموضع قال له صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : **لا يفْضُضِ اللَّهُ فاكَ** ! فعاش مائة وعشرين سنة، لم تنفضَّ له ثنيَّة ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام . وقال المكيالي :

إن كُنتَ تأنَسُ بالحبيبِ وقُربِهِ فاصْبر على حُكْمِ الرَّقيب ودارِهِ !

إنَّ الرَّقيبَ إذا صبرتَ لذُلِّهِ بوَّاكَ في ربعِ الحبيبِ ودارِهِ

وقال التغري رحمه اللَّه :

مَن لي بزوْرةِ أحمَد الهادْي الذي مَن زارهُ غُفِرت له أوْزَارُهُ ؟

وأحُطُّ رحْلي في جوارِ مُحمَّدٍ لمُقامِ عزٍّ لا يُضامُ جِوارُهُ

حرمٌ عظيمٌ عُظِّمتْ حُرماتُهُ واخْتالَ في خِلعِ الرِّضى زُوَّارُهُ

وقال أيضا :

يا خيرَ خلْقِ اللهِ دعْوةَ نازحٍ بانَت أحِبَّتُه وشطَّ مزَارُهُ

وتقسَّمتْهُ يَد النَّوى فبمغْرِبٍ أوطانُهُ وبمَشْرقٍ أوْطَارُهُ

وقال :

لأُولي الحِجى رُفع الحجابُ فشاهدوا قمَرَ الحجازِ تلألأتْ أنْوارُهُ

واستنْشقوا أرجَ النَّسيمِ فساقَهُم شوقًا لنجْدٍ شيحُهُ وعَرَارُهُ

وقال آخر يهجو قاضي بلده :

لا مِثْل قاضٍ رأيناه ببَلْدتِنا في الجهلِ منهُ وفي الجورِ الورى حاروا

فهْو من النَّفر الأدنينَ منزلةٍ من حاكمٍ بِسَذُومٍ عنْه أخْبارُ

وسذُومُ - بذال معجمة - بلد بحمص، أو هو قرية قوم لوط . وقاضي سذوم المشهور هو

الذي زعموا أنَّه شكا إليه رجل مرَّ بقوم ومعه امرأته على حمار . فضربوا الحمار وقطعوا ذنَـبه، فتخبَّط وطرح المرأة فأسقطت جنينا . فقال له : ادفع إليهم امرأتك يطؤونها حتَّى تحمل ويردّونها إليك، وأعطهم الحمار يستخدمونه حتَّى ينبت ذَنَـبه ويردّونه إليك ! فيقال إنَّ الرجل دعا عليهم، فخُسف بهم ولم يبق من أهل سذوم أحد.

وقال محيي الدين الاسكندراني :

ومُعتقدٍ أنَّ الرِّئاسة في الكِبْر فأصبح ممْقوتًا به وهْو لا يدري
يجَرُّ ذيولَ العُجب طالب رِفْعةٍ ألا فاعجَبوا من طالب الرَّفع بالجرِّ !

وقال العرجي العثماني :

أضاعونِي وأيَّ فتًى أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ !

ويُحكى أنَّه كان فتى يجاور الامام أبا حنيفة، رضي اللَّه عنه، وكان يشرب كلَّ ليلة، فإذا دبَّ فيه الشراب جعل يغنّي . فكان أبو حنيفة يقوم من اللَّيل ويسهر على النظر ويأنس بغنائه . وكان أكثر ما يغنّي بقول العرجي هذا : أضَاعُونِي وأيَّ فَتًى أضاعُوا ... إلخ.

وبعـــده :

كأنِّي لم أكُن فيهِم وسيطًا ولم تَكُ نِسبَتي في آلِ عمرِ

ثمَّ إنَّ الفتى خرج ليلة فأخذه العسس وحُبس، ففقد أبو حنيفة صوته في تلك الليلة . فلمَّا أصبح سأل عنه فقيل له إنَّه محبوس، فدعا بدابَّته وركب إلى الأمير عيسى بن موسى . فلمَّا استأذن عليه قال : ائذنوا له وأدخلوه راكبا، ولا تدعوه ينزل حتَّى يطأ بساطي ! ففعلوا، فوسَّع له الأمير في مجلسه وأجلسه معه وقال : ما حاجتك ؟ قال : جار لي أخذه العسس، فَأْمُر بتخليته ! قال : نعم، وكلّ مَن أُخِذ معه في تلك الليلة ! فأُطلقوا جميعا، وقيل إنَّه بعد ثلاث ليال من حبسه . فقال الأمير : وكلّ من أُخذ من تلك الليلة إلى وقتنا . وأَطلق الجميع . فلمَّا خرجوا دعا أبو حنيفة بالفتى فقال له : ألست كنت تغنّي : أضَاعُونِي وأيَّ فَتًى أضاعُوا، فهل أضعناك ؟ قال : لا واللَّه ! بل حفظت ورعيت، جزاك اللَّه خيرا، وعليَّ عهد اللَّه ألاَّ أشرب الخمر أبدا ! وتاب إلى اللَّه تعالى .

وقال إسحاق الموصلي :

لاحَ بالمفرِق منكَ القتيرُ وذوى غُصنُ الشَّباب النَّضيرُ
هزئت أسماءُ منِّي وقالتْ : أنت يا ابنَ الموصليِّ كبيرُ !
ورأت شيبًا علانِي فأنَّتْ وابنُ ستِّين بشيبٍ جديرُ
إن تريْ شيبًا علانِي فإنِّي مع ذاكَ الشَّيبِ حُلوٌ مَزيرُ
قد يُفَلُّ السَّيفُ وهْوَ جُرازٌ ويصولُ اللَّيثُ وهوَ عَقيرُ

قوله : حُلْوٌ مزيرٌ، المزير : المعظَّم المُكرم، وقيل الظريف ؛ والسَّيفُ الجُرازُ : القاطع.

وقال الربيع بن ضبع الفَزاري :

فارقَنا قبلَ أن نُفارقَهُ لمَّا قَضى مِن جماعِنا وطَرَا

والضمير للشَّباب .

وقبلَهُ :

أقفرَ من ميَّةَ الحديبُ إلَى الرحبين إلاَّ الظِّباءَ والبَقَرا ؟
كأنَّها دُرَّةٌ مُنعَّمَةٌ من نسْوةٍ كُنَّ قبلَها دُرَرَا
أصبحَ منِّي الشَّبابُ مُبتكِرًا إن ينْأ عنِّي فقد ثَوى عُصُرا[93]

وبعده :

أصبحتُ لا أحمِلُ السِّلاحَ ولاَ أملكُ رأسَ البعير إن نَفَرا
والذِّيبُ أخشاهُ إن مررتُ به [وحدي] وأخشى الرِّياحَ والمَطرا
ها أنا ذا آمُلُ الخلود وقَدْ أدركَ عُمْرِي ومَوْلِدي حُجُرَا
أبا امرىءِ القيسِ قد سمعتُ به هيهاتَ هيهاتَ طالَ ذا عُمُرَا !

وقال أعرابي من ضبَّة، قدم البصرة وخطب امرأة فاشتطوا عليه في الصداق :

خطبتُ فقالوا : هات عشرينَ بَكرةً ودرعًا وجلْبابًا فهذا هو المهْرُ
وثوْبَين مرويَّينِ في كلِّ شَتْوةٍ فقلتُ : الزِّنى خيرٌ من الحربَ القسرُ !

وقال خنافر بن التوام الحميري :

وكان مُضلِّي مَن هُديتُ برِشدهِ فللَّهِ مُغْوٍ عاد بالرُّشْد آمِرا !

وقصَّته في إسلامه مشهورة في السِّيَر، فلا نطيل بسردها .

93) في د :... ثوى بصرا.

غيـــره :

إنّـي رأيتُـكَ كالورْقَـاءِ يـُوحشُها ... قـُربُ الأليفِ وتغـْشاهُ إذا نـُحرا

غيـــره :

فإن تبكِ للبرقِ الـّذي هيـّج الهوى ... أُعـِنـْكَ وإن تصبـِر فلَستُ بصابـِرِ

وقبلـــه :

سقَـى اللهُ حيـًّا بين صارةَ والحمى ... حمى فيدَ صوبَ المُـدجناتِ المواطـِرِ

أمينَ فأدّى اللهُ ركـْبـًا إليهمُ ... بخير ووقـّاهُـم حمامَ المقـادِرِ

كأنـّي طريفُ العين يومَ تطاولت ... بنا الرّمـلَ سُلاّفُ القلاص الضـّوافرِ

حـِذارًا على القلب الـّذي لا يضرُّهُ ... أحاذرَ وشـْكَ البين أم لم يـُحاذِرِ

أقول لـِقمـْقامِ بن زيدٍ : أما ترى ... سنا البرقِ يبدو للعيونِ النـّواظر ؟

فإن تـَبـْكِ... (البيت)

غيـــره :

وما تعرفُ الأعرابُ مشـْيـًا بأرضها ... فكيف ببيتٍ من رُخامٍ ومرمـَرِ ؟

وهذا القائل أعرابي دخل البصرة على ابن عمّ له . فلمـّا كان يوم الجمعة رآه البصري أشعث، فقال له : إنّ النـّاس يتطهـّرون للجمعة ويتنظـّفون ويلبسون أحسن الملابس، فتعـَالَ أُدخـِلـْك الحمـّام لتتنظـّف من شظف البادية وتتطهـّر للصلاة ! فدخل معه الحمـّام. فعندما وطىء الأعرابي فرش أوّل بيت في الحمـّام لم يحسن المشي عليها لـِمـَلاستها، فزلق وسقط لوجهه وصادف حرف مدخل البيت وشجـّه الحرف في وجهه شجـّة منكرة، فخرج مذعورا ودمه يسيل وهو ينشد :

وقالوا : تـَطهـّرْ إنـّهُ يومُ جـُمعةٍ ! ... فأُبـْتُ من الحمـّام غيرَ مُطهـّرِ

تزوّدتُ منه شجـّةً فوق حاجـِبي ... بغير جـِهادٍ بـِئسَ ما كان متـْجري !

يقول ليَ الأعرابُ حينَ رأينـَني : ... به لا بـِظـَبـْيٍ بالصـّريمةِ أعـْفـَرِ

ومـَا تـَعـْرِفُ الأعـْرابُ... (البيت)

غيـــره :

تمتـّع من شـَميمِ عـَرارِ نجـْدٍ ... فما بعد العشيـّةِ من عـَرارِ !

وقبلـــه :

أقولُ لصاحبي والعِيسُ تُحذَى ... بِنَابَيْنَ المُنيفةِ فالضِّمَارِ

وبعـــده :

ألا يا حبَّذا نَفحاتُ نجْدٍ ... وريَّا روضِهِ بعد القِطَارِ

وأهلُك إذ يحُل الحيُّ نجْداً ... وأنت على زمانِكَ غيرُ زارِ

شهورٌ ينقضِينَ وما شعُرنا ... بأنْصافٍ لهُنَّ ولا سِرَارِ

وإنَّما نسوق مثل هذا لأنَّه ما من موضع أو أمرٍ إلاَّ ولك أن تعتبره لنفسك نجدا، وما من طيبٍ بك وما من خيرٍ إلاَّ ولك أن تعتبره عَرَاراً، وتعتبر اغتنامه شمِيما، فَتَضرِبَ هذا في انتهاز الفرصة من الشيء قبل فواته . وكثيراً ما نورد مثل هذا أو أغْمَضَ منه في هذا الكتاب، والذكيّ السَّديد يفقهه، والغبيّ البليد ينْجَهُه.

وقال أبو صخر الهذلي :

ألا أيُّها الرَّكبُ المخبُّون هل لكم ... بساكن أجْزاع الحِمى بعدنا خُبْرُ ؟

وقبلـــه :

لِليلى بذاتِ الجيشِ دارٌ عرفْتُها ... وأُخْرى بذات البينِ آياتُها سَطْرُ

كأنَّهُما مِلْآنَ لَم يتغَيَّرَا ... وقد مرَّ للدَّارِيْنِ من بعدنَا عصْرُ

وقفتُ بِرِسْمَيْها فعَيَّ جوابُها ... فقُلت وعيني دمْعُها سربٌ همرُ :

ألا أيُّها الرَّكبُ... (البيت)

فقالوا : طوينا ذاك ليلاً وإن يكُن ... به بعضُ من تهْوى فما شعَر السَّفرُ

وفي النَّوادر [لأبي علي][94] عن أبي العبَّاس : قال عبد اللَّه بن شبيب : حدَّثتني أم المغوار الباهليَّة قالت : كنت بفناء بيتي في السحر، فمرَّ بنا ركب، فتمثَّلت بهذا البيت: ألاَ أيُّهَا الرَّكْبُ... (البيت)، فأجابني غلام من صدر راحلته :

فقالوا : طويْنا ذاك ليلاً وإن يكُن ... به بعضُ من تهوى فما شعَر السَّفْرُ

خليليَّ هل يُستخْبرُ الرِّمثُ والغَضا ... وطلحُ الكُدى من بَطن مرَّانِ والسِّدرُ؟

وقال المعتمد بن عبَّاد، وقد رأى قُمريَّة تنوح وبين يديها وكر فيه طائران يترنَّمان :

بكت أن رأت إلْفينِ ضمَّهما وكْرُ ... مَساءً وقد أخْنى على إلفِها الدَّهرُ

---

94) ساقط من د.

وناحت وباحت واستراحتْ بسرِّها وما نَطقتْ حرفًا بيومٍ به سرُّ
فماليَ لا أبكي أمِ القلبُ صخرةٌ وكَم ضخرةٍ في الأرض يجري بها نهر!
بَكت واحدًا لم يشجُها غير فقدهِ وأبكي لِألافٍ عديدهُمُ كُثْرُ
بُنَيٌّ صغيرٌ أو خليلٌ مُوافِقٌ يُمزِّقُ ذا قفرٌ ويُغرقُ ذا بحرُ

وقال أيضا يخاطب نفسه، من أبياتٍ مشهورة :

قد كان دهرُكَ إن تأمُرهُ مُمتثلاً فردَّك الدَّهر مَنهِيًّا ومأمُورا
مَن بات بعدكَ في مُلكٍ يُسرُّ به فإنَّما بات بالأحْلامِ مغْرورا

وقال الراضي باللّه لابنه يخاطبه :

لا يَكْرثَنَّكَ خطْبُ الحادثِ الجاري فما عليكَ بذاكَ الخَطْب من عارِ
ماذا على ضيْغمٍ أمْضى عَزيمَتَهُ أن خانَهُ حَدُّ .أنيابٍ وأظْفارِ ؟
لئن أتوْكَ فمِن جُبنٍ ومِن خوَرٍ قد ينهضُ العيرُ نحو الضَّيغمِ الضَّاري

وقال الوزير أبو محمَّد بن عبدون يرثي بني المظَفَّر، من قصيدة مشهورة :

ما للَّيالي أقال اللّهُ عثْرتَنا من اللَّيالي وخانتْها يدُ الغِيرِ
تسرُّ بالشَّيءِ لكن كي تغُرَّ بِه كالأيْمِ ثارَ إلى الجاني من الزَّهرِ ؟
كم دولةٍ وليت بالنَّصر خِدمَتها لم تبقِ منها وسَل ذكْراك بالخبرِ !
هوتْ بدارًا وفلَّتْ غرْبَ قاتِله وكان عضْبًا على الأيَّامِ ذا أُثُرِ
واسترجَعَت من بني ساسانَ ما وهبَت ولم تَدع لبني يُونانَ مِن أثَرِ
وأتْبعَت أُخْتها طسْمًا وعاد على عادٍ وجُرهُمَ منها ناقضُ المِررِ
وما أقالت ذوي الهيئاتِ من يمنٍ ولا أجارتْ ذوي الغايات من مُضَرِ
ومزَّقت سبئًا في كلِّ قاصيةٍ فما التقى رائحٌ منها بمُبتكِرِ
وأنفَذت في كُليبٍ حُكمَها ورمَت مُهلْهِلاً بين سمعِ الأرض والبصرِ
ولم تَردَّ على الضِّلِّيلِ صِحَّتَهُ ولا ثَنَت أسدًا عن ربها حُجُرِ
ودوَّخت آل ذُبْيانٍ وجِيرتَهُم لخْمًا وعضَّت بني بدرٍ على النَّهَرِ
وألحقَت بعديٍّ بالعراقِ على يَد ابنِهِ أحْمرِ العينين والشَّعرِ
وبلَّغت يزْدَ جرْدَ الصِّينَ واخْتزلت عنهُ سِوى الفُرس جمع التُّركِ والخزر

ومزّقت جعْفرًا بالبيض واختلَست ... من غيلِه حمزةَ الظّلاّمَ للجُزُرِ
وأشرفت بخُبيبٍ [فـوق] فارعةٍ[95] ... وألْصقَتْ طَلْحةَ الفيّاضَ بالعَفر
وأجزَرت سيفَ أشْقاها أبا حسنٍ ... وأمكنتْ من حُسيْنٍ راحتيْ شمِرِ
وليتها إذ فدت عمْرًا بخارجةٍ ... فَدت عليًّا بما شاءت من البشر !
وما رعَت لأبي اليقْظان صُحبتَهُ ... ولم تُزوِّدْهُ إلاّ الضّيحَ في الغُمرِ
وفي ابن هندٍ وفي ابن المُصطفى حسنٍ ... أتَتْ بمُعضِلَةِ الألْبابِ والفِكرِ
فبعضُنا قائلٌ ما اغتالهُ أحَدٌ ... وبعضُنا ساكِتٌ لم يُوتَ من حَصَرِ
وعمّمت بالرّدى فوْديْ أبي أنسٍ ... ولم تردَّ الرّدى عنهُ قَنا زُفرِ
وأنزلَت مُصعبًا من رأس شاهقةٍ ... كانت به مُهجةُ المُختارِ في وزَرِ
ولم تُراقِب مكان ابنِ الزُّبير ولا ... رعَت عِياذتَهُ بالبيتِ والحجَرِ
ولم تَدع لأبي الذُّبان قاضِبَةً ... ليس اللّطيمُ لها عمرٌو بمنْتصر[96]
وأظفَرت بالوليدِ بْن اليزيدِ ولَمْ ... تُبقِ الخِلافةَ بين الكأسِ والوترِ
ولم تُعِد قُضبَ السّفّاحِ نابيةً ... عن رأس مروانَ أو أشْياعِه الفُخُرِ[97]
وأسبلت دمْعة الرُّوح الأمينِ على ... دمٍ هُريقَ لآلِ المُصطفى هَدرِ
وأشْرقت جعْفرًا والفضلُ يُنظرُهُ ... والشّيخَ يحيى بريق الصّارم الذّكر
ولاوفَتْ بعُهود المُستعينِ ولا ... بما تأكّد للمعتزِّ مِن مررِ
وأوثَقتْ في عُراها كلَّ مُعْتمِدٍ ... وأشْرقَت بقَذاها كلَّ مُقْتدرِ
وروّعت كلَّ مأمونٍ ومُؤتَمِنٍ ... وأسْلمَت كلَّ منصُورٍ ومُنتَصِرِ

وقال الحاجب أبو مروان بن رزين، وقد سقط عن الفرس :

إنّي سقطتُ ولا جُبْنٌ ولا خَوَرُ ... وليس يُدفَعُ ما قَد شاءهُ القَدرُ
لا يشْمَتنَّ عدوّي إن سقطت فقَد ... تكْبو الجيادُ وينْبو الصّارمُ الذّكرُ
هذا الكُسوفُ يُرى تأثيرهُ أبدًا ... ولا يُعابُ به شمسٌ ولا قَمَرُ !

وقال أبو بكر بن عمّار :

95) سقطت كلمة «فوق» من د.
96) في د :... بمقتصر.
97) في ب :...نائية.

قالوا : أضرَّ بِـك الهوى فأجَبتُهُم : يا حبَّذَاهُ وحَبَّذَا إضْرارُهُ !
قَلبي هُوَ اختارَ السَّقامَ لنَفْسِه زيِّا فخلُّوهُ وما يختارُهُ !
عَيَّرْتُمونِي بالنُّحُولِ وإنَّمَا شَرَفُ المُهَنَّدِ أن تَرِقَّ شِفَارُهُ !

وقال الوزير أبو القاسم بن الجدّ :

عجبْتُ لمن يهْوى مِن الدُّرِّ تومَةً وقد سالَ في أرجاءِ معْدنِهِ التِّبرُ !

وقال الوزير الفقيه ابن سراج :

بُثَّ الصَّنائِعَ لا تحْفِل بموقِعِها فيمَن نَأى أو دنا ما كُنتَ مُقتدِرا
كالغيث ليس يُبالي حيثُما انسكَبَت منهُ الغمائمُ تُربًا كان أو حَجرا[98]

وقال الحماسي :

ولا يكشِف الغمَّاءَ إلاَّ ابنُ حُرَّةٍ يَرى غمراتِ الموتِ ثمَّ يزورُها

وقال تأبَّط شرًّا :

إذا المرءُ لم يحتل وقد جدَّ جِدُّهُ أضاع وقاسى أمرهُ وهوَ مُدْبِرُ
ولكن أخو الحزمِ الَّذي ليس نازلاً به الخطبُ إلاَّ وهو للخطْب مُبصرُ
فذاك قريعُ الدَّهر ما عاش حُوَّلٌ إذا سُدَّ منه مَنخرٌ جاش منخَرُ

ومنهـــا :

هُما خُطَّتا إمَّا إسارٌ ومنَّةٌ وإمَّا دمٌ والقتْلُ بالحُرِّ أجْدَرُ

وقال القطامي :

وما يعلمُ الغيبَ امرُؤٌ قبل أن يرى ولا الأمرَ حتَّى تستبينَ دوابِرُهْ

دوابِرُ الأمْرِ : أواخِرُهُ، جمع دابِرَةٍ، كالعواقب.

وقال عبد اللَّه بن سبرة :

إذا شالَتِ الجَوزاءُ والنَّجمُ طالِعٌ فكُلُّ مَخاضاتِ الفُراتِ مَعابِرُ
وإنِّي إذا ضَنَّ الأميرُ بِبابِهِ على الإذْنِ من نفسي إذا شئتُ قادِرُ

وقال ابن حبناء التميمي :

إذا المرءُ أولاكَ الهوانَ فأولِهِ هوانًا وإن كانت قريبًا أواصرُهْ

98) في ب :منه الصنائع تربًا كان أو حجر

إذا أنت عاديتَ امرءاً فاطَّفِر له ... على عثْرةٍ إن أمكنتْك عواثِره[99]
فإن أنت لم تقدر على أن تُهينَه ... فذرهُ إلى اليوم الَّذي أنت قادرهْ
وقارب إذا ما لم تكن لك حيلةٌ ... وصمِّم إذا أيقنتَ أنَّك عاقرهْ

وقال جميل بن عبد اللَّه :

بنو الصَّالحين الصَّالحون ومن يكُن ... لآباء صِدقٍ يلقهُم حيث سُيِّرا[100]
أرى كلَّ عودٍ نابتًا في أُرومةٍ ... أبى منبِتُ العيدانِ أن يتغيَّرا
وكُلُّ كسيرٍ يعلمُ النَّاس أنَّهُ ... سوى عظْم سُوءٍ لا ترى فيه مجبرا
فلا تأمَنِ النَّوكَى وإن كان أهلُهُم ... وراءَ عدولاتٍ وكُنت بقيصر[101] !

قوله : يَعْلَمُ النَّاسُ أنَّهُ، أي أنَّه لا ينجبر سوى عظم سوء، بحذف خبر أنَّ للعلم به .

وقال التميمي يرثي منصور بن زياد :

يُثني عليك لسانُ مَن لم تُولِه ... خيراً لأنَّكَ بالثَّناءِ جَديرُ

وقال سلمة الجعدي يرثي أخاه :

فتًى كان يُدنيهِ الغِنى من صديقِهِ ... إذا ما هُوَ استغْنى ويُبعدُه الفقرُ

وقال مسافع العبسي :

وليس وراءَ الشَّيءِ شيءٌ يردُّهُ ... عليكَ إذا ولَّى سوى الصَّبرِ فاصبِرِ

وقال منقذ الكلابي :

الدَّهرُ لاءمَ بين أُلفَتِنا ... وكذاكَ فرَّق بيننَا الدَّهْرُ
وكذاكَ يفعَلُ في تصرُّفِهِ ... والدَّهْرُ ليسَ ينالُهُ وِتْرُ
كنتُ الضَّنينَ بمن فُجعْتُ به ... وسَلَوْتُ حينَ تقادمَ الأمرُ
ولخيرُ حظِّك في المُصيبةِ أن ... يلقاكَ عند نُزولِها الصَّبْرُ

غيره :

إيَّاك والأمرَ الَّذي إن توسَّعَتْ ... مواردُهُ ضاقتْ عليكَ المصادرُ
فما حسنٌ أن يعذِرَ المرءُ نفسهُ ... وليس لهُ مِن سائِرِ النَّاسِ عاذرُ !

99) في ب : على عشرة إن امكنتك عواثره.
100) في د : بنو الصالحين الصالحين...
101) في د : «... وكتب بقيصرا» وهو تحريف.

وقال ابن البرصاء المرّي :

تَـبيـّنْ أعقابُ الأمورِ إذا مضَتْ وتُـقبِـلُ أشْباهًا عليك صُدورُها

وقال الآخـــر :

رأيت [أخا] الدُّنيا وإن كان خافضًا على سفرٍ يسري به وهْو لا يدري

مُقيمين في دارٍ نروحُ ونغْتَـدي بلا أُهبةِ الثَّاوي المُقيمِ ولا السَّفْرِ

وقال الرقاشي :

ألا ليقُـلْ من شاء ما شاءَ إنـَّما يُـلامُ الفتى فيما استطاعَ من الأمْرِ !

وقال الآخر، من الحماسيّين :

فإنـَّك واستـَبْضاعَـك الشِّعرَ نحونا كمُستبضِعٍ تمْرًا إلى أرض خيْبرا

وتقدَّم إنشاده، على غير هذا الوجه، لغير هذا الحماسي .

غيـــره :

وجاءت للقتالِ بَـنُو هَـليكٍ فسُحِّي يا سماءُ بغيْرِ قَـطْرِ !

وهذا الشاعر استعظم مجيء هؤلاء للقتال، لصغر شأنهم وهَـوانـِهم وحقارتهم عنده، فقال : سُحِّيَ يا سَمَاءَ بغَيْرِ قَـطْرٍ، أي بدم لا يقطر، استهزاءًا بهم وسخريـَّةً .

غيـــره :

ومن عجبٍ أنَّ الصَّوارمَ في الوغى تحيضُ بأيْدي القومِ وهي ذكورُ

وأعجبُ منهُ أنـَّها بأكفِّهمْ تُـسعِّرُ نارًا والأكُـفُّ بُـحورُ !

وقال يزيد بن مُـفَـرِّغٍ الحِـميَـري[102]

سقَـى اللـَّهُ دارًا لي وأرضًا تركْـتُـها إلى جنْـبِ دار معْـقِـلِ بن يَـسارِ

أبو ملكٍ جارٌ لها وابنُ بُـرثُـنٍ فيالكِ جاريْ ذِلـَّةٍ وصَـغَـارِ !

وذكر أبو العبـَّاس المبرِّد في **الكامل** أنَّ سليمان بن علي سأل خالد بن صفوان عن ابنيه جعفر ومحمَّد فقال : كيف إحمادُك جوارهما يا أبا صفوان ؟ فقال خالد متمثـّلا بهذا البيت :

أبو ملكٍ جارٌ لها وابنُ بُـرثُـنٍ فيالكِ جاريْ ذِلـَّةٍ وصَـغَـارِ !

قال : فأعرض عنه سلميان . وكان سليمان هذا من أحلم النـَّاس وأكرمهم، وهو في ذلك

---

102) صحف اسم هذا الشاعر في ب، فكتب يزيد بن مفرع (بالعين المهملة).

الوقت والي البصرة وعمّ الخليفة المنصور . قال : وكان خالد بن صفوان ممّن إذا عرض له القول [قال] . [قال] : وكان الحسن رحمه اللّه تعالى يقول : لسان العاقل من وراء قلبه، فإن عرض له القول نظر، فإن كان له أن يقول قال، وإن كان عليه القول أمسك . ولسان الأحمق أمام قلبه، فإذا عرض له القول قال عليه أوله[103]

وقال الآخـــر :

نزَف البُكاءُ دموعَ عينِك فاستعِر ... عَينًا لغيْرِكِ دمْعُها مِدرارُ

مَن ذا يُعيرُك عينه تبكي بِها ... أرأيتَ عينًا للبُكاءِ تُعارُ ؟

وقال حُجيَّة بن مضرب يمدح يعفر بن زرعة، أحد الأملوك، أملوك ردمان :[104]

شكرتُ لكُم آلاءكُمْ وبلاءكُـمْ ... وما ضاعَ معْروفٌ يُكافِئُهُ شُكْرُ

وقبلـــه :

إذا كُنت سئَّالاً عن المجدِ والعُلاَ ... وأين العطاءُ الجزْلُ والنَّائلُ الغمْرُ

فنقِّبْ عن الأُمْلوكِ واهتِفْ بيَعْفُرٍ ... وعِشْ جار ظِلٍّ لا يُغالبُهُ الدَّهْرُ

أُولئكَ قومٌ شيَّد اللّهُ فخْرهُم ... فما فوقَه فخْرٌ ,وإن عظُم الفخْرُ

أُناسٌ إذا ما الدَّهرُ أظْلمَ وجْهُهُ ... فأيديهُمْ بيضٌ وأوجُهُهُم زُهْرُ

يصونونَ أحْسابًا ومجْدًا مُؤثَّلاً ... ببذْلِ أكُفٍّ دونها المُزنُ والبحرُ

سموْا في المعالي رُتْبةً فوق رُتبةٍ ... أحلَّتْهُمُ حيث النَّعائِمُ والنَّسْرُ

أضاءت لهُم أحْسابهُم فتضاءَلَتْ ... لنورهِمُ الشَّمسُ المُضيئةُ والبَدْرُ

فلوْ لامَسَ الصَّخْرُ الأصَمُّ أكُفَّهُمْ ... لَفاضَت ينابيعُ النَّدى ذلك الصَّخْرُ

ولو كان في الأرضِ البسيطَةِ منهُمُ ... لمُخْتَبِطٍ عافٍ لَما عُرِفَ الفقرُ !

شَكَرتُ لَكُمْ... (البيت)

وقلت أنا معرضًا بقوم يغشون طعَامًا ليصيبوا منهم طعاما :

إنَّا أُناسٌ لستَ تُبصرُنا ... نتحيَّنُ الطُّعَمَ الَّتي تُزْري

يعرَى الفتى ويجوعُ وهْو يُرى ... مُتجمِّلاً بالصَّبْرِ والبِشْرِ

---

103) في ب : قال له أو عليه

104) في ب : حجة بن ضرب.

والحُـرُّةُ الشَّمَّـاءُ رُبَّتَمَـا جاعتْ ولَم تُرضِعْ عَلَى أجْرِ
والمورِدُ العذبُ الفُراتُ إذا راثَتْهُ حُمْرٌ سيمَ بالهجْرِ
وإذا تَرى طَيْرًا بمَزْبَلَةٍ فالطَّيْرُ غيرُ البازِ والصَّقْرِ
وإذا رأيتَ المرءَ مُحْتَسِيًا كأسَ الهوانِ فَليْسَ بالحُرِّ

[ووقف عليها جماعة من فضلاء العصر فاستحسنوها غاية، فحاولت أن أزيد عليها شيئا من هذا النَّمط يتمّ به الغرض، فانجرَّ الأمر بها حتَّى كانت قصيدة رأيت أن أثبتها هنا على طولها، لأنَّها كلَّها أمثال وحكم، وهي :][104م]

والحرُّ ليس حياتُهُ بسِوَى عِزِّ الجنابِ ورفْعَةِ القَدْرِ
لا بالطَّعَامِ ولا الشَّرابِ ولاَ اسْتِلْقَائِهِ بأرائِكٍ وُثْرِ
وإذا تُزايِلُكَ الحَياةُ فَمَا مِن عيشَةٍ تبْقَى ولا عُمْرِ
وسُؤالُ ذِي لُؤْمٍ وذي بَخَلٍ ورجاءُ نعْشَتِهِ من العثْرِ[105]
أنْكى لقلْبِ أخي المروءةِ مِنْ إصْلائِهِ بلَوافِحِ الجَمْرِ
وأشَدُّ مِن عَدِّ الرِّمالِ ومِنْ نقْلِ الجبالِ ومحْمِلِ الصَّخْرِ
وأضرُّ من كلِّ النَّوائب إنْ عظُمت عليك وكُلُّ ما شرٌّ[106]
وتقلُّدٌ لِلْمَنِّ مِنْ يَدِهِ غُلٌّ على هاديكَ فِي الأسْرِ[107]
بلْ وخْزَةٌ في القلبِ ناكئَةٌ بلْ طعْنَةٌ في لَبَّةِ النَّحْرِ
وغِناكَ عنه بالقناعةِ في حاليْكَ مِن يُسْرٍ ومن عُسْرِ
أجْدى منَ المُلكِ الَّذي جَمعتْ أبناءُ هُرمُزَ غابِرَ الدَّهْرِ
وألذُّ من سِنَةِ الشَّبابِ عَلى جِدَةٍ ومن وَتْرٍ على وِتْرِ[108]
ولباسُ صوْنِكَ عَنْ تملُّقِهِ أبْهَى من الإستَبْرَقِ الخُضْرِ
وحُلَى الوقَارِ عليكَ أجْملُ من أن تَحْتلي بقَلائِدِ النَّضْرِ
وصبابةٌ من ماء وجْهِكَ أنفَسُ مِن رحِيقٍ سَلْسَلٍ غَمْرِ

104م) ما بين معقوفتين ساقط من آ.
105) في هامش كل من ب و د : في نسخة : «ورجاؤه لمعاضل الأمر» وفي نسخة أخرى : «لنوائب تجري».
106) في الهامش أيضا : في نسخة «المصائب» بدل «النوائب».
107) الهادي : العنق.
108) في الهامش : الوَتْر - بفتح الواو - : النكاح، والوِتْر - بكسرها -: الفراش الوطيء . وهو مثل.

فإذا عرتْك الحادثاتُ فَثِقْ بمليكِها ذي الخلْقِ والأمْرِ
واصبرِ لروْحِ اللّهِ مُرتَجِيًا فَلتَحْمدنَّ عواقبَ الصَّبْرِ !
إنَّ اصْطَبارَ المرءِ مُفْتَتِحٌ مُتغلَّقَ البَأساءِ والعُسْرِ
ومُنفِّسٌ عنهُ الكُروبَ إذا ضاقَتْ بِهِنَّ جوانِحُ الصَّدْرِ
كم من حزينٍ باتَ مُكْتئبًا مُتسعِّرَ الأحْشاءِ ذا أفْرِ[109]
لا يرتَجِي جِلْبَابَ لَيْلَتِهِ أن يَنْثَنِي طَرفَاهُ بالسَّفْرِ
فَأتَتْهُ ألطافٌ مُنفِّسَةٌ لفُؤادِهِ من حيثُ لا يَدْرِي[110]
ولكَمْ بُعَيْدَ الضِّيقِ من سعةٍ ولكم بُعَيدَ العُسْرِ من يُسْرِ !
هل بعد مُعْتكِرِ الظَّلامِ سوى بلَجِ الصَّباحِ وطلعةِ الفَجْرِ ؟
أو بعد ظمْأةِ هَجْمةٍ وردتْ غيرُ ارتواءِ جانب الغدرِ[111]
أو بعد خانقةِ التِّلاعِ سوَى فيحِ الفجاجِ وفُسحةِ البُهْرِ[112]
وإذا تُحاولُ نيلَ مَكرُمَةٍ فانْهَضْ إليها نهْضَةَ الشِّمْرِ
واركَب جوادَ الجِدِّ مُكتَفِيًا ذيلَ الملالَةِ منكَ والفَتْرِ !
فلرُبَّ ذي أملٍ على مَلَلٍ ومُهَدِّرٍ في العُنَّةِ الحجْرِ[113]
ولرُبَّ ذي رعْدٍ على صَلَفٍ فتراهُ يخْلفُ ثَمَّ لا يَفْرِي
ومُخاطرًا بالنَّفس فيه فَما يُرجى الخَطِيرُ بغيرِ ذي خَطَرِ
واعلم بأنَّ الغوصَ في لُججٍ خُضْرٍ يخفُّ لجالِبِ الدُّرِّ !
وتعسُّفَ القِننِ الصِّعابِ عليَّ خِصب يخِفُّ لحالِبِ الدَّرِّ
ولَدى الرِّياحِ الكُثْرِ يَحْمدُ ما جاب المفاوزَ صاحبُ التَّجْرِ
ولدى الصَّباحِ يكونُ مُغْتبطًا ويُنالُ بُغيتَهُ الَّذي يسْرِي
وتسنَّمنَّ ذُرَى الأمورِ ولا تُخْلِدْ إلى سفْسافِها الخضْرِ !
واعْلم بأنَّك ما استطَبْتَ جَنى إلاَّ لطيبِ الجذْرِ والبَذْرِ !

109) في الهامش : الأفر : غليان القدر. وفي نسخة : ذا زفر.
110) في الهامش : في نسخة : «فَأجَتْهُ ألطاف"...».
111) الهُجمة ـ بضم الهاء ـ : القطعة من الابل.
112) صحفت كلمة «خانقة» في د، فكتبت «حانقة» بالحاء المهملة. والبهر : المكان المتسع.
113) في الهامش : الحظيرة المحجورة . وهذا مثل سياتي في الكاف (يدل هذا على أن هذه الهوامش للمؤلف نفسه)

والكرْمُ يُجدي المُجتَني عِنبًا ... والشَّوكُ لا يُجدي سوى الشَّصرِ[114]

ولكَم ترى مرعًى ولستَ ترى ... كرِعايةِ السَّعدانِ والثَّغْرِ

والنَّاس كالغوغاءِ هائمةً ... لو كان يبْلو النَّاسَ ذو خُبْرِ

والمرءُ كلُّ المرءِ بينهُمُ ... ذو الملْبسِ الزَّاهي وذو الوفْرِ

لا ينظرونَ إلى الوفاءِ ولاَ ... فضْلِ الذَّكاءِ وثاقِبِ الفكْرِ

لو أقْبَلَت دُغَةٌ لهَشَّ لها ... كُلُّ إذا راحَتْ إلى دَثْرِ

أو جاء قيسٌ يستغيثُ صدًى ... لم يَسْق إن أمْسى أخا فقْرِ

لم يدَّروا أنَّ الكمالَ لِذي ... فضلِ النَّدى والحِلمِ والحِجْرِ

لا ذي الحُلى المسبُور مائلةً ... أعْطافُه بالزَّهْوِ والكِبْرِ[115]

فالعُجبُ بالمَلْبُوسِ من سخَفٍ ... في اللُّبِّ وهْو لربَّةِ الخِدرِ[116]

والسَّيفُ ليس يشينُهُ خَلَقٌ ... في الجفْنِ وهو العضْبُ ذو الأثْرِ

وكذا ذبولُ المتنِ ليس يُرَى ... عيبًا على الخَطِّيَّةِ السُّمْرِ

والطِّرفُ ليس يُعابُ من ضُمُرٍ ... يغْشاهُ بعد تداوُلِ الحُضْرِ

ولكم ترى نبْتًا يلذُّ على ... شحْبٍ وكم من ناعِمٍ مُرِّ !

ولكم ترى دِمَنًا تُعافُ إذا ... تُشْتمُّ وهْيَ أنيقَةُ الزَّهْرِ !

فتوخَّ في النَّاسِ الوفِيَّ إذا ... عاشَرتَهُم وحَذارِ ذا الغدْرِ !

واسبُرهُم قبل الاخَاءِ ولاَ ... تغْتَرَّ في الاخْوانِ بالسَّبْرِ !

كم من أخٍ مَذِقِ الوِدادِ على ... ما فيه من إحَنٍ ومن سِبْرِ[117]

إن تلقَهُ فالشَّهْدُ مقْوَلُهُ ... وإذا تغيبُ يكونُ كالصِّبْرِ

سيمَى بوجهِكَ تستميلُ وإن ... أدبَرتَ عنهُ فكَيَّةُ الظَّهْرِ

وإذا الزَّمانُ دعاكَ نائِبُهُ ... العاري إليهِ ترجِّيَ البِرِّ

فسيحتبيكَ بوعْدِ غَانِيَةٍ ... أو وعْدِ عُرقوبٍ جَنَى التَّمْرِ

---

114) الشَّصْر مصدر شَصَرَتْه الشوكة : أصابته.

115) في الهامش : المسبور أي الحسن السبر، وهو الهيئة.

116) في الهامش : في نسخة فالفخر» وفي أخرى «فالزهو» بدل «فالعجب»

117) في ب : «كم من أخ وذق الوداد على». وفي د : «فدق الوداد..» والسِّبر ـ بكسر السين ـ : العداوة.

وإذا تعُودُ يظلُّ مُكْتَلِحًا ... مُتغيِّظًا ينْزو ويستشْرِي
وإذا تُصادفْ ذا الصَّفاءِ فكُن ... منهُ ولَو صافاكَ ذا حِذْرِ !
وأسِمْ سوائِمَ سرحِهُ طُرَرًا ... مطْروقةً من مسْرحِ السِّرِّ[118]
وصُنِ السَّرارةَ واللُّبابَ ولاَ ... تبذُلْ له منهُ سِوى القِشْرِ !
فلربَّما يلْوِي الزَّمانُ بِهِ ... فيكونُ أبْصَرَ فيكَ بالضُّرِّ
وإذا تُصاحِب أو تُجالِس أوْ ... تسْتبُّ فالتمِسَنْ ذوي القدرِ !
فصداقةُ النُّبهاءِ مَفْخَرةٌ ... وكذا نواؤُهُمُ مِن الفَخْرِ
وصداقَةُ اللُّؤماءِ مُعْقِبَةٌ ... لُؤمًا كمثْلِ حِكاكِ ذي العرِّ
والسَّاقطُ الدَّاني مُشاتِمُهُ ... كالبائِعِ العقْيانَ بالصُّفْرِ
والحظُّ والمقْدارُ ما حُصِرَا ... في ذي الذَّكاءِ يبيتُ يستمْرِي
بل قسمَةٌ أزليَّةٌ نَشَأتْ ... بِيَدي مُدبِّرِها على قَدْرِ
وإذا نَظَرْتَ وجَدْتَ في قرنٍ ... غَمْرَ الغنى وجهالَةَ الغُمْرِ
وترى اللَّبيبَ يبيتُ في ضَفَفٍ ... بهُمومِهِ مُتقسِّمَ الفِكْرِ
ليكون فضْلُ حجى الفتى عِوضًا ... عن فضْلِ مال الأنْوكِ الكثْرِ
وتكونُ أحْكامُ الالَهِ جَرتْ ... في الخَلْقِ عن غَلَبٍ وعن قَسْرِ
والمرءُ ممْدودٌ لَهُ أجَلٌ ... فُسُحٌ مَداهُ نصائِبُ القَبْرِ
يُسْدي ويُلحِمُ في مُزاولَةٍ ... ما ليسَ يُدركُهُ مَدى العُمْرِ
ويبيعُ بالآلِ المَعينَ وبالخزفِ ... الكَسيرِ نضائِدَ التِّبْرِ[119]
ولَمن تبدَّل زائِلاً صَرِدًا ... مِن دائِمٍ قد باءَ بالخُسْرِ
فأُعدَّ لليومِ الَّذي خضعَت ... فيه الطُّلا لرواجِفِ الذُّعْرِ
وتحوَّلَت فيه الَّذينَ هُمُ ... قُنَنُ الذُّرى شمَمًا إلى الذَّرِّ
وتدوسهُمْ أقْدامُ طائفةٍ ... كانت لديْهِم موقِعَ السُّخْرِ !
وازْمُمْ ركابَك للرَّحيلِ غدًا ... إنَّ الخليط غَدَوْا على ظهرِ !

---

118) في د : «... مسرح السر». وفي آ «...ضرار مطرونة...» وهو تحريف.
119) الآل : السراب.

وتسلَّ عن ليلى فقد أزِفتْ ... عنها النَّوى ومضاضَةُ الهجْرِ !
وتخلَّ عن كلِّ الإلافِ إلى ... إلْفاءِ إلفٍ واصِلٍ بَرِّ !
وتسوَّغَنْ بجميلِ صبْرِكَ ما ... تُسقى بغيرهمُ من الصِّبْرِ[119م]
وفِ بالعُهودِ ولا تكُنْ إلْفًا ... نقْضًا ولو قبْضًا على جمْرِ !
واعلَم بأنَّ الوجْهَ ذو شَحَطٍ ... ومخاوِفٍ ومجاهِلٍ غُبْرِ !
فارتَدْ خفيرَ إنابَةٍ ولَجَا ... والعلمَ خِرِّيتًا إذا تَسْرِي !
وتزوَّدنَّ وخيرُ زادِكَ مِنْ ... تَقْوى المُهيْمنِ سامِعِ الأمْرِ !
واجعَل مَزادَ الصِّدقِ مُحكَمةً ... وتخيَّرنَّ نجائبَ الصَّبْرِ !
وتخيَّرِ الرُّفقاءَ مُجتنبًا ... قُرب الدَّانِ وصُحبةَ المُزري[120]
وإذا ارتَحَلْتَ فلا تشُذَّ وسِرْ ... وسْطَ الخليطِ ومُعظمِ السَّفْرِ !
وحذارِ رحْلَكَ يقْتفي سُبُلاً ... عن نهجهِم فيَضِلَّ في القَفْرِ !
وارعَ البطاحَ إذا مَرعْنَ ولا ... تترقَّينَّ بحالِقٍ وعْرِ !
وإذا الرِّياحُ عصفْنَ في شَرَفٍ ... فلتُسهِلَنْ أو غُلَّ في جُحْرِ !
وإذا ظمئْتَ ففي الأصيلِ فَرِدْ ... فردًا عنِ الضَّوضاءِ والكَدْرِ !
وإذا رأيتَ سفينةً خُرِقَتْ ... فَتأنَّ لا تعْجَلْ إلى النُّكْرِ !
وإذا تكونُ نزيلَ ذِي كَرَمٍ ... رحْبِ الذَّرى مُتفضِّلٍ غَمْرِ
لا يعدِمُ العافي نَداهُ ولا ... يعْتلُّ عن ذُهْلٍ ولا فَقْرِ
فَأرِح فُؤادَكَ أن يكونَ بِهِ ... هَمٌّ إلى زادٍ عَلى ذكْرِ !
وحذارِ أن يلْقاكَ مُرتَجِيًا ... ما يجتنِيهِ سواهُ من جَبْرِ[121]
وكُنِ الخلِيَّ وأنتَ ضائِفُهُ ... عارُ النَّزيلِ على الذي يَقْرِي !
وإذا الهوى ناواكَ مُحتفِلاً ... ومُجمِّعًا بمُعسكَرٍ مجْرِ[122]
فلتُعْدِدنْ ما اسطعتَ من وجَلٍ ... وضَراعَةٍ فتُدالَ بالنَّصْرِ

119م) في آ «تسقى بُعَيْدَهُمُ...».
120) الدّان : من لا غناء له. والمزري : الأحمق.
121) الجبرْ : العطاء.
122) معسكر مجر : أي كثير

واستمْدِدَنْ من واهِبٍ رؤُفٍ ... نورًا يقيكَ مَداحِضَ الحُكْرِ[123]

وكِلِ الأمورَ إليهِ مُلتَجِئًا ... مُتبرِّيًا مِلْحوْلِ والأزْرِ !

وإذا حَللتَ بساطَهُ فَغَدًا ... يسْقيكَ صِرفَ عَتيقَةِ الخَمْرِ

فلْترْعَيَنْ أدَبَ الجليسِ ولاَ ... تغْتَلْ حِجاكَ غوائلُ السُّكْرِ !

وإذا مليكُ الدّارِ في طَرَفٍ ... منها أناخَ مَطاكَ أو عُقْرِ

فالزَمْ مُناخَكَ أو يُحوِّلَهُ ... بِرِضى الجنانِ وغايَةِ الشُّكرِ[123م]

ولْتعْتزِز بحِماهُ مُعْتصِمًا ... ناهِيكَ من سَندٍ ومِن حَظْرِ !

وثِقَنْ بما أولاكَ من عِدَةٍ ... فالنَّقدُ موعِدُ مُفْضلٍ مُثْرِي !

وتجلَّ في ثوبيْ عُبُودَتِهِ ... ناهيكَ من شَمَمٍ ومِن ذِكْرِ !

وتحلَّ بالخُلُقِ الجميلِ على ... لُقْيا الورَى وحوادِثِ العصرِ !

ولْتلقَهُم وحشاكَ مَشْرَبُهُ ... صافٍ مِنِ الشَّحْناءِ والغِمْرِ !

وبليغُ نُصْحِك للقصِيِّ وللأدنى ... سَـــوِيُّ السِّـــرِّ والجهْـــرِ

واجْعلْ مُعاقَرَةَ المَنونِ على ... بالٍ فيا ناهِيكَ من ذُخْرِ !

وقال الآخـــر :

إلى كَم يكون الصَّدُّ في كلِّ ساعةٍ ... وكم لا تملِّينَ القطيعةَ والهجْرا ؟

رُويْدكِ إنَّ الدَّهرَ فيه كِفايةٌ ... لتفْريقِ ذات البينِ فانتظِرِ الدَّهرا !

وقال الآخـــر :

هبَّ النَّسيمُ فاهْدى نشرهُم سَحَرًا ... وأزْهر الرَّوضُ من أنفاسِهم عَطَرَا

إنِّي وإن أبْعدتْ عنِّي منازلُهم ... فلا أزالُ أروِّي عنهُمُ الخَبَرَا

قُل للسَّعيد الذي يحْظى برؤيتهم : ... إنِّي لتحْسُد عيني فيكُمُ النَّظرا

غيـــره :

وحقِّكُمُ مالي على فقدكُم صبْرُ ... وما طاب لي عيشٌ ولم يصف لي سرُّ

---

123) الحكر : الظلم.

123م) في ب : فانزل مناخك

وكيف يُسرُّ القلب يومًا بِلذَّةٍ ومنزلُكُم يا سادتي منزِلٌ قفْرُ
فما الدَّارُ دارٌ مُذ نأيْتُم ولا الكرى لذيذٌ وحُلوُ العيشِ بعدكُمُ مُرُّ

غيـــره :

لو كان لي مُسعِدٌ بالرَّاح يسعدُني لما انتظرتُ بشربِ الرَّاحِ إفطارا
الرَّاحُ أشرفُ شيءٍ أنت شاربُهُ فاشربْ ولو حمَّلتْك الرَّاحُ أوزارَا
يا من يلومُ على صهْباءَ صافيةٍ دعِ الجِنانَ ودعْني أُسكِنُ النَّارا !

وفي **لطائف المنن** للتاج ابن عطاء اللّه أنَّ هذا الشعر أنشده منشد بين يدي الشيخ . فأنكر عليه بعض الحاضرين أن ينشد مثل هذا في هذا الموضع . فقال الشيخ للمنشد : قل ودع عنك هذا، فإنَّه محجوب ! انتهى بالمعنى وهو بيّن، فإنَّ الخمر خمران، والنَّار ناران، والجنان جنانان . فكلٌّ يشرب بحسب ذوقه، ويفهم بمقتضى قصده .

وقال الآخـــر :

هلاَّ رأيتَ وقائِـــعَ الدَّهـــرِ أفلا تُسيءُ الظَّنَّ بالعُمْرِ ؟
بينا الفتى كالطَّـودِ تمنعُهُ هضباتُهُ والعضْبُ ذو الأثْرِ[124]
يأْبَى الدَّنيَّةَ في عشيرتِهِ ويُجاذِبُ الأيْدي على الفخْرِ
زلَّ الزَّمانُ بوطْءِ أخْمَصِهِ ومواطِىءُ الأقْـدامِ للْعَثْـرِ

غيـــره :

أين الملوكُ وما بنوْهُ وشيَّدوا ؟ ماتوا جميعًا في التُّرابِ وسارُوا
آثارهُم تُنْبيكَ عن أخْبارِهِمْ هذي هي الأطْلالُ والأخْبَارُ
إن سَلْتَ عنهُم قُل لنفسك:بعدهم لم يبق إلاَّ الواحِدُ القَهَّارُ !

غيـــره :

يا راقدَ اللَّيلِ مسْرورًا بأوَّلِهِ إنَّ الحوادثَ قد يطرُقْنَ إسْحارا !

ولـــه :

لو بغيرِ الماءِ حَلْقِي شَرِقٌ كُنت كالغصَّانِ بالماءِ اعْتِصارِ

غيـــره :

---

124) في ب :هضاته. وهو تحريف.

النَّاسُ شتَّى إذا ما أنت ذُقتهُمُ ... لا يستوُونَ كما لا يستوِي الشَّجر[125]
هذا له ثمَرٌ حُلْوٌ مَذاقَتُهُ ... وذاكَ ليس لهُ طعْمٌ ولا ثَمَرُ

وقال النَّمر بن تولب :

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ... ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسر[126]

سَلْم الخَاسر[127] :

من راقَبَ النَّاس ماتَ غَمًّا ... وفازَ باللَّذَّةِ الجَسُورُ

ابن المعتزّ :

لا تأمَنوا من بعدِ خيرٍ شرًّا ... كَم غُصنٍ أخْضَرَ صارَجَمْرًا !

الصَّنَوْبري :

مِحَنُ الفتى يُخبرنَ عن فضْلِ الفتى ... كالنَّارِ تُخْبِرنا بفضْلِ العَنْبَرِ

غيره :

كم كافِرٍ باللَّهِ أمْوالُهُ ... تزدادُ أضْعَافًا على كُفْرِهِ
ومُؤمِنٍ ليس لهُ دِرهَمٌ ... يزدادُ إيمانًا عَلى فَقْرِهِ !

غيره :

يا صاحِ إنَّ من الرِّجال بهيمةً ... في صورةِ الرَّجل السَّميعِ المُبصرِ
فَطنًا بكُلِّ مُصيبةٍ في حالِهِ ... وإذا أُصيب بدينهِ لم يشْعُرِ !

وقال الآخر :

عَتَبتُ على الدُّنيا لتقديمِ جاهلٍ ... وتأخير ذي عِلْمٍ فقالت خُذِ العُذْرا
بنو الجهلِ أبْنائي وكلُّ فضيلةٍ ... فأَبْناؤها أَبناءُ ضرَّتِيَ الأُخْرى

وقال الآخر :

غائظْ صديقكَ تكشِفْ عن ضمائِرِهِ ... وتهْتِكِ السِّرَّ عن محجوبِ أستارِ
فالعودُ يُنْبيك عن مكْنونِ بَاطِنه ... دُخانُهُ حينَ تُدنيهِ من النَّارِ !

---

125) في ب : «الناس شيء...» وهو تحريف.
126) هذا البيت ساقط من ب. ووردت بعض الأبيات والمقطعات في أ على غير الترتيب الموجود في المخطوطات الأخرى
127) حرف هذا الاسم في ب فكتب سلم الحيار.

وهذا كقول الحكيم : إذا أردت أن تعرف صديقك فأغضبه ! وذلك لأنّ الرضى يصلح معه كلّ أحد، ولا يصلح على الغضب إلاّ الأصفياء الصادقون، وقليل ماهم .

غيـــره :

سقى اللّهُ أيّامًا لنا لسنَ رُجّعَا وسقْيًا لعصْرِ العامريّةِ من عصْرِ

ليالِيَ أعطيتُ البِطالةَ مِقْـودِي تمرُّ اللّيالي والشّهورُ وما ندري !

حكى أبو علي البغدادي في نوادره، عن أبي بكر بن دريد، عن أبي حاتم قال : كان فتى من أهل البصرة يختلف معنا إلى الأصمعي فافتقدته ، فلقيت أباه فسألته عنه فقال : سألني عن بيتين كان الأصمعي يردّدهما :

سقَى اللّهُ أيّامًا (البيتين)

فقلت له : يا بنيّ، إنّك لست بعاشق، ولولا ذلك لعرفت ما يفعله الذكر بصاحبه ! قال : فبعثته على أن عشق لجاجا[128].

ولنكتف بهذا القدر من هذا الباب مخافة السآمة، واللّه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل .

---

128) في د :«على أن أعشق لجاجا».

بَابُ الزَّايِ المُوحَّدَة

زَبَّبْتَ وأنْتَ حِصْرِمٌ .

هذا مثل مشهور، غير أنَّه مولَّد . وهو من كلام أبي علي الفارسي، قاله لأبي الفتح عثمان بن جنّي لمَّا مرَّ به وهو في حلقته . فلمَّا قال له ذلك قام أبو الفتح فترك حلقته وتبعه حتَّى تمهَّر . ذكر ذلك شمس الدين بن خلّكان، رحمه اللَّه تعالى . ويضرب فيمن يتعاطى رتبة قبل أن يصل إليها .

ومنه قول ابن النقيب[1]

إذا صَرصَرَ البازِي فلاَ ديكَ يَصرخُ ... ولا فاخِتٌ في أيْكةٍ يترنَّمُ[2]

وما الموتُ إلاَّ طيِّبٌ طعْمُه إذا ... تَدايَكَ فرُّوجٌ وزبَّبَ حِصْرِمُ

زاحِمْ بعَوْدٍ أو دَعْ !

المُزاحَمةُ معروفة . يقال : زَحَمْتُهُ على كذا، زَحْمَةً، وزاحَمْتُهُ، وازدحَمَ القومُ على هذا الأمر، وتزاحموا عليه، ازدِحامًا وزِحامًا ومُزاحَمَةً . والعَوْدُ - بفتح العين المهملة وسكون الواو -: المُسِنّ من الابل الذي جاوَزَ البَازِلَ والمُخْلِفَ سِنًّا . قال امرؤو القيس :

على لاحِبٍ لا يُهتَدى بمَنارِهِ ... إذا سافَهُ العوْدُ النِّباطيُّ جرْجَرا

والجمع عِوَدَة - كزَوْج وزوجَةَ -، والأنثى عَوْدَة، والجمع عُود[3] ؛ وعَوَّدَ البعيرُ تَعْويدًا : بلغ ذلك . والعَودُ أيضا : الطريق القديم . قال الراجز :

عوْدٌ على عودٍ لأقْوامٍ أُوَلْ ... يموت بالتَّرْكِ ويحْيا بالعَمَلْ

أي جمل مسنّ على طريق قديم . وفي الصحاح : ربَّما قالوا : سُؤْدَدٌ عَوْدٌ أي قديم، وأنشد للطِّرماح :

1) سقطت كلمة «ابن» من د.
2) في ب : تترنم
3) في لسان العرب أن عَوْدة تجمع على عِيَاد.

هل المجدُ إلاّ السُّؤددُ العودُ والنَّدى ورأبُ الثَّأى والصَّبرُ عند المواطِنِ[4] ؟

والمراد من المثل المعنى الأوّل، وهو على التمثيل والتشبيه . والمعنى أنّك إذا حاولت أمرا أو زاولت حربا، ينبغي لك أن تستعين عليه بأهل السنّ والمعرفة والتجريب . فإنّ رأي المشائخ كثيرا ما كان أنفع من مشاهد الشباب، على أنّ مشهد الشيوخ وأهل البصيرة والصدق أيضا هو المشهد، كما قال أبو الطيّب :

سأطْلبُ حقّي بالقَنا ومَشَائِخٍ كأنّهُمُ من طول ما الْتَثَموا مُردُ

ثقالٌ إذا لاقَوْا خِفافٌ إذا دُعوا كثيرٌ إذا شدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

وعلى أسلوب هذا المثل ما يقال : قَاتِلِ بِسِعْدٍ أو بجَدٍّ، وإلاّ فَلاَ !

زعَمُوا مَطِيَّةُ الكُذِبِ .

الزَّعْمُ : الظَّنُّ، يقال : زعَمَ كذا واقعًا، يزعُمُهُ . قال :

زعَمَتْنِي شَيْخًا ولَستُ بشَيْخٍ....[5]

وقال كثيّر :

وقد زعَمَت أنّي تغيَّرتُ بعْدها ومَن ذا الّذي يا عزّ لا يتغيَّرُ ؟

ولها معان أخرى غير مرادة هنا . والمَطِيَّةُ : النّاقة التي يُركب مَطَاها أي ظهرها . قال امرؤ القيس :

ويومَ عقَرْتُ للعَذارَى مَطِيَّتي فيا عجَبًا من رَحْلِها المتحمَّلِ !

ويحكى أنّ ابن عمر، رضي اللّه عنهما، قال : رأيت رجلا يطوف بالبيت حاملا أمّه على ظهره وهو يقول :

إنّي لها مطيَّةٌ لا تُذْعَرُ إذا الرِّكابُ نفَرتْ لا تنْفُرُ

ما حملَت وأرْضعَتْني أكْثَرُ اللّهُ ربّي ذو الجَلالِ أكْبَرُ !

وذكر في الصحاح أنّ المطيَّة تؤنّث وتذكّر، وأنشد على التذكير لربيعة بن مَقْرُوم الضَّبّي جاهلي[6]

4) في ب : «هل المحل...»، وفي د : «هل العود...»

5) تمامه : انما الشيخ من يدب دبيبا.

6) حرف اسم الشاعر في أ فكتب : ربيعة بن مضروم.

ومَطيَّةٍ - مَلثَ الظَّلامِ - بعثْتُه يشْكو الكلالَ إليَّ دامي الأظْلَلِ

وكأنَّ المطيَّة، على هذا، هو المركوب، جملاً كان أو ناقة . وجمع المطيَّة مَطِيّ ومَطَايَا . قال امرؤ القيس :

سَرَيْتُ بهِم حتَّى تكلَّ مطِيُّهُم وحتَّى الجِيادُ ما يُقَدنَ بأرسَانِ

وفي الحديث على رواية **يُوشِكُ أن يَضْرِبَ النَّاسُ آبَاطَ المَطِيّ في طَلَبِ العِلْمِ فَلا يَجِدونَ عَالِمًا أعْلَمَ من عَالِمِ المَدينَةِ .**

وقال جريـــر :

ألستُم خيرَ مَن ركبَ المَطايا وأنْدى العالَمينَ بُطونَ راحِ ؟

ومنه قول أبي نواس :

وإذا المطيُّ بنا بلغْنَ مُحمَّدًا فظهورُهُنَّ على الرِّجالِ حَرام

ومنه قول أبي دلامة (×) :

إنَّ المطايا تشْتكيكَ لأنَّهَا قَطعتْ إليكَ سَباسبًا ورمالاَ

ومعنى الكلام أنَّ الرجل إذا أراد أن يتحدَّث قال : زعموا كذا وكذا، وزعموا أنَّ الأمر كذا وأنَّ كذا واقع . فلمَّا كان هذا اللفظ يقدمه أمام كلامه ويتوصَّل به إلى حاجته، جعل مطيَّة تشبيها بالمطيَّة المركوبة، بجامع التوصّل بهما إلى الغرض . ثمَّ إنَّهم قالوا : إنَّما يقال هكذا في حديث لا سند له ولا ثبت فيه، وإنَّما يجري على الألسن، وأكثر ما يكون ذلك كذب .

وفي الحديث : حَسْبُ الرَّجُلِ مِن الكَذبِ أن يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ . فجعل زَعَمُوا مَطِيَّةً للكَذِبِ، أي للتحديث به من أجل هذا . وقد يعبِّر بهِ مَن يتعمَّد الكذبَ لسهولته إذ ذاك وتستّره حيث لم يتعيَّن المكذوب عليه ولا المنقول عنه حتَّى يفتضح الناقل عند سؤاله .

فائدتان . الأولى . قال الجلال السيوطي في كتابه **الهمع** : قولهم زعَمُوا مَطِيَّةُ الكَذِبِ لم أقف عليه في شيء من كتب الأمثال . وذكر بعضهم أنَّه روى : مَظِنَّةَ الكِذِبِ - بالظاء المعجمة والنون - وأخرج ابن أبي حاتم في **تفسيره**، عن صفوان بن عمرو

×) صوابه أبو العتاهية، وسيحيل عليه المؤلف نفسه فيما بعد.

الكلابي، قال : بِئْسَ مَطِيَّةُ المُسْلِمِ زعموا إنَّما زعموا مطيَّة الشيطان . وأخرج ابن سعد في **الطبقات**، من طريق الأعمش عن شريح القاضي قال : زعَموا كُنْيَةُ الكَذبِ . انتهى .

وذكر بعضهم : **زعَموا مَطِيَّةُ الكذبِ** حديثًا عن النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم .

وقال بعضهم : لا يوجدُ زعَمَ في فصيح الكلام إلاَّ عبارة عن الكذب، أو قول انفرد به قائله، أو تبقى عهدته على الزاعم . ففي ذلك ما ينحو إلى تضعيف . وقول سيبويه : زعم الخليل كذا، إنَّما يجيء فيما تفرَّد الخليل به . انتهى .

قلت : ولم يكن يأتي به سيبويه على أنَّ ذلك كذب، بل من أجل ذلك التفرّد وبقاء العهدة فقط . وقد يأتي زعَمَ مع القطع بصدق الزاعم، كما في السير من قول سعد، رضي اللَّه عنه، للقرشي بمكَّة إنَّ مُحمَّدًا يَزْعُمُ أنَّهُ قاتِلُكَ، ولم يكن المخبر يشكّ في صدق محمَّد صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، بل أيقن القرشي مع كفره بذلك فقال : إنَّا لا نُكَذِّبُ مُحَمَّدًا في خبره . والقصَّة مشهورة .

الثانية : قول جرير السابق . قالوا : هو أمدح بيت قالته العرب . وكان امتدح به عبد الملك بن مروان من قصيدة، وكان أوَّلها أن قال :

أتصْحو أم فُؤادُك غيرُ صاحِ [7]

فقال عبد الملك : بل فؤادك ! ثمَّ تمادى في الانشاد إلى أن قال :

تعَزَّتْ أُمُّ حزْرَةَ ثمَّ قالتْ : رأيْتُ الواردينَ ذَوِي امْتِياحِ [8]

ثِقِي باللَّهِ لَيسَ لَهُ شَرِيكٌ ومِن عندِ الخليفَةِ بالنَّجاحِ

سأشكُر إن رددتَ إليَّ ريشي وأنبَتَّ القوادِمَ في الجناحِ [9]

ألستُم خيرَ مَن ركبَ المَطايا وأنْدى العالمينَ بُطونَ راحِ ؟

فطرب عبد الملك وأخذته الأريحيَّة وكان متَّكئا فجلس وقال : من مدحنا فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت ! ثمَّ قال : يا جرير، أترى أم حزْرَة ترويها مائة ناقة سود الحدق ؟

---

7) تمامه : عشيَّةَ همَّ صحبُك بالرَّواحِ .

8) ما نحفظه ويوجد في كتب الادب : «امتناح» بالنون، بمعنى العطاء. وستأتي كلمة امتياح قافية لبيت ثالث بعد هذا أهمله اليوسي، فيلزم عليه عيب الايطاء.

9) في المخطوطات «وأثبت» وهو خلاف ما نحفظ ونقرأ في كتب الادب. وتركنا «الجناح» كما هو، ولو أن المشهور «جناحي» المناسب لريشي السابق.

فقال : يا أمير المؤمنين، إنَّ الابل إباق ونحن مشائخ ليس بأحدنا فضل عن راحلته . فلو أمرت بالرعاة ؟ فأمر له بثمانية أعبد وكانت بين يدي عبد الملك صحاف فضَّة يقرعها بقضيب بيده . فقال جرير : والمَحْلَب[9م]، يا أمير المؤمنين ؟ وأشار إلى صحفة منها . فنبذها إليه بالقضيب . وفي ذلك قال جرير :

أعْطَوا هُنَيْدَةَ يَحدُوها ثمانيَةً ما في عطائِهمُ منٌّ ولا سَرَفُ !

قلت : وما ذكر في بيت جرير هو بحسب ما فيه من الشمول بذكر العالمين، وإلاَّ فلزهير أبيات هي الغرر في جبهات المديح، كقوله :

بلِ اذكُرَنْ خيرَ قيسٍ كُلِّها حسبًا وخيرها نائلاً وخيرهَا خُلُقا

فإنَّه يجمع أوصافا من المدح مع السبك العجيب والاتساق البديع . إلاَّ أنَّه خصَّصه بقيس وهو لا يوجب كبير قصور، لأنَّ العناية بتفضيل الممدوح وتَعْلِيَتِه إنَّما هي بحسب أقرانه ومزاحميه في الشرف، مع أنَّ هذا أقرب إلى الصدق، وليس الكذب البشيع بممدوح في الشعر . إلاَّ أن يريد جرير رهط الممدوح جميعا حتَّى يدخل النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فيكون كلامه صدقا . وقوله :

إن تلْقَ يومًا على عِلاَّتِه هرمًا تلْقَ السَّماحةَ منهُ والنَّدى خُلُقا

فإنَّه ترك إثبات السماحة والندى للممدوح إلى إثبات كونهما من سجاياه وخلائقه، إيهامًا لكون ثبوتهما ليس متوقف العقول، لاتّضاحه كالنَّهار، واشتهاره غاية الاشتهار . ووقع لزهير غير هذا ولغيره أيضا ممَّا يطول تتبّعه .

قالوا : وأهجى بيت قالته العرب قول الأخطل يهجو جريرا :

قومٌ إذا استنْبَحَ الضِّيفانُ كلبَهُمُ قالوا لأُمِّهِمُ بولي على النَّارِ !

وبعده :

فتُمسِكُ البَولَ بُخْلاً أن تَجودَ بِهِ فَما تَبُولُ لَهُمْ إلاَّ بِمِقْدارِ !

وتقدَّم هذا :

وأحكم بيت قالته العرب قول طرفة :

ستُبدي لكَ الأيَّامُ ما كُنتَ جاهِلاً ويأْتيكَ بالأخْبارِ ما لم تُزوِّدِ

9م) في ب و د : «والصحاف» بدل «والمحلب» وهو تصحيف.

وأحمق بيت قول أبي محجن :

إذا مِتُّ فادفِنّي إلى جنْب كرمةٍ تُروِّي عظامي عند موتي عُروقُها !

ولا تدفنَنّي في الفَلاَةِ فإنّني أخافُ إذا ما مِتُّ ألاّ أذوقُهَا

وأغزل بيت قالته العرب قول جرير :

إنّ العيونَ التّي في طرفِها حَورٌ قتلننا ثمّ لم يُحْيينَ قتْلانَا

وبعـــده :

يصْرعْن ذا اللُّبِّ حتّى لا حراكَ به وهُنّ أضْعفُ خلقِ اللّهِ أركانا[10]

قلت : وأصدق بيت قالته العرب قبل النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قول لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللّهَ باطِلُ[11]

وبعده قول الآخـر :

وما حَمَلَت من ناقَةٍ فوق رحْلِها أبرّ وأوفى ذمّةً من مُحمّدِ !

عجيبة . أبو العتاهية في شعره السّابق امتدح عمر بن العلاء، فأمر له بسبعين ألف درهم وأمر من حضره من خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه حتّى لم يقدر على القيام لِما عليه من الثياب . ثمّ إنّ جماعة من الشعراء كانوا بباب عمر فقال بعضهم : يا عجبا للأمير ! يعطي أبا العتاهية سبعين ألفا . فبلغ ذلك عمر فقال : [عليّ بهم ! فأُدخلوا عليه . فقال][12] : ما أحسد بعضكم لبعض، يا معشر الشعراء ! إنّ أحدكم يأتينا يريد مدحنا فيشبّب بصديقته في قصيدته بخمسين بيتا، فما يبلغنا حتّى يذهب لذاذة مدحه ورونق شعره . وقد أتانا أبو العتاهية فشبب بيتين ثمّ قال :

إنّي أمِنْتُ من الزّمانِ وريْبِهِ لمّا علقْتُ من الأميرِ حِبالاَ

لو يستطيعُ النّاسُ من إجْلالِهِ لحذَوا له حُرَّ الوجوهِ نِعالاَ

ما كان هذا الجودُ حتّى كُنت يا عُمرًا ولو يومًا تزولُ لَزالاَ

إنّ المَطايا تشتكِيكَ لأنّها قَطعَت إليكَ سَباسِبًا ورِمالاَ

---

10) كذا في المخطوطات . إلاّ ب كتب فيها «إنسانا» حسب المشهور، ثم كتب في الهامش أن الصحيح بحسب النص هو «أركانا».

11) تمامه : وكل نعيم لا محالة زائل.

12) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

فإذا أتيْنَ بِنا أتيْن مُخِفَّةً وإذا رجَعْن بنا رجَعْنَ ثِقالاَ

ويُذكر أنَّه لمَّا امتدحه قال له : أقم حتَّى أنظر في أمرك ! فأقام أيَّاما فلم ير شيئا . وكان عمر ينتظر مالا من وجه فأبطأ عليه . فكتب إليه أبو العتاهية :

يا ابنَ العلاءِ ويا ابن القرمِ مِرداسِ إنِّي امتدحْتُكَ في صحْبي وجُلاَّسي

أُثْني عليكَ ولي حالٌ تُكَذِّبُني فيما أقولُ فاسْتحْيِي من النَّاسِ

حتَّى إذا قيلَ ما أعْطاكَ من صَفَدٍ طَأطَأْتُ من سوءِ حالٍ عندها راسي

فقال عمر لحاجبه : اكفنيه أيَّاما ! فقال له الحاجب كلاما دفعه به وقال : تنتظر ! فكتب إليه:

أصابَتْ علَينا جودَكَ العينُ يا عُمَرْ فنحْنُ لها نبْغي التَّمائمَ والنُّشَرْ

أصابتْكَ عينٌ في سَخائِكَ صَلْبَةٌ ويا رُبَّ عينٍ صَلبةٍ تفْلِقُ الحَجَرْ

سنرقِيكَ بالأشْعَارِ حتَّى تَملَّهَا فإن لم تُفِق منها رقَيناكَ بالسُّور[1]

فضحك عمر وقال لصاحب بيت ماله : كم عندك ؟ قال : سبعون ألف درهم . فقال : ادفعها إليه ! ويقال إنَّه قال له : اعذرني عنده ولا تُدخله عليَّ، فإني أستحي منه !

زَنْدَانِ في وِعَاءٍ .

الزَّنْدُ - بفتح الأوَّل - العود الذي يُقدح به . والوعَاءُ معروف . يُضرب هذا في تساوي الرجلين، فيقال : هُما زَنْدَانِ في وِعَاءٍ، وكَزَنْدَيْنِ في وِعَاءٍ .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : ولا يكاد يوضع في المدح . إنَّما هو في موضع الخساسة والدناءة .

فقال البكري : لا أعلم لِمَ جُعِل في موضع الدناءة إلاَّ أن يتناولوا فيه قولهم : اللَّئِيمُ مُزَنَّدٌ، والتَّزنيد : التَّضييق .

قلت : ولا يخفى بُعدُه . والمزنَّد - بصيغة اسم المفعول - وهو البخيل الضيّق . قال الحماسي :

ومِن الرِّجالِ أسِنَّةٌ مَذْروبَةٌ ومُزنَّدونَ شُهودُهُمْ كالغَائِبِ

وقد أتى الحريري في مقامته البغداديَّة بهذا المثل في مطلق الاستواء أو في الاستواء في

1) في المخطوطتين : بالنثر، وهو تصحيف، والتصحيح من الديوان.

المدح بالحذق والذكاء . فقال ابن ظفر : المشهور استعماله ـ يعني هذا المثل ـ في الحقارة والخساسة .

أزْكَنُ مِن إيَاسٍ .

الزَّكَنُ : العلْمُ، تقول : زَكِنْتُهُ ـ بالكسر ـ أزْكَنُهُ، زَكَنًا إذا علمتَه . قال ابن أمّ صاحب :

ولن يُراجِعَ قلبي وُدَّهُمْ أبَدًا زَكِنْتُ من أمرهِم مثل الَّذي زَكِنوا

ويروى : زَكِنْتُ منهُمْ على مِثْلِ الَّذي عَلِموا .

والزَّكَن أيضا : التفرّس، وهو علم خاصّ . وإياس هو ابن معاوية، قاضي البصرة . وضُرب به المثل في الفراسة والذكاء، وله في ذلك أخبار كثيرة تقدَّمت جملة منها في ذكائه، من حرف الذّال . وكان يُحكى أنَّه قال : تعلَّمت الزَّكَنَ من أمّي، وكانت خراسانيَّة، وأهل بيتها يَزْكَنُون، أي يتفرَّسون . قيل : وقد أُلّف في أخباره كتاب يُسمَّى «زَكَنُ إيَاس».

أزْنَى مِنْ قِرْدٍ .

الزِّنَى ـ بالزاي المكسورة والنون ـ معروف، يُمدّ ويُقصر . قيل : والقصر لغة الحجاز، لقوله تعالى : **ولا تَقْرَبُوا الزِّنَى** ! والمدّ لغة نجد، كقول الفرزدق :

أبا حاضِرٍ مَن يَزْنِ يُعْرَفْ زِناؤُهُ ومن يشرَب الخُرطومَ يُصبحْ مُسكَّرا[13]

وزَنَى الرجل ـ بالفتح ـ يَزْنِي، زِنًى، وزَانَى مُزَانَاةً وزِنَاءً . وفي عَدّ الكبائر : وأن تزاني حليلة جارك . والقِرْدُ ـ بكسر القاف ـ معروف، وتقدم في الحاء، وهو يوصف بالزنى . وقد وقع في السيرة أنَّه زنى قرد في الجاهلية فرجمته القردة . وزعموا أنَّ القرد أزنى الحيوان .

وقيل إنَّ المعنيَّ في هذا المثل ليس القرد المعروف، بل رجلا من هُذَيْل يقال له قرد بن معاوية، وبه ضُرب المثل، واللّه تعالى أعلم !

13) في أ: «ألا يا حاضر....» وهو لا يستقيم وزنًا.

أزْهَى مِنْ طاوُوسٍ .

الزَّهْوُ : الاعجاب والتَّكبّر . يقال : زُهِيَ - بالبناء للمفعول - يُزْهَى، فهو مَزْهُوٌّ . ويقال أيضا : زَهَى - بالفتح - يَزْهُو، زَهْوًا . وهي لغة حكاها ابن دُريْد . والطَّاووس: الطَّائر المعروف، وتقدَّم في الحاء . وإنَّما وُصف بالزَّهْو لِمَا مَرَّ من أنَّ طبعه حبّ الزهو لنفسه والخيلاء والاعجاب بريشه : ثمَّ إنَّهم بنوا اسم التفضيل هنا من فعل المفعول وعلى الشذوذ، كما قالوا : أشْغَلُ مِن ذاتِ النِّحْيَيْن، وأجَنُّ من دُغَة، وأولَعُ من قِرد . وتعجَّبوا منه أيضا فقالوا : ما أزْهَاهُ ! وما أشْغَلَهُ ! وما أجَنَّهُ ! وهو مسموع في هذه الألفاظ ونحوها . ولا يقال في المضروب والمجروح ونحوهما : أضْرَبُ من كذا، ولا أجْرَحُ، ولا : ما أضْرَبَهُ ! وأجْرَحَهُ !

ومن الشَّاذّ قول سيبويه، رحمه اللَّه تعالى : واعلم أنَّ العرب يقدّمون ما هم به أهمّ وهم ببيانه أعنى، وهو من عَنَاهُم وعُنُوا به، فهم مَعْنِيُّونَ به .

قال الامام السُّهَيْلي، رحمه اللَّه تعالى : وسبب جوازه - يعني في الأفعال المذكورة دون غيرها - أنَّ المفعول فيها فاعل في المعنى : فالمَزْهُوّ متكبّر في المعنى . وكذلك المَنْخُوُّ، والمشغول مشتغل وفاعل لشغله، والمَعْنِيُّ بالأمر كذلك، والمجنون كالأحمق، فيقال : ما أجَنَّهُ ! كما يُقال مَا أحْمَقَهُ ! وليس كذلك مضروب ولا مركوب ولا مشتوم ولا ممدوح، فلا يقال في شيء منه : ما أفْعَلَهُ، ولا : هو أفْعَلُ من كذا.

قال : فإن قلت : فعلى هذا القياس كان ينبغي أيضا أن يؤمر فيه بغير اللاَّم، كمأمور الفاعل إذ قلتم إنَّه فاعل في المَعْنَى، يعني وليس الأمْر كذلك، لأنَّك إنَّما تقول في أمر المخاطَب، من عُنِي وزُهِي وشُغِل : لِتُعْنَ ولْتُزْهَ ولْتُشْغَلْ ! كما يؤمر الغائب في سائر الأفعال .

قال : فالجواب أنَّ الأمر إنَّما هو بلفظ المستقبل، وهو : تَضْرِبُ وتخْرُجُ . فإذا أمرت حذفت حرف المضارعة، وبقيت حروف الفعل على بنيتها . وليس كذلك زُهيت، فأنت تُزهى، ولا شُغلت، فأنت تُشغل . لأنَّك، لو حذفت منه حرف المضارعة لبقي لفظ الفعل على بنية ليست للغائب ولا للمخاطب، لأنَّ بنية الأمر للمخاطَب : افْعَلْ، وبنيته للغائب :

فَلْيَفْعَلْ . والبنية التي قدَّرناها لا تصلح لواحد منهما، لأنَّك كنت تقول : ازْهَ، من زهيت، وكنت تقول من شغلت : اشْغَلْ، فتخرج من باب شُغِلْتَ فأنت مَشْغُول إلى باب شَغَلْتَ غَيْرك، فلم يستقم فيه الأمر باللاَّم . انتهى . وهو حسن، وهذا في زهي إنَّما هو على أنَّ التفضيل جاء فيه على اللّغة المشهورة . وأمَّا على أنَّه على اللّغة الثانية التي ذكرها ابن دريد فلا شذوذ فيه.

قال الجوهري، بعد ذكره هذه اللغة : ومنه قولهم مَا أزْهاهُ، وليس هذا من زُهِيَ، لأنَّ اسم المفعول لا يُتعجَّب منه . انتهى .

أزْهَى مِنْ دِيكٍ .

تقدَّم الزَّهْوُ . والدِّيكُ - بكسر الدال المهملة - معروف، جمعه ديَكَة ودُيُوك . وهو موصوف بالزهو والتبختر والتمايل في مشيته، وذلك معروف فيه .

أزْهَى مِنْ غُرَابٍ .

الزَّهْوُ مَرَّ، وكذا الغراب، وهو أيضا موصوف بالزهو . قال الشاعر :

لَنا صاحِبٌ مُولَعٌ بالخِلاَفْ كثيرُ الخَطاءِ قليلُ الصَّوابْ
ألَجَّ لَجاجًا مِن الخُنفُساءْ وأزْهَى إذا ما مشى من غُرابْ .

زَوْجٌ من عُود، خَيْرٌ من قُعُود .

الزَّوجُ ضدّ الفردِ . والزوج أيضا بَعْلُ المرأة، وهي أيضا زَوجُهُ . فالزوج للذَّكر والأنثى هذا هو الفصيح . قال تعالى : **اُسْكُنْ أنتَ وزَوْجُكَ الجَنَّةَ** ! وقد يقال زَوْجَة . قال الفرزدق :

وإنَّ الذي يسعى ليُفْسد زوجتي كساعٍ إلى أُسْد الشَّرَا يستبيلُها !

وتقدَّم هذا . والعُود - بضمّ العين المهملة -: معروف، جمعه **عِيدان** وأعْواد، والقُعُود: الجلُوس، وقد يُفرَّق بينهما فيقال : القعود ضدّ القيام . **فإذا كان أحد** واقفا قيل له : اقعد ! ولا يقال : اجلس ! وإذا كان مضطجعا ثمَّ استوى جالسا قيل : إنَّه قد جلس .

ومعنى المثل أنَّ التزوّج، ولو بأدنى زوج، خير من البقاء بلا زوج . قالته بنت همام بن مُرَّة الوائلي البكري . وكان له ـ فيما زعموا ـ أربع بنات . فكان يُخطبن إليه فيستأمرهنَّ فيمنعهنَّ الحيا أن يأذن، فلا يزوّجهنَّ . وكانت أمّهنَّ تأمره بتزويجهنَّ فلا يفعل . فخرج ذات ليلة إلى متحدَّث لهنَّ، فجعل يستمع تحديثهنَّ وهنَّ لا يعلمن . فقلن : تعالين نتمنَّ ولْنَصْدُقْ ! فقالت الكبرى :

ألا لَيتَ زوجِي من أُناسٍ ذوي غِنًى ... حديثُ الشَّبابِ طيِّبُ النَّشْرِ والعطْرِ

طَبيبٌ بأدواءِ النِّساءِ كأنَّهُ ... خَليفَةُ جانٍ لا يبيتُ على وِتْرِ !

فقلن لها : إنَّك تحبّين رجلا ليس من قومك . وقالت الثّانية :

ألا هَل أراها مرَّةً وضَجِيعُها ... أشمُّ كماضِي الشَّفرتينِ مُهنَّدِ

لصوقٌ بأكبادِ النِّساءِ وأصْلُهُ ... إذا ما انتَمى من أهلِ سرِّي ومحتِدي ؟

وقالت الثّالثة :

ألا ليتَهُ على الجِفان مدلَّبُ[14] ... له جفْنةٌ تشقى بها النِّيبُ والجُزْرُ

به مُحكماتُ الشَّيبِ من غير كبْرةٍ ... تشينُ فلا العاني ولا الضَّرَعُ الغمرُ !

فقلن لها : تحبّين رجلا شريفا . فقلن للصغرى : تمنَّيْ أنت ! فقالت : ما أريد شيئا . فقلن: واللّه لا تبرحين حتّى نعلم ما في نفسك ! فقالت : زَوْجٌ مِن عُودٍ، خَيْرٌ من قُعُودٍ. فلمّا سمع أبوهنَّ ذلك زوَّجهنَّ .

وهكذا حُكي عن بعضهم هذه القصّة . والذي ذكر صاحب **القاموس** في اللغة أنَّ هَمّام بن مُرَّة له ثلاث بنات، وآلى على نفسه ألاّ يزوّجهنَّ . فلمّا عنس قالت إحداهنَّ بيتا وأسمعته إيّاه، متجاهلة . فقالت :

أهمَّامَ بنَ مُرَّةَ إنَّ هَمِّي ... لفي اللاّئي يكونُ مع الرِّجالِ

فأعطاها سيفا وقال : هذا يكون مع الرجال ! فقالت أخرى : ما صنعت شيئا ولكنّي أقول :

أهمَّامَ بنَ مُرَّةَ إنَّ همِّي ... لفي قَنْفاءَ مُشْرِفَةِ القَذَالِ

والقنفاء تُطلق عند العرب على الغليظة من آذان المعزى، كأنّها نعل مخصوفة . وتُطلق

---

14) هكذا في أ وكتب الناسخ فوقها : «كذا». و في بـو د: «الحقان مدله» وفي أمثال الميداني (1 : 321) : ألاليته يُعطِي الجمال بديهة.
وتداخل بعض هذه الأبيات في بعض وتغيرت بعض ألفاظها عند الميداني، فلتراجع.

على الكمرة العظيمة، وهو مراد القائلة . فقال أبوها : وما قنفاء ؟ تريدين معزى . فقالت الصغرى : ما صنعتما شيئا، ولكني أقول :

أهمَّامَ بن مُرَّةَ إنَّ همِّي لفي عَرْدٍ أَسُدُّ به مَبَالِي

فقال : أخزاكنَّ اللّه ! وزوَّجهنَّ . والعرْدُ - بفتح العين وسكون الرَّاء -: الذكر.

ويُحكى أيضا، في نحو هذه القصَّة، أنَّ رجلا من العرب كان له ثلاث بنات قد عضلهنَّ ومنعهنَّ الاكفاء . فقالت إحداهنَّ : إن أقام أبونا على هذا الرأي فارقنا وقد ذهب حظّ الرجال منَّا، فينبغي لنا أن نعرض له بما في نفوسنا، وكان يدخل إلى كل واحدة منهنَّ يوما . فلمَّا دخل على الكبرى تحادثا ساعة . فلمَّا أراد الانصراف أنشدت :

أيُزجَرُ لاهينا ويُلْحَى على الصِّبا وما نحنُ والفتْيانُ إلاَّ شقائقُ ؟
يؤبْنَ حَيِيَّاتٍ مِرَارًا كثيرةً وتنْباقُ أحْيانًا بهِنَّ البوائِقُ

فلمَّا سمع الشعر ساءه . ثمَّ دخل على الوسطى فتحادثا . فلمَّا أراد الانصراف أنشدت:

ألا أيُّها الفتيانُ إنَّ فتاتَكُمْ دهاها سماعُ العاشقينَ فحَنَّتِ
فدونكُمُ ابْغُوها فتًى غير زُمَّلٍ وإلاَّ صبتْ تلكَ الفتاةُ وجُنَّتِ !

فلمَّا سمع الشعر ساءه . ثمَّ دخل على الصغرى في يومها . فلمَّا أراد الانصراف أنشدت :

أما كان في ثِنْتينِ ما يزَعُ الفتى ويعْقلُ هذا الشَّيخُ إن كان يعْقِلُ
فما هوَ إلاَّ الحِلُ أو طلب الصِّبا ولابُدَّ منه فائْتمِرْ كيف تفعَلُ !

زُرْ غِبًّا، تَزْدَدْ حُبًّا !

الزيارة معروفة، والغِبُّ في الماء أن ترد الابل يوما وتدع يوما . فهي إبل غَابَّة وغواب. وغِبُّ كلّ شيء : عاقبته .

وأمَّا في الزيارة فقال الجوهري : قال الحسن : الغِبّ في الزيارة كلَّ أسبوع . يقال : زُرْغِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا . انتهى . وهذا الكلام قد يُروى حديثًا مرفوعًا، وهو أمر بأوسط الأمور، وأفضلها في الزيارة الموجب للمحبَّة ودوام الوصلة . ووراء ذلك طرفان كلاهما مذموم :

أحدهما الاكثار من الزيارة والافراط فيها، وهو يوجب السآمة والملل والضجر . والثاني الاقلال منها جداً والافراط في الغيبة والقطيعة . وهو يوجب الوحشة والتقاطع والتباغض . ونظم بعض الشعراء الكلام المذكور فقال :

إذا شئتَ أن تُقْلى فزُر مُتتابعًا ... وإن شئتَ أن تزدادَ حُبًّا فزُرْغبًّا !

وقال الثعالبي :

علـيك بإقلالِ الزِّيـارةِ إنَّهـا ... تكونُ إذا دامت إلى الهجرِ مسْلكا
فإنِّي رأيتُ القطْر يُسأمُ دائمًا ... ويُطلبُ بالأيْدي إذا هو أمْسكا !

وقال أبو العتاهية :

أقْلِلِ زيارتَكَ الصَّديقَ ولا تُطِلْ ... إتْيانَهُ فَيَلَجُّ في هِجْرَانِهِ !
إنَّ الصَّديق يُلجُّ في غشْيانِهِ ... لِصديقِهِ فيُملُّ في غِشْيانِهِ
حتَّى تراهُ بعدَ طول سُرورِهِ ... وكأنَّهُ مُتبرِّمٌ بمكانِهِ[15]
وإذا تولَّى عن صيانةِ نفسِهِ ... رجلٌ تنقَّص واستخفَّ بشانِهِ[16]

وقالوا : قلَّة الزيارة أمان من الملالة . وقالوا، في الطرف الآخر، ترك الزيارة سبب القطيعة . ويُنسب لعلي كرَّم اللّه وجهه :

الصَّبر من كَرَمِ الطَّبيعهْ ... والمنُّ مفسَدَةُ الصَّنيعَهْ
تركُ التَّعاهُد للصَّديقِ ... يكونُ داعيَةَ القطيعَهْ

زيادَةُ الأمَل، تَقْتَضي نُقْصانَ العَمل .

هذا مثل مصنوع فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى .

زِدْهُمْ عَنْزًا[17]

الزَّيْدُ والزِّيادَةُ معروف . يقال : زِدْتُهُ الشيء أزيدُه زيادَةً وزَيْدًا، وازْدَدْتُ كذا

15) في أ : متورم بمكانه .
16) هنا بهامش أطرة نصها : قال الحريري رحمه الله :
لا تزر من تحبّ في كل شهر ... غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في السهر يوم ... ثم لا تنظر العيون اليه
17) ورد هذا المثل عند الميداني بصيغة : «زدهم أعنُزًا».

ازْدِيَادًا . والعَنْزُ - بفتح العين وسكون النون - الأنثى من المعز ومن الظباء والأوعال. والعنز أيضا اسم فرس، وهي التي في قول الشاعر :

دلَفْتُ لهُ بصَدْرِ العنْزِ لمَّا تحامتْهُ الفوارِسُ والرِجالُ

والعنز أيضا اسم قبيلة من هوازن، وهي التي في قول الآخر :

وقاتلتِ العنْزُ نصْفَ النَّهارِ ثُمَّ تولَّتْ مَعَ الصَّادِرِ

والعنز أيضا الأكمة السوداء، وهي التي في قول رُؤْبَة :

وإرمٍ أخْرسَ فَوقَ عنْزِ

وأراد بالإرَم العَلَم المبنيَّ من حجارة، وبكونه أخرس أنَّه بناء أصمّ . وقوله : فَوقَ عَنْزٍ، أي أكمة .

وعنز أيضا امرأة من طَسْم سُبيت فحملوها في هودج وألطفوها بالقول والفعل، فقالت : هذا شَرٌّ يَومَيَّ ! أي : حين صرت أكرم للسباء . وقال الشاعر :

شرٌّ يومَيها وأغْواهُ لَها ركِبَت عنزٌ بحِدجٍ جَملاَ

وسيأتي . والمراد هنا العنز من المعز، وقائله هبنقة القيسي الأحمق ذو الودعات . وكان أخوه اشترى له بقرة بأربع أعْنُز، فركبها وركضها . فلمَّا أعجبه عَدْوُها التفت إلى أخيه فقال : زِدهُمْ عَنْزًا ! فصار مثلا يُضرب في الاعطاء بعد إمضاء البيع .

ويحكى أنَّه سار بها، فرأى أرنبا تحت شجرة، ففزع منها وركض البقرة وقال :

اللَّه نجَّاني ونجَّى البقرهْ من جاحِظِ العينينِ تحت الشَّجرهْ!

وأخباره في الحمق كثيرة، تقدَّم بعضها في الحاء .

زُيِّنَ في عينِ والِدٍ ولَدُهُ .

يُضرب في عجب الرجل برهطه وعترته ونحو ذلك . وهو في قول الشاعر :

نعمَ ضجيعُ الفتى إذا بَرَدَ اللَّيلُ سُحيْرًا قُرقِفَ الصَّرِدُ

زيَّنها اللَّهُ في الفُؤادِ كما زُيِّنَ في عينِ والِدٍ ولَدُ !

* ومثله في أمثلة العامَّة قولهم :

18) ورد هذا المثل عند الميداني (1 : 319) بلفظ : «زين في عين والد ولد» بحذف الضمير.

كُلُّ خُنْفُسٍ عِنْدَ أُمِّهِ غَزَالٌ .

ومن قول العرب :

كُلُّ فَتاةٍ بأبيهَا مُعْجَبَةٌ .

وسيأتي .

* * *

ولنذكر بعض ما تيسَّر من الشعر في هذا الباب . قال ابن الرومي :

خيرُ ما استعْصمَت به الكفُّ عضْبٌ ذكَرٌ حَدُّهُ أنيثُ المَهَزِّ
ما تأمَّلتَهُ بعَينَيْكَ إلاَّ أُرِعِدَتْ صَفْحتاهُ من غَيرِ هزِّ
مثلُه أفزَعَ الشُّجاعَ إلى الدِّرْعِ فغالى بها على كُلِّ بَزِّ
ما يُبالي أَصَمَّتْ شَفْرَتَاهُ في محَزٍّ أمْ حارتَا عَن مَحَزِّ

وقال أبو الطيّب يمدح علي بن صالح الروذباري :

ليس كُلُّ السَّراةِ بالرُّوذ باريّ ولا كُلُّ من يَطيرُ ببَازِ !

وقال الآخر :

إذا ما اعتزَّ ذو عِلْمٍ بعِلْمٍ فعِلمُ الفِقْهِ أشْرف في اعتزازِ
فكم طيبٍ يفوحُ ولا كَمِسْكٍ وكَم طَيْرٍ يطيرُ ولا كَبَازِ !

وقال بعض السادة :

رجالُ اللّهِ قد سعدوا وفازوا ونالوا رحْمةَ المولى وحازوا
رجالٌ طلّقوا الدُّنيا بتاتًا ولو جازَ الرُّجوعُ لما استجازوا
بدا علَمُ النَّجاةِ فميَّزوهُ يُحرِّكُهُم بِدارٌ وانْحِفَازُ
فَبعْضٌ تُشرقُ الأمْصارُ منهُ وبعْضٌ تستنيرُ به النِّفازُ
تميَّزَ كلُّ ذي دُنْيا بِدنْيا وهُم لهُمُ بدينهِمُ امْتيازُ
وما عزُّوا بمَخْلُوقٍ ولكِنْ لهُمْ بالخالِقِ الأحَدِ اعتِزازُ
أردتَّ لحاقَهُمْ فعجَزْتَ عنهُمْ وحِدتَ عن الاجازةِ إذْ أجازُوا
أتطمعُ في اللَّحاقِ ولا نُهوضٌ وتفْرحُ بالرَّحيلِ ولا حِفَازُ ؟

وأنت أخُوهُمُ نسَبًا ولكنْ طِرازٌ فوقَهُ ذاكَ الطِّرَازُ
دعِ الدُّنْيا فَلَسْتَ لهُمْ بِنِدٍّ وهل تخْفى الحقيقةُ والمجازُ ؟

وقال آخـر :

لِي صديقٌ هو عنْدي عوزٌ من سِدادٍ لا سِدادٌ من عَوَزْ
وجْهُه يُذكِرني دَارَ البَلاَ كُلَّما أقْبَلَ نَحْوي وضَمَزْ
وإذا جالسَني جَـــرَّعَني غُصَصَ الموتِ بكَرْبٍ وعَلَزْ
يَصفُ الوُدَّ إذا شَاهَدنِي فَإذا غَابَ وشَى بي وهَمَزْ
كَحمارِ السُّوءِ يُبْدي مَرحًا وإذا سِيقَ الى الحَمْلِ غَمَزْ
لَيتَني أعْطيتُ منهُ بَدلاً بِنصيبي شَرَّ أولادِ المَعَزْ !
قَد رضينا بَيْضَةً فاسِدةً عِوضًا منهُ إذا البيْعُ نَجزْ

العَوزُ ـ بفتحتين ـ : الحاجة . تقول : عَوِزَ الشيء ـ بالكسر ـ أي لم يوجد . وسِداد الشيء : ما يُسدّ به . تقول : هو سِدادٌ من عَوَزٍ، ووجدت سِدادا من عيش، أي ما تسدّ به الخلّة، وهو بكسر السين، والفتح ضعيف أو لحن . والسَّدادُ ـ بالفتح ـ : الصَّواب . والعَلَزُ ـ بفتحتين ـ : القلق والضيق . تقول : عَلِزَ ـ بالكسر ـ عَلَزًا في مرضه.

وقال آخر :

أرضنا التَّلتْ آوتْ ذوي الفقرِ والذُّلِّ فآضُـوا ذوي غِنىً واعتـــزازِ

قوله : التَّلتْ ـ بسكون التاء ـ لغة في التي الموصول.

وقال ابن الرومي :

وحديثُهَا السِّحْرُ الحَلالُ لو أنَّهُ لم يجْنِ قتْلَ المُسلمِ المتحرِّزِ
إن طال لم يُمْلَل وإن هيَ أوجَزتْ ودَّ المُحدَّث أنَّها لم توجِزِ
شَرَكُ العُقولِ ونُزهَةٌ ما مِثلُها للمُطمئِنِّ وعُقْلةُ المُستوْفِزِ

ونحوه، في ذكر الحديث، قول الآخر :

وحديثُها كالقَطْرِ يسْمَعُهُ راعِي سنينَ تتابَعَتْ جَدْبا
فأصاخَ يرجو أن يكونَ حيًا ويقولُ من فَرحٍ هَيا ربَّا !

وقول الآخـر :

فَبِتْنا على رغْمِ الحسودِ وبيننا حديثٌ كمثْلِ المسكِ شيبت به الخمرُ
حديثٌ لو أنَّ الميتَ نودِيَ ببعضِهِ لأصْبحَ حيًّا بعدما ضمَّه القبرُ !

وقول الآخـــر :

مُنعَّمةٌ يحارُ الطَّرفُ فيها كأنَّ حديثَها سُكْرُ الشَّرابِ
من المُتصدِّياتِ لغيرِ سُوءٍ تسيلُ إذا مَشَتْ سَيْلَ الحَبَابِ

وقول الآخـــر :

وكُنتُ إذا ما زُرتُ سُعْدَى بأرضِها أرى الأرضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها
من الخفِراتِ البيضِ ودَّ جليسُها إذا ما انقَضَتْ أحدوثةٌ لو تُعيدُها

وتقدَّمت قصَّة هذا الشعر. وقول بشَّار :

وكأنَّ رفْضَ حَديثِها قِطَعُ الرِّياضِ كُسينَ زهْرا
وكأنَّ تحتَ لسانِها هاروتَ يَنْفُثُ فيهِ سِحْرَا
وتخالُ ما جَمعتْ عليهِ ثيابَها ذهبًا وعِطْرا[19]
وكأنَّها بردُ الشَّرابِ صفا ووافَقَ منْكَ فِطْرا

وفي استكراه الحديث قول أبي علي البصير :

غناؤُكِ عندي يُميتُ الطَّرَبْ وضربُكِ بالعودِ يُحيي الكُرَبْ
ولم أر قبْلَكِ من قَيْنَةٍ تُغنِّي فأحْسبُها تنتحِبُ[20]
ولا شاهَدَ النَّاسُ إنْسِيَّةً سواكِ لها بَدنٌ من خَشَبْ
ووجْهٌ رقيبٌ على نفسِهِ يُنفِّرُ عنهُ عُيونَ الرِّيَبْ
ولو مازَجَ النَّارَ في حَرِّها حديثُكِ أُخْمِدَ منه اللَّهَبْ
فكيفَ تصُدِّينَ عن عاشِقٍ يودُّكِ لو كان كلبًا كَلَبْ

وقال الآخـــر :

أويتُ في الدِّهْليزِ مُذْ أربعٍ ولم أكُن آوي الدَّهاليزَا
خُبْزِي من السُّوقِ وشِعري لكُم تلكَ لعَمري قسْمةٌ ضِيزَا !

وقلت أنا :

إذا كُنتَ مُرتادًا أخًا ذا صداقةٍ فلا تصحَبَنْ إلاَّ الَّذي أنت رائِزُ

19) في ب : ذهبًا وعطرًا
20) صحفت كلمة تنتحب في د، إذ كتبت بالخاء.

فعيبُ الفتى غيبٌ إذا ما تركْتَهُ وعند احْتكاك الجدلِ تبدو الغَرائزُ

[وإنَّ أخِلاَّء الرَّفـاهةِ جمَّةٌ ولكنَّ إخْوان الكُروبِ معاوزُ][21]

وقلت أيضا على وجه التمليح والمطايبة لبعْضهم :

أتهمِز يا ابن الأسودِ اسمِيَ آفكًا فهَلْ حسنٌ لولا الضَّلالةُ يُهْمزُ ؟

نعم تُهمَزُ الأنْذالُ مثلُكَ كُلَّما تعاورها نظْمُ القريض وتُلْمزُ

فهَل أنت عن تلكَ السَّفاهة مُقصرٌ فتنْجوَ من سَيْلٍ له أنت مركزُ ؟

وإلاَّ فبحْري لا تكدِّرهُ الدِّلاَ ومَتْنُ قناتي لا يُرى فيه مَغْمزُ

تُوافيكَ منِّي بُكْرةً وعَشِيَّةً قوافي بها طِمْر الهجاءِ يُطرَّزُ

على أنَّ هجْو النَّذلِ مثْلِكَ شائنٌ وما الهجْوُ إلاَّ الهجْوُ للكُفء يبرزُ

وإذْ لستَ بالكفْء الكريمِ فلا يكُن بقلبِك منِّي أو لحائِي مَعْلزُ !

ولعلَّ هذا القدر يكفينا من هذا الباب. واللَّه يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

---

21) هذا البيت ناقص من ب.

بَابُ السِّين المُهْمَلة

المَسألةُ أَخِرُ كَسْبِ المرءِ.

السُّؤالُ : الطَّلَبُ، والسُّؤْلُ ـ بالضَّمّ مهموزًا ومخفَّفًا ـ: ما تسأله ؛ وسألته الشيء وعنه وبه، سُؤالاً ومَسألةً وتسْآلاً . وقد يقال سَالَ ـ مخفَّف الهمز ـ قال الشاعر :

ومُرهقٍ سال إمتاعًا بأُصْدتِهِ لم يستَعِن وحوامِي الموتِ تغشاه[1]

الأُصْدَةُ : قميص صغير يُلبس تحت الثوب، والكسْبُ معروف.

وهذا من أمثال أكْثَم بن صيفيّ، يُضرب في استقباح مسألة النَّاس . قاله أبو عبيد القاسم بن سلاّم . وقال البكري : بل هو من كلام قيس بن عاصم، قال لبنيه : إيَّاكم ومسألة النَّاس، فإنَّها أَخِر كسبِ الرجل ! قال : وأَخِر على وزن فَعِل، ومعناه أبعد من الخير وأرذله.

ومن حديث الزهريّ عن أبي سلمة وسعيد أنّ رجلا من أسلم أتى النبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فقال : إن الأخِرَ زَنَى، أي الأبعد . قال : ولا يحسن أن يقال هنا آخِر ـ بالمدّ ـ الذي هو نقيض أوَّل، لأنّ ذلك إباحة للمسألة، وأن تكون من آخر ما يكتسب به المرء، والمسألة مكروهة منهيّ عنها في الجاهليَّة والاسلام. وقد أمر النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم بأن يحتطب المرء على ظهره ولا يسأل النَّاس . انتهى .

والذي في **الصحاح** : يقال في الشَّتم أبعد اللَّه الأخِر ـ بقصر الهمزة وكسر الخاء ـ، وهو قريب ممَّا مرّ ودليل على صحَّته.

أسَائِرِ اليوم وقَدْ زالَ الظُّهْرُ ؟

السَّائِرُ : الباقي، وقد يُستعمل بمعنى الجميع، وتقدَّم ما فيه . والظُّهْرُ معروف، والهمزة للاستفهام الانكاري.

---

1) في المخطوطات : «وحوام الموت» بدون ياء.

وسبب هذا أن قوما أغير عليهم، فاستصرخوا ببني عمّهم فأبطؤوا عنهم حتّى أُسروا وذُهب بهم . فجاؤوا يسألون عنهم، فقال لهم المسؤول : أسائِر القوم وقَد زالَ الظُّهْرُ ؟ أي كيف تطمعون فيما بعد، وقد تبيَّن لكم اليأس والفوات ؟ وذلك أنَّ من كانت حاجته اليوم جميعه ثمَّ زال الظُّهر وجب أن ييأس من الحاجة كما ييأس منها بغروب الشمس.

تَسْأَلُني بِرامَتَيْنِ سَلْجَمًا[2]

السُّؤالُ تقدَّم ؛ ورَامَة اسم موضع . قال زهير :

لمن طَلَلٌ برامَةَ لا يَريمُ ؟ عَفَا وخَلالَهُ حِقْبٌ قديمُ !

وثَنَّوْه في هذا المثل اتساعًا.

ومثله قول الآخر :

لمن الدِّيارُ بِرامتيْنِ فعاقِلِ ؟ درسَتْ وغيَّر آيَها القَطْرُ !

وهذه التثنية هكذا شائعة في أسماء المواضع عند العرب.

ومثله قول ورقة :

بِبطْنِ المكَّتينِ على رجائِي حديثُك أن أرى منه خُروجَا

وإنَّما يريد مكَّة .

وقول الفرزدق :

عشيَّةَ سال المرْبَدانِ كلاهُما

وإنَّما يريد مَربَد البصرة .

وجعل السهيلي من هذا قول زهير :

ودارٌ لها بالرَّقْمتينِ كأنَّها مراجِعُ وشْمٍ في نواشِرِ مِعصم

وقول عنترة :

شربَت بماء الدُّحْرُ ضَينِ فأصبحت زوراء تنفرُ عن حِياضِ الدَّيْلمِ

في أصحّ القولين .

2) سيقول المؤلف كأنّ هذا المثل شطرُ رجز. وفي هامش المخطوطات : تمامه : يا أم لو طلبت شيئا أمما.
والمراد به النبت وهو اللفت المعروف، وهو من خضر الحاضرة فمن طلبه في البادية كرامة فقد أبعد. وانظر شرح الخزرجية لابن فرزدق رحمه الله تعالى انتهى من خط سيدي محمد بن الحسن اليوسي.

وقوله أيضـــا :

كيف المزارُ وقد تربَّعَ أهْلُها بعُنيزتينِ وأهلُنـــا بالغَيْلمِ ؟

وقولهم : صِدنا بِقنْوَيْن . ويُقال : عنيزة اسم موضع، وقنا اسم جبل . وقال غيره : عنيزتان اسم موضع، وأمَّا الدحرضان فهو على التغليب لمائَيْن : أحدهما يقال له دُحْرُض" والآخر وسِيع"، فثنَّاهما الشاعر وغلَّب لفظ أحدهما على الآخر - كالقمريْن -

وحكى الجوهري، أوَّل كلامه، أنَّ الدُّحْرُض اسم موضع، وهو يوافق ما قال السهيلي.

وأمَّا الرقمتان، في قول زهير، ففي شرح **ديوان الشعراء** هما موضعان : أحدهما قرب المدينة، والآخر قرب البصرة . فأراد أنَّ الدار بين الرقمتين، كما تقول : فلان بمكَّة، أي بين بيوت مكَّة.

وفي **القاموس** : الرقمتان روضتان بناحية الصمان . والرقمة أيضا جانب الوادي والروضة، ومنه قول زهير عند الجوهري . ويُحتمل أن يوافق ما قال السهيلي أو يخالفه، إذ لا مانع من أن يريد روضتَيْن . فتجيء الثنية على بابها . ووجه تثنية الموضع الواحد، في كلّ ما مرَّ، الاشارة الى جانبَيْه .

قال السهيلي : وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنَّة أو بستان، فتسمّيها جنَّتين في فصيح الكلام، إشعارًا بأنَّ لها وجهَيْن، وأنَّك كلَّما دخلتها ونظرت يمينا وشمالا رأيت من كلا الطرفين ما يملأ العين قرَّة والصدر مسرَّة .

وفي التنزيل : **جنَّتانِ عن يمينٍ وشمالٍ**، إلى قوله : **وبَدَّلْناهُمْ بجَنَّتِهِمْ جنَّتينِ** . وفيه : **جعلنا لأحدهما جنَّتينِ [من أعْنابٍ]**[3] وفي آخرها : ودخل جنَّتَهُ، فأفرد بعد ماثنَّى، وهي هي . قال . وقد حمل بعض الفقهاء على هذا قوله سبحانه : **ولمن خاف مقام ربِّهِ جنَّتانِ** . انتهى .

ومن هذا، واللّه أعلم، أيضا عمايتان، في قول الآخر :

لو أنَّ عُصمَ عَمايتينِ ويَذبُلٍ سَمعا حديثَكِ أنْزلاَ الأوعالاَ !

وإن وقع في كلام ابن مالك، في شرح «التسهيل» وأتباعه، أنَّهما جبلان، فإنَّ الذي في متون اللّغة المتداولة أنَّ عماية جبل من جبال هذيل، وليس فيها ذكر الجبلين . وكما

3) ساقط من ب.

ثنّت العرب البقاع للمعنى السّابق، كذلك جمعتها أيضا، إشارة إلى جوانب الشيء، إلاّ أنّ الجمع أقلّ .

ومنه قول مطرود بن كعب الخزاعي :

وهاشمٍ في ضريحٍ عند بَلْقَعَةٍ تسفِي الرِّياحُ عليه وسْطَ غزّاتِ

يعني غزّة، وهو بلد بفلسطين مات به هاشم بن عبد مناف .

ومثله : بخَاذِين في بَغْدان، كما وقع في شعر بعض المولّدين . ولأبي الطيّب معه قصّة ذكرها صاحب **العمدة** . ويرد هنا سؤال، وهو أنّ العَلَم إذا ثُنّي سُلب التّعيين، فجازت تحليته بأَلْ . وهذه التثنيات المذكورات في أعلام البقاع ليست على وجهها : فإنّها في اللفظ تثنية وفي المعنى إفراد، إلاّ على حال واعتبار . والظاهر أنّ الوجه الذي به نسوغ التثنية، وقد مرّ شرحه، يسوغ به إدخال الألف واللاّم، وبذلك الوجه كان اللّفظ مثنّىً لفظًا ومعنًى . ويدلّ لهذا قول ورقة السّابق المكّتَيْن . على أنّا لو سلّمنا أنّه تثنية في اللفظ خاصّة دون المعنى، منعنا دخول الألف واللاّم، إذ التثنية الملزومة لسلب التعيين ودخول أَلْ هي المعنويّة لا اللفظيّة، وتكون أَلْ في المكّتَيْن زائدة، كما تزاد في المفرد العَلَم، نحو :

رأيتُ الوليد بنَ اليزيدَ مُباركًا شديدًا بأعْباءِ الخِلافةِ كاهِلُهْ

والسَّلْجَمُ نبت - بوزن جَعْفر - والسلجم أيضا : الطويل من الخيل أو الرجال . والسلجم أيضا : البئر العادية الكثيرة الماء .

وهذا المثل لم أقف له بعد على تفسير، وكأنّه شطر رجز . والظاهر انّ المراد بالسَّلْجَم فيه النبت أو البئر، وأنّه استبعادٌ لسؤال ذلك وطلبه في هذا المكان الذي هو رامة، لعدمه فيه . فيكون على معنى المثل الآتي :

تَسألُني أبا الوليدِ جَمَلاً يَمشي رُويدًا ويكونُ أوّلاً، في طلب ما لا يكون . ومثله قول العامة :

في دارِ البَقَر تصِيب التّبن .

أسْألُ من قَرثَع .

السُّؤال تقدَّم ؛ وقرثع ـ بثاء مثلثة، على مثال جَعْفَر ـ رجل من تغلب، ثمَّ من أوس، كان من أشدّ النَّاس سؤالا، فضُرب به المثل .

سُبَّنِي واصْدُقْ .

السَّبُّ : الشَّتْمُ . والسَّبُّ أيضا : الطَّعن في السبَّة، أي الاسْت . قال :

وما كان ذَنْبُ بني مالِكٍ بأنْ سَبَّ منهُمْ غُلامٌ فسُبَّ

أي شَتَمَ فعُقِر . وتسابَّ الرجلان : تشاتما أو تقاطعا . والسُّبَّةُ ـ بالضمّ ـ: العار، ومن يسبّه النَّاس كثيرا ؛ والسُّبَبَةُ ـ كهُمزَة ـ من يسبُّهم ؛ والسِّبُّ ـ بالكسر ـ الكثيرُ، وسبك من يسابك . قال حسَّان :

لا تسُبَّنَّني فلستَ بِسِبِّي إنَّ سِبِّي من الرِّجالِ الكريم[4]

والصِّدقُ ضدّ الكذب . والمعنى أنَّك إذا سابتني وجانبت الكذب، فلا أبالي .

سُبَّ مَن سَبَّكَ يا هبَّارُ !

يُتمثَّل به كثيراً، وهو من كلام النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم . كان هبَّار بن الأسود تبع زينب ، بنت رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، حين خرجت من مكَّة مهاجرة ، فروَّعها وأسقطت ذا بطنها، في قصَّة مشهورة في السير . ثمَّ أسلم وصحب النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم . فكان المسلمون يسبّونه بما فعل، حتَّى شكا الى النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم،[5] فقال له : سُبَّ من سبَّكَ يا هبَّارُ ! فكفَّ النَّاس عن سبّه بعد .

سَبَقَ السَّيفُ العَذَلَ !

السَّبقُ معروف، والسَّيفُ كذلك، والعَذلُ ـ بالذَّال المعجمة ـ : الملامة ؛ والعَذَل ـ بالتحريك ـ الاسم منه . وهذا المثل يُضرب في الأمر يفوت ولا يُطمع في تداركه وتلافيه .

---

4) نسب صاحب **لسان العرب** هذا البيت الى عبد الرحمان بن حسان، وقال إنه هجا به مسكينًا الدارمي.

5) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

وأصله أنَّ الحارث بن ظالم ضرب رجلاً بسيفه فقتله فأُخبر بعذره فقال : سَبَقَ السَّيفُ العَذَلَ !

وقيل إنَّ أصله أنَّ سعداً وسعيداً، ابني ضَبَّةَ بنِ أدٍّ خرجا في طلب إبل لهما، فرجع سعد وفُقد سعيد . وكان ضبَّة إذا رأى شخصا مقبلا قال : أسعد أم سعيد ؟ ثمَّ إنَّه في بعض مسائره أتى مكانا ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحرام، فقال : قتلت هنا فتى صفته كيت وكيت، وأخذت منه هذا السيف . فتناوله ضبَّة فعرفه فقال : إنَّ الحديث ذو شجون ! ثمَّ ضربه فقتله، فعذل فقال : سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ !

وقال جريـر :

يُكلِّفني ردَّ الغرائبِ بعد ما سبقْنَ كسبْقِ السَّيفِ ما قال عاذلُهْ

وذكر البكري أبو عبيد أنَّ أوَّل من قال : سَبَقَ السَّيفُ العَذَلَ، حَريم بن نوفل الهمداني، وذلك أنَّ النعمان بن ثواب العبدي كان له بنون : سعد وسعيد وساعدة . فأمَّا سعد فكان رجلا شجاعا بطلا ؛ وأمَّا سعيد فكان جوادا سمحا ذا إخوان وصنائع ؛ وأمَّا ساعدة فكان صاحب شراب وندمان . وكان أبوهم النعمان ذا شرف . وكان يوصيهم ويحملهم على أدبه . فقال لسعد، وكان صاحب حرب، : إنَّ الصارم ينبو، والجواد يكبُو، والأثر يعفو، والحليم يهفو . فإذا شهدت حربا فرأيت نارها تسعر، وبحرها يزخر، وبطلها يخطر، وضعيفها يبصر، فإيَّاك أن تكون صيد رماحها ونطيح نطاحها ! واعلم عند ذلك أنهم ينصرون ! ثمَّ قال لسعيد، وكان جوادا : يابني، إنَّه يبخل الجواد، ويصلد الزناد، ويحمد الثماد، وتمحل البلاد . فلا تدع أن تجرب إخوانك، وتبلو أخدانك ! ثمَّ قال لساعدة : يا بني، إنَّ كثرة الشراب يفسد القلب ويقلّ الكسب، ويحدث اللَّغْب[6]. فانظر نديمك واحم حريمك، وأعن غريمك . واعلم أنَّ الظَّمأ القامح، خير من الري[7] الفاضح . وعليك بالقصد، فإنَّ فيه بلاغًا!

ثمَّ إنَّ النعمان توفّي، فقال سعيد : لآخذنَّ بأدب أبي ولأبلونَّ أوثق إخوتي في نفسي ! وعمد إلى كبش فذبحه، ثمَّ أضجعه في قبَّته وغشاه ثوبا . ثمَّ دعا رجلا كان

6) صحفت كلمة «اللغب» في ب فكتبت «الغب».
7) صحف «الري» في د فكتب بالزاي.

أوثق إخوانه في نفسه فقال : يا أبا فلان، إنَّما أخوك من صدقك بعهده، وحاطك برفده، وقام معك بجهده، وسواك بولده . قال : صدقت ! قال : فإنّي قتلت فلاناً فما عندك ؟ قال : فالسوأة السَّوأى وقعت فيها وانغمست. قال: فتريد ماذا؟ قال: أريد أن تعينني عليه حتَّى أغيّبه . قال : لست لك في ذلك بصاحب ! فتركه وانطلق . ثمَّ دعا سعيد رجلا آخر من إخوانه يقال له خريم بن نوفل فقال : يا خريم، ما عندك ؟ قال : ما يسرّك . قال : فإني قتلت فلانا . قال : فتريد ماذا ؟ قال : أريد أن تعينني عليه حتَّى أغيّبه . قال : لهان ما فزعت فيه إلى أخيك ! ثمَّ قال، وعبد لسعيد معهما : هل أطلع على هذا عبدك هذا ؟ فقال : لا . فأهوى خريم بالسيف الى العبد فقتله وقال : ليس عبد بأخ لك ! ففزع لذلك سعيد وقال : ما صنعت إنَّما أردت تجربتك . فقال خريم : سَبَقَ السَّيْفُ العَذلَ ! انتهى .

وقال الطغرائيّ :

إن كان ينْجعُ شيءٌ في ثَباتِهمُ على العُهودِ فسبْقُ السَّيفِ للعَذلِ

سَبَقَكَ بها عُكاشَةُ .

يُتمثَّل به كثيرا، وهو من كلام النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم . لمَّا ذكر الذين يدخلون الجنَّة بغير حساب، قام إليه عكاشة بن محصن، رضي اللَّه عنه، فقال : أمنهم أنا، يا رسول اللَّه، أو ادع اللَّه أن يجعلني منْهم ؟ فقال : نعم ! فقام رجل آخر فقال مثل ذلك، فقال صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : سَبَقَكَ بها عُكاشَةُ . والحديث مشهور معروف ما فيه من المعنى .

سَحابَةُ صَيفٍ عن قَليلٍ تَقَشَّعُ .

[ ][8]

سَدَّ ابنُ بِيضٍ الطَّريقَ .

السَّدُّ ضدّ الفتح معروف، وابنُ بيضَ ـ بكسر الباء، وقيل بالفتح ـ رجل من عاد تاجر

8) بياض بالاصل. وحتى الميداني (1 : 344) لم يزد في شرح هذا المثل على قوله : «يُضرب في انقضاء الشيء بسرعة».

عقر ناقته على ثنيَّة فسدَّ بها الطريق ومنع النَّاس من سلوكها . ويقال إنَّ ابن بيض، لمَّا حضرته الوفاة قال لابنه : لا تقارب لقمان في أرضه ! فإذا متُّ فسر بأهلك ومالك حتَّى إذا كنت في ثنيَّة كذا فاقطعها بأهلك واترك فيها للقمان حقَّه، فإنَّ له عندنا في كلّ عام حلَّة وجارية وراحلة . فإن هو قبله فهو حقّه عرفناه له لاجارته وخفارته ؛ وإن هو لم يقبل وبغى، أخذه اللَّه تعالى ببغيه . فلمَّا مات، فعل الفتى ما أمره به . فأتى لقمان الثنيَّة وأخذ ذلك وقال : سدَّ ابنُ بيض الطَّريقَ ! وقال عمر بن الأبرد في ذلك :

سَددنا كما سدَّ ابنُ بيضٍ سبيلها فلم يجدوا عند الثَّنيَّة مطْلَعا

سَداد" في كفافٍ، أفضلُ من غنًى مع إسْرافٍ .

هذا مصنوع فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى . وتقدَّم ضبط السَّدادِ .

يُسدِي ويُلحِمُ .

السَّدا من الثوب معروف . وأسْديْتُ الثوبَ وسَدَّيْتُهُ . واللُّحْمَةُ - بضمّ اللاَّم - من الثوب : ما سوى السَّدا . وألْحَمْتُ الثوب : نَسَجْتُه . ثمَّ جُعل مثلا في الاشتغال بالشيء وإتمامه، كما قالوا في المثل الآخر : **ألحِمْ ما أسْدَيْتَ** ! أي تمِّمْ ما ابتدأت ! وقال أبو تمَّام في الأوَّل :[9]

وقلت أنا، من قصيدة تقدَّم إنشادُها :

يُسْدي ويُلحمُ في مُزاولَةٍ ما ليس يُدركُهُ مَدى العُمْرِ

السَّراح ، من النَّجاح .

السَّراحُ - بالفتح - اسم من التَّسريح وهو التَّطليق، سَرَّحْتُ المرأةَ تَسْريحًا ؛ والنَّجاحُ معروف . والمعنى أنَّك إذا لم تقدر على قضاء حاجة إنسان فأيسته بمرَّة، كان ذلك بمنزلة ما لو قضيت مطلوبه .

---

9) هنا أيضًا بياض.

سِرُّكَ أسيرُكَ، فإن نَطَقْتَ بهِ كُنْتَ أسيرَهُ .

هذا من الأمثال الحكميَّة في حفظ السرّ.

ومثله ما رُوي أنَّ معاوية، رضي اللّه عنه، أسرَّ إلى الوليد بن عتبة حديثا، فقال الوليد لأبيه : يا أبت، إنَّ أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثا، وما أراه يطوي عنك ما بسط إلى غيرك . قال : فلا تحدّثني به، فإنَّ من كتم سرَّه كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه ! قال : قلت : يا أبت، وإن هذا ليدخُلُ بين الرجل وبين أبيه ؟ قال : لا واللّه، يا بنيّ ! ولكن أحبّ أن لا تذلّل لسانك بأحاديث . قال : فأتيت معاوية فحدثته، فقال : يا وليد أعتقك أخي من رقّ الخطإ !

وحكى الامام الغزّالي، رحمه اللّه تعالى، قال : اجتمع أربعة ملوك : ملك الهند، والصين، وكسرى، وقيصر، فقال أحدهم : أنا أندم على ما قلت، ولا أندم على ما لم أقل . وقال الآخر : إنّي إذا تكلّمت بكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم اتكلّم ملكتها ولم تملكني. وقال الثالث : عجبت للمتكلّم إن رجعتْ عليه كلمتُه ضرّته، وإن لم ترجع لم تنفعه . وقال الرّابع : أنا على ردِّ ما لم أقل أقدرُ على ردِّ ما قلت .

وسيأتي إتمام هذا المعنى في الحكم بأشبع من هذا، إن شاء اللّه تعالى .

أسْرعُ من نِكاحِ أُمِّ خارجَةَ .

السُّرعَةُ ـ بالضمّ ـ، والسَّرَعُ ـ بفتحتين ـ، والسِّرِعُ ـ بوزن عِنَب ـ ضدّ البطء . سَرُعَ الرجل ـ بالضَّمّ ـ، فهو سريع ؛ وأسرعَ أيضا، فهو مُسرِعٌ . قيل : وأصل الرباعي التعدّي بنفسه، أي أسرع نفسَه أو مشيَه، كما في الحديث : **فَلْيُسْرِعِ المَشْيَ** ! لكنَّه يُحذف لظهوره.

والنِّكاحُ ـ بالكسر ـ: الوَطْءُ والعقد أيضا . يقال : نَكَحها ـ بالفتح ـ ينْكحُ ـ بالفتح والكسر ـ ؛ ونَكحَتْ هي أيضا، فهي ناكح، أي ذات زوج. قال تعالى : **حتَّى تَنْكِحَ زوجًا غَيْرَهُ** . وقال الشاعر :

لَصَلصَلَةُ اللِّجامِ برأسِ طِرفٍ أحبُّ إليَّ من أنْ تنكِحيني

واسْتنكحَها بمعنى نكَحها ؛ وأنكحَها : زوَّجها، والاسم منه النِّكْحُ - بالكسر والضَّمّ -، وهي كلمة كانت العرب تتزوَّج بها . يقول الخاطب : خِطْبٌ - بكسر الخاء وضمّها -، ويقول المخطوب : نِكْحٌ - بكسر النون أيضا وضمّها - ؛ وأمّ خارجة امرأة من بجيلة ولدت قبائل كثيرة من العرب، واسمها عمرة بنت سعد، وخارجة ابنها.

قال في الصحاح : ولا يعلم ممَّن هو، ويقال هو خارجة بن بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان . وكانت أمّ خارجة من الشهوة والشَّبَق إلى الرجال في غاية . فكان يقال لها : خِطْبٌ، فتقول : نِكْحٌ، فقالوا : أسرَعُ من نِكاحِ أمّ خارجَةَ .

ويُحكى أنَّ السيّد الحميري خرج يوما سكران، فلقي بنت الفجاءة بن عمرو بن قطري الخارجيَّة، وكانت امرأة حسناء . فواقفها وأنشدها من شعره، فأعجب كل واحد منهما صاحبه ثم خطبها، فقالت: كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق؟ قال: يكون كنكاح أمّ خارجة، قيل لها : خِطْبٌ، قالت : نِكْحٌ . فاستضحكت وقالت : ننظر في هذا، وعلى ذلك فمن أنت ؟ فقال :

إن تسأليني بقومي تسألِي رجُلاً ... في ذِرْوةِ العِزِّ من أجوادِ ذي يمنِ
ثمَّ الولاءُ الَّذي أرجو النَّجاةَ بِهِ ... من كبَّةِ النَّارِ للهادِي أبي حَسَنِ

فقالت : لا شيء أعجب من هذا : يمانيٌّ وتميميَّة، ورافضيٌّ وإباضيَّة، فكيف يجتمعان؟

فقال : بحسن رأيك فيَّ تسخو نفسك، ولا يذكر أحدنا سلفًا ولا مذهبا . قالت : أفليس التزويج إذا عُلم انكشف معه المستور ؟ قال : إنَّما أعرض عليك . قالت : وما هي ؟ قال : المتعة التي لا يعلم بها أحد . قالت : تلك أخت الزنى . قال : أعيذك باللَّه أن تكفري بعد الايمان ! قالت : وكيف ؟ [قال لها :] قال اللَّه تعالى : **فما اسْتَمْتَعْتُمَ به منهُنَّ فآتوهُنَّ أجُورَهُنَّ فريضَةً** . فقالت : استخير اللَّه وأقلّدك إذ كنت صاحب قياس وتفتيش . فانصرفت معه وبات معرسًا بها . وبلغ أهلها من الخوارج أمرها، فتوعَّدوها بالقتل وقالوا : تزوَّجت بكافر . فجحدت، وكانت تختلف إليه مرَّة وتواصله .

قلت : وأين هاتان المرأتان من أمّ حكيم الخارجيَّة ؟ وكانت من أجمل نساء زمانها ومن أشجع النَّاس وأحسنهم بديهة . خطبها جماعة من أشراف الخوارج، فردَّتهم . وهي القائلة:

ألا إنَّ وجهًا حسَّن اللَّهُ خلقهُ ... لاجدِرُ أن تلقى به الحُسنَ جامعا

وأكرم هذا الجِرمَ عن أن ينالَهُ تورُّكُ فحْلٍ همُّهُ أن يُجامِعا

وكانت معَ قطريّ بن الفجاءة في عسكر الاباضيَّة . فكانت ترتجز في تلك الحروب وتقول:

أحمِلُ رأسًا قد سئمْتُ حملَهُ وقد مللتُ دُهنهُ وغَسْلَهُ

ألا فتًى يحملُ عنّي ثقْلَهُ ؟

والخوارج يفدونَها بالآباء والأمَّهات . وكان قطري يشبّب بها، وفي ذلك يقول في وقعة دولاب :

لعمرُكَ إنّي في الحياةِ لزاهِدٌ وفي العيشِ ما لم ألقَ أمَّ حكيمِ

من الخَفِراتِ البيضِ لم يرُ مثْلُها شفاءً لِذي بثٍّ ولا لسَقيمِ

لعمرُك إنّي يوم ألطَمُ وجههَا على نائباتِ الدَّهرِ جِدُّ لئيمِ

ولو شهِدتْني يوم دولابَ أبصرتْ طعانَ فتًى في الحرب غير ذميمِ

غَداةَ طَفَتْ علماءِ بكْرِ بن وائِلٍ وعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تَميمِ

فلم أر يومًا كان أكثَرَ مقْطعًا يمُجُّ دمًا من فائِظٍ وكليمِ

وضاربةٍ خَدًّا كريمًا على فتًى أغرَّ نجيبِ الأمَّهاتِ كريمِ

أُصيبَ بدُولابٍ ولم يكُ موطنًا له أرضُ دولابٍ وديرُ حميمِ

فلوْ شهِدتْنِي يومَ ذاكَ وخيْلُنا تُبيحُ من الكُفَّارِ كلَّ حريمِ

رأتْ فتْيةً باعوا الالهَ نفوسَهُم بجنَّاتِ عدنٍ عنْدهُ ونعيمِ

سُرعانَ ذا إهالَةً ![10]

السُّرعَةُ تقدُّمت . ويقال : **سُرْعَانَ ذا خُروجًا** ـ مثلّث السين ـ، أي سَرُعَ هذا خروجا . ويقال : لَسُرعانَ ما صنعتُ كذا ! أي ما أسْرعَ ! والاهالة : الشَّحْم، أو ما أذيب منه أو الزيت، وكلّ ما ائتُدم به، وهمزتها أصليَّة، ورجل مستأهل : آخذ الاهالة أو آكلٌ لها . قال :

لا، بل كُلي يا أمَّ واستأهِلي إنَّ الَّذي أنفَقْتِ من ماليَهْ !

10) أورد الزمخشري هذا المثل في **أساس البلاغة** بلفظ : وشْكانَ ذا إهالَةً.

وأصل المثل أنّ رجلا كانت له نعجة عجفاء يسيل رغامها من أنفها، فقيل له : ما هذا ؟ قال : ودكها ـ يظنّ الرغام شحما ـ. فقال السائل : سُرعان ذا إهالةٌ !

ونصب إهالة، إمّا على التمييز المحول من الفاعل، أي : سرع إهالةُ هذه، أو على الحال، أي : سرع هذا الرغام حال كونه إهالة

فيُضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته.

وسمعت قديما من بعض الأشياخ أنّ أصل هذا المثل أنّ أعرابيّة كان لها ابن أحمق، فذهب فوجد نعجة عجفاء فاشتراها، فقال لأمّه : إنّي اشتريت نعجة بسمينة . فلمّا أخرجها إلى أمّه، ورغامها يسيل من أنفها، قال لها : انظري الى إهالة ما علفتها ! فقالت أمّه : سُرعانَ ذا إهَالَةً.

أسْرَعُ من تَلَمُّظِ وَرَلٍ.

يقال : لَمَظَ يَلْمُظُ ـ بالظاء المشالة ـ وتَلَمَّظ إذا تتبَّع بقيّة الطعام في فيه بطرف لسانه أو أخرج لسانه فمسح به شفته ؛ واللُّماظة ـ بالضّمّ ـ: البقيّة التي يتلمَّظها. قال الشاعر يصف الدنيا :

لُماظَةُ أيّامٍ كأحْلامِ نائمِ

والوَرَلُ ـ بفتحتين والرّاء المهملة ـ حيوان كالضّبّ، جمعه أوْرَالٌ ووِرْلاَنٌ، وهو سريع التَّلَمُّظ ـ أي الأكل بطرف اللسان ـ.

أسْرعُ السُّحْبِ في المَسيرِ الجَهامُ .

هذا شطر بيت لأبي الطيّب،[11] وسيأتي في موضعه إن شاء اللّه تعالى.

أسْرقُ من زَبَابَةٍ .

السَّرقَةُ معروفة، سَرَقَ الشيء ـ بالفتح ـ يَسرِقُهُ سَرَقًا ـ بفتحتين ـ، وسِرِقَة ـ كَنَبِقَة ـ.

11) وأوله : ومِنَ الخَيْرِ بُطْءُ سَيْبكَ عَنّي
وهذا البيت من قصيدة يمدح بها عليّ بن أحمد المري الخراساني.

والزَّبابُ - بالزاي وباءيْن موجدتَين، والواحدة زبَابَة : فارة صمَّاء عظيمة تسرق، ويُضرب بها المثل في السرقة، وشُبِّه بها الجاهل . قال الشاعر :

ولقَـدْ رأيتُ مَعَاشِـرًا جَمَعُوا لهُمْ مالاً وولْدَا
وهُـمُ زبَـابٌ حائِـرٌ لا تسمَعُ الآذانُ رعْدَا

أي لا تسمع آذانهم رعدًا لصممهم . وحذف الضمير من اللفظ، أو استغني عنه بالألف واللاَّم، على ما عرف في المذهبين . ويعني أنَّ من النَّاس من رُزق أموالا وأولادا، وهو ما هو في الجهل والحيرة والدناءة . وذلك من الدَّليل على أنَّ اللَّه تعالى هو مستند الأرزاق لا العقول والحيل، وأنَّه تعالى لم يجعل الدنيا الدنية مقصورة على العقل الشريف ولا كفؤًا له.

أسْرَى من جُنْدُبٍ .

السُّرَى - بوزن الهُدَى -: سير اللَّيل . يقال : سَرَى يَسْرِي سُرًى ومَسْرًى، وأسرى، إذا مشى فيه ؛ والجُنْدُبُ - بضمَّتين، ويجوز فتح الدَّال - ضرب من الجراد، الجمع جنادب . قال كعب رضي اللَّه عنه :

وقال للقومِ حاديهمْ وقد جَعَلَتْ وُرقُ الجنادبِ يركُضْنَ الحصا قبلِي

أسْرَى من قُنْفُذٍ .

السُّرى تقدَّم ؛ والقُنْفُذُ - بالذال المعجمة، بوزن جُنْدُب - معروف، والأنثى قُنْفُذَة، ويقال له الأَنْقَذُ، وتقدَّم في حرف الباء، وأنَّه يسري الليل ولا يكاد يظهر إلاَّ فيه.

أسَعْدٌ أم سَعِيدٌ ؟

هذا يقولونه مثلا في السؤال، أي هذا الشيء ممَّا يُحَبُّ أم ممَّا يُكْرَه ؟

وأصل ذلك أنَّ سعدًا وسعيدًا، ابنى ضَبَّةَ بنِ أُدّ، خرجا في طلب إبل لهما . فرجع سعد وفُقد سعيد - وتقدَّمت الحكاية في هذا الباب - فصار سعيد يُتشاءم به .

وقد رُوي عن عبد اللّه بن الحارث قال : بعثني أبي، وبعث العبّاسُ ابنَه الفضل، رضي اللّه عنهما، إلى النبي صلّى اللّه عليه وسلّم يسألانه أن يجعل لنا السقاية . فلمّا أتيناهما منصرفَيْن قالا : ما وراءكما ؟ أسعد أم سعيد ؟ قلنا ووقع مثل ذلك لبيهس، المعروف بنعامة، إذ قتل إخوته . ذكر ذلك كلّه أبو عبيد القاسم بن سلاّم في **أمثاله** .

السَّعيدُ مَن وُعِظَ بغَيْرِهِ.

هذا مثل في الأمر بحسن التدبير.وتمامُه : والشَّقيُّ من وُعظَ بنفسِهِ . ويروى الأوّل حديثًا، واللّه أعلم . وفي معناه ما أنشد الجاحظ :

لا أعرفنّكَ إن أرسَلْتَ قافِيَةً ... تلقى المَعاذِير إن لم تنفَعِ العِذَرُ

إنّ السَّعيدَ لهُ في غيرهِ عِظَةٌ ... وفي التّجارب تحْكيمٌ ومُعتبَرُ[11م]

أسْفَدُ من دِيكٍ .

يقال : سَفَدَ الذكر[12] على الأنثى يَسْفِدُ ـ كضَرَبَ يَضْرِبُ ـ وسَفِدَ يسْفَدُ ـ كعلِمَ يعْلَمُ ، سِفَادًا، إذا نزل عليها ؛ والديك معروف، وهو كثير السفاد.

أسْفَدُ من هِجْرِسٍ.

الهِجْرِسُ ـ بالكسر ـ ولد الثعلب، وقيل هو الثعلب والقرد والدبّ، وقيل كلّ ما يعسّ بالليل ممّا دون الثعلب وفوق اليربوع.

وفي المثل أيضا : أغْلَمُ من هِجْرِسٍ، والغُلْمَة : شهوة النكاح ـ وسيأتي ـ، وأزْنى من هجْرِسٍ، وتقدّم .

والهجرس أيضا : ابن كليب بن ربيعة التغلبي، ذكر في حرب البسوس.

سَفيهٌ لم يجِدْ مُسافِهًا .

السَّفَهُ والسَّفاهُ والسَّفاهَةُ ـ بالفتح ـ ضدّ الحِلْم أو خفّته أو الجهل، وسَفَّهَهُ

11م) في ب : وفي التجاريب...
12) في ب : سَفَدَ الديكُ...

تَسْفيهًا : نسبه إليه، وسافَهَهُ مُسافَهَةً : شاتَمَهُ وسابَّهُ ؛ وسافَهَ الشراب : أسْرفَ فيه . والمثل عند الجوهري من المعنى الأوّل . وكذا أبو عبيد، ذكره في أمثال الملاحاة والتَّشاتم.قال البكري : وهذا المثل يُروى عن الحسن بن علي أنَّه قالهُ لفلان . وأنشد في نحو ذلك لحاجب بن زرارة :

أغرَّكُمُ أنِّي بأحْسنِ شيمةٍ ... رفيقٌ وأنِّي بالفواحِشِ أخْرقُ

وأنَّك قد فاحشْتني فغلبتَني ... هنيئًا مريئًا أنت بالفُحش أرفَقُ

ومثلي إذا لم يَجْز أفضَلَ سعْيِه ... تكلَّمُ نُعماهُ بفيها فتنطِقُ

سَقَطَ العَشَاءُ به على سِرحانٍ .

السُّقوطُ معروف ؛ والعَشَاءُ ـ بفتح العين المهملة والمدّ ـ طعام العشيّ كالعِشَى ـ بالكسر ـ جمعه أعْشِيةٌ ؛ وعَشَوْتُ الرجل وأعْشَيْته وعَشَّيْتُه تَعْشِيَةً : أطعمته ذلك، وتَعَشَّى هو . قال الفرزدق :

تعشَّ فإن عاهَدتني لا تخونُني ... نكُنْ مثل من، يا ذئبُ، يصطحبانِ[13]

وهو عَشْيَان ؛ والعَشَى ـ بالقصر ـ سوء البصر بالليل والنَّهار، كالعشاوة أو العَمَى، عَشِيَ ـ بالكسر ـ يَعْشَى، وعَشِيَا يَعْشُو، فهو عَشٍ، وأعْشَى، وهي عَشْواء ؛ والسِّرحانُ ـ بالكسر ـ: الذِّئبُ . قال امرؤ القيس :

له أيْطَلا ظَبْيٍ وساقا نعامةٍ ... وإرخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ

وهو بلغة هذيل الأسد، قال الشاعر يرثي ميّتا :

هباط أودية حمال ألوية ... شهاد أندية سرحان فتيان

وهذا المثل يُضرب للرجل يطلب حاجة فيقع في هَلَكَة.

واختلفوا في أصله . فقيل دابَّة خرجت تلتمس العَشاء، فوقعت على الأسد أو على الذئب، فأكلها.

وقيل رجل خرج كذلك، فوقع عليه.

وقيل إنَّ سِرحانًا اسم رجل، وهو سرحان بن معتب اليربوعي . وكان فاتكا، فحمى واديا، فجاء عوف الأسدي فقال : لأرعين إبلي بهذا الوادي ! فرعاها فأتاه سرحان فقتله، وقال هدلة بن معتب، أخوه، لامرأة الأسدي يقال لها نصيحة :

---

13) يروى أيضًا : تَعَشَّ ! فإنْ واثَقْتَني لا تَخْتُونِي

أبلِغْ نصيحَةَ أنَّ راعِيَ إبْلِها سَقَطَ العَشَاءُ به على سِرحانِ
سقَطَ العَشاءُ به على مُتقَمِّرٍ طَلْقِ اليدينِ مُعاودٍ لطعانِ

وعلى هذا كلّه، فالعشاء بالمدّ.

وقيل إنَّ أصله أنَّ رجلا أعشى البصر وقع على ذئب فأكله . وعليه، فيكون العَشَى مقصورا .

اسْقِ أخاكَ النَّمَرِيَّ يَصْطَبِحْ !

السَّقْيُ معروف، يقال : سَقَيْتُهُ وأسْقَيْتُهُ، وسَقَّيْتُهُ تَسْقِيَةً.

وقيل أسْقَيْتُهُ : دلَلتُهُ على الماء، وأسقيت ما شيته أو أرضه : جعلت لها ماء . وسقاه اللّه غيثا : أنزله عليه، وأسْقَيْتُه أنا : قلت له : سقاك اللّه أو سَقْيًا ! قال امرؤ القيس :

فأسقي به أختي ضعيفة إذ نأتْ وإذ بعْدَ المزار غير القريضِ

أي أدعو لها بالسُّقْيَا .

وقال ذو الرُّمَّة :

فما زلْتُ أسْقي ربْعَها وأخاطبُهْ

وقلت أنا في هذه المادّة :

سقى اللّه أطلالاً بأكْثِبَةِ الحِمى من العارضِ الهتّانِ صوبَ عِهادِ
بلادٌ بها حلّتْ سُليمَى وأهْلُها فحلَّ فُؤادي عندها ووِدادي[14]
وإنِّي متى أسقيْتُها أو بَكَيتُها هُياماً فما أسْقَيْتُ غيرَ فُؤادي !

ويجوز أن يقع أحدهما موقع الآخر، كما قال لبيد :

سقى قومي بني مجْدٍ وأسْقى نُميرًا والقبائلَ من هِلالِ

والنَّمَرِيّ ـ بفتح الميم ـ نسبة إلى النَّمِرِ بن قاسط ـ بكسر الميم ـ، وهو أبو قبيلة من جَذيلة . وإنَّما فُتحت الميم في النسبة، كنظائره، كراهية توالي ما هو في حكم الكسرات .

---

14) في ب : حلّت سُليمى ودارُها
وفي د : فحلَّ فؤادٌ عندها.

واصطبح الرجل : شرب الصَّبوح ـ بالفتح ـ، وهو ما يُشرب صباحًا ؛ واصطبح أيضًا : أوقد المصباح.

ولم أقف بعد على تفسير هذا المثل، وأظُنُّ أنَّ معناه أنَّه لثقله إذا سَقَيْتَهُ انْتَظَرَ الصَّبُوحَ فيكون كالمثل السابق : **أجْلَسْتُهُ عنْدي فَاتَّكَأَ**، والمثلِ الآتي: **أطْعِمِ العَبْدَ الكِراع، فيطْمَعَ في الذِّرَاع !**

اسْقِ رَقَاشِ إنَّها سَقَّايَةٌ !

السَّقْيُ مرَّ ؛ ورقاش اسم امرأة، ويقال : امرأة سَقَّايَةٌ وسَقَّاءَةٌ ـ بالتشديد فيهما ـ وجاز في الياء القلب وعدمه، نظرا إلى اعتبار زيادة هاء التأنيث وإلى لزومها في هذا البناء. ويُضرب للمحسن، أي : أحسنوا إليه لكونه محسنًا . قال الحماسي :

[ ] [15]

سَكَتَ أَلْفا، ونَطَقَ خَلْفا .

السكوت معروف ؛ والأَلْفُ عدد معروف ؛ والنُّطْقُ خلاف السكوت ؛ والخَلْفُ نقيض القدَّام . والخَلْفُ أيضا الرَّديء من الكلام، ومنه المثل . ومعناه : سكت عن ألف كلمة صواب ثمَّ نطق بخطإ . هكذا فسَّروه.

وحكوا أنَّ أعرابيًّا جلس مع قوم، فَحَبَقَ حَبْقَةً فتشَوَّرَ، فأشار بإبهامه الى اسْتِهِ وقال : **إنّها خَلْفٌ نَطَقَتْ خَلْفًا** ! وهذا صحيح في لفظ الخلف في المثل . وأمَّا في لفظ الألف، فالذي يظهر منه لا . والبديهة أنَّ المراد به ألف سنة أو نحو ذلك من الأزمان، ويكون المراد الاخبار عن إطالة السكوت، لا حقيقة الألف . وكأنَّه قيل : إنَّه أطال السكوت ثمَّ لمَّا تكلَّم لم ينطق إلاَّ بالرديء من الكلام.

ومن هذا يُحكى أنَّ شابًّا كان يجالس الأحنف وكان صموتا، فأعجب الاحنف ذلك منه . ثمَّ خلت الحلقة يومًا فقال له : يا ابن أخي، مالك لا تتكلَّم ؟ فقال : يا عمّ، أرأيت لو أنَّ رجلا سقط من شرفة هذا المسجد، أيضره شيء ؟ فقال الاحنف : ليتنا تركناك، يا ابن أخي !

---

15) بياض في المخطوطات. ولعل الحماسي المقصود هو بشامة بن جزء النهشلي في قوله :

إنّـا محيّـوك يا سلـمى فحيّينـا وإن سقـيت كرامَ القـومِ فاسقينـا

ثمَّ أنشد متمثّلا :

وكائن تَرى من صامتٍ لك مُعجبٍ زيادتُهُ أو نقصُهُ في التَّكلُّمِ
لسانُ الفتى نصْفٌ ونصفٌ فؤادهُ ولم يبق إلاَّ صورةُ اللَّحمِ والدَّمِ !

ويُحكى أيضا أنَّ رجلا كان يكثر مجالسة أبي يوسف ويطيل الصمت . فقال له أبو يوسف يومًا : ألا تسأل ؟ فقال : بلى ! متى يفطر الصائم ؟ فقال : إذا غربت الشمس . قال : فإن لم تغرب الى نصف اللَّيل ؟ فضحك أبو يوسف وتمثَّل بقول أبي الخطفا :

عَجِبْتُ لإزرَاءِ الغَبِيِّ بنفْسِهِ وصَمْتِ الَّذي قد كانَ بالعلم أعْلما
وفي الصَّمتِ سترٌ للْغَبِيِّ وإنَّما صَحِيفَةُ لُبِّ المرءِ أن يتكلَّما

ومن معنى هذا الشعر قول الآخر :

المرءُ يُعْجِبُني وما كَتَمْتُهُ ويُقالُ لي : هذا اللَّبيبُ ٱللَّهْذَمُ[16]
فإذا قَدحْتُ زنادَهُ وسبَرتُهُ في الكَفِّ زافَ كما يزيفُ الدِّرهمُ

وقول الآخر :

ترى النَّاس أشْباهًا إذا جلسوا معًا وفي النَّاسِ زيفٌ مثلُ زيفِ الدَّراهِمِ

وقال عَدِيُّ بن الرِّقاع :

النَّاسُ أشْبَاهٌ وبين حُلُومِهِمْ بونٌ كَذاكَ تشابُهُ الأشْياءِ

ومن معنى الحكايتَين المذكورتين، من سؤال المغفَّلين، ما يحكى عن الامام الماوردي، رحمه اللَّه، قال : كنت بمجلس درسي بالبصرة، فدخل عليَّ شيخ مسنّ قد ناهز الثمانين أوجاوزها، وقال : قصدتك بمسألة اخترتك لها . فقلت : ما هي ؟ وظننت أنَّه يسأل عن حادثة نزلت به . فقال : أخبرني عن طالع إبليس وطالع آدم من النجوم ما هو ؟ فإنَّ هذين لعظيمٌ شأنهما، لا يُسأل عنهما إلاَّ علماء الدين . قال، فعجبت وعجب من في المجلس من سؤاله . وبادر إليه قومٌ منهم بالانكار والاستخفاف، فكففتهم وقلت : هذا لا يقنع، مع ما ظهر من حاله، إلاَّ بجواب مثله ! فأقبلت عليه وقلت : يا هذا، إنَّ المنجّمين يزعمون أنَّ نجوم النَّاس لا تُعرف إلاَّ بمعرفة مواليدهم . فإن ظفرنا بمن يعرف وقت ميلادهما أخبرتك بالطالع . فقال : جزاك اللَّه خيرا ! وانصرف مسرورا . فلمَّا كان بعد أيَّام

16) في غير د: اللهدم بالدال المهملة وهو تحريف.

عاد وقال : ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولدهما.

أسْكَتُ مِنْ سَمَكَةٍ .

السَّمَكَةُ ـ بفتحتين : واحدة السَّمك، وهو الحوت.

أسْلَحُ من حُبَارَى .

السُّلاحُ ـ بالضمّ ـ كغُراب ـ: النَّجْوُ، يقال : سَلَحَ الرجلُ وغيره يَسْلَحُ ـ كمَنَعَ يَمْنَعُ ـ. والحُبَارى : الطائر المعروف.

وذكرروا أنَّ للحبارى خزانة في دبرها فيها أبدا سلح رقيق، فمتى ألحَّت [عليها][17] الجوارح سلحت عليها فينتف ريشها، وفي ذلك هلاكها . قالوا : فجعل سلحها سلاحا لها . وقال الشاعر :

وهُم تركوكَ أسلَحَ من حُبارَى رأتْ صَقْرًا وأشْرَدَ من نَعامِ

أسْلَحُ من دجاجٍ .

الدَّجاجُ ـ مثلَّث الدال المهملة ـ معروف، واحده دَجَاجَةٌ . ويقال : **أسْلَحُ من الحُبَارَى حالَ الخوف، وأسْلَحُ من دَجاجٍ حال الأمن.**

السُّلْطَانُ كالنَّارِ.

هذا من الأمثال الحكميَّة، وتمامه : إن باعَدْتَها بَطَلَ نَفْعُها، وإن قاربْتَها عَظُمَ ضَرَرُها، وسيأتي في الحكمِ، إن شاء اللَّه تعالى، استيفاءُ هذا المعنى.

أسْمَعُ من حَيَّةٍ.

السَّمْعُ حِسُّ الأذن، يقال : سَمِعَهُ ـ بالكسر ـ يَسْمَعُهُ سَمْعًا وسَمَاعًا وسَمَاعةً وسَمَاعِيَةً، وتَسَمَّع واسْتَمَع، ورجل سميع : سَامِع أو مُسْمِع . قال

17) ناقص من د.

عمرو بن معدي كَرِبَ :

أمِن ريْحانَةِ الدّاعي السَّميعُ يُؤَرِّقُنِي وأصْحَابِي هُجُوعُ ؟[18]

والحيَّة اسم يقع على الذكر والأنثى، ويُميَّز باللفظ . يقال : هذه حيَّة، وهذا حيَّة . والتاء للوحْدة الجنسيَّة، لا للتَّأنيث، إلاّ ما يحكى من قول بعض العرب : رأيت حيًّا على حيَّة . وهي موصوفة بالسماع القويّ .

أسْمَعُ من دُلْدُلٍ .

الدُّلْدُلُ - بدالين مهملتَين، على مثال جُنْدُب -: القُنْفُذ، أو أعظم القنافذ . والدلدل أيضا : الاضطراب . أنشد في **الصحاح**، لأبي مَعْدَانَ الباهِلِيّ :

جاء الحزائمُ والزَّبائِنُ دلْدُلاً لا سابِقِين ولا مَعَ القُطَّانِ

أي : لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

أسْمَعُ من سِمْعٍ .

ويقال : **أسْمَعُ منَ السِّمْعِ الأزَلِّ**، والسِّمْعُ - بكسر فسكون -: ولد الذئب من الضبع، وهو سبع مركب من هذبين، فاستفاد قوَّة الضبع وجرأة الذئب . ويوصف بقوَّة السمع . قال بعض الأعراب :

تراهُ حَديدَ الطَّرفِ أبْلَجَ واضِحًا أغرَّ طويلَ الباعِ أسمَعَ من سِمْعِ

ويوصف أيضا بالسرعة . يقال إنَّه في عدوه أسرع من الطير، ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعا.

وفي بعض المجامع أنَّ ربيعة بن أبي مراد قال : أخبرني خالي قال : لمَّا أظهر اللَّه علينا رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، أشْعَبْنا في كلّ شِعْبٍ، لا يَلْوِي حميمٌ على حميم . فبينما أنا في بعض الشعاب قد رأيت ثعلبا قد تحوَّى عليه أرقم، والثعلب يعدو عَدْوًا شديدًا فانتحيت عليه بحجر فما أخطأه . فانتهيت إليه فإذا الثعلب قد سبقني بنفسه، وإذا الأرقم تقطَّع وهو يضرب . فقمت أنظر إليه، فهتف بي هاتف ما سمعت

18) في ب : يؤرقني وإعجابي هجوعي

أفصح من صوته يقول : تعسا لك وبؤسا ! قد قتلت رمسًا ووترت تيسا ! ثمَّ قال : يا دامر، يادامر ! فأجابه مجيب من العدوة الأخرى : لبَّيْك، لبَّيْك، بادر إلى بني الغدافر، فأخبرهم بما صنع الكافر ! فناديت : إنّي لم أشعر، وأناعائذ" بك، فأجِرْني ! فقال : كلاَّ، والحَرَمِ الأمين، لا أُجير مَن قاتل المسلمين، وعَبَدَ غَيْرَ رَبِّ العالمين ! قال . فنَاديت : إنّي مسلم ! فقال : إن أسلمت سقط عنك القصاص، وفُزتَ بالخلاص، وإلاَّ فَلاَتَ حِينَ مَنَاص ! قال . فقلت : أشهدُ أنَّ لا إله إلاَّ اللَّه، وأشهد أنَّ محمَّدًا رسول اللَّه . قال . فقال : نجوت وهديت، ولولا ذلك لرديت . فارْجِعْ من حيث جئت ! قال : فرجعت أقفو أدراجي، فإذا هو يقول : امتطِ السِّمْعَ الأزَلَّ، فقد بدا إليك هنالك أبو عامر يتبع بك ألفان . قال . فالتفتّ فإذا سِمْع" كالأسد، فركبته فمرَّ يَنسلُ حتَّى أتى إلى تلّ عظيم فأسندني إلى تلّ فأشرفت منه على خيل المسلمين، فنزلت عنه وصوَّبت من الحدور نحوهم . فلمَّا دنوت منهم خرج إليَّ فارس فقال : ألق سلاحك، لا أمَّ لك ! فألقيت سلاحي فقال: ما أنت؟ قلت:مسلم. فقال: سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته! فقلت: وعليك السلام والرحمة والبركة، مَن أبو عامر ؟ قال : أنا هو . قلت : الحمد للَّه ! قال : لا بأس عليك ! هؤلاء إخوانك من المسلمين . ثمَّ قال : إنّي رأيت بأعلى التلّ فارسا، فأين فرسك ؟ قال : فقصصت عليه القصَّة، فأعجبه ما سمع منّي، وسرت مع القوم أقفو آثار هوازن حتَّى بلغوا من اللَّه ما أرادوا .

أسْمَعُ مِنْ فَرْخِ عُقَابٍ .

الفرخ ولد الطائر، والأنثى فَرْخَة، والجمع أفْرُخ وأفراخ . قال الحطيئة :

ماذا أقولُ لأفْراخٍ بِذِي مَرخٍ حُمْرِ الحواصِلِ لا ماء" ولا شجرُ ؟

يعني أولاده ؛ والعُقَابُ : الطائر المعروف، وتقدَّم الكلام عليها في حرف الباء .

أسْمَعُ مِن قُرَادٍ .

القُرادُ ـ كغُراب ـ معروف، جمعه قِرْدَان، وقَرَّدْتُ البعير تَقْرِيدًا : أزلتُ عنه القُراد . والتقريد أيضا : الخِداع، وأصله في البعير إذا أراد أن يأخذه وهو صعب قَرَّدَهُ

أولاً ليرتاح إليه فيأخذه .

قال الشاعر :

وهُـم يمنعُونَ جارهُـمْ أن يُـقَـرَّدَا[19]

وقال الحطيئة :

لعَـمرُكَ ما قُـرادُ بني كُـلَـيْـب إذا نُـزِعَ القُـرادُ بمُسْتَـطَـاعِ

ويزعمون أنَّ القُـراد يسمع وطء أخفاف الابل، من مسيرة يوم، فيتحرَّك لها . ويزعمون أيضا أنَّـهم ربَّما رحلوا عن ديارهم بالبادية وتركوها خالية، والقِـرْدَانُ منتشرة منشرة في أعطان الابل، ثمَّ لا يخلفهم فيها ولا يعودون إلى تلك الديار إلاَّ بعد عشر سنين وعشرين سنة، فيجدون القِـرْدانَ حيَّةً وقد أحسَّت بروائح الابل قبل أن توافيها فتتحرَّك لها . ومن ثمَّ قالوا : أعْـمَـرُ من قُـرادٍ، أيضا .

أسْمَعُ جَعْجَعَةً ولا أرَى طِحْنًا.

الجَعْجَعَةُ صوت الرَّحى، وتُطلق أيضا بمعنى الحَبْس والتَّضْييق، كما في كتاب ابن زياد : جَعْجِعْ بالحُسَيْن، رضي اللَّه عنه ! والطَّحْنُ معروف، تقول : طحَنتُ البُرَّ - بالفتح - إذا صيَّرته دقيقا. والطِّحن -بالكسر -الدقيق نفسه، ومنه المثل.

والمعنى : أسمع صوت الرَّحى ولا أرى دقيقًا . يُضرب في سماع جلبة لا يعقبها نفع، وفي الجبان يُوعِد ولا يُوقِع، والبخيل يَعِدُ ولا يَفِي .

تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ من أنْ تَرَاهُ .

المُعَيْدِيُّ تصغير المَعَدِّيِّ - مشدَّد الدَّال -، ثمَّ خُفِّفت عند التصغير كراهيةَ اجتماع الساكنين . قال النابغة :

ضلَّتْ حُلُومُهُمُ عَنْهُمْ وغرَّهُمُ سَنُّ المُعَيْدِيِّ في رَعْيٍ وتَعْزِيب

وهذا على ما وقع في الصِّحاح وغيره من المعيدي في هذا المثل نسبة إلى مَعَد

19) هذا عجُز بيت للحُصين بن القَعْقَاع، وصدره :

همُ السَّمْنُ بالسَّنُّوتِ لا ألْسَ فِيهِمُ

-بالتشديد - وقيل : المعيدي نسبة إلى مَعْدٍ - بسكون العين وتخفيف الدّال -، وهي قبيلة . وتصغيرها مُعَيْد . والمعيدي المذكور رجل من هذه القبيلة كان فاتكا يغير على مال النعمان بن المنذر، فيأخذه ولا يقدرون . فأعجب به النعمان لشجاعته وإقدامه فأمّنه . فلمّا حضر بين يديه ورآه، استزرى مرآته، لأنّه كان دميم الخلقة، فقال : لأنْ تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ! فقال : أبيت اللّعن، إنّ الرجال ليست بجزر، وإنّما يعيش المرء بأصغريْه : قلبه ولسانه ! فأعجب النعمان كلامه وعفا عنه، وجعله من خواصّه إلى أن مات .

وقوله : تسمع، مضارع يَنْسَبِكُ مع أن مقدّرة بالمصدر . وربّما أظهرت فقيل : **أن تَسْمَعَ بالمُعَيْدِيّ** . وهذا المصدر مبتدأ مُخْبَر عنه بما بعده .

والمعنى : أنّ سماعك بالمعيدي خيرٌ من رؤيتك إيّاه . يُضرب للرجل يكون له صيت وذكر حسن، فإذا رأيته اقتحمته عينك، وكان عندك خُبْره دون خَبَره . وقيل : معناه : اسمعْ به ولا تَرَه، على الأمر.

وذكر أبو عبيد أنّ هذا المثل أوّل ما قيل لجُشَم بن عمرو النَّهْدِيّ المعروف بالصقعب النهدي، قاله فيه النعمان بن المنذر . قال : وهذا على من قال إنّ قضاعة من معَدّ، لأنّ نهدًا من قضاعة . والصقعب المذكور هو الذي ضُرب به المثل، فقيل : **أقْتَلُ من صَيْحَةِ الصقعب** . زعموا أنّه صاح في بطن أمّه، وأنّه صاح بقوم فهلكوا عن آخرهم.

وقيل : المثل للنعمان بن ماء السماء، قاله لشقّة بن جمرة التميمي، وذلك أنّه سمع بذكره، فلمّا رآه اقتحمته عينه، فقال **أن تَسْمَعَ بالمُعَيْدِيّ خَيْرٌ من أن تَرَاهُ !** فقال شقّة : أيّها الملك، إنّ الرجال لا تُكال بالقُفْزان، ولا تُوزَن بالميزان، ولست بمسوك يُستقى فيها الماء، وإنّما المرء بأصغريْه : قلبه ولسانه، إن قال قال ببيان، وإن صال صال بجنان ! فأعجب المنذر ما سمع منه وقال : أنت ضَمْرَةُ بنُ ضَمْرَة !

وذكر شمس الدين بن خلّكان أنّ أبا محمّد القاسم بن علي الحريري، رحمه اللّه، جاءه إنسان يزوره ويأخذ عنه شيئا، وكان الحريري دميم الخلقة جدًا . فلمّا رآه الرجل استزرى خلقته، ففهم الحريري ذلك . فلمّا طلب الرجل أن يملي عليه قال له : اكتب :

ما أنتَ أوّلُ سارٍ غرّهُ قَمَرٌ ورائدٍ أعجبتْهُ خُضْرةُ الدِّمَنِ

فاخْترْ لنفسِك غيري إنَّني رجُلٌ مثلُ المُعَيدِيّ فاسمَع بي ولا تَرني !

انتهى .

ويُزاد في هذه القصَّة أنَّ الرجل قال :

كانت مُساءلَةُ الرُّكْبانِ تخْبرنا عن قاسمِ بنِ عليّ أطْيَبَ الخَبَرِ
حتَّى التقَينا فلا واللَّه ما سمعَتْ أذني بأحْسنَ ممَّا قد رأى بَصَري !

وربَّما جعل في هذا الشعر، مكان القاسم بن علي، أحمد بن علي، وأنَّه قيل في أحمد بن علي، أحد الفقهاء، وأنَّ قائله لقي الزمخشري فأنشده إيَّاه . فذكر له الزمخشري عن النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم أنَّه قال : ما بَلَغَني عَن رجُلٍ ثمَّ لقِيتُهُ إلاَّ وجَدتُهُ دونَ ما بَلَغَني عَنْهُ، إلاَّ ما كان من زيْدِ الخَيْلِ، فإنِّي [وجَدتُهُ](20) فوقَ ما قِيلَ عَنْهُ، أو كلامًا هذا معناه طال عهدي به.

وحدَّثني الرئيس الأجلّ أبو عبد اللَّه محمَّد الحاجّ بن محمَّد بن أبي بكر أنَّ رجلا كان يحضر مجلس والده ويطيل الصمت لا يتكلَّم ولا يعرفه أحد . ومكث على ذلك مدَّة، ثمَّ كتب رقعة بخطّ رفيع فائق وذهب . فأخذوا الرقعة فإذا فيها مكتوب :

كانتْ مُساءَلَةُ الرُّكْبانِ تُخْبرُنا عن مجْدكُمْ وثناكُم أطْيَبَ الخَبَرِ
حتَّى التقيْنا فلا واللَّهِ ما سمِعَت أذْني بأحْسنَ ممَّا قد رأى بَصري

اسْتَسْمَنَ ذَا ورَم .

تقول : استسمنت الشيء إذا عددته أو وجدته سمينا ؛ والورَمُ نتوء وانتفاخ في الجسد يقال : وَرِمَ الجسد ـ بالكسر ـ وَرَمًا، وتَوَرَّمَ ؛ واستسمان ذي الورم هو أن يرى الحجم النَّاتيء من علَّة فيحسب ذلك سمنًا وشحمًا .

والمثل مشهور عند المتأخرين يضربونهُعند خطإ الرأي في استجادة القبيح واستحسان الخبيث واستصواب الخطإ لأمارة وهميَّة كاذبة : قال أبو الطَّيب :

أُعيذُها نظَراتٍ منْك صادِقَةً أن تَحسِبَ الشَّحمَ فيمَنْ شحمُهُ وَرَمُ
وما انتِفاعُ أخي الدُّنيا بناظِرِهِ إذا اسْتَوَتْ عندَهُ الأنوارُ والظُّلَمُ

(20) ناقص من ب.

وفي **المقامات الحريرية** : قد استسمنت ذا وَرَم، ونفختَ في غيْر ضَرَم.

سِمَّنْ كَلْبِكَ يُجَوِّعْ أهْلَه .

السِّمَنُ ضدّ الهُزال، سَمِنَ ـ كَفَرِحَ ـ سِمَنًا وسَمانَةً، فهو سامن وسمين، وسمَّنته تسمينا ؛ والكلب كلّ سبع عقور، إلا أنَّه غلب على النَّابح المعروف ؛ والجوع معروف .

يُضرب هذا المثل في الرجل يأكل مال غيره فيسمن وينعم . وأصله أنّ الكلب إذا وقع المُوتانُ والهلاك سمن هو بأكل الجيف وأهله جياع .

وقيل إن رجلا سئل رهنا فرهن أهله، ثم تمكن من أموال من رهنهم فاستاقها وترك أهله .

وحكى أبو علي البغدادي أن رجلا من أهل الشام كان مع الحجَّاج يحضر طعامه، فكتب إلى امرأته يعلمها بذلك . فكتبت إليه :

أتُهْدي ليَ القِرْطاسَ والخُبزُ حاجَتي ... وأنتَ على بابِ الأميرِ بَطينُ !

إذا غِبْتَ لمْ تَذكُرْ صديقًا وإنْ تُقِمْ ... فأنتَ على ما في يَديْكَ ضَنينُ

فأنتَ كَكَلْبِ السُّوءِ جوَّعَ أهْلَهُ ... فَيَهْزِلُ أهْلُ البيتِ وهْوَ سَمِينُ

سَمِّنْكُم في أديمكُمْ.

السَّمْنُ ـ بالفتح فسكون ـ معروف ؛ والاديمُ هنا فسَّره بعضهم بالزقّ، وأنكر ذلك آخرون وقالوا : الأديم هنا الطعام المأدوم، فعِيل بمعنى مَفْعُول، فيقال أديم ومَأدوم، كما يقال قَتِيل ومَقْتُول . وعلى كلّ حال فمعناه أنّ خيرهم موقوفٌ عليهم، وفَضْلَهم راجعٌ إليهم، فيُضرب للبخيل ومن لا يتعدّاه خيره ومن ينفق على نفسه دون غيره . وقد يقال : **سَمِّنْكُمْ هُرَيقٌ في أديمكُم**، وهو معناه.

سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأكُلْكَ !

التَّسْمينُ معروف، تقدَّم ؛ والكلب مرَّ أيضًا.

وهذا مثل قديم مشهور . وقد تمثَّل به عبد اللَّه بن أُبَيّ ركنُ المنافقين في غزوة بني

المُصْطَلِقِ حيث اختصم المهاجريّ والانصاريّ، فقال ابن أبَيّ : ما نحن وهؤلاء ـ يعني المهاجرينَ ـ إلاّ كما قال الأول : **سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأكُلْكَ** ! وفيها قال : لا تُنفقوا على أصحاب محمّد ! وقال : **لَئِنْ رجَعْنَا إلى المدينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلّ**، كما ذكر اللّه جلّ اسمه في سورة المنافقين.

ولفظ المثل، إمّا أن يكون على معنى الاخبار كأنّه قيل : إن سمنت كلبك أكلك، كما في الآخر : **اسْقِ أخَاكَ النَّمَرِيَّ يَصْطَبِحْ** !، أي إن سَقَيْتَه اصْطَبَحَ، وقد تقدّم ؛ وإمّا أن يكون إنشاء على ظاهره، كأنّه قيل : سَمِّنْ كَلْبَكَ لِيَأكُلَكَ ! كما يقال : اضْرِبْ عَبْدَكَ يَسْتَقِمْ ! أي ليستقيم، ويكون على معنى قولهم :

لِدُوا للمَوتِ وابْنُوا للخراب !

وهو أيضا راجع الى الخبر بهذا الاعتبار.وفي معنى المثل قول الشاعر :

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ حِينٍ فلمّا اسْتَدَّ ساعِدُهُ رمانِي

وكَم عَلَّمْتُهُ نَظْمَ القَوافِي فَلمّا قال قافِيَةً هَجَانِي !

ثمّ رأيت في **عماد البلاغة** أنّ الكلب المضروب به المثل لرجل من طَسْم، وذلك أنّه ارتبط كلبا وجعل يشبعه اللّبن، رجَاءَ أن يصطاد به ثمّ أبطأ عليه طعمه، فوثب على مولاه فافترسه، فصار مثلا في كفران النعمة ومجازاة المحسن بالاساءة، وفيه قيل : **سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأكُلْكَ** !

وقال مالك بن أسماء :

هُم سمَّنوا كَلبًا ليَأكُل بعْضَهُم ولَو ظَفِروا بالحزمِ لم يسمَنِ الكَلْبُ !

اسْتَنَّتِ الفِصالُ حتَّى القَرْعَى !

يقال : استنّ الفَرسُ وغيرُه إذا قَمَصَ، وهو أن يرفع يديه ويضعهما معًا ويعجن برجليه ؛ والفِصال جمع فَصِيل من الابل معروف ؛ والقَرعَى جمع أقْرع، والقَرع داء يصيب الفصلان في أعناقها، وتقدّم تفسيره في حرف الحاء، تقول : منه قَرِع الفصيل بالكسر ـ قرعًا، فهو أقرع، والأنثى قَرعاء. ودواؤه أن ينضح الفصيل بالماء ويُجرّ في أرض سَبْخَة أو مرشوشة بملح، فتقول : قرّعت الفصيل تقريعًا إذا فعلت به ذلك، فهو مقرّع

قال أوْسُ بن حَجَر :

لدى كلِّ أُخْدودٍ يُغادرنَ دارعًا[21] يُجَرُّكَمَا جُرَّ الفصيلُ المُقَرَّعُ

والقرعى لا يمكنها الاستنان، فيُضرب هذا المثل في الضعيف يباري القويَّ، وعند تمدّح الرجل بالشيء ليس من أهله. وقد قيل إنَّ اسْتَنَّتْ هنا معناه سَمِنت، من قولهم: سَنَّ الراعي إبله، إذا أحسن رعيها وأسمنها، وكأنَّه صقلها بذلك وزيَّنها . قال النَّابغة :

ضلَّت حُلومُهمُ عنهُمْ وغرَّهُمُ سَنَّ المُعَيْديِّ في رِعْيٍ وتعزيبِ

وهو على مضربه أيضا بأن يراعى في الكلام نوع تهكّم وسخريـة.

سَواءٌ عَلَيكَ هُوَ والقَفْرُ.

يُضرب للبخيل الذي لا خير عنده إذا نعت بمعنى أنَّه بمنزلة القفار الممحلة . قال ذو الرمَّة :

تخطَّ إلى القفْر امرأَ القيسِ إنَّه سواءٌ على الضَّيفِ امرؤُ القيس والقفْرُ !

يُحبُّ امرؤُ القيسِ القرى أن يناله[22] ويأبى مُقاريها إذا طَلَع النَّسرُ

النَّسْرُ : أوَّل اللَّيل يطلع عند شدَّة البرد وكلب الزمان .

سُوءُ الاسْتِمْساكِ خَيْرٌ من [حُسن][23] الصِّرْعَةِ .

يقال : ساءَه يسوءه إذا فعل به ما يكره، والاسم منه السُّوء ـ بالضمّ ـ ويقال : استمسك به، ومسك، وأمسك، وتمسك احتبس واعتصم به، والصرع : الطرح في الأرض ؛ صَرَعَهُ صَرعًا وصَرْعَةً. والصِّرعَة ـ بالكسر ـ : النوع من ذلك، ومنه المثل . ويُروى فيه بالفتح، على معنى المرَّة.

وهذا المثل يُضرب في المداراة والتودّد . قاله أبو عبيد القاسم بن سلاَّم، وقال : معناه لأن يزل الانسان، وهو عامل بوجه العمل و طريق الاحسان والصواب، خير من أن تأتيه الاصابة وهو عامل بالاساءة والخرق . وهذا التفسير لا يعطيه المثل ولا يدلّ عليه ولا يتمّ

21) في ب : ضارعًا.
22) في ب: الضرى بدل القرى.
23) سقطت هذه الكلمة من د، وكتب في المخطوطات الأخرى : «حمى»، والتصويب من الصحاح.

مضربه المذكور به، وإنّما معناه، كما قال غيره : لأن يستمسك، ولا يصرع، وإن كان سيِّءَ الاستمساك، خير من أن يُصرع ولو صِرعَةً حسنةً لا تضرّه . وهو واضح، ومضربه أيضا على هذا النحو ظاهر.

سُوءُ الاكْتِساب ، يَمْنَعُ الانتِساب .

هذا ظاهر .

أساءَ سَمْعًا فَأساءَ جَابَةً .

الاسَاءَةُ ضدّ الاحسان ؛ والسَّمعُ تقدَّم ؛ والجابَةُ اسم من الاستجابة، يقال : أجَابَهُ إجَابَةً، والاسم الجَابَة ـ كالطَّاعَة والطَّاقَة ـ بمعنى الاطاعة والاطاقة . قال الشاعر :

وما مَن تَهْتِفينَ بهِ لِنَصْرٍ بِأقْربَ جَابَةً لَكِ من هَدِيلِ

يُضرب في سوء المسألة، والاجابة في المنطق، والاجابة على غير فهم . ونظمه أبو العتاهية فقال :

إذا ما لم يكُنْ لك حُسنُ فهمٍ أسَأتَ إجابَةً فأسَأتَ سَمْعا
ولَسْتَ الدَّهْرَ مُتَّسِعًا لحِلٍّ إذا ما ضِقْتَ بالانْصافِ ذَرعَا

أسَافَ حتَّى ما يَشْتَكِي السَّوافَ .

يقال : سَاف المالُ يَسوفُ إذا هلك ؛ والسَّوافُ ـ كسَحاب ـ مُوتانٌ في الابل ـ وقيل بالضمّ ـ أو هو بالفتح في النَّاس والمال، وبالضمّ مرض في الابل، ويجوز فتحه ؛ وأسافَ الرجلُ : هلك ماله . قال :

فأبَّل واسترْخَى به الخَطْبُ بعدما أسافَ ولولا سَعْيُنا لم يُؤبِّلِ

غيره :

أسافَ من المالِ التِّلادِ وأعْدما

ويُضرب فيمن تعودَّ الحوادث.

سالَ قَضيبٌ حَديدًا .

قَضيبٌ اسم وادٍ باليمن، وقد تقدَّم هذا وقصَّته في حرف الهمزة.
وممَّا يلتحق بهذا الباب قولهم في الدعاء :

سَلَّطَ اللَّهُ عليهِ الوَرَى، وحُمَّى خَيْبَرَا !

والوَرَى ـ بالتَّحريك ـ اسم، من قولك : وَرَى القيحُ جوفَهُ يَريهِ إذا أكَلَه؛وقولهم :

سَلَّهُ من كَذا سلَّ الشَّعْرَةِ من العَجِينِ .

يُحكى أنَّه، لمَّا همَّ حسَّان بن ثابت، رضي اللَّه عنه، أن يهجو أهل مكَّة، قال له النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : كَيْفَ، وأنا منْهُمْ ؟ ـ أو كما قال صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ـ. فقال حسَّان : لأسُلَّنَّكَ سَلَّ الشعرة من العجين !
وأُتِيَ بعض الملوك، في الصدر الأوَّل، برجل وضَّاع يضع الحديث كذبًا، فقال اضربوا عنقه ! فذهبوا به ليقتلوه . فلمَّا خرجوا قال لهم : أنْظِروني حتَّى أجرّد كلامي وأسقطه من دواوين الحديث لئلاَّ يُلبس على النَّاس ! فرجعوا إلى الملك وشاوروه، فقال لهم : اقتلوه ! فإنَّ هنا رجالا يسلّون كلامه منها سلَّ الشعرة من العجين . وقولك مثلا :

أسْلَطُ من ذِئْبٍ مُتَنَمِّرٍ.

وقولهم :

السُّؤْدَدُ مَعَ السَّوادِ.

أي إنَّما يحصل زمان الفتوَّة وسواد الشعر . ونحوه قول الحماسي :

إذا المرءُ أعْيَتْه السِّيادةُ ناشِئًا فمطْلبُها كَهْلاً عليهِ عَسيرُ

وقولك مثلا :

أسْيَرُ من المَثَلِ .

ونحو ذلك.

ومن أمثال العامَّة قولهم :

اسْألِ السَّائِـلَ عن طِيبِ اللَّبَـنِ !

يضربون في المخالط الشيء المعانى له أنَّه أعرف به . وقولهم :

سَخِّرِ البخِيلَ يُدَبِّرْ عَلَيْكَ !

وأمَّا الشعر فقالوا :

تحْسبُها حمْقاءَ وهْيِ باخِسٌ

وتقدَّم في الحاء . وقال جرير :

وابنُ اللَّبونِ إذا ما لزَّ في قَرَنٍ لم يستَطِع صولَةَ البُزلِ القناعِيسِ

وتقدَّم تفسير ابن اللبون والبازل، والقَرَنُ ـ بفتحتين ـ: الحَبْل يجمع فيه البعيران .

ومنه قول جرير :

أبلِغ خليفَتَنا إن كُنت لاقِيَهُ أنِّي لَدى البابِ كالمشْدودِ في قَرَنِ !

ولَزَزْتُ البعير وغيره لَزًّا ولِزازًا، وألْزَزْتُه : شَدَدْتُه وألْصَقْتُه ؛ والقَناعِيسُ جمع قِنْعاس ـ بالكسر ـ وهو العظيم من الابل.

وقال الحطيئة :

من يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَم جوائزهُ لا يذهَبُ العُرفُ بين اللَّه والنَّاس

وقبله :

لمَّا بدا ليَ منكُم عيبُ أنفُسِكُم ولم يكُن لِجراحي منكُمُ آسِ

أزْمَعْتُ يأسًا مُريحًا من نوالكُمُ ولن ترى طاردًا للحُرِّ كاليأسِ[24]

جارًا لقَومٍ أطالوا هُونَ منزلِهِ وغادروهُ مُقيمًا بَينَ أرْماسِ

مَلُّوا قِراهُ وهَرَّتْهُ كِلابُهُم وجَرَّحُوهُ بأنْيابٍ وأضْراسِ

دعِ المكارِمَ لا ترحَلْ لبُغْيَتِها واقْعُد فإنَّك أنتَ الطَّاعِمُ الكاسي

24) سقط في النسخ بيت بعد هذا، وهو :

ما كان ذنب بُغَيضٍ أن رأى رجُلاً ذا فاقةٍ حلَّ في مُسْتَوعِرٍ شَاسِي

مَن يفْعَلِ الخيرَ... (البيت)

وخاطب بهذا الشعر الزِّبْرقانَ، وعليه سجنه أمير المؤمنين عمر، رضي اللّه عنه.

وقال زَيْدُ الخيل :

أُقاتِلُ حتّى لا أرى لي مُقاتِلاً وأنْجو إذا لم ينْجُ إلاّ المُكيِّسُ

يُروى مقاتِلا بكسر التّاء، وبفتحها على معنى موضع القتال.

وقال أوس بن حجر :

وليس فرارُ اليوم عارًا على الفتى إذا عُرِفَت منهُ الشَّجاعةُ بالامْسِ

ومثلهما قول عمرو بن معدي كرب :

ولقد أجْمَعُ رجْلَيَّ بها حَذَرَ الموتِ وإنّي لَفَرورُ

ولقَد أعْطِفُها كَارِهَةً حِينَ للقومِ من الموتِ هريرُ[25]

آخر :

رُبَّ مَغْروسٍ يُعَاشُ بِهِ عَدِمَتْهُ كَفُّ مُغْتَرِسِهْ

وكذاكَ الدَّهْرُ مَأتَمُهُ أقْربُ الاشْياءِ من عُرُسِهْ

المأتَمُ - بالتّاء المثنّاة من فوق، على وزن مَقْعَد - كلّ مجتمع في حزن أو فرح، وقيل خاصّ بالنساء، وقيل بالشوا ب . وأُطلق هنا على مجتمع الحزن . وأمّا المأثم -بالثّاء المثلّثة - فهو فعل ما لا يحلّ كالاثم ؛ والعُرُس - بضمّتين - : طعام الوليمة . قال الراجز :

إنّا وجَدنا عُرُسَ الحَنّاطِ لَئيمَةً مَذمُومَةَ الحُوّاطِ[26]

ويخفّف . والعَرْس - بالفتح - : الاقامة في الفرح، والعَمُود في وسط الفسطاط ؛ والعَرَس - بفتحتين -: الدّهَش ؛ والعِرْس - بالكسر -: زوج الرجل، ولبؤة الأسد، وزوج المرأة أيضا . وأمّا العَروس فوصف يقع على الذكر والأنثى، ما داما في أعراسهما.

والمعنى أنّ حزن الدّهر قريب من فرحه، كما أنّ فرحه قريبٌ من حزنه ؛ وكذا الصحّة والعافية والضيق والسعة ونحو ذلك.

---

25) في د : جرير.

26) تمامه - كما في لسان العرب : تُدْعَى من النسّاج والخَيّاط .

وقال الآخـــر :

إن كُنت لا تُرجى ولا تُتَّقى ... فأنتَ كالمَيِّتِ في رَمْسِهِ

ونظمها ابن شرف فقال :

إن لم تضُرَّ ولم تنْفَعْ فكُن حَجرًا ... أو ميِّتًا عن أمورِ العيشِ مشْغولاَ

وقال صالح بن عبد القُدُّوس :

وإنَّ من أدَّبْتَهُ في الصِّبَا ... كالعُودِ يُسْقَى الماءَ في غَرسِهِ

حتَّى تراهُ ناضِرًا مُونِقًا ... بعد الَّذي أبْصَرتَ مِن يُبْسِهِ

والشَّيخُ لا يَتْرُكُ أخْلاقَهُ ... حتَّى يُوارَى في ثَرَى رَمْسِهِ

ونظم هذا الأخير ابن شرف فقال :

ومن يعِش وهو مَطْبوعٌ على خُلُقٍ ... لاقى بهِ التُّربَ مضْمومًا ومنقولاَ

وقال الآخـــر :

من يزْرعِ الخيرَ يحْصَدْ ما يُسرُّ به ... وزارِعُ الشَّرِّ منكُوسٌ على الرَّاسِ

وقال الآخـــر :

ما أقْبَحَ الكَذِبَ المَذمومَ صاحِبُه ... وأحْسنَ الصِّدقَ عندَ اللَّهِ والنَّاسِ !

وقال العبَّاس بن الاحنف :

وما مرَّ يومٌ أرتَجي فيه راحَةً ... فأخْبُرُهُ إلاَّ بَكَيتُ على أمْسِ

ولمحمـــود :

أخو البِشْرِ محْمودٌ على كُلِّ حالةٍ ... ولن يعْدمَ البَغْضاءَ من كان عابسا

ويُسرعُ بُخْلُ المرءِ في هتْكِ عِرضِه ... ولم أرَ مثلَ الجودِ للعِرضِ حارسَا

غيـــره :

يا حبَّذا الوحْدَةُ من أنيسِ ... إذا خشيتَ من أذَى الجَليسِ !

غيـــره :

لا تتركِ الحزمَ في أمْرٍ تُحاذرُه ... فإن أصَبتَ فما في الحزمِ من باس !

العجْزُ ضُعْفٌ وما بالحزمِ من ضررٍ ... وأحْزمُ الحزمِ سُوءُ الظَّنِّ بالنَّاس

غيـــره :

وما نكَّدَ الدُّنيا على طيبِ ظلِّها وقُربِ حِماها العذبِ شيءٌ سوى الإِنس؟

غيـــره :

ياراكبَ الفرسِ السَّامي بغُـرَّتِـهِ ولابِسَ السَّيفِ يحْكي لونَـهُ القبسُ
لا أنت تبقى على سيفٍ ولا فرسٍ وليس يبقى عليكَ السَّيفُ والفَرسُ !

غيـــره :

أقولُ له حينَ ودَّعتُهُ وكُلٌّ بعَبْرتِهِ مُلْبَسُ :
لَئنْ رجَعَت عنْكَ أجْسامُنا لقَد سَافَرتْ معَك الانفُسُ !

وللخنســـاء :

ترى الأمورَ سواءً وهْيَ مُقْبِلَةٌ وفي عواقِبِها تِبْيانُ ما التَبَسا
ترى الجَليسَ يقولُ القولَ تحْسبُهُ نُصْحًا وهيهاتَ ما نُصحًا به التمسا[27]

ويُحكى أنَّ أمير المؤمنين عمر رضي اللّه عنه استنشدها فأنشدته هذا الشعر، فقال لها: أنت أشعر كلّ ذات هَنٍ ! فقالت : وكلّ ذي خُصْيَيْن !

قيل : وكان بشّار يقول : ما قالت امرأة شعرا إلاّ ظهر عليه الضعف . فقيل له : حتّى الخنساء ؟ فقال : لا ! تلك لها أربع خُصى !

غيـــره :

تَعبٌ يدومُ لِذي الرَّجاءِ مع الهَوَى خَيْرٌ لهُ مِن راحَةٍ في اليَاسِ

وهذا خلاف ما طلب امرؤ القيس في قوله :

أماويَّ هل لي عندكُم من مُعَرَّسِ أَم الصَّرمَ تخْتارينَ بالوصْلِ نيأسِ ؟
أبيني لنا، إنَّ الصَّريمةَ راحَةٌ من الشَّكِّ ذي المخْلوجَةِ المتلبِّسِ

لكن طلب البيان من طول الضجر، ولا يقتضي أن يكون التأييس خيرا من الترجية.

غيـــره :

ثَنيتُ عزمي عنِ الدُّنيا وساكِنِها فأسْعَدُ النَّاس من لا يعْرفُ النَّاسا

غيـــره :

جَفَوتُ أُناسًا كُنت آمُلُ قُربَهُم وما بالجَفا عنْدَ الضَّرورةِ من بَاسِ

27) في ب : نصحًا ووالله ما نصحًا به التَمَسا

غيـــره :

حِفْظُ اللِّسانِ سَلامَةٌ للرَّاسِ والصَّمتُ عِزٌّ في جميعِ النَّاسِ

غيـــره :

رأيْتُكِ لا تهْوَيْنَ إلاَّ دراهِمِي عليكِ سلامُ اللَّهِ قد نفِد الكِيسُ !

غيـــره :

صَدرُ المجالِس حيثُ حَلَّ لبيبُها فكُنِ اللَّبيبَ وأنْت صَدرُ المَجلِس !

غيـــره :

ضَحوكُ السِّنِّ إن نطَقوا بخَيْرٍ وعنْد الشَّرِّ مِطْراقٌ عَبُوسُ

غيـــره :

قالوا : نفوسُ الدَّارِ سُكَّانُها وأنتُمُ عندي نُفوسُ النُّفوسِ !

غيـــره :

لَولا مَحَبَّتُكم لما عاتَبْتُكُم[28] ولكُنتُم عندي كبَعْضِ النَّاسِ

غيـــره :

لو نَظَرَ النَّاسُ لأحْوالهِمْ لاشْتَغَل النَّاس عن النَّاسِ

غيـــره :

ما أقْبَحَ النَّاسَ في عيني وأسْمجَهُم إذا نظَرتُ ولم أُبصِركَ في النَّاسِ !

غيـــره :

ما بالُ دينِكَ ترضى أن تُدنِّسَهُ وثَوبُ جِسمِكَ مغسولٌ من الدَّنَسِ؟

غيـــره :

ما هَذهِ أوَّلُ ما مَرَّ بِي كَم مِثْلِها مَرَّ على رأْسِي !

غيـــره :

مَنْ لاَ رأى مِصْرًا ولا أهْلَهَا فَلا رأى الدُّنيا ولا النَّاسَا

غيـــره :

نَسيتَ مودَّتي أَن طال عهْدي نعَم! قد قيلَ: طولُ العُمرِ يُنسي!

28) في غير ب : عَتبتكم

غيـــره :

وما من هالِكٍ في النّاس إلاّ ورأسُ هلاكِهِ طَلَبُ الرِّياسَهْ

وقال أبو تمّام :

ما في النُّجومِ سوى تعِلّةِ باطلٍ قدُمَتْ وأُسِّس إفْكُها تأسيسَا

إنّ الملوكَ هُمُ كواكِبُنا الّتي تخْفى وتطْلُعُ أسْعُدًا ونحُوسَا

ومنهـــا :

لو أنّ أسبابَ العفافِ بلا تُقى نفَعتْ لقَد نَفَعتْ إذًا إبْليسا !

وقال أيضـــا :

والدّمعُ فيهِ خاذِلٌ ومُواسِي

ومنهـــا :

لا تَنسَيَن تلكَ العُهودَ فإنّما سُمِّيت إنسانًـا لأنّكَ ناسِ

وقال أيضـــا :

أرى ألفاتٍ قد كُتِبنَ على رأسِي بِأقْلامِ شَيْبٍ في مهارقِ أنْقاسِي

فإن تَسألِيني من يخُطُّ حُروفَها فكفُّ اللّيالي تَستمِدُّ بأنْفاسِي

جَرت في قُلوبِ الغانياتِ لِشِيبَتي قُشَعْرِيرةٌ من بعد لينٍ وإيناسِ

وقد كنتُ أجري في حَشاهُنَّ مرّةً مجاري صافي الماءِ في قُضُبِ الآسِ

فإنْ أُمْسِ من حَظِّ الكواعِبِ آيسًا فآخِرُ آمالِ العِبادِ الى اليَاس !

وقال الآخـــر :

الكَلبُ أعلى قيمـــــــــةً وهْوَ النِّهايَةُ في الخَسَاسَهْ

مِمَّنْ يُنازِعُ في الرِّئاسَةِ قَبْلَ أوقاتِ الرِّئاسَهْ

غيـــره :

اسْتودَعَ العِلْمَ قِرطَاسًا فضيَّعَهُ وبِئسَ مُستودَعُ العِلمِ القَراطيسُ!

قال أبو علي البغدادي في نوادره : وسمع يونس رجلا ينشد هذا البيت فقال : قاتله اللّه ! ما أشدّ صبابته بالعلم وصيانته للحفظ ! إنّ علمك من روحك ومالك من بدنك، فصُنْ علمك صيانة روحك، ومالك صيانتك بدنك.

وقال محمّد بن إبراهيم يخاطب بعض أهله :

أظُنُّكَ أطْغَاكَ الغِنى فنَسيتَنِي ... ونفسُكَ والدُّنيَا الدَّنِيَّةُ قَد تُنسي

فإن كُنتَ تَعلو عند نفْسكَ بالغِنى ... فإنِّي سَيُعلِيني عليكَ غِنى نفسي

وقال أعرابي سأل آخر حاجة، فتشاغل عنه :

كَدحْتُ بأظْفاري وأعْمَلْتُ مِعْوَلي ... فَصادفْتُ جُلْموداً من الصَّخْرِ أمْلَسا

وأقْبَلتُ أن أنْعاهُ حتَّى رأيْتُهُ ... يفوقُ فُواقَ الموتِ ثمَّ تنفَّسا

تشاغَلَ لمَّا جِئْتُ في وجْهِ حاجَتِي ... وأطْرقَ حتَّى قُلتُ : قد ماتَ أو عَسَا

فقُلتُ لهُ : لا بَأسَ لسْتُ بِراجِعٍ ... فأفْرخَ تَعْلُوهُ السَّمادِيرُ مُبْلِسَا

السَّمادِيرُ : ما يتراءى للانسان عند السكر.

غيـــره :

لئن درسَتْ أسْبابُ ما كان بيْنَنا ... من الوُدِّ ما شَوقِي إليكَ بِدارِسِ

وما أنا مِنْ أنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَينَنا ... على خَيرِ ما كُنَّا عَليهِ بآيِسِ

وقال أحد بني شيبان :

وما أنا من ريْبِ المنونِ بِجبَّإٍ ... وما أنا مِن سَيْبِ الالهِ بِآيِسِ

يقال : جبأ عن كذا يجبأ عنه، إذا هابَه، ورجل جبَّأٌ .

وقال مهلهل :

نُبِّئْتُ أنَّ النَّار بَعْدكَ أوقِدتْ ... واسْتَبَّ بعْدكَ ياكُلَيبُ المجْلِسُ

وتكلَّمُوا في أمْرِ كُلِّ عظيمةٍ ... لو كُنْتَ حاضِرَ أمْرِهِم لم ينبِسوا !

قوله «المجلس» أي الجالسون، والنَّبْسُ : النُّطْقُ، يقال : نَبَسَ فلانٌ.

غيـــره :

والشَّيبُ إن يحْلُلْ فإنَّ وراءهُ ... عُمُراً يكونُ خِلالَهُ مُتَنَفَّسُ

لم ينْتَقِصْ منِّي المشيبُ قُلامَةً ... الآنَ حينَ بَدا ألبُّ وأكْيَسُ

ومثله، في مدح الشيب، قول الآخر :

لا يرُعْكِ المشيبُ يابْنَةَ عبدِ ... اللَّهِ، فالشَّيبُ حُلَّةٌ ووقارُ

إنَّما يحْسُنُ الرِّياضُ إذا ما ... ضَحِكتْ في خِلالِها الأنْوارُ !

وسنذكر بعدُ ما قيل في الشيب، إن شاء اللّه.

وقالت الخنساء :

ولولا كثْرةُ الباكِينَ حَولِي على إخْوانِهم لقَتَلْتُ نَفْسي!

وقالت أيضـا :

وما يبْكونَ مثل أخي ولكِن أُعَزِّي النَّفسَ عنهُ بالتَّأسِّي

وهذان البيتان من قطعة لها تعارض فيها دُرَيْد بن الصِّمَّة، وكان دريد خطب الخنساء، في حياة أخويْها . فأراد أخوها معاوية أن يزوّجها، وكان أخوها صخر غائبا في غزاة له، فأبت وقالت : لا حاجة لي به ! فأراد أن يكرهها، فقالت :

تُباكِرني حُمَيدةُ كُلَّ يومٍ بما يُولي مُعاويةُ بنَ عمْرِو
فإلاَّ أعْطَ من نفْسي نَصيبًا لقَد أودى الزَّمانُ إذًا بصَخْرِ
أتُكْرِهُني هَبِلتَ على دُرَيْدٍ وقد أَحرمْتُ سيِّد آلِ بَدرِ
معاذ اللهِ يرصعُني حبْركَى قصيرُ الشِّبرِ من جُشَم بن بكر[29]
يَرى مجْدًا ومكْرمَةً أتَاهَا إذا عَشَّى الصَّديقَ جريم تَمْرِ

الحبركي : القصير الرجلين، الطويل الظهر ؛ والقصير الشبر : القليل الخير والعطاء . فقال دريد :

لِمن طَلَلٌ بِذاتِ الخمسِ أمسى عَفا بين العَقيقِ فَبَطنِ طِرسِ ؟
أشبهـا غمامة يوم دجـن تـلألأ برقهـا أو ضوء شمس ؟
فَأقسِمُ ما سَمِعْت كَوجْدِ عَمْرٍو بِذات الخال من جنٍّ وإنس
وقاك الله يا ابنة آل عمرو من الفتيان أمثالي ونفسي
فَلا تَلِدِي ولا يَنْكِحْكِ مِثْلِي إذا ما لَيْلَةٌ طَرَقَتْ بِنَحْسِ
وقالت إنَّـهُ شَيْـخٌ كبيـرٌ وهَـل خبَّرتُها أنِّي ابنُ أمْسِ ؟
تريـد أفيحج الرجليـن شَثْنـاً يقلع بالجَدِيـرَةِ كل كـرس
اذا عـقب القـدور عـددن مـالا أحـب حلائـل الابـرام عـرس
وقد علم المراضـع في جمـادي إذا استعجلـن عن حـز بنهـس
بِأنِّي لا أبيـتُ بغَيـرِ لحْـمٍ وأبْـدأ بالأرامِـلِ حِيـنَ أُمْسِي

29) في لسان العرب : معاذ الله ينكحني حبركى.

وأنّي لا يَهـرُّ الضَّيْـفَ كَلْبـي ولا جـاري يبيـتُ خبيـثَ نفْـسِ
واصفـر من قـداح النبـع فـرع بـه علمـان مـن عقب وضـرس
دفعـت الى المفيـض إذا استقلـوا على الركبـات مطلـع كل شمـس

فلمّا مات صخر قالت الخنساء تعارض دريدا في كلمته :

يُؤرّقُني التّذكُّرُ حينَ أُمْسِي ويَردَعُني مَعَ الأحْزانِ نُكْسِي
على صخْرٍ، وأيُّ فَتًى كَصَخْرٍ ليَومِ كَريهةٍ وطِعَانِ خَلْسِ
وعانٍ طارقٍ أو مُسْتَضيف يُروَّعُ قَلْبُهُ من كُلِّ جِرْسِ
ولم أرَ مِثْلَهُ رُزْءًا لِجِنٍّ ولم أرَ مِثْلَهُ رُزْءًا لِإِنْسِ
أشَدَّ على صُروفِ الدَّهْرِ منهُ وأفْضَلَ في الخُطُوبِ لِكُلِّ لُبسِ
ألا يا صخْرُ لا أنْساكَ حتَّى أُفارِقَ مُهْجَتي ويُشَقَّ رمْسِي !
ولولا كثْرةُ الباكِينَ حَوْلِي على إخْوانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
ولكن لا أزَالُ أرَى عجولا تُساعِدُ نَائِحًا في يومِ نحْسِ
تُفجّع والِهًا تبكي أخاها صَبيحَةَ رَزْئِهِ أو غِبَّ أمْسِ
يُذكّرني طُلوعُ الشّمس صخْرًا وأبْكيهِ لكُلِّ غُروبِ شَمْسِ

وقال أبو علي، عن ابن دريد : طلوع الشمس للغارات وغروبها للضيفان .

وقال الآخـــر :

تقوَّسَ بعد مرِّ العُمْرِ ظَهْري وداسَتْني اللّيالي أيَّ دَوسِ
فأمْشي والعصا تَهْوِي أمامي كأنَّ مُواءَها وتَـرٌ لِقَـوسِي

ونحوه لآخـــر :

قوَّسَ ظهْري المشيبُ والكِبَرُ والدَّهْرُ يا عَمْرُو كُلُّهُ غِيَرُ
كأنَّني والعَصَا تَدِبُّ مَعِي قَوسٌ لها وهْيَ في يَدي وتَرُ

غيـــره :

إذا تمنَّيتَ بِتَّ اللّيلَ مُغْتَبِطًا إنَّ المُنى رأسُ أموالِ المفاليسِ

غيـــره :

اللّهُ يعْدِلُ والآمالُ كَاذِبَةٌ وكُلُّ هَذا المُنى في القَلب وسواسُ

ومثله لحبيب :

من كان مَرعى عَزْمِهِ وهُمومِهِ روْضَ الأماني لم يَزَلْ مَهْزولاَ

ولغيــره :

مُنَـى إن تكُـن حقًّا تكُـن أحْسنَ المُنى وإلاَّ فقَـد عِشْنا بها زَمَنًـا رَغْدا

ولمسلم :

لَـولا مُنى العـاشقِيـنَ ماتُـوا غَمًّا وبعْضُ المُنَـى غُـرورُ

وقال الصابىء :

وكم مِن يدٍ بيضاءَ حازَت جمالَها يَدٌ لك لا تسْوَدُّ إلاَّ من النَّقْسِ

إذا رقَشَتْ بيضَ الصَّحائِفِ خِلتَها تُطَرِّزُ بالظَّلْماءِ أردِيَةَ الشَّمْسِ !

ابن المعتــز :

إنِّي إذا لم أجِد يومًا مُراسَلَةً وضَاقَ بي مُنتهى أمْرِي ومُلتمَسِي

لمُرسِلٍ عَبْرَةً في إثْرِها نَفَسٌ يا ليتَ شِعْرِيَ هل ياتيكُمُ نَفسي ؟

وقال أبو محمَّد الحريري، رحمه اللَّه تعالى :

جَزيتُ مَن أعْلَقَ بي وُدَّهُ جَزاءَ من يبني على أُسِّهِ

وكِلتُ للخِلِّ كما كالَ لي على وفاءِ الكَيْلِ أو بَخْسِهِ

ولم أُخَسِّرهُ وشَرُّ الوَرى مَن يومُهُ أخْسَرُ من أمْسِهِ

وكُلُّ مَن يَطلُبُ عِندي جَنًى فمالَهُ إلاَّ جَنَى غَرسِهِ

لا أبْتَغي الغَبنَ ولا أنْثَني بصَفْقَةِ المغْبونِ في حِسِّهِ

ولستُ بالمُوجِبِ حقًا لِمن لا يُوجِبُ الحقَّ على نفْسِهِ

ورُبَّ مَدَّاقِ الهَوى خَالَني أصْدُقُهُ الوُدَّ على لَبْسِهِ

وما دَرَى مِن جَهْلِهِ أنَّني أقضي غَريمي الدَّيْنَ من جِنسه

فاهجُر من استغْبَاكَ هجْرَ القِلى وهَبْهُ كالملْحودِ في رمْسِهِ

والْبَس لمَن في وصْلِهِ لُبْسةً لباسَ مَن يُرغَبُ في أُنْسِهِ

ولا تُرجِّ الوُدَّ ممَّنْ يَرَى أنَّكَ مُحْتاجٌ إلى فَلْسِهِ !

وله أيضــا :

حيارى يميدُ بِهِم شجْوُهُمْ كأنّهُمُ آرتَضَعوا الخَندريسَا
أسالوا الغُروبَ وعَطُّوا الجُيُوبَ وصَكُّوا الخُدودَ وشجُّوا الرُّؤوسا

وله أيضـــا :

لعَمرُك ما الانسانُ إلاّ ابنُ يومِهِ على ما تجلّى يومُهُ لا ابنُ أمْسِهِ
وما الفخْر بالعظْمِ الرَّميمِ وإنّما فخارُ الّذي يبغي الفخارَ بنفسِهِ !

وقال أيضـــا :

لبِستُ لكُلِّ زمانٍ لَبُوسَا ولابَسْتُ صَرْفَيهِ نُعْمَى وبُوسَا
وعاشَرتُ كُلَّ جَليسٍ بِمَا يُلائِمُهُ لأرُوقَ الجَلِيسَا
فَعنْد الرُّواةِ أُديرُ الكَلامَ وبينَ السُّقاةِ أديرُ الكُؤوسَا
وطَورًا بوعْظي أُسيلُ الدُّموعَ وطَورًا بلهْوي أسُرُّ النُّفوسا
وأقْري المسامِعَ إمّا نَطَقْتُ بيانًا يقودُ الحَرونَ الشَّموسَا
وإن شِئْتُ أرعَفَ كَفّي اليراعَ فَساقَطَ دُرًّا يُحلّي الطُّروسا
وكم مُشْكلاتٍ حَكَينَ السُّهَا خفاءً فصِرنَ بِكشْفي شُموسَا
وكَم مُلْحَمٍ لي خَلَبْنَ العُقُولَ وأسْأرنَ في كُلِّ قلْبٍ رسِيسَا !
وعَذْراءَ فُهْتُ بها فانْثَنَى عَلَيها الثّناءُ طَليقًا حَبيسَا
على أنّني من زماني خُصِصتُ بكيْدٍ ولا كَيْد فِرعَونِ مُوسَى
يُسعِّرُ لي كُلَّ يومٍ وغًى أطا من لظاها وطيسًا وطيسَا
ويَطرُقُني بالخُطُوبِ الّتي يُذبْنَ القُوى ويُشِبنَ الرُّؤوسَا
ويُدني إليَّ البعيدَ البَغيضَ ويُبْعدُ عنّي القريبَ الأنيسَا
ولولاَ خَسَاسَةُ أخْلاقِهِ لما كانَ حظّيَ منْهُ خَسيسَا

وقال أيضـــا :

وليسَ كُفْءَ البَدر غيرُ الشَّمسِ

ومنهـــا :

والفقرُ يُلجي الحُرَّ حينَ يُمْسي إلى التّجلّي في لباسِ اللّبْسِ

ولـــه :

ما لي مَقَـرٌّ بِـأرضٍ ولا قَـرارٌ لِـعَـنْـسِـي
يَـومـًا بنَجْـدٍ وَ يومـًا بِالشَّامِ أُضْحِـي وأُمْسِـي
أُزجِـي الزَّمـانَ بِقُـوتٍ مُـنَغَّـصٍ مُـسْـتَـخَـسٌ
فَـلا أبِـيتُ وعِـنْـدِي فَـلْسٌ ومَن لِي بِفَـلْـسِ ؟
ومَن يَـعِشْ مِثْـلَ عَيْشِي بَـاعَ الحَيَاةَ بِبَخْسِ !

غيـــره :

لا يصْعُبَنَّ عليكَ في طَلَبِ العُلاَ طُولُ التَّنقُّلِ أو فِراقُ المكْنِسِ
فالبَدرُ لو لَم ينتقِلْ عن بُرجِهِ ما كانَ يُعرَفُ نُورُهُ في الحِنْدسِ
والخَمْرُ يُحْجَبُ نُورُها في دَنِّهَا وتَروقُ مَهْما نُقِّلَت للأكْؤُسِ

وقال ابن المرزبان :

كَمْ ليلةٍ أحْيَيتُها ومُؤانِسي طُرفُ الحديثِ وطيبُ حثِّ الأكؤُس
شبَّهْتُ بَدرَ سَمائِها لمَّا دنَتْ منهُ الثُّريَّا في مُلاءةِ سُنْدُسِ
ملِكًا مهِيبًا قاعدًا في روضةٍ حيَّاهُ بعضُ الزَّائرينَ بنَرجِسِ

غيـــره :

ولم أدخُلِ الحمَّامَ يومَ فِراقِهم لأجْلِ نعيمٍ قدْ رضيتُ ببُوسي
ولكن لِتَجْرِي عَبْرَةٌ مُطْمئنَّةٌ فأبْكي ولا يَدري بِذاكَ جَليسي

غيـــره :

تَذكَّرْ أخي إن فرَّقَ الدَّهرُ بيننا أخًا في هواكَ الآن أصبحَ أو أمْسَى
ولا تنْس بعْدَ البُعْدِ حقَّ مودَّتي فَمثلي لا يُنسَى ومِثلُكَ لا يَنسَى !

غيـــره :

أدرِها على أمْنٍ ولا تخْشَ من باسِ وإن خدَّدتْ آذانُها ورقَ الآسِي
وما هي إلاَّ ضاحكاتُ غمائِمٍ لواعِب من ومْضِ البُروقُ بمقْباسِ
ووفْدُ رياحٍ زعْزعَ النَّهْرَ مَرَّةً كما وَطِئَتْ درعًا سنابكُ أفْراسِ

غيـــره :

بلدٌ أعارتْهُ الحمامةُ طَوقَها وكساهُ ريشَ جَناحِهِ الطَّاووسُ

فكأنّما الأنْهارُ فيهِ مُدامَةٌ وكأنّ ساحاتِ الدِّيارِ كُؤوسُ

غيره :

أكْرهُ أن أدنُوَ من دارِكُمْ لأنّني أخْشَى عَلى نَفْسِي
ضِرسِي طَحُونٌ وعلى خُبزكُم مِن أكل مِثْلِي آيَةُ الكُرسِي
هُوَ الّذي أقْعَدني عَنْكُمُ فكيفَ أمْشي ومَعِي ضَرسِي ؟

غيره :

أفْرطَ نِسْياني إلى غَايَةٍ لم يَدعِ النِّسْيانُ لي حِسًّا
فصرتُ مَهْما عَرضَت حاجَةٌ مُهِمَّةٌ ضمنتُها الطِّرسَا
وصِرتُ أنْسى الطِّرسَ في راحَتي وصِرتُ أنْسَى أنّني أنْسى !

غيره :

عليَّ ثيابٌ دونَ قيمتِها الفلْسُ وفيهِنَّ نفسٌ دونَ قيمتِها الانْسُ
فثَوبُكَ مثلُ الشَّمسِ من دونِها الدُّجا وثوبيَ مثلُ الغيمِ من تحتِهِ الشَّمسُ!

وقال أبو الطيب :

ألذُّ من المُدامِ الخَنْدريسِ وأحْلَى من مُعَطَاةِ الكُؤوسِ
مُعَاطَاةُ الصَّفَائِحِ والعَوالِي وإقْحامي خَميسًا في خَميسِ
فموتي في الوغَى عيْشي لأنّي رأيتُ العيْشَ في أربِ النُّفوسِ !

وقال أيضا يخاطب محمّد بن زريق الطرسوسي :

إنّي نَثَرتُ عليك دُرًّا فانْتَقِد كثُرَ المُدلِّسُ فاحْذرِ التَّدْليسَا !

ومنها :

خيرُ الطُّيورِ على القُصُورِ وشَرُّها يَأوِي الخَرابَ ويسكُنُ النَّاوُوسَا
لو جادتِ الدُّنيا فدتْكَ بنَفْسِها أو جَاهَدتْ كُتِبَتْعليكَ حَبيسا[30]

وقال أيضا :

أنْوكُ من عَبدٍ ومن عِرسِهِ مَن حكَّمَ العَبْد على نفْسِهِ
وإنّما يُظْهِرُ تحْكيمُهُ تَحكُّمَ الافْسادِ في حِسِّهِ

30) في الديوان : لو جادت الدنيا فدتك بأهلها

ما مَن يَرى أنَّك في وعْدِهِ كَمَن يَرى أنَّك في حَبْسِهِ
العبدُ لا تفضُلُ أخْلاقُهُ عَن فَرجِهِ المُنْتِنِ أو ضِرسِهِ
لا يُنْجِزُ الميعادَ في يومِهِ ولا يَعِي ما قالَ في أمْسِهِ
وإنَّما تحْتالُ في جَذْبِهِ كأنَّكَ المَلاَّحُ في قَلْسِهِ
فَلا تُرَجِّ الخيرَ عندَ آمْرِىءٍ جَالت يَدُ النخَّاسِ في رأسِهِ[31]
وإن عراكَ الشَّكُّ في نفسِهِ بحالِهِ فانظُر إلى جِنْسِهِ !

وقال أبو العلاء المعريّ :

لا يوهِمنَّك أنَّ الشِّعر لي خُلُقٌ وأنَّني بالقوافي دائمُ الأنَسِ
فإنَّما كان إلمامي بساحَتِها في الدَّهرِ إلمامَ طَيرِ الماءِ بالعَلَسِ

العَلَسُ : حَبٌّ معروف، وطير الماء لا تأكل الحبوب، وإنَّما تصطاد السمك الصغار . وأراد بذلك التبرئة من قول الشعر .

وقال أسقف نجران :

منعَ البقاءَ تقلُّبُ الشَّمسِ وطلوعُها من حيثُ لا تُمْسي
وطلوعها حَمْراءَ صافِيَةً وغُروبُها صَفْراءَ كالوَرْسِ
تجْري على كَبِدِ السَّماءِ كما يجري حِمامُ الموتِ في النَّفْسِ

لطيفة : حدَّث بعض الأدباء عن الأصمعي قال : حضرت مجلس الرشيد، وعنده مسلم بن الوليد، [إذ] دخل أبو نواس فقال له : ما أحدثتَ بعدنا ؟ يا أبا نواس ! فقال : يا أمير المؤمنين، ولو في الخمر ؟ فقال : قاتلك اللّه، ولو في الخمر ! فأنشده :

يا شَقيقَ النَّفسِ من حَكَمِ نِمْتَ عن ليْلى ولم أنَمِ !

وفيها قوله :

فتمشَّتْ في مفاصِلِهِم كتمَشِّي البُرءِ في السَّقَمِ

حتَّى أتى على آخرها . فقال : أحسنت ! يا غلام، أعطه عشرة آلاف وعشر حُلع ! فأخذها وخرج . فلمَّا خرجنا من عنده قال مسلم بن الوليد : ألَم تريا أبا سعيد إلى الحسن بن هانىء كيف سرق من شعري وأخذ به مالا وخلعا ؟ فقلت : وأيّ معنى سرق ؟ قال : قوله :

31) في الديوان أيضًا : مَرَّتْ يد النَّخَّاس في رأسه

فَتَمَشَّتْ في مَفَاصِلِهِمْ... (البيت). فقلت : وأيّ شيء قلت ؟ قال : قلت :

غرّاءُ في فَرعِهَا لَيلٌ على قَمَرٍ ... على قَضِيبٍ على غُصن النَّقا الدَّهِس
أذكى من المَسْكِ أنْفاسًا وبهْجتُها ... أرقُّ ديباجَةً من رِقَّةِ النَّفَس
كأنَّ قلبي وشاحاها إذا خَطَرت ... وقلبَها قلبُها في الصَّمت والخرَسِ
تجري محبَّتُها في قلبِ وامِقِها ... جرْيَ السُّلافَةِ في أعْضاءِ مُنْتَكِسِ

فقلت : ممَّن سرقت أنت هذا المعنى ؟ فقال : لا أعلم أنني أخذته من أحد . فقلت : بلى ! من عمر بن أبي ربيعة، حيث يقول :

أما والرَّاقصاتِ بِذاتِ عِرقٍ ... وربِّ البيت والرُّكْن العَتيقِ
وزمْزمَ والطَّوافِ ومشْعَرَيْها ... ومُشْتاقٍ يحنُّ الى مشُوقِ
لقد دبَّ الهوى لَكِ في فُؤادي ... دبيبَ دمِ الحياةِ الى العُروقِ !

قال : ممَّن سرق عمر بن أبي ربيعة ؟ قلت : من بعض العذريّين، حيث يقول :

وأُشربَ قلبي حُبَّها ومَشى به ... كمشْيِ حميمِ الكأس في عقلِ شاربِ
ودبَّ هواها في عِظامي وحبها ... كما دبَّ في الملسوعِ سُمُّ العقاربِ

فقال لي : ممَّن أخذ هذا العذريّ ؟ قلت : من أسقف نجران - يعني السَّابق -.

وقال أبو الفتح البستيّ :

يا أكْثر النَّاس إحْسانًا إلى النَّاس ... وأكرمَ النَّاس إغْضاءً عن النَّاسي
نسيتُ عهدكَ والنِّسيانُ مُغْتَفَرٌ ... فاغْفِرِ فأوَّلُ ناسٍ أوَّلُ النَّاسِ !

وقال مسلم بن الوليد في تفضيل الورد :

كم من يدٍ للوردِ مَشْهورةٍ ... عِنْدي وليسَتْ كَيَدِ النَّرجِسِ
الوردُ يأتي ووجُوهُ الرُّبَى ... تضْحَكُ عن ذي بَردٍ أمْلَسِ
وقد تحلَّت بعُقودِ النَّدى ... ثابِتَةً في الأرضِ لم تُغْرسِ
ولن ترى النَّرجِسَ حتَّى ترَى ... روضَ الخُزامَى رثَّةَ المَلْبَسِ
وتُخْلِقَ النَّكْباءُ ما جَدَّدتْ ... أيْدي الغَوادي في سَنا السُّنْدسِ
هُناكَ يأتيكَ غَريبًا على ... شَوقٍ من الأعْيُنِ والانْفُسِ

غيـــره :

من أحْسن الظَّنَّ بأعْدائِهِ تجرَّعَ الهمَّ بِلا كَاسِ

قال الصفدي : ولو كنت ناظم هذا البيت لقلت : مَن أحْسَنَ الظَّنَّ بِأحْبابِهِ، ولم أقل : بِأعْدائِهِ.

وللّه درّ القائل :

جَزى اللّهُ خيرًا كُلَّ من ليس بيننا ولا بينَهُ وُدٌّ ولا مُتعرَّفُ

فَلا نالَنى ضيْمٌ ولا مسَّني أذًى مِن النَّاس إلاَّ من فتًى كنت أعرفُ !

وقال : يقال إنَّ رجلا كان على عهد كسرى يقول : من يشري ثلاث كلمات بألف ؟ ولا يجد، إلى أن اتصل بكسرى، فأحضره وسأله عنها فقال : ليس في النَّاس كلّهم خير . قال : صدقت ! ثمَّ ماذا ؟ فقال : ولابدَّ منهم ! قال : صدقت ! ثمَّ ماذا ؟ قال : فالبسهم على حذر ! فقال قد استوجبت المال، فخذه ! قال : لا حاجة لي به، وإنَّما أردت أن أرى من يشتري الحكمة !

وقال أبو فراس :

مالي أُعاتبُ دهْري أين يذهبُ بي ؟ قد صرَّحَ الدَّهْرُ لي بالمنْعِ والياسِ

أبْغي الوفاء بدهْرٍ لا وفاء بِهِ كأنَّني جاهلٌ بالدَّهْرِ والنَّاسِ

ونحوه في المعنى قوله أيضا :

أين الخليلُ الَّذي يُرضيكَ باطِنُهُ مع الخطوبِ كما يُرضيكَ ظاهرُهُ ؟

وقول ابن الساعاتي :

لا يغُرَّنَّكَ التَّودُّدُ من قَوْمٍ فإنَّ الوداد منهُمْ نفاقُ

والقلوبُ الغِلاظُ لا ينْزعُ الأحْقادَ منها إلاَّ السُّيُوفُ الرَّقاقُ

وقول آخر :

لا تَثِقْ مِنْ آدَمِيٍّ في وِدَادٍ بِصَفَاءِ !

كَيفَ ترجو منهُ صَفْوًا وهْوُ مِن طِينٍ وماءِ ؟

وقول الآخر :

ومن يكُ أصْلُهُ ماءً وطينًا بعيدٌ مِن جِبِلَّتِهِ الصَّفاءُ

وقال ابن قَلاقِس :

غاضَ الوفاءُ وفاضَ ماءُ الغَـدرِ أنْهـارًا وغَـدْرا
وتطابَـقَ الأقْـوامُ في أقْـوالِهِـم سِـرًّا وجَهْـرا
فانْظُر بعينِكَ هل تَرى عُرفًا وليسَ تَراهُ نُكْرا !

وهو من قول الطغرائي :

غاض الوفاءُ وفاض الغَدرُ وانفرجَت مسافةُ الخلْفِ بين القولِ والعملِ

وما أعدل قول محيي الدين محمَّد بن تميم في هذا :

لك الخيرُ كم صاحَبتُ في الناس صاحبًا فما نالني منهم سوى الهمِّ والعنا
وجرَّبتُ أبناءَ الزَّمان فلم أجِدْ فتًى منهمُ عند المضيق ولا أنا !

ومثله لبعضهم :

طُفْتُ زمانًا على مَن يُنْصِفُني فلمَّا أنْصَفَ خُنتُهُ أنا

وتتميم هذا الغرض في موضع آخر، إن شاء اللَّه تعالى.

غيـره :

لم يكفِني في الرَّأي خَيبَةُ مَنْظري حتَّى حُرِمْتُ لَذاذةَ الايناسِ
كالأعْورِ المسكينِ أعْدمَ عَيْنَهُ واعْتاضَ منها بِغْضَةً في النَّاسِ

وقال محيي الدين محمَّد بن تميم في مليح ينسى كثيرا :

بِروحي الَّذي نِسْيانُهُ صار عادةً وأفْرط حتَّى كاد يُعْدمُهُ الحِسَّا
فَلو أنَّهُ بالهَجْرِ أضْحى مُهدِّدي لما ساءنِي عِلْمًا به أنَّهُ ينْسَى

وقال الآخـــر :

واللهِ ما طلعَت شمسٌ ولا غَربَت إلاَّ وأنت مُنى قلبي ووسْواسي
ولا جلسْتُ الى قومٍ أحدِّثُهُم إلاَّ وأنت حديثي بين جُلاَّسي
ولا هَمَمتُ بشُربِ الماءِ من ظَمَإٍ إلاَّ رأيتُ خيالاً منك في الكاس !

وقال الآخـــر :

إن صَحبْنا المُلوكَ تاهوا علينا واستخَفُّوا جَهْلاً بحقِّ الجليسِ
أو صحِبنا التُّجَّارَ عدنا إلى البُؤس وصرنا إلى عديدِ الفُلوسِ
فلزِمنا البيوتَ نستعملُ الحِبْـر ونملا بِهِ وجوهَ الطُّروسِ

وقَـنِـعنـا بمـا رزقْـنـا فـَصرنـا أمَـراءً على الملـوكِ الـرُّؤوسِ !

فقال آخر، مذيّلاً لهذا الشعر :

لو تركنا وذاكَ كُنّا ظَفِرنا [من أمانيّنا بعِلقٍ نفيس][32]
غير أن الزمان أعني بنـيه حسدونا على حياة النفوس

وقلت أنـا :

إنّـي امرؤٌ لا أنثنـي غَبنًـا يومَ المصاعِ بصفْقَةِ الوكْسِ
وإذا استطانَ البَوْنُ من فَرَقٍ لا ينزوي خَلَدي على رِجْسِ
وإذا الزّمان أحالَ نائبُهُ حالي عَفَفْتُ فلم يُحِلْ نفسي
وإذا تَطَـاولَ لَـم [ ][33]
وإذا استطابَ الهونَ مُحتسبًا نذلٌ فلستَ تَراهُ في كأسِي
أرعى الهبيد على القنانِ ولا أرعى بوهْدٍ أطْيَبَ الخَلْسِ
وألَـذُّ آنـيَـة الميـاهِ إذا كان الفُراتُ يُشابُ بالكِرسِ
وإذا استسِمْتُ الخسْفَ في بلدٍ يومًا زمَمتُ لغيرهِ عَنْسِي
إنَّ البلادَ لِذي الحِجى وطَنٌ والنّاسُ كُلُّهُمُ بَنو جِنْسِ !
[ ][34]

ويُحكى أنَّ ابن سكرة في آخر أمره، لمّا مات الوزير المهلّبي، سئل : ما أعددت للشتوة ؟ فقال :

قيلَ : ما أعْددتَ للبردِ فَقد جاءَ بِشِدّهْ ؟
قُلتُ : دُرّاعَةُ عُرْيٍ تحْتَها جُبّةُ رِعْدَهْ !

---

32) ساقط من د.
33) بياض بالأصول
34) هنا بياض بمقدار صفحة.

وقلت أنا فيها، وجعلتها ثمانيا :

إذا أومَضَ البرقُ اليماني وأظْنَبتْ ... على الأرضِ من جونِ الولِيِّ قِبابُ

فلُذ بثمانٍ هُنَّ في الدَّهرِ للفتى ... وِقاءٌ إذا ما نالَها وحِجابُ :

كَبابٌ وكانونٌ وكِنٌّ وكاعِبٌ ... وكأسٌ وكيسٌ كِسوةٌ وكتاب !

وجمع بعضهم للصيف راآت ثمانية قابل بها كافات الشتاء، فقال :

عندي فَديْتُك راآتٌ ثمانيَةٌ ... ألقى بها الحرَّ إن وافى وإن وردا :

رُبٌّ وروْحٌ وريحانٌ وريقُ رشا ... ورفْرفٌ وريـاضٌ ناعِـمٌ وردا

وقد تفنَّن الأدباء في هذا الغرض، فجمعوا من هذا النَّمط أعدادا، كقول بعضهم ;

رمَتْنا يدُ الأيَّامِ عن قوسِ خطْبِها ... بسبْعٍ وهل ناجٍ من السَّبْعِ سالمُ :

غلاءٌ وغاراتٌ وغَـزْوٌ وغُـربَةٌ ... وغَمٌّ وغَدرٌ ثمَّ غَبْنٌ مُلازمُ !

وكقول ابن التعاويذيّ :

إذا اجتمعَت في مجلس الشُّرب سبعةٌ ... فبادر فما التَّأخير عنهُ صوابُ :

شواءٌ وشمَّامٌ وشهْدٌ وشادنٌ ... وشمعٌ وشادٍ مُطربٌ وشرابُ !

وقول الآخـــر :

عجِّل إليَّ فعندي سبعةٌ كمُلَتْ ... وليس فيها من اللَّذاتِ أعْوانُ :

طارٌ وطِبلٌ وطُنبورٌ وطاسُ طِلا ... وطَفْلَةٌ وطَباهيجٌ وطَنَّـانُ

وقولـــه :

جاء الخريفُ وعندي مِن حَوائِجهِ ... سبعٌ بهنَّ قوامُ السَّمعِ والبصَرِ :

مَوزٌ ومَنٌّ ومحْبوبٌ ومائِدةٌ ... ومُسمِعٌ ومُدامٌ طيِّبٌ ومَرِي

وقول الصفدي

إذا تبيَّن لي في مِصْرٍ واجْتمعَت ... سبعٌ فإنِّيَ في اللَّذَّات سُلْطانُ :

خِدرٌ وخمرٌ وخاتونٌ وخادمُها ... وخِلسةٌ وخلاعـــاتٌ وخِلاَّنُ

وقولـــه :

ثمانيةٌ إن يسمَحِ الدَّهر لي بها ... فليس عليها بعد ذلكَ مطْلوبُ :

مقامٌ ومشروبٌ ومزْحٌ ومأكَلٌ ... ومله ومَشْمُومٌ ومالٌ ومحبوبُ

وقولـــه :

إلى متى أنا لا أنـفكُّ في بلدٍ ... رهينَ جيماتِ جورٍ كُلُّها عطبُ :
الجوعُ والجريُ والجيرانُ والجُدري ... والجهْلُ والجُبنُ والجُرذانُ والجربُ ؟

وقول الآخـــر :

إذا كان في اسم المرء شينٌ هَوَتْ بهِ ... إلى الشَّرِّ فليحذر أذاهُ المُحاذِرُ :
شريفٌ وشيعِيٌّ وشيخٌ وشاهدٌ ... وشِمرٌ وشرِّيبٌ وشرحٌ وشاعرُ
سوى الشافعي أو شاهد راق حسنه ... كذا الشهداء المتقون وشاكر

وهذه الأشعار، كما ترى، الكثير من أصحابها يقصد الى إحراز غرض ويفوته أغراض، فتجده إذا وفى بذلك الغرض تعلَّل به ولم يتحرَّز عن اللفظ الخسيس، ولا عن المقصد السقيم، ولا عن التركيب المختلّ، والسبك الركيك، والحشو، وغير ذلك ممَّا ينبىء أنَّ قائله متكلِّفٌ، رازِمُ العارضة، ليّن الجلدة، غير مطبوع.

وقال أعرابي يهجو قومًا من طيِّئ :

ولمَّا أن رأيتُ بني خَريقٍ ... جُلوسًا ليس بينهُمُ جليسُ
يئستُ من التي أقبَلتُ أبغي ... لديهـــم إنَّني رجُلٌ يؤوسُ
إذا ما قلتُ : أيُّهُمُ لأيّ ... تشابهَتِ المناكبُ والرُّؤوسُ !

قوله : ليس بينهُمُ جَليسُ، أي لا ينتجع النَّاس معروفهم، فليس فيهم غيرهم، وهذا من أقبح الهجو .

وقال أبو بكر الخوارزمي :

يا من يُحاولُ صِرفَ الرَّاحِ يشربُها ... ولا يفُكُّ لما يلْقاهُ قرطاسا
الكأسُ والكِيسُ لم يُقْضَ امتلاؤهُما ... ففرِّغِ الكيسَ حتَّى تملأ الكَاسَا !

وقال عمرو بنُ مَعْدِيكَرِب :

أتوُعِدُني كأنَّكَ ذو رُعَيْنٍ ... بأنْعَمِ عيشَةٍ أو ذو نُواسِ ؟
فَلا تفخَر بمُلكِكَ، كُلُّ مُلْكٍ ... يصيرُ لِذلَّةٍ بعد الشماسِ !

ولنكتف بهذا القدر من هذا الباب ! واللّه يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

باب الشين المعجمة

أشْأمُ من البَسُوس .

الشُّؤْمُ ضدّ اليُمْن، شَؤُمَ الرجل - بالضمّ - على قومه، وشُئم عليهم - بالبناء للمجهول -: صار شُؤمًا عليهم، وهو مَشْؤوم ومَشُوم، والجمع مَشَائِيمُ . قال الشاعر:

مشائيمُ ليسوا مُصْلحينَ عشيرةً ولا ناعِبٍ إلاّ بِبينٍ غُرابُها[1]

وشَأَمَهُمْ، وشَأمَ عَليهِم - بالفتح فيهما - فهو شائم ؛ والبَسُوسُ - بالفتح - النَّاقة لا تدرّ إلاّ بالابساس، أي التلطّف بها بأن يقال لها : بَسْ، بَسْ !، كما مرّ. والبسوس أيضا امرأة مشومة، وهي المضروب بها المثل.

وكانت هذه المرأة أُعطي زوجها ثلاث دعوات مستجابات، فقالت له : اجعل لي واحدة منهنّ ! قال : نعم، فما تريدين ؟ قالت : ادع اللّه أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل ! ففعل، فرغبت عنه وهمّت بسيئٍ، فدعا اللّه أن يجعلها كلبة نبّاحة . فجاءه بنوها وقالوا : ما لنا على هذا من قرار يعيرنا بها النّاس، فادع اللّه أن يردّها إلى حالها ! فدعا لها فذهبت الدعوات كلّها بشؤمها.

أشْأمُ مِنْ بَنِي بَسُوس .

ويقال أشْأمُ مِنَ البَسُوسِ . البَسُوسُ أيضا اسم امرأة من العرب، وهي خالة جسّاس بن مرّة . وكان لمرّة هذا عشرة من الولد، منهم جسّاس، ونضلة، والحارث، وهمّام. بنو مرّة، وهم من بني بكر بن وائل. وكان كليْب بن ربيعة التغلبي من العزّة والشرف في وائل بالمحلّ الذي لم يُدرك. وكان تحت كليب جليلة بنت مرّة، أخت جسّاس. وكان لكليب حمًى حماه لا يقربه أحد. ثم إن جسّاسا جاءته خالته البسوس فنزلت عليه،

---

1) في د : مشائم . وفي الصحاح (مادة شأم) : ولا ناعبٍ إلاّ بِشُؤْمٍ غرابُها.
وقال في هامشه إن البيت للأحوص اليربوعي.

وكان لها ابن، وناقة يقال لها سراب بفصيلها. فدخلت سراب حمى كليب، فوجدها فيه، وقد كسرت بيض حُمَّر قد أجارها. فرماها بسهم فأصاب ضرعها. ويقال إنَّه سأل عن النَّاقة فقيل له إنَّها لخالة جسَّاس، فقال : أو يبلغ من قدره أن يجير دون إذني ؟ وكان لا يجير أحد إلاَّ بإذن كليب. فقال : يا غلام، ارم ضرعها ! فرماه بسهم وقتل فصيلها ونفى إبل جسَّاس عن المياه وطردها على شُبَيْثٍ والأحص، وهما ماءان، حتى بلغ غدير الذنائب. فجاء جسَّاس فقال: نفيت عن المياه مالي حتى كدت تهلكه! فقال كليب: إنا للمياه شاغلون. فقال : هذا كفعلك بناقة خالتي وفصيلها؟ فقال: أوقد ذكرتها؟ أما إنّي لو وجدتها في إبل مرَّة استحللت تلك الابل! فعطف عليه جساس فرسه فطعنه. فلما أحس بالموت قال : يا جسَّاس، اسقني ماء ! فقال : تجاوزت شُبَيْثاً والأحص ! وآحتزَّ رأسه وجاء مسرعا . فقالت أخته لأبيه : إنَّ جسَّاسا جاء خارجة ركبتاه . فقال : واللَّه ما خرجتا إلاَّ لأمر ! فلمَّا بلغه قال : ما وراءك ؟ قال : طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصا ! قال : قتلت كليبا ؟ قال : نعم ! قال : وددت أنَّك وإخوتك متُم قبل هذا ! ما بنا إلاَّ أن تتشاءمنا وائل ! ثمَّ لقيه أخوه نضلة فقال :

وإنّي قد جَنيت عليكَ حربًا تُغِصُّ الشَّيخَ بالماءِ القراحِ

فأجابه نضلة :

فإن تَكُ قد جَنيتَ عليَّ حربًا فلا وانٍ ولا رَثُّ السِّلاحِ

وكان أخوه همام قد آخى مهلهلا، أخا كليب، وعاهده ألاَّ يكتمه شيئا . فجاءته أمة له وعنده مهلهل، فأسرَّت إليه الخبر . فقال مهلهل : ما قالت ؟ فلم يخبره، فذكَّره العهد فقال: أُخبرت أنَّ جسَّاسا قتل أخاك كليبا . فقال : است أخيك أضيق من ذلك ! فقام مهلهل في ثأر أخيه، واجتمعت أشراف تغلب وأتوا مرَّة فتكلَّموا في القصاص من جسَّاس وإخوته . فذهب مرَّة إلى الدّية، فغضبت تغلب ووقعت الحرب بينهم أربعين سنة حتَّى ضربت بها العرب المثل في الشؤم والشدَّة . وهي التي يقال لها حرب البسوس . وكان جملة ما وقع بينهم فيها خمس وقائع عظام، أولاها يوم عُنَيْزَة، وهو المذكور في قصيدة مهلهل الرائيَّة المشهورة، حيث قال :

كأنَّا غُدْوَةً وبَنِي أبينَا ببَطْنِ عُنَيْزَةٍ رَحَيا مُديرِ

وآخرها قتل جسّاس بن مرّة . وكان سبب قتله أنّ نساء تغلب، لمّا اجتمعن للمأتم على كليب، قلن لأخت كليب : رحّلي جليلة عن مأتمك، فإنّ قيامها عار علينا وشماتة بنا ! فقالت لها : اخرجي ياهذه عن مأتمنا، فإنّك شقيقة قاتلنا ! فرحلت وهي حامل . فولدت غلاما وسمّته هجرسا، وربّاه جسّاس، فكان لا يعرف أبا غيره، فزوّجه ابنته . فوقع يوما بينه وبين بكريّ كلام، فقال البكريّ : ما أنت بمنتهٍ حتّى ألحقك بأبيك ![2] فأمسك عنه ودخل إلى أمّه فسألها فأخبرته الخبر . فلمّا أوى الى فراشه، وضع أنفه بين ثديي زوجته وتنفّس تنفسة نفط ما بين ثدييها من حرارتها . فقامت الجارية فزعة ودخلت إلى أبيها فأخبرته، فقال : ثائر، وربّ الكعبة ! فلمّا أصبح أرسل الى الهجرس فأتاه فقال : إنّما أنت ولدي ومعي، وقد كانت الحرب في أبيك زمنا طويلا حتّى تفانينا، وقد اصطلحنا الآن . فانطلق معي حتّى نأخذ عليك ما أُخذ علينا ! فقال : نعم، ولكن مثلي لا يأتي قومه إلاّ بسلاحه ! فأتيا جماعة من قومهما، فقصّ عليهم جسّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية، ثمّ قال : وهذا ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه . فلمّا قربوا الدم، أخذ بوسط رمحه وقال : وفرسي وأذنيه، ورمحي ونصليه، وسيفي وغراريه، ودرعي وزرّيه ! لا يترك الرجلُ قاتلَ أبيه وهو ينظر إليه . ثمّ طعن جسّاسا فقتله ولحق بقومه . فكان آخر قتيل منهم .

وفي هذه القصّة اضطراب كغيرها من الحكايات الجاهليّة .

أشْأمُ من خَوْتَعَة .

خَوتَعَةُ - بالتاء المثنّاة، على مثال جَوهَرَة - هو رجل من بني عقيلة، دلّ كُنَيْفَ بنَ عمرو التغلبي وأصحابه على بني الزّبّانِ الذهلي لِتِرَةٍ كانت لهم في عمرو بن الزبّان، فقتلوهم . وتقدّم شرح القصّة وما يعرف به وجه الشؤم في حرف الهمزة .

أشْأمُ منَ الأخْيَلِ .

الأخْيَلُ هو الشّقْراقُ، وقيل طائر آخر، وهو مشؤوم، وجمعه خِيل" - بكسر الخاء -

2) في د: حتى ألحقنك بأبيك.

أشْأمُ مِنَ دَاحِسٍ .

دَاحِس ـ بوزن فَاعِل ـ فرس لقيس بن زهير، وعليه وقعت المسابقة بينه وبين ابني حذيفة، حتَّى هاجت الحرب بذلك بين عبس وذبيان أربعين سنة . ويقال لهذه الحرب حرب داحس . وتقدَّم تفسير القصَّة في حرف التَّاء.

أشْأمُ منَ الدُّهَيْمِ .

الدُّهَيْمُ ـ بوزن الزُّبَيْر ـ الدَّاهية ؛ والدُّهيم أيضا : الأحمق ؛ والدُّهيم أيضا : ناقة عمرو بن الزَّبان الذهلي، قُتل هو وإخوته وحُملت رؤوسهم عليها وقالوا : أشْأمُ من الدهيم . وتقدَّم أنَّ خوتعة هو الذي دلَّ عليهم . والقصَّة في حرف الهمزة.

وذكر أبو عبيد أنَّ هذا هو الأصل في إطلاق الدهيم على الداهية.

وذكر البكري أيضا هذه القصَّة فقال : كان من خبر الدُّهيم أنَّ مالك بن كومة الشَّيْباني لقي كُنَيْفَ بن عمرو، وكان مالك نحيفا وكان كُنَيْفٌ ضخمًا . فلمَّا أراد مالك أسر كنيف اقتحم كنيف عن فرسه لينزل إليه مالك فيبطش به. فأوجَرَه مالك السنان وقال : واللَّه لتستاسرن أو لأقتلنك. فأدركهما عمرو بن الزَّبَّان، فآختصما فيه هو ومالك فقالا: قد حكَّمنا كُنَيْفا . فقال : من أسرك يا كنيف ؟ فقال : واللَّه لولا مالك لكنت في أهلي ! فلطمه عمرو بن الزبان، فغضب مالك وقال : أتلطم أسيري ؟ ثمَّ قال : إنَّ فداءك يا كنيف مائة ناقة، وقد وهبتها لك بلطمة عمرو وجهك ! فجزَّ ناصيته وأطلقه. ولم يزل كنيف يطلب عمرو بن الزبان باللَّطمة حتَّى دلَّه عليه رجل من عقيلة وقد نَدَّ لهم إبل. فخرج عمرو وإخوته في طلبها وأدركها وذبحوا حُوارا واشتووه وجعلوا يأكلون. فَغَشِيَهم كنيف في ضعف عددهم. فلمَّا كشَّر كنيف عن وجهه قال له عمرو : يا كنيف، إنَّ في خدِّي وفاء من خدِّك، وما في بكر بن وائل أكرم من خدِّي. فلا تشبَّ الحرب بيننا وبينك ! فقال : كلاَّ! أوْ أقتلك وأقتل إخوتك . فقتلهم وجعل رؤوسهم في مخال وعلَّقوها على ناقة لهم يقال لها الدُّهَيْم فجاءت النَّاقة الى الحيِّ، على نحو ما ذكرنا في الهمزة . فضُرب حملُ الدهيم مثلا في البلايا العظام.

أشْأمُ مِنْ سَراب .

سراب - بوزن قَطَام - هي ناقة البسوس، خالة جسَّاس بن مرَّة قاتل كليب، وبسببها وقعت حرب البسوس . فتشاءمت العرب بها، وتقدَّم آنفا شرح القصَّة . وهذا المثل هو المحفوظ في هذه القصَّة .

وأمَّا قولنا أوَّلا : أشْأمُ منْ بنِي بَسُوسٍ، [فهو على ما وقع في كلام بعض الأدباء وليس بجيّد، لأنَّ المتشاءم به هو إمَّا البسوس][3] نفسها لا بنوها، وإمَّا ناقتها سراب كما هنا . ولو قيل : أشْأمُ من بني مُرَّةَ، وهم جسَّاس وإخوته، لكان أيضا صحيحا، كما قال مرَّة لجسَّاس حين قتل كليبا، : ما بنا إلاَّ أن تتشاء منا أشياخ وائل ! وتقدَّم هذا كلّه .

أشْأمُ من الشَّقْراءِ .

الشَّقْراءُ مؤنَّث أشْقَر، وهي هنا علَم فرس شيطان بن لاطم، قَتلت وقُتل صاحبها، فقالوا : أشْأمُ من الشَّقْراءِ . وفيها كلام تقدَّم في الهمزة .

أشْأمُ منْ طُوَيْسٍ .

طُويْس - على مثال زُبَيْر - مخنَّث كان بالمدينة وكان اسمه طاووسا . فلمَّا تخنَّث سمّي طُويْسا، وهو مصغَّره - بحذف الزوائد -، ويُكنَّى أبا عبدالنَّعيم . ويقال إنَّه أوَّل من غنَّى في الاسلام . وكان يقول : إنَّ أمّي كانت تمشي بالنَّمائم بين نساء الأنصار، فولدتني في الليلة التي توفي فيها رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، وفطمتني يوم مات أبو بكر، وبلغتُ الحلم يوم مات عمر، وتزوَّجت يوم قتل عثمان، وولد لي يوم قتل عليّ . فمن مثلي ؟ ويقال إنَّه قال : يا أهل المدينة، توقّوا الدجَّال ما دمت بين أظهركم، فإذا متُّ فقد أمنتم، لأنّي ولدت في الليلة التي توفّي فيها رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، إلخ ما مرَّ . وكان يقول في نفسه : أنا أبو عبد النعيم، أنا طاووس الجحيم، أنا أشأم مَن يمشي على ظهر الحَطيم، الى غير ذلك ممَّا لا نطول به من أخباره.

---

3) سقط ما بين معقوفتين من ب.

أشْأمُ من عِطْرِ مَنْشِمٍ .

العِطْرُ ـ بالكسر ـ معروف، وتقدَّم في حرف الباء ؛ ومَنْشِم ـ على مثال مَجْلِس ـ امرأة كانت بمكَّة عطَّارة، وهي بنت الوجيه . وكانت خزاعة وجرهم إذا اقتتلوا تطيَّبوا من عطرها . فكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى، فقالوا : أشْأمُ مِن عِطْرِ مَنْشِم .

وقال زهير بن أبي سُلمى :

تداركْتُما عبْسًا وذُبيانَ بعدما تفانَوْا ودقّوا بينهم عِطْرَ مَنشِمِ

والمنشَمِ أيضا ـ بكسر الشين وفتحها ـ عطر صعب الدقّ، وقيل هو قرون السنبل سمّ ساعة، وحمل عليه بيت زهير المذكور .

أشْأمُ من غُرابِ البَيْنِ .

غراب البين قيل هو الأحمر المنقار والرجليْن من الغربان، وقيل الأبقع منها، وهو الذي في صدره بياض . قال عنترة :

ضَعنَ الَّذينَ فراقُهُم أتَوَقَّعُ وجَرى بِبَينِهِمُ الغُرابُ الأبْقَعُ

وإنَّما قال ذلك لأنَّه سمع نعيبه قبل رحيلهم فتشاءم به، والعرب تتشاءم به . وسمَّوه غراب بَيْن، لأنَّه بَانَ عن نوح عليه السلام لمَّا وجَّهه لينظر إلى الماء، فذهب ولم يرجع ولذلك تشاءموا به . وقيل لأنَّه ينعب في منازلهم إذا بانوا عنها، وينزل في مواضع إقامتهم إذا ارتحلوا منها . فلمَّا كان يوجد عند بينونتهم اشتقّوا له اسما من البينونة وتشاءموا به لإنذاره بالبين وإعلامه بالفرقة، كما تقدَّم من كلام عنترة . وعلى هذا، كلّ غراب فهو غراب البين. وقد قيل إنَّما اشتقَّت الغربة والاغتراب والغريب من الغراب، وأهل الزجر يلمحون ذلك ويتطيَّرون به، كما قال قائلهم :

وصاح غُرابٌ فوق أعوادِ بانةٍ بأخبارِ أحبابي فقسَّمني الفِكْرُ

فقلتُ : غرابُ لِاغْتِرابٍ وبانةٌ بِبينِ النَّوى تلكَ العِيافةُ والزَّجْرُ

وهبَّتْ جنوبٌ باجْتنابيَ منهُمُ وهاجَتْ صبًا قلت : الصَّبابةُ والهجرا!

وقال الامام المقدسيّ، في وصف غراب البين : هو غراب أسود ينوح نوح الحزين

المصاب، وينعق بين الخلاّن والأحباب، إن رأى شملا مجتمعا أنذر بشتاته، وإن شاهد ربعًا عامرا أنذر بخرابه ودروس عرصاته، يُعرّف النازل والساكن، بخراب الدور والمساكن، ويحذرُ الآكل غصّة المآكل،ويبشّر الراحل بقرب المراحل، ينعق بصوت فيه تحزين، كما يصيح بالتأذين . وأنشد، على لسان حاله :

أنوحُ على ذهابِ العُمرِ منّي وحقّ أن أنوحَ وأن أنادِي
وأنْدبُ كُلّما عايَنْتُ ربْعًا حدا بهِمُ لوشْكِ البينِ حادِي

وتقدّم تمام هذه القصيدة في الدّال .

أشْأمُ مِنْ قُدَارٍ .

قُدار - بالقاف والدّال المهملة، على مثال غُراب - هو قُدار بن سالف، عاقر النّاقة، والقُدار : الجزّار . وقد قيل إنّ قُدارًا هذا كان جزّارا.

وقد يقال في المثل : **أشْأمُ من أحْمَرِ ثَمُودَ** ، وهو قُدار المذكور . قال زهير :

فتُنتَجْ لكُم غِلمانَ أشْأمَ كلُّهُم كأحْمَرِ عادٍ ثمّ ترضِع فتفْطمِ

قيل : أراد «أحمر ثمود» فغلط . وقيل إنّ ثمود من عاد، وكان من خبره في عقر النّاقة، على اختصار، أنّ ثمودا كانت تبني على طول أعمارها،فاتّخذوا من الجبال بيوتا يسكنونها في الشتاء، كما قال اللّه تعالى ، وبَنَوْا قُصُورًا يَسْكُنُونَها في الصَّيْفِ . فلمّا بعث اللّه إليهم صالحا على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، قال له زعيمهم : إن كنت صادقا فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة على صفة كيت وكيت ! فأتى الصخرة، فتمخّضت كالحامل، وانشقّت عن النّاقة، ثمّ تلاها سقبها . فآمن به كثير منهم . فكان شربها يوما وشربهم يوما . فإذا كان يوم شربها حلبوها فملؤوا من لبنها كلّ إناء ووعاء . فلمّا امتنعت إبلُهم من الماء، في يوم شربها، استثقلوها . وكان فيهم امرأتان : عنزة وصدوق، بذلتا أنفسهما لقُدار، على أن يعقر الناقة . وكان قُدار أشقر أزرق قصيرا . وكان له صديق يعينه على الفساد في الأرض، وكانا في تسعة من أهل الفساد . فضرب قُدار عرقوبها بسيفه، وضرب صاحبه العرقوب الآخر، واستهموا لحمها . فخرجت ثمود تعتذر الى صالح وتزعم أنّها لا ذنب لها .

فقال : انظروا هل تدركون فصيلها، فعسى أن يرفع عنكم العذاب ! فالتمسوه، فصعد الى جبل يقال له الغارة، وطال الجبل به في السماء حتّى ما تناله الطير وبكى . ثمّ استقبلهم ورغا ثلاثا . فقال صالح : دعوة أجلها ذاك **تَمَتَّعُوا في دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أيَّامٍ . ذلِكَ وعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوب** ! وآية ذلك أن تصبح وجوههم في اليوم الأوّل مصفرّة، وفي الثّاني محمرّة، وفي الثالث مسودّة . فلمّا رأوا صدقه في أوّل يوم أرادوا قتله، فمنع منهم . فلمّا رأوا صدقه في الثالث تجمّلوا وتكفّنوا وبكوا وضجّوا، وجعلوا ينظرون من أين يأتيهم . فصبحتهم في اليوم الرابع صيحة من السماء قطعت قلوبهم في صدورهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين . فعقروها يوم الأربعاء وأصيبوا يوم الأحد .

قيل : وإنّما أصيبوا والمذنب بعضهم، لأنّهم رضوا فعله، أي فصاروا كلّهم مذنبين بذلك . وبلدهم بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشيّ . وقد مرّ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم بقريتهم ونهى الناس عن دخولها . ولمّا رأى صالح أنّها دار سخط ارتحل بمن معه إلى مكّة . فلم يزالوا بها حتّى توفّاهم اللّه تعالى . قيل : وقبورهم في غربي البيت، بين دار الندوة والحجر . وقال الشاعر :

كانت ثمودُ ذوي عِزٍّ ومكْرُمةٍ ... ما إن يُضامُ لهم في النّاس من جَارِ
فأهلكُوا ناقَةً كانت لربِّهِمُ ... قد أنْذروها فكانوا غيرَ أبْرارِ

وقال الآخر في المثل المذكور :

وكان أضرَّ فيهم من سُهَيلٍ ... إذا أوفى وأشْأمَ من قُدارِ

ومراد هذا الشاعر، بصدر البيت، ما يزعمون من أنّ أكثر موت البهائم يكون عند طلوع سهيل . قال أبو الطيّب :

وتُنكِرِ موتَهُم وأنا سُهيلٌ ... طلعْتُ بموتِ أولاد الزِّناءِ

وقال أبو العلاء :

لا تحْسبي إبلي سُهَيلاً طالعًا ... بالشّامِ فالمرئِيُّ شُعلَةُ قابِسِ

بل وغير البهائم أيضا، كما قال الأوّل :

بال سهيل في الفضيخ ففسد

أشْأمُ من قَاشِرٍ .

قاشِر ـ بالقاف والشين المعجمة، على وزن صاحِب ـ قال الجوهريّ : هو فحل كان لبني عُوَافَة بن سعد بن زَيْد مَناة بن تميم . وكانت لقومه إبلٌ تُذْكِر . فاستطرقوه رجاء أن تُؤنِثَ، فماتت الابل والنسل . وقال الحريري : هو فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد ابن مناة، ما طرق إبلاً إلاّ ماتت .

وقيل : المراد به العامُ المُجدب . وسمّي قاشرا لقشره وجه الأرض من النبات . انتهى .

قلت : والمعروف في اللغة أنّ العام المجدب يقال له القاشور، وسنة قاشورة . قال الراجز :

وابعَثْ عليهم سَنَةً قاشورَهْ تحْتلِقُ المالَ احْتلاقَ النُّوَرَهْ !

والقاشور أيضا : المشؤوم . ويقال : قشرهم إذا شأمهم.

شَبَّ عَمْرٌو عَنِ الطَّوقِ .

الشَّبابُ : الفتاءُ، يقال : شَبَّ الغلام يَشِبُّ شَبَابًا ؛ وعَمرٌو هو ابن عديّ بن نصر اللخميّ، ابن أخت جَذيمة، أوّل ملوك لخم بالحيرة، بعد خاله جذيمة، كما تقدّم ذلك في قتله للزبّاء ؛ والطَّوقُ ـ بالفتح ـ حليّ يجعل للعنق، وكلّ ما استدار بالشيء.

وكان من خبر عمرو في الطوق أنّ جَذيمة بلغه أنّ غلاما من لخم يقال له عَدِيّ بن نصر عند أخواله من إيَادٍ غاية في الظرف والأدب . وكان جذيمة قد أغار على إياد، فسرقت إياد ضميْنِ كانا لجذيمة مشهوريْن . ثمّ عاهدوه على أن يردّوا إليه ضَميْه وأن لا يغزوهم أبدا، في قصّة مشهورة . فشرط عليهم[4] أن يبعثوا مع الضمين بالغلام الموصوف . فلمّا انتهى إليه ولاّه مجلسه وكاسه والقيام على رأسه . فتعشّقته رقَاشِ بنتُ مالك، أخت جذيمة فقالت له : يا عديّ، إذا سقيتهم فامزج لهم وعَرِّقْ للملك ! ـ أي امزجْ له قليلا كالمعرُوق ـ فإذا أخذتْ منه الخمر فاخطبني له وأشهد الجماعة ! ففعل الغلام، وزوّجه جذيمة، وأشهد عليه . فانطلق إليها وعرّفها . فعلمت أنّه سينكر إذا أفاق، فقالت له : ادخل بأهلك ! فبات عدِيٌّ مُعْرِساً بها، وأصبح في ثياب جدد . ودخل على جذيمة فقال :

---

4) في ب : فشرطوا له

ما هذه الآثار، يا عدي ؟ قال : آثار العرس . قال : أي عرس ؟ قال : عُرسُ رقَاشِ . فنخر جذيمة وأكبَّ لوجهه غضبا . فهرب عديٌّ ولحق بقومه، وبقي هناك حتَّى مات .

وقيل : بل أدركه جذيمة فقتله وبعث الى أخته رقاش يقول :

حدِّثيني وأنت لا تَكْذبيني أبِحُرٍّ زنيتِ أم بِهَجينِ ؟
أم بعبدٍ فأنتِ أهلٌ لعبدٍ أم بدونٍ فأنتِ أهلٌ لِدونِ ؟

فقالت له : زوَّجتني كفؤًا كريما من أبناء الملوك ! وقالت تجيبه :

أنت زوَّجتني وما كُنتُ أدري وأتاني النِّساءُ للتَّزيينِ
ذاك من شُربِك المُدامَةَ صِرفًا وتماديكَ في الصِّبا والمُجونِ !

ثمَّ إنَّه جعلها في قصره، فاشتملت على حمل، فولدت وسمَّته عمرًا ورشحته . فلمَّا ترعرع حلَّته وعطَّرته و ألبسته كسوة فاخرة وأزارته خاله . فأعجب به وألقيت عليه منه محبَّة وقيل تبنَّاه، وكان لا يولد له . وخرج جذيمة في عام مخصب وبسط له في روضة، وخرج عمرو بن عدي في غلمة يجتنون الكمأة، فكان منهم من وجد طيبةً أكلها، وعمرو إذا أصابها خبَّأها . ثمَّ أقبلوا يسرعون، وعمرو يقدمهم وهو يقول :

هذا جنايَ وخِيارُهُ فيهِ إذ كُلُّ جانٍ يدهُ إلى فيهِ !

فالتزمه جذيمة وحباه .

ثمَّ إنَّ الجنَّ استهوت عمراً، ففقد فطلبه جذيمة في آفاق الأرض، فلم يسمع له خبرا حتَّى أقبل رجلان من بلقين وهما مالك وعقيل، ابنا فالج من الشام يريدان الملك بهديَّة ومعهما قينة يقال لها أم عمرو . فبينما هما على ماء، وقد هيَّأت لهما القينة طعاما وجعلا يأكلان، إذ أقبل رجل اشعث الرأس قد طالت أظفاره وساءت حاله . فناولته القينة طعاما وسقت صاحبيها . فقال عمرو : اسقيني ! فقالت : **لا تُطْعِمِ العَبْدَ الكُرَاعَ، فَيَطْمَعَ في الذَّرَاعِ** ! وأوكأت سقاءها . فقال عمرو :

صددتِ الكأسَ عنَّا أُمَّ عمرٍو وكان الكأسُ مجْراها اليمينا
وما شَرُّ الثَّلاثةِ أُمَّ عَمرٍو بصاحِبِكِ الَّذي لا تَصْحَبينا !

فقالا له : من أنت يافتى ؟ فقال : أنا عمرو بن عدي . فأخذاه وغسلا رأسه وقلما أظفاره وأخذا من شعره وقالا : ما كنَّا لنهدي إلى الملك هديَّة هي عنده أنفس ولا هو عليها أكثر

صفدا من ابن أخته ! وحملاه معهما حتّى بلّغاه جذيمة . فسرّ به سرورا شديدا وصرفه الى أمّه وقال : تمنّيا عليّ ! فقالا : منادمتك، ما بقيت وما بقينا . فنادمهما . ويقال إنّهما أقاما في منادمته أربعين سنة يحدّثانه، فما أعادا عليه حديثا . وهما ندمانا جذيمة المشهوران المضروب بهما المثل في شدّة الألفة والمصاحبة، في قول أبي خِراش :

تقول : أراهُ بعد عُروةَ لا هيًا ... وذلك زُرءٌ لو علمْتِ جَليلُ
فلا تحسبي أن قد تناسيتُ عهْدهُ ... ولكنّ صبْري يا أُمَيمَ جميلُ
ألم تعلمي أن قَد تفرّق قبلَنا ... نديما صفاءٍ : مالِكٌ وعقيلُ ؟

وفي قول مُتَمِّم بن نُويْرةَ يرثي أخاه مالكًا :

وكُنّا كنَدمانَيْ جَذيمةَ حِقبةً ... من الدّهر حتّى قيل : لن يتصدّعا
فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكًا ... لطول اجتماعٍ لم نبِتْ ليلةً معا !

وفي قول بعض المحدثين :

نحن كُنّا في التّصافي ... مثْلَ نَدمانَيْ جَذيمَهْ
فأتَى الصّرمُ بيومٍ ... دونَهُ يومُ حَليمَهْ
تقْدحُ الأيّامُ حتّى ... في المودّاتِ القديمَهْ

وكان قبل ذلك جذيمة لا ينادم أحدا، زهوًا وكبرًا، ويقول: هو أعظم من أن ينادم إلاّ الفرقديْن ! فكان يشرب كأسا ويريق للفرقدين كأسا . ثمّ إنّ رقَاشِ أخذت ابنها عمراً وأدخلته الحمّام . فلمّا خرج ألبسته من فاخر ثياب الملك وجعلت في عنقه طوقا من ذهب كان له، وأمرته بزيارة خاله . فلمّا رأى جذيمة لحيته، والطوق في عنقه، قال : شَبّ عَمْرٌو عن الطّوقِ ! وقيل إنّها لمّا أرادت أن تعيد الطوق في عنقه قال لها جذيمة : كَبُرُ عَمْرٌو عن الطّوقِ ! فذهبت مثلا يُضرب لسلابس ما دون قدره .

أشْبَهُ [من] الغُرابِ بالغُرابِ .

الشّبْهُ - بالكسر -، والشّبَهُ - بفتحتين -، والشّبيهُ : المِثْلُ، جمعه أشْباهٌ ؛ وشَابَهَهُ، وأشْبَهَهُ : ما ثَلَهُ ؛ واشْتَبَهَا وتَشَابَهَا : تَمَاثَلاَ ؛ وشَبّهْتُهُ إيّاه وبه تشبيها - مَثّلْتُهُ - ؛ والغراب تقدّم . ولمّا كانت الغربان غالبا على صفة واحدة

ولون واحد، وحصل بينها تشابه مطرّد وتساوٍ متّفق، ضربوا بتساويها المثل فقالوا : فلانٌ أشبهُ بفلان من الغراب بالغراب .

ومنه قول الغُرابيّة، من المبتدعة، إنّ عليًا أشبه بالنبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم من الغراب بالغراب . وبدعتهم معروفة، تحاشينا عن تلويث الكتاب بها، لعنهم اللّه وأخلى منهم الأرض !

أشْبَهَ شَرْجٌ شَرْجًا لَو أنّ أُسَيْمِرًا .

الشَّبَهُ مرّ ؛ وشَرجٌ - بفتح الشين المعجمة وسكون الراء بعدها جيم - وادٍ باليمن ؛ والشَّرج أيضا مسيل الماء من الحرّة الى السهل مطلقًا، وله معانٍ أُخر . وأمّا الشَّرَجُ - بفتحتين - فهو مسيل الوادي ؛ وأسَيْمِرٌ تصغير أسْمُرٍ - بضمّ الميم -، والأسْمُرُ جمع سَمُرَة، وهو الشجر المعروف، يقال سمرة والجمع سَمُر وسَمُرات وأسْمُر، وتصغيره أُسَيْمِر .

وهذا المثل يُضرب في الشيئين يشتبهان ويفترقان . وكان أصله أنّ لقمان بن عاد قال للقيم بن لقمان : أقِمْ ها هنا حتّى أنطلق إلى الابل ! فنحر لقيمٌ جزورًا فأكلها ولم يخبّىء شيئا للقمان، فخاف لومه فحرق ما حوله من السُمُر الذي بهذا الوادي، وهو شَرْج، ليخفي ذلك المكان . فلمّا جاء لقمان، جعلت الابل تثير الجمر بأخفافها، فعرف لقمان ذلك المكان وأنكر ذهاب السُمُر منه، فقال حينئذ : أشْبَهَ شَرجٌ شَرْجًا لو أنّ أُسَيْمِرًا !

شتّى تَؤُوبُ الحَلَبَة .

الشَّتّى جمع شَتِيتٍ، وهو المتفرّق . وقال رؤبة يصف إبلا :

جاءتْ معًا وأطْرقَتْ شَتيتًا وهْيَ تُثِيرُ السَّاطِعَ السِّخْتيتا

والأوْبُ : الرجوع، يقال : آبَ يَؤُوبُ أوْبًا وإيابًا ؛ والحَلَبَةُ، جمع حَالِب وحَلْبُ النّاقةِ والشاةِ معروف.

والمعنى أنّهم إذا ذهبوا اجتمعوا، وإذا قضوا مآربهم رجعوا متفرّقين . ومضربه ظاهر .

أشْجَعُ من الدِّيكِ .

الشَّجاعَةُ معروفة، شَجُعَ الرجل ـ بالضمّ ـ فهو شُجاع ـ كغُراب ـ ؛ والديك معروف

يَشْجُّ مَرَّةً ويَأسُو أخْرَى .

الشَّجُّ معروف ؛ والأَسْوُ : المُداواةُ، أساهُ، يَأسُوهُ أَسْوًا : داواهُ، وآسَى بين القوم أصْلَحَ . فمعنى المثل أنَّه يُفسد أحيانًا ويُصلح أحيانًا . يُضرب لمن يصيب مرَّة ويخطىء أخرى، أو يضرّ مرَّة وينفعُ أخرى، ونحو ذلك . ونظمه صالح بن عبد القدّوس فقال :

قُل للَّذي لستُ أدري من تَلَوُّمِهِ : أناصِحٌ أم على غِشٍّ يُداجيني ؟
إنِّي لأكثرُ ممَّا سُمْتَني عجبًا يدٌ تشجُّ وأخْرى منكَ تأسُوني
لو كنت أعلم منكَ الوُدَّهان له عليَّ بعضُ الَّذي أصبحْتَ توليني
لا أسألُ النَّاس عمَّا في ضمائرهم ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني
أرضى عن المرءِ ما أصْفى مودَّتهُ وليسَ شيءٌ من البغضاء يُرضيني
لا أبتغي وُدَّ من يبغي مُقاطعتي ولا ألينُ لمن لا يبتغِي ليني

الشُّجاعُ مُوَقًّى،والجَبَانُ مُلَقًّى .

معناه أنَّ الشُّجاعَ، مع إقدامه وتعاطيه المهالك بنفسه، محفوظ غالبا، والجَبان، مع كثرة حِذره، هالك . قال البكري : وهذا كما رُوي عن أبي بكر وعن عليّ، رضي اللَّه عنهما : احْرِصْ على الموتِ تُوهَبْ لَكَ الحَياةُ !

وقال الشاعر :

نأخَّرتُ أسْتَبْقي الحياةَ فلَم أجِد لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدَّما

انتهى .

قلت : ومثله شاع اليوم في ألسنة العامَّة، يقولون : مَتَى طَلَبَ الرَّجُلُ الموتَ لَمْ يَجِدْ قَاتِلاً ؛ غير أنَّ ما ذكره البكريّ في بيت الحُصَيْنِ بنِ الحُمامِ المذكور

محتَـمَـل، وأظهر منه أن يريد بالحياة عند التقدّم ما يكتسبه من شرف الذكر الباقي بعده . فإنّ بقاء الاسم والذكر والمآثر والمفاخر حياة أنفع عند ذوي الهمم من حياة الجسم، مع سُبّة الفرار واللؤم . فكأنّه يقول : تأخّرت أستبقي حياة جسمي، فبدالي أنّ الحياة الأخرى أفضل لي . ولو كان على ما قاله البكري لم يكن لافتخاره محلّ، لأنّه إنّما يطلب الحياة بإقدامه ولم يُقْدِم شجاعةً ولقاءَ باس، فإقدامه كالفرار ولا فضيلة له، وهذا باطل . وقد قال بعد [هذا] البيت :

وليسَ على الادبَارِ تَدْمَى كُلُومُنا ولكن على أَقْدامنا تقْطُرُ الدِّما

وقول أبي الطّيب :

يرى الجُبَناءُ أنّ الجُبْنَ حَزْمٌ وتلكَ خديعَةُ الطَّبْعِ اللَّئيمِ

محتَـمَـل .

شَحْمَتِي في قَلْعِي .

الشَّحْمَةُ : القطعة من الشَّحْمِ، وهو معروف ؛ والقَلْعُ ـ بفتح القاف وسكون اللاّم، وتحرّك أيضا ـ شيء يجعل فيه الراعي زاده وأداته، يشبه الكِنْف ـ بكسر الكاف ـ، وهو وعاء أدوات الراعي . قال الراجز :

يا ليتَ أنّي وقُشامًا نلتقي وهْو على ظهْرِ البعيرِ الأورقِ

وانا فوق ذاتِ غربٍ خيْفَقِ ثمّ اتّقَى وأيّ عَصْرِ أتّقِي

بِعُلْبَةٍ وقَلْعِهِ المُعلّقِ

يضرب هذا المثل في الشيء يكون في ملكك وحوزك تتصرّف فيه كيف شئت، كما أنّ الشحمة إذا كانت في قلعك كذلك.

شُحَيْمَةٌ في حَلْقِي .

الشُحَيْمَةُ تصغير الشَّحْمَةِ، وتقدّم ؛ والحَلْقُ ـ بفتح الحاء المهملة ـ الحُلْقومُ . وهذا المثل ممّا وُضع على لسان الذئب . يقولون : قيل للذئب : ما رأيك في غنيمة ترعاها جُوَيْرِيَة ؟ قال : شُحَيْمَةٌ في حَلْقِي ـ يعني أنّها حاصلة بلا تعب،

وصغَّرها تقلّلاً واستسهالاً . قيل : فغنيمة يرعاها غُليم . قال شَعْرَاءُ في إبْطِي أخْشَى حَظَواتِهِ . الشَّعْراء ذباب أزرق له لدغ، يقع على الابل والدوابّ، والحَظَوات سِهامٌ صغار من قُضُب ليّنة، يتعلّم عليها الغلمان ؛ وكذلك الجُمَّاح، ولا نَصْلَ له . قال الشاعر :

أصابَتْ حَبَّةَ القَلبِ بِسَهْمٍ غَيْرِ جُمَّاحِ

شَحْمَةُ الرُّكَى.

شَحْمَةُ الرُّكَى ـ على وزن رُبَى ـ وهو الذي يذوب سريعًا . يُضرب لمن يعينك في الحاجات.

أشَدُّ مِنَ الفَرَسِ .

الشِّدَّةُ ـ بالكسر ـ اسم من الاشتداد.واشْتَدَّ الأمْرُ فهو مُشْتَدٌّ ؛ والفَرسُ معروف وتقدَّم .

أشَدُّ من الفِيلِ .

الفِيلُ ـ بالكسر ـ معروف .

أشَدُّ من الدَّلَمِ .

الدَّلَم ـ بفتحتين والدّال المهملة ـ شيء شبه الحيَّة يكون بالحجاز . وقيل نوع من القُراد .

اشْتَدِّي، زِيَمُ !

الاشتداد هنا العَدْوُ ؛ وزِيَمُ ـ بكسر الزاي وفتح الياء المثنّاة من تحت، بوزن عِنَبٍ ـ اسم فرس . وهذا في شعر للحطم القيسي،[5] يقول :

5) «كذا» وفي هامش الصحاح (مادة زيم) أنه رُشَيْد بن رُمَيْض العنزي

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتري زِيمْ[6]

وتمثَّل به الحجَّاج في خطبته الكوفيَّة .

قال أبو العبَّاس المبرد في **الكامل** : حدَّثني الثوريّ في إسناد ذكره آخرهُ عبد الملك ابن عمر الليثيّ قال : بينما نحن بالمسجد الجامع بالكوفة، وأهل الكوفة إذ ذاك في حال حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه، إذ أتانا آتٍ فقال : هذا الحجَّاج قد قدم أميرًا على العراق ! فإذا به قد دخل المسجد معتمًّا بعمامة قد غطَّى بها أكثر وجهه، متقلّدًا سيفًا، مُتَنَكِّبًا قوسًا، يؤمّ المنبر، فمكث ساعة لا يتكلَّم . فقال الناس بعضهم لبعض : قبَّح اللَّه بني أميَّة حيث تستعمل مثل هذا على العراق ! حتَّى قال عُمَيْر بنُ ضَابِىء البُرجُمي : ألا أحْصِبُهُ لكم ؟ فقالوا : أمهل حتَّى تنظر ! فلمَّا رأى عيون النَّاس إليه، حَسَرَ اللِّثامَ عن فيه ونهض فقال :

أنا ابنُ جَلا وطلاَّعُ الثَّنايا متى أضَعِ العمامةَ تَعْرِفوني !

ثمَّ قال : يا أهل الكوفة، إنِّي لأرى رؤوسًا قد أيْنَعَتْ وحان قطافُها، وإنِّي لصاحبُها، كأنِّي أنظر إلى الدماء بين العمائم واللِّحَى ! ثمَّ تمثَّل فقال :

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زِيَمْ قد لفَّهَا اللَّيلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ

ليس براعي إبِلٍ ولا غَنَمْ ولا بِجزَّارٍ على ظهْرِ وضَمْ

ثمَّ قال :

قد لفَّها اللَّيلُ بعَصْلبيّ[7] أرْوَعَ خَرَّاجٍ من الدَّوِيِّ

مُهَاجرٍ ليسَ بِأعْرابِيِّ

وقال :

قد شمَّرَت عن ساقِها فشُدُّوا وجدَّتِ الحربُ بكُمْ فجِدُّوا

والقوسُ فيها وتَرٌ عرِدٌ مثلُ ذراعِ البكْرِ أو أشَدُّ !

إي : واللَّه، يا أهل العراق، ما يُقَعْقَعُ لي بالشَّنان، ولا يُغْمَز جانبي كتَغْمَازِ التِّين . ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء، وفُتِّشْتُ عن تجربة . وإنَّ أمير المؤمنين نَثَر كِنَانَتَه

6) يروى أيضًا : هذا مكانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زِيَم

7) في **لسان العرب** : قد حسَّها الليلُ بعصْلَبِيٍّ.
ثم قال ا ن الذي في خطبة الحجاج هو : قد لفَّها....

فعجم عيدانها، فوجدني أمرَّها عُودا وأصلبَها مَكْسِرا، فرماكم بي، لأنَّكم طالما أوضعْتُم في الفتنة واضْطَجَعْتُم في مراقِدِ الضَّلال . واللَّه لأحْزِمنَّكم حَزْمَ السَّلمة، ولأضْربنّكُم ضَرْبَ غَرائِبِ الابِل ! فإنَّكم لكأهل قريةٍ كانت آمنةً مطمئنَّةً، يأتيها رزقُها رغَدا من كلّ مكان، فكفَرت بأنعم اللَّه، فأذاقَها اللَّهُ لباسَ الجوع والخوف . وإنّي، واللَّه، ما أقول إلاّ وفَيْت، ولا أهُمُّ إلاّ أمْضَيْت، ولا أخلف إلاّ فَريْت ! وإنَّ أمير المؤمنين أمرني بإعطائِكُم أعطياتِكُم، وأن أُوجّهكم إلى محاربة عدوّكم مع المُهَلَّبِ بن أبي صُفْرة، وإني أُقسم باللَّه لا أجِدُ رجلاً تخلَّف بعد أخذهِ عَطَاءَهُ بثلاثة أيّام إلاّ ضربتُ عُنُقَه ! يا غلام، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين !

فقرأ : بسم اللَّه الرحمن الرحيم، من عبد اللَّه عبد الملك، أمير المؤمنين، إلى مَنْ بالكوفة من المسلمين... فلم يقل أحدٌ منهم شيئا . فقال الحجّاج : اكْفُفْ ياغلام ! ثمَّ أقبل على النَّاس فقال : أسلَّم عليكم أمير المؤمنين، فلم تردّوا عليه شيئًا ؟ هذا أدبُ ابن لَهِيعَة ! أما واللَّه لأُؤدّبنَّكم غَيْرَ هذا الأدب، أو لَتَسْتَقِيمُنَّ ! اقرأ ياغلام كتاب أمير المؤمنين ! فلمَّا بلغ الى قوله : سلام عليكم ! لم يبق أحد في المسجد إلاّ وقال : على أمير المؤمنين السَّلام ! ثمَّ نزل فوضع للنَّاس أعطِيَاتِهم . فجعلوا يأخذون حتَّى أتاه شيخ يَرْعَشُ كِبَرا فقال : أيّها الأمير، إنّي من الضعف على ما ترى، ولي ابنٌ هو أقوى منّي على الأسْفار، أتَقَبَّلُه بدلاً منّي ؟ فقال له الحجّاج : نفعل، أيّها الشيخ ! فلمَّا ولَّى قال له قائل : أتدري من هذا، أيّها الأمير ؟ قال : لا . قال : هذا عُمَيْر بنُ ضَابىءٍ البُرجُمِيُّ الذي يقول :

هَمَمْتُ ولم أفعَل وكِدتُ وليتَني تركْتُ على عُثْمانَ تبكي حلائِلُهْ

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا، فوطىء بطنه، فكسر ضلعيْن من أضلاعه . فقال : ردّوه ! فقال له الحجّاج : أيّها الشيخ، هلاّ بعثت إلى أمير المؤمنين بدلاً يوم الدَّار، إنَّ في قتلك، أيّها الشيخ، لصلاحًا للمسلمين ! يا حرس، اضربا عنقه ! فجعل الرجل يَضِيقُ عليه أمرُه، فيرتحل ويأمر وليَّه أن يَلْحَقَه بزاده . وفي ذلك يقول عبد اللَّه بن الزبير الأسدي :

تجهَّزْ فإمَّا أن تَزورَ ابنَ ضابِىءٍ عُميرا وإمَّا أن تزورَ المُهَلَّبا

هُما خُطَّتا خَسْفٍ نجاؤُكَ منهُما رَكُوبُكَ حولِيًّا من الثَّلجِ أشْهَبَا
فأضْحى ولو كانت خُراسانُ دونَهُ رآها مكان السُّوق أو هي أقْرَبا !

وفي هذه القصَّة ألفاظ تخفى . فقوله : أنا ابنُ جلا، أي المنكشف الأمر، وهو لسحيم بن واثلة، وفيه كلام يأتي في حرف النون، إن شاء اللَّه تعالى.

وقوله : أرى رُؤوسًا قَد أيْنَعَتْ، أي أدْرَكَتْ، يقال : أينعت الثمرة إيناعًا ويَنَعَتْ أيضا يَنْعًا . قال تعالى : **انظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذا أثْمَرَ ويَنْعِهِ** .

وقال الشاعر في الفعل :

ولهـــا بالماطـــرون إذا اكل النمل الذي جمعا
خرفة حتى اذا ارتبعت ذكرت من جلق بيعا
في قِبابٍ حَولَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَها الزَّيْتونُ قد يَنَعا

وقوله : هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّي زيَمُ ! وهي فرس، كما مرَّ . وقال المبرّد : يعني فرسا أو ناقة .

وقوله : بِسَوَّاقٍ حُطَمٍ، الحُطَمُ : الذي لا يُبقي من السير شيئا، ويُهلك المال بذلك . ومنه قيل للنَّار التي لا تُبقي حُطَمَة.

وقوله : على ظَهْرٍ وضَم، والوضَمُ ـ بفتحتين ـ كلّ ما يُقطع عليه اللَّحم . وتقدَّم في التَّاء . قال الشاعر :

وفِتْيان صِدقٍ حِسانِ الوجُوهِ لا يجِدونَ لشيءٍ ألمّ
من آلِ المُغِيرةِ لا يَشْهَدُونَ عنْدَ المجازِرِ لَحْمَ الوضَمْ

وقوله : بِعَصْلَبِيّ، العَصْلَب ـ بالعين والصاد المهملتين، على مثال جَحْدَب؛ والعَصْلَبِيُّ ـ بياء النسبة ـ، والعُصْلُوبُ : القَوِيُّ، الشديد الخَلْق، العظيمُ ؛ وأروع، أي ذكيّ.

وقوله : خَرَّاج من الدَّوِّيّ، الدَّوُّ ـ بتشديد الواو ؛ والدّوى والدّاوية : الفلاة لا عَلَم فيها ولا أمارة . قال الحطيئة :

وأنَّى اهْتَدت والدَّوُّ بيني وبينها وما خِلْتُ ساري اللَّيلِ بالدَّوِّ يهتدي

يريد : بخروجه من الدَّوِّ أنْ يخرج من كل غمَّاء وشدَّة، على طريق التمثيل.

وقوله : وتَـرٌ عُـرُدٌ، أي شديدٌ . ويقال أيضا عُـرُنْـدٌ - بالنون -.

وقوله : ما يُـقَـعْـقَـعُ لي بالشِّنان، واحدتها شَـنٌّ - بالفتح -، ويقال أيضا شَـنَّـةٌ، وهي القِـربَـةُ البالية اليابسة، يُـقَـعْـقَـعُ بها فتنفِـر الابل من صوتها . وضرب ذلك مثلا لنفسه في الثَّبات . قال النَّابغة :

كأنَّـك من جِـمال بني أقيشٍ يُـقعقَـعُ بين رِجْليها بشنٍّ

وقوله : فُـررتُ عن ذكاء، الذَّكاء هنا تمام السنّ . ومنه قول ابن زهير : جَـرْيُ المُـذَكِّـيـاتِ غِـلاَب.

ويطلق الذكاء أيضا على حدَّة القلب . ومنه قول زهير بن أبي سُـلـمى :

يُـفَضِّـلُـهُ إذا اجتهَـدا عليها تمامُ السِّنِّ منهُ والذَّكـاءُ

وقوله : عَـجَـم عِـيدانَـها، أي مَـضَـغَـها ليعرف الأصلب . قال النَّابغة :

فظلَّ يعجُـم أعلى الرَّوقِ مُـنقبضًا في حالكِ اللَّون صَـدقٍ غير ذي أودِ

وقال علقمة :

سُلاءَةٌ كَـعَـصَـل النَّهْـديِّ غُـلَّ بها ذو فَـيْـئَـةٍ من نَـوَى قُـرَّانَ مَـعْـجُـومُ

وقوله : طالما أوضَـعْـتُـمْ، الايضاع : ضرب من السير.

وقول الاسدي :

فأضْـحَـى ولو كانت خُـراسانُ دونَـهُ

أي دون سفره، فإنَّـه يراها قريبة لخوفه وطاعته. وأمَّا قول ضابىء بن الحارث : هَـمَـمتُ ولم أفْـعَـل... (البيت)، فكان من قصَّته أنَّـه وجب عليه حبس وأدب عند عثمان، رضي اللَّـه عنه، فعثر عليه، فأحسن أدبه، فقال في ذلك :

وقائلةٍ : إن مات في السِّجْـنِ ضابىءٌ لنِـعْـمَ الفتى تخْـلو به وتُـواصلُـهْ !

وقائِـلةٍ : لا يَـبْـعُـدَن ذلكَ الفَـتى ولا تبْـعُـدَنْ أخْـلاقُـهُ وشَـمائِـلُـهْ !

وقائِـلةٍ : لا يُـبْـعِـدِ اللَّـهُ ضابِـئًـا إذا الخَـصْـمُ لم يوجَـد لهُ من يُـقاولُـهْ !

فَـلا تُـثْـبِـعيني إن هَـلَـكْـتُ مَـلامَـةً فليسَ بعَـارٍ قتْـلُ من لا أُقاتِـلُـهْ !

هَـمَـمتُ ولم أفعَـل... (البيت)

وما الفتْـكُ ما آمَـرْتَ فيه ولا الَّـذي تُـخبِّرُ من لا قيتَ أنَّـك فاعِـلُـهْ

ويُشْبِه ما وقع لابن ضابىء ما وقع لأبي شجرة السلميّ، وكان من فتّاك العرب . فأتى عمر بن الخطّاب، رضي اللّه عنه، ليحمله، فقال له عمر : ومن أنت ؟ قال : أنا أبو شجرة السلميّ . فقال له عمر : ألست القائل، حيث ارتددت :

وروَّيْتُ رُمْحي من كَتِيبَةِ خالِدٍ وإنِّي لأرجو بعدها أن أُعَمَّرا

وعارضْتُها شُهبًا تُخطِّر بالقنا ترى البيض في حافاتها والسَّنَوَّرا ؟

ثمّ أنحى عليه بالدِّرّة . فسعى إلى ناقته وحلّ عقالها وأقبل بها حرّة بني سليم بأحث سير هربًا من الدِّرّة وهو يقول :

قد ضنّ عنها أبو حفْصٍ بنائِلِه وكلُّ مُخْتبطٍ يومًا له وَرَقُ

فمال يضربُني حتّى خذيْتُ لَهُ وجالَ من دونِ بعضِ الرَّغْبةِ الشَّفَقُ

ثمّ التفتُّ إليها وهْيَ حانِيَةٌ مثلَ الرِّتاجِ إذا ما لزَّهُ الغلَقُ

في أبيات .

قوله : وكُلُّ مُخْتبِطٍ يومًا له ورقُ، أي كلّ مسؤول فله فضل يسديه، ونوال يوليه . وأصله في الشجرة أنّك تحْتبطها بعصا ونحوها، فيسقط ورقها . قال زهير :

وليس مانِعَ ذي قُربَى ولا رحِمٍ يومًا ولا مُعْدمٌ من خابطٍ ورقا

قوله : حتّى خَذَيْتُ لَهُ، يقال : خَذالَهُ، وخَذِيءَ لَهُ - بالفتح والكسر مهموزا -، واسْتَخْذَى لَهُ، إذا خَضَعَ له وانقادِ ؛ وخَذا يخْذُو خَذْوًا إذا اسْتَرخَى ؛ وخَذِيَتْ أذنه - بالكسر - تخْذَى، إذا استرخت من أصلها وانكسرت، مقبلة على الوجه . فيحتمل أن يكون قوله : خَذَيْتُ له، من المهموز أو غيره.

اشْتَدِّي أزْمَةُ تَنْفَرِجِي !

الاشتداد تقدّم ؛ والأزْمَةُ : الشِّدّةُ والقَحْطُ، يقال : أصابتْهُم سَنَةٌ أزَمَتْهُم أزْمًا، أي استأصلتهم ؛ وأزَمَ الدهرُ، أي اشتدّ وقلّ خيره ؛ وأزَم الرجلُ بصاحبه : لَزِمَهُ، وأزَمَهُ : عَضّه ؛ والانفراج : الانفتاح والاتساع . وهذا اللّفظ حديث يُروى.

ولمّا كانت الحكمة الالهيّة جرت بتنقّلات الحوادث وتحوّلات الأحوال، وعدم استقرارها على حال، صارت الشدّة إذا تناهت لم يعقبها إلاّ الفرج، كما أنّ الفرج إذا تناهى لم يعقبه

إلاّ شدّة، فصارت الشدّة مفتاح الفرج وسببا فيه بهذا الاعتبار . فإذا طلبت الشدّة فذلك طلب الفرج، إقامة للسبب مقام المسبّب. قال تعالى : **فإنّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا**. وفي الحديث الآخر : **احْفَظِ اللّهَ يَحْفَظْكَ ! احْفَظِ اللّهَ تَجِدْهُ أمامَكَ ! تَعَرَّفْ إلى اللّهِ في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدّةِ ! واعْلَمْ أنّ ما أصابَكَ لم يكُنْ ليُخْطِئَكَ، وما أخْطَاكَ لم يكن ليُصيبَكَ ! واعلم أنّ النّصر مع الصّبْر، وأنّ الفَرجَ مع الكَربِ، وأنّ مع العُسْرِ يُسْرًا !** وقال الشاعر :

ضاقَتْ ولو لم تضِقْ لما انفرجَتْ فالعُسرُ مفْتاحُ كلِّ مَيْسورِ

غيـــره :

خفِّضِ الجأشَ واصْبِرنّ رُوَيْدًا فالرَّزايا إذا توالَتْ تولَّتْ !

قيل : وكان الامام سحنون يقول إذا ضاق عليه أمر ضيقي تنفرجييا مالك يوم الدين إيّاك نعبد وإيّاك نستعين !

شَرّاب" بِأمْقُعٍ .

الشُرب معروف، وتُثلّث شينه، شَرِبَ ـ بالكسر ـ شُرْبًا وتَشْرابًا، فهو شارب وشَرّاب" للمبالغة، وأشْربتُه أنا . وقيل : الشَّرب ـ بالفتح ـ مصدر، وبالكسر والضمّ اسمان، والشِّرب ـ بالكسر أيضا ـ الحظُّ من الماء ؛ والمَقْعُ ـ بفتح الميم وسكون القاف ـ: أشدُّ الشرب . وفُلان" شَرّاب" بِأمْقُعٍ، أي معاودٍ للأمور، يأتيها حتّى يبلغ أقصى مراده.

شَرّاب" بأنْقُعٍ .

الانْقُعُ جمع نَقْعٍ ـ بفتح النون وسكون القاف ـ، وهو الماء المستنقع .
وهذا أيضا يُضرب لمن جرّب الأمور وعاودها، كالذي قبله، أو للداهي المنكر، لأنّ الدليل إذا عرف الفلوات حذق بسلوك الطرق إلى الماء، وعرف أين يهتدي إلى الانقُع حتّى يشرب منها .

أشْرَدُ من نَعَامَةٍ .

الشُّرودُ : الفِرارُ ؛ والنَّعامُ معروف، ولا أسرع منه عند شروده . قال :

وهم تركوكَ أسلَحَ من حُبارَى رأت صقْرًا وأشْردَ من نعامِ

غيـــره :

وولَّوْا سراعًا كشدِّ النَّعامِ ولم يكشِفوا عن ملط حَصِيرًا

غيـــره :

وكانوا نعامًا عند ذاك مُنَفرا

والعرب تضرب به المثل في الجبن أيضا مع ذلك، كما قال عِمْرانُ بن حِطَّان :

أسدٌ عليَّ في الحُروبِ نعامَةٌ فتْخاءُ تنفرُ من صَفير الصَّافرِ

وكما قال محكم اليمامة : إنَّ خالدًا لقي أسدًا وغطفان، فأشار عليهم بذباب السيف، فكانوا كالنعام الجافل، أو كما قال :

أشْردُ مِنْ وَرَلٍ .

الشُّرُودُ مرَّ ؛ والوَرَلُ ـ بفتحتين ـ حيوان على خلقة الضبِّ، وهو أعظم منه . وتقدَّم في حرف السين.

فائـــدة :

ذكر بعضهم أنَّه لا يجتمع الرَّاء واللاَّم في لغة العرب إلاَّ في أربعة ألفاظ : الوَرَل المذكور، وأُرُل اسم جبل، والغُرلَة وهي القلفة، وجَرَل وهو ضرب من الحجارة . انتهى .

قلت : أمَّا الوَرَل فقد ذكرنا ضبطه ؛ وأمَّا أُرُل فبضمَّتين، وهو اسم جبل واسم موضع ببلد فزارة أيضا ؛ وأمَّا الغُرْلَة فبضمِّ الغين وسكون الراء . ورجل أرْغَلُ والجمع غُرْلٌ، كما في الحديث : يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً ؛ وأمَّا الجَرَل فبالجيم والراء المفتوحتيْن، وهو الحجارة، أو مع الشجر أو مع المكان الصُّلب الغليظ، جَرِلَ المكانُ ـ بالكسر ـ فهو جَرِلٌ ـ ككَتِف ـ والجمع أجْرَالٌ .

شَرُّ الرَّأْيِ الدَّبَرِيُّ .

شَرُّ اسم تفضيل . يقال : هذا أشَرُّ من هذا وشَرٌّ منه ـ بغير همز ـ تخفيفًا، كما يقال : هذا خيرٌ من هذا، وهو الأكثر استعمالا ؛ والرأيُ : الاعتقادُ، جمعه آراء ورُئِيٌّ، والدَّبَرِيُّ ـ بفتحتين ـ : الرأي [الذي][8] يَسْنَحُ للإنسان آخرا، بعد فوات الحاجة . والدَّبَرِيُّ أيضا : الصَّلاة آخر وقتها . قيل : والضمّ فيها من لحن المحدثين .

شَرُّ الرِّعاءِ الحُطَمَةُ .

الحُطَمَةُ ـ على مثال هُمَزَةٍ ـ من الرُّعاة : الذي يهلك الماشية ويهشِّم بعضها ببعض، من الحَطْمِ، وهو الكسر . ويُضرب في سوء السياسة.

قال في **الصحاح** إنَّه مثل، ومثله قول الرَّاجز :

قد لفَّها اللَّيلُ بسوَّاقٍ حُطَم ليسَ بِراعي إبلٍ ولا غَنَمْ

ووهَّمه صاحب **القاموس** وقال إنَّه حديث صحيح عن النبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم.

قلت : وليس فيه كبيروهَم، إذا لا منافاة . وكذلك وقع لأبي عبيد في **كتابه** أنَّه مثَلٌ من أمثالهم .

وقال البكريّ في **شرحه** إنَّه كلام يُروى في حديث مرفوع عن النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم . قال الحسن : دخل العائذُ بنُ عَمْرو المُزَنِيّ، وكان من صالحي أصحاب محمَّد صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، على عبيد اللَّه بن زياد فقال له : أي بني، إني سمعت رسول اللَّه صلَّى الله عليه وسلم يقول : **منْ شَرِّ الرِّعاءِ الحُطَمَةُ** . فإيَّاك أن تكون منهم ! قال عبيد اللَّه : اجلس، فإنَّما أنت من نُخالة أصحاب محمَّد صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ! قال : وهل كانت فيهم نخالة ؟ إنَّما النخالة بعدهم في غيرهم.

فائدة : إذا كان راعي الابل أو الماشية كلّها أخرق يظلمها قيل له حُطَمَة، كما مرَّ ؛ وإذا كان رفيقا بها يحسن رعايتها قيل له ترعية وترعاية . وقيل إنَّ هذا لمَنْ كانت صناعته وصناعة آبائه رعاية الابل.

---

8) ناقص من د.

شَرُّ السَّيْرِ القَحْقَحَةُ .

السَّيرُ معروف ؛ والقَحْقَحَةُ : السير المُتْعِب . ويقال قَهْقَهَةٌ - بقلب الحا هاء - ومنه قول رؤبة :

يُصبِحن بعد القَرَبِ المُقهْقِهِ بالهَيفِ من ذاكَ البعيدِ الأمْقَهِ

قال أبو علي البغدادي في نوادره : قال مطرِّفُ بن الشِّخِّير لابنه : عليك بالقصد، وإيَّاك وسَيْرَ القَحْقَحَة ! يريد الاتعاب .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلاَّم : فيما يُضرب من الأمثال في التوسّط في الأمور : منه قول مُطرِّف بن عبد اللَّه بن الشِّخِّير : الحسنة بين السيِّئتين، وخير الأمور أوساطها، وشرُّ السير القَحْقَحَة . انتهى .

قال البكري : قال مطرِّف يوصي ابنه : يا عبد اللَّه، إنَّ هذا الدين مَتينٌ فأوغِلْ فيه برفق، ولا تنغّص[9] إلى نفسك عبادة ربّك ! فإنَّ الحسنةَ بين السيِّئتين، وخيرَ الأمور أوساطُها، وشرَّ السير القَحْقَحَةُ،وإنَّ المُنْبَتَّ، لا أرضًا قَطَع،ولا ظَهْرًا أبقى ! انتهى.

قال : ومن قوله : إنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِين... إلى آخر الحديث، مرفوع الى النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم.

وأسْيَرُ بيت في هذا قولُ الشاعر :

عليكَ بأوساطِ الأمورِ فإنَّها نجاةٌ ولا تركَبْ ذَلُولاً ولاصَعْبا !

الشَّرُّ ألْجأهُ إلى مُخِّ العَراقِيبِ .

ويقال أيضا :

شَرٌّ ما أجَاءَكَ إلى مُخَّةِ عُرقُوبٍ.

الشَّرُّ نقيض الخير ؛ ولجَأ الرجلُ إلى كذا - بالفتح والكسر - لا ذَبه، وألْجَأتُهُ إليه : اضْطَرَرْتُهُ، وأجأتُهُ إليه أيضا بمعناه ؛ والمخُّ نِقْيُ العَظْم، وعَظْمٌ مُمِخٌّ : ذو

9) في ب : ولا تُبغَّضْ.

نِـقْـيٍ ؛ والعراقيب جمع عرقوب، وهو العَصَب فوق عقب الانسان . وعُرقوب الدابَّة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها، وكلّ ذات أربع فعرقوباها في رجليْها، وركبتاها في يديْها. والمعنى أنَّ الشرَّ هو الذي ألْجَأك إلى سؤال اللئام . فيُضرب عند الاضطرار الى مسألة البخيل . وإنَّما خصَّ العرقوب لأنَّ مخَّه شرُّ المخاخ، كما أنَّه شرّ العظام، كما قال الاخطل لكعب بن جعيل :

وسُمِّيتَ كَعْبًا بشَرِّ العِظامِ وكان أبوكَ يُسمَّى الجُعَل

شَرُّ المالِ مالا يُزَكَّى ولا يُذَكَّى .

المالُ معروف ؛ والتَّزْكِيةُ إخراج الزكاة ؛ والتَّذْكِيَةُ الذَّبح للأكل . والموصوف بما ذُكر الحمارُ ونحوه، لأنَّه لا زكاة فيه ولا ذكاة له .

شَرٌّ أهَرَّ ذانَابٍ .

الشَّرُّ تقدَّم ؛ وهرَّ الكلبُ يَهِرُّ هَريرًا : صَوَّتَ ولم ينْبَحْ . قال حسَّان، رضي اللَّه عنه :

يُغْشَوْن حتَّى ما تهرُّ كلابُهم لا يَسألون عن السَّواد المُقبِل

غيره :

ويُغشونَ حتَّى ترى كلبهُم يهابُ الهريرَ وينْسى النُّباحا

وذُو النَّابِ : الكلب ؛ وأهْرَرْتُهُ أنا : حملتُه على الهرير .

وهذا المثل يُضرب عند ظهور أمارات الشَّرّ وتبيّن مخائله .

وأصله أنَّ قائله سمع هرير الكلب في الليل، فأشفق من طارق يطرق بشرّ، فقال ذلك تعظيمًا للحال وتهويلا للأمر عند نفسه ومستمعه، أي : ما أهرَّ ذا ناب إلاَّ شرٌّ عظيم . ولأجل هذا الوصف المنويّ، حسن الابتداء بلفظة «شَرّ» حتَّى حصل من ذلك الحصر .

شَرٌّ يَومَيْهَا وأغْوَاهُ لَهَا .

هذا يُضرب عند إظهار البرّ باللّسان لمَن يُراد به الغوائل . وهو شطر بيت، تمامه:

رَكِبَتْ غَزٌّ بِحِدْجِ جَمَلاَ

وسيأتي في حرف اللاّم استيفاءُ الكلام عليه، إن شاء اللّه تعالى .

الشَّرطُ أمْلك، عليكَ أمْ لَكَ .

الشَّرْط ـ بفتح فسكون ـ إلزامُ الشيء والتزامه . ويكون أيضا بمعنى شق الجلود، كفعل الحجّام، وأمّا الشَّرطُ ـ بالتحريك ـ فهو العَلامة، ومنه أشْراطُ الساعة، أي علاماتها ؛ والمِلْكُ ـ مثلث الميم ـ : الاحتواء على الشيء والقدرة عليه .

والمعنى أنّ ما اشترط فهو لازم وأولى أن يُتَّبع، سواء كان ذلك الشرط عليك أم كان لك.

وهذا المثل نطق به القاضي شُريح، ولا أدري أهو المخترع له أم قيل قبله.

ذكر السَّكّاكي في **المفتاح** أنّه حكى أنّ عديّ بن أرْطَأةَ أتى ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاصمها . فلمّا جلس بين يدي شريح قال عدي : أين أنت ؟ قال : بينك وبين الحائط . قال : إنّي امرؤ من أهل الشام . قال : بعيد وسحيق . قال : وإنّي قدمت العراق. قال : خير مقدم . قال : وتزوّجت هذه . قال : بالرفاء والبنين ! قال : وإنّها ولدت لي غلاما . قال : ليهنك الفارس ! قال : وأردت أن أنقلها إلى داري . قال : المرء أحقّ بأهله . قال : قد كنت شرطت لها وكرها . قال : **الشَّرط أمْلَكُ مِنكَ** ! قال : اقضِ بيننا ! قال : فعلت ! قال : فعلى من قضيت ؟ قال : على ابن أمّك !

قوله : أين أنت ؟ يريد : في أيّ شغل أنت هذا الوقت ؟ هل أنت متفرّغ للنظر فيما بيننا ؟ ولا يريد السؤال عن المكان حقيقة، لكن لما كان فضولا مع ما فيه من سوء الأدب حمله القاضي على حقيقته وأجاب بنفس المكان، تجهيلاً له وتعريضًا أنّه بين جمادين وهما عدي والحائط.

وقوله : بالرفاء والبنين، متعلّق بمحذوف، أي : تزوّجت وأعرست مصحوبًا بالرفاء، أي بالموافقة والألفة، وبالبنين، أي الذكور دون البنات.

وقوله : ليهنك الفارس ! دعاءٌ له وتفاؤلٌ، أي : ليكن ولدك هنيئا لك لائقابه، ويبلغ مبلغ الفروسة !

وقوله : الشَّرطُ أمْلَكُ منْك ؟ أي ملكه وتصرّفه أقوى من تصرفّك، فلا ينبغي أن يُخالف.

وقوله : على ابن أمّك، أي عليك . وإنّما عدل عن التصريح إلى ما ذكر، كراهية مواجهتِهِ بالحكم عليه، لما جُبِلت عليه النفوسُ من كراهة ذلك .

ومثل هذا ما يُحكى عن شريح أيضا من أن رجلاً أقَرَّ عنده بشيء ثمّ أنكر . فلمّا قال له : أعط الحقَّ ! قال : من يشهد عليَّ ؟ قال : شهد عليك ابن أخت خالتك . فعدل عن التصريح سترًا عليه وكراهية أن ينسبه إلى الحمق بالانكار بعد الاقرار .

شَرْعُكَ ما بَلَّغَكَ المَحَلَّ .

يقال : هذا الشيء شَرْعُك، أي حَسْبُكَ، ومررتُ برجلٍ شَرَعِكَ من رجُلٍ ! أي حَسْبِك . والمعنى أنّه من النحو الذي يُشْرَعُ فيه ؛ والتَّبْليغُ معروف ؛ والمَحَلُّ : الموضع الذي تريده .

والمعنى أنَّ ما بلَّغك المحلَّ المراد فهو حسبك . يُضرب في التبليغ باليسير .

وقال أبو عبيد : من أمثالهم في جود الرجل بما فضل عن حاجته بماله قولهم :

يَكْفيكَ ما بلَّغَكَ المحَلَّ .

قال البكري : المشهور في هذا : شَرَعُكَ ما بلَّغَكَ المَحلَّ، أي حَسْبُكَ .

وقال آخر في هذا المعنى :

حَسْبُ الفَتى مِن دَهْرِهِ زادٌ يُبَلِّغُهُ المَحَلاَّ
خُبْزٌ وماءٌ بَارِدٌ والظِّلُّ حينَ يُريدُ ظِلاَّ

قال : والمحلّ هو الدار الباقية .

شَرِقَ مَا بَيْنَ القَومِ بِشَرّ .

يقال : شَرِقَ بالماء - بالكسر - إذا غصَّ به . قال عَدِيُّ بن زيد :

لو بِغيرِ الماءِ حلْقي شَرِقٌ كُنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصاري

ويقال هذا المثل إذا نشب الشرّ بين النّاس .
والمعنى أنّه امتلأ ما بينهم بالشرّ، فكأنّه غصّ . وهذا كما تقول : غصّ المجلس بأهله، أي امتلأ، على طريق التمثيل .

اشْتَرِ لنَفْسِكَ وللسُّوقِ !

هذا مثل يُضرب في الاحتياط . ومثله قولهم : **إذا اشْتَريتَ فاذكُرِ السُّوقَ** ! وقد تقدّم في الباب الأوّل . ومثله ما حكى البكري أنّ عمر بن الخطّاب، رضي اللّه عنه، كان يقول : إذا اشْتَريتَ بَعِيرًا فاجْعَلْهُ ضَخْمًا، فإن أخْطَأكَ خُبْرًا لم يُخْطِئْكَ سُوقًا.

شَغَلَتْ شِعَابِي جَدْوَايَ .

الشُّغْلُ - بالضّمّ وبضمّتيْن، وبالفتح وبفتحتيْن - ضدّ الفراغ، شَغَلَهُ شُغْلاً - بالفتح -، وأشْغَلَهُ أيضا ؛ والشِّعابُ جمع شِعْبٍ - بالكسر - من الأرض ؛ والجَدْوَى: المطر العامّ والعطيّة أيضا.
ويُضرب هذا المثل فيما إذا لم يكن لمالك أو عطائك أو علمك أو نحو ذلك فضلٌ عن نفسك أو عن من يتعلّق بك، كالمطر تشغله شعابك، فلا يصل الى موضع آخر.
ومعنى ذلك أنّه إذا قلّ المطر الواقع في الشعاب أو النازل إليها من التلاع، شربته وشغلته بذلك عن أن يخلص الى ما بعدها من الأودية والبقاع.

أشْغَلُ من ذاتِ النِّحْيَيْن .

الشُّغْلُ مرّ ؛ والنِّحْيُ - بكسر النون وسكون الحاء المهملة -: الزِّقُّ . وقيل مخصوص بما كان للسّمن ؛ وذاتُ النِّحْيَيْن امرأة من تَيْمِ اللّه بن ثعلبة، كانت خرجت في الجاهليّة تبيع السمن، فأتاها خَوّاتُ بنُ جُبَيْر الأنصاري - رضي اللّه عنه - فساومها، فحلّت نِحْيًا مملوءًا، فنظر إليه ثمّ قال : أمسكيه حتّى أنظر إلى الآخر ! ثم حلّ نِحْيًا آخر فقال : أمسكيه حتى أنظر إلى غيره ! فلمّا شغل يديها معًا وقع عليها حتّى قضى

أربه منها فهرب. فضربت العَربُ بشغلها المثل وقالوا : أشْغَلُ من ذاتِ النِّحْيَيْنِ، وبَنَوْا أشْغَل من شُغِل، بالبناء لما لم يُسمَّ فاعله، على وجه الشذوذ .وتقدَّم نظيره وتوجيهه.

وقال خَوَّاتٌ في ذلك :

وذات عِيالٍ واثقينَ بِعقلِها ... خَلَجْتُ لها جارَ استِها خَلجاتِ
وشُدَّت يَداها إذ أردتُ خِلاطَها ... بِنِحْيَينِ من سمْنٍ ذويَ عجراتِ
فكان لها الويْلاتُ من تَرك سَمْنِها ... ورجَّعْتُها صِفْرًا بغير بتاتِ
فشدَّت على النِّحيينِ كفًّا شَحيحةً ... على سمْنِها والفَتْكُ منْ فَعَلاتي

قال في الصحاح : ثمَّ أسلم خَوَّاتٌ وشهد بدرًا، فقال له رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : يا خوَّاتُ، كيف شراؤك ؟ وتبسَّم صلَّى اللَّه عليه وسلَّم . فقال : يا رسول اللَّه، قد رَزَقَ اللَّهُ خَيْرًا، وأعُوذُ باللَّهِ من الحَوْرِ[1] وهجا رجلٌ تيمَ اللَّه فقال :

أُناسٌ ربَّةُ النِّحْيَيْنِ منهُمْ ... فَعَدُّوهَا إذا عُدَّ الصَّميمُ

شَغَلَهُمُ الصَّفْقُ بالأسْواقِ .

يُتمثَّل به، وهو من كلام عمرو بن أبي هريرة، رضي اللَّه عنهما، لما ذُكر لعمر حديث عن النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم لم يروه . قال : اخفي عليَّ هذا من أمر رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم شغلني الصفق بالأسواق، أي الاشتغال بالبيع والشراء، لأنَّ المشتري والبائع يضرب أحدهما بيده على يد صاحبه، وهو الصَّفْقُ.

وقال أبو هريرة : إنَّ إخواني من المهاجرين والأنصار شغلهم الصَّفْقُ بالأسواق، وكنت ألزم رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم على شِبَعِ بطني، كما في الصحيح.

شَقُّ العَصَا .

الشَّقُّ : الصَّدْعُ ؛ والعَصَا ـ بالقصر ـ: العُودُ يُضرب به . والعصا أيضا : اللِّسانُ وعَظْم السَّاق وجماعة الاسلام . وقولهم : شَقَّ فُلانٌ العَصَا، أي فارق الجماعة .ويقال

1) في النهاية : نعوذُ باللَّه مِنَ الحَوْرِ بعد الكور، أي من النقصان بعد الزيادة.... وأصلُهُ من نقض العمامة بعد لفها.

في الخوارج : شقُّوا عصا المسلمين، أي فارقوا جماعتهم.
وقال الشاعر :

إلى اللّه أشْكو نـِيَّةً شقَّت العصا كذاك النَّوى بين الخليطِ شقوقُ

وقال الآخـــر :

إذا كانت الهيْجاءُ وانشقَّت العصا فَحسبُك والضَّحَّاكَ سيفٌ مُهنَّدُ !

أشْكَرُ مِنْ بَرْوَقَةٍ .

الشُّكْرُ - بالضمّ - أن تعرف الاحسان وتنشره : والشُّكْرُ من اللّه تعالى : المُجازاة والثناء الجميل ؛ والبَرْوَقَةُ - بسكون الراء - واحدة البَرْوَق، وهو شجر ضعيف، إذا غامت السماء اخضرَّ، فوُصف لذلك بالشكر .

أشْكَرُ مِنْ كَلْبٍ .

الشُّكْرُ مرَّ ؛ والكَلْبُ معروف، وشكره رضاه بالموجود وقناعته وحياطته لصاحبه وقيامه عليه واتّباعه له مع ذلك .
وممَّا يُحكى في هذا عن بعضهم قال : دخلت على العتّابي، فوجدته جالسًا على حصير وبين يديه شراب في إناء، وكلب رابض حوله يشرب كأسا ويولغه أخرى . فقلت له : ما أردت بهذا ؟ قال : إنَّه يكفّ عنّي أذاه[2] ويكفيني أذى من سواه، ويشكر قليلي، ويحفظ مبيتي ومقيلي، فهو من الحيوان خليلي.
قال الراوي : فتمنَّيت واللّه أن أكون كلبا لأحوز هذا النعت منه !
ويقال إن الحَارِثَ بنَ صَعْصَعَة كان له نُدماء لا يفارقهم، وكان شديد المحبَّة لهم . فخرج في بعض متنزَّهاته ومعه ندماؤه . فتخلَّف منهم واحد، فدخل على زوجته، فأكلا وشربا ثمَّ اضطجعا . فوثب الكلب عليهما فقتلهما . فلمَّا رجع الحارث إلى منزله وجدهما ميتيْن وعرف الأمر . فأنشا يقول :

فيا عجبًا للخِلِّ يهتِكُ حُرمتي ويا عجبا للكلبِ كيفَ يصونُ

2) في غير ب : يَكفُّ عنه أذاه. وهو تحريف.

وما زال يرعى ذِمَّتي ويحُوطُني ويحفَظُ عِرسي والخليلُ يخونُ !

ويُوثر في حديث **أنَّ رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم رأى رجُلاً مقْتُولاً فقال : ما شَأنُهُ ؟ قالوا : إنَّهُ وثَبَ على غَنَمِ بَني زُهْرَةَ فأخَذ منها شَاةً، فَوثَبَ عليهِ كَلْبُ الماشِيَةِ فَقَتَلَهُ . فقَالَ صلَّى اللَّه عليهِ وسلَّم ؛ قَتَلَ نَفْسَهُ وأضاعَ دينَهُ وعَصَى رَبَّهُ وخَانَ أخَاهُ وكانَ الكَلْبُ خَيْرًا منْهُ.**

ويُحكى عن ابن عبَّاس رضي اللَّه عنه : كَلْبٌ أمِينٌ خَيْرٌ من صَاحِبٍ خَؤُونٍ

وقد ألَّف بعض العلماء[3] تأليفا في **فضل الكلاب على كثير من لبس الثياب.**

شَاكِهْ أبَا فُلاَنٍ .

المُشَاكَهَةُ : المُشَابَهَةُ .

وأصله أنَّ رجلا عرض فرسًا له في السوق، فقال له رجل : أهذه فرسك التي كنت تصيد عليها الوحش ؟ فقال : رَبُّ الفَرَسِ : شَاكِهْ، أي قارب في المدح ولا تُفرط . فيُضرب في الامر بالقصد في المدح.

ويُحكى أيضا في هذه القصَّة أنَّ الأعرابي أقام فرسه للبيع فقال صاحبه : إنَّها لَتُصاد عليها الوحش وهي رابضة . فقال له : رَبُّ الفرس، لا أبالك، اكذب كذبًا مؤامًّا به الدَّهر ! أي موافقا به الدَّهر في تقلّباته وأحواله الجائزة الوقوع.

وقيل إنَّ رجلا أدخل حمارا له السوق، فجعل رجل يقال له أبو يسار يمدحه ويقول : إنَّ حافِرَه جُلمود، وإنَّ ظهره حَديد . فقال صاحب الحمار : **شاكِهْ أبا يَسارٍ، دونَ ذا ويَنْفُقُ الحمارُ** ! وتقدَّم هذا في الدَّال .

شَكَا إلى غَيْرِ مُصَمِّتٍ .

الشَّكْوَى أن تذكر الغير بسوء فعله بك، تقول : شَكَوتُ فلانا أشْكُوهُ شَكْوىً وشِكايَة وشكية، فهو مَشْكُوٌّ ومَشْكِيٌّ ؛ وأشْكَيته : فعلتَ به ما يشكوه، أو أعتبتَه وأزلتَ شكواه . فهو من الأضداد . قال الراجز :

---

3) هو أبو بكر بن محمد بن خلف ابن المرزبان.

تمُدُّ بالأعْنـاقِ أو تلويها وتشْتَكي لوْ أنَّنا نُشْكِيهَا

وصَمَتَ يَصْمُتُ صُموتا وصُماتًا، وأصْمَتَ إصْمَاتًا، وصَمَّتَ تَصْمِيتًا : سكت ؛ وأصْمَتُّه أنا وصَمَّتْتُه تصميتًا : أسْكَتُّه، لا زمان متعدّيان . فيقال : شكا فلانٌ إلى غير مصمت، أي إلى من لا يبالي به، فلا يُصمِتُه لأنَّ من شكا الى من يُعْنَى بحاجته ويهتبِلُ بأمره ويقوم بحقّه يقضِي أربه ويُزِيل شكواه ويشفي ما في صدره فَيَصْمُتُ عن الشكوى حينئذ.

قال الراجز :

إنَّك لا تَشْكو إلى مُصَمِّتٍ فاصْبِرِ على الحِمل الثَّقيل أو مُتِ !

ونحوه المثل الآتي : **هانَ على الأمْلَسِ ما لَقِيَ الدبر.**

الشَّمَاتَةُ لُؤْمٌ.

الشَّمَاتَةُ : الفرح بمصيبة العدوّ، ويقال : شَمِتَ به ـ بالكسر ـ يَشْمَتُ شَمَاتًا وشَمَاتَةً، فهو شَامِتٌ . قال أبو صَخْرِ الهُذَلِي :

وتجلُّدي للشَّامتين أُرِيهُمُ أنِّي لريْبِ الدَّهرِ لا أتضعْضعُ

واللُّؤمُ ـ بضمّ اللاّم وسكون الهمزة ـ ضدّ الكرم، لَؤُمَ ـ بالضمّ ـ لُؤْمًا، فهو لَئِيمٌ وهم لُؤماءُ . وهذا الكلام يُعزى لاكْثَمِ بْنِ صَيْفِيّ، حكيم العرب.

والمعنى أنَّه لا يَشْمَتُ بالغير ولا يفرح بِبَلِيَّتِهِ إلاَّ مَن لَؤُمَ أصلُه.

وقال ابن أبي عُيَيْنَة.

كلُّ المصائِبِ قد تمرُّ على الفتى فتهونُ غيرَ شماتَةِ الحُسَّادِ

وقال الآخـــر :

إذا ما الدَّهْرُ جرَّ على أُناسٍ كلاكِلَهُ أنـــامَ بِآخرينـــا

فقُل للشَّامتين بنا: أفيقوا سَيَلْقى الشَّامتُون كما لقِينا !

أشَمُّ مِنْ نَعَامَةٍ .

الشَّمُّ حَاسَّةُ الأنف، تقول : شَمِمْتُ ـ بالكسر والفتح، أشُمُّ ـ مفتوحًا ومضمومًا ـ

شَمًّا وشَميمًا وشِمِّيمَى ؛ وتَشَمَّمْتُهُ ؛ والنَّعام تقدَّم . يقال إنَّه لا سمع له، ومن ثمَّ يقال إنَّه أصلم . فأُعطي من قوَّة الشم بأنفه ما ينوب عن السَّماع، حتَّى إنَّه يشمّ رائحة القنَّاص من بعيد .

شِنْشِنَةٌ أعْرِفُهَا مِن أخْزَمَ .

الشِّنْشِنَةُ - بالكسر -: الطَّبيعة والخلُق ؛ وأخْزَمُ - بالزاي - رجل من طيِّئ ، وهو ابن أبي أخزم، جدّ حاتم، أو جدّ جدّه . مات أخزم هذا وترك بنين، فوثبوا يوما على جدّهم فأدْمَوْه، فقال :

إنَّ بَنِيَّ زَمَّلُوني بالدَّمِ ... مَن يَلْقَ آسادَ الرِّجال يُكْلَمِ
ومن يَكُنْ ذا أودٍ يُقَوَّمِ ... شِنْشِنَةٌ أعْرِفُها من أخْزَمِ(4)

لأنه كان عاقًّا كذلك.

ويُحكى أنَّ عَقِيلَ بن عُلَّفَةَ - بضمّ العين المهملة وفتح اللاّم المشدَّدة بعدها فاء، على وزن قُبَّرَة - بن الحارث المريّ، خرج هو وابناه، جَثَّامَة وعَمَلَّس، وأختهما الحَوْراء، حتَّى أتوا ابنة له ناكحا في بني مروان بالشام، ثمَّ قفلوا حتَّى إذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل :

قَضت وطرًا من دير سعدٍ وطالما ... على عرضٍ نَطحْنَهُ بالحَماجِمِ

ثمَّ قال : أجِزْ، يا جَثَّامة !

فقال :

[وأصبَحنَ بالهَوماتِ يحمِلنَ فِتيَةً ... نَشاوَى من الإدْلاجِ هيلَ العمائمِ(4م).

ثمَّ قال : أجِزْ، يا عملَّس !

فقال :

---

4) في لسان العرب ثلاثة أشطر فقط هكذا :
إنَّ بنيَّ زمَّلوني بالدَّمِ
شنشنة أعرفُها من أخْزَمِ
منْ يَلْقَ أسادَ الرجالِ يُكْلَمِ

4م) ساقط من ب .

إذا علـمٌ غادرْنَـهُ بنَتُـوفَـةٍ تَـذارَعْنَ بِالأيْـدي لآخِرِ طاسِمِ

ثمَّ قال : يا حوراء، أجيزي !

فقالت :

كأنَّ الكَرى ساقاهُـمُ صرخَـديّـةٌ تدبُّ دبيبًـا في المطا والقوائمِ

فقال عقيل : شَربَـتْـها، وربِّ الكعبة ! ثمَّ شدَّ عليها بالسيف ليقتلها، فقال أخوها : ما ذنبها ؟ إنَّما أجازت شعرا ! فشدَّ عليه أحدهم فخدشه بسهم، فجعل يتمعَّك في دمه ويقول :

إنَّ بَـنيَّ ضرَّجُـوني بِالـدَّمِ مَن يلْقَ أبْطال الرِّجالِ يُكْلَمِ

شِنْشِنَـةٌ أعْرِفُـها من أخْزَمِ

ثمَّ توجَّه ولده للطريق . فلمَّا مرّوا ببني القين قالوا لهم : هل لكم في جزور انكسرت ؟ قالوا : نعم ! قالوا : الزموا أثر هذه الرَّواحل ! فذهب القوم حتَّى انتهوا إلى عقيل، فحملوه وعالجوه حتَّى برىء ولحق بهم. فقال أبو عبيد القاسم بن سلاَّم : من أمثالهم في تشبيه الرجل بأبيه : **شِنْشِنَـةٌ أعْرِفُـها من أخْزَم**. قال : وهذا المثل يُروى عن عمر بن الخطَّاب، رضي اللَّه عنه. قاله في ابن عبَّاس، رضي اللَّه عنهما، شبهه في رأيه بأبيه.

قال البكري : أخزم هذا هو جدّ حاتم بن عبد اللَّه الطَّائيّ، وهو حاتم بن عبد اللَّه بن سعد بن الحشرج بن أخزم بن أبي أخزم . وقيل هو جدّ عقيل بن عُلَّفَة . والشَّنْشِنة : النُّطفة، من شَنْشَنت إذا أرَقْت . يُراد ما أراق من النطفة في الرحم.

قال أبو بكر : وقال قوم : الشَّنْشِنة : الغَريزة والطبيعة . فمن جعل أصل المثل لأخزم الطائيّ قال : كان أخزم جوادًا . فلمَّا نشأ حاتم وعرف جوده قال النَّاس : شِنْشِنة من أخزم، أي قَطْرَةٌ من نُطفة أخزم . قال : وذكر علي بن الحسين أنَّ عقيل بن عُلَّفة ابن الحارث المرّي أتى منزله فإذا بنوه مع بناته وأزواجه مجتمعون . فشدَّ على عَمَلَّس منهم، فحاد عنه وتغنَّى ابنه عُلَّفة :

قِفي يا ابنَـةَ المرِّيّ أسْألْكِ ما الذي تُريدينَ فيما كُنت منَّيتِنا قبلُ

فإن شِئتِ كان الصَّرمُ ما هبَّت الصَّبا وإن شِئتِ لا يفْنى التَّكارمُ والبذلُ !

فقال عقيل : يا ابن اللخناء،متى منَّتك نفسُك هذا ؟ وشدَّ عليه بالسيف . فحال

علمس بـينه وبينه، وكان أخاه لأمّه وأبيه . فشدّ على عملس بالسيف وترك عُلّفة ولم يلتفت إليه. فرماه عملس" بسهم وأصاب ركبته . فسقط عقيل يتمعّك في الدم وهو يقول :

إنّ بنيّ سَربـَلـوني بالـدّمِ من يـَلـْقَ أبـْطالَ الرّجالِ يـُكـْلمِ
ومَـن يكُـن ذا أودٍ يـُقـوّمِ شِـنـْشِـنـَةٌ" أعـْرِفـُها من أخـْزَمِ

قال المدائني : شِـنـْشِـنـَةٌ" أعـْرِفـُها من أخـْزَمَ مثل" ضربه، وأخـْزَمُ فحـْل" كان لرجل من العرب وكان منجبـًا، فضرب في إبل رجل آخر ولم يـَعلم صاحبه، فرأى بعد ذلك من نسله جملا فقال : شنشنة أعرفها من أخزم . انتهى كلام البكري.

وقال ابن ظفر، في **شرح المقامات** : هذا المثل ضربه جدّ حاتم، حين نشأ حاتم وتقيـّل أخلاق جدّه أخزم في الجود، فقال : شنشنة... إلخ. وتمثـّل عقيل بن عُلـّفـَة به حين قال: إنّ بـَنـِيّ...إلخ. ومن ادّعى أنّ المثل له فقد سها فيه . انتهى.

شَـاهِـدُ البـُغـْضِ اللـّحـْظُ.

مثله قولهم أيضا : رُبّ لـَحـْظٍ أنـَمُّ من لـَفـْظٍ، كما مرّ من قول زهير :

فإن تكُ في عـَدُوٍّ أو صـَديقٍ تـُخبـّرك العيونُ عنِ القلـوبِ

وقول ابن أبي حاتم :

خـُذْ من العـَيـْشِ ما كـَفـَى ومِـنَ الدّهـْرِ ما صـَفـَا
عـَيـْنُ مَـن لاَ يـُحِـبُّ وَصـْـ ـلكَ تـُبـْدِي لـَكَ الجـَفـَا

وقول الآخـر :

تـُخـْفِي العـَداوةَ وهـْيَ غير خفيـّةٍ: نظـَرُ العـَدوّ بما أسـَرّ يبـوحُ

وقالوا : يـُعـَبـّرُ عن الانسان اللـّسان، وعن المودّةِ والبـُغـْضِ العِـيَان.

يـَشـُوبُ ويـَرُوبُ.

الشـّوْبُ : الخـَلـْطُ، تقول : شُـبـْتُ اللـّبن وغيره بالماء، أشـُوبـُهُ شـَوْبـًا ؛ والرّوْبُ : الرّائِـبُ وهو اللبن الخاثِـر قبلَ أن يـُمخض . ولا يزال يـُسمـّى بذلك حتـّى يـَمخض ويـُنزع زبده . ثمّ يبقى ذلك الاسم عليه بعد . قال الشاعر :

سقاكَ أبو ماعِـزٍ رائبًـا ومَن لَـكَ بالرَّائبِ الخاثرِ ؟

يقول : سقاك الممخوض، ومن لك بالذي لم يُمخض ؟ وهذا قول أبي عبيد.

ورأبْـتُ اللَّبن ورَوَّبْـتُـهُ، ورابَ هو يَـرُوبُ رَوْبًـا ورُؤُوبًـا . والمِـرْوَبُ : السَّقَـاء الذي يروب فيه.

ويقال : **ما لَـهُ شَـوْبٌ ولا رَوْبٌ**، أي مَـرَقٌ ولا لبن.

وقيل الشَّوْب العَسَـل، والرَّوْب اللَّبن، **وفلانٌ يَـشُـوبُ ويَـرُوبُ** : يَـخلط ويُـصفِّي، ويمزج الهزل بالجدّ.

يُضرب في إصابته مرَّة وإخطائه أخرى. ويقال : **يَـشُـوب ولاَ يَـرُوب**، أي يخلط ولا يخلص.

وأصل يَـرُوبُ في المثالين يَـريبُ، وإنَّما قيل يَـرُوبُ للازدواج.

شُبْ شَـوْبًـا لَـكَ رُوبَـتُـهُ !

الشَّوْبُ تقدَّم ؛ والرُّوبَـةُ ـ بضمّ الراء ـ [روبة][5] اللَّبن، وهي خميرة تلقى فيه من الحامض ليروب.

وهذا كما يقال : **احْلُبْ حَـلَـبًـا لَـكَ تنظره** ! كذا في **الصحاح**. وهو يناسب أن تكون اللاَّم في **لَـكَ** للملك والاستحقاق فيما يستقبل ؛ ويُـحتمل أن يكون الملحوظ فيها المُضِيّ، فيقال لمن شبَّ نار فتنة أو تسبَّب في أمر من الأمور، كأنَّه قيل له : اجر في فتنة أنت مثيرها أو منك كان أقوى أسبابها والاعانة فيها.

شَاوِرُوهُـنَّ وخَـالِـفُـوهُـنَّ !

أي النساء . يُـتمثَّل به، وهو حديث.

شَـالَـتْ نَـعَـامَـتُـهُ.

يقال : شَـالَـتِ النَّاقة بذنَـبها تَـشُـولُ شَـوْلاً وشَـوَلاَنًـا، وأشَـالَـتْـهُ : رَفَـعَـتْـهُ،

---

5) ساقط من د.

وشَالَ الذَّنَبُ نَفْسُهُ : ارْتَفَعَ، لازمٌ متعدّ ؛ وشال بالحجر أيضا وأشاله : رفعه ؛ والنَّعامة الحيوان المعروف . والنَّعامة أيضا : جماعة القوم وباطن القدم، يقال للقوم : شالت نعامتُهم إذا خفتْ منازلُهم أو تفرَّقت كلمتهم أو ذهب عزُّهم . وشالت نعامة فلان إذا خفَّ وغضِب، ثمَّ سكن. هكذا قال بعض العلماء . وقال آخرون : يقال **شالتْ نَعَامَةُ فُلان** إذا هلك . ومن هذا قول الشاعر :

يا ليتَما أُمَّنا شالت نعامتُها أيْمَا إلى جنَّةٍ أيْمَا إلى نارِ !

قيل وذلك لأنَّ النَّعامة باطن القدم، وشالت : ارتفعت، ومن شأن من هلك أن ترتفع رجلاه وينكسر رأسه فتظهر نعامة قدمه . ومن ثمَّ يقال : تَنَعَّمَ فلان إذا مشى حافيًا على نعامته، كقوله :

تنعَّمتُ لمَّا جاءني سوءُ فعلِهمْ ألا إنَّما البأساءُ للمُتَنَعِّمِ !

واختُلف في قول عنترة :

فيكونُ مركَبُكَ القُعُودَ ورحْلَه وابنُ النَّعامةِ عند ذلكَ مركبي

فقيل : ابن النَّعامة : الطريق، وقيل : باطن القدم . وسُمّي الطريق بذلك لأنَّه مركب لها.

شَوى حتَّى إذا نضِجَ رمَّدَ.

شَيُّ اللَّحْم معروف ؛ والنُّضْج كمال الطَّبْخ ؛ والتَّرميدُ : جعلُه في الرَّماد وتعْفينُه به . فيقال لكلّ من أفسد الشيء بعدما صلُح.

شَيْئًا ما يَطلُبُ السَّوطَ إلى الشَّقْراءِ !

السَّوطُ معروف ؛ والشَّقْراءُ فرس لبعض العرب، ركبها فجعل كلَّما ضربها زادته جريًا.

يُضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها . كذا في **القاموس**.

وممَّا يلتحق بهذا الباب قولهم :

أشْربْتَنِي ما لَم أشْربْ.

أي ادّعيتَ عليَّ ما لم أفعل . وقولهم :

الشَّعَرُ أحَدُ الوجْهَيْنِ .

أي النظر إليه كالنظر إلى الوجه.

وقول النبي صلّى اللّه عليه وسلّم.

شاهَتِ الوجوهُ،

فإنّه كثيراً ما يُتمثّل به . وقول الحريري :

شَوَى في الحريقِ سَمَكَتَهُ.

والحريقُ اسم، من الاحتراق ؛ والسَّمكَةُ : الحُوتَةُ، وهي إنّما تُشوى في النّار القويّة وفي اللّهب ما دام ؛ فإذا سكن تعب في شيّها.

فيُضرب ذلك مثلا لقضاء الحاجة من القاضي ما دام غضبه للكرام بتحريكه للنوال بالشعر، وانتهاز الفرصة منه قبل سكون غضبه، فقد لا يوجد إذ ذاك.

وإذ فرغنا من الأمثال المنثورة فلنذكر ما تسنّى من الشعريّة.

قال الشاعر :

لقَد كثُرَ الظّباءُ على خِداشٍ

وهذا المثل مشهور، وتمام البيت :

فما يَدْري خِداشٌ ما يَصيدُ

غير أنّه إذا تُمِّم خرج عن هذا الباب.

وقال بعض الوُعّاظ، مضمّنا لهذا المثل، في ذمّ الدنيا :

يا راكِضًا في طلابِ دنْيا ... ليس لمن تصْرعُ انتعاشُ

تنحَّ يا عُرضَةً لِرامٍ ... أسْهُمُهُ بالرَّدى تُراشُ

لا تَغْشَ ناراً [ ][6] لظاها ... بِمَن له نحْوها انْحِياشُ !

6) بياض في الأصل

أعْذَرُ منكَ الفَراشُ حَالاً علِمْتَ ما يجهَلُ الفَراشُ
تطْلُبها لا تنامُ عَيْنٌ عَنْها ولا يسْتقِرُّ جَاشُ
مَن لك بالرِّيِّ مِن شَرابٍ يشْتدُّ من شُربِهِ العُطاشُ ؟
دعْها فطُلاَّبُها رَعَاعٌ طاشَتْ بألْبابهِمْ فطاشُوا
وآظْمأْ لتَروى وكُنْ كَقَوْمٍ ماتوا بها عِفَّةً فعاشوا !
لم يَردوها فَهُمْ رِواءٌ ووَارِدُوها هُمُ العِطاشُ
كأنَّ آمالَنا ظِباءٌ وأنتَ من حَيْرةٍ خِداشُ
إنَّ لأيَّامنا آنْبِساطًا به لأعْمارنا آنْكِماشُ
كأنَّ آجَالَنَا صُقُورٌ ونَحْنُ من تَحْتِها خَشَاشُ

وقال الآخر :

ما لقويٍّ عن ضعيفٍ غِنًى لا بُدَّ للسَّهْمِ من الرِّيشِ !

وقال أبو الطيّب :

ونَهْبُ نُفوسِ أهل النَّهب أولى بأهْل المجدِ من نهبِ القُماش

وقال الآخر :

وقد كُنت مركَبَكُم في الصُّدور فصِرتُ بها مُلحقًا في الحواش

وقال سابق البربري :

فلا تُخْبر بسرِّك، كُلُّ سرٍّ إذا ما جاوزَ الاثنين جاشا !

والاثنان هنا الشَّفتان .

ومثله عند بعضهم قول الآخر :

إذا جاوز الاثنين سرٌّ فإنَّه بِبثٍّ وإفشاءِ الحديث قمينُ

وقال القائم بأمر اللّه، أحد ملوك بني العبّاس :

القلبُ من خمر التَّصابي مُنتشٍ هل لي غديرٌ من شرابٍ مُعطِشِ ؟
والنَّفسُ من بَرْحِ الهوى مقْتولةٌ ولكمْ قتيلٍ في الهوى لم يُنعَشِ !
جُمعَت عليَّ من الغرامِ عجائِبٌ خلَّفْنَ قلبيَ في إسارٍ موحِشِ :
خِلٌّ يصُدُّ وعاذلٌ مُتَنَصِّحٌ ومُنازعٌ يُغْري ونمَّامٌ يَشي

غيـــره :

إذا الواشي بَغى يومًا صَديقًا ... فلا تَدعِ الصَّديق لقول واشِ !

وقلت أنا :

ولائمَةٍ هبَّت بليلٍ تلومُني ... وثوبُ الدُّجى ما للصَّباح به نَقْشُ

وليس لِديباجِ السَّماء الَّذي سما ... علينا سوى ترقِيشِ أنْجُمِهِ رقْشُ

وقد جوّبَت آفاقها فكأنَّها ... من السُّندسِ الخُضرِ السُّرادِقُ والعرشُ

كأنَّ النُّجوم الزُّهر في جنباتها ... وجوهٌ زهتْهنَّ الملاحةُ والبشُّ

تلومُ على أن لم تر الدَّهر مُسعِدًا ... مُناي وصرفُ الدَّهر ليس له حفْشُ

وأشجى حشاها أن تبدَّى بعاتقي ... لأنْيابِهِ عضٌّ وفي عضُدي نهْشُ

وأن قد تفصَّى من رزاياه طارفي ... وأن قد جرى منه على أعْظُمي محْشُ

فباتت يُناجيها الأسى ويجيشُها ... إليَّ تناجيني ويغْلِبُها الجهْشُ

وتمْحضُني منها تخالُ نصيحةً ... ولم تدز أنَّ النُّصحَ آونةً غِشُّ

تقول : التجِئْ للمُتْرفين فإنَّه ... إلى نارهم مَن نابَهُ دهْرهُ يعْشو

فقلت لها إذ كان زورًا مقالُها[7] ... مقالَة شهْمٍ ليس في قيلِهِ رفْشُ :

هو الدَّهر ما يُبْقى على مُتخشِّعٍ ... جزوعٍ ولا يرثي لشاكٍ إذا يكْشو

وأحْداثُه تجري فَمن ذي هوادةٍ ... أليفٍ وذي شحْناء أخْذَتُهُ بَطشُ[8]

وما الدَّهرُ إلاَّ وادِيانِ فمُعْشبٌ ... أنيسٌ لمُرتادٍ وذو جَردٍ وحْشُ

ودارانِ دارٌ ذاتُ نُعْمى هنيئةٍ ... وفُرشٍ وأخْرى لا نعيمٌ ولا فُرشُ

ويومان يومٌ أنت فيه مُتوَّجٌ ... على العرش أو يومٌ به حسبُك الفرشُ

وما المال إلاَّ مُزنُ صيفٍ وقلَّما ... يدومُ ويُجدي للصَّدى ذلك الطَّشُّ

وليلةُ سارٍ بينما هوَ مُقْمِرٌ ... بصحراءَ غابَ البدرُ فاستوسقَ الغبش

وليس الفتى من ليس يبْرحُ ضارعًا ... هلوعًا إذا يرميه من دهْره خَدشُ

كئيبٌ بئيسٌ إن عرتْه مُلمَّةٌ ... وتغشاهُ إن أثرى الشَّراسةُ والفُحشُ

---

7) في الديوان : فقلت لها إذْ كَانَ جَوْرًا مَقَالُها.

8) في الديوان : أحْدَاثُهُ بَطْشُ.

سَؤولٌ لما وافى منوعٌ لما حوى[9] ودودٌ لمن أثْرى بغيضٌ لمن يغْشو
عزيزٌ على المولى ذليلٌ على العدا عبوسٌ إذا يسمو طليقٌ إذا يلشو
ولكنَّ مَنْ إنْ ناله لا شباتُهُ تُفلُّ ولا في حزْمِهِ يُدركُ النَّفشُ
ضنينٌ بماءِ الوجه لا يستثيرهُ إلى مطْمعٍ في غير خالقِهِ حرشُ
صبورٌ على عِلاَّتِهِ مُتجرِّعٌ دوينَ الهوانِ ما تهوِّعُه الرُّقشُ
عليمٌ بأنَّ النَّائباتِ إذا عرتْ فملجؤها السَّامي بسُلطانه العرشُ
هو المُرتجى في فتحِ ما كان مُرتجًا وتنويرِ ما أمسى به أظْلَم الغَطشُ
وثيقٌ بهذا لا تلينُ صَفاتُهُ إذا قَرعَتْ أحْشاءهُ النُّوَبُ المحش
قريبٌ من المولى صفيٌّ إذا اعتنى[10] ومُبتعدٌ عنه إذا مسَّه خيشُ[11]
فلا عرضُه يبلى ولا حزْمُه يهي ولا وهْنُه يبدو ولا سرُّه يفْشو
فذلك ما عاش السَّميُّ مكانُه وأخلِقْ بأن يسمو إذا حفّه النَّعشُ !

قوله : السُّرادقُ والعرش، السُّرادق : البيت من الكُرسُف والذي يمدّ فوق صحن الدار؛ والعرش : الخيمة وسقف البيت وما يستظلّ به

والبَشُّ والبَشَاشة : طَلاقةُ الوجه.

والمُقْربَاتُ : الخيل تقرب مرابطها.

والبَرَشُ، في شَعَر الفرس، نُكَتٌ صِغَار تخالف سائر لونه.

والخفش : الطَّرد[12]

والمَحْشُ : قَشْرُ الجلد من اللحم وشدَّة الأكل.

والجَهْشُ : الفزَع، يقال : جَهَشَ إليه جَهْشًا إذا فزِع . وهو يريد البكاء كالصبيّ.

والرَّفْشُ : الضَّعْفُ والوهَنُ أو الخلط، من قولك : رفَشْتُ الشيء إذا دقَقْتَه وهَرَسْتَه، مجازًا.

---

9) في الديوان :«سؤول بما وافى منوعٌ بما حوى»

10) في الديوان :«قريب صفيّ بالصديق اذا اعتنى» وهو أنسب، لكن يظهر أن فيه تصحيفين وربما كان الاصل : «قريب حفيّ بالصديق إذا اغتنى».

11) في الديوان :«خَمْش» وهو أنسب.

12) كذا في الأصول، وهو ما يدلّ عليه سياق النظم أيضًا. لكن في الصحاح ولسان العرب أن الخفش ضعف في البصر وضيق في العين الخ ولم يذكر من معانيه الطرد.

والكَشْوُ : العَضُّ.

والغَبْشُ : ظلمةُ آخر الليل.

وأثْرى الرجلُ : كثُر مالُه.

وغَشَاه يَغْشوه، وغَشِيه يَغْشاه : أتاه.

ولَشَا الرَّجُلُ : خسَّ بعد رفعة.

والحَرشُ : التحريك والاصطياد.

ولنكتف بهذا القدر، واللّه يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

---

63) في الديوان : على هبة...

64) في د : وإني رأيت الصبر..

65) ما بين معقوفتين ساقط من ب.

بـاب الـصـــــاد

أصْبَرُ من حِمَارٍ .

الصَّبْرُ خلاف الجزع، صَبَرَ - بالفتح - صَبْرًا فهو صابر وصَبُور، وتصبَّر واصْطَبر. والصَّبْرُ أيضا : الحَبْس واللُّزوم ؛ والحمار معروف، وطبعه الصَّبْر على الأثقال والأحمال.

أصْبَرُ من ذِي الضَّاغِطِ .

الصَّبْر مرَّ ؛ وذو الضَّاغط : البعير، والضَّاغط انفتاق في إبطه.
وفي عبارة بعضهم هو البعير الذي حزَّ مَرفِقُه جنبَه.

أصْبَرُ من عَوْدٍ بِدفَّيْهِ الجُلَبُ .

العَوْدُ : المُسِنُّ من الابل، كما مرَّ ؛ والدَّفَّانِ : الجَنْبانِ ؛ والجُلَبُ جمع جُلْبَةٍ - على مثال غُرفَةٍ -، وهي أثر الدَّبَر .

والمثل الأوَّل من هذين . قال البكري : هو لسعيد بن أبان بن عُييْنة بن حِصْن ؛ والثّاني لحَلْحَلَةَ بنِ قيس بن أشْيم[1]، وكلاهما فَزَاريَّان.

قال : وخبر ذلك أنَّ كلبا أوقعت ببني فزارة وقتلوا منهم نيفا وخمسين رجلا. فتَلافَى عبد الملك أمرهم وتحمل لبني فزارة نصف الحمالات وأدَّاها إليهم، وضمن النصف الآخر الى العام المقبل . ثمَّ إنَّ فزارة أخفرت ذلك وغزت كلبا . فلقوهم ببنات قين فتعدَّوا عليهم في القتل، فغضب عبد الملك لاخفارهم ذمَّته، فكتب إلى الحجَّاج يأمره، إذا فرغ من ابن الزبير، أن يوقع ببني فزارة . فلمَّا فرغ الحجَّاج من شأن ابن الزبير نزل ببني فزارة . فأتاه سعيد وحَلْحَلَة المذكوران، فأوثقهما وبعث بهما إلى عبد الملك . فلمَّا مثلا بين يديه

---

1) كذا في لسان العرب (مادة عرك)
وفي جمهرة أنساب العرب (ص 258) : حَلْحَلَه بن قيس بن سيار بن عمرو بن فزارة.

قال عبد الملك : من كان عندهُ ديْن وتر فليقـُمْ إليهما ! فقام ابن سُوَيد الكلبيّ، وكان أبوه ممَّن قُتل ببنـَاتِ قـَيْن فقال : يا حـَلْحـَلـَة، هل أحسست سويدا ؟ فقال : عهدي به يوم بنات قين وقد انقطع خروه في بطنه . فقال : اما واللّه لأقتلنـَّك ! قال : كذبت، ما أنت تقتلني، وإنـَّما يقتلني ابن الزرقاء ! والزرقاء إحدى أمهـَّات مروان بن الحكم، يـُعابون بها . فنادى بشر بن مروان، وأمـُّه فزاريـَّة، فقال : صبرًا، حـَلْحـَلُ ! فقال حـَلْحـَلـَة :

أصْبـَرُ من عـَوْدٍ بدفـَّيْه الجُلبْ قد أثـَّرَ البِطانُ فيه والحـَقَبْ

ثمَّ التفت إلى ابن سويد فقال : يا ابن استها، أجِد الضربة ! فقد وقعت بأبيك منـّي ضربة أسلحته. فضرب ابن سويد عنقه.

ثمَّ قدم سعيد بن أبان ليضرب عنقه، فناداه بشر : صبرًا يا سعيد ! فقال :

أصْبرُ من ذي ضاغطٍ عرَكْرَكِ ألقى بواني زَوْرِهِ للمَبْرَكِ[2]

فضرب عنقه وألحق بصاحبه.

والعـَرَكْرَكُ : البعير الغليظ ؛ والزَّورُ : الصـَّدرُ.

أصْبـَرُ من قـَضِيبٍ .

قصيبٌ - بالقاف والضاد المعجمة، على مثال أمير - رجل من ضـَبـَّة.

صاحبُ الدـَّابـَّةِ أولى بمُقدـَّمِها .

يـُتمثـَّل به، وهو يـُروى أثرا أو حديثا . ومعناه ظاهر.

صادفَ بـَطْنـُهُ بـَطْنَ تـُرَبـَةَ .

يقال : صـَادفـَهُ إذا لقيه ووجده ؛ والبـَطْنُ خلاف الظـَّهر، من الحيوان ومن الأرض أيضًا ؛ وتـُربـَةُ - على مثال هُمـَزَة - وادٍ معروف يصبُّ في بستان ابن عامر . فيقال هذا عند مصادفة الخصب وسعة العيش، كأنـَّه صادف هذا الوادي.

---

2) نسب في لسان العرب هذا البيت لحـَلْحـَلـَة بدل البيت السابق.

صاحِبُ السُّلْطانِ كَراكِبِ الأسَدِ يَهابُهُ النَّاسُ وهُوَ لمَرْكُوبِهِ أهْيَبُ.

هذا من الأمثال الحكميَّة، وهو قول الشاعر :

لا تَصْحَبِ السُّلطانَ في حالةٍ صاحِبُهُ ليثَ الشَّرى يركَبُ
يهابُهُ النَّاس لمركُوبِهِ وهْو لما يركَبُهُ أهْيَبُ

وسيأتي استيفاء هذا المعنى في الحكمة، إن شاء اللّه تعالى.

أصَحُّ من عَيْرِ أبي سَيَّارة.

الصِّحَّةُ ضدّ السَّقَم ؛ والعيرُ ـ بالفتح ـ: الحمار الوحشيّ . قال امرؤ القيس :

كأنِّي وردفي والقرابَ ونُمْرُقي على ظهْرِ عيْرٍ واردِ الخبراتِ

وقد يُطلق على الأهليّ، كما قال الآخر :

ولا يُقيم على ضيْمٍ يرادُ بهِ إلاَّ الأذلاَّن عير الحيِّ والوتِدُ
هذا على الخَسفِ مربوطٌ برمَّتِهِ وذا يُشجُّ فلا يرثي له أحَدُ !

وأبُو سَيَّارَةَ ـ بفتح السين وتشديد الياء ـ عُمَيْلَةُ بن خالد[3] العَدْواني . وكان له حمار أسود جاز عليه من مُزْدَلِفَة إلى مِنَى أربعين سنة . قيل : ولا يُعرف حمار أهليّ عاش أكثر من هذا الحمار . وضُرب به المثل في الصحَّة وقال السُّهَيْليّ : هي أتَانٌ عوراءُ سوداءُ خطامها ليف . وكان أبو سيَّارة يقول :

لا هَمَّ لي في الحمارِ الأسْوَدْ أصْبحتُ بين العالمينَ أحْسَدْ
بِتُّ أبا سيَّارةَ المحسَّدْ من شرِّ كلِّ حاسِدٍ يُحسَّدْ !

وهو الذي يقول : **أشْرِقْ ثَبِير، كَيْمَا نُغِير !**

وكان يقول في دعائه : اللّهمَّ بَغِّضْ بين رِعَائِنا، وحبِّبْ بيْنَ نِسَائِنا، واجْعَل المال في سُمَحَائِنا !

---

3) في **جمهرة انساب العرب** (ص. 243) عُمَيلة بن الاعز بالعين المهملة او الغين المعجمة ـ وكذلك في **البيان والتبيين** (1 : 307). ونقل في الهامش 6 عن **ثمار القلوب** أن اسمه عُميلة بن خالد بن أعزل، وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه مزدلفة إلى منى أربعين سنة . انتهى . فيظهر أن اليوسي نقل عن **ثمار القلوب**، وأن العبارة حرفت قليلاً منه أو من الناسخ.

وفيه يقول الشاعر :

خلِّ الطَّريقَ عن أبي سيَّارَهْ وعن مواليهِ بني فَـزَارَهْ
حتَّى يُجيزَ سالمًا حِمارهْ مُستقبِلَ القِبْلة يدعُو جَارهْ !
وقد أجار اللَّهُ مَن أجَارهْ

صَرِّحْ حُجَيْرُ !

التَّصْريحُ خلاف التَّعريض ؛ وحُجَيْرُ رجل من اليمامة كان مؤذنا لمُسَيْلِمَة الكذَّاب لعنه اللَّه ! وكان أوَّل ما أمر أن يذكر مسيلمة في الاذان توقف . فقال له محكم بن الطفيل : صَرِّح حُجَيْرُ ! فذهبت مثلا.

صَرَّحَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ .

التَّصريحُ خلاف التعريض، وصَرَّحَ فلان بما في نفسه : كَشَفَهُ ؛ والمَحْضُ : الخَالِصُ. وصَرَّحَ الحَقُّ عن مَحْضِهِ : انكشف واتَّضح.

وأورده أبو عبيد القاسم بن سلاَّم، لاعلان السرّ وإبدائه بعد كتمانه باللَّفظ السَّابق.

فقال البكري : جميع العلماء إنَّما أوردوه : صَرَّح الحَقِينُ . قال . وتقدَّم ذكر الحَقين وتفسيره ؛ ومَحْضُهُ : خَالصُهُ . انتهى.

قلت : وهذا اللفظ أحسن وأبين تمثيلا، وأنسب لذكر المحض . وقد تقدَّم لنا نحن أيضا تفسير الحَقين من اللَّبن، والمحض : الخالص منه . قال طرفة :

ويشْربُ حتَّى يغْمُرَ المحْضُ قلبه وإن أُعْطِهُ أترُكْ لقلبيَ مجثما

فإذا انكشف الأمر عن ستره وظهر بعد التباسه، كان كاللبن المنكشف رغوتُه عن محضه.

صَدَقَني سِنُّ بَكْرِهِ .

الصِّدقُ خلاف الكذب، وصدقتُ الرجلَ : أخبرتُه بصدق، فهو مصدوق ؛ والسِّنُّ ـ بالكسر ـ واحدة أسنان الفم، ومقدار العمر أيضا ؛ والبَكْرُ ـ بالفتح ـ: الفَتِيّ من الابل، جمعه بِكار وبِكارة ـ بكسرهما ـ.

وهذا المثل يُضرب لمن يُخبرك بسرّه، وما انطوت عليه ضلوعه.

وأصله أن رجلا ساوم آخر في بَكْرٍ فقال : ما سنُّه ؟ قال : بازل . ثمَّ نَفَرَ البكرُ، فدنا إليه صاحبه يسكنه وجعل يقول : هدع ! هدع ! وهي كلمة يُسكَّن بها الصغار من الابل . فلمَّا سمعه المشتري قال: صدقَني سنُّ بَكْرِه. وهو، إمّا أن يكون برفع سنّ على إسناد الصدق إليه مجازًا، وإمَّا بنصبه على حذف المضاف أو الجارّ، أي : صدقني خبر سن بكره، أو في سنّ بكره، وهما وجهان في المثل، وفاعل الفعل على هذا البائع، وهو إمَّا أن يكون صدقه إيَّاه بإخباره الأوَّل أنَّه بازل، ويكون هذا الكلام خرج مَخْرج الهُزْء والسُّخريَّة، أو بكلامه الثاني الذي يسكّن به البعير، وهو الأظهر.

أصْدقُ من القَطَا .

الصِّدقُ مرَّ ؛ والقَطَا طائر معروف، وتقدَّم أيضا.

قيل : وسُمّيت قطًا لأنَّها تقول في صوتها : قَطَا ! قَطَا ! فسُمِّيت بحكاية صوتها . ومن ثَمَّ قالوا : أصْدقُ من القَطَا وأنْسَبُ من القَطَا قال الكُمَيْت :

لا تكذِبِ القول إن قالت قطا صدقَت ... إذ كُلُّ ذي نسْبةٍ لابُدَّ ينحتِلُ

صِدقُكَ يُنْبِي عَنْكَ لا الوَعِيدُ.

الصِّدقُ مرَّ ؛ ويُنْبِي، من النَّبْوةِ وهو الارتفاع . تقول : نبَا الشيء - غير مهموز -، يَنْبُو، نَبْوةً، أي ارْتَفَعَ ؛ ونَبَا الشيءُ عن الشيء : تجافَى عنه ولم يعمل فيه، أو لم يطمئنَّ عليه . قال الشاعر[4]

إنَّ جَنْبي عن الفِراشِ لَنابِ ... كتجافي الأسَرِّ فوق الظِّرابِ

والأسَرُّ : البعير يُصيبه السَّررُ داء في صدره يمنعه البروك والطمأنينة . وأنْبَيْتُهُ عَنِّي : جافيتُه ودافعتُه ؛ والوعِيدُ : الوعد بشرّ.

والمعنى أنَّ صدقك في لقائك عدوَّك ودفاعهم هو الذي يدفعهم عنك، لا وعيدك إيَّاهم من غير فعل . وكذا كلّ أمر تزاوله إنَّما يظفرك منه بما ترغب، ويُنجيك ممَّا ترهب،

4) هو معْدِيكرب يرثي أخاه شُرَحْبيل.

صِدْقُك وجِدُّك وسعيك جلبًا ودفعًا، لا مجرَّد اللّسان.

أصْرَدُ من عَنْزٍ جَرْبَاءَ.

الصَّرْدُ : البَرْدُ ـ بفتح فسكون ـ، وصَرِدَ الرجل ـ بالكسر ـ صَرَدًا، فهو صَرِدٌ : وجد البرد سريعًا . قال الشاعر :

أصْبَحَ قَلْبِي صَرِدًا لا يَشْتَهِي أن يَرِدًا

والعَنْزُ معروف ؛ والجَرَبُ ـ بفتحتين ـ معروف، جَرِبَ ـ بالكسر ـ فهو أجْرَبُ، وجَرِبَتْ فهي جَرْبَاءُ . والعنز الجرباء لا تستطيع ألمَ البرد، ولا تمسك نفسها عنده . فضُرب بها المثل لمن يجد البرد سريعًا.

أصْرَدُ من عَيْنِ الحِرْبَاءِ .

الصَّرْدُ مرَّ ؛ والحِرْبَاءُ : الحيوان المعروف، وتقدَّم ما فيه، وأنَّه يستقبل عين الشمس أبدًا ويدور معها حيثما دارت . ومن ثمَّ شبَّه ابن الرومي الرقيب بالحرباء حيث قال:

ما بالُها قد حسُنت ورقيبُها أبدًا قبيحٌ قُبِّحَ الرُّقباءُ !

ما ذاك إلاَّ أنَّها شمسُ الضُّحى أبدًا يكونُ رقيبَها الحِرْبَاءُ

فصارت الحرباء لذلك كأنَّها صَردة أبدًا غاية الصَّرد.

وذكر الحريري عن بعضهم أنَّ المثل الأوَّل تصحيف هذا.

صَرَفَانِيَّةٌ ربْعِيَّةٌ، تُصْرَمُ بالصَّيفِ وتُؤكَلُ بالشُّتيَّةِ.

الصَّرفَانُ ـ بالفتح والتحريك ـ: تمرٌ رزين صلب يُعدّه العبيد والأجراء وذوو العيال لعيشهم لكفايته. ومنه قول الزبَّاء :

ما للجِمالِ مَشْيُها وئِيدًا أجَنْدلاً يحْمِلْنَ أمْ حَديدًا

أم صَرَفانًا بَاردًا شَديدا أمِ الرِّجالَ جُثَّمًا قُعُودًا ؟

وفي الصحاح : قال أبو عبيدة : ولم يكن يُهْدَى إليها شيء كان أحبَّ إليها من التَّمْر الصَّرفان . وأنشد :

ولمَّا أتَتها العِيـرُ قالت : أبارِدٌ من التَّمر أم هذا حديدٌ وجَنْدَلُ ؟

وصَرَمَ التَّمْرَ قطَعَه ؛ والشُّتيَّةُ تصغير الشتاء.

والمثل ظاهر المعنى، ولم أقف بعد على أصله وسببه.

الصَّارِمُ يَنْبُو.

الصَّارِمُ : السَّيفُ القاطع ؛ ونَبْوُهُ : تَجافِيهِ عن الضريبة، كما مرَّ آنفًا في تفسير النَّبْوة.

وهذا من أمثال أوْس بن حارثة . ومثله : **الجوادُ يَكْبو** . والمراد من ذلك أنَّ الكريم تكون له الزلَّة، والشريف تكون له السقطة، واللَّبيب تكون له الهفوة، والجواد تكون له الوقفة، ونحو ذلك.

أصْغَرُ القَومِ شَفْرتُهُمْ .

الصِّغَرُ ضدّ الكِبَر ؛ والشَّفْرةُ ـ بفتح فسكون ـ: السكّين العظيم، جمعه شِفار.

والمعنى أنَّ أصغر القوم خادمهم.

صَفِرتْ وطَابُهُ.

يقال : صَفِرَ الشيء ـ بالكسر ـ فهو أصْفَرُ، والصُّفْرةُ لون معروف . وصَفِرَ البلدُ أيضا والبيت ونحوه إذا خلا من سكانه . ومنه قولهم : نعوذ باللَّه من صفر الاناء ! أي خلوّه بهلاك المواشي ؛ والوطَبُ ـ بالفتح ـ سقاء اللَّبن، والجمع أوطُبٌ وأوطَابٌ ووِطَابُ . ويقال **صَفِرتْ وِطَابُه**، أي مات فخلا وَطبُه من روحه . قال امرؤ القيس :

ألا يا لهْفَ هِنْدٍ إثْرَ قَومٍ هُمُ كانوا الشِّفاءَ فلم يُصابوا

وقاهُمْ جدُّهم ببني أبيهِمْ وبالاشْقَيْنَ ما كان العِقابُ

وأفْلتهُنَّ عِلْباء جَريضًا ولو أدركْنَهُ صَفِرَ الوِطَابُ

أي : لو أدركنه لمات.

أصْفَى من عَيْنِ الدِّيكِ.

الصَّفاءُ ضدّ الكَدَر، صَفَا الشيء - بالفتح - يَصْفُو صَفَاءً، فهو صَافٍ ؛ والديك معروف ؛ والعَيْنُ تُطلق على الباصرة وعلى ذات الشيء . والمراد هنا الأوّل . ضربوا المثل بعين الديك في صفائها . قال الأخطل :

وكَأسٍ مثلِ عين الدِّيكِ صِرْفٍ تُنسِّي الشَّاربينَ لها العُقولا

وسمعت أعرابيَّةً رجلا ينشد :

وكأسٍ سُلافٍ يحلفُ الديكُ أنَّها لدى المزج من عينيه أصفى وأحسنُ

فقالت : بلغني أنَّ الديك من صالحِي طيركم وما كان ليحلف كاذبًا !

ويحكى عن دِعْبِل قال : كنَّا يوما عند سَهْل بن هارون، فأطلنا الحديث حتَّى أضرَّ به الجوع . فدعا بغذائه، فإذا بصحفة فيها مرق لحم ديك لا يُؤثِّر فيه ضرس . فأخذ قطعة من خبزة فقلع بها جميع المرق ثمَّ بقي مطرقًا ساعة، فرفع رأسه إلى الغلام فقال له: أين الرأس ؟ قال : رميت به . قال : ولِم ؟ قال : ظننت أنَّك لا تأكله . قال : ولِمَ ظننت ذلك ؟ فواللَّه إنِّي لأمقت من يرمي برجله، فضلا عن رأسه، والرأس رئيس، وفيه الحواسّ الخمس، ومنه يصيح الديك، وفيه عيناه اللَّتان يُضرب بهما المثل فيقال : شرابٌ مثلُ عَيْنَي الدّيك، ودماغه عجيبٌ لوجع الكلب . فإن كان بلغ من جهلك أنِّى لا آكله فإنَّ عندنا من يأكله . انظر أيْنَ هو ! قال : واللَّه ما أدري أين رميت به ! قال : أنا واللَّه أدري : رميت به في بطنك !

وسَهْل هذا ممَّن يُضرب به المثل في البُخْل، وسنلمّ بشيء من أخباره بعد، إن شاء اللَّه تعالى.

وقال عَدِيُّ بنُ زيد :

قَدَّمَتْهُ على عُقارٍ كعَينِ الدِّيك صَفا سِلافُها على الرَّاووقُ

ولهذا الشعر حكاية حسنة لحمّاد الراوية، وهي مشهورة، وعسى أن نذكرها في موضع آخر.

صَلاحُ رأْيِ النِّساءِ فَساد، ونَفاقُهُ كَساد.

مثل مصنوع، فيما أظنّ، وهو ظاهر المعنى.

أصْلَحَ غَيْثٌ ما أفْسَدَ بَرْدُهُ.

الصَّلاحُ ضدّ الفساد كالصُّلوح، صَلُحَ الشيءُ - بالفتح والضمّ - صلاحًا فهو صَلِحٌ - بالكسر - وصَالِحٌ وصَلِيحٌ ؛ والغَيْثُ : المَطَرُ، وقد غَاثَ المطرُ الأرض أي أصَابَها، وغاثها اللّهُ بغيثها، فهي أرض مَغِيثَةٌ ومَغْيُوثَةٌ . والغيث أيضا : النبات، سُمّي بما نشأ عنه . قال امرؤ القيس :

وقد أغْتدي والطَّير في وكُناتِها ... لغيثٍ من الوسْميّ رائِدهُ خال

وقال :

وغَيثٍ من الوسْمِيِّ حُوٍّ تِلاعُهُ ... تَبطَّنْتُهُ بشيْظمٍ صَلَتَانِ

ويحتمل الآخر.

وهذا المثل يُضرب للرجل يكون فاسدًا ثمّ يصلح . والأنسب لمعناه أنّه للشيء يصلح من وجه يعد ما فسد من وجه آخر، كالجواد يَجْبَهُ السائل بالشتم ثم يحسن إليه ويعتبه أو يمطل زمانا ثم يوسع برا ومعروفا فيكون إكثارُه الخير جبرًا لما في المطل من الاساءة، ونحو هذا من الاعتبار.

أصْنَعُ من دودِ القَزِّ.

الصِّناعةُ - بالكسر - حرفة الصَّانع ؛ والصَّنْعَةُ - بالفتح - عملُه، صَنَعَ الشيء - بالفتح - يصْنَعُهُ صَنْعًا، ورجل صَنَعُ اليَدين - بالكسر وبفتحتين -، وصَنِيع اليدين وصَنَاعُهما : حاذق في الصنعة، وصَنَعُ اللسان، ولِسان صَنِعٌ[5] أي بليغ ؛ وامرأة صَنَاعُ اليدين : حاذقة، وتقدّم هذا ؛ ودودُ القَزّ هي دودُ الحرير، وصناعتها فيه أمر عجيب . ولو قيل أيضا : أضْيَعُ مِن دُودِ القَزّ - بالضاد والياء المثنّاة من تحت، كان حسناً، لأنّها تلفُ على نفسها حتّى تموت . وبها يضرب الحكماء المثل لجامع المال الحريص عليه، ثمّ يخزنه ويمنعه الحقوق حتّى يهلك في جمعه، فيأخذه الوارث، كما يؤخذ الحرير بعد موت الدودة.

---

5) في ب : صَنِيع

أصْنَـعُ من سُرْفَـة.

الصنع مرّ ؛ والسُّرفَـةُ ـ بضمّ السين وسكون الراء المهملتين وبالفاء ـ دُوَيبَّة، ويقال هي الأرَضَـة، وهي تتَّخذ بيتا من دقاق العيدان، ثمّ تلزقه بعود بمثل نسج العنكبوت، إلاّ أنَّه أصلب . ثمّ تلزقه بعود من أعواد الشجر وقد غطّت رأسها وجميعها فتكون فيه . ويقال تدخل فيه فتموت.

أصْنَـعُ منْ تَـنَـوُّطٍ .

التَّنَـوُّط ـ بفتح التاء وضمّ الواو المشدّدة، وبضمّها وكسر الواو ـ: طائر، والواحدة تَـنَـوُّطَـةٌ. وهذا الطائر يُدَلّي خيوطًا من شجرة وينسج عشّه كقارورة الدهن منوطًا بتلك الخيوط فيفرّخ فيه . ولذلك سُمّي التَّنَـوُّطَ.

صَابَـتْ بِـقُـرٍّ.

الصَّوبُ مجيء السماء بالمطر، وصَابَ : نَـزلَ . قال :

فَـلَـستَ لانْـسيٍّ ولكن لملأكٍ تَـنزّلُ من جوِّ السَّماء يصوبُ

وصابَـهُ المطر، أي مُطرَ ؛ والصَّوبُ أيضا : القَـصدُ، تقول : صاب السَّهمُ أي قَـصَـد ولم يَـجُرْ ؛ والصَّوبُ أيضًا والصَّواب ضدّ الخطإ ؛ والقُـرُّ ـ بضمّ القاف ـ البردُ، وقُـرَّ الرجل ـ بالضمّ ـ أصابه القُـرُّ، فهو مَـقْرورٌ ويوم قَـرٌّ ـ بالفتح ـ: بارد . قال امرؤ القيس :

لا وأبـيكِ آبنَـةَ العَـامريّ لا يدَّعي القومُ أنِّي أفِـرْ

تميمُ بنُ مُـرٍّ وأشْياعُـها وكِـنْـدةُ حولي جميعا صُبُـرْ

إذا ركبوا الخيلَ واستلأمُـوا تحرَّقتِ الأرضُ واليومُ قَـرْ

والقُـرُّ أيضا ـ بالضمّ ـ القَـرارُ، ومنه قولهم : صَابتْ بقُـرٍّ، أي صارت الشدَّة في قرارها . قال طرفة :

كنت فيكُم كالمُغطّي رأسَهُ فآنجَلى اليومَ قِـناعي وخُـمُرْ

سادرًا [أحْسَبُ غَيِّي رَشَدًا فتناهيتُ وقد صابَت بقرْ][6]

* * *

[هذا تمام ما وُجد من هذا التأليف العجيب، والأسلوب الغريب، بخطّ الشيخ المؤلّف، رحمه اللّه تعالى ونفعنا به، على يد كاتبه وناسخه عبد السلام بن عبد الرحمن العدلوني، كان اللّه له وليًّا ونصيرًا، في ثاني عشر رجب الفرد الحرام، عام أربعة وثلاثين ومائة وألف][7]

* * *

[الحمد للّه !

قوبلت هذه النسخة بأصلها، أصل المؤلّف رحْمَة اللّه عليه، بجدّ، وجُدٍّ في طرق تصحيحها بذلك أحسن جدّ، وساعدها في ذلك أيمَنُ جَدّ، فشاركت أصلها المذكور في الحدّ، وقد كانت منه بفقدها ما وجدته في حيز الضدّ . والحمد للّه الذي هو سنى ذلك حقَّ الحمد حمدًا واريَ الزَّنْد، ساميَ البَنْد، ذاكيَ الرَّنْد، وصلاة اللّه العديمة النِّدّ، الفائحة النَّدّ، على من ليس لمن يرتجي شفاعة من الصلاة عليه مِن بُدّ، وعلى آله وسلّم تسليما.

قال هذا وكتبه بيده مصحّحها محمَّد بن قاسم بن محمَّد ابن زاكور الفاسي، عامله اللّه !][8]

* * *

[هنا انتهى ما وجد في أصل منقول من خط المؤلف رضي الله عنه][9]

---

6) سقط ما بين معقوفتين من د.
وقد سقط من جميع المخطوطات بيت في الأصل بين هذين البيتين، وهو :
ولقد كنتُ عليكُم عاتبًا فعقبتم بذنُوب غير مُرّ

7) هذه الزيادة في نهاية ب.

8) هذه الزيادة بخط العالم الأديب محمد ابن زاكور في د.

9) هذه كلمة الختام في المخطوط أ.

الفهارس العامـة

1 ـ فهرس موضوعات الكتاب
2 ـ فهرس الأمثال النثرية
3 ـ فهرس الأمثال النثرية العاميّة
4 ـ فهرس القوافي
5 ـ فهرس الاعلام
6 ـ فهرس الأماكن والقبائل والأمم
7 ـ فهرس الكتب الواردة في النص
8 ـ مصادر المقدمة والتحقيق
9 ـ مستدركات

فهـرس موضوعات الكتاب

الجـزء الأول

تقديم المحققيـن	5
مقدمة المؤلف	11
السمط الأول في الأمثال وما يلتحق بها	19
الفصل الأول في معنى المثل والحكمة	19
الفصل الثاني في فائدة المثل والحكمة	31
الفصل الثالث في فضل الشعر	43
الفصل الرابع في الأمثال الشعرية	50
خاتمة في اصطلاح الكتاب	58
باب الألــف	59
باب البــاء	177
باب التــاء	309

الجــزء الثاني

باب الثــاء	5
باب الجيــم	37
باب الحــاء	95
باب الخاء المعجمة	185
باب الدال المهملة	237

الجـزء الثالث

باب الذال المعجمة	7
باب الــراء	29
باب الــزاي	137
باب السين المهملة	155
باب الشين المعجمة	205
باب الصاد	247
الفهارس العامـة	259

فهرس الأمثال النثرية
مرتبة بحسب الحروف المنطوقة، أصلية كانت أو زائدة (دون اعتبار ال)

الألـــــف

آخِرُ البَزِّ على القَلوص 70:1
آخِرُهَا أقَلُّها شِرْبًا 71:1
آكَلُ مِنْ أرَضَة 77:1
آكلُ من سوس 77:1
آلَفُ من حمام مكّة 79:1
آلَفُ من غُرَاب عُقْدة 81:1
آمَنُ مِن حمام مكة 83:1
الآنَ يمدُّ أبو حنيفة رِجْلَهُ 143:1
أبَى الحقينُ العِذْرَة 59:1
أبَى مَنْبِتُ العِيدان أن يَتَغَيَّر 144:1
أبْخَرُ منَ الأسَد 177:1
أبْخَرُ من صَقْر 178:1
أبَرُّ من هرّة 181:1
أبَرَمًا قَرُونًا 183:1
أبصرُ من عُقاب 185:1
أبصَرُ من غُراب 185:1
أبْصَرُ من فرس 186:1
أبصرُ من المَائح، باسْتِ المَاتِحِ 186:1
أبصرُ من هُدْهُد 187:1
أبصرُ من وَطْواطٍ بالليل 187:1
أبْطَأُ من غراب نوح 192:1
أبطأُ من فِنْدٍ 192:1
أبعدُ من بَيْضِ الأنُوق 195:1
أبْعِدِي عنّي ظِلَّك، أحمِلْ حِمْلِي وحِمْلَكِ 197:1
أبْلِغْنِي رِيقِي 199:1
أبْلَهُ من ضَبٍّ 204:1
ابنُكَ ابنُ أبِيْرِك، ليس بِذي أبٍ غيْرِك 205:1
ابنُك ابنُ بُوحِك 205:1
ابْنُكِ مَنْ دمَّى عَقِبَيْكِ 206:1
أتَى الأبَدَ، عَلَى لُبَد 59:1
أتْبِعِ الفَرَسَ لجامَها، والناقةَ زمامها، والدَّلْوُ رِشَاءَها 309:1
أتْبَعُ من الظّل 311:1
آتُخِذَ فُلانٌ حمارًا للحاجات 66:1
اتَّخَذَ الليلَ جَمَلاً 66:1
أتَتْكَ بِحَائِنٍ رِجْلاه 61:1
أتَتْهُم فَالِيَةُ الأفاعي 63:1
أتْجَرُ من عَقرب 312:1
أتْخَمُ من الْفَصِيل 313:1
اتْرُكْ صاحب الغاسول يَسْكُتْ 329:1
اتَّقِ مأثُورَ القَوْل 318:1
أتَمِيمِيًّا مرّةً وقَيْسِيًّا أخْرى 325:1
أتَيْتُهُ صَكَّةَ عُمَيٍّ 62:1
أثْقَفُ من سِنَّوْر 5:2
أثْقَلُ رأسًا من فَهْد 5:2
أثقل من حديثٍ مُعَادٍ 6:2
أثقل مِنْ حِمْلِ الدُّهَيْم 9:2
أثقلُ مِنَ الزَّوَاقِي 9:2
أثْقلُ من الْفِيل 11:2
أثقلُ من مُغَنٍّ وَسَطٍ 9:2
أجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ 37:2
أجْبَنُ مِنْ الكَرَوَانِ 38:2
أجبن من المَنْزوفِ ضَرطًا 38:2
أجْبَنُ من نَعَامَةٍ 39:2
أجَدْتُ من هذا الأمْرِ قُروني 64:2
أجَدَّ فلانٌ بها أمْرًا 64:2
أجَدَّكَ تَقولُ هَذَا ؟ 64:2
أجْرى من ذُباب 46:2
أجْرأُ من خَاصِي الأسَد 42:2
أجرأُ من خَاصِي خِصَاف 42:2
أجْرأ من فارسِ خِصاف 43:2
أجْرأُ الأمورَ على أذلالها 45:2
أجلستُه عندي فاتَّكأ 47:2
أجملُ من المُذْهِب 51:2
أجناؤُها أبناؤها 53:2
أجَنُّ من دُقَّة 51:2
أجْوَدُ من لافِظَة 52:2

أجْوعُ من ذئب 56:2
أجوعُ من كلبةِ حَوْمَل 57:2
أجوعُ من لَقْوَة 57 :2
أجْولُ من قُطرُب 57:2
أحَبُّ الحديثِ أصْدقُه 95:2
احْتَكِم حُكْمَ الصبيِّ على أهلِه 127:2
إحْدى حُظِيَّاتِ لُقمان 64:1
أحْذَرُ من ضَبٍّ حَرشْتُهُ 105:2
أحذَرُ من غُراب 105:2
أحْذَرُ من قِرِلَّى 117:2
أحَرُّ من دمْعِ المِقْلاتِ 111:2
أحرُّ من القَرَعِ 112:2
أحْرَسُ من الكُرْكِيِّ 112:2
أحْرَصُ من نملة 113:2
أحْزَمُ أو أحْذَرُ من قِرِلَّى، إن رأى خيرًا تَدلَّى، وإن رأى شرًّا تَولَّى - أو تعلَّى 117:2
أحْزَمُ من الحِرِباء 115:2
أحزمُ من عُقاب 116:2
أحزمُ من قِرِلَّى 117:2
أحمقُ من ذي الودَعات 138:2
أحمقُ من رجْلَة 134:2
أحمقُ منْ رَخَمَة 135:2
أحمقُ من صاحبِ ضَأنٍ ثمانينَ 135:2
أحمق من ناطح الصَّخْرة 136:2
أحمق من نَعَامَة 137:2
أحمقُ من هَبَنَّقَة 138:2
أحْيَى من ضَبٍّ 148:2
أحْيَرُ من بُرغُوث 147:2
أحيرُ من بَقَّة، في حقَّة 150:2
أحْيَرُ من طَيْرٍ في شَبَكة 150:2
اخْتَلَطَ الخَابِلُ بالنَّابِلِ 194:2
اخْتَلَطَ الخَاثِرُ بالزُّبَّاد 194:2
أخْدعُ من ضَبٍّ 186:2
أخَذَ بِلَغَبِ رَقَبَتِه 141:1
الأخْذُ سُرَّيْط، والقضاءُ ضُرَّيْط 65:1
الأخذُ سَلْجان، والقضاءُ لِيَّان 64:1
أخَذَ فلانٌ رُمَيْحَ أبي سَعْد 141:1
أخَذَه بِجَذَافِيرِه 141:1
أخذَهُم ما قَدُم وما حَدُثَ 68:1
أخْرجْتُ لهُ حَرِيشَتِي 212:2
أخْرقُ من حمَامة 189:2
أخْسَرُ صَفْقَةً من أبي غَبْشَانَ 190:2
أخْشَنُ من لِيفَة 212:2
أخْطَأتِ اسْتُكَ الحُفْرة 190:2
أخْطأ من ذُباب 191:2
أخطأ من فَراش 191:2
أخَفُّ رأسًا من ذِئب 193:2
أخفُّ رأسًا من الذُّباب 193:2
أخفُّ رأسًا من الطائر 193:2
أخفُّ حِلمًا من بَعير 192:2
أخفُّ عِلْمًا من عُصفور 192:2
أخفُّ من دينارٍ يَحْيَى 224:2
أخفُّ من لا على اللسان 193:2
أخفُّ من يَرَاعَة 193:2
أخْلَفُ من صَقْر 195:2
أخْلَفُ من عُرقُوب 195:2
أخُوكَ أمِ الذِّئْبُ ؟ 71:1
أخوكَ البَكريُّ ولا تَأمَنُه 71:1
أخْيلُ من مُدالَة 211:2
أدْهَى من ثعلب 242:2
إذا ارجَحَنَّ شاصيًا فارفَعْ يَدًا 72:1
إذا امتلأتِ القدرُ ترشَّحَتْ 143:1
إذا بَلَغَ الرَّجلُ السِّتِّين فإيَّاهُ وإيَّا الشَّوابِّ 141:1
إذا دخَلْتَ أرضَ الحُصَيْب فَهَرْولْ 72:1
إذا سمِعتَ بسُرى القَين فاعلمْ أنّه مُصْبِحٌ 72:1
إذا طلبتَ الباطل أنْجَحَ بكَ 73:1
إذا عَزَّ أخوك فَهُنْ 73:1
إذا لم تَجِدُوا نارًا فاقْلُوا قَلِيَّةً 143:1
إذا لم تَسْتَحْيِ فاصنَعْ ما شِئْتَ 74:1
إذا لَمْ تَغْلِبْ فَاخْلِبْ 76:1
إذا نَزَلَ بِكَ الشَّرُّ فاقعُدْ 75:1
إذا نَزَلَ القضاءُ عَمِيَ البَصَر 75:1
إذا وجَدتَ الظِّبَاءَ الماءَ فَلا عَبَاب، وإن لم تجِدْهُ فَلا أبَاب 141:1
أذكَى من إيَاس 11:3
أذلُّ من بَيْضَةِ البَلَد 13:3
أذلُّ من حِمار 14:3
أذلُّ من حِمار قَبَّان 14:3
أذلُّ من السُّقْبانِ بينَ الحَلائِب 15:3

أذلُّ من فَراشٍ 15:3
أذلُّ من فَقْعٍ بِقَرْقَرَةَ 15:3
أذْهلُ من صَبٍّ 21:3
أرادَ بَيْضَ الأنُوقِ 66:3
أراكَ بَشَرٍ، ما أحارَ مِشْفَرٍ 29:3
أراكَ تُقدِّمُ رِجْلاً وتُؤخِّرُ أُخْرى 34:3
أراكَ الكواكبَ بالنّهار 34:3
أرى الموتَ في الغَرائِرِ السُّودِ 3 36
ارْبَعْ عَلَى ظَلْعِكَ 45:3
أردْتُ عَمْرًا وأراد الله خَارِجَة 67:3
ارْضَ من المَرْكَبِ بالتَّعْلِيق 54:3
ارْقَ على ظَلْعِكَ 3 58
ارْقَ على ظَلْعِكَ أن يُهَاضَ 59:3
ارْقَعْ ما أوْهَيْتَ 73:3
أرْمَى من ابن تِقْنٍ 62:3
أرنِبها نَمِرة، أرْكُها مَطِرة 36:3
الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدة 62:3
أرْوى من نَمْلَة 71:3
أروَغُ من ثُعالَة 68:3
أريها السُّهى وتُريني القَمَرَ 29:3
أزْكَنُ من إيَاسٍ 144:3
أزْنَى من قِرْدٍ 144:3
أزْهَى من ديكٍ 146:3
أزهى من طاووسٍ 145:3
أزْهَى من غُرابٍ 146:3
أسَائِرِ اليوم وقد زَالَ الظُّهْرُ 155:3
أساءَ سَمْعًا فأساء إجابَةً 182:3
أسافَ حتّى ما يشتكي السَّوافَ 182:3
أسْألُ من قَرْثَعٍ 159:3
اسْتَرَاحَ من لا عقلَ له 63:3
اسْتَسْمَنَ ذَا وَرَمٍ 178:3
اسْتَنَّتِ الفِصَالُ حتّى القَرْعَى 180:3
أسْرَى من جُنْدُب 167:3
أسْرَى من قُنْفُذ 167:3
أسْرَعُ السُّحْبِ في المَسيرِ الجَهَامُ 166:3
أسْرَعُ من تَلَمُّظِ وَرَلٍ 166:3
أسرعُ من تَنَوُّطٍ 256:3
أسرعُ من زَبَابَة 166:3
أسرعُ من نِكاحِ أمِّ خَارِجَةَ 163:3
أسَعْدٌ أمْ سَعِيدٌ ؟ 167:3
أسْفَدُ من ديكٍ 168:3
أسْفَدُ من هِجْرِسٍ 168:3
اسْقِ أخاكَ النَّمَرِيَّ يَصْطَبِحْ 170:3
اسقِ رِقَاشِ إنّها سَقَّايَة 171:3
أسْكَتُ من سَمَكَة 173:3
أسْلَحُ من حُبَارَى 173:3
أسْلَحُ من دَجَاجٍ 173:3
أسْلَطُ من ذئبٍ مُتَنَمِّرٍ 183:3
أسمعُ جَعْجَعَةً ولا أرى طِحْنًا 176:3
أسمعُ من دُلْدُلٍ 174:3
أسْمَعُ من سِمْعٍ 174:3
أسمعُ من السِّمْعِ الأزَلِّ 174:3
أسمعُ من فَرْخِ عُقاب 175:3
أسْمَعُ من قُرادٍ 175:3
أسْيَرُ من المَثَلِ 183:3
أشْأمُ من أحمرِ ثَمود 211:3
أشأمُ من الأخْيَل 207:3
أشأمُ من البَسُوس (أو مِن بني البسوس) 205:3
أشأمُ من خَوْتَعَة 207:3
أشأمُ من دَاحِسٍ 208:3
أشأمُ من الدُّهَيْم 208:3
أشأمُ من سَرَاب 209:3
أشأمُ من الشَّقْراءِ 209:3
أشأمُ من عِطْرِ مَنْشِمٍ 210:3
أشأمُ من غراب البَيْن 210:3
أشأمُ من قَاشِرٍ 213:3
أشأمُ من قُدارٍ 211:3
أشْبَهَ شَرْجٌ شَرْجًا لو أنَّ أُسَيْمِرًا 216:3
أشبهُ من الغُرابِ بالغُرابِ 215:3
اشْتَدِّي أزْمَةُ تَنْفَرِجِي 224:3
اشتدِّي زِيَمُ 219:3
اشْتَرِ لِنفسك وللسّوق 232:3
أشْجَعُ من الدِّيك 217:3
أشَدُّ من الدَّلَمِ 219:3
أشدُّ من الفَرَسِ 219:3
أشدُّ من الفيل 219:3
أشْرَبْتَنِي مالَمْ أشْرَبْ 241:3
أشرد من نَعامَة 226:3
أشْرَدُ من وَرَلٍ 226:3
أشْغَلُ من ذاتِ النِّحْيَيْن 232:3
أشْكَرُ من بَرْوَقَة 234:3
أشكرُ من كلب 234:3

أشَمُّ من نعامَةٍ 236:3
أصْبَرُ من حمارٍ 247:3
أصبرُ من ذي الضَّاغِطِ 247:3
أصبر من عَوْدٍ بِدفَّيْهِ الجُلَبُ 247:3
أصبر من قَضِيبٍ 248:3
أصَحُّ من عَيْرِ أبي سَيَّارَة 249:3
أصْدَقُ من الْقَطَا 251:3
أصْرَدُ من عَنْزٍ جَرباء 252:3
أصردُ من عَيْنِ الحِرْبَاء 252:3
أصغرُ القومِ شَفْرَتُهُم 253:3
أصْفَى من عين الدِّيك 254:3
أصْلَحَ غيثٌ ما أفْسَدَ بَرْدُهُ 255:3
أصْنَعُ من دُودِ القَزِّ 255:3
أصنَعُ من سُرْفَة 256:3
أعْطى العبدَ كِراعًا، فَطَلَب ذِراعا 47:2
أعْمَرُ من قُرادٍ 176:3
أعْيَيْتِني بِأَشَرٍ، فكيف بِدُرُدُر 133:2
أغْلَمُ من هِجْرِس 168:3
أقْنَعُ من صاحب التِّمانين وراعِيهَا 136:2
ألْحِمْ ما أسْدَيْتَ 162:3
ألْوَطُ من عُدَار 58:2
إليك يُساقُ الحديثُ 81:1
الأمر أشدُّ من ذلك 83:1
أمْرَ مُبْكِياتِك، لا أمْرَ مُضْحِكاتِكَ 81:1
أمَّا الدِّين، فَلا دِين 84:1
الأمورُ مَخْلُوجَةٌ وليْسَتْ بِسُلْكَى 82:1
أنا ابنُ بَحْدَتِها 84:1
أنا أبو النَّجْمِ وشِعْرِي شِعْرِي 146:1
أنا أتَلَوَّصُ قبلَ أن أَرْمَى 90:1
أنا بالقُوس، وأنتَ بالقَرقُوس، مَتَى نجْتَمِع ؟ 84:1
أنا تَئِق، وأنت مَئِق، فكيف نَتَّفِق ؟ 85:1
أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك، وعُذَيْقُها المُرجَّب 86:1
أنا عِربِيد، وأنتَ رِعْديد، وبَيْنَنَا بَونٌ بعيد 143:1
أنا كَلِف، وأنت صَلِف، فكيف نأتَلِف ؟ 90:1
أنا من هذا الأمرِ فالِجُ بنُ خَلاَوَة 90:1
أنا من هذا الأمرِ كحَاقِنِ الاهَالَة 91:1
أنا النَّذيرُ العُرْيان 91:1
إنْ أعْيَى فَرَدُّهُ نَوْطًا 97:1
أنتَ شَوْلَةُ النَّاصِحَة 92:1
أنْتِ صاحِبَةُ النَّعَامَة 92:1
أنتِ غَيْرَى نَغِيرَة 92:1
إنْ جَرْجَرَ العَوْدُ فزدْهُ وقْرًا 96:1
إن ذَهَبَ عَيْرٌ فَعَيْرٌ في الرَّهط 96:1
أنْفُكَ منكَ وإن كان أجْدَعَ 98:1
إن كَذَبْتَ فَحَلَبْتَ قَاعِدًا 142:1
إن كَذَبْتَ فَشَرِبْتَ غَبُوقًا بَارِدًا 142:1
إن كنتَ ذا طِبٍّ فَطِبَّكَ لِعَيْنَيْك 100:1
إن كنت ريحًا فقد لاقَيْتَ إعْصَارا 99:1
إن لا أكُنْ صَنَعًا فإنّي أعْتَثِمُ 101:1
إن لا حَظِيَّة، فَلا أليَّة 100:1
إنَّ البُغَاثَ بأرضنا يَسْتَنْسِر 102:1
إنَّ البَكْرِيَّ ليُحِسُّ السَّعْدِيَّ 105:1
إنَّ تَحْتَطِرِيَّقَتِهِ لعِنْداوَة 105:1
إنَّ التخلُّقَ يأتي دونَه الخُلُق 148:1
إنَّ الجوادَ عينُه فَرارُهُ 106:1
إنَّ الحَذَرَ، لا يُغني من القَدر 107:1
إنَّ الحُرَّ حُرٌّ 145:1
إنَّ الحِسانَ مَطِنَّةٌ للحُسَّد 146:1
إنَّ دونَ الظُّلْمَةِ خَرْطَ قَتَاد 108:1
إنَّ الرَّثِيئة تَفتَأُ الغَضَب 108:1
إنَّ الرِّقِين، تُغَطِّي أفْنَ الأفين 109:1
إنَّ السَّقْطَ يُحْرِقُ الحرجَة 110:1
إنَّ السُّمَّ مَشْرُوب 148:1
إنَّ الشفيق بسوءِ الظَّنِّ مُولَع 112:1
إنَّ الشَّقراءَ لم يَعْدُ شرُّها رجْلَيْها 113:1
إنَّ الشَّقِيَّ وافِدُ البَراجِمِ 114:1
إنَّ العَصَا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ 118:1
إنَّ فُلانًا بَاقِعَةٌ 120:1
إنَّ فُلانًا لَتَدِبُّ عَقَارِبُه 142:1
إنَّ في المَرْتَعَة، لكُلِّ قومٍ مَقْنَعَة 130:1
إنَّ في مُضَرَ لَمَطْمَعًا 130:1
إنَّك بمَحَشِّ صِدقٍ فَلا تَبْرِحْهُ 141:1
إنّ الكريم إذا خادعْتَهُ انْخَدَع 149:1
إنّك لا تجْنِي من الشَّوك العِنَبَ 127:1
إنَّكُم لَتَكْثُرونَ عِنْدَ الفَزَع، وتقلُّونَ عِنْد الطَّمَع 128:1
إنّ للّهِ جُنودًا منها العَسَلُ 129:1
إنّ الله لن يَرفَعَ شيئًا من الدُّنيا إلاّ وضَعَهُ 131:1

إنّ الله ليُؤيّدُ هذا الدّينَ بالرجل الفاجرِ 130:1
إنّ اللُهَى، تَفْتَحُ اللّهَى 131:1
إنّ لَيتًا وإنّ لَوًا عَناءُ 149:1
إنّما سُمّيتَ هانئًا لِتَهْنَأ 132:1
إنما اشتريتُ الغَنَمَ حِذارَ العازبَةِ 133:1
إنما فُلانٌ هَامَةُ اليومِ أو غَدٍ 142:1
إنما القَرمُ من الأفيلِ 133:1
إنّما يجْزِي الفَتى ليْسَ الجَمَلْ 132:1
إنّما هو كَبَارِحِ الأرْوَى 133:1
إنّ المُحِبَّ لمَنْ يهواهُ زوّارُ 144:1
إنّ مَن بالنَّجف من ذوي قُدرةٍ لقريب 135:1
إنّ من البيانِ لَسِحْرًا 136:1
إنّ من الشّرّ خِيارًا 138:1
إنّ من الشّعْرِ لَحِكْمَةً 138:1
إنّ مع اليومِ غَدًا 134:1
إنّ منكم مُنَفّرين 138:1
إنّه أحدُ الأحديْن، وواحدُ الأحَديْن، وإحْدى الإحَد 142:1
إنّه ابنُ إحْداها 142:1
إنّ الهَدايا على مِقْدارِ مُهدِيها 139:1
إنّهُ ليُسرِئُ حَسْوًا في ارتغاء 120:1
إنّه لَذُو بَزْلاءَ 120:1
إنّه لَحِبْلٌ من أحْبالِها 120:1
إنّه لَساكنُ الرّيح 121:1
إنّه لشرّابٌ بأنْقُعٍ 122:1
إنّهُ لَصِلُّ أصْلالٍ 122:1
إنه لضَعيفُ العَصَا 123:1
إنّه لَضِلُّ أضلال 123:1
إنّه لعِضٌّ 124:1
إنّه لفِي حُورٍ وبُورٍ 142:1
إنّه لليّنُ العَصَا 125:1
إنّه لَنِقابٌ 125:1
إنّهُ لَنَكِدُ الحَظِيرَة 126:1
إنّه لَهِتْرُ أهْتارٍ 126:1
إنّه لوابصَةُ سَمْعٍ 142:1
إنّهُ لواقِعُ الطّائِرِ 127:1
أنُومُ من فَهْد 5:2
إن يَكُن هذا من اللّه يُمْضِهِ 100:1
أهلُ مكّة أعْرفُ بشِعابِها 139:1
الايناس، قبْلَ الابْساس 96:1
أيْنَما أذهَبْ ألْقَ سَعْدًا 139:1
إيّاك أعْنِي واسْمَعِي يا جَارة 140:1
أيُّ داءٍ أدْوَى من البُخل ؟ 139:1
أيّ الرّجالِ المُهَذَّبُ ؟ 150:1

البـــاء

باءتْ عَرارِ بِكَحْلٍ 133:1 207:1
باتتْ بِلَيْلةِ أنْقَدَ 132:1 208:1
باتتْ بليلَةٍ شَيْبَاءَ 133:1 208:1
باتَتِ المرأةُ بليلةٍ حُرّةٍ 144:1 208:1
باتَ فلانٌ بليلةِ ابنِ المُنْذِرِ 135:1 207:1
بالتْ عليه الثّعالبُ 136:1 207:1
بالَ حمارٌ فاسْتبالَ أحْمِرَة 138:1 207:1
بَحَثَ عن حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ 138:1 177:1
البَدلُ أعْوَرُ 134:1 178:1
برِئَتْ قَائبَةٌ من قُوبٍ 138:1 194:2
بَرِحَ الخَفاءُ 179:1
بالرّفاءِ والبنينَ 142:1 181:1
برُّ الكريم طبْعٌ، وبرُّ البخيلِ دَفْعٌ 142:1 180:1
بَرَقٌ لمَنْ لا يَعْرِفُك 139:1 182:1
البَركات في الحركات 120:1 213:1
بَصْبَصَنْ إذْ حُذِينَ بالأذْنابِ 120:1 187:1
بِضَرْبِ خبّابٍ وريشِ المُقْعَدِ 120:1 187:1
البِطْنَة، تُذهِبُ الفِطْنَة 121:1 192:1
بَطْنِي عَطِرِي، وسائِرِي ذرِي 122:1 194:1
بعْدَ اللّتَيّا والّتي 122:1 212:1
بعض السرّ أهونُ من بعْض 123:1 197:1
بعِلّةِ الورشَان، ياكلُ رُطَبَ المِشان 123:1 198:1
البُغاثُ بأرضِنا يَسْتَنْسِرِ 124:1 199:1
بفُلانٍ تُقْرَنُ الصّعْبَةُ 142:1 212:1
بَلَغَ السّكينُ العَظْمَ 125:1 202:1
بَلَغَ السّيْلُ الزُّبَى 125:1 202:1
بَلَغ الشّظاظُ الوِركَيْنِ 126:1 203:1
بلغ اللهُ بكَ أكْلأ العُمُر 126:1 204:1
بلغَ من العِلْمِ أطْوَرَيْهِ 142:1 204:1
بِهِ لا بِظَبْيِ 127:1 206:1
بِيَدي لا بِيَدِ عَمْرٍو 208:1
بِيَدَيْنِ ما أوردهَا زائِدة 210:1
بَيْضُ القَطا يحْضُنُهُ الأجْدلُ 211:1
بَيّنَ الصُّبْحُ لِذي عَيْنَيْن 211:1

التّـــاء

تأمِيرُ الأراذل، تدميرُ الأفاضِل 83:1
تتابَعِي بَقَر 309:1
التَّجْرِيدُ لغيْرِ نِكاحٍ مُثْلَة 45:2
تَجَشَّى لُقَيْمٌ من غير شِبَع 47:2
تَجَنَّبَ روضةً وأحالَ يَعْدُو 51:2
تجوعُ الحُرَّةَ ولا تاكلَ بثَدْيَيْها 53:2
تحت طريقَتِك عِنْداوَة 328:1
تحسبُها حمقاءَ وهي باخِسٌ 122:2
تحفةُ المُومنِ الموتُ 313:1
تحْقِرُه ويَنْتَأ 126:2
تحكَّكَتِ العقربُ بالأفْعَى 126:2
تحلَّلَتْ عُقَدُ فُلان 149:2
تخرَّسِي يا نَفْسُ لا مُخرِّسَ لَك 187:2
تخلَّصَتْ قائِمةٌ من قُوب 193:2
تَرَكْتَ الرأيَ بِبَقَّة 315:1
تركتُ فلانًا بملاحِسِ البَقَرِ أولادَها 315:1
تركتُه بِاسْتِ الأرض 329:1
تركتُه تركَ الظَّبْيِ ظِلَّه 316:1
تركتُه على أنْقَى من الرّاحة 329:1
تركتُه كجوْفِ حِمَار 316:1
تركتُهُم لحمًا على وضَم 317:1
تَرَك الخِداعَ من أجْرى من المِائة 315:1
تَرَكُ الوطنِ أحدُ السَّبَاءَيْن 318:1
تَرى الفِتْيانَ كالنَّخْل، وما يُدْريك ما الدَّخْلُ 32:3
تَسْألُني أبا الوليدِ جَمَلا، يَمْشي رويْدًا ويكون أوَّلا 158:3
تسألُني بِرامَتَيْنِ سَلْجَمًا 156:3
تَسْمَعُ بالمُعَيْدي خيرٌ من أن تراهُ 176:3
تعْجِيلُ اليَأسِ أحدُ اليُسْرَيْن 212:2
تلك التجارةُ لا انتِقادُ الدِّرْهَم 324:1
تَمْرةٌ خيرٌ من جرادة 324:1
التَّمْرُ في البِئْرِ على ظَهْرِ الجَمَل 325:1
تِيسِي جَعَارِ 328:1

الثّـــاء

ثار حابِلُهُم على نابِلِهِمْ 20 :2
الثّبَات، يَكْسِرُ الوثَبَات 5:2
ثُكْلٌ أرأمَها ولَدًا 15:2
الثَّور يحْمِي أنْفَهُ بِروقِهِ 18:2

الجِيـــم

جاء بالأمرِ على قناديدِه 64:2
جاء بأمٍّ الرُّبَيْق، على أريْق 61:2
جاء بالحَظِرِ الرَّطْب 59:2
جاء بالصُّقَرِ والبُقَر 65:2
جاء بالضّحِّ والرِّيح 58:2
جاء بالطَّمِّ والرَّمِّ 59 2
جاء بما صَأى وصَمَت 60:2
جاء بِهِ مِن حَسِّهِ وبَسِّه 65:2
جاءتْ بِدِاتِ الرَّعْدِ والصَّلِيل 65:2
جاء صَرِيمَ سَحْرٍ 60:2
جاء على غُبَيْراءِ الظَّهْر 63:2
جاءَ مضطَرِبَ العِنَان 65:2
جاء يَضْرِبُ أسْدَرَيْه 60:2
جاؤُوا على بَكْرَةِ أبيهِمْ 62:2
جاء وقَدْ لَفَطَ لِجامَه 63:2
جاؤوا قَضَّهُم بقَضِيضِهِمْ 63:2
جاء ولكن لم يَجِيءْ لِعُصْر 66:2
جاؤُوا مُخِلِّينَ فَلاقَوْا حَمْضًا 61:2
جاء يَفْرِي ويَقُدُّ 60:2
جاء يَنْفُضُ مِذْرَوَيْه 62:2
الجَار، قَبْلَ الدّار 58:2
الجَحْشَ لَمَّا بذَّك الأعْيَار 40:2
جُحَيْشُ وحْدِه 64:2
جَدُكَ كَدُك 40:2
جَدَعَ مَازِنٌ أنْفَهُ بِكَفِّه 41:2
جَرِّبْ، ثمّ باعِدْ أو قَرِّبْ 43:2
جُرُّوا لَهُ الخَطِيرَ ما انْجَرَّ لكُم 44:2
جَرِيُ المُذكِّياتِ غِلابٌ 44:2
جَرْيَ المُذكِّي حَسَرَتْ عنهُ الحُمُرُ 43:2
جزاهُ جزاءَ سِنِمَّار 46:2
جَعْدُ البَنَان 65:2
جَعْدُ الثَّقَفَا 65:2
جعلُوا الأرض عليه حَيصَ بيْص، وحيْصًا بيْصًا 24:2
جَلَّى مُحبًّا نَظَرُه 47:2
جَمع بينَ الأروى والنَّعَام 48:2

جَمع بين الضَّبِّ والنُّون 50:2
الجَملُ من جوفِهِ يجْتَرّ 51:2
الجوابُ ما ترى لا ما تسْمَعُ 66:2
الجوادُ يَكْبُو 52:2
جوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ 55:2

الحـــاء

حَال الجَريض، دون القَريض 145:2
حُبُّك الشيءَ يُعْمي ويُصِمُّ 95:2
حُبًّا وكرامَةً 149:2
حبْلُ فُلانٍ يُفْتَلُ 96:2
حتّامَ تَكْرَعُ ولا تَنْفَع ؟ 98:2
حَتْفُها تَحْمِلُ ضَأنٌ بأظْلافِها 97:2
حِدأ حِدأ وراءَكِ بُنْدُقَة 99:2
حدِّثْ حديثَين المرأة، فإن أبَت فَعَشَرَة 99:2
حدِّثِ المرأة حدثين، فإن لم تفْهَم فأربَعَ 99:2
حدِّثْ عن البحْرِ ولا حَرَجَ 103:2
حدِّثْ عن مَعْنٍ ولا حَرَجَ 104:2
حديثُ خُرافَةَ يا أمَّ عَمْرو 100:2
الحديثُ شُجُونٌ 102:2
الحديدُ بالحديدِ يُفْلَلُ 104:2
الحَذَرُ قبل إرسالِ السَّهْم 104:2
حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْل 105:2
الحربُ خُدعَة 106:2
الحربُ سِجَال 106:2
حَرْبٌ عَوَانٌ 107:2
الحُرُّ إذا خُودِع تَخادع، وإذا عُظِّم تواضَع 110:2
حِرَّة، تحْتَ قِرَّة 110:2
حرَّكَ خِشَاشَه 114:2
حَرِّكْ لها حُوَارها تَحِنّ 115:2
حُرٌّ انْتَصَرَ 112:2
حَرَقَ عليه الأرَمَ 114:2
حزَّت حازَّةٌ من كوعِها 115:2
حُزْقَة حُزْقَة، تَرِقَّ عَيْن بَقَّة 185:2
حَسْبُكَ من شَرٍّ سَمَاعُه 118:2
الحُسْنُ أحْمَر 123:2
حُسْنُ الخَطِّ إحْدى الفَصاحَتَيْن 214:2
حُطْنِي القَصَا 149:2
الحَفَائِظُ تُحَلِّلُ الأحْقَاد 125:2
الحَقُّ أبْلَجُ، والباطِلُ لَجْلَجٌ 125:2
حَقَّكَ أخَذْتَ 126:2
حَلأتْ حالِئَةٌ عنْ كُوعِها 128:2
حُلِبَتْ صُرامُ 128:2
حَلَفَ لَه بالمُحْرِجات 129:2
حَلِمَ الأديمُ 129:2
الحَمْدُ مَغْنَم، والمَذَمَّةُ مَغْرَم 130:2
الحُمَّى أضْرَعَتْنِي إليْك 140:2
الحُمّى أضْرَعَتْنِي للنَّوْم 141:2
الحِمْيَةُ إحْدَى المَوْتَتَيْن 212:2
حَمِيَ الوَطِيسُ 142:2
حَنَّتْ ولا تَهَنَّتْ 143:2
حنَّ حَنِينَ الثَّكْلَى 142:2
حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْها 143:2
حَوالَيْنَا لا عَلَيْنا 146:2
حُورٌ في مَحَارَة 144:2
حوَّلَ حابِلَهُ على نابِلِهِ 146:2
حيثُ لا يَضَعُ الرَّاقِي أنْفَهُ 147:2
حيلَ بيْنَ العِيرِ والنَّزَوانِ 145:2
الحَيَّةُ من الحُيَيَّة 148:2

الخـــاء

الخَالُ أحدُ الأبَوَيْنِ 212:2
خَامِرِي أمَّ عامِرٍ 200:2
خُبَأةٌ خيرٌ من يَفَعَةِ سُوء 184:2
خَبَطَ خَبْطَ عَشْوَاءَ 184:2
خِبِقَّة خِبِقَّة، تَرِقَّ عَيْنَ بَقَّة 185:2
خُذْ من جِذْعٍ ما أعْطَاك 68 1
خُذْهُ ولو بقُرْطَيْ مَارِيَة 69:1
خَرْقَاءُ ذاتُ نِيقَةٍ 187:2
خَرْقاءُ عَيَّابَة 189:2
خرقاءُ وجَدَتْ صُوفًا 189:2
الخُرقُ سُؤْمٌ 188:2
خَسٌّ ذُؤالَة، بالحِبالَه 190:2
خَسْيَةٌ خيرٌ من مَلءِ وادٍ حُبًّا 190:2
الخَطُّ الحسنُ يزيدُ الحقَّ وضوحًا 214:2
خِفَّةُ الظَّهْرِ أحَدُ اليَسَارَيْن 212:2
خَفِيفُ الْحَاذِ 213:2
خَفِيفُ الرِّدَاءِ 213:2
خَلاؤُكَ أقْنَى لِحَيَائِك 197:2

خَلالَكِ الجَوُّ فَبيضِي واصْفِرِي 198:2
خُلِطَ عَلَيْكَ الأَمْرُ 214:2
خَلْعُ الدِّرعِ بِيَدِ الزَّوْجِ 194:2
الْخَلَّة، تَدعُو إلى السَّلَّة 197:2
خَلٌّ سبيلَ مَنْ وهَى سِقَاؤُهُ 196:2
خَلِّهِ دَرَجَ الضَّبِّ 195:2
الخُنْفُسَاءُ إذا مُسَّتْ نَتَنَتْ 192:2
الْخَنَق، يُخْرِجُ الورِق 201:2
خيرُ الأمورِ أوساطُها 202:2
خَيْرُ العَشَاءِ سَوَافِرُه 203:2
خيرُ العِلْمِ ماحُوضِرَ بِهِ 204:2
خيرُ الْغَداءِ بَواكِرُه 204:2
خيرُ الغِنى القُنُوع، وشرُّ الفقْرِ الخُضُوع 205:2
خيرُ ما رُدَّ في أهلٍ ومال 208:2
خيرُ المالِ سِكَّةٌ مأبُورة، ومُهْرَةٌ مأمُورة 208:2
الخيلُ أعْلَمُ بفُرْسانِها 210:2
الْخيلُ أعلمُ من فُرسانها 211:2
الخيلُ تَجْرِي على مَسَاوِيها 209:2

الـــدّال

دارُ الفُسوقِ جَدْث، وحديثُه حَدَث 243:2
دجاجةٌ وتَرْكُلُ 244:2
دَعْ بُنَيَّاتِ الطَّريق 236:2
دعَوْا دعْوَةً كَوكَبِيَّة 237:2
دعُوا دمًا ضَيَّعَهُ أهْلُه 236:2
درْدَبَ لمَّا عَضَّهُ الثِّقَافُ 235:2
دفَعْتُ إليْهِ الشَّيءَ بِرُمَّتِه 235:2
دفْنُ البَنَات، من المكْرُمَات 238:2
دقَّكَ بالمِنْحَازِ حَبَّ الفُلْفُل 239:2
دقُّوا بَيْنَهُم عِطْرَ مَنْشِم 239:2
الدَّمُ لا ينامُ 241:2
دمِّثْ لنَفْسِكَ قبلَ النَّومِ مُضْطجعًا 240:2
دُهْدُرَّيْن، سَعْدُ القَيْنِ (أو ساعِدُ القَيْن) 241:2
الدَّهرُ حُبْلى لا يُدرى ما تَلِدُ 242:2
دونَ ذلك خَرْطُ القَتَادِ 243:2
دونَ ذا ويَنْفُقُ الحِمَارُ 244:2

الـــذّال

الذِّئبُ يُغْبَطُ بذِي بطْنِه 7:3
الذئبُ يُكْنَى أبا جَعدة 8:3
ذكرُ أيّامِ الجَفَاءِ في أيّامِ الصَّفاءِ جَفَاء 10:3
ذِكْرُ مَافَات، يُكدِّرُ الأوقات 10:3
ذلك الظَّنُّ بِك يا أبَا إسْحَاق 22:3
ذلك الفحْلُ لا يُقْدَعُ أنْفُه 19:3
ذليلٌ عاذَ بقَرْمَلَة (أو ضعيفٌ...) 12:3
ذهَبَتْ هَيْفٌ لأدْيَانِها 18:3
ذهَبَ دمُهُ أدراجَ الرِّياح 18:3
ذهَبَ دمُهُ خِضْرًا مِضْرًا 21:3
ذهبُوا أيادِي سَبَإٍ 16:3
ذهبوا تَحْتَ كوكب 18:3
الذَّوذُ إلى الذَّوذِ إبِلٌ 19:3
ذو الوجْهَيْن لا يكون عند اللّهِ وجِيهًا 21:3
ذِيَابٌ في ثِيَاب 7:3

الـــرّاء

الرَّاوِيةُ أحَدُ الْهَاجِيَيْنِ 212:2
رأيُ الشَّيْخِ خيرٌ من مَشْهَدِ الغُلام 30:3
الرَّأيُ مَعَ الجَمَاعَة 35:3
الرَّبَاح، مَع السَّمَاح 44:3
ربَّ أخٍ لَم تَلِدْهُ أمُّك 36:3
ربَّ أكْلَةٍ مَنَعَتْ أكَلاَت 37:3
ربَّ رَمْيَةٍ من غيرِ رامٍ 38:3
ربَّ ساعٍ لقَاعِد 39:3
ربَّ سامِعٍ خُبْرِي، لم يَسْمَعْ عُذْرِي 40:3
ربَّ سامعٍ عِذْرَتِي، لم يَسْمَعْ قِفْوتِي 40:3
ربَّ شَدٍّ في الكُرْز 41:3
ربَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَة 41:3
ربَّ طَمعٍ، يَهْدِي إلى طَبَع 42:3
ربَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا (أو وهَبَتْ) 43:3
ربَّ قَولٍ، أشَدُّ من صَوْل 43:3
ربَّ لَحْظٍ، أتَمُّ من لَفْظ 48:2
ربَّ مَمْلُولٍ لا يُستطاعُ فِراقُه 44:3
رَبَضُكَ منكَ وإن كان سَمَارا 99:1
رجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْن 50:3
رجَعَ بصَحِيفَةِ المُتَلَمِّس 50:3

رجَع عَودَهُ على بَدْئِه 72:3
رجَع فُلانٌ إلى قَرْواه 53:3
رداءَةُ الخَطِّ زمانَةُ الأدب 214:2
رزمَةٌ ولا درَّةَ فيها 54:3
الرَّشْفُ أنْقَعُ 54:3
رعَى فأقْصَبَ 57:3
رعَاهُ بأقْحافِ رأسِهِ 61:3
رعَدَ فُلانٌ وبرَق 72:3
الرُّعْبُ شُؤْمٌ، والرِّفقُ يُمْنٌ 58:3
رقَّةٌ يُنْتِجُهَا ذنْبٌ، خيرٌ من حَسَنَةٍ يَتبعُها عُجْب 59:3
ركِبَ جَنَاحَي النَّعَامَة 59:3
ركِبَ ذنَبَ البَعِير 60 3
ركِبَ ذنَبَ الرِّيح 60:3
ركِبَ رأسَه 73:3
ركب فلانٌ عُرْعُرَه 73:3
ركِبَ مَتْنَ عَشْواء 60:3
رمَاهُ بثالِثة الأثَافِي 62:3
رماهُ بالذَّرِبَيْن 73:3
رماه اللّه بأفْعَى حَارِيَة 61:3
رماه اللهُ بداء الذّيب 61:3
رمَتْني بِدائِها وانْسَلَّت 60:3
رهَبُوتَى خَيْرٌ من رحَمُوتَى 71:3
رُوغِي جِعَارِ 68:3
روِّ تحْزُم، فإذا اسْتَوْضَحْتَ فاعْزِمْ 71:3
رُوِيْدَ الشِّعْرَ يَغِبّ 73:3
رُوَيْدَ الغَزْوَ يَنْمَرِقْ 67:3
رُوَيْداً يَعْدُوَانِ الجَدَدَ 68:3

الـــزّاي

زاحِمْ بعَوْدٍ أو دَعْ 137:3
زبَّبْتَ وأنتَ حِصْرِمٌ 137:3
زدْهُمْ عَنْزاً 149:3
زُرْغِبًا، تَزْدَدْ حُبًّا 148:3
زعَمُوا مَطِيَّةُ الكَذب 138:3
زنْدانِ في وعَاء (أو كَزَنْدَيْن...) 143:3
زَوْجٌ من عُود، خَيْرٌ من قُعُود 146:3
ريادَةُ الأمَل، تَقْتَضِي نُقصانَ العمل 149:3
زُيِّنَ في عَيْنِ والِدٍ ولَدُه 150:3

الســـين

سَالَ قَضِيبٌ حَدِيداً 183:3
السُّؤْددُ مع السَّواد 183:3
سُبَّ مَنْ سَبَّكَ يا هبَّار 159:3
سُبَّنِي واصْدُقْ 159:3
سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ 159:3
سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَة 161:3
سحابَةُ صَيْفٍ عن قليلٍ تَقَشَّعُ 161:3
سَدادٌ في كَفَاف، أفضلُ من غنًى مع إسْراف 162:3
سَدَّ ابنُ بِيضٍ الطَّرِيق 161:3
السَّراح، من النَّجَاح 162:3
سِرُّكَ أسِيرُك، فإن نَطقْتَ به كُنْتَ أسيره 163:3
سُرْعَانَ ذَا إهَالَةً 165:3
سُرْعَانَ ذَا خُرُوجًا 165:3
السعيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِه 168:3
سفيهٌ لَمْ يَجِدْ مُسَافِهًا 168:3
سَقَطَ العَشَاءُ به على سِرحَان 169:3
سَكَتَ ألْفاً، ونَطَقَ خَلْفاً 171:3
السلطانُ كالنَّار 173:3
سلَّطَ اللهُ عليه الوَرَى، وحُمَّى خَيْبَرا 183:3
سَلَّهُ من كذا سَلَّ الشَّعْرَةِ من العَجِين 183:3
سَمِّنْ كَلْبَكَ يَاكُلْكَ 179:3
سِمَنْ كَلْبِكَ يُجَوِّعْ أهْلَه 179:3
سَمْنُكُم في أديمِكُمْ (أو هُرِيقَ في أديمِكم) 179:3
سَواءٌ عليْك هو والقَفْرُ 181:3
سُوءُ الاسْتِمساك خيرٌ من حُسنِ الصَّرِعَة 181:3
سُوءُ الاكْتِسَاب، يَمْنَعُ الانْتِسَاب 182:3

الشّـــين

شاكِهْ أبَا فُلان 235:3
شالَتْ نَعَامَتُه 240:3
شَاهَتِ الوُجُوه 242:3
شاهِدُ البُغْضِ اللّحْظُ 239:3
شَاوِرُوهُنَّ وخالِفُوهُنَّ 240:3
شبَّ عَمْرٌو عن الطَّوقِ 213:3
شُبْ شَوبًا لكَ رُوبَتُهُ 240:3
شَتَّى تَؤوبُ الحَلَبَة 216:3

الشُّجَاعُ مُوقَّى، والجَبانُ مُلَقَّى 217:3
شَحْمَةُ الرُّكَى 219:3
شَحْمَتِي في قَلْعِي 218:3
شُحَيْمَةٌ في حَلْقِي 218:3
شَرَّابٌ بِأمْقُعٍ (أو بِأنْقُعٍ) 225:3
الشَّرُّ أَلْجَأَهُ إلى مُخٍّ العَرَاقِيب 228:3
شَرٌّ أَهَرَّ ذا نَابٍ 229:3
شَرُّ الرَّأْيِ الدَّبَرِيُّ 227:3
شَرُّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةِ 227:3
شَرُّ السَّيْرِ القَحْقَحَةُ 228:3
شَرٌّ ما أجَاءَكَ إلى مُخَّةِ عُرقوب 228:3
شَرُّ المالِ مالا يُزكَّى ولا يُذكَّى 229:3
شَرُّ يومَيْها وأغْوَاهُ لَهَا 229:3
الشَّرْطُ أمْلَكُ، عليكَ أو لَكَ 230:3
شَرْعُكَ ما بَلَّغَكَ المَحَلَّ 231:3
شَرَقَ ما بَيْنَ القومِ بِشَرٍّ 231:3
الشَّعَرُ أحدُ الوجْهَيْن 242:3
شَغَلَتْ شِعَابِي جَدْوَايَ 232:3
شَغَلَهُم الصَّفْقُ بِالأسْواق 233:3
شَقَّ العَصَا 235:3
شَكَا إلَى غَيْرِ مُصَمِّتٍ 235:3
الشَّمَاتَةُ لُؤْمٌ 236:3
شَنْشِنَةٌ أعرفُها من أخْزَمَ 237:3
شَوَى حتّى إذا نَضِجَ رَمَّدَ 241:3
شَوَى في الحَرِيقِ سَمَكَتَه 242:3
شَيْئًا ما يطلُبُ السَّوطَ إلى الشَّقْراء 241:3

الصَّاد

صَابَت بِقُرٍّ 256:3
صاحبُ الدَّابَّةِ أولَى بمُقَدَّمِها 248:3
صاحبُ السُّلطانِ كراكبِ الأسَد، يَهَابُهُ النَّاسُ وهو لمَركوبِهِ أهْيَب 249:3
صادَفَ بَطْنُهُ بَطْنَ تُربَة 248:3
الصَّارِمُ يَنْبُو 253:3
صِدقُكَ يُنْبِي عَنْكَ لا الوعِيدُ 251:3
صَدَقَنِي سِنٌّ بَكْرِه 250:3
صِرِّحْ حُجَيْرُ 250:3
صَرَّحَ الحَقُّ عن مَحْضِهِ 250:3
صَرَّحَ الحَقِينُ عن مَحْضِهِ 250:3
صَرْفَانِيَّةٌ رِبْعِيَّة، تُصْرَمُ بالصَّيْفِ وتُوكَلُ بالشَّتِيَّة 252:3
صَفِرَتْ وطابُهُ 253:3
صَلاحُ رأيِ النِّساءِ فَساد، ونِفَاقُه كَسَاد 254:3

العَيْن

عبدٌ وخَلَّى في يَدَيْه 190:2
عَرَضَ عَلَيْكَ خَصْلَتَى الثَّعْلب 243:2
عند الصّباح يحْمَد القومُ السُّرَى 325:1
العِيَالُ، سوسُ المَال 77:1
عَيْشٌ لا يطيرُ غرابُه 81:1

الفَاء

فَتًى ولا كَمَالِكٍ 57:3

القَاف

قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَولَ كُلِّ خَطِيب 132:2
القَلَمُ أحَدُ اللِّسَانَيْن 212:2

الكَاف

كُلُّ فتاةٍ بِأبِيهَا مُعْجَبَة 151:3
كَم تَرَكَ الأوَلُ للآخِرِ 77:3

اللاّم

لا تَعْدِمُ الحسناءُ ذامًّا 52:2
لأذْهَبَنَّ فَإمَّا هُلْك، وإمَّا مُلْك 21:3
لأرِيَنَّكَ لَمْحًا بَاصِرًا 35:3
لأنْ يَهْدِيَ اللّهُ بك رجُلاً خيرٌ لَك من حُمْرِ النَّعَم 102:1
اللَّبَنُ أحدُ اللَّحْمَيْن 212:2
لَتَحْلُبَنَّهَا مَصْرًا 129:2
لكلِّ جوادٍ كَبْوَة 52:2

الميم

مالَهُ شَوْبٌ ولا رَوْب 340:3
مَايَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ 240:2
مَأْرَبٌ لا حفَاوَة 76:1

مُنْتَقلٌ اسْتَعَانَ بِذَقَنِه 6:2
المُحَاجَزَة، قَبْلَ المُنَاجَزَة 98:2
مُحْتَرِسٌ من مِثْلِهِ وهُو حَارِس 113:2
مُحْسِنَةٌ فَهِيلِي 123:2
مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاع 186:2
مُذكِّيَةٌ تُقَاسُ بالجِذَاع 11:3
مَرحبًا وسَهْلاً 72:3
مَرعًى ولا أكُولَة 55:3
مَرعًى ولا كالسَّعْدان 56:3
المَسْألة آخِرُ كَسْبِ المَرءِ 155:3

النّـــون

النَّاسُ النَّاسُ 146:1

الهـــاء

هذا أجلٌ من الْحَرْشِ 105:2
هَانَ عَلَى الأمْلَسِ مالَقِيَ الدّبر 236:3
هُوَ ابنُ زوْمَلَتِهَا 212:1
هُوَ بَيْنَ سَمْعِ الأرضِ وبَصَرِها 212:1
هُو يَخْبَأُ وأبوهُ يَكْنِزُ 214:2
هُو يَفْرُ ويَقُدُّ 61:2

هِي الخَمْرُ تُكْنَى الطِّلاء، كما
الذّئبُ يُكْنَى أبَا جَعْدَة 9:3

الـــواو

وافَقَ شَنٌّ طَبَقَة 63:3

اليـــاء

يَأْتِيكَ كُلُّ غَدٍ بِما فِيه 63:1
يَأْكُلُكَ الأسَد ولا يأكُلُكَ الكَلْبُ 77:1
يُبْلَغُ الخَضْمُ بِالْقَضْمِ 201:1
يَجْرِي بُلَيقٌ ويُذَمُّ 43:2
يُحْنَى من الشَّوكِ الثَّمَرُ 53:2
يَحْمِلُ شَنٌّ ويُفَدَّى لُكَيْزٌ 139:2
يَرتَمُ وسَطًا ويَربِضُ حَجْرَة 49:3
يَرقُمُ الْمَاءَ 59:3
يُسْدِي ويُلْحِمُ 162:3
يَشُجُّ مَرَّةً ويَأسُو أخْرى 217:3
يَشُوبُ ويَرُوب 239:3
يَفْرِي الْفَرِيَّ 61:2
يَكْسِرُ عَلَيْكَ فُلانٌ الْفُوقَ والأرْعاظَ 114:2
يَكْفِيكَ ما بَلَّغَكَ المَحَلّ 231:3

فهرس
الأمثال النثرية العامية

الألف

اتْرُكِ الحَبّ، تُحَبّ 329:1
إذا أراد الله إهلاكَ النملة جعل لها أجنحة تطير بها 143:1
اسْألِ السائلَ عن طِيبِ اللَّبَن 184:3
اسْتَنَدَ المَريضُ إلى المريض 13:3
إمْشِ بالنَّعْلَيْنِ حتّى تجِدَ السَّبّاط 202:1

الجيم

جَاء يُعينُه في قَبْرِ أُمّه فَهَرَب له بالفاس 68:2
جزاؤُه على حِمَارِهِ 68:2

الحاء

الحُرُّ لا يكونُ إلاّ رجلاً، والعبدُ لا يكونُ إلاّ عَبْداً 146:1
حُلَّ عَبْسَتَك، ما أردتُ خُبْزَتَك 151:2
الحِمارُ حِمارِي أونا أركَبُ من وراء 151:2

الخاء

خَالِفْ تُعْرَفْ 225:2

الراء

الرّاحة تَنْزِلُ شَيْئًا فشيئا 202:1
ربَّ حِيلة، أنْفعُ من قبيلَة 73:3

السين

سَخّرِ البَخيل يُدبِّرْ عليك 184:3

الشين

الشّتاءُ على قَرنِي، والعَطَش قَتَلني 111:2

الطاء

الطَّريقَةُ لِلْهاتِي، والقَسِيَّة لأخَواتِي 221:1

الفاء

في دار البَقَر تصيب التّبن 158:3

القاف

قال الذئب : لا آمَنُكَ يا قَرَعُ ولو كُنتَ في الماء 112:2
قَطْرَه إلى قَطْرة فَيَسيل النّهر 202:1
قُولي لَها قَبلَ أن تقول لك 61:3
قياس البيض على البادنجان 11:3

الكاف

كُلّ خَنْفُس عند أمه غَزال 151:3
كَمَا تَشْتَرِي تَبيع 73:1

اللام

لا هَمّ إلاّ هَمّ الدّين، ولا وجع إلاّ وجع العَيْن 205:2
لا يجيء دفعة واحدة إلاّ الموت 202:1

الميم

مَتَى طلب الرجلُ الموتَ لم يجد قاتلاً 217:3
مَن أكله السّبع خيرٌ ممّن أكله الذيب 78:1
من ذا يقدر أن يقول للأسد فُوك أبْخَر 213:1
من رأى الجَمل الأبيض ظنّه كلّه شحمًا 7:3
من عجّلَ أبْطَأ 43:3
من لم يكن ذئبًا أكَلَتْهُ الذّئاب 220:1
المهل يَبلّغ 202:1

الياء

يَبْرا الجرحُ السوء، ولا يبْرا الكلام السوء 178:1
ينْسَى الرّاس، ولا يَنْسَى الكُرّاس 204:2

فـهـرس القـوافـــي

القافيـة	عدد الأبيات	الشاعـر	الجزء والصفحـة
الألف المقصورة			
أبَـى	5	المتنبـي	1:166 ـ 167
الجَنَـى	2	ابن دريد	1:174
الذُّرى	1	المتنبي	1:164
الرُّبَـى	1	ابن دريد	1:203
الصِّبَـا	1	ابن دريد	1:255
الفَتَـى	1	ابن دريد	1:164
تُجْتلى	1	ابن دريد	2:178
غَـلاَ	1	الجعدي	1:108
فَامْتَطَى	1	ابن دريد	1:106
فَكَبَا	1	ابن دريد	2:52
نَجَا	1	ابن دريد	1:253
واحتَمَى	2	ابن دريد	1:220
وعَـى	1	ابن دريد	1:335
الهمـزة			
ءُ			
أحيـاءُ	1	سابق البربري	1:175
أدِلاّءُ	2	علي بن أبي طالب	1:264
أردؤُها	2	ابن هرمة	1:182
أشيـاء	1	ابن هرمة	1:154
أعـداءُ	1	ابن هرمة	1:147
أكفاءُ	2	المتنبي	1:217
الأقْذاءُ	5	الحسين بن مُطير الأسدي	1:167 ـ 168
الأنـــاءُ	1	الحطيئة	2:293
البقـاءُ	10	ابن الشبل البغدادي	3:42

الجوزاءُ	2	المتنبي	164:1
الحربـاءُ	1	ابن الرومي	115:2
الحسناءُ	5	الحماسي	149:1
الحكماءُ	2	الحماسي	158:1
الحياءُ	6	أمية بن أبي الصلت الثقفي	150:1
الحيـاءُ	2	أمية بن أبي الصلت الثقفي	174:1
الخفـاءُ	1	حسـّان	180:1
الخـلاءُ	1	زهير	197:2
الـداءُ	1	أبو نواس	154:1
الـداء	4	أبو نواس	151:1
الرّشـاءُ	1	زهيـر	310:1
الرقباءُ	2	ابن الرومي	252:3
الصفاءِ	1	ابن الرومي	199:3
العَماءُ	3	القاسم بن حنبل	167:1
الماءُ	4	إسحاق بن سويد العدوي	158:1
انطـواءُ	3	الحماسي	160:1
انقضاءُ	2	الحماسي	157:1
بـلاءُ	3	البحتري بن المغيرة بن أبي صفرة	161:1
ثنـاءُ	2	المتنبي	166:1
جَـلاءُ	1	زهيـر	174:1
حوّاءُ	1	علي بن أبي طالب	264:1
خَـلاءُ	1	حسان	197:2
داءُ	1	زهيـر	125:2
رجـاءُ	2	محرز الضبي	167:1
سواءُ	2	أبو فراس	27:2
سواءُ	2	بَـشـار	233:2
عَنـاءُ	8	قيس بن الخطيم الأنصاري	159:1 ـ 160
غِنـاءُ	1	قيس بن الخطيم الأنصاري	205:2
ماؤُهُ	1	قيس بن الخطيم الأنصاري	196:2
ماؤهُ	1	صالح بن جناح	174:1
ما تشاءُ	2	الحماسي	74:1
هـواءُ	2	زهيـر	18:2
والامساءُ	1	لبيـد	175:1
والخَلاءُ	1	زهير	55:3
والذكاءُ	1	زهير	106:1.3:31 و223
والرجـاءُ	2	زهير	159:1
وسمـاءُ	2	زهير	174:1
ومـاءُ	1	الحماسي	176:1

ءَ

الأسواءَ	4	الحماسي	164:1
الماءَ	3	ذو الرمة	158:1
رشاءَها	1	قيس بن الْخَطيم	310:1
سواءَ	2	بشار	233:2
غطاءَها	2	قيس بن الخطيم	160:1
وإخاءَ	8	اليوسي	161:2 ـ 162
والآباءَ	1	ابن الرومي	175:1
والبُصَراءَ	2	ابن الرومي	198:1

ءِ

إثْراءِ	1	ابن الرومي	60:1
أثنائِهِ	2	ابن الرومي	80:2
الأحياءِ	2	عدي بن الرعناء	159:1
الاخاءِ	6	اليوسي	160:1
الأشياءِ	1	عدي بن الرقاع	172:3
الأعداءِ	1	عدي بن الرقاع	165:1
الأعداءِ	1	عبد الله بن عيينة	175:1
الأعداءِ	1	حبيب	266:2
الأقذاءِ	1	ابن الرومي	175:1
البُعداءِ	2	المتنبي	166:1
الحساءِ	2	عبد الله بن رواحة الأنصاري	172:1
الداءِ	2	الحُصري	276:1
الدّلاءِ	2	أبو الأسود الدؤلي	172:1
الزّنَاءِ	1	المتنبي	212:3
الضعفاءِ	1	أبو تمام	222:1
الضياءِ	1	المتنبي	166:1
العشاءِ	1	ابن دريد	203:2
الفقراءِ	4	عدي بن الرقاع	159:1
القباءِ	1	المتنبي	166:1
القضاءِ	2	المتنبي	174:1
الوفَاءِ	2	أبو سعيد الخوارزمي	172:1
بالخُليصاءِ	1	أبو سعيد الخوارزمي	159:1
بالدهماءِ	1	أبو سعيد الخوارزمي	97:1
بالماءِ	2	أبو سعيد الخوارزمي	155:1
بصفاءِ	2	أبو سعيد الخوارزمي	199:3

بكائِي	2	أبو تمام	163:1 ـ 164
بكائي	1	أبوتمام	194:1
بِماءِ	1	أبوتمام	156:1
بِمَاءِ	2	أبوتمام	160:1
ثناءِ	1	أبوتمام	174:1
داءِ	2	خالد الكاتب	161:1
سَوْدائِهِ	1	المتنبي	164:1
شَوْسَاءِ	3	أبوتمام	163:1
للأصدقاءِ	1	أبوتمام	165:1
والرائِي	2	أبوتمام	157:1
والسرّاءِ	2	ابن نقطة	172:1
واللّهاءِ	1	ابن نقطة	132:1

البـــاء

بُ

أبُ	1	ابن نقطة	129:1
أبوابُ	1	ابن نقطة	253:1
اجتنابُ	2	علي بن الجهم	251:1
أجربُ	2	الحماسي	16:2
أحبابُ	1	الحماسي	258:1
أحربُ	3	بعض بني أسد	242:1
أدبُهْ	1	بعض بني أسد	252:1
أديبُ	4	الميكالي	286:1
أركَبُ	2	الميكالي	284:1
أشهبُ	1	عبد القادر الجيلالي	250:1
أصَحْبوا	6	أبو فتيان المصري	280:1
أعجَبُ	2	أبو فتيان المصري	288:1
إغضابُها	3	كشاجم	302:1
أقاربُهْ	1	ابن المعتز	301:1
أقاربُهْ	4	أبو النشناش	241:1
ألاعبُهْ	6	امرأة غاب زوجها	299:1
ألاعبُهْ	1	أبو الوفاء	157:2
الأجنبُ	3	رجل من مذحج	220:1
الأدبُ	3	الحريري	292:1
الأدبُ	2	الحريري	302:1

الأديبُ	1	بعض الأعراب	245:1
الأديبُ	4	عبد الله بن سليمان بن وهب	302:1 ـ 303
الأغلبُ	1	عبد الله بن سليمان بن وهب	255:1
التجاربُ	1	عبد الله بن سليمان بن وهب	255:1
الثعالبُ	2	حميد بن ثور	207:1
الثعالبُ	1	راشد بن عبد ربه	248:1
الجلبابُ	2	بعض الأعراب	288:1
الربيبُ	2	ابن العفيف	29:2
الرِّكابُ	3	ليلى الأخليلية	326:1
السحابُ	1	أنشده أبو علي البغدادي	55:3
الشبابُ	1	النابغة	303:1
الطَّرَبُ	2	النابغة	281:1
العتبُ	1	المتنبي	232:1
العرابُ	1	المتنبي	232:1
العقرب	1	المتنبي	220:1
الغائبُ	1	المتنبي	271:1
القلبُ	4	أنشده الأصمعي	222:1
القلبُ	1	أنشده الأصمعي	66:3
القلوبُ	1	أنشده الأصمعي	251:1
القلوبُ	1	أنشده الأصمعي	259:1
الكَرَبُ	1	ذو الرمة	186:1
الكلبُ	1	أبو تمام	223:1
الكلبُ	1	مالك بن أسماء	180:3
المهذَّبُ	1	النابغة	54:1 و150 و221
النجائبُ	2	محمد بن حسام الدين	282:2
الهَيُوبُ	1	محمد بن حسام الدين	257:1
الوطابُ	4	امرؤ القيس	145:2
بابُ	4	أبو تمام	225:1
تائبُ	1	أبو تمام	257:1
تؤوبُ	2	أبو تمام	298:1
تَتْعبُ	1	أبو تمام	252:1
تتهيّبُ	1	المتنبي	234:1
تُحذَبُ	2	المتنبي	176:2
تُحبُّهْ	1	الامام الشافعي	277:1
تخطُبُ	1	الكميت	303:1
تذهبُ	1	الكميت	257:1
ترتيبُ	2	الكميت	287:1
تصحَبُ	1	الكميت	252:1

تُعاتبُهْ	5	الكميت	256:1 و267
تعاتبُهْ	3	بشار	245:1 ـ 246
تُعقبُ	2	بشار	85:2
تعيبُ	2	اسماعيل بن القاسم	189:2
تغبُّهْ	1	الامام الشافعي	277:1
تكذبُ	11	المتنبي	233:1
تكذيبُ	1	المتنبي	245:1
تُنصَبُ	1	الكميت	264:1
تنوبُ	1	الكميت	256:1
تنوبُ	1	ضابئي بن الحارث	331:1
تهابُ	1	المتنبي	230:1 ـ 231
جانبُ	1+1+1	المتنبي	221:1 و257 و262
جانبُهْ	4	البحتري بن المغيرة بن أبي صفرة	161:1
جانبُهْ	2	قيس بن المغيرة	242:1
جديبُ	2	حاتم أو عمرو بن الأهتم	274:1
جُندبُ	1	حاتم أو عمرو بن الأهتم	140:2
جَنوبُ	2	أبو تمام	226:1
جنيبُ	3	رجل من عبس	274:1
حاجبُ	2	الوزير المهلبي	84:2
حبيبُ	1	إياس بن الأرت	243:1
حبيبُ	2	أبو فراس	273:1
حسبُ	8	نُصيب	119:2 ـ 120
حَلوبُ	1	نصيب	15:3
خِطبُ	1	حبيب	108:2
خطوبُها	2	حبيب	262:1
ذاهبُ	4	حبيب	286:1
ذببُ	1	حبيب	256:1
ذنوبُ	1+1+1	حبيب	252:1 و156 و289
ذهبُوا	1	حبيب	250:1
راغبُ	2	مسكين الدارمي	294:2
ربيبُ	3	عجوز بدوية	245:1
رطيبُ	1	عجوز بدوية	167:2
رقيبُ	1	عبد الله بن الدُّمَيْنة	242:1
ركوبُها	1	الكميت	303:1
سحابُها	2	الكميت	246:1
سَكْبُ	2	الكميت	281:1
شاربُهْ	1	الكميت	156:1
صاحبُهْ	2	نهشل الدارسي	240:1

صاحبُـهْ	1	نهشل الدارسي	258:1
صاحبُـهْ	4	أبو الطمحان	265:1
صَبِـيبُ	2	عمرو بن ثغلب الشيباني	32:3
صعبُ	2	أبو بكر الشبلي	275:1
صَهَـبُ	3	ابن بسام	300:1
صوابُ	2	ابن التعاويذي	202:3
طالبُـهْ	9	فُـرعان بن الأعرف	243:1
طالبُـهْ	1	أبو الوفاء	276:1
طبيبُ	2	أبو الوفاء	285:1
طبيبُ	48	أبو المغاور	289:1 ـ 191
طبيبُـها	3	عدي بن الرقاع	121:2
عاتبُ	2	عدي بن الرقاع	294:1
عتاب	1	عدي بن الرقاع	150:1
عتابُ	1	عدي بن الرقاع	259:1
عتابُ	2	المتنبي	230:1
عَـجَـبُ	1	النابغة الذبياني	97:1
عَـطَـبُ	1	النابغة الذبياني	203:3
عطَـبُـهْ	1	أبو العتاهية	143:1
عقابُـها	5	أنشده الأصمعي	120:2
عواقبُـهْ	1+1	أنشده الأصمعي	254:1 و262
عيوبُ	1	أنشده الأصمعي	250:1
غائبُ	1	الحماسي	253:1
غالبُـهْ	2	ابن ميادة	243:1
غَـبَـاغِـبُـهْ	1	ابن ميادة	115:2
غِـضَـابُ	1+1	ابن ميادة	245:1 و295
فتُصابُ	1	المتنبي	334:1
فالذَّنوبُ	1	عبيد بن الأبرص	61:1
فالمَسارِبُ	4	كثير	170:1
فيُحاسبُـهْ	1	كثير	254:1
قاربُ	7	نصيب الأسدي	295:2
قِـبابُ	3	اليوسي	202:3
قريبُ	1+1+1	اليوسي	250:1 و259 و261
كتائبُـهْ	2	منازل بن فرعان	244:1
كَـثَـبُ	2	أبو تمام	226:1
كذبُوا	1	أبو تمام	244:1
كَـذُوبُ	4	أبو تمام	274:1 ـ 275
كواذِبُ	4	أبو تمام	225:1
لا يؤوبُ	1	عبيد بن الأبرص	303:1

لبيبُ	2	الفضل بن عباس بن عتبة	303:1
لَعازبُ	2	الفضل بن عباس بن عتبة	268:1
اللعبُ	5	أبو تمام	223:1
لَغَريبُ	4	ضايىء بن الحارث	265:1
لَقَريبُ	1	ضابىء بن الحارث	221:1
لهيبُها	2	المجنون	275:1
ما يغالبُ	1	المجنون	250:1
مُجْتَنَبُ	2	المجنون	282:1
مُحتلبُهْ	1	أبو تمام	225:1
مُحسِبُ	1	أبو تمام	118:2
مَذاهِبُ	1	أبو تمام	257:1
مذهبُ	1	أبو تمام	257:1
مذهبُ	3	ابن الرومي	288:1
مُستعتَبُ	2	ابن الرومي	297:1 ـ 298
مَشْرَبُ	9	ابن الرومي	75:2
مشروبُ	1	الحماسي	54:1
مصائبُ	1	أبو تمام	224:1
مطلبُ	1	النابغة	52:1
مطلوبُ	1	النابغة	301:1
معايبُهْ	1	النابغة	301:1
ملعبُ	2	ابن مفرغ	243:1
نتطلَّبُ	3	رجل من بني ضبة	267:1
نسيبُ	1	رجل من بني ضبة	341:1
نَصيبُ	1	رجل من بني ضبة	257:1
نصيبُها	3	المجنون أو ابراهيم بن العباس	272:1
نُضاربُ	1	الأخنس بن شهاب	239:1
نُطالبُ	1	المتنبي	231:1
نَكوبُ	3	ابراهيم بن هرمة	301:1
نَهَبُ	1	الشريف الرضي	277:1
هبوبُ	1	الشريف الرضي	256:1
هبوبُها	1	الشريف الرضي	99:1
هبوبُها	2	ذو الرمة	275:1
والآدابُ	2	أبو تمام	225:1
وأخاطبُهْ	1	ذو الرمة	170:3
وأرغَبُ	1	ذو الرمة	272:1
وأقاربُهْ	1	ذو الرمة	253:1
وأنْصَبُ	2	النابغة	175:2
وتُطلبُ	1	النابغة	258:1

وتُنيبُ	2	أبو الحسن الوراد	284:1
والحبائبُ	1	أبو الحسن الوراد	250:1
والحجابُ	3	محمد بن أبي عيينة	262:1
وراغبُ	1	محمد بن أبي عيينة	255:1
وركابُ	1	المتنبي	215:1
وسليبُ	1	علقمة	50:2، 15:(3)
وشرابُـهُ	1	علقمة	253:1
والصِّنَـابُ	2	الفرزدق	261:1
والعتَـابُ	1	الفرزدق	259:1
والغاربُ	2	الفرزدق	287:1
وغاربُـهْ	5	أبو تمام	222:1
وقريبُ	3	مجنون صوفي	103:3 ـ 104
وكَـلِـيبُ	1	علقمة	40:2
ولا أبُ	1	علقمة	268:1 و269
ومرهوبُ	4	عبد الله بن عَـنَـمة الضبي	148:1
ومناسبُـهْ	1	ابراهيم بن حسان	300:1
ووجيبُ	5	مالك بن المرحل	281:1
ويُصيبُ	1	ضابىء بن الحارث	53:1
ويلعبُ	1+1	ضابىء بن الحارث	252:1،(2): 192
ويُنسَبُ	5	الغَطَمَّش الضبي	240:1
يتقلَّبُ	3	بعض الفقعسيين	238:1
يتقلَّبُ	1	بعض الفقعسيين	301:1
يتوبُ	1	بعض الفقعسيين	257:1
يجبُ	2	عفيف الدين التلمساني	153:1
يخربُ	1	عفيف الدين التلمساني	255:1
يركبُ	2	عفيف الدين التلمساني	249:3
يركبُوا	3	قُراد بن عتَّاب	239:1
يُصابُوا	3	امرؤ القيس	253:3
يَصعُبُ	1	امرؤ القيس	251:1
يَصوبُ	1	امرؤ القيس	256:3
يَطِيبُ	1+1	امرؤ القيس	265:1 و 278
يُعاتِبُـهْ	1	امرؤ القيس	256:1
يَغِيبُ	2	أبو تمام	226:1
يَغيبُ	1	أبو تمام	252:1
يكذِبُ	1	أبو تمام	251:1
ينجابُ	3	أبو تمام	281:1 ـ 282

بَـ

أحبَّهُ	1	أبو تمام	252:1
أرنبَا	2	أبو تمام	15:3
أصابَا	1	أبو تمام	256:1
أعابَا	3	أبو تمام	302:1
أغْضَبَا	1	جرير	25:1
التهابَا	4	بعض بني نمير	266:1
التّجربَهْ	4	أبو بكر الخوارزمي	86:2
الطَّلَبَا	8	الحكم بن عبدل الاسدي	240:1
الغِضابا	3	ابن أبي عيينة	230:1
الغِلابَا	5	ربيعة بن مقروم الضبي	239:1
الغلابَا	1	ربيعة بن مقروم الضبي	250:1
المرتبَهْ	5	الحريري	292:1
المعذَّبَا	3	الحريري	286:1
المهلَّبَا	3	عبد الله بن الزبير الاسدي	221:3 ـ 222
نائبا	1	المتنبي	230:1
تَغيَّبَا	1	حبيب	218:1
جالِبا	3	سعد بن ناشب	237:1
جانبا	2	سعد بن ناشب	238:1
جَدْبَا	2	سعد بن ناشب	152:3
ذاهبَهْ	1	سعد بن ناشب	300:1
ذهَبَا	1	الحماسي	288:1
زغَبا	3	أم ثواب الهِزّانية	241:1
سَبَاسِبَا	2	أبو تمام	125:1
سَباسِبَا	6	أبو تمام	223:1
شَائبَا	1	أبو تمام	256:1
شَرابَا	2	ابن الدماميني	27:2
شِيبَا	1	أبو تمام	223:1
صَعْبَا	1+1+1	أبو تمام	228:(3)202:(2)301:1
عَجَبَا	2	بعض الأعراب	232:1
عقربَا	1+1	بعض الأعراب	105:2 و186
عِنَبَا	2	صالح بن عبد القدوس	127:1و128و302
غائبَا	1	صالح بن عبد القدوس	253:1
غَابَا	4	اليوسي	27:2
غِبًّا	1+1	اليوسي	251:1،(3):149
غَرَبَه	5	الحريري	292:1 ـ 293
غريبَا	1	الحريري	252:1

غَلَبَا	1	المتنبي	231:1
غَلَبَا	1	المتنبي	232:1
فَسُبَّ	1	المتنبي	159:3
فيعجبَا	1	الغنوى	266:1
قَتَبَا	2	الغنوي	217:1
قريبَا	1+1	الغنوي	253:1 و163
قَصَبَهْ	2	الغنوي	221:2
قلْبَا	2	ابن المعتز	280:1
كِلابَا	1	جرير	266:1
كِلابَا	2	جرير بن الخَطَفَى	266:1
كلَبَهْ	1	المتنبي	236:1
لُبَّا	11	المتنبي	229:1 ـ 230
محربَا	3	عبد الجليل المُرسي	283:1
مصائبَا	4	المتنبي	232:1
مُهذَّبَا	1	ابن الرومي	301:1
نَهْبَا	2	ابن الرومي	285:1
هَبَا	4	أبو حمو الملك الزياني	295:1
والكذبَا	1	أبو حمو الملك الزياني	254:1
وطنَّبَا	3	أنشده الأصمعي	236:1
ومَرحَبَا	2	أبو محمد المصري	286:1
ومُسْحَبَا	2	الأعشى	216:1
ونُدوبَا	1	الأعشى	192:1
يَشْجُبَا	1	امرؤ القيس	69:3
يُعَابَا	3	أبو علي الفارسي	276:1

بـــِ

احتجابِه	2	صُرَّدُرّ	278:1
أديبِ	5	أبو تمام	225:1
أربابِها	1	أبو تمام	302:1
أربِي	3	القاضي الفاضل	23:3
أركبِ	1	القاضي الفاضل	303:1
أطايِبِهِ	1	أبو تمام	226:1
اغترابِ	1	أبو تمام	216:1
اقترابِ	1	التنيسي	300:1
الأجْرَبِ	1	لبيد	50:1 و221
الأجْربِ	1	عنترة	267:1و309
الأحبابِ	1	عنترة	255:1

الأحسابِ	2	أبو تمام	1:225 ـ 226
الأدبِ	2	حبيب	3:37
الأسبابِ	2	حبيب	3:37
الاياب	1	حبيب	1:341
التجاربِ	1	حبيب	1:300
الجنْبِ	2	كشاجم	1:284 ـ 285
الحاجبِ	3	موسى بن جابر	1:238
الحبائبِ	3	الحماسي	1:306
الحُبِّ	1	الحماسي	1:254
الحبيبِ	3	عبد الله بن سعد الموصلي	1:276
الحبيبِ	2	جميل بن معمر العذري	1:291 ـ 292
الحبيبِ	1	الأعرابي	2:177
الحربِ	2	نجم الدين بن بطريق	1:283
الحسابِ	1	نجم الدين بن بطريق	1:259
الحَسَبِ	2	نجم الدين بن بطريق	1:263
الحَطَبِ	1	نجم الدين بن بطريق	1:351
الحِقَبِ	5	نجم الدين بن بطريق	1:287
الحِلابِ	1	نجم الدين بن بطريق	1:260
الحليبِ	1	نجم الدين بن بطريق	1:259
الخطبِ	1	قيس بن ذريح	1:242
الخُطوبِ	2	القاضي الفاضل	1:288
الذاهبِ	1	أوس بن حجر	2:197
الذُّئابِ	1	امرؤ القيس	2:56
الذُّبابِ	6	أحد الطفيليين	1:297
الذُّنوبِ	1	أحد الطفيليين	1:251
الذَّنوبِ	1	السلامي	1:265
الرعابيبِ	5	المتنبي	1:233
الرِّقابِ	1	السري الموصلي	1:304
الركائب	3	حاتم	1:241
السُّحبِ	2	ابن الساعاتي	1:350
السَّلَبِ	1	أبو تمام	1:228
السَّلَبُ	1	أنشده الخليفة المعتصم	1:228
الشرابِ	2	أنشده الخليفة المعتصم	3:153
الشَّرُوبِ	1	أنشده الخليفة المعتصم	1:156
الشُّهُبِ	3	أنشده الخليفة المعتصم	1:288
الصِّحَابِ	2	أبو تمّام	1:165 و301(2)89
الطالبِ	1	أبو تمّام	1:256
الطبيبِ	1	أبو تمّام	1:255

الطَّلَبِ	1	أبو تمّام	254:1
الظِّرابِ	1	معد يكرب	251:3
الظَّنابيبِ	1	سلامة بن جندب	128:1، (2) :67
العَجَبِ	1+1	سلامة بن جندب	251:1 و253
العَطَبِ	1	سلامة بن جندب	253:1
العقربِ	1	سلامة بن جندب	257:1
العِنَبِ	10	المتنبي	231:1
العواقبِ	1	المتنبي	257:1
العيوبِ	1	المتنبي	221:1
الغرائبِ	1	المتنبي	304:1
الغضبِ	1	المتنبي	259:1
القَرائبِ	1	المتنبي	254:1
القُربِ	1	المتنبي	254:1
القريبِ	2	عاجية بن حاتم	41:2
القلبِ	1+1	عاجية بن حاتم	255:1، 303
القُلوبِ	1+1	عاجية بن حاتم	253:1 و259
القلوبِ	1	عاجية بن حاتم	48:2
القلوبِ	1	زهير	239:3
الكاتبِ	1	زهير	257:1
الكاذبِ	2	أبو تمام	226:1
الكتائبِ	1	النابغة	304:1
الكِتابِ	1	أبو تمام	224:1
الكتابِ	1	أبو تمام	252:1
الكُتّابِ	1	أبو تمام	222:2
الكَرَبِ	1	أبو تمام	127:2
الكرْبِ	2	أبو تمام	226:1
الكرْبِ	2	أبو تمام	260:1
الكروبِ	1	أبو تمام	254:1
الكِلابِ	1	أبو تمام	220:1
الكلابِ	1	أعرابي	249:1
الكلبِ	1+1+1	أعرابي	167:1 و257 و260
الكواكبِ	1	أعرابي	256:1
الكواكبِ	3	النابغة	175:2
المترهِّبِ	4	القاضي التنوخي	294:2
المُجَرَّبِ	1	القاضي التنوخي	260:1
المُذنبِ	2	أبو تمام	224:1
المَذْهَبِ	1	أبو تمام	224:1
المراتبِ	1	أبو تمام	256:1

المَغيبِ	2	ابراهيم بن العباس الصولي	208:2
المناسبِ	3	ابن عنين	352:1
المناصبِ	3	المتنبي	232:1
المنقَّبِ	1	امرؤ القيس	101:1
المُهذبِ	3	عامر بن الطفيل	262:1 ـ 263
النجيبِ	2	عامر بن الطفيل	298:1
النوائبِ	1	عامر بن الطفيل	254:1
النوائبِ	2	ابن عمّار	287:1
النُّوَبِ	1	ابن عمّار	260:1
الهَرَبِ	2	ابن عمّار	261:1
أنبوبِ	1	ابن عمّار	255:1
بابِ	1	ابن عمّار	259:1
بالتأويبِ	19	أبو تمام	226:1 ـ 227
بالحاجبِ	2	أبو تمام	171:1
بالشَّرابِ	2	أبو تمام	165:1
بالعصائبِ	3	الفرزدق	294:2
بالغائبِ	1	أوس بن حجر	125:1
بالنشبِ	4	أبو تمام	227:1
بتعذيبِها	3	أبو تمام	286:1
بتغرُّبِ	3	اليوسي	216:1
بجانبِهْ	2	اليوسي	80:2
بجوابِ	1	المعري	85:1
بخطابِهِ	2	المعري	280:1 ـ 281
بذهابِ	2	المعري	283:1
بسبٍّ	3	أعرابي يهجو بنيه	304:1
بعتابِ	1	أعرابي يهجو بنيه	255:1
بعجيب	2	أعرابي يهجو بنيه	305:1
بغائبِ	1	أعرابي يهجو بنيه	252:1
بلبيبِ	1	أبو الأسود	303:1
بانتحابِ	2+2	أبو الأسود	177:1 ـ 299
بِهِ	9	طرفة	293:1 ـ 294
بِهَا	1	الأعشى	154:1
بِهَا	1	الأعشى	157:1
بِهَا	1	ابن المعتز	304:1
بواجبِ	3	ابن المعتز	261:1
بِيَثْربِ	1	علقمة	195:2
تجريبِ	2	علقمة	245:1
تُحْلَبِ	1	أبو تمام	224:1

تدربِ	1	امرؤ القيس	275:1
تـربِـي	1	امرؤ القيس	335:1
ثوابي	2	أبو محمد بن عبد البر	287:1
جانبِ	1	أبو مسلم الخراساني	245:1
جانب	1	أبو مسلم الخراساني	103:3
جَنْبِهِ	6	المتنبي	236:1 ـ 237
جوابِ	1	المتنبي	258:1
حُبِّـي	5	بعض الأعراب	275:1
حِبِّـي	2	بعض الأعراب	281:1
حبيبِ	3	بعض الأعراب	303:1
حربِهِ	3	المتنبي	237:1
حَطَبِهْ	1	المتنبي	351:1
خائبِ	4	أبو تمام	223:1
خُطّابِها	3	أبو تمام	92:2 ـ 93
دَبِيبِ	2	ابن الخطيب	285:1
ذنْبِ	1	ابن الخطيب	255:1
ذنْبِ	4	ابن الخطيب	47:2
ذنبِهِ	2	اب الخطيب	285:1
رُطبِي	2	طرفة	294:1
رَعَابيبِ	1	طرفة	19:2
سرابِ	1+1	طرفة	196:1 و249
شاربِ	2	بعض العذريين	198:3
شُحوبِ	1	أبو تمام	224:1
شَغبِ	2	إياس بن الأرت	242:1
شِهابِ	1	إياس بن الأرت	21:2
صاحبِ	1	إياس بن الأرت	254:1
صاحبِ	3	المعتصم العباسي	287:1
صبٌ	8	الأحوص	271:1
صَبِي	2	الأحوص	305:1
صوابِ	5	أبو تمام	224:1
طالبِ	1	معاوية بن أبي سفيان	67:3
طبِّهِ	1	المتنبي	237:1
طُحلُبِ	3	المعري	260:1
طِلابي	7	المعري	75:2 ـ 76
عُجابِ	1	المعري	258:1
عجيبِ	1	المعري	86:2
عَربِي	2	المعري	262:1
عَضْبِهِ	5	البحتري	224:2

عَطَبِهْ	1	محمود	304:1
عقاربِ	6	النابغة الذبياني	69:1 ـ 70
عُيوبِي	1+1	النابغة الذبياني	254:1 و259
غابِهِ	3	المعري	260:1
غُرابِها	1	المعري	205:3
غريبِ	1	المعري	259:1
فَارْغَبِ	1	المعري	254:1
فاغْتَربِ	3	ابن قلاقس	350:1
فاغْضَبِ	1	النمر بن تولب	303:1
قِبابِهِ	4	ابن رشيق	280:1
قِبابِي	3	ابن الخطيب	285:1
قريبِ	1	ابن الخطيب	259:1
قلبي	1	ابن الخطيب	252:1
قلبي	2	سحيم الفقعسي	305:1
قلبِي	2	سحيم الفقعسي	103:3
كالغائبِ	1	الحماسي	143:3
كَربِ	2	اليوسي	305:1
للحطَبِ	1	اليوسي	250:1
للخرابِ	1	اليوسي	180:3
للسِّباب	1	القتّال الكلابي	238:1
مآبِهِ	4	صُرَّدُرّ	278:1
مذهبِي	2	مالك بن المرحل	283:1، (2) :9
مَرْكبِ	4	خالد بن نضلة الأسدي	242:1
مَركبِي	1	عنترة	241:3
مَطلَبِ	2	بعض بني مازن	238:1
مُعذَّبِ	2	علي بن الجهم	278:1 ـ 279
مُغَلَّبِ	1	امرؤ القيس	222:1
مَكْسَبِ	1	المتنبي	237:1
مَنْصِبِي	1	أبو المظفر	281:1
مَنْصِبِي	4	أبو المظفر	244:2
مُهذَّبِ	1	أبو تمام	224:1
نَسِيبِ	3	أبو تمام	281:1
نَصِيبِ	4	أبو تمام	224:1
هُبُوبِ	3	ابن الخطيب	31:2
وأصحابِهِ	2	ابن الخطيب	282:1
والأدبِ	1	ابن الخطيب	227:1
والأدبِ	1	الصابي	50:2
والأقاربِ	1	محمد بن بشير	239:1

والتعبِ	1+1+1	محمد بن بشير	216:1 و217 و253
والجُنُبِ	1	أبو الغريب	249:1
والحَربِ	2	أبو الفتح البستي	284:1
والصِّنابِ	2	جرير	261:1
والكرْبِ	2	العباس بن الأحنف	121:2
واللَّعِبِ	3	أبو تمام	222:1
تاللّعبِ	1	أبو تمام	255:1
وبالعَتْبِ	2	ابن المهدي	283:1
وتعْزيبِ	1	النابغة	176:3 و181
وتَغَرَّبِ	1	البحتري	215:1
وتَغَرَّبِ	1	البحتري	254:1
وطِيبِ	3	البحتري	306:1
وطِيبِها	2	ابن أبي العافية	285:1
وعِتابِي	5	ضمُرة بن ضمرة	267:1 ـ 268
وعَذابِ	3	ضمُرة بن ضمرة	76:2
وقريبِي	4	النمر بن تولب	72:2
وقُلُوبِ	14	المتنبي	229ـ288:1
وكاذِبِها	1	ابو نواس	133:2
ومُغرَّبِ	1	ـ	222:1
ومَنْكِبِي	1	الأحوص	241:1
يَثْرِبِ	1	امرؤ القيس	88:1
يُثَقَّبِ	1	ـ	255:1
يَشِبِ	2	ابو العرب الصقلي	276:1
يَعْسُوبِ	1	الراجز	108:3

بْ

آبْ	2	ابن المعتز	305:1
آبْ	3	اليوسي	306:1
أرْكَبْ	2	اليوسي	198:1
الأدبْ	3	اليوسي	302:1
الذّرَبْ	4	الأعشى	146:1
الشَّنَبْ	2	الأعشى	153:1
الصَّوابْ	2	الأعشى	146:3
الغَضَبْ	1	الأعشى	253:1
الغضَبْ	3	أبو الغريب	306:1
القريبْ	6	يحيى بن خالد بن برمك	276:1 ـ 277
الكَرَبْ	1	الفضل بن عباس	106:2
الكُرَبْ	7	طرفة	293:1

الكُرَبْ	6	أبو علي البصير	153:3
اللَّهَبْ	1	أبو علي البصير	15:2
النَّسَبْ	1	مسكين الدارمي	220:1
تكتَئِبْ	2	طرفة	294:1
حِجابْ	2	التنسي	300:1
حَسَبْ	1	التنسي	256:1
قُلَّبْ	5	الحريري	292:1
والغَبَبْ	3	المتنبي	231:1
يَجِبْ	5	ابن المعتز	171:1
يَعِيبْ	1	ابن المعتز	251:1

التَّـــــاء

تُ

أتَلَفَّتُ	9	تميم بن جميل	354:1
الحَبِطَاتُ	1	الفرزدق	342:1
السكوتُ	1	الفرزدق	333:1
الموتُ	1	الفرزدق	339:1
أمواتُ	1	الفرزدق	332:1
انتشيتُ	5	سنان بن فحل الطائي	345:1
أنعت	5	سنان بن فحل الطائي	346:1
بَابَتُهْ	4	اليوسي	356:1
باهِتُ	3	اليوسي	266:2
بَلِيتُ	2	اليوسي	341:1
بيتُ	1	اليوسي	59:2
تُثبتُ	2	اليوسي	355:1
تكفتُهُ	1	اليوسي	339:1
دَرِيتُ	5	بعض الأعراب	342:1 ـ 343
رويتُ	2	الحريري	334:1
سيفُوتُ	1	الحريري	331:1
شَخِيتُ	2	تأبط شرا	345:1
صَمتُ	2	تأبط شرا	342:1
عَيِيتُ	1	تأبط شرا	331:1
قُوتُ	3	محمود الوراق	336:1
لَقيتُ	3	طرفة	199:2
ميتُ	3	طرفة	342:1
هاتُوا	1	طرفة	332:1
واعتديتُ	7	محمود الوراق	336:1 ـ 337

وممات ُ	5	المعري	333:1
ياقوت ُ	1	الحريري	343:1
يموت ُ	2	الحريري	332:1
يموت ُ	1	الحماسي	357:1

تَـ

الأقواتَا	1	الحماسي	332:1
السِّخْتِيتَا	1	رؤبة	216:3
القُوتَا	3	المعري	333:1
رأتَـا	5	ابن زهر الاشبيلي	341:1
سَبْرُوتَا	14	الحريري	334:1
سُكوتا	1	الحريري	332:1
مَتَى	2	الحريري	341:1
نَبَتَا	3	الحريري	341:1

تـِ

أبَاتِ	2	أعرابي من بلحارث	347:1
أبَاةِ	1	أعرابي من بلحارث	16:2
أبَتِ	1	أعرابي من بلحارث	332:1
أجَنَّتِ	3	أعرابي من بلحارث	354:1
أجنَّتِ	2	جحل بن نضلة الباهلي	144:2
استحلّتِ	11	كثيّر	337:1 ـ 338
استحلَّتِ	11	الامام المقدسي	339:1
استقلَّتِ	2	فتى قرشي	338:1
أظَلَّتِ	2	فتى قرشي	348:1
الأحبّةِ	1	فتى قرشي	332:1
البشاشاتِ	2	القاضي التنوخي	333:1
البِناتِ	1	القاضي التنوخي	331:1
الحماقاتِ	2	القاضي التنوخي	330:1
الخبَراتِ	1	امرؤ القيس	40:2، (3): 249
الدَّبِراتِ	2	أمامة العامرية	344:1
السبراتِ	1	فتى قرشي	8:3
الشَّفةِ	3	دعبل الخزاعي	353:1
الصَّمُوتِ	4	ابن رشيق	354:1
المروءاتِ	1	امرؤ القيس	331:1
المُروءاتِ	2	الامام الشافعي	267:2
المعجزاتِ	1	أبو الحسن الأنباري	24:2
المنِيَّاتِ	2	أبو الحسن الأنباري	224:2

أمواتِي	1	أبو الحسن الأنباري	356:1
أومُتِ	1	الراجز	236:3
بالتُرهاتِ	1	الراجز	29:3
بالغداةِ	2	الراجز	222:2
بالياقوتِ	2	الراجز	343:1
بَهَتِ	3	دعبل الخزاعي	347:1
تَتَقلَّتِ	2	دعبل الخزاعي	335:1
تجلَّتِ	1	دعبل الخزاعي	197:2
تحتِها	4	المعري	332:1
تغنَّتِ	1	المعري	338:1
جلَّتِ	3	عثمان بن عفان	334:1
حَبَراتِها	4	الوزير أبو عامر بن ينّق	357:1
حسناتِ	7	الوزير أبو عامر بن ينّق	355:1
خَلَجَات	4	خوّات بن جبير الأنصاري	233:3
خُلَّتِي	2	خوّات بن جبير الأنصاري	198:2
ذلَّتِ	2	كثيّر	331:1
ذمّتِهْ	2	بعض شعراء البصرة	329:1
زلَّتِ	1	سليمان العدوي أو الخزاعي	340:1
زلّتِ	1	سليمان العدوي أو الخزاعي	205:2
سَبْتِ	2	سليمان العدوي أو الخزاعي	342:1
سُرَّتِهْ	2	سليمان العدوي أو الخزاعي	346:1
سَعَتِ	2	سليمان العدوي أو الخزاعي	273:1
سِناتِهِ	3	ابن سُريج	201:1
سُوَيْداواتِها	1	المتنبي	332:1
شبيبَتِهِ	5	ابن سناء الملك	351:1
شَجَراتِ	1	ابن سناء الملك	346:1
صمتِها	3	ابن سناء الملك	333:1
عَبَراتِي	1	امرؤ القيس	114:2
غزّاتِ	1	مطرود بن كعب الخزاعي	158:3
فاستقرّتِ	1	عمر بن معديكرب	331:1
فاستقلّتِ	2	عمر بن معديكرب	331:1
فاطمأنَّتِ	1	سيّار بن قصير الطائي	331:1
فَحنَّتِ	2	بنت عانسة	148:3
فشُلَّتِ	8	الحماسي	347:1
فَلاتِ	2	أبو الفرج بن هند	348:1
كالعنكبوتِ	1	الوزير ياقوت	344:1
كرَّتِ	1	الوزير ياقوت	210:2
لرؤيتي	9	ابن الفارض	348:1

لضنَّتِ	2	ابن الفارض	339:1
لعلاتٌ	1	ابن الفارض	328:1
للعنكبوتِ	2	اعرابي استوزر	344:1
للولايات	2	اعرابي استوزر	353:1
لنُكْرتِهِ	1	اعرابي استوزر	122:1
مُصطبِراتِ	1	الحماسية	15:2
مُعتكِراتِ	2	امرؤ القيس	175:2
موتِ	1	امرؤ القيس	297:1
هيئتِهْ	2	المامون العباسي	345:1
وزلَّتِ	3	طفيل الغنوي	337:1
وعداتِي	4	البحتري	353:1
والجبروتِ	4	البحتري	343:1
وشمَّتِ	2	جَحْدر	344:1
ولَّتِ	2	جَحْدر	352:1
ولَّتِ	3	الحماسي	325:1

تْ

الغَلْصَمَتْ	1	الحماسي	144:2
المكر ماتْ	2	الحماسي	352:1، (2): 238
المماتْ	2	الحماسي	237:1
تَولَّتْ	1	الحماسي	225:3
فَرتْهَا	3	الراجز	61:2
حديثُ	1	الراجز	21:2
حديثُ	2	ابن شرف	35:2
عابثُ	2	ابن العربي	33:2
عَبَثُ	2	ابن نباتة	24:2
مباحثُ	1	أبو دلامة	22:2
ميراثُ	2	الصفدي	22:2
وتُدمِّثُ	3	ابن خفاجة	25:2
يتحدَّثُ	2	ابن جابر	32:2

ثَـ

حَدثَا	2	ابن الحدّاد	23:2
حديثَا	1+1	ابن الحدّاد	152:1، (2): 21
حديثَا	2	الحموي	26:2
رثَاثَا	2	أبو النصر بن عبد الجبار	26:2

وعْثَا	6	ابن الرومي	21:2

ثِـ

الاجْداثِ	2	البستي	35:2
البراغيثِ	2	البستي	35:2
نـَّفـْثـِهِ	18	اليوسي	33:2 - 34

ثْـ

الخبيثْ	2	بشار	81:1

الجيـــــم

جُ

أحـوجُ	4	صالح بن جناح	70:2
اللُّجَجُ	4	اليوسي	94:2
اللَّهِجُ	1	اليوسي	69:2
المَّخْرَجُ	2	ابراهيم بن العباس الصولي	84:2
انفراجُ	2	ابراهيم بن العباس الصولي	84:2
حـاجُ	3	ابن فارس اللغوي	73:2
حَرَجُ	1	ابن فارس اللغوي	92:2
خروجُ	3	ابن فارس اللغوي	72:2
ضِجَاجُ	2	اليوسي	93:2
عالجُ	3	الحارث اليشكري	72:2
فأعِيجُ	1	الحارث اليشكري	77:2
مُحتاجُ	2	أحمد المقري الفاسي	77:2
مَخْرَجُ	1	أبو فراس	85:2
مُزعِجُ	2	أبو فراس	80:2
مُسرجُ	2	أبو فراس	69:2
مُنْضَجُ	3	أم الضحاك الحارثية	71:2 - 72
وتُبْهِجُ	1	أم الضحاك الحارثية	69:2
ويروجُ	5	الحريري	74:2
ويَموجُ	4	الحريري	80:2
يموجُ	1	أبو تمام	68:2

جَ

أبْلَجَا	3	أبو تمام	69:2
أحْجَا	4	أبو تمام	68:2
الوِجَا	2	أبو الفرج جعفر اليماني	79:2
الوَدَجَا	2	عبد الله بن الزبير الأسدي	68:2
أموجا	3	عبد الله بن الزبير الأسدي	74:2
أوجَهُ	2	ابن الوكيل	305:2
حِجَـا	2	الغزي	88:2
حِجَجَا	8	عمر بن أبي ربيعة	92:2
حَجًّا	1	عمر بن أبي ربيعة	69:2
خروجا	1	ورقة	156:3
فَلَجَا	5	محمد بن بشير	68:2
واحدجَا	15	الحريري	73:2 ـ 74
ولَجَا	1	الحريري	69:2

جِ

ابنُ الحَشْرجِ	1	الحريري	41:3
أرجِ	2	الحريري	90:2
الأمواجِ	4	ابن رشيق	81:2
الحاجِ	6	الراعي	91:2
الديباجِ	2	الراعي	79:2
العاجِ	2	الراعي	77:2
الفَرجِ	1+1	الراعي	69:2
الهرجِ	2	أبو الفضل يوسف بن النحوي	70:2
بالفَرجِ	1	أبو الفضل يوسف بن النحوي	69:2
بمنهاجِي	2	البستي	81:2
تَهجِ	1	ابن الفارض	91:2
حَاجِ	3	جارية عربية	71:2
رَاجِ	1	جارية عربية	69:2
سَلْجَجِ	1	حسان	65:1
عَرفَجِ	1	حسان	309:1
عِلاجِها	2	ابن الخطيب	81:2
مُعالِجِ	3	اليوسي	94:2
هَودَجِ	4	اليوسي	91:2 ـ 92
وتَغَنُّجِ	2	اليوسي	83:2
وداجِ	3	عبد الرحمان بن حسان بن ثابت	14:3

جْ

الفَرجْ	3	الحريري	73:2
بالحُجَجْ	2	الحريري	274:1

الحـــاء

حُ

أبْطَحُ	1	الحيْصَ بَيْص	341:1
أبْطَحُ	2	الحيْصَ بَيْص	158:2
المدائحُ	1	المتنبي	153:2
الشَّرحُ	2	القاضي الفاضل	177:2
الصُّراحُ	3	سعد بن قيس	157:2 ـ 158
الطَّوامِحُ	1	ابن المعتز	160:2
تَبْرحُ	2	ابن المعتز	227:2
تبريحُ	3	ابن المعتز	161:2
تُذبَحُ	1	ابن المعتز	72:2
تُذبَحُ	2	ابن المعتز	159:2
تُسامحُ	1	ابن المعتز	155:2
جَنَاحُ	4	اليوسي	173:2
جُناحُ	2	اليوسي	180:2
رائحُ	1	اليوسي	155:2
رائحُ	1	أحد بني الحارث بن كعب	158:2
راجحُ	2	شهاب الدين الخفاجي	164:2
شحِيحُ	1	شهاب الدين الخفاجي	155:2
صافحُ	2	قيس بن ذريح	168:2 ـ 169
صالحُ	1	ابن دريد	182:2
صباحُ	2	ابن الزقاق	162:2
صوالحُ	2	معن بن أوس	156:2
فاستراحُوا	1	الحماسي	64:3
فاضِحُ	6	الحماسي	159:2
فتُريحُ	10	عوف بن محلم	166:2
قبيحُ	1+1	عوف بن محلم	155:2 ـ 156
قَرحُ	5	عبد المحسن الصوري	163:2 ـ 164
لا بَراحُ	1	سعد بن مالك	179:1
لا يتوضَّحُ	3	بشار	74:2
مادحُ	5	أشجع السلمي	160:2
مِتْيَحُ	1	الراعي	144:2

مُشِيحُ	5	نَضْلة السلمي	121:1
مصباحُ	2	الحسن بن هانىء	162:2
مفتوحُ	2	الحسن بن هانىء	178:1
ناصحُ	1	الحسن بن هانىء	156:2
وارتياحُ	3	أبو عيسى بن لبون	173:2
والرَّاحُ	4	أبو عيسى بن لبون	174:2
وأوضحُ	2	أبو بكر بن عمار	172:2
وتَروحُ	1	أبو بكر بن عمار	156:2
وتَصُوحُ	1	الاعرابي	298:2
وتُمْدحُ	+1	الاعرابي	156:2 و172
وصدوحُ	6	فخر الدين التكريتي	180:2
وصفائحُ	2	فخر الدين التكريتي	9:2
ولُقَّحُ	3	العُجير السلولي	78:1
يَبُوحُ	1	المتنبي	154:2
يبوحُ	1+1	المتنبي	48:2، (3):239
يَربَحُ	1	المتنبي	156:2
يَصلُحُ	1	المتنبي	154:2
يُفْصِحُ	1	المتنبي	172:2
يُمْدحُ	1	المتنبي	155:2

حَ

المَلاَحَهْ	2	المتنبي	171:2
النُّباحَا	1	المتنبي	229:3
التباريحا	2	أبو عيسى بن لبون	173:2
تَلاحَى	2	أبو عيسى بن لبون	91:2
جُناحَا	4	مالك بن أسماء	159:2
راحَا	2	مالك بن أسماء	174:2
شَحَاحَا	2	ابن هرمة	138:2
شَحَاحَا	2	مالك بن أسماء	151:2
صَحِيحَا	5	المعري	154:2
ضُحَاهَا	2	المعمار	229:2
فالبَطْحَا	1	ابن زيدون	178:2
فَسِيحَا	2	ابن الفارض	172:2
قَدحَا	5	ابن الفارض	182:2
لاحَا	2	ابن الفارض	78:2
مارجَحا	1	ابن الرومي	163:2
ماصَفَحَتْ	3	ابن النبيه	357:1

مِراحَهُ	3	ابن النبيه	81:2 و162 ـ 163
مزاحًا	2	ابن عبد المنان	171:2
مصباحا	2	ابن الخطيب	79:2
مصباحا	2	ابن الخياط	162:2
نـزَحًا	3	مهيار	163:2
نـَصيحًا	2	مهيار	157:2
وامّحَى	1	مهيار	215:2
واضِحَهْ	2	مهيار	69:3

حـ

الأباطِحِ	2	المجنون	168:2
الأوْضَحِ	2	أبو اسحاق بن الحاج	163:2
البَراحِ	5	اليوسـي	183:2
البِطاحِ	4	أحد بني يشكر	158:2
الجوائحِ	1	سُويد بن صامت	89:1
الرّاحِ	2	ادريس بن اليماني	162:2
الرِّبْحِ	1	ادريس بن اليماني	155:2
الرَّبيحِ	4	عمرو بن الاطنابة	45:1، (2): 152
الرِّياحِ	2	عمرو بن الاطنابة	170:1
الرياحِ	3	عمرو بن الاطنابة	162:2
الرياحِ	1	عمرو بن الاطنابة	243:2
السِّلاحِ	1	نَضْلَه	206:3
الصّالِحِ	1	نَضْلَه	156:2
الصَّبّاحِ	2	ابن المعتز	162:2
الصَّريحِ	2	سيف الدولة	163:2
الفَلاحِ	1	المتنبي	154:2
القَراحِ	1	جساس	206:3
القُمّحِ	1	الراجز	58:3
المَادِحِ	2	ابن هرمة	152:2
المَديحِ	2	ابن هرمة	182:2
المِزاحِ	2	ابن هرمة	78:2
المَزْحِ	2	أبو الفتح البستي	171:2
الملاحِ	4	ابن الزيات	180:2
النّجاحِ	1	ابن الزيات	154:2
النُّصْحِ	7	مؤيد الدين الموصلي	180:2 ـ 181
الواضحِ	1	مؤيد الدين الموصلي	41:3
الوضّاحِ	3	اليوسي	173:2
الوضّاحِ	2	اليوسي	30:2

امتياحِ	5	جرير	140:3
بالقوادحِ	1	جميل	338:1
بـَراحِ	1	الراجز	179:1
بـِقـَرحِـهِ	2	مجد الدين الاربلي	160:2
بمُستباحِ	1	جرير	142:2
جُمَّاحِ	1	جرير	219:3
جَـوانـِحِـي	2	جرير	161:2
راحِ	1	جرير	139:3
رُزَّحِ	4	عروة بن الورد	151:2
رواحِ	2	ابن الساعاتي	181:2
سِلاحِ	2	ابن الساعاتي	151:2
صَبـَاحِ	1	ابن الساعاتي	154:2
صِحَاحِ	2	ابن ميادة	181:2
صُراحِ	2	المتنبي	154:2
صَلاحِ	2	ابن نباتة السعدي	182:2
ضَاحِ	5	فاطمة بنت الأحجم الخزاعية	51:1، (2): 157
فِـصَاحِ	6	أبو محمد بن عبدون	173:2
لمَّاحِ	7	عبيد بن الأبرص	169:1
مُـبِـيحِ	4	ابن الدمينة	169:2
مجروحِ	2	الحسن بن هانىء	162:2
والأرواحِ	4	بعض الصوفية	173:2 ـ 174
والرَّاحِ	10	الحريري	165:2
والصَّلاحِ	6	جميل بن معمر	152:2 ـ 153
وقَاحِ	2	أبو بكر بن النطاح	160:2
يـَجْنـَحِ	3	أبو بكر بن النطاح	181:2

حْ

اقتراحْ	2	ابن حمديس الصقلي	179:2
الجناحْ	2	ابن حمديس الصقلي	181:2
الرياحْ	2	القاضي عياض	161:2
السَّماحِ	10	الحريري	166:2
الصَّباحْ	2	الحريري	171:2
الصَّباحْ	2	ابن حمديس الصقلي	179:2
الفَرحْ	19	الحريري	164:2 ـ 165
المُستراحْ	1	الحريري	156:2
ذبـَحْ	1	الحريري	155:2
راحْ	2	ابن قاضي ميلة	182:2
واسْرحْ	9	شرف الدين الحموي	163:2

والنجاحْ	2	شهاب الدين الخفاجي	164:2
وسبَّحْ	2	ابن الوردي	164:2

الخـــاء

خُ

راسخُ	4	الحريري	234:2
صارخُ	2	الحريري	227:2
يَشِيخُوا	2	الحريري	225:2

خَ

آخَـى	3	اليوسي	234:2
نُـقَـاخَـا	2	اليوسي	225:2

خْ

بِأخْ	4	اليوسي	234:2

الـــدّال

دُ

أبْتَرِدُ	2	عروة بن أذينة	293:2
أبْتَرِدُ	2	أعرابي	307:2
أجِدُ	4	أعرابي	309:2
أجِدُهْ	2	أعرابي	279:2
أحَدُ	1	أعرابي	263:2
أحْمَدُ	1	امرؤ القيس	200:1
أحْمَدُ	1	المُرقش	200:1
أحْمَدُ	1	أبوبكر بن عمار	308:2
أذودُ	4	عقيل بن عُلَّفَة المري	278:2
أذودُها	2	الحسن بن مطير	282:2
أرشَدُ	2	الحسن بن مطير	267:2
أسْعَدُ	3	الحسن بن مطير	281:2
أعضادُها	2	بعض العرب	247:2
أفقِدُهُ	1	بعض العرب	263:2
أقْوَدُ	1	حاتم	288:2
أكْتَادُ	4	حاتم	276:2
الأسَدُ	1	قيس بن كلثوم	278:2
الأسودُ	1	شُبيل الفزاري	279:2

الحاسدُ	2	شُبيل الفزاري	279:1
الحدُّ	1	شبيل الفزاري	246:2
الحديدُ	2	بكر بن النطاح	104:2
الحَسَدُ	1	أبو تمام	248:2
الخدودُ	1	أبو تمام	261:1
الخرائدُ	8	المتنبي	251:2 ـ 252
الخُلْدُ	1+1	المتنبي	73:2 و288
الدّودُ	1	المتنبي	260:2
الرائدُ	3	المتنبي	256:2 ـ 257
الرُّبْدُ	1	شبيب بن البرصاء	282:2
الشَّهدُ	1	حبيب	218:1
الصَّردُ	2	حبيب	150:3
العبيدُ	1	الفرزدق	294:2 ـ 295
الفُقُودُ	1	عنترة	32:3
القِردُ	1	المتنبي	128:2
الغِمْدُ	1	المتنبي	246:2
الكَدُّ	1	المتنبي	245:2
اللُّبَدُ	1	الراعي	120:1
الواحد	1+1	الراعي	262:2 و265
الوُرُودُ	1	الراعي	112:3
الولَدُ	2	الراعي	81:2
بُدُّ	1	المتنبي	52:1 و166
بَرَدُ	2	المتنبي	282:2
بَعِيدُ	36	جميل	285:2 ـ 286
بعيد	2+2	جميل	298:2 و309
بَعيدُها	2+2	جميل	7:2،(3): 153
بِلادُ	1	ديك الجن	215:1
تَبْرُدُ	1	ديك الجن	112:2
تَتودَّدُ	3	تأبط شرا	278:2
تَجِدُ	1	تأبط شرا	263:2
تردُّهُ	8	المتنبي	254:2 ـ 255
تُرشدُها	2	المتنبي	253:2
تَزِيدُ	3	عبد الله بن ثعلبة	279:2
تَعْدادُهُ	1	المتنبي	256:2
تَعُودُ	2	ابن مراق	233:2
جُحودُها	1	ابن مراق	265:2
جديدُ	2	ابن الرومي	247:1
جديدُ	1	اليوسي	31:2

جسدُ	2	ابن عبدوس الفارسي	279:1
جمادُ	2	أبو الفتح البستي	299:2
جُمودُ	1	أبو الفتح البستي	284:2
حائدُ	3	ابن الرومي	297:2
حاسدُهْ	1	ابن الرومي	281:2
حَامِدُ	7	محمد بن أبي شحاذ الطبي	181:2
حَدُّ	1	محمد بن أبي شحاذ الطبي	266:2
حَسّدُوا	3	محمد بن أبي شحاذ الطبي	271:2
حُسِدُوا	3	محمد بن أبي شحاذ الطبي	271:2
حَشَدُوا	4	أبو مسلم الخراساني	270:2
حَمْدُ	1	أبو مسلم الخراساني	264:2
خالدُ	5	أبو مسلم الخراساني	291:2 ـ 292
رَدُّ	5	أبو تمام	249:2
رُقادُ	1	أبو تمام	264:2
زيادُ	1	مسكين الدارمي	206:1
سَعْدُ	13	الحطيئة	247:2 ـ 248
سَنَدُ	1	الحطيئة	261:2
سَوادُهْ	1	المتنبي	218:1
سَوادُهُ	2	المتنبي	292:2
شاهِدُ	5	الحِسلُ بن حاتم	41:2
شديدُ	2	ابن الجهم	292:2
عَضُدُ	1	ابن الجهم	261:2
عمودُها	1	هاتف	287:2
عَهْدُ	6	المتنبي	254:2
عهدُ	1	المتنبي	260:2
غَدُ	1	الحماسي	135:1
غَدُ	5	سعيد بن حميد	176:2
فَارِدُ	2	العباس بن مرداس السلمي	277:2 ـ 278
فاردُ	2	العباس بن مرداس السلمي	290:2
فاسدُ	1	العباس بن مرداس السلمي	264:2
فجِدُّوا	2	تمثل بها الحجاج	220:3
فَيعودُ	1	تمثل بها الحجاج	283:2
قَوّادُ	1	تمثل بها الحجاج	264:2
لا ينفَدُ	1	المتنبي	253:2
لَسَعِيدُ	1	المتنبي	246:2
لَشَدِيدُ	5	أعرابي	269:2
لَواجِدُ	2	الوزير المهلبي	290:2
مَجْدُهُ	1	المتنبي	110:1، 172:(2)

مجهودُ	3	كلثوم بن عمرو	269:2 ـ 270
محسودُ	1	كلثوم بن عمرو	246:2
مُرْدُ	1	المتنبي	254:2، (3):30و138
مُريدُ	2	محمد بن كنانة الأسدي	305:2
مَزيدُ	2	ابن الرومي	176:2
مُعتادُ	2	ابن الرومي	299:2
مَفْقودُ	7	المتنبي	256:2
ممدودُ	1	اليوسي	30:2
مُهَنَّدُ	1	اليوسي	118:2و287، (3):234
مَوجودُ	1	اليوسي	296:2
مَوعِدُهُ	1	الحُصري	176:2
نَجْدُ	8	الحُصري	76:3
واحدُ	1	الحُصري	263:2
واحدُ	3	الحُصري	287:2
واحدُ	2	الحُصري	300:2
والأسَدُ	3	المتلمس	301:2
والجَلَدُ	2	أبو تمّام	248:2
والوتدُ	1	أبو تمام	40:2
والوتدُ	2	أبو تمام	14:3 و249
وتَخْمُدُ	2	أبو تمام	309:2
وجَليدُ	2	أبو تمام	330:1
وجَليدُ	4	رجل من بني قُريع	280:2
وخُلودُ	1	رجل من بني قُريع	288:2
وسادُ	5	المعري	258:2
ولَدُوا	1	المعري	264:1
ولَدُوا	1	أبو تمام	251:2
ومعهودُ	1	أبو تمام	261:2
ويزيدُ	3	أبو تمام	296:1
ياسعدُ	1	أبو تمام	265:2
يَبيدُ	3	أبو تمام	298:2
يُجَدَّدُ	1	الارجاني	304:2
يُحصَدُ	3	أبو جعفر البطروني	289:2
يُحْمَدُ	1	المتنبي	254:2
يَـدُ	4	علي بن الجهم	134:1
يـدُ	4	عبد الصمد بن المعذّل	178:2
يَدُهُ	1	عبد الصمد بن المعذّل	261:2
يَرمَدُ	1	عبد الصمد بن المعذّل	260:2
يُريدُ	1	عبد الصمد بن المعذّل	266:2

يَزْدادُ	2+2	عبد الصمد بن المعذّل	13:2 و296
يزيدُ	1+1	عبد الصمد بن المعذّل	110:2 و296
يَزيدُ	2	يزيد بن الصيقل العقيلي	287:2
يُستَشْهَدُ	1	يزيد بن الصيقل العقيلي	261:2
يَصيدُ	1	يزيد بن الصيقل العقيلي	242:3
يُعيدُ	1	عبيد بن الأبرص	61:1
يَفسدُ	2	الخوارزمي	60:2
يقودهْ	1	الوزير المهلبي	271:2
يَلْبَدُ	1	ابن الرومي	187:2
يُولَدُ	1	ابن الرومي	229:2

دَ

أبَاجَعْدةِ	2	عبيد بن الأبرص	9:3
أبَدًا	1	عبيد بن الأبرص	286:2
أبَدا	2	عبيد بن الأبرص	299:2
اتّقادًا	1	الفقيه أبو الحسن بن زنباع	308:2
أحَدًا	1	الفقيه أبو الحسن بن زنباع	262:2 و299
الحديدًا	3	أحد العلويين	295:2
السَّدَا	3	اليوسي	312:2
السِّيَادَهْ	3	الاسعِردي	212:2
العِدًا	2	الاسعِرْدي	228:2
المائدة	2	الاسعِردي	262:2
المستفَادًا	1	المعري	259:2
النَّدا	1	المعري	265:2
الواحدَهْ	1	المعري	66:3
الوسائِدًا	3	الراجز	56:3
الوليدًا	1	الخنساء	118:2
أنْشَدًا	1	الاعشى	217:2
أوحَدًا	2	الاعشى	313:2
أولادَها	1	الاعشى	181:1
بَدَدًا	5	أبو جعفر التطيلي	308:2
بُردًا	8	عمر بن معد يكرب	277:2
بُردًا	2	شرف الدين الحموي	300:2
بِشِدَّهْ	2	لبن سكرة	290:2، 201:(3)
بَعِيدًا	1	ابن سكرة	261:2
تَزوَّدًا	2	الأعشى	260:2
تَصَيَّدًا	7	المتنبي	252:2 - 253
تَعَوَّدًا	1	المتنبي	264:2
جَاهِدًا	1	المتنبي	299:2
حِدَادًا	5	المتنبي	304:2

حَديدا	2	الزباء	210:1، (3): 252
حَمْدا	12	المقنع الكندي	280:2 ـ 281
خُدودا	7	أبو تمام	250:2
رِغْدا	1	رجل من بلحارث بن كعب	282:2
رِغْدا	1	رجل من بلحارث بن كعب	193:3
رَنْدا	3	رجل من بلحارث بن كعب	313:2
سَرمَدا	2	رجل من بلحارث بن كعب	134:1
سُمُودا	4	عبد الله بن الزبير الأسدي	143:2
سيِّدا	6	عبد الله بن الزبير الأسدي	140:1
شاهِدا	3	عبد الله بن الزبير الأسدي	290:2
صَعْدَهْ	2	الحريري	300:2
ضِدَّهُ	2	ابن سناء الملك	89:2 و304
طَريدا	3	أبو البركات	291:2
عائدهْ	2	اليوسي	231:2
عَبْدا	1	اليوسي	263:2
عَدَّا	1	اليوسي	261:2
عِنادا	8	المعري	259:2
عِندَهُ	1	المعري	265:2
عُودا	1	المعري	266:2
غَدا	1	المعري	263:2
فائِدهْ	2	ابن حجاج	291:2
فاسِدهْ	2	أبو الفتح بن جني النحوى	271:2
فاصطِيدا	1	الراجز	202:1
فُؤادا	2	المعري	88:2
فصرخَدا	2	المعري	282:2 ـ 283
قَرْدا	1	المعري	185:2
قُعودا	1	حبيب	66:1
ماأسْدَى	2	حبيب	299:2
مُبتدا	1	حبيب	303:2
مُتباعدانِ	1	حبيب	90:2
مُجيدا	1	حبيب	179:1
مُخَلَّدا	1	حطائط أخو الأسود بن يعفر	282:2
مَدا	2	اليوسي	303:2
مُسْتَردَّهْ	2	اليوسي	299:2
مَوعِدا	1	الاعشى	195:2
موعِدا	6	أبو بكر بن الملح	308:2
نَجْدا	5	أعرابي سجين	287:2
واحِدَهْ	3	عبيد بن الأبرص	61:1 ـ 62

واحدَهْ	3	عبيد بن الأبرص	305:2
والِدَا	2	عبيد بن الأبرص	289:2
والوالِدَهْ	3	عبيد بن الأبرص	270:2
وجْدَا	2	عبيد بن الأبرص	313:2
ورَدَا	2	عبيد بن الأبرص	202:3
وَرْدَا	5	المعتمد بن عباد	307:2
وِرْدَا	3	المعتمد بن عباد	313:2
ولَدَا	1	المعتمد بن عباد	262:2
ومُقعِدَا	7	الرئيس أبو مروان بن رَزين	307:2
ومَشْهَدَا	1	الرئيس أبو مروان بن رزين	250:1
ومَشْهدَا	4	الرئيس أبو مروان بن رزين	298:2
ووُلْدَا	2	الرئيس أبو مروان بن رزين	167:3
وَوُلْدَا	2	الحارث بن كلدة	288:2
يتردَّدَا	2	أبو جعفر المنصور العباسي	293:2
يتبلَّدَا	1	أبو تمام	251:2
يُجْتَدَى	2	ابن اللبانة	289:2
يَدَا	1	الاعشى القيسي	174:1
يَدَا	1	الأعشى القيسي	265:2
يَردَا	1	الأعشى القيسي	50:2،(3): 252
يزيدا	2	عبد الله بن همام السلولي	232:1
يُقَرَّدَا	1	عبد الله بن همام السلولي	176:3

دِ

أَبْدِي	3	الراجز	102:2
ابْعُدِ	2	دريد بن الصمة	279:2
ابن داوودِ	5	أبو دلامة	24:3
أحَدِ	2	السهروردي	271:2
أحَدِ	2+2	السهروردي	313:2،(3):13
أرشُدِ	2	دريد بن الصمة	245:2
أسودِهِ	1	دريد بن الصمة	266:2
أضدادِ	4	دريد بن الصمة	313:2
الأبَدِ	2	الشده البكري	13:3
الأحْقَادِ	1	الشده البكري	165:1
الاخمادِ	1	الشده البكري	263:2
الأسَاوِدِ	4	أبو تمام	248:2 ـ 249
الأساودِ	1	الأشهب بن رحيلة	287:2
الأسَدِ	2	الأشهب بن رحيلة	111:1
الأسَدِ	1	الطرمّاح	202:1
الأسَدِ	1	الطرمّاح	264:2

الأعداد	1	الأسود بن يعفر	119:1
الأعواد	6	الأسود بن يعفر	283:2
الأفْنَاد	3	أحد بني فقعس	281:2
الأكباد	1	أحد بني فقعس	263:2
الأولاد	1	أحد بني فقعس	265:2
البارد	2	أحد بني فقعس	156:1
البُنُود	7	المتنبي	253:2
البُعد	4	العباب العجْلي	278:2
التّرائد	1	حُرثان بن عمرو	268:2
التّمَد	1	النابغة	27:1 و79
الجاهد	1	النابغة	265:2
الجَحُود	1	النابغة	262:2
الجِدّ	2	النابغة	303:2
الجَسَد	3	أبو محمد بن عبد البر	308:2
الجِهَاد	8	أبو محمد بن عبد البر	6:2
الجُود	1	أبو تمام	251:2
الجود	1	أبو تمام	266:2
الجِياد	؟	أبو دُلف	301:2
الحديد	3	أرطأة بن سهية	283:2
الحَسَد	2	أرطأة بن سهية	236:2
الحُسّاد	8	المتنبي	255:2 ـ 256
الحُسّاد	1	المتنبي	263:2
الحسّاد	2	المتنبي	291:2
الحُسّاد	1	ابن أبي عيينة	266:2(3):236
الحَسُود	2	ابن طباطبا العلوي	83:2
الحَمْد	1	المتنبي	261:2
الحميد	6	البحتري	224:2
الخدود	1	البحتري	263:2
الخُلْد	1	البحتري	262:2
الرَّدي	1	دريد بن الصمة	113:1
الردي	3	عدي بن زيد	259:2
الرَّنْد	1	البحتري	303:2
السّاهِد	2	البحتري	292:2
السُّؤدد	1	البحتري	299:2
السَّواد	1	البحتري	299:2
الشّدائد	1+1	البحتري	265:2 و298
الشّديد	2	البحتري	303:2
الصّدّ	1	البحتري	263:2

الصَّدِي	1	النابغة	199:1
الصَّفَدِ	2	أبو تمام	28:2
العائدِ	4	ابن المعتز	279:1
العِبادِ	1+1	ابن المعتز	261:2 و265
العَبْدِ	5	عزالدين بن هبة الله المعتزلي	302:2
العِقدِ	2	عزالدين بن هبة الله المعتزلي	291:2
الغَدِ	1	دريد بن الصمة	51:1
الفاسدِ	1	دريد بن الصمة	261:2
الفُؤاد	6	أبو تمام	250:2 ـ 251
الفَرقدِ	2+2	أبو تمام	244:2 و291
الفسادِ	1	أبو تمام	262:2
الفوائدِ	1	أبو تمام	260:2
القَتَادِ	1	أبو تمام	244:2
القَتَادِ	3	أبو الحسن بن الحاج اللورقي	308:2
القَدِّ	2	المعمار	229:2
القَدِّ	1	المعمار	246:2
القَدِّ	2	المتنبي	256:2
القُرادِ	1	المتنبي	284:2
القَعُودِ	1	حبيب	71:1
اللَّحْدِ	5	محمد بن عبد الملك الزيات	297:2
المتقاودِ	3	نبهان العبشمي	288:2
المُتَوقِّدِ	1	عنترة	210:2
المَجْدِ	2	ابن الخطيب	289:2
المَجْدِ	2	البستي	292:2
المحامدِ	2	النابغة الذبياني	39:3
المَحْتِدِ	2	أبو الحسن بن أبي الطيب	288:2
المَزِيدِ	3	أبو الحسن بن أبي الطيب	283:2
المَعِدِ	2	ابن الضرير النّهرواني	271:2
المُقَلَّدِ	3	شاس بن عبده	199:1
المَهْدِ	3	شاس بن عبده	296:1
المَهْدِ	1	المجنون	63:3
المُهَنَّدِ	1	طرفة	259:2
النَّدِّ	1	أبو بكر بن عمار	307:2
النَّدِي	2	علقمة الفحل	267:2
النَّكَدِ	1	النابغة	59:1
الوالِدِ	1	النابغة	262:2
الوالِدِ	1	حبيب	37:3
الودِّ	3	حبيب	228:2

الورْدِ	3	الصابىء	78:1
الورْدِ	6	الحماسي	131:2
الوردِ	6	قيس بن عاصم	282:2
الوردِ	2	الحماسي	57:3
الوفْدِ	2	ابن عُنين	75:3
أنادِي	2	ابن عُنين	211:3
أنادي	11	عزالدين المقدسي	247:2
أنـْجُدِ	1	دريد بن الصمة	267:2
أوَدِ	1	النابغة	223:3
إيـَادِ	3	الاسود بن يعفر	115:1
إيقَادِ	2	الراعي بن عباد	290:2
بالتـّجلـُّدِ	2	كُثير	142:1، (2):292
بالجُدودِ	1	كُثير	41:2
بالجُدودِ	3	اليزيدي	139:2
بالحَدِّ	6	القاضي عبد الوهاب بن نصر	293:2
بالحَدِّ	1	ابن الساعاتي	300:2
بالسُّؤدَدِ	1	رجل من خثعم	279:2
بالسـَّهَدِ	2	رجل من خثعم	14:2
بالصـَّيـّادِ	1	رجل من خثعم	262:2
بالمَودُودِ	6	أبو تمام	249:2
بالـْيـَدِ	1	طرفة	52:1
بـِأوْحَدِ	2+2	طرفة	175:1 ـ 176 و294
بأوْحَدِ	1	الامام الشافعي	287:2
ببعيدِ	1	الامام الشافعي	265:2
بـِجُدُودِ	2	الامام الشافعي	289:2
بـِجُدودِي	1	المتنبي	164:1
بـِجُودِ	2	ابن جابر	31:2
براشِدِ	2	ابن جابر	286:2
بـِرُّ الوالـِدِ	1	ابن الرومي	352:1
بـِزَادِ	3	ابن الرومي	116:1
بـَعْدِهِ	2	ابن الحداد	23:2 و289 ـ 290
بـَعْدِي	1	النمر بن تولب	124:1
بـَعْدِي	1	النمر بن تولب	270:2
بـَعِيدِ	1	النمر بن تولب	263:2
بقائـِدِ	9	المثقب	267:2 ـ 268
بـَلـَدِ	2	سهل بن مالك	282:1
بـَلـَدِ	1	سهل بن مالك	264:2
بـِمُخـَلـَّدِ	2	الصفدي	228:2

بِمُسْتَعَادِ	3	المتنبي	254 ـ 253:2
بمُستعادِ	1	المتنبي	264:2
بمَوجُودِ	2	أبو العباس بن الفياض	291:2
بِوِجْدِي	2	أبو العباس بن الفياض	309:2
تَتَجَدَّدِ	2	أبو تمام	214:1
تُحْمَدِ	1	ابن رشيق	54:1
تُرِدِ	2	أعرابي	281:2
تَرشُدِ	1	هاتف	141:2
تُزَوَّدِ	1	طرفة	141:(3)،245:2
تَعَدِّيهِ	2	طرفة	274:1
تُنادِي	1	طرفة	247:2
جَامِدِ	6	أبو تمام	248:2
جَسَدِي	1	أبو تمام	261:2
جُهْدِ	3	أنشده سهل بن هارون	15 ـ 14:2
حِدادِ	1	أبو تمام	249:2
خَالِدِ	2	أبو تمام	290:2
خَدِّي	2	جارية أبي جعفر المنصور	293:2
خُلْدِ	6	اليوسي	14:1
رِغْـدِ	2+2	شاعر + جارية	306:2
رُكودِ	1	اليوسي	260:2
رَوادِ	3	اليوسي	227:2
زَادِ	1	عبيد بن الأبرص	130:2
زَادِي	2	عبيد بن الأبرص	277:2
زَنْدِ	10	ابن اللبانة	289 ـ 288:2
زَنْدِهِ	11	المعري	258 ـ 257:2
زِيَادِ	2	المعري	222:2
زِيَادِ	1	الفرزدق	284:2
سَدِيدِ	1	أبو تمام	251:2
سَعْدِ	2	غسان بن وعلة	279:2
شَادِ	15	المعري	257:2
شَهِيدِ	2	المتنبي	253:2
صَلْدِ	1+1	المتبي	196:(2)،249:1
ضِدِّهِ	2	المعري	218:1
عَبْدِهِ	3	المعري	264:1
عَمْدِ	2	الامام الشافعي	293:2
عندي	1	الامام الشافعي	262:2
عُنقُودِ	2	الامام الشافعي	290:2
عِهَادِ	3	اليوسي	170:(3)،248:1

عَهْدِ	1	المعري	259:2
عُوَدِي	4	طرفة	301:(2)،347:1
غَدِ	1	طرفة	126:1
غَدِ	1	دريد بن الصمة	142:1
غَدِ	1	دريد بن الصمة	266:2
غَدِ	2	دريد بن الصمة	280:2
فارْعُدِ	1	المتلمس	182:1
فَارْعُدِ	1	المتلمس	284:2
فُؤَادِي	3	فاطمة بنت عبد الملك بن مروان	295:2
فَتَزَوَّدِ	1	فاطمة بنت عبد الملك بن مروان	264:2
قَدِّهِ	2	الصنوبري	80:2
قِرْنَ واحِدِ	1	بنية عدي بن الرقاع	270:2
قُرودِ	1	بنية عدي بن الرقاع	265:2
فَصْدِ	1	بنية عدي بن الرقاع	132:2
قَصْدِهِ	1	بنية عدي بن الرقاع	264:2
قُعودي	4	بشار	276:2
قيادى	2	أبوبكر بن النطاح	289:2
كَبِلادِ	2	الفرزدق	278:2 ـ 279
لَبَدِ	4	أبو نواس	305:2
لُبَدِ	1	النابغة	60:1
لَحْدِ	1	النابغة	238:2
لَحْدِهِ	3	ابن قلاقس	301:(2)،349:1
لَحْدِهِ	5	ابن عبدون الوراق	24:2
للأعادِي	4	ابن عبدون الوراق	300:2
لِهَادِ	2	أبو تمام	251:2
مُبَدَّدِ	2	أبو تمام	214:1
مُبَدَّدِ	6	أبو تمام	250:2
مُبْرَدِ	2	الحماسي	146:1
مُتَجَرِّدِ	1	علقة	186:1
مُتَعَبِّدِ	3	مسكين الدارمي	293:2
مُجَلَّدِ	1	البوصيري	305:2
مَحْنِدِي	2	ابن سناء الملك	351:1
محسودِ	1	ابن سناء الملك	264:2
محمَّدِ	1+1	ابن سناء الملك	142:(3)، 264:2
محمودِ	3	المتنبي	251:2
مُرادِ	1	عبد الله بن زياد	62:1
مُرادِ	1	عمرو بن معديكرب	306:2
مُرادِهِمُ	1	الحِلّي	172:2

مَرقَدِ	1	أبو تمام	244:2
مُسْنَدِ	1	أبو تمام	298:2
مُطَّرِدِ	2	أبو تمام	91:2
مُعْتَدِ	1	أبو تمام	213:2
مَقَاصِدِهْ	2	الحريري	300:2
مُقتادِها	1	الاعشى	236:2
مُنْجِدِ	٦	زيد الخيل	306:2 ـ 307
مُهَنَّدِ	2	بنت همام بن مرة الوائلي	147:3
ميعادِ	1	الأسود بن يعفر	245:2
نَدِي	1	الأسود بن يعفر	298:2
واحِدِ	2	الأسود بن يعفر	304:2
وارْعُدِ	1	ابن أحمر	182:1
وارْعُدِ	1	ابن أحمر	284:2
واقْصِدِ	2	ابن الرومي	299:2
والجِلْدِ	1	أبو تمام	249:2
والسَّعَدِ	1	النابغة	80:1 و83
والغَدِ	6	المعري	258:2
والمواعيدِ	1	المعري	262:2
وتفقّدِ	2	المعري	43:2
وجْدِ	4	المعري	170:2
وجهادِ	2	المعري	295:2
وحْدِي	1	المعري	261:2
وحدي	2	المعري	301:2
ورْدِ	2	بعض أهل المجون	304:2
وِسادِي	4	بعض أهل المجون	307:2
وسَاعِدِي	2	بعض أهل المجون	156:1
وسَاعِدِي	2	أبو فراس	271:2
وعْدِ	1	أبو فراس	262:2
وعْدِهِ	2	الغزالي	32:2
ووارِدِ	2	بهاء الدين زهير	29:2
ويغتَدِي	2	بهاء الدين زهر	92:2
يُبْدِي	79	اليوسي	309:2 ـ 312
يَبْرُدِ	1	الحماسي	108:1
يُردِي	5	الصفدي	302:2 ـ 303
يَهْتَدِي	1	الحطيئة	222:3
يَهُودِي	1	الحطيئة	265:2
يُولَدِ	1	يزيد الحارثي	282:2

دْ

أحَدْ	5	الحريري	300:2
أحْسَدْ	2	أبو سيارة	249:3
البَريدْ	1	أبو سيارة	263:2
الخُدودْ	2	بعض المشارقة	291:2
بالحَسَدْ	2	بعض المشارقة	290:2
عَضُدْ	1	بعض المشارقة	72:1
فَسَدْ	2	بعض المشارقة	298:2
فَفَسَدْ	1	بعض المشارقة	212:3
في العَدَدْ	1	بعض المشارقة	266:2
قَعَدْ	5	بعض المشارقة	284:2 ـ 285
والعُقَدْ	4	بعض المشارقة	271:2
وكَمَدْ	2	أبو القاسم الأصبهاني	292:2

الـــذّال

ذُ

أفْلاذُهُ	1	أبو القاسم الأصبهاني	22:3
مَجْذُوذْ	29	اليوسي	24:3 ـ 26

ذَ

أذَى	2	ابن الفارض	23:3
البَذا	14	اليوسي	26:3 ـ 27
القَذا	1	الصابىء	22:3
ذاوَذا	1	اليوسي	22:3
مَاذا	1	الصابىء	306:2
مَلاذا	1	الصابىء	306:2

ذِ

بَغْدادِ	2	أبو نواس	23:3
لَذِيذِ	1	ضابىء	22:3
لِلَّذِي	1	السليماني	30:2

الـــرّاء

رُ

آمِرُهُ	2	ابن النبيه	22:3
اختبارُهُ	1	ابن النبيه	66:3

أخْضَرُ	1	ذو الرمة	58:2
أشْكَرُ	1	ذو الرمة	85:3
أصْبَرُ	1	ذو الرمة	87:3
إضْرارُهُ	3	أبو بكر بن عمار	124:3
اعتذارُ	2	التهامي	181:2
أعْوَرُ	1	ابن هام السلولي	178:1
أكثرُ	4	ابن همام السلولي	117:1
الأعاصيرُ	1	ابن همام السلولي	99:1
الأعمارُ	2	ابن همام السلولي	115:3
الأفكارُ	1	ابن همام السلولي	79:3
الأمْرُ	2	الصاحب بن عباد	97:3
البشيرُ	2	منصور الفقيه	175:1
البعيرُ	2	الحماسي	192:2
البَقَرُ	3	الحماسي	93:3
التِّبْرُ	1	الوزير أبو القاسم بن الجد	124:3
التَّجْرُ	1	امرؤ القيس	312:1
الجَسُورُ	1	امرؤ القيس	69:2
الجَسُورُ	1	سلم الخاسر	135:3
الجهرُ	2	أبونواس	88:1
الجِوارُ	2	زهير	57:1
الحُجَرُ	4	زهير	111:3
الحَجَرُ	1	زهير	207:1
الحَشْرُ	8	أبو تمام	90:3
الحَفْرُ	1	خالد بن علقمة	148:2، 116:(3) ـ 117
الحمار	2	خالد بن علقمة	116:3 ـ 117
الخمْرُ	1	الأعرابي	120:2
الخمرُ	2	الأعرابي	152:3
الخيارُ	10	أبوتمام	89:3
الدَّارُ	1	أبو تمام	82:3
الدَّهْرُ	2	أبو تمام	296:1
الدهرُ	1	أبو تمام	81:3
الدهرُ	5	المعتمد بن عباد	121:3 ـ 122
الدهرُ	4	منقذ الكلابي	125:3
السَّرائرُ	2	منقذ الكلابي	299:1
السِّرارُ	1	منقذ الكلابي	149:2
السُّرُورُ	1	منقذ الكلابي	83:3
السُّرورُ	3	أبو سليمان الخطابي	105:3
السَّفَرُ	1	أبوسليمان الخطابي	215:1، 83:(3)

الشَّجَرُ	2	أبو سليمان الخطابي	135:3
الضَّمائرُ	3	الحسين بن ابراهيم	75:3
الظَّفَرُ	1	الحسين بن ابراهيم	81:3
الظَّهْرُ	4	شيخ من الأعراب	106:3
العارُ	1	شيخ من الأعراب	85:3
العِذَرُ	2	أنشده الجاحظ	168:3
العُمْرُ	1+1	أنشده الجاحظ	78:3 و81
الفِرارُ	1+1+1	أنشده الجاحظ	156:1، 82:(3) و87
الفَقْرُ	1	أنشده الجاحظ	129:1
الفقرُ	1	الأبيرد اليربوعي	207:2
الفقرُ	3	القاضي الجرجاني	99:3
الفقرُ	2	عثمان بن عفان	100:3
الفقرُ	1	سلمة الجعدي	125:3
الفقيرُ	1	سلمة الجعدي	80:3
الفِكْرُ	3	سلمة الجعدْي	210:3
القَدَرُ	2	سلمة الجعدي	288:1
القَدَرُ	2	تمثل به ملك مراكش	99:3
القَدَرُ	3	المعتمد بن عباد	99:3 ـ 100
القَدَرُ	3	الحاجب أبومروان بن زرني	123:3
القَصْرُ	1	السلامي	173:1
القَطْرُ	1	السلامي	156:3
القَفْرُ	4	أبوتمام	91:3
المُحاذِرُ	2	أبوتمام	203:3
المسافِرُ	2	البارقي	74:3
المشاعِرُ	3	عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي	83:1
المَصادِرُ	2	عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي	125:3
المَقابِرُ	2	عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي	27:2
المَناظِرُ	2	عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي	101:3
المَهْرُ	2	أعرابي	119:3
المُورُ	6	حارثة بن بدر	99:1
المَوفُورُ	3	عدي بن زيد	175:1
النار	2	فتاة من بني عجل	145:1
النَّضِيرُ	5	إسحاق الموصلي	119:3
النهارُ	5	المعري	96:3
الهَجْرُ	1+1	المعري	153:1، 85:(3)
أمِرُ	1	المعري	209:2
أمِرُوا	1	المعري	209:2
أمطارُ	1	المعري	79:3

أمَّارُ	2	المعري	151:1
أنـْظُرُ	1	المعري	82:3
انكسارُها	1	المعري	87:3
أنـْوَارُهُ	2	المعري	117:3
أواخِرُهُ	1	المعري	85:3
أواصِرُهْ	4	ابن حبناء التميمي	124:3 ـ 125
أوزارُهُ	3	المعري	117:3
أوفَرُ	1	بشر بن أبي حازم الأسدي	114:1
باكرُ	1	بشر بن أبي حازم الأسادي	86:3
بَعِيرُ	2	بشر بن أبي حازم الأسدي	105:3
بِكْرُ	6	أعرابي	121:2
تُخْبِرُ	2	لغز	76:3
تَخُورُ	3	طرفة	276:2
تَخُورُ	8	طرفة	51:3
تَذَرُ	2	زهير	57:1
تَذْكِيرُ	8	زهير	108:3 ـ 109
تَصْفِرُ	1	تأبط شرًا	76:3
تَصْفِرُ	1	شرف الدين الحلاوي	77:3
تَطيرُ	4	الصفي الحلي	82:2
تَذْكِيرُ	4	الصفي الحلي	278:1
جَازِرُ	1	ذو الرمة	173:1
جِدَارُهْ	1	ذو الرمة	83:3
جَدِيرُ	1	التميمي	125:3
جَزُورُ	1	مهلهل	73:2
جَمْرُ	1	ابن المعتز	170:1
حَارُوا	2	ابن المعتز	117:3
حمارُ	1	ابن المعتز	77:3
خُبْرُ	5	أبو صخر الهدلي	121:3
خَطَرُ	4	الامير قابوس	99:3
خُمارُها	1	الامير قابوس	84:3
خَمْرُ	2	حاتم	73:2
دوابِرُهُ	1	القطامي	124:3
ذُكِرُوا	4	أبو نواس	99:3
ذُكورُ	2+2	أبو نواس	113:3 و126
سَافِرُ	2	أبو نواس	75:3
سِرُّ	3	أبو نواس	133:3 ـ 134
سَفْرُ	2	أبو نواس	198:1
سفيرُ	3	أبو نواس	215:1

سِنِـمّارُ	1	أبو نواس	47:2
شاعِرُ	1	أبو نواس	137:1
شَجَرُ	1	الحطيئة	175:3
شُكّرُ	10	حُجيّة بن مضرب	127:3
صَبْرُ	1	حُجيّة بن مضرب	85:3
صُدورُها	1	ابن البرصاء المري	126:3
صَريرُها	5	سليمان بن وهب	222:2
صِغارُهُ	1	المسكين	112:1
ضائرُهُ	3	أبوتمام	89:3
ضَميرُ	2	قيس بن الذريح	115:3
ضميرُها	2	صُرَّ دُرّ	75:3
ظاهرُهُ	1	أبو فراس	199:3
طاهِرهُ	1	عبد الحميد بن يحيى الكاتب	112:3
ظَهْرُ	1	عجوز	106:3
عارُ	10	الخنساء	218:1 ـ 219
عارُ	1	المتنبي	91:3
عَبيرُ	1	المتنبي	340:1
عَثُورُ	2	الفضل بن الربيع	99:3
عِذارُهُ	2	ابن الخطيب	114:3
عُذْرُ	1	ابن الخطيب	80:3
عَسيرُ	1	ابن الخطيب	80:3
عَسيرُ	1	الحماسي	183:3
عُمْرُ	7	المتنبي	91:3 ـ 92
عَمْرُ	3	المجنون	168:2
غُبارُهُ	3	راجز	107:1
غُرورُ	4	المتنبي	91:3
غُرورُ	1	مسلم	193:3
غيرُ	2	مسلم	192:3
فُجُورُها	1	مسلم	85:3
فَقيرُ	1	مسلم	80:3
فيُعارُ	2	مسلم	178:2
قُبُورُ	1	ابن دراج القسطلي	86:3
قَدِرُ	5	ابن دراج القسطلي	181:2 ـ 182
قِصارُ	1+1	ابن دراج القسطلي	178:2، 81:(3)
قَصيرُ	1	نهشل بن ضمرة	315:1
قَصيرُ	1	نهشل بن ضمرة	79:3
كافِرُ	4	الحاجري	24:2
كافورُ	4	الحاجري	75:2

كبيرُ	2	ابراهيم بن المهدي	105:3
كَثُرُوا	5	أبو تمام	90:3
كثيرُ	1	أبو تمام	77:3
لاتُغْفَرُ	1	أبو تمام	83:3
لا تَنْفِرُ	2	رجل يطوف بالبيت	138:3
لايتَغَيَّرُ	1	رجل يطوف بالبيت	80:3
لايتغَيَّرُ	2	كُثيِّر	110:3
لايتغيَّرُ	1	كُثيِّر	138:3
لايصبِرُ	1	كُثيِّر	84:3
لَفَرُورُ	2	عمرو بن معديكرب	185:3
لَمُعَمَّرُ	1	عمرو بن معديكرب	116:1
مُبْصِرُ	1	تأبط شرا	240:2
مُدْبِرُ	4	تأبط شرًا	240:2
مِدْرارُ	2	تأبط شرا	127:3
مذكورُ	2	المخزومي	104:3
مُرُ	4	مخيس بن أرطأة الأعرج	145:1
مَزَارُهُ	1	مخيس بن أرطأة الأعرج	228:2
مزارُهُ	2	المعري	117:3
مزارُها	2	ابراهيم الصولي	96:3
مِسمارُ	2	فتى من بني عجل	145:1
مَصِيرُ	1	فتى من بني عجل	87:3
مَعَابِرُ	2	عبد الله بن سبرة	124:3
مُعمَّرُ	1	عبد الله بن سبرة	83:3
مَقَاديرُ	2	عبد الله بن سبرة	248:1
مِقدارُ	1	عبد الله بن سبرة	86:3
مُنْتَثِرُ	2	ابن المعتز	170:1
مُنْتَظَرُ	1	ابن المعتز	54:1
نادِرُ	1	ابن المعتز	83:3
ناشِرُ	1	ابن المعتز	92:3
ناصِرُهُ	1	ابن المعتز	328:1
نَزُورُ	1	الحماسي	102:1
نَزُورُ	1	جرير	111:2
نَظَرُوا	1	جرير	79:3
نَظِيرُ	1	جرير	82:3
هَجْرُ	2	جرير	114:3
هَصُورُ	9	كثيِّر	107:3
وافِرُ	1	أبو الأسود	88:3
وإسرارُ	3	الخنساء	142:2 ـ 143

والبَحْرُ	2	الخنساء	111:3
والبَصَرُ	1	الخنساء	92:3
والجُزْرُ	2	بنت همام بن مرة الوائلي	147:3
والحَذَرُ	1	بنت همام بن مرة الوائلي	82:3
والخابورُ	2	عدي بن زيد العبادي	188:1
والدُّهورُ	1	عدي بن زيد العبادي	82:3
والذِّكرُ	1	عدي بن زيد العبادي	87:3
والزَّهَرُ	2	عدي بن زيد العبادي	90:2
والعارُ	2	عثمان بن عفان	100:3
والعُمْرُ	1	عثمان بن عفان	79:3
والقَفْرُ	2	ذو الرُّمة	181:3
والقَمَرُ	1	ذو الرُّمة	90:2
والمُقَدَّرُ	1	ذو الرُّمة	87:3
وأوعَارُ	2	ذو الرُّمة	144:1
وتخْصَرُ	3	المجنون	168:2
وتُشَارُ	4	عمارة اليمني	75:3
وتظْهَرُ	1	عمارة اليمني	81:3
وتَغُورُ	2	ابن درّاج القسطلي	350:1
وجَارُها	5	أبو تمام	90:3 ـ 91
ودبورُ	14	أبوتمام	135:1
وزُنْبُورُ	1	أبوتمام	90:3
وسارُوا	3	أبوتمام	134:3
وسُتُورُ	1	بشار	279:1
وقْرُ	1	بشار	59:3
وغَديرُ	2	أبوتمام	90:3
وكْرُ	1	أبوتمام	195:1
ونَكِيرُ	1	أبوتمام	83:3
ووقارُ	2	أبوتمام	190:3
ويَاصِرُ	2	أبو الأسود	44:3
ويَجُورُ	1	أبو الأسود	80:3
يَتفكَّرُ	1	أبو الأسود	88:3
يُجِيرُها	2	الفرزدق	177:1
يُحاذِرُ	1	الفرزدق	82:3
يَحْذَرُ	1	الفرزدق	85:3
يُخْبِرُ	1	الفرزدق	86:3
يُدبِرُ	2	صالح بن شرف	115:3
يَزُورُها	1	الحماسي	124:3
يُسْرُ	+1	الحماسي	84:3 و86

يَسْهَرُ	1	الفرزدق	179:2
يَسِيرُها	1	الفرزدق	244:1
يُشِيرُ	1	الفرزدق	81:3
يَصِيرُ	3	أبو نواس	96:3 ـ 97
يَضِيرُ	2	جميل	179:2
يَقْصُرُ	1	عمر بن أبي ربيعة	178:2
يُكْسَرُ	+1	عمر بن أبي ربيعة	201:2، (3) :80

ر

آخَرَا	1	امرؤ القيس	272:1
آمِرَا	1	خنافر بن التوأم الحميري	119:3
أبِي سَيَّارَهْ	5	خنافر بن التوأم الحميري	250:3
أُخرى	1	خنافر بن التوأم الحميري	84:3
أزْوَرَا	2	امرؤ القيس	96:1
اسْتَطَارَا	3	الطائي	171:1
استعارَا	5	امرؤ القيس	168:1
إسْحَارَا	1	امرؤ القيس	134:3
أسْفَرَا	3	مالك بن المرحل	26:2
أعْذَرَا	1	أبوتمام	206:1
أعْمَرَا	2	أبو شجرة السلمي	224:3
إفطارَا	3	أبو شجرة السلمي	134:3
الأزُرَا	3	بعض الأعراب	77:3
الأكْبَرَا	1	بعض الأعراب	54:1
التَّاجرهْ	4	الفضل بن العباس	313:1
التجارَهْ	3	الفضل بن العباس	23:3
التَّرَى	12	أبو الغنائِم	349:1
الجِدارَا	2	المجنون	76:3
الديارَا	1	قيس	243:1
الزيارهْ	1	قيس	82:3
السُّرورَا	1	أبو نواس	265:1
الشَّجَرَه	1	هبنّقة	139:2، (3):150
الشَّعِيرا	1	الأعشى	47:3
العُذْرَا	2	الأعشى	135:3
العُرَى	1	الأعشى	79:3
ألْفَ مَرَّهْ	2	الأعشى	89:2
لْفَ مرَّهْ	2	ابن معروف	116:3
القَمَرَا	1	ابن معروف	82:3
الكِبَارَا	1	ابن معروف	85:3

الكَبِيرَا	5	عدي بن زيد	112:1
المُسْتَرَا	1	امرؤ القيس	198:2
المُشْقَرَا	2	امرؤ القيس	88:1
المَفَاقِرَا	1	النابغة	205:2
النُّورَهْ	1	الراجز	213:3
الهِرَّا	2	البستي	116:3
الوَرَى	2	البستي	114:3 ـ 115
بِآخِرَهْ	1	البستي	81:3
بأعْورَا	1	بشار	186:1
بَاكِرَا	2	أوس بن حجر	127:1
بَدْرَا	3	ابن قلاقس	349:1
بِزوْبَرَا	1	ابن قلاقس	141:1
بُشْرَى	1	ابن قلاقس	88:3
بِقيصَرَا	2	امرؤالقيس	21:3
تَوَاتُرَا	2	اليوسي	27:2 ـ 28
تَيَسَّرَا	1	اليوسي	79:3
جَرجَرَا	1	امرؤ القيس	20:3 و137
جُلَّنَارَا	3	خالد الكاتب	300:1
جَمْرَا	1	ابن المعتز	135:3
حَاضِرَهْ	1	ابن المعتز	313:1
حَجَرَا	1	ابن المعتز	85:3
حَصِيرَا	1	ابن المعتز	226:3
حُمْرَا	1	ابن المعتز	84:3
خَاسِرَا	1	ابن المعتز	80:3
خَيْبَرَا	1	ابن المعتز	101:3
خَيْبَرَا	1	أحد الحماسيين	126:3
ذِكْرَا	2	ابن المعتز	23:2، (3):114
زُرَارَهْ	4	الأعشى	115:1 ـ 116
زَهْرَا	4	بشار	153:3
سِرَّا	5	بشار	111:3
سُرورَا	1	بشار	80:3
سُيُرَّا	4	جميل بن عبد الله بن معمر	125:3
سَيَّرَا	3	جميل بن عبد الله بن معمر	144:1
الشَّرَا	2	جميل بن عبد الله بن معمر	8:2
صُبارَهْ	4	عمرو بن مِلقط الطائي	115:1
صَغَارَا	1	عمرو بن مِلقط الطائي	87:3
صِفْرَا	3	عمرو بن مِلقط الطائي	297:2
صُورَا	1	عمرو بن مِلقط الطائي	309:1

ظُهورَها	1	عمرو بن مِلقط الطائي	53:2
عِبْرَهْ	1	عمرو بن ملقط الطائي	110:2
عَطَرا	3	عمرو بن ملقط الطائي	133:3
عُمّارا	1	عنترة	62:2
غَفُورا	3	أبو نواس	97:3
فَأكْثَرا	2	النابغة الجعدي	214:1
فتَحَدَّرا	2	الفرزدق	206:1
فتُحقِرا	2	الخوارزمي	114:3
فتُذكِرا	1	الخوارزمي	225:2
فَزارَه	2	نهشل بن مالك الفزاري	140:1
قَدرا	2	إبراهيم بن العباس الصولي	207:2
قَفْرا	1	ابراهيم بن العباس الصولي	14:3
قَيْصَرا	1	إبراهيم بن العباس الصولي	22:2
لاستقَرَّتِ	1	إبراهيم بن العباس الصولي	46:1
لِيَقْصُرا	1	إبراهيم بن العباس الصولي	83:3
ما أغْراهُ	2	إبراهيم بن العباس الصولي	274:1
مُجاورا	10	طرفة	96 ـ 95:1
مُخْبِرا	1	طرفة	87:3
مُد بِرّا	1	طرفة	78:3
مَرَّهْ	2	منصور الفقيه	165:1
مُسْتَتِرا	1	منصور الفقيه	86:3
مُسكَرّا	1	الفرزدق	144:3
مُفْتَقِرا	1	الفرزدق	83:3
مُقْتَدِرا	2	الوزير الفقيه ابن سراج	124:3
مُنَفَّرا	1	الوزير الفقيه ابن سراج	226:3
نُحِرا	1	الوزير الفقيه ابن سراج	120:3
نَظِيرا	2	ابن جابر	172:2
نَوَّرا	1	ابن جابر	80:2
وائْتِجارا	2	العباس بن الأحنف	176:2
وحُمْرهْ	2	ابن جابر	33:2
وصَبْرَهْ	2	القاضي الشريف	114:3
وطَرا	8	الربيع بن ضبع الفزاري	119:3
وظاهِرا	2	النابغة	175:2
وعِبْرهْ	2	قرين بن مصاد الكلبي	141:2
وغُدْرا	3	ابن قلاقس	200:3
وقْرا	4	سالم بن وابصة	107:3
وكْرا	3	ابن غالب الرصافي	247:1
ومَأمُورا	2	المعتمد بن عباد	122:3

ومَزُورا	1	المعتمد بن عباد	81:3
والهَجْرَا	2	عبد الله بن طاهر	115:3
والهَجْرا	2	عبد الله بن طاهر	133:3
يَرَى	1	عبد الله بن طاهر	92:3
يَتَغيَّرا	1	جميل بن عبد الله	54:1
يُكَدَّرا	2	النابغة الجعدي	70:2، (3):117

ر

آخِرِ	2	خالد الكاتب	177:2
ابنَ عَمْرِ	5	الخنساء	191:3
ابن يَسَارِ	2	يزيد بن مفرِّغ الحميري	126:3
أجْرِي	2	عبد الله بن طاهر	99:3
أحْذارِ	5	بدر بن حزاز الفزاري	70:3
أدْرِي	1	علي بن الجهم	118:1
أسْتَارِ	2	علي بن الجهم	135:3
أصْفَارِ	2	النابغة الذبياني	186:2
أصْفَارِ	4	النابغة الذبياني	70:3
اعْتِصَارِي	1	النابغة الذبياني	156:1
اعْتِصَارِي	1	عدي بن زيد	231:3
إعْذَارِهِ	2	أبو عبد الله الشرّان	29:2
الأعَاصِرِ	2	الحماسي	108:3
الأمِرِ	2	الحماسي	227:2
الأمْرِ	1	الرقاشي	126:3
البِحارِ	4	الرقاشي	74:2
البَذْرِ	1	الرقاشي	79:3
البَرِّ	4	الرقاشي	53:1، (3) :105
البَشَرِ	1	ابن عبدون	67:3
البَصَرِ	1	ابن عبدون	212:1
البَوادر	4	ابراهيم بن المهدي	161:1
البوادرِ	2	ابراهيم بن المهدي	114:3
التَّجرِّي	3	ابراهيم بن المهدي	28:2
التَّذكارِ	2	ابراهيم بن المهدي	160:2 ـ 161(3):114
التَّمْرِ	1	اليوسي	195:2
التَّمَرِ	2	اليوسي	161:2
التَّمَرِ	2	أبو الربيع	114:3
الجاري	2	أبو الربيع	115:3
الجُزُرِ	1	الشاعرة	195:1
الجَزُورِ	1	الشاعرة	184:1

الجَوهَر	1	اليوسي	231:2
الحِجْر	1	اليوسي	42:3
الحِمْيَري	1	اليوسي	215:2
الخَاثِر	1	اليوسي	240:3
الخَبَر	10	ابن المعتز	98:3
الخَبَر	2	ابن المعتز	178:3
الخَصَر	1	المعري	93:3
الخَفَر	14	المعري	95:3 ـ 96
الدَّهْر	3	أعرابي	303:2
الدِّيَار	2	أعرابي	351:1
الذِّكْر	1	الشريف الرضي	110:3
الزَّائِر	1	الشريف الرضي	84:3
الزَّهَر	3	الشريف الرضي	28:2
السَّاري	10	الربيع بن زياد	321:1
السُّتور	1	الربيع بن زياد	80:3
السِّرر	2	ابن اللبانة	186:1
السَّفَر	3	ابن صارة	215:1
الشَّجَر	1	ابن صارة	86:3
الصَّادر	1	ابن صارة	150:3
الصَّافِر	2	ابن صارة	39:2
الصَّافِر	1	عمران بن حطان	226:3
الصَّبْر	1	عمران بن حطان	83:3
الصِّبْر	8	يحيى بن طالب الحنفي	101:3 ـ 102
الصَّدر	3	اليوسي	231:2
الصِّغَر	1	اليوسي	85:3
الضَّاري	1	الزبرقان بن بدر	108:3
العَبير	2	مهلهل	82:1
العذر	3	مهلهل	284:1
العَشْر	1	مهلهل	194:1
العصافير	1	حسان	192:2
العُمُر	1	اليوسي	162:3
العَنْبَر	1	اليوسي	84:3
العَنْبَر	1	الصنوبري	135:3
الغُبْر	6	رجل من بني عامر	87:1 ـ 88
الغَدْر	12	اليوسي	90:2
الغِير	31	الوزير أبو محمد بن عبدون	122:3 ـ 123
الفخَار	1	الوزير أبو محمد بن عبدون	96:2
الفَقْر	1	الوزير أبو محمد بن عبدون	86:3

القَطْرِ	1	الوزير أبو محمد بن عبدون	85:3
القَفْرِ	2	الوزير أبو محمد بن عبدون	109:3
الكبائرِ	20	الوزير أبو محمد بن عبدون	109:3 ـ 110
الكَدر	4	ابراهيم بن نصر القاضي	96:3
الكُفْرِ	4	علي بن جَبَلة	94:3
الكَوثَرِ	12	علي بن جَبَلة	25:2
المِئْزرِ	2	الأعرابي	111:3
المُبْصِرِ	2	الأعرابي	135:3
المَخْبَرِ	1	الأعرابي	82:3
المَزارِ	2	الأعرابي	110:3
المُشْتَرِي	2	الأعرابي	80:2
المُعْسِرِ	4	الصفي الحلي	82:2
المَكْبَرِ	1	الصفي الحلي	74:1
النَّارِ	1	الصفي الحلي	83:3
النَّارِ	2	الأخطل	141:3
النَّظَرِ	3	الوزير المهلبي	83:2
الهَجْرِ	2	الوزير المهلبي	274:1
الوكْرِ	2	الأمير ابن أبي حفصة	239:2
إمْرِ	4	اليوسي	230:2
أمْرِك	1	اليوسي	83:3
أمَّ عامِرِ	1	اليوسي	106:(3)،200:2
أنْوارِ	1	أبو الفتح البستي	215:1
أيْسَارِ	2	العرندس الكلابي	184:1
بآثارِها	1	العرندس الكلابي	87:3
بأسرِها	2	العرندس الكلابي	113:3
بأطْهارِ	1	الأخطل	77:3
بالبِشْرِ	4	أبودُلف	94:3
بالتَّدابُرِ	4	أبو دلف	46:3
بالجَارِ	1	أبو دلف	80:3
بالحناجِرِ	1	النابغة	131:1
بالخمرِ	1	ابن ذريح	157:1
بالخِيارِ	1	البحتري	215:1
بالذُكورِ	1	مهلهل	65:2
بالعُمْرِ	4	مهلهل	134:3
بقَبْرِ	1	مهلهل	86:3
بمعذورِ	4	مهلهل	105:3
بالمُنكَرِ	1	مهلهل	84:3
بالنَّهارِ	2	أبو نواس	88:3

بِدارِهِ	1	أبو نواس	85:3
بَشَائِرِهِ	2	أبو نواس	77:2
بَصَرِي	2	الخليل بن أحمد	103:3
بِصَابِرِ	6	الخليل بن أحمد	120:3
بِضَائِرِ	1	الكميت	182:1
بَطَرِ	4	الخالدي	23:3
بِكْرِ	1	النابغة	107:2
بمعذورِ	1	النابغة	80:3
بمَعْمَرِ	3	كليب بن ربيعة أو طرفة	199:2، (3):76
بِمُغَمَّرِ	1	زهير بن مسعود	30:3
تَبْرِي	2	الأخطل	117:1
تَجْرِي	2	الفرزدق	35:3
لَخُورِي	1	مهلهل	145:2 و174
تَدرِي	7	سعد بن ناشب	106:3
تَدمِيرِ	1	سعد بن ناشب	84:3
تُزْرِي	123	اليوسي	127:3 ـ 133
تُشْكَرِ	1	أبو تمام	89:3
ثَغْرِ	2	العرجي العثماني	118:3
ثَغْرِهِ	3	ابن العفيف	26:2 ـ 27
جَابِرِ	2	ابن العفيف	160:2
جَارِ	2	ابن العفيف	212:3
جَزْرِ	1	ابن اللبانة	104:2
حُورِ	1	ابن اللبانة	145:2
خَصْرِهِ	2	ابن اللبانة	79:2
خُمورِهِ	5	ابن اللبانة	78:2
دَارِهِ	1	ابن اللبانة	79:3
دَهْرِ	2	ابن هرمة	38:3
دَهْرِ	1		86:3
دينارِ	1	ابن خفاجة	84:2
ذَرِّ	1	ابن خفاجة	153:1
سِتْرِ	7	ابن خفاجة	104:3
سَفَرِ	7	آثير الدين بن حيان	82:2
شاعِرِ	3	ابن الرومي	10:2
شَطْرِ	1	اليوسي	32:2
شُكْرُ	1	اليوسي	78:3
صَبْرِ	1	اليوسي	211:1
صفَّارِ	2	الكميت	38:2
صِهربَرِّ	2	الكميت	106:3

صِهْرِي	6	النابغة	70:3 ـ 71
ضَجَرِ	2	أبو الفضل بن الحِنْزانَة	97:3
ظَهْرِ	1	أبو الفضل بن الحِنْزانَة	81:3
عَارِ	7	أبو الفضل بن الحِنْزانَة	112:3
عَارِ	3	الراضي بالله	122:3
عَرارِ	5	الراضي بالله	120:3 ـ 121
عَصْرِ	2	الراضي بالله	136:3
عَمْرِ	2	ابنة كلمن	221:2
عَمْرِ	1	ابنة كلمن	81:3
عَمْرِ	2	معاوية بن زهير	200:2
عُمْرِ	1	معاوية بن زهير	85:3
غَدّارِ	7	أبو قيس بن رفاعة	100:3
غَيْرِكْ	1	أبو قيس بن رفاعة	81:3
فاشْتَرِ	2	عروة بن أذينة	97:3
فاصْبِرِ	1	مسافع العبسي	125:3
فاصبِري	3	جارية	102:3
فاعْذِرِي	3	مولى جارية	103:3
فِتْرِ	4	عروة بن أذينة	97:3 ـ 98
فَدارِهْ	3	عروة بن أذينة	28:2
فِكَرِي	2	الطغرائي	97:3
فمُحَسَّرِ	3	الطغرائي	112:3
قَبْرِ	1	الطغرائي	80:3
قُدارِ	1	الطغرائي	212:3
قَدرِ	2	الطغرائي	282:1،(2):178
قَطْرِ	1	الطغرائي	126:3
قَيْصَرِ	8	دحية بن خليفة	179:1
كِبارِ	1	اليوسي	172:2
كَسْرِي	4	عبد الملك بن مروان	78:3
كُفرِ	2	عبد الملك بن مروان	135:3
لا يَدرِي	2	محيي الدين الاسكندراني	118:3
لا يَدرِي	2	محيي الدين الاسكندراني	126:3
لا يَغْرِي	1	زهير	61:2
لِصابِرِ	1	زهير	82:3
للآخِرِ	1	أبوتمام	77:3
للأمطارِ	1	أبوتمام	170:1
للبَصَرِ	2	أبوتمام	90:2
لِلبَصَرِ	2	أبو العباس التطيلي	113:3
مِئْزَرِي	1	أبو العباس التطيلي	142:2 و158

مُنْذِرِ	1	جرير	112:3
مَجْزِرِ	7	عروة بن الورد	110:3
مُحَبَّرِ	3	زهير بن مسعود	32:3
مُدبِرِ	1	المهلهل	206:3
مذكارِ	1	النابغة	314:1
مَسِيرِ	1	المتنبي	91:3
مِصْرِ	2	نائلة بنت الفُرافصة	46:2
مُعَذَّرِ	3	اليوسي	230:2
مِقدارِ	3	ابن خفاجة	115:3
مُقْمِرِ	1	الوزير المهلبي	84:2
مُنْتَصِرِ	3	فتى من بني عِجْل	145:1
مَيْسُورِ	1	فتى من بني عجْل	225:3
نَارِ	1	فتى من بني عجْل	241:3
نَسْرِ	2	فتى من بني عجْل	178:1
نُمَيْرِ	1	ابن مناذر	267:1
نَوافِرِ	2	طرفة	199:2
والأمْرِ	1	اليوسي	30:2
والأمْرِ	11	اليوسي	87:2 ـ 88
والأمْرِ	1	اليوسي	79:3
والبِشْرِ	2	اليوسي	55:2
والبَصَرِ	1	اليوسي	86:3
والبَصَرِ	2	اليوسي	202:3
والخَبَرِ	2	اليوسي	305:1
والخِمارِ	1	اليوسي	231:1
والدَّارِ	1	اليوسي	82:3
والعِطْرِ	2	بنت همام بن مرة الوائلي	147:3
والقَدرِ	1	بنت همام بن مرة الوائلي	82:3
والنُّورِ	2	بنت همام بن مرة الوائلي	84:2
واليُسْرِ	2	حاتم الأصم	51:2
ودارِهِ	2	المكيالي	117:3
ودراري	3	التهامي	113:3
ومَرمَرِ	4	أعرابي دخل البصرة	120:3
وقَرِّها	1	امرأة من العرب	147:2
ومحتضرِهْ	7	علي بن جبلة	94:3
ومِقْدارِ	2	الرصافي	115:3
ويَابَصَرِي	2	ابن طباطبا العلوي	115:3
ويَسْتَشْرِي	1	أبو صخر	167:2
يَجُرِ	1	أبو صخر	80:3

يَجْرِي	4	أبو صخر	104:3
يُحَاذر	1	أبو صخر	88:3
يَدرِي	1	أبو صخر	86:3
يَسَارِ	1	أبو صخر	70:2
يَسْتَمْرِي	6	اليوسي	330:1
يُسْرِ	1	امرؤ القيس	312:1
يَسِيرِ	2	يحيى بن نوفل	262:1
يَفْرِي	2	الأنصاري	89:(2)،166:1
يَفْرِي	2	سويد بن الصامت	104:3

ْر

اعْتِصَارْ	1	سويد بن الصامت	134:3
أفِرْ	3	امرؤ القيس	256:3
البُكُرْ	3	طرفة	310:1
الظُهُرْ	1	طرفة	35:3
القَدَرْ	1	طرفة	87:3
القَمَرْ	1	طرفة	84:3
المُؤتَبِرْ	1	طرفة	208:2
بالنَظَرْ	7	علي بن أبي طالب	113:3
بِحَجَرْ	1	علي بن أبي طالب	84:3
بِحُرْ	1	طرفة	112:2
بقُرْ	1	امرؤ القيس	112:2
تَغُورْ	3	بشار	179:2
حُجرْ	2	امرؤ القيس	311:1
خاطِرْ	2	البهاء زهير	201:2
صَابِرْ	1	البهاء زهير	87:3
صافرْ	1	البهاء زهير	37:2
عَسِيرْ	2	البهاء زهير	85:2
غَبَرْ	2	البهاء زهير	77:3
قَدرْ	2	البهاء زهير	229:2
قُدِرْ	2	علي بن أبي طالب	107:1
للقصورْ	2	صرَّدُرّ	350:1
ماتُسِرْ	2	صرَّدُرّ	226:2
مُرّ	1	الأشعر الأسدي	11:2
مُفْتَقَرْ	1	الأشعر الأسدي	141:1
نُزُرْ	1	طرفة	111:2
نُسَرْ	1	النمر بن تولب	135:3

والخُضَرْ	1	النمر بن تولب	79:3
والسَّدِيرْ	4	عمرو بن أمامة	93:1
والنُّشَرْ	3	أبو العتاهية	143:3
وبَصَرْ	4	أبو عمر الزاهد	75:1
وتَدِرْ	2	امرؤ القيس	168:1
وخُمُرْ	2	طرفة	256:3 ـ 257
وظَفَرْ	1	طرفة	81:3

الـزّاي

زُ

رائِزُ	3	اليوسي	153:3
وأحْرَزُ	2	اليوسي	74:1
وحَازُوا	10	اليوسي	151:3 ـ 152
يُهْمَزُ	7	اليوسي	154:3

زَ

الدَّهَالِيزَا	2	اليوسي	153:3

زِ

الابْرِيزِ	2	ابن جعفر العسقلاني	229:2
المُتَحَرِّزِ	3	ابن الرومي	152:3
المَهَزِّ	4	ابن الرومي	151:3
بِبَازِ	1	المتنبي	151:3
عَنْزِ	1	رؤبة	150:3
في اعْتزارِ	2	رؤبة	151:3
واعتِزازِ	1	رؤبة	152:3

زْ

مِن عَوزْ	7	رؤبة	152:3
ونَاجِزْ	1	رؤبة	204:1

السِّيـــن

سُ

الانـْسُ	2	رؤبة	196:3
الأنـْفُسُ	3	المتلمس	53:3
الحمارِسُ	4	عبد الله بن همام	113:2
السُّوسُ	1	امرؤ القيس	77:1
الطاوُسُ	2	امرؤ القيس	195:3 ـ 196
القـَبـَسُ	2	امرؤ القيس	187:3
القراطيسُ	1	امرؤ القيس	189:3
القـَوانـِسُ	2	امرؤ القيس	32:2
الكـِيسُ	1	امرؤ القيس	188:3
المتلمَّسُ	1	امرؤ القيس	51:3
المجلِسُ	2	مهلهل	190:3
المُكـَيَّسُ	1	زيد الخيل	185:3
باخِسُ	1	زيد الخيل	184:3
بـَيـْهَسُ	1	زيد الخيل	17:2
بـَيـْهَسُ	1	المتلمس	208:1
جالسُ	1	المتلمس	217:1
جـَليسُ	3	أعرابي	203:3
رئـِيسُ	4	بعض الرجاز	124:2
عـَبوسُ	1	بعض الرجاز	188:3
لـَفـَارِسُ	1	بعض الرجاز	210:2
مُتـَنـَفـَّسُ	2	بعض الرجاز	190:3
مُلـْبـَسُ	2	بعض الرجاز	187:3
والآسُ	2	بعض الرجاز	87:2
وسواسُ	1	بعض الرجاز	192:3

سَ

التـَّدلـِيسَا	3	المتنبي	196:3
الحِسَّا	2	محي الدين محمد بن تميم	200:3
الخـَساسَهْ	2	محي الدين محمد بن تميم	189:3
الخـَنـْدريسَا	2	الحريري	194:3
الرياسَهْ	1	الحريري	189:3
النـَّاسَا	1	الحريري	187:3 و188
أمْسَى	2	الحريري	195:3
أمْلـَسَا	4	أعرابي	190:3

بُوسَهَا	1	بيهس	17:2
تَاسِيسَا	3	أبوتمام	189:3
تَنَفَّسَا	1	امرؤ القيس	209:2
حِسًّا	3	امرؤ القيس	196:3
عابِسَا	2	محمود	186:3
عرائِسَا	1	محمود	201:2
قِرطاسَا	2	أبو بكر الخوارزمي	203:3
ماالتَبَسَا	2	الخنساء	187:3
وبُوسَا	14	الحريري	194:3
وعَسَاهُ	2	أبو فراس	85:2

سِ

أَسِّهِ	11	الحريري	193:3
أمْسِ	1	العباس بن الأحنف	186:3
الآسِي	3	العباس بن الأحنف	195:3
الأكْؤُسِ	3	ابن المرزبان	195:3
الأنْسِ	1	ابن المرزبان	187:3
الأنَسِ	2	المعري	197:3
الاينَاسِ	2	المعري	200:3
الجَلِيسِ	1	المعري	186:3
الجلِيسِ	4	المعري	200:3
الدَّنَسِ	1	المعري	188:3
الدَّهِسِ	4	مسلم بن الوليد	198:3
الرَّأسِ	1	مسلم بن الوليد	186:3
الشَّمسِ	2	الحريري	194:3
القُدُسِ	2	أبوتمام	213:1
القَنَاعِيسِ	1	جرير	184:3
الكُؤوسِ	3	المتنبي	196:3
المَجْلِسِ	1	المتنبي	188:3
المَفَالِيسِ	1	المتنبي.	192:3
المكْنِسِ	3	المتنبي	195:3
المَوامِسِ	2	ابن الرومي	158:1
النَّاسِ	2	ابن الرومي	14:2
الناسِ	1+1+1+	ابن الرومي	188:3
النَّاسِي	2	أبو الفتح البستي	198:3
النَّرجِسِ	6	مسلم بن الوليد	198:3
النُّفُوسِ	1	مسلم بن الوليد	188:3

النَّقْسِ	2	الصابىء	193:3
الوكْسِ	9	اليوسي	201:3
اليَاسِ	1	اليوسي	187:3
أمْسِهِ	2	الحريري	264:1، (3):194
أنْقَاسِي	5	أبوتمام	189:3
بآيِسِ	1	أحد بني شيبان	190:3
بَاسِ	2	أحد بني شيبان	186:3
بَاسِ	1	أحد بني شيبان	187:3
بالأكياسِ	4	أحد بني شيبان	75:2
بالأمْسِ	1	أوس بن حجر	185:3
بالايناسِ	1	أوس بن حجر	97:1
بِبُوسِي	2	أوس بن حجر	195:3
بِدارسِ	2	أوس بن حجر	190:3
بِنُحوسِ	2	أوس بن حجر	76:2
تُنسِي	2	محمد بن ابراهيم	190:3
جُلاَسِنَا	1	محمد بن ابراهيم	11:2
جُلاسِي	3	أبو العتاهية	143:3
حِسِّهِ	2	أبو العتاهية	263:1
دوْسِ	2	أبو العتاهية	192:3
راسِي	1	أبو العتاهية	188:3
طِرسِ	12	دريد بن الصمة	191:3 ـ 192
عِرسِي	1	دريد بن الصمة	183:1
غَرسِهِ	3	صالح بن عبد القدوس	186:3
قابِس	1	المعري	212:3
كَاسِ	1	المعري	199:3
لا تُمْسِي	3	أسقف نجران	197:3
لِعَنْسِي	5	الحريري	195:3
لِمُلْتَمِسِ	1	الحريري	340:1
مُعْتَرِسِهْ	2	الحريري	185:3
نَفْسِهِ	8	المتنبي	196:3 ـ 197
نَفْسِي	1	الخنساء	240:1
نَفْسِي	2	المتنبي	191:3
نَفْسِي	3	المتنبي	196:3
نَفِيسِ	1	الخنساء	201:3
نُكْسِي	10	الخنساء	192:3
نُواسِ	2	عمرو بن معديكرب	203:3
نَيْأسِ	2	امرؤ القيس	187:3
وأضْراسِ	1	الحطيئة	112:3

والبـاسِ	2	أبوتمام	57:1
والنـّاسِ	6	الحطيئة	184:3
والنـّاسِ	1	الحطيئة	186:3
واليـاسِ	2	أبو فراس	199:3
وأنفاسي	2	ابن العفيف	229:2
ومُلْتـَمَسي	2	ابن المعتز	193:3
ومُواسِي	2	أبو تمام	189:3
ووسْواسِي	3	أبوتمام	200:3
يُنْسِي	1	أبوتمام	188:3

سْ

عابِسْ	3	ربيعة بن مُكدَّم	103:1

الشّيـــن

شُ

انتعاشُ	12	ببغص الوعاظ	242:3 ـ 243
نـَقـْشُ	31	اليوسي	245:3

شَ

أشـَا	4	كشاجم	203:2
تـَغـْشَاهُ	1	كشاجم	155:3
جـَاشَا	1	سابق البربري	243:3

شِ

الحـَواشِ	1	سابق البربري	243:3
الرّيشِ	1	سابق البربري	243:3
القُماشِ	1	المتنبي	243:3
كالفـَراشِ	2	المتنبي	191:2
مُعـْطِشِ	4	القائم بأمر الله العباسي	243:3
واشِ	1	القائم بأمر الله العباسي	244:3

الصَّـــاد

صُ

مخصوصُ	2	ابن جابر	30:2
قَـمِيصُ	1	ابن جابر	117:1
يَـرخُـصُ	2	ابن الخالدي	166:1
يُـنَـغِّـصُ	2	ابن الخالدي	58:2

صَ

خَـمائِـصًا	1	ابن الخالدي	268:2
قَـمِيصًا	1	ابن الخالدي	194:1

صِ

الخِرصِ	2	ابن الخالدي	31:2
القراميصِ	1	ابن الخالدي	340:1، 49:(3)
تَـرقِـيصِهِ	2	ابن الخالدي	283:1

الضَّـــاد

ضُ

النَّضَـائِـضُ	2	الطائي	171:1
تَـمْرُضُ	2	ابن الرومي	84:2
يُـمْرَضُ	3	ابن الرومي	14:2

ضَ

تَـعَـرَّضًا	2	ابن الرومي	80:2
عَـرِيضًا	1	ابن الرومي	271:1
غَـرَضًا	1	المعري	88:2
مُـنْـقَـبِـضَهْ	2	القاضي عبد الوهاب	77:1
ومِـيضًا	1	الاعشى	35:3

ضِ

الأرضِ	5	ذو الاصبع العدواني	119:1

الأرضِ	2	ذو الاصبع العدواني	198:1
الأرضِ	1	العباس بن الحسن العلوي	13:2
الجَريضِ	1	امرؤ القيس	145:2
القَريضِ	1	امرؤ القيس	170:3
المَهيضِ	1	امرؤ القيس	59:3
بالمِقْراضِ	1	امرؤ القيس	216:2
بَعْضِ	8	أبو خِراش الهُذلي	197:1
بِيضِ	3	امرؤ القيس	168:1
عِرضِي	2	طرفة	197:1، 53:(3)
عِرضِي	5	ابن الرومي	21:2
غُموضِ	2	ابن الرومي	35:2
لِعَضَّ	1	الراجز	126:2
مريضِ	1	امرؤ القيس	19:3

ضْ

الجَريضْ	1	الحريري	146:2
تُعارِضْ	2	أبو بكر بن حجة	228:2

الطَّـــاء

طَ

وخَطَا	3	ابن شهيد	177:2
وسَطَا	1	ابن شهيد	202:2

طِ

الحُوَّاطِ	1	الراجز	185:3
الخُلُطِ	3	عبد الرحمان بن الأشعث	78:3
النِّمَاطِ	1	أنشده الجوهري	243:2
بالبَسْطِ	4	ابن حجة الحموي	31:2

الظَّـــاء

ظُ

حِفَاظُ	3	إسحاق بن سُويد	158:1

ظَ

غائِظَهْ	3	إسحاق بن سُويد	52:2
لافِظَهْ	1	إسحاق بن سُويد	52:2

العَيْن

عُ

أتَضَعْضَعُ	1	أبو صخر الهذلي	236:3
أصْنَعُ	1	أبو صخر الهذلي	354:1
الأبْقَعُ	1	عنترة	210:3
التَدافُعُ	1	النابغة	117:1
الجَزَعُ	1	الجُعيد المُرادي	95:1
القُنُوعُ	1	الجُعيد المُرادي	205:2
المُسْتَرضَعُ	1	جرير	116:1
المُقْرَعُ	1	أوس بن حَجَر	181:3
الودعُ	2	أوس بن حَجَر	138:2
أوْسَعُ	1		156:2
بَلاقِعُ	1	لبيد	63:1
تُبَّعُ	1	أبو ذئيب	101:1
تخْمَعُ	3	أبو ذئيب	200:2
جائعُ	1	أبو ذئيب	7:3
سماعُهْ	6	عاتكة بنت عبد المطلب	122:2
شُرَّعُ	3	عاتكة بنت عبد المطلب	82:2
صَنَعُ	1	حسان	101:1
ظَالِعُ	1	النابغة الذبياني	45:3
قانِعُ	1	لبيد	206:2
لا يَظْلُعُ	1	أبو ذئيب	45:3
ما تَصْنَعُ	6	أبو ذئيب	155:2 ـ 156
مَدامِعُ	1	أبو ذئيب	172:1
نَاقِعُ	3	النابغة	175:2
هاجِعُ	1	النابغة	193:2
هُجُوعُ	1	عمرو بن معديكرب	174:3
واسِعُ	1	النابغة	219:1
والبِيَعُ	1	النابغة	49:3
ويَهْجَعُ	2	النابغة	171:1
يَسْتَمْتِعُ	2	النابغة	297:1
يَنْفَعُ	3	قُراد بن جَرم	98:1 ـ 99

عَ

أصْبُعَا	1	الراعي	123:1
الجَلَنْفَعَهْ	1	الراجز	203:1
الصَّنِيعَهْ	2	علي بن أبي طالب	149:3
الطِّبَاعَا	1	المراكشي	252:1
القِنَاعَا	2	ابو زياد الاعرابي	156:2
المَنِيعَهْ	5	ربيعة بن مُكدَّم	103:1
الودعَهْ	1	ربيعة بن مُكدَّم	138:2
تَقَعْقَعَا	2	متمم	183:1
جامِعَا	2	أم حكيم الخارجية	164:3 ـ 165
جَمَعَا	3	أم حكيم الخارجية	222:3
جَمِيعَا	6	قرين بن مصاد الكلبي	141:2
سَمِعَا	1	قرين بن مصاد الكلبي	126:1
سَمْعَا	2	أبو العتاهية	182:3
صَنَعَا	2	الحكيم	273:1
قَانِعَا	1	عدي بن زيد العبادي	205:2
كَرِعَا	1	عدي بن الرقاع	98:2
لافْزَعَا	1	هُبيره اليربوعي	128:1
مُتَمَتِّعَا	1	هُبيره اليربوعي	341:1
مَطْلَعَا	1	عمر بن الابرد	162:3
مَعَا	4	حاتم الطائي	193:1، 131:2
نَفَعَهْ	2	الزبير بن عبد الله	302:2
يتصدَّعَا	2	متمم بن نويرة	215:3

عِ

الاسْمَاعِ	5	متمم بن نويرة	226:2
الأفَاعِي	1	العبدي	63:1
الزَّرِعِ	1	العبدي	325:1
الطُّلُوعِ	2	العبدي	78:2
القُدُوعِ	1	الشماخ	20:3
القُنُوعِ	1	الشماخ	205:2
المَوانِعِ	1	ذو الرمة	185:2
بِأمْقُعِ	1	ذو الرمة	225:3
بِبديعِ	5	ذو الرمة	273:1
بِجَائِعِ	1	ذو الرمة	118:2
بِمُسْتَطَاعِ	1	الحُطيئة	176:3
بِنَافِعِي	2	الحُطيئة	33:2
داعِيهِ	2	عبد الله بن طاهر	171:1 ـ 172

داعِيهِ	1	ابن المستوفي	177:2
سِمْعِ	1	بعض الأعراب	174:3
شفِيعِ	1	بعض الاعراب	174:3
طالِعِ	2	أبو حفص بن برد	84:2
فاصْنَعِ	1	أبو دلف العجلي	75:1
لَكَاعِ	1	الحطيئة	340:1
مَنْعِيِ	2	ابن الرومي	28:2
نافِعِ	3	ابن الرومي	33:2

عْ

بِالخُدَعْ	1	سويد بن أبي كاهل	192:1
فَرجَعْ	3	سويد بن أبي كاهل	176:2

الغَيْـــن

غُ

المُبَلِّغُ	1	سويد بن أبي كاهل	69:3

غِ

بِمُسِيغِ	2	ابن رشيق	355:1

الفـــاء

فُ

الرَّصَفُ	1	ابن رشيق	199:1
الصَّلائِفُ	1	القطامي	90:1
الكتائِفُ	1	القطامي	105:1
الكتائفُ	1	القطامي	125:2
ألوفُ	1	المتنبي	274:1
إنصافُ	2	المتنبي	63:3
تُشْرِفُ	3	ابن النبيه	285:1
تُشْرِفُ	7	اليوسي	83:2
تَقَصَّفُ	2	العطوي	23:2
خلافُ	2	العطوي	87:2
سَرَفُ	1	جرير	141:3
لا تُعرِفُ	2	جرير	313:1
مُتعارفُ	2	جرير	89:2
لمتَعرَّفُ	2	جرير	199:3
وأضعفُ	2	جرير	296:2
والسَّرَفُ	2	جرير	335:1

فَ

أكَافَا	1	جرير	54:2
انطَفَا	2	جرير	353:1
كَفَاهُ	2	جرير	352:1
ماصَفَا	2	جرير	48:2
ماصَفا	2	ابن أبي حاتم	239:3
مَعْرِفَهْ	1	ابن جابر	30:2
نَشَفَا	2	ابن جابر	228:2
وكَفَى	1	أبو تمام	121:2

فِ

ابن طَرِيفِ	2	الفارعة بنت طريف	104:2
أطرافِهِ	2	صُرَّدُرّ	75:3
الأثافِي	1	خفاف بن ندبة	62:3
المُكتفِي	2	ابن طباطبا	353:1
بأنوفِ	1	الفارعة بنت طريف	109:2
بِفِيهَا	2	أبو الأسود	177:1
تَلافِ	2	شرف الدين عنين	29:2
خَفِي	2	شرف الدين عنين	91:2
شافِ	1	شرف الدين عنين	235:2
شَرَفِ	2	شرف الدين عنين	23:2
فِيهِ	1	عمرو بن عدي	214:3
فيهَا	3	عمرو بن عدي	139:1

فْ

التَّخَلُّفْ	2	منصور الفقيه	166:1
المَطَارِفْ	7	الحماني	169:1

القـــاف

قُ

أحذَقُ	3	الصابىء	330:1
أحمقُ	2	صالح بن عبد القدوس	66:3
أخرقُ	3	حاجب بن زرارة	169:3
أرزَقُ	2	ابن سناء الملك	156:1 ـ 157
أرفَقُ	2	أنشده الجوهري	95:2
اسقونِي	1	أنشده الجوهري	142:1
الخُلُقُ	1	الحماسي	52:1 و148
بُروقُهْ	7	عبيد	169:1 ـ 170

تَـئِـقُ	1	عبيد	85:1
تَـئِـقُ	1	عبيد	52:1
تُـفرِّقُـها	2	عبيد	204:2
تُـوافِـقُـهْ	2	كثير عزة	53:1
حاذقُ	1	كثير عزة	202:1
سابقُ	3	ابن سناء الملك	351:1
شائقُ	2	ابن سناء الملك	171:1
شقائقُ	2	بنت عانسة	148:3
شُقوقُ	1	بنت عانسة	234:3
ضَـيِّـقُ	2	بنت عانسة	283:1
طريقُ	2	بنت عانسة	96:2
طريق	2	عمر بن الأهتم	131:2
فتَـحترقُ	1	عمر بن الأهتم	171:1
عُـروقُـها	2	أبو محجن	142:3
لَـحَـقُ	1	أبو محجن	218:2
لَـطَـروقُ	8	رجل من بني عامر	88:1
نـفاقُ	2	ابن الساعاتي	199:3
ورقُ	3	أبو سجرة السلمي	224:3
ويَـأفِـقُ	1	الأعشى	217:2
يُـساقُ	1	الأعشى	81:1
يَـسبَـقُ	1	الأعشى	40:2
يَـسْبَـقُ	1	الشماخ	59:3
يُـشْرِقُ	2	ابن صارة	79:2
يَـشْرَقُ	1	البحتري	157:1
يَـعشَـقُـوهُ	2	ابن سكرة	35:2
يَـقْـلَـقُ	2	ابن سكرة	273:1

قَ

الأمقَـهِ	1	رؤبة	228:3
السَّرقَـا	3	رؤبة	76:2
الطريقَـهْ	2	ابن جابر	30:2
ألقاهُ	2	ابن جابر	103:3
ألقَـاهَـا	1	ابن جابر	53:3
اعْـتَـنَـقَـا	2	زهير	44:2
خُـلُـقَـا	1+1	زهير	141:3
سَاقَـا	1	زهير	116:2
غَـرِيقا	2	ابن قلاقس	89:2
لـيقَـا	1	ابن قلاقس	25:1

والأبَقَا	1	زهير	25:1
ورَقَا	1	زهير	224:3

قِ

الأحمقِ	1	زهير	66:3
الأصَادقِ	1	المتنبي	216:1
الأنُوقِ	1	معاوية بن أبي سفيان	196:1
الحُقوقِ	2	ابن مُنَاذر	236:2
الخُلُقِ	12	اليوسي	356:1
الرَّامِقِ	2	اليوسي	185:1، 13:2
الرَّاوُوقِ	1	عدي بن زيد	254:3
الزَّرقِ	1	عدي بن زيد	91:2
العتِيقِ	3	عمر بن أبي ربيعة	198:3
النُّطُقِ	5	عمر بن أبي ربيعة	155:1
أمزَّقِ	1	المثقب العبدي	78:1
أمزَّقِ	1	المثب العبدي	و203
تَلْحَقِ	1	المثقب العبدي	239:1
صديقِ	1	المثقب العبدي	165:1
ضَيِّقِ	1	الامام الشافعي	255:2
طريقِ	2	الامام الشافعي	58:2
فَوقِهِ	2	عمرو بن أمامة	94:1، 18:2 ـ 19
نَلْتَقِي	3	الراجز	318:3
والضِّيقِ	2	القاضي عبد الوهاب بن نصر	282:1
وريقِي	1	بعض الأعراب	92:2
وصُندوقِي	2	الامام الشافعي	204:2
يَسْتَقِي	2	الامام الشافعي	186:1

قْ

المَأقْ	1	رؤبة	85:1
بَرقْ	3	عبيد بن الأبرص	62:1
تَئِقْ	1	عدي بن زيد	85:1
لا تَفِقْ	1	الراجز	185:2

الكـــاف

كُ

هَواكُم	3	الراجز	152:1

كَ

تَارِكَا	1	الراجز	158:1
رأيْتُكَا	2	أبو القاسم الجنيد	276:1
فاشتَكا	3	صالح بن موسى	280:1
مالِكَا	4	ابن الرومي	247:1
مَسْلَكَا	1	ابن الرومي	26:2
مَسْلَكَا	2	الثعالبي	149:3
مَعْنَاكَا	1	الثعالبي	135:2
مُنْسَلِكَهْ	2	ابن حمديس	85:2
مُهْرِكَا	3	قُراد بن جَرْم	98:1

كِ

انْتَكِ	4	قُراد بن جَرم	31:2 ـ 32
بالتّارِكِ	2	قُراد بن جَرم	160:2
بِبَالِكِ	1	قراد بن جرم	210:2
مَالِكِ	2	طرفة	105:1
مَالِكِ	3	برذعة الموسوس	93:2
نُشْكِيهَا	1	الراجز	236:3
يَحْكِيهِ	5	الراجز	191:2

كْ

لَكْ	2	الراجز	228:2
مَعَكْ	2	الراجز	312:1

الـــــلاّم

لُ

أجْهَلُ	1	الراجز	191:2
أعْزَلُ	1	الراجز	240:2
الأباطيلُ	1	كعب بن زهير	195:2
الخَضِلُ	1	الكميت	105:1
السهلُ	6	أعرابي	101:3
العَذولُ	2	الصفدي	305:2
القبائلُ	2	قيس بن ذريح	168:2
القتلُ	1	زهير	167:1
المُتطاولُ	2	المعري	202:2
النَّعْلُ	1	زهير	20:2
الوعِلُ	1	الاعشى	137:2
أهوالُ	1	المعري	118:1

أوائلُه	1	المعري	149:1
أوّلُ	7	معن بن أوس	294:1 ـ 295
بَخيلُ	7	طرفة	63:3
بَسلُ	1	زهير	268:1
بَعْلُ	1	حميدة بنت النعمان بن بشير	309:1
جَليلُ	1	من شعراء الحماسة	155:2
جليلُ	٦	أبو خِراش	215:3
جميلُ	1	السموأل	54:1
جيئلُ	1	الشنفرى	200:2
حَلائلُه	1	عمير بن ضابىء البرجمي	221:3
حَوملُ	1	عمير بن ضابىء البرجمي	57:2
زائلُ	1	عمير بن ضابىء البرجمي	264:2
زائلُ	1	لبيد	142:3
سبيلُ	1	الاعرابي	147:2
سَجْلُ	1	زهير	107:2
شاملُ	1	لبيد	47:3
شَغَلُ	2	لبيد	8:2
صِلُّ	1	صاحب تأبط شرا	122:1
صليلُ	2	صاحب تأبط شرا	81:2
طائِلُ	2	صاحب تأبط شرا	284:1
طويلُ	1+1+1	صاحب تأبط شرا	161:1 و165، (2):179
طويلُ	1	ابن المبارك	12:2
طويلُ	7	يحيى بن طالب الحنفي	102:3
عاذلُه	1	جرير	160:3
عُصْلُ	1	زهير	107:2
عَقْلُ	2	زهير	33:3
فَعُولُ	1	السموأل	112:1
قَبْلُ	2	عُلَّفَة	238:3
فليلُ	1	الهذلي	200:2
قليلُ	1	ثقيل	12:2
قليلُ	2	ثقيل	155:2
قِيلُوا	1	كعب بن زهير	167:3
كامِلُ	1	كعب بن زهير	221:1
كاهِلُه	1	كعب بن زهير	158:3
لا تَتَنَقَّلُ	1	كعب بن زهير	8:3
ما الدَّخْلُ	3	كعب بن زهير	33:3
مَجاهلُه	1	كعب بن زهير	127:2
مَعاقِلُه	1	زهير	114:2

مَقْبُولُ	1	كعب بن زهير	95:2
مُكتَحِلُ	1	كعب بن زهير	107:1
مَمْلُولُ	1	كعب بن زهير	115:2
مَنْزِلُ	2	معن بن أوس المزني	134:1
مَوصُولُ	8	جندح	175:2
نائِلُه	1	زهير	311:1
نَتَكِلُ	2	بعض الأشراف الطالبيين	263:1
نِصالُها	1	بعض الأشراف الطالبيين	46:3
نوافِلُه	4	زهير	155:1
هاطِلُ	21	أنشده الأصمعي	235:1
وابِلُ	2	اليوسي	355:1
والرجالُ	1	اليوسي	150:3
والفِعلُ	1	زهير	270:1
والمَفاصِلُ	10	أبو تمام	223:2
وتَرتَحِلُ	2	أبو السكن	351:1
وتُساجِلُه	1	أبو السكن	125:1
وتُواصِلُه	6	ضابىء بن الحارث	223:3
وثَقيلُ	3	بعض الثقلاء	11:2
وجليلُ	2	أنشده بلال	19:2
وجَنْدَلُ	1	أنشده بلال	253:3
وحلائِلُه	1	زهير	40:2
ودغْفَلُ	1	القطامي	124:1
وسَيالُها	3	الحماسي	76:1
وصُولُ	5	الحماسي	131:2
يُجادِلُه	8	العُجَيْر السَّلُولي	56:2 ـ 57
يَستَبِيلُها	1	الفرزدق	207:1 و340، 146:3
يَطُولُ	2	أعرابي	35:2
يَطولُ	1	أعرابي	178:2
يَعْقِلُ	2	بنت عانسة	148:3
يُغْلُوا	5	زهير	268:2
يَنْتَحِلُ	1	الكميت	251:3
يُواصِلُ	2	الكميت	29:2

لَ

الاقْلالَ	2	الكميت	216:1
الأوعالَ	1	الكميت	157:3
الدَّلَ	1	الكميت	186:1
العقُولا	1	الأخطل	254:3

المَحَلاَ	2	الأخطل	231:3
المَحَلَّهْ	3	ابنة كلمن	221:2
أجْدلاَ	1	ابن كلمن	102:1، 38:2
أحْبُلاَ	1	ابن كلمن	97:2
بَديلاَ	2	ابن كلمن	161:2
بَقْلاَ	1	ابنة كلمن	133:1
تَسَلَّتَ	1	ابنة كلمن	355:1
تطْفيلاَ	3	ابن شرف	245:2
تعديلاَ	2	ابن شرف	252:2
تقليلا	6	ابن شرف	246:2
تكميلاَ	1	ابن شرف	221:1
ثاقلاَ	1	ابن شرف	44:3
جَلَّتْ	3	ابن شرف	352:1
جَمَلاَ	1	ابن شرف	150:3 و230
جميلاَ	2	ابن شرف	84:1
حبالاَ	5	أبو العتاهية	142:3 ـ 143
حَمَلَكْ	5	ابن الساعاتي	348:1
حَمْلَهْ	3	أم حكيم الخارجية	165:3
خَبالاَ	1	أم حكيم الخارجية	355:1
خُلَّهْ	2	أم حكيم الخارجية	246:1
دليلَهْ	3	أم حكيم الخارجية	353:1 ـ 354
سبالَها	1	أم حكيم الخارجية	64:2
صَلاهَا	2	أم حكيم الخارجية	38:3
طويلاَ	1	ابن النبيه	27:2
طويلَهْ	3	ابن النبيه	346:1
عاملَهْ	2	أبو الفتح السبتي	221:2
عَلَيْ	2	أبو الفتح السبتي	287:1
عيلاَ	2	ابن شرف	93:3
فشُلَّتِ	2	ابن شرف	355:1
فَضْلاَ	2	ابن شرف	346:1
فَلاَ	2	كشاجم	15:2
فمرذولاَ	1	ابن شرف	221:1
قَتَلَكْ	1	السُّلَكة أم السُّليك	124:1
قيلاَ	1	السُّلَكة أم السُّليك	146:1، 122:2
كَلاولاَ	1	السُّلَكة أم السُّليك	193:2
كَمَالاَ	2	ابن الخطيب	282:1
لامحالَهْ	4	ابن الخطيب	68:3
لَكْ	2	ابن الخطيب	25:2

لَهَـا	8	ابن أذينة	271:1 ـ 272
مَـالاَ	3	راجز	55:3
مُتَصِلَهْ	2	ابن جابر	31:2
مَثَـلاَ	2	ابن جابر	178:2
مَجْبُولاَ	1	ابن شرف	221:1
مُجْمِلاَ	2	ابن شرف	272:1
مُخِلاَ	3	بعض العارفين	179:2
مشغولاَ	2	ابن شرف	186:3
مُعجَلاَ	2	أبو الشمقمق	74:3
معـزولا	4	ابن شرف	254:2 ـ 255
مَلَتَ	2	كثيِّـر	111:3
مهزولاَ	1	حبيب	193:3
وتسفيلاَ	3	ابن شرف	92:3
وتعمَـلاَ	1	لبيـد	89:1
ورمَالاَ	1	أبو العتاهية	139:3
وزلَتِ	3	الغنوي	50:1
وغالَني	3	أبو بكر بن زهر	78:2
ومعسولاَ	1	ابن شرف	221:1
وملَتِ	1	الحماسي	89:1
وملَتِ	3	الحماسي	357:1
يـزُولاَ	2	أمية بن أبي الصلت	137:2
يـزُولا	2	النابغة	16:3

لِ

احتيـالِ	2	أمية بن أبي الصلت	85:2
أحْذولِي	1	الهذلي	106:2
أسْفَلِهْ	2	ابن التعاويذي	23:3
أصْلالِ	1	ابن التعاويذي	123:1
أقْوالِ	1	امرؤ القيس	47:3
الأجْدَلِ	1	دريد بن الصمة	102:1
الأشْوالِ	3	كثير	170:1
الأظْلَلِ	1	ربيعة بن مقروم الضبي	139:3
الأكفالِ	1	ربيعة بن مقروم الضبي	14:3
الأموالِ	2	حسان بن حنظلة	155:2
الأنامل	1	العطوي	197:2
الأهوالِ	1	الأعشى	144:2
الأوّلِ	1	أبو تمام	34:1
الأوّلِ	2	حسان	69:1

البالِي	1	امرؤ القيس	124:2
البَقْلِ	2	امرؤ القيس	50:2
الثِّقالِ	3	بشار	12:2
الجِبالِ	2	ابن قلاقس	349:1
الجِلالِ	2	ابن قلاقس	78:2
الجُهَّالِ	4	ابن قلاقس	227:2
الحَوِيلِ	1	ابن قلاقس	196:1
الحَوِيلِ	1	الكميت	135:2
الخالِي	1	امرؤ القيس	340:1
الذَّلِيلِ	2	امرؤ القيس	137:1
الرِّجالِ	1	عبد الله بن سليمان	222:2
الرِّجالِ	2	عبد الله بن سليمان	270:2
الرِّجالِ	1	بنت عانسة	147:3
الرَّحْلِ	1	امرؤ القيس	53:1
الرَّحِيلِ	1	امرؤ القيس	204:1
الرَّواحِلِ	3	امرؤ القيس	119:2
السؤال	3	ابن حبوس	156:1
السَّهْلِ	4	اليوسي	231:2
الشَّكْلِ	2	اليوسي	50:2
الشِّمَالِ	1	بعض هذيل	62:2
الشِّمْلالِ	2	أبو إسحاق الغزي	350:1
الطُّولِ	1	أبو إسحاق الغزي	56:1
الطَّوِيلِ	1	أبو إسحاق الغزي	66:1
العَقَلِ	1	المنقري	61:3
الغزالِ	1	المتنبي	90:2
الفَصِيلِ	1	المتنبي	314:1
الفِطَحْلِ	2	المتنبي	148:2
القُبُلِ	1	المتنبي	99:2
القَذالِ	1	بنت عانسة	147:3
القَرمَلِ	1	جرير	13:3
القِلْقِلِ	1	أبو النجم	239:2
القواعِلِ	1	امرؤ القيس	185:1
المالِ	2	امرؤ القيس	119:2
المُتثاقِلِ	2	الحماسي	131:1
المُتَحَمَّلِ	1	امرؤ القيس	138:3
المَجادِلِ	1	امرؤ القيس	48:2 و137
المُرَكَّلِ	1	امرؤ القيس	245:2
المُقْبِلِ	2	ابن الساعاتي	284:1

المُقبِل	1	حسان	229:3
المَنَاهِل	1	امرؤ القيس	185:2
المَنْزِل	1	أبو تمام	58:2،194:1
النَّاقِل	1	أبو تمام	148:1
الهَوْل	1	أنشد للأصمعي	120:2 ـ 121
أهْل	2	الحماسي	159:1
أهلـي	2	رجاء بن هارون	247:1 ـ 248
أهْلِي	2	ابن ميادة	248:1
أوَّل	2	رجاء بن هارون	247:1 ـ 248
بِأجْدَال	1	امرؤ القيس	86:1
بالذَّلِيل	3	زيد الخيل	211:2
بالفحُول	1	الراجز	208:2
بالمال	2	الراجز	227:2 ـ 228
بَالِي	1	ذو الكلب الهذلي	235:2
بِتَضْلال	1	امرؤ القيس	123:1
بتَضْلال	1	عمرو بن شاس الاسدي	123:1
بِحُبُول	1	كثير	120:1
بعَسِيل	1	كثير	137:2
بفَتِيل	1	كثير	77:2 و98
بمَأسَل	1	امرؤ القيس	18:3
بمَعْزِل	3	عنترة	197:2
بِنبَّال	1	امرؤ القيس	20:2
بِيَذبُل	1	امرؤ القيس	97:2
تتْفُل	1	امرؤ القيس	169:3
تَنَزْيلِه	2	عبد الله بن رواحة	45:1
تَنَسَّل	1	امرؤ القيس	289:1
جَنْدل	1	امرؤ القيس	44:2
جَهْل	2	ابن سناء الملك	153:1
جَهُول	3	ابن سناء الملك	108:2
حائِل	1	الهُذلِي	314:1
حَال	7	الهُذلِي	76:2
حِيَال	3	الحارث بن عُباد	82:1 ـ 83
خَال	2	اليوسي	230:2
خَال	2	اليوسي	88:3
خَال	1	امرؤ القيس	255:3
خَذُول	2	الهمداني	238:1
دلِيل	1	الهمداني	38:1
رحْل	1	الهمداني	193:2

زُلالِ	1	الهمداني	156:1
شِمْلالِي	1	امرؤ القيس	57:2
عَذلِي	2	امرؤ القيس	152:1
عَقْلِ	1	امرؤ القيس	66:3
فَضْلِهِ	1	ابن أبي الطاهر	147:1
قَبْلِي	4	ابن أبي الطاهر	88:2
قَلِيلِ	2	مالك بن جرير	130:2
كذلِكِ	1	طرفه	193:1
للعَذَلِ	1	الطغرائي	161:3
ليَبْتَلِي	5	امرؤ القيس	174:2
مَالِي	2	الامام الشافعي	267:2
مَبَالِي	1	بنت عانسة	148:3
مِثْلِي	1	موسى بن حابر	107:2
مُحْوِلِ	1	امرؤ القيس	242:2
مُذالِ	3	عبد الصمد بن المعذل	211:2
مُضَلَّلِ	1	المتلمس	217:2
مُضَلِّلِ	2	المتلمس	53:3
مِغْزَلِ	3	امرؤ القيس	203:1
مُغْيِلِ	2	أبو كبير الهذلي	50:1 ـ 51
مُكَلَّلِ	2	امرؤ القيس	129:1
مَوالِي	1	امرؤ القيس	129:1
ميَّالِ	2	اليوسي	230:2
نابِلِ	1	امرؤ القيس	20:2،82:1
نَعْلِهِ	1	أنشده أبو بكر الصديق	19:2
هَدِيلِ	1	أنشده أبو بكر الصديق	182:3
هِلالِ	1	لبيد	170:3
ولا آلِ	1	امرؤ القيس	100:1
والجبلِ	1	كثير	169:1
والعملِ	1	الطغرائي	200:3
والقنابِلِ	1	الأرجاني	81:2
وأوصَالِي	2	الحماسي	183:2
وبَازِلِ	2	الأحوص	49:1
وخَالِ	2	الأحوص	301:1
ورحْلِي	1	الأحوص	220:1
وصالِي	2	ابن العفيف	229:2
وطَلِّهِ	2	الصفي الحلي	82:2
يُؤبِّلِ	1	الصفي الحلي	182:3
يُقْتَلِ	6	دريد بن الصمة	103:1

يُقْتَلِ	1	دريد بن الصمة	198:2

لْ

الأجَلْ	1	دريد بن الصمة	322:1
الأشَلْ	1	ابن المعتز	84:2
الجُعَلْ	1	الأخطل	229:3
الجَمَلْ	3	لبيد بن ربيعة	132:1
الحُمُولْ	11	جحظة البرمكي	13:2 ـ 14
الخَلِيلْ	2	ابن العفيف	229:2
العَذَولْ	2	ابن العفيف	152:1
بالعَمَلْ	1	الراجز	137:3
كَحِيلْ	3	اليوسي	32:2
وعَسَلْ	3	ابن جابر	30:2

الميـــــم

مُ

أرومُ	1	زهير	144:1
الأديمُ	3	الوليد بن عقبة	129:2
الأمَمُ	3	الوليد بن عقبة	223:2
البُومُ	1	ذو الرمة	312:1
التعليمُ	1	ذو الرمة	100:1
الجَهَامُ	1	المتنبي	154:2
الحرامُ	2	النابغة	60:3
الحَلِيمُ	1	قيس بن زهير	51:1
السَّواجِمُ	1	قيس بن زهير	132:1
الصَّمِيمُ	1	قيس بن زهير	333:3
الكَلِمُ	2	حبيب	335:1
اللَّهْذَمُ	2	حبيب	172:3
اللُّوَمُ	1	أبو الشيص	154:1
النَّعيمُ	1	حسان	110:1
الهشِيمُ	1	حسان	16:1
تَدُومُ	1	حسان	172:2
جَرِيمُ	1	حسان	110:1
حَرامُ	2	أبو نواس	173:1
حَرامُ	1	أبو نواس	139:3
حَرِمُ	1	زهير	198:2
خَيَمُوا	3	ابن حجة الحموي	29:2
اِقْمُ	1	أوس بن حجر	59:3

رميمْ	2	أوس بن حجر	175:1
سالمْ	2	أوس بن حجر	202:3
صرامْ	1	أوس بن حجر	128:2
صِرامْ	2	أوس بن حجر	111:1 ـ 112
عالِمْ	1	أوس بن حجر	126:1
عظيمْ	2	أوس بن حجر	164:1
فطيمُها	1	الهذلي	187:2
قُدومُها	6	أسماء المرية	16:2
قديمْ	2	أسماء المرية	165:1
قديمْ	1	زهير	156:3
قيمُهْ	1	طرفة	207:2
كريمْ	1	طرفة	333:1
كَلامْ	1	طرفة	103:2
كِلامْ	5	ابن الخياط	157:2
لائِمْ	2	ابن الخياط	24:2
لا يَريمْ	5	قيس بن زهير	322:1
مُحْرَنْجِمُه	1	العجّاج	111:1
مَرْحُومْ	3	خالد بن معاوية السعدي	129:2
مَركُومْ	1	علقمة	13:3،138:2
مَصْلُومْ	1	علقمة	18:2
معجومْ	1	علقمة	223:3
مَقرومْ	1	علقمة	183:1
هُمْ	1	علقمة	159:1
هُمْ	1	أبو خراش	182:1
وخُصومْ	2	أبو الأسود أو غيره	147:1
ورازِمُهْ	1	المتنبي	132:1
ورمْ	2	المتنبي	178:3
يَترنَّمْ	2	ابن النقيب	137:3
يَشِمُهْ	1	طرفة	217:2
يَهيمْ	3	بهاء الدين بن النحاس	304:2

م

أتقدَّمَا	2	بهاء الدين بن النحاس	27:3 ـ 218
أعلَمَا	2	أبو الخطفا	172:3
إقدامَا	1	أبو الخطفا	213:2
الأرَّمَا	1	الراجز	114:2
الحَمَامَهْ	2	عبيد بن الأبرص	189:2
الدَّمَا	1	عبيد بن الأبرص	207:1

الدّيمـــا	2	الخوارزمي	87:2
الشّجـعـما	1	الراجز	126:2
الطّعـامـا	1	أحد بني كلاب	116:1
القلمـا	1	البحتري	223:2
تـحـكُـمَـا	1	النمر بن تولب	27:1
تـهـدّمَـا	1	النمر بن تولب	105:3
جـذيمـةْ	3	النمر بن تولب	215:3
حـمـامـا	1	النمر بن تولب	79:1
دّممـــا	2	حسان	219:1
صـامـا	1	حسان	226:2
عـدمـــا	2	حسان	236:2 ـ 237
غـمـامـا	5	معاوية بن بكر	60:1
غـنـمـاها	1	معاوية بن بكر	79:1
فأنـعـمـا	6	طرفة	51:3 ـ 52
قـدّمـا	7	ريطة بنت جذل الطعان	104:1 ـ 105
لـمـامـا	2	أبو بكر الخوارزمي	128:1
ليـعـلـمـا	1	المتلمس	118:1
مـجـثـمـا	1	طرفة	121:1،250:3
مُـحـرّمـا	4	أبو بكر محمد بن داوود الظاهري	200:1
مُـقـسّمـا	2	أبو بكر محمد بن داوود الظاهري	228:1
هـشـمـا	2	خالد بن معاوية السعدي	130:2
وأعـدمـا	1	خالد بن معاوية السعدي	182:3
وألـأمـا	1	حصين بن الحمام المري	64:2
وتـرنـمـا	6	حميد بن ثور	79:1،167:2
ومـيـثـمـا	6	الملك مرثد الخبير	269:1 ـ 270
وهـجـرتـمـاهـا	2	الملك مرثد الخبير	150:2
ويـظـلـمـا	1	الملك مرثد الخبير	8:3
يـلامـا	1	الملك مرثد الخبير	182:1

مِ

اقـدِمِ	2	الملك مرثد الخبير	324:1
الأخـرِمِ	7	ربيعة بن مُكدّم	104:1
الأعصمِ	2	ربيعة بن مُكدّم	196:1
الأقوامِ	1	عبد الرحمان بن الأشعث	78:3
الألـيمِ	2	عبد الرحمان بن الأشعث	13:2
البـراجِمِ	1	جرير	116:1
التكـلـمِ	2	جرير	172:3
التنـعـمِ	3	كُشاجِمِ	224:2

الحُرمِ	1	خلَف بن خليفة	113:1
الحَرمِ	2	الكتاني	35:2
الحُكْمِ	2	محيي الدين البغدادي	27:2
الحَمِ	1	العجاج	80:1
الحمائِمِ	2	العجاج	166:2
الخُدَّامِ	2	ابن هرمة	37:3
الخِمْخِمِ	1	عنترة	9:2
الدَّراهِمِ	1	عنترة	172:3
الدَّمِ	1	عنترة	51:2 و56
الدَّوامِي	1	الفرزدق	173:1
الدَّيْلَمِ	2	عنترة	156:3 و157
العاتِمِ	3	عنترة	226:2
العَظْمِ	1	عنترة	202:1
العَلَمِ	1	البوصيري	29:2
العمائِمِ	1	جَثَّامَة	237:3
القَلَمِ	1	جَثَّامة	215:2
الكريمِ	1	حسان	159:3
اللئيمِ	1	المتنبي	70:2
اللئيمِ	1	المتنبي	218:3
اللَّحْمِ	1	الحماسي	317:1
المتقادمِ	2	الحماسي	247:1
المُتَيَّمِ	2	الحماسي	96:2
المُرَجَّمِ	5	زهير	109:2
المَطْعَمِ	1	عنترة	128:1
المُكْرَمِ	1	عنترة	95:2
أمَّ حَكِيمِ	10	قطري بن الفجاءة	165:3
المَنامِ	3	قطري بن الفجاءة	177:2
الهَمِّ	2	قطري بن الفجاءة	74:3
بالجَمَاجِمِ	1	عقيل بن عُلَّفة المري	237:3
بالدَّكِ	4	زهير	224:1
بالدَّمِ	1	عنترة	81:2
بالدَّمِ	3	عنترة	338:1
بالقَضْمِ	1	عنترة	201:1
بالتكلُّمِ	1	الحماسي	67:2
بالتنسُّمِ	4	عدي بن الرقاع	167:2 ـ 168
بِثُومِ	2	عدي بن الرقاع	226:2 ـ 227
بالدَّمِ	2	عدي بن الرقاع	199:2
بظَلامِهِ	2	عدي بن الرقاع	79:2

بمُحَرَّمِ	1	عنترة	289:1
تَذُمِ	2	عنترة	86:2
تَعْلَمِ	4	عنترة	228:1
جَلَمِ	1	أبو تمام	88:3
راجِمِ	1	ابن الرومي	126:1
سَهْمِ	1	ابن الرومي	129:1
سَهْمِي	7	الحرث بن وعلة الجرمي	119:1
شِمِ	1	الحرث بن وعلة الجرمي	196:2
شَيْظَمِ	1	عنترة	209:2
صَمَمِ	1	البوصيري	153:1، 96:2
طاسِمِ	1	عَمَلَّس	238:3
فتفهَّمِي	2	عَمَلَّس	298:1
فيَهْرَمِ	1	زهير	86:2
قَسَمِي	1	صفي الدين الحلي	85:1
قَعْشَمِ	1	عنترة	159:2 و200
كالأدمِ	1	النابغة	183:1
للتَّوْءمِ	1	امرؤ القيس	168:1
للقَلَمِ	2	المتنبي	223:2
المُتنَعِّمِ	1	المتنبي	241:3
مُزنَّمِ	1	زهير	133:1
مُصَلَّمِ	1	عنترة	18:2
مِعْصَمِ	1	زهير	156:3
مُعْلَمِ	2	عنترة	184:1
مُلَوَّمِ	1	عنترة	311:1
مُلِيمِ	1	منصور النمري	40:3
مَنْشِمِ	1	زهير	240:2، 210:3
ميثَمِ	1	عنترة	207:2
نائِمِ	1	عنترة	40:3
نَعَامِ	1	عنترة	173:3 و226
نَـــمِ	1	عنترة	352:1
وأقسامِ	2	صالح بن عبد القدوس	330:1
والحَمَامِ	3	صالح بن عبد القدوس	167:2
والدَّمِ	1	صالح بن عبد القدوس	66:3
والعَمَّ	2	اليوسي	201:1
والقوائِمِ	1	حوراء	238:3
وأمامِي	3	قطري بن الفجاءة	30:3
وضَمِ	1	البوصيري	317:1
وضَمِ	1	صفي الدين الحلي	317:1

ولَمْ أنَم	2	أبو نواس	197:3
ومُحْرِم	1	زهير	117:1
وهاشِمِها	2	ابن حجام	233:2
يَسْأَم	1	زهير	329:1
يُكْلَم	2	عنترة	311:1
يُكْلَم	2	أبو أخزم الطائي	237:3 و239

مْ

ابن عَمْ	1	أرقم بن علباء اليشكري	97:2
أصَمْ	2	ابن سناء الملك	152:1
أجَمْ	1	الراجز	41:3
الأمَمْ	2	الراجز	64:3
ألَمْ	1+2+4	الراجز	12:2و179، 222:(3)
السَّقَمْ	3	الراجز	17:3
النُّجومْ	3	الراجز	14:2
زيَمْ	1	الراجز	41:3
زيَمْ	2	الحطم القيسي	220:3
عَنَمْ	1	الراجز	227:3
نِعَمْ	2	الصاحب	87:2
والكَرمْ	2	ابو الفتح البستي	223:2
وضَمْ	1	أبو الفتح البستي	317:1
يَرِمْ	1	الاعشى	16:3

النّـــــون

نُ

أجفانُ	3	الاعشى	23:2
أجفانُ	1	الاعشى	177:2
أذنُوا	1	الاعشى	96:2
أعْوانُ	2	الاعشى	202:3
أفْنُ	2	قيس بن عاصم المنقري	109:1
البَانُ	2	قيس بن عاصم المنقري	79:2
اللُّبَانُ	1	المعري	112:1
الحَقِينُ	1	زهير	59:1
اللسانُ	1	زهير	44:3
بَطينُ	3	امرأة من أهل الشام	179:3
بُنْيَانُ	2	أبو نواس	219:2
تُعَنْوَنُ	1	أبو نواس	229:2
تكُونُ	2	الفرزدق	103:2

تَـهُـونُ	2	الأبيوردي	87:2
جُـنونُ	2	الأبيوردي	284:1
حـزَينُ	4	الأبيوردي	170:2
حـزَينُ	3	الأبيوردي	176:2
دفَـنُـوا	2	الأبيوردي	192:2
زكِـنُـوا	1	ابن أم صاحب	144:3
سلطان	2	الصفدي	202:3
عـينُ	2	ابن الساعاتي	350:1
قمينُ	1	ابن الساعاتي	243:3
كائنُ	3	قيس بن ذريح	168:2
كُـهـانُ	1	قيس بن ذريح	266:2
لـغَـبـينُ	2	قيس بن ذريح	340:1
هـوانُ	2	قيس بن ذريح	272:1
وأحسنُ	1	قيس بن ذريح	254:3
والوطَـنُ	2	هاتف	9:2
وبُـهتانُ	2	هاتف	152:1
وجُـنُـونُ	2	اليوسي	103:2
ويَـكونُ	2	اليوسي	298:1
يَـصُـونُ	2	الحارث بن صعصعة	234:3 ـ 235
يكونُ	1	الحارث بن صعصعة	72:2
يهونُـوا	1	زهير	216:1
أغْـلَـيْـنَـا	1	أبو مخزوم النهشلي	238:1
أمَـانَـا	6	ابن سناء الملك	182:2
أنَـا	1	ابن سناء الملك	200:3
الجاهلين	1	ابن سناء الملك	70:2
الجاهلينَـا	1	ابن كلثوم	194:1
المُتحدِّثينا	1	الحطيئة	197:1
اليَـمِـينَـا	2	الحطيئة	314:3
إلَـيْـنَـا	2	الصاحب بن عباد	146:2
بآخَـرِينَـا	2	الصاحب بن عباد	175:1، 236:(3)
تَـعلَـمِـينَ	2	الصاحب بن عباد	296:1
ثامِـنَـهْ	1	الصاحب بن عباد	7:2
ثَـمِينَـا	2	عدي بن الرقاع	315:1
جنِـينَـا	1	عدي بن زيد	188:1
حَـيْـرانَـا	3	الأصمعي	198:1، 167:(2)
حِـينَـا	2	ابن أحمر	74:1
دهْـدُنَّـا	1	الراجز	241:2
دونَـهُ	1	الأسدي	223:3

زبونـا	1	عمرو بن كلثوم	235:2
عُـونَـا	3	حميد بن ثور الهلالي	108:2
عَيْنَاهَا	2	الوليد بن يزيد	178:2
فَاكْبَأنَّا	3	أنشده الجوهري	38:2
فَتَمكَّنَا	1	أنشده الجوهري	34:1
فِينَا	1	الحماسي	112:1
قَتْلانَا	2	جرير	142:3
كَانَا	1	جرير	116:3
كَونَها	2	البدر الدماميني	228:2
مُستكينَا	1	ابن أحمر	106:1
مُعينَا	2	ابن أحمر	295:1
مُلوِّنَه	2	ابن الرومي	158:1
والأمانَهْ	2	محمود الوراق	226:2
والعَنَا	2	محيي الدين محمد بن تميم	200:3
ورُكْبَانَا	1	محيي الدين محمد بن تميم	54:3
وقُرآنَا	1	محي الدين محمد بن تميم	220:2
ولكِنَّا	2	ابن جعفر العسقلاني	229:2
ومَيْنَا	1	ابن جعفر العسقلاني	192:1
يَحْمَدونَكَا	1	الراجز	186:1
يفْرزَانَا	2	أبو الفضل التميمي	350:1

نِ

ابْنِ تِقْن	1	الراجز	62:3
أتَانِي	2	النابغة	19:3
اثْنَتَيْنِ	2	النابغة	87:2
أحبُّونِي	2	بشار	147:1
أدْنِيها	2	بشار	273:1
أعْيَانِي	2	محمود	147:1
الاحسانِ	1	حبيب	218:1
الأزمانِ	4	اليوسي	89:2
الأمانِي	2	اليوسي	205:2
الانسانِ	1	المتنبي	12:1
الجَلَمَانِ	1	المتنبي	216:2
الحَدثَانِ	4	أعرابي	110:1
الحِرمَانِ	5	اليوسي	217:1
الحِرمانِ	3	اليوسي	225 - 224:2
الحَزنِ	2	اليوسي	161:1
الخلاَّنِ	1	اليوسي	221:1

الدِّمَنِ	2	الحريري	177:3 ـ 178
السلطانِ	1	الخزاعي	154:1
الشؤونِ	1	سُحيم بن وثيل	124:1
العقْيَانِ	1	أبو تمام	217:1
العِيَانِ	3	ابراهيم بن العباس	222:2
القَرينِ	4	الشَّماخ	172:1 ـ 173
القُطَّانِ	1	أبو معدان الباهلي	174:3
المَدانِ	1	لقيط بن زرارة	112:3
المغربَيْنِ	3	لقيط بن زرارة	216:1
المِهَنِ	1	لقيط بن زرارة	86:2
المَواطِنِ	1	الطرمّاح	138:3
الميزانِ	3	بشار	12:2
النَّقصانِ	1	عمار بن عقيل بن بلال بن جرير	147:1
ألْوانِ	2	عمران بن حِطّان	328:1
أوطانِي	3	أبو تمام	125:1
بأرسانِ	1	امرؤ القيس	139:3
بِجَنِينِ	3	امرؤ القيس	85:2
بِخزّانِ	1	امرؤ القيس	44:3
بِشنٌ	1	النابغة	223:3
بِلَبانِ	2	النابغة	37:3
بِمَكِينِ	5	العسكري	247:1
بِمَيْنِهِ	2	العسكري	152:1
بِهَجِينِ	2	جذيمة	214:3
تَدانِ	4	ابن الرومي	279:1
تَرانِي	5	الجُعيد المرادي	94:1
تَعْرِفُونِي	1	أنشده الحجاج	220:3
تُغْرِينِي	1	ابن قلاقس	151:1
تكفينِي	1	ابن قلاقس	43:3
تَنْكِحِينِي	1	ابن قلاقس	163:3
جُدونِ	2	الحماسي	62:3
حسَّانِ	1	امرؤ القيس	316:1
الحَسَنِ	2	امرؤ القيس	16:2
الحُسَيْنِ	2	أبو الفرج الجوزي	23:2
دعانِي	5	عنترة	67:2
ذئبتيْنِ	1	عنترة	56:2
ذبيانِ	3	حُرَيْقِيص الأسدي	111:1
رمَانِي	2	حُرَيْقِيص الاسدي	180:3
رياحين	5	حُرَيْقيص الأسدي	171:2

زمانـهِ	4	حُريـْقيص الأسدي	86:2
سَاكِنِ	2	ربيعة بن مكدّم	103:1
سِرحَانِ	2	هدلة بن معتب	170:3
سَقَيـَانـِي	1	عروة بن حزام	147:2
سِمطيـْنِ	2	الزمخشَري	23:2
سِـنٍّ	1	أبو جهل	107:2
سَيـْفَيـْنِ	3	ابن رشيق	79:2
شَفانـِي	3	قيس بن زهير	322:1
صَلـَتَانِ	1	امرؤ القيس	255:3
عَنـِّي	1	جوشن الكلابي	146:2
فَتَخْزونـِي	1	ذو الاصبع العدواني	269:1
فِتـْيانِ	1	ذو الاصبع العدواني	169:3
فَرسَانِ	5	عنترة	320:1
فَفَدّانـِي	1	امرؤ القيس	140:2
قَرنِ	1	جرير	184:3
للتزيين	2	رقاش أخت جذيمة	214:3
لِخِلاّنِ	3	ابن الرومي	63:3
لِخِلاّنـِي	3	ابن الرومي	37:3
مِنـَنِ	2	الحارث بن عوف المري	95 94:3
نُقصانِ	1	اليوسي	52:2
هَـانِ	1	اليوسي	41:2
هَتـُونِ	5	الأرجاني	88:2
هِجـْرانـِهِ	4	أبو العتاهية	149:3
هَلـَعَانِ	3	أبو العتاهية	330:1
وأرقميـْنِ	1	أعرابي	69:1
وأفَانِ	1+1	أعرابي	12:3،284:2
والطـّعانِ	2	سليمان بن جرير النمري	223:2
والنـّزوانِ	1	صخر بن عمرو بن الشريد	145:2
وأوطانِ	2	صخر بن عمرو بن الشريد	215:1
ودينـِي	1	صخر بن عمرو بن الشريد	19:3
يُداجِينـِي	6	صالح بن عبد القدوس	217:3
يَدانِ	1	عروة بن حزام	210:1
يُرجِّينـِي	1	عروة بن حزام	335:1
يَصْطَحِبَانِ	1	الفرزدق	169:3
يَعْنـِينـِي	3	ابن شرف	151:1
يَمَنِ	2	السيد الحميري	164:3

نْ

المُخـفُّونْ	3	أبو محمد بن السيد البطليوسي	26:2
خاقانْ	3	أبو علي البصير	57:3
عُقْربـانْ	1	أبو علي البصير	126:2
يخُونْ	2	أبو علي البصير	152:1
يـكُنْ	1	أبو علي البصير	67:3

الهـــاء

هُ

بـديهُ	2	أبو علي البصير	222:2
رآهُ	4	أبو علي البصير	153:1
ماشاهُ	5	علي بن أبي طالب	65:3

هَ

اللـهَـى	2	عبد الجليل بن وهبون	132:1

هِ

التـشْبـيهِ	2	الغزالي	32:2
الدّاهـيِ	2	العزالي	217:1
باللـهِ	1	محمود الوراق	336:1
مَسـاويهِ	1	محمود الوراق	274:1
مَعْتـوهِ	1	محمود الوراق	70:2

الـــواو

وُ

ذ َوُوهـا	1	زهير	144:1

وَ

بالحـلاوهْ	2	منصور الفقيه	165:1
سـوا	1	منصور الفقيه	176:1

اليـــاء

يُ

حـبـشـيُّ	1	أبو الغمر	170:1
وريُّ	5	امرؤ القيس	118:2

يَ

الأحْيـا	4	أثير الدين	302:2

التَّقَاضِيَا	1	ذو الرمة	65:1
الدُّنْيَا	5	ذو الرمة	302:2
الغَوَانِيَا	2	حفص العليمي	153:1
المَسَاوِيَا	1	حفص العليمي	210:2
المَرَامِيَا	1	حفص العليمي	215:1
المَنَائِيَا	1	حفص العليمي	179:1
بَازِيَا	1	حفص العليمي	38:2
صَبِيًّا	1	حفص العليمي	340:1
مابِيَا	2	الطائي	248:1
مَالِيَهْ	1	الطائي	165:3
والنِّهايَهْ	2	الطائي	198:1
وريًّا	3	الطائي	208:2
وعَشِيًّا	2	الطائي	211:2

يِ

أرضِيٍّ	1	ابن الحجاج	85:2
بعَصْلَبِيٍّ	3	تمثل بها الحجاج	220:3

فهـــرس الأعـــلام

الألـــــف

1) الأبنـــــاء :

- ابن ابراهيم (محمد) : (1) 295.(3) :190
- ابن أبي الطاهر : (1) 147.
- ابن أبي العافية : (1) 285.
- ابن أبي بكر، أبو عبد الله محمد الحاج (الدلائي) (3) 178.
- ابن أبي حاتم : (3) 139،239.
- ابن أبي حفصة (الأمير) : (2) 239.
- ابن أبي عيينة (محمد) (1) 230،262 (2) 266.
- ابن أذينة (عروة) : (1) 271،272 (2) 293 (3) 97،98.
- ابن اسحاق : (2) 18.
- ابن الأبرد : (3) 162.
- ابن الأثير : (1) 313.
- ابن الأحمر : (1) 73،106،182.
- ابن الأحنف (العباس) (2) 121،176 (3) 186.
- ابن الأزرق : (1) 187.
- ابن الأشعث (عبد الرحمان) (3) 78.
- ابن الأشعث (محمد) : (1) 62
- ابن الأعرابي : (1) 127
- ابن الأهتم (حاتم أو عامر) : (1) 274.
-ابن البرصاء (3) 126
- ابن التعاويذي : (3) 22،202.
- ابن الحاج (أبو اسحاق) : (2) 163،288، 301، 352، (2) 10، 21، 28، 84، 89، 115، 162، 176، 187، 292، 297، 299، (3) 63، 151، 152، 252.
- ابن الحجاج (ابن حجاج) : (2) 85،284،291.
- ابن الحداد : (2) 22،23،289.
- ابن الدماميني : (2) 27.
- ابن الدمينة : (2) 169.

- ابن الرومي : (1) 127، 165، 175، 246، 247، 279، 288، 301، 352، (2) 10، 21، 28، 84، 89، 115، 162، 176، 187، 292، 297، 299، (3) 63، 151، 152، 252.
- ابن الزبير (2) 200.
- ابن الزقاق (2) 162.
- ابن الزيات (2) 180.
- ابن الساعاتي (1) 284، 348، 350، (2) 181، 300 (3) 199.
- ابن السيد البطليوسي (ابو محمد) (2) 26، 218.
- ابن الشبل البغدادي (3) 42.
- ابن الصائغ (أبو الحسن الأنصاري) (2) 314.
- ابن الضرير النهرواني (2) 271.
- ابن العفيف (2) 26، 29، 229.
- ابن العلاء (عمرو) (3) 142، 143.
- ابن الفارض (1) 348 (2) 91، 172 (3) 23.
- ابن الفيّاض (أبو العباس) (2) 291.
- ابن القاسم (1) 13.
- ابن القبطرنة (أبو بكر) (2) 127.
- ابن الكلبي (1) 268، 316 (2) 147.
- ابن اللبانة (1) 186 (2) 288، 289.
- ابن المبارك (2) 12.
- ابن المرزبان (3) 195.
- ابن المستوفي (2) 177.
- ابن المعتز (عبد الله) (1) 170، 171، 279، 280، 301، 303، 305 (2) 23، 84، 160، 162 (3) 98، 113، 135، 193.
- ابن المعذل (عبد الصمد) (2) 178.
- ابن المعلى (1) 112 (هامش 43)
- ابن الملح (أبو بكر) (2) 308.
- ابن المهدي (1) 283.
- ابن المهلب (2) 201.
- ابن النحاس (بهاء الدين) (2) 304.
- ابن النحوي (الامام أبو الفضل يوسف) (1) 157، (2) 70، 189.
- ابن النطاح (أبو بكر) (2) 160، 289.
- ابن الهيثم (محمد) (1) 224.
- ابن الوردي (2) 164.

- ابن الوكيل (2) 304.
- ابن أمغار (الشيخ عبد الله الصنهاجي) (2) 314.
- ابن أم صاحب (3) 144.
- ابن برد (أبو حفص) (2) 84.
- ابن بسام (1) 300، 352.
- ابن بشير (محمد) (1) 239 (2) 68.
- ابن بطريق (نجم الدين) (1) 283.
- ابن بيض (3) 162.
- ابن تميم (محيي الدين محمد) (3) 200.
- ابن ثعلبة (عبد الله) (2) 279.
- ابن جابر (2) 30، 31، 32، 172.
- ابن جبلة (علي) (3) 93،94.
- ابن جرير النمري (سليمان) (1) 123، (2) 223.
- ابن جني النحوي (أبو الفتح عثمان) (2) 271، (3) 137.
- ابن الجهم (علي) (1) 117، 118، 180، (2) 177، 292.
- ابن جهور (2) 115.
- ابن حبناء التميمي (3) 124.
- ابن حبوس (1) 156.
- ابن حجة الحموي (أبو بكر) (1) 304 (2) 26، 29، 31، 163، 228، 300.
- ابن حزاز الفزاري (بدر) (3) 70.
- ابن حسان (ابراهيم) (1) 300.
- ابن حسان (عبد الرحمان الأنصاري) (3) 14.
- ابن الحكم (عبد الرحمان بن العاصي الأموي) (3) 14.
- ابن حمديس الصقلي (2) 85، 179.
- ابن حميد (سعيد) (2) 176.
- ابن حميد (محمد) (3) 90
- ابن حيان (أثثر الدين) (2) 82.
- ابن الخالدي (1) 166.
- ابن الخطيب (لسان الدين) (1) 198، 232، 282، 285 (2) 15، 31، 79، 81، 153، 289 (3) 114.
- ابن خفاجة (2) 25، 84 (3) 115.
- ابن خلكا (شمس الدين) (1) 132، 134 (2) 180 (3) 137، 177.
- ابن الخنزابة (أبو الفضل) (3) 97.
- ابن الخياط (2) 157، 162.
- ابن داوود الظاهري (أبو بكر محمد) (1) 200، 201.
- ابن دبوس (1) 157.

- ابن دراج القسطلي (1) 350، (هامش 32) (3) 96.
- ابن دريد (أبو بكر) (1) 106، 174، 180، 189، 203، 220، 253، 270، 317، 335 (2) 52، 175، 182، 203 (3) 136، 145، 146، 192.
- ابن ذريج (1) 157 (2) 168.
- ابن رزين (أبو مروان) الرئيس الحاجب (2) 307 (3) 123.
- ابن رشيق (1) 54، 55، 57، 214، 280، 354 (2) 10، 22، 79، 81.
- ابن رفاعة، أبو قيس (3) 100.
- ابن رواحة (1) 48، 173.
- ابن زرارة الحاجب (3) 169.
- ابن زُهْر الأشبلي (أبو بكر) (1) 341، (2) 78.
- ابن زياد (3) 176.
- ابن زيد (1) 11.
- ابن زيدون (أبو الوليد) (2) 115، 178.
- ابن سبرة (عبد الله) (3) 124.
- ابن سراج (الوزير الفقيه) (3) 124.
- ابن سريح (الفقيه الشافعي) (1) 200، 201.
- ابن سعد (3) 140.
- ابن سكرة (2) 35، 290 (3) 201.
- ابن سماعة (محمد القاضي) (1) 106، 107.
- ابن سناء الملك (1) 152، 156، 157، 351 (2) 89، 182، 304.

- ابن سهل الاسرائيلي (2) 27.
- ابن سيرين (1) 46، 48.
- ابن سيناء (1) 237.
- ابن شرف الأندلسي (1) 151، 221 (2) 35، 245، 246، 252، 254، 255 (3) 92، 93، 115، 186.
- ابن صـارة (1) 214، (2) 79
- ابن طالب الحنفي (يحيى) (3) 101، 102.
- ابن طاهر (عبد الله بن عبد الله) (1) 171 (2) 171، 306 (3) 98، 115.
- ابن طباطبا العلوي (1) 353 (2) 83 (3) 115.
- ابن ظفـر (2) 58، 210 (3) 38، 144، 239.
- ابن عباس (1) 9، 46، 75، 187 (2) 93، 200 (3) 235، 238.
- ابن عبد البر (أبو محمد) (2) 308.
- ابن عبد الجبار (أبو النصر) (2) 26،
- ابن عبد المنان (2) 170.
- ابن عبد ربه (1) 53 (هامش 8) (2) 216.
- ابن عبدون (أبو محمد) الوراق (1) 212 (2) 24، 173 (3) 67، 122.
- ابن عبروس الفارسي (1) 279.
- ابن العربي (2) 33.
- ابن عطاء الله (تاج الدين أحمد) (1) 289 (3) 59، 134.
- ابن عطية (1) 9، 48
- ابن عكاشة (1) 198.
- ابن عمر (3) 138
- ابن عمار (أبو بكر الأندلسي) (1) 286 (2) 172، 307
- ابن عنين (شرف الدين) (1) 352 (2) 29 (3) 75.
- ابن عوف (عبد الرحمان) (3) 56.
- ابن عيينة (3) 236
- ابن غالب الرصافي (1) 247
- ابن فارس اللغوي (2) 73
- ابن قاضي ميلة (2) 182.
- ابن قلاقس (1) 151، 348، 350 (2) 89، 301 (3) 199.
- ابن كلثوم (1) 194.
- ابن كنانة الأسدي (محمد) (2) 305.
- ابن لبون (2) 173.
- ابن مالك (1) 109 (2) 184.
- ابن ماهان (علي بن عيسى) (3) 74.
- ابن مرزوق (محمد) (3) 93.

- ابن مسعود (2) 198، 204.
- ابن مطير (الحسن) (2) 282.
- ابن معروف (3) 116.
- ابن معمر المَذحِجِي (3) 102، 103.
- ابن مفـرغ (1) 243.
- ابن ملجم (2) 306.
- ابن مناذر (1) 267، (2) 236.
- ابن ميادة (1) 243، 248 (2) 181.
- ابن ناشب سعد 106 (3)
- ابن نباتة السعدي (2) 24، 182.
- ابن النبيه (1) 285، 357 (2) 27، (3) 22.
- ابن هبة الله المعتزلي (عزالدين) (2) 302.
- ابن نقطة (1) 172.
- ابن النقيب (3) 137.
- ابن هبيرة عمر (1) 333 (3) 47، 48، 49.
- ابن هرمة (ابراهيم) (1) 182 (2) 138، 152 (3) 37.
- ابن هند (أبو الفرج) (1) 348.
- ابن همام السَّلُولي (1) 178 (2) 113.
- ابن وهبون (عبد الجليل) (1) 132.
- ابن ينـَّف (الوزير أبو عامر) (1) 357.

الآبـــاء

- أبو الأسود الدؤلي (1) 17، 172، 177، 303 (3) 44، 88.
- أبو البركـات (2) 291.
- أبو الجراح العقيلي (1) 105.
- أبو الربيـع (3) 114.
- أبو السائب المخزومي (1) 46، 271، 272.
- أبو السكـن (1) 351.
- أبو السموءل (2) 306.
- أبو الشمقمـق (3) 74.
- أبو الشيـص (1) 154.
- أبو الطمحـان (1) 112، 265.
- ابو العباس المرسي (2) 305.
- أبو العتاهية (1) 143 (3) 142، 149، 182.
- أبو العرب الصقلي (1) 176.
- أبو الغريب (1) 249، 306.

- أبو الغمـــر (1) 170.
- أبو الغنائـــم (1) 349.
- أبو الفضل التميمي (1) 350.
- أبو المظفر (1) 281، (2) 244.
- أبو المغـــوار (1) 289.
- أبو المهوس الأسدي (1) 117.
- أبو النجـــم (1) 146، (2) 239.
- أبو النشناش (1) 241.
- أبو الورد البغدادي (1) 78.
- أبو الوفاء (1) 276 (2) 157آ
- أبـو بكر (الصديـق) (1) 50، 68، 84، 85، 337، 343 (2) 18،55، (3) 56، 209، 217.

- أبو بكر = ابن حجة الحموي
- أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي) (1) 34 (هامش 5) 50 (هامش 5)، 55، 57، 66، 70 79، 125، 163، 194، 206، 213، 214، 217، 218، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 335. (2) 28، 58، 68، 108، 121، 211، 224، 244، 248، 266 (3) 11، 37، 75، 77، 88، 89، 136، 162، 189، 193.

- أبو جعفر المنصور (العباسي) (2) 56، 292.
- أبو جهـــل (2) 107، 231.
- أبو حمو (موسى بن يوسف الملك الزياني) (1) 295.
- أبو حنيفة (1) 143.
- أبو خراش الهُذلي (1) 182، 197 (3) 215.
- أبو الخطفا (3) 172.
- أبو دلامة (2) 22 (3) 23، 24، 139.
- أبو دلف العجلي (1) 75، 223، 226، 301 (3) 93، 94.
- أبو ذؤيـــب (1) 101 (3) 45.
- أبو زياد الأعرابي (2) 156.
- أبو زيـــد (1) 204 (2) 242.
- أبو سفيان بن حرب (1) 71، (2) 106، 127، 158 (3) 20.
- أبو سيارة (3) 249.
- أبو شجرة السلمي (3) 224.
- أبو صخر الهذلي (2) 167، (3) 121، 236.
- أبو عبيد = البكري
- أبو عبيد (القاسم بن سلام) (1) 83. 126. (2) 54، 63، 97، 100، 122، 124، 147. (3) 10، 19، 143،

155، 168، 169، 177، 181، 208، 227، 228، 231، 238، 240، 250.
- أبو عبيـــدة (1) 123، 326، (2) 57 (3) 13، 252.
- أبو علي البصير (3) 57، 153.
- أبو علي الفارسي النحوي (1) 276، (3) 137.
- أبـــو علي القالي الـبغـدادي (1) 268، 270، 326، 338 (2) 140، 147. (3)،41، 43، 45، 55، 121، 136، 179، 189، 192،228.
- أبو عمر الزاهد (1) 75.
- أبو عمر (قاضي القضاة) (1) 154.
- أبو عمرو بن العلاء (1) 201، (2) 85، 271.
- أبو فتيان المصري (1) 280.
- أبو فراس الحمداني (1) 273، (2) 27، 85، 271، (3) 199.
- أبو كبير الهذلي (1) 50.
- أبو محجـــن (3) 142.
- أبو فتيان المصري (1) 280.
- أبو محمد المصري (1) 143، 286.
- أبو مخزوم النهشلي الدارمي (1) 238.
- أبو مسلم الخراساني (1) 245 (2) 270.
- أبو معدان الباهلي (3) 174.
- أبو مهدي (2) 116، 117.
- أبو موسى الأشعري (1) 45، 51، (2) 245.
- أبو موسى الدكالي السلاوي (2) 314.
- أبو نواس الحسن بن هانىء (1) 151، 154، 155، 173، 265 (2) 133، 134، 162، 219، 305 (3) 23، 88، 96، 97، 99، 139، 197.
- أبو هريرة (1) 47، (3) 39، 233.
- أبو وجزة (2) 209.
- أبو يزيد (1) 183.
- أبو يعزي (2) 314.
- أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المومن. (2) 66، (3) 172.

سائر حرف الألف

- آدم (1) 13، 137، 192. (2) 77، 220، 283، 291، 304، 308. (3) 64، 78.
- ابراهيم (الخليل) (1) 26، 235.
- ابراهيم الموصلي (2) 169.

- ابراهيم بن أدهم (1) 249، (2) 315.
- ابراهيم بن العباس (1) 272، (2) 222.
- ابراهيم بن المهدي (1) 161، (2) 297، (3) 105، 114.
- أثير الدين (2) 302.
- أحمد المريني (والسلطان) (2) 171.
- ادريس (عليه السلام) (2) 220.
- ادريس بن اليماني (2) 162.
- الاذفونش (2) 66.
- أرسطاطاليس (1) 234، 237.
- أرقم بن علباء اليشكري (2) 97.
- أزدشيـر (2) 160.
- أرطأة بن سهية (2) 283.
- اسحاق بن خلف (1) 112، (هامش 43).
- اسحاق بن سُويد العدوي (1) 158.
- أسد بن هاشم بن عبد مناف (3) 50.
- أسعد بن المنذر (1) 114.
- أسقف نجران (3) 197، 198.
- أسماء المرية (2) 16، 142.
- أسماء بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين) (3) 7.
- اسماعيل (عليه السلام) (1) 138، (2) 220.
- اسماعيل بن القاسم (2) 189.
- أشجع السلمي (1) 56، (2) 160.
- أصيل الغفاري (2) 19.
- أكثم بن صيفي (1) 23، 128، 154، 305، 335. (2) 283. (3) 43، 155، 236.

- الأبيرد اليربوعي (2) 207.
- الأبيوردي (2) 87.
- الأحزن بن عوف العبدي (1) 205.
- الأحنف بن قيس (1) 109، 116، 146، 222، 261، 335 (3) 22، 64، 171.

- الأحـوص (1) 49، 211، 241، 271.
- الأخطـل (1) 117، (3) 77، 78، 141، 229، 254.
- الأخفـش (3) 29 (هامش 1).
- الأخنس بن شهاب (1) 239.
- الأرجاني (2) 81، 88، 304.
- الأزهري (1) 313.
- الاسعردي (2) 212.
- الاسكندراني (محيي الدين) (3) 118.

- الاسود بن كلثوم (2) 303.
- الأسود بن يعفر (1) 115، 119 (2) 245، 282.
- الأشهب بن رحيلة (2) 287.
- الأشتر النخعي (1) 129.
- الاصبهاي (أبو القاسم) (2) 292.
- الأصمعي (1) 79، 86، 87، 111، 182، 198، 204، 219، 222، 234، 245 (2) 119، 120، 149، 203، 239، 270، 271، 279، (3) 101، 136، 197.
- الأضبط بن قُريع السعدي (1) 139.
- الأعشى (1) 44، 115، 154، 157، 173، 216، 218، 219، 246. (2) 137، 144، 195، 217، 218، 235، 260، 301، (3) 16، 35، 47.
- الأعمش (1) 185. (2) 11، 14 (3) 140.
- الأمين بن الرشيد (2) 171.
- الأنباري (أبو الحسن) (2) 24.
- الأنصاري (1) 166، (2) 89.
- البارقي (3) 74.
- البحتري (أبو الوليد) (1) 157، 215، 353 (2) 223، 224، 303.
- البحتري بن المغيرة بن أبي صفرة (1) 161.
- البستي (أبو الفتح) (1) 215، 284 (2) 35، 81، 171، 221، 223، 292، 299 (3) 116، 198.
- البطروني (جعفر) (2) 289.
- البكري (أبو عبيد) (1) 123، 188، 322 (2) 43، 100، 147، 194،(3) 10، 13، 35، 143، 155، 160، 169، 208،217، 218، 227، 228، 231، 232، 238، 247،250.
- البوصيري (1) 153، 317 (2) 29، 96، 305.
- التجيبي (2) 46.
- التركيتي (فخر الدين) (2) 180.
- الترمذي (1) 38 (هامش 9).
- التُطيلي (أبو جعفر) (2) 308.
- التُطيلي (أبو العباس) (3) 113.
- التفتزاني (سعد الدين) (1) 195.
- التَنَسِي (1) 300.
- التنوخي (القاضي) (1) 333 (2) 294.

- التهامي (2) 181، (3) 113.
- الجاحـظ (1) 53 (هامش 8) 117، 295 (2) 10، 202، 225، 303 (3) 116، 168.
- الجدّ بن قيس (1) 139، 140.
- الجرجاني (القاضي) (3) 99.
- الجزولي (محمد بن سليمان الشيخ) (2) 314.
- الجُنيد (أبو القاسم) (1) 275.
- الجوزي (أبو الفرج) (2) 23.
- الجوهري (1) 53 (هامش 8) 316 (2) 38، 53، 95، 100، 194، 243 (3) 15، 146، 148، 157، 169، 213.
- الجيلاني (لقطب أبو محمد عبد القادر) (1) 250.
- الحاجري (2) 24.
- الحارث الأزدي (أو الأسدي) (2) 53.
- الحارث بن صعصعة (3) 234.
- الحارث بن ظالم (3) 160.
- الحارث بن عباد (1) 82، 83.
- الحارث بن عمرو بن تميم (1) 342.
- الحارث بن عوف المري (1) 319، 322 (3) 94.
- الحارث بن كلدة (1) 193، (2) 288.
- الحارث اليشكري (2) 72.
- الحارث بن وعلة الجرمي (1) 118، 124.
- الحباب بن المنذر (1) 86.
- الحجاج بن يوسف الثقفي (1) 41، 106، 137، 138، 144، 201 (2) 39، 67، 85، 238 (3) 20، 65، 69، 78، 179، 220، 247.
- الحريري (أبو محمد) (1) 264، 292، 334، 341، 343. (2) 26، 73، 146، 164، 234، 300. (3) 143، 149 (هامش 16) 177، 193، 213، 242، 252.
- الحسن البصري (2) 60، 63، 71، 204 (3) 47، 48، 49.
- الحسن المثنى (2) 150.
- الحسن بن سهل (1) 106.
- الحسن (بن علي) (1) 26، 41، 203 (2) 149، 150، 190 (3) 39، 40، 65، 127، 169.
- الحسن بن قَحْطَبَة (1) 149.
- الحسن بن المثنى (1) 346.
- الحسين بن ابراهيم (3) 75.

- الحسين بن علي (1) 62، 138، 244، 263، 340، (2) 23، 150، 158، 200.
- الحسن بن مطير الأسدي (1) 167.
- الحصري القيرواني (1) 53 (هامش 7) 99 (هامش 29، 30، 31)، 276.(2) 67.
- الحصين بن المنذر (1) 137.
- الحطم القيسي (3) 219.
- الحطيئة (1) 44، 340، (2) 119، 196، 203، 205، 247، (3) 175، 176، 184، 222.
- الحكم بن عبدل الأسدي (1) 240.
- الحماني (1) 169.
- الحموي = ابن حجة
- الحيص بيص (2) 158.
- الخالدي (3) 23.
- الخرمي (2) 260.
- الخزاعي (1) 153.
- الخفاجي (شهاب الدين) (2) 164.
- الخصيب (3) 96.
- الخليل بن أحمد (3) 103، 140.
- الخنساء (1) 218، 240، (2) 118، (3) 187، 191، 192.
- الخوارزمي (أبو بكر) (1) 128، 172، (2) 86، 87، 260 (3) 114، 203.
- الخوارزمي أبو سعيد (1) 172.
- الخوارزمي (أبو عبد الله) (3) 93.
- الدماميني (البدر) (2) 228.
- الراضي بالله بن المعتمد بن عباد (2) 290، (3) 122.
- الراعي (1) 120، 123، (2) 91، 144.
- الراغب (1) 21، 26، 27.
- الربيع بن زياد العبسي (1) 44، 318، 320.
- الرشيد (هارون) (1) 97، 111، 143، 149، 154، 163، 193، 219، 277. (2) 21، 104، 169، 170، 203. (3) 102، 197.
- الرصافي (3) 115.
- الرقاشي (3) 126.
- الزباء (1) 23، 188، 189، 191، 208، 210، 315. (2) 237، 241. (3) 33، 36، 213، 252.

- الزبان الذهلي (1) 70.
- الزبرقان بن بدر (1) 136. (3) 185.
- الزبير (بن العوام) (1) 68، 187.
- الزبير بن عبد الله (2) 302.
- الزرقاء (1) 27، 79.
- الزمخشري (1) 53، (هامش 8) (2) 23، 178.
- الزهري (2) 70، (3) 155.
- الزيات، محمد بن عبد الملك (2) 297.
- السائح، الشيخ أبو العباس أحمد الهشتركي (2) 314.
- السبتي (أبو العباس) (1) 180، 181.
- السريّ الموصلي (1) 304.
- السفاح (أبو العباس) (3) 74.
- السكاكي (3) 23.
- السُلَكة أم سُلَيك (1) 124.
- السلامي (1) 173، 265.
- السليماني (2) 30.
- السموأل بن عاديا (1) 54، 112.
- السهروردي (الامام) (2) 271.
- السهيلي (الامام) (1) 91 (هامش 22) (2) 10، 19، 20، 54، (3) 145، 156، 157.

- السيد الحميري (3) 164.
- السيوطي جلال الدين (3) 139.
- الشاذلي (الشيخ أبو الحسن) (1) 289.
- الشافعي (الامام) (1) 175، 277، (2) 11، 160، 204، 255، 287، 293 (3) 203.

- الشبلي (أبو بكر) الامام (1) 275، (3) 103.
- الشران (أبو عبد الله) (2) 29.
- الشريف الرضي (1) 277 (3) 110.
- الشريف المرتضى (1) 53 (هامش 8).
- الشعبي (1) 121، 337، (3) 135.
- الشمّاخ (1) 172، 173، (3) 20، 59
- الشنتمري (1) 109، 244، (3) 62.
- الشنفري (2) 200.
- الشيرازي أبو القاسم (شارح ابن الحاجب) (3) 93.
- الصابىء (1) 78، 330 (2) 50. (3) 22، 193.
- الصاحب بن عباد (اسماعيل) (2) 87، 146، 219.(3) 44، 97.
- الصالح بن موسى (1) 280.
- الصفدي (2) 22، 83، 228، 302، 305. (3) 199، 202.

- الصنوبـــري (2) 80. (3) 135
- الصوري (عبد المحسن) (2) 163.
- الصولي (ابراهيم بن العباس) (2) 84، 207. (3) 96.
- الضبي (محمد بن أبي شحاد) (2) 281.
- الطائـــي (1) 171.
- الطرسوسي (محمد بن زريق) (3) 196.
- الطَّرمَّـاح (1) 202. (3) 137.
- الطغرائي (3) 97، 161، 200.
- الطوسي (أبو العباس) (2) 56.
- الطوسي (حميد) (2) 301، 302.
- الظافر بن المعتمد (1) 198.
- العائد بن عمرو المزني (3) 227.
- العباب العجلي (2) 278.
- العباس بن الحسن العلوي (2) 13.
- العباس بن علي (1) 138.
- العباس بن مرداس السلمي (2) 277.
- العبـــدي (1) 63.
- العتابـــي (1) 97، (3) 234.
- العتبـــي (2) 22.
- العثماني العرجي (3) 118.
- العجـــاج (1) 28، 29، 80. (3) 49.
- العجير السلولي (1) 78. (2) 56.
- العرندس الكلابي (1) 184 (هامش 7).
- العسقلاني (ابن جعفر) (2) 229.
- العسكري (1) 247.
- العطـــوي (2) 23، 197.
- العلـــوي (2) 296.
- العماد الاصبهاني (عماد الدين) (2) 172.
- الغزالـــي (1) 26. (2) 32. (3) 47، 163.
- الغزي (أبو اسحاق) (1) 350. (2) 88.
- الغطمَّس الضبي (1) 240.
- الفارعة بنت طريف (2) 104، 109، 207.
- الفرزدق (1) 116، 173، 177، 206، 261، 340، 342. (2) 103، 179، 278، 284، 294، 295. (3) 35، 144، 146، 156، 169.
- الفضل بن الربيع (3) 99.
- الفضل بن سهل (2) 214.
- الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب (1) 303، 312. (2) 106.

- الفضل بن يحيى بن خالد بن بَرمَك (1) 277.
- القائم بأمر الله العباسي (3) 243.
- القائم بن حنبل (1) 167.
- القاضي ابراهيم بن نصر (2) 293 (3) 96.
- القاضي الجليس المصري (3) 113.
- القاضي الشريف (3) 114.
- القاضي الفاضل (1) 288 : (2) 172، 177. (3) 23.
- القتال الكلابي (1) 238.
- القتبي (1) 317.
- القطامي (1) 90، 105. (3) 124.
- القلقشندي (1) 69 (هامش 12).
- الكاتبي (شارح المحصل) (3) 93.
- الكتاني (2) 35.
- الكسائي (1) 132. (2) 139.
- الكميت (1) 105، 131، 182، 257، 264، 303.
(2) 37، 46، 135. (3) 8، 251.
- الكندي (1) 301.
- اللورقي (أبو الحسن بن الحاج) (2) 308.
- المازيار (1) 228.
- المامون العباسي (1) 214، 263، 264، 345، 346. (2)
232، 297. (3) 66، 94.
- الماوردي (الامام) (2) 214. (3) 172.
المبرد (أبو العباس) (1) 261، 331. (2) 15، 133، 134، 185،
214:(3) 56، 77، 126، 220، 222.
- المتلمس (جرير بن عبد المسيح) (1) 118، 182، 208. (2) 217، 218،
301. (3) 50، 51، 52، 53.
- المتنبي (أبو الطيب) (1) 12 (هامش) 38، (هامش 10) ، 52،
110، 132،164، 166، 215، 217،
218،228، 229، 230،231، 232، 234،
236،237، 264، 274، 332. (2)66،
90،128، 153، 154، 172، 211،
223،251،261. (3) 30، 63، 91، 138،
151،158، 166،178، 196، 212، 218،
243.
- المتوكل (1) 134، 135، 295.
- المثقب العبدي (1) 78، (2) 267.
- المخزومي (3) 104.
- المراكشي (1) 252.

- المدائني (3) 239.
- المرسي (عبد الجليل) (1) 283.
- المرقـــش (1) 200.
- المسعـــودي (1) 130.
- المصعب بن الزبير (1) 109، 146، 232.
- المعتصم العباسي (1) 228، 354، (2) 67.
- المعتصم بالله (الأندلسي) (1) 287.
- المعتمد بن عباد الأندلسي (1) 132، 198، 276. (2) 288، 306 (3) 99، 121.
- المعري (أبو العلاء) (1) 85، 112، 117، 118، 217، 260، 263، 280، 332. (2) 88، 154، 202، 257، (3) 93، 197، 212.
- المِعمـــار (1) 304. (2) 229.
- المغيرة بن سعد (1) 261 (3) 64.
- المفضل الضبي (1) 154.
- المقدسي عزالدين (الامام) (1) 339 (2) 247، (3) 210.
- المقري (أبو العباس أحمد الفاسي) (2) 77.
- المقنع الكندي (2) 280.
- الملك الأشرف (1) 77.
- المنذر بن امرىء القيس (2) 42.
- المنذر بن ماء السماء (3) 9.
- المنتصر (بن المتوكل) (1) 135.
- المنصـــور (1) 138.
- المنقري (قيس بن عاصم) (3) 61، 105.
- المهدي (العباسي) (2) 139.
- المهلب بن أبي صفرة (1) 145، 161 (3) 69، 221.
- المهلّبي (الوزير) (2) 83، 260، 271، 290، (3) 201.
- الموصلي (مؤيد الدين) (2) 180.
- الميكالـــي (1) 286.
- النابغة الجعدي (1) 214 (2) 70، (3) 117.
- النابغة الذبياني (1) 27، 52، 54، 55، 59، 69، 79، 80، 83، 97، 117، 131، 150، 183، 199، 208، 218، 219، 220، 221، 303، 304، 314. (2) 107، 175، 186، 205 (3) 16، 19، 39، 45، 57، 60، 70، 176، 181، 223.
- النجاشـــي (1) 44.
- النعمان بن الحارث الغساني (3) 70.

- النعمان بن المنذر (1) 44، 59، 140، 150، 207 (2) 97، 129، 130، 146، (3) 16، 39، 177.
- النعمان بن ماء السماء (3) 177.
- النمر بن تولب (1) 27، 124، 303 (2) 72، (3) 135.
- النـــووي (1) 26.
- الهذلي (ذو الكلب) (1) 314 (2) 105، 187، 200، 235.
- الهذيل بن هبيرة (1) 74.
- الهمدانـــي (1) 238.
- الوراد (أبو الحسن) (1) 284.
- الوليد بن عبد الملك بن مروان (1) 137 (2) 55، 219.
- الوليد بن عقبة (2) 46، 129 (3) 163.
- الوليد بن يزيد بن عبد الملك (2) 178، (3) 98، 158.
- اليزيدي (2) 139.
- اليماني (أبو الفرج جعفر) (2) 78.
- أمامة العامرية (1) 344.
- امرؤ القيـــس (1) 53، 77، 82، 83، 86، (وهامش 19)، 88، 96، 100، 101، 115، 123، 168، 185، 200، 203، 222، 272، 275، 289، 311، 312، 312، 316، 340، (2) 18، 20، 40، 44، 46، 48، 97، 112، 114، 119، 124، 137، 140، 145، 152، 174، 185، 198، 209، 217، 242، 245. (3) 8، 18، 19، 20، 21، 44، 47، 59، 69، 137، 138، 139، 169، 170، 181، 187، 249، 253، 255، 256.
- أم الضحاك المحاربية (2) 71.
- أم المغوار الباهلية (3) 121.
- أم ثواب الهِزّانية (1) 241.
- أم حكيم الخارجية (3) 165، 166.
- أم خالـــد (3) 39، 40.
- أم زرع (2) 5، 207.
- أم سلمـــة (2) 55، 280.
- أميـــة (2) 244.
- أمية بن أبي الصلت الثقفي (1) 150، (2) 137.
- أمية بن عبد شمس (2) 143.
- أنـــس (2) 5.
- أنيـــس (1) 90.
- أوس بن حارثة (1) 322، 323. (2) 206، 209 (3) 253.

- أوس بن حجر (1) 125، 127، 200 (2) 197 (3) 59،181، 185.
- اياس بن الأرث (1) 242.
- اياس بن معاوية بن قرة (1) 113، (3) 11، 12، 144.
- أيوب (عليه السلام) (2) 266.
- أيوب بن القرية (3) 65.

- البـــــاء -

- باقـل (1) 80.
- بُثينـة (1) 307.
- بُجير بن الحارث (1) 82
- بشر بن أبي حازم الأسدي (1) 114.
- بشر بن الحارث الأسدي (1) 309.
- بشر بن مروان (1) 145.
- بشار (بن برد) (1) 81، 147، 186، 245، 279، (2) 11،174، 179، 232، 233، 276، (3) 153،187.
- بقـراط (1) 154.
- بكر بن النطاح (2) 104.
- بلال بن أبي رباح (1) 173 (2) 18، 19.
- بهاء الدين زهير (2) 29، 201.
- بَيْهَـس (2) 16، 17.

- التـــاء -

- تأبط شـرا (1) 122 (وهامش 50) 345 (2) 240، 278، (3) 76، 124.
- تميم بن جميل (1) 357.

- الثـــاء -

- الثعالبـي (1) 213، (3) 149.

- الجيـــم -

- جالينوس (1) 237، (2) 11.
- جبلة بن الأيهم (1) 70.

- جحـدر (1) 344 (2) 213.
- جحظة البرمكي (2) 13.
- جحل بن نضلة الباهلي (2) 144.
- جذع بن عمرو الغساني (1) 68.
- جذيمة الأبرش (1) 187، 188، 189، 190، 191، 192،208، 209، 315،(2) 237، 241، (3)33، 35، 213، 214، 215.
- جرجيـر (1) 66.
- جريـر (1) 25، 44، 84، 116، 118، 261، 266، 267، (2) 111، 120، 169، (3) 13، 112، 139، 140، 141، 142، 160، 184.
- جساس بن مرة (3) 207.
- جعفـر (1) 50، 172.
- جعفر بن يحيى (1) 163 (2) 214، 219، 296.
- جميل بن معمر بن عبد الله العذري (1) 54، 144، 291، 307، 338، (2) 152، 179، 284، (3) 125.
- جنـدح (2) 175.

- الحـــاء -

- حاتم الأصـم (2) 50.
- حاتم بن عميرة الهمداني (2) 41.
- حاتم طَيِّـىء (1) 80، 193، 241، 248، (2) 73، 187، 237، 238.
- حارث بن بدر (1) 99.
- حارثة بن سراقة الكندي (3) 304.
- حارثة بن لأم الطائي (1) 140.
- حازم بن خُزيمة (1) 41.
- حامد بن عباس (1) 154.
- حجية بن مضرب (3) 127.
- حُذيفة بن بدر الفزاري (1) 315، 318، 319، 320، 322.
- حرثان بن عمرو (2) 268.
- حريث بن حسان الشيباني (2) 97.
- حسان بن ثابت (1) 44، 45، 48، 65، 69، 70، 101، 110، 148، 180، 218، 219 (2) 59، 192، 197 (3) 44، 159، 183، 229.
حسان بن حنظلة (2) 155.
- حصين بن الحمام المري (2) 64، (3) 217.

- حطائط، أخو الأسود بن يعفر (2) 282.
- حفص العليمي (1) 153.
- حليمة السعدية (2) 54، 55.
- حليمة بن سلمة (2) 14.
- حماد الرّاوية (1) 52، (3) 254.
- حمار بن مالك بن نصر بن الأسد (1) 317.
- حمار بن مُويلع (1) 316.
- حَمل بن بدر (1) 318، 319، 321، 322.
- حُميد المهلبي (1) 306.
- حميد بن ثور الهلالي (1) 79، 207 (2) 108، 167.
- حُميدة بنت النعمان بن بشير (1) 309.

- الخـــــاء -

- خارجة (3) 67.
- خارجة بن سنـــان (1) 44، 322، 323.
- خالد بن الوليد (1) 84، 108 (2) 232.
- خالد بن صفوان (1) 77 (3) 126، 127.
- خالد بن عبد الله القسري (1) 137، 261، 352.
- خالد بن عقلمة (2) 50، 148.
- خالد بن معاوية بن سنان السعدي (2) 129، 130
- خالد بن نضلة الأسدي (1) 242.
- خالد بن يزيد الكاتب (1) 161، 163، 299، 300 (2) 177، (3) 74.
- خفاف بن ندبة (3) 62.
- خلف بن خليفة (1) 112.
- خنافر بن التوأم الحميري (3) 119.
- خوات بن جبير الأنصاري (3) 232، 233.
- خوتعة الغفيلي (1) 70.

- الـــــدال -

- داوود (عليه السلام) (3) 64.
- دحية بن خليفة (1) 178.
- دريد بن الصمة (1) 51، 102، 103، 113، 142، 183، (2) 245، 267، 279 (3) 191، 192.
- دعبل بن علي الخزامي (1) 346، 353 (2) 295، (3) 254.
- دهقـان (1) 129.
- ديك الجـن (1) 215.

الـــــذال

- ذو الأصبع العدواني (1) 119.
ذو الرمــة (1) 158، 173، 186، 275، 311 (2)، 58، 185، (3) 18، 170، 181.

الـــــراء

- راشد بن عبد ربه (1) 248.
- رؤبــة (1) 85 (3) 150، 216، 228.
- ربيعة بن مقروم الضبي (1) 238 (3) 138.
- ربيعة بن مكدم (1) 104، 105.
- رجاء بن هارون (1) 247.
- رستــم (1) 35، 36.
- رياح بن زيد (1) 123.
- ريطة بنت جذل الطعان (1) 104.

الـــــزاي

زرارة بن عدس الدرامي (1) 114، 115.
- زهير بن أبي سلمى (1) 14، 44، 56، 59، 106، 117، 132، 144، 155، 167، 174، 216، 268، 270، 310، 311، 324، 329، (2)، 18، 20، 40، 44، 61، 86، 106، 107، 109، 114، 125، 197، 198، 240، 268. (3) 31، 55، 95، 141، 156، 157، 210، 211، 223، 239.
- زهير بن مسعود (3) 30، 31.
- زياد (ابن عبد الله) (1) 99. (2) 11.
- زيــد (1) 172.
- زيد بن أسلــم (1) 11.
- زيد الخيــل (2) 211، 306 (3) 178، 185.

السيـــــن

- سابق البربري (3) 243.
- سالم بن وابصة (2) 216، (3) 107.
- سبأ (عبد شمس بن يشجب بن يعرب) (3) 16، 18.
- سبطة بن المنذر السليحي (1) 68.

- سحنـــون (3) 225.
- سحيم الفقعسي (1) 305.
- سحيم بن وائلة (3) 222.
- سحيم بن وثيل (1) 124.
- سراقة البارقي (3) 29 (هامش 1).
- سرحـــان (1) 17.
- سعد بن أبي وقاص (1) 35، 36، 192، (3) 22.
- سعد بن المسيب (1) 46
- سعد بن عبادة (1) 86.
- سعد بن قيس (2) 157.
- سعد بن معاذ (1) 322.
- سعد بن ناشب (1) 237، 238.
- سفيان الثوري (1) 41، (2) 314.
- سكينة بنت الحسين (3) 97، 98.
- سلامة بن جندل (1) 128.
- سلم الخاسر (3) 135.
- سلمة الجعدي (3) 125.
- سليمان (عليه السلام) (1) 75، 139، 187 (2) 218.
- سليمان العدوي (أو الخزاعي) (1) 340.
- سليمان بن عبد الله بن طاهر (1) 246.
- سليمان بن عبد الملك بن مروان (1) 137 (2) 294، 295.
- سليمان بن وهب (2) 222.
- سنان بن فحل الطائي (1) 344.
- سهل بن مالك (1) 282.
- سهل بن هارون (1) 137 (2) 14، (3) 65، 254.
- سويد بن أبي كاهل (1) 192 (2) 176.
- سويد بن صامت (1) 89 (هامش 20) (3) 104.
- سيبويـــه (1) 192 (2) 57، (3) 140، 145.
- سيف بن ذي يزن الحميري (2) 17.
- سيف الدولة (الحمداني) (1) 229، 230 (2) 66، 163.
- سيار بن قصير الطائي (1) 331.

الشيـــــن

- شاس بن عبدة (1) 199.
- شبيب بن البرصاء (2) 281.
- شبيل الفزاري (2) 279.
- شرف الدين الحلاوي (3) 76.

- شريح (القاضي) (1) 135، (3) 140، 230، 231.
- شمس الدين بن السلعوس (1) 77، 78.
- شمس الدين قراسنقر (1) 77.

الصـــــاد

- صالح (عليه السلام) (3) 211، 212.
- صالح بن جناح (1) 174 (2) 70.
- صالح بن عبد القدوس (1) 55، 127، 302، 330 (3) 65، 217.
- صخر بن عمرو بن الشريد (2) 145.
- صُرَّ دُرّ (1) 278، 350 (3) 75.
- صِفي الدين الحلي (1) 85، 317، (2) 82.
- صفوان بن عمر الكلابي (3) 139.

الضـــــاد

- ضابىء بن الحارث (1) 53، 265، 331، (3) 22، 223.
- ضرار بن عمرو (1) 310.
- ضمرة بن ضمرة (1) 267.

الطـــــاء

- طاهر بن الحسين (3) 74.
- طاوس بن كيسان (2) 71.
- طرفة (بن العبد) (1) 15، 50، 52، 54، 95، 105، 121، 197، 293، 310، 311، 347، (2) 11، 112، 199، 207، 208، 217، 245، 259، 301، 302، 303. (3) 35، 51، 52، 53، 63، 75، 141، 250، 256.
- طريف بن العاصي الدوسي (3) 45، 46، 47.
- طفيل الغنوي (1) 50، 265، 337.
- طلحـة (1) 129.

العيـــــن

- عائشة (رضي الله عنها) (1) 44، 46، 47، 48، 50، 51، 100، (2) 18، 19، 55، 100، 241.
- عاتكة بنت عبد المطلب (2) 122.

- عاصم بن أيوب (شاعر ديوان امرىء القيس) (1) 316.
- عامر الشعبي (3) 47، 48، 49.
- عامر بن الطفيل (1) 90، 262. (3) 30.
- عامر بن الطرب العدواني (1) 118، 119.
- عامر بن حُممة (1) 118.
- عامر بن عبد الله القيسي (2) 303.
- عامر بن فهيرة (2) 18، 19.
- عبد الحميد (الكاتب) (1) 245.
- عبد الرزاق (1) 123.
- عبد الله بن أبَيّ (3) 179.
- عبد الله بن الدُمينة (1) 242.
- عبد الله بن الزبير (1) 66، 304 (2) 150 (3) 7، 9.
- عبد الله بن الزبير الأسدي (2) 68، 143، 149 (3) 221.
- عبد الله بن جدعان القُرشي التيمي (1) 150.
- عبد الله بن جعفر (1) 336.
- عبد الله بن رواحة الأنصاري (1) 44، 45، 172.
- عبد الله بن زياد (1) 62.
- عبد الله بن سعد (1) 66، 276.
- عبد الله بن سليمان بن وهب (1) 302.
- عبد الله بن عامر بن كريز (1) 329، 330.
- عبد الله بن عمرو بن الفوعاء الخزاعي (1) 71.
- عبد الله بن عنمة الضبي (1) 148.
- عبد الله بن عيينة (1) 175.
- عبد الله بن همام السلولي (1) 232.
- عبد الله بن يزيد الهلالي (1) 117.
- عبد المطلب (3) 50.
- عبد الملك بن مروان (1) 28، 46، 126، 146، 199، 200، 263، 267، 304، 338. (2) 55، 71، 137، 268، 283، 284. (3) 11، 12، 65، 77، 107، 111، 140، 141، 221، 247.
- عبد الوهاب بن نصر القاضي المالكيّ (1)، 77، 282 (2) 293.
- عبيد الله بن زياد (1) 138، (3) 227.
- عبيد الله بن سليمان (2) 214.
- عبيد بن الأبرص (1) 61، 62، 168، 169، 303 (2) 146، 189، 277 (3) 9.
- عبيد بن حصين (1) 266.
- عبيدة الجرهمي (1) 278.
- عتبة بن جعفر بن كلاب (1) 114.

- عثمان بن عفان (1)، 66، 126، 187، 203، 333، 338 (2) 44، 45، 46، 133. (3) 100، 209، 221، 223.
- عجل بن لحيم بن بكر بن وائل (1) 205.
- عدي بن أرطأة (3) 230.
- عدي بن الرعلاء (1) 159.
- عدي بن الرقاع (1) 159، 315، (2) 98، 121، 167، 270. (3) 172.
- عدي بن زيد العبادي (1) 85 (هامش 18) 112، 175، 188. (2) 205، 259، 231. (3) 254.
- عدي بن نصر اللخمي (1) 23، 213.
- عرابة الأوسي (1)، 162، 173.
- عروة بن الزبير (1) 304.
- عروة بن الورد (عروة الصعاليك) (2) 151. (3) 97، 110.
- عروة بن حزام (1)، 210. (2)، 147.
- عروة بن عبد الله (1)، 271.
- عضد الدولة (2)، 24.
- عطاء بن أبي رباح، الامام الفقيه المشهور (2)، 71، 180.
- عفيف الدين التلمساني (1)، 153.
- عقـرب (1)، 312.
- عقيل بن أبي طالب (1)، 182.
- عقيل بن علفة بن الحارث المري (2)، 278. (3)، 237.
- عكاشة بن محصن (3)، 161.
- علقمـة (1)، 183، 186، (2) 18، 40، 49، 58، 138، 195، 267 (3) 13، 15، 223.
- علي بن أبي طالب (1) 51، 93، 105، 107، 128، 129، 193، 263، 264. (2) 157، 158، 205، 245، 306. (3) 30، 64، 65، 67، 149، 209، 216، 217.
- علي بن الجهم (1)، 134، 251، 278. (2)، 248.
- علي بن عيسى الوزير (1)، 154.
- علي بن منصور (1)، 232.
- عمارة اليمني (3)، 75.
- عمران بن حطان (1)، 326. (3)، 226.
- عمر بن أبي ربيعة (2)، 92، 178، 260، (3) 198.
- عمر بن طوق (1) 224.
- عمر بن عبد العزيز (1) 47، 49، 149، 150 (2) 219، 287، 295، (3) 12، 65.
- عمار بن عقيل بن بلال بن جرير (1) 147.
- عمار ابن ياسر (2) 44، 55.

- عمرو بن أبي هريرة (3) 233.
- عمرو بن الجموح (1) 139، 140.
- عمرو بن الحارث بن مضاص الجرهمي (1) 83.
- عمرو بن الزيان الذهلي (1) 70، (2) 9 (3)، 207، 208.
- عمرو بن الظرب (1) 188.
- عمرو بن العاصي (1)، 129، 146 (2)، 115، 137 (3)، 39، 67.
- عمرو بن المنذر (1)، 93، 94، 95، 96.
- عمرو بن أمامة (2)، 18، 19، 103.
- عمرو بن الاطنابة الانصاري (1) 45 (2) 152.
- عمرو بن أمية الضمري (1) 71.
- عمرو بن الاهتم (1) 136، (2) 131.
- عمرو بن تقن (3) 62.
- عمرو بن ثعلب الشيباني (3) 32.
- عمرو بن ثعلبة (1) 41.
- عمرو بن دينار (2) 93.
- عمرو بن شاس الاسدي (1) 123.
- عمرو بن عامر، المعروف بمزيقياء (3) 16، 17.
- عمرو بن عدي بن نصر اللخمي (1)190، 191، 208، 209، 210، 331 (3)213.
- عمرو بن كلثوم (2) 235.
- عمرو بن معدي كرب الزبيري (1) 210، 277، 306 (3) 174، 185، 203.
- عمرو بن ملفط الطائي (1) 115 (2) 210.
- عمرو بن هند (1) 93، 114، 115، 118 (2) 218، 276، 277.
(3) 51، 111.

- عمير بن جندب (2) 15.
- عمير بن ضابىء البرجمي (3) 220، 221.
- عُمَيّ (1) 62، 63.
- عنترة (بن شداد) (1) 128، 184، 228، 267، 289، 309، 311، 320 (2) 9، 18، 62، 63، 67، 81، 95، 159، 197، 200، 206، 209، 210 (3) 32، 156، 210، 241.

- عوف بن بدر (1) 318.
- عوف بن عامر (1) 92.
- عوف بن محكم (2) 166.
- عياض (القاضي) (1) 20، (2) 161.
- عيسى (عليه السلام) (1) 138 (3) 65.

الغيـــــن

- غسـان بن وعلة (2) 279.
- غيـلان (1) 15.

الفـــــاء

- فاطمة الزهراء (1) 51، 263 (2) 157.
- فاطمة بنت الاجحم الخزاعية (1) 51 و(هامش 5م) (2) 157.
- فاطمة بنت عبد المالك بن مروان (2) 295.
- فالج بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن الشجع (1) 90.
- فرعان بن الاعرف (1) 243.

القـــــاف

- قابوس الأميـر (3) 99، 111.
- قاسم بن ثابت (2) 43.
- قتـادة (1) 10.
- قتيبة بن مسلم الباهلي (1) 178 (3) 74.
- قراب بن عتاب (1) 239.
- قزمان بن الحارث (1) 130.
- قصير (بن سعد) (1) 187، 189، 190، 191، 192، 208، 209، 210، 315 (2) 17، 141، (3) 36.
- قطري بن الفجاءة (2) 67 (3) 30، 165.
- قيس بن الخطيم الانصاري (1) 159، 160، 310، 311.
- قيس بن المغيرة (1) 241.
- قيس بن ذريح (1) 242، 243، 254 (3) 115.
- قيس بن زهير (1) 51، 211، 315، 318، 319، 320، 321. (2) 44 (3) 68، 208.
- قيس بن عاصم المنقري (1) 109 (2) 282 (3) 155.
- قيس بن كلثوم (2) 278.
- قيـل (1) 59، 60.
- قيلة التميمية (2) 97.

الكـــــاف

- كافور (الاخشيدي) (1) 166، 233، 234.

- كثير عز. (أبو الحسن بن أبي الطيب) (1) 53 (هامش 5) 120، 142، 169، 170، 331، 337، 338 (2) 77، 98، 288، 292 (3) 107، 110، 111، 138.
- كسـري (1) 166 (2) 135 (3) 65، 199.
- كشاجـم (1) 284، 302 (2) 15، 203، 224.
- كعب الاحبـار (1) 138.
- كعب (بن زهير) (1) 48، 49 (2) 115، 195 (3) 167، 223.
- كعب بن مالك (2) 95.
- كلثوم بن عمرو (2) 269.
- كليب بن ربيعة الثعلبي الوائلي (2) 198، 199 (3) 75، 168، 206.

الـــــلام

- لبيـد (1) 44، 46، 50، 63، 89، 132، 175، 221 (2) 206، 264 (3) 47، 142، 170.
- لقمان بن عاد (1) 27، 59، 60، 64، 116 (2) 308 (3) 16، 36، 162، 216.
- لقيط بن زرارة (3) 112.
- ليلى الاخيلية (1) 326 (2) 9.

الـمـيـــم

- مارية بنت أرقم بن ثعلبة أو مارية بنت ظالم (1) 69، 70
- مالك (الامام) (1) 12، 193 (2) 226.
- مالك بن أسماء (2) 159 (3) 180.
- مالك بن المرحل (1) 281، 283 (2) 25، 29.
- مالك بن جرير (2) 130.
- مالك بن زهير (1) 318، 320، 322.
- مالك بن عمرو بن تميم (2) 147.
- متمـم (1) 183 (3) 215.
- مجاهـد (1) 111.
- مجنون ليلى (1) 272، 275 (2) 168 (3) 63، 76.
- محرز الضبي (1) 167.
- محكم اليمامة (3) 226.
- المحلّـق (عبد العزيز بن حنتم) (1) 44.
- محمد الامين بن هرون الرشيد (1) 173.
- محمد بن أبي بكر (أمير مصر) (1) 129.
- محمد بن حسام الدين (1) 282.

- محمد بن حميد الطو سي (1) 297.
- محمود (1) 147، 304 (3) 186.
- محمود الوراق (1) 336 (2) 226.
- محمود بن عياد (1) 336.
- محيي الدين البغدادي (2) 27.
- مخيس بن أرطأة الاعرج (1) 145.
- مرثد الخير بن ينكف (أوينوف) (1) 268.
- مرثد بن سعد (1) 60.
- مـرار (1) 111، 112.
- مروان بن الحكم (الخليفة) (1) 245 (2) 296 (3) 14.
- مسافع العبسي (3) 125.
- مسكين الدارمي (1) 112، 206، 220 (2) 293، 294.
- مسلم بن الوليد (3) 197، 198.
- مسلم بن عقيل بن أبي طالب (1) 62 (3) 193.
- مسلمة بن عبد الملك (1) 137 (2) 120.
- مسيلمة الحنفي الكذاب (1) 84، (3) 250.
- مطرف بن الشخير (3) 64، 228.
- مطرود بن كعب الخزاعي (3) 158.
- معاوية بن أبي سفيان (1) 45، 49، 51، 116، 129، 196، 278، 326، 335 (2) 46، 115، 116، 129 (3) 14، 21، 22، 39، 40، 66، 67، 163.
- معاوية بن بكر (1) 59، 60.
- معاوية بن زهير (2) 200.
- معاوية بن عبد الله بن خالد بن أسيد (2) 268.
- معاوية بن يزيد (1) 232.
- معبد المغني (2) 150.
- معروف الكرخي (1) 213.
- معقل بن عيسى (3) 99.
- معمـر (1) 123.
- معن بن أوس المُزنـي (1)125(هامش 52)،134،294(2) 156.
- معن بن معديكرب (1) 177.
- منازل بن فرعان (1) 243، 244.
- منصور الفقيه (1) 165، 166، 175.
- منصور النمري (3) 40.
- منقد الكلابي (3) 125.
- مهلهـل (1) 82، 83، 207 (2) 65، 73، 120، 144، 174 (3) 190، 206.
- **مهيار الديلمي** (2) 163.

- موسى (عليه السلام) (3) 21.
- موسى بن جابر (1) 238 (2) 107.
- موسى بن جعفر (1) 166.
- موسى بن داوود الهاشمي (3) 23، 24.
- موسى بن عمران (1) 213 (2) 88.

النـــــون

- نافـــع (1) 75، 187.
- نافع بن علقمة الكناني (1) 78.
- نبهان العبشمي (2) 288.
- نصلة السلمي (1) 121.
- نصيب (ابن السوداء) (2) 106، 119، 120، 294، 295.
- نهشل الدراسي (1) 239.
- نهشل بن ضمرة (1) 315.
- نهشل بن مالك الفزاري (1) 140.
- نوح (عليه السلام) (1) 192 (3) 210.

الهـــــاء

- هاشم بن عبد مناف (3) 158.
- هاني بن عروة المرادي (1) 62.
- هاني بن قضيبة الشيباني (1) 107.
- هبار بن الاسود (3) 159.
- هَبَنَّقَة القيسي الاحمق ذو الود عات (3) 150.
- هبرة اليربوعي (الملقب الكحلبة) (1) 128.
- هبيرة بن يفوث (1) 94.
- هدلة بن معتب (3) 169.
- هرقـــل (2) 106.
- هرم بن سنان المري (1) 44، 319 (2) 44 (3) 95.
- هشام بن عبد الملك بن مروان (1) 134، 137، 262، 294، 295 (3) 66.
- همام بن مرة (3) 147، 206.
- هود (النبي) (1) 59، 60.

الـــــواو

- وافد البراجم (1) 115، 118.
- ورقة بن نوفل بن خويلد (3) 20، 156، 158.

اليـــــاء

- يحيى بن أكثم (1) 263 (2) 171.
- يحيى بن خالد بن برمك (1) 276، 277.
- يحيى بن علي (2) 224.
- يحيى بن نوفل (1) 262.
- يحيى بن يحيى (1) 193.
- يزدجرد (1) 36.
- يزيد الحارثي (2) 282.

يزيد بن الصيقل العقيلي (2) 287.
يزيد بن المهلب (1) 178.
يزيد بن سعد (1) 60.
يزيد بن شيبان بن علقمة (1) 326.
يزيد بن عبد الملك (1) 294 (2) 292 (3) 74.
يزيد بن معاوية (1) 138، 143، (3) 21، 39.
يزيد بن مفرغ الحميري (3) 126.
يوسف السراج (1) 225 (2) 68.
يونـــس (3) 189.

فهرس الأماكن والقبائل والأمم والطوائف

الألـــف

أبو قبيس (1) 80.
أسلم (3) 155.
أشجع (1) 90.
إفريقيـة (1) 66.
الابـواء (1) 71.
الازد (3) 32، 46.
الاصارف (1) 71.
الاندلس (2) 66.
البرامكـة (1) 143.
البصرة (1) 266، 329 (2) 71 (3) 47، 157، 172.
الحجـاز (3) 212.
الحصيـب (1) 72.
الحضـر (1) 188.
الـروم (2) 218.
الشـام (1) 129 (3) 17، 47، 179، 212، 230.
الصيـن (3) 163.
العجم (1) 36،
العـراق (3) 17، 63، 230.
القادسيـة (1) 35.
الكعبـة (1) 69.
الكوفـة (1) 62، 99، 135، 261 (2) 99 (3) 22، 47، 221، 230.
المدينة المنورة (1) 162، 229، 312، 325، 340 (2) 19، 22. (3) 47، 157، 180، 209.
النجـف (1) 135.
الهنـد (3) 163.
اليمامـة (3) 101، 250.
اليمـن (1) 68، 72، 73، 84، 93، 316 (2) 99. (3) 18، 52، 77، 216.
اليـونان (1) 28.
أهل الصيـن (1) 28.
أوس (3) 17، 159.
إياد بن تميـم (1) 188 (3) 213.

البـــــاء

باهلـة (1) 266.
بجيلـة (3) 164.
بـــدر (1) 45، 65.
بغـداد (3) 101.
بكربـــن عبد مناة (1) 105.
بكر بن وائل (1) 105، 107 (3) 165، 205، 208.
بلقيـــن (3) 214.
بنو أبي بكر بن كلاب (1) 105.
بنو أسد (1) 111، 144، 117، 242 (2) 41، 54
(3) 226.
بنو اسرائيل (1) 41 (2) 104 (3) 205.
بنو الخزرج (2) 206 (3) 17.
بنو الصيداء (1) 56، 57 (2) 211.
بنو العجلان (1) 44
بنو القين (3) 238.
بنو أمية (1) 132 (2) 244، 268 (3) 220.
بنو أنف الناقة (1) 44
بنو بـــدر (3) 68.
بنو تيـم (1) 150.
بنو جُشَم بن بكر (1) 102.
بنو الحارث كعب (2) 158.
بنو حميس (1) 63.
بنو حنظلة (1) 211، 327.
بنو حنفية (1) 11، 78، 84، 145.
بنو دارم (1) 144.
بنو ذبيان (1) 183.
بنو ذهل (بن ثعلبة) (1) 124 (2) 158.
بنو زرارة (1) 115.
بنو زياد (2) 122.
بنو ساعدة (1) 86.
بنو سعد (2) 54، 55، 128، 248 (3) 213.
بنو سليط (1) 189.
بنو سلم (1) 326.
بنو سنان (1) 167.
بنو شيبان (3) 190.
بنو ضبة (1) 74، 148، 267.

بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناف (1) 71.
بنو عامر (1) 87، 149، 262، 266 (2) 168.
بنو عباد (1) 82.
بنو عجل (1) 145 (2) 133.
بنو عدي بن جندب (1) 167.
بنو عقيلة (1) 70 (3) 207.
بنو عمرو الغنويون (1) 184 (هامش 7).
بنو فارس بن كنانة (1) 104، 105.
بنو فزارة (2) 151 (3) 250.
بنو فقعس (2) 281.
بنو قريع (2) 280.
بنو قطن (2) 150.
بنو قيس (1) 325، 340 (2) 150.
بنو كلاب (1) 114، 116، 194، 266
بنو كنانة (1) 102 (3) 33.
بنو مازن (1) 238.
بنو مخزوم (1) 108.
بنو مروان (2) 270.
بنو نبهان (2) 119.
بنو هاشم (1) 77، 132، 263.
بنو هلال (بن ربيعة) (1) 124 (3) 170.
بنو وائل (1) 82 (2) 119 (3) 209.
بنو يربوع (1) 320.
بنو يسار (3) 70.
ينو يشكر (2) 158.
بنو يقطان (ذ) 123.

التـــاء

تغلب (1) 83 (3) 10، 159، 206.
تميـم (1) 115، 116، 117، 136، 325، (2) 97، 129، 279 (3) 165.
تنـوخ (1) 141.
تيم الدين ثعلبة (3) 232، 233.

الثـــاء

ثقيف (1) 267.
ثمـود (3) 211، 212.

الجيـــــم

جـذم (1) 326.
جذيلـة (3) 170.
جرهـم (1) 124، 269 (2) 240 (3) 122، 210.

الحـــــاء

حيمر (2) 55 (3) 16، 45.

الخـــــاء

خثعـم (1) 91 (2) 279.
خراسـان (1) 178 (2) 87 (3) 63.
خزاعـة (1) 84 (2) 40 (3) 17، 210.

الـــــذال

ذبيـان (1) 318 (2) 340 (3) 70، 94، 122، 208، 210.

السيـــــن

سعد العشيرة (2) 99.
سعد بن مالك بن ضبيعة (1) 105.
سعد بن مناة بن تميم (1) 139.
سليح (قبيلة باليمن) (1) 68.

الصـــــاد

صِفِّين (1) 45.

الضـــــاء

ضبـــة (3) 24.

الطـــاء

طسـم (3) 62، 180.
طـيء (1) 76، 114 (2) 221 (3) 57، 237.

العيـــن

عـاد (1) 59، 60، 62، 214، 316، 317 (2) 110 (3) 62، 122، 161، 211.
عبـس (1) 274، 318، 322 (2) 340 (3) 39، 94، 208، 210.
عدنـان (1) 13.

الغيـــن

غـزة (3) 158.
غسـان (1) 68، 70 (3) 17.
غَطَفَـان (1) 320 (2) 64 (3) 226.

الفـــاء

فـارس (1) 35، 36.
فـزارة (3) 247.
فلسطيـن (3) 158.

القـــاف

قحطـان (1) 13، 230.
قريـش (1) 45، 71، 77، 230، 232.
قضاعـة (3) 13.
قيس عيلان (3) 102.

الكـــاف

كعب (1) 226.
كلـب (3) 247.
كنـدة (2) 46.

الـــــلام

لخـــم (3) 213.

الميـــــم

محارب (1) 117.
مذحـج (1) 220 (3) 17.
مـراد (1) 93، 96.
مـر (3) 17.
مُرّة (3) 205.
مِصْـر (1) 129.
مُضـر (1) 326.
معـد (3) 17، 177.
مكـــة (1) 60، 71، 79، 80، 83، 84، 137، 139، 187، 201، 277، 318، 336 (2) 19، 71، 129، 132 133، 158، 314 (3) 156، 157، 183، 210، 212.
منـــى (1) 80.
موتـة (1) 172.

النـــــون

نـزار (1) 76 (3) 13.
نمير (1) 44، 266، 267 (3) 95.

الهـــــاء

هذيـل (2) 62، 71 (3) 144، 157.
همـدان (2) 41 (3) 17.
هـوازن (2) 62، 95 (3) 150، 175.

الـــــواو

ودان (1) 71.

فهرس الكتب المذكورة في المتن

أساس البلاغة للزمخشري (1) 53 (هامش 8).
الامثال لأبي عبيد القاسم بن سلام (3) 168، 169، 227.
الاحياء للامام الغزالي (1) 26 (3) 47.
التسهيل لابن مالك (2) 184.
التشوف (الى رجال التصوف) (1) 157، 180 (2) 116، 313، 314.
التفسير لابن أبي حاتم (3) 139.
التوارة (1) 138، 213.
الحماسة (1) 109 (2) 155 (3) 108.
الرسالة الحكمية لارسطاطاليس (1) 234.
الروض الانف (للسهيلي) (1) 91 (2) 54.
الروضة، للمرد (2) 134.
السحر والشعر للسان الدين ابن الخطيب (2) 153.
الصحاح للجوهري (1) 53 (هامش 8) 64، 79، 105، 127، 185، 202، 208، 270، 316 (2) 9، 58، 95، 102، 106، 112، 149، 184، 185، 209، 245 (3) 40، 62، 137، 155، 164، 174، 176، 227، 233، 240، 252.
الصحيح للبخاري (1) 131، 138.
الطبقات، لابن سعد (3) 140.
العقد الفريد لابن عبد ربه (1) 53 (هامش 8) (2) 134.
الفائق للزمخشري (1) 46 (هامش 3).
الفصيح (2) 10.
فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب لابي بكر بن محمد بن خلف ابن المرزبان (3) 235.
القاموس (1) 81، 130، 249، 316 (2) 59، 185، 245، (3) 62، 147، 157، 227، 241.
القلائد (قلائد العقيان) (1) 198.
الكامل المبرد (2) 134، 186 (3) 77، 126، 220.
الكشاف للزمخشري (1) 24.
المحصل (3) 93.
المسند (2) 55.
المدخل (2) 237.
النوادر، لأبي علي القالي البغدادي (3) 41، 43، 121، 136، 189، 228.
الهمع للجلال السيوطي (3) 139.

تاريخ ابن خلكان (2) 180.
تاريخ المسعودي (1) 130.
تقديم أبي بكر، لابي بكر ب حجة الحموي (1) 304.
شرح الجمل لابن مرزوق (3) 94.
شرح الامثال للبكري (2) 194.
شرح التسهيل لابن مالك (3) 157.
شرح الحماسة، للشنتمري (1) 244.
شرح ديوان الشعراء (3) 157.
شرح المفتاح (1) 195.
شرح المقامات، لابن ظفر (3) 239.
عماد البلاغة (3) 180.
كتاب الأمالي، للشريف المرتضى (1) 53 (هامش 8).
كتاب الحيوان، للجاحظ (1) 53 (هامش 8).
كليلة ودمنة لابن المقفع (3) 65.
لسان العرب (1) 130 (هامش 56) 131 (هامش 58) 142 (هامش 62) 169 (هامش 72) 179 (هامش 1) (2) 245 (3) 73 (هامش 45).
لطائف المنن للتاج بن عطاء الله (3) 134.
مقامات الحريري (3) 143، 179.
مقامات بديع الزمان الهمداني (1) 89.
نهاية الارب، للقلقشندي (1) 69 (هامش 12).

مصادر المقدمة والتحقيق

1) ابن الاثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (أربعة أجزاء) المطبعة العثمانية بمصر 1311 هـ.
2) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1977.
3) ابن دريد، **ديوان ابن دريد**، تحقيق عمر بن سالم، الدار التونسية للنشر، 1973.
4) ابن المعتز، **ديوان ابن المعتز**، تحقيق ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت، دون تاريخ.
5) ابن منظور، **لسان العرب**، (3 أجزاء)، دار لسان العرب ـ بيروت، 1970.
6) ابن قيس الرقيات، **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات**، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت 1958.
7) أبو تمام، **ديوان أبي تمام**، بشرح الخطيب التبريزي (4 أجزاء)، دار المعارف، القاهرة، 1964.
8) أبو تمام، **ديوان الحماسة**، بمختصر شرح التبريزي، (جزآن)، المطبعة الازهرية، القاهرة، 1927.
9) أبو العتاهية، **ديوان أبي العتاهية**، دار صادر، بيروت، 1964.
10) أبو علي المرزوقي، **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق أحمد أمين ومن معه، (4 أجزاء) القاهرة 1967.
11) الأب انطوان صالحاني، **رنات المثالث والمثاني، في روايات الأغاني**، (جزآن)، بيروت 1946.
12) الأعلم الشنتمري، **أشعار الشعراء الستة الجاهليين** (جزآن) دار الآفاق الجديد، بيروت، 1979.
12) البحتري، **ديوان البحتري**، تحقيق حسن كامل الصيرفي، (5 أجزاء) دار المعارف، القاهرة 77 ـ 1978.
14) الجاحظ، **البيان والتبين**، تحقيق عبد السلام هارون، (4 أجزاء) دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
15) الجوهري، **الصحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، (6 أجزاء) دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
16) الحريري، **مقامات الحريري**، دار الكتب العربية الكبرى بمصر، 1333 هـ.
17) الحصري القيرواني، **زهر الآداب، وثمر الألباب**، تحقيق علي محمد البجاوي، (جزآن) دار إحياء الكتب العربية بمصر، 1969.
18) الزمخشري، **أساس البلاغة**، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1979.
19) الصولي، **أخبار أبي تمام**، تحقيق محمود عساكر ومن معه، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، بدون تاريخ.
20) الفرزدق، **ديوان الفرزدق**، (جزآن)، دار صادر، بيروت، 1966.
21) القالي أبو علي البغدادي، **الأمالي**، (4 أجزاء) دار الثقافة الجديدة، بيروت، دون تاريخ.
22) المبرد، **الكامل في اللغة والأدب**، (جزآن) مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.
23) المتنبي، **ديوان المتنبي**، بشرح أبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا ومن معه (4 أجزاء) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1936.
24) المعري، **لزوم مالا يلزم**، (جزآن) دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
25) المقري، **نفح الطيب**، تحقيق إحسان عباس، (8 أجزاء) دار صادر بيروت، 1968.
26) الميداني، **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (جزآن) دار الفكر 1972.
27) النابغة الذبياني، **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، القاهرة، 1977.

28) اليوسي، **ديوان اليوسي**، المطبعة الحجرية بفاس، بدون تاريخ.
29) اليوسي، **المحاضرات**، تحقيق محمد حجي، دار المغرب بالرباط، 1976.
30) امرؤ القيس، **ديوان امرىء القيس**، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
31) رؤبة بن العجاج، **ديوان رؤبة ابن العجاج**، تحقيق وليم بن الورد البروسي، ليبسيغ، 1903.
32) طرفة، **ديوان طرفة ابن العبد**، دار صادر، بيروت، 1961.
33) طه حسين ومن معه، **المنتخب من أدب العرب**، (جزآن) المطبعة الأميرية ببولاق، 1934.
34) عنترة، **ديوان عنترة**، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
35) فؤاد أفرام البستاني، سلسلة **الروائع**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
36) كثير عزة، **ديوان كثير عزة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1971.
37) كعب بن زهير، **ديوان كعب بن زهير**، تحقيق سعيد الحسن السكري، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة، 1965.
38) لبيد، **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، دار صادر، بيروت، 1966.
39) لويس معلوف، **المنجد**، بيروت 1956.
40) مجد الدين الفيروزبادي، **القاموس المحيط**، (أربعة أجزاء) المطبعة المصرية، 1933.
41) مجنون ليلى، **ديوان مجنون ليلى**، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مكتبة القاهرة، بدون تاريخ.
42) محمود كامل فريد، **ديوان أبي نواس**، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، 1956.
43) مصطفى السقا، **مختار الشعر الجاهلي** (جزآن) دار العلم للجميع، 1969.

مستدركـــات

الجـــزء الأول

الصفحـة	السطـر	بـــدلا مـــن	إقـــرأ
15	18	الفضـل،	، الفضـل
24	3	وأعلـم	واعلـم
33	20	الضُـــور	الصُـــور
36	3	عِـــرق	غَـــرِقَ
52	12	أخطـــا	أخْطَـــأ
54	2	وروحُ اللـهِ مُنتظـرُ	والرَّوحُ مُنْتَظَرُ
55	9	فيفـع	فَيَقَعُ
62	24	مَـرٍّ	مَـرَّ
68	15	مِن جِـذْعِ	مِـنْ جِـذْعٍ
69	7	المخفّفـة	المُخَفَّفَة
75	21	بِامْـرِءٍ	بِامْـرِىء
78	18	لا نـرْتَجـى	لانَـرتَجِـي
78	19	فإن أكَ	فإنْ أكُ
79	17	وسـاقُ	وسـاقِ
80	5	بين الغيلَ والسعْد	بينَ الغَيْلِ والسَّعَدِ
80	14	وأعلـم	واعلـم
82	10	كُلِيبـًا	كُلَيْبـًا
82	11	كُلِيب	كُلَيْب
82	15	نِعْم القتيُل قتيلُ	نِعْمَ القتيلُ قتيلٌ
85	13	المُمتليء	المُمْتَلِئى
86	1	لِغَصبِه	لِغَضَبِه
87	14	خيمته	خيمةٍ
88	1	لا تَزدارُ	لا تُزْدارُ
88	18	أثيتٍ	أثيثٍ
89	1	رجِيبة	رُجَبِيَّة
89	15	جذيلة	جُذَيْلَه
89	18	وسـرها	وشـرّها
94	5	صُبيْرَة	هُبَيْرة
94	20	فتقـرّق	فتفَـرّقَ
95	5	الجَزَعُ	الجَزَعْ
95	25	فيامـــا	قيامـــا

96	1	عداوةٍ بيْنَنَا	عداوةٍ بَيْنِنَا
96	3	غُكَابَة	عُكابَة
96	17	اشمهُ	شَمَّهُ
97	21	فرِدهُ	فَرِدهُ
101	8	وأعلم	واعلم
104	11	بآخرِ	بآخَرَ
104	21	ربيعة	ربيعة
105	8	لَيَحَسُّ السَّعدي	لِيَحَسُّ لِلسَّعْدِي
106	19	بظنيت	بِظَنِينٍ.
107	22	فَلَما	فَما
114	2	أبي حَازم	أبي خَازِم
114	14	جذيمةِ	جذيمةَ
115	22	ويارقٍ	وبارقٍ
118	1	فضحتك	فَضَحِكَت
118	1	سقط كلام من النص بعد قوله : فقلت لها	
124	2	المنكرُ	المنكَرِ
128	7	فرْعَ	قَرْعَ
128	8	أت	أتَى
131	9	الله	اللَّه
131	19	الحماسِّي	الحماسيُّ
131	23	اللُّحمة	اللَّحمة
132	7	منكَ	منكِ
133	17	روضِ	رَوْضِ
136	5	وسلم الزبرقانُ	وسلَّم وفيهم الزبرقانُ
139	13	أخبريه	أَخبرُ بِهِ
139	13	يه	بِهِ
140	12	يا جدُّ بنُ	يا جدُّ بْنَ
140	21	والحضاره	والحضارهْ
141	2	وحياه	وحَباه
141	10	وضمَّها	وضمِّها
141	17	أفنانه	أفنانِهِ
142	13	باعمْرو	يا عَمْرو
142	16	إنَّمَا	أنَّما
142	17	إمامي وأني	أمامِي وأني
143	8	نُكبة	نَكْبة
150	5	يَمْنَيْك	يَمِينَك
150	8	المهذبِ	المُهذَّبُ

152	20	قلبي سواكم	قلبي سَلاكُمْ
158	6	صدورهِمْ	صدورهِمُ
158	10	يذْعرك	يَذْعَرُكَ
160	11	ذا وفاءَ	ذا وفاءِ
161	7	أصل... أذُني وأَذُن	أصلُ... إذْنِي وإذْنُ
164	14	لعِظمية	لِعَظِمية
166	16	العالِمُون	العالَمُون
167	18	يُقْتَلُو	يُقْتَلُوا
167	15	كِلْم	كَلْمِ
167	20	كما دماؤُكم من الكَلَب	كما دِماؤُكُم تَشْفِي مِنَ الكَلَبِ
168	8	المَفَتَّل	المُفَتَّلِ
168	21	هزيرَهُ	هزيمَهُ
168	18	هِبِّ	هَبَّ
171	12	تألَّقه	تَأَلُّقَهُ
172	16	فشأنُكَ	فشأنُكِ
174	7	جلَّها	جُلُّها
174	23	بينِهِمْ	بَنِيهِمْ
178	11	نكهة نسر	نكهة صَقْرِ
179	6	نَفوس	نُفُوسُ
182	3	من حدِّ الشبيبة	مِنْ جِدَّةِ الشَّبِيبَة
182	3	أخَيطُها	أخِيطُهَا
183	3	فأجار	فأجاز
183	14 ـ 15	(البيتان من قصيدتين مختلفتين، وبينهما كلام سقط من النص)	
190	14	بمجيئة	بمجيئه
192	5	وأبو ملك الملك بالخُذع	وأبوه مَلك الملك.. بالخُدَع
194	15	أقترح	اقْتَرِحْ
199	9	ريقيها	رِيقِهَا
206	18	زيادةُ	زيادةَ
207	الحاشية 17	تعرضت تَيم لي لأهجُوها	تَعَرَّضُ التَّيْمُ لي عَمْداً لأهْجُوها
211	14	فَيْن	قَيْن
212	16	يَبْرَ الجرح	يَبْرَا الجُرحُ
212	17	أدّاة	أداة
224	1	كهولُهُمْ... أمرهُمُ	كهولُهُمُ... وأمرَهُمْ

217	23	كثرةُ السَّفر... نفيسَة العِقْيَان	كَثْرةُ الصُّفْر.. نَفَاسَةِ العِقْيَانِ
227	17	ضيعتُهُ	ضيعتَـهُ
227	19	واجتنابِ	واجتنابِ
228	14	لم تعلَمْ	لم تعلَمِي
228	14	فَمَنْ شئتَ	فمِمَّنْ شِئْتَ
228	21	قِـراق	فِـراق
230	8	ويختلـف	ويختلِـف
231	14	تُشـركُ	تَشْـركُ
231	20	العُجبْ	العَجَـبْ
233	2	مِجلـوب	مَجلـوب
234	1	الرسالة الحِكْميَّة	الرسالة الحاتِمِيَّة
235	3	الوفيِّ قصاءُ	الوفيِّ قضـاءُ
336	11	الحَبُّ	الحُـبُّ
236	22	لابـذَّ	لا بُـدَّ
244	14	نـواد	نـوادر
248	23	والثَّعْلَبانُ	والثُّعْلُبَانُ
249	17	جـارة	جـارِهِ
251	23	كبر حَسب	كِبْرٌ بِلاَ حَسبٍ
154	18	والقلبُ	والقَلْبِ
261	15	المـر	المـرْءِ
262	19	حسْـبي	حَسَبِـي
263	18	الدار، فتى	الدَّارَ فـتًى
264	5	ابنَ.... ابنَ	ابنُ.... ابنُ
264	10	المَؤمِنُـونَ	المُؤمِنُـونَ
268	4	تَجْدبـني	تَجْذبُنـي
269	14	لا أفْصَلْتَ	لا أفْضَلْتَ
272	20	مُستقـرَّها	مُسْتَقَرَّهَـا
273	17	وإذا المليحي	وإذا المليـحُ
273	23	الوشيـات	الواشيـات
276	1	أراد	أراكـا
276	2	البُكَ	البُكَا
282	6	لمَّـا	لَمَـا
285	5	وتعضـبُ	وتَغْضَـبُ
285	21	النَّفـوس	النُّفُـوس
289	23	شُعُـوبُ	شَعُـوبُ
295	11	حَتَّـى	حَتَّـى

299	23	أبثتـه	أبْثَثْتِهِ
299	1	وسرّها	وسرَّهَا
300	23	التحارب	التجارب
303	1	بـؤسٌ	بُـؤسٌ
303	8	بنـي	بـن
312	11	ويستري	ويشتري
314	11	الاناث	الإناث
314	19	بوزنة	بِوِزْنِهِ
317	9	حبـّار	جبّارٌ
318	8	مأتـورَ	مَأثُورَ
318	14	حمل بدر	حمل بن بدر
318	19	جذيمة	حُذيْفة
318	21	وودّاهُ	وودَاهُ
318	22	أن أردد	أن أردد
322	5	ومَستقيمُ	ومُستقيمُ
322	14	مذحـج	مدحـج
326	13	إمّهـم	أمّهِـم
336	9	فصته	قصته
337	4	ولم أجدْ	ولم أجْنِ
341	4	يا مفردا سكن الثرى وبقيت كنت أصدق....	لويا مفردا سكن الثّرى وبقيت لَو كنت أصدق....
343	15	لطـّى	لَظـّى
344	8	يَعرضُ	يُعرِّضُ
345	18	بأحْسَنِ	فَأحْسَنَ
349	15	وغزلانُ	وأين غِزْ لاَنُ
349	19	وأصحابُ	وحظٌّ أصبْ حَابِ
349	21	العَيْثَرا	العِثْيَرا
350	5	ابن صرَّ درَّ	صُرَّ دُرَّ
350	13	لا يَحْمِلُ	لا يَخْـ مُلُ...
350	19	وكنْ غَنِيًّا	وكنْ غانيًا
350	20	بِحره	بَحْرِهِ
351	23	أنـّي	أنـّـى
354	7	وأعتادَها	واعتَادهَا
354	19	كان الناس صِنْفان	كان الناس صِنْفَيْن
356	15	خُضر الصّوحِ	خُضْرٌ لَصَوَّحَ
356	23	وأحسن إذا أخطأتُ إن ..	وأحسن إذ أخطأتُ أن
357	10	حمائمُ الحلبي	حمائِم الحِلّ
357	11	لُفحت	لَفَحَت

الجـــزء الثانـــي

5	20	تعهدّه
8	17	الشّرا
14	23	فأعرهِ
16	25	إئـــت
19	9	وطفـــلُ
20	16	بـــدي
24	11	ولاّ اشتهرت
26	22	البِرٌ
27	2	يَريـــدُ
37	12	إذ
38	1	كـــل
41	12	هـــذا
46	7	فمّـــا
48	17	وأحْمَومَت
56	9	ويُخفّف
63	19	يقضيهم
70	4	مَلْجَمٌ
96	12	يؤمـــر
99	8	الروعَ
103	13	أولها
107	17	لِمَثل
111	1	تحتب
111	5	المقـــلاة
114	3	حكـــة
121	16	أكتبـــوا
122	1	تعانيه
124	10	الدجاز
140	2	تَفْديه
140	6	شِـــنّ
141	20	فأتركُه
143	14	صَفُورية
148	4	حالد
148	20	مَبْتلٌ
153	15	يستحقه
161	7	اللحطات
163	12	أذكُرونا

تعهّده
الشّرّا
فَأعِرْهُ
ائْـــتِ
وطفيـــلُ
بِـــذي
ولمّا اشْتَهرتْ
البِرّ
يُريـــدُ
إذا
كُـــل
وهـــذا
فلمّـــا
واحْمَومَتْ
ويُخفّفُ
بِقَضِيضِهِم
مُلْجَمٌ
يُؤمَـــرُ
الرَّوعِ
أوّلُها
لِمِثْل
تَحْتَ
المِقْـــلاتِ
حَكّـــهُ
اكْتُبُوا
تُعَاينْهُ
الرُّجّاز
تَفْدّيه
شَـــنٌ
فأتْرُكُهُ
صَفُورية
خالد
مُبْتَلٌ
يستحقُّهُ
اللحظات
اذكُرونا

163	21	أللهِ	اللهُ
168	1	بِسُعْدي	بِسُعْدَى
169	18	مقمعه	مقمعة
177	9	مُطَّلا	مُطِلاً
183	3	الدهرِ	الدهرَ
188	15	تُخْرَّس	تُخَرَّسٌ
196	22	خلَّ هَبْ	خَلِّهِ يَذْهَبْ
198	6	زقد	وقد
198	8	فمِنْ	فَمِنْ
200	19	بالموضَع	بالموضِع
203	3	بشي	بشَيءٍ
207	3	معنى	مَعْنَى
207	11	فقال : الاوس	فقال أوس" :
209	23	إتباعًا	اتِّبَاعًا
210	2	قَربَةً	قَرِيَةً
216	12	باللدَّوَى	بالدَّوَى
232	5	فليسِ	فلَيْسَ
246	16	رحل	رجُل"
253	22	السَّود	السُّودِ
255	13	قَطعٍ	قَطْعِ
256	24	يحتني	يَجْتَنِي
267	2	وأحلهن	وأجلُّهُنَّ
271	8	دراهيم ـ شئتي	دراهمُ ـ شِئْتِ
273	11	عيظًا	غَيْظًا
276	18	فليتب	فَلَيْتَ
276	19	الزمراتس	الزَّمِراتِ
279	7	الضمة	الصَّمَّة
282	6	أذوذ	أذودُ
283	3	الضيفُ.. محافةً	الضيفَ... مخافةَ
283	6	عَلمِيَ	عِلْمِيَ
283	11	وكل)	وكُلُّ
283	17	إسمه	اسْمُهُ
292	14	تفرَّقْن	تَفَرَّقَنْ
292	23	غَدَ	غَدِ
293	1	فكُنْ	فَكُنْ
302	10	وإن أتاه الدَّهُر	وأن أتِيهَ ـ الدَّهْرَ
204	16	عيره	غيره
305	7	يُعشى	يُعشِي
307	25	للنَّوى	للِنَّوَى
309	13	طَّرفي	طَرفِي
309	25	مبن"	مُبِينٌ"

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

رقم الإيداع القانوني 63 – 1981